العقيدة – المستوى الأول

الشيخ/ أ.د. ناصر بن عبد الكريم العقل

أهمية العقيدة

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ورضي الله عن صحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين وبعد :

فإنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) وإن أعظم الفقه في الدين هو الفقه الأكبر كما سماه السلف الصالح أعني فقه العقيدة والأصول والمسلمات والثوابت التي يقوم عليها الدين لاسيما وأن المتأمل لحال المسلمين اليوم يجد أن حاجتهم إلي تثبيت الأصول إلي تثبيت العقيدة وأصول الدين حاجة ملحة بل ضرورية لأنها اختلت عند الكثيرين وجهلها كثيرون، لأن العقيدة هي التي تحكم علاقة المسلم بربه عز وجل وعلقته بالخلق على منهج سليم يرضي الله سبحانه وتعالي ويحقق السعادة في الدنيا والفلاح في الآخرة والنجاة ثم أصول الدين والمسلمات وهي العقيدة هي الرابط الأبقى والأقوى بين المسلمين في كل زمان إلي قيام الساعة كما أنها أيضا هي الرابط فيما بينهم وبين الأمم الأخرى والبشرية جمعاء وهي الرابط السليم بين عالم الشهادة وبين عالم الغيب جاءت من لدن حكيم خبير ، من هنا تأكدت ضرورة تثبيت العقيدة في قلوب المسلمين ومن هذا المنطلق تبنت هذه القناة المباركة قناة المجد هذا الدرس وغيره من الدروس في هذا الأمر من أجل الإسهام في نشر العقيدة وغرسها بين أجيال الأمة ومن هذا المنطلق أيضا كان لابد على علماء الأمة بخاصة وطلب العلم بعامة من أن تتضافر جهودهم عبر جميع وسائل الإعلام على القيام بهذا الواجب ونظرا لأنه في بداية كل علم لابد من الوقوف على مصطلحاته فلابد أن نستهل هذا الدرس بالتعريف بأهم مصطلحات الموضوع أو مصطلحات العقيدة وما يرادفها فأولا يحسن أن نعرف بالعقيدة لغة:

فالعقيدة لغة مأخوذة من العقد وهو الشد والربط بإحكام ولذلك يعني مما هو جاري على ألسنة الناس تسمية كل أمر ذي بال بأنه عقد فإجراء النكاح عقد ، إجراء البيع عقد وهكذا سائر العقود والعهود تسمي عقد مما يدل على أهميتها إذا فالعقيدة سميت عقيدة لأنها تنبني على اليقين والعقد الذي يستقر في القلب ويسلم به العقل ويحكم المشاعر والعواطف .

أما من حيث الاصطلاح فإن العقيدة لها معنيان ، معني عام يشمل كل عقيدة حق أو العقيدة الباطلة عند أهل الباطل وهي تعني اصطلاحا الإيمان واليقين الجازم لدى المعتقد أي الذي لا يتطرق إليه شك ، أما العقيدة الإسلامية فهي تعني اليقين والتسليم والإيمان الجازم بالله عز وجل وما يجب له من التوحيد والعبادة والطاعة ثم بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر وسائر أصول الإيمان ثم أركان الإسلام والقطعيات الأخرى وهي كثيرة كالشفاعة والرؤية والأمور العملية أيضا التي هي من قطعيات الدين كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد والحب في الله والبغض في الله ونحو ذلك مما يندرج في الواجبات حتى في العلاقات بين المسلمين كحب الصحابة رضي الله عنهم وحب السلف الصالح وحب العلماء وحب الصالحين ونحو ذلك مما هو مندرج في أصول الاعتقاد وثوابته .

وعلى هذا فأن أمور العقيدة هي كل ما ثبت به الشرع،فسائر ما ثبت من أمور الغيب هو من أصول العقيدة ،الأخبار التي جاءت في كتاب الله وصحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي من العقيدة.

الثوابت والمسلمات العلمية أو العملية هي أيضا داخلة في أصول الاعتقاد ومن ذلك التزام شرع الله عز وجل في الجملة والتزام أصول الفضائل والأخلاق الحميدة ونفي ما يضادها كل هذا داخل في مسمى الأصول والقطعيات التي هي في مجموعها تسمي العقيدة .

إذا الخلاصة: أن العقيدة هي الأسس التي يقوم عليها الدين الأسس الاعتقادية والعلمية والعملية الأسس التي يقوم عليها الدين اعتقادية وعلمية وعملية وهي بمثابة الأسس للبناء ولذلك جاء وصفها في الشرع للأركان فأسس الإيمان تسمى أركان وهي من أسس الدين والعقيدة أركان أسس الإسلام تسمي أركان وكذلك بقية الأصول .

إذا فهذه الأسس ليست محصورة في أركان الإيمان وأركان الإسلام بل حتى أن أركان الإيمان وأركان الإسلام لها أيضا قواعد متفرعة عنها هي من قطعيات الدين وأضرب لهذا مثالا :

الإيمان بالملائكة هو مبدأ قد يقر به الكثيرون لكن قد يوجد مثلا عند بعض الجاهلين أو بعض أصحاب الشبهات أو الأهواء من ينكر ملكا من الملائكة كما كان من بعض الأمة التي كانت أو تنكرت لجبريل عليه السلام فبهذا ينتقض الإيمان مع أن الفرد قد يقول بأني أومن بالملائكة لكن إذا خل بأصل من أصل الإيمان بالملائكة اختل أصل الإيمان واختلت العقيدة .

فهكذا إذن العقيدة هي الأسس التي يقوم عليها الدين وهي الركائز الكبرى وتسمى ثوابت وتسمى مسلمات وتسمى قطعيات وتسمى أصول وغير ذلك من المعاني المرادفة التي يفهم منها أنها أي العقيدة هي أصول الدين العظمى التي ينبني عليها الدين للفرد والجماعة .

ثم من التعاريف التي سنحتاج إلي تطرقها لأنها ستتكرر عندنا كثيراً .

من العبارات التي يلزم استعمالها وارتباطها في ذهن المسلم وهي من المصطلحات المهمة في تاريخ العقيدة كلمة السلف ، السلف المقصود بهم القدوة لهذه الأمة الذين هم الرواد الذين رسموا لنا منهج العقيدة على ضوء الكتاب والسنة لأن منهج العقيد علمي عملي وهذا لا يمكن أن يكون واضح وبين إلا بقدوة لأن الإسلام ليس مجرد نظريات ، أو علوم الإسلام منهج حياة يتمثل بأمة بأفرادها على رأسها العلماء ومن دونهم فنظرا لأن القدوة أساس في رسم معالم العقيدة وبيان مسلماتها فلابد أن نتعرف على أول قدوة وهم السلف ، السلف الصالح ، السلف الصالح هم صدر هذه الأمة أول ما ينطلق كلمة السلف لأن السلف معناها في اللغة الذين سلفوا وقدوا من القدوات . فسلف الأمة هم صدر هذه الأمة أو سلف صدر هذه الأمة من الصحابة التابعين وأئمة الهدى في القرون الثلاثة الفاضلة وعلى هذا يطلق هذا الوصف أيضا من باب التوسع في الوصف كما هو معروف عندما تقرر الاصطلاحات يطلق هذا الوصف على كل من التزم هذا المنهج وإن كان معاصرا فهو السلفي بمعني أنه على نهج السلف .

إذا فالسلف عندنا لها معنيان معنى خاص وهو خيار هذه الأمة ابتداء من أصل الصحابة إلي يومنا هذا والمعني الآخر هو من كان على هذا النهج وإن كان من المعاصرين .

السلام عليكم يا شيخ ، السؤال الأول حكم من أنكر أصل من أصول الدين ؟ السؤال الثاني : حكم من أنكر الرؤية ؟ جزاك الله خير .

أحسنت الأصل في إنكار أو القاعدة إنكار أي أصل من أصول الدين أنه ينقض الإيمان وينقض الإسلام ويخرج به المسلم من مقتضى الإسلام هذا الأصل لكن كما هو معروف في جميع نواقض الدين والكفريات لابد في الحكم فيها على المعين من تطبيق شروط التكفير بمعني أن الذي ينكر أصلا من أصول الدين قد يكون جاهل

فيعذر بجهله قد يكون متأولا فيكون التبس عليه الأمر قد يكون مكره ، قد يكون عنده شيء من الاشتباه فهكذا وكذا هناك صوارف كثيرة تعتري الخلق تمنعنا من أن نحكم على المعين إذا صدر منه ما يقتضيه إنكار أصل من الأصول .

أما الحكم المجرد فلا شك أن من أنكر أصلا من الأصول فإن هذا كفر لكن يبقي حكم المجرد تطبيقه على العيان لابد فيه من شروط .

أما المثال الذي ضربته وهو إنكار الرؤية ، الرؤية المقصود بها رؤية المؤمنين لربهم في الجنة نسأل الله أن يجعلنا جميعا ومشاهدينا المستمعين منهم – اللهم آمين – رؤية المؤمنين لربهم في الجنة أصل ثابت في قطعيات النصوص في القرآن والسنة وبتصريح النبي صلى الله عليه وسلم بذلك لقوله صلى الله عليه وسلم عندما فسر آيات الرؤية(إنكم سترون ربكم عيان) فعلى هذا تعتبر الرؤية بهذا المفهوم أصل قطعي من أصول الدين يبقي من أنكرها، من أنكر الرؤية يحكم فيه بالحكم السابق لكم مع ذلك نظرا لأن مسألة الرؤية من المسائل التي لا تستبين لكثير من عامة المسلمين ولا يعرفون معانيها على وجه التفصيل فإن من ينكر الرؤية لابد أن تقام عليه الحجة وبين له وجه الدليل فيحكم بكفره أول وهلة لكن إذا تبين له وجه الدليل وتبين له وجه الحق واستبان له وعاند وكابر فإنه يكون أنكر أصل من أصول الدين فحكمه ما ذكرته قبل قليل .

سلام الله عليكم،أحسن الله إليك،يعني ما ظهر لي من هذه المقدمة أن الحكم على الفعل ليس هو كالحكم على الفاعل؟

لاشك هذه يعني من ثوابت الاجتهاد عند السلف بل هي أصل من أصول الأحكام على الناس أن نفرق بين الاعتقاد والقول والفعل وبين من صدر عنه ذلك بمعني أنه كما أنه يمكن أن يقول المسلم قولا كفريا أو يفعل فعلا كفريا ويعتقد اعتقادا كفريا ثم يظهر لنا فإن هذا لا يعني ذلك أن نحكم عليه بالكفر حتى ينطبق عليه شروط التكفير وتنتفي عنه الموانع ويطبق ذلك أهل الرسوخ في العلم لأن هذه من المصالح العظمي من القضايا الكبرى التي لا تتاح الحكم فيها لأفراد الأمة ولا حتى سائر طلاب العلم فالغالب أن هذه لا يحكم بها إلا الراسخون في العلم لأنها حكم على العباد بحكم الله عز وجل وهو أمر خطير قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم إذا قال الرجل فيما صح عنه في البخاري وغيره (إذا قال الرجل لأخيه يا كافر لقد باء بها أحدهم) فالأمر خطير جدا هذا أمر الأمر الآخر في يستتبع هذا السؤال أنه أيضا كذلك بالعكس المسلم المنافق إذا ظهر منه ما يقتضي يعني الردة أو ما يقتضيه فإنا لا نستطيع كذلك أن نحكم لأن النفاق الخالص قلبي لا يعلمه إلا الله عز وجل وهكذا .

عندنا أيضا من المصطلحات المهمة في هذا الباب السنة والجماعة أو أهل السنة والجماعة وهذه مسألة من المسائل المستفيضة عند كثير من الناس ويسمع بها أغلب المسلمون لكن قد لا يفهم حقيقتها الكثيرون نحتاج أن تقف إلي معناها أولا من هم أهل السنة والجماعة ؟ أهل السنة والجماعة هم كل من كان على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعون وأئمة الهدي .فمن كان على السنة ، من كان على السنة فهو من أهل السنة لماذا سموا بأهل السنة ؟ لاعتبارات شرعية :

أولا : لاستمساكهم بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ولأنهم أخذوا بوصية النبي صلى الله عليه وسلم عندما ذكر الأهواء والافتراق قال: (فعليكم بسنتي) فسموا أهل السنة لأنهم أخذوا بهذه الوصية وكذلك لاتباعهم نهج السنة على جهة العموم وكذلك وصف الجماعة لأن هناك عبارة أخرى غالبا تقرن بالسنة يقال السنة والجماعة ، هل السنة هي الجماعة ؟ لا إنما السنة منهج والجماعة كيان ، السنة منهج والجماعة كيان فالمنهج ما ذكرته لكم ، الكيان الجماعة هم الذين وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم أي جماعة المسلمين الذين استمسكوا بالسنة وأخذوا بوصية النبي صلي اله عليه وسلم واتبعوا السنة وعلى هذا فإنهم وصفوا بالجماعة لأنهم أخذوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم (عليكم بالجماعة وعليكم بالجماعة) إلي آخره ولأنهم اجتمعوا على الحق وأجمعوا عليه واجتمعوا

على الأصول الكبرى والمعاني العظمي من مسلمات الدين وثوابتها وعلى مصالح الأمة العظمي كبيعة إمام ، الاتصال والطاعة للوالي بالمعروف وغير ذلك من المصالح العظمي فهم يجتمعون عليها اجتمعوا على المصالح واتبعوا واجتمعوا على ما عليه سلف الأمة والتزموا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالجماعة وعلى هذا وهذا أمر مهم أرجو أن تنتبهوا إليه وعلى هذا فإن وصف السنة والجماعة ليس شعار ولا حزب ولا مذهب بل هو وصف شرعي جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أعجب ولا ينقضي عجبي من أولئك الذين يدعون العلم والتعالم ثم يطعنون في مسمى السنة والجماعة ويزعمون أن هذا تحزب ويظنون أن هذا من صنع العلماء أو من صنع السلف وأنهم اخترعوه ليميزوا أنفسهم عن غيرهم وهذا خطأ فادح فالحق أن وصف السنة والجماعة أو أهل السنة والجماعة وصف شرعي جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم . كيف ؟

أولا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما ذكر الافتراق حذر منها وذكر الفتن والاختلاف قال إن من يعش منكم بعدي فسيري اختلافا كثيرا قال فعليكم بسنتي . متي ؟ إذا وجد الخلاف . إذاً مع الاختلاف الذين استمسكوا بالسنة هم أهل السنة الذين أخذوا بالوصية فإذاً هذا وصف شرعي أيضا كذلك الجماعة لما ذكر الاختلاف والفرقة قال عليكم بالجماعة فعليكم بالجماعة ، وقال : إن يد الله مع الجماعة . فالجماعة إذا وصف شرعي جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فهكذا الوصف بمجمله أهل السنة والجماعة أو السنة والجماعة منهج شرعي يمثل الإسلام بمصادره ومنهجه وليس فرقة ولا طائفة .

كذلك لأهل السنة والجماعة أوصاف في حق أوصاف إما أن تكون أوصاف حقيقية انطبقت عليهم اللغة لغة أو أوصاف شرعية جاءت في السنة أو أنها أوصاف أثرت عن أثر السلف الصالح ولا بأس في استعمال هذه الأوصاف إذا لم تقتضي تعصب مثل : أهل الحديث . أهل السنة أهل الحديث . بعض الناس قد يفهم من أهل الحديث أنهم رواة حديث لا ، نعم من أعظم خصائص أهل السنة أنهم رواة الحديث لكن لا يقف وصفهم على هذا فهم أهل الحديث العاملون بحديث النبي صلى الله عليه وسلم رواية ودراية والحديث يرادف السنة لأن حديث النبي صلى الله عليه وسلم لأن الحديث هو حديث النبي صلى الله عليه وسلم قوله وفعله وتقريره فهو مرادف لكلمة السنة إذا يرجع هذا الوصف إلي وصف بأهل السنة إذا هذا وصف .

الوصف الآخر أيضا : هم أهل الأثر من أوصافهم أنهم أهل الأثر . لماذا ؟ لأنهم على أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أثر السلف الصالح ، من أوصافهم أنهم السلف ، من أوصافهم أنهم أهل الاتباع ، من أوصافهم أنهم الطائفة المنصورة ، المنصورة بمعني أن الله عز وجل تكفل بنصرها إذا أخذت بأسباب النصر وكذلك الفرقة الناجية ، من عداها من أهل الافتراق الذين ما خرجوا عن الملة وهذه مسألة أرجو أن تنتبهوا إليها جيدا وهي :

أن من عدى أهل السنة والجماعة هل هم خرجوا من مسمي الإسلام ؟ لا ، الذين اتبعوا السبل ما لم يخرجوا من الملة وهم أكثر فرق الأمة ومن فرق الثنتين والسبعين التي خرجت عن السنة هم من المسلمين هم مسلمون لكنهم خرجوا عن السبيل اتبعوا السبل خرجوا عن السنة فيسمون أهل الأهواء يسمون أهل الافتراق يسمون أهل البدع يسمون الفرق المفارقة لأنهم اتبعوا السبل التي نهى الله عنها ونهى عنها الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يخرجون من مسمى الإسلام لكنهم لا يسمون أهل السنة والجماعة ولا يستحقون هذا الوصف لأنهم خالفوا وصية النبي صلى الله عليه وسلم يالاستمساك بالسنة .

من الأمور التي يجب أن نقف عندها في هذه المقدمة في التأصيل هي خصائص عقيدة السلف :

إذا قلنا أن عقيدة أهل السنة والجماعة عقيدة السلف هي العقيدة الحق كيف نتعرف عليها كيف نعرف سماتها كيف نفهم الركائز التي تنبني عليها أو تعرف بها وهذه سمونها وخاصة في هذا العصر الذي كثر فيه تشقيق العلوم وعنصرتها أو ممكن نصفه بتعليب العلوم ، الناس كما علبت لهم المعلومات الآن يحتاجون أيضا إلي

تعليب أو ما يشبه تعليب العلوم أي تيسيرها وتسهيلها وبيان صفات المناهج والأصول والمفردات لهذه المنهج ، لذا نحتاج إلي أننا نتعرف على خصائص هذا المنهج الذي نقول أنه المنهج الحق الذي هو الإسلام بمصادره وبمناهجه الذي هو منهج أهل السنة والجماعة يتميز بخصائص كثيرة وركائز وسمات ستأتي إن شاء الله من خلال الدروس القادمة على جهة التفصيل لكن الآن سأعرضها بإجمال .

فأولا أبرز سمة وأهم صفة السمة هي الكمال والشمول لأنه دين الله ودين الله كامل وشامل لكل زمان ولكل مكان ولكل بيئة ولكل مجتمع ولكل دولة وهذه مسألة هي حقيقة لكن إن تخلفت في بعض الأزمان والأمكنة فهذا بسبب تقصير المسلمين وإلا فإن أبرز سمة للدين كله والذي تمثله السنة والجماعة هو الكمال والشمول لأنه ربانية تنزيل من حكيم حميد وهو سبحانه العليم الخبير لمصالح العباد .

الأمر الثاني : النقاء نقاء المصادر وسلامة المصادر وأعني بذلك أن مصادر السنة هي مصادر الدين النقية بخلاف ما وقع فيه أهل البدع والافتراق فإنهم تعكرت مصادرهم ابتدعوا في الدين أخذوا من مصادر غير صافية إما آراء الرجال وإما الأهواء وإما الابتداع وإما أمور سنذكرها إن شاء الله في ثنايا الدروس .

النقاء : فمصدرها القرآن وسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – القولية والفعلية والتقريرية أي ما ثبت من ذلك ما ثبت من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ومصدر الدين .

الإجماع هل هو مصدره ولا لا هذا سيأتي الإجماع طبعا هو مبني عن الكتاب والسنة لكن سأفصل فيه فيما بعد .

أيضا من خصائص منهج أهل السنة والجماعة البقاء والحفظ لأنه هو الدين الحق والدين قد تكفل الله بحفظه وقال عز وجل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩] والله عز وجل كما تكفل بحفظ القرآن بحروفه وبمعانيه حفظا كاملا كذلك تكفل بحفظ السنة فالكفالة ليست للقرآن فقط لكن القرآن له خصائص أنه تكفل الله بحفظه بمعانيه وحروفه بحيث لا يزيد ولا ينقص ولا يمكن التعرض له بأي تحريف ولا نقص .

السنة : قد تروى بعضها بمعاني وقد تروى بالسلوك والقدوة ومع ذلك السنة محفوظة لأنها مصدر الدين ، البقاء والحفظ .

غير أهل السنة والجماعة قد يقول قائل : أليس عندهم مصادر محفوظة نقول نعم فيما أخذوا به من القرآن والسنة محفوظ لكنهم اعترتهم مصادر أخرى يعتريها جميع أنواع الاعتلال ، الاعتلال التي تعتري البشر من النسيان ومن النقص والخلل والفناء اللي هي نتاج البشر الذي أدخلوه وجعلوه باسم الدين هذا لاشك أنه أولا ناقص وثانيا أنه ليس مصدر فمن هنا لا تتوفر صفات الثبات والبقاء والحفظ والنقاء إلا لأصول أهل السنة والجماعة .

يا شيخ بارك الله فيكم هل يشترط للجماعة أن تكون هي الأغلبية لأن هذا اللفظ يلتبس على كثير من الناس ويستدلون بأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بالجماعة فالأشاعرة مثلا هم أكثر أعيان المسلمين فهم إذن علي الصواب ؟

نعم هذا سؤال جيد ،جزاك الله خير، أولا ليس من شرط البقاء على الحق الأكثرية بل إن قطعيات النصوص تدل على عكس ذلك خاصة في بعض الأزمان وبعض الأحوال ، ولذلك وصف النبي صلى الله عليه وسلم أهل الحق أنهم في بعض الأحوال أنهم غرباء حينما يكثر الفساد ويبقي الصالحون قلة هذا أمر .

الأمر الآخر تشير النصوص إلي أن أهل السنة ضمن فرق المسلمين فرقة من العديد من الفرق كما جاء في حديث الافتراق وعدد الفرق بين ثلاث وسبعين فرقة وقعت في الافتراق والأهواء فالواحدة من ثلاث وسبعين قليلة وإن كان هذا لا يتعلق بالعدد لكن في مؤشر على أنهم أي أهل الحق يقلون خاصة في بعض الأزمان وبعض الظروف .

الأمر الآخر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر الافتراق واتباع السنن خاطب المجموع مما يدل على أن الأكثرية ستقع في مما وقعت فيه الأمم من الافتراق والأهواء والاختلاف في الدين كقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح (لتتبعن سنن من كان قبلكم) شوف الخطاب الخطاب إيش لعموم الأمة ولا يعني ذلك كلها إنما الأغلب ، الحديث يدل على أن الأغلب وإلا فهذا العموم مستثنى بقول النبي صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من عاداهم إلي أن تقوم الساعة) ولذلك ينبغي دائما أن تجمع النصوص ، ويرد بعضها إلى بعض و نأخذ النص العام ولا نخصصه بما يخصصه فنقع في الهلكة أو الاعتقاد الخاطئ والتصور الآخر الخاطئ عن الناس ونخطيء جميع الناس لا إذن هذه الأدلة بمجموعها والواقع أيضا وهو واقع ظاهر يدل على أن أهل الحق قد يقلون ، بل وقد أحيانا يتشتتون في بعض البلاد ، قد تجد في بعض الأماكن وبعض البلاد أهل السنة قلة قد تجد في بعض الأرياف والقرى البعيدة التي هيمنت عليها البدع قد تجد واحد سني صاحب سنة والبقية يكونون قد وقعوا في البدع والأهواء والله أعلم .

نعم لا شك قاعدة في كل زمان وفي كل مكان ، المعيار هو الحق كما قال أحد السلف عبارة جميلة "ولو كنت أحبي"

مسألة التكفير خطيرة جدا وذكرتم من موانع التكفير للمعين ما هي لو تفضلتم يا شيخ ؟

نعم موانع التكفير كثيرة أهمها :

أولا : الجهل .

وثانيا ا: لإكراه .

وثالثا : التأول .

ورابعا : الاشتباه .

هذه أصول أو أغلب قواعد الأعذار ومع ذلك الأعذار لا تتناها أحيانا الإنسان يكون له ظرف معين يلتبس بأحوال يعذر بهذا الحال بعذر عادل غير هذه الأعذار الكبرى.

أيضا من خصائص السنة والجماعة الوضوح منهج أهل السنة والجماعة يتميز بالوضوح والنقاء ولذلك وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالبيضاء يقول في الحديث الصحيح (تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك) ويقول صلى الله عليه وسلم (جئتكم بها بيضاء)بيضاء نقية ، بيضاء نقية لا يعتريها أي غبش وهذا يصحب يعني أصول السنة إلي قيام الساعة لأنه لا يعقل أن يعتري السنة شيء من الغبش لأن هذا يقتضي النقص في الدين وحاجة الناس إلي الوحي وقد انقطع الوحي بنبينا صلى الله عليه وسلم وانقطعت النبوة ، تكفل الله بحفظ الدين وهذا يقتضي البقاء والنقاء والوضوح لكل من أعطاه الله بصيرة والوضوح أمر نسبي الوضوح لمن وفقه الله للهدي وإلا فأهل الأهواء والنفاق هم عليهم عمى قد تعمي عليهم الواضحات نسأل الله العافية إنما

هو واضح لمن الجد في تحصيل الحق لمن صدق في البحث عن الحقيقة واضح لمن وفقه الله وهداه ولمن سلك وسائل وأسباب الهداية عن تجرد وإخلاص فإنه يجدها واضحة نقية كما وصفها النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم أيضا من سمات السنة والجماعة الاعتدال والوسطية في كل شيء ولذلك تجد أهل السنة والجماعة دائما في أصول الدين وسط بي طرفين بين طرف أهل الغلو وبين طرف أهل التساهل والإعراض في سائر أمور الدين في أركان الإيمان وأركان الإسلام في مسائل النظر إلي الغيبيات في الأحكام على العباد في تطبيق الشرع والعمل به في العبادات نعم على سبيل المثال :

في مسألة الوعد والوعيد هو وسط بين المرجئة الذين لا يعتبرون أي اعتبار للوعيد وبين الخوارج الذين لا يضعون أي اعتبار للوعد فالخوارج يأخذون بنصوص الوعيد على أشد ما يمكن أن يحملوه على أشد محامله و المرجئة يأخذون بنصوص الوعد على أشد محاملها فأهل السنة بين هذا وذاك يؤمنون بالوعد وأنه صدق وحق ويؤمنون بالوعيد ويردون هذا إلي هذا لأن نصوص الشرع لابد أن تتكامل لا سيما أن نصوص الوعيد فيها الكثير مما يقصد به الزجر وله استثناءات وله نصوص أخري تفسره فعلى هذا أهل السنة في جميع أمور الدين الاعتقادية والقولية والعملية هم وسط هم منهج الاعتدال ونجد هذا ظاهر في أحداث اليوم وإن كانت كثيرا من مواقف أهل السنة والجماعة لا تزال يعني تعتريها وسائل أو يعتريها النقص في وسائل النشر إلي أنها وسائل مباركة ومع ذلك إلا أن قصدي أنها العقيدة مباركة تبلغ الناس حتى بالوسائل البدائية فأقول : حتى في الأحداث المعاصرة نجد مواقف أهل الاعتدال مشايخنا الكبار العلماء الدعاة الذين استقاموا على السنة نجد أن منهجهم هو منهج الاعتدال إذاء يعني طائفتين من الأمة طائفة الغلو الذين سلكوا مسالك التكفير والفساد في الأرض والتفجيرات وغيرها وطائفة الإعراض والتساهل من الذين تميعوا في الدين وأضاعوا حقائق الدين الولاء والبراء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا يكادون يجعلون الدين معالم فهم وسط بين هذا وذاك .

ثم إنها توقيفية أصول أهل السنة والجماعة منهج أهل السنة والجماعة توقيفي بمعني توقيفي لا مجال للاختراع فيه ولا زيادة ولا نقص موقوف على ما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الأشياء المهمة التي يحسن التنبيه عليها بهذه المناسبة في هذا المقام أن أصول الاعتقاد الأصول المسلمات الثوابت ليست مجال للاجتهاد وهذا معني كلها ثابتة لو كانت مجال الاجتهاد ما استقرت لو كانت فيها مجال لإدخال العقل والعواطف والأهواء والرغبات والأمزجة لما وجد فيها كمال ولا نقاء ولا سلامة ولا بقاء ولا وضوح ولا اعتدال ولا توقيفية لكن نظرا لأن العقيدة هي الأصول والثوابت فهي محل إجماع عند السلف إن خالف فيها المخالفون فهذا لا يعني إنها اعتراها النقص ، النقص في من خالفوا وليس فيها إذا هي توقيفية موقوفة على ثوابت القرآن والسنة موقوفة على ما أجمع عليه السلف ومن هنا فلا مجال الاجتهاد فيها .

نعم الاجتهاد ، الاجتهاد في مسائل الأحكام أي في مسائل الأحكام في الفقه والأمور الأخرى بل حتى في الفرعيات التي تتفرع عن مسائل العقيدة التي لم تثبت أدلتها في مسائل تشكل على بعض طلاب العلم تدخل في بحوث العقيدة هي محل خلاف عند أهل العلم ويظن بعض الناس إنها في العقيدة ومن هنا ظنوا أن الخلاف فيها خلاف في العقيدة وهذا خطأ هي مسائل تفرعت عن مسائل العقيدة وليست من أساسيات العقيدة على سبيل المثال :

رؤية النبي صلى الله عليه وسلم إلي ربة في المعراج هذه ثابتة لكن هل هي عينينة أو قلبية هذا محل خلاف وكونه محل خلاف ، العيني والقلبي لا يعني أصل الرؤية غير ثابت وهكذا هذا من أجل توضيح الأمر لألا يكون فيه لبس ثم أخيار في خصائص وليس آخرا لأن خصائص العقيدة لا تنتهي لكن المهم منها .

أن عقيدة السلف الصالح للسنة والجماعة نظرا لأنها تمثل الإسلام بمصادره ومنهجه الإسلام الحق فهي التي تحقق الأمن والسعادة في الدارين لأفراد الأمة ومجموعاتها الله عز وجل يقول (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ

بظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) [الأنعام:٨٢] الأمن ليس فقط يا أخوان الأمن الظاهري وإن كان مقصود شرعا لكن أيضا الأمن الباطني وهو مرتكز الأمن أمن القلوب أمن النفوس أمن العقول ولذلك جاء الدين بحفظ الضرورات الخمس التي لا يمكن تحفظ إلا بالأمن جاء بحفظ الدين وحفظ العرض وحفظ المال وحفظ النفس وحفظ العقل وهذه الأمور لا يمكن تقوم إلا على أساس الدين تحقيق الأمن والسعادة في الدارين ولذلك مما ينبغي أن ننبه المسلمين جميعاً له اليوم إنه في ظل هذه الظروف القاسية التي تعيشها الأمة في ظل هذه الأحداث المؤلمة وما تعيش الأمة من حالة الوهن والضعف والتفلت والفرقة يجب أن نذكر المسلمين بأنه لا يمكن أن يستقيم لهم أمر ولا يعتزوا وينتصروا ولا يجتمع شملهم ولا يخذل عدوهم إلا باستقامة العقيدة هذه حتمية نعم بل لا يمكن أن تزدهر لهم مدنية وحضارة على وجه كامل إلا باستقامة العقيدة، نعم الأمم الأخرى قد يعطيهم الله الحياة الدنيا أي أمة من الأمم غير المسلمة قد تزدهر دنياها قد تملك حضارة مدنية حتى ولو لم تلتزم شرع الله لأن الله عز وجل تكفل للكفار أن يعطيهم حظهم من الحياة الدنيا وليس لهم في الآخرة من نصيب ، لكنَّ المسلمين لا عزهم اجتماعهم نصرهم أيضا وحدتهم لا يمكن أن تكون إلا بالاجتماع على المعتقد الذي جعله الله عز وجل أصل الاجتماع وهو المعتقد السليم .

الخلاصة في هذا المقام أن السنة والجماعة كالإسلام ، السنة والجماعة تعني الإسلام نفسه في مصادره وأصوله وقواعده وأحكامه فليست كما قلت السنة والجماعة ليست فرقة ولا مذهب ولا حزب بل هي الدين الذي ارتضاه الله لعباده ولذلك يجب التنبيه على ما يقع فيه بعض الجهلة من المنتسبين للسنة من رفع السنة شعاراً أو انتماءات يكون عليها تعصب أو ولاء وبراء على أمور خلافية وهذا مما تسبب في تشويه صورة السنة والجماعة عند كثير من الناس من المسلمين وغير المسلمين أعني وجود طائفة من لا يعرفون هذا الأصل قد يتحزبون وقد يتكتلون تكتلات غير مشروعة تحت شعار السنة والجماعة ، والسنة والجماعة إنما هي منهج ، منهج أمة يسلكه وينتمي إليه كل من سلكه دون أن يكون هناك تعصب لأفراد ولا لأصول يصنعها الناس ولا لتنظيمات ولا لتجمعات فهي الدين الحق ، والدين الحق يشمل كل من اعتنقه بدون أي وسيط من أنظمة أو أفراد .

يفهم من كلامكم أن وصف أهل السنة والجماعة ينطبق على جميع المسلمين في الوقت الحاضر ؟

لا ، لا ينطبق على جميع المسلمين في الوقت الحاضر ، السنة والجماعة هم الذين التزموا نهج النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة من المسلمين ، بقية الفرق تبقي تحت مسمي الإسلام ومسمي المسلمين لا يعني الإسلام ينقسم لكن لأن المسلمين انقسموا على الإسلام ، انقسموا حوله الإسلام لا ينقسم ولأن الذين خرجوا عن السنة خروجهم ليس خروج ردة فبقوا تحت مسمي الإسلام لكنهم بأوصاف أخري يعني الفرق معروفة وصفت قديما وحديثا وغير الفرق أيضا يصفون بأنهم ، أو المجموع سواء من انتمي لفرقة خرجت عن السنة والجماعة أو لم ينتمي كل يشمله الوصف العام أهل الأهواء أهل البدع أهل الافتراق يكونون تحت مسمي المسلمين وعلى هذا ليس كل المسلمين على السنة إلا من التزم هذا المنهج لكن أحب أن أشير بهذه المناسبة إلي أمر هو :

أن أغلب عوام المسلمين ، عوام المسلمين وهم أكثرية أغلب عوام المسلمين الذين لم يتلبسوا ببدع ولم يكن عندهم اعتقادات باطلة بقوا على الفطرة والسلامة فالأصل فيهم أنهم من أهل السنة والجماعة حتى لو لم يعرفوا ذلك ولو لم يعلنوا ذلك أو حتى ولو انتموا لبعض الفرق مجرد انتماء نعم انتماء بدعة ولكنها ذلة هي مذلة لا تخرج الإنسان من السنة ، فهذه مسألة مهمة وتحتاج إلي أن تتوافر لدينا الدراسات والإحصائيات الدقيقة لعلنا نكتشف وهذا ما يعني يبدوا لي لعلنا نكتشف بالإحصائيات أن أغلبية عوام المسلمين نظرا لأنهم ليسوا أهل بدع في اعتقاداتهم ولا عندهم أيضا تأصيل للبدع تبعيتهم تبعية غير بصيرة وأيضا لا يمارسون البدع العملية الكثيرة وأغلبيتهم إن شاء الله يدخلون في مسمى السنة والجماعة .

نعم من الأمور المهمة ما يتعلق بقواعد وأصول التلقي والاستدلال هذه من المصطلحات الحديثة لكنها مصطلحات صحيحة التلقي والاستدلال أو منهج التلقي والاستدلال مصطلح معاصر لكنه صحيح يعني معناه مصادر الدين وكيف نستمد الدين منها فمصادر الدين هي مصادر التلقي وكيف نستمد هذا يسمى منهج الاستدلال ، إذاً ينشأ على هذا سؤال به يتقرر الأصول التي تتعلق بقواعد وأصول التلقي والاستدلال هذا السؤال هو ، ممن نستمد الدين ، وكيف نستمده ؟ نقول نستمد الدين من مصادره ، ما هي مصادره ؟ مصادره نعم تفضل

مصادر الدين هي الكتاب والسنة والإجماع.

طيب إذا قلنا هذا الاستمداد هل هو مجرد الاستمداد الدين من المصادر هل بمجرد أن يتناول أي إنسان يقرأ نص يتناول الأحكام كما يحلوا له ؟ نعم ما رأيك ؟

لا ليس بذاك .

إذاً ما الذي نحتاجه ؟

نحتاج إلي المهارة والدربة في معرفة كيفية الاستدلال والفقه فيها ، الشيخ : والأصول الشرعية ، أحسنت .

الشيخ : يعني عندما نقول مصادر الدين قد يتفق معنا أغلبية المسلمين حتى الذين وقعوا في الأهواء والبدع والافتراق على أن المصادر الكتاب والسنة وكلٌ يدعي وصلاً لليلى بل لا تجد فرقة إلا تدعي أنها تلتزم بالكتاب والسنة لكن كل دعوى ولها حقيقة لابد أن نميز الأمور بأصول شرعية أين الحقيقة أنا ما أفرضها على الآخرين ولا يفرضها عليَّ الآخرون ، حقيقة تحرير مصادر التلقي مصادر الدين وكيف نستمد منها ، حقيقة لها أصول شرعية رسمها النبي صلى الله عليه وسلم ورسمها الصحابه هذه الحقيقة هي تسمي منهج التلقي والاستدلال وتتركز في الأصول التالية :

الأصل الأول : مصدر الدين عموماً والعقيدة على وجه الخصوص هو كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة قلنا الصحيحة لأنه ما لم يصح لم يستمد منه الدين لا يأتي بمصدر للدين لأنه يتكلم عن الدين بأصوله وثوابته ومسلماته لا الاجتهاديات مع أن الاجتهاديات ترتكز على الدليل لكن أحياناً في الأمور الاجتهادية في مسألة الأخلاق والفضائل مثلا قد يستمد العالم بدليل ليس بثابت لكنه أيضا ليس بموضوع يعتقد أنه دليل ضعيف لكن فيه حكمة فيقول على الأقل أنا أعتبره حكمة ، هذا بالنسبة للأمور الاجتهادية أما في أمور قطعيات الدين العقيدة الثوابت المسلمات لا يمكن أن يرد مصدر غير الكتاب والسنة ، والإجماع وهو مصدر لابد أن يرتكز عليه الكتاب والسنة ولذلك بحمد الله لا يوجد إجماع عند السلف ليس له مرتكز من النصوص لأن الإجماع مبناه على الحق والحق مصدره مصادر الحق الوحي المعصوم في القرآن والسنة ومصادر الحق لابد أن تتضمن بعض الأصول التي تحتاج إلي استنباط فهناك أشياء اجمع عليها ، أجمع عليها السلف لأنها إما أن تتبني على قاعدة جاءت بنص أو قاعدة جاءت بمجموعة نصوص أو منهج علمي وعملي رسمه النبي صلى الله عليه وسلم في سيرته ورسمه الصحابة في سنة الخلفاء الراشدين فصار هذا المنهج العملي إجماع لأنه راجع إلي تطبيق الدين ، وهذا يسمي منهج ، فإذا قلنا مصادر الدين الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح قد يرد تسائل وأنا أسأل الطلاب الآن عن هذا السؤال العقل أليس مصدر نعم العقل نعمة من نعم الله عز وجل كرم الله بها العباد وجعلها مناط التكليف أليست مصدر ها ما رأيكم ؟

العقل لا يعتبر مصدر ، لكن العقل الصريح أو الصحيح لا يخالف النقل الصريح .

أي نعم العقل السليم لا يمكن أن يخالف الشرع لأن هذا خلق الله وهذا أمره ولا يمكن أن يتعارض خلق الله وأمره ، هذا الجواب يعني مقارب ، الجواب بالتفصيل إن العقل وسيلة لا يستقل بتقرير الدين نعم ، نعم العقل وسيلة وهو مناط التكريم مناط التكليف وهو وسيلة الاجتهاد ولولا أن الله أعطانا عقول ما عرفنا الهدي الذي يسره الله لنا وإن كان هذا بتوفيق الله لكن من توفيق الله أن أعطي البشر عقولاً يهتدون بها فهو إذا وسيلة وليس مصدر إلا بالإجماليات وهذا يعني عند التحرير ، ماذا نقصد بالإجماليات ، نقصد بالإجماليات أن العقل السليم يدرك المجملات التي لا تغني عند الله عز وجل ولا توصل إلي المنهج الكامل وتفصيلات الأصول وتفصيلات الشرائع يعني مثلاً العقل السليم يدرك ضرورة التزام الصدق ، والدين جاء بوجوب الصدق يدرك خطورة الكذب والدين جاء بتحريم الكذب العقل أيضا بعض العقول المتميزة المرهفة قد يدرك ضرورة الباحث لأنه لما يري حياة الناس وما فيها من تفاوت وما فيها من ظلم وما فيها من مشاكل ولأواء يدرك بعقله أنه لابد من حياة يكون فيها إنصاف وعدل أخري هذا الإدراك الإجمالي للعقل هل يمكن أن يدرك به صاحبه البعث والنشور والصراط والميزان والحوض ، هل يمكن ؟ هذه أمور غيبية . العقل لا يدركها على جهة التفصيل. فبذلك العقل أحالنا على النص فما دام أحالنا على النص أصبح العقل وسيلة وليس مصدر نعم العقل من مصادر العلوم الإنسانية العلوم التجريبية الله عز وجل أعطي العقل من التكاليف ما ينوءوا به ، لا يستطيع ، عقول البشر التي كدت وكلت في البحث عن أسرار الكون إلي الآن ما انتهت إلا إلي جزء يسير جدا من أسرار هذا الكون .

شيخ سؤال الله يحفظك ، ما الطريقة السليمة للتمسك بعقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الزمن يا شيخ أو في هذه الفتن التي تعج فيها البلاد ؟

كأنه يسأل السائل الأول الطريقة السليمة لنشر السنة هذا السؤال مهم أهل السنة والجماعة يجب أن يبذلوا كل وسيلة مشروعة لنشر السنة لا مجرد تكثير الناس وهذا مطلب شرعي فكلما يهتدي الناس على أيدينا فهذا مطلب شرعي لكن لأن الله ما أوجب ذلك أوجب علينا الدعوة إلي الحق والنصح للأمة فمن مقتضى نصيح الأمة أن يسعى أهل السنة والجماعة إلي تحصيل كل وسيلة مشروعة لنصر السنة وكلها تنبني على الأسس التالية :

أولا : الدعوة بالقدوة أنا أعتقد أن أهل السنة خاصة الشباب الدعاة المتحمسين ركزوا على وجود القدوة في تعاملهم مع الله عز وجل وتعاملهم مع الخلق وإظهار السنة على سلوكياتهم لكان هذا كافياً عن كثير مما نقوله من محاضرات وندوات ووسائل ، ولذلك نجد أكبر مؤثر في نشر السنة بل وفي نشر الإسلام أيضاً عبر التاريخ هو القدوة ، القدوة بالسنة هذا أمر ، الأمر الآخر ما يمكن أن يكون أو ما نسميه بضرورة تحقيق الاجتماع الذي أمر الله به والاجتماع يأخذ مراحل يعني كثير من أهل السنة يطمح لجمع الأمة وهذا مطمح كبير جيد لكنه ينبغي أن يتدرج بأن يجمع جهود أهل السنة للقيام بالنصيحة لباقي الأمة .

وكيف يكون ذلك ؟

بأن تتضافر الجهود لتطبيق السنة بين أهل السنة ثم القدوة ثم وسائل النشر تتكاتف الجهود وتتضافر بالوسائل المتاحة .

الأمر الثالث : أن نشر السنة ينبني على النصيحة وأعني بذلك أن يبتعد دعاة السنة مما يقع فيه بعضهم مع الأسف من القسوة والتشهير والعنف في الكلمة وفي التعامل ونأخذ بوصية النبي صلى الله عليه وسلم الرسول صلي اله عليه وسلم يقول (ما كان الرفق في شيءٍ إلا زانه ، وما نزع من شيء إلا شانه) ويقول صلى الله عليه وسلم في حديث أصرح من هذا في هذا الباب يقول : (إن الله ليعطي بالرفق ما لا يعطي بالعنف).

أبغي سؤال عن اعتقاد أهل الشيعة الحاضرة والفرق الضالة هل هم مساوين في اعتقادهم لاعتقاد أهل السنة والجماعة ؟

كيف يمكن للمسلم أن يحافظ على ما يكون من أهل السنة والجماعة في هذا الزمان الذي اختلف عن زمان أهلنا ؟

المحافظة على السنة يسيرة ولله الحمد لأن الله عز وجل جعلها نقية بينة ظاهرة وسهلة أيضاً لأنها تحتاج إلي بذل أسباب الصدق أولاً ينبني على التزام السنة الصدق مع الله عز وجل والصدق في البحث عن الحق هذا أولا ، ثانيا تأسيس السنة والجماعة من حيث المعتقد ومنهج بالتعلم معلوم أن أهل السنة والجماعة خاصة عوامهم الذين أخذوا السنة والجماعة بالتبعية للآباء والأجداد ما ثَبَّتُوا لا تتبت أصول السنة في قلوبهم عن طريق التعلم ويحتاج من يريد أن يثبت على السنة أن يتعلم الأصول الضرورية ما أقصد أن يكون عالم في العقيدة لا يتعلم بداهيات ومسلمات الدين التي ينبني عليها عقيدة أهل السنة والجماعة الأمر الآخر القدوة النظر إلي القدوة العلماء الذين يمثلون السنة والجماعة يجب أن يكونوا هم مرجعية فهم السنة بل يجب أن يكونوا مرجعية الأمة كلها لكن هذا من أسباب البقاء على السنة أن يكون العالم هو قدوتك ومرجعيتك الأمر الآخر مما يظهر لذلك تهيئة الجو جو المخالطة والمجالسة لأن المرء من جليسه يحرص المسلم والمسلمة على أن تكون مخالطته ومعايشته لمن حوله مع من يلتزمون السنة ليسلم من غوائل الخلطة بأهل الأهواء .

يا شيخ بالنسبة للبدعة هل تعتبر في حقيقتها كفرا ، وتقسيم البدعة إلي مكفرة أو محرمة وما شابه ذلك هل هذا التقسيم صحيح ؟

لا البدعة من حيث التقسيم تنقسم إلي ثلاثة أقسام :

بدعة مكفرة هذه كفر وليست محل الحديث الآن يعني تُخرج من الملة كالشرك بالله عز وجل دعاء غير الله هذا شرك يعني يدخل في منظومة البدع بالمفهوم العام لكنه بدعة شركية يعني مخرج من الملة هذا في العموم ومع ذلك إخراج الفرد يحتاج إلي تطبيق الشروط التي سبق ذكرتها .

النوع الثاني: البدع التي لا تخرج من الملة نوعان بدع مغلظة هي كبائر ، بدع منهجية كبري أو المغلظة بمعني أنها ورد فيها الوعيد وبدع صغري مثل بعض أنواع التوسل البدعي بعض أنواع التبرك البدعي التي هي محل نزاع أو بدع إضافية فالبدع الكبرى والبدع الصغرى لا تخرج من الملة ويبقي صاحبها صاحب بدعة ويقال أنه من أهل البدع هذا إذا تكاثرت عنده .

ومن هنا الإجابة على كثير مما ورد في الأسئلة أن متي نحكم على الشخص أنه مبتدع أولا لا نحكم على المسلم بأنه خارج من الملة ببدعته إلا بتطبيق الشروط الأمر الثاني إذا وقع في البدع متي نقول هذا مبتدع ومن أهل الأهواء والبدع ما نقوله إلا بشروط أهمها ، أو تجتمع هذه الشروط في شرطين أو في وصفين ، الوصف الأول إذا كان على نهج فرقة من الفرق يعني يلتزم نهجها ويدين بها ويعتقد ما تقوله في الجملة ولو لم يكن يعرف التفاصيل إذا انتمي إلي فرقة وتسلم بنهجها فهو مبتدع فرقة مبتدعة يعني حكم عليها بالابتداع .

الوصف الثاني: إذا كان صاحب البدعة تكاثرت عنده البدع حتى أصبح هديه وسمته وسلوكه سلوك أهل البدع إذا تكاثرت عنده يسمي مبتدع أما إذا عمل ببدعة صغيرة جزئية بدعة واحدة وبقية أموره على السنة فهذه زلة لا يقال صاحبها مبتدع لألا يُنَّفَر من السنة والزلة تقع من مسلم وهي من باب الخطأ.

بعض الناس في شبهه يقول أن جميع الفرق تقول أنهم من أهل السنة والجماعة ، الصوفية تقول أنها مع أهل السنة والجماعة والخوارج يقولون أنها أهل السنة والجماعة فكيف نرد هذه الشبهة وكلهم يدعون أنهم يتبعون الرسول صلى الله عليه وسلم ويتبعون كتاب الله عز وجل فكيف نرد عليهم ؟

بعض الجماعات المعاصرة الآن يرون أنه لا ينبغي تسمي بأهل السنة والجماعة وإنما يتسمون بأهل الحديث قالوا لأن الآشاعرة تسموا بالوصف الأول .

على الحال هذا من الأوصاف المترادفة يعني أهل السنة والجماعة وأهل الحديث والطائفة المنصورة والفرقة الناجية وأهل الأثر وأهل الاتباع أو سبيل المؤمنين أو الصراط المستقيم ونحو ذلك هذه أوصاف شرعية معتبرة بقي متي يتسمى صاحب السنة ومتي لا يتسمي أنا في تقديري أن هذا راجع إلي ظروف المسلم أو صاحب السنة في المكان اللي هو فيه فمثلا عندنا في المملكة العربية السعودية وفي عيون جزيرة العرب في اليمن في الخليج الغالبية على السنة فلا نحتاج إلي أننا نأتي بتمييزٍ آخر لكن نجد مثلا في البلاد الأخرى في بقية بلاد المسلمين قد تتسمي بعض الفرق بأهل السنة والجماعة وتكون أكثرية أو كثيرة فيقع الخلط واللبس فالأهل السنة أن يتميزوا بوصف شرعي صحيح من دون تعصب حتى السلفية يعني مثلا قد يكون بعض البيئات يحتاج إلي أنه يقول فلان سلفي ونحن على السلفية وإن كنت عندي تحفظ على الإطلاق هذا لأن فيه من التشويش والحرج الشيء الكثير لكن مع ذلك قد نعذر بعض الذين يضطرون لاستعمال هذا الوصف إذا كان الوصف الآخر يلتبس فمتى التبس وصف من الأوصاف الشرعية يلجأ إلي وصف آخر والله أعلم .

طيب يا شيخ أخونا الحبيب من دولة المغرب يقول هل وقع خلاف بين الصحابة يا شيخ في العقيدة ؟

الشيخ : لا الصحابة ما وقع عندهم فرقة ولا ابتداع لكن قد يقع من بعض أفراد الصحابة بعض الذلات التي تندرج تحت مفردات البدعة لكنها تكون عن تأول واجتهاد خاطئ وهي بمثابة ذلة العالم لكن القاعدة المجمع عليها والحقيقية من الواقع أنه لم يكن أحد من الصحابة وقع في الافتراق والأهواء والبدع على الإطلاق أما الذلة فنعم لأنه ليس معصوم إلا النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك لا يوجد صحابي عنده منهج في الابتداع أبدا إنما الذلات قد تصنف أنها من نوع البدع كما حصل من بن عمر رضي الله عنه لأن بالمثال يتضح المقصود كما حصل من بن عمر رضي الله عنه بالغ في تتبع بعد آثار النبي صلى الله عليه وسلم على وجه لم يرد عن كبار الصحابة الآخرين فهذه ذلة عالم .

أنكم قلتم الفرق ثلاث وسبعين فرقة أو شعبة لا تخرج من دائرة الإسلام فكيف توفقون وتجمعون بين هذا الحديث وبين حديث كلها في النار إلا واحدة وهل يحكم على عيان هذه الفرق والمذاهب بأنهم أهل الأهواء .

نعم سؤال جيد الحديث هو نفسه يحكم بأنهم من أهل الملة لأن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أن اليهود افترقوا على إحدى وسبعين والنصارى على ثنتين وسبعين وقال ستفترق هذه الأمة أمة الإجابة أمة الإسلام على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة . في النار يعني من أهل الوعيد كما أنها الكبائر في النار الزاني يعني إذا مات على كبيرته آكل الربا إلي آخر أصحاب الكبائر إذا ماتوا إذا لم يتغمدهم الله برحمته أليسوا من أهل النار حتى يتطهروا فيها ثم يخرجوا منها فهذا معني كون أهل الافتراق الثنتين والسبعين من أهل النار يعني من أهل الوعيد من أهل الكبائر لأن بدعهم كبائر فالأمر بَيِّن والحمد لله ولذلك ذكر شيخ الإسلام بن تيميه أن هذا مما اتفق عليه سلف الأمة أنهم اتفقوا على أن اثنتين والسبعين لا تخرج من الملة وإذا خرجت فرقة من الملة لم تعد من الثنتين والسبعين رجعت إلي أهل الردة نسأل الله العافية .

الفرق يا شيخ بين التوحيد والعقيدة أوليس العقيدة متضمنة للتوحيد ؟

بلى التوحيد هو أعظم مباني العقيدة التوحيد يقصد به توحيد الله عز وجل وتعظيمه بأسمائه وصفاته وأفعاله وتوحيده بالعبادة وهذا المبنى هو تاج العقيدة هو رأسها هو الإطار الذي تدور عليه العقيدة فنظرا لأنه هو أصل

العقيدة التوحيد أحيانا تسمي العقيدة كلها بالتوحيد ولا مشاح في الاصطلاح لكن مسمي العقيدة اشمل ، أشمل وأوثق .

من عادى أهل السنة والجماعة من الروافض والصوفية وغيرهما هل يخرج من الملة ؟

هذا يتدرج يعني مجرد العداوة عن هوى وعن جهل هذه كبيرة من كبائر الزمان ، إما إذا كانت العداوة عداوة الدين فهذا يكون كفر في العموم لكن يبقي ونحترز جميعا في مثل هذه المسائل لأنه كثر الخلط فيها واللبس أقول لو قلنا أنه بارز أهل السنة والجماعة واعتبر مظهر للحق الذي فلا يعني ذلك تكفير المعين قد يكون جاهل قد يكون متأول قد يكون يعني مكره قد يكون الأمر عليه ملتبس أما إذا كان بغضبهم لأهل الحق ينصرف إلي الحق الذي معهم فهذا كفر .

حديث لا تجتمع الأمة على باطل،هل يصح؟

على ضلالة نعم النبي صلى الله عليه وسلم صح عنه بألفاظ عديدة أن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة وهذا هو الحق هذا هو الحاصل لأنه إذا اتفقت الفرق على البدع خالفوا عمل السنة في كل شيء بقي أهل السنة هم الذين يتوفر فيهم الإجماع ومع ذلك في أمور كثيرة من أمور الدين يتفق فيها أهل البدع مع أهل السنة مثلا إقامة شعائر الإسلام الصلاة الزكاة غالب الفرق يقرون بها أركان الإيمان الستة غالب أهل الأهواء والفرق يقرون بها فنحن نجتمع أهل السنة نجتمع مع أهل الأهواء والفرق في أصول كثيرة لكن إذا خالفوا أصول السنة أو خالف بعضهم بقي على الحق طائفة وهم أهل السنة فانعقد الأمر بأنه لا تُجْمَعُ الأمةُ على ضلالة ، لابد أن تبقى الطائفة التي يقول النبي صلى الله عليه وسلم (على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من عاداهم) فبظهورهم يظهر الحق وعلى هذا لا ينعقد الإجماع على باطل بحمد لله .

ما هو الفرق بين المذاهب والفرق مع الفرق بين العالم والشيخ ؟

الفِرَق غالبا تطلق على المخالفين في الأصول والمسلمات والعقيدة والثوابت ، والمذاهب غالبا تطلق على الاختلاف في الاجتهاديات التي ليست (كلمة غير مفهومة) فلذلك تسمي الاجتهادات العلماء في الفقه مذاهب تسمي المذاهب الأربعة وتنسب إلي الأئمة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد تسمي المذاهب الأربعة لأن المذاهب اجتهادية لكنها متفقة على أصول الدين فهي في أصول الدين ليست مذاهب ولذلك المذاهب الأربعة هي مذاهب في الاجتهاديات وتتفق ويُجْمِعُ أصحابُها على الأصول والمسلمات ، ومع ذلك اصطلح المتأخرون على تسمية البدع الناشئة الأفكار الحديثة التي تخالف الإسلام اصطلحوا على تسميتها مذاهب معاصرة هذا فيه تجاوز لكن لا مشاحة في الاصطلاح لكن لا يقصدون به المذاهب الاجتهادية يقصدون بها المذاهب التي انحرفت عن الحق في الأفكار والمناهج وتسمي مذاهب معاصرة .

هل من سبب للشيخ بتسمية كتابه مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة ؟

نعم الكتاب الذي ندرسه فعلاً هو مجمل أصول أهل السنة والجماعة لأنه قُصد به القواعد والمسائل الإجمالية وقُصد به الضوابط والمنهجيات ولم يقصد به التفاصيل حتى في الأدلة ليس فيه أدلة كثيرة فمن هنا سُمي مجمل لأن العقيدة فيها إجمال وتفصيل فنستطيع أحيانا أن نقول العقيدة كلها تندرج تحت شهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله كل العقيدة نستطيع أن نتوسع ونقول : العقيدة هي أركان الإيمان وأركان الإسلام نستطيع أن نتوسع ونقول أن العقيدة هي كل ثوابت الدين والأحكام القطعية نستطيع أن نقول العقيدة هي كل الدين حتى من سمي بالأحكام مثل حديث السواك داخل في العقيدة كيف ؟ من يجيبني .

شيء ثابت من الدين

أحسنت ما ثبت به الدليل دخل في العقيدة ولذلك أعود لما قلت قبل قليل العقيدة وصف شامل للدين كله فعلى هذا نقول أنه الأمر يرجع إلي الاصطلاح وإلي المفاهيم الشرعية التي تقتضيها النصوص أو يتفق عليها المتخصصون نهم.

بقول لفضيلة الشيخ حكم من قدم العقل على النص ؟

مسألة تقديم العقل والنص هذه حقيقة نزعة فلسفية أصلها ناشئة من خصوم الأنبياء قبل حتى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم تجدهم يعترضون على النبوة وعلى الوحي وعلى مقررات الدين بالعقول ، طبعا العقول لها مدارك محددة إذا خرجت عن مداركها المحددة وقعت في زيغ ، العقول إذا أقحمناها في تفاصيل الغيب ، العقول إذا أقحمناها في دين الله عز وجل في أمره ونهيه وما يرضي الله عز وجل ، إذا أقحمناها ها في عالم الآخرة فإنها تقع في الخبط والخلط ولا عندها إلا تخرصات فمنشأ تقديس العقول واقحامها في الدين ناتج عن الخراسين الذين قال الله فيهم عز وجل ﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [الذريات:١١] فتقديم العقل على النص ناتج عن الغرور والكبرياء من خصوم الأنبياء ثم دخلت هذه النزعة على بعض الفرق الإسلامية بشبهة زعموا فيها أنَّ العقل مادام خوطب إذاً هو الذي يقرر أن العقل مادام هو الذي عَوَّل عليه الشرع في أمور كثيرة هو يميز بين الحق والباطل في الجملة ، ويميز بين الضار والنافع ، إذاً هو الذي يقرر الدين ، وهذا فيه قلب للحقائق قلب تماما نحن نقول نعم العقل له احترامه وتقريره لكن الدين دين الله والذي يقرره هو الرب عز وجل والمعصوم صلى الله عليه وسلم هو الذي يقرر الدين يبقي العقل وظيفته أن يصدق بالحق وأن يؤيده وأن يجتهد في ما كَلَّفَه به الشرع فعلى هذا يعني يستحيل عقلا – العقل المنصف – أن يقدم العقل على الشرع ، ولو كان للعقل لسان لحاكم أولئك الذين اقحموه في الدين لأن يقول أحرجتموني ، أحرجتموني أمام ربي عز وجل كيف توقعوني في أمرٍ الله عز وجل هو الذي تكفل به وهو الحكيم الخبير وهو العالم وأنا العقل ناقص محدود الطاقة محدود القدرات تعتريه الهوى والضعف ويعتريه الخطأ والنسيان بل والفناء ، إذا كيف يقال العقل يقدم على الشرع .

جميع الفرق تقول: لا إله إلا الله، فلماذا لا يطلق عليه وصف الإسلام ووصف أهل السنة والجماعة ؟

أما وصف الإسلام، فنعم ، أما وصف السنة والجماعة، فلا؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم ميز بين أتباع السبل، وبين أهل السنة والجماعة، ما هو بنص تاريخي ولا بتحكم العلماء حتى وإن كان العلماء مرجعية، لكن أقول أصلا تقسيم المسلمين إلي أهل السنة، وغير أهل السنة تقسيم شرعي جاءت به النصوص؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الافتراق وأنه سيحدث، ونهى عن السبل، وأيضا أمر باتباع السنة والجماعة، فكان أهل السنة والجماعة هم أهل الحق، هم الذين بقوا على السنة، بخلاف أهل الهوى والافتراق.

ومع ذلك نرجع إلي أول السؤال، نعم من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله يشهد له بالإسلام، وإذا ارتكب بدعًا، وسلك مسلك أهل البدع والافتراق والأهواء خرج من السنة، ولم يخرج من الإسلام، فهو متوعد ولم يخرج من الإسلام والله أعلم .

القبوريون بغير علم –أي خصصوا بغير علم– هل يعدون من أصحاب البدع المكفرة –يا شيخ– ؟

القبور لها أصناف، كثيرًا ما أقول لا أدري؛ لأن هذا يحتاج استقراء، والعبارات الشرعية لازم أن تكون دقيقة، كثير من القبوريين –ويقصد بالقبورين الذين يعملون البدع عند القبور، سواء كانت بدع كفرية شركية مغلظة وغير مغلظة– كثير من القبورين لا يمارسون الشركيات، فكيف نحكم عليهم؟! بعضهم يأتي لمجرد التبرك، وبعضهم يأتي –مثلا– ليهدي ثواب الأعمال الصالحة عند القبر إلى الأموات، ليهدي ثواب قراءة القرآن –

بزعمهم– إليهم، وهذه الأمور بدع، لكنها لا تعني أنها مخرجة، فإذن الحكم على القبوريين بمجرد أن يوجد من بعضهم شركيات هذا لا يجوز، فلا بد أن نفصل، وكل يحكم عليه بعمله، ومع ذلك يبقي الحكم العام، ويكون بغير الحكم على الأعيان، وأنا أضرب لكم مثال شاهدناه، وشاهده كثير ممن يسافرون لبعض البلاد التي تُعمل فيها من قبل الجهلة بعض الشركيات، تجد –مثلا– الزوار الذين يزورون بعض القبور التي يطوف بها الناس، الزائر السائح الجاهل يظن أن هذا الطواف مجرد دوران من أجل التفرد والاستطلاع، ما هي ضمن العبادة؛ فيدور معهم، وأنا أذكر أننا مرة دخلنا قبر من باب النصيحة والاستطلاع، يطوف حوله الناس فعكسنا الاتجاه فقال لنا سادن القبر عكس يا حاج ، عكس يا حاج، فهو جاء يفر لا يدري أن هؤلاء يطوفون طواف عبادة وهو شرك، ما نستطيع نحكم عليه، إنسان مثلا تذكر نعمة من نعم الله عز وجل فسجد شكرا عند القبر، ما سجد القبر سجد لله شكرا، أليس هذا محتمل ؟ إذن ما نحكم على العباد حتى نتبين أمرهم .

أحسن الله إليك ، هل يعتبر عدم الرجوع إلي العلماء هو من أسباب الافتراق ؟

لا شك إن عدم الرجوع إلي العلماء، وعدم اعتبار المرجعية سبب الافتراق؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[النحل:الآية٤٣] بل في هذه القضية بالذات –قضية ما يختلف عليه الناس– خاصة فيما يروج بين الأمة الآن من أمر مريج في أحوالهم، وعلاقاتهم، والمصائب الكبرى التي أصابتهم حينما ألغوا المرجعية أو (كلمة غير مفهومة) المرجعية للعلماء، خاصة عند بعض الأجيال الناشئة عندما (كلمة غير مفهومة) المرجعية؛ وقعوا في هذه الكوارث، وهذا خلاف وصية الله عز وجل، الله عز وجل يقول في مثل الأحداث التي نعيشها اليوم (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ)(النساء: من الآية٨٣) من الذين يستنبطونه؟ العلماء، فلا شك من أعظم أسباب الفرقة والشتات هو عدم الخضوع لمرجعية العلماء التي هي وصية الله، وهي صمام الأمان بإذن الله، والأسباب كثيرة ليس هذا هو السبب الوحيد .

الأخت جيهان من مصر يا شيخ تقول من هم أهل الوعد ؟

أقصد بأهل الوعد الذين أخذوا بالوعد ولا يعولون عن الوعيدوهم المرجئة، وغلات الجهمية، وطوائف كثيرة من الأمة، وكذلك المتساهلين من بعض الذين عندهم نفاق، وعندهم فجور، و الذين يعملون الفجور، ويقولون: إن الله غفور رحيم لا يتقون الله، ولا يذكرون أن الله شديد العقاب (كلمة غير مفهومة) بنصوص الرحمن ونصوص الوعد ولا يهتمون بخشية الله والخوف منه والاعتبار الوعيد في معاصرهم وغيرها هؤلاء يعتبرون أهل الوعد يعني بمعني أنهم ما يأخذون بالوعد والوعيد .

نصيحتكم لأهل السنة الذين انشغلوا بإخوانهم من أهل السنة ؟

الشيخ : نعم الحقيقة هذه الظاهرة ليست غريبة، بمعني أنها هي ضمن الأخطاء والتحاوزات أن يوجد من أهل السنة من أهل الحق من يسيء إلي الحق بأسلوبه المنهجي، أو بتعامله مع الآخرين هذا أمر طبيعي، لكن الأمر غير الطبيعي هو أن يحسب الناس سلوكيات هؤلاء الخاطئة على السنة والجماعة، هم يعلمون أن ما من مبدأ في الدنيا، ولا منهج، ولا ديانة إلا يوجد من بين أتباعها من يخطئ، فهل نحسب أخطاء وتجاوزات أتباع الديانات التي تخالف أصول مناهجهم ودياناتهم نحسبها على الديانات أو المبادئ؟ وكذلك في الإسلام أن تحسب تصرفات بعض المسلمين على الإسلام وعلى المسلمين هذا أيضا خطأ فادح، ويخالف بدهيات التعامل بين البشر، وكذلك بوجه أخص، وهو موطن السؤال ما يحدث من بعض المنتسبين للسنة من قسوة وتعجل –وهم قلة والحمد لله قلة– وما يحدث من بعض الإساءة في التعامل مع الآخرين، هذه تصرفات هم يحاسبون عليها، وتنسب إليهم لا تنسب إلي السنة والجماعة ، إن السنة والجماعة منهج ينبغي أن يكون هو مرتكز التحاكم وهو مرتكز الحكم على أفعالنا وتصرفاتنا، فإذن نقول يجب أن نتقي الله في ما نعمل وما نقول سواء ممن يسيء إلي السنة والجماعة، أو من

يحكم علينا من تصرفات بعض أفرادهم، فهذه سنة الله في خلقة فيجب أن نصبر ونتناصح، وأن نبين للناس وجه الحق، وأيضا نخطئ المخطئ منا وإن كان من أهل السنة والجماعة .

هل الآشاعرة والمعتزلة هم من أهل السنة ، ولماذا أطلق لفظ أهل السنة على الآشاعرة في بداية الأمر يا شيخ ؟

المعتزلة ليسوا من أهل السنة ولا رضوا أن يكونوا من أهل السنة أصلا وهذا واضح من قراراتهم ومن منهجهم، وأما الآشاعرة فالكلام فيه يحتاج إلي شيء من التفصيل، لعلى اجيزه في قواعد محدودة ، أولا الآشاعرة هم أتباع أبي الحسن الأشعرى الذي ظهر مذهبه في القرن الرابع الهجري، وكان مذهبه مذهب أهل السنة والجماعة في الجملة وكثير من التفاصيل، ثم دخلته النزعة الكلامية: أي تقرير الدين بالعقول، وبمسائل كلامية؛ فانحرف المسار الأشعري إلي الكلاميات، ثم إلي التصوف بعد القشيري، فدخلهم علم الكلام والتصوف؛ فأصبح الأشاعرة أصناف منهم أهل الحديث والعلماء والفقهاء، فعلا في جملتهم على السنة والجماعة: كالنووي، وابن حجر إن صح انتسابه للأشاعرة وغيرهم، وكالبيهقي، والخطابي هؤلاء من أهل السنة والجماعة، وانتسابهم إلي الأشاعرة خطأ يغفر الله لنا ولهم، ومثلهم كثير من علماء الأشاعرة إلي يومنا هذا، أناس ينتسبون إلي الأشاعرة مجرد الانتساب لكن تجدهم على منهج أهل الحديث من السنة والجماعة هؤلاء من السنة والجماعة .

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله – صلى الله عليه وآله وسلم – ورضي الله عن صحابته والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،

أما بعد:

فبعون الله وتوفيقه نستأنف الحلقة الثانية من هذا الدرس، ونبقى على صلة بالمسائل الأولى المهمة في الدرس السابق، ونستأذن الأخوة المشاهدين المستمعين في أن نقرأ نص الدرس السابق لنقرنه بالدرس الحالي ويتفضل الأخ بقراءة النص.

بسم الله الرحمن الرحيم يقول المؤلف في كتابه مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة يقول حفظه الله:

(تمهيـــــــــــــد، العقيدة لغة : من العقد، والتوثيق، والإحكام، والربط بقوة.

اصطلاحاً: الإيمان الجازم بالذي لا يتطرق إليه شك لدى معتَقِده.

فالعقيدة الإسلامية تعني :

الإيمان الجازم بالله –تعالى–وما يجب له من التوحيد والطاعة– وبملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر، وسائر ما ثبت من أمور الغيب، والأخبار، والأصول، علمية كانت أو عملية .

السلف : هم صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وأئمة الهدى في القرون الثلاثة المفضلة، ويطلق على كل من اقتدى بهؤلاء وسار على نهجهم في سائر العصور، سلفي نسبة إليهم .

أهل السنة والجماعة : هم من كان على مثل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

وسموا أهل السنة: لاستمساكهم واتباعهم لسنة النبي صلى الله عليه وسلم .

وسموا الجماعة: لأنهم الذين اجتمعوا على الحق، ولم يتفرقوا في الدين، واجتمعوا على أئمة الحق، ولم يخرجوا عليهم، واتبعوا ما أجمع عليه سلف الأمة .

ولما كانوا هم المتبعين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المقتفين للأثر، سموا " أهل الحديث " و " أهل الأثر " و " أهل الاتباع " ويسمَّون " الطائفة المنصورة " و " الفرقة الناجية.

أولاً :

قواعد وأصول في منهج التلقي والاستدلال :

١) مصدر العقيدة : هو كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الصحيحة، وإجماع السلف الصالح .

٢) كل ما صح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم : وجب قبوله والعمل به، وإن كان آحاداً في العقائد وغيرها.

أحسنت وبارك الله فيك .

في الدرس الماضي وقفنا على هذه القواعد وأخذنا قاعدتين:

القاعدة الأولى: أن مصدر الدين هو كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – الصحيحة أو ما ثبت منها وإجماع السلف الصالح وهذا الإجماع مبني على الكتاب والسنة كما سبق تكريره .

أما القاعدة الثانية: أن كل ما صح من سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وجب قبوله والعمل به وإن كان آحاداً في العقائد وغيرها ونعني بذلك أن كل ما ثبت من أقوال النبي – صلى الله عليه وسلم – وأفعاله وأحواله وتكراراته وسيرته كل ما ثبت فهو الدين فهو المصدر ويجب قبوله والتسليم به، أما التقييد وإن كان آحاداً فهو راجع إلى أن بعض أهل الأهواء والبدع خاصة الذين عولوا على مصادر أخرى غير الكتاب والسنة وجدوا أن مبادئهم وأصولهم التى تقوم على التأويل والتعطيل تتصادم أحياناً مع بعض النصوص، فكان من حيلهم أن زعموا أن كثيراً من النصوص التي تصادم أصولهم أحاديث آحاد.

والمقصود بأحاديث الآحاد هي التي يكون في سندها رجل واحد كحديث (إنما الأعمال بالنيات) .

ومن المعلوم أن هذا التقييد تقييد باطل، لأن الدين جاء على أساس أن النبي – صلى الله عليه وسلم – بلغ الصحابة وكلهم ثقات، وأنهم بلغوا الدين وقد فضلهم الله يعني رضى عنهم، وبين أنهم عدول، وشهد لهم النبي – صلى الله عليه وسلم – بالعدالة بل حمَّلهم أمانة نقل الدين، فمن هنا لابد حتماً أن نأخذ روايتهم، وإن كانت روايتهم آحاد ما دامت صحت عن الثقات، ولذلك نجد أن أغلب الدين كان مروي بالآحاد، بل إن النبي – صلى الله عليه وسلم – أقام الحجة على الأمم كلها غالباً بآحاد يعني بأفراد، ولعل من أوضح الشواهد عند المستمعين أن الصحابة – رضي الله عنهم – لما بلغهم عن طريق واحد أن القبلة صرفت من بيت المقدس إلى الكعبة انصرفوا جميعاً مع أن الذي بلغهم واحد، انصرفوا إلى الكعبة فأقرهم النبي – صلى الله عليه وسلم – على ذلك إذاً الدين هو ما صح بصرف النظر عن كون الراوي واحد أو أكثر من واحد خاصة إذا كان الراوي في أعلى الإسناد .

(المرجع في فهم الكتاب والسنة : هو النصوص المبينة لها، وفهم السلف الصالح، ومن سار على منهجهم من الأئمة، ولا يعارض ما ثبت من ذلك بمجرد احتمالات لغوية) .

نعم هذه القاعدة الثالثة فيما قلنا أنه منهج التلقي أو مصادر الدين كيف نستدل بها ممن يستمد الدين وكيف نستمد الدين من مصادره .

القاعدة الثالثة: ولعلها أهم القواعد في هذا الباب؛ لأنها هي المنهج في تلقي الدين الذي رسمه النبي – صلى الله عليه وسلم – والذي رسمه الخلفاء الراشدون والذي عليه سلف الأمة وسبيلهم هو سبيل المؤمنين، هو أن المرجع في فهم نصوص القرآن وفهم السنة قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو حالاً أو سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – يأتي على الدرجات التالية :

أولاً : تفسير القرآن بالقرآن ونحن نعلم كما هو نهج السلف في الاستدلال أن كثيراً من آيات القرآن فسرتها آيات أخرى إما بتخصيص وإما ببيان وإما بتفسير وإما بأي نوع من أنواع التفسير والبيان، أو تفسير القرآن بسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – بقوله أو فعله أو تقريره أو إقراره، ثم تفسير القرآن والسنة بآثار أو بفهوم الصحابة – رضي الله عنهم – لأنهم هم الذين تلقوا الدين عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتحملوا أمانة البلاغ والذين طبقوا كثيراً من أحكام الإسلام بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – .

على هذا فإن هذا النهج هو نهج المؤمنين وسار عليه أئمة الإسلام التابعون وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعليه علماء الأمة، علماء السلف الآن في عصرنا هذا هو أنهم يأخذون بالفهوم على فهم النصوص وعلى هذا التدرج .

ومن يعارض من ثبت من تفسير النصوص على نحو القواعد التي ذكرتها ما يعارض بمجرد الاحتمالات ولو عارض بمجرد ما يضعه الناس من مقررات خاصة بعد انتشار الأهواء، والقول بالرأي في الدين وبعد انتشار التحزبات والتفرقات فإنه لا يجب ألا نبالي بما يضعه الناس من احتمالات للنصوص سواء على سبيل التأويل، أو على سبيل التحريف، أو على سبيل التكلف أو حتى على سبيل الاستدلال المباشر إذا لم يكن على قواعد الاستدلال؛ لأن النصوص لابد فيها من أخذ هذه بمجموعها على قواعد الاجتهاد الذي عليه سلف الأمة.

كذلك لا تؤخذ النصوص بمجرد اللغوية نعم اللغة هي اللسان المبين الذي نزل به كلام ربنا – عزّ وجلّ – وهو لسان النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو أفصح الخلق أجمعين لكن ومع ذلك فإن الدلالة اللغوية يرتبط بعضها ببعض، وترتبط بالمصطلحات الشرعية التى وضعت للدلالات اللغوية معاني مخصصة أو معاني عامة .

وأعني بذلك أن الشرع خاصة في جانب العقيدة، جاء باستعمال اللغة نواحي معنية أحياناً الدلالة الشرعية تخصص المعنى اللغوي وأحيانا، تعممه .

فعلى سبيل المثال الصلاة، الصلاة في اللغة هي الصلة أو هي مجرد صلة القلب بالله – عزّ وجلّ – أو صلة الجوارح بالله، لكن الصلاة في الاصطلاح الشرعي خصصت بهذه العبادة التى جاءت على هيئة أركان وواجبات وأفعال حددها النبي – صلى الله عليه وسلم – .

إذاً الصلاة هنا تخصص معنى الشرع وكذلك الزكاة، الزكاة بمعنى النماء والزيادة، فأي نماء أو زيادة يسمى زكاة .

لكن إذا نظرنا إلى المفهوم الشرعي وجدنا أن الشرع حدد الزكاة بشرط جزء من المال حدده الشرع على سبيل الوجوب والفرض كما أمر الله – عزّ وجلّ – هذا الجزء يسمى زكاة إذاً هذا مثال على أن الشرع أحياناً يخصص وأحياناً يعمم.

إذاً لابد في فهم نصوص الكتاب والسنة أن نرجع إلى المصطلحات الشرعية ولا نبالي بالاحتمالات اللغوية التي أحياناً تخرج المعنى عن المقصود الشرعي .

(أصول الدين كلها : قد بينها النبي صلى الله عليه وسلم، وليس لأحد أن يحدث شيئاً زاعماً أنه من الدين).

نعم هذه أيضاً قاعدة مهمة وهي تتعلق بكمال الدين الذي بينه الله – عزّ وجلّ – وجعله من سمات هذا الدين الخاتم، آخر الديانات وخاتمها، وجعل هذا من خصائص ما جاء به النبي – صلى الله عليه وسلم – الكمال فلا يعتريه النقص ولا الزيادة ولا التحريف ولا النسخ ولا التبديل، ولذلك حفظه الله – عزّ وجلّ – وتكفل بحفظه

ولذلك ختم الله النبوة فلا يحتاج الناس بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – نبوة ولا وحي؛ لأن الدين كامل، والكمال من جميع الوجوه.

كمال في العقيدة ، كمال في التشريع ، كمال في الأخلاق ، كمال في المعاملات، كمال في صلاحيته لكل زمان، وكمال في صلاحيته لكل مكان، وإذا تخلف المسلمون عن إدراك هذا الكمال أو تطبيقه، فالعيب في المسلمين لا في الإسلام .

ولذلك نقول معتقدين جازمين أنه متى جد المسلمون في تطبيق الإسلام ككل: عقيدة، وشريعة؛ فسيجدون فيه الكمال المطلق في صلاحيته لأحوالهم، وعلاج مشكلاتهم وعلاقتهم مع بعضهم ومع البشرية جمعاء على منهج سليم قويم .

إذاً أمور الدين كلها قد بينها النبي – صلى الله عليه وسلم – كما سبق تفصيله، يدخل فيها الأصول والعقائد والمسلمات والثوابت، ويدخل فيها الأحكام، سواء الأحكام بقواعدها أو الأحكام بمفرداتها كل ذلك مما بينه النبي – صلى الله عليه وسلم – بياناً شاملاً كاملاً إنما البشر أحياناً يقصرون عن إدراك هذا، وعلى هذا إذا كنا قد قلنا أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد بين الدين كله إذاً ليس لأحد أن يحدث شيئاً مهماً كان، ثم يزعم أنه من الدين صغيرًا أو كبيرًا في العقيدة، أو في الأحكام، أوفي القواعد، أو في الفروع، كل ذلك لا يمكن أن يرد بمعنى أنه لا يجوز على الإطلاق أن نتلقى من أحد شيئاً من أمور الدين مما لم يرد في الكتاب والسنة.

أما ما وافق الكتاب والسنة فأصله الوحي .

(التسليم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم : ظاهراً، وباطناً، فلا يعارض شيء من الكتاب أو السنة الصحيحة بقياس، ولا ذوق، ولا كشف ولا قول شيخ، ولا إمام، ونحو ذلك).

هذه القاعدة تتعلق بأساس الاعتقاد في قلب المسلم وفى مشاعره وفى جوارحه، وأقصد بذلك أن الدين كله جملة وتفصيلا مبدأه يقوم على التسليم، تسليم القلب والجوارح، إذعان القلب والجوارح، تصديق القلب وظهور ثمار هذا التصديق على سلوكيات الإنسان وأعماله .

أولاً في علاقته بربه – عزّ وجلّ – فيجب على المسلم أن يكون في علاقته بربه على كمال التسليم أي التصديق، أي الإذعان والرضا، و المحبة لله – عزّ وجلّ – والخوف والرجاء؛ لأن التسليم لله تعالى لابد أن يبدأ من القلب، ثم تتبين آثاره بالضرورة على الجوارح على اللسان على الأعمال، أعمال في الفرائض، الأعمال في العبادات ، الأعمال في الأخلاق ، الأعمال في التعامل، كل هذه مسائل لابد أن تنطلق من التسليم ولذلك سمي الإسلام.

الإسلام سمي إسلامًا؛ لأن مبناه على التسليم لله – عزّ وجلّ – بالطاعة والتسليم لله، بالمحبة والانقياد له بالطاعة، ونظراً لأن التسليم يبدأ بالقلب، فإن قاعدة التسليم الأساسية المحبة: محبة الله – عزّ وجلّ – المحبة الحقيقة، ثم الرجاء والخوف والخشية، ولذلك يجب أن نذكر المسلمين وخاصة طلاب العلم إنهم عندما يتعلمون العقيدة ينبغي أن يفهموا جيداً أن المقصود بتعلم العقيدة التسليم لله – عزّ وجلّ – أولاً، ثم إذعان القلب وتوجه إلى الله – عزّ وجلّ – بالتأله وهذا معنى لا إله إلا الله: أن يتأله القلب بعد الإذعان والرضا أن يتأله لله محبة وانجذاباً وحباً لما يرضي الله – عزّ وجلّ – وابتعاد عما يغضب الله .

فإذا التسليم هو الاستسلام استسلام القلب ولا شك أنه لابد أن ينبني على استسلام القلب استسلام الجوارح ، ولذلك من يدعي أنه مسلم لله بقلبه، ثم جوارحه لم تستسلم لم يقم الفرائض، لم يعمل بواجبات، لم ينتهِ عن المنهيات، فدعواه كاذبة ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾[آل عمران:٣١] .

من هنا يجب أن نستشعر دائماً عندما نقرأ العقيدة وندرسها ونتعلمها أنا نقصد بذلك تعظيم الله – عزّ وجلّ – نقصد بذلك أن تظهر المعاني الإيمانية في القلب والسلوك، وإلا يكون الأمر مجرد الدعوى .

ثم يبني بالضرورة على التسليم لله – عزّ وجلّ – التسليم للرسول – صلى الله عليه وسلم – والتسليم للرسول – صلى الله عليه وسلم – له لوازم ومقتضيات ضرورية، مَن لم يعمل بها فهو كاذب، أول ذلك محبته –محبة النبي – صلى الله عليه وسلم – المحبة الكاملة التي يجب أن تكون درجتها إلى أن يكون النبي – صلى الله عليه وسلم – أحب إلى المسلم من نفسه ومن ولده ومن ماله ومن الناس أجمعين، هذه الدرجة لابد منها لماذا ؟ لأمور كثيرة لعل من أبرزها وأذكر به الأخوة المشاهدين المستمعين، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – فيما يتعلق بعلاقتك به –أيها المسلم– أنه سبب هدايتك، ولو وكل الله ووكلك الله إلى نفسك وجهدك هلكت، فكان النبي – صلى الله عليه وسلم – هو سبب الهداية ولذلك تقدمه على نفسك، ثم يستلزم من ذلك التسليم للرسول – صلى الله عليه وسلم – بعد محبة الطاعة، فطاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – إضافة إلى أنها أولاً استجابة لأمر الله؛ لأن الله أمر بطاعته فهي كذلك مقتضى المحبة؛ لأنك إذا أحببت شيئاً تعلقت به وسعيت إلى ما يرضيه فكيف بمحبة النبي – صلى الله عليه وسلم – التى هي دين .

فإنك إذا ما دمت أحببت النبي – صلى الله عليه وسلم – وادعيت ذلك فلابد من مصداقية للدعوة، وأن تكون تبعاً للنبي – صلى الله عليه وسلم – في سنته، حريصاً على تطبيق ما يقول وما يفعل وما يرشد به قدر الاستطاعة، الأمور القلبية في حق الله تعالى، وفى حق النبي – صلى الله عليه وسلم – لا يعذر بها أحد كل مسلم يجب أن يحب الله وأن يحب الرسول – صلى الله عليه وسلم – لكن الأعمال هي التي تغلب الطاعة، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

إذاً معنى التسليم للرسول – صلى الله عليه وسلم – أنه تتبعه قدر ما تستطيع، وأن تعمل بسنته، وأن تسعى لما يرضيه، وأن تحب ما يحبه، وأن تحب من يحبهم، فالنبي – صلى الله عليه وسلم – يحب فضائل الأعمال، ويكره وباء الأعمال، ويحب الصحابة والصالحين، فيجب على المسلم تسليمه للرسول – صلى الله عليه وسلم – أن يعمل بذلك .

قال (ظاهراً وباطناً) يعني أن يكون التسليم قلبي وظاهري، تسليم الإذعان واليقين والتصديق والمحبة، هذا هو الباطن، وظاهراً بمعنى أن يظهر دلالات التسليم على أعمالك كلها، في أداء الفرائض ووالواجبات والسنن والنوافل وفى السيرة والسلوك في تعاملك مع ربك – عزّ وجلّ – في تعاملك مع حق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في تعاملك مع صالح الأمة من الصحابة والتابعين، وسلف الأمة، في تعاملك مع العلماء، ثم تعاملك مع الولاة ومن لهم حق الولاية، في تعاملك مع والديك مع الآخرين، مع جميع الناس مع البشرية جمعاء .

لابد أن يظهر مصداق التسليم في التعامل الظاهر، ولابد أن يجتمع هذا وذاك، فلو أن إنسان ظاهره على الإسلام والتسليم لكن باطنه ليس كذلك فهو ينفاق .

والعكس كذلك من ادعى أنه في الباطن مسلم لله – عزّ وجلّ – ولم يظهر ذلك على أعماله فهو زنديق، يعني خارج من مقتضى الإسلام، لأن الإسلام ليس دعوة، الإسلام حقيقة علمية وعملية عقدية ومنهجية، فلابد أن يكون ذلك ظاهراً وباطناً .

(فلا يعارض شيء من الكتاب أو السنة الصحيحة في قياس) هذه مسألة مهمة جداً.

ما معنى القياس الموجود هنا، نحن نعلم أن القياس في الأمور الاجتهادية وارد بل هو من وسائل المجتهدين في قياس بعض المسائل على بعض أو إلحاق بعض المسائل على نصوص معينة من باب القياس .

هذا بالنسبة لاجتهاد المجتهدين، لكن نحن الآن نتكلم عن العقيدة التي هي ثوابت ومسلمات ليس فيها زيادة ولا نقص .

إذاً ما يرد فيها القياس لأنها توقيفية، القياس في العقيدة غير وراد ، وفى الأحكام يرد؛ لأن العقيدة ثوابت، وغيب، ولا يجوز أن يكون في الغيب قياس، لأننا إذا قسنا عالم الغيب على الشهادة لابد أن نقع في الخطأ؛ ولأن الغيب سمي غيب؛ لأنه غائب عن العقول والمدركات والحواس، وهذا معنى الغيب ولذلك كما امتدح الله المؤمنين بالغيب؛ لأنهم سلموا لله – عزّ وجلّ – في العقيدة وأخبار الغيب حكم أنه مغيب عنهم، فمن هنا مدحوا وعلى هذا لا يأتي القياس؛ لأنه كيف تقيس أمر غائب عنك، غير مدرك، تقيس أمر ليس من إدراك عقلك ولا عواطفك ولا تجارب البشر ولا حواسهم، كيف تقيسه على أمر مشهود معلوم.

فمن هنا نقول منع القياس هنا في أمور العقيدة وأصول الدين ينبني على حفظ الدين وعلى الإشفاق على البشر من أن يعتقدوا من أوهام ووساوس وخطرات، على مبدأ القياس الفاسد .

ثم قال (ولا ذوق) هذا إشارة إلى أن هناك من أهل الأهواء والبدع من يزعمون أن بعض الأولياء أو بعض الصالحين إذا تذوقوا شيئًا أو مالت نفوسهم فإنه يعتبر حق وشرع، وهذا غير صحيح، لأنه لا معصوم إلا النبي – صلى الله عليه وسلم – فعلى هذا الذوق غير وارد، لأن المقصود بالذوق، هو التشهي وميل النفس، والدين أو ذأو لا يبنى على التشهي وميل النفس، وإنما يبنى على الخضوع والاستجابة لله – عزّ وجلّ – ولرسوله – صلى الله عليه وسلم – فعلى هذا ليس للذوق أي دور في التشريع ولا يمكن أن يكون إلقاء الذوق مقياس في القبول أو الرد، إلا إذا كان الذوق يوافق الكتاب والسنة، وهذا لا يعني أننا أخذنا الدليل من الذوق، بل من الكتاب والسنة، وكون الذوق ذوق الإنسان الصالح أو الرجل المسلم التقي النقي يوافق ذلك الكتاب والسنة، فهذا دليل على أنه وفق، ليس دليلاً على أنه الذي اخترع هذا الأصل أو الحكم .

إذاً ما يتذوقه الناس، هذا أمر يرجع إلى مدراكهم هم، فالدين لا يقرر بمدارك البشر .

كذلك قوله (ولا كشف) لأن هناك من أهل البدع من يزعمون أن من الصالحين وغيرهم من ينكشف له شيء من أمر الغيب، أو من أحكام الحلال والحرام دون تقيد بالكتاب والسنة وهذا باطل؛ لأنه مدخل للشيطان، فيقصدون بالكشف دعوى انكشاف أمر غيبي أو حكم شرعي، بأحد من الناس، بلا دليل مهما بلغ هذا الأحد ولي، صالح، إلى أي درجة كان عند الناس إمام ما لم يكن معصوم وهو النبي – صلى الله عليه وسلم – فإنما ما ينكشف له يعرض على الكتاب والسنة، فإن كان ما ينكشف له من الأمور والحدس، والفراسة، والكرامات يوافق الكتاب والسنة، فبها ونعمت ونحمد الله على ذلك، وإذا لم يوافق الكتاب والسنة فهذا كشف مردود .

إذاً الكشف ليس مصدر من مصادر الدين .

كذلك (ولا قول شيخ) هذا ما معناه ؟ يعني معنى لا نقدم قول الشيوخ والعلماء والأئمة وكل من لهم اعتبار عند طوائف الأمة لا نقدم أقوالهم على الكتاب والسنة، ولا نعرض الكتاب والسنة على أقوالهم، بل العكس مقتضى التسليم لله – عزّ وجلّ – والتسليم للرسول – صلى الله عليه وسلم – أن نعرض جميع أقوال الناس مهما بلغوا من العلم وأحوالهم وآرائهم ومواقفهم نعرضها على الدين وقواعده على نصوص الدين وقواعده .

بمنطق الراسخين باجتهاد الراسخين فإن وافق قول ذلك الشيخ هذه الأصول الشرعية أخذنا به وإن لم يوافق فإما أن يكون زلة عالم وإما أن يكون خطأ وإما أن يكون على أي وجه يكون يخرج من مقتضى الحق.

ثم قال (ولا إمام) أيضاً كذلك داخل في مفهوم الشيخ، يرجع هذا إلى تنويع المصدرية عند الناس أو التلقي بعضهم الناس يأخذ عمن يسميهم أئمة وبعض الناس يأخذ عمن يسميهم شيوخ وبعضهم يسميهم أولياء، بعضهم يسميهم علماء إلى آخره، لا عبرة بالتسميات، كل هؤلاء كلامهم ومواقفهم وأقوالهم وأحكامهم معروضة على مقتضى الكتاب والسنة فما وافق الكتاب وقول النبي – صلى الله عليه وسلم – وفعله أخذنا، ما خالف فهو مردود على أي وجه من وجوه الرد .

ومن هنا يجب على المسلم دائماً أن يكون حذر من أن تنحرف عقيدته بسبب هذه المسالك.

ثم قال (ونحو ذلك) أي نحو ذلك مما يعتبره الناس من التعلق بالعصبيات والحزبيات والتيارات والمذهبيات كل هذه مهما كانت يعني مقالات أصحابها أو أقوالهم أو مناهجهم فإنها لا يمكن أن تكون مصدر للدين ومن جعلها مصدر فقد اختل تسليمه لله وتسليمه للرسول – صلى الله عليه وسلم – كل ما يصدره الناس من هذه المناهج والأقوال والحزبيات والاتجاهات فهو معروض على الكتاب والسنة، وليس لأحد أن يجعل مصدره هذه الأمور التي اخترعها الناس.

(سادساً:العقل الصريح: موافق للنقل الصحيح، ولا يتعارض قطعيان منهما أبداً، وعند توهم التعارض يقدم النقل).

أحسنت هذه أيضاً قاعدة يعني تقتضيها النصوص ويقتضيها العقل السليم، تقتضيها الفطرة، وأعني بذلك أن كل إنسان بل كل مسلم يعني ينشئ على الفطرة المستقيمة السليمة بعيدًا عن المؤثرات الخارجية التى تحرف الناس والوساوس والأوهام مدرك أن النقل الذي هو كلام الله – عزّ وجلّ – وكلام رسوله – صلى الله عليه وسلم – المعصوم أنه هو مصدر ،هذه بديهية، فعلى هذا لا يجوز أن يقدم أي مصدر آخر عليه بل الحق الذي عليه كل صاحب فطرة: أن العقل السليم لابد أن يكون موافق للشرع لماذا ؟

لأن العقل السليم الذي فطر على الفطرة الصحيحة السليمة لابد أن يخضع لله – عزّ وجلّ – ويستجيب، والعقل السليم لابد أن يسلم بصدق النبي – صلى الله عليه وسلم – وكمال دينه، والعقل السليم لابد أن يخضع ويسلم بأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – وفى بالدين فإذا سلم فلا يمكن أن يتقدم على الله ولا على رسوله – صلى الله عليه وسلم – بمعنى أن يضع لنفسه قواعد أو مسلمات ثم يقول قدمها على الشرع، وهذه محاكمة فطرية عقلية من أن يقدمون العقول أو مقتضيات العقول والآراء على الدين، نقول لهم أولاً كيف عرفتم أن الدين حق ؟ قالوا بعقولنا، نقول عقولكم هذه التى عرفتكم أن الدين حق هل تعتبر الدين كامل ووفي؟ يقولون نعم ، لأنها أدركت هذا من خلال واقع الدين .

إذاً ما دامت اقتنعت العقول بوفاء الدين وكماله إذا كيف تضيف إليها وتزيد وتنقص؟

وهناك أمر يلتبس على كثير من الناس وأنهم يزعمون أن الله – عزّ وجلّ – جعل العقل مناط التكليف، يعني العقل هو الذي كلف بأن ينظر في النصوص، كلف بأن يجتهد، هو الذي كلف بأن يتعظ وينظر في علل الشرع وعبر الدين، نقول صح كلف، لكن هل كلف بأن يضع دين مع دين الله ؟ نعم الله – عزّ وجلّ – كرم العقل وجعله مناط التكليف لكنه أشفق عليه من أن يدخل في أمور الدين التي هي من حق الله – عزّ وجلّ – ومن حق رسوله – صلى الله عليه وسلم – المعصوم.

إذاً العقل السليم المفطور لابد أن يوافق النقل الصحيح ، يوافق الكتاب القرآن وما صح عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأن العقل خلق الله والدين أمره فلا يمكن أن يتعاض الخلق والأمر، لأن كلاهما من الله – عزّ وجلّ – وكلاهما على الكمال والحق ، ثم إن النقل الصحيح وافي لا يحتاج إلى مزيد أو نقص أو يحتاج إلى تدخل، وعلى هذا (لا يتعارض قطعيان منهما أبد) يعني إذا قلنا أن العقل قطع بأمر من الأمور مثل هذه العلمية لنفرض أنه أمر رياضي بدهي كأن نقول: ١+١=٢، أليست هذه بدهية علمية عقلية رياضية ؟

هل يمكن أن يأتي الشرع بما يخالف هذا ؟ والعكس كذلك إذا جاء الدين بحقيقة مسلمة وهو أن اليوم الآخر ضرورة من ضرورات وحق لازم، هل يمكن أن يدعي عاقل أن عقله عنده دليل على نفي البعث واليوم الآخر ؟ يستحيل هذا ، فعلى هذا لا يتعارض قطعيان، إنما التعارض يكون وهم عند بعض الناس .

وهذا وهم ينبغي ألا يسلط على الدين، كون بعض الناس يتوهم ،يبدو له أن المسألة الشرعية الفلانية غير معقولة، فماذا سيتهم هل يتهم عقله أو يتهم دين الله ؟

الأولى أن يتهم عقله؛ لأن العقل محدود يعتريه الفناء والنقص، والضعف والنسيان والخلل ومع ذلك العقل في تدبيره الأمور أحيانا يبني على المعلومات الوافدة، ينبي على التجارب، يبني على التخيلات أحياناً والأوهام، قد يعقل أن هذه الأمور يعني ثابتة في الشرع أو مقدمة عليه أو تتعارض حقائقها مع الشرع، أما الأوهام والوساوس والخطرات فينبغي من باب أولى ألا نجعلها محكمة في الدين، وعند توهم التعارض، يعني لماذا توهم التعارض ؟ معناه أن الإنسان حين بدله أو توهم أن مسألة من مسائل الدين لا يستوعبها عقله، فالإنسان يتوهم التعارض، يعني حقيقة من حقائق الدين الثابتة الضرورية، يجد أن عقله يستوعبها، هنا يكون الخلل أين ؟ أين يكون الخلل هنا ؟ في العقل، لماذا ؟ لأن الحقيقة الشرعية جاءت عن المعصوم – صلى الله عليه وسلم – فيستحيل أن يعتريها خلل أو نقص إذاً يتهم العقل؛ لأننا نعلم قصوره، فالعقلاء يعلمون أن عقولهم محدودة وأنها قاصرة؛ لأنه يعتريها جميع عوارض النقص، وكذلك الفناء من الحقائق الشرعية لا يعتريها نقص أبداً وهي أبدية .

فمن هنا إذا جاء التوهم بمعنى أن الناظر أو المسلم إذا تأمل بعض الأمور وتوهم أو بدا له أو وسوس أو اشتبه عليه أمر فلا ينبغي ألا يسلط الاشتباه على الناس أو على لحقيقة الشرعية، بل ينبغي أن يتهم العقل أولا، ثم ليبحث إن كان يريد أن يستزيد أدلة اليقين لا حرج كما طالب إبراهيم – عليه السلام – من ربه أن يعطيه من أدلة اليقين مع أنه لا يشك لكن يريد الزيادة في الأدلة هذا لا مانع منه، والمسلم له أن يبحث عن أدلة اليقين قدر ما يستطيع لكن لا يكون ذلك على حساب التشكيك في الدين ودعوى عصمة العقل.

(يجب الالتزام بالألفاظ الشرعية : في العقيدة، وتجنب الألفاظ البدعية التي أحدثها الناس، والألفاظ المجملة المحتملة للخطأ والصواب يستفسر عن معناها، فما كان حقاً أثبت بلفظه الشرعي، وما كان باطلاً رد).

هذه من القواعد التي نسميها الصغيرة لكنها مهمة أمثلتها قليلة لكنها أيضاً مهمة، أعني بذلك أنه يجب على المسلم دائماً عندما يعبر عن الأصول والثوابت والأركان وقضايا الدين الكبرى أو عن السنن القطعية أو نحوها يجب عليه أن يعبر بالمصطلحات الشرعية، وفى الألفاظ الشرعية .

فيسمى الصلاة الصلاة، ما يسميها مثلاً بغير اسمها، يسمى الزكاة زكاة لا يقول نماء أو تطهير أو ضريبة مثلا، والناس يأخذهم مجاراة الثقافة العامة عند الناس، فيذهب وكان يريد أن يبسط للناس المفاهيم فيسمى الزكاة ضريبة، وهذا " خطأ " .

أو يسمي الحج القصد أو نحو ذلك هذا خروج بالأصول الشرعية عن لوازمها، فمن لوازم الألفاظ الشرعية المعاني الشرعية أن يلتزم ألفاظها، وكذا بقية الأمور التي تنبني عليها العقيدة أو ثوابت الأحكام، يعني مثل الحلال

القطعي والحرام القطعي أصول الأخلاق ونحوها هذه نسميها باسمها فنسمي مثلاً الصدق باسمه ونسمى الربا باسمه وهكذا، كذلك ألفاظ العقيدة الخاصة بالتعلق مثلاً – عز وجل – وهو أعظم ما يجب أن يعنى به المسلم، أن يتعلق بالله – سبحانه وتعالى – .

فنحن ندرس أن يتعلق بالله في ذاته وأسمائه وصفاته؛ لنعظم الله، لأن نغرس في قلوبنا محبة الله وخوفه ورجاءه، وهذا لا يؤدي دوره على المعنى الكامل إلا بالتزام الألفاظ الشرعية في أسماء الله وصفاته .

ولذلك قال السلف: أسماء الله توقيفية في ألفاظها، و توقيفية بمعنى أن نقف على ألفاظه الشرعية، لا نأتي بألفاظ أدبية أو فلسفية أو معاني عامة فضفاضة متميعة فنعبر بها عن حق الله – عز وجل – كما يعبر بعض الفلاسفة عن الله بأنه قوة، هل هو مجرد قوة ؟ هناك وصف الله بالقدير بالعليم الغني إلخ، ما يغني عن مثل هذه اللفظة، ويؤدي المعنى على أكمل وجه في القلب والعقل والجوارح والوجدان والمشاعر فإن هذه الأمور أي ما يختلج في الإنسان من مشاعر لا تنمو نمواً دينيا شرعياً إلا باستعمال المصطلحات الشرعية التي هي كلام الله وكلام رسوله – صلى الله عليه وسلم – وبلسان عربي مبين .

كذلك المعاني الأخرى فيما يتعلق بالله – عز وجل – مثل بعض أسمائه وصفاته، الاستواء يبنغي أن يعبر عن الله أنه مستوٍ على عرشه هكذا ، دون خروج عن مقتضى النص؛ لأن كلمة الاستواء لفظ شرعي وهو أفضل تعبير عن حقيقة الرب – عز وجل – الغيبية تتعلق بهذا الفعل، أفضل تعبير وأكمل تعبير عن حقيقة الاستواء كما يليق بجلال الله – عز وجل – فهي هذه اللفظة .

فلا نصرفها إلى معاني محتملة وإلى تؤيلات؛ لأن هذا يفرغ الكلمة عن محتواها الحقيقي الذي ينمي في القلب الإيمان بالله – عز وجل – على الوجه الشرعي الصحيح .

كذلك العلوم ونحوها وما يتعلق بالله – عز وجل – .

أيضاً حتى في مجملات الدين ، ينبغي أن نعبر عن مجملات الدين بالمعاني الشرعية التي تغرس في المسلم حب التدين على وجه صحيح، التي تغرس في المسلم الولاء للشرع على وجه صحيح .

فمثلاً لا يجوز أن نسمى الدين تقاليد أو موروثات، فإن التقاليد لها معنى يشمل ما يخترعه الناس وما يتبعونه، ويشمل العوائد الباطلة، ويشمل أمور أخرى كثيرة فيه حق وباطل ، فلا يجوز التعبير عن الدين بأنه تقاليد على سبيل المثال ولا موروثات .

إذاً هذا معناه أنه يجب الالتزام بالألفاظ الشرعية، يجب على المسلم أن يعود نفسه دائماً– ويعود أبناؤه –ويجب علينا جميعاً في تربية الأجيال أن نربيهم– على هذه المسلمات وأن تتعود ألسنتهم على استعمال الألفاظ الشرعية بمعانيها، فإن هذا هو الذي ينمي حقيقة الإيمان في القلوب، وهو الذي ينمي حقيقة التقوى في القلوب، وينمي في الإنسان خشية الله وخوفه ورجاءه، وينمي في الإنسان رقابة الله وتقواه، ولذلك نجد أن من أعظم أسباب ضعف المعاني القلبية في قلوب المسلمين أنهم بدءوا يخرجون عن استعمال المصطلحات الشرعية إلى مصطلحات أخرى فضفاضة لا تؤدي إلى المعاني الشرعية، بل غالباً تحرف المسلم عن التصور الحقيقي والمعني الشرعي، الذي يجب أن يثبت في قلبه ويغرس في قلبه الإيمان وفى عقله ووجدانه ومشاعره وعلاقته وتعاملاته مع الآخرين .

نعم، الفضل مجمل محتمل للخطأ والصواب يستفسر عن معناها فمن كان حقاً أثبت بلفظ شرعي وما كان باطلا رد، يعني نأخذ مثال .

لعل من أبرز الأمثلة ، يعني تعبير الناس أو تعبير بعض الناس عن علو الله – عز وجل – سبحانه بالجهة ، بعض الناس حينما نقول له: لماذا تنفي العلو ؟ لماذا تنفي الاستواء، يقول: لأنه يقصد الجهة، تعالى الله عما يقولون، نقول لهم ماذا تريدون بالجهة؟ يعني أستفسر، نحن لا نرد كلمة جهة مطلقاً ولا نقبلها مطلقاً نستفسر على النحو التالي ، نقول: ماذا تريد بالجهة التي تنفيها أو تثبتها إن أردت بالجهة علو الله – عز وجل – فلا شك أن الله هو العلي لكن لا نسمي هذا جهة أخذنا المعنى الحقيقي فرغناه من الكلمة فرغناه من المعنى الحقيقي، وأرجعناه إلى اللفظ الشرعي وهو العلو واسم الله العلي ، الله – عز وجل – من أسمائه العلي سبحانه وله العلو المطلق، ومن صفاته العلو والاستواء .

فنقول: إذًا المعنى الصحيح من الجهة لكن كلمة جهة هذه نظراً؛ لأنها مختلفة لسنا بحاجة إلى استعمالها لماذا نستعملها ؟

أما إن أردت بالجهة المكان الذي يحوي، فالله – عز وجل – سبحانه منزه عن أن يحويه مكان وهو – سبحانه وتعالى – خالق الأزمنة والأمكنة وخالق الكون كله، فلا ينبغي أن يرد هذا أن يأتي به أحد بل ينبغي أن نبين وننصح من يقول مثل هذه الكلمات؛ لأنه سوء أدب مع الله، وإذا وردت فعلى ألا يقولها إلا لأهل العلم فمثل هذه الأمور لا تقال في حق الله – عز وجل – .

ولذلك لما سئل الإمام مالك عن بعض الأمور التي تتعلق بالاستواء في حق الله – عز وجل – سؤال غريب، سؤال منكر ، لم يعرفه السلف، يعني من خشية الله – عز وجل – أصابه العرق ، وكاد أن يغمى عليه ، وتصبب عرقه تعظيماً لله ، لأنه سمع كلاماً عظيماً مع أنه مجرد سؤال .

ثم أجاب بجواب شرعي وأراد أن يؤدب السائل بتأدب الأمة في ذلك الوقت لم تنتشر ولم يشتهر استعمال مصطلحات البدعية .

إذاً هذه القاعدة واضحة، اللفظ الذي يحدثه الناس ننظر في معناه المعنى الصحيح نأخذه ونرجعه إلى اللفظ الشرعي، والمعنى الفاسد نرده ونرد الكلمة معه .

فضيلة الشيخ المتلفظ بالألفاظ الشرعية ما الضابط له؟ وهل مثلا يصح أن يطلق إذا كان توضيح أمر من أمور الدين مثلا كالخمر الآن تسمى مشروبات روحية هل مثلا أستطيع إذا أردت أن أفهم الناس ما المقصود بالخمر هو المشروب الروحي هو نفسه تطلق عليه مشروب روحي ؟

نعم الضابط في استعمال المصطلحات على نوعين إن كانت المصطلحات عقدية فهذه يجب ألا نتساهل فيها، لا يجوز أن نبدل المصطلح الشرعي بأي لفظة حتى الألفاظ المرادفة، نظراً لأنها تبعد الناس عن المعنى الصحيح أو توهمهم عن انصراف التعبير يجب ألا نستخدمه .

أما المصطلحات التي تتعلق بالأحكام وبالشهادات وبالأحكام الفقهية فالأمر فيها أسهل بمعنى إذا عم مصطلح من المصطلحات مرادف للمصطلح الشرعي وهذا لا يحدث لبس عند الناس فلا مانع من استعماله مع احترام اللفظ الشرعي ومقارنته باللفظ المحدث، لا استغناء عن اللفظ الشرعي .

أما إذا كان المصطلح يؤدي إلى دلالات أخرى، أو لا يفهمها كثير من الناس أو ليس هو عند عامة المسلمين فيجب الاستغناء عنه .

ومن هذا المثال الذي ضربه الأخ وهو استعمال كلمة مشروبات روحية بدلاً من الخمر، أظن هذا خطأ فادح ويجب تفاديه؛ لأن كلمة مشروبات روحية، لها معنى يستشعر به السامع أنها ليست كلها محرمة ، والروحية التي ترجع إلى لفظة الروح وهذا غير صحيح .

وهي أيضاً مصطلح جاء من ديانات تعتبر الخمرة دين، تعتبر شرب الخمر يعني طقوس دينية من هنا سموه مشروبات روحية .

فإذا ما دام وجد هذا الخوف والمفهوم الخاطئ فيجب أن نتجنب مثل هذه التسميات، لكن مثلاً تسمية التجارة اقتصاد، هذه لا مواشحة فيها، لأنه أصبح مصطلح عالمي محدد المعالم ليس فيه لبس .

ما حكم الذوق هل ممكن للإنسان أن يشعر بحلاوة العمل ولذته وهو على غير الصواب ؟ يكون هذا من تحسين الشيطان له ؟

يعني اللذة الإيمانية، لا ، لأن اللذة أنواع بمعنى أن الإنسان الذي يتذوق العمل ببدعة أو العمل بالمحرم ويزعم أنه يجد نشوة في ذلك وشعور يحبب إليه هذا الأمر المحرم هذا غالباً ما يكون ابتلاء الله – عز وجل – يقول ﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[الانبياء: ٣٥] .

فالإنسان إذا لجأ إلى البدع أو إلى المحرم قد يبتليه الله – عز وجل – فيتذوق هذا المحرم والبدعة ويجد لها نشوة عاطفية، لا نشوى دينية، أما التذوق الإيماني الذي يرسخ في القلب محبة الله وخشيته ورجاءه واليقين والإنابة والتوكل على الله والتقوى الحقيقة فإن هذا لا يكون يعني تذوق من هذا الجانب إلا على ما هو مشروع ، ولذلك فإن البدع عادات من الناحية الإيمانية اليقينية لكن من الناحية العاطفية، نعم؛ لأن العاطفة أمر آخر غير اليقين الذي يكون في القلب، يقين القلب أعظم من مجرد العواطف ، يقين ثابت راسخ يحدث في القلب الأمن تجاه رضا الله – عز وجل – الأمن تجاه العمل بالدين ، الأمن تجاه نظرة الإنسان لمستقبله في أقدار الله ، الأمن تجاه الإنسان في تجاه نظرته في الآخرة، فهذا لا يمكن أن يكون إلا عن طريق السلم والشرعيات لا عن طريق البدع والمحدثات .

إذاً أعود وأقول التذوق الإيماني لا يكون إلا على الوجه الشرعي، أما التذوق العاطفي الذي هو ابتلاء، التذوق المادي فقد يبتلى الله به كثير من الناس من باب الاستدراك .

يقول هل الاستدلال ببعض الآيات القرآنية على الاكتشافات العلمية يعد خروجاً عن منهج أهل السنة والجماعة ؟

لا ، ليس خروجاً إلا إذا وصل إلى حد المبالغة ، والتكلف ، أو حد اليقين في أمر لم يثبت علمياً، أو إذا كان أصلاً مبنى تفسير النص ظن ، فإذا كان تفسير النص ظني فلا يجوز أن نجزم بأن هذه الكشوف تؤيد هذا المعنى؛ لأن الحق قد يكون من مصادر الحق اليقينية: الوحي، وقد يكون الحق بمصادر الحق العلمية: التجارب والعلوم، قد تكون المصادر يعني اليقين في الأمور غير الدينية الشرعية .

فمن هنا أقول أن ما يسمى بالإعجاز العلمي أو الكشوفات العلمية يجب أن نأخذها بقدر فالمبالغة فيها والتمادي وتفسير الإسلام بها مطلقاً هذا يعني فيه نوع من المخاطرة.

إهمالها أيضاً وعدم الاعتبار بها هذا أيضاً تقصير؛ لأنها من جملة ما أمر الله به من العلم والكشف والاتعاظ والاعتبار، وأخذ الأسباب فيما يزيد اليقين في القلوب وهذه الكشوفات لا شك أنها تزيد اليقين في القلوب، وأيضاً تؤيد الإسلام عند من يحتاج إلى التأييد من هذا النوع، إذاً نحتاج إلى التوسط والاعتدال في هذا الجانب .

تقول هل هناك فرق بين القول لا يجوز أن يتعارض العقل مع النقل وبين قولنا لا يمكننا أن يتعارض نص صريح بنقل صحيح ؟

لا ، ليس في العبارتين فرق، لكن لا يجوز هذا في الأحكام، ولا يمكن هذا في القطعيات الغيبية والثوابت الفطرية والعقلية، هذا من جانب التطبيق والعمل، وهذا من جانب الإيمان والاعتقاد، العبارة الأولى في الأعمال والعبارة الثانية في الاعتقادات .

يقول سمعت من البعض قولهم الدين مصلح لكل زمان ومكان، بدل عبارة الدين صالح لكل زمان ومكان هل بينهما فرق ؟

لا، ليس بينهما فرق ، لكن صالح أبلغ وأعمق، لأنه إذا كان صالح لكل زمان فإنه يصلح الأحوال، لكن يعني كلمة صالح أجمل وأبلغ وأوفى أما كلمة مصلح فقد توهم فبعض الناس قد يحمل تصرفات المسلمين على الإسلام فيقول لماذا الإسلام ما أصلح أحوال المسلمين وهم يدعون الإسلام، ما يدري أن المسلمين قصروا، أو قصر كثير منهم في الأخذ بالإسلام على الوجه الصحيح ما بين بدع وأهواء وغير ذلك مما يعتري البشر من نقص إذاً العبارة الأولى أولى وأجمل وأوفى.

تقول إذا كان شخص فاسد العقيدة بحيث يؤمن بشهادة أن لا إله إلا الله ولا يؤمن بشهادة محمد – صلى الله عليه وسلم – فهل عقيدته صحيحه وهل يصلى عليه وهل يصح الاستدلال بقوله – صلى الله عليه وسلم – (من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة) ؟.

إي نعم ، هذا السؤال الحقيقة مهم ، هذا يذكرنا بأصل من الأصول الضرورية وهو أنه لابد أن نؤخذ بمنهج الاستدلال السليم في الاستدلال بالنصوص خاصة على القطعيات، فإن عرض هذه القضية جاء على درجتين درجة التفصيل ، ودرجة الإجمال .

والإجمال لابد أن يفسر بالتفصيل لابد إذا جاء الأمر مجمل لابد أن نفسره بما يفصله فمثلاً أن – النبي صلى الله عليه وسلم – ذكر أن من أركان الإسلام ، أولاً من أركان الإيمان بالله وملائكته ورسله أليس أفضل الرسل وأقربهم ورسول هذه الأمة هو محمد – صلى الله عليه وسلم – ؟

إذاً الذي ادعى أنه يشهد أن لا إله إلا الله ولا يشهد أن محمد رسول الله إذا ادعى أنه مؤمن لا نقول إنه مؤمن ، خرج بهذه القاعدة القطعية في حديث جبريل عليه السلام وهو محل إجماع .

أيضاً أركان الإسلام ، الركن الأول ركن واحد وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله – صلى الله عليه وسلم – صار كله ركن، فلا يستقيم هذا بدون ذاك.

أما من قال، قول – النبي صلى الله عليه وسلم – (من قال لا إله إلا الله) أنه دخل الجنة، هذا معلوم بالضرورة لأنه لا يمكن أن تستقيم لا إله إلا الله على الوجه الشرعي المقبول الصحيح إلا إذا شهد أن محمد رسول الله، لأن من مقتضيات ولوازم وضرورات لا إله إلا الله طاعة الله في الاستجابة لأمر رسوله – صلى الله عليه وسلم – فهذه متضمنة لهذه بل حتى أن شهادة أن محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أيضاً تستلزم

أركان الإسلام الأخرى، فعلى هذا نقول أن هذا مفسر بذاك ، فلا يتوقع بل لا يمكن أن يكون إنسان يقول لا إله إلا الله أو يقول أنا مؤمن بالله ويدعي الإسلام إذا لم يشهد أن محمداً رسول الله، وإذا لم يفعل ذلك فإنه لم يدخل في الإسلام ولا يعد مسلم، وينطبق عليه أحكام غير المسلمين .

يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته سؤال هو كيف الرد على من يدعون عصمة الأولياء ويتخذونهم إلى الله زلفى، وقد يقدمون محبتهم على محبة الرسول – صلى الله عليه وسلم – ؟

على كل حال هذه مسألة أنا أظنها بينة عند عامة المسلمين فضلاً عن طلاب العلم وخاصتهم، وهو إذا قلنا بأن – النبي صلى الله عليه وسلم – انقطع بموته الوحي وهو خاتم الأنبياء وأن الله أكمل الدين، فبعد هذا فليس هناك منافذ إلى الحاجة إلى من يقال أنه معصوم هذا أمر .

الآخر أن العصمة تحتاج إلى دليل والأدلة القطعية العصمة لأحد دون – النبي صلى الله عليه وسلم – تحتاج إلى دليل والدليل ثبت أنه ليس معصوم إلا – النبي صلى الله عليه وسلم – كل يؤخذ من قوله ويرد إلا الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأن – النبي صلى الله عليه وسلم – قال (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين) وقال (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي) وفى بعض الروايات (وعطرتي) يعني حقوق آل بيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

هذا الأمر يقتضي أن الدين كمل وحفظ .

أما العصمة لابد أن ينتج عنها أن المعصوم يؤخذ قوله بلا تردد وعمله بلا تردد ، ويؤخذ على أنه دين، هذا لا يمكن .

فإذًا دعوى العصمة هذه دعوة باطلة وتتنافى مع قطعيات الدين بل إنها تتنافى مع شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا شيخ إذا كانت طالبة تستمع إلى طالبة في القرآن الكريم ولكن عندما تشكل عليها آية أو تستصعب آية في حفظها تشير إلى بعضأجزاء الجسم، وإذا كان اسم من أسماء الله مثلا أشارت إلى الأذن أو إلى البصر يعني إنه سميع بصير، من باب التقدير، فهل هذا يقدح في العقيدة أو فيه سوء أدب مع الله – سبحانه وتعالى – هذا السؤال الأول، السؤال الآخر: سؤال الجارية التي سأل عنها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عندما سألها عن الله تعالى فأشارت إلى السماء ، هل هذا يعني فيه بمعنى التوجه أو الاتجاه وبارك الله فيكم

ما يتعلق بالإشارة إلى مواطن أو إلى أماكن الصفات في الإنسان عندما تورد أسماء الله وصفاته في القرآن في التلاوة أو حين ذكرها في الكتب أو حين ذكرها في السنة هذا لا يجوز لا يجوز؛ ولأنه فيه عدة محاذير :

أولاً : يشعر بالتشبيه وبالتمثيل، الله – عز وجل – ليس كمثله شيء .

ثانياً : أنه يوهم على المبتدئ وطالب العلم غير المتمكن في العقيدة بل عامة المسلمين هذا يوهمهم بأمور تدخل في أوهامهم ليست لائقة، وقبل ذلك كله هو سوء أدب مع الله – عز وجل – ثم إن هذا الأمر لو اتخذ لأدى إلى فتنة عظيمة فتنة الناس في التعلق بالمخلوقات من خلال صفات الخالق – عز وجل – وهذا باب بدعة وفتنة يجب سده .

نعم ورد عن – النبي صلى الله عليه وسلم – أشار أحياناً عندما يذكر بعض الصفات أشار إما إلى أصبعه وإما إلى كفه أو نحو ذلك حينما يورد بعض أسماء الله وصفاته أو أقر من فعل ذلك لكن هذا ليس شرطاً في رواية الحديث وهو على خلاف الأمثلة على خلاف عند أئمة الحديث هل نروي الحديث كما رواه – النبي صلى الله عليه وسلم – فيصبح هذا موقوف على ما فعله – النبي صلى الله عليه وسلم – لا نزد عليه ومع ذلك فإن بعض أئمة الحديث المعتبرين عند أهل السنة أيضاً يرون أن ذلك لا يجوز خاصة بعد أن خاض الناس في أسماء الله وصفاته، وبعدما وجد من يسمون بالمجسمة والممثلة الذين كفروا أو قالوا هذا الكفر العظيم، في تجسيم الله وتمثيله فإنه لما وجد هذا يجب أن يحذر منه ، ومن هنا أحب أن ننبه أن إثبات الصفات لله – عز وجل – كما هو مذهب السلف ليس تجسيم وليس تمثيلاً لأنني عندما ذكرت المجسمة والممثلة ربما يقذف في الأذهان بعض الناس أن إثبات الصفات لله – عز وجل – كما يفعل السلف أنه تجسيم وهذا خطأ .

التجسيم هو اعتقاد أن لله – عز وجل – صفات مثل صفات المخلوقين ، ويسمى التمثيل على الاصطلاح الشرعي، إذاً فهذا الأمر يجب تجنبه ولذلك أثر عن الإمام أحمد أنه بعدما صارت فتنة الجهمية وصاروا يخوضون في هذه الأمور أنه لما روى أحد طلاب العلم عنده النبى – صلى الله عليه وسلم – الذي أقر فيه رفع الأصبع في ذكر بعض أفعال الله – عز وجل – قال الإمام أحمد قطعها الله من أصبع، لأنه رأي أن هذا يشوش على الناس، والحاضرون ليس كلهم من أهل العلم الذين يفقهون .

أما ما أشارت إليه أو ما ذكرته من مسألة إشارة الجارية إلى السماء فلا شك أن هذا دليل قطعي فطري على علو الله – عز وجل – لأن الجارية سئلت سؤال مفاجئ من – النبي صلى الله عليه وسلم – وهو المشرع وأجابت جواباً بينا واضحاً وهذا كان في مقام التشريع ، – النبي صلى الله عليه وسلم – مشرع في أمر يتعلق بالله – عز وجل – وحينما سألها أين الله؟ أشارت إلى السماء ، فهذا تقرير دين ، يجب أن ندين الله به وأن الله موصوف بالعلو، بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

لكن لا يعني ذلك أن نستعمل هذه الكلمة دائماً في امتحان الناس كما يفعل بعض الجاهلين ، بعض الجاهلين إذا أراد أن يختبر أحداً من المسلمين في صلاح عقيدته أو استقامة عقيدته راح وسأله هذا السؤال، هذا مصدر فتنة؛ لأن ليس كل الناس يعرفون هذه السنة وليس كل الناس يعرف كيف يجيب، فلا ينبغي السؤال إلا في مثل المقام الذي حدث أو السبب الذي حدث في عهد – النبي صلى الله عليه وسلم – مقيد بتلك الشروط ، إن جاز فعله .

تقول هل يصح الإجابة على سؤال أين ال؟له بأن الله موجود في كل مكان ؟

لا هذا خطير ، بل يجب أن يقال الله – عز وجل – مستوٍ على عرشه فوق سماواته كما ورد في النصوص ، يجب أن نجيب بأجوبة النصوص الشرعية، أنا لنا أن نجيب بأكثر مما ورد، أليس الله – عز وجل – هو أصل الغيب؟ الله – عز وجل – هو الغيب، وهناك أمور أخرى، لكن كل ما يتعلق بالكيفيات أسماء الله وصفاته غيب، ولذلك امتدح الله المؤمنون بالإيمان بالغيب، هل يجوز أن نأتي بمعاني زائدة، وبألفاظ زائدة عما ورد في الكتاب والسنة، نقول الله – عز وجل – علا فوق سماواته مستوٍ على عرشه نجيب بهذا الجواب أو بنحوه مما لا يعطي معنى آخر يبتدأ .

تقول ما حكم من لا يقتنع بالأحكام الشرعية والعقدية إلا بأدلة عقلية وما الأسلوب الأفضل في دعوته ؟

هذا يعني نزعة وسواس ، وأيضاً نزعة عقلانية مذمومة ليس كل نزعة عقلانية مذمومة، ولكن العقل إذا كان يريد أن يتثبت بالإيمان أن يستزيد من الخير فهذا ممدوح لكن إذا صارت النزعة العقلية تريد أن تقصر الدلالات الشرعية على العقل فمن هنا تقع الهلكة ، فمثل هذا يجب أولاً أن يراعى؛ لأن الغالب أن أصحاب النزعات العقلية لا يسلمون من الغرور هذا هو الغالب .

ولذلك تجد خصوم الأنبياء من العقلانيين ، وليس هذا ذم لكل عقلاني إنما العقلاني إذا ما استجاب لله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – إذا ما استجاب للدين كانت عقلانيته تتعدى الحدود الأصلية الحدود الفطرية للعقل ، إذاً النزعة العقلانية إذا وصلت إلى حد أن صاحبها لا يريد أن يؤمن بشرع أو بشيء من الشرع إلا بما يقنع عقله غالباً إنه يخشى عليه من الهلكة، لأن أغلب أمور الدين قدرية، والقدر غيب، وأصول الاعتقاد غيب، والغيب نعلم منه ظواهر الحقائق لا كيفيات الحقائق، والعقل لا يكتفي بظواهر الحقائق يريد أن يتطلع إلى الكيفيات وهذا مستحيل، فإذاً صاحب هذه النزعة أخشى ألا يصل إلى الحق، أخشى فلذلك يجب أن يوعظ ويخوف بالله – عز وجل – ويبين أو تبين له ثوابت الدين وهو أن الدين ينبني على التسليم، وأن العقل قاصر وأنه لا يمكن مقارنة الوحي المعصوم كلام الله وكلام رسوله – صلى الله عليه وسلم – أن يقارن بأفكار الناس وآرائهم مهما بلغت من الذكاء والقوة والعبقرية، فإذا سلم بذلك وأدرك أنه إنسان محدود يعني يعتريه السهو والنقصان والخلل والضعف والفناء، وعرف قدر نفسه، من هنا ستستجيب عواطفه وسيستجيب عقله إن شاء الله للحق .

إذاً أرى أن السبيل الأول هو موعظته، ثم حواره بالمسلمات البدهية لا بالمقدمات المعقدة، العقليات المعقدة لا تصل إلى يقين .

لكن مثل عبارة القرآن في مسألة الذين أوجدوا ما يوجب الشك في الله – عز وجل – قال سبحانه ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[ابراهيم: ١٠] .

وقال في الرد على من أنكر البعث حينما فتت عظماً وقال أنى يحيي هذه الله – عز وجل – قال الله – عز وجل – ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[يّـــس:٧٨–٧٩].

مقدمات بسيطة بهذه المقدمات البسيطة الخفيفة يمكن أن نقنع العقلاني الذي عنده هذا الوسواس، أما التعمق في المحاورات فهو يزيد الأمور تعقيداً .

ما ردك على من يلقون الشبهة في تفسير بعض آيات القرآن بغير معناها، كمن يقول ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩)﴾[الحجر:٩٩] ، يفسر اليقين هي درجة عالية من العبادة ؟

ما وجه تسميتها شبه هنا ؟

الشبه لدى الناس عامة الناس، يعني يأخذ آيات القرآن ويفسرها بغير معانيها

على معاني إشارية مثلاً ؟

معاني عقدية

يعني أحياناً تكون معاني هي جزء من معنىالآية ؟

لا هذا يحرفها تماماً ، يعني يوصلها بالعقل العامي أنه معنى ، الهدف منه تغيير اعتقاد ؟

أعد السؤال بشكل مرتب.

بعض الفئات تفسر القرآن بغير معانيها، بحيث يلقي شبه إذا أراد إلقاء شبه معينة لدى الناس فسرها بتفسير قد يستوعبها الشخص العامي كما يقول هو

يعني كأنك تقول يكون عنده أحياناً رأي مسبق أو بدعة يعتقدها ثم يسوق النص بما يؤيد هذه البدعة، يجعل بدعته أو وهمه أو رأيه هو الأصل ثم يذهب ليأتي ليلوي أعناق الأدلة من أجل أن تؤيد شبهته أليس كذلك ؟

هذا هو الذي قال الله فيه ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾[آل عمران:٧] وعلى قراءة أخرى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ الوقوف عند ﴿ إِلَّا اللَّهُ ﴾ – عز وجل – يعني إن هناك وهو الكيفيات والغيبيات والمسائل الغيبية البحتة لا يعملها إلا الله، والوقوف على ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ يعني أن بعض المعاني العميقة في كثير من النصوص لا يدركها إلا العلماء إذاً هذا المسلك مسلك خطير ويجب أن يتنبه له كل مسلم .

لأنه لا يضع في ذهنه رأي مسبق أو عقيدة مسبقة أو يكون متعلق ببدعة أو يكون متعلق برغبة في أمر من الأمور ثم يذهب ليستدل بذلك.

فإن هذا المنحى خطير على عقيدة المسلم وغالباً أن الله – عز وجل – يكله إلى نفسه فيهلك ، ويظن الدليل معه، مع أن الدليل ضده .

(العصمة ثابتة للرسول صلى الله عليه وسلم : والأمة في مجموعها معصومة من الاجتماع على ضلالة، وآما آحادها فلا عصمة لأحد منهم، وما اختلف فيه الأئمة وغيرهم فمرجعه إلى الكتاب والسنة فما قام عليه الدليل قبل، مع الاعتذار للمخطئ من مجتهدي الأمة).

نعم هذه قاعدة تتعلق بحماية الدين، لما قلنا أن الدين أكمله الله – عز وجل – وأنه ليس لأحد أن يأتي زاعماً أنه من الدين إلخ ، فتأتي هذه بمثابة الحلقة التي يعني تكون إطار لهذه القاعدة وهي أن العصمة بمعني اعتقاد أن الإنسان يقول الحق جزماً ولا يمكن أن يرد في كلامه أي احتمال للخطأ .

العصمة بأن يكون القول والفعل دين، هذه لا يمكن أن يكون إلا للرسول – صلى الله عليه وسلم – أن يعصم أن يقول على الله أن يعصم من أن يتطرق قوله نقص؛ لأن ذلك يتطرق إلى الدين أو زيادة تخرج عما أراده الله أو أن يقع في محذور شرعي كأن يقع في كبيرة أو أمر يتنافى مع كرامة – النبي صلى الله عليه وسلم – والأخلاق الفاضلة .

إذاً العصمة للنبي – صلى الله عليه وسلم – في الدين وفى الأخلاق، وفى جميع الأصول التي تقتضي كمال الدين فإن – النبي صلى الله عليه وسلم – هو المعصوم .

أما بقية الناس فلا أحد معصوم حتى العلماء الكبار، حتى كبار الصحابة ، قد يرد إليهم خطأ، لأنهم ليسوا مصدر دين ليسوا مصدر تشريع ، – النبي صلى الله عليه وسلم – عصم لأنه هو يشرع فلا يتطرق إلى أقواله وأفعاله الباطل إطلاقاً .

فإذًا العصمة لا تكون إلا للرسول – صلى الله عليه وسلم – لكن هناك معنى بعض الناس يفهمه خطأ، وقد ذكره – النبي صلى الله عليه وسلم – أن الأمة في مجموعها معصومة، لماذا معصومة ؟ هل يعني ذلك أن كل الأمة لا يخطئون ؟ لا ، يعني ذلك أنه لا تخرج الأمة كلها عن الخطأ، يبقى منها ولو عدد قليل على الصواب، يعني لا تجمع على خطأ هذا معناه، لكن لا يمكن أن تتفق الأمة كلها على الصواب لماذا ؟ لأنهم بشر يخطئون ، ويسهون ، وينسون ،يبتدع بعضهم، وينحرف بعضهم تقع فيهم السبل، لكن لابد أن تبقى طائفة ولو قليلة على الحق ، هذا معنى قول – النبي صلى الله عليه وسلم – (لا تجتمع أمتي على ضلالة) لو أن البدع كثرت وكثرت الأهواء فلا يعني ذلك أن الأمة تجمع على البدع والأهواء .

وهل حدث هذا ؟ لا أبداً لم يحدث ولن يحدث ، يبقى ولو طائفة قليلة حتى أثناء الغربة – النبي صلى الله عليه وسلم – سمى أهل السنة أثناء الغربة بالغرباء ، لكنه مع ذلك وصفهم بأنهم (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ومن عاداهم) هؤلاء الظاهرون هم الذين تحققت بهم عصمة الأمم ألا تجمع على ضلالة .

فإذًا الأمة معصومة في مجموعها أن تقع في ضلالة لا في أفرادها أما آحادها جماعاتها فرقها مذاهبها قد يقع الخطأ من أحد أو من بعض فئاتهم فلا عصمة لأحد منهم، وما اختلف فيه الأئمة ، هذه مسألة مهمة .

الله ينفعكم وينفع بكم، السؤال حول السلفية الحقيقية فيه من يدعيها نرجو من سماحتكم بيان حقيقتها لأن كثير من يدعيها وهو على شيء آخر ؟

سبق أن قلنا أن السلف والسلفية وصف لأهل السنة والجماعة، الذين أخبر – النبي صلى الله عليه وسلم – أنهم أجمعوا وصفهم أنهم من كان على ما كان عليه – النبي صلى الله عليه وسلم – وصحابته ، هذا أجمع وصف وأوضح وصف، فعلى هذا كل من كان على هذا السمت على سنة – النبي صلى الله عليه وسلم – وصحابته والتابعين وأئمة الهدى وعلماء المسلمين المقتدى بهم في الدين فهو سلفي ، ومع ذلك قد تظهر بعض التصرفات القولية أو الفعلية أو المواقف خاصة تجاه الآخرين من بعض من ينتسبون للسلفية تخالف منهج السلف ، فهذه التصرفات ليست من السلفية وينبغي أن يحرر هذه الأمور على أصول ومناهج .

إذاً السلفية منهج في العقيدة والدين والتطبيق والتعامل مع الخلق، متى وجد هذا المنهج عند شخص فقد التزم السلفية ، ولو أخطأ بعض الأخطاء فإن خطأه يحسب عليه ولا يخرجه من السلفية .

إذاً هذه مسألة مهمة ، لكن لا نحسب أخطاء أفراد من ينتسبون للسلف أو جماعات أحياناً لا ننسب أخطاءهم إلى السلفية؛ لأن هذا أمر لا يخلو منه مبدأ ولا دين ولا حتى الإسلام نفسه بمجموعة لكن من المسلمين من يسيئون إلى الإسلام، بالبدع والأهواء والفسق والفجور فهل هؤلاء يحسبون على الإسلام؟!

فكذلك السلفية ليس كل من ادعى السلفية يصح انتسابه إليها، وقد أيضاً يخطئ فلا ينسب خطأه إلى السلفية .

إذاً السلفية هم من كان على نهج الصحابة ومن كان في مثل العصور المعاصرة في كل عصر، من كان على هدي العلماء الكبار المهديين الراسخين أصحاب المنهج المعتدل المتزن أصحاب المرجعية في الأمة هؤلاء منهجهم في الجملة، ليس في أفرادهم ، منهجهم في المنهج السلفي .

تقول جزاك الله خير، بالنسبة لحديث – النبي صلى الله عليه وسلم – الذي يذكر فيه أن ثلاثة دخلوا إلى مجلس من مجالس – النبي صلى الله عليه وسلم – والأول اقترب منه فآوى إلى الله ، قرأتها مرة في تفسير الحديث فآوى إلى الله يعني فآواه الله إلى رحمته، هل هذا يعتبر من تأويل الصفة ؟

نعم، مثل هذا الكلام كلام مجمل يرجع إلى المقاصد، بعض الناس يقول: الكلمة يعني في تفسير معناها لا يتعمد التأويل، إنما يفسر الكلمة ببعض معانيها، لكن إن كان مؤول فربما يحسب هذا من التأويل، بمعنى أن الله – عز وجل – آواه، لكن ينبغي أن يعرف أن مثل هذا النص المقصود به الخبر، وأنه جاء بمعرض الترغيب فهذه من الأمور أو النصوص التي يقول السلف أنها تمر كما جاءت؛ لأنها نفسُ لها معنى ولوازمها كثيرة، لكن لا نفسرها بلازم واحد من لوازمها، أو بمعنى واحد من معانيها ونجعله هو تفسيرها كما أشارت إليه السائلة أن بعض أهل العلم فسر الإيواء هنا بالمعنى الذي ذكرت ، فهذا تفسير باللوازم وهو معنى من المعاني، لا نقصر

عليه ولا نحصر المعنى به؛ لأن حصر المعنى به قد يؤدي إلى التأويل، إذاً المعنى مقصود به الترغيب، مقصود به خبر عن الله – عز وجل – وعن مجازاته لعباده على وجه حقيقي لا لبس فيه .

ومن هنا يقال هذا من الأمور أو من النصوص التي تمر كما جاءت، لا تؤول تأويلاً صريحاً، ولا تحمل على أنها صفة .

تقول يا شيخ هل عمل الجوارح شرط كمال في الإيمان أم شرط صحة ؟

على أي حال هذه من المسائل التي كثر الكلام فيها، بل إني أرى في هذا الوقت أن أكثر الذين خاضوا في هذه المسألة سواء الذين قالوا إن الأعمال شرط كمال أو أنها شرط صحة، بينهما تفاوت في المفهوم، وبينهم تفاوت في معاني الكلمة وفى مترتباتها وآثارها والصحيح أن الأعمال في مجموعها في جنسها شرط صحة، لكن في مفرداتها شرط كمال، ومن الأعمال ما هو لابد أن يكون شرط صحة مثل الصلاة وليست شرط كمال فعلى هذا أقول مجموع أعمال المسلم بجملتها أو مجموع الأعمال كلها ، لابد أن تكون شرط كمال؛ لأن من أعرض عنها كلها اختل إيمانه يعني بمعني لم يصح معه .

لكن بمفراداتها تعتبر شرط كمال وليس شرط صحة، فعلى هذا أنا أقول الصحيح أننا نحتاج أن نجمع بين القاعدتين نقول الأعمال من وجه شرط كمال ومن وجه شرط صحة، فهي بمجملها في جنس يسمى الجنس يعني بمعني يجب ألا يخلو إيمان المسلم من عمل إذا خلا من كل عمل اختل اختلالا كاملاً وفقد، لابد أن يكون فيه جنس عمل خاصة ضروريات الأركان والواجبات وهذا هو من وجه شرط كمال، ومن وجه شرط صحة .

تقول: يأخذ كثير من الناس في الوقت الحالي من الرؤى أحكام وحقائق غيبية لم ترد عن الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – فما هو توجيهكم لهم يا شيخ ؟

نعم هذا خطأ الرؤية الصالحة من الله – عز وجل – وهي جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة والرؤية الصالحة لها شروط أولاً أن تكون على مقتضى الكتاب والسنة وألا يغتر بها المسلم بحيث يجزم بأنها دليل، إيمانه، أو دليل صلاحه، نقول لا تكون سبب للرياء والسمعة، لا تكون استدراج إلى البدع والمحدثات فإذا الرؤية الصالحة وافقت الكتاب والسنة فهي مبشرة للمؤمن، وواجب أن تعرض على النصوص وعلى الدين فإن جاء في الرؤية أو الحلم ما يعارض الكتاب والسنة ، ما يعارض مقتضيات الدين فهو من عبث الشيطان فهو من الأحلام .

وعلى هذا فإن تقرير أمور الدين أو مصائر العباد أو الجزم بمقتضيات الرؤى الجزم هذا لا يجوز .

لكنها مبشرة مؤنسة يستأنس بها يستبشر بها قد تدل على عافية، قد تدل على إيمان قد تدل على صلاح ، قد تدلنا على مواطن أو أسباب العلاج المادي لبعض الناس، فهي من توفيق الله وتكون كرامة لكن بشرط ألا نجزم بها وأن نعتبرها نصيحة لا دليل مبشرة لا يقينية، إلا إن وافقت الكتاب والسنة ، يعني موافقة كالشمس، لا لبس فيها ، فهي جزء من الحق ، لا علاقة لها بالرائي ولا المرئي له .

تقول نرجو من فضيلتكم توضيح الفرق بين البدعة التي هي ضد الاتباع وبين السنة الحسنة الواردة في الحديث ، ويستدل بها كثير من الناس في البدع ؟

نعم هذه من القواعد التي سأشير إليها في الدرس القادم ، لكن استجابة للسؤال أشير بإيجاز أن البدعة كل محدثة في الدين، وعلى هذا ليست السنن بدع، يعني معني كلمتان متضادتان لا يمكن أن يلتقيان البدعة والسنة، لا عقلاً ولا شرعاً ولا عرفاً بأي اعتبار من الاعتبارات بل الشرع اعتبر البدعة محادة للدين تماماً من كل وجه

ليستثنى من البدع شيء ودليل ذلك قول – النبي صلى الله عليه وسلم – على سبيل التعميم (كل محدثة في الدين بدعة وكل بدعة ضلالة) وقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه رد) (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) .

فالبدعة تقابل السنة مقابلة الأضداد وهما كما يقال في تعبير بعضهم المختصين يعني الجمع بين البدعة والسنة معادلة صعبة فلا يمكن أن يلتقيان، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله في الدرس القادم .

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم – وآله، رضي الله عن صحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

بعون الله وتوفيقه نستأنف الدرس، ولنصل هذا الدرس بالدرس السابق، أحب أن أعرض بعض الأسئلة أولا على الطلاب الحاضرين، ثم بعد ذلك على الإخوة المشاهدين، وتردنا الأجوبة عبر موقع الأكاديمية.

أولاً: ذكرنا قواعد وأصول في منهج التلقي والاستدلال، فما المقصود بمنهج التلقي؟

مصادر التلقي هي الكتاب والسنة وما أجمعت عليه الأمة.

إذن المقصود بالتلقي هو الاستمداد.

نعم استمداد الأحكام الشرعية.

الدين كله بعقيدته وأحكامه أحسنت.

ذكرنا شيئا من القواعد، ما القاعدة الثانية؟

القاعدة الثانية: تقول كل ما صح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وجب قبوله والعمل به، وإن كان آحاد سواء في العقائد أو غيرها.

بمعنى كل ما صح بمعنى ثبت سنده عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن طريق العدول الثقات من قول أو فعل أو تقرير وجب قبوله.

ما معنى القبول هنا هل مجرد العمل؟

التصديق.

هذا أولاً، أول درجات القبول التصديق.

ثم العمل بمقتضاه.

نعم، ثم العمل، التصديق ينبثق منه: الإذعان والاستعداد للعمل، ثم بعد ذلك العمل والتنفيذ، لكن العمل مشروط بالاستطاعة، أما القبول والتصديق فلا يعذر به أحد، والإذعان والتسليم.

السؤال الثالث: عن القاعدة الثالثة ما هي؟

القاعدة الثالثة: أن العقل الصريح لا يتعارض مع النقل الصحيح، وإذا توهم التعارض أن يقدم النقل على العقل.

أحسنت، العقل السليم، العقل: الفطرة التي فطر الله الناس عليها لا يمكن أن يتعارض مع الدين؛ لأن الدين شرع الله، والعقل خلق الله وهذا من أمره، وهذا من قدره، ولايمكن أن يتعارض شيء من أمر الله وخلقه على الإطلاق.

إذن كما قال زميلكم: إذا توهم التعارض بمعنى أن الإنسان تصور أو بدا له أو شعر بشيء من التعارض بين المقررات عقلا التي يتوهمها وبين نص شرعي، وطبعا هناك قواعد كبيرة للجمع بين الأمرين، ستأتي في الدرس القادم، لكن لأول وهلة نقول: ينبغي أولا أن نسلم للنص اذ سلم من العوارض ثم العقل بعد ذلك سيسلم بمقتضى النص.

والآن سأوجه ثلاثة أسئلة لجمهور المشاهدين، وأرجوا أن يجيبوا على موقع الأكاديمية.

السؤال الأول: ما مصادر الدين، عموما ومصادر العقيدة على وجه الخصوص؟

السؤال الثاني: ما المرجع المأمون في فهم نصوص الكتاب والسنة؟

السؤال الثالث: جاء في القاعدة السابعة أنه يجب الالتزام بالألفاظ الشرعية في العقيدة والدين، وتجنب الألفاظ المحدثة والمبتدعة، أريد مثالا واحدا على هذه القاعدة، وكيف نطبق القاعدة عليها؟

يقول الشيخ: والآن على بركة الله نبدأ درس اليوم وقد وصلنا إلى القاعدة الثامنة، يتفضل الأستاذ معمر بقراءة القاعدة الثامنة.

بسم الله الرحمن الرحيم، (القاعدة الثامنة: العصمة ثابتة للنبي – صلى الله عليه وسلم – والأمة في مجموعها معصومة من الاجتماع على ضلالة، وأما آحادها فلا عصمة لأحد منهم، وما اختلف فيه الأئمة وغيرهم فمرجعه إلى الكتاب والسنة، وما قام عليه الدليل قبل، مع الاعتذار للمخطيء من مجتهدي الأمة).

أحسنت، هذه القاعدة بدأناها في الدرس الماضي، لكن لم نستكملها فهي تتضمن عدة فروع، بمعنى أنها تشمل عدة خطوات:

الأولى: أن العصمة في الدين بحيث لا يرد الخطأ مطلقا ثابتة للنبي – صلى الله عليه وسلم – لأنه لا يمكن أن يتطرق إليه خطأ في الدين، ولو أنه حدث منه شيء على سبيل البيان والتشريع، فإن الله عز وجل لا بد أن يسدده، وعلى هذا فإن كل ما صدر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من قول أو فعل أو تقرير فإنه على الكمال وهو وحي الله ولا يمكن أن يتطرق إليه الباطل بإطلاق؛ لأن العصمة تعني عدم ورود شيء مما ينافي الحق، ثم الأمة في مجموعها كما أسلفت في الدرس الماضي في مجموعها معصومة من الضلال، ما معنى في مجموعها؟

معنى ذلك أن الحق لا يخرج عن مجموع الأمة، نعم، قد لا تجتمع كلها على أصول الحق لكن يبقى منها طائفة على الحق، وقد يكون الحق أحيانا مع طائفة في جانب، ومع طائفة أخرى في جانب، ولا يصفوا الحق في طائفة كاملة إلا في أهل السنة والجماعة؛ لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم) فعلى هذا فإن الأمة لا تقع كلها في الباطل، لكن تقع طوائف منها في الأهواء والبدع والافتراق، وهذا لا يتنافى مع عصمتها، بمعنى حتى لو أن أكثرية الأمة وقعت في الأهواء والبدع والافتراق فلا بد أن تبقى طائفة على الحق.

ومن هنا يتبين معنى الأمة في مجموعها لا تجتمع على ضلالة وهذا نص حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – (لا تجتمع أمتي على ضلالة) أما آحادها يعني أفرادها أو حتى مجموعاتها بفرقها أو بمذاهبها قد يقع الخطأ فلا عصمة لأحد، بل أبى الله عز وجل إلا أن ترد أخطاء حتى على ألسنة وأقوال وأفعال كثير من العلماء الجهابذة الراسخين في العلم؛ ليتبين أن العصمة لا تكون إلا للرسول – صلى الله عليه وسلم – فلا يخلو عالم من خطأ أو زلة على الإطلاق، وبذلك لا يقدح في قدر العالم كما سيأتي.

فعلى هذا أن آحاد الأمة: يعني أفرادها أو جماعاتها أو مذاهبها يمكن أن يتطرق إلها خطأ فلا عصمة لأحد منهم، وما اختلف فيه الأئمة هذه قاعدة متفرعة ومهمة جدا، ما اختلف فيه علماء المسلمين بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – من الصحابة والتابعين وغيرهم نتحاكم فيه إلى الكتاب والسنة، فما وافق الكتاب والسنة على منهج الاستدلال – الذي ذكرناه – وعلى المرجعية في فهم الكتاب والسنة – كما سبق – فما وافق الكتاب والسنة فهو المقبول وغيره مردود، لكن رده لا يعني الاعتداء على المخطئ خاصة العالم بل يجب أن يبقى له حقه و يبقى له قدره واحترامه، ووقوعه في الخطأ لا يعني ذلك اختلال المنهج عند العالم، العالم الراسخ المستقيم على السنة يبقى في الأصل على المنهج، لكن مفردات أطواله جزئيات اجتهاداته قد يقع فيها خطأ.

فعلى هذا إذا أخطأ فلا بد أن نعتذر له، ولا نجعل الخطأ ذريعة إلى الطعن في ذمته، أو شحن قلوب الناس عليه كما يفعل كثير من الجهلة اليوم والحمقى، حينما يذل عالم في قضية من القضايا يشهرون به ويسقطون اعتباره عند عامة الأمة وهذا خلاف المنهج الأصلى، بل هذه كارثة على الأمة، وما كانت الأمة تسلك هذه المسالك في الأزمان القديمة إلا عندما وفدت على الأمة اليوم كثير من الأفكار التي زعزعت المسلمات والثوابت في قلوب عامة المسلمين، ومع ذلك لا يزال هذه الظاهرة الخطيرة قليلة والحمد لله في الأمة، لكن معظم النار من مستصغر الشرر فيجب أن نستدرك الأمر ولا ندع الفرصة للمشككين في علمائنا ومشايخنا في التقاط ذلاتهم وتهويلها والتهويل من شأنها.

إذن الاعتذار للمخطيء أصل شرعي، المخطيء، المجتهد في هذه الأمة لا بد أن نعتذر له، لكن أيضا لا بد أن نتنبه لشيء، وهو الحذر من ذلة العالم، العالم قد يذل وليس المقصود الذلة في بعض الفتاوى الجزئية، الذلة الخطيرة هي التي توقع الأمة في فتنة توقع الناس في شبهة، أو توقع في مفسدة عظمى، هذه هي الذلة الخطيرة، أحيانا تكون ذلة منهجية أو ذلة في فتوى تخرق قواعد الشرع القطعية، تخرق النصوص الثابتة، فالعالم عندما يكون منه ذلك كما – قلت سابقا – لا يعني أننا نخرجه من زمرة العلماء إذا توافرت فيه صفات العالم الرباني لكن أيضا نحذر أن نتبعه على ذلته، أقول هذا؛ لأن بعض الناس يفهم من احترامنا للعالم أننا نأخذ كل أقواله دون عرض على الكتاب والسنة ودون عرض على العلماء الآخرين وهذا مسلك ليس بسليم، إذًا ذلة العالم إذا كانت في أمر خطير يجب أن نعالجها بالأصول الشرعية.

أولا: كيف نعرف ذلة العالم؟

ليس لعامة المسلمين أن يحكموا على الموقف أو فتوى العالم بأنها ذلة، إنما يرجع فيها إلى العلماء الكبار، الراسخين في العلم، فإذا كان هذا الموقف من العالم أو الفتوى بمثابة الذلة وحكم عليها العلماء بأنها ذلة عالم، من هنا نقف منها على النحو التالي:

نرد هذه الذلة ولا نعمل بها ونعتذر للعالم؛ لأنه اجتهد فأخطأ.

إذن الذلة نعرفها بعرضها على الكتاب والسنة، من قبل العلماء نعرفها بموقف العلماء، نعرفها بأثرها على الأمة، إذا كان أثر يؤدى إلى فتنة أو مفسدة أو فرقة، فإن ذلك يعني أنها ذلة عالم نتجنبها.

القاعدة التاسعة: (في الأمة محدثون ملهمون كعمر بن الخطاب رضي الله عنه، والرؤية الصالحة حق وهي جزء من النبوة، والفراسة الصادقة حق وفيها كرامات ومبشرات بشرط موافقتها للشرع وليست مصدرا للعقيدة ولا للتشريع).

أحسنت، هذه القاعدة تشمل ثلاثة أمور: الأمر الأول: الإلهام وهو نوع من الفراسة، والنوع الثاني: الرؤية، والنوع الثالث: الفراسة.

كل هذه الأحوال الثلاثة تدخل في باب واحد وهو باب ما ينكشف لبعض العباد من أمور قد لا تتكشف لغيرهم، ما ينكشف لهم عبر الإلهام أوعبر الفراسة أو الرؤية الصادقة، إذا توافرت فيه الشروط ووافق الكتاب والسنة فهو حق، لكن لكل نوع حال وتفصيل:

الإلهام هو ما يلقيه الله عز وجل في قلوب بعض عباده في إدراك الحق في قضية قد تشكل على الأمة سواء كانت قضية فردية أو قضية جماعية، قضية من القضايا قد تغمض تشتبه يحتاج الناس فيها إلى أن يعرفوا وجه الحق لالتباس النظر فيها أو تعدد وجوه النظر فيها، فالله عز وجل قد يلقي في قلوب بعض العباد إدراك الحق في هذه المسألة فيسمى هذا إلهام لكن ليس عن طريق الوحي إنما هو أمر ينكشف للإنسان مما يتوافق مع الكتاب والسنة إذا توافرت فيه صفات الإيمان والتقوى وتوافرت فيه صفات الفقه في الدين إلى آخره.

إذًا الإلهام: هو فتح من الله عز وجل للعبد ليس عن طريق الوحي، إنما عن طريق التوفيق في الخروج من مقتضى الالتباس إلى البيان والوضوح.

فعمر بن الخطاب، نعم عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – اشتهرت عنه مواقف ألهمه الله فيها للحق كثيرة جدا، وقد أخذ النبي – صلى الله عليه وسلم – بكثير من آرائه في تلك المواقف التي ترددت فيها الأمة في ذلك الوقت، نعم، نعلم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – وأن الله يوحي إليه، لكن في مثل هذه الحالات أن يلقي الله الحق على قلب رجل أو لسانه هذا من باب التشريع للأمة.

وكذلك الرؤية الصالحة، الرؤيا الصالحة في الحقيقة قد تشتبه بالأحلام.

وعلى هذا فإن الرؤية الصالحة هي التي تتوافق فيها شروط الرؤية، وأهم شروط الرؤية أن توافق الكتاب والسنة وألا تتعارض مع الحق، لا تخالف مع الشرع ولا توقع في بدعة ولا ظلم ولا عدوان، فهي من المبشرات والأحلام قد تختلط بالرؤى، فإذا أخذنا ما يحلم به الناس على هذه الضوابط موافقة الكتاب والسنة، لا يكون فيها ما يخالف الشرع، لا يكون فيها بدعة لا توقع في ظلم أو عدوان إلى آخره، فهي رؤية صالحة، وإلا فقد تكون حلم، من هنا كثير ما يختلط على كثير من المسلمين الرؤى بالأحلام، ولذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – ذكر في الحديث الصحيح أن ما يراه الناس في المنامات على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: التي هي رؤيا حق.

الصنف الثاني: رؤيا عبارة عن انطباعات أو أحلام، عبارة عن نطباعات ما يحدث به الإنسان نفسه في اليقظة أو ما يسمعه ويتلقاه من الأحداث والمشاكل، فينعكس هذا على شكل أحلام، هذا على اعتبارين: رؤيا يحدث به الرجل نفسه، كما هو نص حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – .

النوع الثالث الذي ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – : رؤيا من تحزين الشيطان، يعني بمعنى من عبث الشيطان بالإنسان، خاصة إذا لم يعمل المسلم بالأسباب المشروعة لحمايته من عبث الشيطان كأن ينام بلا و رد

أو ينام على معاصي، آخر عهده بالنوم فعل معاصي أو سماع أمور لا تجوز شرعا، أو غيبة أو نميمة، أمور تحجب القلب عن حقيقة الإيمان، فإنه يتسلط عليه الشيطان فيأتيه بأحلام ويوهمه بأنها رؤى صالحة وهذا كثير في الناس.

النوع الأول: هو الحق التي وصفها النبي – صلى الله عليه وسلم – بأنها رؤيا حق، قال فرؤيا حق، قال الرؤيا ثلاث: فرؤيا حق، رؤيا الحق كما قلت هي التي توافر فيها هذه الصفات وهي أيضا على نوعين:

الرؤية الصادقة الصريحة التي تأتي كفلق الصبح لا تحتاج إلى تأويل، فمثلا إنسان رآى في منامه أنه يحفظ القرآن، توافرت في هذه الرؤيا شروط الرؤيا الصالحة، فغالبا أنه بإذن الله سييسر له حفظ القرآن أو نحو ذلك من الرؤى التي لا تحتاج إلى التأويل، ليس فيها التباس، ليس فيها أمثال تضرب إنما هي رؤيا بينة تفسيرها فيها وهذا يقع لقلة من الناس الذين تتوافر فيهم صفات العبادة والزهد والورع والمال الحلال وسلامة القلوب هؤلاء غالبا رؤاهم صادقة لا تحتاج إلى تفسير تفسيرها فيها وغالبا هذا النوع إذا تيقظ من منامه بعد الرؤيا لا يحتاج أن يفسرها؛ لأنها تفسر نفسها.

والنوع الثاني: رؤيا عبارة عن أمثال تضرب للناس برموز بأسماء بأحوال بأشكال مثلا إشارات يعرفها أصحاب الرؤى الصادقة.

ثم كذلك الكرامات تختلط الخوارق التي تكون من باب الفتنة والابتلاء وهذا أيضا مما اختلط على كثيرمن الناس، الكرامات الصالحة، الكرامات الحقيقية هي من جنس الإلهام ومن جنس الرؤى، لكن ليس كل ما يحدث للإنسان من خوارق الأمور يعد كرامة، هذه مسألة مهمة، بل أحيانا الكرامة نفسها تحدث لإنسان فإذا ما عاملها معاملة شرعية، ما تعامل معها على أصول الشرع تنقلب إلى فتنة، وذلك أن الكرامة لا تكون إلا بحق ولا تكون إلا بمقتضى الكتاب والسنة، لا تكون في تأييد بدعة ولا تأييد ظلم ولا تأييد عدوان ولا تكون أيضا من الأمور التي تؤدي بالإنسان إلى الوقوع في معصية أو بدعة، فإذا كانت كذلك فليست كرامة، فهي من خوارق ومن عبث الشيطان بالإنسان.

ثم أيضا من سمات الكرامة الحقيقية أنها تؤدي بصاحبها إلى قوة الإيمان والتواضع وأن يكره ذكرها ونشرها خوفا من الرياء، ومن هنا أعرج على ما ذكرته قبل قليل من أن كثير من المسلمين يفتن بالكرامات لعدة أسباب:

أولاً: أنها قد تأيد بدعة فيظن أنه بذلك مؤيد على حق وهو على باطل.

الأمر الثاني: أن بعض الناس إذا رأى كرامة، أو رويت له إذا صارت له كرامة أو فعلت له ظن أن ذلك دليل الولاية اللازمة والأبدية، وهذا لا يلزم ثم يشرع في نشرها والتحدث بها، والافتخارو الغرور بها؛ فيؤدي هذا إلى استدراجه إلى الباطل والبدعة والغرور والرياء؛ فيحبط عمله فتكثر عليه الخوارق التي تشبه أو تختلط بالكرامات وهي ليست كرامات.

ومن هنا يجب أن ننبه الجميع أنه ينبغي أن يعرض كل إنسان يحدث له ما هو خارق أو غريب يعرضه على مقتضى الكتاب والسنة، إن كان يفقه وإلا فيعرضه على العلماء الربانيين، ولينظر إن كانت كرامة؛ فليحمد الله عز وجل عليها، وليسأل الله التثبيت ولا ينشرها ولا يفتخر بها.

ثم أخيراً: كل هذه الأمور: الرؤية الصادقة، والفراسة، والإلهام، والكرامات، ليست مصادر للتشريع، بمعنى لا يأخذ منها دليل شرعي مستقل عن الكتاب والسنة، فهي مبشرات مؤيدات للنصوص، فإذا لم يكن الأمر كذلك فلا يعتد بها فتكون من باب الابتلاء أو عبث الشيطان ليست مصدرا للتشريع، لا يجوز الإنسان أن يعمل بعبادة أو

يستحل شيئا من الأمور المحرمة أو يحرم شيئا من الحلال بدعوى أن هذا جاءه عن طريق الإلهام أو الفراسة أو الكرامات ونحوها، فإن هذه مهالك يجب أن يحذر منها المسلم.

القاعدة العاشرة: (المراء في الدين مزموم والمجادلة بالحسنى مشروعة، وما صح النهي عن الخوض فيه وجب امتثال ذلك ويجب الإمساك عن الخوض فيما لا علم للمسلم به وتفويض علم ذلك إلى عالمه سبحانه).

وهذه أيضا من القواعد السلوكية؛ لأنه كما تعرفون العقيدة والدين كما أنه في الأمور القلبية كذلك هو منهج في أمور الحلال والحرام، وهو منهج أيضا في التعامل مع الخلق، وأظن مسألة التعامل مع الخلق هي المحك والاختبار لكثير من المسلمين اليوم، لأنه من السهل أن يدعي المسلم أنه يعرف الاعتقاد، من السهل أن يدعي أنه يعلم أشياء كثيرة في الدين، من السهل أيضا أن يرى منه أنه يباشر أعمال الإسلام الظاهرة، لكن هذا كله لا يعطينا مصداقية تمسك المسلم بدينه بقدر ما يعطينا التعامل تعامله مع الناس هل هو على مقتضى العقيدة والشرع، ومن أصول التعامل أو من أعظم أبوب التعامل مع الخلق ما يتعلق بالحوار، يعني المواقف تجاه الآخرين مع المسلم هذه لها باب آخر سيأتي في آخر الدروس، لكن هذا متعلق بتقرير الدين والدفاع عنه وهو التعامل مع المخالف أوالتعامل مع المخطيء في نصحه، وبيان الحق له، وإقامة الحجة عليه، كيف يكون؟ وهوأنه يكون بالنصيحة والمجادلة بالحسنى، ما معنى المجادلة بالحسنى؟

هذا ما سنذكر بعض الأصول فيه:

أولاً: ينبغي أن يعرف المسلم أن المراء في الدين مذموم بمقتضى الكتاب والسنة، ما المقصود بالمراء؟

المراء: صنوف كثيرة أهمها وأخطرها الجدال بغير حق، وبغير قصد الحق، الانتصار للرأي، الانتصار للمذهب، الانتصار للقوم، التشفي من المخالف، أيضا عدم الوقوف على الدليل، الذي يسمى التمادي، يعني المسلم قد يجادل ويعني يقارن الحجة بالحجة والدليل بالدليل، يسأل فيجاب، لكن إذا تعدى الأمر أكثر من ذلك بمعنى أن يعيد السؤال لغير حاجة يلح بالقضية والشبهة مرة أخرى كأنه يريد أن يصر على قوله لا يكتفي بمجرد أخذ الدليل أو الاستفهام من الدليل، بل يزيد مرة أخرى يماري يعني يكرر الكلام لغير حاجة، هذا يسمى مراء.

إذًا الكلام للحاجة بالضوابط الشرعية هذه مجادلة بالحسنى، أما ما زاد عن الحاجة وما وقع في ما نهى الله عنه من الانتصار للباطل، انتصار للهوى، عدم التوقف عن الحجة والدليل، فإن هذا يعد من الأمور المذمومة وهو المراء في الدين، أما المجادلة بالحسنى فهي مشروعة بشروطها لكن ما معنى بالحسنى؟ وما المجادلة؟

المجادلة أولا: هي النصيحة في الدين، أن تنصح لأحد فتبين له وجه الدليل، وتفهمه ما لم يفهمه إذا كنت فقيه، وأن يكون ذلك على مقتضى الكتاب والسنة، وأن يكون ذلك بقصد حسن أن تقصد الحق قصد الحق، أن تتجرد من الهوى ومن الرأي (....كلمة غير مفهومة)٢٨:٠٤، أن تتمثل قاعدة الإمام الشافعي – رحمه الله – وهي قاعدة ذهبية عظيمة هي مقتضى الكتاب والسنة يقول: "والله ما جادلت أحدا إلا تمنيت أن يجرى الله الحق على لسانه" أقسم أنه تمنى أن يجري الله الحق على لسان خصمه لماذا؟ لأنه طالب حق يتمنى أن ينقذه الله من رأي خاطيء أو اجتهاد خاطيء.

وهكذا يجب أن تكون المجادلة، تكون بالكتاب والسنة بقصد الحق التجرد من الهوى والتسليم والإذعان للدليل، إذا قال خصمك: قال الله عز وجل، وفهمت قول الله وعرفت أنه حجة في هذا الباب فتتوقف وتقول آمنا بالله، وإذا قال عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وجاءك الدليل وأنه حجة، تقول: قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في قلبي وبصري وسمعي لا أحيد عنه، تترسم ذلك قبل النقاش قبل المجادلة، أيضا عدم التعصب أيا كان، من شروط المجادلة بالحسنى ألا تتعصب وألا تنتصر لنفسك، وألا تحرص على هزيمة خصمك، لا تحرص

على التشفي كما يفعل بعض المجادلين، وإذا رأيت من خصمك استعدادا لقبول الحق فشجعه على ذلك، لا تفرح عليه لا تشعره بأنك انتصرت فتنتفخ وتنتفش، فربما يؤدي ذلك إلى رده عن الحق وحجبه عن قبول الحق.

فليتق الله المجادل وليلتزم أيضا أدب الحوار، يتكلم برفق النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول (ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه) والرفق يشمل: الرفق في العبارة، والرفق في التعامل، والرفق مع الخصم والرفق خلال عرض الحجة، الرفق أيضا بالصيغة والأسلوب، فلا يؤدِ بك الخصام إلى رفع الصوت أو اللجاجة أو التكرار لغير حاجة، وعليك بالحلم والتأدب، وأن يكون رائدك في المجادلة النصيحة، سواء للمسلم أو لغير المسلم، يكون رائدك النصيحة وهداية الآخرين، تكون حريص على الهداية، ثم تاج ذلك كله أن تكون المجادلة بعلم وفقه، لاتجادل وأنت لا تعلم.

ومن هنا أنبه إلى ظاهرة خطيرة انتشرت خاصة عبر وسائل الإعلام والإنترنت، وهي أن كثيرا من شبابنا تأخذهم الغيرة للدفاع عن الدين إلى أن يجادلوا بغير علم، وأن يخاصموا المخالفين بغير حجة ولا فقه ولا عمق، فأحيانا بل كثيرا ما يقولون على الله بغير حق، وكثيرا ما يوقعون الحق في حرج، يقولون أشياء ليست حق، يظنون أنها حق؛ لأنهم ليس عندهم فقه في الدين يستفزهم الخصم، يقعون في المهاترات، هذا كله؛ لأنهم لم يدخلوا بعلم، ظنا منهم أنه لا بد أن يدافعوا عن الدين غيرة نقول: لا من شرط الدفاع عن الدين أن تكون على علم وبصيرة والله عز وجل نهاك عن أن تدخل بلا علم والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾[الإسراء: ٣٦]، أما أن يهلك بعض الناس أن يقعوا في شبهات وبدع فالله يتولاهم، ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾[البقرة: ٢٧٢]، وثق أن الله عز وجل سيسخر من أهل العلم و الفقه والعمق في العلم من يقوم بالحجة، لكنك يجب أن تصبر وأن تحلم وأن تهيأ نفسك.

ثم أخيرا في هذه القاعدة أقول يجب أن يكون المسلم متجرد، لا عن الحق كما يفهم كثير مع الأسف من الكتاب والباحثين الذين ظنوا أن التجرد تجرد عن الحق، لا، الذي يملك الحق وهو المسلم لا يجوز أن يتجرد على الحق، لكن يتجرد عن الهوى، وهذه مسألة مهمة جدا؛ لأن بعض الناس يظن معنى التجرد ألا يكون له عقيدة ولا رأي، لا هذا خطير قد يوقع في الردة، بل يجب أن تلزم عقيدتك ومسلمات دينك ويكون المحتكم هو الشرع في جميع أمورك فلا تتخلى عن دينك بدعوى التجرد، إنما المقصود بالتجرد التجرد من الهوى بالتزام ثوابت الحق ومسلماته التجرد من الرأي المسبق، البحث عن الحق من خلال الدليل، ولا تبحث عن الدليل الذي يؤيد ما في نفسك، تقع في الهلكة، الكثير ممن يجهلون هذه القاعدة تجده في نفسه شيء يميل إليهت عنده رأي يقلد جماعة أو حزب أو شيخ أو عالم يؤسس في نفسه هذا التقليد فيذهب ليستدله، هذا خطأ بل انحراف، بل يجب أن يكون رائدك البحث عن مواطن الحق في ثنايا الدليل، وأن تتجرد تجردا كاملا عن أي فكرة سابقة إلا الثوابت نتكلم الآن عن الاجتهاديات إلا الثوابت الثوابت لا نتجرد منها أما ما عدا ذلك فيجب أن يكون البحث عن الحق من خلال الدليل لا البحث عن الدليل الذي يؤيد الرأي فإن الإنسان يهلك في هذا، الله عز وجل يقول ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[ص: ٢٦]، يضلك حتى ولو بحثت عن الدليل لأن الله عز وجل يقول ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾[آل عمران:٧]، وهو القرآن قد يكون كما هو هدى وعصمة لمن وفقهم الله عز وجل لمن واتبعوا السبيل الرشيد كذلك هو عمل وهلاك لمن أخذه على غير وجهه.

اقرأ القاعدة الحادية عشرة.

القاعدة الحادية عشرة: (يجب الالتزام بمنهج الوحي في الرد كما يجب في منهج الاعتقاد و التقرير، فلا ترد البدعة بالبدعة، ولا يقابل التفريط بالغلو ولا العكس).

أيضا هذه قاعدة منهجية عملية تطبيقية، لكني لعله من المفيد أن أعيد الإخوة المشاهدين إلى مسألة نسيتها: وهي مهمة جدا إتماما للقاعدة السابقة العاشرة وهي: ما الأشياء التي أمرنا بالإمساك عنها؟

فيه أشياء كثيرة أولا: أي شيء من الدين لا علم لنا به يجب الإمساك عنه، أي شيء من الدين صغير أو كبير لاعلم لك به يجب ألا تخوض فيه بغير حق، بل تأثم أشد الإثم حتى وإن كان دافعك الغيرة، أو البحث عن الحق، إن كنت لا تملك آلية البحث عن الحق فيجب أن تمسك عن كل ما لا تعلمه من أمور الدين، وما أجرأ الناس اليوم على خرق هذه القاعدة، كنا نعهد في سنين ليست بالبعيدة أن عامة الناس والشباب وغيرهم إذا تكلم أحد في الدين وجدنا عندهم هيبة في القول في الدين يتطلعون إلى رأي العالم يتطلعون إلى طالب العلم، إذا ما منهم عالم قالوا: ياجماعة هذه نسأل عنها العلماء الآن انعكس الأمر في كثير من المجالس لا بأس أن نذكر أمراضنا التي نعالجها في كثير من المجالس الخاصة والعامة تجد الناس جرءاء على الدين، وقد تثار قضايا كبار احتار فيها واختلف فيها كبار الأمة في عهد الصحابة إلى يومنا هذا، وإذا طرحت في بعض المجالس تجد الرويبضة قليل العلم قليل الأدب هم الذين يسبقون الحاضرين فيها وتجد له رأي دون تبصر بل أحيانا يسيطر على الموقف بحيث يعادي ويوالي على رأيه، في قضية كبيرة تجد العلماء لا يزالون يبحثون فيها، فلا عن القضايا المعاصرة والنوازل التي نزلت على الأمة وتحتاج مثل الأحداث الكبرى وقضايا الطب وقضايا العلم الحديث قضايا المشتبهات الوسائل المدنية الحديثة ما الموقف منها الاقتصادية وغيرها، هذه أمور كبار نجد أن الناس جرءاء فيها ولا يرجعون إلى أهل العلم فيها، ولا يحترمون أهل العلم فيها فهذا قول على الله بغير علم وهو مما يعني وقوع فيما نهى الله عنه وعدم امتثال أمر الله في الإمساك عن الخوض فيما لا علم للمسلم به، ومن ذلك القدر والغيبيات كل أمر غيب يجب ألا تتكلم فيه بغير علم عندك دليل تكلم فيه، ما عندك دليل هو غيب غائب عنك عن جميع مداركك ومعنى الغيب هو غائب عن جميع الحواس والمدارك، ما كان في متناول الحواس والمدارك والعلم التجريبي أو المشاهدة فليس بغيب.

من هنا الغيب هو ماغاب عنك مما أخبر الله عنه أو أخبر عنه الرسول – صلى الله عليه وسلم – يجب الوقوف فيه على قدر النصوص، ولا يتكلم فيه الإنسان بغير علم.

كذلك قضايا المناهج الكبرى قواعد الدين، قضايا العقيدة الأصول الثوابت المسلمات، هذه تأخذ على التسليم ولا تناقش، لا، لأن المسلم محذور أن يفكر بعقله، لكن لأن الله أراحه، ومما أنعم الله به على هذه الأمة أن الله عز وجل أراحها من أن تتكلف البحث عن أمور لا تطيقها منها أمور العقيدة والغيبيات.

نعود إلى القاعدة الحادية عشرة: وهي سهلة تطبيقية، أنه كما يجب الالتزام في منهج الوحي في التأصيل وهو التزام الدليل ومصادر الكتاب والسنة بالتزام المنهج الذي ذكرته قبل قليل في الجدال والمراء والمجادلة بالحسنى، كذلك كما يجب هذا في التأصيل والعلم والفقه في الدين، كذلك يجب في الرد، لماذا قلنا هذا؟ لأن بعض الناس قد تجده عند التقرير والبيان يخرج من سمته ويستعمل ردود الأفعال قد يعالج الغلو بالتفريط، فإذا رأى الناس تشددوا أو غلو راح يتساهل في الدين كما يفعل المسئولين الآن عبر كثير من الوسائل، لما رأو بعض طوائف الأمة نزعوا إلى الغلو والعنف راحوا إلى الطرف الآخر المعاكس؛ فميعوا الدين، وأضاعوا معالمه بدعوى حرب الغلو فهذا خطأ في الرد.

إذا أردت أن ترد على الغلاة فرد عليهم بمنهج الاعتدال، وكذلك العكس هناك من راح يعالج مظاهر الانفلات، ومظاهر التميع في الدين، مظاهر التساهل بالغلو الذي نتج عنه التكفير والتفجير زعما منهم أن هذا هو الرد الحقيقي الذي نرد به الباطل، وهذا كله خروج عن منهج الإسلام منهج الاعتدال؛ ولذلك نجد كلا الفريقين الذين شطحوا في الرد بالمنهج هذا أو ذالك كل منهم أساء إلى الإسلام؛ فتشوشت مفاهيم الأمم تجاه الإسلام اليوم،

تشوشت مفاهيم حتى كثير من المسلمين عامة المسلمين وناشئتهم تشوشت مفاهيمهم تجاه اعتدال الدين ووسطيته؛ لأنهم يرون المنهج الخاطيء في الرد.

فلا يرد البدعة ببدعة، ولا يرد الغلو بالغلو، ولا يرد الإفراط بالجفاء أو التفريط بالجفاء، يعني مثلا الذين يردون البدع التي أحدثها الناس في حق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد يكون عند بعضهم شيء من الجفاء في حق النبي – صلى الله عليه وسلم – فهؤلاء وقعوا في خطأ خطأ شنيع، والأنموذج في هذا أن يكون المسلم معتدل في محبته لله ومحبته للنبي – صلى الله عليه وسلم – محبته للخير والايرد بدع الناس التي ابتدعوها في الدين ببدع مقابلة أو بنحوه، ولا يقابل التفريط بالغلو ولا العكس، ثم ننتقل إلى القاعدة الثانية عشرة.

القاعدة الثانية عشرة: يقول شيخنا – حفظه الله – (كل محدثة في الدين بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار).

نعم هذه أيضا من القواعد الكبرى العظيمة التي يحتاجها المسلمون دائما في كل زمان وفي هذا الوقت بشكل أكبر لماذا؟ لأن الجهل بهذه القاعدة وعدم تحكيمها وهي قاعدة متقنة محكمة أدى بكثير من المسلمين إلى الوقوع بأنواع البدع: البدع الاعتقادية، البدع في العبادات، البدع في المناهج، البدع في التعامل، البدع في السلوكيات إلى آخره، مع أن أغلب البدع، أو الأصل في البدع أنها تكون في العقائد والعبادات، أغلب أمور السلوكيات والأخلاق والتعامل تحكمها المصالح العامة، وتعتبر من الأمور التي الأصل فيها الحل والإباحة، وسائل الحياة وأمور التعامل والأخلاق، وكذلك تناول ما يسره الله عز وجل للعباد من خيرات الأرض وما فيها من كنوز كل ذلك الأصل فيه الإباحة، وقل أن يدخل فيه الابتداع إنما الابتداع يكون في العقائد وفي العبادات وفي الأعياد وتدخل فيه الاحتفالات، هذا أغلب الابتداع الذي وقعت فيه الأمة ولا تزال تقع، مع أن المتأمل لأحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم – التي جاءت لحماية الأمة من البدع يجدها من أقوى الأحكام، ومن أقوى القواعد في وضوحها وإحكامها وفي سد منافذ الفهم الخاطيء فيها، يعني جاء التحذير من النبي – صلى الله عليه وسلم –، عن البدعة على وجوه متعددة من الألفاظ المحكمة الموجزة المتقنة التي لا يمكن أن تتأول ولا تخترق، وهذا فيه إشارة إلى أن الأمة سيكون فيها من يقع في البدع مجمل ومفصل، جاء محكم، جاء بين لا لبس فيه يعني يتصف عند المتخصصين بالحدية، حدي لا يمكن تجاوزه، وسأضرب لكم الأمثلة.

أولاً: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – نص على(أن كل بدعة ضلالة)، ثم أضاف عبارة في لفظ آخر ودائما عبارات النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا تعددت فهي تشمل معانٍ تعدد الألفاظ يدل على تعدد المعاني وإحكام الأمور، فالنبي – صلى الله عليه وسلم –

ورد عنه في هذه القاعدة عدة ألفاظ منها قوله – صلى الله عليه وسلم –(كل محدثة في الدين بدعة) أنظر إلى الإحكام عبارات محدودة بينة لا لبس فيها ولا غموض جامعة مانعة.

النبي – صلى الله عليه وسلم – من خصائصة أنه أوتي جوامع الكلم، الكلمات تشمل ملايين المعاني والمفردات في ثلاث عبارات، (كل محدثة في الدين بدعة).

أولاً: كلمة كل ماذا تعني؟ ثم قال (كل محدثة) بعض الناس قد يقول: إن هذا يعني المحدثات عموما، لا (كل محدثة في الدين) قال: بدعة.

ومن هنا أحب أن أنبه طلاب العلم خاصة من الغفلة أحيانا البحث عن تعريفات البدعة، تعريف الناس للبدعة مع أن النبي – صلى الله عليه وسلم – عرفها تعريفا جامعا شاملا كاملا لا مزيد عليه، ولذلك أرى أن نقتصر على هذا التعريف.

إذًا قيل ما البدعة؟ نقول: (كل محدثة في الدين بدعة) هذا نص حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – ونستريح من الخلافات في البدعة، هذا أمر الأمر الآخر النبي – صلى الله عليه وسلم – أيضا زيادة في بيان أن البدعة كلها مذمومة، قال: (وكل بدعة ضلالة) حتى لا يأتينا من يتحزلق ويقول لنا:

إن هناك بدعة حسنة، أو بدعة هي فيها هداية، أو فيها خير، كيف تكون بدعة حسنة والنبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: (وكل بدعة ضلالة)، مطلقا تشمل ملايين المفردات أيضا نجد هذه المسألة أحكمت في نصوص أخرى، مثل قول النبي – صلى الله عليه وسلم – وهذه النصوص متواترة قول النبي – صلى الله عليه وسلم – (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) لاحظوا كيف (من أحدث في أمرن) ما أمرنا؟ هو أمر الدين ما ليس منه –من أمر الدين– ما لم يأتِ منه مما جاء به النبي – صلى الله عليه وسلم – فهو رد: يعني مردود على صاحبه.

والرد: كلمة حازمة انظر كيفية اختيار العبارة فهو رد: مردود لا يمكن قبوله اعتقادا ولا قولا ولا عملا، وأيضا لما ورد احتمال أو قد يرد، لما كان قد يرد على أذهان بعض الناس احتمال تأويل الكلمة جاءت بلفظ آخر، قال (من عمل عمل) الأولى: من أحدث في أمرنا، والثانية: قال: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد، فهذا يعني جميع العمل: عمل القلب، وعمل الجوارح، وتعرفون أن من أصول السنة القطعية أن الإيمان اعتقاد، وقول، وعمل، وعلى هذا قول النبي – صلى الله عليه وسلم –(من عمل عمل ليس عليه أمرن) يشمل الأعمال القلبية الاعتقادية، وأحوال القلب، ويشمل القول، ويشمل الأفعال التي هي العبادات ونحوها مما هو من البدع.

نخلص من هذا أنا إذا رددنا هذه القاعدة إلى قواعد أخرى صارت أكثر إحكاما من القواعد الأخرى التي قلنا فيها أن مصدر الدين ما هو؟ الكتاب والسنة، ثم قلنا: إن الله أكمل الدين لا يحتاج إلى زيادة ولا إلى نقص، وكمال الدين يتنافى مع إحداث بدع كمال الدين يتنافى تنافيا قطعيا عقلا وشرعا وعرفا وعلى مقتضى الفطرة، والواقع يتنافى إذا قلنا أن الدين كامل هل يعقل أنا نقبل بدعة في الدين أو حدث في الدين أو نقص أو زيادة، إذن مادام الله عز وجل أكمل الدين فتأتي مسألة أخرى وهي أيضا أن الله قد تكفل بحفظ الدين وجعله ظاهرا؛ لأنه قد يقول إنسان جاهل أو متحزلق أو منافق نعم، أكمل الله الدين لكن الناس أضاعوا الدين، نقول: إذا كان بعض المسلمين أضاعوا بعض العمل بالدين فلا يعني أن الدين بذاته ضاعت معالمه؛ لأن مصادره محفوظة، وأن الله عز وجل كما أكمل الدين تكفل بحفظه وجعل نبيه – صلى الله عليه وسلم – خاتما للأنبياء، لألا يحتاجوا الناس إلى نبوة، وإذا احتاجوا إلى شيء جديد للدين يبتدعونه لاحتاجوا إلى نبوة؛ لأنه لو فتحنا باب الإحداث في الدين كل إنسان سيذكر من الدين ما يحلوا له، ما يميل إليه قلبه وعاطفته ورغباته حتى وإن سماه دين يدخل الشيطان على الناس، وكل يدعي أن ما يعتقده ويقوله مما لم يرد في الكتاب والسنة ويفعله ويهواه أنه دين لا سيما أن الشيطان دخل على أهل البدع مدخل خطير، وهو أنه دخل عليهم بدعوى أن ما يحدثونه يدخل في نصر الدين أو في تأييد الدين، فمثلا بدع الاحتفالات بزعم منهم أنها محبة لمن يحتفلون في حقه من الأنبياء والصالحين، وهذا مدخل للشيطان خطير التبرك الاحتفاء بالأشخاص والأشياء على أكثر مما ورد به الشرع يأتي باسم محبة أولياء الله، فيأتي باسم التدين.

ومن هنا أكبر خطر في الابتداع أنه يأتي باسم التدين باسم التعبد الإلهي بأشياء، أو محبة الله عز وجل، أو محبة رسوله – صلى الله عليه وسلم – أو محبة أولياء الله، وهذه مداخل خطيرة، مع أن الله عز وجل وفى من الأحكام والأفعال والاعتقادات في هذه الأمور ما لا يمكن أن يحتاج الناس بعده إلى شيء من الدين.

إذن فلا يمكن لأحد أن يحدث شيئا ويزعم أنه من الدين بحال من الأحوال وعلى هذا سيأتي –إن شاء الله– من خلال الدروس القادمة نماذج لمثل هذه الأمور من البدع وغيرها ترد على مقتضى الكتاب والسنة ومقتضى هذه القاعدة، نسأل الله الجميع التوفيق والسداد وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين.

نبدأ في استقبال الأسئلة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: ذكرتم فضيلتكم في قاعدة الإلهام والفراسة والرؤى، أن الإلهام قد يقع لبعض الناس مثلما وقع لعمر بن الخطاب – رضي الله عنه وأرضاه –، ذكرتم فيما بعد أن عموم قول النبي – صلى الله عليه وسلم –(كل بدعة ضلالة) وقول عمر في صلاة التراويح: "نعمت البدعة هذه"، ما رأي فضيلتكم في هذا .

هذه مسألة مهمة وكثيرا ما تسأل، نأخذها بالقاعدة أولاً:

صلاة التراويح ألم يصلها النبي – صلى الله عليه وسلم –

ثانياً: حينما تركها النبي – صلى الله عليه وسلم – ألم يتركها لعلة ظاهرة، ما العلة؟ خوفًا أن تفرض، لكن بعدما مات النبي – صلى الله عليه وسلم – هل يعقل أن تفرض؟

كلام عمر "نعمت البدعة" إن صح فهو من باب المشاكلة في الألفاظ وهذا يوجد في ألفاظنا كثير، من باب التنزل موجود في الخطاب عند العلماء والأئمة وغيرهم لا يعني أنه يمدحها على أنها بدعة، لكن كأنه يقول للسائل مادمت تدعي أنها بدعة فنعمت البدعة، فنعمت البدعة؛ لأن أصلها موجود في الشرع.

فالبدع قد يسمى ابتداع لغة، لكن ليس هو البدعة المصطلح عليها التي نهى النبي – صلى الله عليه وسلم – عنها لا يجد أهل البدع إلا مثل هذا الدليل الدليل مشتبه فهل نستدل بمشتبهات؟

وردت كثير من الإجابات لعلي أعرضها كما هي لتعلق عليه.

بالنسبة للسؤال الأول: ما مصادر الدين عموما والعقيدة خصوصا؟ وردت إجابات كثيرة بأنها الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، وأخر قال: الكتاب، والسنة، والإجماع فقط، وأخر أخرج القياس أن يكون مصدرا للعقيدة، وآخرقال: الرجوع إلى العلماء الربانيين الذين رفعهم الله بعلمه.

الإجابات في مجملها متقنة وجيدة، ويبدو أن التي أجابت وذكرت القياس اختلط عليها الاجتهاد في الفقه والأحكام الاجتهادية والعقيدة، سبق أن قررنا في الدروس السابقة أن العقيدة توقيفية قطعية لا مجال للاجتهاد فيها، فمن هنا لا يرد القياس، نعم القياس يعتبر من وسائل الاجتهاد وليس من المصادر أيضا تسميته مصادر، مصدر تسميته فيها تجوز حتى في الأحكام نوع من التوسع في الاصطلاح وإلا فالقياس لا يرد في العقيدة؛ لأنها ليس اجتهادية.

وعلى هذا فإجابات الإخوة متكاملة، والذين قالوا الكتاب والسنة أجابوا إجابة جيدة، والذين أضافوا الإجماع كذلك إجابتهم جيدة، ولا تنافي بين الجوابين؛ لأن الإجماع مبني على الكتاب والسنة كما قررنا سابقا.

أحسن الله إليك ياشيخ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، البدعة ذكرت أنواع ومن تعريفها أنه الشيء الذي لم يكن في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – هل الأشياء المخترعات تعتبر بدعة ومن أي نوع من البدع؟

ما يتعلق بالمخترعات وغيرها وسائل الحياة ليس فيها بدع بل ينبغي للمسلم دائما أن يأخذ بأحدث وسيلة تخدم حياته ودينه، إذا لم تتعارض هذه الوسيلة مع غايات الشرف إذا انطبقت عليها الشروط.

البدع إذن لا تكون إلا في العقائد، العبادات، والاحتفالات البدعية ونحوها ما يتدين به الناس، المخترعات والمصنوعات ووسائل الحياة ومناهج التعامل مع الآخرين إذا التزمت أصول الشرع هذه الأصل فيها الإباحة مطلقا، وكل مستجد فيها يفيد يجب الأخذ به بضوابطه الشرعية، لا تسمى بدع؛ لأن البدع لا تكون إلا في الدين، في العقيدة في العبادة فيما يلحق بذلك من الأعياد والاحتفالات ونحوها، والمناهج القطعية في الدين هذه هي التي يكون فيها الابتداع، أما الحياة وسائلها مناهج الحياة البحتة الاقتصادية وغيرها فالأصل فيه الإباحة بشروط الشرع، وما يستجد منها لا يعتبر بدع في المصطلح الشرعي.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، قال الشيخ: إن الكرامة تقع من أهل البدع هل عند الشيخ أمثلة من التاريخ على هذا الشيء، لأن هذه فتنة؟ الأمر الثاني: ما الأمر على أن الكرامة لا ينشرها بين أحبابه وزملائه لا يدخل فيها الرياء ولكن فتح الله عليه هذا الشيء؟.

أما الكرامة التي أشار إليها الأخ الكرامات تختلط أحيانا بالخوارق التي فيها فتنة فمثلا إنسان دعى عند قبر اعتقادا منه أن الدعاء عند القبر يكون مجاب بناء على تعلق قلبه بصاحب القبر هذا قد يجاب فتكون هذه ظاهرها الكرامة وهي استدراج قد ينتفع بمثل هذا العمل انتفاعا يكون أحيانا خارق للعادة كأن يشفى من مرض معضل، أو مثلا يحدث له شيء لم يكن يحدث للعادة من جلب نفع أو دفع ضر ويكون هذا من باب الابتلاء؛ لأن الله تعالى وكله إلى ما فعل وخسر دينه ويكسب ما يريد من متاع الدنيا، أما كون الكرامة لا تنشر فلأن هذا نهج السلف الصحابة – رضي الله عنهم – كانوا يكرهون وهو سبيل المؤمنين كراهية أن تنشر الكرامة من سبيل المؤمنين كانوا يكرهون ذلك، ولأن هذا يجده أي إنسان نوع من التورع وأحواله القلبية على مقتضى الشرع يجد أنه إذا تحدث عن كرامته تميل نفسه إلى الغرور تميل إلى الرياء، وما دام أكرمه الله بكرامة فينبغي أن يحفظ ما بينه وبين ربه، أما الحديث عن الكرامة يكون أحيانا من باب الاتعاظ أو من باب تبشير الناس بالخير أو من باب الفائدة للآخرين المتحققة فهذا يكون بقدر بضوابطه الشرعية.

السلام عليكم يا شيخ عندي سؤالين: السؤال الأول: البدعة عموما معناها؟

السؤال الأول: كان عن مفهوم البدعة وقد تحدثت عنه، البدعة: هي كل محدثة في الدين في العقيدة والعبادات والأمور التي تعبد به الخلق مثل الاحتفالات البدعية وغيرها كل هذا ما تدين به الناس مما لم يرد به الشرع فهو بدعة وعلى هذا فإن وسائل الحياة لا تدخل في التدين، وسائل الحياة من المباحات الأصل فيه الإباحة ولا تدخل في البدعة.

السؤال الثاني: وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي، ما معنى أغتال من تحتي؟

أما عبارة يغتال من تحتي، فمعناها ألا يأتيني أذى من تحتي، من أذى الجن والشياطين، وغالبا يكون أذى الجن والشياطين يكون من تحت الإنسان هذا هو الغالب، كأنه يستعيذ بالله عز وجل أن يأتيه هذا الأذى الأغلب على هذا النحو.

ما موقف العامي من البدعة وأهلها؟

أما موقف العامي من البدعة كما سأل السائل عليه أن يبتعد عن البدعة، وأن يبتعد عن أجواء البدعة وعن مخالطة أهل البدعة في بدعهم، وأن يناصح بإجمال ولا يدخل في التفاصيل، وأن يرجع إلى العلماء في هذه الأمور، أهم مسألة في موقف العامي مما يخالفه الناس اليوم وكثير من المسلمين أن بعض العوام والعامي لا يعني مجرد الذي لا يقرأ ولا يكتب، العامي هو من لا فقه له في الدين، وإن سمى نفسه متعلم، لأن العامية أحيانا تطلق على من هو متعلم لكنه عامي في أمور الدين، فهذا عليه ألا يوقع نفسه فيما يحرجه شرعا، يعني إذا رأى

بدعة إن كان ينكرها إنكارا مجملا ولا يتشابس مع أصحاب البدع بالحوار وهو لا يفقه أو لا يعلم ولا يتشابه أيضا باستعمال الأساليب التي فيها قسوة وعنف، فإنه لا ينبغي بل لا ترد البدعة بالعنف، فالعامي عليه ألا يقع في اشتباك يوقعه في حرج ويخرجه من الأدب، لكن أيضا عليه أن يبتعد عن مواطن البدع، حتى لا تصله العدوى.

قلت قبل قليل أنه ليس هناك بدعة حسنة.

نعم هذا قول النبي – صلى الله عليه وسلم – وليس قولي.

ما كان من الخط البني المحاذي للحجر الأسود بعض العلماء يقول أنه بدعة حسنة، أو ما كان مثل مشاريع إفطار صائم أو ما لم يكن موجود على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو أمر ناصح للأمة هل هذا يقال له بدعة أو لا؟ والواضح أنه أمر نصح للأمة؟

أما البدعة الحسنة فالوسائل التي ذكرها السائل ليست من باب البدع شرعا ولا اصطلاحا، مثلا وسائل المضرات الأعمال الخيرية ووسائل الدعوة إلى الله عز وجل العمل الخيري المرتب الذي يحمل وسائل متعددة يستخدم التقنيات الحديثة ونحو ذلك هذا كله يدخل في باب الوسائل العامة في باب المباحات العامة، ليست هذه من باب التدين بل هي من باب الوسائل، باب الوسائل إذا توافرت فيه الضوابط الشرعية كله مفتوح، فأنا أقول ما ذكره السائل لا ينطبق على مفهوم البدعة؛ لأنه داخل في الأمور الدنيوية البحتة.

أخونا من المغرب يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، سؤالي: ما مدى صحة قول "إذا تتبعت ذلة العلماء اجتمع فيك الشر كله".

نعم هذه مقولة لا بأس بها نعم؛ لأن الإنسان الذي يتتبع الذلات سواء من باب الفتنة بها، أو من باب النقد، أو من باب التعلق بها، وأخذها هذا لا شك أنه يهلك؛ لأن الذلات هي أخطاء، فالإنسان الذي سيأخذ بالأخطاء منهجا له أو للشماتة بالعلماء لا شك أنه يهلك نسأل الله العافية.

الأخ يسأل هل الإلهام يعتبر من التشريع؟

إلهام النبي – صلى الله عليه وسلم – من التشريع أما ما بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – فالإلهام لا يدخل في التشريع إنما الإلهام إذا توافرت فيه الشروط الملهم يوافق ما يرد إليه يوافق الكتاب والسنة.

فعلى هذا نظرا لأن الإلهام حده غامض، إذا كان ما يحدث للإنسان من إلهامات يوافق الكتاب والسنة فهو من توفيق الله ويدخل في باب الإلهام، أما إذا خالف الكتاب والسنة فليس إلهاما إنما هو من عبث الشيطان.

هل كل من وقع في بدعة يحكم عليه أنه مبتدع أم أن هناك ضوابط شرعية تطبق على من وقع في البدعة؟

أحسنت وهذا أيضا مما يحتاجه طلاب العلم بخاصة وعموم المسلمين بعامة، وهو أنه إذا رأينا إنسانا مسلما وقع في بدعة قولية، أو اعتقادية، أو فعلية، أو مارس بدعة من البدع في منهجه في الحياة، هل يحكم عليه أنه مبتدع لأول وهلة؟ نقول: الأصل هذا يرجع إلى أن البدعة أو البدع إذا كانت منهجا للشخص بمعنى أنه ينهج نهج المبتدع في الاستدلال وفي الممارسات وفي العبادات أو يعتقد صحة مناهجهم فهو مبتدع، وإن قلت عنده البدع العملية الظاهرة؛ لأن كثيرا من الناس تطبيقاته لأمور الدين قليلة، لكنه يعتقد ينحى منحى أهل البدع ينتسب إلى فرقة، ويأخذ بمنهجها فهذا يعتبر مبتدع بناء على المنهج الذي يسلكه ويلتزمه.

الصورة الثانية: فيما إذا رأينا إنسانا يعمل ببدعة أو بدعا قليلة وهذه البدع ليست من البدع المكفرة المخرجة من الملة، وهي أكثر ما عليه المسلمين، المبتدعة من المسلمين بدع غالبا غير مكفرة، إذا رأينا إنسانا يعتقد أو يقول أو يفعل بدعة ولا نعرف حاله لا نصفه بالابتداع ابتداء، لأنها قد تكون ذلة كما ذكرت في الحديث السابق قد تكون ذلة أو جاءت عن تأول أو جهل أو تقليد من غير تبصر، أو عن اشتباه، فلا نحكم على من يقع في بدعة أو بدع قليلة لا نحكم عليه حتى نرى منهجه، فإذا كان ينهج نهج البدع في الاعتقاد والمنهج العام يخالف السنة في المنهج فهذا مبتدع وإذا لم يخالف السنة فهو ليس مبتدع، وإذا لم يخالف السنة فليس مبتدع.

هناك صورة ثالثة: وهو إذا كان الإنسان يدعي أنه ليس على منهج البدعة ولا نعرف عنه عقيدة أو قولا يدل على أنه ينهج نهج المبتدعة، لكنه يمارس بدع كثيرة هي الظاهرة على سلوكياته في تعبده في معاملاته في سمته في شكله الظاهر في تشبهه، فهذا الإنسان الذي يظهر على مسلكه العام البدع المتكاثرة فهو مبتدع، حتى لو ادعى أنه لا ينهج نهج المبتدعة، إذًا إذا تكاثرت البدعة أو صار الإنسان على منهج أهل البدع فهو بدعي أما إذا كانت البدعة قليلة عنده لا يوصف بالابتداع بل يقال هذا وافق المبتدعة، يقال هذه ذلة يقال خطأ وينصح ويبين له وجه الخطأ.

لماذا لا يجمع العلماء على العقيدة مع عظم شأنها وخطورتها ووضوح الأدلة فيها بخاصة كون العلماء قد يسمع لهم وقد وفق الله جل وعلا بلاد الحرمين بتهيئة مجمع الفقه وبناء صرحه فلماذا لا يجمعون ويريحون الأمة ويسكتون من لهم انحرافات عقدية كالخوارج وغيرهم، وبخاصة أن القرآن نص على طاعة أولى الأمر وهم العلماء والأمراء بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾[النساء: ٨٣]، وكذلك آية التنازع وفيها الرد إلى الله ورسوله وإلى أولي العلم ؟

أحسنت هذا السؤال يتضمن عدة نقاط، لماذا لا يجمع العلماء على العقيدة؟

هذه الحقيقة تحتاج إلى تعديل، المعروف سلفا ومن ثوابت الأمور ومسلماتها أن علماء السنة كلهم منذ عهد الصحابة إلى عصرنا هذا متفقون على أصول الدين وثوابته ومسلماته، وهي ليست مجرد دعوة بل هي حقيقة وهي الواقع وهي مقتضى حفظ الدين، وبقاء طائفة على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من آذاهم وهي مقتضى قول النبي – صلى الله عليه وسلم – (لا تجمع أمتي على ضلالة) من مقتضيات تطبيق هذه النصوص والقطعيات أنه فعلا أصول السنة العقيدة ثوابتها مسلماتها أصول الاعتقاد مناهج الدين العامة متفق عليها عند أئمة السنة، ومن خالف من أفراد العلماء في أصل من هذه الأصول، فمخالفته ليست محسوبة على الجميع بل هي ذلة عالم مع أنه يندر هذا من باب الاحتياط، وإلا حسب استقرائي لا أجد أن عالما من علماء السنة المعتبرين الراسخين في العلم خالف في أصل من أصول الاعتقاد، ولا في مسلمة من مسلمات الدين، ولا في ثابتة من ثوابته ولا في منهج من مناهجه بحمد الله وهذا أمر ضروري ومجرد استقراء فلان أو فلان أمر ضروري في الدين.

إذًا الثوابت محفوظة ولا خلاف عليها يبقى ما يندرج أحيانا تحت الثوابت تحت العقيدة، وليس من العقيدة يكون عليه خلاف، ويظن الناس أنه عقيدة وليس بعقيدة، هذا الخلاف فيه يرد بأنه ليس من قطعيات الدين لكنه يلحق بالناحية والموضوعية العلمية فقط، يعني مثلا علماء السلف اتفقوا على رؤية المؤمنين لربهم في الجنة يوم القيامة – نسأل الله أن يجعلنا جميعا منهم – هذا إجماع، لكن اختلفوا في مسألة رؤية النبي – صلى الله عليه وسلم – لربه في المعراج هل هي عينية أو بصرية، الاختلاف في هذه الجزئية من الرؤية لا يعني الاختلاف في الأصل القطعي، وهذا تجده في الشفاعة، تجده في أركان الإيمان، في أركان الإسلام، في أمور كثيرة الأصول القطعية متفق عليها، ما يتفرع عنها أحيانا يلحق بها من الناحية العلمية لكن لا يلحق بالناحية التطبيقية، يكون

عليه خلاف؛ لأنه من الاجتهادات والتي اختلفت فيها النصوص، لكن لماذا العلماء لا يتفقون على بعض النوازل؟ فلعل هذا من رحمة الله بالأمة، كيف نتصور لو أن المجامع الفقهية أو مجالس العلماء أو هيئة كبار العلماء عندنا في هذا البلد وفي غيره من المجامع التي تجمع مجموعات من علماء الأمة، لو أنهم اتفقوا كلهم على أمر واحد لوقع الأمة في حرج شديد، أقصد في الاجتهادات، هذا فيه الخير الكثير، وموقف أفراد الأمة ولأنه ينشأ عن هذا سؤال ضروري كأنه في ذهن أكثر المشاهدين، وهو أنه إذا قلنا من الخير أن يختلف العلماء في الاجتهادات؛ لأن هذا فيه سعة على الأمة، لكن كيف نتعامل؟ نحن العامة نتعامل مع اختلافات العلماء بأن نعمل بالضوابط الشرعية نتبع من نرى في تقديرنا أنه الأعلم والأحوط في علمه والأقرب إلى الدليل، بدون تشهي ولا أهواء وقد نختلف، فقد يرى منا أن هذه المواصفات تنطبق على العالم فلان وآخر يرى أن هذه المواصفات تنطبق على العالم فلان، وهذا حدث في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – نفسه مما يدل على أنه تشريع عندما أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – الصحابة أن لا يصلوا العصر إلا في بني قريظة وهم قبل العصر منهم من أسرع يعني باذلا جهده من أجل في أن يصل قبل غروب الشمس من أجل أن يصلي، ومنهم من فقه فقها آخر قال: قصد النبي – صلى الله عليه وسلم – الحث ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، فلما حضر وقت الصلاة – صلوا وهم في الطريق؛ لأنهم تأولوا تأولاً صحيحا؛ لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – أقرهم جميعا، وكان هذا فيه توسعة؛ لأنهم لو أخذوا برأي واحد وقعوا في حرج شديد.

فهكذا بقية ما يقع من العلماء من اختلافات فهذا فيه خير كثير ولو أحيانا قضايا نرى أنها حساسة وخطيرة مادامت اجتهادية، فهذا فيه خير كثير وتوسعة على الأمة، المصالح العظمى والقضايا الكبرى للأمة سيسدد الله فيها العلماء –إن شاء الله– أن يقفوا موقفا يرشد الأمة.

أخونا يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أحيانا في منتديات الإنترنت وعبر الرسائل الإليكترونية يتداول الناس بعض الكلام الذي يكون فيه إما أحاديث ضعيفة أو بدع يسأل هل يلزم أو يجوز له أن ينقل فتاوي العلماء الثقات مثل ابن باز وابن عثيمين والألباني وغيرهم رحم الله الجميع.

نعم هذا هو الأصل، إذا رآى مخالفات من الناس عبر هذه الوسائل الأولى، وهذا يذكرنا بما ذكرته من القواعد قبل قليل قواعد المجادلة بالحسنى وتذكير الناس ونصحهم والرد على المخالف أنه ينبغي أن يكون بالاستناد على فتاوى العلماء في القضايا المعاصرة بعض الناس يقول: لماذا لا نستند إلى الدليل؟ نعم الدليل له وجاهته لكن يجب أن نفهم أن الدليل يحتاج إلى استنباط.

وعلى هذا فإن كلام العلماء الكبار المعاصرين في القضايا المعاصرة في مسائل الدين النوازل وغيرها في الرد على المخالفين منهجهم قائم على الدليل أصلا، ولا بد أن يتضمن الدليل حتى ولو لم يصرح العالم بالدليل، لذلك فعلا هذا منهج رشيد إذا أردت أن ترد على الآخرين أو تنصحهم أو تبين لهم وجه الحق أن تستند على فتاوى العلماء، على مواقفهم؛ لأن هذا أولا أدعى لقبول الناس للحق؛ لأنه فرق بين أن يأخذوا مني ومنك ومن الثالث ممن ليس عندهم عالم راسخ وبين أن تأتي برأي وموقف عالم راسخ مقبول عند الأمة، وفرق بين أيضا أن تأتي بخلاصة فكر عالم بذل جهده ونصحه للأمة، وبين أن تذهب تخبط وتبحث عن الاستدلال وربما تخطأ كثيرا فتقع في مجازفات وأخطاء، فإذن أقول هذا هو المنهج السليم والذي ينبغي أن يسلكه الشباب والدعاة الذين يتصدون للردود أو يبينون أن يناصحون أن يستندوا على أقوال علمائهم فإنها خلاصة.

أخونا يقول: هل هناك بدعة مكفرة وبدعة غير مكفرة؟

بلا شك البدع فيها مكفرة وفيها وغير مكفر، البدعة: هي كل شيء محدث في الدين كما أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – هناك من أحدث في الدين شركيات تنافي الاعتقاد، هناك من أحدث في الدين أمور ردة هناك مثلا من أحدث في الدين أن قصر الصلاة على ثلاثة وهذا وجد من المفتونين حتى في التاريخ المعاصر، وأنا

أذكر أحد مدعى النبوة قبل سنين ليست بالبعيدة، ابتدع أمورا يعني دعوى النبوة نفسها بدعة مكفرة في الدين ودعوى اختصار الصلوات الاستغناء عن أركان الإسلام دعوى استباحة بعض الشركيات الصريحة، هذا كله من البدع المخرجة من الملة المكفرة، لكن ينبغي أن ننبه إلى ما ذكرته وسأذكره في كل مناسبة لخطورته، لا يعني أن كل من فعل ذلك نكفره لأول وهلة، ليس كل من فعل بدعة مكفرة مخرجة من الملة نحكم على عينه حتى نتثبت، ربما يكون متأول، ربما يكون جاهل، ربما يكون اشتبه عليه، الأمر ربما يكون مكره، ربما يكون أحيانا فعل شيء نظنه شركي وهو على وجه آخر ليس بشركي، على سبيل المثال وهذا أكرره دائما لأنه بين، لو رأينا إنسانا عند القبر وفجأة هذا الشخص سجد، هذا فيه احتمال أن يكون سجد لغير الله فيكون شرك، فيه احتمال أنه يكون تذكر نعمة من نعم الله فنسي أنه عند القبر فسجد شكرا لله، هذه أخطأ، لكن هل وقع في الشرك على هذه الصورة؟

لذلك يجب أن نحتاط لذممنا أولا نحتاط.

إذن أقول البدع تنقسم إلى: مكفرة، وغير مكفرة، ليس كل من فعل البدع المكفرة وليس من عادته أن يفعل أن نكفره من أول وهلة حتى نطبق الشروط وتنتفي الموانع.

الأخت تقول: هل وضع اليد على المصحف عند الحلف هل يعتبر بدعة؟

يعني وضع اليد من باب تكريم المصحف ما يظهر لي لا حرج فيه، هذا من باب التوثيق، كما توضع اليد مع اليد الأخرى عند البيعة، فهذا أظنه – –إن شاء الله– – من الصور الصحيحة لتوثيق الأمر.

الأخ يقول: قال النبي – صلى الله عليه وسلم – أنتم أعلم بأمور دينكم أو كما قال، هل هذا الحديث يأخذ به في هذا الموقف؟

أولا الحديث فيه مقال ولفظه: أنتم أعلم بأمور دنياكم وليس بأمور دينكم، بل العكس أنتم لستم أعلم بأمور دينكم، الله عز وجل هو الأعلم والأحكم في أمور الدين، لكن جاء في قصة تأبير النخل عندما جاء النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى المدينة وجدهم يلقحون النخل يأبرون النخل، فظن النبي – صلى الله عليه وسلم – أن هذا لاعتقاد منه لا عن تجربة، فكان من باب الرأي قال: لا تفعلوا ذلك، فلما لم يفعلوا لم يتلقح النخل وصار شيصا يعنى بمعنى لم ينضج النضج الوافي،فكان النبي – صلى الله عليه وسلم – عرف أن هذا مبني على تجارب فكان بمثابة التشريع، قال أنتم أعلم بأمور دنياكم ومن هنا أمور الدنيا تنبني على التجارب أيا كان نوعها وتنبني على الإباحة والله أعلم.

الأخ يقول: ما الوسائل لمعالجة المراء عند المؤمن؟

في الحقيقة أهم شيء ترويض النفس، الإنسان يجب أن يستحضر رقابة الله عز وجل أن يعمل بمبدأ الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، إذا أردت أن تجادل استحضر رقابة الله عز وجل عليك فيما تقول وما تفعل، ثم استحضر أنك تقول في الدين، وأنك تجادل في أمر تقول فيه على الله، ولتستحضر أيضا المعاني الأخرى من الورع والحذر من القول على الله بغير علم، وأن تتحرى الحق وتتجرد له، وأن تبتعد عن الهوى والتشهير، وأن تكون في جدالك مستعد جميع أنواع الاستعداد، إذا لم تكن مستعدا علما واستعدادا وخلقا أو ترى من نفسك أحيانا الإخلال بهذه الأمور فلتبتعد.

على أي حال في نهاية هذا الدرس نسأل الله للجميع التوفيق والسداد والرشاد وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم – وآله ورضي الله عن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

بعون الله وتوفيقه نستأنف الدرس، ونبدأ كالمعتاد بعرض نوعين من الأسئلة: النوع الأول: على الطلبة الحاضرين، والنوع الثاني: على الأخوة المشاهدين والمستمعين، ثم نتلقى الإجابة فيما بعد:

فأولا: أسأل الطلبة الحاضرين:

أولا: هل في الدين بدعة حسنة، ولماذا؟ كيف تعلل جوابك؟

العقائد ثابتة، وليس هناك بدعة تسمى بدعة حسنة أو غير حسنة؛ لأنه ثابت بالنقل، ولا يسع لأحد أن يأتي بما جد، لكن من ناحية المعنى اللغوي يطلق أحيانا على بعض الأشياء أن هذه مستحسنة لغة، لا يقصد بها المعنى الشرعي، وهي للتقرب إلى الله تبارك وتعالى بالعبادة مما هو مشروع .

طبعا ليس في الدين بدعة من أجل أن تكون حسنة أو غير حسنة، وما يجدده بعض الناس من الأعمال الخيرية، أو من السنن التي نسيها الناس هذا لا يعتبر ابتداع، إنما هو داخل في التجديد المشروع، داخل في إحياء السنة، وعلى هذا فإنا لو تجوزنا كما تفضل زميلكم في إحياء هذه السنة التي أحييت بدعة فهي من باب الدلالة اللغوية، ومع ذلك يجب تجنبها لما صارت تلبس.

السؤال الثاني: كيف نوفق بين خبر النبي – صلى الله عليه وسلم – بأنه لا تجمع الأمة على ضلالة وبين ما أخبر به من وقع الافتراق؟

الأمة في مجموعها لا تجمع على ضلالة

يعني: الأمة في مجموعها كلها لا تجمع على ضلالة

لا تجمع على ضلالة في آحادها هنا تنتفي العصمة .

إذن الأمر واضح حين أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – بأنـــه(لا تزال طائفة على الحق منصورة) يعني هذا:أنه لن يكون الإجماع على ضلالة، أما خبره عن الافتراق فإن كان أخذ صيغة العموم فإنه يعني الأغلب، أو أنه قد يكثر الافتراق في بعض الظروف، وعلى هذا فلا تنافي بين الأمرين.

الآن سأوجه ثلاثة أسئلة للأخوة المشاهدين ثم نتلقى الإجابة ونبين القول فيها:

أولا: ما الفرق بين الرؤيا التي هي حق وبين الأحلام؟

والثاني: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – ذكر أنواع الرؤى والأحلام، فما هذه الأنواع التي ذكرها النبي – صلى الله عليه وسلم – في الحديث؟

السؤال الثالث: ما القاعدة في رد البدع؟ وما النص الوارد فيها؟

والآن بحول الله نبدأ درس اليوم:

درس اليوم في موضوعه يعتبر هو تاج العقيدة، هو قمة لباحث العقيدة وموضوعاتهما؛ لأنه يتعلق بالله -عز وجل -بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، ولا شك أن هذا هو غاية التوحيد معرفة الله عز وجل، ومعرفته، وعبادته، والتوجه إليه، هذه غاية التوحيد، هذا يسمى: التوحيد العلمي الاعتقادي، توحيد الله عز وجل بذاته وأسمائه، وأفعاله، وما يجب له سبحانه هذا يسمى: التوحيد العلمي؛ لأنه علم يتلقى عن الوحي المعصوم، ويسمى الاعتقادي؛ لأنه يجب أن يعتقد لا يجوز لمسلم أن يخل بما يجب لله -عز وجل- على جهة الإجمال، وما يبلغه أيضا على جهة التفصيل.

هل التوحيد العلمي الاعتقادي أوله ما يتعلق بذات الله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، ثم ما يترتب على ذلك من ثمرات في قلب المؤمن وسلوكه؟

وقبل أن أذكر الأصل في أسماء الله، وصفاته، وأفعاله، كما جاء في الكتاب والسنة وقرره سلف الأمة، أحب أن أنبه إلى بعض القواعد المهمة المفيدة التي ينبغي أن يستصحبها كل مسلم في قلبه و عقله وفي نظراته تجاه حقوق الله- عز وجل - وما يجب له، وتجاه أيضا أمور الدين، ومسلمات الدين، هذه القواعد في هذا الباب فقط أي في باب أسماء الله، وصفاته، وأفعاله، من أهمها في نظري: أولا: أن أسماء الله كلها وصفاته وأفعاله حسنى بالغة الحسن، بالغة الكمال والجمال، فالله -عز وجل - موصوف بكمال الكمال، وبكمال الجمال جملة وتفصيلا، فجميع أسمائه، وصفاته، وأفعاله، هي حسنى، كما قال الله -عز وجل-: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[الأعراف: ١٨٠]. كلها حسنى بإطلاق، وتشتمل على كل معاني الحسن، والكمال، والجمال، ثم ثانيا: هي غاية الكمال في كل شيء في معانيها، وفي ألفاظها، وفي حقائقها، وفي ثمارها، لا يتطرق إليها النقص بحال من الأحوال.

وثالثا: لا يرد فيه النقص بوجه: أي أسماء الله، وصفاته، وأفعاله، لا يمكن أن يرد فيها، ولا إليها، ولا حولها لا في الذهن، ولا في القلب، الذهن الصافي، والقلب المؤمن لا يمكن أن يرد فيه شيء من تصور النقص في أسماء الله، وصفاته، وأفعاله.

القاعدة الرابعة: أنها حقائق وأعلام وأوصاف، حقائق بمعنى: أنها يوصف بها على الحقيقة، الأسماء يسمى بها الله -عز وجل- على الحقيقة، والأفعال أيضا منسوبة إلى الله -عز وجل- على الحقيقة، على ما يليق بجلال الله سبحانه؛ لأن مفهوم الحقيقة أحيانا قد يتبادر إلى أذهان الناس أن المقصود بالحقيقة الكيفية، وهذا لا شك أنه منفي؛ لأن الله -عز وجل- ليس كمثله شيء، لكنه موصوف بالحق، فهو الحق، وأسماؤه حق، وصفاته حق، وأفعاله حق، وعلى هذا فإنه أعلام: أي أنها تطلق على الله، وهو- سبحانه- علم معروف بآياته، وبنعمه، وبجميع أنواع المعارف، فإنه -عز وجل- لا يخفى أمره على أحد؛ ولذلك الله -عز وجل- قرر هذه القاعدة لجميع العقلاء يقول: ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[إبراهيم: ١٠]، فإذا كان كذلك فإذًا هو موصوف أو مسمى بأسماء هي أعلام على ذاته، وإن كانت هذه الأسماء تدل على صفات، وتدل على أفعال، وتدل على معاني الكمال، فهي كذلك أيضا من حيث مضامينها، ومعانيها، وحقائقها، فهي: أي أسماء الله، وصفاته حقائق لا مجازات، هي حقائق لا رموز.

ثم القاعدة الخامسة: أنها توقيفية: يعني أسماء الله، وصفاته، وأفعاله، على جهة التفصيل موقوفة على ما جاء به النص، نعم، العقول السليمة، والفطر المستقيمة تدرك كثيرا من الكمالات لله على جهة الإجمال، فوجود الله، وعظمته، وكماله -سبحانه- واتصافه بصفات الكمال، وأيضا إدراك علمه، وحكمته، وسائر الصفات الإجمالية،

والمعاني الإجمالية تدرك لله –عز وجل– لكن على جهة التفصيل أكثرها وليس كلها لا يمكن إدراكها على ما يليق بجلال الله –عز وجل– إلا بما جاء به النص، وعلى هذا فهي توقيفية.

ثم القاعدة السادسة: أسماء الله، وصفاته، وأفعاله غير محصورة؛ لأنه الكمال المطلق، لكن جاءنا بخبر القرآن، والسنة عن أسماء الله، وصفاته ما يناسب أحوالنا، ويناسب مداركنا، ولا يعني ذلك أن أسماء الله محصورة بما ورد وحتى ما ذكره النبي – صلى الله عليه وسلم – أن(لله تسعا وتسعين اسما) لا يعني ذلك الحصر إنم يعني ذلك ما يمكن أن يرد إلى مدارك عقول الناس بتعبيرات، وباللسان الذي خاطب الله به البشر، ولذلك فإن أسماء الله لا حصر لها، وكذلك صفاته، وأفعاله، والدليل على ذلك كونه موصوف بالكمال الكمال لا ينتهي، والأمر الثاني ما نص عليه النبي – صلى الله عليه وسلم – في نصوص كثيرة منها قول النبي – صلى الله عليه وسلم – في الحديث أنه حين يدعوا ربه يقول: حديث الشفاعة (أدعوه بمحامد يلهمني الله إياه) كذلك الدعاء الآخر الذي قال فيه النبي – صلى الله عليه وسلم – (اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك.)معنى هذا: أن الله تعالى استأثر في علم الغيب عنده أي: حجبه عنا من أسماء، وصفاته، وأفعاله، ومحامده، وكماله مالا يحصى.

بعد هذه القواعد وهي ليست كل القواعد لعلها أهم القواعد التي ينبغي استحضارها في هذا المقام.

نبدأ بالأصول المتعلقة بتوحيد الله –عز وجل– بذاته، وصفاته، وأسماءه، وأفعاله:

أول ذلك أن الأصل والقاعدة في إثبات الأسماء والصفات لله –عز وجل– إثبات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله – صلى الله عليه وسلم – و، نفي ما نفاه الله عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله – صلى الله عليه وسلم – ، كل هذا أي الإثبات من غير تمثيل، والتمثيل يعني: التشبية، والتجسيم، وغير ذلك من المعاني التي تقتضي المماثلة، فالله –عز وجل– تثبت له الأسماء، والصفات، والأفعال الواردة في الكتاب والسنة من غير أن يمثل ذلك بالخلق، ولا العكس، كذلك من غير أن يمثل الخلق بالله، فلا يجوز تمثيل الله بخلق لاجزئيا، ولاكليا، ولا يجوز تمثيل أحد من الخلق بالله، فالتمثيل، والتشبيه ممنوع من الطرفين فلا الله –عز وجل– يشبه شئ من خلقه، ولا شيء من الخلق يشبه الله في الإجمال، والتفصيل، كل ذلك أيضا الإثبات من غير تحريف، ومن غير تعطيل أي: من غير أن ننفي عن الله –عز وجل– الحقائق اللائقة به، بل يجب الإثبات على نحو ما جاء في الكتاب والسنة، وأن ما نثبته لله –عز وجل– في ذاته، وأسماءه، وصفاته، وأفعاله حق على حقيقته على ما يليق بجلال الله، لا يجوز أن يقول هذا مجاز، ولا أن يقال يؤول، ولا يصرف عن معانيه، ولا يقل إنه يقتضي التشبيه، ولا أنه لا بد فيه من قياس.

كل هذا لا يجوز إطلاقا؛ لأنه غيب ولأنه– أي ما ورد من أسماء الله، وصفاته– هو كلام الله، وكلام رسوله – صلى الله عليه وسلم– ﴿الذي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢].

ولذلك؛ جاءت هذه القاعدة في كتاب الله – عز وجل– في كلمات معدودات يجب على كل مسلم أن يستحضرها، ويجعلها ميزان في قلبه وهي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]، ليس كمثله شيء بمعنى أنه: لا يماثله شيء من مخلوقاته، ولا هو يماثل شيئا من مخلوقاته، لا في الجملة، ولا في التفصيل، لا في العموم، ولا في المفردات، لا يمكن أن يرد التمثيل ومع ذلك هو السميع البصير، ولعل من حكمة الله –عز وجل– حين بدأ بنفي التمثيل قبل الإثبات ليستقر في قلب المسلم وعقله نفي المشابهة أصلا قبل أن يثبت، فالمؤمن إذا استحضر أن الله ليس كمثله شيء ثم وردت إليه أسماء الله، وصفاته، فإنه ثبت في قلبه وعقله في أن الله لا يماثله شيء مطلقا.

فمن هنا تسلم عقيدته، وتسلم ذمته، ولا يتكلم على الله بغير علم، كل ذلك مع الإيمان بمعاني ألفاظ النصوص و ما دلت عليه،يعني ألفاظ النصوص الواردة في الكتاب والسنة هي حقائق في أسماء الله، وصفاته، وأفعاله هي حقائق لها معاني حق فيما يجب لله –عز وجل– ولا يمكن أن تفسر بمعاني تخرج عن مقتضى الحقيقة اللائقة بالله –عز وجل–، وكل من حاول الخروج عن إثبات الحقيقة وقع في الهلكة، والزيغ، وهذا ما حذر الله منه في قوله –عز وجل– ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾[آل عمران: ٧]، ولذلك؛ ادعى كثير من المبطلين أن أسماء الله، وصفاته، وأفعاله من المتشابه نعوذ بالله، كيف يكون متشابه؟ حق بيِّن كالشمس واضح يقال من المتشابه، ولكنه اشتبه على أهل الفتنة وعلى أهل الزيغ فظنوا أنه من المتشابه.

إذن أسماء الله، وصفاته، وأفعاله ليست من المتشابه، بل هي من المحكم البين، ولها معاني، وحقائق، ولكنها تثبت على ما يليق بجلال الله، تثبت على ما ينبغي لله من الكمال، مع نفي المشابهة والتمثيل.

وعلى هذا يأتي الأصل الثاني :وهو أن التمثيل، والتعطيل في أسماء الله، وصفاته زيغ، وضلال، بل هو كفر من اعتقد أن الله مثل خلقه، أو اعتقد أن أحدا من الخلق مثل الله، فهذا كفر، وزيغ، وضلالٍ، كما يكون التأويلات الباطنية، وقد يكون بعض التأويلات إذا كان عن غير قصد إنكار الحقائق، بعض التأويلات التي وقع فيها بعض أهل الكلام الذين أولوا بعض أسماء الله، وصفاته، وأفعاله إذا ما قصدوا بالتأويل إنكار حقائق أسماء الله، وصفاته فهذا يكون من البدع، والضلالات كتأويلات نفاة الصفات من أهل الكلام، ومن ذلك ما يقع خطأ، وقع من بعض أفراد السلف وأئمة السنة ليست منهج، إنما هي زلات فهذه صاحبها لا يكفر، ولا يضلل، لكنه يرد إليه خطأه وهو من باب زلات العلماء التي ذكرتها في درس ماضٍ، وسيأتي إن شاء الله تفصيلها في دروس قادمة.

إذن التمثيل الممنوع في حق الله –عز وجل– ما المقصود به، والتعطيل ما المقصود به؟ إذا قلنا أن التمثيل الخالص، والتعطيل الخالص في أسماء الله، وصفاته، وأفعاله يعتبر كفر، وزيغ، وإلحاد فما التمثيل الممنوع؟

التمثيل هو تشبيه الله بالخلق، أو تشبيه الخلق بالله تشبيها يؤدي إلى أن يعتقد المشبه أن الله مثل خلقه، أو أن الخلق، أو بعض الخلق مثل الله، لكن ينبغي أن نتنبه إلى أمر وهو وجود التشابه اللفظي، هذه مسألة في الحقيقة أشكلت على كثير من قليلي الفقه في الدين الذين يجهلون عقائد السلف وفقههم، أشكلت عليهم من جانب أنهم ظنوا أن مجرد المشابهة اللفظية الموجودة في أسماء الله، وصفاته و موجودة في بعض صفات الخلق تعني التمثيل، فهرب بعضهم إلى الإنكار، زعما منهم أن الإثبات يقتضي المماثلة وهذا خطأ، التشابه اللفظي لا يعني التشابه في الحقيقة، مثال ذلك أن الله –عز وجل– هو الحي، والمخلوق الذي فيه روح يسمى حي، هذا تشابه لفظي فالله –عز وجل– موصوف بالحياة، والإنسان والحيوان الحي موصوف بالحياة، فهل الحياة مثل الحياة؟ لا ،حياة الله حياة كاملة، لا يعتريه فناء، ولا محدودية، ولا نهاية، وحياة المخلوق لها بداية، ونهاية، إذن فالتشابه اللفظي لا يعني وجود المشابهة: أي التمثيل الممنوع شرعا، وكذا في مسائل أسماء الله، وصفاته التي يوجد ما يوصف بها الخلق، أو بعض الخلق، فإن هذا التشابه اللفظي نسبي هو في حق الله على الكمال، وفي حق المخلوق على وجه النقص لأنه؛ لا يمكن أن يكون مخلوق له صفة كمال، لأن الكمال إنما هو خاص بالله –عز وجل–.

الأصل الثالث: أما التعطيل فالمقصود به تفريغ ألفاظ أسماء الله، وصفاته، وأفعاله من معانيها، هذا التفريغ أحيانا يكون بإنكار حقائقها كما فعل كثير من الفلاسفة والجهمية وغيرهم إنكار حقائق أسماء الله وصفاته، أو يكون أحيانا بإخراجها عن معانيها إلى معاني متأوّلة ومتوهمة، ويسمى التحريف، ويسمى التأويل، هذا كله يعود إلى التعطيل، تعطيل الشيء هو: تفريغه، فتفريغ ألفاظ أسماء الله، وصفاته، وأفعاله من معانيها الحقيقية، أو الخروج بها عن حقائقها يعتبر تعطيل، لكن إن كان تعطيلا كاملا فهو إلحاد، وإن كان تأويلا فهو من كبائر الذنوب، ومن البدع.

ثم هناك أصل ثالث: يتفرع عن هذين الأصلين، وهو أن الله -عز وجل- غير الخلق، يعني: لا يمكن أن يكون بينه وبين الخلق مشابهة، ولا مماثلة، ولا اندماج، ولا اتحاد، ولا حلول، فعلى هذا لا يجوز اعتقاد أن الوجود واحد الخالق والمخلوق ممتزجان متحدان حال أحدهما في الآخر، هذا إنما بل هو إلحاد وإنقاص لله -عز وجل- لأن الله- سبحانه- غني عن الخلق، وهو مستوٍ على عرشه، على المخلوقات جميعا، وهو بذاته- سبحانه- متفرد بالكمال، متفرد بالأسماء، والصفات، والأفعال، لا يخالط أحد من خلقه، ولا يخالطه أحد من خلقه، وليس في خصائص الرب ما هو موجود في أحد من الخلق، لا في مفردات الخلق، ولا في كل الخلق.

وعلى هذا اعتقاد وحدة الوجود، وهو: أن الوجود خالقه، ومخلوقه واحد هذا من أعظم الكفر، ومثله اعتقاد حلول الله في الخلق، أو حلول الخلق في الله، أو اعتقاد أن روحا من الله حلت في أحد من الخلق، كل ذلك يعتبر إساءة أدب مع الله، وهو من الكفر ؛لأن الله منفرد، فهو الفرد الصمد، فهو- سبحانه- لا يمكن أن يختلط بمخلوقاته، وتختلط به مخلوقاته، كذلك الاتحاد، ونحو ذلك من المعاني؛ لأن أصحاب هذا الفكر الضال قد يعبرون عنه بتعبيرات كثيرة اتحاد وحدة الوجود الحلول إلى آخره.

هذه معاني قد تختلف في بعض تفسيراتها لكنا تجتمع في معنى باطل، وهي اعتقاد أن الله -عز وجل- قد يحل في شيء من الخلق، أو يحل فيه شيء من الخلق.

ثم بعد ذلك تأتي قاعدة متعلقة بالركن الثاني من أركان الإيمان، والإيمان أيضا أمر خبري علمي، أوله الإيمان بالله -عز وجل- وذكرت ما يتعلق بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وثانيه الإيمان بالملائكة(الملائكة الكرام) الإيمان بهم إجمالا، وتفصيلا بحسب ما يرد لنا من النصوص، فيجب على كل مسلم أن يؤمن إيمانا جازما بأن هناك مخلوقات من مخلوقات الله اسمها الملائكة على جهة الإجمال، ثم ما ورد إليك أخي المسلم من اسم ملك، أو وصفه، أو عملهن أو جنسه، أو نوعه يجب أن تؤمن به، ما ورد في القرآن لا بد من الإيمان به في حق الملائكة جملة، وتفصيلا ما ورد فيما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في أخبار الملائكة وأحوالهم يجب الإيمان به فكل من ورد إليه دليل في الملائكة يجب الإيمان به.

على هذا الملائكة هم خلق من خلق الله، لهم وجود حقيقي، هم عقلاء عباد لله -عز وجل- مسخرون ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[التحريم: ٦]، لكنهم غير مبتلين بالابتلاء الذي ابتلى به الجن والإنس، هم خلقوا للطاعة، ولذلك كانوا كراما، وما صح به الدليل به لا بد من الإيمان به من أسمائهم، فممن وردت أسماؤهم مثلا جبريل وهو: ملك الوحي وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، ورضوان، وهاروت، وماروت، وأيضا ورد أن لهم أعمال مجملة،وأعمال خاصة، فمنهم حملة العرش، وهم من أعظم الملائكة خلقا، وعملا، ومنهم ملائكة الرحمة، ملائكة العذاب، ملائكة الوحي، والمطر، منهم الكرام الكاتبين الذين يصاحبون كل إنسان ليل، نهار يتعاقبونه، كل إنسان موكل به أربعة إلى أن يموت،اثنان في المساء، واثنان في الصباح، كذلك لهم أوصاف تعمهم، وأوصاف تخص بعضهم، فهم ذوي أجنحة مثنى، وثلاث، ورباع، وأكثر من ذلك، وأيضا لهم مشاركات للناس فهم يشاركون المؤمنون، يشاركونهم في الجهاد، يشاركونهم بحضور مجالس الذكر، هم يحبون المؤمنين ويسددونهم -بإذن الله-، ويحفظونهم بأمر الله، وهؤلاء الملائكة لهم حقوق أيضا يجب أن يراعيها المسلم، من ذلك ما ثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم- أنه نهى عن أكل ما يؤذي الملائكة ،خاصة في المساجد كالثوم، والبصل، والكرات، (فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى به بنوا آدم)،ولذلك لهم حقوق، ولهم رعاية، والإنسان أو المسلم يجب دائما أن يستحضر هذا المعنى، أن يستحضر أولا رقابة الله له، هل يعلم أن الله عليه رقيب، وهذا معنى الإحسان الذي ذكره النبي – صلى الله عليه وسلم – في حديث جبريل، وهو (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ومن حكمة الله -عز وجل- أن جعل أيضا معنا من المخلوقات رقباء من أهل الفضل، والكرم رقباء، لهم حق، هم في منتهى العبادة لله -عز وجل- والخضوع، والذل، والعبودية، فيجب

أن يستحي منهم الإنسان؛ ولذلك ورود في وصف عثمان – رضي الله عنه – تستحي منه الملائكة؛ لأنه هو حيي، فتبادلت معه الملائكة هذا الشعور، ولذلك يجب على كل مسلم أن يراعي حضور هؤلاء الكرام.

ثم ما يتعلق بالكتب المنزلة، وهذا الأصل الثالث من أصول الإيمان الركن الثالث من أركان الإيمان، والمقصود بالكتب المنزلة: هي تلك الكتب التي أنزلها الله على الأمم بواسطة الرسل، والأنبياء شرع الله فيها الدين، العقيدة ،الشرائع لكل أمة، وجعل هذه الكتب مرجع لتحكيم شرع الله –عز وجل– وتحقيق رضاه، والسعادة للبشرية في الدنيا والآخرة.

هذه الكتب المنزلة منها ما سمي وذكر لنا ،ويجب أن نؤمن أنه حق قبل التحريف مثل التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، ونحوها مما وردت به النصوص، هذه الكتب كتب حق، تضمنت حق عقيدة صافيا، وشرائع لكل أمة بحسب ما شرع الله لها من مصالحها، هذه الكتب كانت سليمة ثم دخلها التحريف، والتبديل؛ ولذلك نسخها الله –عز وجل– بالقرآن، نعم، لا تزال هذه الكتب الباقية منها كالتوراة، والإنجيل، لا تزال تشتمل على شيء من الحق، ولذلك لا ترد ردا كليا، وإنما تعرض على ما جاء في كتابنا (القرآن الكريم)، وسنة النبي – صلى الله عليه وسلم –، ما وفق الحق فهو حق، وما لم يوافق الحق فهو باطل مما أدخله المحرفون، وعلى هذا: هذه الكتب نحن نحترمها بأصلها، لكن لما حرفت وبدلت نسخها الله –عز وجل–، وجعل القرآن هو المهيمن، وهو الناسخ لها، والقرآن هو أفضلها، وهو أشملها، وما قبله طرأ عليه التحريف؛ ولذلك يجب اتباعه دون ما سبقه من الكتب، أقول، وإن اشتملت هذه الكتب على الحق إلا أن الحق الذي فيها جاء وافيا في كتاب ربنا، وفي سنة رسولنا – صلى الله عليه وسلم – ونظرا لأنها اختلط الحق فيها بالباطل فإن الرجوع إليها يلبس على المسلم؛ ولذلك نهى النبي – صلى الله عليه وسلم – نهيا جازما ،قاطعا حازما، عن أن نجعل هذه الكتب مرجعا نرجع إليه في ديننا أو في مصالحنا.

الأصل الآخر: الإيمان بالأنبياء، والرسل،عرفنا أن الأصل الأول الإيمان بالله ،ثم الإيمان بالملائكة، ثم الإيمان بالكتب، ثم الإيمان بالرسل ويدخل فيهم الأنبياء ،ويعني ذلك: ما قيل في الملائكة، وفي الكتب هو أن نؤمن أن الله تعالى بعث رسلا، وأنبياء أقام بهم الحجة على الخلق، وأنهم معصومون، وأنهم أفضل البشر على الإطلاق، وأنهم صلوات الله وسلامه عليهم بلغوا الأمانة وأدوا الرسالة، و نصحوا الأمة، وأن منهم عدد كبير، وقد ورد في بعض الآثار التي تصل لدرجة الحسن، أن عدد النبيين مائة ألف وأربعة وعشرين ألف، وأن عدد المرسلين ثلاثمائة وبضعة عشر، وهذا يدل على أن الرسل هم خاصة الأنبياء، أنهم أفضل من الأنبياء، وأن الأنبياء في الغالب تبعا للرسل، وأفضل الرسل والنبيين هم أولو العزم، نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد– صلى الله عليه وسلم وعليهم جميعا–، وهؤلاء الرسل يجب في حقهم الاحترام، والتقدير، ويجب حماية جنابهم من أن يقدح بهم، أو أن يلمزوا، أو ينتقص من قدر أحد منهم، فنؤمن بهم جميعا، ولا نفاضل بينهم المفاضلة التي تؤدي إلى العصبية، لكنا نعلم قطعا أنهم يتفاضلوا، فأفضلهم جملة، وأفضلهم على سبيل الإفراد نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم–، وهو أفضل الخلق على الإطلاق؛ فلذلك آتاه الله –عز وجل– ما لم يؤت أحدا من العالمين، وهو صاحب المقام المحمود في القيامة، والشفاعة العظمى التي لا يمكن أن يحظى بها غيره.

ثم نأخذ جهة الإجمال، والتفصيل، فكل ما صح عن أخبار هؤلاء الأنبياء، وأوصافهم يجب الإيمان به، وكذلك من جاء اسمه، أو وصفه بمفرده يجب الإيمان به إذا صح عن النبي – صلى الله عليه وسلم– ومع ذلك يبقى الإيمان بسائرهم إجمالا، ولا يجوز أن نشك في نبوة أحدهم، ومن هنا يجب أن ننبه إلى بدعة، وضلالة وقع فيها كثيرون، ويجب أن نحتاط منها، خاصة أصحاب النزعة العقلانية الفلسفية الذين يستكبرون، ويتعالون عن النبوة والأنبياء ولديهم شيء من الغرور والاغترار بعقولهم في مجال تقرير الدين، والغيبيات، يزعمون على سبيل المثال أن عيسى – عليه السلام –

ليس نبيا، إنما هو داعية مصلح مجدد لدين موسى – عليه السلام ،– نعم هو مجدد لدين موسى – عليه السلام – لكن لا يعني ذلك أنه ليس بنبي بل هو من أولي العزم من الرسل، وله من الخصائص ما ليس لغيره أيضا خص الله عيسى – عليه السلام – بخصائص ليست لغيره أيضا، لكن هذه الخصائص لا تجعله أفضل النبيين، فإنها خصائص في خصال محدودة، معلومة كما هو معروف.

ثم تأتي أيضا قاعدة أخرى، وهي بعد ذلك كله تبعا للإيمان بالأنبياء، والكتب لابد من الإيمان بأن الوحي انقطع لم يعد وحي التشريع يوجد بعد محمد – صلى الله عليه وسلم – ، ومن ادعى أنه ينزل إليه وحي، أو يأتيه شيء بمقام الوحي فيحل ما حرم الله ،أو يحرم ما أحل الله ،أو يشرع عقيدة، أو عبادة، أو نحو ذلك بدعوى أنه في منزلة الوحي كل ذلك من الضلال فالنبي – صلى الله عليه وسلم – هو نبينا، هو خاتم الأنبياء، والمرسلين،ـــ ومن اعتقد خلاف ذلك فهو في ضلال مبين ويخرج من الإسلام.

ثم الأصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر، ومعنى ذلك: الإيمان بكل ما صح عن اليوم الآخر جملة، وتفصيلا ومن ذلك أشراط الساعة التي تسبق اليوم الآخر، كالدجال، والمهدي المنتظر، وخروج الشمس من مغربها، وكسوف الثلاثة، ونزول عيسى – عليه السلام – ،والملاحم التي تحدث مما ورد به الأخبار، كل ذلك يجب الإيمان به؛ لأنه ملحق باليوم الآخر؛ لأنه بداية اليوم الآخر وإيذان بنهاية الدنيا، كذلك ما ورد في اليوم الآخر ابتداء من الموت في القبر، وأحواله، عذابه، ونعيمه، الحياة التي تسمى الحياة البرزخية، الحياة وتفاصيلها التي وردت في الكتاب، والسنة قبل البعث، كلها جزء من اليوم الآخر يجب الإيمان بها كما ثبتت، ثم البعث، والنشور، والحشر، والصحف، والصراط، والموازين، والحوض، وغير ذلك مما ثبت به الشرع يجب الإيمان به حقيقة، وأنه حق، كما ورد لا يجوز تأويله، ولا تحريفه عن معانيه، وكذلك يدخل في هذا الإيمان بالجنة، نسأل الله أن يجعلنا جميعا من أهلها، وبنعيمها، وما ورد فيه من تفصيل، وأعظم النعيم فيها رؤية المؤمنين لربهم في الجنة بأعيانهم– نسأل الله أن يمتعنا جميعا بذلك في الجنة–، ثم كذلك اليقين بعذاب النار، وما ورد فيه من تفاصيل.

الأصل السادس: الإيمان بالقدر، وما أكثر الذين ذلوا بالقدر، إما من باب الوساوس والأوهام، أو العقائد الباطلة، أو تقليد الأمم فيما قالوه وما زعموه في القدر، كل ذلك مما حدث في طوائف الأمة التي خرجت عن سبيل المؤمنين، الإيمان بالقدر: أن تؤمن بأن الله قدر كل شيء من الخير، والشر ابتلاء وفتنة، كما قال الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وعلى هذا فإن الإيمان بالقدر لا بد فيه من قواعد، ولعلي أوضحها بشيء من التفصيل؛ لأن من تصور هذه القواعد –بإذن الله– إذا تشربها المسلم حتى لو لم يكن طالب علم، ولا عالم؛ لأن أمور القدر غالبا تكون صعبة، لكن مع ذلك أصولها التي تعبدنا الله بها سهلة؛ ولذلك سأركز على هذه الجوانب السهلة، مبنى الإيمان بالقدر يقوم على أربع مراتب، هذه المراتب إذا تصورتها أخي المسلم سهل عليك الكثير مما يرد إليك من أمور القدر:

المرتبة الأولى: العلم: ومعنى العلم أن تؤمن، وتوقن بأن الله –عز وجل– بكل شيء عليم، ما كان، وما يكون، وما سيكون كيف يكون، كل ما يحدث في الخلق من صغير، وكبير فالله به عليم؛ ولذلك الله –عز وجل– أشار إلى مثل هذا، إلى تعميق معنى العلم في قلب المسلم، علم الله –عز وجل– ذكر بأنه – سبحانه وتعالى – عليم بذات الصدور ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور﴾ [التغابن : ٤]، ذاتها غير ما فيها، أبلغ مما فيها، بل إن الله –عز وجل– أنكر على الذين شكوا في بعض علم الله فقال – سبحانه وتعالى – ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الملك: ١٤]، هل يعقل أن يخلق وهو لا يعلم ؟ هل يعقل أن من يخلق وهو الله –عز وجل– يخفى عليه مما خلق؟ بل لا بد أن يسبق الخلق علم كامل، ويصاحب الخلق، ويلحق بالخلق، فلا يعجز عنه –عز وجل– مثقال ذرة في السماء، ولا في الأرض.

إذن :المرتبة الأولى العلم الكامل، الشامل، الوافي في كل شيء.

ثم بعد ذلك الكتابة: ومعناها: أن يعتقد المسلم كما ثبت في النصوص أن الله كتب مقادير كل شيء على الإطلاق من صغير، أو كبير، ماض، ومستقبل.

وعلى هذا أيضا تأتي المرتبة الثالثة: وهو أن كل شيء بمشيئة الله، بتقدير الله، كل شيء يحدث في الكون أنه بمشيئة الله، وأن ما شاء الله كان، ولا يكون شيء إلا بتقديره، ومشيئته.

ثم بعد ذلك المرتبة الرابعة: الإيمان والجزم بأن الله خالق كل شيء، قدر و خلق الخير، والشر كما قال – سبحانه وتعالى – وتعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ هذا نقرره؛ لدفع شبهة ترد في أذهان بعض الناس، وقد يوسوس بها الشيطان على بعض الخلق، وهو هل يمكن أن يكون الله –عز و جل– خلق الشر؟ هذا ناتج عن جهل، فالله –عز وجل– قدر الشر ابتلاء، وفتنة، فهو في حقه حكمة، لأنه يتميز الخير من الشر، والهدى من الضلال، ولا يتميز الصالح من الطالح إلا بالابتلاء بالخير والشر، وأن الله تعالى قدر الخير والشر وخلقهم بإرادته – سبحانه وتعالى – من باب الابتلاء، والفتنة. ثم يتفرع عن هذا أيضا مسألة أخرى تسهل موضوع القدر، خاصة في جانب يشكل على كثير من الناس، وهو جانب الهداية والإضلال، نحن نعلم أن الله – عز وجل– يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، وأنه – سبحانه وتعالى – لا راد لما يشاء، ولا معقب لحكمه، لكن ومع ذلك قد يأتي الشيطان ويخنس، ويوسوس لبعض الناس ويقول له إذا كان الله –عز وجل– قدر الضلالة على بعض الخلق إذًا كيف يحاسبهم؟ هذا يتبين بتفصيل آخر أرجو أن يتنبه له المشاهدون، أو المستمعون؛ لأنه يحتاج إلى شيء من التوازن بين قضيتين إذا وازنا بينهما زالت هذه الشبهة، وهذا التوازن هو مقتضى النصوص، وهو أن الله –عز وجل– حين قدر الهداية لبعض العباد، وقدر لهم الخير ووعدهم بالفضل والجنة فإن ذلك مبني على علمه – سبحانه وتعالى–- بماذا سيصنعون؟، الله – سبحانه وتعالى – علم أن هؤلاء من البشر، ومن الجن سيعملون خيرا، وسيختارون طريق الهدى، والخير، وقدر لهم ذلك، وبنيت أحكامهم على ذلك.

إذن: فالله –عز وجل– قدر الخير، والهدى، وشرعه أرسل فيه الرسل، وأنزل فيه الكتب، وبين طريق الخير والهدى، وجعل عند الإنسان التمييز فيه، وأقدره عليه، أقدره على فعل الخير، وأمره به، وحثه عليه، ووعده ثم أنه –عز وجل– قدر الضلالة، وشرع النهي عنها، وبين خطرها، وحذر منها، وأقدر العباد عليها ابتلاء وفتنة، ثم توعدهم بعد ذلك، وتحقق عليهم وعده.

إذن مسألة الجبلة: أن الله –عز وجل– جبل المكلفين على الحق، والهدى، وجبلهم على قبول الضلالة هذا أمر قدري؛ ولهذا الله عز وجل قال: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾[البلد: ١٠]، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٣]، ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف]، بعد ما قرر الله –عز وجل– أمور الهداية هذه المشيئة مبنية على ماذا؟ على بيان طريق الحق بوضوح، وطريق الباطل بوضوح، وإعطاء الإنسان الفسحة، والاختيار، فإن اختار طريق الضلالة باختياره فليتحمل مسئولية ذلك، وإن اختار طريق الهداية فهو موعود بالخير، هذا كله في سابق علم الله ؛لأن بعض الناس يقول ورد في الحديث (أن الله يرسل عند بلوغ الإنسان مائة وعشرين يوما ملكا يكتب مقاديره ومنها شقي، أو سعيد)؛ ولذلك لما ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – هذا الحديث للصحابة قالوا: ففيما العمل مادام كتب قبل أن ننشأ في الدنيا، قال:(اعملوا فكل ميسر لما خلق له)، هذا ناتج عن: علم الله السابق بماذا سيصنع هذا الإنسان، فقدر ذلك على ضوء ذلك، أما أن يكون تحكما (لا والله)، الله –عز وجل– لا يمكن أن يظلم العباد، وليس بظلام للعبيد.

فيجب أن نوقن بعدل الله، وحكمته، ومن هنا يستريح المسلم. وللحديث بقية.

والآن نترك بقية الوقت للأسئلة، والمناقشات، والمداخلات، نسأل الله للجميع التوفيق والسداد.

بالنسبة لإجابة المشاهدين:

السؤال الأول: ما الفرق بين الرؤية التي هي حق، وبين الأحلام ؟

وردت إجابات كثيرة لعلي أنتقي منها:

تقول: الرؤية الحق هي: ما وافق الكتاب، والسنة، وألا تتعارض مع الحق، ولا توقع في البدع، والظلم، وأخرى تقول: الرؤية الحق من الله ،وهي أقسام: منها الكرامات، والمبشرات، وأمثال تضرب للناس تثبت الناس، أما الأحلام فمن الشيطان، وآخر يقول: الرؤية الحق تكون موافقة للكتاب، والسنة، ولا تعارض الحق، ولا توقع في بدعة، أو ضلالة، وأنواعها: رؤيا حق، وما يحدث بها الإنسان نفسه، ورؤيا من الشيطان، وأخرى تقول: الرؤية الحق هي: رؤيا الأنبياء، فإنها حق، وأما الأحلام فإنها من الشيطان، وبعض الأشياء مثل: الذي خص، وثبت فيه نص- والله أعلم-، وآخرون يقولوا: الرؤيا حقيقة، لها معنى، وهدف، عكس الخيال.

الإجابات في مجملها جيدة في الحقيقة، ويكمل بعضها بعضا، وليس عندي ملاحظة تقتضي التعليق، بل العكس أنا ممنون، وسعيد جدا بمثل هذه الأجوبة، سواء من أجمل فيها ومن فصل.

قد تكون هناك بعض الصفات مثل: صفات المكر، هي نقص للمخلوقات، وكمال لله، فكيف مثل هذه الصفات؟

يعني: ورد وثبت أن الله -تعالى- يمكر بالماكرين، وبالمنافقين، والمستهزئين، ومن يستحقون المكر، فهذا سياقه كما ورد عن السلف، الألفاظ التي لو أفردت صارت نقصا، فإنها إذا جاءت في سيقا لا يقتضي النقص تثبت كما جاءت، فمثلا: ذكر المكر بالكافرين، وذكر المكر بالمنافقين، والمستهزئين، كما ورد في النصوص جاء على سبيل المجازاة لهم على مكرهم، فهذا إذا جاء بسياقه يدل على: الكمال لكن، لا تفرد كلمة مكر في حق الله -عز وجل-، كلمة مكر مفردة لا تليق، لكنها تساق كما جاءت في سياقها العام، فهي جاءت على سبيل مجازاة المنافقين على مكرهم، بمجازاة الماكرين، وهذا أمر يعتبر كمالا في حق الله -عز وجل-، وكذلك بقية الصفات، والأفعال، والمقابلة بأفعال البشر، فإنها تكون تثبت في سياقها كما يليق بجلال الله - سبحانه وتعالى -، ولا تثبت مفردة بشكل يقتضي النقص.

ما يتعلق بالأسماء والصفات في حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة) ،تسعة وتسعين اسما هذا ليس للحصر لكن قول النبي - صلى الله عليه وسلم - من أحصاها كيف يكون هذا الإحصاء ؟

على أي حل قول النبي - صلى الله عليه وسلم- (من أحصاها دخل الجنة)، هذا كلام مجمل، لو أخذناه بعموم معانيه، وربطناه بما ورد من الوعد، وورود من النصوص في حق المؤمن، فيدخل في إحصاءه الإحصاء الذي يتضمن الإيمان بها، والتأثر بمعانيها يتضمن أثرها على قلب المؤمن من حيث تعظيمه لله -عز وجل- ومحبته، ورجائه، وخوفه، ومن حيث التعلق بالله -عز وجل- من خلالها، فإن من أحصاها على هذا النحو، غالبا يكون من الناجين، وأهل الهدى، فتضمن له الجنة من باب أن سلك طريق الجنة، فهذا واضح - إن شاء الله-، لكن من أحصاها سردا دون أن يعي معانيها، فإن المنافق قد يعدها سردا، فإذن: لا بد لهذه النصوص أن ترد إلى المعاني الأخرى للنصوص الأخرى، وهو أن المقصود: إحصاء التدبر، إحصاء الإيمان، إحصاء التعظيم لله -عز وجل-، التعلق بها، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَ﴾[الأعراف: ١٨٠]، فمن هنا، يكون الإحصاء على هذا النحو هو الذي وعد به الرسول - صلى الله عليه وسلم -الجنة.

سؤال: ما معنى القول في الدعاء استأثرت به في علم الغيب عندك) يقول ما معنى هذا ؟

يعني، معناها: ما لم تبلغنا به، استأثرت يعني: حجبته عندك من أسماءك، وصفاتك، وكمالاتك مما لم تبلغه الخلق؛ ولذلك الخلق كلهم، بما فيهم النبيين، وبما فيهم أفضل الخلق النبي – صلى الله عليه وسلم– ، لم يتبلغ بجميع كمالات الله –عز وجل–، والدليل على ذلك أنه: في مقام الشفاعة في يوم القيامة يقول: (يلهمني الله بمحامد)،يعني: لم يكن يعرفها في الدنيا، يدعوه بها، إذن هذا هو المعنى، استأثر يعني: حجبها عنده في الغيب.

السلام عليكم ورحمة الله ، ممكن أجاوب الأسئلة؟ نعم، على عجل، الرؤيا: هي التي تتوفر فيها صفات الرؤيا، بأن توافق الكتاب، والسنة، وأن لا تتعارض مع الحق، ولا تخالف الشرع، ولا توقع في بدعة، ولا ظلم، ولا عدوان، فهي من المبشرات. والأحلام: هي ما يحلم به الإنسان على هذه الضوابط، موافق الكتاب، والسنة، ولا يكون فيها ما يخالف الشرع، ولا يكون فيها بدعة، ولا توقع في ظلم، أو عدوان، فهي رؤيا صالحة، وقد تكون حلم، بالنسبة للقاعدة في رد البدع، يجب الالتزام بمنهج الوحي في الرد، كما يجب في الاعتقاد، والتقرير، فلا ترد بدعة ببدعة، ولا يقابل التقرير بالغلو، ولا العكس، والدليل كل محدثة في الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.).

وبالنسبة للسؤال: هل نحفظ التوحيد العلمي الاعتقادي مع شرحها؟

جوابها في الحقيقة سديد، وجيد، ومتقن، وهذا يدل على أنها متابعة للدروس، وأما سؤالها، فنعم، أنه ينبغي أن يحرص المسلم أن يحفظ أساسيات ما يتعلق بالتوحيد العلمي الاعتقادي، وهو المتمثل في أسماء الله، وصفاته على جهة الإجمال قواعدها الأساسية، أم التفاصيل فقد لا يكون للفرد المسلم فيها حاجة، كذلك ما يتعلق بأركان الإيمان، وبعض تفاصيلها، وهناك كتب مخصصة في هذه الأمور، حفظها سهل، وهي جاهزة –وإن شاء الله– سنبدأ في شرحها بعد أن ننتهي من هذه القواعد، والمقدمات، مثل الطحاوية، ومثل لمعة الاعتقاد وغيره من المتون.

السلام عليكم ورحمة الله سؤال: هل نفخ الله في آدم من روحه، وأسجد له ملائكته، وما علاقة ذلك بالأسماء، والصفات؟

بالنسبة للوساوس التي تحدث للإنسان، أقصد الخلق مثلا، يعني من خلق كذا، حتى تصل إلى من خلق الله – سبحانه وتعالى – ؟ السؤال الثاني : هناك من ادعى في هذا الزمان أن آدم عليه السلام خلق من أب وأم فما رأيك يا شيخ؟

السؤال: هل نفخ الله في آدم الروح؟

نعم، الله –عز وجل– نفخ في أدم الروح، كذلك في عيسى –عليه السلام–، والروح هنا الروح المخلوقة، روح مثل خلقه، نسبت الروح إلى الله –عز وجل– كنسبة الخلق إلى الله، فلا يعني بالروح أنه قد أخذ صفة القداسة، الروح لا تعني النفس، والذات، كلمة روح كلمة مجملة، وهنا أضيفت إلى الله– تعالى– إضافة تكريم، الله كرم آدم بأن نفخ فيه من روحه التي هي من خلق الله،وكذلك عيسى عليه السلام.

السؤال الثاني: هذه الأوهام و الوساوس.

أولا: في الحقيقة أنا أنصح الأخوة المشاهدين نصيحة عامة، إذا جاءت مثل هذه الأوهام يجب أن تعرض على طالب علم، أو عالم، ولا تعرض على عامة الناس؛ لأن هذه مداخل للشيطان على كثير من قد يكونوا في غفلة

من هذه الأمور، وفي عافية، فأحيانا مجرد إنشاء السؤال على ملايين الناس، أو على آلاف الناس، قد يحدث في قلوبهم شكوك، خاصة السؤال الخطير الذي يتعلق بالله -عز وجل-، أما بقية الأسئلة والإشكالات في العقيدة، فأرى أن عرضها مناسب، لكن هذا السؤال بالذات، وما يشابهه، يعني الأسئلة التي لا تليق بالله -عز وجل-، أو توهم النقص في حق الله -عز وجل- فالأولى أن الإنسان يسأل عنها أقرب عالم، أو أقرب طالب علم، على أي حال، هذه أوهام، ووساوس ما دامت مجرد عوارض لا تضر، والصحابة -رضوان الله عليهم- شكو مثل ذلك إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولما أشعروا النبي- صلى الله عليه وسلم- أنهم قد يجدون هذه الأمور ولكنهم يعارضوها، قال: ذلك صريح الإيمان، يعني: أنهم وجدوا الإنكار، والاشمئزاز من هذه الأفكار؛ ولذلك أيضا النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكر أن قد يأتي الشيطان ويقول للإنسان كما قال السائل تماما، وهذا ورد في السنة، وهذا يدل على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ما ترك شيئا فيه نصح للأمة إلا ذكره، فبين أن الإنسان يجب أن يعود لأصل الإيمان بالله -عز وجل- ويقول آمنت بالله ثم يستقيم، ويعود إلى الله، ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، ويبعد عن أسباب الأوهام، والوساوس، ويصرف قلبه إلى ربه بالتمجيد، والتسبيح، والذكر، والتهليل، ويصرف قلبه إلى التفكر في آلاء الله ،ونعمه عليه، وليكثر من التعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فإن ذلك -إن شاء الله، لا يضره، إذا عمل هذه الوسائل، والأسباب فإنه لا يضره،- لو لا قدر الله، بقيت هذه الأوهام، فقد تكون من الوساوس التي تحتاج إلى علاج بالرقية، وعلاج أحيانا، وهذا أنصح به بعض الذين يبتلون بمثل هذه الأمور تستقر في نفوسهم، وهذا قليل -ولله الحمد-، لكنه يحدث، أنصح أن يراجعوا الأطباء المختصين، فإن كثيرا من الأدوية -بإذن الله، حاسمة لهذه الأمور، يعني كثيرا مما يرد من الإشكالات أنه يوجد من بعض المسلمين من عنده بعض هذه الخطرات، فقد لا يسلم منها؛ فيهمل نفسه ظنا منه أن مراجعة الطبيب لا تليق، وهذا خطأ فهو من عبث الشيطان نفسه ، النبي صلى الله عليه وسلم يقول (تداوو عباد الله).

وخير التداوي ما تداوي به قلبك وإيمانك، فإذا شعر المسلم بشيء من هذه الأوهام، والوساوس في أي أمر من العقيدة، في الله عز وجل، أو في غير ذلك، وما زالت بالأسباب الشرعية، والأوراد، والذكر، والرقية، فيجب عليه أن يراجع الطبيب، وبإذن الله هذا شيء مجرب.

علاج هذه الأمور غالبا ينتهي بمدة قصيرة، بعض الناس يظن أنه يحتاج إلى علاج مزمن، وأنه يحتاج إلى مراجعة العيادات، هذا كله أوهام إلا النادر، والنادر لا حكم له، فيجب أن يراجع طبيبًا مختصًا، ويجد في ذلك إن شاء الله العافية، ويرجع إلى طبيعة إيمانه، إلى حقيقة العقيدة إن شاء الله.

لو سمحت ما حكم إنكار الرؤيا؟ هل هناك كتيب نتبع عليه؟

ما حكم إنكار الرؤيا؟

هذا حال الناس فيما يتعاطون من أفكار، والقناعات الشخصية، لا حد لغرابة أقوالهم، لو نظرنا إلى ما يقوله الناس، أو ما يخطر على بال كثير من الخلق في إنكار البديهيات، والمكابرة، نجد شيئا عجيبا، يجب ألا نلتفت إلى مثل هذه الأمور، إلا إذا صارت اعتقادًا ينكر به الحق، أو صار صاحبها داعية إلى مثل هذه الأفكار الخطيرة الهدامة، أنا أعتقد أن إنكار الرؤى هذا مكابرة للعقل، قبل أن يكون مخالفة للشرع، من يستطيع أن يدعي أن الناس لا يرون رؤى، أو يحجر على الناس أن يروا رؤى، ما من أحد من الخلق غالبا إلا ويكون رأى رؤيا، أو أكثر، ومن لم ير فإنه يسمع، ويدرك، فإنه يدرك تواتر هذا الأمر عند الناس، فإذًا إنكار الرؤيا نوع من المكابرة، أو الجهل، وربما يكون ناتج عند بعض الناشئين لعدم الخبرة بذلك، من ناحية الحكم الشرعي: فإذا كان أنكر أن يوجد رؤى أخبر الله بها، أو أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم، أو ينكر أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر بأن هناك شيء اسمه الرؤيا، فهذا لا شك مصادم للنص، وضلال مبين، ربما يخرج من الإسلام، أما إذا كان ناتج عن تقصير وقصور، وعدم المعرفة للنص، مع عدم المعرفة للدليل تشهي إلى آخره، فهذه أمور أمراض في

الخلق، تعالج بالنصيحة، بإقامة الحجة، وبيان الحق للناس، ولا نستعجل تجاه مثل هذه الأفكار الغريبة؛ لأنها قد تكون ناتجة عن جهل، وعدم تجربة، فالمهم لا يمكن أن يقول عاقل: بإنكار الرؤيا.

حتى أتواصل معكم خلال الدرس بحثت عن كتاب مجمل أصول أهل السنة في الاعتقاد، لكني لم أجده، فيبدوا أنه متوفر في المملكة عندكم فقط، فهل يوجد منه طبعة أخرى، أو طبعات في مصر، وإن لم يكن موجودا فما الحل؟

على أي حال أنا أعرف أنه موزع في جميع الدول العربية، لكن قد لا يكون متوفر بالقدر الكافي، فأنا آمل من السائلة أن تتصل بطلاب العلم المشاهير، ويرسلون لها الكتاب، أو ترسل لنا عنوانها ولو على القناة، فإن شاء الله نرسل لها نسخة، وتجد الكتاب إن شاء الله عبر الموقع على الإنترنت، والكتاب كما سأل السائل هو مجمل أصول السنة والجماعة في العقيدة، كتيب صغير موجز.

هناك سؤال: يقول: وجد هذا الزمان أن آدم عليه السلام خلق من أبوين

هذا من غرائب الأقوال، على أي حال ذكر الله في كتابه، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم في صريح السنة: أن آدم -عليه السلام- خلق من تراب، خلقه الله -عز وجل- من غير أبوين، وهذا مما ميز الله به آدم على خلقه هذا شيء، الشيء الآخر حتى لم يرد النص في مسألة خلق آدم من غير أبوين، أو ابتداء الخلق من غير أبوين؛ لأن هذا يؤدي إلى التسلسل الممنوع، والتسلسل الممنوع هو وجود اللانهاية، الأبوان يحتاجان إلى أبوين، والأبوين يحتاجان إلى أبوين، إلى ما لا نهاية، وهذا يؤدي إلى التسلسل الممنوع، فالأولية المطلقة لا تكون إلا لله -عز وجل- فما دام آدم مخلوق -وهو أول مخلوق من بني آدم- فلا بد أن يكون خلق من غير أبوين، هذه حتمية عقلية، ثم إنها حقيقة شرعية ذكرها الله -عز وجل- ونص عليها النبي -صلى الله عليه وسلم- .

هناك سؤال وملاحظة: أما السؤال: هل من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب والسنة اسم الستار، أو الساتر خاصة، أن كثيرا من الناس يقولون ياساتر، هذا بالنسبة للسؤال، أم الملاحظة: في بعض البلدان يكثر التعبيد لغير الله – سبحانه وتعالى – كعبد الرضا، أو الحسين، أو غير ذلك، نرجو التعليق على ذلك؟

هو لم يرد نصا أن من أسماء الله الساتر أو الستار، إنما ورد وصف الله بأنه ستير، وعلى هذا إذا اختلف أهل العلم: هل ستير اسم، أو أنه من باب الخبر والصفة لله -عز وجل- ؟وكذلك الستار والساتر، وبعضهم قال: يجوز أن تشتق منها اسما، يعني من الستير فتكون من أسماء الله، لكن ومع ذلك مادامت لم تثبت نصا الساتر والستار من أسماء الله؛ فلا يلزم أن تثبت كأسماء، لكنها تثبت أوصاف لله -عز وجل- وخبر عن الله، وعلى هذا فلا يمنع ذلك من التسمية بها، عبد الستار، وعبد الساتر؛ لأنه الاسم لا يلزم التعبيد لله -عز وجل-، أن يكون تعبيد للأسماء، حتى للأوصاف لله -عز وجل- أن تكون لائقة بالله ،هذا هو الأرجح، وإن كان هناك خلاف كبير بين أهل العلم، لكن الصحيح ما هناك ما يمنعه ما دام المقصود به وصف الله، سواء كان صفة، أو فعل، فلا حرج في ذلك، حتى ولو لم نقل إنه من أسماء الله فيجوز أن ندعو الله به يا ساتر، يا ستير، يا ستار؛ لأنها معاني حقيقة يوصف الله بها؛ ولذلك قال الله -عز وجل- : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[الأعراف: ١٨٠]، والراجح أنها تشمل حتى الصفات التي تندرج تحت اشتقاق الأسماء، أو الصفات التي ممكن يشتق منها أسماء.

تسأل عن التعبيد لغير الله مثل عبد النبي؟.

التعبيد لغير الله لا يجوز؛ لأن العباد عباد لله، فلا يجوز بإطلاق، فإنه من كبائر الأمور، وإن كان المقصود به التعبيد الحقيقي- تعبيد العبودية- فهو كفر، ومخرج من الملة، وإن كان المقصود به مجرد التبرك، فهو كبيرة من كبائر الذنوب، وبدعة، وفيه إساءة أدب مع الله -عز وجل- وفيه إساءة إلى المخلوق الذي يسمى به ذلك الإنسان، هذا الإنسان الذي سمينا باسمه عبد الرضا، عبد النبي، لو كان بإمكان النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يحتج بعد موته لاحتج على هؤلاء؛ لأنهم أساءوا إليه، وكذلك الرضا، والحسين، وغيرهم، لو كان لهم لسان في الدنيا الآن بعد وفاتهم لقاضوا هؤلاء، وحاكموهم؛ لأنهم أحرجوهم أمام ربهم -عز وجل- فلا يستحق العبودية إلا الله، فكأنهم أوقعوهم في حرج مع ربهم - سبحانه وتعالى -، فلا يجوز هذا بإطلاق، بل هو من إساءة الأدب مع الله، وهو أيضا من الإساءة إلى من عبد لهم هؤلاء الناس.

كيف نفسر للطفل عندما يسأل عن أسماء الله، وصفاته، وكيف أن الله استوى على العرش، وأن الله سميع الله بصير، كيف نفسر للطفل هذه الأشياء؟ .

نعم، حقيقة الأطفال كثيرا ما يسألون أسئلة عن أسماء الله، وصفاته، أو في غيره من الأمور الغيبية الكبرى، والطفل في الحقيقة غالبا يسرح مع الخيال، ولا يدرك التفاصيل؛ و لذلك أرى الإجابة له ينبغي أن تكون مجملة، يصرف عن المعاني الدقيقة التي تؤدى إلى الوسواس، أو الأوهام، ويجاب بإجابات مجملة، فيصرف عن هذا إلى تعظيم حق الله -عز وجل- فإذا مثلا: سئل عن الاستواء على العرش، يقال له: إن الله عظيم، وأنه فوق سماواته، وأنه لا يحيط به أحد، كلام مجمل، ويكفي؛ لأن الدخول في التفاصيل ينشأ أسئلة أخرى حتى لا تفسر له الاستواء على ما فسر به بعض السلف، هذا يوقع في شبهة أكبر؛ لأن هذا مداركه قليلة، حتى العامي ليس الطفل لا يجب أن تفصل له هذه الأمور، فإذا ينبغي أن نجيب إجابة مجملة، وكل طفل له حاله من مستوى الإدراك، ومستوى الذكاء، و السن، إلى آخره، فينبغي أن يجاب بإجابة مجملة، يعظم في قلبه الله -عز وجل- ويجاب بأمور عامة، بعيدة عن الدخول في القضايا الحساسة، والطفل غالبا تستطيع تصرفه بالجواب المناسب، فإذا أدخلته في قضايا دقيقة استمر ينشئ الأسئلة، فتقع في إثم، وتتورط في أمر لا طاقة لك به، الطفل أحيانا في سن معينة إذا أشعرته بالتحدي يتوهم أنه يستطيع أن ينزل السماء إلى الأرض، أليس كذلك؟ إذن: فأوهامه كبيرة، فلا تستجيب لأوهامه، لكن أيضا لا تصدم سؤاله بأن تصرفه صرفا كاملا،ا لا أجبه بما يثبت المعاني الإيمانية في قلبه، أجبه بكلام مجمل يعظم فيه ربه -عز وجل- يعلم أن الله أعظم ،وأجل من أن يقاس على خلقه في كلام مجمل، من أجل أن لا تصدمه، ولا تجيبه بأمر لا يطيقه.

ما هو الراجح في أقوال العلماء في اسم الله الأعظم، ورجاء أن تؤجلوا برنامج الأكاديمية العلمية بعد العشاء حتى الساعة التاسعة تقريبا حتى ننتهي من صلاة العشاء في جدة؟

هذا تحت الدراسة قريبا إن شاء الله.

لعل الله -عز وجل- أراد لحكمة منه أن يخفى الجزم باسم الله الأعظم، ليبقى العباد يتحرون اسمه الأعظم في دعائهم له، ولجوءهم إليه، وخاصة حال الضرورة؛ فلذلك الراجح أن اسم الله الأعظم قد يتمثل في معان، أو في معنى واحد يجمعه عدة ألفاظ، اسم الله الأعظم معنى عظيم يجمعها اسم الجلالة الله، والحي القيوم، والعلي العظيم، والعزيز الحكيم إلى آخره.

إذن: الجامع لهذه الألفاظ كلها فهو اسم الجلالة الله، معنى هذا أن اسم الله الأعظم هو معنى عظيم، قد يندرج تحته عدة ألفاظ من أسماء الله، وصفاته، هذه الألفاظ اللفظة التي يجمعها جميعا هو اسم الجلالة الله.

هل يعتبر من أول الصفات كالأشاعرة مثلا من أهل السنة، ونقول إنهم مخطئون؟

مسألة التأويل أنوع: فالذين يؤولون تأويلا منهجيا- أعني أن التأويل يرجع عندهم إلى منهج يتخذونه تجاه كثير من صفات الله- عز وجل-، يصرفون حقائق صفات الله إلى معاني مؤولة -فهذا بدعة، ويخرجون به عن نهج السلف، ولا يعتبرون من أهل السنة، والجماعة، أما ما يقع به بعض المنتسبين للأشاعرة، وبعض العلماء الأفاضل، وبعض طلاب العلم، وغيرهم ممن ليسوا على هذا المنهج، يعني: لا يعتمدون التأويل منهجا أساسيا يردون به كثيرا من الصفات، فإن من أول هذه المسألة تأويلا مفردا مع خضوعهم لمنهج السلف في عدم التأويل، فهذا من باب الزلات، والأخطاء، والجميع وقعوا في خطأ، لكن هؤلاء وقعوا في خطأ عن منهجية، فهذا أخرجهم عن أصل السنة، والجماعة في الجملة، وإن وافقوا أهل السنة في أمور كثيرة ، أما من أخطأ في التأويل باجتهاد، وليس معه منهج يخالف به أهل السنة، والجماعة، فهذا يعتبر من الأخطاء، والزلات التي لا تخرج صاحبها من أهل السنة، إنما يخطأ، ويرد عليه قوله.

بعض الناس يتوسعون في الرؤيا، فهناك من يتوسع في السؤال، وفي الإجابة يسلم من التأويل حتى أنه يجزم، أو ربما يتحدد بالموعد، أو بالساعة، ومنهم من يقفل باب السؤال عن الرؤى بحجة سد الذرائع، والسؤال الثاني: يتبادر أو يسبق أحيانا بين الناس، أو يطرح عليهم سؤال من مثلك الأعلى؟ فيقول مثلى الأعلى مثلا فلان، فهل هذه العبارة صحيحة أو خاطئة؟

لو سمحت إعادة السؤال الأول: كثرة توسع الناس في الرؤى، حتى إن هناك من يتساهل في السؤال عنها، ونجد أيضا من يؤولها و يتساهل في تأويلها، أو ربما يتوسع توسعا يكون غير مرغوب، من تحديد موعد حصول الرؤيا بالزمن، أو وصفها، والتأكد، أو الجزم، بتحققه

على كل حال السؤال اتضح، ما يتعلق بالرؤى مرت في الدرس الماضي -وإن شاء الله، كما نأمل يكون هناك توسع أكبر في هذه المسائل، إنما كما أشرت، وأكرر أن ما ندرسه في هذه الدروس، ودروس مستقبلة قريبة إلى حدود نهاية هذه الفترة إنما هو قواعد وإجماليات، على أي حال مادام نشأ هذا السؤال فأقف وقفة بسيطة، أو مختصرة عند موضوع إفراط الناس، أو تفريطهم في الرؤيا سواء السائلين الذين يرون الرؤيا، أو الذين يتصدون للرؤيا، ويفسرونها، الحقيقة من الظواهر، يعني، الغير المرغوب فيها، والتي هي من جملة ظواهر كثرت في مجتمعنا في الوقت الحاضر، كثرت التعلق بالأحلام، والرؤى، والتشاؤم منها، والسؤال عنها، وعلى العكس كذلك، أيضا كثرة تصدي عدد من طلاب العلم للرؤى بشكل يخرج عن الاعتدال، هذا كله من ضمن الظواهر التي استجدت في مجتمعات المسلمين في العصر الحاضر في عموم الأمة الإسلامية، وهذا ناتج عن عدة عوامل: ما طرأ على المسلمين من المؤثرات في أفكارهم، في عقولهم، في عقائدهم، في معلوماتهم، هذه الثورة المعلوماتية، الطفرة المعلوماتية غير المرشدة، والتي نتج عنها قسوة القلوب، وقلة الورع، نتج عنها تشويش الناس، كثرة الشبهات، أو اضطراب في العقيدة، الاضطراب في الدين، هذه ظواهر معلومة، هذه إذن مسألة الرؤى ظلم هذه المنظومة التي أثرت في المسلمين اليوم، فعلى هذا أقول فعلا هناك إسراف، أو تقصير، أو إفراط، أو تفريط في مسألة الرؤى.

فأولا بالنسبة للرائين: لا مانع أن الإنسان إذا رأى حلما يرى أن له وقع في نفسه، أن يسأل عنه، فأول:ا في مسألة ما يكره وما يحب، النبي – صلى الله عليه وسلم – ذكر (أن الإنسان إذا رأي ما يكره فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم، ولينفث على يساره، فإنها لا تضره.)، لو عمل أكثر المسلمون بهذا المبدأ، استراحت قلوبهم، وما تعلقوا بالأحلام، إذا رأيت شيئا يزعجك اعمل بوصية النبي – صلى الله عليه وسلم –، وثق يقينا، وكن متعلقا بال،له أنها لا تضرك، وإن رأي ما يحب، فليبشر خيرا بدون ما يسأل، ولا يخبر الآخرين.

الشيء الثاني أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قسم الرؤى، وجعل منها ما هو من عبث الشيطان، هذا بالنسبة للرائين، أرى أن يتثبتوا، ولا يكثروا من السؤال، ولا يتعلق قلوبهم؛ لأن الله -عز وجل- يتولاهم،

وليحسنوا الظن بالله، وكذلك بالنسبة لمفسرى الأحلام يتقوا الله في الناس، أول شئ لا يعرف في تاريخ السلف أن أحدا من الناس عمله، ومهنته تفسير الأحلام، هذا خطأ، الأمر الثاني، لا يبالغون مع الناس، ينبغي أن يأخذوا الأمور بقدر، ونظرا؛ لأن الوقت ضاق، فإنا– إن شاء الله– لعلنا نستكمل نتائج الأمور في الحلقات القادمة. – نسأل الله للجميع التوفيق، والسداد، والرشاد،– وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم –.

من هو أول من قسم التوحيد إلى توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، هل هو شيخ الإسلام بن تيمية، أم هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله –؟

تقسيم التوحيد أوًلا قبل أن أذكر أول من قال به، تقسيم التوحيد، أو غيره من التقسيمات العلمية التي احتاجها المسلمون على مدى التاريخ، هذه أمور راجعة إلى تطور العلم الشرعي عبر التاريخ، تطور وسائل العلم الشرعي، يعني: تقسيمات العلم يعني: أنماطه، و موضوعاته، فمثلا:ا في عهد التابعين، جاء تسمية النصوص إلى حديث، وآثار، وقرآن، وسنة، وعلوم قرآن، ثم في القرون الثلاثة الماضية، قسم العلم الشرعي إلى فقه، وكذا، ثم بعد ذلك إلى فقه، وأصول فقه، هذه التقسيمات العلمية، تقسيمات فنية، علمية، موضوعية، ترجع إلى تقريب العلم للناس، من ذلك تقسيم التوحيد، تقسيم التوحيد ليس توقيفا، ولا ضروريا، ولا أيضا مشاحة فيه؛ لأنه يجوز تقسيم التوحيد إلى ثلاثة، أو إلى خمسة، ممكن نقول: توحيد الذات، توحيد الأسماء، توحيد الصفات، توحيد الأفعال، توحيد الأخلاق، م فيه مانع، هذا شيء، الشيء الأخر: أنه هناك من لمح إلى تقسيم التوحيد قبل شيخ الإسلام ابن تيمية، تلميحات واضحة، لكنهم ما جعلوا له التقسيم الموضوعي، الفني، كما فعل هو؛ لأنه هو احتاج إلى تقسيم التوحيد نظرا لكثرة الخلل في هذا الجانب عند المخالفين، فوضح ما كان عليه السلف.

فإذًا القضية لا تحتاج إلى مثل هذه الحساسية من بعض الذين أنكروا على شيخ الإسلام ابن تيمية، ولا أيضا إلى التعصب عليها عند الذين جعلوها وكأنها توقيفية، فالأمر لا هذا، ولا ذاك، التقسيم: تقسيم علمي بالصبر، والاستقراء، علمي واضح دقيق، لا مشاحة عليه، ولا مشاحة في الاصطلاح.

الطيب هل هو من أسماء الله الحسنى أخذا من حديث (إن الله طيبا لا يقبل إلا طيب)

هذا وصف لله– عز وجل– ولم يثبت أنه من أسماء الله –عز وجل– بهذا الصيغة فيما أعلم إلى حد الآن لكنه من الأوصاف.

السؤال: الفرق بين النبي والرسول؟

نعم، الراجح أن هناك اختلاف جزئي؛ لأنه كل رسول نبي، وليس كل نبي رسول؛ لأن الرسل طائفة اصطفوا من الأنبياء، فالرسل هم أعلى درجات النبوة، فيه النبوة وزيادة، وعلى هذا، فإن الرسل فيما يظهر –والله أعلم– هم الذين نزلت عليهم شرائع مستقلة، وكتب مستقلة، وأيضا كانت لهم أمم كبيرة في الغالب وأتباع، الأنبياء غالبا يتبعون شرائع الرسل، ولا تأتيهم كتب جديدة، إلا أن تكون تصحيحات، وتعديلات في كتب منزلة، فعلى هذا فالأنبياء أوسع دائرة، والرسل أخص، وأرفع درجة،– والله أعلم–.

ذكرتم لنا أن للملائكة حقوق علينا هل منها أن نقول عليهم السلام كالأنبياء؟

نعم ،لا مانع أن نقول (عليهم السلام)، لكن هذه لم نتعبد بها، لكن من باب أنهم أطهار، وأخيار، إلا جبريل – عليه السلام–؛ لأنه ورد السلام عليه، ومع ذلك الأمر جائز، أن تسلم على الملائكة إذا جاء لهم ذكر، ثم إن من حقوقهم أيضا: ما هو أوفى من ذلك، يعني: نؤمن بحقائق صفاتهم الكمالية لأن، الله –عز وجل– أعطاهم من الصفات، والأحوال، و الكماليات ما يجعلنا نغار منهم، ونتطلع لأن نكون بمنزلتهم، الغيرة المحمودة؛ فلذلك يرعى

المؤمن حق الملائكة؛ لأنهم حوله دائما، يراعي حقوقهم من حيث أنهم لا يعصون الله –عز وجل–، وأنهم لا يليق أن يعمل عندهم ما لا يحسن، ومع ذلك كله يجب أن يراقب الله، أقول هذا؛ حتى لا يتعلق قلب المؤمن بغير الله، لكن من حقوق الله، ومما يجب في مراقبة الله أن نراعي خلق الله الكرام، نراعي حقوقهم تأدبا مع الله الذي أوجب علينا هذه الحقوق.

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله -صلى الله عليه وآله وسلم- ورضي الله عن صحابته والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

بعون الله وتوفيقه نستأنف الدرس كالمعتاد في عرض بعض الأسئلة:

أولا: سنعرض سؤالا واحدا على الإخوة المشاهدين، وتردنا الأجوبة كالمعتاد.

هذا السؤال هو ما الأصل في أسماء الله وصفاته وأفعاله، وما الدليل الذي يحكم هذه القاعدة، أو أورد دليلا يحكم هذه القاعدة من كتاب الله -عز وجل-؟

أما الأسئلة الأخرى فأعرضها على الإخوة الطلاب الحاضرين، وأولها:

ذكرنا في الدرس الماضي في موضوع القدر، وذكرنا مراتب القدر التي لا يتم الإيمان بالقدر على الوجه الذي يرضي الله -عز وجل- إلا بها، كم هذه المراتب، وما هي؟ نعم تفضل.

مراتب القدر أربعة: العلم: أن الله علم الأمور، ثم الكتابة: إن الله كتبها في اللوح المحفوظ

كتب مقادير كل شيء

ثالثا: المشيئة: أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، رابعا: الخلق: أن الله خالق كل شيء.

أيضا أورد سؤالا آخر يتعلق بالإيمان باليوم الآخر، الإيمان باليوم الآخر يشمل أمورا تكون في الدنيا، ما هي؟

تشمل أشراط الساعة مثل: الإيمان بنزول عيسى -عليه السلام- والمسيح الدجال، وأشراط الساعة المذكورة

لماذا ألحقت باليوم الآخر؟

لأنها تتقدم هذه

لأنها مقدمات؛ ولذلك سميت أشراط الساعة، وهي آخر الدنيا.

بسم الله الرحمن الرحيم، يقول ضيفنا الكريم (عاشرا: الإيمان بما صح الدليل عليه من الغيبيات: كالعرش، والكرسي، والجنة، والنار، ونعيم القبر وعذابه، والصراط، والميزان، وغيرها دون تأويل شيء من ذلك)

نعم، هذه قاعدة الإيمان بالغيب، والإيمان بالغيب تدخل فيه أمور الإيمان الأخرى السابقة: الإيمان بالله، وملائكته؛ لأن الملائكة غيب، وكذلك اليوم الآخر، وسائر المغيبات، يعني بمعنى: أن أركان الإيمان الستة تضمنت أصولا عظيمة من أصول الغيب، لكن الإيمان بالغيب لا ينحصر في أركان الإيمان أو بعض أركان الإيمان، بل الغيب يشمل كل ما أخبر الله به، وأخبر به رسوله -صلى الله عليه وسلم- فيما صح عنه من أمور

المغيبة، والأمور المغيبة على نوعين: منها أمور مغيبة تحدث في الدنيا من أمور مستقبلية أو حتى ماضية لكن انقطعت أخبارها عن الخلق، مثل ما جاء في قصص كثير من النبيين على الوجه السليم الصادق، لا على ما وري في التاريخ مما دخله من حكايات وكذب.

إذًا الجانب الأول هو الغيبيات التي غابت عنا في الدنيا من أخبار السالفين، وأيضا من الأخبار المستقبلية، ومنها أشراط الساعة.

النوع الثاني: الغيب الذي هو غائب عن الدنيا، أو لا يتعلق بحياة البشر وهو أيضا على صنفين:

الصنف الأول: ما يتعلق بالغيبيات الكونية الكبرى التي لا علاقة لها مباشرة بحياة الإنسان، مثلما يتعلق بأخبار السماوات، وأخبار والعرش، والكرسي، والأمور التي هي موجودة حاليا في الدنيا، لكنها أيضا فوق مدارك البشر، ولا تتعلق بحياة البشر المباشرة.

النوع الثاني: الغيبيات التي تتعلق باليوم الآخر، وأيضا هذه الأمور كلها تسمى الإيمان بالغيب؛ لأنها غائبة عن المدارك، بل حتى غائبة عن العقول تفصيلا، تفصيلاتها غائبة عن العقول وعن المدارك، كل المدارك: الحواس الخمس، وغير الحواس، لا تدركها حتى الوسائل العلمية الحديثة؛ ولذلك وساستعجل هذه المسألة؛ لأهميتها؛ لذلك ظن بعض الناس أن ما أدركته العلوم والكشوف العلمية الحديثة مما هو غائب عن البشر أنه نوع من الاطلاع على الغيب، وهذا خلاف القاعدة الشرعية، كل ما أدركه البشر، وما سيدركونه في مداركهم العلمية التجريبية الحسية أو غير الحسية التي تتبنى على قطعيات، هذه أمور كلها مما لم يكن غيب في علم الله –عز وجل– لكنه غائب عن بعض البشر، لم يكن غائبا عن آخرين، غائب عمن سبقونا اكتشفه المعاصرون، وربما تحدث كشوف أخرى كثيرة جدا لا تخرق الإيمان بالغيب، بل هي نوع مما أطلع الله به عباده، لكن الغيب الخالص لا يمكن الاطلاع عليه؛ ولذلك جاءت هذه القاعدة: أن على المسلم أن يسلم ابتداء بأنه مؤمن ومصدق بكل ما صح به الدليل، والدليل نوعان :

أولا: القرآن، والقرآن كله صحيح.

وثانيا: ما جاء عن النبي –صلى الله عليه وسلم– فالذي يروى عن النبي –صلى الله عليه وسلم– منها ما يصح، ومنها ما لا يصح، فما صح بأسانيد صحيحة صار من الدليل الذي يجب الإيمان بمدلوله.

وعلى هذا ما صح به الدليل هو القرآن، وما صح عن النبي –صلى الله عليه وسلم– بسند صحيح من جميع الغيبيات المذكورة في السابقة واللاحق في الدنيا والآخرة في الأرض وفي ملكوت السماوات، وما أخبر الله به مما فوق ذلك؛ لأن الله –عز وجل– أخبر من الغيبيات ما هو فوق السماوات: كالكرسي، والعرش، وهي مخلوقة؛ ولذلك جاء ضرب المثل بالعرش وهو أعظم المخلوقات التي جاء خبرها عن الله –تعالى– وعن رسوله –صلى الله عليه وسلم– وهو محيط بالمخلوقات وهو عرش الرحمن، والله –عز وجل– أشار إلى العرش إشارات كثيرة: منها ما يتعلق بصفات الله –عز وجل– وهو قوله – سبحانه وتعالى –: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ ﴾[طه: ٥]، واستواء الله يليق بجلاله، ينبغي أن لا يفسر بلوازم المحدثات، وأعنى بذلك أن كثيرين خاضوا في مسألة الاستواء بغير علم، واستواء الله على عرشه على ما يليق بجلاله، العرش مخلوق، الله –عز وجل– ليس بحاجة إلى مخلوق؛ فاستواء الله على مايليق بجلاله، العرش –والكرسي دون العرش–، والكرسي أيضا محيط بالسماوات وهذا بالنسبة للغيبيات التي هي عوالم من عوالم الكون مخلوقات من مخلوقات الكون موجودة ليست تتعلق بالمستقبليات، هناك نوع آخر من الغيبيات كما أشرت في أول حديثي، وهو الغيبيات المستقبلية ومنها الجنة والنار، والجنة والنار لها حالتان:

الحالة الأولى: وجودهما الآن، فلا شك أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، لكن ليس على الهيئة الكاملة التي يكون عليها يوم القيامة بعد أن ينقسم الناس إلى سعيد إلى الجنة –نسأل الله أن يجعلنا جميعا منهم– وإلى شقي إلى النار، قبل أن ينقسم الخلق فالجنة والنار موجودتان الآن وبعد الآن، وكذلك مما يمثل به على الغيبيات ما يتعلق بالحياة التي بين حياتين حياة الإنسان إذا مات –وتسمى الحياة البرزخية– وقبل أن يبعث، هذه تسمى الحياة البرزخية؛ لأن البرزخ الشيء الذي يكون بين شيئين: كالجسر، فالحياة البرزخية تتمثل بالقبر، والقبر أيضا وردت فيه غيبيات كثيرة، وأحوال عجيبة جدا، ومشاهد مروعة في القبر قبل القيامة، من ذلك نعيم القبر –نسأل الله أن يجعلنا من المنعمين وجميع المستمعين وجميع المسلمين نعيم القبر– فالنعيم هذا له أحوال ورد ذكرها تفصيلا ثبتت عن النبي –صلى الله عليه وسلم– فيجب الإيمان بها كما وردت دون عرضها على مقاييس البشر، ولا على مقررات العقول؛ لأن العقول لا تعقل إلا مدركاتها، وأحوال البرزخ خارجة عن مدركات العقول، فنعيم القبر جاءت فيه تفاصيل يجب الإيمان بها، وعذاب القبر نسأل الله العافية كذلك جاءت فيه تفاصيل، وكل ميت لا بد أن يخضع لإحدى هاتين الحالتين، اللهم إلا ما ورد في الشهداء، وهذا فيه خلاف، هل يعني هذا أنهم لا يعيشون حياة البرزخ؛ لأنهم في حوصل طير في الجنة، أو أنهم يعيشون حياة البرزخ، لكن لهم حال أعظم وأسعد من غيرهم، الله أعلم هذا أمر غيبي ما جاء فيه –فيما أعلم– ما يقطع به، إذًا البشر كلهم خاضعون لهذه الاعتبارات وهذه الغيبيات.

ثم بعد ذلك ما بعد القبر وهو داخل في الإيمان باليوم الآخر، وفصلناه في الدرس الماضي، فلا نطيل فيه، وهو إجمالا البعث النفخة الأولى، والنفخة الثانية: الصعق والبعث والنشور والحساب، و الحساب يتخلله الصحف والميزان، ثم بعد ذلك الصراط والحوض –حوض النبي –صلى الله عليه وسلم– نسأل الله جميعا أن يجعلنا ممن يردونه، ونحو ذلك هذه أمثلة فقط.

كل ما ورد من غيبيات يجب الإيمان به، ثم مما ينبغي معرفته أن هناك قواعد للإيمان بالغيبيات: القاعدة الأولى: أن نعلم أنها حقائق وليست مجرد أمثلة أو تخييلات أو مجرد تصوير أو تمثيل، بل هي حقائق، وأن هذه الحقائق أيضا غائبة عن المدركات لا يمكن أن تقاس بغيرها من المدركات، ولا يقاس بها غيرها؛ ولذلك الذين استعملوا القياس هلكوا وهم صنف من الخراصين، الذين ذكرهم الله –تعالى– وتوعدهم ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١) ﴾[الذاريات:١٠]، بل القول في الغيبيات بغير ما ثبت به الدليل هو قول على الله بغير علم، والله –عز وجل– نهى عن ذلك وأرشدنا بقوله – سبحانه وتعالى –: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦)﴾[الإسراء: ٣٦]، بل أيضا يدخل في قول النبي – صلى الله عليه وسلم – لما تجادل بعض الصحابة في بعض الآيات التي تتعلق بالغيب والقدر قال: (أبهذا بعثتم؟ أبهذا أمرتم؟ تضربون آيات الله بعضها ببعض) قال: (فما علمتم منه؛ فاعملوا به، وما لم تعلموا؛ ردوه إلى عالمه، قولوا: الله أعلم) ولذلك ميز الله المؤمنين بالغيب، لماذا تميزوا؟ لأنهم سلموا تسليم المذعن لله، المسلم الموقن، والمصدق بخبر الله، وخبر رسوله –صلى الله عليه وسلم– تسليم المبصر، لا تسليم الأعمى؛ لأن الذي يسلم التسليم الأعمى هو الذي يقلد الآخرين من المخلوقين، أما الذي يسلم لله –تعالى– فهذا تسليمه مبصر، هذه البصيرة، لماذا أقول هذا؟ لأن بعض المفتونين، وبعض قليلي الإيمان، أو من عندهم شبهات: يظنون أن التسليم للغيبيات نوع من الحجر على العقل، وأنه نوع من التقليد والتسليم غير الرشيد، وهذا كله وهم، نعم، التسليم للمخلوقين فيما لاطاقة لهم به ولا علم لهم به نوع من التقليد الأعمى المذموم، لكن التسليم لله –عز وجل–، والتسليم لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– في خبره هذا هو الإيمان بالغيب الذي امتدح الله المؤمنين به وميزهم عن غيرهم، المؤمنون بالغيب ميزوا عن غيرهم، ومن أعظم ما ميزوا به الإيمان بالغيب.

ثم بعد ذلك هذه الأمور يجب الإيمان بها دون تأويل ولا تحريف، ما معنى دون تأويل؟ يعني بمعنى لا نبحث لها عن معان تصرفها عن حقائقها، ما دمنا قلنا: أن مقتضى التصديق لله ولرسوله –صلى الله عليه وسلم– أن نعلم أن كلام الله حق، وأن خبر النبي –صلى الله عليه وسلم– حق، فمعنى ذلك أن هذه الغيبيات هي حق على

حقيقتها على حسب علم الله –عز وجل– فيها، كيفياتهما مما لا يعلمها إلا الله فهي حق، إذا كانت حق؛ فإذًا هي لا تقبل التأويل؛ لأن التأويل هو صرف معاني الألفاظ والكلمات من معانيها وحقيقتها المباشرة إلى حقائق أخرى متوهمة أو متصورة أو يلجأ إليها عندما يصطدم الإنسان بحقائق الواقع، بينما أمور الغيب لا تصطدم بأمور الواقع، فلا نحتاج فيها إلى تأويل، إذًا لا تأول يعني لا تصرف معانيها إلى معان مظنونة محتملة كما يعمل أهل التأويل، ونضرب لهذا مثالا: الله –عز وجل– أخبر عن نفسه – سبحانه وتعالى –بأنه على العرش استوى، نحن نؤمن بهذا؛ لأنه حق على ما يليق بجلال الله –عز وجل– ولا نزيد على ما ورد في الشرع، فلا يجوز أن يتوهم شخص: أن الاستواء نظرا؛ لأنه متعلق بالعرش، والعرش مخلوق، إذًا لا بد أن نأوله بأن نقول: إن الاستواء هو الاستيلاء، هو الهيمنة، هو السلطان، نعم، هذه المعاني هي من لوازم الاستواء، فلا شك أن الله –عز وجل– مهيمن، ورب، ومالك – سبحانه وتعالى – لكن أيضا لا بد أن نؤمن أن الاستواء لله –تعالى– على عرشه حقيقة تليق بجلاله وكماله ليست كاستواء المخلوق.

ومن هنا نستبيح ونؤمن بالحق كما ورد، ونخلص من أوزار التأويل التي هي نوع من القول على الله بغير علم، التخرص الذي هو من لوازم التأويل: اللوازم الباطلة.

أيضا أريد أن أنبه لأمر مهم: هو أنه عندما نقول: بأن الغيبيات حق من حقائها لا يعني أنا لا نؤمن بلوازمها، بعض الناس يظن أن السلف، وأهل السنة إذا قالوا بحقائق صفات الله –عز وجل– وأسمائه كما يليق بجلال الله، وحقائق الغيبيات أنهم يجمدون على النص، ولا يؤمنون باللوازم والمعاني التي تدل على سياقات، والتي جاء إثباتها من خلال ورود النص، لا يؤمنون بهذا وذاك، يثبتون حقيقة الغيبيات وما يلزم ذلك من اللوازم الضرورية التي تلزم من الإيمان بهذه الأمور.

الحادي عشر (الإيمان بشفاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – وشفاعة الأنبياء والملائكة والصالحين وغيرهم يوم القيامة، كما جاء تفصيله في الأدلة الصحيحة)

هذا تفصيل بعد الإجمال، الشفاعة من الغيبيات، بعض الناس يظن أن الشفاعة من الحقائق الاجتهادية العلمية القائمة على البحث والنظر، لا، الشفاعة قضية غيبية جاء بها الخبر، ولها شروط جاءت عن الله –تعالى– وعن رسوله – صلى الله عليه وسلم – والمقصود بالشفاعة: أن أناسا يوم القيامة بوساطة الغير، وهذا الأمر الذي هو الشفاعة مشروط بشروط أهمها: أن يأذن الله –تعالى– للشافع أيا كان حتى نبينا – صلى الله عليه وسلم – وهو أعظم الخلق وأزكاهم وأفضلهم لا يمكن أن يشفع إلا بعد أن يستأذن ربه –عز وجل– ثم يأذن له، وكذلك الباقين، إذًا الشفاعة هي الوساطة التي تكون يوم القيامة لبعض الخلق بشروطها: أول شرط لها: أن يأذن الله –عز وجل– ، وثاني شرط: أن يكون المشفوع له ممن تقررت لهم الشفاعة، أي من المسلمين، فلا شفاعة لغير مسلم؛ لأن الله –عز وجل– ذكر عن غير المسلمين ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾[المدثر: ٤٨]، وهذه قاعدة قطعية مجمع عليها قد يرد سورة واحدة جاء بها النص، وليست شفاعة كاملة، إنما شفاعة جزئية، وهي شفاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – لعمه –وهو مشرك– أن يخفف عنه من عذاب جهنم، نعوذ بالله من جهنم، هذه الشفاعة الوحيدة التي كانت لمشرك، أم البقية فإن الله –عز وجل– شدد بالشفاعة بقاعدة يقينية، إذًا أن يكون المشفوع له ممن يستحقون الشفاعة بألا يكون من المشركين من الكافرين، بأن يكون في أصله مؤمن.

الشفاعة أنواع: أولها: شفاعات النبي – صلى الله عليه وسلم – وتجمع؛ لأن بابها واحد، بعض الناس يظن أنه إذا قلنا الإيمان بشفاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – يعني ذلك أنها واحدة، لا، شفاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – تدخل فيها صور، أولها شفاعته للخلائق يوم القيامة أن يفصل الله بينهم القضاء، وهذا ورد فيه حديث طويل في الصحيح وعجيب، وهذا الحديث تضمن مشاهد من مشاهد يوم القيامة فعلا توقظ القلوب الحية؛ ولذلك

أوصي إخواني جميعا أن يراجعوا مثل هذه الأحاديث التي امتلأت بالعبر والعظات، والتي توقظ القلب وتجعله قريبا من الله -عز وجل- يحبه ويتقيه ويخشاه.

هذه الشفاعة شفاعة النبي - صلى الله عليه وسلم - العظمى والكبرى هي أعظم الشفاعات وذلك أن البشر يوم القيامة يحشرون طويلا في يوم عصيب: تدنوا منهم الشمس، ويرون جهنم تزفر أمامهم، ويشاهدون من المشاهد المروعة، لولا أن الله كتب عليهم ألا يموتوا لماتوا، ويكون الحشر طويلا طويلا جدا، ثم بعد ذلك يموج بعضهم في بعض يبحثون عن من يشفع لهم أمام الله -عز وجل-؛ لأن الباري - سبحانه وتعالى - يغضب هذا اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، فالبشر أمام الله - سبحانه وتعالى - لما استبانت لهم الحقيقة، ورأو أنهم فرطوا في دنياهم بأعمالهم، لم يكن لهم على الله -عز وجل- وجه بأن يقولوا أو يطلبوا؛ فراحوا يطلبون من أقرب ولاية إلى الله، فظنوا أن آدم ما دام أبو البشر فهو الذي أليق بالشفاعة، فذهبوا إليه، فاعتذر، فذهبوا إلى إبراهيم، فاعتذر، وذهبوا إلى موسى وعيسى ونوح قبل ذلك، ثم عند عيسى -عليه السلام- فقال اذهبوا إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - فإنه عبد قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فوصف النبي - صلى الله عليه وسلم - بالعبودية؛ لنعلم أن العبودية عزة وليست ذلة، لكن عبودية للخلق فعلا إذلال، أما العبودية لله فهي تمام العز؛ ولذلك أعظم مقام شرف الله به نبيه - صلى الله عليه وسلم - هو عبوديته لله العبودية الكاملة.

النبي - صلى الله عليه وسلم - مما يدل على أن الشفاعة لا تكون إلا بإذن؛ ما نسي حق ربه -عز وجل- بل استشعر هيبة الله وعظمة الله، فراح يدعو طويلا يستأذن ربه -عز وجل- في أن يأذن له بالشفاعة يسجد تحت العرش، ويدعو طويلا، ويدعو الله بمحامد يلهمه الله إياها، حتى يقول له الله: يامحمد ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع، وهذا هو والله المقام العظيم، والوسيلة التي وعد الله بها نبيه - صلى الله عليه وسلم - وهذا المقام المحمود، مع أنه قد يدخل فيه غيره أيضا، الشاهد أن هذه أعظم شفاعة، أن يشفع النبي - صلى الله عليه وسلم - للخلائق في أن يفصل الله بينهم القضاء، ثم تتوالى شفاعات للنبي - صلى الله عليه وسلم - شفاعاته لأهل الكبائر، شفاعاته لأهل الجنة أن تعظم درجاتهم فيها، شفاعاته لأناس استوت حسناتهم وسيئاتهم إلى آخره.

النبي - صلى الله عليه وسلم - له شفاعات حسب ما ثبت في النصوص، ثم يشفع النبيون، ثم تشفع الملائكة، ويشفع الصالحون والمؤمنون، وورد لبعض أفراد الناس والأحوال شفاعات: فالقرآن له شفاعة لأصحابه القراءة، والصيام له شفاعة، وكذلك الشهداء إن ثبت النص لهم شفاعة، أطفال المؤمنين لهم شفاعة الذين يموتون هم وأهلهم على الإسلام.

إذًا الشفاعات تكون لمن أذن الله لهم، ولا تكون إلا للمؤمنين الصالحين، كما جاء تفصيله في الأدلة الصحيحة؛ ولذلك لا يجب أن ندعي بشفاعة لم يرد بها الشرع لماذا؟ لأن الشفاعة هي إذن من الله -عز وجل- لا يمكن أن نفترضها من أنفسنا، أو أن نقول على الله فيه بغير علم، أو ندعي أن هناك لأحد من الخلق شفاعات لم تثبت، نعم الشفاعات المطلقة ثابتة بمعنى شفاعات النبيين، لكن كيف تكون شفاعات المؤمنين، لكن كيف تكون؟ الله أعلم، شفاعات الصالحين كيف تكون؟ الله أعلم، لا نفترض لها صورا ونحد لها حدودا الآن؛ لأنها غيبية وتحدث يوم القيامة، ثم إن هذه الشفاعات يجب ألا تفتح بابا للجوء إلى المخلوقين في الحياة الدنيا أحياء أو أمواتا؛ لأن الشفاعات إنما تكون يوم القيامة.

(الثاني عشر رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة في الجنة، وفي المحشر حق، ومن أنكرها، أو أولها فهو زائغ ضال، وهي لم تقع لأحد في الدني)

نعم، هذه أيضا من المقامات العظيمة والتي يتطلع لها المؤمن ويتشوق إليها، وهي أيضا من الأمور الغيبية التي يجب أن لا نزيد فيها على ما ورد في الشرع، وهي أعظم النعيم الذي وعد الله به عباده: رؤية المؤمنين لربهم في الجنة بأبصارهم، كما يليق بجلال الله، ونسأل الله أن يمتعنا جميعا بذلك.

رؤية المؤمنين لربهم أعظم النعيم ما يدانيها شيء؛ لأن الله -عز وجل- وصفها بذلك؛ ولأنها أيضا معلوم أمرها بالضرورة، يعني: لا يعقل أن يتصور إنسان أن هناك أعظم نعيم من التمتع برؤية الله -عز وجل-؛ ولذلك الله -عز وجل- وصفها بمثل هذه الأوصاف، قال - سبحانه وتعالى -: عن المؤمنين الذين يدخلون الجنة ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥)﴾[ق: ٣٥]، ما يشاءون فيها هل تحد بحد؟ ما تحد بحد، كل ما يمكن يتمناه المؤمن في الجنة من النعيم يكون ويحدث له؛ لأن الله وعد بذلك، لكن هناك ما هو أعظم ما لا يتطلع إليه قبل أن يعده الله به، وهو ما وعده الله به وهو الرؤية.

ثم بعد ذلك أيضا قال الله -عز وجل- ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾[يونس: ٢٦]، وقال - سبحانه وتعالى - ممتنا على المؤمنين ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) ﴾يعني بهية مستبشرة ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ [القيامة: ٢٢:٢٣]، بعد أن نضرت بأعماله الصالحة، ونجت وزكت، متعها الله بالنظر إلى وجهه الكريم، نسأل الله أن يجعلنا ممن يتمتعون بذلك.

فإذًا رؤية المؤمنين لربهم في الجنة من الحقائق التي تواترت بها النصوص، طبعا هي غيبية؛ ولذلك الذين استعملوا عقولهم في الخوض في هذه الأمور وقعوا في هلكة؛ لأنهم قالوا: يعقل، ما يعقل إلى آخره من أمور هم أصلا في عافية منها، وقاسوا رؤية الخالق -عز وجل- على رؤية المخلوقين، قالوا: لا يمكن هذا؛ لأنه يترتب على الرؤية كذا، ويلزم منها كذا، لوازم بعضها حق، ويثبت لله -عز وجل-؛ لأن مما قالوه: قالوا يلزم من إثبات الرؤية إثبات الجهة لله -عز وجل- سبحان الله- ماذا تقصدون بالجهة؟ هذا كلام مجمل، الجهة نحن لا نجعلها وصفا لله، ولا نقول بها حتى نفصل،إن قصدتم بالجهة العلو، نعم، المؤمنون يرون ربهم من فوقهم، كما هو نص حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - فلماذا تنزعجون من الحق؟ ولماذا تقولون: هذا يلزم الجهة؟ العلو كمال، وكل عاقل يدرك بعقله وفطرته وبجميع المقاييس الحس والمشاهدة ومقاييس الفكر والعقل: أن العلو كمال، أليس كذلك؟ إذًا لماذا يتهيبون إثبات العلو لله -عز وجل-؛ ولذلك نفوا الرؤية زعمًا منهم أنها يلزم منها الجهة، وهربوا من إثبات العلو الثابت لله -عز وجل-.

إذًا الرؤية حق، لكن لا نتكلم فيها بأكثر مما ورد به النص، كيف تكون؟ هذه أمور لا يجوز أن نخوض فيها؛ لأنها تطلع إلى الغيب المحجوب الذي لا يعلمه إلا الله -عز وجل- خاصة فيما يتعلق بالله -عز وجل- بذاته وأسمائه وصفاته أفعاله، والرؤية هذه أمور متعلقة بالله يجب على المسلم أن يتهيب ويتورع أن يخوض فيها، أو حتى أن يفتح لنفسه باب الأسئلة والإشكالات، إن جاءته وساوس أو خواطر عارضة سيدفعها الإيمان بإذن الله، وإلا يسأل أهل العلم، لعل الله -عز وجل- أن يفتح عليه جوابا ينقذه من الوساوس، أما أن يبتدأ ابتداء بالتوهمات، فهذا من الخطأ.

قال: وفي المحشر الرؤية نوعان كلها يوم القيامة، الرؤية في الجنة ذكرتها، الرؤية الثانية: رؤية جاءت مجملة لم تفصلها النصوص، وتبقى كذا نؤمن بها إجمالا: وهي أن الناس يرون ربهم في المحشر، وثبت في النصوص كيف؟ -الله أعلم-، ولم يرد من التفصيل بالرؤية في المحشر، كما ورد من التفصيل في الرؤية في الجنة، ولذلك نقف على النصوص؛ لذلك يجب معرفته: أن الرؤية لا تكون إلا يوم القيامة، سواء في المحشر، أو في الجنة، وعلى هذا لا يجوز، ولا يمكن أن يرى ربه بعينه في الدنيا، ولذلك الله -عز وجل- لما قال له موسى يعني: طلب الرؤية، قال الله -عز وجل- لن تراني تأبيد الحياة، ولا يعني التأبيد إلى ما بعد الحياة، تأبيد الحياة الدنيا؛ لأن الله -عز وجل- لا يحكم سننه الكونية -ما بعد الدنيا- لا يحكمها شيء، هذه العبارات تحكم حياة الناس والزمان الذي نعيش فيه إلى قيام الساعة، لن تراني يعني: في الدنيا، وكذلك كل الخلق لا يمكن أن يرى أحد ربه بعيني رأسه، نعم، قد يقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لما عرج به هل رأى ربه بعين رأسه؟ إن كان رأى فهذه خصوصية، فالنبي - صلى الله عليه وسلم - خصه الله -عز وجل- بأمور كثيرة لا تكون لغيره.

لكن الراجح أن نبينا محممد – صلى الله عليه وسلم – لم يرَ ربه بعين رأسه، إنما رآه رؤية قلبية فؤادية الله أعلم بها.

هناك مسألة متفرعة عن هذا يقع فيها الإشكال، هل يمكن لأحد أن يرى ربه في المنام؟ أنا أطرح السؤال على الإخوة الحاضرين.

لا، لا يمكن صريح الآية تدل: إذا كان نفى على الحياة التي هي أوضح صورة، فمن باب أولى في المنام؛ لأن الشيطان ربما يشوش على الإنسان في منامه

نعم، جوابك له وجه، وبقي وجه آخر، هذا الجواب صحيح، إذا قصدنا بالرؤية الرؤية الحقيقة الرؤية العينية، الرؤية الحقيقية لا يمكن أن تكون لا في المنام، ولا في اليقظة في الدنيا، لكن رؤية أحلام هذه أحلام، يعني بمعنى: أن إنسان يرى شيئا يأتيه في المنام أنه رأى ربه، هذا حلم وليس بحقيقة، ثانيا: أن هذه أمثال تضرب؛ ولذلك الناس إذا بالغوا في أمر غير حقيقي، قالوا: هذا حلم، أليس كذلك يقصدون غير واقع، غير حقيقي؛ فلذلك إذا كان أحد ادعى أنه رأى في المنام شيئا ظن أنه الله، نقول: لن ترى الله على الحقيقة، إنما هي أمثال ضربت لك أحلام حتى ولا رؤية؛ لأن الرؤيا الصادقة لا تكون إلا للنبي – صلى الله عليه وسلم – ولذلك قال النبي: (رأيت ربي البارحة) هذه خاصة به، أما ما يراه البقية من الناس فهي أمثال تضرب، والأحلام ليست حقيقة؛ ولذلك لا نستطيع أن نحجر على أحد إذا توهم في حلم من الليل أنه رأى شيئا ظن أنه ربه، هذه مسألة ليست حقيقة، فلا نتجادل فيها.

الثالث عشر (كرامات الأولياء الصالحين حق، وليس كل أمر خارق للعادة كرامة، بل قد يكون استدراجا، وقد يكون من تأثير الشياطين والمبطلين، والمعيار في ذلك موافقة الكتاب والسنة أو عدمه)

سبق الحديث عن هذا في الدرس الماضي عندما تحدثنا عن كرامات الأولياء والرؤى الصالحة والفراسة، وأجمل ما ذكرته هناك بإيجاز، هو أن كرامات الأولياء قد تكون من باب الرؤى، وقد تكون من باب الفراسة، وقد تكون خوارق أخرى، ومعنى ذلك: أن الله –عز وجل– قد يكرم بعض عباده بكرامات يتهيأ لهم أمور غير معتادة عند الناس، هذه الأمور أحيانا تكون معنوية وهو الغالب، وأحيانا تكون حسية أيضا، قد ينفتح على الإنسان من الأشياء المنغلقة التي عادة لا تحدث، قد تحدث له، هذا راجع إلى قدرة الله –عز وجل– لكن هذه الخوارق أيضا لا تكون كرامات إلا إذا كانت لمؤمن صادق صالح توافرت فيها شروط الكرامة بمعنى: لا تتعارض مع الكتاب والسنة، ولا تؤدي إلى بدعة، ولا تؤدي إلى محرم وفواحش الأمور، ورزائل الأخلاق لا تؤدي إلى الكذب، ولا إلى الظلم، ولا إلى الخيانة إلى آخره.

فالكرامة إذا كانت تسير في موكب الخير للشخص أو للأمة، قصدي الخارق للعادة إذا كان يحقق الخير الذي جاء به الإسلام، فهو كرامة لكن أيضا أحيانا قد يكون سبب للاستدراج، فلا يغتر المؤمن بذلك، ينبغي إذا رأى شيئا فيه قرائن الكرامة؛ فليحمد الله، ولكن لا يغتر إياه، والغرور هذه الأمور أحيانا تلتبس فيها عبث الشياطين، والجن بالكرامات، فتكون بعض الخوارق من باب الفتن، ويظنها صاحبها كرامة.

القاعدة الأخيرة

المؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وكل مؤمن فيه من الولاية بقدر إيمانه

نعم، هذه قاعدة عظيمة، المسلمون المؤمنون كلهم لهم حقوق لماذا قلنا: المؤمنين؟ لأن المؤمن أخف من المسلم؛ لأن الإسلام أحيانا يكون مجرد الخضوع الظاهر للدين؛ فيدخل فيه المنافق، ونظرا لأن هذه أمور لا

يعلمها إلا الله -عز وجل- فالذي يجمع الصالحين من المؤمنين المسلمين الوصف الذي يجمعهم هو الإيمان، فعلى هذا نقول: المؤمنون هم المسلمون الذين شهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتحقق فيهم ولو أدنى الإيمان، ومن هنا يخرج المنافق الخالص، لا أقصد الذي فيه خصلة من النفاق، من هنا يخرج المنافق الخالص، فتبقى القاعدة للمؤمنين من عنده أدنى ذرة من الإيمان، فيبقى له هذا الحق، وهو الولاية لله -عز وجل- فكل مؤمن فيه من الولاية لله -عز وجل- بقدر ما فيه من الإيمان والاستقامة، فمن زاد إيمانه واستقامته والتزامه لدين الله وشرعه؛ زادت ولايته لله، ومن نقصت نقصت، ومن اختلت اختلت، لكن لا يعدم المؤمن من وجود ولاية بقدر إيمانه، ولو قلت قد يقول قائل: هل الفساق والفجار وأهل البدع فيهم ولاية لله؟ نعم: إذا كان عندهم شيء من الإيمان الصادق لله -عز وجل- شيء من محبة الله، ومحبة رسوله - صلى الله عليه وسلم - والتزام واجبات الإسلام وفرائضه، ففيهم من الولاية بقدر ما فيهم من هذا الخير، وإن كان عندهم فسق وفجور؛ لذلك يأتي العكس أن كل إنسان تنقص ولايته، كل مؤمن تنقص ولايته بقدر ما يرتكب من المخالفات، فإن نقص إيمانه نقصت ولايته إن عمل الفسق والفجور والمعاصي نقصت ولايته، ولكن لا تنعدم، وعلى هذا فكل مؤمن فيه من الولاية بقدر إيمانه، ومسألة الولاية هذه غير مسألة الولاء والبراء، مسألة الولاء والبراء نتيجة، مسألة الولاية أصل، لأن الولاية تلزم كل مؤمن من الولاء والبراء سيأتي الكلام عنه، الولاء والبراء عبارة عن استثمار اعتقادي وسلوكي لهذا الإيمان عند المؤمن؛ ولذلك نأجل موضوع الولاء والبراء؛ لأنه لا يدخل في هذا الموضوع، وإن كان من لوازمه، فإذًا أعود وأقول؛ لأن هذه المسألة تكون خفية على كثير من المشاهدين، كل مؤمن ممن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وهو على أصل الإسلام، كل مؤمن من هؤلاء له من الولاية لله بقدر إيمانه، فمتى ما نقص الإيمان، أو سواء كان الإيمان علمي أو عملي أو اعتقادي نقصت الولاية، ومتى ما زاد زادت؛ ولذلك قد يكون المؤمن من خلص أولياء الله، إذا كان موفي قائما بالفرائض، قائما بالواجبات، آمر بالمعروف، ناهٍ عن المنكر، منته عن المحرمات، ملازم للاستقامة بقدر استطاعته، انظر الاستقامة مشروطة بالاستطاعة، إذا كان ملازما للاستقامة بقدر الاستطاعة فهو بإذن الله من أولياء الله، فالولاية الخالصة تحدث في مثلما وصف النبي - صلى الله عليه وسلم - وأختم الدرس بذلك فيما وصف النبي - صلى الله عليه وسلم - الأولياء بقوله عن الله - عز وجل- بقوله: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت بصره التي يبصر به، وسمعه الذي يسمع به، ويده التي يبطش به، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه) لكن هذا لمن يحصل؟ أصحاب الدرجة العالية، نعم، كل مسلم يستطيع أن يتطلع إلى هذا ويصل إليه، إذا بذل الأسباب؛ ولذلك يجب على المسلم دائما أن يسعى إلى مثل هذا المقام، وهو والله ليس بصعب بل يسير، بل هو طريق أمن وسعادة، وطريق هناء وطريق سهل جدا، لكن يحتاج إلى عزيمة وترويض للنفس، فمن عزم وروض نفسه واستقام على دين الله على ما شرعه الله وشرعه رسوله - صلى الله عليه وسلم - فبإذن الله يصل إلى هذه الولاية بسهولة، أسأل الله للجميع التوفيق و السداد.

أعيد السؤال الذي قلتم فيه: ما الأصل في أسماء الله وصفاته وأفعاله، وما الدليل الذي يحكم هذه القاعدة من كتاب الله -عز وجل-؟

أجاب: الأصل إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله - صلى الله عليه وسلم - من غير تمثيل ولا تحريف ولا تكييف ولا تأويل، والدليل قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ (١١)﴾ [الشورى آية: ١١] وأجاب آخر: الأصل ما أثبته الله لنفسه، وأثبته له نبيه -صلى الله عليه وسلم- من غير تحريف ولا تعطيل ولا تأويل، والدليل قوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[الشورى آية: ١١]

الإجابات كلها متشابهة، ولعلنا نستغني بهذا، ويدل هذا على قوة متابعة، لكن هناك ملاحظة: على الجواب في استعمال كلمة تجسيم، نعم، الله -عز وجل- ينبغي ألا يوصف بالجسم المخلوق -تعالى الله-، لكن ينبغي في مثل ما سبق كما قلت في أول الدرس وأكرر هذا إذا أردنا أن نقرر الدين، نقرر العقيدة، أن نلتزم ألفاظ الشرع الله - تعالى- قال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ فكلمة تجسيم لا شك أنها منفية إذا قصد بها الجسمية المعهودة عند البشر،

لكن أحب أن أنبه أن كثيرا من المبطلين، وأهل الأهواء، وأهل الابتداع والافتراق الذين أولو صفات الله، أو نفوها، أو شكوا فيما ثبت لله زعموا: أن إثبات الأسماء والصفات تجسيم زعموا: أن إثبات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسول – صلى الله عليه وسلم – تجسيم، حتى قالوا: بأن قوله –عز وجل– ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[المائدة: ٦٤]، تعالى الله، هذا كلام الله كيف تقولون تجسيم؟ إذًا كلمة تجسيم نظرا لأنها مصطلح أريد به عند بعض المبطلين نفي ما أثبته الله لنفسه، فإذًا ينبغي أن نتفاداها ونرجع إلى الكلمة الجامعة تشمل التجسيم وغيرها وهي التمثيل.

تلتبس عند بعض الناس خاصة في تقدم الطب في الوقت الحاضر أنهم يستطيعون تحديد نوعية جنس الجنين في بطن أمه في المراحل الأولى، وأن علم الأجنة من علم الغيب كيف يوفق بين هذا؟

الحقيقة ظهرت كشوف حقيقة في الطب وغيره تقدمت في كشف بعض الأمور المغيبة عن أجدادنا وعن البشرية السابقة فيما نعلم، والبشرية مرت ببعض الحضارات القديمة ربما تكون وصلت إلى مثل هذه الكشوف أو قريب منها، لكن حسب ما نعلم أنه الآن كشفت أشياء من الأمور التي كانت مغيبة عن السابقين لم تكن معروفة، فأولا: كل ما يكشف بالوسائل العلمية الثابتة فليس من الغيب، ولم يكن من الغيب من قبل، كان غائبا عن ناس ولم يكن من الغيب الخالص؛ لأن الغيب غيبان: غيب غائب عن بعض المخلوقات، ولم يغب عن البعض الآخر، فهذا ليس هو الغيب المقصود في الكتاب والسنة، والدليل على هذا أن هناك أمور مغيبة عنا نحن البشر، لكنها داخلة في مدركات الجن، وهناك أمور غائبة عن البشر وعن الجن، لكنها داخلة في مدركات الملائكة، فهي ليست غائبة عن صنف من المخلوقات لكن غائبة عن صنف آخر، فهذه قد لا تكون من الغيب الخالص، أيضا ما يتعلق بمثال واحد وهو كون الله – سبحانه وتعالى – يعلم ما في الأرحام هذا واضح، لكن هل جاء النفي القاطع بأن البشر لا يعلمون ما في الأرحام، ما جاء، فيجب أن تفسر النصوص على ضوء الحقائق العلمية، ولا يمكن أن تتنافى الحقائق العلمية مع نصوص الشرع أبدا، إنما أفهامنا هي التي قد تقصر أحيانا.

فعلى هذا ما أشار الله –عز وجل– إليه: أنه يعلم ما في الأرحام، فلا يعني: أن الله لا يطلع عباده إذا توافرت وسائل العلم على بعض ذلك، ومع ذلك تبقى نسبة من العلم مما في الأرحام لا يعلمها إلا الله، نسبة منها أن ما في الأرحام هذا مطلق لا يتعلق بأفراد النساء أو المسألة الفردية عند المرأة، ما في الأرحام أحيانا يدخل فيه الأمور التي تتعلق بالأرحام في المستقبل والله أعلم.

إذًا لا بد أن تبقى نسبة من الغيب محجوبة ولو ضئيلة، والعلماء المختصين يعترفون بذلك.

فعلى هذا الكشوف العلمية التي كشفت شيئا مما يظنه الناس في الغيب هو لم يكن من الغيب المحجوب الخالص، الغيب الخالص الذي يتعلق بملكوت السماوات والأرض، مالم يجعل الله للبشر عليه سبيلا، ما يتعلق بالعرش بالكرسي يتعلق باليوم الآخر، هذه أمور من الغيب الخالص، وهذا أمر لا يمكن أن يكشف إلا بما ورد به الدليل، إذًا أعود وأقول؛ لأن هذا السؤال مهم ما ينكشف للناس بالعلوم التجريبية، وبالعلوم الحديثة من الأمور التي يظن الناس أنها من الغيب، ليس هو من الغيب الآن، وأصبح جانب الغيب جانب آخر غير ما وصلوا إليه، ولا شك والله أعلم.

ممكن أجاوب على السؤال: إثبات ما أثبته الله لنفسه، وأثبته له رسوله – صلى الله عليه وسلم – من غير تأويل ولا تكييف، ونفي ما نفاه الله عن نفسه من، أو نفاه عنه رسوله – صلى الله عليه وسلم – من غير تمثيل ولا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١]، مع الإيمان بمعاني النصوص ومادلت عليه، وأرجو التعليق على إجابتي

هل صحيح أن المسلم إذا كان في الجنة، ورأى أخيه في النار، فإن المسلم يطلب من الله أن يشفعه في هذا الذي في النار، فيشفع فيه؛ فيخرج من النار؛ لأنه هذا من زيادة النعيم؟

على أي حال هذا داخل في عموم ما ورد به النص من أن المؤمنين يشفعون شفاعة عامة وخاصة، يعني الرجل الصالح يشفع لمن شاء لأهل الكبائر الذين دخلوا النار، هذا معنى ثبوت الشفاعة، وفعلا هذا ثابت، لكن هل ثبت لأعيان أو كذا، هذا ما ورد به النص، ورد النص إجمالي أنه كما يشفع الأنبياء والملائكة، يشفع المؤمنون، نعم، يشفعون لمن في النار ممن استحقوا النار لذنوب تقتضي تطهيرهم ثم خروجهم منها، نعم هذا في الإجمال.

رؤية الناس لله – سبحانه وتعالى – في المحشر هل هي عامة أم للمؤمنين؟

على أي حال الرؤية وردت بنصوص مجملة، رؤية الناس في المحشر، والمتأمل للنصوص يجد أن الرؤية وردت على سياقات، السياق الأول: أن جميع البشرية يرون ربهم، جميع الثقلين، أو الناس أهل المحشر، كلهم مؤمنهم وكافرهم يرون ربهم رؤية لم تفسر، هل رؤية حقيقية، هل هي عينية –الله أعلم–.

ثم بعد ذلك يراه المؤمنون ويراه معهم المنافقون، وهذا نكاية بالمنافقين؛ لأنهم إذا رأو أن الله –عز وجل– أطمعهم في الرؤية ظنوا أنهم لا يزالون يخادعون يخادعون الله، فيكون هذا أشد للنكاية بهم، ثم في المحشر نفسه تكون الرؤية الأخيرة للمؤمنين فقط، ويحتجب الله عن الكافرين والمنافقين؛ لأنهم كما قال الله –عز وجل– : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ﴾[المطففين: ١٥]، هذا هو الظاهر من سياقات النصوص.

يسأل عن الحديث (ما منكم إلا ويرى ربه ليس بينه وبينه ترجمان)

ما ورد عن الكلام بين الله والإنسان يكلمه كفاحا ليس بينه وبينه ترجمان، لكن هل يتضمن هذا الرؤية أو لا يتضمن، ليس هناك دليل يقيني، ورد فعلا أن الله –تعالى– يكلم كل واحد من عباده ويكلمه كفاح ليس بينه وبينه ترجمان، لكن هل يلزم من ذلك الرؤية، أو لا يلزم فيه دلائل على أنه تكون معها رؤية لكن ليست قطعية، تبقى المسألة محتملة ليست من الأمور اليقينية.

تسأل عن الموحد إذا ارتكب بعض الذنوب

الموحد إذا ارتكب بعض الذنوب، أو قدر الله له أن يعذب في النار فهو يخرج –بإذن الله عز وجل– بشفاعة الشافعين: أولا: شفاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – لأهل الكبائر ثم شفاعات المؤمنين وغيرها، أيضا إذا كان قصدها كما فهمت من السؤال: الذي يخرج من النار من الذين عذبوا هل يتمتعون بالرؤية نقول نعم، النصوص تدل على أن هذا لجميع أهل الجنة، الرؤية لجميع أهل الجنة المتقدم منهم والمتأخر حتى من طهر في النار، ثم دخل الجنة فيما بعد فهو، بإذن الله يشمله نعيم الرؤية.

المسلم الموحد إذا عمل بعض الذنوب –وسبحان الله– وضعه الله في نار جهنم على حسب ذنوبه؛ ليعاقبه، فهل الإنسان إذا أمر بأخذه ووضعه في ماء الحياة ودخل الجنة، فهل يرى الله – سبحانه وتعالى –مثل المؤمنين الذين دخلوا الجنة؟

الظاهر أنها عامة، لكنها للمؤمن خفيفة، وتكون لمن يستحق أشد من ذلك.

ورد عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن للقبر، ضمة فهل هذه الضمة لجميع المسلمين؟ السؤال الثاني: بالنسبة للصراط هل ورد أن الصراط أنه واسع، أم ورد أنه أدق من الشعرة؟

ما ثبت أن الصراط رفيع دقيق، أما السعة ليس عندي منها عد، وأظنه لم يرد ذلك، وأظنه لا يتنافى مع كونه كالشعرة، إذا كان الطول على متن جهنم هذا يعني أنه طويل، لكنه من حيث السمك فهو رفيع جدا، كحد السيف وكالشعرة.

هل تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[آل عمران: ٧٧]، بأن معناها لا يرحمهم، ولا يحسن إليهم، هل تعطيل وتأويل لصفة النظر التي أثبتها الله –تعالى– لنفسه، علما بأن هذا التفسير منتشر على هوامش مصاحف التجويد.

على أي حال هذا هو المقصود من السياق؛ لكنه لا ينبغي حصر المعنى عليه، ﴿ وَلَا يَنْظُرُ﴾ إليهم تشمل أن الله لا يبالي بهم، وأنه –عز وجل– يعاقبهم، لكن أيضا تشمل ما هو أوسع من ذلك؛ لأنهم قد يتمتعون برؤية ربهم –عز وجل– وبمعنى أن الله –عز وجل– لا يرعاهم الرعاية التي يستحقها غيرهم، من جميع وجوه الرعاية ليست محصورة فقط بنوع من الرعاية، وإلا فعلا هذا السياق بأن الله –تعالى– لا يعطيهم الرعاية التي تكون لغيرهم.

هل صحيح أن الشهيد يشفع لسبعين من أهله وجبت لهم النار، وحامل القرآن يشفع لعشرة وما الدليل؟

أما الشهيد فالراجح أن الدليل صحيح فيه، وعلى هذا فإن شاء الله فهذا ثابت بأنه يشفع لسبعين، أما ما يتعلق بالشق الثاني فلا أعلم له أصلا.

كيف يشفع الطفل المتوفى لأبيه؟

الشفاعة جاءت مجملة شفاعة الأطفال لأبيهم، وهم لما يمسكون بآبائهم يوم القيامة سيرحم الله الآباء، يمسكون بهم ويتشبسون فيرحم الله –عز وجل– الآباء والأمهات بأطفالهم، لكن بشرط أن يكون من المؤمنين، بمعنى أن الكافر لا تنفعه شفاعة الشافعين، وردت مجملة ولا أعرف أنها فصلت في النصوص.

في عقيدة أهل الكتاب بعض الأمور الغيبية توافق الأمور الغيبية عندنا، كيف يوفق طالب العلم بين ذلك؟

إذا اعتقدوا بعض الحق الذي عندنا، لا يمنع هذا أن يكون حق عندهم؛ لأن الذي ورد أن كتب أهل الكتاب حرفت لكنها لا تخلو من شيء من الحق؛ ولذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – ذكر أن روايات أهل الكتاب، روايات بني إسرائيل لا تصدق ولا تكذب، بمعنى إنه ثبت أنها كاذبة، فهو أمر مفروغ منه، وإن ثبت أنها صادقة لكنها ما لم يثبت هذا ولا ذاك تبقى خاضعة للنظر المنهجي، ما وافق الحق عندنا فهو حق، وإن قالوا به، وما لم يوافق الحق فيرد، فعلى هذا أقول نعم قد يكون بعض الأخبار والأصول والأمور التي يؤمن بها أهل الكتاب قد توافق الحق عندنا، فلا يعني ذلك أننا نكذب كل ما يقولون.

ما الدليل على رؤية الله في المحشر؟

ورد في صحيح مسلم وغيره أن الله –عز وجل– يتجلى للخلق فيقول: أنا ربكم، فيقولون: ليست ربنا، ثم بعد ذلك يتجلى مرة أخرى، فيقول: أنا ربكم، فيقول: نعم، فيقولون نعم في الصورة التي يعرفونه فيها، يعني ورد السياق أحاديث صحيحة في صحيح مسلم وغيره وسياق الحديث طويل، ورد على عدة وجوه، وعلى عدة ألفاظ، فهو ليس حديث محتمل إنما لم يرد في هذا الأحاديث دليل قطعي على الرؤية البصرية التامة بالعين الباصرة، كما يقولون في الجنة.

سؤال: ماذا يفعل من يأتيه شك في العقيدة، وأحيانا يأتيه أثناء الصلاة والقراءة، وهل هذا يفسد من إيمانه مع العلم بأنه لا ينقص من أفعاله الصالحة، ولكن تؤثر على نفسه بالحزن على نفسه، وظنه أنه منافق؟

على كل حال الحمد لله مادام الإنسان باقٍ على عمل الصالحات، فمعنى هذا أن الخواطر والهواجس لم تبلغ الحد الذي يطلبه الشيطان، وهذا الحال يدل على أن صاحبة الحال وأمثالها، لا يزالون إن شاء الله أن عندهم أصل إيمان، ويدفعون هذه الوساوس ويؤجرون عليها لكن أحب أن أوصي من يشعر بهذا الشعور بأمور أولها: أن يتفقه فيها على عالم أو طالب علم، أو من خلال الأشرطة والدروس المهيئة الآن عبر الوسائل، ويتعمق فيها من أجل أن يكون عنده يقين فيها بالدليل؛ فتزول أسباب هذه الوساوس.

الأمر الثاني: يجب أن يكثر من الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، ويكثر تعلق قلبه بالله -عز وجل- بكثرة التسبيح والتهليل وعمل الصالحات، فلا يبقى للشيطان منفذ أن يورد في الخاطر هذه الأمور.

الأمر الآخر: إذا كان الأمر وصل إلى حد أن الإنسان ينزعج ويؤثر هذا على حياته، ويكدر صفو الحياة عليه، وهذا يوجد عند بعض الناس، فأخشى أن تكون هذه بوادر وسواس مرضي، فينبغي أن يعالج نفسه بالرقية والعلاج الطبيعي عند الأطباء النفسيين، يعني عندهم من الوسائل والتشخيص ووصف العلاج يخفف هذه الأمور، أو يلغيها، وأرجو أن لا يتساهل عندما يشعر بذلك، ولا أظن أن التداوي يتنافى مع الأخذ بالأسباب الشرعية، وهذا وهم يشعر به كثير ممن عندهم، مثل هذه الأوهام والوساوس والخواطر، ويظن أن هذا عيب أيضا، وهذا كله خطأ، فهذه امتحان من الله -عز وجل- وابتلاء ويؤجر عليها الإنسان لمدافعته لهذه الأمور يؤجر عليها؛ فينبغي أن يحتسب ويعلم أنه بذلك مأجور عند الله، ثم يتداوى؛ الرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول **(**تداووا عباد الله**)** فيبذل مع الأسباب الشرعية من الرقية والأوراد والأذكار والتسبيح ومجالسة الصالحين والعلم الشرعي وما يصرف القلب عن هذه الأمور أيضا، يتداوى التداوي الطبيعي العلاج المادي فهو مطلوب؛ لأن الإنسان يجب أن يوفر ما يريحه في عبادة الله، ويصفي عليه ذهنه؛ لأن لا يشغله الشيطان بهذه الأوهام فيجب،أن تأخذ الأمور بهذا التدرج، إذا أمكن علاجها بالاسباب الذاتية والشرعية بها، ونعمت إذا ما أمكن فلا بد من مراجعة الطبيب.

سؤالي بخصوص الذين ارتكبوا المعاصي في الخمر وسماع الأغاني، هل هم محرومون في الجنة عند دخولها؛ لأن الله -تعالى- قال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَ﴾[الأحقاف: ٢٠]،

مرتكب المعاصي مصيره الجنة يعني: المسلم إذا ارتكب مهما ارتكب من الذنوب مالم تكن ردة أو شرك ما لم يخرج من الملة مهما ارتكب من الذنوب فإن مصيره الجنة لكن على التفصيل التالي:

المؤمن إذا مات على كبيرته يعني: مات وهو على كبيرته لم يتب، أما إذا تاب قبل موته فلا شك -إن شاء الله- أن الأصل أن الله تاب عليه فيما نعلم ظاهرا، والله أعلم بالسرائر، لكن إذا مات على كبيرة أو كبائر فسق فجور بدع غيرها إذا مات على هذا فهو يوم القيامة تحت مشيئة الله -إن شاء الله غفر له- وقد يكون ذلك بأسباب، وقد يكون بمحض مشيئة الله ورحمته وعطفه - سبحانه وتعالى - وإن شاء عذبه بمعنى أن يدخل النار لتطهيره من المعاصي، أما إذا دخل النار فإنه يخرج منها حتما؛ لأن مصيره إما بالشفاعة أو غيرها مصيره أن يطهر في النار، ثم يخرج منها إلى الجنة، وإذا دخل الجنة تمتع بما يتمتع به أهل الجنة من النعيم، نعم أهل الجنة قد يتفاوتون في النعيم، لكن نوع النعيم في الجملة لا يخص أحدا دون أحد.

فإذًا مصير مرتكب الكبائر من المؤمنين مصيرهم إلى الجنة في النهاية حتى وإن عذب بعضهم.

يسأل عن قوله تعالى: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ يقول: ألا يمكن حمل هذا على أن حجب ما في الأرحام كان قبل إرسال الملك؟

لا يلزم؛ لأنه الآن في الطب الحديث صار ممكن أن يحكم ببعض الأمور في الأرحام حتى قبل نفخ الروح؛ لأن نفخ الروح تكون على مراحل منها أن نفخ الروح بمعنى الحياة كاملة هذه تكون بعد أربعة أشهر، وفيه مبادل الروح وردت فيها نصوص أقرها الأطباء قبل ذلك في الأربعين أو الثمانين تكون هناك نوع من الحياة، والروح غير الكاملة فعلى هذا الروح مراحل.

ثم أيضا بعد ذلك يمكن، بل ثبت أنهم الآن يكتشفون أشياء كانت مغيبة عن السابقين حتى في أول النشأ والإنسان نطفة، لكن لا يعني ذلك كل ما في الأرحام يعني بمعنى أنه ما تبين للعلماء لم يصبح غيب مادامت توفرت أسباب البيان والكشف، فعلى هذا تبقى الغيب أيضا مرحلة استقلال.

يسأل عن الغريق هل يشفع لسبعين من أهل بيته

نعم، الغريق يدخل في عموم الشهيد الحريق والغريق والهدمى والغرقى وما ورد في النصوص، والمبطون الذي يصاب ببطنه فجأة وهكذا، ويدخل فيه فيما يظهر حالات كثيرة مما يسميه الناس بغير أسمائها ربما بعض أنواع الموت فجأة إلى آخره، بعض أنواعه ليس كله.

إذًا هؤلاء ثبت أنهم شهداء الحريق والغريق والهدمى إلى آخره، إذا ثبت أنهم شهداء فالراجح أنه يشملهم شهادة الشهيد، مع أن بعض أهل العلم قال: أن المقصود بالشهيد شهيد القتال شهيد المعركة، لكن ليس فيما أعلم على هذا دليل يخصص، فيبقى النص على عمومه والله أعلم.

يقول: قلتم أن الرؤية لا تكون بالعين المجردة، فهل هذا هو اعتقاد أهل السنة والجماعة وما المانع من ذلك؟

في الدنيا لا تكون؛ لأن الله عز وجل قال لنبيه موسى –عليه السلام– وهو من النبيين الذين يكرمهم الله –عز وجل– ويخرق لهم من الأمور مالم يخرق لغيرهم قال: ﴿ قَالَ لَنْ تَرَانِي ﴾[الأعراف: ١٤٣]، ولأن النبي – صلى الله عليه وسلم – ذكر ذلك في حديث صحيح بأنكم لن تروا ربك إلا يوم القيامة، لا يحضرني نص الحديث بالضبط، لكن النصوص توافرت على أنه لا أحد في الدنيا يرى ربه بعينه، ويستثنى من هذا إن ثبت أن النبي رأى ربه بعينه، فهذا أمر خارق، كما أن الإسراء خارق والمعراج خارق، وكون النبي – صلى الله عليه وسلم – وصل سدرة المنتهى، وهذه لم يصلها أحد بل وصل إلى مقام لم يصله جبريل –عليه السلام–، فإذًا النبي – صلى الله عليه وسلم – يكون له خصوصيات إن كان رأى ربه بعينه والراجح أنه رأى ربه بفؤاده، أما غيره فلا يمكن أن يرى في الدنيا؛ لأن هذا يتنافى مع قطعيات النصوص.

ما تفسير قول السيدة عائشة – رضي الله عنها– من أخبركم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية

واضح هذا؛ لأنه ورد عنها وعن غيرها بأنها تقصد الرؤية العينية تقصد رؤية العين الباصرة، وهذا مما جعل كثير من أئمة العلماء، وأئمة السلف يستدلون بمثل قول عائشة على أنه لم يرَ ربه بعينه؛ ولذلك أنكرت عندما سألها مسروق قالت: لقد قف شعر رأسي مما تقول تعظيما لله ولشأن الله – سبحانه وتعالى – وهذا مما يدل على تعظيم السلف لله – سبحانه وتعالى – إذا جاء أمر يتعلق أو يرد فيه احتمال ظن أو إساءة أدب مع الله فإنهم تقشعر جلودهم من خشية الله وخوفه؛ فلذلك قالت لمسروق لما سئلها: هل رأى النبي – صلى الله عليه وسلم – ربه؟ قالت: لقد قف شعري مما تقول يعني اقشعر جلدها من خشية الله وتعظيمه، ظنا منها أنه يسأل عن رؤية العين الباصرة، وهذا معنى كلام عائشة لا تنفي الرؤية القلبية.

عندي سؤال بالنسبة: هناك شريط نزل في السوق بخصوص عذاب أهل البرزخ؛ لأنهم اكتشفوا في سيبيريا مكان أجهزة علمية أن هناك أصوات لنساء يصرخون ورجال، فلا أدري ما مدى صحة هذا، وهل تكون من العلم المعترف به بالأجهزة العلمية

في الحقيقة هذا من الخوض والتخطيط الذي لا ينبغي ألا نبالغ فيه، أولا: عالم الغيب لا علاقة له بعالم الشهادة، ولا يجوز أن نجد أو أن نلتمس وسائل علاقة لا علمية ولا عقلية ولا معرفية ولا حسية، بل هذا من أمور الدجل، يعني بمعنى: أنه لا يمكن أن تكون الوسائل العلمية والكشوف وسيلة إلى كشف الغيب، ولا حتى الاستدلال على الغيب، بعض الناس يفرح بمثل هذا ظنا منه أن هذا يثبت عذاب القبر للخلق لا عذاب القبر ونعيمه، إذا ما سلم به الإنسان لخبر الله وخبر رسوله – صلى الله عليه وسلم – فلن يستجيب للوسائل والكشوفات إلا قد يكون أفراد قلائل، وقد يكون هذا وجه يصيب ناس لكن ليس هو الحق، بمعنى: لا نقر به كوسيلة حقيقية مشروعة؛ لماذا؟ لأن أولا: عذاب القبر ونعيمه من النوع الذي لا يكون من مثل ما في الدنيا، لا يقاس وهو ما جاء النص يدل على أن القياس يستحيل، قياس أحول الموتى على أحوال الأحياء من وجوه كثيرة تدل عليها النصوص، مثلما وصف النبي – صلى الله عليه وسلم – نوع العذاب الذي في القبر، هذا لا يمكن أن يتأتى بالمقاييس المادية إطلاقا؛ لأن القبر كله متر في متر، أو متر في مترين، أو أقل من ذلك، ويحدث فيه مثلا للمؤمن يفسح له مد بصره، كم في المقبرة آلاف أحيانا، فإذا لا يجوز أن نقيس؛ لأنه بالمقاييس يحدث تشويش وخلل، فعلى هذا أشيع بأنه وجد ناس كشفت الأجهزة بأنهم يصرخون ويبكون في القبور فهذا أحد أمور: إما أن يكون من عبث الجن والشياطين بالخلق وهو الغالب، وإما أن يكون أصلا دجلا ما ثبت حقيقة لو تتبعنا هذه القضية يمكن نجدها من صنع أناس من الكذابين، ولا أستبعد هذا؛ ولذلك ينبغي للمسلمين أن يكون عندهم نوع من التحري والتثبت في مثل هذه الأحوال، الأمر الثالث: لو تصورنا تصور آخر أنه قد يكون فعلا من أمور الغيب، فليس هذا هو وسيلة للإيمان بالغيب لا نستطيع قطعا أن نقول: هذه حقيقة يبقى على أقل الأحوال أمر مشكوك فيه.

ومن هنا ليس هو وسيلة لكشف الغيب، ولا يجوز أن نثبت عذاب القبر ونعيمه بهذه الوسائل، بل هذا مصدر فتنة ونوع من الدجل والقول على الله بغير علم، فيجب أن نبتعد عن مثل هذه الوسائل هي وأشباهها، نحن نؤمن بالغيب بدون أن نلجأ لمثل هذه الأمور التي تكون فيها مدخل للشياطين، فيها مدخل للدجالين، فيها مدخل لضعفاء النفوس والذين يرتزقون بهذه الأمور والله أعلم.

ذكرتم ياشيخ قاعدة من قواعد الإيمان بالغيبيات أنها لا تقاس بالمدرك المعروف هل وصف الحدائق الغناء بالجنة أو كما يذكر بالجنة جنان أو جنة ووصف النار الآخرة بأنها أضعاف أضعاف نار الدنيا هل هذا الوصف ينافي قاعدة الإيمان بالغيبيات؟ وهل الرؤية لله في الجنة رؤية بصرية كاملة لله عز وجل

لا، هو ما ورد نؤمن به بمعنى: أنه ورد أن الجنة فيها أنهار وأشجار وفيها أنوع الملذات التي وصفت لكنها مع اختلاف الصورة يعني اختلاف في النوع، واختلاف درجة النعيم بمعنى أن ما في الدنيا أمثال صغيرة يسيرة مما في الآخرة هذا شيء، الشيء الآخر أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لما أخبر بنعيم الجنة قال: (وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر) مجرد خاطر مما يدل على تشابه لفظي، تشابه في بعض المعاني لبعض نعيم الجنة مع ما في الدنيا أو بعض عذاب النار مع ما في الدنيا، وضرب النبي – صلى الله عليه وسلم – مثلا للنار بأنها جزءا من سبعين جزءا من نار جهنم، هذه التجزئة ماذا تعني؟ هل تعني شدة الحرارة لا ندري هذا كلام مجمل؛ ولذلك أقول دائما مثل هذه المجملات لا نفسرها بتحكم؛ فلذلك أقول نعم هناك أشياء في الجنة وفي النار تشبه ما عند الناس وهناك أيضا ما لا يمكن أن يخطر ببال.

تسأل أيضا عن رؤية الله عزو جل هل هي رؤية بصرية؟

نعم، لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (إنكم سترون ربكم عيان) والصحابة –رضوان الله– عليهم لما ذكر الرؤية سألوه عن الرؤية العينية هل تكون؟ قال (نعم) ثم (إنكم سترون ربكم عيانا)ثم ضرب مثلا بوضوح الرؤية، ومصداقيتها قال:(كما ترون القمر ليلة البدر، وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب) فإذًا ثبت فعلا بالنصوص القطعية أن الرؤية رؤية عينية، لكنها أمور تستجد للناس يوم القيامة، الله –عز وجل يقدرهم بعض الناس، يقول: كيف تكون هناك حاسة تدرك رؤية الله –عز وجل–؟ نقول: نعم، الله –عز وجل– هو الذي يخلقها لعباده، هو الذي يقدرهم عليها، لكن لا يحيطون به – سبحانه وتعالى – لأن بعض الذين أنكرو الرؤية توهموا أنها رؤية إحاطة، والله –عز وجل– ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾[الأنعام: ١٠٣]،بمعنى لا تحيط به فحينما يرون ربهم يرون بالقدر الذي –عز وجل– يهيئه لهم فلا يعني أنهم يحيطون بالله رؤية، ولا يعني أننا نشبه الرؤيا بالرؤيا إلا من حيث الوضوح والنبي – صلى الله عليه وسلم – حين ضرب رؤية المؤمنين مثلا برؤية الشمس والقمر هذا من حيث الوضوح والجزم، لا من حيث تشبيه المرئي بالمرئي، فالله – سبحانه وتعالى – ليس كمثله شيء.

ما الفرق بين أن يكون الإنسان وليا لله كما قال تعالى: ﴿ إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ ﴾[الجمعة: ٦]أو أن يكون الله ولي الإنسان ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا ﴾[البقرة: ٢٥٧]، وأيهما المقصود في الأصل الله ولي الإنسان أم الإنسان ولي الله

هي متلازمة إن كان وليا لله –عز وجل– فالله وليه الله يتولى المؤمنين، وكذلك المؤمنون هم أولياء الله، فالولاية من الله –عز وجل– الحفظ والرعاية والإعانة والتسديد ومحبة الله لهؤلاء الخلق، والولاية للخلق هي عبوديتهم لله وخضوعهم له فهي من الطرفين، لكن لله على وجه الكمال وللمخلوق على قدر حقه ونقصه.

نتداول في المنتديات موضوع ارتطام نيزك عظيم على كوكب الأرض سنة ٢٠١٦ سيهلك ثلث الأرض هل هذا من ادعاء علم الغيب علما بأن الخبر منذ سنوات كان محدد سنة ٢٠١٣ وتأخر ثلاث سنوات، ويقول البعض لعله يوم القيامة أرجو نصيحة لهؤلاء؟

هذه الأمور هي توقعات فيجب ألا نتعلق بها، ولو حدثت فلا يمكن أن تتعارض، لا يمكن أن يحدث منها ما يلغي النصوص الشرعية من أنه في آخر الزمان ستحدث أحداث جسام وصفها كذا كذا، لكن يبقى هذا أمر محتمل، أما التوقعات التي تؤدي إلى الزعم بأنه يحدث حدث يخالف ما ورد في النصوص فهذا لا يمكن.

فإذًا هذه الأمور من التي لا تصدق ولا تكذب، وما عارض منها النصوص يرد وما لم يعارض يقال الله أعلم، لعل السائلة التي سئلت هي كانت تسأل أن الله تعالى يحرم على النار من كان قريب سهل لين، هذا المقصود به المؤمن اللين الجانب الخلوق مع الخلق المؤدب الحسن السيرة طيب القلب سليم الصدر فهذا لا شك أنه مطلوب وإن شاء الله يكون سبب سلامة له في الجنة إذا توافرت فيه الشروط الشرعية.

تسأل: عن الكرامات تقول: كيف أعرف أن الذي رأيته رؤيا أم حلم؟ وكيف أعرف أنه كرامة أم استدراج فأنا رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ورأيت أني أسلم عليه وأقبل رأسه فهل هذه رؤيا حق وكيف أعرف ذلك؟

أما رؤية الرسول – صلى الله عليه وسلم – هي حق؛ لأن الشيطان لا يتمثل به كما ورد في الصحيح، لكن أحب أن أنبه إلى أمر أن يشترط أن يكون رأى الرسول – صلى الله عليه وسلم – على حقيقته ما رأى الرسول – صلى الله عليه وسلم – على صورة لا قدر الله يتمثل له خيال في صورة فاسق أو في صورة مبتدع أو بصورة من يعمل عملا مشينا هذا لا يمكن أن يكون.

إذًا إذا كانت الرائية أو الرائي رأى الرسول – صلى الله عليه وسلم – على الحقيقة بوصفه أو رؤية مجملة يشعر فيها أنه رأى الرسول – صلى الله عليه وسلم – بحيث لو سألناه عن الصفة الدقيقة قبل ما يدركها لكن يشعر أنه رأى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فهذا الرؤيا حق وليستبشر حقا وربما تكون منذرة أحيانا، فإذن هذا أمر يحدث ولا يوجد ما يمنع منه بل أعود وأقول لا يمكن أن يتمثل الشيطان بالرسول – صلى الله عليه وسلم – في الحلم فمن رأى الرسول – صلى الله عليه وسلم – بوصفه الحقيقي فقد رآه وليستبشر بذلك خيرا.

يقول: أنكم قلتم أن الغريق يدخل في الشهادة مع أنه ورد في حديث الشهيد عبارة تخصص الشهيد

ومع ذلك لأنه ربما يكون هذا أخص التخصيص في الحديث لا يدل على عدم عموم الشهداء أو شمول شهادة الشهداء، الراجح فيما يبدو لي أن هذا خاص بشهيد المعركة، لكن ماعندنا دليل قاطع عليه حتى وإن ورد؛ لأن هذا أمثل أنواع الشهادة النبي – صلى الله عليه وسلم – كثيرا ما يضرب الأمثال بأمثل الأنواع بأمثل الأصناف ولا يعني عدم دخول الأصناف الأخرى فكأنه وصف الشهيد الذي تسيل دماؤه أو الذي هو شهيد المعركة ومادام ألحق بالشهداء أصنافا أخرى فربما يدخلون في ذلك الفضل وفضل الله واسع .

يسأل عن حديث (من مات وليس في رقبته بيعة مات ميتة جاهلية)

نعم، الإنسان المسلم إذا تحققت في بلاده بيعة لإمام ولو كان فاسقا أو فاجرا وبايعه أهل الحل والعقد سواء مختارين أو من باب الولاية بالوراثة أو بالعهد أو من باب الولاية بالقوة كل هذا ذكره أهل العلم، بل النبي – صلى الله عليه وسلم – أشار إليه بأنه هناك خلافة راشدة وهنا ملك عضوض، ومع ذلك لا بد من البيعة، فالإنسان المسم إذا وجدت في بلده بيعة معتبرة ولو على أدنى الشروط، لا، بعض الناس يجهل يظن أن البيعة لا تكون إلا لحاكم صالح تقي نقي، نعم، هذا نرجو أن يكون نتمناه، لكن لا يلزم، أحيانا تكون الولاية لمن ولاه الله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ﴾[البقرة:٢٤٧]، وكما تكونوا يولى عليكم وأحيانا تكون الولاية في ملك جبري، يعني يأتي في ملك جبر، يعني يأتي بقوة الحاكم ومع ذلك إذا بايعه أهل الحل والعقد فالبيعة لازمة لكل أفراد المسلمين في هذا البلد، ومن لم يلتزمها وقع في الوعيد، أم المسلم الذي في بلد ليس فيه ولاية إسلامية، فأمره إلى الله –عز وجل– فلا يكلفه الله ما لا يطيق، فليتمنى أن يحقق الله له هذه الأمنية، وليسعى إلى ذلك بالحكمة والأسلوب المناسب.

نسأل الله للجميع التوفيق والسداد.

الحمد لله ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، واشهد أن لا إله إلا اله وحده لا شريك له ، وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله ، – صلى الله عليه وسلم – وآله ، ورضي الله عن صحابته والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

بعون الله وتوفيقه نستأنف هذا الدرس بعرض سؤالين كالمعتاد للأخوة المشاهدين ، ثم أسئلة للأخوة الطلبة الحاضرين .

أولا سؤال الأخوة المشاهدين : ما يتعلق برؤية المؤمنين لربهم – عز وجل – يوم القيامة تنقسم إلى قسمين : منها ما هو قطعي ، ومنها مت هو مجمل فيه تفصيل ، أرجو التفريق بين النوعين .

السؤال الثاني يتعلق بخوارق العادات : منها ما هو كرامات لأولياء الله عز وجل والمؤمنين والمسلمين ، ومن وفقه الله عز وجل ، أو أكرمه بشيء من ذلك ، ومنها مت هو من عبث الجن والشيطاين .

الخوارق على نوعين : منها ما يقع كرامات ، ومنها ما هو من عبث الجن والشياطين ، فما هي أهم الفروق التي نميز فيها بين الكرامة ، وبين الخوارق الأخرى التي ليست كرامات .

سؤال الأخوة الحاضرين : قلنا من القواعد القطعية في الدين الإيمان بكل ما صح به الدليل من الغيبات ، هناك غيبات في عالم الشهادة ، لكنها مع ذلك غائبة ، يعني في الحياة الدنيا ، وهناك غيبيات تكون بعد الموت أو يوم القيامة أضرب ثلاثة أمثلة لكل نوع .

أجاب أحد الطلبة :

المثال الأول : خلق السماوات ، خلق الأرض ، والعلم الإيمان بالغيب المشاهد ، خلق الكواكب .

الشيخ :

إذا كان الشيء مشاهد فليس بغيب ، هناك مخلوقات غيبية لا نشاهدها ، الكواكب والسماوات نراها .

السماوات قد يكون منها ما هو غائب عنا ، نحن نرى السماء الدنيا ، نعم هذا مثال السماوات غير السماء الدنيا .

أكمل الطالب :

علم الغيب والأخبار التي وردت في مثل العرش ، والجنة النار .

الشيخ :

أحسنت ، العرش مخلوق وموجود ، وكذلك الجنة والنار مخلوقتان موجودتان .

سؤال آخر :

وهو ما يتعلق بالشفاعة ، نعلم أن المقصود بالشفاعة : هو أن الله عز وجل يكرم بعض عباده في أن يشفعوا عند الله – عز وجل – للآخرين ، فما أهم الشروط في المشفوع لهم ، وما هي أهم الشروط في الشافعين ؟

أجاب أحد الطلبة :

الشرط الأول : إذن الله للشافع .

الشرط الثاني : رضى الله للمشفوع له بالشفاعة ، أو رضي عنه .

الشيخ : إذا قلنا أنه لا يمكن أن تكون الشفاعة إلا لمن رضي الله له الشفاعة .

أجاب أحد الطلبة :

الشفاعة تكون للمؤمن ويخرج منها الكافر .

الشيخ : الدليل على خروج الكافر ؟

أجاب أحد الطلبة :

قوله تعالى ﴿إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾(الانبياء: من الآية٢٨).

الشيخ : فيه نص صريح في هذا وهو ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (المدثر:٤٨) .

على بركة الله سنبدأ الدرس الجديد :

(ثالثاً :التوحيد الإرادي، الطلبي (توحيد الألوهية :(١) الله تعالى واحد أحد، لا شريك له في ربوبيته، وألوهيته وأسمائه، وصفاته، وهو رب العالمين، المتسحق وحده لجميع أنواع العبادة .)

أولا : ينبغي أن نعرف بالمقصود بالتوحيد الإرادي الطلبي ، توحيد الألوهية ، لأنن سبق وأن أخذنا قواعد متعلقة بالنوع الأول من أنواع التوحيد ، وهو يتعلق بالله – عز وجل – توحيد الله بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

والنوع الثاني هو : توحيد العبادة وتوحيد العبادة سمي التوحيد الإرادي لأنه يكون بإرادة العباد من ناحية ، من ناحية أخرى أن الله أراده من العباد طلبه من العباد كذلك يسمى طلبي لأنه هو التوجه والطلب إلى الله –عز وجل – بالعبادات ، من قبل العباد ، ولأن الله – عز وجل – طالب العباد به .

ويسمى توحيد الألوهية ، لأنه مبني على التعبد والتأله وهو المحبة والانجذاب إلى الله – عز وجل – ، والانطراح إليه سبحانه والخضوع له ، والتوجه إليه بأنواع العبادة القلبية واللسانية ، وعبادة الجوارح ، فمن هنا سمي توحيد الإلاهية ، أو الألوهية ، وليس بينهما فرق .

إذن هذا النوع من التوحيد هو أفعال العباد التي يتوجهون بها إلى الله والتي تبدأ بتوجه القلوب على الله – عز وجل – بمحبة الله ورجاءه وخوفه ، وما ينتج عن ذلك من التقوى ومن سائر أنواع العبادات التي تبدأ بالدعاء وتنتهي بجميع أعمال وحركات الإنسان التعبدية .

القاعدة الأولى في هذا الباب : هو أن الله عز وجل كما تقرر أصلا في العقول المستقيمة والفطر السليمة : أن الله واحد في ذاته وأسماءه وصفاته ، أحد متفرد سبحانه في كل شيء ، متفرد بالكمال والعظمة والجلال والجمال ، متفرد بجميع الأسماء والصفات التي لا يمكن أن يشاركه فيها أحد ، فهو واحد في ذاته ، وواحد بأسمائه سبحانه وواحد بأفعاله وواحد بصفاته لا يشركه أحد وعلى هذا فهو سبحانه وحده الرب الذي له الربوبية المطلقة فهو الفعال لما يريد ، كل شيء بيده سبحانه ، بيده ملكوت كل شيء ، بيده مقادير كل شيء سبحانه ، فهو الرب وحده وهو المستحق لكل معاني الربوبية ، ولا يستحق أحد معه أي معنى من هذه المعاني ، إذا كان كذلك وهذا ما نريد أن نصل إليه من خلال التفكير العقلي والمنطقي والفطري ، إذا كان كذلك فعلى هذا لا يمكن أن يستحق أحد العبادة سوى الله – عز وجل – لأنه هو الكامل وحده وهو الذي بيده مقاليد كل شيء ، ليس في أيد العباد أي شيء مما يستقلون به .

فعلى هذا فهو كما أنه سبحانه لا شريك له في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي ذاته ، وكذلك لا شريك له في ربوبيته ، فهو الرب المتصرف المالك ، وعلى هذا فهو أيضا يستحق وحده العبادة ، جميع أنواع العبادة ، فهو رب العالمين ، وهو معبودهم كذلك ، فعلى هذا فلا يستحق العبادة إلا الله وحده .

ثم ننتقل بعد ذلك القاعدة الثانية

((٢) صرف شيء من أنواع العبادة، كالدعاء والاستغاثة، والاستعانة، والنذر، والذبح، والتوكل، والخوف، والرجاء، والحب، ونحوها لغير الله تعالى شرك، أياً كان المقصود بذلك، ملكاً مقرباً، أو نبياً مرسلاً، أو عبداً صالحاً، أو غيرهم.))

إذا كان الأمر كذلك ، إذا قلنا أن الله – عز وجل – هو واحد أحد في أسمائه وصفاته وأفعاله ، وهو المستحق وحده للعبادة ، فلا يعبد إلا الله ، ثم لا يجوز صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله .

وأنواع العبادة كثيرة لكن أبرزها الدعاء ، ثم الصلاة والسجود وغير ذلك من الأنواع الظاهرة البينة ن لأن العبادة أول ما تنشأ من القلب ، لكن العبادة القلبين خفية ، لا نعلم ما بين العبد وبين ربه عز وجل ، فيبقى مظاهر العبادة الظاهرة التي تبدو على الأركان ، على أفعال الإنسان في سجوده وركوعه وتوجهه وقبلته وغير ذلك من حركاته التعبدية ، أو على أقواله ، مثل الدعاء والاستعانه والاستغاثه ، أو على أفعال أخرى قد لا تدخل ، وقد تدخل في هذا وذاك .

فالذبح مثلا أمر مزدوج يدخل فيه الفعل والقول أحيانا عند التسمية ، فقد يذبح لله ولكنه ينطق بالتسمية لغير الله فانصرفت العبادة اللسانية لغير الله ولا شك أن هذا ناتجا عن العبادة القلبية .

إذن التوجه إلى غير الله – عز وجل – بأي نوع من أنواع العبادة شرك ، وهو أبرز أنواع الشرك التي لا يمكن أن تخفى على عاقل لأنها من الأمور البينة التي يمارسها العباد بأفرادهم ن ليست من الأمور الخفية .

أنواع العبادة بأشكالها قد يكون منها ما هو خفي لأنه قد يختلط فيه الأمر الغريزي بالتعبدي ، وهذا ما سأشير إليه ، ولك أكثرها واضح .

الصلاة ، الركوع السجود وهو جزء من الصلاة أو أحيانا بعض الناس قد يفرد سجودا لغير الله ولو لم يكن صلاة كاملة ، أو يفرد ركوعا لغير الله ، أو يتجه لغير القبلة أو يطوف بغير الكعبة ن هذه عبادات محضة ، كلما صرفت لغير الله فهي شرك محض ، هذا بالنسبة للفعل .

أما الفاعل فإنه يحتاج إلى أن يجري عليه شروط التكفير وموانع التكفير ، سواء حكمنا بشركه أو ببدعته أو نحو ذلك .

إذن أبرز أنواع العبادة : الدعاء والصلاة والسجود ، ثم يدخل في ذلك أنواع فيها نوع من الغموض عند بعض الناس .

مثلا : الاستغاثة ، الاستعانة ، الذبح ، التوكل ، الخوف ، الرجاء ، الحب . هذه المعاني يوجد منها ما هو طبيعي غريزي فيما بين الخلق في تعاملاتهم ، هذا ليس هو الممنوع ، وأمور تنبني على التقديس وهذا هو العبادة .

بمعنى أنا نقول : الاستعانة بالمخلوقين فيما يقدرون عليه أمر مشروع ، تقول لأخيك ناولني القلم ، هذا نوع من الاستعانة ، هذا أمر مشروع قطعا وهذا من الحلال القطعي الذي لا يماري فيه إلا جاهل .

لكن إذا استعنت بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله : كأن تأتي إلى ميت وتقول : أعني على كذا . الميت لا ينفعك ، أو تأتي إلى إنسان حي تريد منه أن (كلمة غير مفهومة) التي لا يقدر عليها غير الله ، تريد منه أن ينزل لك المطر ، فمن هنا استعنت به فيما لا يقدر عليه غير الله ، فمن هنا وقع الشرك .

كذلك الاستغاثة والنذر ، لكن النذر غالبا لا يكون إلا تعبدي ، ومع ذلك بعض الناس يخلط بين النذر والقسم ، وبين النذر وبين الحقوق التي يلتزم بها للعباد .

فالنذر بمعناه المصطلح العم عند الناس غالبا يكون تعبدي ، فعلى هذا لا يجوز النذر لغير الله .

لكن الذبح : الذبح له صور ،أبرزها صورتان :

الصورة الأولى : مجرد الذبح مع التسمية لله عز وجل لأكل اللحم أو لإكرام الضيف لغير قصد التعبد أو النحر لله عبادة خالصة فهذا مشروع ولا يدخل ذلك في مسألة الذبح الشركي بل هو الذبح الحلال أن تأتي بذبيحة تذبحها بسم الله من أجل أكل لحمها أو توزيعه أو إكرام ضيفك ، فهذا من الأمور بالمباحة .

لكن الذي يدخل في الشرك هو : الذبح تعبدا لغير الله تقديسا لغير الله ، فإذا ذبح الإنسان تعبدا لغير الله فمن هنا يقع الشرك ، حتى لو سمى الله ، أو لم يسمي .

ونظرا إلى أن كثيرا من المسلمين بحمد الله في عافيه من هذه الأمور ولا يتصورونها ، ولذلك يكثر السؤال عن مثل هذه الأمور : كيف يكون الذبح لغير الله ؟ أنا ذبحت عند الجزار أو في المجزر أو في البيت ، ذبحت وأحيانا أنسى اسمي الله ، أو اسمي الله ولكن قصدي مثلا إكرام هذا الضيف ، فهل يكون هذا من باب الشرك ، نقول : لا ، هذا مشروع .

والذبح إكراما للضيف هو سنة نبينا إبراهيم عليه السلام وهو سنة نبينا صلي اله عليه وسلم وسنة السلف الصالح ومن العوائد الكريمة عند الأمم .

فإن المقصود بالذبح الشركي وهو التقرب والتقديس ذبح العبادة القربة التعبدية لغير الله في الذبح ، كذلك التوكل هو مثل الاستعانة ومثل الاستغاثة التوكل يعني بمعني أن تعتمد على العباد فيما يقدرون عليه هذا أمر جائز لكن الأولي ألا يسمي توكل لأن التوكل كمال الاعتماد ولذلك الصحيح شرعا إن التوكل لا يكون إلا على الله عز وجل وأن الاستعانة والاستغاثة صور من صور التوكل لكنها تختلف من أنها في أنها تتعلق بالطلب من العباد أما التوكل فهو تعني الاعتماد الكلي والاعتماد الكلي لا يكون إلا على الله عز وجل الاعتماد المطلق فمن هنا التوكل قصد به معناه اللغوي فلا يجوز إلا على الله عز وجل وإن قصد به الاستعانة والاستغاثة فمنه ما هو ممنوع وما هو مشروع نحو ما فصلت قبل قليل وكذلك الخوف والرجاء والحب هذه معاني قلبية وعاطفية توجد عند الناس فمنها ما هو مشروع لا علاقة له بالتعبد وهو من غير العباد في علاقاتهم وهو كأن ترجوا من إنسان أن ينفعك رجاء فيما يقدر عليه هو أو تخاف من إنسان مثلا يمكن يهددك فيما يقدر عليه هو أو تخاف من حيوان أو من يعني بعض مظاهر الكون خوف غريزي طبيعي يعني فيما يحدث من هذه الأمور التي تخاف منها طبعا فهذا لا يعني لا عيب فيهوهو مشروع إذا لم يتعدى الحد المعقول ، لكن الممنوع والذي يدخل في الشرك هو حب التقديس إذا أحببت أحدا من الخلق يعني نبيا أو وليا أو صالحا أو مخلوقا أخر أو حتى جماد من الجمادات أو غيره إذا وصلت درجة المحبة للتقديس والتعظيم الذي لا يجوز إلا لله فهذا شرك وكذلك الخوف من إنسان لا يقدر على أن يخافك كأن تخاف من الميت أو ترجوه وكذلك الرجاء أو كذلك أن تخاف من مخلوق بأن يضرك في ما لا يقدر عليه أصلا في أمر لا يقدر عليه إلا الله تخاف من المخلوق في أمر لا يقدر عليه إلا الله أو كذلك يعني الخوف الذي يصل إلي حد اعتقادا أن مثلا الغائب ممكن أن يضرك في أمر الأصل والعادة أنه لا يضرك فيه إذا وصل الخوف إلي هذه الدرجة فقد يكون شرك أو كبيرة بحسب درجاتك ما سيأتي بمسألة التوكل والوسيلة أو التوسل ، ستأتي صور من هذه الأنواع عند الموضوع التالي إن شاء الله ، إذن الخوف والرجاء والحب إذا وصل لحد التقديس أو إسناد شيء للمخلوقات مما لا يقدر عليه إلا الله فهو شرك أما إذا كان دون ذلك فهو غريزي قد يكون فيه إثم أحيانا إذا زاد عن الحد المعقول ولم يصل لحد التقديس وقد يكون مشروع وهو الغالب ، المحبة الطبيعية مشروعة الرجاء الطبيعي الخوف الطبيعي كله مشروع وقال أيا كان المقصود بذلك يعني كل هذه الأمور إذا صرفت لغير الله في ما لا يقدر عليه إلا الله أو في ما لا يجوز إلا لله فهي شرك سواء كان من صرف في هذه الأمر ملكا مقربا يعني من الملائكة أو نبيا من الأنبياء مرسلين أو من العبا الصالحين أو غيرهم بمعني إنه حتى ولو كان أكرم الخلق ما دام مخلوق فلا يجوز صرف شيء من أنواع العبادة له وإن كان أفضل العالمين وهو نبينا صلي الله عليه وسلم فهو أفضل الخلق على الإطلاق ومع ذلك لا يجوز بل من إهانة النبي صلي الله عليه وسلم أن يصرف الإنسان له شيئا من العبادة لغير الله كما قال لأحد الذين توهم منهم أو علقوا به شيئا لا يجوز لله قال جعلتني لله ندا ثم نعم القاعدة الثالثة تفضل :

(٣- من أصول العبادة، أن الله تعالى يُعبد بالحب والخوف والرجاء جميعاً، وعبادته ببعضها دون بعض ضلال، قال بعض العلماء : (من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده في حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجيء).)

نعم العبادة عبادة الله عز وجل عند كل إنسان كل عابد لله عز وجل لابد أن تقوم العبادة في قلبه على ثلاثة أسس على ثلاثة أركان لابد أن تكون هذه الأركان موجودة جميعا في قلب العبد وفي أثار الأعمال القلبية على جوارحه أثار أعماله القلبية على جوارحه على لسانه وأعماله هذه الأركان الثلاثة أولها المحبة فمعني المحبة محبة التعظيم والتقديس لله عز وجل فالواجب على العباد أن يحبوا الله سبحانه الواجب على المسلم أن يمتلئ قلبه بمحبة الله تعظيما وإجلالا وتقديسا وتأليها إنجذابا إلي الله عز وجل وأن يكون الله عز وجل أحب إليه من كل شيء محبة التقديس والتعظيم والكمال ثم لابد بعد ذلك من الركنين الأساسين بعد ذلك وهما الرجاء من جانب والخوف من جانب لا يفترقان بل لابد أن يتعلقان يتعلق كل منهما بالمحبة ولذلك شبه بعض أهل العلم العبادة

بجسم الطير فالمحبة هي جسمه والرجاء جناحه الأيمن والخوف جناحه الأيسر لا يمكن أن يطير الطير إلا بهذه الكيانات الثلاثة في جسمه وجناحيه فعلى هذا فإنه مع المحبة محبة الله عز وجل وإجلاله وتعظيمه لابد أن يتعلق قلب المسلم برجاء الله أن يكون راجيا لله عز وجل () اليأس والرجاء لابد أن تقترن بالأسباب كما سيأتي كذلك الخوف أيضا لابد أن يكون الإنسان خائفا من الله فيجمع بين المحبة والرجاء والخوف ويوازن بينها فلا يطغي جانب على جانب وعلى هذا فإن من لوازم المحبة والرجاء والخوف العمل بشرع الله عز وجل لأن مسألة المحبة إذا لا ينبثق عنها رجاء وخوف ثم عمل تصبح مجرد دعوة ، قال عز وجل ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: من الآية٣١] .

فلابد من الاتباع ، والاتباع يجمع بين الوعد والوعيد والخوف والرجاء والعمل بأحكام فعلى هذا فإن المسلم لابد أن يجمع بين هذه الأصول الثلاثة :

أن يكون محبا لله ، ثم راجياً لثواب الله ويعمل بالأسباب ، وخائفاً من عقاب الله ، ويدرأ هذا العقاب باجتناب النواهي فيعمل بالأوامر رجاء فضل الله وينتهي عن النواهي خوفاً من الله .

ومع ذلك كله لابد أن يحب الله وأن يعظم الله في المحبة وأن يحب ما يحبه الله و يحب من يحبهم الله هذه الأمور إذا ضعف فيها جانب اختل الإيمان .

إذن فقد جانب يعني قد يفقد الإيمان كله يعني بمعني النقص في هذه الأصول الثلاثة أو في أحدها نقص في الإيمان مع إنها يلزم من بعضها يعني يلزم من وجود بعضها البعض الأخر .

بمعني إن من اكتملت محبته لله اكتمل رجاءه وخوفه والعكس كذلك بل لذلك فإن من نقص عنده أصل من هذا لأصول نقص إيمانه .

ومن اختل عنده أصل من هذه الأصول اختل إيمانه وقد يفقد الإيمان بالكلية كما سيأتي لذلك قال ، قال بعض العلماء من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق.

ومعني ذلك أنه يوجد من المتفلسفة وبعض المتعبدة الجهال وعليه كثير من عباد الأمم وتبعهم بعض العباد الذين ينتسبون للإسلام من زعموا أنه يكفيهم التعلق القلبي بالله محبة الله وتعلق القلب به .

وأن الإنسان إذا وصل إلي هذه الدرجة يستغني عن العمل بالشرع ولا يعول على الرجاء ولا على الخوف ويزعم أنه بالمحبة حقق كمال العبادة و كمال المطلوب .

وهذا خلاف قطعيات النصوص الله عز وجل طلب من عباده أن يرجوه وأن يخافوه ، والدليل على ذلك هو أصل الدين والعبادة .

وأيضا يتركز على هذه النزعة الاستهانة بشرع الله الذين زعموا أنهم يعبدون الله بالمحبة فقط وتعلق القلوب بالله ويعني بالتقديس فحسب سواء كان عن طريق التفكر أو عن طريق الرياضة القلبية أو الرياضة العقلية أو تحت أي شعار من الشعارات اللي عليها عباد الأمم وكثير من الفلاسفة فإن ذلك كله ظلام مهما كانت يعني ما شارك القوم (كلمة غير مفهومة) لأنه لا يمكن أن تكتمل المحبة إلا بتعلق القلب برجاء الله والعمل بأسباب الرجاء وتعلق القلب بالخوف من الله والعمل بأسباب ذلك .

فعلى هذا فإن من عبد الله بالحب وحده تزندق بمعني وقعت الاستهتار في الدين يعني ما أظن أقرب عبارة في عصرنا لمفهوم التزندق الاستهتار لا يبالي لا يعمل بيعني الأوامر ولا ينتهي عن النواهي ويزعم أنه وصل إلي درجة فوق مستوى أن يلتزم الشرع ، كذلك من عبد الله ، ولذلك لا أنسى أقول إن هناك مقولة خطيرة قال بها بعض العباد ومن خلالها إنغرست هذه المناهج الباطلة عند بعض الطرق الصوفية عند بعض الطرق وهي قول القائل لا أعبدك رجاء جنتك ولا خوفا من نارك ما هو صحيح بل نعبد الله رجاء نعم لا شك أن نعبد الله محبة له سبحانه لكن نجمع مع ذلك الرجاء رجاء الثواب والنعيم وعلى رأس الثواب الجنة نسأل الله أن يجعلنا جميعا من أهله وأيضا يلزم من محبتنا لله عز وجل الخوف من ناره ومن عقابه نسأل الله أن يعيذنا من النار فعلى هذا لابد من المسلم أن يجمع بين هذه الأصول قال ثم ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري يعني من عبده بمجرد الخوف لا يبالي بالحب ولا الرجاء وصل عنده الأمر إلي اليأس من رجمة الله وهذا منهج غلاة العباد الذين منهم الحرورية الحروري نسبة إلي حروراء التي لجأ إليها الخوارج بعد ما فصل على بن أبي طالب جماعة المسلمين لجأو إلي حروراء ومما تميز به الخوارج الشدة في العبادة التشديد على النفس بالعبادة لأنه غلبوا جانب اليأس غلبوا جانب الوعيد ولم يبالوا بالوعد ولذلك غلب عليهم الشدة في العبادة والتنطع والغلو .

ولذلك النبي صلي الله عليه وسلم وصفهم ب– (أنكم تحقرون صلاتكم عند صلاتهم وصيامكم عند صيامهم) لماذا ؟ لأنهم يبالغون في الصلاة وفي الصيام إلي أن زادوا عن الحد المشروع فمن هنا انغرست في قلوبهم نزعة اليأس ولم يعولوا على الوعد فمن هنا أوصف بمن يعمل ذلك بأنه حروري وإلا فالذين يسلكون هذا المسلك أوسع من مجرد الحروري هم طوائف عدة من الفلاسفة ومن العباد الأوائل الجهلة ، ومن بعض شيوخ الطرق وأتباعها إلي أخره بعض فهؤلاء منهم من يعني بل ينتسبون لجميع فرق المسلمين أحيانا يوجد من جهلة المسلمين حتى ممن ينتسب للسنة من قد يغلوا ويشتد على نفسه وعلى الآخرين فيغلب جانب الخوف على جانب الرجاء ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ يعني بمعني من قال الله عز وجل غفور رحيم سيغفر لنا جميع الذنوب فلذلك يعني لا ينبغي لنا أن نقيد أنفسنا بسلوك نعمل ما نشاء يترك الفرائض ويعمل المحرمات ويقول الله غفور رحيم هذا مرجئ .

ما معني مرجئ؟ معمي أنه مال إلي مذهب غلاة المرجئة لأن المرجئة على صنفين الصنف الأول غلاة الجهمية الذين لا يبالون بالشرائع ولا يبالون بالدين فهؤلاء يقولون يعني يكفي معرفة الله .

وإذا عرفت الله فأنت فزت الفوز الكامل وكان إيمانك كامل ومن هنا عولوا على هذا المبدأ وقالوا لا قيمة للأعمال وهم على هذا يعني لهم فلسفات كثيرة في الأعمال لعل من أشهرها لأن بعض الناس قد يقول هل يعقل المسلم ينتسب للإسلام أن يقول هذا ؟

نعم ممكن أن نسأل الله العافية يزيد في هذا ويتزندق لكن أقول أنه لهم فلسفة في هذا أغواهم الشيطان بها وزعموا أن الشرائع إنما وضعت للأناس الذين لا يتقيدون بمعني الإيمان المعرفي ما عندهم نزعة فلسفية نزعة عقلية وهم بسطاء الناس هؤلاء هم الذين يعملون بالشرع أما هذه الفئة الضالة أعني الذين قصدوا أنهم من الفئة التي فوق مستوى الشرع فيزعمون أنهم لا يحتاجون إلي ذلك كله ويكفيهم معرفة الله فلا يعني يعولون على يعني الخوف والمحبة ويكتفون بالرجاء ومنهم المرجئة ، المرجئة الفقهاء كذلك عندهم نوع يعني انحراف عن السبيل خاصة المتأخرة من المرجئة ، المرجئة الأوائل قد يكون عندهم تعظيم للأعمال وعندهم التزام لسنن الإسلام لكن متأخرة المرجئة يغلبون جانب الإرجاء يعني يستهينون بالكبائر يستهينون بالمعاصي بل أحيانا يستهينون بالشركيات الكفريات زعما منهم أن الناس تحت رجاء الله فلا يوردون بل لا يعولون كثيرا على نصوص الوعيد وإن عملوا بها يرجحون جانب الرجاء فيقعون في الخلل الذي يجعل المعاصي تكثر عندهم والفسوق والفجور والبدع ، نعم نقرأ القاعدة الرابعة :

((٤) التسليم والرضا والطاعة المطلقة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، والإيمان بالله تعالى حكماً من الإيمان به رباً وإلهاً، فلا شريك له في حكمه، وأمره، وتشريع ما لم يأذن به الله، والتحاكم إلى الطاغوت، واتباع غير شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، وتبديل شيء منها كفر، ومن زعم أن أحداً يسعه الخروج عنها فقد كفر).

أحسنت نعم هذه أيضا قاعدة عظيمة وهي قاعدة تتبني على الأعمال القلبية أولا ثم ثمار الأعمال القلبية التي هي جزء من الإيمان ، من العبودية لله عز وجل بعد ما نتكلم عن توحيد العبادة توحيد الله الإلهية فإن الأساس الأول للعبودية يبدأ من القلب من الضمير من هذه المضغة التي وصفها النبي صلي الله عليه وسلم بأنها في الجسد ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله إلا وهي القلب ، القلب لابد أن يسلم لله عز وجل ويرضى التسليم بمعني الازعان الاستعداد لقبول ما جاء عن الله تعالي وعن رسوله صلي الله عليه وسلم بمعني إن الإنسان يعني يمتلئ قلبه بالتعلق بمراد الله ماذا يريد الله منه وأن يكون قصده بذلك الاستجابة لأمر الله فإن كان أمرا أخذ به وإن كان نهيا انتهي عنه هذا التسليم يبدأ بالقلب فإذن العبودية تتبني على التسليم أولا ثم الرضا ما معني الرضا ؟ لأن ما بعد التسليم لابد أن يعني يلتزم الإنسان الشرع والالتزام أحيانا قد يثقل على النفس إذا سيطر عليها الهوى أو الشبهات أو الشهوات أو الجواذب والموانع والقواطع التي تصرف الإنسان أحيانا عن العمل الحقي والقول به وفعله فهذه الفوارس تجعله أحيانا يعني يكون عنده نوع من الاستثقال بالدين أو لبعض مفردات الدين وهذا ينافي العبودية بل مقتضى العبودية أو يخل بالعبودية بل مقتضى العبودية بعد التسليم الرضا بمعني الاستعداد والإذعان والطمأنينة طمأنينة القلب بحيث الإنسان لا يتذمر لا يستثقل أوامر الشرع يرضى يسلم بالشرع والقدر ثم يلزم من ذلك الطاعة المطلقة لله عز وجل الطاعة المطلقة في معني الاستعداد للعمل أما (كلمة غير مفهومة) فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها بحسب الاستطاعة أو الناس يظنون معني الطاعة المطلقة أن تطبق كل ما تأمر به نعم فيه من الفرائض والدين وواجبات ما يستطيع يطبقه عملي وفيها ما هو مبني على الاستطاعة ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَ﴾[البقرة: من الآية٢٨٦] .

إذن الطاعة المطلقة طاعة الانقياد وطاعة الاستعداد ثم بعد ذلك العمل بالمستطاع والطاعة المطلقة تكون لله عز وجل وتكون لرسول الله صلي الله عليه وسلم لأن طاعة الرسول صلي الله عليه وسلم من طاعة الله ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[الحشر: من الآية] أمر الله بأن نطيع رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم يلزم بذلك كله الاعتقاد والجزم بأن الله عز وجل هو الحكم ، الحكم بمعني أن ترضي بحكمه وقضائه وشرعه كما رضيت به ربا وكما ادعيت أنه إله أو سلمت بأنه إله يعني بمعني إن مقتضى الربوبية والألوهية مقتضى إيمانك بأن الله ربا وأنه أله معبود مقتضى ذلك أن ترضى بحكم الله في كل شيء في الشرع والقدر وحكم الله أحيانا يخصك وأحيانا فيما بينك وبين العباد أحكامك بينك وبين العباد كثير منها لا يقضى إلا بالأسس الشرعية ، أسس التعامل مع الخلق .

فإذن يجب أن تستعد للرضى لحكم الله عليك ، أي حكم شرع الله ، وحكم قدر الله .

ثم يتبع ذلك أنه عز وجل لا شريك له في حكمه ، والحكم قدري وشرعي ، وأمره كذلك أمره القدري وأمره الشرعي .

وتشريع ما لم يأذن به الله ، يعني إذا قلنا : أن الله عز وجل هو وحده الحكم ، وهو الحاكم وهو سبحانه الذي إليه التحاكم ، وهو سبحانه المشرع ، إذن تشريع أي شرع لم يأذن به الله ، لم يكن في كتاب الله ولا في سنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – ، أو التحاكم إلى غير الله ، إلى غير دين الله ، أو اتباع أي شرع غير شرع محمد – صلى الله عليه وسلم – كل ذلك كفر ، تشريع ما لم يشرعه الله ، والتحاكم إلى غير دين الله ، والتحاكم

إلى الطاغوت ، أو اتباع غير شريعة محمد – صلى الله عليه وسلم – حتى في أمر جزئي ، كما يقول بعض المسلمين : لماذا لا نأخذ بعض أحكامنا من الديانات الأخرى ؟ كيف نأخذ والله عز وجل أكمل لنا الدين ؟! ونسخ الديانات السابقة .

نعم قد يكون عند كثير من الديانات شيء من الحق ، ولكنه عندنا وزيادة ، يعني لا يمكن أن يصير (كلمة غير مفهومة) اليوم دين من الديانات شيء من الحق لا يوجد في الإسلام ، هذه قاعدة حتمية قطعية ، لا يمكن أن ينفرد دين ولا مبدأ في العالم اليوم ، سواء دين من الأديان المنزلة التي حرفت أو الأديان التي وضعها البشر أو النظم ، لا يمكن أن ينفرد دين أو مبدأ بحق أو بشرع صالح للناس يستقل به عن الإسلام ، فلابد أن يتضمن الإسلام كل ما لابد أن يخطر على بال بشر ، من معالم الحق جملة وتفصيلا ، لا يمكن أن ينفرد مبدأ بالحق من دون الإسلام ، إن وجد عند كثير من البعض من الأمور الجميلة ، في تشريعاتها في نظمها ، هذا أمر قد يعترف لهم فيه ، لكن لابد أن يوجد في الإسلام ما هو أكمل منه ، إنما التقصير يكون من المسلمين أنفسهم في كثير من الأحوال .

كذلك التبديل : هو أن يوضع نظام وضعي بدل نظام شرعي ، سواء كان هذا التبديل في الأحكام الجزئية أو الكلية فإنه الأصل فيه أن يكون كفر ، لكن قد يكون كفر مخرج أو غير مخرج بسحب أنواعه ، ومن زعم أن أحدا يسعه الخروج منها ، أي : عن الشريعة فقد كفر .

المقصود : أن من أدعى أو توهم أو ظن أو اعتقد أنه بإمكانه أن يستغني عن شيء من شرع الله فهذا يكون حكمه حكم السابقين في الصور الماضية ثم اقرءوا القاعدة الخامسة .

(٥- الحكم بغير ما أنزل الله كفر أكبر، وقد يكون كفراً دون كفر .

فالأول : التزام شرع غير شرع الله، أو تجويز الحكم به .

والثاني : العدول عن شرع الله، في واقعة معينة لهوى مع الالتزام بشرع الله)

نعن هذه من القضايا التي تحتاج إلى مزيد من التقعيد ؛ لأن الكثير من صورها من النوازل والمستجدات ، يعني في عهد القرون الثلاثة الفاضلة وإلى تقريبا قبل قرنين ، قبل مائتين سنة ، والمسلمون لا يعرفون النظم الشاملة التي يحكم بها بغير الإسلام ، ما عدا ما حدث من التتار وهو أمر جزئي في ظروف لم يستقر فيها نظام غير نظام الإسلام ، إنما جاء في وقت هيمنت التتار ولم تعد تدم أو تطول ، ما عدا ذلك لا يعرف المسلمون التبديل الشامل ، النظم التي توضع بدلا من شرع الله ، هذا لم يعرف إلا في العصر الحديث ، لذلك هذه من الأمور التي تحتاج إلى التقعيد .

لكنني أذكر الصور الأساسية :

أولاً : الحكم بغير ما أنزل الله ، الأصل فيه أنه كفر ، لكن مع ذلك قد يكون كفر مخرج ، وقد يكون كفر غير مخرج من الملة ، ويدخل فيه الفسق ، والظلم ، كما ورد في سياق الآيات .

ثانيا: الحكم على المعين إذا فعل ذلك يختلف عن الحكم العام ، يعني إذا الحاكم إذا حكم بغير ما أنزل الله ، فلابد أن ننظر في الحكم عليه باعتبارات كثيرة ، أولها : أن الذين يحكمون هم العلماء الراسخون ، والأمر الثاني

: أنه لابد من التثبت من حاله ، والأمر الثالث : لابد من تطبيق شروط التكفير وانتفاء الموانع ، وإن كان الحال كفر ، وهذا ينطبق على كثير مما يحدث من صور في العالم الإسلامي ، فلذلك لا يجوز الاستعجال في تكفير دولة ، أو مؤسسة أو نظام ، أو حزب أو جماعة أو هيئة أو شخص ، لا يجوز التسرع بتكفيره ما لم تطبق عليه الشروط ، ويجب أن نفرق بين الحكم على المعينين ، والحكم العام الشرعي .

الحكم العام الشرعي واضح ، لكن تطبيقاته التي وقع فيها الآن كثير من الخلل والخطأ والخوف ، والافتئات على العلماء والتسرع ، ترتب على هذا أحكام حادة في التعامل مع الآخرين .

الأمر الثاني فيما يتعلق بصنفي الكفر :

الكفر الأكبر وهو : التزام شرع غير شرع الله بمعنى أن الإنسان المسلم أو حتى غير المسلم يأخذ بالشرع قصداً أن يبعد شرع الله وأن يبدله ، أو يجوز الحكم بغير شرع الله ، هذا كفر .

الثاني : أن يعدل عن الشرع بسبب هوى ، أو جهل ، أو إكراه ، أو بسبب التباس .

فالعدول عن شرع الله – عز وجل – لهذه الأسباب أو في واقعة معينة ، إنسان مثلا رد حكم قضائي ، أو رد مسألة حكم بها عالم ، وردها بهوى ، فهذه الجزئيات ، وإن كانت أحياناً تسمى حكم بغير ما أنزل الله ، فلا يلزم تكفير صاحبها لأنه لا يمكن أن يكون ذلك من الظلم أو الفسق أو الفجور أو الضلال .

((٦) تقسيم الدين إلى حقيقة يتميز بها الخاصة وشريعة تلزم العامة دون الخاصة، وفصل السياسة أو غيرها عن الدين باطل، بل كل ما خالف الشريعة من حقيقة أو سياسة أو غيرها، فهو إما كفر، وإما ضلال بحسب درجته .)

هذه أيضاً من الأمور التي قد لا تتعلق بكثير من المسلمين اليوم ولله الحمد ، لكنها موجودة عند طائفة من الفلاسفة والمفكرين وغلاة العباد الذين انبنت عقائدهم على ما ذكرناه من قبل ، إما على عبادة الله بالمحبة فقط ، أو بالرجاء فقط ، أو نحو ذلك .

هؤلاء زعموا أن الدين ينقسم على قسمين :

إلى حقيقة وهي : هذا التعامل الفردي مع الله عز وجل ، الذي يسع كل إنسان عند مواهب بزعمهم ، أن يعبد الله كما يشاء ، هذه الحقيقة هي الصلة بالله على ما يتذوقه هذا الفرد ، يقولون : هذه حقيقة لا يدركها إلا النادر من الناس ، وعليها بعض العباد وبعض الفلاسفة ، وهي تختلف عن الشريعة التي جاء بها الأنبياء عموماً ، والتي جاء بها النبي – صلى الله عليه وسلم – ، ويزعمون أن الشريعة جاءت لعوام الناس أما الخواص ، وهم يسمون أنفسهم الخواص هؤلاء الطائفة من الزنادقة فعبدوا الله على طريقتهم الخاصة ، وظنوا أن هذه هي حقيقة الدين ، وأن المراد بالدين هو الوصول إلى هذا الحقيقة ، بل يزعمون أنهم قد وصلوا إليها وأنهم ليسوا في حاجة إلى الشرع .

طبعاً هذا من عبس الشيكان بهم ، وإلا فالدين جاء يحكم الخلق جميعاً ، والدين أنزله الله – عز وجل – على من اصطفاهم ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾[الحج: من الآية٧٥].الذين اصطفاهم الله – عز وجل– هم الذين نزل عليهم الدين .

لكن هؤلاء أصلاً نزعوا لهذه النزعة ، الذين يزعمون أنهم وصلوا على الحقيقة بالاستغناء عن الشرع ، هؤلاء أصلاً ما دخلوا الديانات السماوية ، هم من خصوم الأنبياء ، هم من المستكبرين على النبوات والشرائع ، واستمر هذا المنهج والمسلك عند كثير من الفلاسفة والعباد والمفكرين إلى اليوم ، يزعمون أن الشرع جاء للبسطاء والعوام ، ولذلك يتسمون الدين دين العوام ، ويسمون الأنبياء رعاة العوام ، وهذا ضلال مبين ، يعني تمقتهم العق السليم والفطرة فضلا عن أنه يضاض قطعيات النصوص .

إذن تقسيم الدين على هذا الأساس ، هذا ضلال مبين ، تقسيم الدين إلى حقيقة يتميز بها ناس يسمونهم الخاصة ، وشريعة تلزم العوام دون الخاصة هذا ضلال وفسق .

كذلك فصل السياسة ، أو فصل الحياة ، أو فصل الاقتصاد ، أو فصل أي جانب من جوانب الحياة عن الدين هذا من أبطل الباطل ، بل هو جور وعدول عن شرع الله ، ومن زعم أن الدين لا يواكب الحياة فهذا مبطل ، إنما قد يعجز المسلمون عن العمل بتطبيق شرع الله ، ولو عملوا لوجدوا أن الدين لا يمكن أن يفصل هذا الأمور بعضها عن بعض ، بل ما خالف الشريعة من حقيقة وسياسة وغيرها فهو غما كفر وإما ضلال بحسب درجته .

(٧- لا يعلم الغيب إلا الله وحده واعتقاد أن أحداً غير الله يعلم الغيب كفر، مع الإيمان بأن الله يطلع بعض رسله على شيء من الغيب .)

الغيب ، المقصود به : المغيب عن المخاطبين ، والمخاطبون أصناف ، منهم الملائكة ، فهؤلاء أطلعهم الله على غيب ، غيبه عن الجن والإنس لكن هناك شيء من الغيب لم يطلع عليه حتى الملائكة ، فهذا لا يمكن أن يدعى أن الملائكة تتطلع عليه ، ومن ادعى فقد وقع في الإخلال بهذه القاعدة ، وقع في الكفر .

الأمر الثاني : الجن والشياطين ، نظرا لأنهم خلق آخر ، قد يطلعون من الأمور المغيبة الإنس ، ما لم يعلمه الإنس فهذا ليس غيبا في حقهم ، ولكنه غائب عن الإنس ، فلذلك قد يرد إلى الإنس من خلال منافذ ، إما كرامات ، وإما مخارق ، وإما سحر ، وإما كهانة ، فهذا لم يعد من الغيب البحت .

فهذا المغيب عن الجن قد يغيب عن الإنس ،

أيضاً المغيب عن الإنس قد يغيب عن بعضهم شيء وقد لا يغيب عن آخر ، فلا يخل في الغيب .

فمثلاً الذي اكتشف بالعلم الحديث أو غيره أموراً غائبة عن الآخرين ، هذا ما علمه صار من عالم الشهادة ، ولو كان غائب عني ، ولا يدخل في عالم الغيب الذي اختصه الله لنفسه .

إذن الغيب الذي اختصه الله لنفسه هو : ما هو غائب عن الخلق أو عن بعض الخلق ، فما غيبه الله عم الخلق أو عن بعض الخلق فهو بالنسبة لهم غيب ولا يجوز أن ندعيه لأحد .

وعلى هذا من ادعى أنه يعلم الغيب أحداً غير الله فقد ضل ضلالاً مبينا ، مع الاعتقاد أن الله – عز وجل – قد يطلع بعض عباده على شيء من الغيب فلم يعد غيب بالنسبة لهم .

ما أطلع عليه الملائكة فهو لم يعد غيب بالنسبة لهم ، ما أطلع الله عليه بعض الرسل لم يعد غيب بالنسبة لهم ، ولذلك اطلع الله – عز وجل – نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – على أمور كثيرة من الغيب هي لا تزال غيب في حقنا ، لكنها ليست غيب في حق الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، فإذا ادعيناها للرسول – صلى الله عليه وسلم – بنص ، فلم يعد هذا من الأمور المنكرة .

فالنبي – صلى الله عليه وسلم – أطلعه الله مثلاً : على المنافقين الخلص وهذا غيب بالنسبة لنا لكن الله أطلعه عليه فلم يعد من الغيب المغيب عنا .

فهكذا إذا الغيب هو ما ثبت أنه مغيب عن الخلق أو بعض الخلق ، فهذا لا يجوز أن ندعيه لأحد ، ومن ادعى أنه يعلمه كما يكون من بعض الكهان والمنجمين فقد كفر .

(٨– اعتقاد صدق المنجمين والكهان كفر، وإتيانهم والذهاب إليهم كبيرة .)

هذه متفرعة عن التي قبلها ونختم بها الدرس .

يعني من اعتقد من الكهان والمنجمين يعلمون شيئا من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله وصدقهم في ذلك ، أو اعتقد حتى ون لم يصدقهم فقد كفر ، لأنه بذلك جعل لهم ما هو من خصائص الرب – عز وجل – فهذا كفر .

إما إتيانهم من باب حب الاستطلاع ، أو من باب الجهل كما يحدث لكثير من الناس فهذا كبيرة من الكبائر .

أيضاً ، وهذه مسألة قد تلتبس على كثير من الناس ، تصديق الكهان ، والدجالين والمشعوذين في أمر مغيب عن الناس لكن ليس مغيب عن الجن والشياطين ، هذا من كبائر الذنوب وقد لا يكون كفر ، لماذا ؟

لأن كثيراً ممن يأتي الكهان والمشعوذين والدجالين يكون عن طريق استعانتهم بالجن ، والجن فيه أمور محجوبة عنا ليست محجوبة عنهم ، وليست من الغيب المحض ، فهذا في تقديري والله أعلم أن أغلب صوره يكون من باب كبائر الذنوب .

من صدقهم في مثل هذا الأمور يكون : إما كفر دون كفر وهو الغالب ، لأن الكفر هنا أطلق ، فإذا كان يتعلق بالغيب الخالص فهو كفر مخرج من الملة ، وإذا كان يتعلق بالغيب غير الخالص ، فهو كفر دون كفر ، وعلى هذا يحمل قول النبي – صلى الله عليه وسلم – على المحملين .

إتيانهم ، كما قلت ، أعني زيارتهم من أجل الاستطلاع ، أو جهل ، أو إلى آخره هذه في الحقيقة من كبائر الذنوب ، ويجب أن يتواصى الناس .

المسلمون اليوم وقعوا في أشياء كثيرة من هذا النوع وخاصة مع كثرة الدجل والشعوذة ، وما يرتبط بها من صور كثيرة الآن تعددت على الناس وتشكلت .

يعني من الظاهر المزعجة كثرة زوار هذه البيئات الوبيئة ، فئات المشعوذين والدجالين ، وأغلب الناس متساهل ، يزور إما من باب أن يستطلع أو يجهل أو على آخره هذا كله لا يجوز .

بعضهم أيضاً يصور أو يوثق أمور ليس بحاجة إلى أن يوثقها ، فالأولى الابتعاد ن هذا عرضة للوقوع في كبائر الذنوب نسأل الله العافية .

سؤال : قلتم في الدرس السابق أن المؤمن العاصي يدخل النار ثم يخرجه الله منها ، ويدخله الجنة ، كيف نوفق بين هذا وبين قول النبي – صلى الله عليه وسلم – (لا يدخل الجنة نمام ، ولا يدخل الجنة قاطع رحم ، ولا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه) وغيرها من الأحاديث ، جزاكم الله خيراً .

أجاب فضيلة الشيخ : هذا يجع إلى القاعدة التي ذكرتها في الدروس الأولى وهو : أن النصوص الشرعية لابد أن يرد بعضها إلى بعض ، ويفسر بعضها بعضاً ، فالنبي – صلى الله عليه وسلم – ذكر هذا على سبيل الوعيد ، ويقصد أنه لا يدخل الجنة ابتداً ، يعني بعد الحساب يدخل النار لتطهيره ، والأمر الثالث ، كما ذكرت هو : أن قواعد الشرع دائماً لها استثناءات ، يعني هو ما لم يغفر الله له أثناء الحساب فإنه لا يدخل الجنة حتى يطهره الله – عز وجل – بالنار لأن مثل هذا النص لابد أن يرد على نصوص الشفاعة ، ونصوص أهل الكبائر .

نصوص الشفاعة أثبتت ، وهي قطعية : أنه لا يبقى من أهل التوحيد أحد في النار .

إذن كما قلت ، ونحمل عليه جميع النصوص التي من هذا النوع ، أن قصد النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه لا يدخل الجنة ابتدأ ، ولكن يدخل النار ثم بعد ذلك يصير إلى الجنة .

سؤال : الخادم إذا لم يصلي وترك الصلاة من أجل أن يعمل عنده ، أو خوفاً منه ، ولم يضربه لكن يسأل عليه ، هل هذا حب للشخص الذي يعمل عنده ، وترك عبادة لله ، هل هذا من الشرك ، شرك المحبة ، شرك طاعة ، من أي أنواع الشرك ، وهذا يقع كثير أثناء المباريات في الملاعب ، وأثناء الزواجات ، وأمثلة كثيرة .

أجاب فضيلة الشيخ :

هذه صور تحدث كثيراً عند ضعف الإيمان ، وضعف التدين ، سواء عند خادم أو عند بعض الناس في بعض المواقف ، حتى لو لم يكن عليه ضغط من شخص معين ، أو الخوف من معين .

أحياناً يرهب الناس ، أو يجاملهم مجاملة تصل إلى حد طرق الفرائض ، كما يحدث عند كثير من الناس في المواقف الحرجة ، في المطارات ، والطائرات ، ويؤخرون الصلاة عن وقتها ، بل يحدث حتى من بعض المرضى في المستشفيات ، فهذا أمور أحياناً تكون عن جهل ، والجهل يرفع التكفير عن الشخص حتى يعلم.

وأحياناً تكون عن تأول ، يتأول لنفسه ، يظن أنه يسوغه ذلك ، فالتأول يرفع الكفر عن المعين وإن كان فعله كفر.

وأحياناً يكون عن تسويف ، بعض الشباب مثلاً قد تفوته الصلاة وهو ينظر إلى لعبة فيمضي الوقت وهو لا يشعر ، ويخرج الوقت .

فصور ترك الفرائض خاصة الصلاة من الناس كثيرة جداً ، لكن كأن السائل يركز إذا كان ذلك نتيجة الخوف .

أنا أقول : هذا الأمر يرجع أيضاً إلى درجة إيمان الشخص ، إذا كان الخوف يصل إلى درجة أنه يعتقد أنه يضره من دون الله ، أو انه ممكن أن يجلب له مصيبة فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا يكون شرك ، لكن هذا قليل .

إما كان هذا نتيجة ضعف إيمان ، فهذا إذا أدى إلى ترك الصلاة مطلقاً بالكلية فقد يكون كفر ، أما إذا كان في حالة معينة ، فهذا ضعف وكبيرة من كبائر الذنوب ولا نستطيع أن نكفر به الشخص ولا أيضاً نقول أنه أشرك مطلقاً .

الشرك ليس بكل خوف ، إنما هذا قد يكون عن ضعف إيمان كما قلت ، فأداه هذا إلى أن يجامل الآخر ، أو يداهن الآخر ، أو يخشاه خشية (كلمة غير مفهومة)

سؤال : قال الله سبحانه وتعالى ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾[الجـن: من الآية٢٧] ، هنا الرسول يعلم الغيب ؟

أجاب فضيلة الشيخ :

هذا لابد من ربطه بالنصوص الأخرى ، فالذي ثبت هو أن الله – عز وجل – يطلع رسله على بعض الغيب ، أما مطلق الغيب فلا .

الله عز وجل ذكر عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – أنه قال ﴿ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾[الأعراف: من الآية١٨٨] .

فالله يطلع بعض رسله على شيء من الغيب المغيب عن الآخرين .

سؤال : مر معنا في أحد الدروس السابقة أن صفات الله من المحكم وقد قرأن في علوم القرآن أنها من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى فيف نوفق بين الأمرين ، هل أن المحكم معنى الصفة والمتشابه في حقيقتها ؟

أجاب فضيلة الشيخ :

نصوص الكتاب والسنة فيما يتعلق بذات الله – عز وجل – وأسماءه وصفاته وأفعاله محكمة لأنها تدل على الحقائق ولا شك ، ولو كانت مشتبهة ما اعتقد (كلمة غير مفهومة) سبحان الله ، هل يليق أن الله يخاطب عباده فيما يتعلق بالرب سبحانه في تعظيمه وإجلاله أن يخاطبهم بالمتشابهات ، يضيع الدين ، وماذا يعتقدون ، ويقع الخوف والخلط .

فإذن لابد حتماً ، وهذا بدهي عقلاً وفطرة ، لابد أن يكون كلام الله – عز وجل – ، وكلام رسوله – صلى الله عليه وسلم – في القرآن والسنة عن أسماء الله وصفاته وأفعاله من المحكم البين الذي لا لبث فيه .

ولذلك الله – عز وجل – لما ذكر الخائضين في أسماءه وصفاته في أمور الغيب ، قال ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ ﴾[آل عمران: من الآية٧] وهو النوع التالي فيما نتحدث عنه ، وهو التشابه في الكيفيات الغيبية ، فإذا جاء قوله – عز وجل – ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة: من الآية٦٤] وقوله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طـه:٥] نعلم أن هذه حقائق تثبت من غير تشبيه ، لكن كيفيتها ، كيف استوى ؟ هذا أمر غيب ومشتبه ، لا يجوز السؤال عنه ، ولذلك لما سؤل مالك رحمه الله عن الكيفية ، أصابه رعب من خشية الله – عز وجل – لأنه بهذا السؤال وقع في المتشابه .

إذن فالأمر إن شاء الله بين ، والسائلة أشارت إلى شيء من الجواب .

سؤال : ما حكم الاستعانة بالجن ؟

أجاب فضيلة الشيخ :

هذا داخل في (كلمة غير مفهومة) الذي حرمه الله – عز وجل – ، أشارت على هذا بعض الآيات نحو قوله تعالى ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْأِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾[الأنعام: من الآية١٢٨] على سبيل الذم على ما فعلوه ، استمتاع الإنس بالجن على أي نحو كان لا يجوز إلا إذا جاء من غير قصد ، كأن يكون الراقي سمع من

الجن خبراً فاستخبره ، ومع ذلك يجب أن نأخذ خبر الجني الذي ينطق من خلال التلبس على انه خبر فاسق ، لأن الجني إذا تلبس بالإنسي فقد وقع في الظلم فهو فاسق .

كذلك الاستمتاع الآخر وهو تسميته تسمية أخرى أو غير ذلك ، هذا مجرد عبث بالألفاظ ، فكما قال الله عز وجل عن أهل الجاهلية ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجـن:٦] ، ولذلك أنا أرى حتى الرقاة الذين يستعينون بالجن في الصالحات كما يسمونه ، أراهم زادوهم رهقاً ، وربطوهم بأمور لا طاقة للبشر بها ، وأعنتوهم ، وأوقعوا الناس في مشاكل وعداوات ومصائب لا يعلم مداها إلا الله عز وجل ، فليتق الله الرقاة ، ولا يفتحوا باب الاستعانة بالجن على مصراعيه ، ولا يكون بين الراقي وبين الجن عقود وعهود ومواعيد ، هذا هو المحرم بعينه ، فما الفرق بين هذا وبين فعل الدجالين والمشعوذين وأهل الجاهلية ، إذن هذا أمر يجب تجنبه ، وأحترز : أقول : غلا إذا تطوع الجن بفائدة من غير طلب منا أو من غير قصد ، أو عندما يتكلم ويتلبس نطلب منه مزيد معلومات لأنه أمامنا حاضر ، مثل الشاهد الحاضر ، فهذا إذا ما زاد عن هذا القدر ربما يكون من الأمور المباحة ، ومع ذلك فيه نظر ، أما تجاوز ذلك إلى ما أكثر من هذا فأخشى أن يكون داخل في الكهانة وما حرمه الله .

سؤال : ما المقصود أنه لا تقبل صلاة أربعين يوم لمن زار ؟

أجاب فضيلة الشيخ :

هذا وعيد ، ولا تقبل بمعنى لا يؤجر عليها ، ولا تكون مقبولة من حيث الأجر الذي وعد الله به المصلين ، لكن لا يعني أنها لا تجزي ، هذا والله أعلم بالمراد .

سؤال : الحكم على المعين إذا حكم بغير ما أنزل الله لو تعيدون شروط تكفيره .

أجاب فضيلة الشيخ :

لقد أشرت إليه لأن الوقت لا يتسع ، لكن نظراً لأنه من القضايا الشائكة اليوم ، فإن مشايخنا وعلمائنا يكادون يتفقون على بعض المجملات في تأصيل الحكم بغير ما أنزل الله ، والحكم فيه على الآخرين .

الحكم بغير ما أنزل الله أصلاً ضلال قد يكون كفر مخرج ، وقد يكون كفر غير مخرج ، وقد يكون معصية وقد يكون فسق إلى آخره .

إذن الذي يحكم بغير ما أنزل الله ، نفرق أولا بين الحكم الجزئي والحكم الكلي ، الذي يحكم بغير ما أنزل الله ، إذا وضع نظاماً أو دستوراً يحكم به بغير ما أنزل الله فهذا كفر ، كذلك ننظر في حاله سواء كان شخص أو دولة أو نظام أو هيئة أو مؤسسة أو فرقة أو جماعة ، عن كان فعل ذلك جهلاً فيدفع عنه الكفر حتى يعمل تجاهه الراسخون في العلم ما يجب ، إذا ما عملوا تجاهه لا يجب علينا نحن أفراد الأمة نفتات وأن نطلق الأحكام ، يجب العلماء أن يقيموا الحجة على هؤاء الذين يفعلون هذه الأمور ويستبينوا من حالهم ، فالبجهل وبالإكراه .

وفي الحقيقة : يبدو لي أن كثيراً ممن يقعون في الحكم بغير ما أنزل الله أحياناً ليس هذا بإرادتهم ، يأتون إلى سدة نظام ووضع له دستور أيام الاحتلال الغربي لبلاد المسلمين ، قد جاء حكام يرثون هذه النظم ، قد يكون بعضهم يكره الحكم بغير ما أنزل الله ، ورأينا من البعض محاولات جادة كما كان من ضياء الحق وغيره للعودة إلى حكم الله ، ولكن ترده قوى كثيرة ، وربما يؤدي عمله إلى مفاسد عظمى تفسد أمن البلاد وتوقع في كوارث .

فإذن أنا لست بهذا أعتذر عنهم ، ولكن أقول يجب أن نحطاط في ديننا للحكم على العباد ، لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال (إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما)

فإذن الإكراه والتأول والجهل والالتباس أيضاً ، كل هذه موانع من تكفير المعين ، ومع ذلك يبقى الأمر واجب الأمة أن تصل إلى نتائج في هذه الأمور .

سؤال : ما هي مراتب المؤمنين في معرفة الله عز وجل ؟

أجاب فضيلة الشيخ :

المراتب الشرعية هي التي ورد ذكرها في كتاب الله – عز وجل – ، هي التقوى والإنابة ، واليقين ، والمحبة ، والرجاء ، والخوف ، وما يندرج تحت هذه المسميات الشرعية ، ولذلك أحذر طلاب العلم بخاصة وعموم المسلمين من أن يتعلقوا بوصف الإيمان وأعمال الإيمان بالمصطلحات غير الشرعية .

سؤال : لقد ورد في القرآن الكريم في غير موضع ، وكذلك في بعض الأحاديث النبوية اقتران الإيمان بالله بالإيمان باليوم الآخر ، فما تفسير ذلك ؟

أجاب فضيلة الشيخ :

لأن أكبر أمور الغيب أولاً الإيمان بالله ثم الإيمان باليوم الآخر ، وأعظم الغيب ما يتعلق بالله – عز وجل – بذاته وأسماءه وصفاته ، ثم باليوم الآخر نه هو اليوم الأبدي الذي لا ينقطع ، كونه من الغيوب في الدنيا لا تساوي شيئاً لأن الدنيا محدودة بزمن ينتهي فهي متاع كما وصفها الله – عز وجل – متاع ينتهي كالقمة التي تأكلها في مجلسك ، فلذلك حتى أمور الغيب فيها محدودة بزمن ، وحال ، ولا يستهان بها ، لكن اليوم الآخر هو الغيب الكامل الذي يتعلق بالمخلوقات ومصائر الخلق جميعاً ، المصائر الأبدية التي لا تنتهي .

سؤال : ما حكم من يحتفل بالمولد النبوي متتبعاً لعلماء البلد الذي يعيش فيه ؟

أجاب فضيلة الشيخ :

قضية المولد من القضايا الكبرى التي لجت بين السنة وخصومها ، أيضاً بين السنة وكثير من جهلة المسلمين .

الحقيقة أن هذه المسألة تخضع لقاعدة شرعية سبق أن ذكرتها ومن سلم بهذا القاعدة استراح من هذه البدع ونحوها وهي : أن محبة النبي – صلى الله عليه وسلم – تكون باتباعه وبالتزام سنته – صلى الله عليه وسلم – وتكون أيضاً بمحبته في ذاته – صلى الله عليه وسلم – بأن يكون الرسول – صلى الله عليه وسلم – أحب إلى المسلم من ماله وولده والناس أجمعين ثم يتبع ذلك بالاتباع للسنة ، وليس من السنة الموالد ، لا سيما وأن المولد متعلق بحق النبي – صلى الله عليه وسلم – وحق النبي – صلى الله عليه وسلم – الدين .

إذن المولد بدعة في الدين لأن بعضهم يقول هذه بدعة عادية ، وإن تعلق بحقه فهو عبادة ، ولا يجوز إنشاء عبادة لم يشرعها الله ولم يشرعها الرسول – صلى الله عليه وسلم – .

لكن أحب أن أشير على أمر : هذا الذي عمل المولد إن كان منطلق الكثير منهم وهو الحاصل محبة الرسول – صلى الله عليه وسلم – فهم يؤجرون على المحبة لكن يأثمون على البدعة ، وربما يمحق الله أعمالهم بسبب

أنهم ألحقوا الرسول – صلى الله عليه وسلم – ببدعة هو يكرهها ، وربما لو بعث لقاتلهم عليها ، ربما ؛ لأنهم أساؤا إليه – صلى الله عليه وسلم – لكن هذه محبة الغشيم ، تعدوا حدود المعقول ، وحدود المشروع ، فهي بدعة ، وكل محدثة في الدين بدعة وكل بدعة ضلالة وما يحسن هذا إلا التسليم للرسول – صلى الله عليه وسلم – ، وقول ابن عباس : "يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول لكم قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وتقولون قال أبو بكر وعمر " ، خشي ابن عباس على الأمة من أن تعاقب من ترك أقوال النبي – صلى الله عليه وسلم – والأخذ بأقوال الصحابة ، وكذلك المسلمون الذين يعملون بهذه البدعة نقول لهم : اتقوا الله ، ما عندكم على هذا دليل بل هذه بدعة محضة من جميع المقاييس .

ثم أنتم تحتفلون بولادته أو بموته هما في يوم واحد ، فهذا تناقض .

على أي الأحوال أرى على ضوء قواعد الشرع أن هذه بدعة ، ويجب على المسلم تجنبها ، وإن فعلها الناس ينصحهم برفق أيضاً ، لأن الناس يظنون أن من ينصحهم يبغض الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، وهذا باطل .

نسأل الله للجميع التوفيق والسداد والرشاد وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الحمد لله حمدا كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه ،وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله -صلى الله عليه وسلم وآله-، ورضي الله عن صحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

- بعون الله- نستأنف الدرس بعرض سؤالين على الإخوة المشاهدين، ونتلقى الإجابة بعد قليل -إن شاء الله- ، ثم أسئلة على الطلاب الحاضرين.

السؤال الأول للمشاهدين: العبادة لا تقوم إلا على ثلاثة أركان، ما هي هذه الأركان؟

والسؤال الثاني: تقسيم الدين إلى حقيقة يتميز بها الخاصة، وشريعة تلزم العامة دون الخاصة، أو فصل الدين عن السياسة، أو نحو ذلك له حكم من بنود واقع الشرع وأدلته ما هذا الحكم؟ وحبذا لو يفصل الحكم على ضوء أنواع هذه الضلالات؟

السؤال الآخر للإخوة الحاضرين: وهو مسألة الغيب ذكرنا أن الغيب منه ما هو غيب بحت لا يعلمه إلا الله - عز وجل- وهناك ما هو غائب عن بني آدم لكنه لا يغيب عن طوائف من المخلوقات من هم؟

نعم عبد السلام.

السلام عليكم :إن الله يعلم ما في الأرحام فهو من الغيب، فالملائكة مثلا تعلم حين نفخ الروح قبل أن يعرف مثلا الإنسان.

إيه هذا عن درجات الغيب، الغيب أحيانا قد نقدر أنه غيب وهو ليس بغيب إلا في أمور لم يكشفها العلم، ما كشفه العلم ليس بغيب. نعم لكن سؤالي يعني المخلوقات نفسها هناك أمور غائبة عن بني آدم ليست غائبة عن بعض المخلوقات؛ فلا تعد من الغيب الخالص من هي المخلوقات التي يمكن أن تستكشف بعض الغائب عن بني آدم؟

الملائكة والجان.

نعم؛ فعلى هذا ما تستكشفه الملائكة والجان ليس بغيب -وإن غاب عن المخلوقات- لماذا نقول هذا الكلام؟ لأن بعض الناس إذا رأى ما يجري على أيدي الكهان والمشعوذين ظن أنهم يعلمون الغيب، وهم لا يعلمون الغيب، إنما ينكشف لهم من خلال استعانتهم بالجن والشياطين أمور هي غائبة عن بني آدم.

السؤال الثاني: ما حكم اعتقاد صدق المنجمين والكهان فيما يخبرون به؟ أريد التفصيل . نعم.

أحسن الله إليك يا شيخ. اعتقاد صدقهم كفر- أي نعم: كفر- أما إتيانهم فهو كبيرة من كبائر الذنوب

نعم أحسنت. هذا تفصيل مجمل يعني كاف.

والآن نبدأ على بركة الله بالدرس وصلنا إلى الفقرة التاسعة، وليتفضل الأستاذ معمر في قراءة هذه الفقرة.

أحسن الله إليكم يا شيخ.

بسم الله الرحمن الرحيم.

(تاسعاً: الوسيلة المأمور بها في القرآن هي ما يقرب إلى الله– تعالى– من الطاعات المشروعة، والتوسل ثلاثة أنواع:

الأول مشروع: وهو التوسل إلى الله – تعالى – بأسمائه وصفاته، أو بعمل صالح من المتوسل، أو بدعاء الحي الصالح.

الثاني بدعي: وهو التوسل إلى الله– تعالى– بما لم يرد في الشرع كالتوسل بذوات الأنبياء والصالحين أو جاههم أو حقهم أو حرمتهم ونحو ذلك.

الثالث شركي: وهو اتخاذ الأموات وسائطَ في العبادة ، ودعاؤهم وطلب الحوائج منهم والاستعانة بهم ونحو ذلك).

أحسنت– بارك الله فيك وفيكم– الموضوع هذا من أخطر الموضوعات على عقائد الأمة، وهو مما يكثر فيه الاشتباه واللبس والتلبيس من قِبَلِ كثير من أهل الأهواء، وهو موضوع التوسل، فأولاً: ينبغي أن نعرف ما المقصود بالتوسل؟

المقصود بالتوسل: هو التقرب؛ وعلى هذا فالتوسل إلى الله هو التقرب إليه، والتقرب محض عبادة، القرب إلى الله محض عبادة، أو عبادة خالصة؛ وعلى هذا فالتوسل المأمور به في كتاب الله وما صح عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في هذا الباب هو: كل ما يقرب إلى الله –عز وجل– مما شرعه الله وشرعه رسوله –صلى الله عليه وسلم– من أنواع الطاعات، والله –عز وجل– شرع من التوسلات – أي: التقربات والعبادات– ما يشبع غريزة الإنسان، ما يشبع روحه وعقله ووجدانه وعواطفه، ويملأ قلبه ويعمره بعبادة الله وطاعته ومحبته ورجائه؛ فلا يحتاج البشر إلى أن يلجئوا إلى وسيلة غير مشروعة؛ فإن في المشروع كفاية.

وعلى هذا فإن التوسل أو التقرب المأمور به في القرآن والسنة هو: ما يقرب إلى الله –عز وجل– من الطاعات المشروعة . وهو ثلاثة أنواع:

النوع الأول: هو التوسل إلى الله –عز وجل– بأسمائه وصفاته، وهو أن تدعو الله –عز وجل– بأسمائه وصفاته، وتتوسل إليه، تتعبد له بذلك من قلب موقن بأن الله مجيب، وأن الله على كل شيء قدير؛ بحيث لا يتطلع قلبك إلى اللجوء لغير الله، بمعنى: أن تعمر قلبك باليقين والإنابة إلى الله– سبحانه– حين يمتلأ القلب بمحبة الله ورجائه وخوفه تملأ قلبك بالإنابة واليقين بأن الله مجيب قادر على كل شيء. فمن هنا تتوسل إلى الله بأسمائه وصفاته. فهذا هو النوع الأول.

النوع الثاني: التوسل بأعمالك التي تتقرب بها إلى الله : بعباداتك وأعمال القربات، ومعنى ذلك: أن تدعو الله أن يأجرك، أو تدعو الله –عز وجل– بأن يجلب لك نفعا، أو يدفع عنك ضراً بأعمالك التي عملتها فلك أن تقول: اللهم إني أسألك بصلاتي أن تدفع عني هذا الضر، أو تقول: اللهم إني أسألك بمحبة رسولك –صلى الله عليه وسلم–؛ لأن محبة الرسول –صلى الله عليه وسلم– من أعظم القربات، بل هي أعظم محبة بعد محبة الله سبحانه؛ فيشرع أن تقول: اللهم بمحبتي لرسولك ادفع عني هذا الضر، أو يسر لي أمري، أو نحو ذلك أي: أن تتوسل إلى الله – عز وجل– بعمل عملته قلبي أو لساني أو بعمل الجوارح.

وهذا ما ورد تفصيله ومثاله في قصة الثلاثة أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم صخرة؛ فكل منهم دعا الله –عز وجل– بما كان يتقرب به إلى الله، بأعظم عمل يرجو به الفرج من الله: فواحد دعا بقربته ببر والديه، وآخر ببعده عن الفاحشة إلى آخره؛ فتقربوا إلى الله بأعمالهم سواء كانت فعل القربات، أو ترك المنهيات. كل هذه قربات إلى الله.

فإذن هذا العمل –هذا النوع الثاني– هو من الأمور المشروعة، وبابه واسع لا ينتهي؛ لأن المسلم فيما بينه وبين ربه أعماله قلبية ولسانية وعمل جوارح لا تتناهى.

ثم النوع الثالث: دعاء التقرب أو طلب الدعاء من الصالحين هذا أيضا مشروع لكن له شروطه وضوابطه. وأهم شروط ذلك: ألا تتكل ،ألا تكثر من طلب دعاء الصالحين؛ بحيث يكون الطلب في دعاء الصالحين عند الضرورة، أو إذا جاءت مناسبة، أو في ظرف مهيَّأ كأن يكون هذا الرجل الصالح في مكان فاضل، أو سيعمل عملاً فاضلاً، أو في عبادة خالصة، أو يكون – مثلا– على وشك سفر؛ لأن دعاء المسافر مجاب إلى آخره.

فهذا النوع– أيضا– مشروع لكن الإكثار منه ليس بمشروع لأسباب لعل أهمها:

– أن ذلك يؤدي إلى الاتكال وعدم لجوء الإنسان بنفسه إلى ربه –عز وجل– --- الأمر الثاني– أن هذا يخلط أو يختلط بالأنواع البدعية التي سيأتي ذكر نماذج منها.

ثم إن التوسل من حيث أنواعه العامة ثلاثة أنواع أساسية:

النوع الأول: هو التوسل المشروع وهو الذي ذكرت أقسامه قبل قليل. هذا يسمى مشروعاً، بل مأمور به، بل هو من محض العبادة لله –عز وجل–.

الأنواع الثلاثة التي ذكرتها قبل قليل هي أنواع التوسل المشروع، وهي كثيرة جداً يستغني بها المسلم عن اللجوء إلى الأنواع المشتبهة أو البدعية أو الشركية –لا قدر الله– وهي:

–التوسل إلى الله يعني: دعاءه بأسمائه وصفاته وأفعاله،

– وكذلك الدعاء بالتقرب إلى الله بالعمل الصالح، بعملك أنت لا بعمل غيرك،

– والنوع الثالث –كما قلت–: أن تطلب من الصالحين الدعاء لك.

ولا أنسى –أيضاً– أن أضيف مسألة : أنَّ طلب الدعاء لا يلزم أنه يكون دائما ممن هم على الكمال في الصلاح؛ لأن الكمال صعب، لكن– أيضاً– ممن قد يكون في دعائهم لك خصوصية، أو أحرى بأن يكون دعاؤهم لك مجاباً مثل الوالدين، مثل الأقارب، مثل الرحم الذين تصلهم، مثل الناس الذين تبرهم وتحسن إليهم لا مانع من أن تطلب منهم الدعاء– ولو لم يكونوا على درجة من الصلاح– ، بل لو طلبت من أي مسلم أن يدعو لك في مثل هذه الظروف لجاز، لكن الرجل الصالح أحرى بأن يُقبل دعاؤه.

إذن: أعود إلى النوع الثاني من أنواع التوسل مما ذكرنا وهو:

البدعي : ما معنى البدعي؟ يعني: أنه غير مشروع لكن لا يصل إلى حد الكفر أو الشرك الذي يخرج من الملة، النوع البدعي هو: التقرب إلى الله –عز وجل –بما لم يرد به الشرع ما لم يكن شركاً، كالتقرب بذوات الأنبياء – طبعاً ما عدا النبي –صلى الله عليه وسلم– –نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم–– في حياته سيأتي

الكلام عنه فله استثناء؛ لأنه كان الصحابة يتبركون، وهذا التبرك هل يدخل في معنى التقرب أو لا أو التوسل أو لا؟ هذه في الحقيقة فيها تفصيل؛ لأن التوسل أحيانا يقصد به التبرك؛ فمن هنا التبرك بذات النبي -صلى الله عليه وسلم- وأشيائه مشروع في حياته، وما بقي منه بعد وفاته. ولا شك أنه بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- بثلاثة قرون لم يعد هناك أشياء بقيت؛ فمن هنا ينقطع هذا النوع من التبرك.

قد يسميه بعض الناس توسلاً؛ لكن التوسل بالذوات سواء ذوات الأنبياء والصالحين أو بجاههم أو حقهم أو حرمتهم ونحو ذلك هذا من البدعة؛ كأن تقول: اللهم إني أسألك بحرمة فلان، اللهم إني أسألك بعمل فلان الرجل الصالح أو النبي أو غيره، أو تقول: اللهم إني أسألك بجاه الولي فلان أو النبي بفلان كل هذا لا يجوز بدعي؛ لأن ذلك لم يرد به الشرع، ولأن هؤلاء وغيرهم جاههم لهم، وحقهم حق لهم، وحرمتهم لا يتعدى نفعها للآخرين إلا بإذن من الشرع ، لو جاء به الشرع كان على العين والرأس؛ ولذلك لما جاء الشرع بالتبرك بذات النبي -صلى الله عليه وسلم- وأشيائه أخذناه على العين والرأس، ولا يجوز أن نماري في ذلك ولا نجادل؛ لأنه جاء به الشرع، فهذه خصوصية له -صلى الله عليه وسلم- لكن بالنسبة للتوسل الذي هو التقرب فإنه لا يجوز للإنسان أن يتقرب إلى الله، أو يطلب إلا من خلال الأنواع الأقسام الثلاثة التي ذكرتها قبل قليل.

إذن الطلب طلب الانتفاع أو دفع الضر بجاه الآخرين أيًّا كانوا أو بحقوقهم أو بحرمتهم أو بذواتهم أو بالأشياء أيضا -حتى لو لم يكن من العقلاء أو من المكلفين أو من الصالحين- الذي هو التقرب إلى الأحجار أو الأشجار أو نحو ذلك ما لم يكن شركاً فهو بدعة.

النوع الثالث: التقرب أو التوسل الشركي، وهو الذي يكون بصرف نوع من أنواع العبادة لغير الله -عز وجل-. وأكثر ما يقع فيه المشركون، وهو الذي عليه أكثر الجاهلية الذين بعث فيهم النبي -صلى الله عليه وسلم- وعدهم من المشركين هو اتخاذ الوسائط في العبادة من دون الله ، الذين وصفهم المشركون بقولهم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: ٣] زعماً منهم بأن هذه الوسائط أقرب إلى الله من ملائكة أو نبيين أو صالحين أو حتى أشجار أو أحجار أو مزاراتٍ أو مشاهدَ أو غيرها يزعمون أنها لها مكانة عند الله -عز وجل- فيزعمون أن توجيه العبادة لها لتقربهم إلى الله،لتتوسط لهم عند الله هذه الوسائط هي معبودات وفعلهم شرك؛ والله- عز وجل- نص على ذلك؛ لأنهم حينما قالوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: ٣] فإن الله حكم بشركهم بنص كتاب الله- عز وجل- بشركهم، أو بأنهم أشركوا بهذه الوسيلة.

إذن هذه الوسيلة أو التوسل الشركي أكثر ما يقع في اتخاذ الوسائط من دون الله بمعنى: أن كثيرين من المشركين يزعمون أنهم لا يعبدون هؤلاء عبادة خالصة، لكن يعبدونهم من أجل أن يقربوهم إلى الله، أو يدعونهم دعاء فيما لا يجوز إلا لله من أجل أن يقربوهم إلى الله، ومنهم من يقصر العبادة على هؤلاء، ومنهم من يشرك في العبادة بمعنى: يعبد الله من وجه، ويعبد هذه المعبودات من وجه آخر، وهذا كله شرك سواء وجه العبادة لهذه المخلوقات من دون الله، أو أنه يعبد الله أحيانا، ويعبد هذه المخلوقات أحيانا كما يكون من المشركين :إذا مسهم الضر دعوا الله- وحده- ، وإذا أمنوا أشركوا به، فهذا أيضا صنف من أصناف الشرك.

إذن الشرك هذا الذي هو التوسل الشركي أنواع أشهره: هو اتخاذ الوسائط، ويعني غالبا يكون بدعائهم من دون الله وطلب الحوائج من جلب نفع أو دفع ضر مما لا يقدر عليه إلا الله من استعانة بهم ونحو ذلك.

وأحياناً يكون ذلك على شكل توجه قلبي أعني بهذا أن من أنواع الشرك التي يقع فيها كثير من الأمم، ويقع فيها أفراد من أصحاب الفلسفات والعُبَّاد الذين يسلكون مسالك العبادة عبر التفكر لا عبر الممارسات ، هؤلاء يوجهون عقولهم وقلوبهم إلى غير الله، ولو لم يعملوا بطقوس أو عبادات مباشرة؛ فإن ذلك من الشرك، وهذا شرك أصحاب الحلول والاتحاد ووحدة الوجود وشرك كثير من مشركي الفلاسفة وكثير من أصحاب الاستكبار عن التوجه إلى الممارسات التي تمثل الطقوس التي هي ممارسة العبادة العملية أعني بذلك أنه لا يلزم من الشرك

أن يكون يعني فقط ممارسة عملية من دعاء لساني أو عمل سجود أو ركوع لغير الله ونحو ذلك، بل أحيانا بل كثيرا ما يكون الشرك هو توجه القلوب والعواطف والعقول إلى غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ، تقديس غير الله.

فهذا النوع من الشرك قد تقع فيه بعض الفرق وبعض الأفراد ممن ينتسبون للإسلام؛ ولذلك يجب على المسلمين أن يناصحوا هذا الصنف، وأن يبينوا لهم خطورة هذا المسلك حينما يدعون الموتى من دون الله، أو حينما يدعون الأحياء أو الأموات، أو يدعون الأشياء من المزارات والآثار والمشاهد وغيرها حينما يدعونها من دون الله، أو يصرفون لها نوعاً من الشرك كالسجود أو الركوع أو الصلاة أو الطواف.

وهذا من الشركيات الظاهرة في بعض بلاد المسلمين التي قد يغفل عنها كثير ممن يراها ممن يشاهدون هذه الشركيات، إما لأنهم اعتادوها واستمرءوها فما ظنوا أنها شركيات، أو أنهم لم يقع في خلدهم أن هذا نوع شركي.

نعم يكون هناك من جهلة المسلمين من لا يظن أن هذه الأمور شرك؛ فيقع فيها أو يقرها جهلاً منه، فينبغي التنبه لمثل هذه الأعمال أي: عندما يوجه أي إنسان يعني العبادة لغير الله سواء بلسانه بدعاء، أو بجوارحه من سجود أو ركوع أو طواف أو غيره فإنه ينبغي أن ينكر هذا الشرك، ويبين خطورته، وقد يكون بعض الجهلة لو نُبِّهَ لانتهى عن ذلك؛ بل ما أحسب أن مسلماً يعرف أن هذه الأعمال خطيرة على دينه وعقيدته، وأنها قد توقعه في الشرك إلا وسينتهي إذا أنكر عليه بالرفق.

ومن هنا أحب- أيضا- أن أشير إلى أمر يقع فيه الكثير ممن ينكرون هذه المنكرات، وهو أنهم قد يستعملون أساليب فيها نوع من الاستفزاز والتنفير بدعوى أن هذا الشرك شنيع.

أقول: كون بعض الناس يقع في شرك شنيع لا يبرر أن ينكر عليه بالعنف؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إن الله ليعطي بالرفق ما لا يعطي بالعنف) ، ولأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه) ؛ فأهيب بكل مسلم يرى من بعض المسلمين بعض هذه المظاهر وإن كانت شديدة وشنيعة أن يرفق بهم، وأن يبين لهم وجه الحق بأسلوب لين ناصح مشفق، وأن يغير من الأساليب إذا وجد أن أسلوبه لا يناسب،أو لا يطاع، فينبغي أن يغير ويوجه الناس بشيء من الرفق والرزانة والهدوء؛ فليس عليه أن يهدي الخلق، الهداية بيد الله -عز وجل- إنما عليه أن ينصح. تفضل في القاعدة العاشرة.

(عاشراً: البركة من الله- تعالى- يختص بعض خلقه بما يشاء منها فلا تثبت في شيء إلا بدليل، وهي تعني كثرة الخير وزيادته، أو ثبوته ولزومه.

وهي في الزمان: كليلة القدر، وفي المكان: كالمساجد الثلاثة، وفي الأشياء: كماء زمزم، وفي الأعمال: ككل عمل صالح مبارك، وفي الأشخاص: كذوات الأنبياء. ولا يجوز التبرك بالأشخاص لا بذواتهم ولا آثارهم إلا بذات النبي -صلى الله عليه وسلم-، وما انفصل من بدنه من ريق وعرق وشعر؛ إذ لم يرد الدليل إلا بها، وقد انقطع ذلك بموته -صلى الله عليه وسلم- وذهاب ما ذكر.

الحادي عشر: التبرك من الأمور التوقيفية؛ فلا يجوز التبرك إلا بما ورد به الدليل).

أحسنت. الحقيقة أن القاعدة الحادية عشرة هي القاعدة التي يبنى عليها التفصيل؛ فنبدأ بها قبل العاشرة، وهي أن البركة: وهي النمو والزيادة وتعدي النفع النفع المتعدي إلى الغير من الأمور التوقيفية، فلا يجوز التماس البركة، أو التماس النفع إلا بما ورد به الدليل.

والمقصود بذلك أن تعدي أو خروج المنفعة من ذات إلى أخرى، أو من شخص إلى آخر المنفعة الغيبية ليس المنفعة المادية التي يعطيها الإنسان المنفعة التي هي البركة التي يهبها الله لمن يشاء هذه المنفعة غير متعدية إلا ما ورد الشرع أن فيه منفعة أو بركة متعدية؛ فعلى هذا فالتبرك أي التماس البركة من شيء، التماس الانتفاع من شيء على وجه غير منظور، على وجه غيبي. التماس البركة والنفع من الأمور التي يجب أن لا نعتمدها إلا بما ورد به الدليل؛ لأنها أمر غيبي، وجميع الأمور الغيبية قلنا ماذا ؟ توقيفية لا يجوز أن نقول بها إلا بدليل؛ فعلى هذا فلا يجوز التبرك أي: التماس البركة، التماس النفع الغيبي إلا بما ورد به الدليل من القرآن والسنة.

ثم نرجع إلى أصل القاعدة، وهي أن البركة أي: النفع المتعدي من ذات إلى ذات، أو من شيء إلى شيء غير منظور غير النفع المادي . المادي هذا لا يحتاج إلى تقرير، لكن النفع غير المنظور – الانتفاع من شيء إلى شيء، من شخص إلى شخص الانتفاع المتعدي وهو البركة- إنما هي من الله عز وجل يهبها لمن يشاء، وفيما ما يشاء من الأشخاص والأشياء.

وعلى هذا لا بد من دليل؛ فالله -عز وجل- اختص بعض خلقه بالبركة المتعدية للآخرين؛ فيختص بعض خلقه سواء من أشخاص أو من أشياء بما يشاء من البركة، والبركة أنواع فلا تثبت في شيء إلا بدليل؛ وعلى هذا فإذا كانت البركة المتعدية تعني كثرة الخير وتعديه للآخرين فإنا إذا تأملنا، أو حتى ثبوت البركة ولزومها في شيء حتى لو لم تتعدَّ إذا عرفنا أن هذا لا يكون إلا بدليل؛ فلنلتمس الأدلة أو نلتمس الأشياء التي ورد فيها بركة بالأدلة.

هذا يعرفه أهل العلم: الله- عز وجل- بَيَّنَ لنا من خلال ما قاله الرسول -صلى الله عليه وسلم- الأشياء المباركة جملة وتفصيلا.

فأولا : في الأزمنة: نجد ليلة القدر ليلة مباركة بالنص، ونجد يوم عرفة يوما مباركا، ونجد ليالي عشر رمضان وأيام عشر ذي الحجة كذلك مواسم مباركة، ومثلا شهر رمضان موسم مبارك وهكذا؛ فإذن هذه وردت فيها النصوص.الأزمان التي وردت فيها النصوص أنها مباركة؛ فنقف عند هذا النوع من البركة، ما هذا النوع من البركة؟ أحياناً تكون البركة في الزمان- في الأعمال الصالحة التي تجري فيه- ، وهو الغالب أغلب ما يجري من البركة في الزمان فيما يكون عظيماً في الأعمال الصالحة التي تجري فيه، وأحيانا تكون البركة من وجهين: من وجه مضاعفة الأعمال، ومن وجه أن الله – عز وجل- يقدر فيه أقداراً فيها خير للأمة كليلة القدر. هذا في الزمان.

في الأمكنة كذلك: المساجد الثلاثة مباركة من حيث أنها تضاعف فيها الحسنات، ومن حيث أنها لها حرمة تخصها، تضاعف فيها الحسنات إما مضاعفة مطلقة، أو مضاعفة الصلاة، كما ورد في النصوص على خلاف بين أهل العلم.

كذلك هناك أشياء لا هي زمان مطلق ولا مكان مطلق لكن أشياء، هناك أشياء مباركة وبركتها متعدية مثل: ماء زمزم، ماء زمزم مبارك وهو(لما شرب له). وقد وردت النصوص الصحيحة في ذلك عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، كذلك وردت البركة في أشياء مثل السحور النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول:

(تسحروا فإن في السحور بركة) وهذه البركة مطلقة، صحية وغير صحية، معنوية وحسية.

وكذلك القرآن كلام الله فهو كلام مبارك، فيه هدىً للقلوب، فيه نور، فيه صلاح، فيه شفاء للنفوس والقلوب والأرواح، فيه شفاء للأجسام فهذه البركة متعدية في كلام الله -عز وجل- وهو القرآن.

كذلك في الأعمال: كل عمل صالح مخلص لله، كل ما يعمله المسلم من عمل صالح بإخلاص فهو مبارك، وبركته له لا تتعدى إلى غيره؛ لأن البركة كما قلت فيها ما هو متعدٍ، وفيها ما هو غير متعدٍ، فبركة ماء زمزم مثلا متعدية لكن العمل الصالح مبارك لكنه ينفع صاحبه لا ينفع غيره.

في الأشخاص أيضا: ذوات الأنبياء مباركة، وذات النبي -صلى الله عليه وسلم- خصت بالبركة؛ ولذلك ذوات الأنبياء ورد أنها مباركة، لكن لا يجوز التبرك بها، وورد أن ذات النبي -صلى الله عليه وسلم- وأشياءه مباركة ويجوز التبرك بها؛ لورود النص؛ ولأن الصحابة -رضي الله عنهم- كانوا يتبركون بذات رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بجسمه ولباسه وشعره وكل ما يخرج منه، بل حتى في أشيائه، بخاتمه وبسيفه وبكل ما يتناوله النبي -صلى الله عليه وسلم- من الأشياء والأثاث وغيره، فهذه البركة بركة متعدية وردت فيها النصوص والصحابة عملوها وقرهم على ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- وكانوا يتزاحمون أي: الصحابة -رضي الله عنهم- على أشياء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وذاته تبركاً بها تبركاً فعلياً مباشراً فهي بركة متعدية.

وقلنا كذلك: ما انفصل عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من بدنه من ريق وعرق وشعر، وقد انقطع ذلك كله- أي: ما يتعلق بذات النبي -صلى الله عليه وسلم- --- انقطع بموته.

أما ما يتعلق بأشيائه فما بقي منها يتبرك به، لكن لنعلم -وهذا أمر مهم- أنه لم يبق من أشياء النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد القرون الثلاثة الفاضلة شيء. آخر ما أثر شعرات من النبي -صلى الله عليه وسلم- في القرن الثالث عند بعض أهل العلم. بعده لا يعرف شيء.

نقول هذا؛ لأن استغل بعض السذج من المسلمين من قِبَلِ بعض الدجالين والجهلة في أن هناك أشياء للنبي -صلى الله عليه وسلم- كما يزعم بعض الهراصين -موجودة؛ فيتعلق الناس بها، وهي لا توجد على وجه الحقيقة، ولعل في ذلك حكمة يعني: كون أشياء النبي -صلى الله عليه وسلم- انقطعت وانتهت لا شك أن لله في ذلك حكمة نعم.

(الثاني عشر: أفعال الناس عند القبور وزيارتها ثلاثة أنواع:

الأول مشروع: وهو زيارة القبور؛ لتذكر الآخرة وللسلام على أهلها والدعاء لهم.

الثاني بدعي: ينافي كمال التوحيد، وهو وسيلة من وسائل الشرك، وهو قصد عبادة الله- تعالى- والتقرب إليه عند القبور، أو قصد التبرك بها، أو إهداء الثواب عندها والبناء عليها وتشخيصها وإسراجها واتخاذها مساجد، وشد الرحال إليها، ونحو ذلك مما ثبت النهي عنه، أو مما لا أصل له في الشرع.

الثالث شركي: ينافي التوحيد، وهو صرف شيء من أنواع العبادة لصاحب القبر كدعائه من دون الله والاستعانة والاستغاثة به والطواف والذبح والنذر له ونحو ذلك.)

أحسنت. موضوع التوسل وموضوع التبرك يتفرع عنه أعمال يقع فيها الكثيرون، وأكثر ما يكون من هذه الأعمال ما يجري حول القبور؛ لأن الناس ممكن أن تستعطف عواطفهم تجاه أمواتهم، ويستغل كثير من الجهلة أو المرتزقة أو أهل البدع عاطفة التقرب أو عاطفة الولاء بين الأحياء وبين موتاهم؛ فيدخلون كثيراً من وجوه الأعمال غير المشروعة بعضها قد يصل إلى الشرك أي: ما يعمل عند القبور، وبعضها قد يكون من البدع المغلظة، وبعضها قد يكون من التبرك غير المشروع والتبرك البدعي، وكل هذا يقع؛ لأن الناس يعني عند زيارتهم للقبور يعني يجدون من أصناف المغريات في الوقوع في هذه المنهيات الشيءَ الكثير لا سيما بعدما أسرجت القبور واتخذت فوقها القباب والمساجد ووضعت عندها الأوقاف والمنافع؛ فالإغراءات بالوقوع في البدع

والمنهيات كثيرة جدا، وكما قلت: لعل من أعظم الإغراءات أن هناك من ينتفعون ببدع القبور؛ وقد رأينا من هذا الصنف العجب أي: الذين ينتفعون ببدع القبور من استدرار الأموال من العامة، بل ومن الفقراء، نجد الفقير يعيش زمناً طويلاً ليحصل دريهمات؛ فيذهب بها عند سادن القبر، فيلقيها كلها من أجل أن يمكنه سادن القبر من أن يدخل على ذلك الميت؛ فيتوسل إليه، أو يدعوه من دون الله، أو يتبرك به ليجلب له نفعا، أو يدفع عنه ضرا، وهذه مهلكة في الدين والدنيا. وهذا الفقير المسكين ربما يكون خسر عقيدته وخسر ماله، وذاك المنتفع الدجال ربما أيضا تمسى باسم الدين، ولبس لباس الأولياء، والغالب أنه يكون من الكاذبين.

على أية حال هذه مأساة من مآسي المسلمين الكثيرة، وهي من أعظم أسباب ذلهم وهوانهم وفرقتهم وتنازعهم الذي هو سبب الفشل؛ لأن الله –عز وجل– قال: ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٦] .

والتنازع في الدين والعقيدة ، التنازع في عبادة الله –عز وجل– إذن أفعال الناس عند القبور وزيارتها على ثلاثة أنواع:

النوع الأول مشروع: وهو الذي عليه عامة المسلمين وغالبهم، وهو الذي كان عليه النبي –صلى الله عليه وسلم– وصحابته والتابعون وسلف الأمة وغالب المسلمين الذين هم على الفطرة لم تجتذبهم البدع والأهواء ،غالبهم على هذا الوصف، وهو الزيارة المشروعة التي هي من القربات، وهو أن تزور أصحاب المقابر تخص وتعم من أجل:

أولا: السلام عليهم، السلام عليهم تسلم عليهم السلام المشروع: (السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، رحم المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم، واغفر اللهم لنا ولهم) ، ونحو ذلك من الأدعية المشروعة، وما يناسب أيضا من الدعاء الذي لا يكون فيه عدوان ولا ابتداع إلى آخره.

فالسلام هذا حق للأموات، ولا مانع أن يكون –بل ينبغي– أن يكون عاما وخاصا، فإذا جئت إلى المقبرة تسلم سلاما عاما، بل ينبغي إذا مررت بالمقبرة وأنت مارّ حتى ولو لم تدخل ولم تلج ينبغي أن تسلم على الأموات عموما، والله –عز وجل– يبلغهم، أو يعطيهم المقدرة على إبلاغ السلام ويردونه.

والأمر الثاني: زيارة القبور شرعت من أجل الاتعاظ وتذكر الآخرة، وفي هذين الغرضين ما يشبع رغبة المسلم تجاه إخوانه الأموات؛ لأن المسلم تعلق قلبه بالأموات من هاتين الناحيتين: من ناحية أن ينفعهم؛ فينفعهم بالدعاء، ومن ناحية أن ينتفع بحالهم؛ فينتفع بالاتعاظ؛ لأن المسلم إذا مر بأهل المقابر وتصور ما هم عليه، وأن منهم ما هو على خير، ومنهم من قد يكون على أمر خطير؛ فيتذكر أنه– ولا بد أن يكون من ضمن هذا الصنف – من الذين فارقوا الدنيا، وأنه لا بد أن يكون رهين هذه الحفرة وهي القبر، وأنه سيجري له ما جرى لهم؛ فمن هنا يتذكر ويلين قلبه، ويخشع لله عز وجل، ويخاف الله، ثم يتقرب إلى الله ويحسب حسابا للموت؛ ولذلك كان كثير من الصالحين لا يكتفي بمجرد زيارة المقابر– مع أن في هذا كفاية للاتعاظ– ؛ بل ربما يلقي بنفسه في القبر، ثم يبدأ يحاسب نفسه وكأنه هو الميت، أو كأنه سيدفن قريبا، وكثير من الصالحين أيضا من أجل أن يروض قلبه على الاتعاظ والتقرب إلى الله عز وجل، و تذكر الموت والآخرة يحفر قبره بيده؛ ليكون أكثر تهيؤاً، وهذه كلها من الأمور المشروعة.

إذن زيارة القبور في المشروع فيها كفاية، وباب المشروع فيها واسع من السلام والدعاء على الأموات وتذكر الآخرة. هذا النوع الأول.

النوع الثاني: زيارة بدعية: تنافي كمال التوحيد بمعنى أن الإنسان لا يخرج منها من ملة الإسلام، ولا يقال : إنه أخلَّ أو إنه عمل ما يناقض التوحيد؛ لكن ينقص توحيده ويقع في البدع، وربما يكون هذا النوع وسيلة من الوصول إلى الشرك؛ بل كان سببا في وقوع طوائف من جهلة المسلمين في الشرك ، فالنوع الثاني: بدعي أي: ارتكاب بدع في زيارة الأموات، بدع في المقابر وزيارة القبور، وهو أن يقصد عبادة الله- عز وجل-، أو التقرب بأي قربة لله -عز وجل - عند المقابر، أو عند الأموات، أو عند القبور، وربما تكون الوسائل لهذا يعني هي الظاهرة عند كثير من الناس.

وقبل أن أدخل في تفصيل هذا أقول: إن الوسائل التي توقع في بدع القبور هي التي نهى عنها النبي -صلى الله عليه وسلم- أشد النهي، وهي رفع القبور، الرفع الذي يلفت النظر؛ بحيث تشرئب إليه نفس الرائي؛ فيعظم في قلبه هذا القبر، وكذلك البناء عليها سواء كان البناء على شكل جُدُر، أو على شكل قباب، أو بناء المساجد عليها.

كل ذلك مما نهى عنه النبي -صلى الله عليه وسلم- نهياً صريحاً؛ بل هو من الأمور التي أوصى بها النبي - صلى الله عليه وسلم- بالتحذير منها في مرض موته؛ فقال: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) فاتخاذ القبور مساجد على نوعين:

بأن يدفن الميت في القبر، أو يبنى عليه مسجد، أو تعمل القربات والعبادات عند القبور؛ حتى ولو لم يكن عليه مسجد ولا بناية.

إذن أقول: إن الوسائل التي تعمل عند القبور هي التي أغرت كثيرا من الجهلة بالوقوع في التوسل البدعي والشركي من اتخاذ القبور مزارات على غير الوجه المشروع، من بناء القباب والأبنية والمشاهد عليها، أو دفن الموتى في المساجد، أو نحو ذلك من الوسائل التي تغري الناس بالوقوع في البدع.

إذن هذه الأمور أي: المغريات -وهي كثيرة جدا- أوقعت الناس في التقرب إلى الله عند القبور بمعنى: أن المتقرب هذا لا يقصد عبادة الأموات، ولا يدعوهم من دون الله لكن يظن أن في العبادات عند المقابر مزية؛ فتجده يقرأ القرآن عند المقبرة زعماً منه أن هذا أعظم لأجره، أو يهدي ثواب القرآن إلى الأموات، وهذا أقرب من البدعة، بعضهم يقول: أنا أصلي لله لكن أصلي في المقبرة؛ لأن الذين في المقبرة من موتى المسلمين الذين نرجو أن يشفعوا لنا إلى آخره! فيصلي لله لكن يعني يتقصَّد البقعة؛ زعما منه أن هذا فيه زيادة بركة، أو أحيانا يعمل قربات أخرى عند القبر زعماً منه أن هذا يضاعف الحسنات؛ فيتصدق عند القبورو يضع لها الأوقاف للناس الذين يعملون البدع.

هذا كله مما هو من التوسل، أو التقرب البدعي الذي أدى- في كثير من الأحيان- إلى الوقوع في الشركيات.

إذن التقرب إلى الله -عز وجل- عند القبور فيما لم يشرعه الله هذا بدعة، وقصد التبرك بها كذلك، إهداء الثواب عندها، البناء عليها كما قلت تجصيصها، وإسراجها، اتخاذها مساجد، شد الرحال إليها . معنى شد الرحال: أن يتقصد الإنسان أن يسافر من أجل زيارة قبر، أو زيارة مقابر، وهذا غير مشروع؛ المشروع أنه إذا مر بالمقبرة يسلم على أهلها، إذا مر بالقبر -وهو قبر مسلم- يسلم على صاحبه، أما أن يشد الرحال لذلك فالراجح أن هذا لا يجوز؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- نهى عند شد الرحال إلا للمساجد الثلاثة.

وكل ما ثبت النهي عنه وجب اجتنابه، وإن كان دون الشرك فهو من هذا النوع الذي ينافي كمال التوحيد.

وعلى أي حال: كل ما لم يكن له أصل في الشرع من الأقوال أو الأفعال أو التوجهات القلبية أو القولية أو غيرها عند المقابر سواء قبر فردي أو مقابر جماعية فإنه يدخل في هذا النوع.

النوع الثالث: وأرجو أن يكون قليلا في المسلمين- إن شاء الله- وفيمن يدعون الإسلام، أرجو أن يكون نادرا لكن مع ذلك هو خطير، وربما يقع فيه البعض، وهو شركي ينافي التوحيد يعني: يوقع في الخروج من الملة، وهو صرف العبادة لأصحاب القبور، للموتى ،لفرد أو لمجموعهم كدعائهم من دون الله، أو الاستعانة بهم بعد موتهم؛ لأنهم لا يقدرون على جلب نفع أو دفع ضر، أو الاستغاثة بهم، أو عمل عبادة محضة مثل: الطواف، ومثل: النذر أو الذبح تقرباً إليهم؛ فكل ذلك يدخل فيما ينافي التوحيد، بل يوقع في الشرك.

هذه الصور وإن كانت قليلة إلا أنها موجودة، وهي من أخطر ما يقع فيه المسلمون، ويجب على كل مسلم يرى مثل هذه المظاهر أن يحذر من يقعون فيها؛ فالدين النصيحة، ولا يجوز لأحد يرى بعض المسلمين الجهلة يعمل هذه الأشياء إلا ويجب عليه أن ينقذه من النار، وأن ينصح له، ويبين له خطورة هذا الأمر؛ لأن الكثيرين ممن يقعون من الجهلة لو بُيِّنَ لهم وجه الحق وأُوردت لهم الأدلة بأسلوب لين وبأسلوب ناصح؛ نجد أنهم -إن شاء الله- سيخضعون للحق.

الخلاصة: أن هذا النوع الشركي- وإن كان قليلاً- إلا أنه ربما يكون من أعظم أسباب ما وقعت فيه الأمة من هذه العقوبات والأدواء والأمراض والفرقة؛ لأنه لما وجه فريق من المسلمين عبادتهم لغير الله وإن كان على جهل أدى ذلك إلى ضعفهم وهوانهم وذلهم، وأدى عدم الإنكار على مثل هؤلاء الذين يقعون في مثل هذه المصائب أدى إلى مثل هذه العواقب الوخيمة؛ ولذلك أرجو أن يتواصى المسلمون على التحذير من هذه الأنواع سواء كان منها البدعي أو الشركي.

(الثالث عشر والأخير في هذا الباب: الوسائل لها حكم المقاصد، وكل ذريعة إلى الشرك في عبادة الله أو الابتداع في الدين يجب سدها؛ فإن كل محدثة في الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة.)

على أي حال سبق أن تكلمنا عن هذا النوع، وبينا أن الأصل في الدين: أنه شرع من الله -عز وجل- سواء مما ورد في كتاب الله، أو ثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الدين كله عقيدة وأحكام وسلوك وتعامل؛ فعلى هذا كل مَن شرع في الدين ما لم يأذن به الله؛ فقد ابتدع وكل بدعة، كل محدثة أي: أحدثها الناس وتدينوا بها وتقربوا بها إلى الله وهي ليست من القربات؛ فهي مما يجب رده، لكن هناك أمر وهو أن بعض الناس يقع في أمور تؤدي إلى البدعة، أو تؤدي إلى الشرك وهو لا يشعر، فعلى هذا فجميع الأمور التي تكون وسيلة إلى الوقوع في البدعة أو وسيلة إلى الوقوع في الشرك فلا بد من سدها.

على سبيل المثال: الاحتفالات السنوية/ بعض الناس يحتفل مثلا بميلاد ابنه، أو بمناسبة دنيوية عامة؛ فيجعل الاحتفال بها التزاماً فإذا التزم ذلك صار ذريعة إلى البدعة. ما معنى ذريعة للبدعة؟ بمعنى أنه فيما بعد يتقرر عنده أن هذا المعتاد يجب ألا يترك، ويأتي أجيال من الناس يعتقدون أن تركه خطأ؛ فمن هنا تعبَّدوا به من حيث لا يشعرون، وأعظم البدع- سواء كانت بدعاً حولية أو غيرها- بدأت من هذا الجانب من التساهل في بدايتها، قد لا يقصد الناس بداية الالتزام بها التعبد، لكن حينما يلتزمونها ويلزمون أنفسهم يكون ذلك على سبيل التعبد.

أضرب لهذا مثالاً أيضاً: كثير من المسلمين الآن بدءوا يحتفون برأس السنة الهجرية، وصار بعضهم يهنئ بعضا وكأنهم في عيد؛ حتى أصبح بعضهم يطلق عليها صفة العيد بل لقب العيد؛ إذن بعض الناس الآن اتخذ ذريعة للبدعة، وبعضهم وقع في البدعة.

أما الذي اتخذ ذريعة للبدعة فذلك الذي أصبح يهنئ ويحتفي مع أن أمر الهجرة مهم لكن أصبح يحتفي ويلتزم أنه في ذلك التاريخ يهنئ من حوله بهذه المناسبة، الآخر الذي تقرب إلى الله بالدعوة إلى ذلك ،ويعتبر هذا من الأمور اللازمة، ثم بعد ذلك تأتي أجيال لا تستطيع أن تتخلص من هذا الأمر فتتعبد به، والدليل على هذا أنه الآن

نظراً لظهور هذه الشائعة بين المسلمين. كثير من الناس إذا أنكرت عليه اعتبر هذا نوعا من الموقف الغريب لماذا؟ لأنهم استمرءوا هذا الأصل فصار ذريعة إلى البدعة؛ بل وصل بعدَهم إلى الابتداع.

أيضا التعبد أحيانا بمناسبات: لم تشرع أذكر على سبيل المثال أنه شاعت عند الناس قبل العام الماضي فكرة أنه مادام آخر السنة أو أول السنة التي تلي يوم الاثنين فقالوا: نشجع ونحرض على صيامه، وجاءتني رسالة من هذا يقول: اختم عامك بصوم.

طيب: هذا أراد خيرا لكنه وقع في بدعة بمعنى أنه ما عرف قاعدة الشرع حينما دعا إلى صوم يوم يُقصد به التعبد على أساس أنه ذكرى لنهاية السنة وبداية أخرى، فهذه بدعة لو التزمها الناس لكانت بدعة.

وهكذا تساهل الناس في الأمور يجعلها تصل إلى البدع وهم لا يشعرون، وتأتي أجيال تجهل الغرض الطيب أو المقصد الحسن عند من بدءوا هذه الأمور فتتعبد؛ ولذلك أغلب البدع الحولية وغيرها جاءت من هذا التساهل.

وهنا أعود وأقول: التذكير بأمر هو أنه لا يجوز للمسلمين أن يعيدوا ويتعبدوا بتعييد غير العيدين: عيد الفطر وعيد الأضحى، وأن النبي –صلى الله عليه وسلم– صرح بذلك، بل إن الأنصار لما استأذنوا النبي –صلى الله عليه وسلم– في أن يأذن لهم بأعياد كانوا يحتفلون بها، بل بأيام بعضهم لا يسميها أعيادا ،أيام يحتفلون بها يفرحون ويفرفشون فيها مع أطفالهم لما استأذنوا أن يأذن لهم النبي –صلى الله عليه وسلم– بها لم يأذن، وقصرهم على العيدين وهذا توجيه للأمة كلها؛ فلا يجوز أن يعيد المسلمون بغير العيدين؛ ولذلك فإن الذين التزموا أعيادا، أو التزموا مناسباتٍ على سبيل الدوام صارت عندهم أشبه بالعقيدة؛ بحيث من تركها أو أنكرها يكون هو المخطئ، وهذا قلب للمفاهيم؛ ولو عكسوا لكان هو الصحيح.

نسأل الله للجميع التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الآن ننتقل إلى ما عند الإخوان من الأسئلة.

السلام عليكم شيخ ناصر وجزاكم الله خيرا، ولعلي أبدأ بالاتصالات. قبل ذلك أستأذنكم في عرض السؤالين.

السؤال الأول: ما هي الأركان الثلاثة التي تقوم عليها العبادة؟

السؤال الآخر: ما حكم تقسيم الدين إلى حقيقة يتميز بها الخاصة وشريعة تلزم العامة دون الخاصة، وفصل السياسة عن الدين؟

وردتني إجابات كثيرة كالمعتاد أعرض الإجابات الأولى يا شيخ في الورود، ثم بعد ذلك أعرض الأسماء نعم.

علياء من الإمارات تقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أقسام العبادة: الحب والخوف والرجاء.

الطالب من السعودية يقول: أيضا عبادة الله بالحب والخوف والرجاء جميعا.

فقية السعدية من المغرب يقول: العبادة تقوم على عبادة الله وحده، واتباع أمره واتباع رسوله -صلى الله عليه وسلم- والاعتقاد الجازم بأن الله هو الحكم، وأن نرضى بحكمه فلا شريك له في حكمه الشرعي والقدري، والله أعلم.

هطول من الإمارات تقول: السؤال الأول: أركان العبادة ثلاثة وهي: المحبة والرجاء والخوف، أما السؤال الثاني فتقول: يا شيخ هناك من الفلاسفة وغلاة العُباد من قسم الدين إلى حقيقة وهي صلة بالله على ما يتذوقه الفرد ولا يدركها إلا فئة نادرة من الناس، والقسم الآخر هو الشريعة وهي خاصة لعوام الناس، وأن الأنبياء رعاة العوام وجميع هذه التقسيمات لا تجوز وهي منافية لقطعيات النصوص، وهي ضلال مبين إجمالا، ولا يجوز فصل الدين عن الحياة والسياسة والاقتصاد.

أختم بجواب الأخ ابن إسلام من الكويت يقول: أركان العبادة: كمال الحب والخوف والرجاء، ويجب أن تكون مجتمعة ولا تفرد بينها.

الثاني يقول: تقسيم الدين إلى حقيقة وشريعة. وفصل السياسة عن الدين باطل وهو إما كفر إذا اعتقد جواز ذلك، وأنه يأتي بأحكام أفضل مما جاء به الشرع؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]. وإن كان لا يعتقد ذلك لكنه متبع للهوى فهو ضلال.

نعم على العموم الإجابات جيدة في الجملة وبعضها فصَّل وبعضها أجمل، وفي كل خير لكن أحب أن ألاحظ على أحد الأجوبة- وهو جيد- لكنه حين عبر بأن أركان العبادة: كمال الحب والخوف والرجاء فلعل في هذا نوع من التساهل في التعبير؛ لأنه لا يلزم كمال الحب، كمال الخوف والرجاء يعني: إذا وجد الحب لله -عز وجل- ثم الخوف والرجاء ولو لم يكن فيه كمال؛ لأن الكمال قد لا يرد إلا عند قلة من العُباد الصالحين، لكن إذا وجد القدر الشرعي الكافي من الخوف والرجاء؛ فهذا يتحقق فيه أركان العبادة إن شاء الله؛ لأن الكمال لا يكون إلا لندرة من الخلق نعم.

يا شيخ أبدأ بالأسئلة الأخت منال من مصر تقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تقول: يا شيخ هل يجوز تسمية شخص لنفسه سبيل الله وهو قد يكون عرضة لأن يقال له: أخطأت يا سبيل الله، وأختلفُ معك يا سبيل الله فهل هذا يليق جزاكم الله كل خير؟

يظهر لي أنه غير لائق هذا الاسم أولا: غير لائق لأنه من الشهرة ولفت النظر ما يجعله محل تندر، والمسلم ينبغي أن يبتعد دائما عما يؤدي إلى شهرة تكون محل نقد من الناس أو سخرية، والأمر الثاني: أن سبيل الله يقصد به أحيانا أمور لا ينبغي التسمي بها؛ لأن سبيل الله صراطه ودينه فلا يسوغ أن أحدا يسمي نفسه دين الله هذا غير لائق في الحقيقة، وربما يكون فيه سوء أدب مع ما يجب لله عز وجل نعم.

أحسن الله إليكم. الأخت إيمان من مصر أيضا يا شيخ تقول: السلام عليكم هل إذا دعا الإنسان الله تعالى بعمل من الأعمال الصالحة التي عملها واستجاب الله دعوته هل هذا يذهب أجر هذا العمل؟

الظاهر -والله أعلم- أنه- إن شاء الله- لا يذهب؛ لأن صدر الله واسع، بل ربما يزيد أجره خاصة إذا دعا عند ضرورة، إذا دعا المسلم ربه -عز وجل -في عمل بأن ينفعه بعمل صالح له؛ فأرجو أن يكون ذلك حسب

النية، فإذا كان لا يزال مرتبطا بالله -عز وجل- ، ويحتسب أجره- أولا وآخرا- على الله فالراجح وما تقتضيه عموم النصوص وسعة رحمة الله- عز وجل - وصدره على خلقه أنه - إن شاء الله - يبقى له الفضل، وإن سأل الله بنفع آجل. نعم.

أعود إلى الإنترنت مرة أخرى عبد الله المرابط يا شيخ من المغرب يقول: فضيلة الشيخ أثابكم الله: في مجتمعاتنا نرى كثيرا من أفراده يخلطون بين لفظ التوسل ولفظ الاستغاثة؛ فأرجو من فضيلتكم أن تبينوا لنا الفرق، وجزاكم الله خيرا؟

التوسل والاستغاثة بينهما عموم وخصوص، فالتوسل قد يشمل الاستغاثة لكن الاستغاثة فيها خصوصية، فالتوسل هو التقرب بمعناه العام يعني: كل تقرب يسمى توسلا؛ وعلى هذا فإن عبادة الله عز وجل توسل، دعاءه توسل، دعاءه بالعمل الصالح توسل، دعاءه ..... إلى آخره. فهذا يعني أن التوسل هو التقرب بمعناه الواسع، بينما الاستغاثة هي نوع من الطلب هي نوع من التوسل؛ وعلى هذا فإن الاستغاثة بالله توسل مشروع، والاستغاثة بغير الله توسل ممنوع فيما لا يقدر عليه إلا الله نعم.

عندي مداخلة ذكرت أن الطواف على القبر شرك،إذا قصد به العبادة، ليس كل الطواف على القبر يعتبر عبادة يعني يكون وسيلة للشرك.

نعم الطواف على القبور أولا: الطواف بحد ذاته عبادة محضة، هذا الأصل.

الأمر الثاني: أن طواف الناس عند القبور لا يخلو من إحدى حالين: الغالب أن يقصدوا به التعبد فهذا شرك، من طاف بغير الكعبة تعبداً فهذا شرك، والنوع الثاني: قد يكون من باب مسايرة الناس، والطائف لا يدري- يحدث من بعض الزوار مثلا، أو بعض الذين وفدوا على هذه الأماكن والمشاهد وهم لا يدرون خاصة السُّواح الذين لا يعرفون أسباب الطواف بهذه القبور فيدورون مع الناس وهم لا يدرون لماذا يدورون- فهذا ارتكب بدعة، وارتكب ذنبا عظيما لكن لا يقال: بأنه أشرك؛ لأنه أصلا لا يدري من هذه العبادة ولم يتقصد العبادة.

السؤال الثاني: ذكرت أن بعض الصالحين يحفر القبر ثم يجلس في القبر ويحاسب نفسه كأنك يعني ترى أن هذا الأمر سائغ، وهذا للحق ما عليه دليل، بل يمكن يدخل في البدعة؛ لأن هذا ما ورد لا دليل من الكتاب ولا السنة لأنه قد يكون تكلفا من بعض الصالحين.

هو في الحقيقة هذه ليس هناك دليل قاطع فيها إلا فعل السلف؛ لأنها من الأمور التي لا تحدث على سبيل التعبد هذا مسلك شخصي لا نقول: إنا نأمر به ولا نستطيع أن ننكر على فاعله؛ لأنه لا يفعله على سبيل التعبد هذا نوع من أنواع ترويض النفس لكن لو فعله على سبيل التعبد فهو بدعة نعم، ومع ذلك تبقى المسألة خلافية يعني: ملاحظة الأخ وجيهة .

السؤال الأول: ما صحة بركة الوالدين في البيت؟.

السؤال الثاني: ظهرت وسائل للحصول على ما نريد مثل: علم الـــ(N.L.P) البرمجة اللغوية العصبية لكنها ليست على سبيل التعبد أي: مجرد وسيلة قال بعض العلماء: إن لا بركة فيها، أو أنها لها آثار عكسية على الشخص، فما قولكم في ذلك يا شيخ؟ شكرا لكم.

السؤال الأول: إذا دعا مسلم الله سبحانه وتعالى بأن يحقق له شيئا ما وكانت له معصية سابقة ولكنه تاب منها والحمد لله لكن لم يتلف هذه المعصية مثل أشرطة الغناء. هو تاب منها لكن الأشرطة ما زالت موجودة عنده وقام بإتلافها هذه الأشرطة الآن لكي يتوسل بهذا العمل في دعائه، فهل هذا يعتبر من التوسل إلى الله بالعمل الصالح؟

السؤال الثاني: هل نحن مطالبون بذكر جميع الأدلة التي تذكرها يا شيخ أثناء الشرح أم يكفي أن نكتب دليلا أو دليلين؟

السؤال الأول: الحب والخوف والرجاء على قوله من أصول العبادة أن الله تعالى يعبد بالحب والخوف والرجاء جميعا، وعبادته ببعضها دون بعض ضلال. قال بعض العلماء: "من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ". أحسنت.

السؤال الثاني: تقسيم الدين إلى حقيقة يتميز بها الخاصة وشريعة تلزم العامة دون الخاصة .وفصل السياسة أو غيرها عن الدين باطل، بل كل ما خالف الشريعة من حقيقة أو سياسة أو غيرها فهو إما كفر وإما ضلال بحسب درجته. نعم أحسنت.

بالنسبة للسؤال يا شيخ: أنتم تقولون أنها ما يجوز زيارة القبور للنساء وبما أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– يقول: (إن أهل النار النساء) فلم لا يكون جائزا؛ فلم لا يزُن لكي يتعظن– بما أن معاصيهن بصراحة كثيرة– ؟ وشكرا.

أحسن الله إليك يا شيخ. لو تكرمت ما معنى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥] هذا السؤال الأول– الله يحفظك– يا شيخ.

السؤال الثاني: هل كان الصحابة –رضوان الله عليهم– يتوسلون بالنبي –صلى الله عليه وسلم– عند نزول الشدائد بهم في حياته؟

السؤال الثالث: كثير من المسلمين يتوسلون بجاه النبي –صلى الله عليه وسلم– مستدلين بحديث الضرير الذي أخرجه أحمد في مسنده، فكيف يتم الرد عليهم؟ وجزاكم الله خيرا يا شيخ.

هل يجوز للمسلم أن يؤدي طاعة معينة كصوم يوم في سبيل الله؛ كي يتوسل لله به في دعائه؛ حتى يكون أقرب لاستجابة الدعاء؟

السؤال الثاني: وما السبيل للتخلص من غلبة الخوف على الرجاء عند العبد في عبادته لله تعالى؛ بحيث أن يكون هذا الخوف ربما يؤدي به إلى نوع من الضغط النفسي أو الاكتئاب أو الحزن أو ما إلى ذلك؟

أحسن الله إليكم يا شيخ ناصر. نأخذ سؤالا من الاستديو. أحسن الله إليك السفر لزيارة القبور ممنوعة وزيارة المسجد النبوي مشروعة فربما يقول قائل: النازل في المسجد النبوي سيزور رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فهل يعتبر هذا من شد الرحال؟

لا. هو لا شك أن كل مسلم يتمنى أنه لو زار المدينة لسلم على النبي -صلى الله عليه وسلم-، بل يعزم على ذلك وهذا مشروع؛ لأنه إذا زار المدينة يجب عليه الوفاء لحق النبي -صلى الله عليه وسلم- وحق غيره من الصحابة وأصحاب المقابر من الأموات في البقيع وغيرهم أن يسلم فأنا أقول: إن هذا أمر- كون الإنسان ينويه ابتداء-

لا حرج، لكن لا ينشئ السفر، ومعلوم أن إنشاء السفر لمسجد النبي -صلى الله عليه وسلم- مشروع؛ فعلى هذا تداخل المشروع مع المشروع ، النبي -صلى الله عليه وسلم- له حق زيارة فإذا وصلت إلى المدينة فيجب عليك بل يشرع لك أن تسلم على النبي -صلى الله عليه وسلم- وصاحبيه، وتسلم على جميع أصحاب القبور في المدينة وهكذا نعم.

أحسن الله إليكم يا شيخ. أعود إلى الإخوة على الإنترنت. أخونا مراد من المغرب يقول: هل البركة في ماء زمزم تكون في نفس المكان، أم حتى إذا نقل من مكة؟

الظاهر -والله أعلم- أن البركة في ماء زمزم باقية حتى لو نقل؛ لأنه ما في أي دليل يخصص ، والأمور هذه موقوفة على الدليل، والنبي -صلى الله عليه وسلم- حينما ذكر ذلك ذكره وهو مشرع، والله -عز وجل- يعلم أنه ستأتي عند الخلق وسائل لنقل ماء زمزم متوفرة كما هي الآن في الطائرات وغيرها، بل حتى في القديم كان الناس - وإن كان في حدود ضيقة- ينقلون ماء زمزم إلى غير مكانه؛ فالظاهر -والله أعلم- أن البركة باقية في ماء زمزم؛ حتى في غير مكة هذا الظاهر، لكن ربما اجتماع فضل الزمان وفضل المكان والذي هو مكة مع فضل الماء ربما يزيد البركة تأثيراً، والله أعلم.

أحسن الله إليكم يا شيخ. أختنا أم عمر اتصلت تسأل يا شيخ عن صحة بركة الوالدين في البيت.

على أي حال هذا وارد؛ لأن المقصود بصحة بركة الوالدين يعني: الانتفاع ببرهما، وأيضا ما عندهما من تجارب ومن حنو وما عند الوالدين من جمع شمل الأسرة هذا كله أمور فيها بركة نظرا لأن البركة أحيانا يقصد بها مجرد وجود النفع، فالبركة من هذا الوجه موجودة، أن يكون في وجود الوالدين في البيت نفع للجميع هذا لا شك فيه حتى أيضا نفع ديني بمعنى احتساب من حولهما ببرهما وخدمتهما هذا فيه زيادة عمل صالح، وهذا من البركة نعم.

طيب يا شيخ تسأل أيضا عن البرمجة اللغوية يا شيخ.

والله البرمجة العصبية لا تزال طارئة علينا، وتحتاج إلى تحرير أنا قراءتي فيها قليلة لكن مما قرأته أجد أن البرمجة العصبية تختلف فيها الحقيقة بالدجل، تختلط فيها التجارب بالأمور الوهمية والغيبيات، ويختلط فيها أيضا التجربة والانتفاع بالوسواس والأوهام، لا تزال البرمجة العصبية فيها نواح فيها غموض وفيها نظر، وتحتاج إلى أن يتخلص منها البرمجة.

لذلك نجد أن كثيرا من الذين عندهم توهمات ووساوس وعندهم أيضا شيء من التساهل في الدجل والتخرصات: يدخلون من خلال البرمجة العصبية ولا يعني ذلك أن نتهم كل من عمل هذا العمل، أنا أعرف من الصالحين والأتقياء من استفادوا وأفادوا من هذه البرمجة، لكن مع ذلك هي- كعلم الآن-: الذين يلجونها ليسوا

كلهم على نهج سليم، وليس كل ممارساتها سليمة، ولا حتى كل قواعدها التي قعدها لها أصحابها وأغلبها من الذين مقاييسهم تختلف عن مقاييس المسلمين ليست كلها سليمة، وفي الجملة أرى أنها تحتاج إلى تحرير، والله أعلم.

أحسن الله إليكم يا شيخ ناصر. أختنا أم باسل يا شيخ تقول: لو أن المصر على المعصية تاب منها لكنه لم يتلف آثارها يا شيخ سماع الأغاني تقول: ثم أتلفت الأشرطة تقربا إلى الله عز وجل أو توسلا إليه في الدعاء، فهل يصح منه هذا؟

طبعا هذا السؤال تسلسل على شكل تدريجي فمجرد التوبة من المعصية والإقلاع عن الأغاني هذا خير عظيم، وكان ينبغي أن يصحبه إتلاف أو التخلص من هذه الأشرطة، وتبديلها بأشرطة أخرى لكن لما لم يكن هذا ذنب تستغفر الله وتتوب إليه، وفي إتلافها احتسابا لله –إن شاء الله– مما يتقرب به، ويعتبر من التوسل المشروع، أن تتقرب إلى الله بإتلافها لمادة المعاصي ووسائلها نعم.

طيب يا شيخ تسأل تقول: هل يعني تلزم بحفظ جميع الأدلة؟

لم يلزم أبدا، وليس من العادة أني أطالب بجميع الأدلة وهو حتى يكون أيضا هذا من أساسيات الفهم . لا أبداً . الدليل البين الواضح يكفي.

طيب أحسن الله إليكم يا شيخ. الأخت أم شروق يا شيخ تقول: ورد في حديث: أن النساء هم أكثر أهل النار، فلماذا لا يجوز لهم زيارة القبور؟

على أي حال مثل هذه الأمور توقيفية يعني: ليست بالعواطف ولا بمقاييس الناس ولا هذا يعني حكم من لدن الحكيم الخبير سبحانه، والرسول –صلى الله عليه وسلم– مشرع عن الله، والنبي –صلى الله عليه وسلم– نهى عن زيارة النساء للقبور وفي هذا مصالح لهن في الدين والدنيا؛ لأن المرأة عاطفية وغالبا ما تجهش بالبكاء، وتتجاوز الحد؛ فتأثم وتضر غيرها وتضر الميت؛ لأن الميت–إن صح أنه له شعور أثناء الزيارة– فإن هذا يضره ويؤذيه، والأمر الآخر: أن المرأة أحيانا تخرج عن طورها بالبكاء إلى أمور غير محمودة تضرها في عقيدتها وفي دينها؛ فلذلك الرسول –صلى الله عليه وسلم– حجبها عن زيارة القبور إشفاقا عليها وعلى دينها وعلى ذمتها، ولذلك أدلة (فالمرأة التي كانت تولول وتصيح على ميتها عند القبر ، الرسول –صلى الله عليه وسلم– منعها وأمرها بالصبر عنفت النبي –صلى الله عليه وسلم– وقالت: إليك عني بمعنى أنك لم تشعر بما أنا فيه من مصاب) ما علمت أنه النبي –صلى الله عليه وسلم– نهرته وهذا مما لا يليق ولو تعمدت لكان هذا كفر لكنها ما كانت تدري أنه النبي –صلى الله عليه وسلم–،(ثم لما علمت أنه النبي –صلى الله عليه وسلم– وهدأت من غضبها جاءت تعتذر، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– بين لها أن هذا خط) وشرَّع للأمة، فعلى هذا إذا كانت هذه امرأة من الصحابيات وقعت في أمر أوقعها في حرج مع النبي –صلى الله عليه وسلم– وفي إثم عظيم فهذا دليل على أن المرأة يعني لعاطفيتها وحنوها وهذا جانب تمدح فيه من وجه؛ فإشفاقا عليها وإنصافا لها وعدلا في حقها أن تحجب عن زيارة القبور، أما أيضا ما أخبر به النبي –صلى الله عليه وسلم– من أن (أكثر أهل النار من النساء) فهذا خبر عن النبي –صلى الله عليه وسلم– لا يناقش فيه غيره؛ بل يجب التسليم به، وأن النبي –صلى الله عليه وسلم– علل ذلك ببعض العلل، من ذلك أنه ذكر أن النساء (يكفرن العشير)، وأيضا ذكر يعني أشياء كثيرة ومن ضمنها أن النساء أكثر انجرافا أمام الشهوات والشبهات، وأكثر وقوعا في بعض المنهيات مثل الغيبة والنميمة واللجوء إلى السحرة والدجالين.

فعلى هذا المهم أن هذا حكم الله ليس لنا فيه خيار، ولا يجوز لنا أن نسأل سؤالَ المعترض لكن سؤال المستكشف الذي يريد أن يزداد من الخير والإيمان فلا حرج في ذلك نعم.

أحسن الله إليكم يا شيخ. أخونا مسلم من مصر يا شيخ يقول: بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- توسل الناس إلى الله -عز وجل- بدعاء العباس -رضي الله عنه- عم الرسول -صلى الله عليه وسلم- وذلك عند الدعاء لنزول المطر، فهل مثل هذا يجوز الآن؟

نعم في الحقيقة هذا من الأدلة الواضحة الذي ينبغي أن يُقلَبَ عليهم ككثير من أدلتهم، الكثير من أدلة أهل البدع . الصحيح أنه يقلب عليهم بمعنى أن تكون دلالته ضد ما يقولون، واستدلالهم بالحديث لا يخلو من جهل وتلبيس وأيضا تكلف، أو أحد هذه الأمور أيضا، أحيانا قد لا يوجد عند المستدل بهذا الحديث شيء من ذلك قد لا يكون يجهل لكنه التبس عليه الأمر، وقد يكون أيضا قلَّد غيره، أو متأول فالمهم أن حديث الأعمى، ونقف عليه -أرجو أن يأذن لي المشاهدون- ونقف على هذا بعض الوقفة؛ لأنها استكمال للدرس وكان من المفروض أني آتي بهذا الدليل لكن خشيت أن لا يتسع الوقت؛ لأنه ينبغي استيفاء الحديث عنه؛ فلتأذنوا لي بدقائق.

حديث الأعمى أو حديث العباس حديث مجمل ومفصل، واستدل به الكثير من الذين يتذرعون به للبدع، استدلوا به على وجه لا يستقيم ويختلف عن القصة الحقيقية التي حدثت فيها هذه الواقعة، ويختلف عن فهم السلف لها بل عن سياقها لمَّا تأتي وافية، فنبدأ باستشفاع النبي -صلى الله عليه وسلم- بالعباس؛ لأن كثيرا من أهل البدع يظنون أن هذا دليل على التبرك البدعي والتوسل البدعي بالأشخاص بذوات الأشخاص، والصورة التي وقعت فيها قصة الاستشفاع بالعباس صورة بينة تدل على أن المقصود به قطعا هو التوسل بدعاء العباس، وهذا مشروع إلى اليوم وإلى قيام الساعة، والواقعة هي(أن الناس في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا أصابهم جدب، أو شيء أتوا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- يتوسلون به يقولون: يا رسول الله ادعُ الله لنا فيدعو، ومعروفة قصة الرجل الذي دخل المسجد والنبي -صلى الله عليه وسلم- يخطب فطلب منه وتوسل به أن يدعو فالنبي -صلى الله عليه وسلم- دعا الله-عز وجل- أن يغيث المسلمين فأغاثهم، ثم بعدها بإسبوع استمر المطر؛ حتى خشوا من الغرق فجاء ذاك الرجل نفسه ودخل على النبي -صلى الله عليه وسلم- فتوسل به أن يدعو الله فكان أن دعا النبي -صلى الله عليه وسلم- ربه بأن يرفع عن المسلمين فرفع).

هذه الصورة الشرعية التي حدثت للعباس، وهو أن الصحابة -رضي الله عنهم- لما أصابهم الجدب في عهد عمر قالوا: (كنا نستشفع بنبيك يعني: يدعون الله -عز وجل- بذلك، أو يخاطبون ربهم ثم قالوا: والآن نستشفع بعم نبيك) كيف كان الاستشفاع بعم النبي -صلى الله عليه وسلم-؟ أن وضعوه أمامهم فصار يدعو ويؤمنون بعده لم يتمسحوا بثيابه ولا بجسمه و لم يحصل هذا . الذي حصل أن التوسل بالعباس هو أن جعلوه أمامهم يدعو وهم يؤمنون بعده؛ فأغاثهم الله عز وجل، وحدث هذا من معاوية -رضي الله عنه- عندما استشفع بالأسود، وحدث من كثير من الصحابة، ولا يزال يحدث في تاريخ الأمة قديما وحديثا أن الناس يقدمون الصالحين منهم يدعون، والناس يؤمنون، فهذا من أسباب الإجابة بإذن الله، فهل هذه الصورة فيها بدعة؟ لا والله هي المشروع، ويجب أن نبقى على هذا المشروع، لكن أنى لهم أن يستدلوا بذلك على البدعة التي يعملونها وهو التمسح بالذوات والتبرك بالذوات ونحو ذلك هذا لم يحدث من الصحابة في هذا الدليل.

كذلك الدليل الآخر حينما استشفع الأعمى بالنبي -صلى الله عليه وسلم- بأن يرد عليه بصره القصة في سياقها وردت -بمعناها- (أن الأعمى جاء طلب من النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يشفع له عند الله، ويتوسل به عند الله أن يعيد له بصره، النبي -صلى الله عليه وسلم- نصحه بأن يصبر أو كذا لكنه آثر بأن يرد إليه بصره، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- أمره بأن يتوضأ ويصلي ثم يدعو الله عز وجل أن يستجيب دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- فيه). النبي -صلى الله عليه وسلم- دعا له مع أنه بإمكانه أن يتبرك حتى بذات النبي -صلى الله عليه وسلم- لكن نظراً لأن هذا تشريع للأمة؛ لأن هذه خصوصيات للنبي -صلى الله عليه وسلم- فكان وجه الاستشفاع بالنبي -صلى الله عليه وسلم- من الأعمى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دعا له، وأنه دعا الله بأن

يستجيب دعاء نبيه فيه؛ فهذا الوجه مشروع، فأي دليل على ما يعمله أهل البدع من التمسح بالذوات والتبرك بالأشخاص والدعاء دعاء الغير دعاء غير الله بمعنى الاستشفاع؟، وأحيانا يكون من باب الشرك.

فإذن الدليل بل الأدلة كلها التي في هذا السياق هي أدلة عليهم وليست أدلة لهم؛ لأن سياقها ينبغي أن يكون بكمال القصة وبفعل الصحابة وتفسيرهم؛ لأنهم هم الذين طبقوا تلكم الأحكام، وهم الذين حدثت على أيديهم تلك الأحداث؛ فينبغي أن نفهمها بعمل الصحابة وبفهمهم –رضي الله عنهم–، ثم بعمل السلف وبفهمهم فلم يكن أحد من السلف الصالح في القرون الفاضلة يستخدم التوسل إلا بهذه الطريقة –التوسل بالأشخاص– إلا بهذا الأسلوب الاستشفاع بهم– إلا بهذا الأسلوب– بأن يطلبوا من الصالحين الدعاء، وهم يؤمنون على دعائهم، أو يطلبون منهم الدعاء حتى لو ما أمنوا.

صور الاستشفاع كثيرة لكن أبرزها هي الاستشفاع من أجل استنزال الغيث، أو دفع المضرات والمصائب العظمى عن الأمة عندما تكون المضرات والمصائب بأن يتقدم رجل صالح، ثم يدعو الله –عز وجل– ويؤمِّن المسلمون من ورائه على دعائه. هذه الصورة مشروعة، بل من أعظم القربات إلى الله عز وجل نعم.

أحسن الله إليكم يا شيخ. أخونا سمير من السعودية أيضا كوسوبي من السودان يا شيخ يسألان عن قوله تعالى: ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥] ما تفسيرها؟

نعم ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥] يعني: تقربوا إليه– عز وجل – بما تتوسلون به، الوسيلة هي: عبادته ودعاؤه والتقرب إليه بكل عمل صالح؛ فعلى هذا فالوسيلة التي يتقرب بها إلى الله هي على الأنواع التي ذكرتها في أول الحديث، فإذن النص على تمامه، ومفهومه واضح، وتطبيقه في عهد النبي –صلى الله عليه وسلم– وفي عهد الصحابة والتابعين واضح، وهو أن نبتغي إلى الله الوسيلة بعبادته والتقرب إليه بالإخلاص، التقرب إليه بأنواع القربات، وهذا هو عين المشروع بل هو العبادة التي يجب أن نتقرب بها إلى الله عز وجل نعم.

طيب يا شيخ أم سلمة من السعودية يا شيخ تقول: هل يجوز لمسلم أداء طاعة كصوم يوم في سبيل الله للتوسل به إلى الله عز وجل؟

نعم إذا كان الصيام يوافق الأيام المشروعة كأن لا تفرد الجمعة بصوم، ولا تصوم العيد مثلا فإذا صامت صامت في الأيام التي يشرع فيها الصوم؛ فلا مانع من قصد هذا وبقصد التقرب إلى الله عز وجل يعني: أن الإنسان إذا شعر في قلبه بضعف التقرب إلى الله عز وجل، ضعف قلب، ضعف إيمان وأراد أن يقوي قلبه بالصيام، وأن يكون أثناء الصيام أيضا يدعو الله –عز وجل– بما يشاء يتقصد هذا لا حرج؛ لأن الصيام عبادة، وأيضا من مواطن إجابة الدعاء الصيام، أو من الزمن الفاضل لإجابة الدعاء الصيام خاصة الصائم عند فطره فإن له دعوة مستجابة، فهذا القصد بهذا الحد مشروع، بل هو مما يتقرب به إلى الله نعم.

طيب يا شيخ أخونا عبد الله الإدريسي من المغرب يقول: السلام عليكم ورحمة الله شيخنا –بارك الله فيكم– بعضهم يزعم أنه بمجرد لمسه لعضو مريض، أو نفثه عليه يشفى بإذن الله، وقد يكون هذا الشخص من الصالحين، أو من عامة المسلمين فما حكم الشرع في ذلك؟

نعم هذه من الأمور الخطيرة في الحقيقة؛ لأنها مما يبتلى به بعض الرقاة وإن كانوا من الصالحين والمتدينين، أو الذين يعرفون بالحرص على التزام السنة إلا أنهم أحيانا تأتيهم غفلات، والشيطان يضع للإنسان مصائد، ومن أعظم المصائد التي يصطاد بها الشيطان الرقاة أو بعض الصالحين هي مثل هذه الأساليب بأن يتوهم أنه إذا لمس شخصا استفاد وأنه شفي، إذا كان اللمس مبنياً على بركة القرآن أعني بذلك إذا كان مثلا الراقي ينفث في يديه، ثم

يمسح جسده أو جسد غيره تبركا بالقرآن الذي نُفِثَ فالنبي –صلى الله عليه وسلم– ثبت عنه أنه يورد ويدعو ويقرأ شيئا من القرآن وينفث ثم يمسح بجسمه، يمسح جسمه بيديه هذا مشروع مع النفس ومع الغير بهذه الصورة هذا مشروع، لكن إذا كان يعتقد أنه بمجرد اللمس تحصل فائدة فنعم قد تحصل الفائدة لكنه ابتلاء، فالإنسان قد يستفيد الشفاء، وهذا قد يستفيد لأنه يشفى على يديه ناس لكنه قد يخسر عقيدته وشيئا من دينه؛ فليتق الله فإنه بمجرد هذه الأساليب: اللمس أو النظرة أو الإشارة ويجد أن فيها تغييرا لحال المريض دون سبب شرعي وهو القرآن أو الدعاء المشروع فهذا نوع من عادة الجن والشياطين بالإنسان ؛ لذلك أو يتبع ذلك استعمال حركات تزيد عن العدد المشروع أنا قلت وهذا أمر يجب التنبه له أنه عندما يعمل الإنسان مع قراءة القرآن عملا مشروعا كالنفث في اليدين ومسح المريض، أو لمس المريض برفق من أجل إدخال الطمأنينة على نفسه لا اعتقاد أن اللمسة تنفعه يعني: بعض الناس يكون عنده من رقة الطبع والتلطف مع المريض؛ بحيث يربت على كتفه أو يلمس شيئا من جسمه إذا كان لمس جسم مشروع من باب تطمينه وإدخال السرور عليه، لا من باب أن هذه اللمسة هي بحد ذاتها التي تنفعه؛ فينبغي يا إخوان أن نتنبه لما يعمله كثير من الرقاة، وأنصح إخواني الرقاة –وما أكثرهم– أن يتنبهوا للتفريق بين الحركات المشروعة وبين الحركات غير المشروعة، وليعلموا أنه يكثر الابتلاء بالحركات غير المشروعة؛ بحيث يستفيد منها المريض، يستفيد منها ذا الحاجة لكنه يكون ذلك على سبيل دينه وعقيدته، ويكون من الابتلاء والفتنة؛ لأن الله– عز وجل– وَكَلَه إلى ما اعتقد، ومجرد وجود الاستفادة لا تعني مشروعية العمل، بل الابتلاء والفتنة أقرب؛ فيجب التنبه لهذا، والحذر من الأساليب التي تزيد عن المشروع نعم.

أحسن الله إليكم شيخ ناصر، ولعلكم تختمون –حفظكم الله–.

على أي حال بهذ القدر نكتفي، ونسأل الله للجميع التوفيق والسداد، كما نسأله– تعالى– الإخلاص في القول والعمل، وأن يجمع كلمة المسلمين على الحق والهدى، وأن يهدي ضالهم، ويرشدهم إلى طريق الصواب، وصلِ الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم – وآله، ورضي الله عن صحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

بعون الله وتوفيقه نستأنف الدرس كالمعتاد بعرض سؤالين للأخوة المشاهدين ونتلقى الإجابة ثم أسئلة للأخوة الطلبة الحضور .

السؤال الأول –للمشاهدين–: هو التبرك، ما المقصود بالبركة؟ هذا أولاً ثم يتبع السؤال البركة ثبتت في بعض الأزمنة وبعض الأمكنة وبعض الأشياء وبعض الأعمال وبعض الأشخاص، خمسة أمور نريد مثالاً واحداً لكل أمر من هذه الأمور جعله الله مباركاً، هذا السؤال الأول.

السؤال الثاني– للمشاهدين– يتعلق بالنوع الثاني من أنواع أفعال الناس عند القبور، النوع الثاني وهو البدعي ما المقصود بالبدعي؟، وما هي أمثلته؟ نريد ثلاثة أمثلة من التبرك البدعي الذي يحصل من بعض الجهلة من المسلمين عند القبور .

أما أسئلة للطلاب الحضور فأولاً :البركة لا تثبت إلا بدليل فهناك أشياء ثبت الدليل ببركتها، نريد مثالاً على ذلك، مثالاً واحد على أمر مبارك بدليل ؟

بر الوالدين في قصة أصحاب الكهف

يعني كيف يكون التبرك ببر الوالدين ؟

التقرب إلى الله – سبحانه وتعالى – ببر الوالدين بالإحسان إليهما وكذلك في الدعاء الوالدين لابنهم

يعني على اعتبار أن التبرك توسعنا فيه، وقصدنا أنه يجوز التوسل بالأعمال الصالحة – بر الوالدين– هذا جزء من الجواب .

أسأل سؤالاً ثانياً أيضاً: الوسيلة المأمور بها من القرآن ما هي ؟ الوسيلة المشروعة، التوسل المشروع ما هو؟

هو التوسل بأسماء الله وصفاته والتوسل كذلك بالعمل الصالح يعني عمله هو، كذلك التوسل له بدعاء الصالح الحي .

ينشأ عن هذا سؤال، طبعاً أصل التوسل المشروع في القرآن أو الوسيلة المأمور بها هي التقرب إلى الله – عزّ وجلّ – بالأمور المشروعة ، والمشروعة ثلاثة :

التوسل –وذكره زميلكم– التوسل لله – عزّ وجلّ – بأسماءه وصفاته ودعائهم بذلك .

ثم بعمل المتوسل نفسه .

ثم بدعاء الحي الصالح .

لكن ينشأ عن هذا السؤال الآخر وهو هل يعني ذلك أن من التوسل. التوسل والتبرك بذوات الصالحين أو التوسل بجاههم والتوسل بولايتهم لله هل يجوز ذلك ولماذا ؟

التوسل بجاههم بدعائهم، أما الذوات ليست جائزة ولا مشروعة

إذاً البركة لا تتعدى إلا ما جاءت تعديته بنصٍ شرعي .

طبعاً إجاباتهم هذه قد تخدم بعض الأخوة المشاهدين في جوابهم على أسئلتهم لكن مع ذلك نحتاج منهم إلى مزيد من الاجتهاد .

والآن نبدأ –على بركة الله– في الدرس فليتفضل الأخ في قراءة القواعد الأولى في باب الإيمان .

بسم الله الرحمن الرحيم يقول المؤلف– حفظه الله ونفعنا بعلمه–

(رابعاً: الإيمان ... أولاً : الإيمان لغة: هو التصديق، وفى الشرع: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وهو قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح وقول القلب: اعتقاده وتصديقه وقول اللسان: إقراره، وعمل القلب: تسليمه وإخلاصه وإذعانه وحبه وإرادته للأعمال الصالحة ، وعمل الجوارح فعل المأمورات وترك المنهيات)

موضوع الإيمان من أهم الموضوعات التي يجب أن يعنى بها كل مسلم، لأنه ينبني عليها دين.

والإيمان له مفهوم لغوي عام وله مفهوم شرعي اصطلاحي هو المقصود بإطلاق الإيمان في الكتاب والسنة .

أعني بذلك: أن لفظ الإيمان من الألفاظ المجملة التي إذا جاء الشرع بتحديدها أو بوصفها على هيئة معينة وجب الالتزام بهذا الوصف وهذا كسائر المصطلحات الشرعية، الأمر لا يخص الإيمان .

أكثر المصطلحات الشرعية جاء الشرع في التوسع بدلالتها أو بتحديدها يعني وضع مصطلح شرعي إما أن يكون أوسع من المصطلح اللغوي أو يحدده .

مثال ذلك الصلاة، الصلاة أصلاً هي الصلة عموم الصلة يدخل فيها الدعاء والتقرب إلى الله بأي عمل و يدخل فيها الأعمال اللسانية والقلبية وعمل الجوارح تسمى صلاة لغة ، لكن لما حدد الشرع مفهوم الصلاة ركن الإسلام المعروف تبين لنا من النصوص الشرعية أنه يقصد بالصلاة هي هذه العبادة التي جاءت على هيئة معينة بركوعها وسجودها وشروطها وواجباتها.

إذاً الشرع حدد معنى الصلاة، فمن هنا إذا أطلق معنى الصلاة في الدين فإنه يعني الإسم المعروف الذي جاء الشرع بتحديده، بتحديد هيئته وشروطه،

إذاً كذلك الإيمان ، الإيمان له معنى عام لغوي وهو التصديق لكن الشرع وضع للإيمان مفهوماً اصطلاحياً عظيماً يشمل الدين كله، وعلى هذا فيكون الإيمان في الشرع هو الدين بمجمله، كما قلنا: إن الإسلام هو الدين بمجمله، أو السنة هي الدين بمجملها .

لكن نظراً لأن مفهوم الدين إذا وردت فيه مصطلحات شرعية أحياناً تترادف وأحياناً تختلف في بعض معانيها وتجتمع في أمور وتختلف في أمور فالله – عزّ وجلّ – سمى، وكذلك الرسول – صلى الله عليه وسلم – سمى الدين الإسلام وسماه الإيمان إلخ .

فعلى هذا فإن الإيمان في المصطلح الشرعي هو اعتقادات، وأقوال، وأعمال حددها الشرع، وعلى هذا فإن هذا يشمل عامة الدين، فالإيمان له تعريف موجز، وهو كما عبر عنه السلف: قول وعمل .

وتعريفٌ مفصل، وهو : اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح والأركان. والجوارح هي الأعضاء.

وليس بين التعريفين تعارض بل الأول المجمل: يعتبر تعريفاً حدياً أقرب أو أدق في المعنى اللغوي، لكن نظراً لأن اللغة ضعفت في أذهان كثير من الناس اضطر السلف للتفصيل، وإلا فإن الإيمان في أصل تعريفه هو قول وعمل .

والقول يشمل: قول اللسان لا يشمل قول القلب؛ لأن القلب يعبر عن قوله باللسان، كما أنه أيضاً يشمل: عمل القلوب الذي هو الأمور الإيمانية من التقوى والصلاح والاستقامة والإنابة والخوف والرجاء والمحبة كل هذا يسمى عمل القلب،(وعمل الجوارح)التي هي الأعضاء تتمثل في أركان الإسلام الخمسة: شهادة أن لا إله إلا الله –وهي عمل اللسان – ثم كذلك الصلاة والزكاة والحج وسائر الأعمال في الإسلام هي إيمان ومن هنا تدخل في جزء من حقيقة الإيمان وهو أنها عمل .

وعلى هذا فحقيقة الإيمان تعريفه شرعاً يشمل الأمرين :

١–الأمور القلبية التي ذكرتها .

٢–والأمور العملية التي هي أعمال الجوارح كما جاء به الشرع وعلى هذا فيمكن أيضاً أن نحدد هذا المفهوم بلغة أبسط وهو أن الإيمان يعني التزام الشرع اعتقاداً وعملاً .

إذاً نخلص إلى أن تعريف الإيمان هذا أدخل الاعتقاد والأعمال في الإيمان وهما لاينفكان فلا يجوز حصر الإيمان بنوع واحد، لا يجوز حصر الإيمان بالأمور الاعتقادية – لأن هذا يدخل في الأعمال التي هي جزء من الإيمان– ولا بالأمور العملية لأن هذا يخرج الأمور القلبية من الإيمان فعلى هذا فالإيمان لا يكتمل تعريفه ولا تكتمل حقيقته شرعاً إلا بأن نجمع بين الاعتقاد والقول والعمل .

ولذا فالإيمان لابد أن يزيد وينقص وهذه تسمى مسائل الإيمان، لأن الإيمان يتمثل بأركان وهي أركان الإيمان الستة المعروفة :

الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره من الله – عزّ وجلّ – وتتمثل أيضاً كذلك بالأعمال التي هي أمور الإسلام كما قلت أيضاً .

ينقسم الإيمان من حيث حقيقته إلى أركان الإيمان وإلى مسائل الإيمان، أركان الإيمان ستة أما مسائل الإيمان فهي:

أولا: حقيقة الإيمان أو تعريف الإيمان التي هي القول: بأن الإيمان قول وعمل أو أن الإيمان اعتقاد القلب ونطق اللسان بالحق وكذلك عمل الجوارح –الأعضاء– على مقتضى شرع الله هذه المسألة الأولى .

المسألة الثانية : أن الإيمان يزيد وينقص، سنعود إليها .

المسألة الثالثة : أن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان .

والمسألة الرابعة : الاستثنى في الإيمان لأنه راجع إلى أعمال المكلفين، وأعمال المكلفين ليست معصومة فالمسلم عندما يسأل هل أنت مؤمن؟ يجوز أن يقول مؤمن إن شاء الله، مع أن الأصل أنه لا يشرع السؤال أصلاً ولا ينبغي أيضاً الجواب ، إذا ابتلي المسلم بمثل هذا السؤال فيقول: أنا مؤمن- إن شاء الله- . لا لأنه يشكك في تصديقه، لكن لأنه لا يدري عن مصيره فمصيره عند الله – عزّ وجلّ – فهو يرجو ويعلق الأمر بمشيئة الله تفاؤلاً وتبركاً يعلق الأمر بمشيئة الله لأن الأمر بيد الله من قبل ومن بعد، فلا يجوز التألي على الله.

إذاً نعود إلى كل مسألة على حده، فلعلنا نبدأ بالثانية، وهي أن الأعمال تدخل في مسى الإيمان ، هذه المسألة الأولى في تركيبها الموضوعي، أن الأعمال في مسمى الإيمان هذه في الحقيقة أمر بدهي لكن لماذا قلناه ؟

لأنه من الأمر المعلوم من الدين بالضرورة، لأنه أمر بدهي على مقتضى قطعيات النصوص- الآيات والأحاديث للنبي – صلى الله عليه وسلم – وأعمال الإسلام وأعمال المسلمين كلها تدل دلالة قطعية على أن الأعمال من الإيمان، وأن الإيمان لا يمكن أن يتم ويكتمل إلا بالأعمال ؛ وعلى هذا فإن هذه الحقيقة ما كانت محل خلاف في عهد الصحابة والتابعين إلى وقت تابع التابعين في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني ظهرت فرقة يقال لها المُرجئة،: زعموا أن الأعمال لا تدخل في مسمى الإيمان، وإن كانت مطلوبة شرعاً الأوائل منهم – أهل ورع لا يستهينون بالأعمال لكنهم لا يرونها تدخل في مسمى الإيمان. هذه ناتجة عن عقدة فلسفية وراجعةإلى خطأ في الاستدلال وخطأ في الفهم وتجاوز منهج السلف حينما زعموا –أي المرجئة- بأن الإيمان هو التصديق، التصديق لا يدخل فيه العمل بمعنى أنهم أعادوا المصطلح الشرعي إلى المعنى اللغوي فقط.

وما من أحد يحصر المصطلح الشرعي بالمعنى اللغوي في أمور الشرع إلا ويقع في خطأ فادح، هذه قاعدة هامة مصطلحات الشرع شاع بإطلاق الألفاظ الشرعية على معاني شرعية محددة ومنها الإيمان، لو أخذنا الإيمان بمجرد معناه التصديق لأدى هذا إلى كارثة في الدين بمعنى أننا حصرنا الدين بمجرد التصديق وأخرجنا المعاني الأخرى من الإيمان فاستهان الناس بالأعمال .

وعلى هذا فإني أقول: إن السلف اضطروا أن يقرروا هذه القاعدة البدهية وهي مسألة أن الأعمال تدخل في الإيمان لأن هناك مشككاً .

هل نحتاج إلى أن نستدل على ذلك؟ نعم قد نحتاج. أنا أحصر ذلك بدليلين :

الدليل الأول : من القرآن: لما صرفت القبلة إلى الكعبة بعد بيت المقدس خاف الصحابة – رضي الله عنهم – أن الذين صلوا من المسلمين في التاريخ الأول وماتوا قبل أن يدركوا صرف القبلة خافوا ألا تقبل أعمالهم ولا دينهم .

فقال الله – عزّ وجلّ – ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾[البقرة:١٤٣] يعني الصلاة تكون .

الصلاة أليست عمل ؟ فسماها الله – عزّ وجلّ – إيماناً .

الأمر الثاني دليل قاطع واضح جداً عن النبي – صلى الله عليه وسلم – صريح حقيقة. يعني لا أحد يستطيع- إذا كان منصفاً- أن يرد صراحة هذا الحديث في أن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان وهو قول النبي – صلى

الله عليه وسلم – (الإيمان بضع وستون) وفى رواية (بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله) شهادة أن لا إله إلا الله أليست قولاً وعملاً ؟

يعني عمل اللسان وعمل القلب، لكن أوضح من هذا، قال :(وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) أليس إماطة الأذى عن الطريق أعمال ؟ سماها إيمان وعدها من شعب الإيمان، فالأحاديث في هذا في الحقيقة متواترة، الحديث طبعاً في الصحيحين، وفى صحيح البخاري عدا هذا اللفظ وفى كتب الصحاح والمسانيد بألفاظ أخرى ، وعلى هذا مجموع الأحاديث التى تقرر– صراحة –عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان لا تكاد تحصر وتصل إلى حد التواتر والمتواتر لابد من قبوله .

إذاً المسألة الأولى مسألة أن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان لأنها جزء من الدين، فالإيمان هو الالتزام بشرع الله عقيدةً وقولاً وعملاً.

ثم المسألة الثانية أنه يزيد وينقص .

من الطبيعي إذا قلنا: إن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان ، فمن الطبيعي أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد الإيمان بزيادة فعل الخيرات، بزيادة التقرب إلى الله – عزّ وجلّ – سواء بالأحوال القلبية أو بالذكر اللساني، أو بأعمال الأعضاء، يزيد بالصلوات، بالنوافل العامة بالبر وبالإحسان إلى الناس، يزيد بزيادة الصيام، بالأذكار المشروعة إلخ .

وينقص بنقص ذلك، وينقص نقصاً في الأعمال القلبية يعني كلما ضعف إيمان الإنسان ضعف يقينه ،ضعف إيمانه، كلما ضعفت الأحوال القلبية فيه ضعفت محبته لله أو ضعف رجاؤه أو ضعفت خشيته أو توكله أو يقينه أو إنابته. كلما ضعف شيء من أعماله القلبيه ضعف الإيمان، وكلما زاد ذلك زاد الإيمان .

وكذلك الأعمال الظاهرة، كلما كثر فعل الطاعات من المسلم زاد إيمانه– إذا توافر عنده عنصر الإخلاص والاتباع– زيادة الإيمان مشروطة بشرطين، الإخلاص لله – عزّ وجلّ – والنية الصالحة واتباع السنة ، وإلا بعض الناس قد يتعب في عمل خيرات لا يريد بها وجه الله فيحبط إيمانه، عكس ما يتصور والعكس كذلك؛ فعلى هذا فإن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالأعمال القلبية وينقص بها ويزيد بأعمال الأعضاء وينقص بها .

قلت الإخلاص والاتباع، الإنسان إذا توافر عنده الإخلاص واتباع النبي – صلى الله عليه وسلم – واتباع السنة زاد إيمانه.

المسألة الثالثة : قلنا: الاستثناء في الإيمان، قلنا: الأولى الإيمان قول وعمل والثانية دخول الأعمال في مسمى الإيمان والثالثة أن الإيمان يزيد وينقص هو لازم ترتيب، والرابعة أن يجوز الاستثناء في الإيمان، ما معنى يجوز ؟

هل يعني ذلك أن الإنسان يلزمه دائماً أن يقول– إن شاء الله– في كل قربة يعملها ؟ لا يلزم .

والأصل في الاستثناء في الإيمان هو الحادثة، يعني سؤال الناس عن الإيمان من الأمور الحادثة، ولذلك السلف لما بدأت ظاهرة سؤال الناس عن الإيمان اعتبروه بدعة، لأن هذه من الأمور المحدثة في الدين. الناس يُتركون على ظواهرهم، ويحمل المؤمنون والمسلمون على مجملات الدين على ما هم عليه ولا يجوز امتحانهم لكن مع ذلك إذا وقع السؤال بأن سئلت أو سئل غيرك أمؤمن أنت؟ هل أنت مؤمن ؟ الأولى أن تقول: إن شاء الله أو أنا مؤمن –إن شاء الله – أو تقول آمنت بالله وعليه توكلت ونحو ذلك .

فإذاً يمكن أن تقول: إن شاء الله لكنها لا تلزمك، لكن يجب أن تعتقد أن حقيقة الإيمان مرتبطة بمشيئة الله – عزّ وجلّ – وبتوفيق الله يعني بمعنى: تحقق الإيمان للمؤمن راجع إلى توفيق الله له، فعلى هذا لابد أن يستثني لا لأنه يشك إنما يستثني لأنه لا يدري عن المصير ولأنه يقول : إن شاء الله تفاؤلاً ، واستعانة بالله، وتوكلاً على الله .

قال(فقول القلب اعتقاده وتصديقه) نعم قول القلب : اعتقاده وتصديقه ويضاف إلى ذلك جميع الأحوال القلبية التي يكون بها المؤمن وذكرت لها أمثلة: محبة الله، ورجاؤه، والخوف ، واليقين ، والإنابة، والتوكل....س إلى غير ذلك من الأعمال القلبية .

ثم أيضاً الاعتقاد بمعنى: أن يجزم المسلم بكل ما ثبت في الكتاب والسنة، من أصول الدين وثوابته وأحكامه ، فهذا يدخل في القلب، لكن أيضاً لابد أن يتعدى ذلك إلى قول اللسان. يعني: يعترف الإنسان بلسانه بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، بمعاني الإيمان والإسلام ، وأن يلتزم شرع الله فيما يجب من الذكر اللساني، الذكر اللساني كثير في الصلوات وغيرها في التلبية إلخ، لا يحصر الذكر اللساني وكله تعبير عن الإيمان باللسان. ثم(قول اللسان) يدخل فيه الإقرار ويدخل فيه أيضاً الذكر. (وعمل القلب)– كذلك – تسليمه وإخلاصه ، و من عمل القلب : التسليم والرضا بشرع الله وحكمه، فهو ثمرة الإيمان .

التسليم والرضا والاستعداد للعمل هو أمر قلبي لابد أن تنتج عنه أعمال ولذلك فإن الله – عزّ وجلّ – جعل العمل امتحاناً لحقيقة الدعوة ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾[آل عمران:٣١]. الاتباع اتباع النبي – صلى الله عليه وسلم – في كل ما جاء به من الدين . ومحبة الله هي حقيقة الإيمان هي أول أركان العبادة فمن ادَّعى أنه يحب الله مجرد الدعوى في القلب فلابد أن يظهر ذلك على أثر أعماله .

ومن هنا يتبين لنا حقيقة الإيمان أنه قول وعمل وأنه يدخل في أعمال القلب وأعمال الجوارح .

(وإخلاصه) يعني صدق النية، الإخلاص :هو صدق التوجه إلى الله، ألا يشرك مع الله أحداً في التوجه.الإخلاص: إخلاص العبادة، وإخلاص الإذعان، وإخلاص اليقين ،وإخلاص النية؛ لأن النية تدخل في أمور القلبية وأمور الأعمال وكذلك(حبه وإرادته للأعمال الصالحة) .

(وعمل الجوارح) ما هي الجوارح ؟ بعض الناس يسمع بالجوارح وقد لا يفهمها جيداً وإن كانت مفهومة لسياقها .

نعم ما هي الجوارح ؟

الجوارح منها اللسان اليدين، الرجلين

يعني ممكن نعبر تعبيراً شاملاً أنا ذكرته في الحديث، هي الأعضاء أعضاء الإنسان هي جوارحه، طبعاً القلب أليس عضواً يدخل مع الجوارح؟ لكن القلب قد يكون عمله– غالباً –عملاً باطناً بمعنى أعمال قلبية غير ظاهرة، لكن من البدهي أن الأعمال القلبية لا تصدق ولا تصح إلا إذا أثمرت أعمالاً التي هي مجموع الاستقامة على الدين.

إذ(عمل الجوارح هو فعل المأمورات وترك المنهيات) هذا هو عمل الأعضاء، فعل ما أمر الله به من الصلاة وما دونها من جميع الأعمال إلى أقل الأعمال، ثم ترك المنهيات وهي كل المحرمات، والمكروهات وما دون ذلك من المشتبهات .

(ثانياً من أخرج العمل عن الإيمان فهو مرجئ ومن أدخل فيه ما ليس منه فهو مبتدع).

نعم هذه قاعدة فرعية تابعة للقاعدة الأولى، إذا كنا عرفنا أن الإيمان قول وعمل وأن الإيمان يشمل الأمور القلبية والاعتقادية والمعرفية وغيرها، ويشمل الأعمال الظاهرة، وعلى هذا فإن من ادعى أن العمل لا يدخل في الإيمان كما قالت المرجئة .

المرجئة أصناف منهم المرجئة الغلاة الذين أعرضوا عن شرع الله – عزّ وجلّ – واستهانوا به وزعموا أن مجرد المعرفة تكفي، وهذه فلسفة قد تصل بالإنسان إلى الخروج من الدين إذا أعرض عن الدين بالكلية بدعوى أنه يكفيه أن يعرف .

لكن الصنف الثاني وهو الذي لا نستطيع أن نقول: إنه خرج من مقتضى الدين، لكنه خرج عن السنة وهم الذين ادعوا أن الأعمال لا تدخل في مسمى الإيمان فكل من ادعى أن الأعمال ليست من الإيمان فهو مرجئ ما معنى مرجئ؟ طبعاً سيلاحظ الأخوة الذين معهم الكتاب من الحاضرين أو المشاهدين أن الكلمة فيها خطأ مطبوع مكتوب مجرئ، هذا خطأ مطبعي والصحيح أنها مرجئ ، و المرجئ هو من يعتقد أن الأعمال لا تدخل في الإيمان– كما ذكرت– لماذا سمي مرجئ؟ لأنه أخَّر الأعمال عن الإيمان وهذا تسميه العرب في لغتها: إرجاء، بمعنى أنهم جعلوا الأعمال متأخرة لا تدخل في مسمى الإيمان فسمى هذا إرجاءً وهذا هو الأصل في التسمية أنهم أرجأوا الأعمال أخروها و أبعدوها عن الإيمان، فصلوها عن الإيمان وهذا يسمى إرجاء.

إذاً كل من أخرج الأعمال الشرعية المطلوبة شرعاً من الإيمان وقال: ليست من الإيمان فهو مرجئ وكذلك العكس (من أدخل في الإيمان ما ليس منه فهو مبتدع).

هذا ينطبق على أمثلة ذكرناها في الدرس الماضي ، البدع التي أحدثها الناس وزعموا أنها من الدين وزعموا أنها من الإيمان هذه لا تدخل في الإيمان، فكل ما أحدث باسم الدين من المحدثات فهو لا يدخل في مسمى الإيمان وإن قصد به فاعله زيادة الإيمان .

مثال ذلك: الاحتفالات البدعية التي يتدين بها الناس يقصدون بها أموراً إيمانية، محبة الرسول – صلى الله عليه وسلم – ومحبة الصالحين ومحبة الأولياء وهذا من أعظم الإيمان، لكن نظراً لأن هذا غير مشروع فإدخالهم هذا العمل في مسمى الدين والإيمان خطأ ، بل هو بدعة .

إذاً من أدخل في الدين أو في الإيمان ما ليس منه فهو مبتدع ؛ لأنه شرع ما لم يشرعه الله – عزّ وجلّ – و النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) و أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – هو هذا الدين الذي يشمله مسمى الإيمان (ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) وهو كذلك أيضاً يعني أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – الذي هو هذا الدين الذي يتمثل فيه الإيمان .

كل من عمل عملاً ليس مشروعاً فلا يدخل عمله في مسمى الإيمان فهو مردود ثم كذلك قول النبي – صلى الله عليه وسلم – (كل محدثة في الدين بدعة وكل بدعة ضلالة) .

(ثالثاً من لم يقر بالشهادتين لا يثبت له اسم الإيمان ولا حكمه لا في الدنيا ولا في الآخرة).

نعم المقصود بهذا أن من لم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله سواءً ممن لم يكن مسلماً أصلاً أو من كان نشأ بين المسلمين ثم لما بلغ وقامت عليه الحجة لم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله عمداً وليس غفلة لأنه قد يغفل .

لكن إذا لم يقر بالشهادتين أو كان غير مسلم ثم لم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله (فلا يثبت له اسم الإيمان)، يعني لا يقال: له إنه مؤمن(ولا حكم الإيمان) من حيث ما يترتب على الإيمان من الثواب في الدنيا والآخرة .

فعلى هذا يبقى تحت مسمى غير المسلم أو مسمى الكافر .

قال:(لا في الدني) بمعنى أنه لا يستحق أحكام المؤمنين ؛ لأن أحكام المؤمنين معروفة في التعامل في جميع شئون الحياة وفى الممات من حيث الصلاة عليه وميراثه وغير ذلك مما هو معلوم (وفى الآخرة)ما بعد الموت أي حسابه عند الله – عزّ وجلّ – كما ثبتت قطعية النصوص أن من لم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله فهومن أهل النار يعني ليس له حكم الإسلام، والنبى – صلى الله عليه وسلم – أكد ذلك في حديث صحيح في صحيح مسلم وغيره أحاديث كثيرة قطعية ونصوص، لكن نحتاج أن نختصر في الوقت فنكتفي بدليل واحد لأنه صريح .

قال النبي – صلى الله عليه وسلم – (لا يسمع بي) بل في بعض الروايات قال (والله لا يسمع بي رجلٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي إلا دخل النار) . إذا كان هذا في أهل الكتاب أليس غيره من باب أولى؟ هذا من جوامع كلم النبي – صلى الله عليه وسلم – .

إذاً هذا يدخل فيه لأن هؤلاء لم يقروا بالشهادتين ولا يثبت لهم الإسلام ولذلك لا يثبت لهم اسم الإيمان ولا حكمه لا في الدنيا ولا في الآخرة .

(رابعاً الإسلام والإيمان اسمان شرعيان بينهما عموم وخصوص من وجه، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمن، ويسمى أهل القبلة مسلمين) .

نعم المقصود بهذا أن الإسلام والإيمان من الألفاظ الشرعية التي تطلق على الدين، وتطلق على أفراد المسلمين يقال مسلم ومؤمن .

لكن هذه الكلمات تترادف من وجه، يعني تشترك من وجه وتختلف من وجه، وهذا عام في عموم المصطلحات الشرعية، فنجد الإسلام والإيمان عبارات تتناوب و تشترك في معانٍ وتتناوب وتختلف في معانٍ فمثلاً الإسلام في الأصل يطلق : على أعمال الدين الظاهرة وعلى ما يبدو من المسلم من تسليمه الظاهر لنا بالدين، حينما يعترف بالإسلام ويقيم شعائر الإسلام فهذا يوصف بأنه مسلم وحكمه أنه على الإسلام .

الإيمان في الأصل المقصود به القطع واليقين في القضايا العقدية العلمية التي هي في القلب .

ولذلك : النبي – صلى الله عليه وسلم – في حديث جبريل عد الإيمان بأركانه الستة والأركان الستة معلومات عقائد ليس فيها أعمال، كلها تصديق ويقين، لكن لابد أن يثمر عنها عمل.

ثم لما ذكر الإسلام في نفس الحديث ذكر الإسلام بأركان الإسلام الظاهرة فهل يعني هذا– كما يظهر لبعض الناس الذي لا يأخذون بعموم الأدلة– هل يعني أن الإيمان هو الأمور الاعتقادية فحسب ولا تدخل الأعمال ؟ لا ، لكن إذا اجتمع الوصفان، إذا جئنا بالإسلام والإيمان في عبارة واحدة في مقطع واحد في حديث واحد فإن الإسلام غالباً يطلق على الأعمال الظاهرة والإيمان غالباً يطلق على الأعمال العلمية اليقينية الاعتقادية الباطنة .

ولذلك إذا انفرد كل واحد منهما شمل المعنى الآخر، إذا قلنا الإيمان بدون ما نذكر الإسلام فلابد أن يشمل الإسلام، إذا قلنا: المؤمن فالأصل أن يكون مسلماً، الأصل .

وإذا قلنا:- كذلك- الإسلام، لابد أن يشمل الإيمان، والمسلم الأصل أن يكون مؤمناً لكن هل هذا لازم ؟

إذاً الإسلام والإيمان نصان شرعيان بينهما عموم بمعنى أنهما كلهما يشملان الدين وبينهما خصوص بمعنى إذا اجتمعا في سياق واحد فكل واحد منهما يختص بمعنى ويقترن مع اللفظ الآخر بمعاني .

والدليل على هذا: هل تصح أركان الإيمان من المسلم بلا أركان الإسلام ؟ هل تصح أركان الإسلام من المسلم بلا أركان الإيمان ؟ إذاً هما يلتقيان من وجوه ويختلفان من بعض وجوه فإذا انفردت كل لفظة وحدها شملت اللفظة الأخرى وإذا اجتمعت مع أختها كما قلت .

إذاً الإسلام والإيمان اسمان شرعيان بينهما عموم وخصوص من وجه.

إذاً بقي مسمى الأشخاص المسلم والمؤمن هذه تسمى الأسماء والأحكام وهي تابعة للإيمان، يعني ما نطبقه على الناس:"مؤمن- مسلم- كافر- فاسق- فاجر- ظالم- منافق" هذه تسمى الأسماء والأحكام هذه داخلة في مسميات الإسلام والإيمان، لكن- مع ذلك - كل مصطلح له معناه،لكن يهمنا ما بين مسلم ومؤمن من وجوه الافتراق والاختلاف، فمثلاً كل مؤمن لابد أن يكون مسلماً لماذا ؟ لأنه لا يتصور أن أحداً يدعي الإيمان ثم لا يعمل بمقتضى الإسلام . لا يصح شرعاً أن نصف أحداً بأنه مؤمن ما لم يلتزم شرائع الإسلام لكن العكس غيرذلك ، وهو أنه ليس كل مسلم مؤمناً لماذا؟ لأن الإسلام الأمر الظاهر الذي نراه وكذا الإيمان أمر قلبي ، فقد يكون الإنسان يدعي الإسلام وفيما بينه وبين ربه لا يؤمن بحقائق الدين كالمنافق الخالص .

أيضاً المنافق الخالص يظهر الإسلام خوفاً على نفسه، لكن يكون في قلبه غيره ، معترف لله - عزّ وجلّ - غير معترف بأركان الإيمان أو ببعضها، فهذا- ظاهراً- نسميه مسلماً، لكن لا نستطيع أن نجزم له بالإيمان إذاً من توفر عنده وصف الإيمان فلابد أن يكون مسلماً، لكن من توفر عنده وصف الإسلام فقد لا يكون مؤمناً عند الله - عزّ وجلّ - .

هذا فيما يتعلق بحقيقة الأمر ونحن ليس لنا إلا الظاهر .

(أهل القبلة) معناه الذين يدعون الإسلام كلهم مسلمون حتى من ارتكب معاصي وفجوراً وفواحش -نسأل الله العافية- أو حتى من ارتكب بدعاً- ما دامت أعماله هذه لا تخرجه من الملة- فلا يزال له مسمى الإسلام فهو من أهل القبلة بمعنى النبي – صلى الله عليه وسلم – ذكر المسلم هو(من صلى إلى قبلتنا ومن أكل ذبيحتن) فله حقوق المسلم وإن احتاج إلى شئ من التأديب أو التعزير أو الهجر أو الرد هذه أمور أخرى هذه أمور من مقتضيات التناصح بين المسلمين وإقامة حدود الله وشرعه لا تعني إخراج الأفراد من الملة .

إذاً من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله فهو مسلم لكن لا نستيطع أن نجزم أنه مؤمن لأن أمر الإيمان بينه وبين ربه، لكن إن تحققت له حقيقة الإيمان عند الله فلابد أن يكون مسلماً ويسمى(أهل القبلة) يعني جميعهم مسلمين .

إذاً ليس كل مسلم في الظاهر يكون مؤمناً في الباطن ؛لأن الباطن لا يعلمه إلا الله - عزّ وجلّ - وقد يدعي الإسلام وهو منافق .

(خامساً : مرتكب الكبيرة التي دون الكفر والشرك لا يخرج من الإيمان فهو في الدنيا مؤمن ناقص الإيمان وفى الآخرة تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، والموحدون كلهم مصيرهم إلى الجنة وإن عُذب منهم بالنار من عُذب ولا يُخلد أحد منهم فيها قط).

نعم هذه الحقيقة قاعدة تتضمنت عدة مسائل عظيمة في الدين وهذه من المسائل العملية التي يحتاجها المسلمون– دائماً– في حياتهم، في تعاملهم مع الآخرين ولا سيما في هذا الوقت الذي كثر فيه الخوض والالتباس، كثرت فيه الشبهات والتشكيك والمسلمات، مما أدى إلى كثير من الفتن بين المسلمين أنفسهم وبينهم وبين المخالفين لهم، وهي مسألة مرتكب الكبيرة، هذه مسألة متفرعة عن مسائل الإيمان وستتعلق بما يسمى بالأحكام والأسماء، داخلة في مسائل الإيمان وأعني بذلك : أن من يرتكب معصية– ضرب مثلاً بالكبيرة لأن الكبائر هي أعظم المعاصي أليس كذلك ؟ وما دونها من باب أولى– أن يكون حكم صاحبه حكم الإسلام والإيمان، لكن نتكلم عن مرتكب الكبيرة ؛لأنه ارتكب أعظم معصية ما دام لم يصل إلى الردة والشرك .

مرتكب الكبيرة يعني:المسلم الذي يقع في معصية في الكبيرة، كآكل الربا أو الغيبة أو النميمة أو الكذب وغيرها من الكبائر، هذا المسلم يسمى مرتكب الكبيرة .

ارتكبها يعني استهان بالدين وركب المعصية و عملها، عمل الكبيرة التي دون الكفر والشرك، الكفر هنا يعني الكفر المخرج من الملة .

والكبيرة لا تخرج من الملة ولا تقع في الشرك الأكبر أو الكفر الأكبر فإن صاحبها يبقى مسلماً ويبقى مؤمناً لا يخرج من مسمى الإيمان والنبى – صلى الله عليه وسلم – أثبت ذلك في حديث ذكر أن المسلم يبقى على مسمى الإيمان وإن زنا وإن سرق، وكان عنده أبو ذر – رضي الله عنه – فكأنه استغرب مثل هذا الحكم فقال: يا رسول الله وإن زنا وإن سرق ؟ قال (وإن زنا وإن سرق) يعني كررها مما يدل على أنه فعلاً يبقى على مسمى الإيمان والإسلام وإن ارتكب كبيرة .

قد يشكل على هذا أحاديث أخرى مثل قول النبي – صلى الله عليه وسلم – (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) هذا نفي للإيمان وهذا إثبات للإيمان .

فلابد من الجمع بين النصوص لأنها صحيحة كلها والجمع النصوص يعني بأن هذا الذي ارتكب الكبيرة بقي على أصل إيمانه لأنه ارتكبها ولم ينقض نواقض الدين الأخرى وفى الحديث الآخر نفي عنه الإيمان أي نفي عنه مقتضى الإيمان، لا أصل الإيمان وهذا مثل الصلاة، الصلاة فيها جزء مجزئ وفيه جزء يؤجر عليه فالنبى – صلى الله عليه وسلم – نفى أن تقبل الصلاة من الإنسان مثلاً يسهو في الصلاة ليس له منها شيء لا يعني ذلك أنه لم يؤدي الفرض لكن يعني ذلك أنه لا تقبل عنه القبول الذي يكون له فيها أجر ومثله الإيمان، الإيمان ينفى عن بعض من يفعلون الكبائر يعني حقيقة الإيمان مقتضى الإيمان أقصد مقتضى العمل بالإيمان لأن الإيمان لابد له من ثمرة فهذا لم تتحقق عنده ثمرة الإيمان في هذه الجزئية، ثم يكون –ربما– نفي الإيمان في أمر محدد لا في عموم الدين، ونفي الإيمان في أمر محدد تلك اللحظة لا يعني نفي الإيمان مطلق

أيضاً من توجيه ذلك أن النبي – صلى الله عليه وسلم – نفى الإيمان عن فاعل هذه الكبيرة يعني حين يفعلها يعني اختل إيمانه في هذه الجزئية لا في الدين كله ولم يخرج عن مقتضى التصديق إنما ترك العمل أخل بالعمل فعلى هذا فإن مرتكب الكبيرة التي دون الكفر والشرك لا يخرج من الإيمان ولا من الإسلام فهو في الدنيا مؤمن لكنه ناقص الإيمان، وظَّفَ إيمانه بقدر يعني أفعاله التي اقتضت أو بالوضع الذي اقتضى النقص .

وفى الآخرة يعني المؤمن صاحب المعصية صاحب الكبيرة في الدنيا نقول إنه مؤمن ناقص الإيمان إن تاب قبل موته تاب الله عليه إذا توفرت فيه شروط التوبة، لكن إذا مات –لا قدر الله– وهو ممارس للمعصية، يعني: مات وهو على كبيرته فإن مصيره في الآخرة فيه تفصيل .

هو أولاً قبل أن يُحكم على العباد بجنة أو نار تحت مشيئة الله إن شاء غفر له فيدخل الجنة ورحمته – سبحانه وتعالى – سبقت عذابه ونرجوا المؤمنين الذين وقعوا في الكبائر أن يغفر الله لهم ، لكن أيضاً قد لا يغفر الله له بمعنى أنه يستحق النار، فيعذب بالنار بقدر كبيرته ولابد أن يخرج منها بعدة أسباب شرعية منها: الشفاعة – شفاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – لأهل الكبائر من أمته –وشفاعات الأنبياء لأهل الكبائر من أممهم – وشفاعة الملائكة– وشفاعة المؤمنين الصالحين– وشفاعة القرآن شفاعات كثيرة، ثم أيضاً برحمة الله – عزّ وجلّ – .

حينما تنتهي الشفاعات، الله – عزّ وجلّ – يتولى– رحمة بعباده– بإخراج من يشاء من النار .

ففي الآخرة تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه. والموحدون كلهم مصيرهم إلى الجنة ومن عذب منهم بالنار فلا يخلد أحد منهم فيها قط، من كان عنده أدنى ذرة من إيمان فلن يخلد في النار .

(سادساً : لا يزيد القطع من معوّل من أهل القبلة بالجنة أو النار إلا من ثبت النص في حقه) .

هذه أيضاً قاعدة متفرعة من مسألة الإيمان ويغلط فيها كثيرٌ من الناس قديماً وحديثاً يغلطون فيها لأنها تحتاج إلى تفصيل وتفهم خطأ .

فأولاً: يعني نحن نرجو لكل مسلم مؤمن أن يكون من أهل الجنة وهذا هو الأصل وغير المسلم الأصل أنه من أهل النار هذا هو الأصل، لكن مع ذلك لا نستطيع أن نجزم يعني أقصد عموم المؤمنين هم من أهل الجنة ، عموم الكافرين هم من أهل النار .

لكن ومع ذلك الإنسان المعين بعينه فلان بن فلان لا نستطيع أن نجزم له بأنه من أهل الجنة وإن كان ظاهر الصلاح ولا بأنه من أهل النار وإن كان ظاهره الفساد .

لماذا ؟ لأننا لا ندري ما يختم له ولذلك قال السلف: مقتضى القواعد في الشرع– السلف لم يأتوا من عندهم بشيء اخترعوه لأن أمور الدين توقيفيه – قالوا: بأننا لا ندري عن مصير الإنسان ، لا نجزم لأحد بعينه إلا ما جاء النص بأنه من أهل الجنة أو جاء النص بأنه من أهل النار .

بقية الخلق الذين يموتون لا نستطيع أن نجزم لأحد منهم بأنه من أهل الجنة وإن كان صالحاً مسلماً تقياً ورعاً ولا أنه من أهل النار لماذا ؟ لأننا لا ندري على أي حال سبق عليه الكتاب. في هناك دليل واضح يبين هذه القاعدة وهو أن النبي – صلى الله عليه وسلم – ذكر في الحديث الصحيح (إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يظهر للناس حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يظهر للناس حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيكون من أهل الجنة) .

ما هو الذراع ؟ ربما يكون الذراع في حساب الزمن لحظات – والله أعلم– هذا نص مجمل مبهم لكنه يدل على قصر المدة الزمنية التي يكون فيها تحول الشخص لحظة الموت عند الوفاة من حال إلى حال .

– وعلى هذا– هذا أمر قلبي الإنسان قد يكون– فيما يظهر لنا– على حال أهل الكفر وعلى حال أهل النار لكن ربما يجدد الله له توبة لم يستطع أن يفصح عنها ويبينها أو لم يتمكن ويموت على هذه التوبة، أليس هذا وارداً؟ وما يدرينا أحوال العباد عند الله – عزّ وجلّ – والعكس كذلك قد يكون إنسان– فيما يظهر لنا –أنه من أخلص العباد، لكن ربما يحول الله حاله . والله – عزّ وجلّ – هو مقلب القلوب ولذلك قال النبي – صلى الله عليه وسلم – (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) .

وهكذا ينبغي على المؤمن– دائماً– أن يلجأ إلى الله – عزّ وجلّ – أن يثبته على الإيمان والإسلام إلى آخر لحظة .

فالمهم: ينبغي أن نعتقد ونجزم أن مصائر العباد غيبيه فمن هنا هذا الشخص الذي ظهر صلاحه ربما آخر لحظة سبق عليه الكتاب فوقع في أمر قد يكون من أهل النار ونحن لا ندري ومات على هذه الحال دون أن ندري، أليس هذا محتملاً ؟ محتمل ما دام محتملاً– والأمر لله من قبل ومن بعد، ومصائر العباد بيد الله– إذاً لا نتألى على الله لكن نحسن الظن بالله ونحسن الظن بالمسلمين ونرجوا للمحسنين ونخاف على المسيئين، نرجوا للمحسنين ولا نجزم، ولذلك من الأخطاء التي يقع فيها كثير من الناس إنهم يجزمون لبعض المعينين بأنهم من أهل الجنة، يجزمون لهم بالشهادة حتى وإن قتل في معركة مشروعة لا تستطيع أن تجزم له بالشهادة لكن ترجو وتقول نرجوا له الشهادة حتى في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – شهد الصحابة لأحد المقاتلين بأنه كذا وكذا من أهل الجنة ... النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (لا إنه من أهل النار) يعني انقلبت الأمور انقلاباً تاماً عما يتصورون لأنه أبلى بلاءً حسناً وجاهد جهاداً عظيماً وفتك بالعدو فتكاً يدل –على ظاهره– على أنه –إن شاء الله– مأجور أعظم الأجر وأنه من أعظم الشهداء ومع ذلك فوجئوا بأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (إنه من أهل النار) لأنه غلَّ تعلق قلبه بدنيا فإذاً المصائر بيد الله ولا يجوز القطع لمعين ،القطع الذي تقسم عليه ؛ لأن مصائر العباد بيد الله لكن مع ذلك نثق بوعد الله نحسن الظن نرجوا للمحسنين ونخاف على المسيئن .

(سابعاً : الكفر الوارد في الألفاظ الشرعية قسمان :

أكبر مخرج من الملة . وأصغر غير مخرج من الملة ويسمى أحياناً بالكفر العملي .

ثامناً : التكفير من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة فلا يجوز تكفير مسلم بقول أو فعل ما لم يدل دليل شرعي على ذلك ولا يلزم من إطلاق حكم الكفر على قول أو فعل ثبوت موجبه في حق معين إلا إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع، والتكفير من أخطر الأحكام فيجب التثبت والحذر من تكفير المسلم).

أولاً فيما يتعلق بأصل الكفر، الكفر حكم إلهي حكم من الله – عزّ وجلّ – ليس إلى العباد، هذا أولاً.

الأمر الثاني : أن الكفر نوعان : النوع الأول: الكفر الخالص، هذا ليس لنا فيه خيار ولا يجوز أن نخوض فيه من لم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، هذا كفره متقرر في الكتاب والسنة ليس للعباد فيه خيار، ولا يجوز أن يخوض الناس في مفردات هذه الأمور، بل الخوض بدعة وإثم عظيم في الدين؛ لأن هذا حكم الله الذي لا يتبدل ولا يتغير وليس لنا فيه اجتهاد .

النوع الثاني وهو الذي فيه الخطورة وهو الذي يخوض فيه الناس بشكل أدى إلى كثيرمن الأهواء والبدع قديماً وحديثاً وهو الكفر الذي دونه كفر، الكفر الأصغر أو تكفير المسلم، فهذا هو الذي يكون فيه الخطورة، مع أننا نعلم أن في الشك في تكفير من كفرهم الله – عزّ وجلّ – من الكفار الخلص أيضاً إثماًعظيماً وربما يكون ردة أو

كفر – ومع ذلك– قلَّ من المسلمين من يقع في ذلك إلا في الآونة الآخيرة عندما كثرت الشبهات ومع ذلك نعتبر هذا لا يزال من البدهيات عند عامة المسلمين .

إذاً :الأمر الذي يحتاج إلى التقعيد هو النوع الثاني من الكفر وهو ما يقع فيه المسلم من الكفريات، الكفر الذي يقع فيه المسلم طبعاً أيضاً نوعان : كفر مخرج وكفر لا يخرج، وهو الأكثر وهذا يحتاج إلى أن أسرد القواعد بسرعة اغتناماً للوقت –ويعني أرجو أن تعذروني في التفصيل لأن التفصيل أحياناً في مثل هذه المسائل يؤدي إلى الغموض أكثر، فعلى هذا فإني سأقتصر على التقعيد مع أمثلة خفيفة جداً– .

أولاً : الكفر: هو حكم الله – عزّ وجلّ – في العباد، إذاً نعي ذلك جيداً وعلى هذا فإن أي قول فيه بلا دليل بين من الله ، بدون برهان من الله – عزّ وجلّ – فهو قول خطير على صاحبه .

الأمر الثاني : أن التكفير ورد فيه الوعيد . كيف ورد فيه الوعيد؟ النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

(إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما) يعني بذلك أن ولوج واقتحام الإنسان الناس بالتكفير خطر عليهم هم أنفسهم . بعض الناس يظن هذا واجباً عليه إنه ينظر في الخلق ماذا عملوا وفى الناس ماذا ارتكبوا من الأقوال والاعتقادات الكفرية فيحكم عليهم ويظن أن هذا واجبه، يعني هذا ليس لك شأن فيه . واجبك أن تتورع . والله – عزّ وجلّ – يقول: ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾[الاسراء:٣٦].

ثم أيضاً النبي – صلى الله عليه وسلم – كما قلت حذر وجعل الكفرحكماً إلهياً إذا وقع على مَنْ تكفره وقع عليك وكيف تجزم بأنه وقع على من تكفره والأمر خطير .

ثم يتبع هذا قاعدة أخرى وهي: أن تكفير الناس بأفعالهم من اختصاص الراسخين في العلم لأنه خطير من قضايا الدين الكبرى ولأنه حكم على العباد أشبه بالحكم القضائي الذي لا يكون إلا من قاض تتوافر فيه شروط القضاء بل هو أشد من ذلك ؛لأنه حكم بحكم الله على العباد وهذا لا يمكن أن يتأتي إلا لعالم راسخ في العلم مستوعب لشروط التكفير وضوابطه وموانعه ويكون أيضاً ممن عنده القدرة على التثبت وعنده القدرة على إقامة الحجة على الأفراد والجماعات والهيئات التي يكفرها الناس وأنى يتهيأ هذا إلا لعبرة وبعض الناس يظن تكفير الناس في ذمته فيجازف ويبدأ يحكم على الخلق .

إذاً : يتبع هذه القواعد قاعدة أخرى مهمة جداً وهي: أن أغلب ما وصفه النبي – صلى الله عليه وسلم – من أعمال المسلمين بالكفر هو الكفر الذي لا يخرج من الملة، بل أقول يندر أن يكون مما وصفه النبي – صلى الله عليه وسلم – من أعمال الكفر التي تقع من المسلمين يندر أن يكون من الكفر المخرج .

هذه مسألة مهمة النبي – صلى الله عليه وسلم – وصف أشياء كثيرة بأنها كفر أقوال وأفعال ومواقف لكنها كلها إلا النادر والنادر لا حكم له، كلها من الكفر الذي لا يخرج من الملة، خذ على سبيل المثال الطعن في الأنساب سماه النبي – صلى الله عليه وسلم – كفراً .

النياحة على الميت سماها كفراً، قتال المسلم سماه كفراً . النبي – صلى الله عليه وسلم – قال (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) فهل الكفر مخرج من الملة، إتيان الكاهن كفر سماه كفراً أشياء كثيرة من الأعمال سماها كفراً بل مثل إيمانه – أحياناً– لا يؤمن من يفعل كذا (لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه) (من تشبه بغيرنا فليس منا) (من تشبه بقوم فهو منهم) (من غشنا فليس منا) .

نصوص عظيمة كلها لو أخذنا بظاهرها– كما يأخذ بعض المتعجلين المتهورين– لأخرجنا الكثير من المسلمين من الملة – نسأل الله العافية– بل لا يكاد المسلم هذا الذي يكفر نفسه هو وقع في مكفرات لو أنه حاسب نفسه. إذاً كثير من الكفر هو كبائر وليس كفراً مخرجاً من الملة، ثم أيضاً من أجل أن نأخذ بهذه القواعد بتسلسل أيضاً، يعني التكفير له شروط ويقابلها الموانع هذه الشروط حقيقة لو وعاها كثير من الذين وقعوا في غوائل التكفير – نسأل الله العافية– لأحجموا ولما اقتحموا هذا الباب الخطير– عليهم هم أنفسهم قبل الناس– ولذلك الذين اقتحموا هذا الباب الخطير باب التكفير بغير فقه ولا علم ومتى تورعوا أوقعوا أنفسهم– قبل غيرهم– في حرج شديد في الدين . كثير منهم يستبيح قتل نفسه، كيف ؟ لأنه حينما كفَّر الآخر بنى على هذا أحكاماً في تعامله مع الآخر أراد أن يتخلص من هذه الأحكام بأن يقتل نفسه لئلا يقع في غوائل التعامل وما يحدث من خصومة إذاً أعود وأقول شروط التكفير مهمة جداً وهي شروط ثوابت، عليها عمل السلف الصالح لابد من حكمها في المعين .

إذاً: ندخل في شروط التكفير لابد من مقدمة وهي: أن ما يعمله الإنسان المسلمون – أفراداً أو جماعات– من الكفريات لا يجوز تكفير معين بها إلا بعد هذه الشروط أعني أن كثيراً من المسلمين خاصة في العصورالحديثة – أفراداً أو جماعات أو هيئات أو تيارات أو أحزاباً أو فرقاً أو دولاً– يقعون في مكفرات بعضها في ظاهرها مخرج . بعضها من نواقض الإسلام ، حينما يقع هؤلاء الناس أفراداً أو جماعات أو... إلى آخره يقعون في الكفر. هل يعني ذلك حتى الذين وقعوا في ردة مثل المظاهرة مثل الولاء الذي هو نوع من الردة إلخ .

إذا وقع مسلم أو جماعة أو فرقة في هذه المكفرات هل نكفره بعينه بمجرد أن يقع في مكفر؟ بل أغلب من وقعوا في المكفرات قديماً وحديثاً لا يكفرون بأعيانهم، والسلف الصالح– طيلة التاريخ إلى يومنا هذا– واجهوا مما وقع فيه المسلمون – من أنواع الردة أو الكفر أقصد الأنواع التي ظاهرها الردة والكفر– أشياء عظيمة كثيرة جداً ومع ذلك يندر من السلف تكفير الأعيان، فالتاريخ أمامكم ، تاريخ السلف موجود إذاً ليس كل من وقع في مكفر يكفر بعينه حتى تطبق عليه الشروط.

هذه الشروط بإيجاز :

أولاً : ألا يكون من وقع في هذا المكفر مكرهاً، والإكراه وارد

ثانياً: ألا يكون جاهلاً ، والجهل يصرف عن المسلم الكفر

ثالثاً: ألا يكون متأولاً، والتأول بأن الدليل معه يظن أن هذا حلال، وأنه جائز ، التأول السائغ طبعاً .

رابعاً: أن يأمن وجود الالتباس .

الأمر الأخير : أن نعلم أن هذه الكفريات شعب حتى نواقض الإسلام سواء منها: عشرة ،عشرين ، مائة، ألف، خمس. نواقض الإسلام – نفسها – تتشعب، منها ما لا يخرج من الملة، بل منها ما هو صغائر الذنوب وهو يدخل في مفهوم هذه الناقض .

على سبيل المثال المظاهرة، مظاهر المشركين ضد المسلمين منها ما هو من صغائر الذنوب ومنها ما هو من كبائر الذنوب ومنها ما هو كفر دون كفر ومنها ما هو كفر مخرج من الملة .

ولو وقع مسلم أو جماعة أو دولة في هذا النوع من الكفر المخرج فلابد من تطبيق الشروط عليه وأحوال الإكراه اليوم والجهل والتأول كثيرة في الأمة .

فإذاً: أعود وأقول يجب على المسلم أن يتقي الله – عزّ وجلّ – في أمر دينه وأمر المسلمين و أن يحذر ويتورع عن أن يقع في تكفير مسلم لأن ذلك يعود إليه بالضرر، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، هناك علماء يطلقون لفظ الإيمان المطلق و مطلق الإيمان وعندي عدة استفسارات عن المصطلحين هذين ، السؤال الأول : هل بين الإيمان المطلق مطلق الإيمان درجات ؟ يعني أقصد هل الإنسان إذا أطلق عليه يملك الإيمان المطلق وشخص آخر عنده مطلق الإيمان هل بينهما درجات ؟ السؤال الثاني: نلاحظ من تجربة عملية أن الارتقاء في درجات الإيمان ليست من السهولة بمكان يعني تجربة شخصية وتجربة كثير من الزملاء الذين فيهم خير والتزام يعني من عبادات وصيام ومحافظة على الصلوات نلاحظ أن الارتقاء في سلم الإيمان يعني أمر ليس من السهولة بمكان وممكن ندلل على هذا في الآية التي في سورة الحجرات ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ فإن هذه نزلت في حق الصحابة فهل يمكن الاستدلال بهذه الآية على التجربة العملية هذه ؟

سألتم عن التبرك وعن المقصود بالبركة والأمثلة ثم سألتم عن التبرك البدعي

تقول البركة هي كثرة الخير وزيادته وبركة الزمان كليلة القدر وعلى المكان بالمساجد الثلاثة والأشياء بماء زمزم والأعمال كل عمل صالح خالص النية لله – عزّ وجلّ –

على كل حال إجابات جيدة في الحقيقة متقنة وتدل على الجدية والاهتمام ، نسأل الله للجميع التوفيق والسداد وأن يفقهنا جميعاً في الدين ويجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم .

ورد في أحد الأمثلة عند إحدى الأخوات التي أجابت أنها جعلت دعوة أهل القبور من الأمثلة البدعية نعم إذا كانت الدعوة تتضمن دعوة الله – عزّ وجلّ – عند القبور فهذا بدعي، أما دعوة أهل القبور من دون الله فهي شركي، فأرجو التنبه لذلك .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يقول النبي – صلى الله عليه وسلم – (الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان) فمعلوم أن هذه الشعب منها ما تركه ينقض الإيمان وينقص منها فما هي الأعمال التي تفسد لصاحبها الإيمان، هل هي أعمال القلوب وحدها تكفي أم أن هناك أعمال من أعمال الجوارح ما يشترط توافره لإثبات الحكم غير الشهادتين والإقرار باللسان بحقائق الدين ظاهرا وإن لم يأتِ الإنسان بما يوافقها من أعمال الجوارح ؟ وهل المراد حفظ المتون التي ندرسها أم المراد فهم المادة التي ندرسها فقط ؟

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته بالنسبة لحديث أهل الشقاوة ميسر لعمل الشقاوة و أهل الطاعة ميسر لعمل الطاعة. السؤال الثاني: باب الشكوك في الإيمان والاعتقاد هل يدخل في مسألة النفاق أو أنه يكون منافقاً ؟

مسألة الشكوك في الإيمان هذه لابد أن يفصل فيها الشكوك التي تستقر في القلب هذه مرض يجب علاجه لكن لا يعني أن الإنسان خرج من الإيمان، والشكوك ابتلاء من الله – عزّ وجلّ – فالشك العارض هذا دليل قوة الإيمان إذا اندفع بما عند الإنسان من إيمان أقصد أن الخواطر التي ترد، الشبهات العارضة التي بمجرد ما ترد إلى الإنسان إنه ينكرها يعني ينكرها قلبه، يجد النفور منها، يجد أن الإيمان قوي يدفعها. فهذا شكوك عارضة ما تضر لكن أعود إلى ما قلته: الشك الذي يستقر يكون على شكل خواطر مستمرة أو أحياناً بوادر وسواس فهذا في الحقيقة أمر يحتاج إلى علاج ومع ذلك يعني بالأسباب الشرعية : كثرة التفقه في الدين، حضور مجالس الذكر ، كثرة تلاوة القرآن، الأوراد، مجالسة الصالحين– ومع ذلك – إذا الأمر استمر يمكن الإنسان يأخذ علاج نفسي .

أعود وأقول: ليطمئن السائل مهما بلغت الشكوك لأنها لا تعني أن الإنسان يخرج من الإيمان أبداً بل يبقى– إن شاء الله– متفائلاً وربما يؤجر على مثل هذ الدفاع الذي يدافع به عن نفسه وعن يقينه وعن إيمانه.

أول السؤال كأنه غامض .

في الحقيقة مثل هذه الألفاظ الإيمان المطلق ومطلق الإيمان من الألفاظ الفلسفية التي ما وراءها طائل وما ورد بها الشرع ولا أريد أن أشغل الأخوة المستمعين والمشاهدين بها لأنها بين عموم وخصوص، فبعضها يتعلق بالعمل وبعضها يتعلق بالعمل والتصديق فالإيمان المطلق أو مطلق الإيمان كله له لوازم كله يلزم منه العمل وعلى هذا فإن العمل لا ينفك عن الإيمان وأظن الأخ أيض أجاب من خلال السؤال بما يدل على أنه فهم قضية التداخل بين الإيمان المطلق ومطلق الإيمان وبين أيضاً لوازم ذلك من الأعمال .

فعلى هذا فإن الارتقاء كما ذكر في درجات الإيمان يقول: إنه ليس سهلاً . هو في الحقيقة سهل من جانب وصعب من جانب آخر، هو سهل من حيث أنه يتناسب مع ما فطر الله عليه الإنسان ويتناسب مع التركيبة النفسية والعقلية والقلبية لبني آدم بمعني أن الإنسان إذا صدق وصدق قلبه لارتقاب الأعمال وجد ذلك سهلاً لكن مع ذلك نظراً إلى أن القلب والعقل والنفس يعتريها الأهواء والشبهات والعوارض والموانع والقواطع وما أكثرها من وساوس الشيطان وجلساء السوء والبيئة والواقع الذي يدفع الإنسان إلى ما يضعف مايضعف إيمانه، نعم هذه أمور تحتاج إلى جهاد. فعلاً الارتقاء في درجات الإيمان ليس سهلاً .

أيضاً أحب أن أذكر السائل بحكمة أقرها السلف وهي ليست حديث هي حكمة من الحسن البصري ، يقول : الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل. فهو مجرد دعوة إن ظهر العمل مصدقاً للدعوة فإن الدعوة تكون صحيحة وإلا تبقى مجرد دعوة أريد أيضاً أن أنبه على دعوى كثير من الناس أنه إذا قيل له: لما تفعل ولما لا تفعل؟ إذا أُمر بمعروف أو نُهي عن منكر ضرب صدره بيده وقال: التقوى هاهنا. هذه في الحقيقة مقولة خطيرة ، دعوى أن التقوى هاهنا تحتاج إلى تطبيق، الله – عزّ وجلّ – يحاسبك على العمل فماذا عملت تجاه هذه الدعوى، وإلا ستبقى مجرد خدعة إما أن يخدع الإنسان نفسه أو يخدعه الشيطان ويخدع الآخرين، نسال الله العافية .

تقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته متى يكون الإسلام والإيمان بمعنى واحد ومتى يكونان مختلفان؟

يكون الإسلام والإيمان بمعنى واحد إذا وجدا في لفظ واحد إذا جئنا بإطلاق الإسلام فإنه يعني الإيمان والإسلام في وقت واحد وكذلك الإيمان إذا جاءت وحدها فإنها تعني الإسلام والإيمان في وقت واحد أما إذا اقترنت اللفظتان في سياق واحد فكل واحدة لها معنى مع وجود المعنى المشترك كما ذكرت في أول الدرس.

الذي كان يسأل: عن شعب الإيمان

نعم منها خاصة ترك الصلاة الإعراض عن الدين بالكلية ينقض بالكلية، أيضاً الأعمال التي فيها شرك يعني نواقض الإسلام العملية هي أعمال تخرج من الملة وعلى هذا فإن الإسلام لابد أن يكون له حقيقة كما أن الإيمان لابد له أن يكون له حقيقة الإسلام والإيمان لابد أن تكون لهما حقيقة وقد تنقض هذه الحقيقة بعض الأعمال وعلى هذا فإن الذين يزعمون أنه يتحقق الإيمان الكامل أو الإيمان بمفصل عن الأعمال هم الذي قالوا إنه ليس هناك من الأعمال ما يخرج من الملة .

وهذا في الحقيقة مناقضة لقطعيات النصوص فإن الأعمال الشركية إذا توافرت فيها الشروط على الشخص بأن وقع في شرك خالص فإنها تخرج . وهي عمل بل حتى الأقوال الشركية تخرج من الملة .

وكذلك أحوال القلوب فالقلوب– وهي بين العبد وبين ربه مثل النفاق الخالص– يخرج من الملة .

نعم أعود وأقول لأن المسألة تثار عند كثير من الناس وهناك من يزعم أنه ليس هناك عمل يخرج من الملة فهذه مقالة خطيرة بل كل الأعمال الشركية وأعمال الردة وما يناقض الإسلام بل حتى أفعال الترك التي ليست مجرد فعل الشركيات والكفريات . الترك الذي هو الإعراض عن الدين بالكلية مخرج من الملة، ترك الصلاة بالكلية مخرج من الملة وهكذا .

أيضاً الترك على سبيل الجحود ببعض الأعمال التي ربما لا تكون من أركان الإسلام لكن من باب حجود أن تكون من الحق الذي ثبت في قطعيات النصوص فهذا أيضاً يخرج نعم .

تقول ما حكم قول الحمد لله الذي بنعمته يهتدي الهادون وبعدله ضل الضالون، لأن هناك من قال لنا بأن هذا لا يجوز ولا يليق لأن الله هدى الإنسان النجدين وإنما يعذبهم على اختيارهم الشر عدلاً ولهذا شواهد كثيرة لعلها تكون في القدرية ؟

لا حرج فهذا حق يعني الله – عزّ وجلّ – برحمته وإحسانه يعني فيه قصد الترادف فلا حرج، أنا أظن هذا الدعاء لا عيب فيه فيما يظهر لي .

تقول ما حكم ما تقول به معلمات القرآن من تعليم الصغيرات القرآن وتحفيظهن السورة بعمل بعض الحركات مثلا : ﴿والسماء وما بناه﴾ تقوم بالإشارة إلى أعلى ﴿والأرض وما طحاه﴾تشيرإلى أسفل وهكذا... وهل في هذا احترام وتعظيم للقرآن حيث أصبح يتلى وكأنه نشيد مصاحباً للحركات البدائية ؟

نعم الحقيقة هذا فيه تفصيل وفيه نظر أيضاً في الجملة . أولاً: في هذا الأسلوب نوع تحفظ شرعاً لكن ومع ذلك فإن كانت هذه الحركات بدون قصد من المعلمة يعني تعودت بعض المعلمات وكذلك بعض المعلمين إنه يستعمل الحركات كوسيلة إيضاحية دون أن يشعر لأنه يطبق أمر غيبي هذا الأمر– إن شاء الله– أرجو ألا يكون فيه حرج ، لكن إذا كان هذا منهج يعني أسلوب يلتزم في تعليم القرآن فأظن فيه خطورة لأن كثير من الأمور التي ورد ذكرها في القرآن أمور غيبيه.

فعلى هذا إذا ما تعلق بالأمور الغيبية فعلى الأقل أرى أنه مشتبه والأولى الابتعاد عنه ، إذا ما تعلقت الإشارة بأمر غيبي مثل الإشارة إلى أسماء الله – عزّ وجلّ – وصفاته بالإشارات المادية التي لم يفعلها النبي – صلى الله عليه وسلم – فهذا خطير في الدين ويجب تجنبه وكذلك أمور الغيب الأخرى أحوال القبر والبعث والحساب والجنة والنار لا يجوز تمثيلها بحركات أو بمسائل مادية ولا بصور.

ومن هنا أنبه إلى ما يقع فيه كثير من الذين يستخدمون بعض وسائل الوعظ في التخويف من النار والوعيد بالجنة أو تقييم بعض المعاصي باستعمال صور، تصور الجنة على هيئة معينة والنار على هيئة معينة أو عذاب القبر أو نعيم القبر، أنا أرى أن هذا أمر لا يجوز بل يجب سده لأنه باب فتنة يمثل غيبيات على أمور محسوسة تنطبع في أذهان الأجيال فيقعون في أخطاء فادحة في الاعتقادات، وهذا ما وقعت فيه الأمم السابقة مثلوا الملائكة بنساء جميلات فتفهمت أجيال منهم أن الملائكة إناثاً، هذا جاء على سبيل مجرد وسيلة إيضاح في البداية والله أعلم .

كذلك مثلوا كثير من الغيبيات عندهم بأمثلة وصور فربطوا هذا بتقديس الغيبيات، فإذا الأمر خطير وأرى أن نبتعد عن مثل هذه الوسائل وخاصة في تعليم القرآن إلا ما يأتي من غير قصد في غير تمثيل الغيبيات، وأرجو أن يكون عفواً .

هل نطلق الإيمان على شخص معين ؟

يعني يقال هذا كامل الإيمان ؟

نعم الكمال النسبي الذي عليه المخلوق يقال: إنه مثلاً بعض العباد كامل الإيمان الكمال النسبي الذي يتصف به البشر فلا حرج في ذلك إن شاء الله .

لكن لا يكون على سبيل التزكية المطلقة إنما على سبيل التفاؤل وعلى سبيل المدح والثناء والترغيب، فيقال: فلان – ما شاء الله – كامل الإيمان وعلى شرط ألا نقصد به الكمال الذي عند الله – عزّ وجلّ – إنما فيما يظهر لنا، أرجو ألا يكون في ذلك حرج .

هل يحكم على الإنسان الكافر الخالص الكفر أنه خالد في النار بعد موته ؟ وكذلك تارك الصلاة ممن يعتقد وجوبها ولكن تركها عمداً من غير عذر شرعي هل يعتبر هذا الفعل كفراً يخرج من الإيمان ؟

أما الكافر المعين فلا يجوز أن نجزم بمصيره. الحكم العام لابد منه من لم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يدخل النار مقتضى حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – الصريح الصحيح ، قطعيات النصوص هذا حكم عام ويدخل فيه الأفراد، لكن أولاً: يجب أن نفهم أننا لسنا متعبدين بالحكم على الأعيان إذا ماتوا –حتى الكافر– يعني لسنا متعبدين بأننا نتتبع فلان بن فلان الذي مات على الكفر الخالص نتتبعه ونظهر اتجاهه واعتقاد معين إلا الحكم العام، الحكم العام هذا ليس لنا هو إلى الله – عزّ وجلّ – فإذاً: المعين في الحقيقة أرى أن المسلم يجب أن يتورع من الجزم بحاله حتى ولو كان كافراً خالصاً. لماذا ؟

لأنه يشمله الحديث لأنه قد يكون أسلم في آخر لحظة ولم يتبين لنا حال إسلامه أليس هذا وارداً ؟ إذا كان وارداً، لماذا نتأله على الله ونحكم بمسائل غيبية؟ وهذا لا يدخل في معارضة حكم الله القاطع في الخلود بالنار لمن لم يكن مسلماً، لا ما يتعارض؛ لأننا نحكم عليه الحكم العام، أما الحكم المعين فإننا لا ندري عن مصيره الذي الله – عزّ وجلّ – توفاه عليه.

يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ذكرتم عدم جواز الحكم على الناس بالتأله بدخول الجنة أو بدخول النار لأن ذلك حكم الله وحده وأيضاً لا يجوز تكفير مسلم أياً كان بدون دليل من الله فما هي كفارة من وقع في هذا الخطأ ؟

من تاب إلى الله – عزّ وجلّ – جعل التوبة تجبُّ ما قبلها بل التائب بصدق يبدل الله سيئاته حسنات فيتوب إلى الله – عزّ وجلّ – توبة صادقة وإذا كان حكماً على معينين أحياء يستطيع أن يستحلهم فيجب أن يستحلهم وإلا فيدعو لهم ولو أمكن ممن ابتلي بحكم العام على الخلق أن يصدر بياناً في ذلك وسائل البيان الآن نُفْرَة، يصدر بياناً بذلك فيقول: أرجو كل من وقع في حقه مني شيء أن يعفوا عني ويسامحني.

فالحمد لله اليوم وسائل البراءة من هذه المواقف الشنيعة متوفرة فليبذل جهده ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ومن لم يستطع أن يصل إليه يكفيه أن يتوب بينه وبين ربه والله يتولى ما بينه وبين عباده .

يقول هل المقصود عندما نقول: أن نجزم لأحد أنه من أهل النار هل هذا وهو حي أو حتى بعد موته ، فلو مات النصراني أو اليهودي فلا نقول أنه من أهل النار ؟

من لم يكن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول ومات على ذلك فهو من أهل النار جزماً هذا حكم عام، أما المعين فما قلته قبل قليل هو الجواب. المعين لا لأننا نشك أن الكافر من أهل النار لكن لا نحكم عليه بعينه باسمه لأننا لا ندري على أي حال مات .

فالاستثناء ليس لأنه كافر إنما الاستثناء لأننا لا ندري عن مصيره الذي لا يعلمه إلا الله وحده، فأرجو أن يكون بهذا لا ينسحب على الحكم العام .

طبعاً الحي قبل أن يموت لا يتأتي أننا نجزم له بالنار لماذا ؟ لأنه قد يتوب توبة ويعلنها هذا أصلا لا تتوجه إليه الأحكام إلا على حاله تتوجه على حاله التي هو عليها يقال: إن بقي على حاله إن بقي على ما هو عليه فهو من أهل النار استثناء، لكن هل تدري ؟ ربما يتوب كم الذين الآن يدخلون الدين يدخلون أفواجاً ولله الحمد على مستوى العالم كله أفواجاً يعدون أحياناً في اليوم الواحد بآلاف في بعض الظروف والمناسبات خاصة عند الحوادث وعند المناسبات الإسلامية التي يكون فيها لفت نظر للإسلام .

فإذاً: هؤلاء كانوا على الشرك والكفر ثم تابوا ، فالأحياء لا يتأتي الحكم إلا على حالهم التي عليها ومصائرهم في الآخرة كذلك، كيف تستطيع أن تحكم بحكم على شخص وهو لم يمت ؟

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم – وآله، ورضي الله عن صحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

بعون الله وتوفيقه نستأنف هذا الدرس كالمعتاد بعرض سؤالين على الأخوة المشاهدين والمستمعين ثم بعرض بعض الأسئلة على الطلبة الحضرين .

السؤال الأول: للمشاهدين هو مع تعريف الإيمان شرعاً؟

والسؤال الثاني : هل يثبت الإسلام وحقوق المسلم لمن لم يقر بالشهادتين، وما الدليل على ذلك ؟

أما أسئلة الحاضرين فأولها: ذكر السلف أن من الإيمان عمل الجوارح، فما المقصود بعمل الجوارح؟

المقصود بعمل الجوارح هو فعل المأمورات وترك المنهيات

أي نعم : فعل المأمورات وترك المنهيات .

هل من الممكن أن تضرب لى مثالاً بالمأمورات أعلاها وأدناها؟ المأمورات كالصلاة .

وما دون الصلاة مثلاً من المأمورات من السنن ؟ مثل السواك .

سؤال آخر: هل كل مسلم مؤمن ؟ ولماذا ؟

ليس كل مسلم مؤمناً، درجات الإيمان، الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية

يعني معنى هذا أنه ليس كل مسلم مؤمناً لأنه قد يدعي الإسلام المنافق الذي لا يؤمن .

أيضاً هناك سؤال فيما يتعلق بمفهوم الإسلام والإيمان، متى يفترقان من بعض الوجوه ؟ ومتى يجتمعان؟

إذا اجتمعا تفرقا وإذا تفرقا اجتمعا، يعني إذا اجتمعا ينصرف الإسلام إلى الأعمال الظاهرة إذا جاء ذكرهما في سياق واحد .

فالإسلام يعني الأعمال الظاهرة، والإيمان ؟

والإيمان ينصرف إلى الأعمال الباطنة

وإذا افترق كل منهما وجاء مفرداً ؟

إذا افترقا اجتماعا، يعني إذا ذكر الإسلام فقط فإنه يشمل الإسلام والإيمان، وكذلك الإيمان

الآن قبل أن نبدأ الدرس الجديد أحب أن أذكر الخلاصة التي تهم الجميع في معنى الإيمان؛ لأنه – أحيانا– الاستطراد في ذكر بعض المسائل قد يشتت الأذهان فأقول: الإيمان كما هو مقتضى النصوص نصوص الكتاب والسنة وفهم الصحابة وسلف الأمة هو الاستقامة على دين الله – عزّ وجلّ – اعتقاداً وقولاً وعملاً وعلى هذا فإن المسألة المتعلقة بالإيمان –كما ذكرت سابقاً– تعتبر أربع مسائل رئيسة:

المسألة الأولى: تعريف الإيمان وحقيقته وهو: أنه قول وعمل، أي أنه يشمل الاعتقادات القلبية التي تبدأ بمحبة الله – عزّ وجلّ – وخوفه ورجائه واليقين والتقوى وما ينتج عن ذلك من الورع والإنابة...... إلى آخره من الأمور التي هي في قلب الإنسان أو في قلب المسلم فيما بينه وبين ربه وما ينتج عن ذلك في تعامله مع ربه ومع الآخرين، ثم ينتقل ذلك أيضاً إلى القول : ويدخل فيه أولاً / الشهادتين قول اللسان النطق بالشهادتين وكل قول مشروع يتضمن الذكر والطاعة مثل تلاوة القرآن والأذكار والتسبيح والتهليل وغير ذلك كلها داخلة في الإيمان القولي وكذلك الأعمال: التي هي الحركات التي يتحرك بها الإنسان في طاعات الله – عزّ وجلّ – ائتماراً أي فعلاً أو انتهاءً أي تركاً هذه المسألة الأولى .

المسألة الثانية : دخول الأعمال في مسمى الإيمان والمقصود بذلك أن الأعمال تدخل في مفهوم الإيمان شرعاً وعلى هذا فالإيمان يشمل الأمور الاعتقادية العلمية والأمور العملية ومن هنا– كما قلت – مجموع الدين التزام الشرع ، الاستقامة على دين الله ظاهراً وباطناً علماً وعملاً.

المسألة الثالثة : زيادة الدين ونقصانه، وهذا أمر طبيعي كما قلنا: إن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان حتى الأعمال القلبية وهي تزيد وتنقص، الأعمال القلبية قد تصل إلى مجرد التصديق وقد تكون مع التصديق اليقين، هذه زيادة .

كذلك الأعمال، الأعمال تزيد بكثرة الطاعات والذكر والتلاوة وغير ذلك فكلما ازدادت الأعمال– سواء كانت قلبية أو عملية– ازداد الإيمان، وكلما نقصت، نقص الإيمان .

إذاً: المسألة التي نحن فيها هو أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وبفعل المأمورات وينقص بالمعاصي وبفعل المنهيات .

ثم المسألة الآخيرة : الاستثناء في الإيمان وهذه مسألة في الحقيقة يعني قلَّ أن يحتاجها المسلم الذي عادة أخذ دينه بمقتضى الفطرة إنما هي مسألة نشأت من وجود أناس لما حصروا الإيمان في القلب، زعموا أنه لا يجوز أن يستثني فيه المسلم لأنه ما دام يشعر باليقين والتصديق فلا داعي أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله .

لكن ليس هذا هو المقصود من الاستثناء، أعني: أننا حينما نستثني لا نستثني ما ندركه ونشعر به ؛ فإن كل مسلم حينما يُسأل عن إيمانه؛ لأنه يشعر بأنه مصدق وعلى هذا فلا يستثني هذا الأمر، إنما يستثني المصير الذي ينتهي إليه، وإن شاء الله من باب التفاؤل، فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله، يعني أرجو أن الله – عزّ وجلّ – يثبتي على الإيمان .

لماذا يستثني؟ لئلا يتأله على الله، لئلا يزكي نفسه، لا لأنه يستثني ما يشعر به الآن ما تشعر به الآن من الإيمان والتصديق تعبر عنه بجملة تقيده بالمشيئة، لكن المشيئة متعلقة، أي تعليق الإيمان بمشيئة الله متعلق بمستقبل الأمر بمصير الإنسان ، ومآله بما يموت عليه، فلذلك ينبغي عليه ؛ لئلا يتأله على الله ولا يصيبه الغرور يرجع الأمور إلى مشيئة الله وهذا تفويض لله – عزّ وجلّ – يدل على قوة الإيمان، يدل على التشكيك كما يظن الذين يزعمون أن الاستثناء في الإيمان يدل على التشكيك .

هذه الخلاصة أردت أن ألخص بها الدرس السابق؛ لأنه يبدو لي أنه تشعبت فيه الأحاديث ربما يحتاج إلى هذه الخلاصة .

والآن نبدأ في درسنا درس اليوم وهو في فقرتين :

الفقرة الأولى : في القرآن وكلام الله – عزّ وجلّ – .

والفقرة الثانية : في القدر .

الفقرة الأولى تحت عنوان خامساً .

(خامساً القرآن الكريم، أولاً: القرآن: كلام الله – حروفه ومعانيه – منزلٌ غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، وهو معجز دال على صدق من جاء به – صلى الله عليه وسلم – ومحفوظ إلى يوم القيامة) .

نعم هذه القاعدة الأولى فيما يتعلق بالقرآن الذي هو من كلام الله – عزّ وجلّ – كلام الله لا يحده حد، الله – عزّ وجلّ – يتكلم متى شاء ،بما شاء، ويكلم من شاء، والقرآن هو من كلام الله ولذلك قُرِنَ القرآن بالكلام ؛لأن صفة الكلام لله – عزّ وجلّ – من الصفات الثابتة لله ومنها ما هو من الصفات الذاتية اللازمة لله ، ومنها ما هو يتعلق بإرادة الله، ومشيئته. وأعني بذلك: أن الله – عز وجل – موصوف بالكلام، وهذا كمال، وأن كلامه الذي هو من صفة ذاته، يعني: أنه – سبحانه وتعالى – متكلم متى شاء وكيف شاء ونقول بأن كلام الله – عزّ وجلّ – يحدث متى شاءة، بمعنى: أنه متعلق بمشيئته، يعني أن الله – عزّ وجلّ – إذا أراد الكلام فإنه يتكلم كما يريد وعلى هذا فإن القرآن من كلامه – سبحانه وتعالى – .

والقرآن هذا هو الذي بين أيدينا كلام الله – عزّ وجلّ – الذي أنزله الله هدىً وشفاءً وأنزله منهاجاً للأمة يحكم حياة الفرد والأسرة والمجتمع والدولة والبشرية جمعاء لمن اهتدى به. القرآن إنما أنزل ليتلى وليتدبر وليعمل بمقتضاه .

أنزله الله – عزّ وجلّ – لأنه هدى تهتدي به القلوب وتستنير به العقول وتسترشد به الجوارح والأعمال ؛ ولذلك كما أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – بتلاوته وحفظه فقد أمرنا بتدبره أي تأمل معانيه، فما كان منها من أمور العقائد آمنا به جزماً ومن الأخبار صدقنا به وما كان به من أوامر ائتمرنا بها – بقدر الاستطاعة– وما كان فيه من نواهي انتهينا– بقدر الاستطاعة– وما كان فيه من قصص وعبر ومواعظ فيجب أن نستفيد منها بما يصلح لنا أحوال قلوبنا وأعمالنا وشئوننا في حياتنا كلها .

ولذلك فالقرآن دستور الأمة. وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – متفرعة عن القرآن ؛لأن القرآن أجمل والسنة فصلت في كثيرمن الأمور ولأن القرآن أمرنا بالأخذ بسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – كما قال – سبحانه–: ﴿ وما آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[الحشر:٧].

القرآن كلام الله على الحقيقة . وما معنى الحقيقة ؟ أي أن الله – عزّ وجلّ – تكلم بالقرآن حقيقة كما يليق بجلاله – سبحانه وتعالى – من غير تكييف من غير قياس، من غير إقحام للخيالات والأوهام التي يتخيلها بعض الناس عن كيفية الكلام وهذا في جميع أفعال الله وصفاته وأسمائه فإنها لا تُكيَّف، لكن لها حقائق وهذا هو الفارق بين السلف وبين أهل الأهواء والبدع الذي خاضوا في كلام الله وقالوا فيه قولاً لا يليق بالله – عزّ وجلّ – بل فيه من سوء الأدب، بل فيه من استنقاص كمال الله – عزّ وجلّ – ما لا يليق لماذا؟ لأنهم ما أثبتوا كلام الله على الحقيقة، وأن القرآن كلام الله حقيقةً بحروفه ومعانيه من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تكييف .

وأن هذا القرآن الذي بين أيدينا منزل من الله – عزّ وجلّ – غير مخلوق لماذا قلنا: غير مخلوق ؟ لأن القرآن كلام وكلامه صفته وصفات الله لا شك أنها غير مخلوقة؛ولأن السلف حينما استقرءوا نصوص القرآن والسنة في حقيقة القرآن ثبت عندهم بقطعيات النصوص والإجماع أن القرآن منزل وأنه غير مخلوق .

وكانت هذه القضية بدهية في عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى أن ظهرت الأهواء العقلانية الفلسفية التي تقرر الدين بمجرد العقول والخيالات والتخرص، وهذا منشؤه الأخذ بمسالك الفلاسفة الذين منهم من وصفهم الله – عزّ وجلّ – بالخراصين وذمهم في قوله – سبحانه وتعالى – ﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴾[الذريات:١٠-١١].

فمن التخرص القول في القرآن خصوصاً وفي كلام الله عموماً بغير ما ثبت في النصوص وبمقتضى الآراء والاجتهادات التي لا يمكن أن تقرر في هذا الأمر شيئاً لأن هذه الأمور توقيفيه، فكلام الله غيب ،وتكلمه بالقرآن غيب، وكيفية كلامه – سبحانه وتعالى – غيب، لا يمكن أن تدركهذه الأمور ولا يمكن أن تقاس بأفعال البشر لأن الله – عزّ وجلّ – ليس كمثله شيء .

ومن ذلك في كلامه – سبحانه وتعالى – فإنه تكلم وليس كمثل كلامه شيء ولا يتكلم كما يزعم الزاعمون بالكيفية التي تكلم بها الخلق، بل إنه – عزّ وجلّ – أنزل القرآن، والقرآن غير مخلوق(منه بد) ما معنى منه بدأ؟ يعني: أن الله – عزّ وجلّ – تكلم به كما يليق بجلاله فمبدأه منه؛لأنه كلامه، وكلامه صفته(منه بد) لم يبدأ من مخلوق ، كما يزعم أهل الأهواء الذين زعموا أن القرآن إنما عبر به جبريل عن مراد الله أو أن الله خلقه خلقاً في مكان ما وعلى هيئة ما، ثم تحول هذا الخلق إلى حروف ومعاني، أو أن الله خلق حروفه ومعانيه وتشكل منه القرآن. كل هذه من الأقوال الباطلة أو غير ذلك من المقالات التي تفسد العقيدة، والتي أيضاً فيها مصادمة لمعاني النصوص(منه بد) بمعنى أن الله تكلم به كما يليق بجلاله(وإليه يعود) فقد ثبت في الآثار الصحيحة أنه حينما تنتهي الدنيا ويقبض الله المؤمنين ولم يبقَ في الدنيا إلا شرار الخلق لا يبقى من يقول الله ــ الله،ولا يبقى من يعمل بالقرآن عند ذلك يرفعه الله إليه .

(وهو– أي القرآن– معجز) معنى معجز: أنه لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله، لا بآية ولا بأكثر من آية وفعلاً لا يزال التحدي قائماً ، ولم يزل إلى قيام الساعة على وجه قطعي ولذلك فعلاً رغم محاولات المشركين العرب الأوَل الذين يملكون زمام اللغة العربية محاولاتهم الجادة أن يحاكوا القرآن ومع ذلك لم يستطيعوا بأفرادهم ولا بمجموعاتهم ففضلاً عن من جاء بعدهم فإنه لا يمكن لأحد أن يأتي بمثله، (معجز)أيضاً إعجازه يتمثل بأمور كثيرة ، بإخباره بالغيب ،في إحكام ما جاء به من الأحكام من الأوامر والنواهي، في قصصه، في نظمه، في معانيه، في سبكه، في جميع ما يصدر عن هذا القرآن من معاني وأحكام وأخبار وغير ذلك فإنه معجز من جميع الوجوه.

هذا الإعجاز أي كونه لا يمكن أن يأتي أحد بمثله كان دلالة من دلالات نبوة النبي – صلى الله عليه وسلم – ولا يزال– إلى يومنا هذا– من دلالات نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – لأنه لا يستطيع أي أحد أن يأتي بمثله من جميع الوجوه، (ودليل على صدق) كل ما جاء به النبي – صلى الله عليه وسلم – حتى مما جاء به من أقوال وأفعال وتقريراته وأخباره – صلى الله عليه وسلم – التي ليست من القرآن؛ لأن القرآن صدقها .

ثم أيضاً أنه(محفوظ) بأن الله – عزّ وجلّ – تكفل بحفظه من التحريف والزيادة والنقص والتبديل ومن أن يرفع إلى قيام الساعة أي إلى أن لا يعمل به تنتهي الدنيا فلا يكون لبقائه فائدة، من هنا يرفعه الله – عزّ وجلّ – حينما لايبقى مؤمن. فهو محفوظ إلى قيام الساعة .

(ثانيا الله – سبحانه وتعالى – يتكلم بما شاء متى شاء كيف شاء وكلامه تعالى حقيقة بحرف وصوت والكيفية لا نعلمها ولا نخوض فيها).

هذا سبق الإشارة إليه يعني إن الله – عزّ وجلّ – كلامه متعلق بمشيئته متى شاء تكلم – سبحانه وتعالى – وأيضاً كيفية كلامه لا نعلمها وكلامه –تعالى –حقيقة ليس مجازاً ولا تمثيلاً ولا تخييلاً ولا غير ذلك مما يتوهمه المتوهمون ، فهو حقيقة، لكنه حقيقة ، لا كل الحقائق المعلومة عند الناس .

بعض الناس يظن أن معنى حقيقة أنه كالحقائق التي نعلمها لا حقيقة أعظم من الحقائق التي ندركها بمداركنا، بحواسنا فمن هنا أفعال الله لا يمكن أن تدركها الحواس، وحقيقتها بمعنى أنها حق على ما يليق بجلال الله – سبحانه وتعالى – ولا يعني بالحقيقة المعدومة التي ترد إلى الناس من خلال تجاربهم المادية أو وسائل العلم الحديث أو المدارك والحواس التي هي في متناول البشر فحقائق صفات الله فوق متناول البشر إنما هي حقائق لائقة بالله – سبحانه وتعالى– والكيفية لا نعلمها– ولا شك – ولا نخوض فيها بمعنى أنه من الاثم أن نتكلم عن هذه الأمور بأكثر مما ورد في الكتاب والسنة؛ لأنه يقال: كيف؟ ولا يقال: لماذا؟ ولا يقال: أيضاً قصدي لا تفترض الأسئلة والإجابة عليها مجرد افتراض .

ولذلك السلف كانوا قبل أن تنشأ البدع والأهواء والكلام في الغيبيات كانوا لا يتصورون أن مسلماً يسأل عن مثل هذه الأمور مجرد سؤال لأن الأمة كانت على الفطرة وكان الناس كلهم يتهيبون الكلام في الله – عزّ وجلّ – بأكثر مما ورد في الكتاب والسنة .

ولذلك لما سئل الإمام مالك عن كيفية بعض صفات الله – عزّ وجلّ –: أصيب بشيء من القشعريرة من تعظيمه لله – سبحانه وتعالى – وأصيب بالذهول من هذا السؤال المفاجئ الذي لا يليق بالله وعلَته الرحضاءُ وكاد أن يخشى عليه من شدة السؤال .

كيف يجرؤ مسلم أن يسأل عن كيفية صفة لله – عزّ وجلّ – ؟".

حينما سأل أحد المشاغبين عن الله – عزّ وجلّ – كيف استوى ؟ أمر عظيم، أخي المسلم هذا أمر غيبٍ كيف تسأل عن كيفية الاستواء وأنت تدري وتجزم أن الكيفية لا يعقلها أحد .

إذاً السؤال هو تطاول على حق الله وسوء أدب وطمع في إدراك ما لا يدرك من أمر الغيب، فمثله أيضاً السؤال عن كيفية كلام الله ولذلك لما سأل هذا المشاغب الإمام مالك، الإمام مالك استعظم الأمر واقشعر جلده من تعظيم الله – عزّ وجلّ – وعلته الرحضاء فلما أفاق قال :

الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعاً أخرجوه لأنه فتق باب فتنة على المسلمين في سؤال أمر غيب يتعلق بالله – عزّ وجلّ – وصفاته وأفعاله .

ومن هنا أيضا الكلام أو مجرد إنشاء السؤال كيف يتكلم الله؟ هذه بدعة وسوء أدب مع الله كيف يتكلم بالقرآن؟ كذلك بدعة وسوء أدب مع الله – عزّ وجلّ – فيجب على المسلم– دائماً– أن يكف عن السؤال في الغيب عمَّا لا يدخل في ظاهر النصوص وقواعدها المقررة عند السلف.

(ثالثاً: القول بأن كلام الله معنى نفسي أو أن القرآن حكاية أو عبارة أو مجاز أو قيد أو ما أشبهها ضلال وزيغ وقد يكون كفرا، والقول بأن القرآن مخلوق كفر) .

نعم يعني بذلك ما قالته بعض الفرق التي خرجت عن نهج السنة وعن نهج القرآن ونهج أحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم – ونهج الصحابة والتابعين وسلف الأمة في تقرير مُسلَّماتِ الدين وثوابته في تقرير الحق فيما يتعلق بكلام الله – عزّ وجلّ – وهو صفة من صفاته عموماً وبالقرآن على وجه الخصوص لما ظهرت هذه الأهواء والفرق– كما قلت– كان منشأها الجرأة على تقرير الدين بمجرد الرأي، الجرأة على إدخال مسالك الفلاسفة التي تتبني على الأوهام والتخرصات في أمر الغيبيات ،إدخالها على المسلمين فنشأت مذاهب تتكلم في أمور فوق مدارك البشر منها التعبير عن كلام – عزّ وجلّ –.

فمنهم من قال: إن كلام الله معنى نفسي هذه بدعة فإن كلام الله حقيقة لكن لماذا قالوا: معنى نفسي ؟ أرادوا بذلك أن يهربوا من إثبات أن يكون الله – عزّ وجلّ – تكلم حقيقة كما يليق بجلاله فقالوا: الكلام إنما هو معانٍ نفسية فهمها – مثلاً– جبريل أو ملك من الملائكة أو أن الله – عزّ وجلّ – حولها بطريقة أخرى فتمثلت في حروف وأصوات لم يتكلم بها الله، بمعنى أنهم يزعمون أن القرآن والكلام هو معاني في نفس الله – عزّ وجلّ – لم يتكلم بها إنما تكلم بها غيره تعبيراً عن مراد الله وهذا كله هروب من إثبات صفة الكلام لله – سبحانه وتعالى – .

وكذلك مثلها القول بأن القرآن حكاية أو عبارة عن كلام الله أيضاً هذا هروب من إثبات كلام الله ،كأنهم زعموا أن القرآن ترجمة حكاية عن كلام الله وهذا فيه استنقاص لله – عزّ وجلّ – وفيه أيضاً استهانة بالقرآن، وكذلك القول بأنه عبارة أو مجاز أو فيض. الفيض أيضاً معنى فلسفي يقصد به أنها معان فاضت على عقول معينة هذه العقول تحولت المعاني منها إلى أن ترجمها المتكلمون ممن تكلموا من ملائكة وبشر أو أنها خلقت أصواتاً أو أن أصحاب العقول عبروا بها عن كلام الله بكلام البشر إلخ فكلها فلسفات تبعد المسلم عن اليقين وعن حلاوة الإيمان وتوقعه في الإثم والبدعة وكل ذلك ضلال وزيغ .

ويكفيني أن أشير إلى معنى واحد أو نتيجة واحدة من النتائج السلبية لمثل هذه المقالات يعني لو أن – لا قدر الله– مسلماً دخلت في ذهنه هذه الشبهة وتصور أن الله – عزّ وجلّ – لم يتكلم بالقرآن، وأن الذي تكلم به غيره.هل يبقى للقرآن قداسة ؟ لأن هذا الغير الذي تكلم بالقرآن هو مخلوق حتى لو كان جبريل– كما يقول بعضهم– فإذا استشعر المسلم أن الذي تكلم بالقرآن هو جبريل لم يكن للقرآن قداسة وعصمة؛ لأن جبريل مخلوق، أليس كذلك؟

ولذلك – فعلاً– هذه الفرق التي تقمصت هذه البدع والضلالات وأخذت بها استهانت بالقرآن وجرأت على تأويله على غير التأويل الشرعي وجرأت على القول بأن القرآن مجازات وأنه معاني غير مقصودة وأنه إشارات وجرأ أهل التأويل وهم الباطنية على القرآن؛ لأنهم لا يعتقدون أنه كلام الله.

فمن هنا يفقد العصمة والقداسة والإجلال فلا شك أن المسلم الذي يشعر أن القرآن كلام الله هذا الذي بين أيدينا الذي نتلوه هو كلام الله –على ما يليق بجلاله– إذا استشعر المسلم هذا المعنى عظَّمَ القرآن وهابه من أن يتجرأ عليه، لكن إذا استشعر أنه معاني عبر عنها خلق من خلق الله فصارت قرآناً فإن هذا ينقص من قيمة القرآن بالفطرة ومقتضى العقل السليم .

(رابعاً: من أنكر شيئاً من القرآن أو ادعى فيه النقص أو الزيادة أو التحريف فهو كافر).

من أنكر شيئاً من القرآن سواء من حروفه ،ألفاظه، آياته، سوره، أو أنكر شيئاً من قطعيات القرآن ولو أقر بألفاظه، من أنكر شيئاً من قطعيات القرآن – فضلاً أن يدعي فيه النقص أو الزيادة– فإذا ادعى النقص قد يكون ادعى نقص حرف أو كلمة أو عبارة أو آية أو سورة وكذلك ادعى الزيادة .

قد يدعي أحد أن القرآن الذي بين أيدينا ليس هو القرآن كله، كما تدعي بعض الفرق أن هناك مصحفاً عند بعض أئمة أهل البيت أو أن هناك سوراً وآيات وقد رأينا في كتبهم ينشرونها خفية وبعضهم بدأ يعلن سوراً يزعمون أنها من القرآن، ليست من القرآن الذي يتلى بين أيدينا .

ولذلك بعض عقلائهم استهولوا هذا الأمر وأنكروه. فإذا: القرآن كامل محفوظ بجميع معاني الحفظ ولذلك ما من أحد يحاول التطاول على القرآن إلا والله – عزّ وجلّ – يهيئ للقرآن من يحفظه وأيضاً الله– عزّ وجلّ – يمكر بكيد الكائدين بمعنى أنه لا يستطيع أحد ولم يستطع ولن يستطيع أن يجرؤ على القرآن .

وما من محاولة عرفناها في تاريخنا المعاصر أو قبله لأي تغيير في القرآن إلا وتبوء بالفشل في مهدها ولذلك لا يوجد على الإطلاق – بحمد الله– مصحف بين المسلمين يشتمل على شيء من الزيادة والنقص .

(خامساً : القرآن يجب أن يفسر بما هو معلوم من منهج السلف ولا يجوز تفسيره بالرأي المجرد فإنه من القول على الله بغير علم. وتأويله بتأويلات الباطنية وأمثالها كفر).

نعم القرآن جاء هدى وشفاء ومنهاجاً وشرعة يعني شريعة للأمة بأفرادها وأسرها ومجتمعاتها ودولها بل للبشرية جميعاً .

ولذلك فهو منهج اعتقادي وعملي يجب أن يحكم حياة الناس ولا يحكم حياة الناس إلا بتفسير له لأن القرآن كلام الله – عزّ وجلّ – يحتاج إلى أن تسنبط منه القواعد والأحكام التي يرجع إليه المسلمون في تطبيقاتهم وأعمالهم بأفرادهم ومجموعاتهم؛ فمن هنا لابد من تفسيره لكن من الذي يفسره ؟

القرآن:

أولاً: يخضع لمنهج الاستدلال الذي أشرت إليه في الدرس الأول .

والثاني: وهو أن القرآن يجب أن يفسر بالقواعد المتفق عليها عند أهل الحق بصرف النظر عما أحدثه أهل الباطل والزيغ فإنهم قد يفسرون القرآن على مناهج غير مناهج السلف الصالح مناهج المؤمنين، فإذاً: تفسيراتهم غير معتبره ؛لأن التفسير المعتبر للقرآن هو:

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن على مقتضى قواعد الاستدلال التي ذكرتها.

ثانياً: تفسير القرآن بسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – القولية والفعلية والتقريرية .

ثالثاً: تفسير القرآن بالتطبيقات للمجتمع المسلم في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – فإن أكثر القرآن طبقه النبي – صلى الله عليه وسلم – بمفرده وبالجماعة التي كانت في عهده – صلى الله عليه وسلم – جماعة الصحابة .

فأما بمفرده فإنه كما قالت: عائشة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – (كان خلقه القرآن) يتمثل القرآن في سلوكه وأعماله ،في علاقته بربه، في علاقته بمن حوله، في علاقته بالخلق فهذا– إذاً – تفسير قطعي للقرآن.

رابعاً: تفسير القرآن بفعل الصحابة ،بتفسيرات الصحابة، بمفاهيمهم، وتفسيراتهم، وتطبيقاتهم فإن هناك كثيراً من أحوال الناس استجدت بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – في عهد الخلفاء الراشدين لأن الأمة في عهد الخلفاء الراشدين عاشت ما يشبه الطفرة في نشر الإسلام يعني زادت رقعة الأمة الإسلامية أضعافاً، وزادت

أعداد الأمم التي دخلت في الإسلام كماً وكيفاً جغرافياً وأممياً بأضعاف ما كانت في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – فهذا احتاج إلى ممارسة تصديقات للدين لابد أن تؤخذ بمقتضى النصوص، طبق الصحابة في عهد الخلفاء الراشدين أكثر صور مناهج الدين، فمن هنا يكون فعلهم حجة، هو تفسير للقرآن لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال لما ذكر الاختلاف قال: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي) ثم أيضاً تفسير القرآن بفهوم الصحابة على مقتضى اللغة لأن الصحابة أصحاب لغة يفقهون العربية فقهاً فطرياً ذاتياً غير متكلف، ما كانوا يحتاجون أن يدرسوا القواعد والنحو كما ندرس ولذلك يكون فقهنا للغة – مهما بلغنا في الدراسة وتعمقنا– لأن أولئك كانوا عرباً بالسليقة،فكانوا يفسرون القرآن وتفسيرهم تراث موجود الآن عظيم بين أيدينا، تفسير قولي وفعلي ،وتفسير تطبيقات.

خامساً: تفسير القرآن أيضاً بفهم السلف الصالح على مناهج الدين ومقتضى القواعد المعتبرة في التفسير.

– ولا يجوز تفسير القرآن بالرأي المجرد. الرأي السليم يستخدم في استنباط المعاني من القرآن في الأمور الاجتهادية، أقول هذا لأن بعض الناس يظن أن السلف يحجرون على الرأي، لا بل السلف هم أفضل من يستخدم الرأى على وجهه، بل إنهم استخدموا أقصى ما يمكنهم من طاقة في الاستفادة من الرأي والعقل السليم على وجه شرعي سليم فمن القول بالرأي المذموم هو أن يقول الإنسان في تفسير القرآن برأيه المجرد من غير مراعاة لقواعد التفسير ، ومن غير أهلية كأن لا يكون عنده العلم الكافي والرسوخ .

أما إذا توفر عند العالم الأهلية والرسوخ والقدرة فإن استخدام الرأي في استنباط الاجتهاديات هذا يسمى اجتهاداً ؛ لأن الرأي المذموم فهو الرأي المجرد من استعمال القواعد الصحيحة في الاستدلال .

الرأي المجرد أي الرأي الذي لا يكون سائغاً لا يكون على وجه شرعي صحيح هو من القول على الله بغير علم، والله – عزّ وجلّ – ذم ذلك وجعله قرين الشرك ونهي عنه في قوله – سبحانه وتعالى – ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾[الاسراء:٣٦] .

ثم أيضاً من الأمور التي وقعت فيها الفرق الضالة المنحرفة تجاه كلام الله – عزّ وجلّ – التكلف في تأويلاته على غير منهج شرعي إلى حد أنهم تجاوزوا المعاني اللغوية– الغلاة منهم–كتأويلات الباطنية لكثير من ألفاظ القرآن وآياته. تأويلات الباطنية عجيبة هي قلب للمفاهيم تماماً جعلوا الإيمان كفراً والكفر إيماناً جعلوا الحق باطلاً والباطل حقاً، نكثوا وقلبوا حتى المعاني العربية . ولنضرب لهذا أمثلة يسيرة من تأويلاتهم الضالة مثلا: تأولوا أركان الدين بأئمتهم–شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله والصلاة والصيام الحج– قالوا: هؤلاء الأئمة.

يعني نفس الأركان كأنهم يقولون: إنها إشارة إلى أئمتنا. من أئمتكم؟هم– أيضاً غالباً– يعيشون في سراديب الظلام من منهجهم أن يعيشوا تقية وأن يعيشوا مع الناس بالنفاق؛ فأولوا أركان الإيمان وأركان الإسلام للأئمتهم من أئمتهم؟ هذه أيضاً تجتمع على ضلالات عجيبة وأمور مضحكة يعني سخافات فعلاً بكل معنى الكلمة.

أيضاً بل فسروا بعض صفات الله بأنها تعني الأئمة: صفة اليد صفة الوجه كل هذا يد الله إمامهم وأئمتهم يختلفون عليهم .

وكذلك مثلاً بعض ألفاظ القرآن مثل الرقيب والعتيد الذي هو وصف لبعض الملائكة أيضاً وصفوهم بالأئمة الجبت والطاغوت قالوا: أبو بكر وعمر فمن يعقل هذا؟ كيف يكون أبو بكر وعمر أفضل البشر بعد النبيين يكون معناهما الجبت والطاغوت؟ يعني هذا لا لغة ولا ذوقاً ولا عرفاً ولا شرعاً ولا على أي اعتبار، لكن المسألة عندهم مسألة قلب المفاهيم .

المستقر والمستودع الأئمة النطقاء، بسم الله الرحمن الرحيم قالوا معناها الأئمة السبعة، يعني على أي وجه؟ يعني أمر لا يرد في ذهن عاقل. وما من دابة في الأرض قالوا: هذه دعاتهم قالوا: الصوم كتمان يعني علم الباطن وليس الصوم هو الكف عن الطعام والشراب والمنهيات والإمساك من كذا إلى كذا .

لا .يقولون: الصوم كتمان علم الباطن .

الحج إتيان الإمام أو الأئمة– أئمتهم– طبعاً ليس الإمام بمفهومنا الذي نعرفه هم يعيشون ظلاماً في ظلام وسراديب في أفكارهم وفى واقعهم وحالهم، نسأل الله العافية .

إذاً هذه نماذج من تأويلات الباطنية وعليه قس.

فتأويلات القرآن بتأويلات الباطنية زيغ و كفر وضلال .

والآن ننتقل إلى الموضوع السادس وهو القدر .

(سادسا: القدر: أولاً: من أركان الإيمان الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى ويشمل الإيمان بكل نصوص القدر ومراتبه، العلم والكتابة والمشيئة والخلق وأنه تعالى لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه)

نعم سبق الكلام عن كثير من هذه المعاني فلذلك لا أطيل، إنما أفرد القدر هنا لكثرة من زاغوا فيه ولكثرة الشبهات التي ترد على المسلم سواء شبهات ذاتية تنشأ من وساوس الشيطان أو من التخيل أو من بعض الأمراض النفسية وغيرها لأن الإنسان أكثر ما يتعرض في مسألة الغيبيات في وساوس القدر طبعاً شبهات ترد من الآخرين أو مما يسمع أو مما يقرأ أو شبهات تنشأ من نفسه أو من عادة الشيطان به .

فذلك سأركز على هذه الجوانب المتعلقة بالممارسات الخاطئة تجاه القدر خاصة ما يتعلق بالأوهام والوساوس.

أولاً: ينبغي لكل مسلم أن يعتقد أن الله قدَّر كل شيء . كل شيء بتقدير الله ،الخير والشر، بعض الناس قد يتساءل – وهذا نشأ عنه أي هذا السؤال نشأ عنه ضلالات وقعت فيها أمم كبرى في التاريخ، المجوسية وطوائف من أهل الكتاب، طوائف من الأمم الضالة كثيرة أخطأت في تصور معين وهو أنهم زعموا أنه لا ينسب تقدير الشر إلى الله – عزّ وجلّ – زعموا أن هذا لا يليق وما علموا أن هذا استنقاص لله – عزّ وجلّ – لأن هذا الشر موجود فلابد أن يكون له موجد فإذا ما كان الله – عزّ وجلّ – أوجده ابتلاءً وفتنةً. فإذاً: يكون هناك خالق مع الله ،هذا لا يقر به عاقل، ولا صاحب فطرة سليمة ، ولا يمكن أن يرد في ذهن إنسان سوي فضلاً عن مسلم .

فإذاً: نقول الإيمان بالقدر يعني أن الله قدر كل شيء وهو قادر على كل شيء، لكن لماذا قدر الخير والشر؟ لماذا لم يقدر الخير كله ؟ هذا لحكمة بعضها ظاهر وبعضها غير ظاهر .

أما الظاهر فيتبين بمثل قول الله – عزّ وجلّ – ﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[الانبياء:٣٥]. ابتلاءً، الابتلاء لماذا ؟ ﴿ ليميز الله الخبيث من الطيب﴾ ولذلك الله – عزّ وجلّ – قرر هذا باستنهاض الفطرة،باستنهاض العقل السليم في أسئلة ومقدمات عقلية مبسطة جداً تقرر عند الإنسان التمييز بين الحق والباطل وتقرر عند الإنسان الحكمة من الله – عزّ وجلّ – في التمييز بين الشر والخير وأن الله – عزّ وجلّ – أوجد هذا وهذا ليميز الخبيث من الطيب مثل قوله – عزّ وجلّ – ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم:٣٥] وكقوله – عزّ وجلّ – ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ ﴾[السجدة:١٨].

ثم إن الله – عزّ وجلّ – أعطى الإنسان بفطرته الفوارق بين الخير من حيث منشئه ومن حيث الوقوع فيه ومن حيث نتيجته وبين الشر من حيث منشئه والوقوع فيه ونتيجته هذه أمور قد يجيدها كل صاحب فطرة وهذه النزعة موجودة عند كل إنسان حتى اللذين مثلا لا يلتزمون الأديان نجد عندهم بقايا من ثوابت عقلية وفطرية يميزون فيها بين الخير وبين الشر، بين الرذيلة وبين الفضيلة ويدركون أن هناك حكمة فعلاً من وجود هذا وذاك فلو لم يوجد الشر لم يتميز الخير لو لم يوجد الباطل لم يتميز الحق والهدى وهكذا .

فإذاً: ذلك كله لحكمة الخير والقدر خيره وشره من الله – عزّ وجلّ – وسبق أن ذكرت معنى كون أن الله – عزّ وجلّ – مقدر كل شيء أنه ينبني على وجوب الإيمان بجميع مراتب القدر الأربع وبهذا تكتمل في المسلم القناعة التامة واليقين التام–إن شاء الله– في أن الله بيده مقادير كل شيء وذلك راجع للمراتب الأربع التي هي:

١– أن تؤمن وأن تجزم بأن الله عليم بكل شيء فهو بكل شيء عليم، ما كان وما يكون وما سيكون كيف يكون عليم بالدقيق والجليل لا تخفى عليه خافية – سبحانه وتعالى – عليم ليس فقط بما في الصدور بل حتى عليم – سبحانه وتعالى – بذات الصدور وهو أعمق مما في الصدور فإذاً: لا يخفى عليه شيء ألا يعلم من خلق هو اللطيف الخبير، هذا بديهي .

٢–ثم بعد ذلك أن الله كتب مقادير كل شيء الخير والشر .

٣–ثم إن الله – عزّ وجلّ – شاء كل شيء وأراده كل شيء بمشيئة الله وإرادته.

٤– ثم إن الله خالق كل شيء .

هذه المراتب الأربع ، إذا استشعرها المسلم وغرسها في قلبه يسلم من كثير من غوائل شبهات القدر وأيضاً وساوس الشيطان، ثم من أسياسيات القدر أن تعلم أنه – عزّ وجلّ – لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا يتعقبه أحد، لا أحد يقول لماذا؟ وكيف؟ نعم .

(ثامناً: الإرادة والأمر الواردان في الكتاب والسنة نوعان :

أ) إرادة كونية قدرية بمعنى المشيئة وأمر كوني قدري .

ب) إرادة شرعية لازمها المحبة وأمر شرعي وللمخلوق إرادة ومشيئة ولكنها تابعة لإرادة الخالق ومشيئته)

(إرادة شرعية لازمها المحبة وأمر شرعي وللمخلوق إرادة ومشيئة ولكنها تابعة لإرادة الخالق ومشيئته (

الإرادة والأمر يكون فيهما شيء من اللبس عند كثير من الناس يعني ما يريده الله وما يأمر به فأما الإرادة فهي في حق الله – عزّ وجلّ – على نوعين في شيء يتعلق بالإرادة الكونية الطبيعية أو الكونية القصرية التي لا مجال فيها لتدخل البشر أو قدرتهم، الإرادة العامة التي هي أن الله – عزّ وجلّ – أراد للأشياء أن تكون على ما قرر وقدر وهي السنن التي لا تتبدل .

الإراد الكونية العامة المتعلقة بربوبية الله – عزّ وجلّ – في وضعه لأسس الخلق خلق السماوات والأرض وخلق الناس وكل الخلق .

فأنظمة الخلق خاضعة وسنن الخلق خاضعة للإرادة الكونية التي لا تتبدل ولا تتغير إلا بما يشاؤه الله – عزّ وجلّ – وهذه تتعلق بالمشيئة أن الله – عزّ وجلّ – إذا شاء شيئاً كان وهذا يسمى أيضاً يعني تنفيذه من قبل الله يسمى أمراً كونياً وهذا معناه أن الله – عزّ وجلّ – إذا أراد شيئاً الإرادة الكونية قال له: كن فيكون وبعضه يكون بالأسباب، إن الله – عزّ وجلّ – يقول للأسباب كن فتكون فالأسباب تكون لها مسببات ولذلك من القواعد الضرورية أن نعتقد أن الأسباب ليست أزلية، لا يمكن الدور في الأسباب؛ الأسباب تنتهي نعم الله – عزّ وجلّ – أوجد كثيراً من الأمور بالأسباب، وأسباب بعضها بالأسباب .

مثلاً الله – عزّ وجلّ – جعل حياة الناس سببها الماء والماء سببه المطر والبحار والبخار والسحاب وهكذا لكن إلى نهاية وهي إرادة الله الكونية قدره ومشيئته الكونية العامة .

فالإرادة ترادف المشيئة الإرادة الكونية قصدي وهي سنن الله الكونية وخلقه وقدرته ومشيئته التي تتعلق بالخلق تكويناً وبالخلق ربوبية وتنظيماً أي تدبير الخلق، والسنن الكونية تدبيرية راجعة إلى إرادة الله الكونية بمعنى المشيئة والقدر الكوني .

النوع الثاني من الإرادة :الذي يعني المحبة ، ما يريده الله يحبه ويرضاه لعباده فهذه تتعلق بالأعمال المشروعة، فالله يريد بالعباد الخير يريد بهم اليسرولا يريد بهم العسر فهذه تسمى إرادة شرعية متعلقة بأفعال العباد، لا يلزم أن تكون إرادة الله الكونية لابد أن تتحقق، إذا أراد الله شيئاً كوناً لابد أن يتحقق لكن إذا أراد شرعاً فإنه علقه بأفعال البشر، فالله أراد من هذا الإنسان أن يصلى لكن هذا الإنسان غلبت إرادة الله –عز وجل– بإرادته إن – صلى فقد تحقق مراد الله الذي هو محبته ورضاه إن لم يصلى لم تحقق مراد الله منه ولا رضاه.

إذن الإرادة الشرعية هي ما يحبه الله– تعالى– من الأعمال المشروعة وترك ما يبغضه الله –عز وجل– من الأعمال غير المشروعة، وهي –أيضاً– يدخل فيها الأمر الشرعي، الأمر الشرعي مراد لله، فالله حينما أمر بالصلاة وحينما أمر بالزكاة وحينما أمر بصلة الرحم وحينما أمر بحسن الخلق فيعني ذلك أن الله –عز وجل– أراده شرعاً ورضيه وأحبه لكن العباد قد يفعلون وقد لا يفعلون.

فمن هنا يتبين الإرادة الشرعية مرتبطة بأفعال العباد أما الإرادة الكونية فلا دخل لأفعال العباد فيها، ومن هنا الله –عز وجل– جعل للمخلوقين المكلفين إرادة ومشيئة لكنها تابعة لإرادة الله ومشيئته فلا يمكن أن يريد الناس ما لا يريده الله ولا يمكن أن يشاءوا إلا ما يشاءه الله وهذه مسألة تتعلق بالتكليف، بمعنى أن الله –عز وجل– كلف العباد وأراد منهم– شرعا– أن يفعلوا أشياء وأن ينتهوا عن أشياء ،هذه الإرادة جعل عندهم فيها قدرة على الفعل والترك ،هذه القدرة هي التي تتعلق بها محاسبة العباد، فإن فعلوا ما أراده الله شرعا فإن الله –عز وجل– يأجرهم بذلك،وإن لم يفعلوا فإن الله –عز وجل– يعاقبهم على عدم الفعل بشروط وضوابط.

(ثالثا: هداية العباد وإضلالهم بيد الله فمنهم من هداه الله فضلاً ومنهم من حقت عليه الضلالة عدل) بمعنى أن الله –عز وجل– يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وأن من هداه الله– عز وجل– فذلك بمنِّه وفضله وكرمه، ليس لأحد على الله دالة أو على الله فضل لا يمكن أن يقول: إن الله هداني بسبب أني فعلت كذا أو أني على الخصال الفلانية أو على المستوى الفلاني من الخُلُق لا يمكن إنما الهداية توفيق من الله وفضل لا يمكن أن يحصلها الإنسان بعمله ولا بمواهبه وكذلك الإضلال عادل من الله. لماذا هو عادل؟ لأن الله–عز وجل– ليس بظلام للعبيد، وهذا راجع إلى ما سبق أن قررته وأعيده لأهميته الآن، هو أن هداية الله لمن هداه من العباد –نسأل الله أن يجعلنا جميعاً هداة مهتدين وأن يميتنا على ذلك– فإن من أراد الله له الهداية فإن ذلك راجع إلى علم الله أنه سيهتدي، ليس المسألة تحكم ولا قصر للعباد فالله –عز وجل– لم يجبر العباد جبراً بما جبل أهل الخير على الخير، الجِبِلَّة والفطرة، فنظراً لأن الله– عز وجل– لما أراد وقرر– سبحانه– وشاء امتحان العباد علم بأن هؤلاء المهتدين سيسلكون طريق الهداية فالله –عز وجل– حكم لنا بالهداية مسبقاً لعلم سابق أنهم سيفعلون ذلك، وحكم–

سبحانه عز وجل- على من قدر له الضلالة لأنه علم بسابق علمه أن هؤلاء سيختارون طريق الضلالة، فذلك راجع لسابق علم الله، ولذلك فإن الله -عز وجل- ليس بظلام للعبيد جبلهم على الهدى وعلىالضلال وكلهم يسلك الطريق الذي يسر له بمعنى أنه بحسب ما اختاره لنفسه ولذلك الإنسان الذي يفقد عقله يفقد سبب التكليف بأي سبب من الأسباب المشروعة فإن الله- تعالى- لا يكلفه ولا يحاسبه، هذه مسألة.

المسألة الأخرى فيما يتعلق بالهداية وأنها توفيق من الله -عز وجل- وأنها لا يمكن أن تكون بسبب من الإنسان مباشر، نعم إن الإنسان إذا عمل خيراً فإن الله بمقتضى وعده يعده بالخير لكن لا يعني ذلك أنه راجع إلى عمله بذاته. إنه راجع إلى توفيق الله.

وأضرب لكم على هذا مثالاً: الإنسان- أي إنسان- إذا هداه الله -عز وجل- ووفقه ثم عمل بمقتضى أمر الله -عز وجل- على أكمل وجه طول عمره فهل يكافيء عمله هذا لنعمة واحدة من نعم الله عليه؟ لا يكافئه ومن هذه النعم مثلا التوفيق نفسه، كون الله -عز وجل- وفقك لتعبد الله -عز وجل- على أكمل وجه، هذا في حد ذاته نعمة أنت لا تكافئها.

فوالله لولا الله ما اهتدينا **** ولا تصدقنا ولا صلين

فإن الأمر من الله- سبحانه وتعالى- فنحن نتقلب بفضله وبنعمته وبفضله ورحمته- نسأل الله أن يرحمنا جميعا-.

(رابعا: العباد وأفعالهم من مخلوقات الله- تعالى- الذي لا خالق سواه فالله خالق لأفعال العباد وهم فاعلون لها على الحقيقة) نعم هذه المسائل- أحياناً- تشكل، العباد المكلفون الذين أعطاهم الله- عز وجل - القدرة على الفعل،هم مخلوقون لله وأفعالهم من خلق الله.والله- عز وجل- خلق كل شيء ومن ذلك أفعال العباد، لماذا يقال هذا، هذا بدهي أنا أعتقد: كل المستمعين يقولون: هذا بدهي. يعني يعرفونه بداهة، ندرك بالفطرة أن الله خالق كل شيء فلماذا نقول هذا؟

يقال هذا؛ لأنه ظهرت في الأمم السابقة مذاهب وديانات باطلة تزعم أن أفعال الإنسان من خلق الإنسان أو إن أفعال الإنسان ليست من تقدير الله ولا من خلقه.

فمن هذا نشأ هذا الأصل بناء على مقتضى الكتاب والسنة لتحصين أجيال الأمة وتحصين قلوب المسلمين من غوائل هذه البدع والأفكار الضالة التي تزعم أن الله لم يقدر الشر ولم يخلقه وأن من أفعال العباد ما لم يقدرها الله ولم يخلقها.

فنقول الله خالق كل شيء ولا خالق سواه فالعباد مخلوقون لله وأفعالهم من خلق الله وأيضا ما يفعلونه هم بإرادتهم التي خلقها الله لهم هي أفعالهم على الحقيقة . لماذا؟ لأن الحد الذي بين القدر الاختياري والقدرالقسري حد معلوم، بمعنى أني أعلم أن هناك أفعالاً قسرية لا يد لي فيها هي من ربوبية الله- عز وجل - الله يرعاني فيها: حركة الدم والقلب والمشاعر والأحاسيس الحركة اللاإرادية هذه أدرك أنها أمر خارج عن إرادتي، لكن هناك أمور أعرف وتعرف أنت أيها العاقل المريد أنها من مقدوراتك هذه الأمور التي هي من مقدوراتك هي التي تحاسب عليها، أنت الآن إذا قدم لك طعام نافع ترى عليه أثر النفع وطعام ضار ترى عليه أثر الضرر أنت تدرك بنفسك أنك تميل إلى هذ النافع وأنت أيضا تنفر من هذا الضار ثم تتناول النافع لأنك تعلم أن هذا من مصلحتك وتترك الضار لأنك تعلم أن هذا من مفسدتك، مفسدة عليك وضرر عليه ومن لم يفعل ذلك نعتقد أنه أخطأ في حق نفسه، فكذلك أمور الدين وأمور إرادة الفعل، إرادة فعل الخيرات وترك المنهيات مبنية على أن الإنسان يدرك ويلاحظ أنه يفعل الخير حقيقة بمراده الذي أعطاه الله إياه، ويفعل الشر كذلك، أو يفعل المحذور بإرادة يجد فيها

أنه غير مرغم فيها، فمن هنا– فعلاً– أفعال الناس هي أفعالهم على الحقيقة، لكنها محكومة بخلق الله وتدبيره، لا تخرج عن كونهم خلق الله، الله –سبحانه وتعالى– هو الذي خلق الخلق وخلق لهم القدرة والإرادة وخلق لهم التمييز بين هذا وذاك وأعطاهم القدرة التي تتعلق بمقدوراتهم فقط.

فمن هنا نعرف أن هناك حداً بين ما يقدر عليه العباد وبين ما لا يقدر عليه، وكل هذا من تقدير الله وما لا يقدرون عليه لا يحاسبون عليه وما يقدرون عليه هو من حق الحساب والسؤال.

(سادسا: الآجال مكتوبة والأرزاق مقسومة، والسعادة والشقاوة مكتوبتان على الناس قبل خلقهم).

يعني بمعنى أن الإنسان– كل إنسان– عندما يبلغ مائة وعشرين يوماً كما جاء في الأحاديث الصحيحة، طبعاً الروح ورد فيها أنها تأتي على مراحل، أقول هذا لأن بعض الناس إذا قرأ بعض الأحاديث وجد هناك أحاديث تدل على وجود الروح قبل المائة وعشرين يوماً، والعلم الحديث يثبت نوعاً من الحياة قبل المائة وعشرين يوماً، لكن الحياة الحقيقية الروح الكاملة للإنسان عند بلوغ مائة وعشرين يوماً أثناء نفخ الروح يرسل الله –عز وجل– ملكاً ينفخ في كل إنسان روحه ويقدر آجاله الأربعة الرئيسة التي هي رزقه وعمله وأجله وشقاوته أو سعادته، هذه المقررات اللازمة الحتمية لكنها محجوبة؛ لأن أنت هل تدري ما سترزق غدا؟ لا تدري ولا أحد يدري، يقدر ويحتمل معا لأنه أحيانا يحول بينك وبين رزقك الموت نفسه فينقطع رزقك بالموت.

فإذن كل هذه الأمور الأربعة غيب خالص وهي من القدر لله –عز وجل– وهي آجال مكتوبة لكل إنسان، ثم إن الله –عز وجل– قرر السعادة والشقاوة مكتوبتان على الناس قبل خلقهم بالحق والعدل، وأيضا الله– عز وجل– لم يساو بين الخلق لأن المساواة غير مقتضى العدل، أقول هذا لأن بعض الناس يظن أن المساواة هي مقتضى العدل ولذلك بعضهم يرفع شعار المساواة، المساواة ليست عدلاً الله –عز وجل– لا يساوي بين العامل والتارك بين من يفعل الخير ومن يفعل الشر، ﴿ أَفَنَجْعَلُ المُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥)﴾ [القلم:٣٥]، ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاَّ يَسْتَوُونَ (١٨)﴾[السجدة:١٨]، حتى في الرزق هل يستوى من يبذل ويكدح ومن هو خامل ونائم هل يستوى من يستحق الأجر ومن لا يستحق.

إذن مسألة المساواة هذه ليست واردة في الشرع إلا بين المتساويات، المساواة بين المتساويات نعم قدر شرعي وعدل لكن المساواة بين غير المتساويات سواء بين الذكر والأنثى أو بين العامل وغير العامل أو بين النشط والكسلان إلى آخره بين هذا وذلك إلى آخره المساواة ليست هي المطلوبة. المطلوب العدل وقدر الله قام على العدل.

(الاحتجاج بالقدر يكون على المصائب والآلام ولا يجوز الاحتجاج به على المعايب والآثام بل تجب التوبة منها ويلام فاعله).

نعم هذه مسألة تخفى على كثير من الناس، يعني لا يجوز للمسلم إذا فعل منكراً أن يقول: والله قدره الله لماذا؟ لأنه فعل المنكر وقد نهاه الله عنه وأقدره الله على تركه.الإنسان إذا فعل منكراً إذا فعل فسقاًأو فجوراً فإنه لا يجوز أن يحتج بالقدر ويقول: قدر الله على، وفي أثر عن أحد الصحابة عندما جاءه السارق فقال: سرقت بقدر الله، قال: ونحن نقطع يدك بأمر الله، وليس هناك داع أن تحتج بالقدر، وإنما متى تحتج بالقدر؟ فيما لا طاقة لك به مثلاً: حدث حادث –لا قدر الله– رغم إرادتك لم تتسبب فيه فهنا تقول: قدر الله وما شاء فعل . أيضا الاحتجاج بالقدر في المصائب والآلام لأنها قسرية التي تحدث لك بدون أن تتسبب فيها، فيجوز أن تقول: قدر الله وما شاء فعل، لكن المعايب والآثام وسوء الأخلاق والإساءة إلى الخلق والإساءة في حق الله –عز وجل– وارتكاب المعاصي والآثام لا تقول: قدر الله عليَّ ؛ لأن الله– عز وجل– شرع لك شرعا تتجنب به الباطل وتعمل به بالحق، بهذا القدر نكتفي... نسأل الله للجميع التوفيق والسداد.

نبدأ بالإجابات ثم نعود إلى الأسئلة: سألتم فضيلتكم سؤالين فقلتم: ما تعريف الإيمان شرعا؟هذا السؤال الأول السؤال الآخر: هل يثبت الإسلام وحقوق المسلم لمن لم يقر بالشهادتين وما الدليل على ذلك؟ وردت ست وثلاثين إجابة، لعلي أعرض منها خمسة.

الإجابة الأولى تقول: الإيمان شرعا هو التصديق باللسان بالإقرار وإقرار وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح والأركان وهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

السؤال الثاني تقول: من لم يشهد الشهادتين ليس مسلما لا تثبت عليه صفة الإيمان قولاً ولا حكماً، والدليل قوله – صلى الله عليه وسلم – (لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار) أو كما قال – صلى الله عليه وسلم – .

تقول: الإيمان المقصود به القطع واليقين في القضايا العقائدية ومن لم يقر بالشهادتين لا يثبت له حكم في الدنيا والآخرة.

قول الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

السؤال الثاني: من لم يقر بالشهادتين فلا يثبت له الإسلام ولا حقوق المسلمين وذلك لأن الشهادتين هي الركن الأول من أركان الإسلام.

فيما عرضته كفاية وغنى لكن من بين الإجابات التي مرت هناك إجابة فيما يبدو لي فيها نقص فقط وهي التي حصرت الإيمان بالقضايا العقدية، يبدو أنها خانها التعبير، أو أنا مثلا على الوجه الأكمل كأنها حصرت الإيمان في القضايا العقدية فأرجو أن تتنبه لذلك.

السلام عليكم، أنا عندي تعقيب على موضوع القدر، أنا ألاحظ أن معتقد أهل السنة في القدر يلتقي في النهاية مع عقيدة الجبرية، فأنا لا ألاحظ اختلافاً كبيراً مع الجبرية، وأرى أن المهم في قضية القدر أن الإنسان لا يستطيع أن يحتج بالقدر على المعاصي لأنه ليس عنده علم مسبق بما قدره الله عليه هذا ما عندي في الموضوع .

هذه من المعادلة الصعبة وهوما فهم معنى الجبرية فأرجو أن يعود إن كان يهمه ذلك

وإلا فالأولى أنه يبتعد عن البحوث التي ليست من اهتمامه لأن هذه من المعضلات

الأسلم للمسلم ألا يتعرض لها إلا للضرورة فأرجو ألا يكون له ضرورة، ولذلك

أقول: لا يمكن أن يلتقي منهج أهل السنة والجماعة مع الجبرية لأن الجبرية يروين

الإنسان لا إرادة له وليس مجبولاً على القدرة على الخير ولا القدرة على الشر وأنه

يسير بنظم أو بقوانين الكون العامة، فالجبرية لا يلتقون مع أهل السنة إلا في جوانب

جزئية مما ليس عليه خلاف أصلاً، أما ما عليه الخلاف بيننا وبين الجبرية فلا يلتقي

مذهب الجبرية ولا مذهب السنة، لأن مذهب السنة يعتمد على أن كل شيء بإرادة الله

لكن الله -عز وجل- وهب للإنسان إرادة خاصة جبله عليها ما جبره هي الجبلة مقتضى

الفطرة، جبل الله الإنسان على أن يميل إلى الخير ويفعله وأقدره عليه وينفر من الشر

ويفعله وأقدره عليه.

هذه الجبلة هي الفارق بيننا وبين الجبرية، الجبرية أيضا يرون أن الإنسان ما دام مجبوراً -بزعمهم- لا إرادة له ولا حرية له أن يفعل ويترك فلذلك يكون غير محاسب، فعلى هذا يرون الاستهانة بالشرع ما دام الإنسان مجبوراً.

طبعا هناك الجبرية الخفيفة لسنا نقصدهم هنا يعني هناك نوع من الجبر يسمى الكسب عند بعض الأشاعرة هذا أمره أيسر ليس هو المقصود بالجبرية عندما نتكلم عن الجبرية مطلقا.

السلام عليكم، عندي سؤالين: السؤال الأول: ذكرت يا شيخ أن الله- تعالى- لا راد لقضائه فهل هذا يتعارض مع حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – (لا يرد القضاء إلا الدعاء؟).

السؤال الثاني: بالنسبة لتلاوة القرآن، قراءة وجهين أو أربعة أوجه في اليوم هل تكفي لعدم الدخول ضمن من هجروا القرآن الكريم؟

السلام عليكم، أسأل بالنسبة للذبح، الرجل يعزم كبار وجوه البلد أصحاب المكانة يعزمهم في البيت ويذبح لهم هل يجوز أم يكون الذبح لغير الله؟

السلام عليكم، لا أدري ما معنى كون الإنسان مخيراً أم مسير

السؤال الثاني: يقول بعضهم: اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه. أرجو التعليق على ذلك

عندي مداخلة على الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية قال الرسول – صلى الله عليه وسلم – (ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار أو من الجنة قال رجل: ألا نتكل يارسول الله قال: لا اعملوا فكلٌ ميسر ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾[الليل: ٥]، وفي رواية لمسلم(فكلٌ ميسر لما خلق له) فأمر النبي – صلى الله عليه وسلم – بالعمل ونهى عن الاتكال على القدر.

والأمر الثاني أن الله تعالى أمر العبد ونهاه ولم يكلفه ما لا يستطيع وقال: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[التغابن: ١٦]، وقال: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾[البقرة: ٢٨٦]،

ولو كان العبد مجبراً على الفعل لكان مكلفاً بما لا يستطيع الخلاص منه وهذا باطل ولذلك إذا وقعت منه معصية بجهل أو نسيان أو إكراه فلا إثم عليه لأنه معذور.

الأمر الثالث: أن قدر الله سر مكتوم لا يعلم به إلا بعد وقوع المقدرور وإرادته لما يفعله سابقة على فعله فتكون إرادته للفعل غير مبنية على علم منه بقدر الله.

كلام جيد في الحقيقة وهذا مشجع لقواعد السلف.

.

لدي سؤالين: السؤال الأول: هو قول بعض الطوائف عندما يتكلمون عن القرآن يقولون: هو عبارة عن كلام الله -عز وجل-. ما المقصود بهذه العبارة؟

السؤال: الآخر: لما نقرأ في تراجم بعض العلماء أئمة السنة يقول في ترجمتهم: إنه أجاز الأصلين ما المقصود بالأصلين؟

الأول: أن القرآن عبارة يقصدون به أنه تعبير مثل ما نسميه نحن ترجمة عن كلام الله ليس كلام الله حقيقة كأنهم يقصد أن هناك من خلق الله من عبر عن كلام الله ولهذا هم يختلفون اختلافا كثيرا من هو الذي عبر عن كلام الله؟ هل هو الرسول - صلى الله عليه وسلم - هل هو جبريل؟ هذا معناها.

فإذن هم حادوا عن أن يثبتوا أن القرآن كلام الله على ما يليق بجلال الله حقيقة ولجؤوا إلى القول بأن القرآن إنما هو تعبير عما يريده الله -عز وجل- من مراداته الكلامية.

تقول:هل قولنا القرآن كلام الله منه بدأ بمعنى ظهر وليس من الابتداء وهل كلام الله صفة ذاتية أو فعلية؟

بدأ يعني بمعنى تكلم به- سبحانه- أما البدوّ فليس مقصوداً وقد يكون من معاني بدأ هذا من المستلزمات نعم من مستلزمات لا من معاني المباشرة، منه بدأ يعني الله تكلم به ابتداء لا من معنى الظهور هذا ظاهر من النص ومفهوم من كلام السلف من شروحهم.

فيما يتعلق بالقرآن أن من مسه من غير طهارة لا يجوز فهل هذا صحيح؟ وإذا كان كذلك هل مس التفاسير كذلك ؟ و ورق المصحف من الخارج يعتبر كذلك؟

هذا سؤال فقهي حقيقة كنت أود ألا يرد في أسئلة العقيدة لسببين السبب الأول: أن هذا من الأمور الخلافية ينبغي ألا يكون عليه إشكال لأن الصحابة والتابعين مختلفون في هذا القول ولن أحسم أنا في مثل هذا المقام هذا الأمر وأنتم طلاب علم.

الأمر الثاني: أني أرى أن الاستدراج في مثل هذا الدرس إلى المسائل الفقهية والأحكام يضيع الإخوة الذين يريدون مناقشة موضوع الدرس مع احترامي لسؤاله لأنه سؤال وجيه ومهم لأنه يتعلق بالقرآن لكن مع ذلك أود ألا نقف أمامه كثيرا.

تقول: ذكرتم أن الله لا راد لقضائه، هل يتعارض مع قول – صلى الله عليه وسلم – لا يرد القضاء إلا الدعاء؟

نعم لا يتعارضان لا أحد من الخلق يستطيع أن يرد القضاء أما أن يحكم الله –عز وجل– أن يكون الدعاء سبباً لرد القضاء فهذا حكم الله وقضاؤه فأرجو أن يفهم جيداً لأن الإشكال– فعلا– يرد في نصوص كثيرة أيضا مثل هذا وأشكر السائل على مثل هذا السؤال لأنه ينطبق على كثير من الحالات في مثل هذا الأمر.

نعم الله– عز وجل – لا راد لقضائه فحينما يرد الدعاءُ القضاء فيعتبر هذا قضاء الله وقدره ومن هنا فليس من الخلق من يستطيع رد القضاء فيبقى النص محكماً.

تقول: إذا قرأت في اليوم وجهين أو أربع هل تخرج ممن هجر القرآن؟

والله: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ أرجو أن هذا وإن كان حد قليل جدا لكن إذا واظبت في تقديري – والله أعلم– إذا واظبت على وجه أو وجهين يوميا ما تتلوه في الصلوات وما يرد من آيات الله في الأوراد هذا– إن شاء الله تعالى– حد أدني نرجو أن من يفعله لا يعتبر هاجرا للقرآن نرجو ذلك.

تسأل: إذا كان الرجل يستضيف كبار البلد ووجهاءها؟

واضح السؤال: لا هذا من سنن الهدى الذبح للضيوف سنة أبينا إبراهيم عليه السلام ونبينا – صلى الله عليه وسلم – وهو أكرم الخلق وكان يأكل الذبائح عند أصحابه وعند من يضيفوه وما فتئ سلف الأمة يعتبرون من الكرم الممدوح شرعا إذا ما وصلت لحد الإسراف، فإذن المقصود بالذبح الممنوع شرعا هو أن يجعله بغير اسم الله أو يتقرب به لغير الله من حيث التعبد لا من حيث الإكرام والتقديم للضيف، فالذبيحة التي تقدم للناس تذبح باسم الله تقربا إلى الله لأن إكرام الضيف مما يحبه الله ومما يأمر به (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) فأرجو ألا يلتبس الأمر، وأعود وأقول لأن هذه مسألة حساسة مهمة الممنوع في الذبح هو أن يذبح الذابح بغير اسم الله –لا قدر الله– أو أن يعتقد أن هذا الذبح تقرباً لغير الله سواء أكله هو أو غيره، والمشروع هو ذبح الضيافة باسم الله تكريما للضيف هذا مشروع بل هو من الأمور المأمور بها.

له سؤالان: الأول يقول: ما معنى كون الإنسان مسيراً مخيراً؟

هذه مسألة فلسفة الإنسان لا يقال: مسير مطلقا ولا مخير مطلقا بل هو مجبول ومحكوم بقضاء الله وقدره، فقول: مسير كأنه مجبور على الأفعال دون إرادته، وكونه مخيراً كأن عنده إرادة مطلقة لا تتعلق بإرادة الله وخلقه كأن الله لا شأن له بفعل العبد وهذا كله خطأ، فالإنسان مسير من وجه وهي الأمور الغير إرادية هو مسير فيها: كيف يرزق؟ ومتى يموت؟ وحركته اللاإرادية؟ حركة قلبه وحركة دمه هذه مسير فيها ، أقداره الأربعة التي ذكرناها التي تكتب عند بدئ حياته هذه مسير فيها بمعنى أن الله –عز وجل– قدر عليه أمورا الله– عز وجل– أراحه منها، فالتسيير لا يعني الإهانة للإنسان بل يعني حفظ الله للإنسان ، بأن سير أموره اللاإرادية تحت نظم كونية، الله– عز وجل– يحفظه بها ومخير من وجه آخر في أنه مخير في أن يفعل أو يترك، لكن هذا التخيير ليس مطلقا، هذا التخيير مربوط بخلق الله وإرادته فإذاً: أعود وأقول: الإنسان مخير من وجه ومسير من وجه آخر، ولا يقال: مسير فقط ولا مخير فقط إذاً: هو مجبول ومفطور.

يسأل أيضا عن الدعاء: اللهم لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه

هذا الدعاء فيه نظر لأنه لا يجوز الاستثناء في الدعاء كما أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – ولماذا لا يسأل الله رد القضاء؟ وقد وعد الله– عز وجل– برد القضاء كما جاء في الحديث الذي ذكرته السائلة والحديث صحيح أنه ثبت عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: في مستدرك الحاكم وغيره (أن الدعاء والقضاء ليلتقيان بين السماء والأرض فيعتلجان وفي رواية فيصطرعان فيغلب الدعاء القضاء).

إذن ما فيه داعي أن نقول: لا أسألك رد القضاء، ينبغي أن الدعاء ينسجم مع أصول الشرع.ومن يقول: أمره بين الكاف والنون

لا حرج في شيء من أمر الله بين الكاف والنون إذا أراد الله شيئا قال: له كن فيكون، وأظن فيما يظهر لي لا حرج في ذلك.

عندي الآن سؤالان عن الكتب السماوية: يقول: هل الكتب السماوية غير القرآن هل هي كلام الله على الحقيقة؟ وآخر يقول: لماذا لم يتكفل الله تعالى بحفظ الكتب السماوية السابقة؟

نعم الله– تعالى– أنزل التوراة بالألواح على موسى –عليه السلام– لكن هل هي كالقرآن تماما؟ في الحقيقة إنه ليس عندنا دليل أنه كالقرآن تماما، نعرف أن الله –عز وجل– كلم موسى تكلميما وأن التوراة والإنجيل هي من كلام الله –عز وجل– في الجملة لكن هل يحكمه التفصيل الذي في القرآن؟ الحقيقة نتوقف في هذا والمسألة مسألة خلاف ونحن في غنى عن هذا، أما لماذا حرفت؟ فهذا من الابتلاء الذي يكون على الأمم ولأن الديانة الأخيرة ديانة النبي – صلى الله عليه وسلم – نظرا لأنها الباقية إلى قيام الساعة فتكفل الله بحفظ مصادرها لأنها لو حرفت لانقطعت حجة الله على الخلق وانقطع سبب الوصول إلى الله –عز وجل– بما يرضيه فمن هنا تكفل الله – تعالى –بحفظ القرآن في صدور هذه الأمة لأنه انتهى الوحي وانقطع ولأن النبي – صلى الله عليه وسلم – خاتم النبيين ولأن الله تكفل بهذا الحفظ، أما الديانات الأخرى فقد حرفت في كتبها بسبب تفريطهم ولأن الله –عز وجل– لم يتكفل لهم بذلك وهو من الابتلاء الذي كتبه الله على الأمم وميز الله هذه الأمة بهذه الميزة حفظ كتابها.

هل تقبيل القرآن يعتبر من الأعمال المشروعة؟ وهل ورد أن الأحداث والوقائع المعاصرة والاكتشافات أنها تفسير من القرآن؟

تقبيل القرآن إن كان لمقتضى فنعم ؛ لأنه من إكرامه، لأن الإنسان كما يقبل أي شيء غالٍ عليه، التقبيل المشروع، يقبل ابنه، يقبل أخاه، يقبل مسافراً، فكذلك تقبيل القرآن عند المقتضى يعني بمعنى لا يتخذ هذا تعبدا ويتخذه سنة يفعلها دائماً بحيث يظن أنه لو لم يقبل ترك سنة، لكن مثلا إذا –لا قدر الله– القرآن تعرض لإهانة أو سقط من يدك أو نحو ذلك فأرى– والله أعلم – لا حرج من تقبيله، لإشعار تعظيم القرآن فهو كلام الله.

الشق الثاني من السؤال: ربط الأحداث والوقائع المعاصرة بتفسير القرآن

نعم هذه إذا أردت الأحداث ببعض الذي يسمى بالإعجاز العلمي أو غير ذلك يعني في حدود ضوابط تفسير القرآن لا حرج فيه لكن المبالغة فيه فيما يخرج عن حدود تفسير القرآن أنا أظن أن هذا يكون فيه نوع من العدوان ونوع من إيقاع الأمة في حرج وأيضا تحميل القرآن ما لا يتحمل، لا بد من الضوابط الشرعية ما يستقيم مع تفسير القرآن وقواعد التفسير من إظهار الإعجاز العلمي في القرآن أو إظهار الآيات والشواهد في القرآن على حوادث الزمان هذا بالقدرالضروري الشرعي السائر على نهج الاستدلال هذا جائز، لكن أرى أن كثيراً من المختصين في هذه الأمور بالغوا إلى حد أن حملوا القرآن أموراً لا تزال ظنية لم تكن على وجه القطع فهذا فيه خطأ وربما يحملوا القرآن أشياء ليست منه والله أعلم.

الحمد لله حمدا كثراً طيبا مباركا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن بين محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ورضي الله عن صحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

فبعون الله وتوفيقه، نستأنف الدرس الختامي لهذه الحلقة، وابتداء أعتذر للإخوة المشاهدين في أننا سنضطر في هذا اليوم أن نختصر، وأننا سنؤجل لهم الأسئلة ، لأن موضوع اليوم طويل، ونرجوا أن ننهيه بنهاية هذه الحلقة المباركة، ولذا سأقتصر في توجيه سؤالين للطلبة الحاضرين:

السؤال الأول: القرآن الكريم كلام الله عز وجل ، وهو دستور هذه الأمة ومنهاجها، له منهاج شرعي في تفسيره، وتطبيقه من قِبل المسلمين، ما هو هذا المنهج الشرعي في تفسير القرآن والعمل بمقتضاه؟

السؤال الثاني : فيما يتعلق بالقدر، فالإيمان بالقدر يتضمن مراتب، كم هي؟ وما هي؟

والآن بعون الله وتوفيقه نبدأ الدرس بقراءة القسم الأول من سابعاً وهو الجماعة والإمام.

(سابعاً :

الجمـــــاعة والإمـــــامة :

١) الجماعة : في هذا الباب هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم بإحسان، المتمسكون بآثارهم إلى يوم القيامة، وهم الفرقة الناجية .

وكل من التزم بمنهجهم فهو من الجماعة، وإن أخطأ في بعض الجزئيات .

٢) لا يجوز التفرق في الدين : ولا الفتنة بين المسلمين، ويجب رد ما اختلف به المسلمون إلى كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما كان عليه السلف الصالح .

٣) من خرج عن الجماعة وجب نصحه، ودعوته، ومجادلته بالتي هي أحسن، وإقامة الحجة عليه، فإن تاب وإلا عوقب بما يستحق شرعاً .

٤) إنما يجب حمل الناس على الجمل الثابتة بالكتاب والسنة، والإجماع، ولا يجوز امتحان عامة المسلمين بالأمور الدقيقة، والمعاني العميقة .

٥) الأصل في جميع المسلمين سلامة القصد والمعتقد، حتى يظهر خلاف ذلك، والأصل حمل كلامهم على المحمل الحسن، ومن ظهر عناده وسوء قصده فلا يجوز تكلف التأويلات له.

٦) فرق أهل القبلة الخارجة عن السنة متوعدون بالهلاك والنار، وحكمهم حكم عامة أهل الوعيد، إلا من كان منهم كافراً في الباطن، أو كان خلافه في أصول العقيدة التي أجمع عليها السلف .

والفرق الخارجة عن الإسلام كفار في الجملة، وحكمهم حكم المرتدين.

٧) الجمعة والجماعة من أعظم شعائر الإسلام الظاهرة، والصلاة خلف مستور الحال من المسلمين صحيحة، وتركها بدعوى جهالة حالة بدعة .

٨) لا تجوز الصلاة خلف من يظهر البدعة، أو الفجور من المسلمين مع إمكانها خلف غيره، وإن وقعت صحت، ويأثم فاعلها إلا إذا قصد دفع مفسدة أعظم، فإن لم يوجد إلا مثله أو شر منه جازت خلفه، ولا يجوز تركها .

ومن حُكم بكفره فلا تصح الصلاة خلفه .

٩) الإمامة الكبرى تثبت بإجماع الأمة، أو ببيعة ذوي الحل والعقد منهم، ومن تغلب حتى اجتمعت عليه الكلمة وجبت طاعته بالمعروف، ومناصحته، وحرم الخروج عليه إلا إذا ظهر منه كفر بواح فيه من الله برهان .)

هذه الأصول، من ضمن منهج السنة والجماعة الذي رسمه الإسلام، من خلال نصوص القرآن، ومن خلال سنة النبي صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية، ومن خلال سنة الخلفاء الراشدين، ونهج السلف الصالح.

أعني بذلك أن هذه الأحكام، تعتبر من أصول الدين ومسلماته، وهي مناهج الدين التطبيقية العملية، فيما يتعلق بالأحكام العامة والمصالح العظمى والمصالح الكبرى، ذلك أن أمور العقيدة على نوعين:

– أمور علمية اعتقادية، كأصول الإيمان الستة.

– وأمور عملية، تتعلق بالعبادات والشعائر ، كأركان الإسلام الخمسة، وأمور عملية تتعلق بمناهج الدين وتطبيقاته كما يتعلق بالجماعة وصورها، بالتعامل بين المسلمين، وتعامل المسلمين مع المخالفين منهم، وتعامل المسلمين مع غيرهم من الكفار، فهذا يدخل فيه أمران:

الأمر الأول: الجماعة والإمامة وأحكامها.

الأمر الثاني: فيما يتعلق بخصائص أهل السنة والجماعة وسماتهم، وهي المحك العملي في تعاملهم مع بعضهم ومع الآخرين.

وقد سمعتم جملة من الأصول المتعلقة بالجماعة والإمامة، إلى الأصل التاسع، ونتناولها بإيجاز لعلنا نختم جميع فقرات الكتاب بإذن الله تعالى.

أولا: الجماعة.

الجماعة إذا ورد ذكرها في الشرع، وفي القرآن والسنة، وإذا ورد ذكرها في منهج السلف، فلها عدة إطلاقات، ويهمنا هنا الإطلاق العام الكبير، الجماعة التي هي من مسلمات الدين ومن ثوابت الدين وأصوله وقواطعه، المقصود بها هي الجماعة التي أوصى بها النبي صلى الله عليه وسلم وذكر خصائصها ، وتتميز بسمات رسمها الكتاب والسنة، ونهج السلف الصالح، وسنشير إلى هذه السمات في نهاية الدرس.

إذا المقصود بالجماعة هي جماعة المسلمين المستمسكة بالحق، والمستمسكة بالسنة، وسبق في الدرس الأول ذكر الجماعة بمفهومها الشرعي، وأعيد ذلك بإيجاز.

هو أن الجماعة المقصود بها هنا، جماعة المسلمين التي بقيت على الحق واستمسكت بالسنة، وهي من الناحية التاريخية مرت بصور، الصورة الأولى: في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين قبل ظهور الافتراق، كان المسلمون كلهم على الجماعة، وكانت تتوافر فيهم صفات الجماعة المسلمة من جميع الخصائص والسمات وإن وجد عندها بعض الأفراد الشواذ، فإن الشواذ وتصرفات الأفراد أو الفئات القليلة؛ لا تخرق قاعدة أن الجماعة موجودة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا على الإسلام والسنة ولم يظهر افتراق.

في أخر عهد الخلفاء الراشدين ظهر الافتراق ثم أيضا في القرن الأول تناما الافتراق حتى آخر القرن الأول فكثرت الفرق وكثر أتباعها، فمن هنا رجع السلف إلى تمييز الجماعة بالوصف الذي وصفها به النبي صلى الله عليه وسلم وهي التي تكون على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فلما نظروا إلى ما عليه المسلمون من الفرقة والاختلاف وجدوا أن أهل السنة والجماعة هم الذي بقوا على هذا الاتجاه أو على هذا المنهج، وسموا أهل السنة والجماعة بناء على وصية النبي صلى الله عليه وسلم بذلك.

وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم كما قلت بالجماعة في نصوص كثيرة، تصل إلى حد التواتر المعنوي، "عليكم بالجماعة"، إياكم والفرقة"، "إن يد الله مع الجماعة"، " إن يد الله على الجماعة" ، نصوص كثيرة توصي بالجماعة وتجعلها هي الموئل للمسلم عندما يكثر الافتراق وتكثر الأهواء.

فإذا المعنية بالجماعة من حيث تطبيقاتها، هم النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعون لهم بإحسان ، الذين أحسنوا التبعية، أحسنوا الإتباع من غير تقليد، غنما إتباع باهتداء واقتداء كما سيأتي.

وهم المستمسكون بآثار النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح إلى يوم القيامة، ولذلك سموا بالفرقة الناجية ، وهذه التسمية لم تكن أيضا من صنع الناس، إنما هي مأخوذة من وصف النبي صلى الله عليه وسلم كما سيأتي في فقرة تالية.

وعلى هذا، فكل من التزم منهج السنة ومنهج النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين؛ فهو من الجماعة، في العقيدة والمواقف والمصالح العظمى، أعني أن من توافرت فيه صفات نهج السلف الصالح في العقيدة، والمواقف تجاه الأمور كلها، والمصالح العظمى للأمة ، من التزم هذا النهج؛ فهو من الجماعة.

" وإن أخطأ في بعض الجزئيات "

فعلى هذا من وقع منه خطأ من علماء المسلمين أو من عامتهم ، فإن كان الخطأ يتعلق بأمر جزئي اجتهادي، فلا يضره ذلك ولا يخرجه من الجماعة، كذلك إن كان خطأ عن تأول أو عن جهل؛ فإن الإنسان لا يخرج من الجماعة حتى تقام عليه الحجة.

وعلى هذا فإن المسلم، عالما كان أو غير عالم، لا يخرج من مفهوم هذه الجماعة الشرعية إلى قيام الساعة، إذا التزم نهج المسلمين في العقيدة والمواقف والمصالح، ولا يخرج من الجماعة إلا بأحد أمرين أو بالأمرين معا:

الأمر الأول: إذا خالف في أصل من الأصول القطعية، أو ثابت من ثوابت الدين العلمية والعملية، أو أكثر، خرج من الجماعة وإن لم يخرج من الإسلام كما سيأتي أنه لا يجب أن يكون خرج من الملة ، ولكنه خرج من السنة والجماعة.

الأمر الثاني: إذا تكاثرت البدع عند شخص، بمعنى أن تكون هي سمته وهديه، بحيث يكون في شكله الظاهر ومعاملاته وعباداته وشعائره على غير نهج أهل السنة والجماعة ، ليس في أمر أو أمرين أو ثلاثة، لن في سائر سمته، في سائر هديه، على منهج أهل البدع فهو بذلك يخرج من مفهوم الجماعة.

المسالة الثانية، ينبني على هذا أنه ما دام الله عز وجل أمر بالجماعة ، وأوصى بها رسوله صلى الله عليه وسلم فعلى هذا، وبموجب النصوص أيضا لا يجوز التفرق في الدين، والتفرق في الدين غير الاختلاف في الاجتهاديات، التفرق في الدين هو التنازع الذي نهى الله عنه، قال الله عز وجل ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (الأنفال: من الآية٤٦) فالتفرق في الدين هو التنازع الذي يرجع إلى الافتراق في الأصول القطعية والمسلمات والمناهج العامة والمصالح العظمى، فهذا لا يجوز، ولا الفتنة بين المسلمين حتى لو لم يكن عن تفرق ، يعنى إذا الإنسان أصر على رأي من الآراء ، وليكن اجتهادي، لكن أراد أن يفرضه بالقوة أو غلا به إلى حد يخرج به عن الجماعة وعن الإمام والسلطان، فإنه بذلك يكون وقع في الفرقة ، ولو كان سليم العقيدة، وبذلك .... قد يكون بعض الناس من الناحية النظرية معتقده سليم، لكنه يخرج بأمر يقتضي شق عصى الطاعة، وشق الجماعة والخروج عن تبعية العلماء، والخروج عن تبعية أهل الحل والعقد، فمن هنا يكون وقع في الفتنة بين المسلمين التي هي نوع من الفرقة، ومن هنا –هذا وذاك– يجب رده إلى الحق بإقامة الحجة عليه، وما اختلف فيه المسلمون في هذه الأمور سواء من اجتهاديات أو من غير الاجتهاديات، ما اختلفوا فيه يجب رده إلى كتاب الله وإلى سنة رسول صلى الله عليه وسلم من خلال الرجوع إلى العلماء الذين يستنبطون، وإلا فكل سيدعي انه يأخذ من الكتاب والسنة، لكن ضوابط الاجتهاد في الكتاب والسنة ذكرناها فيما قبل، فيرجع في ذلك فيما اختلف فيه المسلمون، إلى الكتاب والسنة من خلال العلماء وما كان عليه السلف الصالح –من المنهج– فهذا هو المحتكم.

ثم من خرج عن جماعة المسلمين المعنية شرعا، باعتقاد أو موقف أو منهج أو خرج في مصلحة عظمى بأن ارتكب مفاسد كبرى، وجب نصحه من ولي الأمر، ونصحه من العلماء ونصحه من عامة المسلمين، كلٌ بما يستطيع، من له ولاية عليه ومن ليس له ولاية، يجب نصحه ودعوته إلى الحق وإلى الجماعة ومجادلته بالتي هي أحسن، وإقامة الحجة عليه، بمعنى : تبين له الحجة ، ويستنفذ معه الواجب شرعا من حيث النصح والحجة فإن تاب ورجع إلى الحق وترك الفرقة والفتنة بين المسلمين ، وإلا عوقب بما يستحق شرعا، وهذا له قواعده المعروفة عند الفقهاء، والعلماء .

رابعا: فيما يتعلق بتوجيه المسلمين، وفي تعليمهم أمور دينهم، سواء في العقيدة أو الأحكام القطعية أو عباداتهم أو غيرها، يجب حمل الناس في ذلك على المحامل العامة ، والجمل الثابتة في الكتاب والسنة يعنى يجب أن لا نمتحن عموم المسلمين في دقائق الأمور، بل حتى بعض العلماء الذين ليس من اختصاصهم بعض المسائل العقدية المتعمقة ؛ يجب أن لا نمتحنهم فيها، ولا نثير فيهم هذه القضايا؛ لأنها تؤدي أحيانا إلى الفرقة وإلى إيقاع في الإثم.

المسلمون عموما بحسب مستوياتهم ، يجب أن نعلمهم مجملات الدين، ثم تفاصيل الدين بحسب حاجتهم في الأحكام أو في العقيدة، وأيضا بحسب قدراتهم، فبعض الناس يستطيع أن يترسخ في العلم؛ فهذا يطالب بها، لكن فيما نطالب به المسلم ، نطالبه بالأركان العامة ، أركان الإسلام أركان الإيمان، فرائض الدين، أصول الأخلاق،

أصول التعامل فيما بينه وبين ربه عز وجل، والتعامل فيما بينه وبين من حوله من المسلمين، التعامل فيما بينه وبين الكفار، نعلم المسلم كيف يتعامل بالمنهج الشرعي السليم الذي يقوم على الاعتدال والعدل، لكن لا نمتحن الناس في دقائق الأمور التي لا يدركونها.

فمثلا، ما ينبغي أن نفاجئ المسلم بسؤال عن عالم أخطأ، كأن نقول -مثلا- ما رأيك في فلان الناس؟ أو عن مفكر، كما يحدث في امتحان الناس في بعض المفكرين ، لأن هذا من الفتنة، فأغلب الناس خالي الذهن ، لا يدري كيف يزن الناس، بل لا يكلف شرعا أصلا في أن يتتبع زلات الخلق ثم يعطي كل واحد حكم، هذا ليس من اختصاص عامة المسلمين، ولا من كثير من طلاب العلم.

وكذلك دقائق العقيدة، يعني مثلا مسالة رؤية الله عز وجل، ثبت أن المؤمنين يرون ربهم في الجنة يوما لقيامة -نسأل الله أن يجعلنا جميعا منهم- هذه مسألة من المسائل التي قد تخفى على كثير من عامة المسلمين، فيجب أن يعلموا لكن لا يمتحنوا بها، لأنه قد تفاجئ بأنه ينكر؛ لأنه ما عرف، فيقع في الكفر بسببك، كذلك سؤال (أين الله؟)، والنبي صلى الله عليه وسلم سأل هذا السؤال، لكن لا يُسأل دائما لكل مسلم غافل، إلا عند موجبه كما حدث من النبي صلى الله عليه وسلم ، النبي صلى الله عليه وسلم ما سأل مثل هذا السؤال (أين الله؟) إلا أن يُوجب، وسؤال واحد حدث، إذا هذا دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يمتحن الناس في مجالسهم وفي المساجد والمشاهد العامة، لم يكن يمتحن الناس كما حدث من بعض المفتونين في بعض الفترات، فهذا فيه فتنة، لأن الناس قد لا يدركون الجواب الصحيح في هذا الأمر حتى يُعَلَّموا.

ثم : الأصل في جميع المسلمين أن نحمله على حسن الظن ، نحمله على سلامة المقصد، على سلامة الاعتقاد، فهذه الذي يجب أن نحمل عليه عامة المسلمين، لأن الأصل أنهم على الفطرة، مادام لم يتبين لنا من أحد منهم إصرار على بدعة، أو إصرار على ضلالة، أو ترك فرائض الدين؛ فالأصل فيه السلامة، ولا تفتش عنه بغير موجب، -مثلا- كأن تجالسه، أو تتلقى عنه العلم، أو تريد أن تزوجه، وإلا فلا تفتش بغير موجب، ، الأصل في جميع المسلمين ؛ السلامة والفطرة والمحمل الحسن وحسن الظن، إلا إذا ظهر من أحد منهم، أو فئة، أو الجماعة أو فرقة ؛ خلاف ذلك، فمن هنا تزن الأمور بميزان الشرع بالرجوع إلى أهل الاختصاص أيضا، لأن هذه مزلات، وتوقع في الإثم والغيبة، بل ربما توقع في الحالقة وهي الفرقة في الدين، والكلام في أعراض الخلق.

فالأصل حمل كلام المسلمين وما يصدر عنهم من أفعال على المحمل الحسن، إلا من ظهر منه بدعة وأصر عليها، أو ظهر عناده وسوء قصده، فلا يجوز أن نتكلف له التأويلات، بمعنى أن القاعدة تنعكس فيمن ظهر منه خلاف ما ذكرته، فالأمور بظواهرها.

ثم : المقصود بفرق أهل القبلة جميعا، هم الذين افترقوا عن السنة والجماعة، وليس الذين خرجوا عن الدين، وهذه أيضا من المسائل التي يخلط فيها كثير من الناس، بل وبعض المنتسبين إلى العلم الشرعي وهو أنهم يتوهمون أن ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من ذكر الافتراق، وأحوال المفترقين وأوصافهم ووعيدهم؛ أنه يعني أنهم خرجوا من الإسلام، لا بالعكس، اتفق السلف على أن المقصود بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن الافتراق ووعيد أهل الافتراق وذكر الفرق في الأمة، وأنها ثلاثة وسبعين فرقها كلها هالكة إلا واحدة، وكلها في النار إلا واحدة، إنه لا يقصد بذلك أنهم خارجين من الملة، ولا أنهم أيضا من أهل الخلود في النار، إن هذا من باب الوعيد، كما توعد الله السارق والزاني وآكل الربا بالنار، فكذلك هؤلاء تُوعدوا بالنار من باب الوعيد، ومصيرهم الجنة حتما بموجب قواطع النصوص، إذا فرق أهل القبلة -يعني الذي خرجوا عن السنة- مسلمون، لكنهم وقعوا في البدعة وخالفوا السنة، فهم متوعدون بنصوص الوعيد ، بالهلاك والنار، وحكمهم حكم أهل الوعيد وأهل الكبائر، إلا من كان منهم كافرا في الباطن، وهذا أمر لا يعلمه إلا الله عز وجل، فلا نتناقش فيه، ولا أحد يستطيع أن يدعي أنه يعرف باطن هذا أو ذاك، فالباطن لا يعلمه إلا الله، ولذلك النبي

صلى الله عليه وسلم لما أطلعه الله على بعض المنافقين، أسر ذلك لئلا يفتن المسلمين، أو يقع المسلمين في فتنة، فيحاولوا الاطلاع على المنافقين، وبقي السر ولم يذكره النبي صلى الله عليه وسلم إلا لواحد من الصحابة، وهم منافقون خُلَّص، إذا من كان منهم كافر في الباطن؛ فهذا نستثنيه لكن ل نستطع أن نعينه بعينه.

أو كان خلافه في الدين

أي من خالف من الفرق والأفراد في أمر يتعلق بأمر ردة تخرجه من مقتضى هذا الدين، وفي أصل من أصول العقيدة اتفق عليها سلف هذه الأمة، يعني وقع في الردة كالباطنية والذين أشركوا من المنتسبين للأمة، فهؤلاء ليسوا من فرق أهل القبلة، ولذلك لما عد بعض السلف –كابن المبارك ويوسف بن أصباغ–، فرق المسلمين في وقتهم عدوا الثنتين والسبعين التي يرون أنها متوعده بالهلاك، قيل لهم: والجهمية؟ فقالوا: إن الجهمية –يقصدون غلاة الجهمية الذين أنكروا قواطع الدين– ليست من فرق المسلمين.

ثم بعد ذلك لما ظهرت الباطنية، أجمع سلف الأمة على أنه ليست من فرق المسلمين وإن ادعت الإسلام، أما بقية الفرق سواء أن كانت فرق قدرية غير غالية، أو فرق الشيعة غير الغالية، أو فرق المرجئة غير الغالية، أو فرق المتكلمين الجهمية التي لم تغلوا، أو فرق المعتزلة التي لم تقع في الغلو، أو فرق المتكلمين، التي لم تقع في الغلو، مادام هذا الغلو لم يخرج من الملة؛ فكلهم من فرق المسلمين، ويعامل أهلها معاملة المسلمين في كثير من الأمور، قد يكون لهم نوع من المعاملة لكشف شرهم وبيان خطرهم على عقائد الأمة، لكن هذه الأمور يقررها علماء الأمة في الوقت نفسه، بحسب ظروف المكان والزمان والأحوال.

قواعد التعامل مع أهل البدع ليست ثابته، إنما هي قواعد متغيره بحسب أحوال الأمة، وبحسب المصالح ودرء المفاسد.

ثم: الفرق الخالية عن الإسلام حكمهم حكم المرتدين

بمعنى أنهم لا يعاملون معاملة المسلمين.

سابعا: الجماعة والجمعة ،

ويدخل فيها أيضا شعائر الإسلام الظاهرة كصلاة العيدين، وصلاة الاستسقاء، وصلاة الكسوف والخسوف، صلاة الجنائز، الآذان، هذه كلها من أعظم شعائر الإسلام، وهي علامات الإسلام الظاهرة، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يحكم على أهل البلاد إذا ما لم رفعوا شعيرة الآذان، يحكم عليهم بأنهم غير مسلمين، لأن الشعيرة الظاهرة التي تُعلن بصوت مرتفع، في كل بلد مسلم هي الآذان، فإذا لم يُرفع الآذان فمعنى هذا أن البلد ليس له حكم دار الإسلام وإن وجد فيه مسلمون، البلد لا يكون له حكم دار الإسلام، لأنه لا تظهر فيه شعائر الإسلام، فإذا ما لم يُظهر الآذان؛ فمن الطبيعي أن لا تُظهر الصلاة، ولا الجمعة ولا الجماعات، إذن الجمعة والجماعات وهذه الأمور من أعظم شعائر دين الإسلام الظاهرة.

ويدخل في ذلك الصلاة خلف مستور الحال

أي المسلم الذي لا تعلم عنه شيئا، فالصلاة خلفه مشروعة ومعنى ذلك أن لا توقع نفسك وتوقع المسلمين في الوسواس، فتقول –مثلا– (أن لا أصلي وراء هذا المسلم حتى أتثبت من حاله)، فهذا لا يجوز، لأن الأصل في المسلمين –كما قلنا في الفقرة السابقة– السلامة، وكذلك أئمة المسلمين الذين يصلون الأولى ، بل يجب على كل مسلم أن يصلى خلف من لا يعرف حاله، ولا يجوز تركها بدعوى أنه مجهول، أو بدعوى وجود قرائن غير ثابتة

على أنه لا تجوز الصلاة خلفه، بل إن هذا من البدع، يعني التوقف في الصلاة خلف أئمة المسلمين بغير بينة؛ هذا من البدع والوسواس الذي لا يجوز.

وعلى هذا كذلك؛ لا تجوز الصلاة خلف من يظهر البدعة؛ لكنها تصح، أكثر الناس لا يفرق بين لا تجوز ولا تصح، لا تجوز مثل الراجح في الصلاة على الأرض المغصوبة، يقال لا تجوز الصلاة في الأرض المغصوبة، لكن لا يعني أنها لا تصح، هي تصح على الراجح، فكذلك الصلاة خلف من يظهر البدعة والفجور من المسلمين، لا تجوز ، إلا إذا لم تمكن مع غيره، بمعنى إنه إذا كان أمامك أو في متناولك إمام صاحب بدعة ، وإمام آخر ليس بصاحب بدعة، ولا يترتب على ترك المبتدع فتنة ولا مفسدة، فيجب عليك أن تصلى خلف الأسلم، لكن لا يعني ذلك أنك لو صليت خلف المبتدع لا تصح صلاتك، إنها تصح ما دام هو مسلم وإن كان مبتدع، أو صاحب هوى أو فرقة، كما هو معروف.

إذا لا تجوز الصلاة خلف من يظهر البدعة والفجور من المسلمين مع إمكانها خلف غيره، أما إذا لم تمكن فإنها لا بأس بها وإن وقعت صحت، ويأثم فاعلها إلا إذا قصد دفع مفسدة أعظم، مثال ذلك، إذا كان الإمام المبتدع سلطان المسلمين، فتصلي خلفه، ولذلك كان الإمام أحمد أيتم المحنة ، والمأمون ليس فقط مبتدع بل كان داعية لبدعة ، وكان يفرض البدعة بقوة السلطان، ومع ذلك كان الإمام أحمد يصلي خلفه، لأن ترك الصلاة خلفه تؤدي لمفسدة أعظم، لأن العاطفيين والغوغائية وحدثاء الأسنان لو لم يصلي الإمام أحمد خلف المأمون؛ كفروا المأمون، وخرجوا عليه، فهذا فقه يجب أن يعلمه الناس ويفقهه طلاب العلم خاصة، فإن لم يوجد إلا مثله أو شر منه، جازت خلفه ولا يجوز ترك الجماعة بمعاذير أن في الأئمة أخطاء أو بدع أو فسق أو نحو ذلك .

ومن حكم بكفره كفر ردة؛ لم تصح الصلاة خلفه

لكن من الذي يحكم بأن فلان من الناس كفر كفرا يوقعه في الردة؟ الإمام، وإلا فلا، وإلا إذا فتحنا الباب لكل إنسان حتى وإن كان طالب علم؛ وقعت فتنة، فالناس تختلف اجتهاداتهم لأن الأمر عظيم.

تاسعا : الإمامة الكبرى،

يعني إمامة المسلمين، السلطان، الملك، الخلافة، أياً كان اسمها، الرئاسة، التي هي حكم البلاد، سواء كان بلاد المسلمين بعمومها، أو جزء يتجزأ من بلاد المسلمين، وبعض الناس يجهل، يقول (جزء يتجزأ من بلاد المسلمين أمر حادث) لا؛ فبلاد المسلمين تجزأت حتى في عهد الخلفاء الراشدين، وكانت السلطة هنا وهنا كلها شرعية، كان هناك أناس يتبعون بيعة الإمام علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– وفئة من المسلمين لا يزالون تحت إمامة وبيعة معاوية بن أبي سفيان –رضي الله عنه– وكلٌ له أحكامه.

إذا الإمامة الكبرى بحسب وضع البلد، والإمامة الكبرى تثبت بعدة أمور.

الأمر الأول: إجماع الأمة بالشورى

يعني إذا أجمع المسلمون –ويمثلهم أهل الحل والعقد– على إمام أو سلطان أو ملك، فيكون بذلك له حق السلطة والإمامة.

الأمر الثاني: بيعة أهل الحل والعقد ولو لم يكن الجميع

يعني مجموعة ممن لهم شأن في الأمة من العلماء ورؤساء العشائر زوي الرأي والتأثير في الأمة، ولو كانوا قلة، لو كانوا ثلاثة مثلا، فبايعوا سلطانا لزمت بيعته على الجميع، وصار إماما تجب له حقوق الإمامة بغير معصية الله حسب ما هو معروف.

الأمر الثالث: يكون بالتغلب، بمعنى تنازع سلاطين على الحكم وغلب واحد؛ فإذا غلب واستتب له الحكم وجبت بيعته وصار له حكم إمام المسلمين، وإن لم يكن هو الأفضل، وإن كان فاجرا أو ظالما كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث.

الأمر الرابع: الوصية

والوصية حدثت حتى في عهد الخلفاء الراشدين ، أبو بكر -رضي الله عنه- أوصى من بعده لمن؟ لعمر، وصورة الوصية قد تكون مثل ما حدث من أبي بكر -رضي الله عنه- وقد تكون أيضا مثل صورة ولاية العهد، كما حدث من معاوية -رضي الله عنه- حينما طلب البيعة ليزيد، وتسمى بولاية العهد، وهي نوع من الوصية.

فهذه الأمور الأربع أو غيرها ، أي صورة يتمكن فيها مسلم من الحكم في بلد من بلاد المسلمين ويستتب له الأمن والأمر، تجب بيعته وطاعته بالمعروف من غير منكر أو معصية الله.

إذاً، من تحققت له السلطة وجبت طاعته بالمعروف ومناصحته، وحرم الخروج عليه، إلا أذا ظهر منه كفر بواح، فيه من الله برهان ويقول به الراسخون في العلم وأهل الحل والعقد .

(عاشرا: الصلاة والحج والجهاد واجبة مع أئمة المسلمين وإن جاروا.

الحادي عشر: يحرم القتال بين المسلمين على الدنيا، أو الحمية الجاهلية، وهو من أكبر الكبائر، وإنما يجوز قتال أهل البدعة والبغي، وأشباههم إذا لم يمكن دفعهم بأقل من ذلك، وقد يجب بحسب المصلحة والحال.

الثاني عشر: الصحابة الكرام كلهم عدول، وهم أفضل هذه الأمة ، والشهادة لهم بالإيمان والفضل أصل قطعي معلوم من الدين بالضرورة، ومحبتهم دين وإيمان، وكفرهم بغض ونفاق، مع الكف عما شجر بينهم، وترك الخوض فيه بما يقدح في قدرهم، وأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وهم الخلفاء الراشدين ، وتثبت خلافة كل منهم حسب ترتيبهم.

الثالث عشر: ومن الدين محبة آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وتوليهم وتعظيم قدر أزواجه أمهات المؤمنين، ومعرفة فضلهن ومحبة أئمة السلف وعلماء السنة والتابعين لهم بإحسان ، ومجانبة أهل البدع والأهواء.

الرابع عشر: الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، وهو ماضٍ إلى قيام الساعة.

الخامس عشر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة؛ من أعظم شعائر الإسلام، وأسباب حفظ جماعته وهما يجبان بحسب الطاعة والمصلحة معتبرة في ذلك.)

هذا استكمال لجوانب مفهوم الجماعة والإمامة ولوازمها، من ذلك أن الصلاة وهي أعظم شعائر الإسلام الظاهرة، وكذلك الحج وهو ركن الإسلام، والجهاد وهو ذروة سنام الإسلام، كل هذه من أصول الدين الواجبة مع

سلاطين المسلمين، مع أمراء المسلمين، أبرارا كانوا أو فجارا، وهذه وصية الله ، وهي أيضا نهج رسوله صلى الله عليه وسلم وما أوصى به.

وقد يقول قائل: مع الأبرار، لا نختلف، لكن لماذا؟ وكيف؟ نصلى ونحجج ونجاهد مع الولاة غير الصالحين مع الفجار والظلمة؟

نقول : نعم، لماذا ؟ لأنهم قد ينصر الله بهم الدين، وإن كان فيهم ظلم ، وكونهم وقعوا في مثل هذه الأخطاء الكبيرة ؛ لا يعني أنهم لا يجوز طاعتهم ، لأن طاعتهم لمقامهم؛ لا لأشخاصهم ، المقام الذي تسلموه، وهو قيادة الأمة، وحفظ كيانها، وحفظ أمنها الذي لا تقوم به مصالح الأمة إلا به، فدين المسلمين ، ودمائهم، وأعراضهم، وأموالهم، وحرياتهم، لا يمكن تستقيم إلا بسلطان، برا كان أو فاجرا، فإذا أقام الصلاة فنصلي خلفه، وإذا حج فنحج معه، وإذا جاهد نجاهد معه، لأن هذا مما يحفظ كيان الدين والأمة ، وذنبه هو عليه، لكن مع استمرار النصح له .

ومهما كان الأمر، ومهما اختلفنا عليه، فهي وصية من الناصح الأمين ، وهي أثمن وصية بسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم بعد ذلك يحرم القتال بين المسلمين، مهما كانت مبرراته ما لم يكن القتال من أهل الحل والعقد والجماعة والسلطان ضد البغاة المفسدين، هذا ليس من القتال بين المسلمين، وهذا يسمى كف الشر، لكن القتال الذي منشأه التنازع على الدنيا ، أو التنازع على السلطان، أو الحمية الجاهلية، أو العصبية، أو أي غرض لا يُقصد به نصر الدين، أو قُصد به نصر الدين على وجه غير مشروع، فإنه يعتبر من أكبر الكبائر، إنما المشروع هو أن يقاتل من يعم فساده، سواء فساد في العقيدة كأهل البدع الذين يفتنون المسلمين ، فإذا ما كفوا عن فتنتهم للمسلمين وما كفوا عن خروجهم على السلطان إلا بالقتال؛ يُقاتلون، أهل البدع والفساد والبغي وأشباههم؛ يُقاتلون إذا صار شرهم يتعدى ولم يكفوا بالطرق السلمية ، إذا لم يمكن دفعهم بأقل من القتال، فإنه يجوز لإمام المسلمين وأهل الحل والعقد أن يقاتلوهم، بحسب الحال والمصلحة، ما لم يكن هناك مفاسد كبرى.

ثم عرج أهل السنة والجماعة بعد هذه الأصول على أن من الجماعة فئة هي الفئة النموذجية القدوة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبعده، وسبق أن قلت أن رأس الجماعة هم الصحابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبعده، هم رأس الجماعة وأولها، وهم الأنموذج الأول، وهم القدوة الأوائل، هم الذين رسموا سبيل المؤمنين ، هم الصحابة الكرام، وهم كلهم عدول في الدين، والعدالة هنا لا تعني أنه لا يرتكب منهم أحد أخطاء أو فسق، أو نحو ذلك، إنما العدالة في نقل الدين، لأن الله تعالى تكفل بحفظ الدين وكان مما تكفل الله به؛ أن عهد إلى النبي صلى الله عليه وسلم بنقل الدين على الصحابة، عهده عليهم، فنقلوه، حتى من كان عنده شيء من الخطأ أو المعصية، الصحابة ليسوا كلهم معصومون ، بل كلهم ليسوا معصومون، لكن مع ذلك هم في نقل الدين هم عدول.

والشهادة لهم بالإيمان والفضل، يعني شهادة المسلم لهم بالإيمان والفضل، أصل قطعي معلوم من الدين بالضرورة، بقواطع النصوص والإجماع، ولأن هذا من ضرورات الدين، لأن الطاعن في الصحابة يطعن في الدين، من الذي نقل لنا الدين بعد النبي صلى الله عليه وسلم غيرهم؟!، فالطعن فيهم لابد أن يرجع إلى الطعن في قلب الأمة، في ضمير الأمة، وما أشد على الأمة فيما يتعلق بمطاعن أهل الأهواء على السلف، ما أشد على الأمة من الطعن في خيارها، ولا أحد مسلم عنده نسبة من عقل يسمح لأحد أن يفترى ويطعن على الخيار.

ثم بعد ذلك : محبتهم دينا وإيماناً ؛لأن الله أمر به، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى به .

وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

العقيدة – المستوى الثاني
الشيخ/ د. أحمد النقيب

الدرس الأول

شرح المقدمة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفسه. بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وكفى وصلاة وسلاماًعلى عباده الذين اصطفى اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك على النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– وعلى آله وصحبه تسليماً كثيراً ثم أما بعد:

إخواني وأحبائي في الله سيكون حديثي مع حضراتكم شارحاً لرسالة الإمام أبي محمد بن أبي زيد القيرواني ولكني أحب قبل أن أدخل في الشرح أن أقدم مقدمة – وإن كانت طويلة شيئاً ما– بين يدي هذا الشرح، هذه المقدمة تتناول العناصر الآتية:

النقطة الأولى: معنى الاعتقاد، فلابد للإنسان قبل أن يدرس شيئاً أن يفهم العنوان العام الذي يندرج تحته ما يعلم أو ما يسمع.

النقطة الثانية: لماذا تدرس العقيدة؟ .

النقطة الثالثة: طرق التصنيف في العقيدة.

والنقطة الرابعة: ترجمة ميسرة للمصنف مع بيان سبب اختيار هذه الرسالة للدرس.

النقطة الخامسة: مقدمة الرسالة هذه المقدمة التي غفل عنها كثير من المعاصرين عندما تعرضوا لشرح هذه الرسالة.

النقطة السادسة: نتعرض لفقرة من فقرات رسالة الإمام القيرواني بشرح وأسأل الله تعالى التيسير والعون.

بداية الاعتقاد هذه كلمة دوارة نسمعها كثيراً ونقرؤها كثيراً في مصنفات أهل العلم ولابد للإنسان المسلم أن تكون له عقيدة يعتقدها، والاعتقاد من الفعل اعتقد يقال: اعتقد العسل إذا صلب واشتد، ومنه أيضاً: اعتقدت النواة إذا صلب حالها واشتد وبالتالي فإن الاعتقاد فيه معنى القوة والصلابة والشدة، وأيضاً الاعتقاد بمعنى الاتخاذ يقال: اعتقدت أخاً لي في الله أي اتخذته وفي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وهو حديث أبي قتادة عندما قتل رجلاً من المشركين فأخذ سلبه فاشترى به مخرفاً والمخرف هو البستان قال: وإنه لأول مال اعتقدته أي وإنه لأول مال اتخذته.

إذن الاعتقاد لابد فيه من أمرين:

الأمر الأول: جمل صالحة ينبغي أن تتخذ اعتقاداً فتحب .

والأمر الثاني: أن هذه الجمل الصالحة التي اتخذت وأحبت لابد للإنسان المسلم أن يجمع عليها قلبه فتشتد هذه المعاني في قلبه وتصلب وتقوى فلا تتزعزع ولا تتضعضع ولا تضعف بمر السنين ولا بمر الأيام.

إذن الاعتقاد: مجموعة من الجمل النافعة الثابتة من الكتاب وصحيح السنة وكذلك ما ثبت صحيحاً في هذا الباب عن الصحابة والتابعين هذه الجمل الصحيحة تحب ويتحمس لها وتجعل في القلب فتشتد في القلب وتنمو فيه فتصلب وتغلظ وتقوى، والاعتقاد يتناول المباحث التالية:

أولاً: الاعتقاد في الله – عز وجل –

ثانياً: الاعتقاد في الأنبياء ومنهم الاعتقاد في النبي –صلى الله عليه وسلم–

ثالثاً: الاعتقاد في الغيب.

رابعاً: الاعتقاد في الصحابة.

خامساً: الاعتقاد فيما ينبغي أن تكون عليه في مرتبة العبودية.

فإذا اتخذت جملاً علمية نافعة في كل باب من هذه الأبواب من مجموع هذه الجمل تكون قد اتخذت عقيدة تعتقدها، تجمع عليها قلبك، تحبها، تتحمس لها، تموت من أجلها، تعيش وتحيا من أجلها. إذن هذا معنى الاعتقاد.

النقطة الثانية: لماذا تدرس العقيدة ؟ هل تدرس العقيدة كنوع من الترف العلمي؟ كنوع من تربية العقول فتتسع بدراسة العقيدة على حساب القلوب؟

هل المقصود بالعقيدة ودراستها أن يكون الإنسان متكلماً لسناً في أمور العقيدة يستطيع أن يجادل هذا وأن يرد هذا وأن يثبت حضوراً ووجوداً أبداً ؟

بدايةً لا بد أن نعلم أننا ندرس العقيدة للتقرب بها لله – عز وجل – إذن تدرس العقيدة للتقرب بها إلى الله – عز وجل – فإن العلم بالعقيدة من العلم النافع الذي هو عبادة لله – عز وجل – قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى– «العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة» وأفضل العلوم ما قربك إلى الله وما وصلك بالله، فالعقيدة دراستها عبادة لله – عز وجل – لأن الله تعالى يرضى بدراستهاعن العبد إذا أصلح بها النية.

إذن تدرس العقيدة للتقرب بها إلى الله – عز وجل – لأن في درسها عبادة وقربى وزلفى إلى الله.

الأمر الثاني: أن النبي –صلى الله عليه وسلم– عندما دعا الناس في مكة دعاهم ثلاث عشرة سنة بمكة يدعوهم فيها إلى " لا إله إلا الله " (قولوا: لا إله إلا الله تفلحو) فهي دعوة إلى التوحيد دعوة إلى تركيز معاني الاعتقاد فكان النبي –صلى الله عليه وسلم– يعلمهم لا إله إلا الله في الموقف مع الموقف وفي الوقت مع الوقت.

الأمر الثالث: سريعاً حتى لا أطيل أنه لا عزة لهذه الأمة إلا بإعداد جيل عقائدي، جيل يقود هذه الأمة إلى الله – عز وجل – لا يتصور أبداً أن تقود الأمة نفسها إلى الله ولكن لا بد من جيل يقود هذه الأمة بعد طول المدة إلى الله – عز وجل – وأعظم ما يتصف به هذا الجيل أنه جيل مربى على العقيدة الصحيحة.

الأمر الرابع: تطلب العقيدة وتدرس العقيدة لتنقية مجتمعات المسلمين من صور الشرك والبدع والخرافات والخزعبلات وهذا قصد شريف لا بد من التنويه عليه.

الأمر الخامس: أن العقيدة الصحيحة سبب في وحدة المسلمين ولا يخفى علينا ما وصل الحال إليه في أفغانستان عندما تفرق المسلمون عن طلب العقيدة الصحيحة فقاتل الصوفي بجوار الطرقي بجوار السني بجوار السني بجوار الشيعي ولم يحرروا مسائل الاعتقاد ولم يرفعوا راية الاعتقاد الصحيحة ما الذي حدث بعد ذلك تفرقوا شذر مذر وكانت أسلحتهم في صدور بعضهم بعضاً وتركوا الغاية الكبيرة التي من أجلها كان الجهاد فلا بد للمسلمين أن يجتمعوا تحت راية الاعتقاد الصحيح لا يجتمعوا تحت راية غير واضحة من هنا أو هناك، ولكن لابد أن يكون الاعتقاد الصحيح هو النهج المسيطر على حركتهم وعلى تجمعهم.

إذن عرفنا معنى الاعتقاد، ثانياً: لماذا تطلب العقيدة وتدرس؟

النقطة الثالثة: طرق التصنيف في العقيدة:

سريعاً بعض المناهج الموجودة في التصنيف تصنيف كتب الاعتقاد، نجد طريقة المحدثين الأوائل في كتبهم وهي دواوين الحديث الإمام البخاري مثلاً والإمام مسلم نجد الإمام البخاري – عليه رحمة الله– في كتابه الصحيح يجعل كتاباً للتوحيد ويجعل كتاباً للقدر ونجد الإمام مسلم –عليه رحمة الله– يجعل كتاباً للإيمان، إذن هذه محاولات للتصنيف في الاعتقاد ولكن لم يفردوا مصنفاً لدراسة الاعتقاد، إذن هذه طريقة موجودة أن دراسة الاعتقاد تكون في مجمل الأحاديث الموجودة في هذا الديوان، إذن هذا الديوان يشمل أحاديث الدين في الاعتقاد في الشريعة في السلوك في المغازي.

الطريقة الثانية: وهي الطرق الحديثية المتخصصة ومن ذلك كتاب الإيمان لابن أبي شيبة فالمصنف يسوق كل حديث في مسائل الإيمان أو التوحيد أو الصحابة أو القدر أو الغيب أو الجنة أو النار أو ما قبل ذلك، القبر أو علامات الساعة يسوق كل حديث بإسناده المتصل، إذن هذه طريقة ثانية في تصنيف كتب الاعتقاد الكتب المفردة لدارسة الاعتقاد ، نأتي بعد ذلك إلى كتب الردود، أهل السنة – جزاهم الله خيراً– قاموا بجهد كبير في الدفاع عن حياض السنة والرد على المبتدعة كالجهمية والمعطلة والزنادقة والمعتزلة ومن هذه الكتب السلفية العظيمة التي جردت هذه المسألة وهي مسألة الردود: كتاب " الرد على المعتزلة " للإمام الدارني– عليه رحمة الله– طريقة رابعة وهو الكتب المطولة التي تعنى بدارسة موضوع واحد ومن هذه الكتب كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية كتاب " الإيمان" سواء الإيمان الكبير أو الإيمان الأوسط لشيخ الإسلام ابن تيمية، فهو معني بدراسة قضية واحدة وهي قضية الإيمان. ومثل "توحيد الأسماء والصفات" لإمام الأئمة ابن خزيمة محمد ابن خزيمة فهذا كتاب مفرد لقضية معينة وهي قضية الأسماء والصفات. الطريقة الخامسة: الكتب المختصرة وهي الكتب التي تشتمل على مجملات الاعتقاد سواء في مسألة الإلهيات أو النبوات أو الغيبيات أو مسألة القدر أو مسألة الصحابة أو مسألة العبودية، تشتمل على الجمل المختصرة النافعة البسيطة وهذه الجمل المختصرة النافعة دراستها مفيدة لطلبة العلم لا سيما إذا كانوا مبتدئين، من هذه الكتب المتقدمة " رسالة الإمام القيرواني" وهي التي سنقوم بشرحها – بإذن الله تعالىومعونته – ومن هذه المختصرة النافعة " قطف الثمر" لصديق حسن خان –عليه رحمة الله– قلت لكم: إن هذا المؤلَّف وهو رسالة الإمام أبي زيد القيراوان رسالة مختصرة بسيطة وهذه الرسالة لم يفردها الإمام القيرواني أبي زيد في مسائل الاعتقاد فقط ولكن شملت مسائل الاعتقاد كما شملت أيضاً مسائل الشريعة فتكلم فيها عن الصلاة وعن الزكاة وعن الحج وعن الجنائز وعن الرمي وعن التجارة وتكلم فيها أيضاً عن الحدود وعن الربا كما تكلم فيها أيضاً عن الآداب والسلوك كآداب التثاؤب ودخول الخلاء ونحو ذلك، وهذه الرسالة حوت نحواً من أربعة آلاف مسألة.

وقد اخترنا هذه الرسالة لعدة أسباب: السبب الأول أن الإمام القيرواني من المتقدمين فهو من علماء القرن الرابع الهجري ولد سنة ٣١٠هـ وتوفي سنة ٣٨٦هـ عليه رحمة الله.

الأمر الثاني: أن هذه الرسالة رسالة مختصرة نافعة تلقاها العلماء بالقبول، فما زال العلماء في بلاد المشرق وبلاد المغرب – ويقصد ببلاد المغرب بلاد الأندلس والمغرب الكبير – ما زال العلماء يتلقون هذه الرسالة بالقبول ويشرحونها ومنهم من نظمها ومنهم من شرح هذا النظم، وهناك أكثر من ثلاثة وخمسين شرحاً لهذه الرسالة.

الأمر الثاني: أن هذا الإمام القيرواني كان على طريقة السلف، يقول عنه الإمام الذهبي –رحمه الله تعالى– " كان على طريقة السلف في الأصول" والمقصود بالأصول أي مسائل الاعتقاد لا يقصد بالأصول هنا أصول الفقه ولكن يقصد بالأصول هنا مسائل الاعتقاد.

الأمر الثالث: أن العصر الذي كان يعيش فيه إمامنا القيرواني كان شبيهاً بالعصر الذي نعيش فيه نحن هذه الأيام، كان القيرواني يعيش في الأندلس في عصر الخلافة الراشدة فإن الخلافة الراشدة كانت موجودة في بلاد الأندلس واستمرت هذه الخلافة الأموية نحواً من مائتي سنة ولم ينكسر ظل الإسلام في بلاد الأندلس إلا في سنة ١٤٩٣هـ بسقوط طليطلة وغرناطة بأيدي الفرنجة ، الإمام القيرواني – كما قلت – كان عصره شبيهاً بهذا العصر الذي نعيش فيه كانت الفرنجة تتربص بديار الإسلام لا سيما بلاد الأندلس، فكان الجرمان يتربصون ببلاد الأندلس ويشنون الغارات على بلاد الأندلس.

الأمر الثاني: كانت الدعوة العبيدية الفاطمية وهكذا تسمى في كتب التاريخ وللأسف في التاريخ المعاصر تسمى بالدعوة الفاطمية نسبة إلى السيدة فاطمة بنت محمد –صلى الله عليه وسلم– وهذه تسمية غير صحيحة، والتسمية الصحيحة أنها الدولة العبيدية الإسماعيلية الباطنية دولة شيعية إسماعيلية باطنية خبيثة قامت في بلاد المغرب وهذه الدولة الخبيثة التي قامت في بلاد المغرب كانت تتطلع إلى بلدين كانت تتطلع إلى بلاد مصر كما كانت تتطلع إلى بلاد الأندلس، الشيعة الإسماعيلية الرافضة في المغرب عندما كونوا دولة لهم أرادوا أن يتوسعوا فطمحوا إلى بلاد الأندلس كما طمحوا إلى بلاد مصر، في ذلك الوقت كان للأندلس أمير أندلسي يسمى عبد الرحمن والملقب بالمستنصر الأموى وهو أول من لقب بلقب أمير المؤمنين هذا الأمير الأموي كان صاحب همة عالية وصاحب علم واجتهاد وجهاد فجعل من أولوياته أن يدفع عن ديار الأندلس خطر الشيعة الإسماعيلية الزنادقة وكانت هناك حروب كثيرة بين الدولة الأندلسية وبين الشيعة وانتهت هذه المنازلات بانتصار الدولة الأموية في الأندلس وتمكن أهل السنة من بلاد المغرب واندحار الشيعة لاسيما بعد دخولهم مصر وتمركزهم في مصر ونحن نعيش هذه الأيام تربص الكفرة بديار الإسلام كما نعيش في هذه الآنة تربص الشيعة بديار الإسلام فهذا الرجل عندما يتكلم عن الاعتقاد فإنما يتكلم بحثٍ نحن في حاجة إليه لا يتكلم من برج عال ولا يتكلم بمعزل عن واقعه وإنما يتكلم عارضاً عقيدته رابطاً بينها وبين واقعه، وهذا من الأسباب التي جعلتنا نجتهد ونختار هذه العقيدة.

إذا طالعنا رسالة الإمام القيرواني سنجد أن هذه الرسالة تدل على ماهيته ودائماً يقولون بأن الاختصار أصعب من الشرح، فلو أن هناك صفحة من كتاب وأردت أن تختصرها لكان هذا الاختصار في جملة أصعب من شرح جملة يعني لو هناك صفحة اختصارها في جملة أصعب من شرح جملة في صفحة. هذه العقيدة تدل على ذهن سيَّال وتدل على علم عظيم ولذلك لن أطيل في ترجمة هذا الإمام ولكن أذكر إشارات سريعة لأن الوقت ضيق من هذه الإشارات ما قاله اليافعي في كتابه " مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان" واليافعي هذا من علماء القرن الثامن الهجري توفي سنة ٧٦٨هـ يقول اليافعي: توفي في هذه السنة سنة تسع وثمانين وثلاثمائة – وهذه رواية أخرى في سنة وفاته– تسع وثمانين وثلاثمائة توفي الإمام الكبير أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي شيخ المغرب– وعندما نقول: المغرب لا نقصد المملكة المغربية ولكن يقصد

المغرب الشمال الأفريقي من أول تونس والجزائر والمغرب الذي يسمى بالمغرب الكبير وأحياناً يضاف إلى ذلك بلاد الأندلس فهو أندلسي ونشأ في القيروان- انتهت إليه رئاسة المذهب - أي المذهب المالكي- قال القاضي عياض وهو مالكي " حاز رياسة الدنيا والدين ورحل إليه من الأقطار وكثر الآخذون عنه وهو الذي لخص المذهب أي مذهب الإمام مالك وملأ البلاد من تواليفه أي من تآليفه وكان يسمى مالكاً الأصغر، ونرى أيضا ترجمة له في سير أعلام النبلاء في المجلد السابع عشر يمكن أن تراجعوها ونرى أيضاً بعض التراجم التي يمكن أن تنفعنا في تراجم تلاميذه في المجلدات السابع عشر في أكثر من موطن فعندما تقرأ تراجم تلاميذه كابن العجوز المالكي وكذلك أبي عمران الفاسي المالكي وابن غالب عندما تقرؤوا تراجم تلاميذه تعرفوا قدر هذا الشيخ، توفي الشيخ -عليه رحمة الله- في سنة ٣٨٦ وقيل ٣٨٩هـ عليه رحمة الله.

نأتي بعد ذلك إلى مقدمة الرسالة وعندما أقول: الرسالة. الرسالة معناها الأكمل التي اشتملت على الاعتقاد واشتملت أيضاً على أبواب الشريعة واشتملت أيضاً على أبواب من أصول الفقه واشتملت أيضاً على أبواب من السلوك والآداب، هذه الرسالة قدم لها بمقدمة رائعة يجدر بي أن أذكرها لحضراتكم.

قال الشيخ -عليه رحمة الله- (الحمد لله الذي ابتدأ الإنسان وصوره في الأرحام بحكمته)، والمرجو من إخواني الأحبة أن ينظروا إلى المعاني العقائدية الموجودة في هذه المقدمة وأنا ذكرت هذه المقدمة مع أن كثيراً من الشروح لم يتناول هذه المقدمة ولم يذكر هذه المقدمة لتعلقها بالعقيدة ونحن ندرس العقيدة (الحمد لله الذي ابتدأ الإنسان وصوره في الأرحام بحكمته وأبرزه إلى رفقه وما يسره له من رزقه) والمقصود من رفقه أي أبرزه إلى رفق الله تعالى به فأنت تعيش وأنت تصاحب وتستصحب معاني رفق الله تعالى بك (وأبرزه إلى رفقه وما ويسره له من رزقه وعلمه ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيماً ونبأه بآثار صنعته)﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ﴾ [الروم: ٢٢]، فهذه كلها دالة على صنعة الله - عز وجل - وعلى قدرته - سبحانه وتعالى- (وأعذر إليه على ألسنة المرسلين الخيرة من خلقه فهدى من وفقه بفضله وأضل من خذله بعدله ويسر المؤمنين لليسرى وشرح صدورهم للذكرى فآمنوا بالله بألسنتهم ناطقين وبقلوبهم مخلصين وبما أتتهم به رسله وكتبه عاملين وتعلموا ما علمهم ووقفوا عندما حد لهم واستغنوا بما أحل الله عما حرم عليهم .... أما بعد:

فقد أعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه) وهذه الرسالة ألفه الإمام القيرواني نزولاً على رغبة صديق من أصدقائه كان يقوم بتعليم الصبيان والولدان، فكتب له هذه الرسالة ليقوم صديقه المعلم المؤدب لصبيان المسلمين بتعليمهم هذه الرسالة وتلقينهم إياها. يقول: (أعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرائعه فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة من واجب أمور الديانة مما تنطق به الألسنة وتعتقده القلوب وتعمله الجوارح) أي: الاعتقاد بالجنان والنطق باللسان والعمل بالأركان أركان الإيمان (وما يتصل بالواجب من ذلك من السنن من مؤكدها ونوافلها ورغائبها وشيء من الآداب وجمل من أصول الفقه وفنونه على مذهب الإمام مالك بن أنس -رحمه الله تعالى-) والإمام مالك توفي سنة ١٧٩هـ (مع ما سهل) أي كتبت هذه الرسالة أريد بها التيسير والتسهيل وبيان ما أشكل من ذلك(من تفسير الراسخين وبيان المتفقهة؛ لما رغبت فيه من تعليم ذلك للولدان كما تعلمهم حروف القرآن ليسبق إلى قلوبهم من فهم دين الله ما ترجى لهم بركته وتحمد لهم عاقبته فأجبتك إلى ذلك لما رجوته لنفسي ولك من ثواب من علم دين الله أو دعى إليه، واعلم أن خير القلوب أوعاها للخير وأرجى القلوب للخير ما لم يسبق الشر إليه وأولى ما عني به الناصحون ورغب في أجره الراغبون إيصال الخير إلى قلوب أولاد المؤمنين ليرسخ فيها وتنبيههم على معالم الديانة وحدود الشريعة ليراضوا عليها) أن يتعودوا عليها (وماعليهم أن تعتقده من الدين قلوبهم وتعمل به جوارحهم فإنه روي (أن تعليم الصغار لكتاب الله يطفيء غضب الله)) وهذا الأثر منكر ولا يصح وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وحاول السيوطي أن يجمع له طرقاً لعله يحسن هذا الأثر ولكن هيهات هيهات (وأن تعلم الشيء في الصغر كالنقش في الحجر) وهذا أيضاً خبر موضوع أخرجه الطبراني وغيره (وقد مثلت لك من ذلك ما ينتفعون - إن شاء الله- بحفظه ويشرفون بعلمه ويسعدون

باعتقاده والعمل به وقد جاء أن يؤمروا بالصلاة لسبع سننين) طبعاً هذا الأثر أثر في بعض السنن وهو أثر صحيح (أن يؤمروا بالصلاة لسبع سننين ويضربوا عليها لعشر ويفرق بينهم في المضاجع، فكذلك ينبغي أن يعلموا ما فرض الله على العباد من قول وعمل قبل بلوغهم) يعني يجب أن يعلم الصبيان في الصغر ما يجب عليهم قبل بلوغهم (ليأتي عليهم البلوغ وقد تمكن ذلك من قلوبهم وسكنت إليه أنفسهم وأنست بما يعملون به من ذلك جوارحهم،)سكنت أي اطمئنمت (وقد فرق الله –سبحانه وتعالى– على القلب عملاً من الاعتقادات وعلى الجوارح الظهارة عملاً من الطاعات وسأفصل لك ما شرطت لك ذكره باباً باباً ليقرب من فهم متعلميه – إن شاء الله– وإياه سبحانه وتعالى نستخير وبه نستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه تسليماً كثيراً)ما رأيكم في هذه المقدمة؟ أريد واحداً من الإخوة يقول ما رأيه في هذه المقدمة، يعني هل هذه المقدمة لها تعلق بالعقيدة ؟

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله، أرى أن هذه المقدمة أجادت بجيد جداً – بعد فضل الله سبحانه وتعالى– فقد شرح الشيخ فيها –عليه رحمة الله ونسأل الله أن يتغمده برحمته ويجمعنا وإياه في الجنة إن شاء الله– قد أجاد فيها الشيخ فقد تناول أولاً العقيدة وشرح فيها بعض الأصول منها شرح الإيمان بالقلب وأجاب بتوضيحه أنه سوف يشرح – بعد فضل الله سبحانه وتعالى– المسائل العقائدية ومسائل فقهية وبعض السلوك والدين قائم أصلاً على العقيدة والعبادة والسلوك

هذا كلام جيد أنا أردت أن أعرف كنموذج هل هذه المقدمة عندما سمعتموها نقرت قلوبكم وعرفتم أن هناك علاقة بينها وبين العقيدة، يعني أنا كنت أحب أن يقوم الشارحون للجزء المتعلق بالعقيدة أن يقوموا بذكر هذه المقدمة لأن هذه المقدمة بينت خطورة العقيدة وأهمية تعليم العقيدة لناشئة المسلمين وعندما يقول الشيخ هنا للصغار فالمقصود بالصغار أي صغار المسلمين أي صغار الأطفال من المسلمين يعني ينبغي أن نجتهد في تعليم العقيدة لصغار الأطفال من المسلمين، الطفل الصغير هذا ننشئه على العقيدة الصحيحة حتى عندما يشب ويكبر يبلغ عليها وقد عرفها وفهمها فهما جيداً هذا ما قصده الشيخ.

وفقرة اليوم – بإذن الله تعالى– نتكلم فيها عن ما يجب على المكلف اعتقاده من الإيمان بالله ووحدانيته في ذاته وأسمائه وصفاته وفي خلقه وفعله وفي طلبه وعبادته وقصده، هذا مجمل وملخص ما سنقوم – بإذن الله تعالى– في شرحه اليوم.

قال المصنف –رحمه الله تعالى– (قال أبو محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني –رضي الله عنه– باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات من ذلك: الإيمان بالقلب والنطق باللسان أن الله إله واحد لا إله غيره ولا شبيه له ولا نظير له ولا ولد له ولا والد له ولا صاحبة له ولا شريك له)

المصنف –رحمه الله تعالى– يقول: (باب ما تنطق به الألسنة) الباب: ما يدخل منه إلى الشيء ومنه باب الدار، والمقصود هنا جملة المسائل التي بمعرفتها تكون قد دخلت أمور العقيدة وفهمتها قوله (باب ما تنطق به الألسنة) النطق والمنطق بمعنى اللفظ، وهل اللفظ هو الكلام وما العلاقة بين اللفظ والكلام؟ الكلام : القول الذي عليه جماهير أهل اللغة أن اللفظ أعم من الكلام الكلام هو اللفظ المفيد أما مطلق اللفظ فقد يكون مفيداً أو غير مفيد فعندما تقول: زيد. فزيد هذا كلمة مفيدة أو لفظ مفيد دل على معين وعندما تقولك ديز ما معنى ديز ليس له معنى إذن لفظ ولكنه غير مفيد، إذن هذا لفظ إذن اللفظ أعم من الكلام، قوله (ما تنطق به الألسنة) والألسنة جمع لسان وهذا معلوم (باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة) تعتقده ما معناها؟ يعني تتخذه وترتبط به وتحبه ويكون من أجلها الولاء والبراء وتعتقده الأفئدة.

إذن تتعلمه وتحبه وتتخذه ويجمع عليها القلب فتثبت في القلب وتشتد في القلب وتقوى في القلب، وهنا مسألة وهي: أنه بهذا المفهوم للاعتقاد يصح إيمان العالم لأن العالم ينظر ويتأمل ويتدبر ويتخذ فيصح إيمانه، فما الحكم في إيمان المقلد؟ إنسان عامي بسيط غير عالم لا يقرأ ولا يكتب ولكنه يظن خيراً في الشيخ الفلاني أو الإمام الفلاني وعنه أخذ عقيدته في الله وعن النبي –صلى الله عليه وسلم– وسمع منه القرآن وعنه أحب الصحابة وعرف الله – عز وجل – وعرف اليوم الآخر هل يصح إيمان هذا الملقد، القول الحق في هذه المسألة أن إيمان المقلد يصح، وهذه المسألة قررها شيخ الإسلام ابن تيمية كما قررها أيضاً الإمام النووي في شرحه لمسلم لأن الإيمان إذا لم يصح إلا من خلال النظر لكان في ذلك عنت، وما زال المسلمون يفتحون ديار الناس شرقاً وغرباً، ديار الروم وديار الفرس وديار البربر وديار الفرس ولم يطلبوا منهم أن يكونوا ناظرين مُنظِّرين ولكن طلبوا منهم أن يقولوا: لا إله إلا الله، وهذا دليل قوي على أن إيمان المقلد يصح، إنه قد اتخذ عقيدة وقد أحبها وأخلص لها وأصبحت قوية في قلبه ولكن لا بد للمقلد أن يجتهد في تقليلد من يقلد، إذن واجب على المقلد أن يجتهد ولكن يجتهد في تقليد من يقلد.

الأفئدة، (وتعتقده الأفئدة) قال المصنف هنا الأفئدة، ما العلاقة بين الفؤاد والقلب؟ هل الفؤاد هو القلب؟ هذا قول وقيل: إن الفؤاد ما بداخل القلب، فمعنى ذلك أن العقيدة لابد أن تكون مغروزة في داخل القلب، تعتقده الأفئدة أي ما يكون مغروزاً في داخل القلب.

يقول المصنف: (وتعتقده الأفئدة، من واجب أمور الديانات) المقصود بالأمور أي شؤون وأمور الديانات مقصود بها ما يجب على المكلف أن يعرفه في أمر دينه، (بأن الله إله واحد لا إله غيره) أول واجب ينبغي على المكلف أن يعرفه أن يعرف الله – عز وجل –

فأول واجب على العبيد *** معرفة الرحمن بالتوحيد

ولفظ الجلالة الله قيل: هو اسم مركب من الألف واللام بالإضافة إلى الإله وإله على وزن فعال بمعنى مألوه فعال بمعنى مفعول ككتاب بمعنى مكتوب إذن إله بمعنى مألوه، وهذا يسمى في اللغة بتبادل الصيغ أن تأتي صيغة بمعنى صيغة أخرى إذن إله تأتي بمعنى مألوه، ومامعنى الإله؟ قيل: إن الإله مشتق من الفعل أله، يأله إلهة وألوهية بمعنى العبادة فالإله بمعنى المعبود والألوهية بمعنى العبادة، ومنه قول الله – عز وجل – ﴿ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، في القراءة الأخرى ويذرك وإلاهتك قالوا ويذكر وإلاهتك أي ويذرك وعبادتك وأخرج الطبري وغيره بإسناد فيه كلام من حديث عبد الله بن عباس أن فرعون كان يُعبد ولا يَعبد،ومنه قول رئبة بن العجاج:

لله در الغانيات المدة سبحن واسترجعن من تألهي

لله در الغانيات: أي النساء اللاتي استغنت بجمالها عن التجمل أو استغنت بزوجها عن النظر إلى غيره، المدة: مدهه كمدحه، أي المادحات لله در الغانيات المادحات، سبحن: أي قلن سبحان الله واسترجعن: أي قلن إنا لله وإنا إليه راجعون، من تألهي: أي بسبب عبادتي لله،

من: هنا فيها معنى السبب أي سبحن واسترجعن بسبب عبادتي لله – عز وجل –

إذن الله هو الإله المألوه المعبود بحق، الذي تعبده القلوب وتتوجه إليه الأفئدة، الإله الذي تتوجه إليه القلوب محبة ورغبة وإنابة واستعانة واستغاثة فلا إله غيره، (بأن الله إله واحد) كلمة واحد: صفة لإله فالله – تبارك وتعالى– واحد لا شريك له والمعلوم بأن الصفة قيد (بأن الله إله واحد) والصفة قيد، (لا إله غيره)هذه الجملة (لا إله غيره) تأكيد للجملة السابقة و"لا": هنا هي النافية للجنس، و(لا إله غيره) هنا نفي عام وإثبات خاص، النفي العام لا إله نفي لجميع الآلهة نفي لجميع المعبودات، ثم إثبات خاص إثبات للإلهية والعبادة للإله الواحد الحق، وقوله: لا إله غيره – كما قلت– تأكيد لمعنى التأكيد السابق، فعندما تقول: محمد صديقي ففيها إثبات للصداقة لمحمد، لكن عندما تقول: لا صديق لي غيره فمعناها في إثبات الصداقة أعلى من مجرد محمد صديقي، فكذلك قوله: بأن الله إله واحد لا إله غيره، وفي هذا المعنى أتت النصوص لقد تعجب المشركون من دعوة النبي محمد– صلى الله عليه وسلم– إلى التوحيد فقالوا: ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥ ﴾ ﴾ [ص: ٥]، سبحان الله أجعل الآلهة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى أكل هذه الآلهة التي نعبدها يكفر بها محمد ويجعل إلهاً واحداً تصرف إليه أعمالنا وتتوجه إليه قلوبنا، إن هذا لشيء عجاب وقال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾[البقرة: ٢٥٥] وقال الله تعالى﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾[الحشر: ٢٢].

إذن هذه الآيات تضمنت معنى الوحدانية هذا المعنى الذي أشار إليه المصنف – عليه رحمة الله– قال: (ولا شبيه له) الشبيه المماثل قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴿١١ ﴾ ﴾ [الشورى: ١١] وقال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٤]، والتقدير ولم يكن أحد كفواً له فأحد نكرة في سياق النفي للدلالة على العموم أي ليس أحد أبداً كفواً لله –عز وجل– مثيلا لله – عز وجل – شبيهاً لله –عز وجل– لا في ذاته ولا في أسمائه وصفاته – جل ربنا وتقدس– سبحانه لا شبيه له ولا نظير له، النظير بمعنى المساوي أي لا مساويَ لله – عز وجل – في حقيقته وذاته ولا في أسمائه وصفاته ولا في فعله وخلقه لا شبيه له (ولا ولد له ولا والد له) لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) ﴾ [الإخلاص: ٣] وقوله تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾[المؤمنون: ٩١]، فلا يمكن أبداً أن يكون له والد كما لا يمكن أبداً أن يكون له ولد – تعالى ربنا سبحانه– (ولا صاحبة له) كقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَداً (٣) ﴾ [الجن: ٣] فهو –سبحانه وتعالى– لا شبيه له ولا نظير له ولا ولد له ولا والد له ولا صاحبة له ولا شريك له ، له سبحانه وتعالى الأمر، وقبل ذلك قال الإمام (ومن ذلك) من ذلك الاعتقاد المجمل (الإيمان بالقلب والنطق باللسان) ما المقصود بالإيمان بالقلب؟ يقصد بالإيمان بالقلب: الاعتراف، والإذعان المستلزم للانقياد و المحبة والرضا هذا معنى الإيمان وهذا المعنى هو معنى الإقرار الذي أصله وشرحه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه القيم الإيمان الأوسط، وفارق بين الإقرار وبين التصديق وبيَّنَ شيخ الإسلام من وجوه كثيرة أن المعنى الصحيح للإيمان ليس التصديق ولكنه الإقرار، ولذلك أردت أن أشرح معنى الإقرار فقلت: الإيمان بالله أي الاعتراف والإذعان والتسليم المستلزم الانقياد والمحبة والرضا وهذا هو الإيمان المزكى الممدوح،ونسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى ذلك الإيمان، وأن يجعل ألسنتنا لاهجة بلا إله إلا الله وأن نكون من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وبإذن الله تعالى للحديث بقية ولكن نجعلها في حلقة قادمة.

يقول: سؤالي كما يلي: هل هناك فرق بين كتب العبادة والتوحيد؟ وإذا كان الجواب بنعم، فلماذا؟ لأننا نحن نعلم أن التوحيد هو العقيدة الصحيحة؟

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، جرت عادة المصنفين أن يفرقوا بين مسائل الاعتقاد عند التصنيف وبين مسائل الشريعة التي يسمونها بمسائل الفروع أو الفقهيات وهذا الكلام موجود بكثرة، لكني رأيت هذا الإمام أبو زيد القيرواني صنع هذا الصنيع ليدلل على أن الفقه كي تلج إليه لا بد أن تطلب الفقه الأكبر وهو الاعتقاد، الفقه الأكبر أن تفقه الطريق الموصلة إلى الله – عز وجل – بمعرفته ومعرفة رسله ومعرفة الغيب والقدر ومعرفة الصحابة، هذا هو الفقه الأكبر فلن تسلك إلى الفقه الأصغر إلا بمعرفة هذا الفقه الأكبر ولذلك جرت عادة بعض المصنفين أن يقدم بين يدي مسائل التشريع والفقه بمسائل الاعتقاد هذا فعله مصنفنا القيرواني كما فعله أيضاً ابن حزم في كتابه القيم "المحلى" هذه طريقة تصنيفية ليس لها أي بعد إلا مسألة التصنيف.

يقول: ما الفرق بين العقيدة والتوحيد؟

عندما نقول العقيدة أو الاعتقاد فهذا وصف من الفعل عقد أو الفعل اعتقد فباب الاعتقاد أو العقيدة أوسع من باب التوحيد، عندمانقول: التوحيد فنعني به توحيد الله – عز وجل – في ذاته وأسمائه وصفاته وهو المعروف بتوحيد الأسماء والذات والصفات وتوحيد الله – عز وجل – في خلقه وفعله هو توحيد الربوبية، والتوحيد الثالث: هو توحيد الله تعالى بأفعال عباده وهو توحيد القصد والطلب والمسمى بتوحيد العبادة أوتوحيد الألوهية.

إذن هذا هو التوحيد، عندما نقول: العقيدة أو الاعتقاد فإنها تشمل التوحيد وزيادة تشمل ما يتعلق بالله – عز وجل – وما يتعلق بالأنبياء وما يتعلق بالغيب وما يتعلق بالصحابة وما يتعلق بالقدر وما يتعلق بمقام العبودية، فبات واضحاً أمامكم أن مباحث العقيدة والاعتقاد أوسع من مباحث التوحيد.

السلام عليكم ورحمة الله: ذكرتم– فضيلة الشيخ– أنه لا عز لهذه الأمة إلا إذا تعلمت العقيدة الصحيحة واجتمعت الأمة تحت الاعتقاد الصحيح، فما العمل إذا كانت أغلب الكتب الاعتقاد التي تدرس في الوطن العربي والإسلامي في المدارس والجامعات في المعاهد الدينية فضلاً عن العلمية تخالف عقائد أهل السنة والجماعة والسلف الصالح –إلا من رحم الله–؟ وما دور طالب العلم تجاه هذا الأمر إذا اضطر لدراسة مثل هذه العقائد ليس لتعلمها فقط بل لاعتقادها كعقيدة للمسلم؟

السلام عليكم ورحمة الله: قلتم يا شيخنا: إن هناك أكثر من خمسين شرحاً لهذه الرسالة فنسأل عن شرح يكون جيداً ومطبوعاً ومتداولاً.

كان يعلق على قولكم لا عز لنا إلا بالعقيدة السليمة وماهو العمل إذا كانت كتب الاعتقاد التي تدرس تخالف الاعتقاد السليم؟ وما دور طلاب العلم إذا اضطروا إلى دراسة هذه المناهج الفاسدة؟

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ينبغي على طالب العلم أن يكون مستبصراً طريق الخير وطريق الحق وأعظم ما ينبغي أن يستبصره أن يستبصر عقيدة أهل السنة والجماعة، عقيدة أهل الأثر، عقيدة أهل الحديث وهذه العقيدة هي العقيدة الثابتة عن الصحابة وعن التابعين وعن تابعيهم وعن الأئمة الأعلام كالإمام مالك والأوزاعي والشافعي والثوري، فإذا أراد أن يطلب هذه العقيدة فعليه بأمرين: الأمر الأول: أن يطالع كلام الأئمة الكبار في مسائل الاعتقاد وأن يطالع كتبهم ومن ذلك مثلا من المتقدمين كتب الإمام أحمد –رحمه الله تعالى– فله كتاب في الرد على الزنادقة والجهمية وكذلك الإمام البخاري له كتاب خلق أفعال العباد، وكذلك يطالع كتب التوحيد والاعتقاد في كتب الحديث في صحيح مسلم وصحيح البخاري وعليه – بعد ذلك– أن يطالع الكتب الحديثية الأثرية التي تكلمت عن الاعتقاد مثل شرح أصول السنة للكائي والإبانة لابن بطة وكذلك أيضاً الشريعة

للآزرّي وكذلك كتاب الإيمان لابن أبي شيبة وغير ذلك من الكتب المصنفة الحديثية التي اهتمت بشرح الاعتقاد وأن يطالع من كتب المتأخرين كتب شيخ الإسلام ابن تيمية فهي كتب عظيمة النفع جداً ولا يمكن أن يتصور طالب علم يريد أن يسلك طريق النجاة لا يطالع كتب هذا الإمام المبارك وأن يطالع كتب تلاميذه من بعده ككتب ابن القيم وابن رجب وابن كثير ومن أفضل ما تراجعه لشيخ الإسلام ابن تيمية من كتب: كتابه الإيمان الكبير أو الإيمان الأوسط والمجلد السابع من مجموع الفتاوى اسمه الإيمان، فلو قرأت هذا المجلد وكذلك قرأت له في مجموعة الفتاوى مجمل اعتقاد السلف وكذلك مفصل اعتقاد السلف وقرأت له أيضاً مجلد السلوك وقرأت له مجلد القرآن كلام الله هذه المجلدات لو قرأتها لشيخ الإسلام ابن تيمية لوجدت الأمر أمامك متضحاً وكذلك تقرأ لتلميذه ابن القيم بعض الكتب ولا سيما كتابه القيم الذي شرح فيه إياك نعبد وإياك نستعين "مدارج السالكين" وكذلك تقرأ لبعض المتأخرين الذين تأخروا عن هذا الجيل: الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكتابه الجيد الجليل "كتاب التوحيد" مع شروحه لأولاده وأحفاده وتلاميذه إذا قرأت ذلك وحضرت مجالس العلم لمشايخ أهل السنة المشهود لهم والمعروف عنهم الخير دون أن تكون مرتدياً ثياب السبابة أو الطاعنين على أهل العلم أبشرك بالخير وأبشرك بما تحب أن تسمعه بإذن الله تعالى.

السؤال الثاني: وهو المتعلق بالشروح الكبيرة لهذه الرسالة أقول: هناك أكثر من ثلاثة وخمسين شرحاً وهي الأسماء التي وقفت عليها، وإلا فهناك شروح أكثر من ذلك لقد ذكر بعض المترجمين أن في كل سنة من السنين كان هناك شرح أو نظم لرسالة القيرواني فإذا قلنا: إنه توفي في سنة ٣٨٦هـ وانظر نحن الآن في أي سنة وانظر لعدد السنين لوجدت أن هناك مئات الشروح ربما لهذه الرسالة كثير من هذه الشروح مخطوط وبعض هذه الشروح مفقود لم يصل إلينا وهناك بعض هذه الشروح مطبوعة ولكنها قليلة غير متداولة في الأسواق، وبإذن الله تعالى يمكن أن نخبركم ببعض التفصيلات في هذا الباب.

السلام عليكم ورحمة الله بالنسبة للعقيدة هل الأفضل أن نحفظ نظماً معيناً كما ذكرت فضيلتكم: أن هناك نظماً للرسالة ممكن أن نحفظه أم كيف دراسة الأمر؟

مسألة الاعتقاد أفضل طريقة لتعلمها أن تسأل الله – عز وجل – أن يهديك وأن يشرح صدرك وأن يسددك إلى اليسرى ثانياً إذا كان هناك من شيخ فاضل أريب نجيب له جهد في هذا الباب حاول أن تجالسه وأن تتعلم منه فإن هناك من مسائل الاعتقاد ما يتعلم بالممارسة وبالمحاككة وبالتأدب أكثر من تعلمه من الكتب، فالإمام مالك –رحمه الله تعالى– عندما جاءه المبتدع ليسأله عن الاستواء موقف الإمام مالك يعتبر درساً عقائدياً لمن؟ لجلسائه وأصحابه الذين جلسوا معه فعندما تلازم عالماً بالعقيدة أو تلازم رجلاً فاضلاً عنده اعتقاد صحيح فإنه يعلمك العقيدة عملياً من خلال المواقف من خلال الآداب من خلال السلوك كما أنه يعلمك السلوك كما أنه أيضا يعلمك الاعتقاد من خلال ما يختاره لك وأفضل ما يختار لطالب العلم المبتدئ هذه النتف اليسيرة وهذه الجمل الصالحة النافعة العقائدية من أمثلة ذلك هذا النظم كنظم القيرواني وكما قلت لكم كنظم الصديق حسن خان وهو "قطف الثمر" إذن يبتدئ بالجمل الصغيرة البسيطة اليسيرة النافعة فإذا وعاها وفهمها ورأى أستاذه أنه قد قدر على فهمها واستيعابها رقاه بعد ذلك إلى مرحلة أعلى وهي الكتب المطولة أو الكتب المصنفة على المواضيع– كما قلت لكم من قبل– فإذا رآه قد ارتقى بعد ذلك فلا بأس أن يناقشه وأن يقدمه وأن يدربه وأن يطلب منه أن يعد أبحاثاً وأن يعد بعض التقارير في بعض المسائل ويرقي شأنه إلى أن يصل إلى مستوى فاضل نرجوه لإخواننا جميعاً.

يقول: إذا عرف الناس صحيح عقيدتهم ثم تكاسلوا عن العمل وأداء العبادات فماذا نقول لهم؟.

تطلب العقيدة للعمل فالعقيدة لا تطلب كعلم ولكن تطلب للعمل وقديماً كانوا يقولون: العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل، وكانوا يقولون: علم بلا عمل كشجرة بلا ثمر، فكيف تثمر شجرة العقيدة وصاحبها لا يعمل بها، رجل عرف في العقيدة الانكسار لله – عز وجل – وعرف في العقيدة أن هناك أعمالاً للقلب من هذه الأعمال

محبة الله – عز وجل – والخوف من الله والإخبات والرغبة والرهبة والإنابة والاستعانة يعلم ذلك ثم بعد ذلك لا يطبق، هذا أمر عجيب من علم أمور العقيدة ولم يطبقها فقد نادى على نفسه بالخسارة.

يقول: كيف السبيل إلى تصحيح العقيدة الإسلامية وسط هذه البدع التي ابتلي بها المسلمون.؟

أسأل الله تعالى لأخي في بلاد المغرب أن يثبته وأن يسدده وأن يسدد إخواننا أهل السنة في المغرب لأن هذه البلدة حالها كحال قرى كثيرة في مصرنا تعج بالبدع وبالتصوف وبمخالفة التوحيد الصحيح فأرجو وأدعو الله – عز وجل – أن يوفق إخواننا بالمغرب وأن يجتهدوا في طلب العلم النافع وأن يكونوا مترفقين بالناس وأن يكون الجهد كل الجهد ليس في النقر والتفحير والبحث عن دقاق المسائل وفروعها وليكن جهدهم في المغرب وغيرها الاجتهاد في دعوة الناس إلى الله – عز وجل – وفي تعريفهم دين الله – عز وجل – وفي تحفيزهم بهذا الدين وأسأل الله تعالى أن يوفقهم.

يقول: ما رأي الشيخ في شرح حاشية العدوي على الرسالة؟

أنا لم أطلع على هذا الشرح.

ما هي الأسباب التي تعين على تربية الأولاد على العقيدة الصحيحة؟

من أعظم الأسباب أن يرى الولد والده على اعتقاد صحيح أقول: إن أول شيء يتأثر به الأولاد في مسائل الاعتقاد السلوك والعمل. تصور مثلا أن هناك أباً كان يسير في شارع مثلاً ومعه ولده ثم سقط شيء على رأسه فشج رأسه فصاح هذا الأب وأخذ يسب ويلعن، لو تكلم مع ولده بعد ذلك في الإيمان بالقدر هل هذا الولد سيستجيب لوالده؟ أبداً إذن هناك الاعتقاد بالممارسة النبي –صلى الله عليه وسلم– في مكة مكث ثلاث عشرة سنة يعلم الناس الاعتقاد يعلمهم بالعمل فلابد للأب أن يعلم ولده الاعتقاد عملياً سلوكياً ثم بعد ذلك يطلعه على نظم بسيط في الاعتقاد يقرره إياه، وكان الناس قديماً يعلمون أبناءهم المتون الخفيفة اليسيرة في الاعتقاد كان العلماء والأمراء والوجهاء والناس عموماً كانوا يحبون هذا الأمر ويعلمون هذا لأبنائهم فأنا أرى أنه لابد من تعليم العقيدة سلوكاً للأولاد.

الأمر الثاني: لابد من تعليم العقيدة نظماً يسيراً بسيطاً بعد هذه المرحلة أو أثناء هذه المرحلة للأولاد والله سبحانه وتعالى هو الهادي للسبيل.

تقول: ما حكم تقليد العامي لشيخ من الرافضة هل يصح إيمانه؟

هذا العامي عندما يقلد شيخاً من شيوخ الرافضة هل يجوز له هذا التقليد؟ أبداً لا يجوز له هذا التقليد لأني قلت لحضراتكم: إن العامي يجب عليه أن يجتهد في تقليد من يقلد فإذا علم العامي أن هناك من يطعن في شيوخ الرفض ويتهمهم بالزندقة علم ذلك فكيف يقلد هذا الشيخ؟ لا بد أن يجتهد في تقليد من يقلد إذا كنت مريض وأردت أن تذهب إلى طبيب أنت لست بطبيب ولا تعرف تقييم الأطباء ولكن إذا عرفت أن هذا الطبيب أفضل من هذا الطبيب فأنت تذهب للأفضل فكذلك ينبغي للعامي أن يجتهد في تقليلد من يقلد فلا عذر للمقلد الذي يقلد شيوخ الرافضة، لا عذر له ولكن لا نخرجه من دائرة الإسلام.

يقول: هل صحيح أن عقيدة الشيخ أبو زيد القيرواني أشعرية؛ لأن من المعلوم أن عقيدة المغاربة أشعرية؟ أفيدونا جزاكم الله خير

أبداً هناك بعض الطعون طعن بها أبو زيد القيرواني وبإذن الله تعالى سأبين لكم أن هذه الطعون ليست في محلها وأن الرجل على العقيدة الصافية الصحيحة، على عقيدة أهل السنة وأن هناك بعض الألفاظ قد يفهم منها ذلك ولكن ليس هذا على حقيقته وإن شاء الله سيظهر لنا ذلك أثناء الشرح.

يقول: هل من بالإمكان التكرم بذكر طرق التصنيف في علم العقيدة ولو باختصار ؟

باختصار شديد: هناك طريقة أصحاب الدواوين كالبخاري ومسلم أنهم لا يفردون الاعتقاد بمصنف ولكن يذكرون الاعتقاد كباب أو ككتاب من جملة كتب دواوينهم: في البخاري مثلاً نجد كتاب التوحيد وفي مسلم نجد كتاب الإيمان هذه طريقة. طريقة ثانية الكتب التي أفردت بالتصنيف لمسائل الاعتقاد وهي كتب أثرية حديثية وذلك ككتاب الإيمان لابن أبي شيبة وكتاب الأسماء والصفات لابن خزيمة فهذه كتب سلفية أثرية حديثية تعنى بموضوع واحد.

هناك كتب بعد ذلك أكثر إيعاباً أي تشمل موضوعات متعددة وذلك ككتب شيخ الإسلام ابن تيمية . وهناك كتب الردود كالرد على الزنادقة والجهمية وكالرد على الذين قالوا بخلق القرآن. وهناك بعد ذلك الكتب المختصرة المفيدة الجامعة وذلك كرسالة أبي زيد القيرواني.

السلام عليكم ورحمة الله : كنت أريد أن أسأل: كيف يجمع الإنسان بين العقيدة أن يؤمن ويعتقد بأن كل شيء رزق من عند الله تعالى فقد قرأت للإمام الغزالي أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– قال: إنه حتى العقل هبة من عند الله –سبحانه وتعالى– وعلى قدر العقل الإنسان يكون منزلته عند الله –سبحانه وتعالى– كيف أجمع بين هذا وبين العمل فإذا اعتقدت أنه حتى العقل هبة من الله تعالى ولا دخل لي فيه فكيف أعمل ما يقربني من الله وعقلي على قدر هذا؟

لا بد للمكلف أن يعلم أنه عبد لله – عز وجل – محتاج إلى الله – عز وجل – في أمور الدنيا وأمور الدين، في أمور المعاش وفي أمور المعاد، إذن لا بد أن يعلم أنه عبد مفتقر إلى الله – عز وجل – ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ﴾[فاطر١٥]، ثانياً لابد أن يعلم أن الله تعالى غني عنه وعن عبادته، والله –سبحانه وتعالى– عنده خزائن كل شيء ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢١) ﴾[الحجر: ٢١] فخزائن العلم وخزائن التوفيق والرشاد والسداد والنجاح والبر والتقوى والعقل والأولاد والزواج وكل ما على وجه الدنيا من خير وصلاح إنما خزائنه عند الله – عز وجل – فالعقل ليس فقط رزق من الله بل إن النجاح والفهم والسداد والرشاد والتوفيق وكل هذه الأشياء إنما هي من عند الله – عز وجل – من رزق الله – عز وجل – هذه الأمور أنت لا تحصلها إلا ببركة الدعاء قال الله تعالى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[غافر: ٦٠] فإذا أراد العبد رزقاً من الله: فهماً أو علماً أو سداداً أو رشاداً أو زوجةً أو ولداً أو نجاحاً فعليه أن يجتهد في دعاء الله – عز وجل – فإذا كنت تريد أن تتقرب إلى الله تعالى بالاعتقاد إذن لابد أولاً: أن تعرف ربك وثانياً: لا بد أن تعرف نفسك فإذا عرفت أن ربك بأنه الرب الغني القوي القادر وأنك أنت العبد الذليل الفقير المحتاج إذا عرفت ذلك، هذه المعرفة لابد أن تكسر قلبك وأن ترزقك الخشية وأن ترزقك العمل أما إذا لم تنكسر ولم تخشع لهذه المعرفة فاعلم أنها معرفة ناقصة. إذن إذا كانت معرفتي بالعقيدة ستقربني من إلى الله وتدفعني إلى الله وتزيدني عملاً على طريق الله إذن هذا علم نافع استبصرت به وإلا فلابد أن أراجع طريق العلم الذي سلكت فيه.

هل هناك شروط لازمة يجب أن تتوافر فيمن تأخذ عنهم العقيدة؟

هذا سؤال جيد باختصار شديد هذا الشرط أو الشروط التي ينبغي أن تكون معلومة أن يكون حسن الاعتقاد شهد له علماؤه وأترابه بالخير في هذا الباب، كما قلت لكم عندما قال الذهبي عن أبي زيد القيرواني ماذا قال الذهبي على القيرواني؟ وكان على طريقة السلف في الأصول فلما يقول الذهبي وهو رجل متمكن في هذا الباب

وإن كان متأخراً يقول هذا عن القيرواني فهذا مفيد في تلقي هذه العقيدة بالقبول، لما ينقل الإمام ابن القيم عن القيرواني أكثر من عدة نُقُولٍ فهذه دلالة على أن هذا الرجل عقيدته مقبولة عند ابن القيم وابن القيم هذا رجل اعتقاده معلوم لأنه تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية فتأخذ العقيدة عمن شهد له بالخيرية في هذا الباب.

يقول: مامعنى قولهم التخلية قبل التحلية في معنى التوحيد؟

هذا المصطلح – وإن كان في أصله من مصطلحات أهل السلوك وأهل التصوف– لكنه مصطلح صحيح فالإنسان لن يتحلى بالإيمان إلا إذا تخلى عن الكفر والشرك فهذا أمر مقرر فلا يجتمع الاثنان معاً بكفاءة واحدة أو بتمام واحد قال الله تعالى﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، إذن قبل أن يؤمن بالله لابد أن يكفر بالطاغوت ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى ﴾ أي فقد استمسك بلا إله إلا الله فكلما عظم تخليك عن صور الكفر والشرك كلما عظم تحليك بصور الإيمان والبر.

هل يمكن القول: إن أمور العقيدة واحدة ولكن تختلف شروحات الكتب فقط وأنا أرى في مضمون الرسالة تشابها مع "لمعة الاعتقاد" فما رأي فضيلتكم؟

هذا كلام جميل "لمعة الاعتقاد" لابن قدامة هو من الكتب المختصرة يعني: إذا أردنا أن ندرج "لمعة الاعتقاد" ضمن أنواع الكتب المصنفة في الاعتقاد فندرجه رقم كم؟ رقم خمسة، الرقم الأخير وبالتالي ستجد التشابه قائماً.

الدرس الثاني مفهوم الماهية وخطورة التأويل

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه إنه هو السميع العليم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وأحبابه ومن والاه . أما بعد:

فيحسن بي قبل أن أبدأ لقائي مع أحبتي وإخواني في الله أن أذكر بالعناوين والأفكار العامة التي تناولها اللقاء الماضي، لقد تكلمت:

أولاً: عن معنى الاعتقاد وذكرت أن معناه القوة والصلابة وأن من معناه – أيضاً– الاتخاذ.

وتكلمت عن الأسباب التي من أجلها تدرس العقيدة ومن أهم هذه الأسباب عبادة الله – عز وجل– والتزلف إليه – أيضاً– من هذه الأسباب: إعداد هذا الجيل العقائدي الذي يكون – بإذن الله عز وجل– معيناً لهذه الأمة في سيرها إلى الله.

ثم تكلمت بعد ذلك عن طرق التصنيف في الاعتقاد والعقيدة سواء الطريقة الحديثية الأثرية أو طريقة الرد أو طريقة المطولات أو طريقة المختصرات اللطيفة أو طريقة المواضيع المحددة التي تناولها علماء الاعتقاد بالبسط والشرح وقلت لكم: إن هذه الرسالة رسالة ابن أبي زيد القيرواني – عليه رحمة الله –هي تندرج في النوع الخامس من أنواع التصنيف ثم تكلمت بعد ذلك عن مقدمة رسالة القيرواني هذه المقدمة التي أغفلها بعض شراح رسالته من الذين أخذوا الجزء المتعلق بالاعتقاد ومن خلال سماعكم لهذه المقدمة علمتم أن هذه المقدمة لها تعلق كبير بالاعتقاد، وأن إثباتها أمر مهم جداً ثم بعد ذلك استعرضت مع حضراتكم الفقرة الأولى من رسالة القيرواني – عليه رحمة الله – وهو قوله باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من أمور الديانات ومن ذلك – كما قال الشيخ– (الإيمان بالقلب والنطق باللسان بأن الله إله واحد لا إله غيره لا شبيه له، ولا نظير له ولا ولد له ولا والد له ولا صاحبة له ولا شريك له – سبحانه وتعالى–) و– بإذن الله – تعالى سيكون حديثنا اليوم في أمر جديد وفي فقرة جديدة ولكن أحب أن أسأل بعض الأسئلة على الدرس الفائت ولن أطيل على حضراتكم هذه الأسئلة ستكون ثلاثة فقط لن أطيل.

السؤال الأول: من هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني؟

السؤال الثاني: لماذا اختيرت عقيدة القيرواني في مقدمة رسالته للدراسة؟

السؤال الثالث: ما معنى العقيدة وما العلاقة بينها وبين التوحيد؟

لو جعلنا السؤال الأول داخلاً في السؤال الثاني؛ لأن من أسباب اختيار عقيدة القيرواني المعلومات المتوافرة عن أبي محمد القيرواني هذان سؤالان السؤال الأول: لماذا اختيرت عقيدة القيرواني هذا سؤال وندخل السؤال الأول في الثاني هذا سؤال ثم بعد ذلك نذكر السؤال الثالث وهو: ما وجه مجيء لا إله غيره بعد قوله بأن الله إله واحد؟

درس اليوم يتكلم عن عناصر محددة هذه العناصر:

العنصر الأول: معنى الأول والآخر.

والعنصر الثاني: يتكلم عن حقيقة الصفة.

والعنصر الثالث: يتكلم عن مفهوم الماهية وخطورة التأويل الكلامي.

هذه بعض العناصر وهناك عناصر وأفكار أخر ستجدونها – بإذن الله تعالى.

نقرأ متن درس اليوم وأسأل الله تعالى أن يوفقكم وأن يوفقني لما يحبه ويرضاه.

قال المصنف – رحمه الله تعالى– (ليس لأوليته ابتدا ولا لآخريته انقضا ولا يبلغ كنه صفته الواصفون ولا يحيط بأمره المتفكرون يعتبر المتفكرون بآياته ولا يتفكرون في ماهية ذاته)

بسم الله الرحمن الرحيم قول المصنف –عليه رحمة الله– (ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء) هذا المعتقد مأخوذ من قول الله تعالى ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣]، وبهذا – أيضاً– أتت السنة في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يدعو فكان يقول:(اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء) والأول: له معان فهو الذي لم يسبق، لا شيء قبله ولا خلق قبله فهو أول لم يسبق بغيره – سبحانه وتعالى– وقيل: الأول من آل يؤول أوْلاً بمعنى رجع وصار ومعنى الأول الذي يصير إليه الناس وينقلب إليه الخلق ويرجع إليه الخلق فالله – سبحانه وتعالى– يرجع إليه الخلق في أمور إعدادهم و إمدادهم، يرجعون إليه في كل شؤونهم فكما أن المبتدأ من الله – عز وجل– خلقا وأمراً فإن المنتهى والمرجع والمنقلب إلى الله – عز وجل– سؤال وحساباً وجزاءً "هو الأول فليس قبله شيء وهو الآخر فليس بعده شيء هذا فيه" معنى البقاء والديمومة فالله – سبحانه وتعالى– باقٍ بعد فناء خلقه ولك أن تقول: بأن الله تعالى أخبر بأن بعض خلقه يكون – أيضاً– خالداً أبداً كحال الجنة والنار وكحال أهل الجنة وأهل النار فقال الله تعالى في حال الجنة والنار وأهلها ﴿ خَالِدِينَ فِيهَ ﴾ [البقرة: ١٦٢]، وورد في الحديث الصحيح أن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال: (يرفع الموت في صورة كبش أملح أقرن يرفع بين الجنة والنار فيراه أهل الجنة كما يراه أهل النار فيقال:يا أهل الجنة أتعرفون ما هذا؟ فيقولون: إنه الموت ويقال لأهل النار: أتعرفون ما هذا؟ فيقولون: إنه الموت فيذبح بين الجنة والنار ويقالك يا أهل الجنة خلود بلاموت ويأهل النار خلود بلا موت) فكما أن الله تعالى باقٍ لا يفنى فكذلك الجنة والنار وأهل الجنة وأهل النار لا فناء لهم وهنا إشكال: أثبت الله تعالى عدم فناء الجنة والنار وأثبت لنفسه البقاء وعدم الفناء فهل هذا شبيه بذلك؟ أو أن شيئاً من الخلق كان كالله في هذا الأمر؟ كلا وحاشا فإن بقاء الجنة والنار وعدم فنائهما متعلق بأمر الله – عز وجل– ليس متعلقاً بذاتهما وإنما هذا متعلق بأمر الله – عز وجل– لهما إذن بقاء الجنة والنار ليس متعلقاً بذات الجنة والنار أي أن الجنة والنار أوجدتا أنفسهما فصارتا على هذه الصورة من البقاء وعدم الفناء!!!! ولكن الله – سبحانه وتعالى– هو الذي أمرهما بالبقاء فكان بقاؤهما بأمر الله ولو شاء الله غير ذلك لكان ولكن من جملة مشيئته أنه شاء بقاء الجنة وبقاء النار، أما بقاء ربنا – سبحانه– فهو لازم لذاته، فلا يشبهه في ذلك شيء من خلقه فقال المصنف (ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء) بعض الناس يعبر في قوله هو الأول فليس قبله شيء يعبر عن معنى الأول بمعنى القدم وهذا التعبير ليس بالدقيق لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا التعبير في باب الأسماء والصفات لم يرد.

الأمر الثاني: أن هذا اللفظ لفظ يشمل على أكثر من معنى فإن القديم ضد الجديد وإن القديم – أيضاً– هو البالي، وكذلك القديم فيه معنى السبق، فلماذا نحيد عن اللفظ الذي ورد في السنة كما ورد في الكتاب ونأتي إلى لفظ يحتمل المعاني المتعددة ؟.

الأمر الثالث: أن ذلك اللفظ لفظ القدم ليس من عبارات السلف في هذا السياق، نعم كان النبي – صلى الله عليه وسلم– من جملة ما يدعو به عندما يدخل المسجد (وبسلطانه القديم)، لكن أقول في هذا السياق سياق الأسماء والصفات، هذا اللفظ لم يكن من عبارات السلف، ولذلك عبارة صاحبنا وإمامنا ابن أبي زيد القيرواني أشد وأولى

من عبارة غيره مثل عبارة الطحاوي – رحمه الله تعالى– [قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء] هذه عبارة الطحاوي في عقيدته [قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء] إذن هذه النقطة الأولى فيها معنى الأول وفيها معنى الآخر، وأن لفظ الأول هو اللفظ الذي ينبغي أن يعض عليه لكونه ورد في الكتاب والسنة وقلت لكم من قبل أن معنى الاعتقاد: الاتخاذ أن الإنسان يتخذ الجمل النافعة الصالحة من الكتاب وصحيح السنة وأقوال الصحابة يتخذها فيحبها ويتحمس لها وينشرح لها صدره، ويفرح لها قلبه فتثبت في هذا القلب وتقوى في هذا القلب ويكون بذلك صاحب اعتقاد.

إذن من جملة اعتقادنا أن نعتقد: بأن الله تعالى أول لا شيء قبله وأن الله تعالى آخر لا شيء بعده فهو أول بلا ابتداء آخر بلا انقضاء، هل هذه النقطة استوعبتموها جيدا.

حدثني أخي الحبيب هناك إشكال هذا الإشكال أن الله تعالى أثبت لنفسه البقاء وجعل لبعض خلقه – أيضاً– صفة البقاء، فما هذا الخلق الذي أثبت الله له البقاء؟

بسم الله الرحمن الرحيم– الخلق الذي جعل الله له صفة البقاء هو الجنة والنار وكذلك أهل الجنة وأهل النار.

قد يرد هنا إشكال أن شيئاً من الخلق قد شابه الله تعالى في صفة البقاء فكيف يرد على هذا الإشكال؟

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاماً على النبي المصطفى –صلى الله عليه وسلم– يرد على هذا الإشكار أن الله تعالى أراد لهما البقاء بأمره ولم يختارا ذلك بنفسهما إنما ذلك بأمر الله وإن شاء لم يقدر لهما ذلك أما بقاؤه سبحانه أما بقاؤه – سبحانه وتعالى– فهو دائم لا ينتهى جزاك الله خيراً.

"الأول" اسم من أسماء الله – عز وجل– وكذلك "الآخر" هذان الاثنان ما النصوص الدالة عليهما؟

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله قول الله تعالى ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ وفي الحديث (اللهم أنت الأول فلا قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء).

نأتي بعد ذلك إلى قول صاحبنا وإمامنا الشيخ الإمام ابن أبي زيد القيرواني – عليه رحمة الله – (لا يبلغ كنه صفته الواصفون ولا يحيط بأمره المتفكرون) لا يبلغ: أي لايدرك أي لا يدرك كنه صفته: وكنه: مفعول به مقدم والتقدير لا يبلغ الواصفون كنه صفته والكنه الحقيقة، والغاية وهناك فارق بين الصفة والوصف، فالصفة معنى قائم بالموصوف، أما الوصف فهو كلام الواصف أو قول الواصف، إذن: قول الواصف هذا وصف أما الصفة المعنى القائمة بالموصوف، عندما أقول: دخل العالم الجليل المسجد. يا ترى أين الصفة هنا؟ دخل؟ لا. العالم؟ لا.. الجليل؟ هي هذه، المسجد هو المفعول به، عندما نقول: الجليل يا ترى كلمة الجليل هذه اسم ذات أو اسم معنى؟ اسم معنى إذن كلمة الجليل معنى يعنى ليس لها جرم ليس لها طول وحجم وارتفاع عندما نقول محمد يكون له عرض وطول وارتفاع يأخذ حيذاً في هذا الوجود لكن لما أقول: جليل، رحيم، خوف، رغبة، رهبة، حب، هذه كلها معان أما عندما نقول: شجرة، محمد، سمكة، زهرة، كل هذه أسماء ولكنها أسماء ذات.

فالاسم إما أن يكون اسم ذات وإما أن يكون اسم معنى فحينما يتعلق المعنى بشيء ما فإن هذا المعنى يسمى صفة، إذن المعنى القائم المتعلق بالموصوف هذا هو الصفة، دخل العالم الجليلَ أم الجليلُ؟ دخل العالم الجليلُ لأن العالم فاعل، إذن دخل العالم الجليل المسجد عندما نقول: الجليل هذه صفة ، عندما أنا أتكلم وأقول: دخل العالم الجليل المسجد إذن أنت تصف العالم، إذن هذا هو الوصف إذن هذا فرق بين الصفة وبين الوصف. والواصف هو الذي يصف فهذا اسم فاعل والواصف الذي يصف فلا يبلغ كنه صفته الواصفون، يعني المكلفون مهما أجهدوا أنفسهم في معرفة كنه أي حقيقة صفة الله – عز وجل– من حيث الكيف فإنهم لن يستطيعوا ذلك أبدا فالمقصود لا

يبلغ كنه صفته من حيث الكيف فمهما بلغ المكلفون من علم فاء الله تعالى عليهم وأعطاهم إياه فإنهم لن يستطيعوا أبدا أن يحيطوا وأن يدركوا حقيقة كيفية صفة الله – عز وجل .

إذن الاعتقاد الأثرى واعتقاد أهل السنة والجماعة في مسألة الصفات الربانية أنهم يثبتون المعنى العظيم ولكن يفوضون الكيف، فهم مفوضة في الكيف فالله تعالى يثبتون له استواء يليق بذاته وجلاله أما كيف استوى؟ ومتى استوى؟ وملابسات هذا الاستواء هذا كله لا يخوضون فيه، بل إن الخوض في ذلك بدعة وضلالة والعياذ بالله، إذن السلف يثبتون المعنى العظيم ولا يسألون عن الكيف ولا يجهدون أنفسهم في معرفة كنه هذا الكيف فإنهم لن يدركونه أبدا والله – سبحانه وتعالى– إنما أعطى الناس ما عندهم من علم لا ليستطيلوا به ولكن ليعلموا أن فوق كل ذي علم عليم ويعلم قول الله تعالى ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٥٨]، وحسبنا أن نذكر أنفسنا لنعلم ضآلة ما حصلناه من علم وحقارة ما حصلناه من علم أن نذكر قول الملائكة عندما قالت للرب الجليل سبحانه: ﴿ سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾[البقرة: ٣٢]، فالمرء لا علم له إلا إذا فاء الله تعالى به عليه، فإذا كنت لا تعلم كنه الصفة وكيفية الصفة لأن الله تعالى لم يعلم أحدا ذلك فكيف تخوض في هذا الأمر، إذن من جملة الغيب الذي لا ينبغي الخوض فيه، أن تمسك عن الكلام في كيفية الصفات ولكن اثبت المعنى العظيم ولا تسأل عن الكيف، دخل رجل إلى الإمام مالك – رحمه الله تعالى– فسأله عن الاستواء ما معنى قول الله – عز وجل– ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥]، فنظر إليه الإمام مالك حتى علاه العرق– سبحان الله– انظروا إلى أهل العلم قديماً كيف كانوا يتأثرون بالمواقف؟!! وكيف كانوا يتفاعلون مع الناس؟!! وكيف كانوا ينفعلون مع الناس؟!! يعني ليسوا بهذه الصورة من البلادة والبرود أبداً علاه الرحضاء العرق الشديد وقال له: الاستواء معلوم أي معلوم في لغة العرب الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وإني لأراك مبتدعا قم فقام الرجل.

إذن ينبغي للمكلف ألا يجهد نفسه إلا في الحيز الذي علمه الله تعالى إياه ولم يُعلم الله تعالى الناس كيفية الصفات وإنما وقفهم على معاني الصفات. تقول: وهل الناس كانوا يعلمون معاني الصفات؟ وهل كان النبي – صلى الله عليه وسلم– يعلم الناس معاني الصفات؟ الجواب: بأن الصفات والأسماء وردت في الكتاب والسنة ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] الحي القيوم الحي: اسم، والصفة الحياة، القيوم اسم والصفة القيومية ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [النحل: ٦٠]، العزيز اسم والصفة العزة . الحكيم اسم والصفة الحكمة، والصحابة كانوا يقرؤون القرآن وكانوا يسمعون النبي –صلى الله عليه وسلم– فهل يعقل أن يقرأ النبي –صلى الله عليه وسلم– القرآن وأن يتكلم بالحديث مع صحابته وهو لا يعلم ما يتكلم؟ يعني النبي –صلى الله عليه وسلم– عندما كان يقرأ القرآن كان يجهل معنى ما يتكلم أم كان يعلم معنى القرآن الذي يتكلم به؟ نعم كان يعلم معنى القرآن الذي يتكلم به، الصحابة عندما كانوا يسمعون القرآن من النبي –صلى الله عليه وسلم– هل كانوا يجهلون معنى ما يسمعون أم كانوا يعلمون؟ ولو جهلوا لفظاً كانوا يسألون عنه النبي –صلى الله عليه وسلم– ولو حدث لديهم لبس كانوا يسألون عنه النبي –صلى الله عليه وسلم . عندما سمع الصحابة قول الله – عز وجل– في مسألة الظلم ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢]، قال «الصحابة للنبي –صلى الله عليه وسلم– يا رسول الله وأينا لم يظلم نفسه؟»، إذن هاهنا سأل الصحابة، فهم الصحابة المعنى ولكن وجدوا أن هناك لبساً في هذا المعنى وأينا لم يظلم نفسه إذن كلنا نظلم أنفسنا إذن لن نُحصِّل الأمن ولا الهداية لن نحصل الأمن في الدنيا ولا في الآخرة ولن نحصل الهداية لا في الدنيا ولا في الآخرة فأينا لم يظلم نفسه ولكم أن تتصوروا كيف سأل الصحابة النبي –صلى الله عليه وسلم– سألوه وهم خائفون مذعورون إنها مسألة متعلقة بالمصير ليست متعلقة لا بالمرتب ولا الوظيفة متعلقة بمصير الإنسان "وأينا لم يظلم نفسه" فبين لهم النبي –صلى الله عليه وسلم– أن ذلك المعنى ليس هو المعنى المقصود (ألم تسمعوا قول العبد الصالح وهو يعظ ولده ﴿ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾؟) [لقمان: ١٣] إذن الصحابة كانوا يعلمون معنى ما يسمعون من القرآن والسنة ومن جملة القرآن والسنة الحديث عن الأسماء والصفات فكانوا يعلمون معاني الأسماء والصفات أما الكيف فكانوا لا يخوضون في ذلك أبداً ولا يسألون عنه أبداً لأنه من جملة الغيب الذي يجب عليك أن تؤمن به.

قول المصنف (ولا يحيط بأمره المتفكرون) الأمر: أمران:الأمر الأول: أمر ديني شرعي والأمر الثاني: أمر كوني قدري، الأمر الديني الشرعي متعلق بمحاب الله تعالى ومراضيه، إذن كل ما يحبه الله تعالى ويرضاه ويأمر به إذن هذا أمر ديني شرعي كقول الله – عز وجل- ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ﴾ يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى إذن هذه المأمورات متعلقة بمحاب الله تعالى ومراضيه فالله تعالى يحب العدل ويحب الإحسان ويحب صلة الأرحام وإيتاء ذي القربى يحب ذلك، إذن هذه المحبوبات متعلقة بالأمر الشرعي ولذلك أمر الله تعالى بها والواجب على المسلم المكلف الأريب النجيب العاقل أن يجتهد في امتثال هذه المأمورات الشرعية يطبق هذه المأمورات الشرعية فلا يمكن أبداً أن تزعم أنك تحب الله – عز وجل- ولا تطيعه في محابه ومراضيه لا يمكن أبداً،أي أن الله – عز وجل- يحب العدل ولا تكون عادلاً ولاتتصف بصفة العدل؟!! يحب الإحسان ولا تكون محسناً إلى نفسك وإلى زوجك وأولادك وعشيرتك؟!! لا يمكن. ويحب أن تكون وصالاً للرحم وإيتاء ذي القربى ثم تكون قاطعاً لذلك؟!! إذن الواجب على المكلف أن يمتثل الأمر الشرعي لأن امتثاله هذا الأمر الشرعي يجلب عليه الخير والنعمة والرضا من الله سبحانه.الأمر الثاني: الأمر الكوني القدري: وهذا متعلق بسلطان الله – عز وجل- وقهره لخلقه وجلاله وملكه لهذا الكون فلا يكون شيء في هذا الكون متحركاً فيسكن أو ساكناً فيتحرك أو قائماً فيرقد أو راقداً فيقوم لا يوجد شيء في هذا الكون إلا بإذن الله – عز وجل- إلا بمشيئة الله – عز وجل- فهذا الكون كله متعلق بأمر الله – عز وجل- يستوي في ذلك المسلم والكافر، المؤمن والمشرك، الصالح والطالح، العربي والعجمي، الإنسي والجني، الوحش والسبع، البحري والبري، الجماد ، الأوراق.... كل ما في هذا الكون إنما يتحرك ويكون بإذن الله – عز وجل- وهذا قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢] فقوله (ولا يحيط بأمره المتفكرون) هذه الآيات أو هذه الأمور الشرعية والكونية بها كثير من الحكم وما يستطيع المتدبرون المتفكرون المتأملون أن يحيطوا بالحكم والأسرار المتعلقة بالأوامر الشرعية والكونية نعم يمكن للمكلف أن يقف على بعض الحكم المتعلقة بالأوامر الدينية يمكن؛ لأن الله تعالى أعلمه إياها يمكن ولكن ليس كل أمر شرعي بالضرورة يعرف المكلف حكمته وسره، فلا يمكن للمكلف أن يحيط علماً بأسرار الأمر الشرعي والكوني قال: (ولا يحيط بأمره – الكوني والشرعي- المتفكرون) ولذلك النبي –صلى الله عليه وسلم- قال: (وما أمرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم) أريد أن أنبه هنا إلى أن المقصود بالاستطاعة هنا القدرة على الفعل لأن التكليف لا يكون إلا بالقدرة، والمشقة تجلب التيسير ولا تكليف إلا بمقدور فما قدرت عليه كلفت به وما لم تقدر عليه لم تكلف به وهذا من جمال الشرع ما تقدر عليه تكلف به وما لا تقدر عليه لا تكلف به – سبحان الله- قال الله تعالى: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقةرك ٢٨٦] إذا كنت لا تستطيع القيام في الصلاة، القيام في الصلاة واجب ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨] لم تستطع القيام في الصلاة، إذن لا يجب عليك القيام صلِّ وأنت جالس لا أستطيع الجلوس صلِّ وأنت نائم وأنت مضطجع كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم- (صل قائماً فإن لم تستطع فصل قاعداً فإن لم تستطع فصل نائماً أو مضطجعاً) وهذا من حكمة الشرع أن التكليف متعلق بالقدرة فلا يأتِ إنسان يقول: أنا لا أستطيع أن أصلى. هذا كاذب؛ لأنه يقدر على الصلاة يقول: لا أستطيع أن أصوم لا يقبل ذلك منه، يقول: لا أستطيع أن أحج بيت الله وعنده الزاد وعنده المال وعنده الصحة فهذا لا يقبل منه. إذن التكليف مبني على القدرة فإذا ذهبت القدرة رفع التكليف وما كان الحرج على مسلم في العبادات.

قال الإمام (يعتبر المتفكرون بآياته) الاعتبار: الاستدلال والاتعاظ ، (يعتبر المتفكرون بآياته) والمتفكرون: هم المتدبرون، والآيات تنقسم إلى قسمين: آيات دينية شرعية وآيات كونية، الآيات الدينية القرآن الكريم كتاب الله – عز وجل- فالقرآن سور والسور آيات وهذه الآيات آيات دينية شرعية، والقرآن كله كلام الله – عز وجل- ليس بمخلوق منه بدأ وإليه يعود قال الله تبارك وتعالى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦]، ما المقصود بكلام الله؟ القرآن، الآيات إذن الآيات هي القرآن هي كلام الله – عز وجل- هذه معنى الآيات الدينية، والآيات الأخرى: هي الآيات الكونية، الآيات الكونية كخلق السماوات، خلق الأرض، خلق الإنسان ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١]، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، لآيات أي لعلامات، ومنه قول الشاعر:

وفي كل شيء له أية *** تدل على أنه الواحد

إذن الآية بمعنى العلامة أو الأمارة، إذن المتفكرون المتدبرون يتدبرون الآيات الدينية والآيات الكونية يتدبرون الآيات الكونية يقرؤون القرآن فيتدبرونه ويتعظون بما فيه ويكون القرآن لهم حكماً وإليه أي إلى القرآن المرجع والمصير فالقرآن رسائل من الله – عز وجل– إلى الناس ليزنوا أنفسهم بهذه الرسائل قال الله– تبارك وتعالى– ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ والتدبر يكون بالقلب قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٢٧] لمن كان له قلب فالمكلف لا بد أن ينظر في كتاب الله – عز وجل– ويتدبر آيات الله – عز وجل– فلا يمكن أبداً أن يقول: إن المقصود بالمتفكرين العلماء والذين يتدبرون القرآن هم العلماء هذا كلام غير صحيح، نعم العلماء هم أقدر الناس على تدبر القرآن وعلى فهم القرآن؛ لما حازوه من الأدوات والعلوم التي بها ينظرون فيستنبطون ويستدلون لكن التدبر المطلق هذا للناس كافة قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧]، فلا بد للناس جميعاً أن يجتهدوا في تدبر القرآن الكريم وأن يعلموا أنهم لن يصلوا إلى الله إلا بالتدبر بتدبر القرآن ولذلك قال (يعتبر المتفكرون بآياته) بآياته ماذا؟ بآياته الدينية وآياته الكونية ما من شيء مرتفع إلا يرتفع على عمد فأين العمد التي ارتفعت عليها السماء؟ هذه الأرض مع اتساعها لا تميد ولا تضطرب ولا تتحرك فمن الذي أمسكها هذا الإنسان عندما تنظر فيه وتتأمل– سبحان الله– تنظر إلى عينيه وإلى أنفه وإلى أذنيه وإلى أسنانه وإلى فمه وإلى يديه وإلى رجليه هذا في الظاهر ثم تنظر إلى حركات الأجهزة الداخلية هذه كلها آيات من الذي أحدث هذا؟!! ومن الذي أجرى هذا الإنسان إنه هو من؟!! إنه الله فالإنسان يتدبر هذا جميعاً ليحب الله – عز وجل– ويستدل بهذا لا أقول: على وجود الله ولكن ليستدل بذلك على أن الله تعالى لا إله معه ولا خالق غيره فلا بد أن تنصرف إليه العبادة وأن تتجه إليه القلوب؛ لأن الناس جميعاً في حاجة إليه، في وجودهم وإعدادهم وإمدادهم وهذه المعاني الفريدة الشريفة لن تكون إلا بتدبر القرآن، أحبابي وإخواني القرآن ليس المقصود به أن نقرأه وأن نهزه كهز الشعر ولكن لابد أن نتدبره وأن يكون لنا من القرآن أجزاء نقرؤها ونتأملها ونتدبرها ونجعلها كالقوانين التي نتحاكم إليها (يعتبر المتفكرون) أي يستدلون ويتعظون بآياته، فإذا فعلت ذلك ازدتَ إيماناً، كان الرجل من الصحابة يأخذ بيد صاحبه فيقول: هيا بنا نؤمن ساعة فيجلسان فيقرآن القرآن ويذكران الله – عز وجل– ما شاء الله هذا الحديث أخرجه البخاري تعليقاً وصله الإمام أحمد وابن أبي شيبة، من منا أخذ بيد أخيه وقال له: هيا بنا نؤمن ساعة فيجلسان فيقرآن القرآن ويتدبران ويبكيان ويتأملان من منا يفعل ذلك، حظنا من القرآن أن نجوده وهذا جميل ونريد أن نتعلم وجوه قراءاته وهذا جميل وأن نتعلم العلوم المتعلقة به من الناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد وأسباب النزول والمكي والمدني والليلي والنهاري هذا كله جميل لكن أين قلبك من هذا جميعاً؟ ولذلك قال الإمام العلامة صاحب الأدب والسلوك (يعتبر المتفكرون بآياته) أخرج ابن أبي الدنيا عن ابن أبي الحواري أن سفيان – رضي الله عنه – هو والفضيل باتا ليلة إلى الصباح يتذاكران نعم الله – عز وجل– يتذاكران آيات الله يتذاكران نعم الله – عز وجل– يقول أحدهما للآخر: ألم تر أن الله تعالى أحدث لنا كذا وكذا ألم تر أن الله تعالى فعل لنا كذا وكذا ويقول الآخر له. إلى الصباح مجلس يتذاكران فيه آيات الله ونعم الله وآيات الله فلابد أن يكون لنا مثل هذا الحظ الوافر حتى نُفَعِّل العقيدة ولا تكون العقيدة مجرد معاني جامدة وأفكار صلبة أبداً لابد أن تكون العقيدة تمثل لنا روحاً نسير به ونهجاً نقوم به – بإذن الله تعالى.

قال الإمام (ولا يتفكرون في ماهية ذاته) هناك لفظ آخر للرسالة (ولا يتفكرون في مائية ذاته) والمائية والماهية بمعنى واحد المائية متعلقة بـــ "ما" نسبة إلى " ما " فعندما تسأل تسأل بـــ " ما " فالنسبة إلى" ما " مائية، وكذلك ماهية نسبة إلى " ما هو " وهذان كلمتان منطقيتان يعني أهل المنطق والكلام هذان اللفظان يذكران كثيراً في كلامهم فقوله:(ولا يتفكرون في مائية أو ماهية) والمقصود بذلك حقيقة ذاته، لا يتفكرون في حقيقة ذاته، لم يقل المصنف: ولا يعلمون ماهية ذاته، لم يقل ذلك ولكن قال (ولا يتفكرون في ماهية ذاته) لماذا؟ لأن السياق سياق تفكر ولا يحيط بأمره المتفكرون فربما الإنسان وهو يفكر ينتهي به الأمر إلى أن يفكر في ماذا في ذات الله – عز وجل ؟ يعني أنت تفكر في آلاء الله وتفكر في نعم الله وإحسان الله وغير ذلك فربما زلف بك الشيطان

وذلت قدمك ففكرت في ذات الله – عز وجل– فإذا وصلت إلى ذلك فلا بد أن تمسك فكما ثبت في الحديث الصحيح (لا يزال الشيطان بالعبد إلى أن يقول: فمن خلق الله؟ فإذا وجد ذلك فليستعذ بالله ولينته) إذن لا يمكن أبداً ولا يجوز أبداً للمكلف العبد العاجز الحقير الفقير أن يعمل عقله فيما في ذات الله – عز وجل– لأن هذا أجل وأعظم أن يبلغه ذلك العقل البسيط عندما طلب موسى من ربه أن يراه قال له الله – عز وجل– ﴿ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ قال ربي سبحانه: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴾ماذا حدث﴿ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾[الأعراف: ١٤٣]، فإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يتحمل نظر الله تعالى إليه والجبل لم يستطع أن يتحمل نظر الله تعالى إليه فكيف يمكن لعقلك البسيط الحقير الضعيف أن يحيط بذات الله – عز وجل ؟ هذا لا يمكن أبداً ولذلك قال (ولا يتفكرون) الـــ " لا " هنا هي لا النافية (ولا يتفكرون في ماهية ذاته) – أيضاً– وجه ثان أن التفكر مرتبة تسبق العلم والإدارك فالإنسان قبل أن يعلم الشيء فإنه يتفكر فيه ليتصوره فإذا تصوره وقف عليه علمه، فنفي التفكر وهو أدنى من العلم والإدراك نفي لما هو أعلى من باب التنبيه وهذا أمر يعرفه الأصوليون، إذن نفي التفكر وهو أول الدرجات وأدنى الدرجات نفي لما هو أعلى فقال: (ولا يتفكرون في ماهية ذاته) لا يمكن أبداً أن يتفكروا في ماهية ذاته أو أن يقفوا على ذلك الأمر ولذلك كأنما سأل فرعون موسى ليحاججه قال له ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء:٢٣]، يذكر الأصوليون أن " ما " وكذلك اللغويين يذكرون أن " ما " للسؤال عن غير العاقل ولكن منهم من أجاز أن يسئل بها للعاقل والغالب على الاستعمال أن تستعمل ما لغير العاقل قالوا ولذلك سأل فرعون فقال ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ تحقيراً لموسى ولرب موسى قال: ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ إذن هذا السؤال بـــ " ما " سؤال عن مائية الله – عز وجل– بماذا أجاب موسى: ﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾[الشعراء: ١٤] إن كنتم توقنون وتؤمنون أن السماوات مع اتساعها وأن الأرض مع انبساطها لها إله قادر هو الذي أوجدها فهذا الإله القادر القوي الذي أوجد وخلق السماوات والأرض هو ربي الذي أدعو إليه، فرعون لم ينتبه إلى الجواب، واستخف بموسى وكابر ولذلك قال لقومه ﴿ أَلا تَسْتَمِعُونَ ﴾ ألا تستمعون لهذا الجواب العظيم؟ فرد موسى – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام– ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ أي ربي ربكم ورب آبائكم الأولين، هل أنتم وجدتم هكذا خلقتم هكذا؟ من الذي أوجدكم ومن الذي أوجد آباءكم من قبلكم؟ هذا إلزام من موسى لفرعون، عندها علم فرعون أنه مغلوب في هذه المناظرة وأنه محجوج في هذه المناظرة، ولذلك شغب على موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فقال: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الشعراء: ٢٧]، وعند ذلك أراد موسى أن يبين له مائية الرب بياناً شافياً لا يمكن له أبداً أن يرده أو أن يشغب فيه فقال: ﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[الشعراء: ٢٨]، إذن لابد للمكلف ألا يجهد نفسه في البحث عن كيفية الذات أو كيفية الصفة بل لابد له أن يؤمن بالله – عز وجل– وأن يؤمن بأسمائه وصفاته ولا يبحث عن كيفية ذلك.

هذا هو المختصر وأنبه في نهاية هذا الشرح إلى خطورة التأويل الكلامي، هذه فقرة أقرؤها على حضراتكم وحاولوا أن تتصوروا لو أن رجلاً مبتدأ الإيمان أو أن رجلاً في مقتبل طريق الهداية ورزق برجل من المتكلمين يوضح له أمور الاعتقاد كيف يوضح متكلم أمور الاعتقاد لهذا الرجل البسيط بهذه الصورة التي سأقرؤها عليكم؟ حتى تعلموا ما منَّ الله تعالى عليكم من هذا المنهج السلفي الأثري الطيب الذي يميل إلى بيان المجملات الاعتقادية بطريقة طيبة يقول:(فإذا سأل سائل) انظر سيدنا موسى عندما قال له فرعون ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ قال : ﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ وفي المرة الثانية قال: ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ وفي المرة الثالثة قال ماذا؟ ﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ إجابات موسى سهلة أم صعبة مفهومة يعني لو رجل على قارعة الطريق رجل بسيط عامي وسمع هذه الآيات القرآنية يفهها أو لا يفهمها؟ يفهمها.

نسمع إلى طريقة المتكلمين على هذا السؤال لو سألنا رجلاً متكلماً فقلنا له: وما رب العالمين؟ اسمع إجابات المتكلمين وقارن بين رد موسى ورد هذا المتكلم «فإذا سأل سائل فقال أخبرني عن الباري ما هو؟ قسمنا عليه بما

يحتمله سؤاله) اسمع تصور لو أن موسى قال هذا الكلام لفرعون قال له: (قسمنا عليه بما يحتمله سؤاله فقلنا: إن أردت ما جنسه ونوعه فليس بذي جنسه ولا نوعه وإن أردت ما اسمه فاسمه الله الرحمن الرحيم الحي القيوم وإذا أردت ما صنيعه فالإنعام على عباده) ما رأيكم في ذلك؟

نقولها مرة ثانية: (فإذا سأل سائل فقال أخبرني عن الباري ماهو؟ سؤال عن الماهية، إذن هذا السؤال يشبه سؤال فرعون لموسى ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ قسمنا عليه بما يحتمله سؤاله فقلنا: إن أردت ما جنسه ونوعه؟ سبحان الله ما جنسه ونوعه؟ فليس بذي جنس ولا نوع، فأي واحد بسيط سيقول: ما معنى الجنس والنوع؟ إذن دخلنا هنا في شرح للشرح طريقة لا يمكن أبداً أفضل الطرق طريقة القرآن في بيان مسائل الاعتقاد والله وما ضل الناس إلا بهجرهم بيان الله وبيان رسوله –صلى الله عليه وسلم– وبيان الصحابة الكرام لمعاني الاعتقاد ما ضل الناس إلا بتركهم هذا البيان الشريف فقلنا:(إن أردت جنسه ونوعه فليس بذي جنس ولا نوع وإن أردت ما اسمه فاسمه الله الرحمن الرحيم الحي القيوم، وإن أردت ما صنيعه فالإنعام على عباده) إذن طريقة القرآن أفضل من هذه الطريقة، نسأل الله تعالى أن يهدينا للقرآن وأن يجعلنا من أهل القرآن . نسأل بعضاً من الأسئلة:

قول المصنف – عليه رحمة الله – (لا يبلغ كنه صفته الواصفون) مامعنى الكنه؟ كلمة واحدة

الكنه: الحقيقة

في قول المصنف (لا يبلغ كنه صفته الواصفون) ما المطلوب على المكلف تجاه صفات الله – عز وجل–؟

بسم الله يدرك المعنى الصحيح أن يؤمن ويستدل على المعاني الصحيحة لله – عز وجل– دون الكيفية دون أن يخوض في الكيفية أن يؤمن بالمعنى الشريف دون أن يسأل ويخوض في الكيفية

وهنا عندما قال بعض الناس بأن مذهب السلف التفويض هذه الكلمة تحتاج إلى تفصيل فإن أراد أو قصد بالتفويض تفويض المعنى فليس هذا مذهب السلف ليس مذهب السلف تفويض المعنى بل لا بد من إثبات المعنى الشريف لأننا قلنا: إن تفويض المعنى معنى ذلك أن النبي – صلى الله عليه وسلم– تكلم بكلام لم يفهمه وكذلك الصحابة تكلموا بكلام لم يفهموه وإن قصد تفويض الكيف فهذا هو المعنى الصحيح.

إذن السلف مفوضون من حيث الكيف لا من حيث المعنى هذه مسألة مهمة، فلو إنسان ظن أنه أحاط علماً وأنه بمقتضى هذا العلم قد يستطيع أن يدرك ما لا يدركه غيره وأن يقف على كنه الذات والصفات هل يمكن أن تذكره ببعض الآيات القرآنية؟

قول الله تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[الإسراء: ٥٨]،– ما شاء الله– هذه الآية ينبغي أن تكون عنواناً لنا مهما أوتيت من العلم فما أوتيته من العلم إن هو إلا نذر يسير– نسأل الله تعالى أن يعلمنا.

وقوله تعالى: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[يوسف: ٧٦] نعم وقول الملائكة ﴿ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ [البقرة: ٣٢]،وهذه مسألة مهمة جداً انظر الملائكة العباد المكرمون الذين يمتثلون أمر الله – عز وجل–

ويطيعونه ويخافونه ويرهبونه ويخشونه، وهم من أعظم الخلق خشية لله – عز وجل– يقولون ﴿ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا ﴾

فيه كلمة يسيرة الآيات تنقسم إلى قسمين ما هما؟

آيات دينية مثل القرآن وآيات كونية مثل خلق السماوات والأرض

الأمر كذلك ينقسم إلى قسمين ما هما؟

الأمر ينقسم إلى قسمين: الأمر الكوني الأمر الشرعي الديني والأمر الكوني أكتفى بهذا القدر من الأسئلة وأسأل الله تعالى أن يوفقني وإياكم لما يحب ويرضى وأن يفقهنا ديننا وأن يجعلنا من عباده الصالحين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وصلتنا إجابات: الأول: هو عبد الله أبو محمد بن أبي زيد واسم أبي زيد عبد الرحمن سكن القيروان وكان إمام المالكية في وقته وقدوتهم وجامع مذهب مالك وشارح أقواله وكان واسع العلم كثير الحفظ والرواية وكتبه تشهد له بذلك فصيح القلم ذا بيان ومعرفة بما يقول بصير بالرد على أهل الأهواء يقول الشعر ويجيده ويجمع إلى ذلك صلاحاً تاماً وورعاً وعفةً وحاز رئاسة الدين والدني وإليه كانت الرحلة من الأقطار ونجب أصحابه وكثر الآخذون عنه.

إجابة السؤال الثاني: هو كل ما يعتقده المسلم عن ربه وصفاته وأسمائه والفرق بينهما أن العقيدة تتعلق بالأسماء والصفات أما التوحيد فيتعلق بالألوهية والربوبية

ما رأيكم يا إخواني في هذه الإجابة؟

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله نقول: إن العقيدة أوسع من التوحيد فإن التوحيد يتعلق بالربوبية والألوهية وأما العقيدة فتتعلق بالله – عز وجل– وجل وتتعلق بالملائكة وتتعلق بالأنبياء والصحابة وتتعلق بكل شيء يعتقده الإنسان المسلم المكلف.

قلت: بأن مفهوم الاعتقاد والعقيدة أوسع من التوحيد فالتوحيد عندما يطلق يطلق على ما اصطلح عليه المتأخرون أنواع التوحيد الثلاثة أو الأنواع الاثنين توحيد الله – عز وجل– بأفعاله من الخلق والتدبيروالإحياء والإماتة وهذا ما يسمى بتوحيد الربوبية وتوحيد الله – عز وجل– في ذاته وأسمائه وصفاته وهذا ما يسمى بتوحيد الأسماء والصفات، التوحيد الثالث هو توحيد الله تعالى بأفعال العباد من النحر والنذر والرجاء والدعاء والرغبة والرهبة والإنابة والاستعانة والاستغاثة والتوكل والحسب إلى غير ذلك وهذا ما يسمى بتوحيد القصد والطلب أو توحيد الألوهية.

الاعتقاد أوسع يشمل هذا جميعاً كما يشمل – أيضاً– الإيمان بالملائكة، يشمل الإيمان بالجنة والنار، يشمل كذلك الغيب، يشمل كذلك القدر، يشمل كذلك الإيمان بالرسل، يشمل كذلك الإيمان بالصحابة، يشمل كذلك الإيمان بما يكون في آخر الزمان من علامات الساعة وقرب انتهاء الزمان، يشمل كذلك ما يكون بين يدي الحساب وما بعد الحساب من البعث والنشور و الحساب والوزن، ثم بعد ذلك الصراط والجنة والنار هذا كله يدخل في باب الاعتقاد فباب الاعتقاد أوسع من باب التوحيد

إجابة السؤال الثالث: لأن هناك آلهة أخرى باطلة باطلة.

لا تسمي العرب الصنم إلهاً إلا إذا اعتقدت فيه،فكل الآلهة باطلة أي كل الآلهة أو كل الأصنام التي يعتقدها الكفار كلها باطلة أما الإله الحق المستحق للعبادة المتفرد بالعبادة هو الله – سبحانه وتعالى– أما مجيء لا إله غيره بعد قوله الله إله واحد نسمع الإجابة؟

قوله لا إله غيره بعد قوله الله إله واحد هو أن النهي للتأكيد وأن لا إله نفي عام لإثبات الخاص لله – سبحانه وتعالى–

السلام عليكم ورحمة الله عندي سؤال يقول الشيخ قضية نفي الكيفية أو إثبات الكيفية ذكر الشيخ أنه ليس تفويض المعنى وإنما تفويض الكيف فأنا أسأل سؤالاً بالنسبة لقول الله – سبحانه وتعالى– ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة:٦٧] ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾[الفجر: ٢٢]نثبت أصل المجيء وأصل النسيان ثم نفوض الكيف أم ماذا؟

أسماء الله – عز وجل– هناك أسماء مطلقة لما فيها من معاني المدح المطلق كقول الله – عز وجل– ﴿ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ ﴾ [الحشر: ٢٣]،وهناك أسماء لا تطلق على الله – تبارك وتعالى– إلا من باب المقابلة ولا يجوز اشتقاق اسم ولا صفة منها مثل ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ (٣٠) ﴾[الأنفال: ٣٠] ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ فلا يمكن أبداً أن نقول: إن من أسماء الله تعالى الناسي أو نقول: إن من أسماء الله تعالى الماكر وأن من صفات الله تعالى المكر ومن صفاته النسيان فهذه أسماء أو هذه ألفاظ وردت في سياقات المقابلة ولا يمكن نزعها من هذه السياقات، ،هذا موجود في اللغة أن هناك ألفاظاً لا تفهم إلا في سياقها وانتزاعها من هذه السياقات مفسد لهذه الألفاظ مثل هذه الألفاظ التي ذكرت، بل أحياناً تكون العبارة بمجملها دالة لا بمفرداتها عندما أقول دخل محمد المسجد فالعبارة هنا دالة بمفرداتها دخل مفهوم معناها ومحمد مفهوم معناه والمسجد مفهوم معناه، وعندما أقول خذ الباب في يدك فلو فهمنا هذه الجملة باعتبار المفردات مادل ذلك على المقصود عندما أقول خذ الباب في يدك يعني أغلقه ولو أخذناه باعتبار المفردات ما دل على هذا المعنى فإخراج الألفاظ عن سياقاتها مفسد لهذه الألفاظ.

إذن النوع الثاني ألفاظ لا تطلق على الله تعالى إلا من باب المقابلة والجزاء نسوا الله فالمقابلة والجزاء فنسيهم، يمكرون بالمؤمنين ويحيكون لهم المخططات ويدبرون لهم ليل نهار ويريدون القضاء عليهم ما الذي يحدث لأن المسلمين في مكرهم لا يكافئون مكر الكفار فالكفار أصحاب سطوة وقوة ومنعة والمؤمنون قد يكونون من الضعف والقلة وعدم الإمكانيات ما لا يستطيعون مجابهة مكر الكافرين والله تعالى ولي المؤمنين فيمكر بالكافرين ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ (٣٠) ﴾ ويكون ذلك شبيهاً بقول الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾فماذا يصنع الله تعالى بهم ﴿ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) ﴾ [الأنفال: ٣٦].

إذن ماذكرت أخي الحبيب هذه في سياقات ولا يمكن انتزاع الاسم منها ولا يمكن إفراد المعنى عن سائر ألفاظه في هذا السياق. والله تعالى أعلى وأعلم.

أما الجملة الثانية في قول الله تعالى ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفاً صَفاً ﴾ فهي على حقيقتها إثبات صفة المجيء لله – عز وجل– لأننا لو قلنا: إن المقصود وجاءت الملائكة لكان ذلك مفسداً للمعنى، لو قلنا: وجاء أمر ربك ، وجاء ربك المقصود بالملائكة لكان ذلك مفسداً للمعنى ولو قلنا: وجاء أمر ربك لكان ذلك مفسداً للمعنى ولكن الأمر على حقيقته والعبرة كما قال العلماء أن اللفظ إنما يحمل على ظاهره ولا يعدل عن ذلك الظاهر إلا بنص أو قرينة قوية.

السلام عليكم ورحمة الله لم أفهم معنى المائية والماهية؟

الماهية نسبة إلى " ما هو" والمائية نسبة إلى" ما " فالكلام مفهوم، والمقصود بالمائية أو الماهية أي الحقيقة.

السلام عليكم ورحمة الله: قول فرعون لموسى – عليه السلام– ﴿ وَمَا رَبُّ العَالَمِينَ ﴾على سبيل أنه يقصد التحقير والتقليل سمعت في حديث أم زرع قول المرأة عن زوجها زوجي مالك وما أدراك ما مالك. فهي كانت تصف به على سبيل التعظيم فهل بينت لنا الإشكال يا شيخ؟

الكلمة تتفاوت معانيها بتفاوت السياق فقد تكون في سياق لها معنى وفي سياق آخر لها معنى مختلف، سواء كانت هذه الكلمة اسماً أو كانت هذه الكلمة أداة أو كانت هذه الكلمة حتى فعلاً، فعندما أقول: رأيت عيناً تتفجر من الصحراء فهذه العين تحمل على عين البترول كما تحمل على عين الماء فإذا قلت: رأيت عينا تتفجر في الصحراء يشرب منها الناس. لحمل ذلك على معنى العين النابعة،ولو قلت: ذهبت لأكشف على عيني. فإن المقصود بالعين هي العين الجارحة وعندما أقول: أمسك جنودنا بعين العدو. فالمقصود بالعين هنا العين الجاسة وكذلك عندما أقول: أذهب إلى الشهر العقاري لأسجل عيني. فليس المقصود بالعين هنا الجارحة ولكن المقصود بالعين هنا العقار، الملك الذي تملكه وعندما أقول: مررت بفلان عينه. فلا تقصد بالعين العين الجارحة ولكن بالعين هنا الذات وكذلك قول أم زرع " وما أبو زرع " هي هنا تعظم زوجها لأن كل امرأة تفخم أمر زوجها وتذكر من زوجها ما تذكر لا تستخف به وإنما تفخم زوجها فالسياق يدل على التعظيم أما فرعون رجل يكفر بالرب وسبق أن ذكرت أن الطبري قد روى بإسناد فيه كلام من حديث عبد الله بن عباس أن فرعون كان يُعبَد ولا يَعبد وكان فرعون كما قال ربنا: قال ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨] وقال ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ ﴾ فكان يريد أن يبني هامان له صرحاً لعله يبلغ أسباب السماوات والأرض حتى يطلع على إله موسى وإنه ليظنه كاذباً يعني كان يزعم بأن موسى كاذباً فيريد أن يطلع إلى السماء ففرعون كان مكابراً و كان مستخفاً بدليل قول الله – عز وجل– في سورة الإسراء إن موسى قال له: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ ﴾ أي لقد علمت يا فرعون ﴿مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً ﴾[الإسراء: ١٠٢]، أي هالكاً إذن فرعون كان يعلم الله – عز وجل– وكان يعلم أنه في السماء ولذلك قال ابن صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى إذن يعلم أن الله تعالى في السماء ويعلم أن هناك إلهاً قوياً قادراً ويعلم أن هذا الإله هو المستحق للعبادة يعلم ذلك ولكن يكابر ويستخف بذلك الإله حتى ينفر الناس من عبادته ولذلك قال: ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ وهذا الوجه ذكره بعض المفسرين والله أعلى وأعلم.

السلام عليكم ورحمة الله بالنسبة للقائلين بقدم العالم أرجو توضيح هذا المعنى وتوضيح القدم الجنسي والقدم النوعي وهل يصح أن شيخ الإسلام قال بحوادث لا أول لها أرجو توضيح هذه المسألة؟

أنا قرأت ما أستطيع قراءته من تراث شيخ الإسلام ابن تيمية لا أزعم أني أحطت بكل ما قال شيخ الإسلام، ولكن أستطيع أن أزعم لنفسي– وأنا أحقر من أن أزعم لنفسي شيئاً شريفاً– أني قرأت ما به أستشعر كلام شيخ الإسلام وأتذوق شيخ الإسلام، القول بقدم العالم لم يقل بذلك شيخ الإسلام أبداً بل إن القول بقدم العالم ليس من كلام أهل الإسلام أصلاً وإنما الذين ذكروا أن هناك موجودات قديمة غير الله تعالى هم الثانوية وهذه الطائفة ملحدة كافرة قالت: بأن هناك إلهين إله الظلمة وإله النور فكانوا يعبدون النور والظلام ويذكر أن المجوس كانوا يقولون كلاماً شبيهاً لذلك ولكن الثابت أن القول بقدم الظلام وقدم النور قول الثانوية إذن هذا القول لم يقله أحد من أهل الإسلام فكيف يقوله شيخ الإسلام ابن تيمية لعلهم فهموا ألفاظاً بالفهم الخاطئ وشيخ الإسلام منها براء وشيخ الإسلام اتهم باتهامات هو منها بريء وذكر شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى بعض هذه الاتهامات ودافع عن نفسه كقول بعض المشاغبين قال بأن الله تعالى استوى على عرشه كما أستوي أنا على ذلك الكرسي ثم جلس على كرسيه، هذه المقولة ذكرها شيخ الإسلام أن المشاغبين والشانئين يذكرونها عنه وبرأ نفسه من هذه المقولة، فشيخ الإسلام بريء من ذلك والله تعالى أعلى وأعلم ، أما مسألة النوع والجنس والكم والعرض والوجود والعدم إلى غير ذلك من المصطلحات – بإذن الله – تعالى لن نخوض فيها ولن نذكرها لإخواننا ولن نبينها لأنها من

المصطلحات الكلامية التي جَهلُها في بيان مسائل الاعتقاد على طريقة السلف أوفق وأفضل – بإذن الله – تعالى، كان الإمام أحمد – عليه رحمة الله –إذا حوجج في مسألة الكلام كان يقول: والله لا أقول إلا كما قال الله ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ المُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ﴾[التوبة: ٦] فالأولى أن نرجع إلى الجمل الثابتة من الكتاب والسنة وكلام الصحابة الكرام وتابعيهم والتابعين والأئمة الأعلام وبارك الله تعالى فيكم.

يقول: هل يدخل المتأول في باب من أبواب الكفر؟

أبداً المتأول لا يكون كافراً ولا يدخل في الكفر بل هو خارج من الكفر بالتأويل فإن من العوارض التي بها لا يحكم على المكلف بالكفر من هذه العوارض: الجهل والخطأ والنسيان وعدم الإدراك وكذلك التأويل فهذه كلها عوارض تعترض أهلية المكلف فلا يكون بها مآخذاً لا سيما التكفير، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية مقتفياً أثر أسلافه من الأئمة الفضلاء يقول: إن من أورع الناس من أن ينسب لمسلم فسقاً أو بدعةً أو نفاقاً أو كفراً حتى تقام عليه الحجة الرسالية التي يكفر من خالفها. والمعلوم أن المتأول معذور ولذلك عندما قاتل أبو بكر مانعي الزكاة لم يقاتلهم قتال الذين تركوا أصل الدين أو ادعوا النبوة يعني لم يقاتل أبو بكر مالك ابن نويرة وبني اليربوع من بني تميم كما قاتل أتباع مسيلمة الكذاب أبداً كان النوع مختلفاً قاتل مسيلمة الكذاب على أنه كافر خارج عن الإسلام يفيء المال وتسبى النساء والذرية أما بالنسبة للذين منعوا الزكاة لأنهم كانوا متأولين لقد جمعوا الزكاة وقالوا: نعطيها للنبي – صل الله عليه وسلم– وكادوا أن يذهبوا بها إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– توفي النبي –صلى الله عليه وسلم– فقالوا: لا نعطيها لابن أبي قحافة كنا نعطيها للنبي– صلى الله عليه وسلم– فيأخذها ويدعو لنا ويصلي علينا أما اليوم فلا نعطيها لغيره فتأولوا قول الله – عز وجل– ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣]، فقالوا: هذا خاص بالنبي –صلى الله عليه وسلم– عندما قاتلهم أبو بكر والصحابة قاتلهم على أنهم متأولون فلم يقتلوا جريحاً ولم يسبوا نساء ولا ذرية ولم يفيئوا مالاً بل قاتلوهم على أنهم مسلمون متأولون إذن التأويل عذر مانع من التكفير والله تعالى أعلى وأعلم.

قلتم إن الأمر أمران: أمر ديني شرعي وهو يجب على كل مسلم مكلف عاقل أن يجتهد في المأمورات الشرعية وأمر ثانٍ وهو الأمر الكوني القدري وهذا متعلق بسلطان الله وقدرته وإذنه ومشيئته فكيف إذا قال قائل: مادام كل شيء بأمر الله فكيف أجتهد في تحقيق الأمر الشرعي؟

اعلم بأن الله – تبارك وتعالى– يحب للعبد أن يأتي محابه ومراضيه والعبد اسمه عبد، ما معنى عبد؟ أن له سيداً يا ترى من سيدك؟ هو ربك فإذا أمرك ربك وسيدك ومولاك فلابد أن تقول: سمعت وأطعت ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ المُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾[النور: ٥١] إذن أنت في باب الأمر الشرعي الديني قل: سمعت وأطعت، وامتثل في باب الأمر الكوني يجب عليك أن تتأمل وأن تسلم وأن ترضى هذا عموماً أما الاحتجاج بالقدر على معصية الله – عز وجل– فهذا مما لا ينبغي ولا يجوز فالاحتجاج بالقدر إنما يكون في المصائب لا في المعائب والمصائب هي النوازل والكوارث والأحداث التي تصيب المرء والمعائب هي المعاصي فلا يحتج بالمشيئة أو بالقدر على معصية الله – عز وجل– والاحتجاج بالقدر على المعصية فيه تشبه بالمشركين حينما احتجوا بمشيئة الله تعالى على كفرهم وشركهم. والله تعالى أعلى وأعلم.

الدرس الثالث

إثبات الكرسي والعرش والتكلم على الإحاطة بعباده

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وأحبابه ومن والاه ثم أما بعد:

تكلمت مع أحبتي الكرام – بارك الله تعالى فيهم – في الدرس الفائت عن بعض ما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته مما لا يستطيع المتفكرون أن يحيطوا به، واليوم – بإذن الله تبارك وتعالى– نتكلم عن بعض المعاني والعناصر التي يشتمل عليها درس اليوم:

نتكلم– بإذن الله– عن:

١– إثبات بعض الصفات لله – سبحانه وتعالى– كصفة العلم والقدرة والتدبير والكبر

٢– ونتحدث أيضاً عن إثبات الكرسي والعرش لله – سبحانه وتعالى– هذا ثاني

٣– إثبات أن الله تعالى عالم فوق عرشه بذاته.

٤– نتكلم عن إحاطته – سبحانه وتعالى– بخلقه.

والله تعالى أسأل أن يعيننا لمحابه ومراضيه تفضل يا أخي الحبيب.

قال المصنف –رحمه الله تعالى– (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم، العليم الخبير المدبر القدير السميع البصير العلي الكبير وأنه فوق عرشه المجيد بذاته وهو في كل مكان بعلمه ، خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين.)

– سبحانه وتعالى–، بسم الله الرحمن الرحيم قول ابن أبي زيد –رحمه الله تعالى– (﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]) هذه الجمل الأربع قطعة من آية الكرسي التي هي أعظم آية في كتاب الله – عز وجل– كما ثبت في الحديث الصحيح من حديث أبيّ –رضي الله عنه . ومثلها من آي القرآن في الاشتمال على عشر جمل قول الله – عز وجل– ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ المَصِيرُ (١٥) ﴾ [الشورى: ١٥]، لو تأملت هذه الآية من سورة الشورة لوجدتها –أخي الحبيب– اشتملت على عدد عشر قطع أو عشر جمل مثل ما اشتملت آية الكرسي، وهذه الآية من سورة الشورى تبين معالم الشريعة ، وهذه الآية –آية الكرسي– تبين معالم الإيمان والتوحيد فمن عمل بهاتين الآيتين كان قد عمل بالإيمان كما عمل بالشريعة – والله تعالى يوفقنا– وفي هذه الآية قول الله – عز وجل– ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ﴾ فيها إثبات لصفة العلم وأنه الله تعالى علمه محيط بكل شيء وهذا كقوله ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً (١٢) ﴾[الطلاق: ١٢]، بكل شيء علماً أجمع اللغويون والأصوليون على أن أبلغ صيغة من صيغ العموم صيغة" كل"، فهذه الآية فيها دليل على أن الله تعالى علمه محيط بكل شيء، وعلم الله – سبحانه وتعالى– إما أن يكون

علم ذات وصفة، أي علم يتعلق بذاته وصفته أو أن يكون هذا العلم علماً متعلقاً بخلقه، فالله – تبارك وتعالى– كما هو عليم بذاته وصفته هو عليم أيضاً بخلقه سواء كان هذا الخلق من الخلق العلوي أو السفلي أوالبري أو المائي أو الجوي، فالله تعالى أحاط بكل شيء علماً، وقوله سبحانه: ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ﴾ فما من أحد أوتي علماً إلا وهذا العلم الذي حصله، حصله بمشيئة الله تعالى له، ولولا أن الله تعالى شاء له أن يعلم هذا الشيء ما علمه، وما حصله ففيه دليل على أن الإنسان مهما بلغ من العلم فهو فقير إلى الله – عز وجل– كي يعلمه، وهو محتاج إلى الله – عز وجل– كي يفهمه، فلا يظن إنسان أنه إذا حصل علماً صار بذلك متمكناً أبداً فإن الله تعالى يفتح من باب علمه لعباده ما شاء لمن شاء– واللهَ تعالى أسأل أن يعلمنا ديننا– قوله تعالى ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ السماوات سبع وكذلك الأراضين سبع فإذا كان الكرسي سعته أوسع من السماوات بعددها والأرضين بعددها فهذا دليل على عظم الكرسي، وكرسي الله – عز وجل– ليس عرشه فالكرسي مخالف ومغاير للعرش وأخرج الإمام الحاكم من حديث عبد الله بن عباس:(أن الكرسي موضع القدمين) وهذا الحديث أخرجه الإمام الحاكم وقال على شرط الشيخين ولم يتعقبه الإمام الذهبي هذا الحديث المرفوع منه هو الضعيف، أما الموقوف على عبد الله بن عباس فيمكن لهذا الإسناد أن يمشى، وهذا شبيه أي إثبات الكرسي في قوله ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ شبيه بقول الإمام الطحاوي– عليه رحمة الله– «والعرش والكرسي حق» وكلمة حق معناها: ثابت لا تردد فيه ولا اضطراب فكل أمر ثابت لا تردد فيه ولا اضطراب يسمى حقاً ومن ذلك سمى الله تعالى نفسه حقاً في قوله ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ (٢٥) ﴾وكان النبي –صلى الله عليه وسلم– يقوم من الليل فيثبت أن الله تعالى حق وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الساعة حق وأن النبيين حق وأن محمداً –صلى الله عليه وسلم– حق، فالحق يقصد به الثابت الذي لا تردد فيه ولا اضطراب إذن ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ كرسي الله – عز وجل– والإضافة هنا إضافة تشريف، هذا الكرسي عظيم جداً أوسع من سعة السماوات والأرض فلابد من الإيمان بهذا الكرسي، والأمر– كما قال الطحاوي– عليه رحمة الله– «والعرش والكرسي حق » قوله – سبحانه وتعالى– في الآي وقول ابن أبي زيد في عقيدته:(ولا يؤوده حفظهم) أي لا يشق عليه ولا يتعبه أن يقوم بحفظ والسماوات والأرض، انظر إلى السماوات مع اتساعها وعددها ومن فيها، وإلى الأرض وعددها وسعتها ومن فيها، فالله تعالى يحفظ كل هذه العوالم دون أن يتعب ودون أن تحدث له مشقة وهذ دليل على عظم قدرة الله – سبحانه وتعالى– وفي قوله تعالى ﴿ وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ ﴾ وأيضاً في عقيدة ابن أبي زيد (وهو العلي العظيم) هذا اسمان– العلي العظيم – يدلان على صفتين وهما: صفة العلو والعظمة.

وعلو الله – عز وجل– وجل على ثلاثة أنواع– إذا أطلق هذا الاسم وهو العلي أو أطلقت هذه الصفة: العلو فيقصد بها هذه الأنواع مجتمعة:

الأول: علو الذات.

الثاني: علو القدر.

الثالث: علو القهر.

فهو – سبحانه وتعالى– عالٍ في ذاته، وهو – سبحانه وتعالى– عالٍ في قدره وهو – سبحانه وتعالى– أيضاً عالٍ في قهره لخلقه – سبحانه وتعالى– وإذا تأملنا أسلوب القرآن وسنن القرآن في مجيء الآيات لوجدنا أن الله – سبحانه وتعالى– يقرن مع اسمه العلي يقرن ثلاثة أسماء:

الاسم الأول: العظيم. والاسم الثاني: الكبير. والاسم الثالث: الحكيم.

وما العلاقة بين هذا جميعاً ؟ العلاقة أن العلي بذاته وبقدره وبقهره. العلي هذا متعلق بالرب سبحانه، إذن هذا الاسم من الأسماء الدالة على ربوبيته سبحانه، وكذلك العلو من الصفات الدالة على ربوبيته سبحانه، والرب: هو

القائم على خلقه فهذا يقتضي أن يكون الله – عز وجل- كبيراً وأن يكون عظمياً وأن يكون حكيماً، ولذلك قال: ﴿ وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ ﴾ وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِياً كَبِيراً (٣٤) ﴾ [النساء: ٣٤]، وقال الله تعالى في آخر سورة الشورى: ﴿ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١) ﴾ [الشورى: ٥١]، فهذا كله للدلالة على تمام وكمال ربوبيته المستلزمة لعبوديته والانقياد إليه سبحانه.

هذه القطعة من قول الشيخ ما رأيكم فيها؟ هذه القطعة اشتملت على عدة معان. ما هذه المعاني التي اشتملت عليها هذه القطعة؟

إثبات أن الله بكل شيء عليم عندما تتكلم عن العلم "فبكل شيء" عندما تتكلم عن القدرة "على كل شيء" هذه فكرة وهذا معنى. أريد معنى ثان.

إثبات أن لله اسمين هما العلي العظيم وصفتين هما العلو والعظمة

أيضاً هناك فكرة أخرى في هذه القطعة، ما هي؟

إثبات أن الإنسان مهما بلغ من العلم فهو فقير إلى الله تعالى ليعلمه ما شاء الله هل هناك من الآيات التي تستحضرها في هذا المعنى؟﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾ [طه: ١١٠] ما شاء الله ولا قوة إلا بالله، هل من فكرة أخرى؟

إثبات أن العلم يتعلق بذات الله وصفاته والعلم يتعلق بخلق الله علم الله لمخلوقاته جميع إن علم الله تعالى منه ما يتعلق بذاته وصفته ومنه ما يتعلق بخلقه، فلاأحد يستطيع أن يعلم شيئا من علوم الذات والصفة أو حتى من علوم الخلق إلا إذا شاء الله له ذلك، يعني هذه الكاميرا التي تتحرك إنما تتحرك بمشيئة الله – عز وجل- ، وهذا العلم المتعلق بالكيمياء أو الفيزياء أو الهندسة كل هذه العلوم إنما شاءها الله تعالى للخلق فعلموها، لم يحصلوها بجهدهم واجتهادهم بانقطاع عن الله فهذا فهم الملاحدة العلمانيين ولكن لما شاء الله تعالى للخلق أن يعلموا النظرية النسبية فتح الله تعالى عليهم هذا العلم فعلموه، لما شاء الله تعالى لخلقه أن يعرفوا القوانين الرياضية الحاكمة لمجريات الأمور علمهم الله تعالى ذلك، لما شاء الله لهم أن يوفقهم لإطلاق الصواريخ علمهم المعادلات الرياضية الدقيقة التي يطلق بها هذا الصاروخ، وهكذا في كل شأن، إذن لا يوجد علم على وجه الأرض منقطع عن الله بل إن كل العلوم موصولة بالله – عز وجل- وبالتالي لا أحد يعلم إلا بإذن الله ومن هنا من شعر في نفسه علماً أو أنه حصل معرفة فليتصاغر أمام علم الله – عز وجل- فما علم العالمين بجوار علم الله – عز وجل- إلا كنقرة طائر نقر في بحر لجي فكيف يخرج بالماء؟ بكم سيخرج من الماء؟ وهذا المعنى أفاده النبي –صلى الله عليه وسلم- في حديث موسى والخضر والحديث مخرج في الصحيحين، هذا كلام جميل.

في قول الله – عز وجل- ﴿ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾ ما هو المعنى الذي يمكن أن نفهمه منها؟

أن الله – سبحانه وتعالى- مع عظم الله تعالى لخلقه السماوات والأرض فهذا لا يشقه ولا يتعبه وهذا يدل على ماذا؟ على كمال قدرته وتمام ربوبيته – سبحانه وتعالى- إن الإنسان مهما بلغ من القوة فلو عالج شيئاً يسيراً ربما يتعب أو يجهد، لله–تبارك وتعالى- لا يجهد أبداً ولا يتعب أبداً، فهذا النفي متضمن كمال قدرته وتمام ربوبيته سبحانه.

قول المصنف–عليه رحمة الله- (العليم الخبير) وفي لفظ آخر وفي رواية أخرى (العالم الخبير) العليم الخبير: بعض الكتب بالفعل ذكرت: العالم الخبير.

فلماذا يحاد عن العالم إلى العليم لماذا ؟ لعدة أمور:

الأمر الأول: أن لفظ الخبير للدلالة على مطلق العلم وهو اللفظ الدوار في القرآن يعني عندما يتكلم ربنا – سبحانه وتعالى– عن علمه الذي وسع كل شيء، لا يتكلم باسم الفاعل وإنما يتكلم بلفظ الخبير، أما إذا تكلم باسم الفاعل الذي هو عالم فهذا متعلق بعلم الغيب فقط كقول الله تعالى ﴿ عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً (٢٦) ﴾ [الجن: ٢٦]، والمصنف من أعظم الناس تعظيماً أو من أكثر الناس تعظيماً للفظ القرآن فهو قاريء للقرآن متأثر بألفاظه فلما قرأ القرآن ووجد أن لفظ العليم في إحاطته – سبحانه وتعالى– بخلقه أعظم قال: العليم الخبير وهذا كقول الله تعالى أيضاً ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ﴾[الحجرات: ١٣]، فقوله العليم.

أمر ثانٍ: أن العليم أبلغ في الصفة من عالم أليس كذلك؟ بلى؛ لأن العليم على وزن فعيل والفعيل إما أن تكون مبالغة من اسم الفاعل وإما أن تكون صفة مشبهة فالخبير والعليم أوقع من قوله العالم كما هي أوقع من اسم الفاعل.

قوله(المدبر القدير) المدبر القدير، القدير اسم من أسمائه سبحانه فكل شيء في هذا الكون إنما كان بقدرة الله – عز وجل– قال الله – سبحانه وتعالى– ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٢٠) ﴾ [المائدة : ١٢٠] فالله – سبحانه وتعالى– له الملك وهو أيضاً على كل شيء قدير، أما المدبر فليس من أسماء الله – عز وجل– وإنما هذه اللفظة إخبار عن صفة فعلية لله – عز وجل– وهي صفة التدبير وهذا كقول الله – عز وجل– ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾[يونس: ٣] إذن يدبر الأمر هذا فعل الله – عز وجل– وكما يقول علماء الاعتقاد: بأن باب الإخبار أوسع من باب الأسماء، فالمدبر لعل المصنف يقصد بذلك: الذي يقوم بالتدبير فهو أدخل في باب الصفة منه إلى باب الاسم قوله أيضاً: (وأنه سميع بصير) السميع البصير: هذان اسمان، كثيراً ما يجيء القرآن قارناً بينهما كقول الله – عز وجل– ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، والسمع والبصر متضمن أو دال على صفة الحياة فإن الحي لا يكون تاماً إلا إذا تمت صفاته ومن هذه الصفات السمع والبصر، وما قال به بعض المعتزلة: بأن السميع والبصير يقصد بهما الدلالة على العلم. هذا كلام غير صحيح فإن الذي يسمع أفضل من الذي لا يسمع والذي يبصر أفضل من الذي لا يبصر، وصفات الله – عز وجل– وأسماؤه كلها فضلى ليس فيها نقص، فإذا أثبت الله تعالى لنفسه الحياة فقال: الحي القيوم وقال: السميع البصير فدل ذلك على أنه سميع بسمع حقيقي بصير ببصر حقيقي وقال – سبحانه وتعالى–: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً (١٣٤) ﴾[النساء: ١٣٤]، انظر إلى اقتران اسم البصير مع اسم السميع ﴿ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ (١) ﴾[الإسراء: ١]،﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ وعندما خاف موسى من ملاقاة الفرعون قال له ربه سبحانه: لا تخافا أي لا تخف يا موسى ولا تخف يا هارون ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾[طه: ٤٦]، فهذا إثبات لصفة السمع وصفة البصر، وقال الله – سبحانه وتعالى– أيضاً ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) ﴾[المجادلة: ١]،انظر كيف أن الآية أتت بالفعل الماضي ﴿ قَدْ سَمِعَ ﴾ وأتت بالفعل المضارع ﴿ وَاللَّهُ يَسْمَعُ ﴾ وأتت بالاسم ﴿ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ وهذا للدلالة على أن سمع الله تعالى في كل وقت وفي كل زمن– فسبحانه وتعالى– سمعه محيط بكل المسموعات وبصره محيط بكل المرئيات، لا يشغله سمع عن سمع ولا يشغله شكل عن شكل، بل هو – سبحانه وتعالى– سميع بصير.

قول المصنف– عليه رحمة الله– (السميع البصير العلي الكبير) سبق أن ذكرت لحضراتكم أن العلي اسم لله – عز وجل– يتضمن صفة العلو وإثبات الاسم من غير إثبات الصفة هذا جمود وخروج عن مقتضى الشريعة واللغة، فعندما نقول: نثبت الاسم من غير الصفة فهذا يحيل ألفاظ القرآن إلى ألفاظ جامدة خالية من معانيها فعندما

تكون جامدة خالية من معانيها تكون أيضاً خالية من حكمها ففي قول النبي –صلى الله عليه وسلم– (إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحدة من أحصاها دخل الجنة) فالقول الظاهر أن الإحصاء ليس معنى الحفظ ولكن الإحصاء فيه معنى المعرفة والعمل، فإذا كانت أسماء الله تعالى خالية من معانيها فكيف نعمل بها؟!! كيف نتدبرها؟!! كيف نعيها؟!! كيف نطبقها في حياتنا واقعاً مشاهداً ملموساً إذن هذا خلاف الشرع إثبات الاسم من غير الصفة هذا خلاف الشرع وهذا أيضاً خلاف اللغة؛ لأن الاسم ما يدل على مسماه فالاسم هو المسمى قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى ﴾ [الأعراف: ١٨٠] لا أريد أن أدخل في مسألة الاسم والمسمى فهذه قضية كلامية لا أدخل فيها ولكن أثبت الله تعالى أن هناك شيئاً تتعلق به هذه الأسماء ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ فيا ترى هل ندعوا الله تعالى بأسماء جامدة ليس لها معنى أم ندعوه بأسماء لها معنى؟!! إذن هذا خلاف اللغة، وإذا نزلت مثلاً إلى السوق فقلت لرجلك هات لي كيلو طماطم عندما تقول له: كيلو طماطم إن هذا اسم الطماطم هذا الاسم له معنى يترجم في ذهنه إلى ثمرة لها شكل معين، تصور معين، معنى معين فإذا أتاك مثلاً بكيلو من البطاطس وقال لك: هذه طماطم هل تصدق ذلك ؟ لا تصدق ذلك، ترفض وتقول ما أردت ذلك.

إذن الأسماء لها دلالة قصدية فإثبات الاسم من غير المعنى المقصود هذا إلحاد في اللغة انحراف وابتعاد وباطل. إذن لابد من إثبات الاسم المتضمن للصفة. والصفات الكلام عنها فرع عن الكلام في الذات فإذا كان الذات والكنه لا يدركه الواصفون ولا يحيط به العالمون فكذلك أيضاً الصفات.

العلي: هذا اسم متضمن لصفة العلو هذه الصفة التي تدل على علو القدر وعلو الذات وعلو القهر.

والكبير: قلت لكم– من قبل منذ دقائق– بأن اسم الكبير يقترن باسم العلي ﴿ وهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ ﴾[الحج: ٦٢]، السميع البصير العلي الكبير.

فالله –تبارك وتعالى– عليّ، عالٍ في ذاته وقدره وعالٍ على خلقه فمهما بلغ الخلق من العظمة والعلو فإن الله تعالى عالٍ عليهم مهما تهيأ للمخلوق أن يكون عالياً في درجته، في منصبه، في شرفه، في مقامه، في وجاهته الله تعالى عالٍ عليه وهو أيضاً كبير فمهما بلغ من درجته وبلغت درجته وبلغ منصبه فإن الله تعالى أكبر منه، فما من كبير إلا والله تعالى أكبر منه فعندما تعلم ذلك بأن الله تعالى عليّ كبير تشعر بالعزة بأنك متأيد بالعلي الكبير وأنك مع العلي الكبير وأن الله تعالى سيؤيدك وسيعليك وسينصرك أرأيت إلى المؤمنين في غزوة أحد عندما كسروا وقتل منهم من قتل وجرح منهم من جرح قال الله تعالى لهم ﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) ﴾[آل عمران: ١٩٣] فالإنسان إنما يكون عالياً بإيمانه وتأيده بربه–سبحانه– فقوله (وهو السميع البصير العلي الكبير وأنه فوق عرشه المجيد بذاته) أقف هنا وقفة يسيرة حدثت بيني وبين أحد الإخوة الأحبة– بارك الله فيه– عندما قرأ هذا اللفظ قال: وهو فوق عرشه ثم سكت ثم قال: المجيد بذاته طبعاً هو رجل متفنن في اللغة وهذا لغة يصح يعني هذا من جهة اللغة يصح ولكن هناك بُعد عقائدي يجعلنا لا نوافق هذا الوجه اللغوي ما هو الوجه اللغوي؟ (وأنه فوق عرشه) انتهت الجملة، ثم نبتدئ جملة جديدة نقول: المجيد بذاته فالمجيد خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: هو المجيد بذاته، إذن هذا لغة يصح ولكن هذا الأمر له بعد عقائدي يجعلنا لا نوافق على هذا الوجه اللغوي وإن كان صحيحاً، ذلك أن بعض المؤولة أنكر على ابن أبي زيد وأنكر على أهل السنة عموماً إثبات كلمة الذات وقال: بأن هذه الكلمة ليست كلمة سلفية أنتم تزعمون أنكم تتأيدون بمنهج السلف وأنكم تتأيدون بكلام المتقدمين من الصحابة والتابعين فدلونا هل أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم قال هذه الكلمة كلمة ذات؟ وبالتالي هذه كلمة بدعية فكيف يكون هذا الرجل – وقد ترجم له الذهبي في قوله وكان على منهج السلف في الأصول– كيف يتكلم بكلمة بدعية؟

وهذا الأمر أيضاً الإمام الذهبي في المجلد التاسع عشر في سير أعلام النبلاء قال: «بأنهم عابوه على ابن أبي زيد يعني عابوا كلمة: الذات إثبات كلمة بذاته، عابوا ذلك ورموه بهذه الكلمة ويا ليته لم يقلها» هذا كلام الإمام

الذهبي إذن الإمام الذهبي معذور في ذلك لأن المذهب القائم في ذلك الوقت هو مذهب الأشاعرة، مذهب الأشاعرة هو المنهج الرسمي القائم في ذلك الوقت والذي يخالف هذا المذهب ربما يسجن وربما يؤذى، والإمام الذهبي –عليه رحمة الله– من باب درء المفاسد لا يريد أن تكون هذه الكلمة، لكن من حيث التأصيل هذه الكلمة بالفعل هل هي بدعة؟ هل هي كلمة بدعية؟

الجواب:

الأمر الأول:إن الإمام ابن أبي زيد عندما قال:(وأنه فوق عرشه المجيد) فتصير كلمة المجيد صفة للعرش والمجيد بمعنى القوي بذاته – سبحانه وتعالى– عندما قال كلمة بذاته كان يقصدها بعينها لماذا لأن بعض المؤولة قالوا: بأن الله تعالى ليس على عرشه، ليس على العرش؛

لأن إثبات أن الله تعالى فوق العرش إثبات لأمرين:

الأمر الأول: إثبات أن الله تعالى متحيز.

الأمر الثاني: أن الله تعالى له جهـــــة.

فقالوا: لا.. لا نثبت أن الله تعالى فوق عرشه بذاته وإنما المقصود أن الله تعالى استوى على العرش أي تمكن منه أو استولى عليه، فأراد المصنف –عليه رحمة الله– أن ينفي هذا المعنى الفاسد ويقول: بأن الاستواء كان استواءً حقيقياً بذاته إذن لما نفى المبتدعة استواء الله تعالى بذاته أراد المصنف أن يشاكلهم بإثبات أن الاستواء كان بالذات. وسأضرب لكم مثالاً بسيطاً على ذلك أيضاً لو أتينا بدواوين السنة جميعها وقرأنا القرآن من أوله إلى نهايته هل نجد جملة بأن القرآن ليس مخلوقاً هذه الجملة موجودة في القرآن؟ ليست موجودة في القرآن وليست موجودة في السنة ولم يقلها أحد من الصحابة ولا من التابعين وإنما كانت هذه الجملة في عهد الإمام أحمد لما خاض الناس في مسألة خلق القرآن وبلوا الناس بخلق القرآن فمن قال: بأن القرآن مخلوق أفسحوا له وعظموه وشرفوه وأعطوه ووصلوه وكان مقرباً معظماً ومن قال بأن القرآن كلام الله ليس بمخلوق منه بدأ وإليه يعود عذبوه وطعنوا عليه وشنعوا عليه وهمزوه ولمزوه وربما سجن، بل ربما قتل، فقالوا: بأن القرآن مخلوق، كلام الرب كلام الباري الجليل قالوا: بأنه مخلوق ما الذي حدث؟ تكلم بعض العلماء مثل الإمام أحمد فقال: بأن القرآن ليس بمخلوق إذن لما قال: ليس بمخلوق قال ذلك لهذه المناسبة؛ لكي يرد على هؤلاء القوم الذين قالوا بخلق القرآن، وكذلك ابن أبي زيد وكذلك من قال من أهل السنة: بأن الله – عز وجل– مستوٍ على العرش إنما قال: بذاته، مع أن السلف لم يقولوها ليرد على الذين قالوا: إن الله لم يستوِ على العرش بذاته، إذن كان إثبات هذه اللفظة مهماً جداً وله بعد عقائدي.

الأمر الثاني: أن هناك بعض المتقدمين قالوا هذه اللفظة من هؤلاء الإمام سفيان الثوري والفضيل بن عياض وإسحاق والإمام أحمد وسفيان بن عيينة كل هؤلاء كانوا يقولون «بأنه مستوٍ على العرش بذاته وعلمه في كل مكان» وأثبت ذلك الهروي في عقيدته– أبو إسماعيل الهروي المتوفى سنة أربعمائة وواحد وثمانين– أثبت ذلك

في عقيدته وقال: وبذلك قال علماء أهل السنة. إذن علماء السنة والسلف قالوا هذه العقيدة بأن الله تعالى مستو على العرش بذاته وعرفتم أن هذه اللفظة مع أنها لم تكن متقدمة ولكن قيلت ضرورة لما سمعتموه.

إذن لما يقول الشيخ (وإنه فوق عرشه المجيد بذاته) أيها أولى؟ ماذا نقول؟ وأنه فوق عرشه المجيد بذاته أم نقول وأنه فوق عرشه ثم نقول: المجيد بذاته أيها أولى؟

الوصل أولى الوصل أولى من الفصل، والوصل والفصل هذه مباحث لغوية بلاغية دلالية أرأيتم كيف أن الوصل والفصل كان مغيراً للمعنى؟!!

أيضاً مما يؤنس لذلك ويشهد له أن الله تعالى كان يصف عرشه بأنه عرش مجيد في سورة البروج أثبت الله تعالى أن العرش مجيد في قوله تعالى: ﴿ ذُو العَرْشِ المَجِيدِ (١٥) ﴾[البروج: ١٥]، وأثبت أن القرآن مجيد في قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١)فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢) ﴾ [البروج: ٢١: ٢٢]،

إذن ليس هناك غضاضة وليس هناك إشكال في مسألة إثبات أن الله تعالى مستوٍ على العرش بذاته.

قوله: (وهو في كل مكان بعلمه) نعم إثبات صفة العلم لله – عز وجل– وأن الله تعالى علمه أحاط بكل شيء– كما قلت لكم من قبل– وقال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) ﴾ [المجادلة: ٧]، فابتدأ الله تعالى بالعلم وختم بالعلم للدلالة على أن الدلالة الموجودة في هذه الآية معيّة عامة، إذن قوله:(إنه فوق عرشه المجيد) يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ ذُو العَرْشِ المَجِيدُ (١٥) ﴾[البروج: ١٥]، وهو في كل مكان بعلمه هذه إحاطة العمل فالله –تبارك وتعالى– علمه محيط بكل شيء، والمعية الموجودة في آية المجادلة هي معية العلم والإحاطة والقدرة، فالله تعالى له معيتان:

١– معية العلم والإحاطة والقدرة وهي المعية العامة.

٢– وهناك المعية الخاصة وهي معيته لأوليائه بتأييدهم ونصرتهم وتوفيقهم وإرشادهم وهدايتهم، قال الله تعالى لموسى وهارون: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا ﴾ وقال في عموم الشيء كما في سورة الحديد ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد:]، ولا يفهم من ذلك أن الله تعالى حالٌّ في الأشياء أو أن الله تعالى متحد مع الأشياء لا يفهم هذا ولا هذا لا يفهم من ذلك لا معنى الحلول ولا معنى الاتحاد أرأيت أنك تقول: سرت مع القمر، كما تقول: سرت والقمر ، الواو هنا بمعنى مع والقمر يتعرب على أنها مفعول معه، أليس كذلك؟ سرت والقمر، القمر في السماء وعندما تقول: سرت والقمر فلا يقصد بذلك أن القمر صار ملامساً لك أو أن القمر صار مختلطاً بك أو أن القمر صار حالاً فيك هذا كلام لا يقبل ولا يعقل.

إذن قوله ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ دلالة على إحاطته – سبحانه وتعالى– بالمخلوقات إحاطة علم وقدرة. أيضاً لا يتصور أن الله – سبحانه وتعالى– حالٌّ في هذه الأشياء أو متحد في هذه الأشياء؛ لأنه هو الذي أوجدها وفي الحديث الصحيح (كان الله ولم يكن شيء قبله) الله – سبحانه وتعالى– هو الذي أوجد الخلق فكيف يحل بالخلق أو يتحد بالخلق؟!! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

فلما قال:(وهو في كل مكان بعلمه) كان بذلك مثبتاً لصفة العلم، إذن هو فوق عرشه بذاته وهو في كل مكان بعلمه.

هنا إشكال بسيط:

بعض الناس أنكروا على ابن أبي زيد قوله:(فوق عرشه) من هؤلاء: ابن الفخار القرطبي المالكي. ابن الفخار قال: «بأن هذا مما يهمز به ابن أبي زيد لماذا؟ لأن الله تعالى قال: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥) ﴾ [طه: ٥]، ولم يقل الرحمن فوق العرش»، وهذا كلام عجيب من ابن الفخار؛ لأن على لها معان عدة ومعناها يتنوع بتنوع السياق الذي وردت فيه، فعندما يقول الله – عز وجل– ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ﴾ [القصص: ٢٧] على: هنا فيها معنى الشرط والتعليق، وعندما تقول زوجتك: ابنتي على ألف دينار فأيضاً على هنا فيها معنى الشرط والتعليق، وعندما تقرأ قول الله– تبارك وتعالى: ﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ﴾[الزخرف: ١٣]، إذن لتستووا على: استوى على بمعنى ماذا؟ لترتفعوا عليها وتركبوها إذن ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى ﴾، على أي فوق.

وثبت في البخاري أن أبا العالية –رضي الله عنه– فسر الاستواء بمعنى العلو استوى بمعنى علا وارتفع ومعنى فوق عرشه أي على عرشه،وعلى هنا بمعنى فوق.

أيضاً بعض المؤولة قالوا: ليس المقصود بفوق العلو ولكن المقصود بكلمة فوق الظفر والظهور ومنه قول الله تعالى: ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران: ٥٥]، أي جاعل الذين اتبعوك يا عيسى من الموحدين الأصفياء الأتقياء فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، إذن تحمل الفوقية بمعنى النصرة والغلبة والقهر والظهور وكذلك قالوا: إن المقصود بقول ابن أبي زيد (وأنه فوق عرشه بذاته) فوق عرشه أي ظاهر على العرش متملك لذلك العرش وهذا كلام عجيب جداً؛ لأن الله تعالى أثبت الفوقية الحقيقية لنفسه ومن ذلك قول الله – سبحانه وتعالى–: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٥٠) ﴾ من فوقهم فهذا دليل على أن الله تعالى فوق، أما الذين قالوا إن الله تعالى ليس فوقاً ولا تحتاً هذا كلام فارغ.

إذن الله تعالى فوق عرشه فوقية حقيقة بذاته ليست فوقية مجازية معنوية وأيضاً لا يمكن أن ننفي الفوقية، إذن نفي الفوقية هذا انحراف عن الحق، وكون الفوقية معنوية هذا انحراف عن الحق ولكن نثبت فوقية حقيقة على العرش بذاته سبحانه.

قال الشيخ (وهو في كل مكان بعلمه) هذه الفقرة هل استوعبتموها جيداً؟

س– لماذا قلنا: العليم الخبير ولم نقل العالم الخبير؟

لأن العليم تدل على كمال الإحاطة وكمال العلم والعالم جاءت في القرآن بمعنى علم الغيب فقط أو خاصة بعلم الغيب.

جميل أنا أردت أن أسأل هذا السؤال حتى أعلم أنكم قد استوعبتم.

نأتي بعد ذلك إلى (خلق الإنسان وعلم ما توسوس به نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد) أثبت أن الله تعالى أحاط بكل شيء علماً فمن جملة ما علم الله – عز وجل– أنه علم الإنسان؛ لأنه خلقه ويعلم ما توسوس به نفسه، الوسوسة: أصلها الكلام الخفي والله – سبحانه وتعالى– يعلم السر وأخفى فيعلم ربنا – سبحانه وتعالى– ما تفكر فيه وما تحدث به نفسك ولكن لا يعاقبك ولا يحاسبك إلا إذا تكلمت أو عملت لقول النبي –صلى الله عليه وسلم– (إن الله غفر لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تفعل)

والعلم –علم الله تعالى بخلقه– علمان:

علم سابق وهو العلم الأول وعلم لاحق وهو العلم الثاني، فعلم الله تعالى الخلق قبل أن يوجدهم ثم بعد ذلك أوجدهم فعلم ما هم عاملون. العلم الأول متعلق بقدر الله – عز وجل– والعلم الثاني متعلق بالجزاء الذي يجازي الله تعالى به عباده –فالله تبارك وتعالى– يعلم الناس فيعلم المطيع فيدخله الجنة ويعلم المسيء فيدخل النار.

إذن قول الله – عز وجل–: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾[البقرة: ١٤٣] إلا لنعلم: العلم هنا العلم الأول أم العلم الثاني؟

العلم الثاني. أي إلا لنعلم المطيع من المسيء لنجازي المطيع بالجنة ونجازي المسيء بالنار.

وظاهر أن الشيخ متأثر بلفظ القرآن(خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد) هذا تأثر واضح بالقرآن وقال ابن عبد البر: وفيه فائدة نقل القرآن بالمعنى. القرآن إذا نقل بالمعنى لا يكون قرآناً.

الوريد هل المقصود بالوريد هذان الوريدان الموجودان في صفحة العنق؟ هل المقصود بالوريد هو وريد القلب الذي يسمى بالوتين؟ هل المقصود هذا أم هذا أم شيء آخر؟ هذا كله ربما يكون محتملاً. والقول الثاني: هو وريد القلب الذي يسمى بالوتين لعل ذلك هو القول الأصح.

قوله أيضاً: (خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه) – كما قلت لكم– هذا متأثر بقول الله – سبحانه وتعالى– : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ (١٦) ﴾ [ق: ١٦]،كلمة﴿ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ (١٦) ﴾ ما المقصود بنحن أقرب إليه: هل المقصود به الله أم الملائكة؟ هذان قولان، نحن أقرب إليه علماً وقدرة وإحاطة هذا قول، والقول الثاني: ملائكتنا أقرب إليه من حبل الوريد هذا قول ثانٍ.

وجرى نظم القرآن وعادة القرآن أن الضمير المجموع المعظم إذا أسند لغير الله –عز وجل– فالمقصود به الملائكة ومن ذلك قول الله –تبارك وتعالى– ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) ﴾ [هود: ٧٤]، لم يجادل الله – عز وجل– وإنما راجعَ في القول مَنْ ؟ الملائكة.

فالله –تبارك وتعالى– أعلم بالإنسان وأعلم بما توسوس به نفسه وهو أيضاً – سبحانه وتعالى– كما قال المصنف (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) من هنا قد تكون زائدة وقد تكون مثبتة فما من ورقة في أي حال في أي بلد في أي زمن في أي حال كانت خضراء، كانت صفراء، كانت ذابلة، كانت يابسة، كانت ساقطة في أي وقت بالليل أو النهار في أي مكان في العالم إلا ويعلمها الله – عز وجل– وقوله أيضاً (ولا حبة في ظلمات الأرض) عبر بالشيء الحقير الضئيل اليسير بقوله: ولا حبة وقال: في ظلمات الأرض؛ لأن الأرض سابع أرضين وما تحت الأرض ظلمات وكذلك أي مكان في الأرض إذا غاب عنه النور صار مظلماً فما من شيء في ظلمة من ظلمات الأرض إلا يعلمه ربي – سبحانه– (ولا رطب)الرطب: ما ينبت، فالرطب متعلق بالإنبات (ولا رطب ولا يابس)، أي ما لا ينبت النبت سواء كان زرعاً أو كان نطفة إذن هناك زرع ينبت فيكبر ويترعرع ويخضر ويثمر وهناك زرع لا ينبت وهناك أيضاً نطفة تنبت ذرية وهناك نطفة لا تنبت ذرية فهذا كله يعلمه ربي– سبحانه–(ولا رطب ولا يابس) وكذلك قلب المؤمن ينبت خيراً، وأما قلب المنافق أو الكافر فلا ينبت إلا شراً والعياذ بالله.

(ولا طب ولا يابس إلا في كتاب مبين) أي إلا في لوح محفوظ ﴿ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى ﴾[طه: ٥٢]، أسأل الله – عز وجل– أن يقدر لنا الخير كله وأن يصرف عنا الشر كله وأن يوفقنا إلى الخير كله وأن يوفقنا إلى محابه ومراضيه.

نأخذ اتصالات المستمعين

لي ملاحظة حول ما أثاره الشيخ في وصف العرش بأنه مجيد هذا يتأتى على القراءة التي قرئت ذو العرش المجيد وهي قراءة حمزة والكسائي فقط كما في غاية النفع وكما في شروح الشاطبية، أما رواية حفص وباقي العشرة ﴿ذو العرش المجيدُ ﴾فيكون المجيد خبر بعد خبر لله – سبحانه وتعالى– وليس للعرش فأحببت أن أنبه لأن الأستاذ توقف بعض التوقف عند وصف العرش بالمجيد فتكون على قراءة حمزة والكسائي أما باقي القراء فيقرؤون ﴿ذو العرش المجيدُ ﴾.

جزاكم الله خيراً الأخ الحبيب تكلم عن نقطة هي نقطة قطع الصفة عن الموصوف وهذه المسألة بالفعل الوجوه التي ذكرها وجوه صحيحة، مثل مثلاً دخل العالمُ الفاضلُ، فدخل العالمُ الفاضلُ باعتبار أن الفاضل صفة للعالم. يمكن أن تكون كذلك ويمكن: دخل العالمُ الفاضلَ. يعني: دخل العالمُ أعنى الفاضلَ، ويمكن: دخل العالمُ الفاضلُ ليس باعتبار الصفة ولكن باعتبار القطع أي: دخل العالمُ هو الفاضلُ فهذا كله محتمل، ولكني اخترت ذلك حتى لا يحدث التباس في جانب الاعتقاد ونحن نتحدث في الاعتقاد. وجزاكم الله خيراً.

هل نستطيع أن نثبت لله صفة الفهم ؟

نحن لا نثبت صفة من غير نص؛ لأن الأصل في الصفات التوقيف.

ما الفرق بين العرش والكرسي وإذا كان ربنا –جل وعلا– مستوياً على عرشه بكيفية تليق بجلال وجه ربنا – تبارك وتعالى– فماذا الكرسي وجزاكم الله خيراً؟

قلت لكم من قبل: بأن العلم الذي أعطاه البشر سواء كان ذلك البشر أنبياء أم غير أنبياء إنما هو علم أذن الله تعالى به وما لم يأذن الله تعالى به فهذا من جملة الغيب الذي يكون الخوض فيه ضرباً من الباطل فنحن نقف حيث وقف النص فليس عندنا من نص يبين لنا كيفية الكرسي وما حاله إلا هذا الأثر الذي ورد عن ابن عباس وهذا أثر حتى بعض الناس تكلم في إسناده.

الأخ له سؤالان:الأول: قال الرسول –صلى الله عليه وسلم– في المسيح الدجال: (إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور) فهل يمكن أن يعتبر هذا دليلاً على أن الله –جل جلاله– له عينان؟

هذا أمر محتمل فإثبات صفة العين لله – عز وجل– ثابتة، لكن كون أن نقول: بأن الله تعالى له عين واحدة أو عينان أو أكثر أو أقل هذا مما ينبغي أن نمسك عنه ولا نخوض فيه.

سؤاله الثاني: ما تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ ﴾؟

إن شاء الله عندما نتعرض لمسألة العرش، لأن عقيدة ابن أبي زيد –حقيقة– تحتاج إلى ترتيب وبإذن الله تعالى في المجلس القادم أو الذي بعده سنتكلم عن العرش بالتفصيل بإذن الله .

يقول: السلام عليكم ورحمة الله: سمعت كلاماً لبعض العلماء –الذين نحسبهم كذلك والله حسيبهم– أن معية الله –تبارك وتعالى– لعباده معية معية ذاتية. شيخنا كيف نوفق بين هذا القول وبين القول الذي يقول: إن الله معنا بعلمه؟ أرشدونا جزاكم الله خيراً.

عندما نقول: إن معية الله تعالى معية ذاتية فالمقصود بذلك الحمل على ما تقتضيه من النصرة والتأييد والتوفيق والإلهام والرشد ليس المقصود بذلك بذاته أي بحقيقة ذاته فيكون الله تعالى ملامساً لخلقه أو متلبساً بخلقه أو مخالطاً خلقه هذا هو الكلام الذي عليه المحققون والله تعالى أعلى وأعلم.

شيخنا كان فيه سؤال في الحلقة الماضية معنى أسماء الله تعالى: الأول والآخر فأردنا بعض التفصيل فيها – بارك الله فيك–

الكلمة المجملة وأفضل شيء الجمل المجملة؛ لأن الأمور إذا كانت واضحة وفصلت أكثر من هذا الإجمال تزداد التباساً فهو أول بلا ابتداء آخر بلا انتهاء.

يقول: السلام عليكم ورحمة الله: هل القديم من أسماء الله الحسنى؟ وإن كان اسماً من أسمائه فهل هناك دليل وجزاكم الله خيرا؟

القديم ليس من أسمائه سبحانه أبداً وما ورد في ذلك إلا الأثر (وبسلطانه القديم) والقدم هنا متعلق بسلطان الله – عز وجل– السلطان أي الملك أما أن يكون هذا اللفظ القديم أن يكون اسماً من أسماء الله – عز وجل– فهذا لم يثبت، لا في القرآن ولا في السنة – والله تعالى أعلى وأعلم.

ما حكم تفسير صفات الله تعالى بلوازمها دون ذكر حقائقها؟

لابد من ذكر الحقيقة مع اللازم عندما أقول: اليد فاليد لها حقيقة حقيقة معلومة لا نقول أكثر من ذلك فنقول: اليد معلومة ولها حقيقة، ولوازم اليد كالقدرة وكالقوة وكالمنزلة هذه كلها من لوازم إثبات اليد فلو قلت: إننا نثبت اللازم لكنت بذلك مؤولاً إذا قلت: نثبت اللازم من غير إثبات المعنى أي حقيقة المعنى كنت بذلك مؤولاً خرجت بذلك عن منهج ما كان عليه السلف الصالح لكن تثبت الحقيقة التي هي الماهية المعنى ثم بعد ذلك تثبت اللازم لا ضير في ذلك.

الاستواء نثبت معناه حقيقة الاستواء نثبت الحقيقة ونثبت اللازم نثبت الحقيقة أن الاستواء بالمعنى المعلوم المعروف المتبادر إلى ذهن العرب عندما سمعوها ونثبت اللازم الذي هو القهر وما إلى ذلك، لكن لا نثبت اللازم دون الحقيقة.

دائماً السمع يسبق البصر لماذا؟

والله تعالى أعلى وأعلم بأن كقول الله – عز وجل– ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً (٣٦) ﴾ [الإسراء: ٣٦]،فالسمع والبصر ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ﴾ [النحل: ٧٨]، والله تعالى أعلى وأعلم لأن ما يسمع أكثر مما يبصر أي ما يدرك بالسمع أكثر مما يدرك بالبصر والله تعالى أعلى وأعلم.

ذكرتم فضيلتكم أن الله يعلم ما يفكر فيه الإنسان وما تحدثه به نفسه ولا يحاسبه إلا إذا فعل فماذا إذا كان الإنسان تحدثه نفسه بالشر وينوي عليه ولم تمنعه نفسه بل منعته ظروف أخرى لا دخل له بها فكيف حسابه إذن ؟

النية نيتان نية خاطرة ونية جازمة فالله – تبارك وتعالى– لا يحاسبك على الخاطرة وإنما يحاسبك على الجازمة، فالخاطرة كقول ربنا – سبحانه وتعالى– في سورة يوسف عندما أثبت الهم فقال : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ

بهَا لَوْلا أن رَّأى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ [يوسف: ٢٤]،طبعاً هناك وصل وفصل كثير وهناك من قال: الأولى أن يقال ﴿ ولَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾ثم يقال ﴿ وَهَمَّ بهَا لَوْلا أن رَّأى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ إذن لم يهم يوسف أصلاً هذا قول وقال البعض ﴿ ولَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بهَا ﴾ فأثبت هماً للمرأة وهماً ليوسف، فهمُّ يوسف هو همُّ الخاطرة وهمُّ المرأة هو همُّ العزيمة والإرادة؛ لأنها غلقت الأبواب وقالت: هيت لك والله- تبارك وتعالى- لا يحاسبك على الخاطرة وإنما يحاسبك عليك على العزيمة والإرادة ومنه قول النبي -صلى الله عليه وسلم- (إذا التقى المسلمان بسيفيها فالقاتل والمقتول في النار قالوا: يا رسول الله هذا هو القاتل فما بال المقتول قال: كان حريصاً على قتل صاحبه) كان حريصاً أي كانت عنده نية وإرادة وعزيمة قوية أن يقتل صاحبه فكان في النار فمن كانت له إرادة جازمة في فعل الذنب فهذا قد يؤاخذ على هذا الأمر إلا أن يتغمده الله تعالى برحمة منه فيفتح عليه من أبواب الخير والحسنات ما تغسل به هذه النية الجازمة.

يقول السلام عليكم ورحمة الله : هل يكفي أن نرى المفسر يفسر اسماً أو صفة بما تقتضيه أن نقول: إنه ل يثبتها أم لا بد أن نرى له تصريحاً بعقيدته؟ وجزاكم الله عنا خيراً.

عقيدة المرء تظهر من عدة أمور تظهر من لفظه وتظهر من إشارته وهذا الأمر معلوم فلو عبر وشرح عقيدته لفظاً فهذا أمر واضح وإذا أتى بالكلام الذي يدل على صحيح هذه العقيدة فهذا صحيح يعني لو أن رجلاً قال: وهناك بعض المؤولة قالوا بأن الاستواء بمعنى الاسيتلاء وهذا فهم فاسد، بل لا بد من إثبات الإثم العظيم بمعناه العظيم. هذا الرجل لم يصرح وإنما رد وبين فهذا يقبل منه والمعلوم بأن كتب الاعتقاد أول ما ظهرت كتب الاعتقاد ظهرت كردود يعني الكتب المصنفة في الاعتقاد أول ما ظهرت ظهرت كردود فكذلك لو أن إنساناً رد على مبتدع حتى ولو لم يصرح بعقيدته لكان هذا الرد علي البدعي كفاية وبيان لعقيدته. والله تعالى أعلى وأعلم.

السلام عليكم ورحمة: الله كيف نجمع بين استواء الله – عز وجل- استواءً حقيقياً على عرشه وبين معيته تعالى لخلقه وكيف نرد على من قال: بأن الاستواء هو الاستيلاء أو التمكين كما يقول البعض والله الموفق.

أنا لي رغبة إن كل الأسئلة المتعلقة بالعرش نرجئها ولو أحببت أن أجيب عن هذا السؤال لا بأس يعني يمكن أن أجيب بإجابة يسيرة وأترك التفصيل لما بعد ذلك، الأخ الحبيب يقول كيف نثبت أن الله تعالى مستو على عرشه وهو مع خلقه؟ ليس في ذلك إشكال فأنت في الأرض والقمر معك والقمر في السماء تقول: سرت والقمر- وقلت هذا- سرت والقمر أي سرت مع القمر والقمر في السماء، فإثبات أن القمر في السماء لم ينافِ بأن القمر معك فهذا أمر موجود وكذلك الله تعالى في السماء على عرشه ومستوٍ وهو أيضاً معك فإذا فهمت هذا فهمت ذلك فسبحانه وتعالى عالٍ وهو في الوقت نفسه قريب من خلقه بعلمه وهو أيضاً – سبحانه وتعالى- قريب من خلقه وعالٍ على عرشه.

السلام عليكم ورحمة الله: سؤالي يدور حول الذين يؤولون صفات الله تعالى والذين يقولون: بأن الله تعالى بلا مكان والذين يقولون على شيخ الإسلام- رحمه الله تعالى- بأنه مجسم وكافر فهل هؤلاء الذين يقولون هذا الكلام من أهل السنة أم من باقي الفرق الضالة؟

الإشكال بأن الألفاظ الكلامية عندما دخلت ديار المسلمين استوحشتهم وبعدتهم عن الألفاظ الربانية النبوية الشريفة وجعلوا لكل لفظ لازم كلامي رتبوه على ما رتبت به عقولهم فعندما يقولون: بأن الله تعالى مستوٍ على عرشه فوق السماء فقالوا بأن ذلك يعني أن الله تعالى متحيز وأن الله تعالى في جهة وما معنى متحيز؟ أي أن الله تعالى يشغل حيزاً من هذ الكون أي أن ربنا – سبحانه وتعالى- له طول وعرض وارتفاع وحجم وحيز وكتلة ففهموا ذلك عن الله – عز وجل- وهذا ضلال وإفك وكذلك قالوا: بأنه فوق العرش أي أن العرش قد حواه إذن أيضاً الله تعالى متحيز لأن العرش قد حواه فإذا كان العرش مخلوق والله – سبحانه وتعالى- غير مخلوق وهو فوق العرش إذن قد حازه هذا العرش. هذا فهمهم لأنهم رتبوا الكلام ترتيباً كلامياً منطقياً عقلياً على حسب ما

يفهمونه وهذا فاسد لماذا؟ لأن الله تعالى لا يدرك كنه صفته الواصفون ولا يقف على حقيقة ذاته العارفون فلا بد لنا أن نسلم بما ورد في الكتاب وصحيح السنة دون أن نسأل عن الكيف، استوى ربنا، نعم استوى ربنا استواءً حقيقياً يليق بذاته لكن كيف استوى؟ الله أعلم لأننا لو بحثنا عن الكيف لوردت إلينا هذه الإيرادات. كل هذه الإيرادات كلها سترد إلينا كيف استوى؟ سترد كيف الحيز والحجم والكتلة والارتفاع ؟ هذا كله سيرد في كيف؟ لكن لا كيف؛ لأننا لا ندري الكيف لأن الكيف من جملة ما استأثره الله تعالى في علمه الله تعالى من جملة ما علم علم ناساً ومن جملة ما علم لم يعلم ناساً وهناك من العلم ما استأثره الله تعالى بعلمه فلا ينبغي لنا أن نخوض في أمر لا نعلمه هذه كلها أمور غيبية لا نعلمها ويعجبني ما كان يقوله الإمام أحمد في فتنة خلق القرآن كانوا إذا ألزموه بعض اللوازم مثل هذا كان يقول: لا أدري ذلك وإنما أقول كما قال الله ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ ﴾[التوبة: ٦]، فكلام الله هو القرآن.

فحسبنا ما ورد عن الله على مراد الله – عز وجل– وما ورد عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– على مراد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف.

كل آيات القرآن قدمت السمع على البصر إلا في موضع واحد ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) ﴾ [الزمر: ٦٨]، فقدم البصر في مقام القيامة فقط وقدم السمع في الدنيا في كل آيات القرآن قدم السمع فهل ذلك لتقديم الوظيفة السمع قدم في الحياة والنظر قدم في البعث،

فإذا هم قيام ينظرون. أين السمع هنا؟ البصر قدم البصر في الآخرة والسمع في الدنيا السمع عندما يخرج الجنين من بطن أمه يسمع ولا يرى كل آيات القرآن قدمت السمع إلا النظر قدم في البعث فإذا هم قيام من أجداثهم ينظرون إذن هنا إثبات النظر أين السمع؟ نقصد في هذه الآية أن كل آيات القرآن قدمت السمع إلا في هذه الآية عندما نقول: قدمت فإذن هناك متقدم ومتقدم عليه فعندما أقول هنا ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) ﴾ فقدم النظر على أي شيء؟ نعم جزاك الله خيراً.

يقول: هل السؤال عن استواء الله جل جلاله غير جائز ؟

إذا كان السؤال عن معنى الاستواء فلا بأس في ذلك لكن إذا كان السؤال عن كيفية الاستواء وهذا ما أنكره الإمام مالك في وقت كثر فيه الخوض في هذا الأمر فهذا لا يجوز.

يقول: هل من إشارة إلى المعاني القلبية المستفادة والتي يمكن أن يكتسبها العبد مما حدثتنا به اليوم .

هذا جهدك أنت أنا أشرت إلى مثل هذه المعاني في تضاعيف الكلام وفي ثناياه ولا ينبغي لي أن أقول: وهنا معنى قلبي هو كذا وكذا ولكن أنا آتي بالكلام في وسط الكلام والمطلوب من الأخ الحبيب أن يأخذ من كل شيء ما يستفيد منه وما يحصله فمما لا شك عندما تكلمت عن العليم وعن القدير وتكلمت عن كل هذا كانت هناك معاني قلبية ينبغي أن تكون مغروزة في قلبك وأن يكون القلب قد التقطها – أسأل الله لي ولنا التوفيق.

بعض الناس يقولون: إن الأرض كروية وباعتبار كرويتها فإن الفوقية فيها تختلف من مكان إلى آخر وخصوصاً إذا كانت على الجانب الآخر من الأرض فكيف نرد على هؤلاء الناس وعلى مثل هذه الأفكار؟

كما قلت لحضراتكم بأن كل هذا متعلق بالكيف فنثبت المعنى العظيم ولا نخوض في الكيف.

يقول: هل من الممكن أن يوضح لنا شيخنا الفاضل طريقته أو طريقة في طلب العلم؟

العلم ما أصلحك والعلم ما نفعك والعلم ما قربك وأفضل ما تبدأ به أن تبدأ بحفظ ما تيسر لك من كتاب الله – عز وجل– حفظاً وفهماً وتدبراً وأن تحفظ من حديث النبي –صلى الله عليه وسلم– المجملات التي تمثل الدين كله مجملات في الاعتقاد ومجملات في الشريعة وأن تطالع مجملات يسيرة في السيرة وأن تطالع شيئاً يسيراً في اللغة ولا أقصد باللغة النحو لأن بعض الناس يظنون أن اللغة هي النحو خطأ ولكن اللغة أوسع من ذلك كل ما يتعلق بدراسة الأصوات أو الصيغ وهو الصرف أو التراكيب وهو النحو أو الدلالة والمعجم هذا كله يسمى لغة، فللأخ أن تكون له بعض الاطلاعات اليسيرة في مجملات نافعة في اللغة وأفضل ما تمرن عليه في هذا الباب أن يطالع شرح السنة وبعض الدواوين البسيطة كمثل ديوان زهير بن أبي سلمة ديوان طرفة بن العبد – ينفعه الله عز وجل–.

فضيلة الشيخ هلا تفضلتم من طرح أسئلة هذه الحلقة حتى يتمكن الإخوة والأخوات طلبة الأكاديمية من الإجابة عليها في الحلقة القادمة

هناك بعض الأسئلة أرجو من إخواني أن يكتبوها وأن يجهزوها للمرة القادمة:

السؤال الأول: اذكر آية اشتملت على ما اشتملت عليه آية الكرسي من عدد الجمل وبين حكمة هذا.

وأرجو الإخوة عندما يجيبون عن هذا السؤال لو طالعوا تفسير ابن كثير لكان خيراً تفسير ابن كثير المجلد الأول تفسير آية الكرسي،وكذلك محاسن التأويل للقاسمي لكان خيراً.

السؤال الثاني : هات من عقيدة القيرواني ما يكافيء قول أبي جعفر الطحاوي وهو من أعيان السنة وعلماء السلف «والعرش والكرسي حق» واشرح ذلك شرحاً مجملاً يعني ستأتي بالنص الخاص بأبي زيد القيرواني شبيه هذا النص واشرحه شرحاً مجملاً؟

السؤال الثالث: ما دلالة اقتران اسمه العلي بأسمائه: العظيم والكبير والحكيم؟

السؤال الرابع: كيف نرد على من نقم على ابن أبي زيد قوله «بذاته»؟

السؤال الخامس اذكر بعض المعاني الذي استفدتها من هذا الدرس وكيف تبلغها لغيرك؟ وجزاكم الله خيراً.

الدرس الرابع

أسماء الله الحسنى وصفاته

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه، بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وكفى وصلاة وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صلى وسلم وزد وبارك على النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ثم أما بعد:

قبل أن أبدأ حديثي مع حضراتك فإني أذكر بالدرس الفائت تذكيراً مجملاً ثم أجعل هذا التذكير مدخلاً للحديث عن هذا الدرس الذي نتناوله في هذه الحلقة والتي سأقدم بين يدي هذا الدرس بمقدمة أراها ضرورية، ثم بعد ذلك نختم بالأسئلة كما تعودنا ونسأل الله تعالى التوفيق والتيسير.

تكلمت معكم في الحلقة الماضية عن بعض الصفات الربانية لا سيما صفة العلم، كما تكلمت كلاماً مختصراً عن العرش والحديث عن الصفات ينبع من قيمة معينة هذه القيمة هي قيمة إيمانية محضة فالإنسان عندما يدرس باب الأسماء والصفات لا يدرس هذا الباب باعتباره ترفاً علمياً يتسع به عقله وإنما يدرس هذا الباب ليزداد معرفة بربه سبحانه، هذه المعرفة التي تزيد إيمانه، فالإيمان يزداد بكثرة النظر وتواتر الأدلة، ألا ترى أن المرء إذا كان جاهلاً شيئاً فإنه لا يتصوره أما إذا كان عالماً هذا الشيء فإنه يتصوره؟ وكذلك نحن نريد أن نعرف ربنا ونعرف كل ما يمكن أن يتصل بالعلم الذي أتاحه لنا ربنا، من باب الأسماء والصفات وما يتعلق بذلك؛ وليتثنى لنا بهذه المعرفة زيادة الإيمان ومحبة ربنا –سبحانه وتعالى– فإذا كنا تحدثنا عن العرش حديثاً مجملاً فإننا لا بد أن نتكلم عن هذا الخلق وهو العرش كلاماً مفصلاً في هذا اليوم، وعندما نتكلم عن العرش بالكلام المفصل فإننا نقصد بذلك أمرين:

الأمر الأول: الرد على المخالفين وهذا أمر مهم جداً في تثبيت العقيدة، أن الإنسان كي تثبت عقيدته فإنه يعرف أقوال المخالفين ويعرف بعضاً من شبههم ويعرف كيفية الخروج من هذه الشبه بعد أن يعرف الأصول التي قامت عليها هذه الشبه.

وقلت لكم من قبل: بأن من أوائل الكتب المصنفة في الاعتقاد كتب الردود.

الأمر الثاني: حتى نعرف هذا العرش الذي يستوي عليه ربنا هذه المعرفة التي تزيدنا إيماناً بالعرش وإيماناً باستواء ربنا –سبحانه وتعالى– عليه وبالتالي كانت هناك مقدمة ضرورية، هذه المقدمة الضرورية: لماذا رد كثير من المبتدعة مسألة الاستواء على العرش؟ فقالوا: بأن الاستواء بمعنى الاستيلاء أو قالوا: بأن الاستواء بمعنى الغلبة و الظفر والقهر ولم يثبتوا هذه الصفة لله –عز وجل– مع أن القرآن تكلم على الاستواء وعنه في أكثر من موضع في نحوٍ من سبع مواضع وكذلك أتت السنة لتثبت هذه الصفة، هذه الصفة أثبتها القرآن كما أثبتتها السنة لماذا نفوها؟ الإشكال أنهم نسوا هذه الصفة كما نسوا غيرها من الصفات كصفة النزول وصفة المجيء وصفة الضحك وصفة الغضب وصفة الرضا، لم يثبتوا هذه الصفات ظناً منهم أن إثبات هذه الصفات يقتضي عجزاً ونقصاً لا يليق بالله –عز وجل– وبالتالي أولوا هذه الصفات وصرفوها عن ظاهرها إلى معنى آخر، وهذا ما يسمى بالمجاز، فقالوا: هذا الاستواء استواء مجازي، وصار المجاز عند المتأخرين من الأشاعرة والكلابية والماتريدية وغيرهم باباً عظيماً يردون به النصوص ويحرفون النص عن ظاهره إلى معانٍ ربما لا تكون محتملةً أصلاً، لقد حكموا عقولهم في الأمور كلها.

وقال زعيم من زعمائهم وهو الرازي –عليه رحمة الله– «بأن دلالة العقل أشد من دلالة النقل»أي: ما دل عليه العقل أقوى مما دل عليه الشرع – سبحان الله– وقال:[إن دلالة النص ربما تحتمل التخصيص وتحتمل التقييد، أما دلالة العقل فلا تحتمل ذلك] يعني عندما أقول: قال الله –عز وجل– كذا أو قال النبي –صلى الله عليه وسلم– كذا فهذا النص ربما يكون خاصاً، ربما يكون عاماً يحتاج إلى مخصص، ربما يكون مطلقاً يحتاج إلى مقيد أما دلالة العقل فهي دلالة قوية لا تحتاج إلى ذلك أصلاً فتقدم دلالة العقول على دلالة النقول. وهذا كلام فاسد. لماذا؟ لأن العقل له مداخل بها يهتدي ومن أعظم مداخل العقل الحس، فإذا كانت الحواس التي هي مداخل العقل في المعرفة ربما تفسد وبالتالي تفسد أحكام العقول فإن فساد حكم العقل أعظم مما يتصورونه، فربما يكون الماء زلالاً عذباً طيباً مباركاً، ولكن لمرض أصاب الإنسان إذا تذوقه وجده مراً فحكم العقل؛ لأن اللسان لا يحكم وإنما يتذوق، فحكم العقل على الماء بأنه مرٌّ . حكْم العقل هنا حكم صحيح أم حكم باطل؟

ماء طيب زلال – ما شاء الله– أتى به صديقك من بلاد الحجاز، من السعودية، ماء زمزم –ما شاء الله لا قوة إلا بالله– ولكن شرب منه وجده مراً، الآفة في الماء أم في حاسة التذوق؟ في حاسة التذوق فلما كانت الآفة في حاسة التذوق كان حكم العقل حكما قاصراً باطلاً هذا هو حكم العقل.

أيضاً البصر ربما ترى إنساناً من بعيد، ولكن لضعف بصرك أو لبعد المسافة بينك وبين ما رأيت ربما تقول: هذا الشخص هو زيد بينما الآخر لأن بصره أشد منك أو أفضل منك قال: إنه عمرو فعندما يقترب تجدونه عمراً.

إذن ما حكم به فلان على أن المرئي هو زيد كان هذا الحكم باطلاً لماذا؟ لأن الآفة كانت في العين فكان الحكم للعقل حكماً باطلاً فقولهم: بأن دلالة العقل أشد وأقوى من دلالة النقل هذا كلام غير صحيح– واضح يا إخوانيمن هذه الأمثلة– هذا كلام غير صحيح لا يمكن أن نسلم لهم بذلك أبداً، كيف يقدم العقل على النقل؟ فلما قدموا العقل على النقل أبطلوا كثيراً من النصوص لأن عقولهم لم تتحمل هذه النصوص فمثلاً يقولون: لا يوجد هناك ما يسمى بالوزن يوم القيامة قوله تعالى ﴿ وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ ﴾[الأنبياء:٤٧] يقولون: هذا ميزان معنوي، المقصود به تقريب المعاني فكيف توزن الحسنات والسيئات فإن الوزن لا يكون إلا لماذا؟ للمحسوسات– الأشياء المحسوسة طماطم بطاطس خيار هذه أشياء محسوسة ملموسة– أما الأشياء المعنوية كيف توزن؟ حسنات سيئات حب بغض توكل استعانة فهذه الأمور المعنوية كيف توزن؟ فأبطلوا الوزن لهذه الأمور وكل النصوص الواردة في إثبات الميزان حرفوها عن ظاهرها، مثل حديث البطاقة عند الترمذي وغيره وهو حديث صحيح (الرجل الذي تمد له صحائفه تسعة وتسعين صحيفة كل صحيفة مد البصر يقال له: هل لك من حسنة عندنا؟ فيقول: لا. كل هذه الصحف ليس فيها حسنة فيقال له: إن لك عندنا بطاقة وإنه لا ظلم اليوم فتوضع البطاقة في كفة وتوضع هذه الصحائف في كفة أخرى فترجح كفة لا إله إلا الله لتطيش بهذه الصحائف فيؤمر به فيدخل الجنة).

إذن الميزان حق بهذا النص وله كفتان عبد الله بن مسعود والحديث صحيح (لما صعد شجرة من شجر الأراك ليأتي بعود من السواك فهبت ريح فتكفأته وكان دقيق الساقين فضحك الصحابة فقال لهم النبي –صلى الله عليه وسلم– لمَ تضحكون؟ فقالوا: يا رسول الله نضحك لدقة ساقه فقال: والذي نفسي بيده إنها أثقل عند الله من جبل أحد) سبحان الله ﴿ وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ ﴾ وقال تعالى ﴿ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْناً (١٠٥) ﴾[الكهف: ١٠٥]، وقال ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ (٨) ﴾ [الزلزلة ٧، ٨]، نفوا كل هذه النصوص لأن عقولهم القاصرة لم تتحمل هذه الدلالات الشرعية الربانية التي أتت بها النصوص، أيضاً كمثال آخر: عندما أخبرناهم بحديث الدجال حديث الجساس المشهور في مسلم وأحمد، أن الدجال في جزيرة في بحر المشرق وأنه أخبر بعلامات لا يخرج إلا بظهورها قالوا: كيف يكون ذلك الأمر؟ ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الخُلْدَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، كيف يتثنى لرجل أن يعيش هذه الآماد؟ هذا أمر لا يعقل ولا يتصور فنفوا هذا الحديث، أحاديث كثيرة حديث الموت (يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح أقرن يرفع بين الجنة والنار ليعرفه أهل الجنة وأهل النار، فيقال لأهل الجنة: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيقولون:

إنه الموت ويا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيقولون: إنه الموت فيذبح بين الجنة والنار ويقال: يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت) سبحان الله يقولون: لا، لا نصدق هذا ولا نثبت هذا وإنما يقصد بذلك التقريب، فليس الأمر على حقيقته. وانظر على هذه الوتيرة أخباراً كثيرة تم صرفها عن ظاهرها إلى معان أخرى محتملة، هذه مسألة خطيرة جداً وهنا عدة قواعد لا بد من التنبيه عليها:

القاعدة الأولى: الأصل في الكلام الحقيقة: هذه قاعدة مهمة جداً عندما تقول: رأيت أسداً إذن رأيت أسداً والمقصود بالحقيقة ما يتبادر إلى الذهن معرفته، وتعريف الحقيقة عند العلماء تعريفات كثيرة وشيخ الإسلام ابن تيمية كرَّ على كل تعريفات الحقيقة والمجاز فأفسدها جميعاً في كتابه الرائع الإيمان والمقصود بالإيمان هنا هو الإيمان الكبير، مطبوع بمفرده وهذا المجلد وهو الإيمان الكبير موجود في المجلد السابع من مجموع الفتاوى كتاب رائع جيد لابد لطالب العلم أن يقرأ هذا الكتاب- كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية -عليه رحمة الله- أتى بكل تعريفات الحقيقة التي حدها البلاغيون واللغويون فأبطلها جميعاً، لأن مسألة الحقيقة والمجاز لها تعلق بمسألة أصل اللغة وهذه المسائل التي هي أصل اللغة والحقيقة والمجاز داخلة في علوم كثيرة داخلة في علوم اللغة، داخلة في علم البلاغة، في أصول الفقه، في علوم القرآن داخلة في علوم كثيرة وتكلم العلماء عنها كثيراً ولكن دعونا نختار تعريفاً من هذه التعريفات دون أن نقول: بأنه أسد أو ليس بأسد من غيره فما تبادر إلى ذهنك من معنى اللفظ هذا هو حقيقة اللفظ، عندما تقول: أسد إذن أسد الذي يمشي على أربع، له لبد، له أظفار، له أنياب، له زئير، حيوان متوحش، من أكلة اللحوم، يهابه الإنسان، وله أخلاق هي الأخلاق السبعية، هذا الأسد عندما أقول: رأيت أسداً لأننا إذا لم نحمل الكلام على الحقيقة، أي إنسان يتكلم أي كلام ستشعر أن كلامه هذا أنت تريد أن تجعل فيه احترازات، عندما تقول: قابلته هل قابلت زيداً؟ نعم قابلته. احترز إذن: هل قابلته اليوم؟ نعم. الساعة السادسة؟ نعم. في القاهرة؟ نعم. هذه كلها احترازات حتى يتأكد أنك قد قابلته. تصور لو أنك تعاملت مع كل كلام أن هذا الكلام ليس على الحقيقة لكن إذن هناك احتمالات أخر، لو أنك تعاملت مع الخلق بأن الكلام لا يحمل على حقيقته فيمكن أن تجن، لن تقبل أي كلام ولكن كل كلام ستسمعه لا بد أن تورد عليه احترازات وما إلى ذلك تجن لا يمكن أبداً ولذلك القاعدة المهمة جداً أن الأصل في الكلام الحقيقة. وكلام البلاغيين أن أفضل الكلام وأعذب الكلام أكذبه ليس المقصود بالكذب هنا الكذب القيمي الذي نعرفه ولكن المقصود بالكذب الذي هو خلاف الظاهر وهذا أمر له وجوه بلاغية يعرفها البلاغيون.

القاعدة الثانية: أن كل ما أمكن حمله على الحقيقة لا يجوز صرفه عن هذه الحقيقة إلا بقرينة: تأمل معي هاتين الجملتين عندما أقول: قابلت أسداً الجملة الثانية: رأيت أسداً يصافح الناس، رأيت أسداً في الجملة الأولى قولاً واحداً هوالأسد الحيوان السبع إذن الأسد في الجملة الثانية؟ هل هو الأسد الحيوان السبعي يعني هل ممكن مثلاً أن نذهب إلى حديقة الحيوان في الجيزة ونصافح الأسد؟ هل يمكن؟ لا يمكن. إذن هذه قرينة جملة يصافح الناس هذه جملة حالية بينت حال هذا الأسد فصرفت المعنى المتبادر الذي قد يتبادر إلى المعنى الآخر إذن هذه القرينة بها تم صرف اللفظ إلى المعنى الآخر وهو معنى صحيح، بل إن المجاز في هذا الوقت يكون حقيقة،كما قال بعض العلماء ويسمى ذلك من سنن العربية من سنن أي من طرائق العرب في الكلام من عادات العرب في الكلام، إذن هذه القاعدة: كل ما أمكن حمله على الحقيقة لايجوز حمله على المجاز إلا بقرينة.

مسألة المجاز مسألة خاضَ فيها الناس خوضاً عظيماً ويقصد بالمجاز: هو صرف اللفظ عن ظاهره، والمجاز نوع من التأويل وباصطلاح علماء اللغة المعاصرين أن التأويل محاولة لجبر الانكسار الدلالي في الجملة. يعني الجملة لها نسق دلالي فعندما ينكسر هذا النسق الدلالي لا بد من محاولة جبر هذا الانكسار عندما أقول: ذبح نفسه ذبح لو قلنا: ذبح العصفورَ جملة صحيحة تماماً ليس فيها أي إشكال لما أقول: ذبح الكرسي هي جملة صحيحة نحوياً ولكن غير صحيحة دلالياً لأنه لا يعقل أن يذبح الكرسي لما نقول: ذبح نفسه هي صحيحة تركيبياً على مستوى النحو لكن من جهة الدلالة يمكن أن نقول: ذبح نفسه فانتحر ويقول ذبح نفسه من كثرة الهم أي حمل نفسه هماً عظيماً فشبه كثرة الهم الذي ركبه بمن ذبح نفسه، إذن هذه محاولة للتأويل إذن هناك علاقة بين صرف اللفظ

عن ظاهره وبين التأويل وكل هذه المحاولات محاولات لجبر الكسر الدلالي على مستوى الجملة. الجماعة أهل السنة -ما أعظمهم وما أفضلهم- عندما يسمعون القرآن ويسمعون الحديث يضعون النصوص على العين والرأس ويجعلوها في القلب ويقولون: سمعنا وأطعنا يأتوا بنص القرآن ونص الحديث ويضعونهما على العين والرأس ويجعلونهما في داخل القلب ويقولون: سمعنا وأطعنا ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾[النور: ٥١]، أما كثير من الذين ابتلوا بأن خلطت عقيدتهم بمسالك المتكلمين هؤلاء الناس لا يقبلون إلا ما مرروه على فلاتر عقولهم، هذه العقول القاصرة الناقصة فردوا كثيراً من نصوص الكتاب والسنة، وما ردوه ردوه من باب ماذا؟ من باب المجاز مثلاً قالوا: دخول الأعمال في الإيمان هذا دخول مجازي. رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة رؤية مجازية، ذبح الموت ذبح مجازي، نعيم القبر وعذابه إنما هو أمر معنوي ليس بالحسي من باب المجاز.

إذن عذاب مجازي ونعيم مجازي، يقولون: بأن الدجال هذا أمر مجازي يقصد به التخويف كما نخوف الأطفال بالسلعوة وما إلى ذلك فهذا من باب التخويف وهكذا على طول الخط.

إذن نفوا الصفات ونفوا الرؤية ونفوا عذاب القبر ونعيمه ونفوا كثيراً من المثبتات في باب الأسماء والصفات وفي باب الأسماء والأحكام، عندنا بابان:

- عندما أقول الأسماء والصفات هذا متعلق بالله -عز وجل- إذن ما يتعلق بدارسة الأسماء والصفات هذا أمر تعلقه بالله -عز وجل-

- عندما نقول الأسماء والأحكام فهذا تعلقه بالعباد مؤمن منافق زنديق مبتدع فاسق إذن هذه كلها متعلقة بالعباد إذن الأسماء والأحكام متعلقة بالخلق والأسماء والصفات متعلقة بالحق.

فكثير من مسائل الأسماء والصفات ومسائل الأسماء والأحكام تم إخراجها عن حقيقتها بدعوى المجاز، بل إن كثيراً من النصوص الشريعة في باب التفسير تم صرفها أيضاً عن ظاهرها مع احتماليتها للظاهر دون تكلف، تم صرفها من باب المجاز، أضرب مثالاً واحداً على ذلك وأقول: بأن كتب التفسير تحتاج إلى تنقيح وليس كل ما يسطر في الكتب يكون صحيحاً بالضرورة.

في قول الله -عز وجل- ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢) ﴾[يوسف: ٨٢] قصة يوسف، لما يوسف جعل صواع الملك في رحل أخيه ثم بعد ذلك قال له اشتالوا الرحل وانطلقوا فلما انطلقوا أتت الرسل تقول: إنا نبحث عن صواع الملك ولا بد أن نبحث في متاعكم وفي رواحلكم فقالوا لهم: ما جئنا لنسرق وليس هذا بخلقنا بل نحن قوم تجار جئنا من بلاد الشام إلى مصر ليس للسرقة، نحن تجار شرفاء لنا اسم تجاري وغير ذلك فكيف نأتي، نضرب كل هذه المسافة البعيدة لكي نسرق هذا لا يعقل- وكانت مصر قديماً هي سلة الغذاء العالمي، كنا نصدر للعالم القمح ليس كما يحدث في بعض الأعاصير- الذي حدث أنهم بدءوا بالتفتيش وأخرجوا الصواع من رحل أخي يوسف وعند ذلك تم القبض على أخي يوسف وتم رفعه إلى يوسف وكان الحكم آنذاك أن تضرب عليه العبودية. أخوهم الكبير تلمس العطف من يوسف وبدلاً من أن يرقق قلبه يعني اعتذر باعتذار سيىء فقال له: ﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ لا إله إلا الله ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧) ﴾ [يوسف: ٧٧، ٧٨] استمرت القصة إلى أن قال أخوهم: ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ (٨٠) ﴾ [يوسف: ٨٠] اذهبوا بعد ذلك إلى أبيكم فقولوا له: إن هذا الأخ الذي خرج معنا إن ابنك هذا سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين ولو كنا نعرف أنه يسرق ما أخرجناه معنا وإذا لم تصدقنا يا أبانا أبوهم من؟ يعقوب من يعقوب هذا؟ نبي من أنبياء الله -عز وجل- إذا لم تصدقنا فاسأل القرية التي كنا فيها البلاغيون والمفسرون واللغويون يكاد إجماعهم أن ينعقد أن هذا من باب المجاز مجاز الحذف، وهنا حذف مضاف ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾أي

واسأل أهل القرية ﴿وَالْعِيرَ ﴾ أي أصحاب العير أي إذا لم تصدقنا يا أبانا فاسأل أهل القرية واسأل أصحاب العير فإنا لسنا بكاذبين، بل نحن في هذه المرة صادقون لسنا كالمرة الأولى عندما قلنا: بأن الذئب أكل يوسف كنا كاذبين آنذاك لكننا هنا صادقون، هذا قول المفسرين على حذف مضاف إذن ما رأيكم لو قلنا: بأن المسألة على ظاهرها هذه ليست ظاهرية مفرطة كظاهرية ابن حزم وداود بن علي أبداً ولكن هذا تعظيم للنص وإيمان بالنبوة. يعقوب هذا نبي من أنبياء الله –عز وجل– والأنبياء يحدث الله تعالى لهم ما لا يحدثه لغيرهم أليس كذلك؟ بلى.. يحدث الله تعالى لأنبيائه مالا يحدثه لغيرهم، لقد أنطق الله تعالى الحجر لنبيه محمد قال النبي –صلى الله عليه وسلم– (لقد كنت أعرف حجراً بمكة كان يسلّم عليّ) حجر يسلّم على النبي –صلى الله عليه وسلم– والجزع حنَّ للنبي –صلى الله عليه وسلم– وأصل الحديث في البخاري ورواية البيهقي (حتى سمعنا له أنيناً كبكاء الصبي فنزل النبي –صلى الله عليه وسلم– فوضع يده عليه فسكن أو فسكت) عندما جعل المنبر للنبي –صلى الله عليه وسلم– وثبت أن النبي –صلى الله عليه وسلم– جرت له معجزات كثيرات من باب الخوارق– العظيمات– للعادات وبعض المصنفين جمعها في كتب كبيرة: كدلائل النبوة للحافظ البيهقي، ودلائل النبوة لأبي نعيم فهذه كتب مفردة وهناك كتب كثيرة تكلمت عن هذا الباب فالله تعالى يحدث لأوليائه من الأنبياء والصالحين من خوارق العادات ما به يزدادون إيماناً وما به تكون الحاجة ماسةً إلى ذلك، فما الضير؟.

يا أبانا أنت نبي وإذا لم تصدقنا في هذه الدعوة فاسأل القرية، القرية تطلق على أمرين: تطلق على القرية التي هي البنيان كما تطلق علي القرية أي أهل القرية هذا في اللغة مثل النهر يطلق النهر على المجرى كما يطلق النهر أيضاً على الماء الذي يجري في المجرى وإنما يتوجه اللفظ بالسياق الذي ورد فيه لو قلت: حفرت النهر إذن النهر هو المجرى ولو قلت: شربت من النهر إذن النهر هو الماء الذي يجري إذن هذا اللفظ يحتمل الحالّ كما يحتمل المحلّ يحتمل الشيء ويحتمل الشيء الذي يسكن فيه وأصل القرية المكان الذي يجتمع فيه الناس.

إذن يطلق لفظ القرية على المكان كما يطلق لفظ القرية على أهل المكان كقول الله –عز وجل– ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) ﴾[النحل: ١١٢] إذن القرية هنا المقصود بها ماذا؟ المقصود بها الأهل– أهل القرية– دون تكلف ودون تأويل ودون مجاز لأن اللغة هي التي دلت على ذلك فالقرية تطلق على المكان كما تطلق على ساكني المكان، فقوله سبحانه تعالى ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾ ليس هنا مجاز وليس هنا حذف فالقرية هنا أهل القرية ويكون هذا توجيه قول لغوياً لا مجاز فيه ولا حذف، ولو قلنا بالمعنى الآخر الذي فيه البعد العقائدي أي المكان لا ضير في ذلك لأن هذا نبي ولو أتى نبي إلى حجر وقال: يا حجر هل حدث كذا؟ لأمكن أن ينطق الله تعالى هذا الحجر لنبيه أليس كذلك؟ بلى هذا نبي فلابد أن نعظم الأنبياء لا تكون المسألة متعلقة بالعقول القاصرة، كيف نقول نؤمن بالأنبياء ولا نؤمن أن الله تعالى ينطق حجراً لنبي وتقول بعد ذلك: أنا أؤمن بالأنبياء؟ كيف ذلك؟ أنت تقول بأن الأنبياء عجزة وأن الأنبياء قاصرون لابد من تعديل بعض الأمور عندما نتناول النصوص. وكثير من أقوال التفسير تحتاج إلى نظر ولا ينبغي التسليم لكل ما ورد في الكتب بل لابد أن ينظر في الأمر نظرة متقنة.

إذن المجاز دخل في باب الأسماء والأحكام ودخل في باب الأسماء والصفات ودخل في تفسير النصوص ولذلك كان لابد من سدِّ هذا الباب، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن هذا المجاز الذي به تصرف النصوص بدعة، قال ذلك من المتقدمين أبو عبدالله بن خوارزمنداد المالكي قال ذلك من المتقدمين، ومن المتأخرين شيخ الإسلام ابن تيمية وكتابه الإيمان من أخطر الكتب في هذا الباب، بل إن شيخ الإسلام ابن القيم في كتابه:
الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة عقد الباب الثالث في كسر طاغوت المجاز جعله طاغوتاً يعني يجب أن يكسر وما قالوا بأن الإمام أحمد وكذلك صاحب مجاز القرآن كانا يثبتان المجاز وهذان متقدمان من علماء القرن الثالث الهجري. الإمام أحمد وصاحب مجاز القرآن لا يقصدون بالمجاز ما يذهب إليه المتأخرون ولكن يقصد بالمجاز ما يجوز في اللغة فكتاب مجاز القرآن هو كتاب من كتب التفسير ويتلمس الوجوه اللغوية التي

أجازتها العرب عند تفسير القرآن وهناك بعض من أثبت المجاز مطلقاً وهذا هو جمهور الأصوليين والبلاغيين واللغويين والمفسرين.

وهناك من فصل فقال: يمكن أن يقع المجاز في اللغة ولكن يحترز من وقوع المجاز في القرآن وأصَّل لذلك الشيخ العلامة محمد بن الأمين المختار الشنقيطي وله رسالة مفردة في ذلك ولعل هذا القول قول جيد بأن المجاز يتصور وقوعه في اللغة نعم وقد يتصور وقوعه في القرآن والسنة ولكن بضوابط.

كانت هذه المقدمة مهمة جداً لماذا؟ لأننا سنتكلم عن العرش واستواء ربنا –سبحانه وتعالى– على العرش وبعد هذه المقدمة نبدأ في شرح الجملة المناسبة من قول العلامة الإمام ابن أبي زيد القيرواني –عليه رحمة الله–.

قال المصنف –رحمه الله تعالى–(على العرش استوى وعلى الملك احتوى) نعم الاستواء من صفات الله تعالى الفعلية، وصفات الله تعالى الفعلية هي المتعلقة بمشيئته، فهناك صفات ذاتية، وهناك صفات فعلية وهذه القسمة هي قسمة علمية للبيان والتوضيح، وصفة ذاتية أي لا تنفك عن الله –عز وجل– أما الصفة الفعلية فهي المتعلقة –كما قلت– بمشيئة الله –سبحانه وتعالى–.

فالله –تبارك وتعالى– رحيم ومن صفاته الرحمة، فالرحمة متعلقة بذاته في كل وقت، في كل حين، وكذلك من صفات الله –تبارك وتعالى– الملك والحكمة والقوة والحياة والسمع والبصر واليد كل هذه من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله –عز وجل– ومن صفات الفعل أي المتعلقة بمشيئته أي يحدثها ربنا –سبحانه وتعالى– كيف شاء إذا شاء، دون أن ندري كيف هذه، من ذلك الضحك ومن ذلك الحب فالله –تبارك وتعالى– إذا أطعته أحبك، وإذا عصيته أبغضك، فالحب والكره هاتان صفتان لله –عز وجل– ولكن متعلقتان بماذا؟ بفعله –سبحانه وتعالى– وإن شاء الله عز وجل– هناك حديث موسع عن الصفات فنذكر ذلك بالبيان و التوضيح في حينه.

قوله (على العرش استوى) الاستواء يأتي مطلقاً كما يأتي مقيداً، الاستواء عند العرب وفي لغة القرآن وفي حديث النبي –صلى الله عليه وسلم– يأتي مطلقاً؟ ما معنى مطلقاً؟ أي ليس مقيداً عندما تقول: أرسلني أي لا تقيدني بقيد، أطلقني أرسلني بمعنى أطلقني أي لا تقيدني بقيد لا تمسكني عندما تمسك يدي إذن أنت قيدتني لا استطيع الحركة إلا بمقدار ما تسمح أنت به فإذا قلت لك: أرسلني أي أطلقني أي اجعلني خارج هذا القيد إذن الإطلاق ما ليس به قيد.

إذن الاستواء يأتي أحيانا، مطلقا، ويأتي أحيانا، مقيدا،، يأتي مقيداً، بأن يتعدى بالأداة: إلى أو على أو الواو إذن استوى إذا أتى بعده الأداة: على أو الأداة إلى أو الأداة الواو إذن هذا قيد لـــ"استوى" إذن هذا اللفظ لفظ مقيد، ومن ذلك إذا قيد الاستواء بالأداة إلى والأداة بمعنى الحرف ولكن كلمة الأداة لعلها أدق من كلمة الحرف، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾[البقرة: ٢٩] استوى إلى بمعنى قصد، وأيضاً عندما يقول ربنا –سبحانه وتعالى– انظر إلى هذا القيد ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ ﴾[هود: ٤٤]، في سفينة نوح ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ ﴾أي استقرت على صفيحة الأرض، استوت على الأرض استوت على الجودي استوت بمعنى: علت واستقرت، وكذلك القيد بالواو مثل استوى الفضيل بن عياض وسفيان الثوري فاستوى زائد واو فيها معنى التماثل، إذن استوى الفضيل وسفيان بمعنى ماثل هذا هذا شابه هذا هذا ساوى هذا هذا.

أذن استوى يمكن أن تقيد بالأداة إلى تتقيد بالأداة على تتقيد بالواو.

وأيضاً قد يأتي الاستواء مطلقاً غير مقيد وذلك كقول الله –عز وجل– في موسى ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً ﴾[القصص: ١٤]، استوى بمعنى ماذا؟ بلغ وتم﴿آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً ﴾ إذن هذه الكلمة التي هي الاستواء تتنوع معانيها بتنوع الإطلاق والتقييد فإذا أطلقت، لها معنى، وإذا قيدت لها معنى فقوله –سبحانه

وتعالى- ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى (٥) ﴾[طه: ٥] إذن على العرش استوى أي استوى على العرش وقلنا: استوى أي علا وارتفع وهذا ثابت عن أبي العالية وهو من كبار التابعين -عليه رحمة الله- قلت: بأن الإشكال عند المتكلمين أنهم يمررون الكلام عبر فلاتر العقل وأي عقل هذا العقل؟ أهو عقل نبي؟ هل هو عقل ولي؟ أم هو عقل رجل خطؤه أكثر من صوابه إن كان له صواب؟ لأن كثيراً من المتكلمين هؤلاء عاشوا طوال حياتهم في التيه، بل منهم من لم يرجع إلى طريقة الإسلام وطريقة أهل السنة والجماعة إلا عند وفاته- سبحان الله- فهؤلاء عندما يقرءون مثل قول الله تعالى ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى (٥) ﴾ يقولون: المقصود بـــ"استوى" هنا استولى. لماذا؟ يقولون: لأن من لوازم استوى -بمعنى علا وارتفع- أن العرش صاراً له حيز فصار هو متحيزاً في العرش سبحان الله.

هناك قاعدة في باب الصفات -وإن شاء الله سأذكرها لكم بعد ذلك- الكلام عن الصفات فرع عن الكلام في الذات، هذه القاعدة مهمة جداً، فإذا كنت تجهل الذات فبالضرورة أنت تجهل الصفة كيفاً ليس معنى.

الإشكال أننا قلنا لهم: عندما تقولون: إن استوى بمعنى استولى هذا لفظ وهذا تأويل لم تعرفه العرب ولم يأتِ به نص حاججونا بقول رجل نصراني مولد أي ليس عربي قحاً ليس من العرب الأقحاح، من هو؟ الأخطل يقولون: قال الأخطل- رجل مولد شاعر نصراني كان كثير الهمز واللمز بالإسلام هذا رجل كان يهمز بالصلاة والزكاة والصيام والحج وكان يقرض الشعر في ذم الإسلام هذا الرجل حلا لهم أن يأخذوا منه بيتاً وهو قوله:

لما استوى بشر على العراق من غير سيف أو دم مهراق

قالوا: استوى بشر على العراق أي استولى بشر على العراق. بالله عليكم أيها المسلمون هل نترك كلام رب العالمين وكلام النبي -صلى الله عليه وسلم- الأمين لكلام رجل عدو للإسلام، عدو للمسلمين، يلمز ويهمز فيهم- سبحان الله-

أولاً: كلامه ليس بحجة حتى على مستوى اللغة، لأن الاحتجاج بالشعر له ضوابط فلا بد أن يكون قائل هذا الشعر من الأعراب أو من العرب الأقحاح وهذا ليس صليبياً في العروبة أو العربية فكيف نقبل احتجاجه بهذا البيت؟

الأمر الثاني: أنه إذا كان المقصود باستوى بمعنى الاستيلاء أو القدرة فإن الله تعالى قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء فلو قلنا: إن الاستواء بمعنى الاستيلاء أو القدرة فإن الله تعالى قادر على كل شيء، قادر على البهائم وعلى البهائم وعلى الحشوش -دورات المياه- فهل نقول: بأن الله تعالى مستوٍ على الإنسان مستوٍ على البهائم مستوٍ على الحشوش هذا كلام لا يمكن ولا يتصور، فالله تعالى منزه عن هذه المعاني الناقصة، ولكن لا بد من إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه لقد رد شيخ الإسلام ابن القيم في كتابه: الصواعق المرسلة وهذا موجود في مختصر الصواعق للعلامة الموصلي، مختصر الصواعق ليس لابن القيم ولكنه للعلامة الموصلي رد على هذه الفرية في أكثر من أربعين وجهاً فليراجع هذا الكتاب من شاء.

أيضاً قالوا: بأن لفظ الاستواء من الألفاظ المتشابهة، أي لا يعلم معناه إلا الله. هذا كلام فاسد؛ لأن اللفظ المتشابه هو ليس المحكم لفظ ليس محكماً أي لا يدرى معناه عندما نقول: طس ما معنى طس؟ الله أعلم لا ندري إذن نترك هذا لمن؟ لله -عز وجل- الكلام عن كيفيات الصفات وكيفيات الذات من المشابه الذي لا يعلمه إلا الله -عز وجل- أما معاني الأسماء ومعاني الصفات ليست من المتشابه، بل هي من المحكم وقلت لكم من قبل إن آيات وأحاديث الصفات والأسماء قرأها النبي -صلى الله عليه وسلم- كما قرأها الصحابة وسمعوها فلا يعقل ان يسمع النبي -صلى الله عليه وسلم- وأن يسمع الصحابة وأن يقرأ النبي -صلى الله عليه وسلم- ويقرأ الصحابة القرآن والحديث ويجهلون معاني ما يقرءوه هذا لا يمكن أبداً.

الأمر الذي بعد ذلك: أن السلف مازالوا يثبتون الصفات لله -عز وجل- وقلت لكم: بأن الإمام مالك -رحمه الله تعالى- عندما سئل عن الاستواء والسؤال عن كيفية الاستواء قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب وإني لأراك مبتدعاً. وثبت هذا عن غير واحد من السلف عندما قالوا: بأن الاستواء غير مجهول أي غير مجهول المعنى. والكيف غير معقول، لا يمكن تصوره عقلاً ومن الله رسالة وعلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- البلاغ وعلينا التسليم.

إذن لا بد أن نسلم الله -سبحانه وتعالى- أرسل رسالته وبين فيها الأسماء والصفات والرسول -عليه الصلاة والسلام- بلغ ذلك وما يجب علينا إلا أن نسلم.

وقلت لكم من قبل: بأن إثبات هذا الأمر الذي هو إثبات معنى الاستواء أن الله تعالى فوق عرشه وعلمه في كل مكان هذا: عقيدة الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه والسفيانين- سفيان الثوري وسفيان بن عيينة- وعندما نقول: السفيانان نقدم سفيان الثوري لأنه أسد وأعلم وأسن وأكثر إمامة من سفيان بن عيينة وهكذا وورد ذلك أيضاً عن غير واحد من أهل العلم والأئمة كأبي حنيفة والشافعي ومالك والترمذي قالوا جميعاً بأن الاستواء معلوم أي معلوم المعنى ونقل ذلك اللكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة كما نقله ابن تيمية في فتواه الحموية.

بعض الناس يذكر بأن مذهب السلف التفويض وينقل ذلك عن الإمام الشافعي ومالك وعبد الله بن المبارك قالوا: بأنهم قالوا: عندما سئلوا عن بعض أحاديث الصفات كأحاديث (إن الله تعالى يقبل صدقة أحدكم ويأخذها بيمينه ويربيها كما يربي أحدكم فلوه) الفلو الذي هو المهر الصغير الخيل الصغير أرأيت كيف أن الإنسان يربي حصانه الصغير؟ فإن الله تعالى يربي لك صدقتك ويقبلها منك ويأخذها بيمينه وكانت عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- تطيب ما تتصدق به بالطيب من أجل هذا الحديث، فلما سئل بعض الأئمة عن هذا الحديث كالشافعي ومالك وعبد الله بن المبارك قال: «أمروها كما جاءت» أي اجعلوا هذا الحديث كما جاءت فقالوا هذا تفويض، وهذا الأمر ليس بالتفويض ولكن هذه العبارة بها نقص «أمروها كما جاءت بلا كيف» أي مالك والشافعي وعبد الله بن المبارك قالوا «أمروها كما جاءت بلا كيف» إذن لا بد من إثباتها في الأمر.

هناك أوصاف لعرش الرحمن أقولها سريعاً:

- فعرش الرحمن من أول المخلوقات

- وأيضاً عرش الرحمن على الماء

- أيضاً عرش الرحمن له قوائم.

- وصف الله تعالى عرشه بأنه مجيد وأنه عظيم.

- عرش الرحمن يتأثر ويشعر انظروا هذا المعنى الجميل عرش الرحمن يتأثر ويشعر فقد اهتز العرش لموت سعد بن معاذ -رضي الله عنه-

- عرش الرحمن فوق جنة الفردوس.

- عرش الرحمن استوى عليه الرب -سبحانه- فشرفه باستوائه عليه، فهذه بعض أوصاف عرش الرحمن.

- وهناك أوصاف أخرى كظل عرش الرحمن هذه أيضاً من صفات عرش ربنا -سبحانه وتعالى-

- وأيضاً أن هذا العرش له حملة. هذا من صفات عرش ربنا سبحانه.

قال ابن أبي زيد (وعلى الملك احتوى) قال:(على العرش استوى وعلى الملك احتوى) فالله- تبارك وتعالى- مالك كل شيء وملكه نافذ في كل شيء، لا يعزب عنه شيء ولا يغيب عنه شيء فسبحانه وتعالى قال: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) ﴾[الملك: ١]، وقال سبحانه ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٢٠) ﴾[المائدة: ١٢٠]، فتأمل ملك ربك وانظر إلى ملك غيره لتعظم ربك وتزداد له حباً أسأل الله -تعالى- أن يجعلنا من المعظمين له، المحبين له، المقدرين قدره، المتبعين له ولهدي نبيه -صلى الله عليه وسلم- وصلِّ اللهم على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

إجابات الأسئلة:

إجابة السؤال الأول قال الله تعالى في سورة الشورى ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٥) ﴾[الشورى: ١٥]، وحكمة هذا كما قال ابن كثير -رحمه الله تعالى- اشتملت هذه الآية الكريم على عشر كلمات مستقلات كل منها منفصلة عن التي قبلها قالوا: ولا نظير لها إلا آية الكرسي فإنها أيضاً عشر فصول كهذه ومن ذلك أيضاً أن آية الكرسي اشتملت على معالم الإيمان والتوحيد وآية الشوري اشتملت على معالم الشرائع فمن وعاهما فقد وعى معالم دين الإسلام.

ما شاء الله، عظيم إجابى السؤال الثاني: قال القيرواني في عقيدته: وسع كرسيه السماوات والأرض ومعناها: أنه على الرغم من أن السماوات سبع وأن الأراضين سبع بكل ما فيهما فإذا كان كرسيه -عز وجل- قد وسع كل ذلك فدل ذلك على عظيم قدر هذا الكرسي ودل ذلك على أن الكرسي حق.

إجابة السؤال الثالث: دلالة اقتران اسم الله العلي بأسمائه العظيم والكبير والحكيم:

أن العلي اسم متعلق بربوبيته -سبحانه وتعالى- فهو دال على ربوبيته والرب هو القائم على خلقه فقوامته على خلقه تقضي كونه عظيماً كبيراً حكيم

إجابة السؤال الرابع: نرد على من نقم على ابن أبي زيد بقوله: ذاته:

أولاً: أن ابن أبي زيد استخدم هذا اللفظ مضطراً للرد على المؤولة من أهل زمانه الذين ادعوا أن استواء الله على عرشه بمعنى: أنه استولى عليه أو تمكن منه، فأراد إثبات أن الاستواء كان بالذات دون تكييف لذلك، كما اضطر الإمام أحمد في عصره إلى قوله: إن القرآن ليس مخلوقاً رغم أن أحداً من الصحابة لم يكن قد قال ذلك من قبل.

ثانياً: أن هذه الكلمة ذكرها بعض المتقدمين مثل الإمام أحمد وسفيان الثوري والفضيل بن عياض.

ثالثاً: قول الإمام الذهبي عن ابن أبي زيد القيرواني في سير أعلام النبلاء كان على طريقة السلف في الأصول مما دل على صحة معتقده.

إجابة السؤال الخامس: بعض المعاني المستفادة:

أولاً: إثبات أن الله بكل شيء عليم وأن الإنسان مهما بلغ من العلم فهو فقير إلى الله تعالى قال الله تعالى: ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾[طه: ١١٠] وأن كل العلوم موصولة بالله -عز وجل- فمن حصل علماً فليتصاغر لله فعلمه في جنب الله لا شيء

ثانياً: أن الله مستوٍ على عرشه بذاته.

ثالثاً: أن الله سميع بصير قد أحاط بكل شيء علماً وسمعاً وبصراً.

رابعاً: المدبر ليس اسماً من أسماء الله ولكنه إخبار عن صفة فعلية لله -عز وجل- أن الله يدبر أمر كل شيء في هذا الكون.

خامساً: علم الله بخلقه علمين: سابق وهو علم الأول متعلق بقدر الله، ولاحق وهو العلم الثاني وهو متعلق بالجزاء الذي يجازى به العبد وأبلغها لغيري بمحاولة إعطاء المتلقي أمثلة تقرب له المعنى مع التأكيد على أن الله ليس كمثله شيء وهو كما بين فضيلتكم كيفية المعية بمثال القمر فالآن أصبح كثير من الناس -ولا حول ولا قوة إلا بالله- لا يقتنعون إلا بالدليل العقلي الذي يقرب المعنى إلى أذهانهم

هناك سؤال: يقول: هل ردنا- على من يؤول استواء الله تعالى على العرش وأن الله تعالى معنا في كل مكان: بأن الله خلق المكان والزمان وهو لا يخضع لقوانينهما كما يخضع البشر لهما- جائز؟

الأوفق في باب الأسماء والصفات ألا نتكلم بكلام لم يتكلم به السلف، فالإمساك أولى فمسألة لم يخضع أو يخضع أو ما إلى ذلك لا داعي له، إلا إذا كانت هناك ضرورة ملحة من استخدام بعض الألفاظ التي لم يتكلم بها السلف مثل لفظ البائن أو لفظ التغير أو ما إلى ذلك الغيرية والبينية وما إلى ذلك هذه الألفاظ استخدمها المتقدمون أو بعض المتقدمين للضرورة فكلما كانت ألفاظنا سلفية أثرية كلما كان ذلك أولى، ولا نستخدم غيرها إلا عند الضرورة وبقدر الحاجة. والله تعالى أعلى وأعلم.

السؤال الثاني: لقد قلت يا شيخ: إن الله تعالى أثبت لنفسه العين فما هو الدليل؟ وهل إثبات الرؤية أفضل كدليل من دون إثبات العين؟

سأرجيء الكلام عن الصفات مطلقاً لدرس الصفات لأنه درس طويل سنتكلم فيه عن الصفات كما أرجأت الحديث عن العرش لمجلس اليوم. وكنت أتمنى أن يفسح لي المجال ساعة أخرى لأكمل الحديث عن العرش، ولكن قدر الله وما شاء فعل.

هناك سؤال: يقول: ما معنى معلوم من الدين الإسلامي بالضرورة؟

المعلوم من الدين بالضرورة معناه: ما لا يسع المسلم أن يجهله. والمعلوم من الدين بالضرورة يختلف ويتفاوت باختلاف الأزمنة والأمكنة والطوائف، فقد يكون الشيء معلوماً من الدين بالضرورة في وقت دون وقت وفي عصر دون عصر وفي مصر دون آخر وعند طائفة دون أخرى والدليل على هذا مثلاً أن أبا بكر –رضي الله عنه– عندما قاتل مانعي الزكاة ولكم أن تراجعوا هذا في شرح مسلم للإمام النووي، ونقل الإمام النووي عن سابقيه قولهم: بأنه قاتل مانعي الزكاة قتال المتأولين ولو أن غيرهم في هذه الأعصار منعوا الزكاة وقوتلوا لقوتلوا قتال المرتدين أو كلاماً شبيهاً بذلك لماذا؟ لأنهم كانوا حديثي عهد بجاهلية، حديثي عهد بإسلام فكانوا متأولين فلم تكن الزكاة معلومة عندهم بالضرورة أما الآن فصارت الزكاة معلومة عندنا بالضرورة عندما تأتي بطفل صغير تقول له: قل لي أركان الإسلام. سيقول لك: بني الإسلام على خمس ومنها إيتاء الزكاة أرأيت كيف أن هذا الطفل الصغير يعلم فرضية الزكاة وأنها فرضية مطلقة غير مقيدة بشخص أوبزمن؟ وكيف أن الأناسي الكبار من هؤلاء القوم في عصر الصحابة منعوا الزكاة فصار المعلوم من الدين بالضرورة في باب الزكاة مختلفاً باختلاف الأعصار.

أيضاً المعلوم من الدين بالضرورة قد يختلف باختلاف الأمصار فالمعلوم من الدين بالضرورة مثلاً في بلاد الحجاز حيث فشا فيها العلم والأثر والحديث وكثر فيها الفقهاء ليس كالمعلوم من الدين بالضرورة في بيئة كثرت فيها البدعة وقلَّ فيها العلم واندرس فيها الفقه وليس فيها من يعلم الناس الدين فالأمر يكون مختلفاً باختلاف البيئات.

أيضاً المعلوم من الدين بالضرورة قد يختلف باختلاف الأشخاص فالمعلوم من الدين بالضرورة عند العالم ليس كالمعلوم من الدين بالضرورة عند من؟ عند الجاهل، فقد يتصور– وهذا الأمر سمعته ورأيته –في بعض القرى، في بعض البلاد النساء لا تصلى لأنهن يَرَيْنَ أن الصلاة إنما هي فريضة على الرجال دون النساء، هذا رأيته بنفسي هناك بعض النساء لا يصلين ظناً منهم أن الصلاة فريضة على من؟ على الرجال دون النساء – سبحان الله– هذا جهل. في بيئة أخرى يرون أن الصلاة فريضة على الرجال والنساء وهذا غالب بيئات المسلمين. فلأنهن جاهلات فجهلن هذا المعلوم من الدين بالضرورة ولو أن شخصاً رُبيَ في بيئة مسلمة إسلاماً بسيطاً لا إسلاماً جاهلاً لرأى أن ذلك الأمر أمراً معلوم من الدين بالضرورة.

إذن المعلوم من الدين بالضرورة هو ما لا يسع المسلم أن يجهله وهذا متفاوت بتفاوت الأعصار الأمصار الأشخاص. والله تعالى أعلى وأعلم .

ذكرتم أقوال العلماء في المجاز وقلتم: إن منهم من أثبت المجاز ومنهم من فصل في المجاز ومنهم الإمام الشنقيطي وقلتم: ذهب البعض في التفصيل بأن المجاز يتصور وقوعه في اللغة وقد يتصور وقوعه في القرآن والسنة ولكن بضوابط فما هي الضوابط؟

هذه الضوابط باختصار شديد جداً:

أن تدل القرينة عليه.

الضابط الثاني: ألا يكون داخلا في باب من أبواب الاعتقاد، سواء باب الإيمان أو باب الأسماء والصفات أو باب الأسماء والأحكام. وهذا ضابط مهم جداً لأن الذين ردوا المجاز ردوه من أجل سيطرته على المتكلمين في هذه الأبواب. المتكلمون جعلوا هذه الأبواب مرتعاً خصباً لمسألة المجاز، فسدوا عليهم الباب كما يقولون: الباب الذي يأتي لك منه الريح عليك أن تغلقه وتستريح، فهذا الباب دخل منه المتكلمون في أبواب الاعتقاد في الأسماء والأحكام والأسماء والصفات وباب الإيمان وباب القدر وكذا وكذا فأغلقوه عليهم فلو روعي هذان الضابطان لكان ذلك خيراً.

لها ثلاثة أسئلة: السؤال الأول: قلتم: إن علم الله علمان: سابق ولاحق فما معنى علم الله اللاحق هل معناه الحدوث والتجدد ؟

لا نريد –كما قلت لكم– أن نتكلم بألفاظ لها مدلولات كلامية كثيرة وأفضل الألفاظ هي الألفاظ الشرعية فمسألة الحدوث ومسألة التجدد ومسألة التحيز ومسألة البينونة أو الإبانة وما إلا ذلك كل هذه ألفاظ تحاشيها أفضل وأسد. والله تعالى أعلى وأعلم.

سؤالها الثاني: هل يمكن أن نقول في قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ..... ﴾[البقرة: ١٤٣]، أي ليظهر علم الله للعباد أم هذا التفسير غير صحيح؟

قال: ﴿إِلاَّ لِنَعْلَمَ ﴾ لو قال: إلا لنُعلم لكان هذا متجهاً.

سؤالها الثالث: ما معنى قول النبي –صلى الله عليه وسلم– (إن الله تعالى خلق آدم على صورته؟

أترك هذا أيضاً في الحديث عن الصفات لأن هذا سيجرنا إلى باب واسع والله.

بالنسبة إلى بعض الناس يقولون كلمة: يا ساتر يا ستير يا ستار أيهما أصح في أسماء الله وصفاته؟

الصحيح هو الستير(إن الله حيي ستير) والأصل في أسماء الله تعالى التوقيف.

السلام عليكم ورحمة الله: ذكرتم أن القول المختار بالنسبة لمسألة المجاز أنه قد يكون في الكتاب والسنة مجاز فنريد من فضيلتكم توضيح ذلك بأمثلة حتى يتبين لنا الأمر متى يصلح في القرآن ومتى لا يصلح؟

مثلا في قول الله تعالى ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً ﴾[مريم: ٤]، فهذه من الأمثلة التي عندما تكلم فيها بعض الذين منعوا المجاز حاموا فيها حوماً كثيراً وفي النهاية قالوا: بأن الاشتعال حتى وإن كان ليس على حقيقته فهذه من سنن العربية فهذا مثال بسيط ولك أن تراجع هذا المثال وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الإيمان حول هذا المثال وتُقارن شرح شيخ الإسلام حول هذه الآية بما قاله الشنقيطي في الأضواء وبما قال غيره كابن كثير والقرطبي.

تقول: نعلم أهمية شروط لا إله إلا الله ومكانتها من التوحيد، لكن ما صحت أن تدرس هذا الشروط العامة كمادة لمدة ستة شهور وذلك اقتداء بفعل النبي –صلى الله عليه وسلم– عندما دعا قومه إلى التوحيد ثلاثة عشر عاماً تدرس هذه المادة مع الإسهاب بشرح أعمال القلوب وربطها بالواقع كثيراً وأيضاً أسأل عن تدريس العقيدة الواسطية لمدة ثلاث سنوات مع التعمق أيضاً في شرح الأسماء والصفات حيث كل اسم يأخذ حلقة كاملة هذا مع وجود كتب أخرى جديرة بالتدريس للعوام مثل كتاب التوحيد. ما صحة هذا الفعل؟ وما الحد الذي يصل إليه الداعية في الكلام في أعمال القلوب وواقع الناس وذلك بقصد معرفة الناس بالتعامل مع مشاكل الحياة ؟

السؤال صاحبه كأنه يحمل الجواب عنه حقيقة ينبغي أن يكون تدريس الشيء مرتبطاً بالقصد، وعندما تدرس العلوم بعيدة عن الغاية والقصد يؤدي ذلك إلى الإشكال فما يدرس للعامي غير ما يدرس لطالب العلم غير ما يدرس للطالب المتقدم غير ما يدرس للطالب المحقق والمحرر غير ما يكون بين العلماء في بحوثاتهم وتحريراتهم فالأمر متنوع ومختلف وأنا مع السائلة في أنه لابد من مراعاة الأنفع لعموم قلباً وعملاً.

السلام عليكم ورحمة الله بماذا نرد على من يقول بحديث: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة باختلاف الليل في دنيانا بماذا نرد عليه؟

هناك اتصال آخر: أريد أن أعرف عندنا قول نقول يا ساتر أو يا ستار فهل هذا من أسماء الله الحسنى؟

الأخ كان يسأل عن الرد في حديث النزول باختلاف الليل والنهار

سأرجيء الحديث في مسائل الصفات للمرة القادمة –وإن شاء الله– هناك بعض الأسئلة سأراعي في الدرس المتعلق بالصفات أن أجيب عن كل هذه الأسئلة عند الحديث عليه إن شاء الله.

مسألة السؤال الآخر ولن أعلق عن الملاحظة لأن هذه أيضاً فيها كلام، السؤال الأخر ساتر وستار وستير عندنا في مصر العادة يا ساتر ياستار وهاتان كلمتان لم تثبتا عن النبي –صلى الله عليه وسلم– بل الثابت عن النبي –صلى الله عليه وسلم– الستير (إن الله حيي ستير) وإذا نظرنا إلى اللغة نجد أن ستير صفة مشبهة ويعجبني في باب الأسماء أن أقول عما كان من باب المبالغة لا أقول: مبالغة لأن المبالغة لها حد ولكن أقول: صفة مشبهة

يعني يعجبي ذلك وأحب ذلك في باب الأسماء أن أقول: صفة مشبهة؛ لأن الصفة المشبهة تكون لازمة أليس كذلك؟ تكون لازمة، أما صيغة المبالغة نقول مثلاً: تم القبض على سفاح الجيزة وقتل امرأتين فقط ويسمونه سفاحاً وسفاح على وزن فعَّال ولم يقتل إلا امرأتين فقط، لكن أولى أن نقول: إنها صفة مشبهة فأخي الحبيب الصحيح أن تقول: يا ستير.

السؤال الأول: هل يصح حديث(ما الأرض في السماء الأولى إلا كحلقة في فلاة) إلى أخر الحديث (وما الأراضين السبع والسماوات السبع في عرش الرحمن إلا كحلقة في فلاة)؟

نعم صحيح.

السؤال الثاني: النساء اللاتي تركن الصلاة لعدم علمهن بالوجوب هل يعذرن بالجهل؟

نعم صحيح، يعذرن بالجهل فالعذر واسع: عذر بالجهل، وعذر بالتأويل، وعذر بعدم القصد الذي هو الخطأ، وعذر بالنسيان، وعذر بعدم الإدراك برفع العقل كالجنون أو الصغر أو النوم فهذه كلها أبواب فتحها الله –تعالى– رحمةً على لخلق وعذراً لهم.

تقول السلام عليكم ورحمة الله: هل نحكم على كل من أوّل في باب الأسماء والصفات بأنه مبتدع دون التمييز بين المجتهد والمعاند؟ وهل يدخل في هذا الحكم العامي الذي مذهبه مذهب من يفتيه؟ وبارك الله فيكم؟

بالنسبة للعامي قلت من قبل: بأن المقلد لابد له أن يجتهد في التقليد لأن الأصل في الدين هو الاجتهاد فالعالم يجتهد في معرفة الأحكام الشرعية واستخراجها من أدلتها التفصيلية والمقلد يجتهد في تقليد من يقلد. أرأيت لو أن رجلاً عامياً أصابه داء في بطنه سيذهب إلى الأطباء هل هو طبيب حتى يميز بين الأطباء أم يجتهد في السؤال

عن الطبيب الحاذق الماهر؟ يجتهد ، ثم كيف يجتهد العامي في معرفة الطبيب الحاذق الماهر ولا يجتهد في معرفة العالم الحاذق الماهر؟ إذن لا بد لهذا العامي أن يجتهد في معرفة من يقلد فإذا اجتهد في معرفة من يقلد سيهديه الله تعالى للحاذق الذي يبين له معالم الدين فإذا اجتهد العامي وبذل جهده في تقليد من يقلد فلم يجد إلا هذا الرجل الذي يصرف الكلام عن ظاهره ويضله في هذه الأبواب فهذا المقلد معذور. والله تعالى أعلى وأعلم.

يقول: بعض الدعاة عندما يتكلم عن حديث (القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء) ويشير بإصبعيه هل هذا تشبيه منهي عنه؟

هذا الحديث مع جملة الأحاديث كحديث الصورة وحديث المجيء وحديث النزول كل هذه كلها سنتكلم عنها في حينها إن شاء الله.

السلام عليكم ورحمة الله شيخنا: هل تكون الصفات ذاتية وفعلية في نفس الوقت كالرحمة مثلاً إذا وجد المرحوم وجدت الرحمة أي أنها متعلقة بالمشيئة أي أن الله –تبارك وتعالى– يرحم إلا من يشاء؟ أفيدونا يرحمنا ويرحمكم الله؟

كلمة مجملة والتفصيل في حينه: أن بعض الصفات قد تكون ذاتيه من وجه فعلية من وجه آخر كصفة الكلام. فالله –تبارك وتعالى– من صفته الذاتية الكلام وباعتبار أن الله تعالى يتكلم وقتما شاء إذا شاء تكون صفة فعلية، الصفة قد يكون لها تعلق بالذات فتكون صفة ذاتية وقد يكون لها تعلق أحياناً بالفعل فتكون صفة فعلية. وبسط ذلك في باب الصفات.

هل يصح القول بأن الله لا يحويه مكان؟

لا نثبت هذا ولا ننفي والأوثق أن نكون متبعين للألفاظ السلفية الأثرية لأن فيها النجاة «عليكم بالعتيق»كما قال عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–.

هل يصح أن يقال أن الله –جل وعلا– ليس لديه يد محسوسة فهل يصح مثل هذا القول؟ فقد سمعت أحد الدعاة يقولها في محاضرة في بلاد الغرب والناس تجهل العلم بالأسماء والصفات فصار في نفسي شيء من هذا التشبيه؟

نمسك عن الخوض في مسائل مثل هذه المسائل يعني إجابتي في هذا كالإجابة الأولى.

هلا تفضلتم بإلقاء أسئلة هذه المحاضرة؟

بداية أنا لم أستطع أن أتفاعل معكم هذه المحاضرة وأسألكم لأنه كان عندي كمٌّ كبير أريد أن أخرجه وكنت أخشى أن تضيع الدقائق وتتفلت من بين أصابعي، ولكن قدر الله وما شاء فعل.

هناك أسئلة بسيطة:

السؤال الأول: ماذا تعرف عن العرش؟

السؤال الثاني: اذكر بعض القواعد في مسألة الحقيقة والمجاز؟

السؤال الثالث: من أسماء الله تعالى الملك استدل على ذلك؟

وأكتفي بهذه الأسئلة وأسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه.

الدرس الخامس

القرآن كلام الله حقيقة منه بدأ وإليه يعود

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وكفى، وصلاة وسلاماً على عباده الذين اصطفى، اللهم صلِّ وسلم على النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، ثم أمَّا بعد:

كان الحديث في الحلقة الماضية حول مسألة العرش والكرسي وما شاكل ذلك وما شابهه في مسألة إثبات بعض الصفات لله ربنا- سبحانه- وبإذن الله تعالى- نواصل حديث اليوم وقول أبي زيد - عليه رحمة الله- (وله الأسماء الحسنى والصفات العلى) وهذه الجملة من الإمام ابن أبي زيد - عليه رحمة الله- إنما هي مستقاة من قول الله - تعالى- ﴿ وَلِلهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[الأعراف: ١٨٠] وقوله - سبحانه وتعالى- ﴿ هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾[الحشر: ٢٤] فالحسنى صفة للأسماء، ومن هنا فإن أسماء الله - تعالى- كلها حسنى ليس فيها ما يكون محلاً للعجز أو النقص أو مساراً لما يتوهمه الإنسان من أصول المشابهة أو الملامسة أو الحلول أو الاتحاد أو نحواً مما قد يتصوره بعض المبتدعة.

وهنا - حقيقة - عدة قواعد لابد من إرسائها:

- وجرت عادة المصنفين في مسائل الاعتقاد لا سيما في مسألة الأسماء والصفات، وقلت لكم من قبل: بأن الأسماء والصفات إذن: هذا متعلق بالله - عز وجل- ولو قلت: الأسماء والأحكام لكان ذلك متعلقاً بالمخلوقين.

- جرت عادة المصنفين في مسائل الاعتقاد - لا سيما في مسألة الأسماء والصفات- أن يذكروا بعض القواعد إما أن تكون موجودة مبثوثة في ثنايا حديثهم وكلامهم ونجد ذلك عند شيخ الإسلام ابن تيمية - عليه رحمة الله- في مجلدين كبيرين في جملة أجزاء مجموع الفتاوى هذان المجلدان يتحدثان عن الأسماء والصفات، المجلد الخامس والمجلد السادس كلاهما عن الأسماء والصفات. لو راجعنا هذين المجلدين لوجدنا أن شيخ الإسلام - عليه رحمة الله- يؤصل لكثير من القواعد في ثنايا الحديث. والمقصود بالقواعد: هذه الجمل العظيمة التي ينبني عليها غيرها، أو يتفرع عنها غيرها، هذه القواعد كان شيخ الإسلام ابن تيمية - عليه رحمة الله- حفياً بذكرها وتأصيلها حتى تكون كالقيد الذي يرجع إليه عندما يكثر الحديث وتتعدد أطرافه. ومن المحدثين الذين جروا على هذا النسق من تأصيل القواعد وإبرازها، بل وإخراجها محددة محصورة شيخنا الشيخ محمد صالح العثيمين - عليه رحمة الله- في كتابه: القواعد المثلى.

ولن نخرج عن هذه العادة الحميدة وسنلخص شيئاً من هذه القواعد شرحاً لهذه الجملة المباركة (وله الأسماء الحسنى والصفات العلى)من هذه القواعد أيها الإخوة الكرام: أن أسماء الله - تعالى- توقيفية. ما معنى توقيفية؟ أي: لا يجوز الخوض فيها إلا بتوقيف من الشرع، لا يجوز خوض الحديث في هذه الأسماء إلا بتوقيف من الشرع إلا بنص من الكتاب وصحيح سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- فنحن ما علمناها إلا من جهة الشرع ولولا أن الله - تعالى- أخبرنا بها كما أخبرنا بها نبينا -صلى الله عليه وسلم- ما علمناها إذن: الأسماء الحسنى ما علمناها إلا بإخبار الله - تعالى- لنا بها وكذلك أخبار النبي -صلى الله عليه وسلم- فطالما أن جهة العلم بالأسماء موقوفة على الشرع فلابد أن نمسك حيث وقف الشرع، قال الله - تعالى- ﴿ وَلِلهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾[الأعراف: ١٨٠] والإلحاد معناه: الانحراف والذين انحرفوا في باب الأسماء: هم أهل التجهيل وأهل التعطيل وأهل التأويل، هؤلاء صرفوا هذه الألفاظ عن مقاصدها وعما أراد بها الشرع ليجعلوها وفق ما يريدون كأنهم يقولون بلسان حالهم: نحن أعلم من الله - عز وجل- ونحن أعلم من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ركنان عظيمان دخل منهما المبتدعة في باب الأسماء والصفات:

الأول: متعلق بالتمثيل. والثاني: متعلق بالتكييف، لماذا قلت: التمثيل ولم أقل التشبيه مع أن المعنى قريب؟ اختير لفظ التمثيل؛ لأن القرآن نطق به فقال – تعالى– ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[الشورى: ١١] ثانياً: أن المماثلة معناها المساواة من كل وجه، أما المشابهة فلا تعنى المساواة من كل وجه فعندما ننفي المماثلة فهذا في باب التعظيم أولى من نفي المشابهة.

دخلوا من باب التمثيل فظنوا أن ما أثبت الله – تعالى– لنفسه من الأسماء وما أخبر عن نفسه من الصفات وما أخبر عنه رسوله –صلى الله عليه وسلم– من الصفات، هذه الأسماء وهذه الصفات تماثل أسماء كما تماثل صفات البشر هذا باب كبير من الضلال.

وأهل السنة يخالفون ذلك تماماً، مسألة الباب الثاني قلنا: الباب الأول: المماثلة والباب الثاني: التكييف: أنهم حاولوا أن يكيفوا أسماء الله – عز وجل– على حسب مايتصورون فلما وجدوا أن عقولهم لا تستطيع تحمل ذلك لجئوا إما إلى النفي المحض وهذا حال المعتزلة والجهمية وإما إلى صرف ظاهر اللفظ إلى معنى آخر، وهذا حال المؤولة– ففي الحقيقة – المعتزلة والجهمية في نفيهم للصفات إنما عبدوا إلهاً عدماً محضاً قالوا: نعبد إلهاً عليماً بلا علم قديراً بلا قدرة سميعاً بلا سمع بصيراً بلا بصر كيف يكون ذلك، فكل صفة من صفات الكمال تتصور للخلق فالله – تعالى– أولى أن يتصف بها على الوجه اللائق له – سبحانه وتعالى– فالأسماء أصلها توقيفية لا يجوز لأحد أن ينتزع اسماً أو أن يؤلف اسماً أو أن يزعم اسماً لله – عز وجل– ولذلك نحن نحفظ الدعاء الذي كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يُحفظه صحابته الكرام –رضي الله تعالى عنهم جميعاً– الحديث أخرجه الإمام أحمد بإسناد صحيح حديث عبد الله بن مسعود أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يقول: (ما أصاب أحداً قط هم ولاحزن.... ثم قال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك)

إذن علمته أحداً من خلقك فيه دليل على أن علمنا لأسماء الله – تعالى– موقوف على تعليم الله – عز وجل– لنا ولو أن الله – تعالى– شاء ألا يعلمنا هذا الباب ما علمنا إياه، وبالتالي نمسك حيث أخبر الله – عز وجل– فلا نتعدى قول الله ولا قول رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال الله تعالى– ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلَ ﴾[النساء: ١٢٢] ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا ﴾[النساء: ٨٧] فالله – تعالى– يخبر بنفسه عن نفسه فنقبل هذ الخبر، وأيضاً ليس أحد أصدق في الإخبار عن الله – عز وجل– من النبي –صلى الله عليه وسلم– فهو نبيه وهو رسوله وهو الذي جعله الله – تعالى– حجة على البشر فالله – تبارك وتعالى– علم نبيه وأخبر نبيه في القرآن وفي غير القرآن أقول: في القرآن وهو الوحي المباشر وفي غير القرآن في سنة النبي –صلى الله عليه وسلم– علمه أسماء كما علمه صفات ينبغي أن نقف عندها لا نتجاوز ذلك أبداً (علمته أحداً من خلقك) فلا بد لنا في باب الأسماء والصفات أن ندخل هذا الباب ونحن نستشعر عبوديتنا لله – عز وجل– نحن فقراء ونحن جهلة ونحن محتاجون إلى الله – عز وجل– في شئون المعاد وفي شئون الدنيا فلا ينبغي لك أن تظن أنك عندما تدرس هذا الباب أنك تدرسه كنوع من المسائل المتراكمة وكنوع من الردود ترد بهذا على هذا وتفند قول هذا لترد به على قول هذا أبداً وإنما ندرس هذا الباب لنزداد قرباً إلى االله – عز وجل– ندرس هذا الباب لنزداد إيماناً بالله – عز وجل– ندرس هذا الباب لنعمل بمقتضى الأسماء والصفات كما سيأتي ذكره بعد قليل – بإذنه سبحانه وتعالى–.

القاعدة الأولى: أن الأصل في الأسماء أنها توقيفية إذن: لايجوز لأحد أنه يشتق اسماً من أسماء الله – عز وجل– أو يخبر باسم من أسماء الله – عز وجل– لم يأت به نص. وهذا هو الخطأ الذي وقع فيه بعض المتفننة – لا سيما في بعض كتب التفسير– عندما نسبوا إلى الله – عز وجل– أسماء لم يسمها ربنا – سبحانه وتعالى– لنفسه كما لم يخبر بها نبيه –صلى الله عليه وسلم– عنه من ذلك مثلاً اسم الزارع في قول الله – عز وجل– ﴿ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾[الواقعة: ٦٤] قال: أم نحن الزارعون إذن: من أسماء الله – تعالى– الزارع

طبعاً هذا كلام ليس بالصواب؛ لأن هذا ليس من أسماء الله – عز وجل– بل هذا إخبار عن فعل – عز وجل– في الخلق، وعلماء الاعتقاد يقولون: بأن باب الصفات أوسع من باب الأسماء وباب الإخبار أوسع فينبغي– – يا عبد الله– أن تقف حيث أوقفك الله – عز وجل– واعلم: أن من أعظم الأمور أن تتكلم عن الله بما لم يأذن به الله – عز وجل– قال الله – تبارك وتعالى– ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[الأعراف: ٣٣] محل الشاهد هنا ﴿ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾، انظر – يا عبد الله– كيف أن الله – تعالى– بدأ بما هو أخف وثنى بما هو أغلظ لينهي الآية بأشد شيء وأعظمه وهو ﴿ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ فصار القول على الله – تعالى– بغير علم؛ بنص الآية أعظم من الشرك، فإذا كنت تحترز الشركَ وتتجنبه وحال لسانك ومقالك أن تقول: ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾[الرعد: ٣٥] فينبغي أيضاً في باب الأسماء والصفات أن تحترز أو أن تخوض في هذا الباب بغير برهان أو بغير علم، المقصود بالبرهان والمقصود بالعلم: ما أطلع الله – تعالى– عليه الخلق لا ما فهمناه نحن لا ما قيدناه نحن، ولكن ما أخبر الله – تعالى– عنه وما أخبر عنه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– القاعدة الثانية: أن الكلام عن الصفات كالكلام عن الذات، فإذا كان الإنسان يجهل الذات كيفاً فكذلك الصفة الإنسان يجهلها كيفاً إذا كانت الأسماء توقيفية فكذلك الصفات توقيفية فلا ينبغي للإنسان أن يصف ربه بصفة لم يتصف بها ربنا – سبحانه وتعالى– كما لم يخبر عنها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال الإمام أحمد: «لا يوصفُ اللهُ إلا بما وصفَ به نفسَه أو وصفه به رسولُهُ –صلى الله عليه وسلم– لا يتجاوزُ القرآنَ والحديثَ» اضبط هذه الجملة، لا يتجاوزُ القرآنَ والحديثَ.

إذن: الإنسان في باب الأسماء وفي باب الصفات لا يتجاوز ما أخبر الله وما أخبر به رسول الله –صلى الله عليه وسلم– .

إذن: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله –صلى الله عليه وسلم– لا يتجاوز القرآنَ والحديثَ، من حفظ هذه الجملة؟ اقرأها.

لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به نبيه أو رسوله –صلى الله عليه وسلم– لا يتجاوز القرآن والحديث هذه كلمة مَنْ؟ كلمة الإمام أحمد – عليه رحمة الله–.

القاعدة الثالثة: أن المماثلة في الاسم لا تعني المماثلة في المسمى هذه مسألة مهمة جداً والمقصود بالمسمى أي: الحقائق والذوات، تفسير ذلك تفسيراً بسيطاً يسيراً أنت تقول: الفيل له رجل وأنت لك رجل والنملة لها أيضاً أرجل وكذلك الذباب، فيا ترى أرجل الذباب كأرجل الفيل، كأرجل الإنسان، كأرجل النمل؟ أبداً إذن: الاسم متفق، فلا يعني المماثلة في الاسم– الذي هو إثبات الرجل لهذه المخلوقات– أن هذه المخلوقات هي هي أليس كذلك؟ فلا يمكن أحد أن يقول: إن إثبات الرجل للفيل وإثبات الرجل للإنسان يعني أن الإنسان فيل. لا يمكن هذا أبداً هذا لا يمكن قبوله لا شرعاً ولا طبعاً ولا ذوقاً ولاعرفاً ولا عقلاً لا يمكن أبداً.

كذلك لو قلت: رأس الجبل ورأس الإنسان ورأس الأمر عندنا الأمر وعندنا الجبل وعندن الإنسان أثبتنا لكل واحد منهم رأساً فهل معنى هذا أن الجبل هو الإنسان هو الأمر؟ معنى ذلك هذا لا يمكن أبداً، لا يمكن قبول هذا أبداً ولذلك هنا مسألة مهمة جداً هذه المسألة أن الألفاظ –وهذا مدخل عظيم ذل فيه من ذل في باب الأسماء والصفات– أن الألفاظ المفردة لا وجود لها إلا في الأذهان وإنما الألفاظ توجد مؤانسة لغيرها من الألفاظ. يعني: لو قلنا مثلاً: لفظ وليكن لفظ لواء كلمة لواء لوحدها فقط يذهب الذهن عندها كل مذهب ويطير عندها كل مطار يا ترى لواء هل المقصود باللواء العلم؟ ربما. هل المقصود باللواء قطعة من الجيش دون الفرقة وفوق الكتيبة؟ ربما. هل المقصود باللواء رتبة عسكرية في الجيش؟ ربما. هل المقصود باللواء رتبة عسكرية في الداخلية؟ ربما. إذن: هذه كلها أمور محتملة إذن: هذه الكلمة المفردة الذهن يتحير فيها ما المقصود بها كذا أو كذا؟ وفي

الوقت نفسه لا أستطيع أن أقول: إن الإطلاق الحقيقي لكلمة لواء أن تطلق على الرتبة العسكرية أو الإطلاق الحقيقي للواء أن تطلق على العلم أو الاستخدام الحقيقي للواء قطعة من الجيش، لا يمكن أبداً ذلك وإنما تتقيد الكلمة وتتحدد من خلال الجملة ومن خلال التركيب فعندما أقول: رأيت لواء يقود طائرة إذن: اللواء هذا لواء طيار قطعاً عندما أقول: رأيت لواء يدخل مديرية الأمن. إذن: هذا لواء شرطة. عندما أقول: رأيت اللواء يرفرف فوق المبنى. إذن: اللواء هو العلم. عندما أقول: تحرك اللواء بتشكيلاته وأفراده ومعداته. إذن: اللواء هو قطعة من الجيش.

إذن: إذا أخرجنا الكلمة عن سياقها فإنها لا تدل على معنى محدد المعاني كلها محتملة لكنها عندما توضع في الجملة، في التركيب فإن المعنى هنا يتضح فلو قلت: رجلز يمكن رجل الإنسان رجل فيل رجل طائر رجل عصفور كذا كذا قلت: لواء يمكن لواء كذا كذا لكن عندما أجعلها في جملة فإن الجملة هي التي تحدد الكلمة. انتبه إلى هذا جيداً وذلك عندما نقول: بأن المماثلة في الاسم لا تعني المساواة في المسمى أي: في الذات. فافهم هذا جيداً. فالله – تبارك وتعالى– قال: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرً ﴾[الإنسان: ٢]– سبحان الله– إذن: الله – عز وجل– أثبت للإنسان السمع والبصر فقال: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِير ﴾[الإنسان: ٢] من السميع البصير في هذه الآية؟ الإنسان، قال الله – تعالى– ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[النساء: ٥٨]– سبحان الله– إذن: الله – عز وجل– سميع بصير والإنسان سميع بصير، لكن هل هذا كهذا ؟ لا.. سمع الله – تعالى– ليس كسمع المخلوقين. وبصر الله – تعالى– ليس كبصر المخلوقين، فليست المشابهة في الاسم تعني المشابهة في المسمى أليس كذلك يا إخواني؟ إذن: المشابهة في الاسم لا تعني المشابهة في المسمى قال الله – تعالى–: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[التوبة: ١٢٨] –عليه الصلاة والسلام– وأثبت الله – تعالى– لنفسه هذين الاسمين أنه رؤوف وأنه رحيم فهل معنى إثبات أن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه رؤوف رحيم وأن الله – تعالى– رؤوف رحيم معنى ذلك أن الله – عز وجل– هو النبي –صلى الله عليه وسلم– ؟ لا يعني هذا أبداً وهل يعني أن الإنسان هو الله؟ لا يعني هذا أبداً، إذن: ليس معنى المشابهة في الاسم المشابهة في ماذا ؟ في المسمى، المشابهة في الذات، المشابهة في الحقائق هذا لا يمكن أبداً أن يتصوره الإنسان أو أن يعقله وإنما مرد كل كلمة السياق الذي وردت فيه، إذن: المماثلة في الاسم لاتعني المماثلة في المسمى. وعندما أقول: الاسم والمسمى لا أريد –وأكرر– لا أريد الخوض في مسألة الاسم والمسمى هل الاسم هو المسمى أم الاسم غير المسمى أم كيف تكون المسألة؟ أفضل هذه الأقوال ما حققه شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن قال: إن هذه المسألة كلامية قال: مسألة كلامية ولم يقل فيها السلف قال: ونقف حيث قال الله – عز وجل– ﴿ وَلِلهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾، فأفضل ما يمكن أن يقال في هذا الباب لو تكلمنا فيه: إن الاسم للمسمى، إذن: هذه قاعدة وأدعو الله – عز وجل– أن يكون إخواني قد وفقوا لها.

القاعدة الرابعة: أن أسماء الله – عز وجل– كلها مشتقة تدل على معانٍ هي غاية في التمام والكمال، أسماء الله – تعالى– كلها مشتقة فالله – تبارك وتعالى– الله: كما قال المحققون من اللغويين: الألف واللام زائد إله[ال+إله] وإله: على وزن فعال بمعنى: مألوه وهذا ما يسمى في اللغة بباب تبادل الصيغ يعني أن تأتي الصيغة بمعنى صيغة أخرى كقول الله – تعالى– ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[الصافات: ١٠٧] فالذبح على وزن فِعْل بمعنى مفعول أي مذبوح عظيم ، إذن: أتت فعل بمعنى مفعول وتأتي فعل بمعنى مفعول ومنه قوله – سبحانه وتعالى– ﴿ اللهُ الصَّمَدُ ﴾[الإخلاص: ٢] الصمد أي: الذي تصمد إليه الخلائق أي: تتجه إليه الخلائق ومنه الفلق بمعنى: المفلوق هل هو الليل إذا فلق منه الصباح؟ هذا قول، هل هو الأرض إذا فلقت ليخرج منها النبت؟ هذا قول وهناك من قال: بأن كل شيء إنما هو فلق أي مفلوق عن غيره.

إذن: وجدنا أن فعل بمعنى مفعول وكذلك فعيل بمعنى مفاعل ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّ ﴾[مريم: ٦٥] فسميا على وزن فعيل بمعنى: مسامم أي مشابه ومماثل ومناظر وكذلك نجد في فعيل بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول وجريح بمعنى مجروح وهكذا أمر كثير نجده في اللغة أن صيغة تأتي بمعنى صيغة أخرى، فإله على وزون فعال

بمعنى مفعول ككتاب بمعنى مكتوب والإله بمعنى: المعبود بحق الذي تعبده القلوب إخباتاً وإنابةً وحباً وخوفاً ورجاءً ودعاءً وتوجهاً وقصداً وطلباً وكذلك العزير على وزن فعيل ويشتق من اسم العزيز صفة العزة والله – تبارك وتعالى– أثبت في القرآن عزتين عزة محمودة وعزة مذمومة فالعزة إذا كانت مرتبطة بالديانة وصاحبها لصيق بالشرع معظم له فهو عزيز بالله – عز وجل– متأيد بالله – عز وجل– وهذه عزة محمودة قال الله – تعالى– ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[المنافقون: ٨] أما إذا كان المرء غير متأيد بالله – عز وجل– غير معتصم بالله – عز وجل– وكان عزيزاً بمنصبه أو بماله أو بجاهه أو بسلطانه فهذه عزة مذمومة، فهي صنو للكبر والعجب –والعياذ بالله– قال الله – تعالى– في الكافرين والمشركين: ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾[ص: ٢] أي: في كبر وصلف وغرور –والعياذ بالله– عندما تنظر إلى معنى العزة الموجودة في قول الله – عز وجل– ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ العزيز: القوي الذي لا يغلب والعزيز: الذي لا يكسر، فمن كان الله – تعالى– معه لا يكسر ولا يغلب؛ ولذلك كلما عظم إيمانك بالله وكلما قوي إيمانك بالله – عز وجل– وطالعت أسماءه وصفاته وعملت بمقتضاها كلما أيدك الله – تعالى– بمعيته وتوفيقه ونصرته، أرأيت إلى أصحاب موسى –عليه وعلى نبيه الصلاة والسلام– عندما خروجوا سراعاً خفافاً يبغون الهرب من الفرعون الذي توعدهم بالقتل والصلب عندما خرجوا وفروا من وجهه وأرسل فرعون في جنده وخرج الفرعون بجنده يطلبون هؤلاء الفارين حتى أدركوهم عند البحر نظر أصحاب موسى أمامهم فوجدوا بحراً عظيماً تتلاطم أمواجه علموا أنهم إذا تقدموا هلكوا في هذا البحر ولجته ونظروا خلفهم فوجدوا الفرعون راكباً أقفيتهم ومعه الجند والجيش الكثيف الغزير ما الذي صنعوه؟ قالوا بألسنة لعلها مرتعشة وقلوب هي– في الحقيقة – مرتجفة قالوا لموسى: إنا لمدركون، هنا "إن" الدالة على التوكيد واللام الدالة أيضاً على التوكيد والتي يسمونها أحياناً باللام المزحلقة كلها دالة على التوكيد ماذا قال موسى؟ قال: ﴿ قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[الشعراء: ٦٢] وهداه ربه – سبحانه وتعالى– بأن أوحى إليه أن اضرب البحر فضربه فكان كل فرق كالطود العظيم ونجى الله – تعالى– المؤمنين.

إذن: عندما تستشعر عزة الله – عز وجل– وقوة الله – عز وجل– وأن الله – تعالى– معك يراك ويسمعك ويكلؤك وينصرك لن تجد أحداً أعظم منك ولن تجد أحداً أعز منك في تواضعك إذن: أنت في تواضعك لله – تعالى– عزيز وأنت في فقرك لله – تعالى– غني وأنت في انقطاعك بالله – تعالى– موصول وأنت في حاجتك بالله – تعالى– مكتف ومستغن، وأنت هكذا تكون بالله ومع الله وهكذا في كل اسم من أسماء الله – عز وجل– اسم الغني، الغني على وزن ماذا؟ من يعرف على زون فعيل الغني على وزن فعيل، ما الصفة التي تؤخذ من اسم الغني؟ من يعرف؟ الغنى –ما شاء الله– الغنى ما معنى الغني؟ الغني: ألا تكون في حاجة لأحد أن تكون مستغن عن غيرك، ألا تكون مفتقراً إلى أحد، لو نظرنا إلى البشر نجد من البشر أصحاب المليارات، من البشر أصحاب السلطان والجاه، من البشر أصحاب القوة البدنية، من البشر أصحاب القوة العلمية، من البشر أصحاب القوة العددية– العشيرة والقبيلة والعائلة– هل هؤلاء أغنياء؟ نحن نسميهم: أغنياء لكن إذا دققت وحققت تجد أنهم جميعاً فقراء كلهم فقراء، صاحب المليارات هو مفتقر إلى سكرتيره الخاص الذي ينظم له المواعيد واللقاءات ويرتب له جدول الأعمال ويحدد له من سيزوره ومواعيد الزيارات وأوقات الدخول والخروج ويطلعه على البوسطة ويقدم له المعلومات وما إلى ذلك، لو أن صاحب المليارات هذا مات سكرتيره هذا هل سيكون مستغنٍ عن سكرتير أم يجتهد في البحث عن سكرتير آخر؟ سيجتهد في البحث عن سكرتير آخر. لماذا؟ لأنه فقير إليه كذلك لو أن رجلاً ملكاً أو سلطاناً نعم هو غني ولكنه في حاجة إلى غيره وهو في حاجة إلى الحرس ليحرسوه إذن: هو مفتقر إلى الحرس ومفتقر أيضاً إلى الأعوان ومفتقر إلى المستشارين ومفتقر إلى الأولاد ومفتقر إلى الصاحبة ومفتقر إلى الخلان والأصدقاء إذن: هو فقير مع غناه وسلطانه، بل هو مفتقر إلى غيره من أصحاب الحرف: من الذي سيقص شعره؟ ومن الذي سيفصل ثيابه؟ ومن الذي سيمسح نعله؟ – سبحانه وتعالى– إذن: هو في حاجة إلى أصحاب المهن إذن: هو مفتقر إلى أصحاب المهن. تصور لو أن كل عمال الصرف الصحي قاموا بإضراب، مشكلة سيقع الأغنياء في مشكلة هذه القصور ستقع في مشكلة ربما المجاري ستملؤها قطعاً إذن: أصحاب القصور في حاجة إلى أصحاب المهن البسيطة مفتقرون إليهم مع الرغم أنهم في الشكل أغنياء ولا ينظرون إليهم ولا يلتفتون إليهم.

إذن: ما من إنسان إلا في حاجة إلى غيره حتى الطبيب، الطبيب في حاجة إلى المريض، تصور لو أن طبيباً فتح عيادة وليس هناك من مرضى يطببهم أو يعالجهم من أين سيأكل؟ وكيف سيعيش؟ إذن: هذا الطبيب على الرغم من أنه يقوم برسالة سامية عالية لكنه في حاجة إلى المريض؛ لكي يقوم بعلاجه ويأخذ منه المال؛ لكي يعيش وكذلك الصيدلي في حاجة إلى المريض؛ لكي يذهب إليه فيصرف الروشتة وهكذا. هذا الكون كله مفتقر بعضه إلى بعض وهذا الكون كله مفتقر إلى الله – عز وجل– سبحان الله – أنت إذا أصابك مكروه أو إذا انقطع بك سبيل أو ذلت قدمك في معصية أو فعلت شيئاً إلى من تذهب؟ إنك تذهب إلى الكريم الغني ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾[فاطر: ١٥] إذن: الله هو الغني وأنتم الفقراء انظر إلى المثبت والمثبت – يا أيها الناس أنتم الفقراء– وفي مجال الحديث عن الله – تعالى– قال ﴿ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾، إذن: نحن مهما أوتينا فنحن فقراء والله – تبارك وتعالى– هو الغني؛ لأنه في– الحقيقة – مستغن عنا وعن عبادتنا قال الله – تعالى– ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴿٥٦ ﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴿٥٧ ﴾إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾[الذاريات:] إذن: الله – تعالى– غني عنا وعن عبادتنا ونحن الفقراء إلى الله – عز وجل– في كل شئوننا وهكذا في كل حال إذا نظرت إلى أسماء الله – عز وجل– في كلها تجد أنها جميعاً أسماء مشتقة تؤخذ منها الصفات وأنها في دلالتها تدل على معنى التمام والكمال والجلال الذي يناسب ربنا – سبحانه وتعالى– أما الأسماء الجامدة فلا يجوز أن نسمي الله – تعالى– بها ولا يصح أن نسمي الله – تعالى– بها من هذه الأسماء الدهر هل الدهر من أسماء الله – عز وجل– لا.. ليس من أسماء الله – عز وجل– لأنه ليس مشتقاً.

الأمر الثاني: أننا لا نأخذ منه صفة ، ما الصفة التي نأخذها من اسم الدهر؟ لا توجد إذن: ليس هذا من أسماء الله – عز وجل– قولاً واحداً وأيضاً لا يصح أن نصف الله – عز وجل– بغير ما وصف به نفسه في كتابه أو ما سماه به نبيه –عليه الصلاة والسلام– أو وصفه به نبيه –عليه الصلاة والسلام–.

من الأسماء الكلامية الفلسفية التي لا أصل لها في دين الله – عز وجل– كأن نقول: بأن الله – تعالى– واجب الوجود ما معنى واجب الوجود؟ يقسمون الأشياء إلى ممكن الوجود وواجب الوجود هذه القسمة لا تلزمنا، ومسألة واجب الوجود هذه ليست من أسماء الله – عز وجل– وليست أيضاً من صفاته – سبحانه وتعالى–.

القاعدة الخامسة: أن من أسماء الله – تعالى– ما يسمى به مطلقاً من غير قيد، وهي الأسماء المشتقة الدالة على معاني الجلال والكمال إذن: الأسماء المشتقة الدالة على معاني الجمال والكمال والجلال هذه تطلق على الله – تعالى– مطلقاً أو يسمى الله – تعالى– بها مطلقاً مثل: الرزاق، الخالق، الباريء، المصور، العزيز، الحكيم، الرحمن، الرحيم، السميع، البصير، القوي، فهذه كلها أسماء تطلق على الله – عز وجل– من غير قيد أو شرط.

النوع الثاني من الأسماء: مايطلق على الله – عز وجل– بالقيد، والقيد هنا قد يكون قيد الإضافة أو يكون قيد الجزاء والمقابلة، قيد الإضافة كقول الله – عز وجل–: ﴿ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾[آل عمران: ٤].

إذن: عندما سمينا الله – عز وجل– وقلنا: الله عزيز وقلنا: ذو انتقام، فالاسم هنا إنما أتى بقيد الإضافة ذو انتقام.

أو المقابلة والجزاء: والمقابلة والجزاء متضمنة تمام القدرة وكمال القوة ومن ذلك قوله – تعالى– ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[الأنفال: ٣٠] إذن: مكر الله – تعالى– بهم لما مكروا، ولا يجوز في الأسماء التي تطلق بالقيد أن يؤخذ منها اسم مطلقاً، فـــ "ذو انتقام" لا يصح أن نقول: من أسمائه المنتقم، لا يصح ولم يثبت هذا، لا عن الله ولا عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أن من أسماء الله – عز وجل– المنتقم ليس هذا من أسماء الله – عز وجل– وإنما ورد ذلك مقيداً بالإضافة فقلنا: ذوانتقام وكذلك الأسماء التي هي من قبيل المقابلة والجزاء ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ ﴾، ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا ﴾[النمل: ٥٠] هذا أيضاً لا يجوز أن

تؤخذ منها أسماء مطلقة فنقول: إن من أسماء الله – عز وجل– الماكر أو المكّار هذا ليس من أسماء الله – عز وجل– ولا يجوز أن نسمي الله – عز وجل– بشيء من ذلك.

و كذلك الأسماء التي قد يتوهم فيها أو منها العجز أو النقص أو العيب فالله – تعالى– منزه عنها، انظر في قول الله – تعالى–: ﴿ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾[الأنفال:٧١] اسمع هذه الآية، وإذا أراد المشركون من أهل مكة بعد أن سالموك وصالحوك إن أرادوا بالمصالحة والمسالمة الخيانة فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم، ويصح أن تكون ذلك في المنافقين لم يقل المولى – عز وجل– وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فخانهم الله، لا.. هذا لا يصح أبداً. لماذا؟ لأن الخيانة خدعة في مقام الائتمان واحد ائتمنك على أمانة فيكف يجوز لك أن تخدعه وأن تستولي على أمانته؟!! فهذه خيانة والمسلم ليس بالخؤون، بل إن الخيانة من صفات المنافقين والله – تبارك وتعالى– لا يصف نفسه أبداً بصفة من صفات المنافقين ولا يسمي نفسه أبداً باسم من أسماء المنافقين.

إذن: لا يجوز أن ننسب ربنا – سبحانه وتعالى– إلى أمر أو صفة يتوهم منها العجز أو النقص أو العيب فالله – تبارك وتعالى– منزه عن هذا جميعاً.

القاعدة السادسة: أن الصفات تنقسم إلى قسمين: صفات ذات، وصفات فعل. ما معنى صفات الذات؟ هي الصفات اللازمة، وليس معنى كلمة لازمة أننا ألزمنا الله – تعالى– بها، ولكن معنى لازمة: أنها ثابتة لله – عز وجل– أبداً أزلاً، فالله – تبارك وتعالى– رحمن رحيم عزيز حكيم إذن: عزة الله – تعالى– وحكمة الله – تعالى– وقوة الله – تعالى– وعلم الله – تعالى– وحياة الله – تعالى– وقدرة الله – تعالى– وسمع الله – تعالى– وبصر الله – تعالى– كان أزلاً، ليس في وقت دون وقت وليس في حال دون حال، بل هذا مطلقاً أزلاً ثابتاً وكما يسميه المتكلمون صفات قديمة ولا نريد أن نقول: كلمة قديمة هذه.

إذن: صفات الذات هي الصفات الثابتة لله – عز وجل– أزلاً أي: ما زال الله – تعالى– ولم يزل متصفاً بهذه الصفات، لم تنفك عن الله – عز وجل– لا في وقت ولا في حال.

النوع الثاني: هي الصفات الفعلية مثل: صفة الضحك (يضحك ربنا لرجلين يقتل أحدهما الآخر فيأخذ أحدهما بيد أخيه فيدخلان الجنة) إذن: الضحك ليس دائماً في كل وقت وفي كل حال أبداً ولكن في هذا الحال فقط إذن: نثبت الضحك لله – عز وجل– في المواطن التي أثبتها ربنا – تعالى– لنفسه من ذلك: المقت (إن الله – تعالى– نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب) والمقت: شدة الغضب إذن: المقت الكره الشديد، لماذا؟ لأنهم بدلوا ما أمر الله – تعالى– به فلما كانوا صالحين أحبهم الله – عز وجل– إذن: هذه صفات فعل. من صفات الفعل أيضاً: صفة النزول (ينزل ربنا – سبحانه وتعالى– في الثلث الأخير من الليل أو في الليل الأخير إذا انتصف) إذن: النزول هذه صفة فعل لله – عز وجل– وكما قلت لكم: ينزل ربنا – سبحانه وتعالى– ولا يخلو عرشه منه – سبحانه وتعالى– نزولاً يليق بجلاله لا نؤوله ولا نصرفه عن ظاهره بل نثبته ونقف عند الكيفية فلا نخوض فيها، وقد توجد صفة ذاتية فعلية: ذاتية باعتبار فعلية باعتبار، كالكلام فالله – تبارك وتعالى– لم يزل متكلماً وما زال متكلماً يتكلم وقتما شاء إذا شاء كيفما شاء ومن جملة كلامه – سبحانه وتعالى– القرآن ومن جملة كلامه ما تكلم به مع ملائكته ومايتكلم به مع أهل الجنة وما يتكلم به مع العباد عند الفصل يوم الحساب– نسأل الله – تعالى– أن يسترنا وأن يظلنا بظله يوم لا ظل إلا ظله فهذا كله ثابت صحيح.

القاعدة السابعة: أن أسماء الله – تعالى– ليست محصورة، ليست في عدد محدد ومنه الحديث الذي قلناه منذ قريب حديث عبد الله بن مسعود: (سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك).

إذن: أسماء الله – تعالى– لسيت محصورة في التسعة والتسعين اسماً التي ثبت بها الحديث في الصحيح: (إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة) أما حديث أبي هريرة التي وردت فيه الأسماء التسعة والتسعون فهذا الحديث لا يصح ولذلك اجتهد العلماء في عد هذه الأسماء ولم يجعل أحد من العلماء ما عده مثل ما عد الآخر، يعني لو نظرنا إلى الإمام ابن حجر في فتح الباري عد تسعة وتسعين اسماً ونجد إن غيره مثلاً مثل الحافظ بن أحمد الحكمي عد تسعة وتسعين اسماً ونجد أن الشيخ ابن عثيمين عد تسعة وتسعين اسماً وهناك من المتقدمين والمتأخرين من عد التسعة وتسعين اسماً لو أتينا في صحائف بكل هذه الأعداد وحاولنا أن نقارن بين التسعة وتسعين اسماً التي قيدها كل عالم لوجدنا أن هذا المحصور غير هذا المحصور غير هذا المحصور والأولى أن نقول: إن هذه الأسماء مبثوثة في الكتاب والسنة من وقف على شيء منها، أحصاها فعرفها وفهم معناها وعمل بمقتضاها فيكون الأمر بذلك حسناً جيداً فلا يكون المقصود بالإحصاء مجرد الحفظ والعد؛ لأنها أولاً غير محددة والذين حصروها اختلف حصرهم بعضهم عن البعض الآخر، الأمر الثاني: أنه يمكن أن يكون الرجل فاضلاً ولكنه لا يحفظ هذه الأسماء التسعة والتسعين ويمكن أن نجد فاسقاً عربيداً مغنياً مبتدعاً يحفظ التسعة وتسعين اسماً بعض الفرق الموسيقية تقدم قبل الغناء بالتسعة وتسعين اسماً ويمكن أن تجد أخاً طالبَ علم لا يحفظ تسعة وتسعين اسماً فنقول: إن هذا يدخل الجنة لأنه أحصاها وهذا لا يدخل الجنة؟!! أبداً.. إذن: المقصود بالإحصاء العلم، الفهم، العمل بالمتقضى إذن: عندما تقرأ القرآن حاول أن تقف عند الأسماء تفهم معناها، تدبر معناها، حاول أن توجد معنى طيباً في حياتك لهذه الأسماء حتى تكون عاملاً بمقتضاها.

القاعدة الثامنة: أن الصفات منها الثبوتية ومنها السلبية، الثبوتية: وهي دالة على تمام المعنى وجلاله، قوة الله إذن: قوة كاملة تامة. غنى الله: غنى تام جليل كامل. حياة الله: حياة تامة جليلة كاملة وهكذا.

إذن: كل الصفات الثبوتية هي دالة على التمام والكمال وكذلك الأسماء دالة على التمام والكمال ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[الملك: ١] عندما ننظر إلى المعاني السلبية انظر إلى آية الكرسي: ﴿ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ﴾[البقرة: ٢٥٥] واسمع قول الله – تعالى– ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴿١ ﴾اللهُ الصَّمَدُ﴿٢ ﴾لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴿٣ ﴾وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[سورة الإخلاص] كفوا أي مثيلاً أو شبيهاً أو نظيراً أو مساوياً ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ وقال الله – تعالى– ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١].

إذن: هذه بعض الجمل التي أظنها نافعة فيما يتعلق بكلمة الإمام الشيخ ابن أبي زيد وقوله (وله الأسماء الحسنى والصفات العلى)

نسأل الله – سبحانه وتعالى– أن يفقهنا ديننا، وأن يوقفنا على محابه ومراضيه، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كان السؤال الأول ماذا تعرف عن العرش؟ وكانت الإجابة: العرش من مخلوقات الله – عز وجل– وهو من أول مخلوقاته وهو على الماء لقوله – تعالى– ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾[هود: ٧] وهو سقف الفردوس الأعلى– كما ورد في الحديث الشريف (وسقفه عرش الرحمن) له قوائم وهو فوق المخلوقات ومحيط بها وقد وصفه الله – عز وجل– بأنه مجيد في سورة البروج فقال – عز وجل–: ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾[البروج: ١٥] ووصفه بأنه عظيم في سورة التوبة فقال – عز وجل–: ﴿ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾[التوبة: ١٢٩] وهذا العرش يتأثر ويشعر فقد اهتز لموت سعد بن معاذ –رضي الله عنه– وقد استوى عليه ربنا – عز وجل– فشرفه باستوائه عليه قال الله – تعالى– ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[طه: ٥] وأيضاً له ظل وله حملة من الملائكة قال الله – تعالى– ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾[الحاقة: ١٧].

هذه إجابة موفقة، لكن فيه ملحوظة يسيرة بسيطة أريد أن تعدل العبارة[أنه أول ما خلق الله – عز وجل–] إلى أنه من أول ما خلق الله؛ لأن هناك نزاعاً بين أهل السنة في مسألة: أول ما خلق الله هل هو القلم أم هو العرش؟ وقيد ذلك الإمام ابن القيم فقال:

والناس مختلفون في القلم ال ـــذي كتب القضــــا به من الديان

هل كان قبل العرش أم هو بعده قولان عند أبي العـــلا الهمداني

والحق أن العرش قبل لأنــــــــه قبــل الكــــتابة كان ذا أركان

فهذه المسألة فيها نزاع والأولى: الخروج من مسائل النزاع.

السؤال الثاني: اذكر بعض القواعد في مسألة الحقيقة والمجاز؟

من القواعد في مسألة الحقيقة والمجاز: أولاً: كل ما يمكن حمله على الحقيقة لا يمكن حمله على المجاز إلا بقرنة. ثانياً: يمكن وقوع المجاز في اللغة العربية أما في القرآن فلا يقع إلا بضوابط منها:

– أن تدل القرينة عليه. – وألا يكون داخلاً في باب من أبواب الاعتقاد.

ما شاء الله كلام معقول.

السؤال الثالث: من أسماء الله – تبارك وتعالى– الملك استدل على ذلك؟

الإجابة: من أسماء الله – تعالى– الملك والدليل قوله – تعالى– ﴿ هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ ﴾[الحشر: ٢٣] وقوله – تعالى– ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾[آل عمران: ٢٦] وقوله أيضاً: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾[الملك: ١] وفي الحديث الشريف: (يقبض الله الأرض يوم القيامة فيطوي السماء بيمنيه ثم يقول: أنا الملك أين الملوك؟) والله أعلم وجزاكم الله خير.

يا ليتنا عندما نتناول الأدلة في باب الأسماء والصفات لا يكن حظنا منها مجرد الحفظ والسرد ولكن ليكن حظنا منها حظ التدبر والتأثر هذه جملة اعتراضية أريد أن أنبه عليها حتى تكون منكم على ذكر.

يقول: ما العلاقة بين الألفاظ والمعاني؟

بالنسبة للفظ: اللفظ قد يقصد به: الملفوظ فكل ما خرج من فيك يسمى لفظاً سواء دل على معنى أم لم يدل على معنى– وسبق أن أشرت إلى هذا المعنى من قبل– والألفاظ عندما تدل على معنى فإن هذه المعاني التي تحملها: معاني قصدية وليست معاني اعتباطية وبالتالي كل الألفظ الواردة في الكتاب والسنة لها معان قصدية هذه المعاني القصدية نطلبها طالما أنها في الكتاب والسنة نطلبها أولاً من الكتاب والسنة فإن بدت لنا المعاني من الكتاب والسنة فلا بد أن نقف عند هذا المعنى الذي ظهر من الكتاب والسنة إذا لم يظهر لنا المعنى من الكتاب والسنة بادياً يجب حمل هذا المعنى على المعنى اللغوي المعروف عند العرب، وهنا تظهر قضية لطيفة أنبه

إخواني عليها وهي نافعة جداً في مسائل الاعتقاد وفي مسائل الأصول: هذه المسألة أنه إذا تعارضت حقيقة شرعية وأخرى لغوية أو تعارضت حقيقة لغوية وأخرى عرفية ماذا نصنع؟ كيف يكون الحل؟ عندنا لفظان وهذا اللفظ يمكن أن يحمل على المعنى الشرعي ويمكن أن يحمل على المعنى اللغوي نحمله على أي معنى؟ إذا كان للفظ معنيان أحدهما لغوي والآخر شرعي فإن المعول عليه هو المعني الشرعي دون اللغوي لو المعنى اللغوي أتى بموافقة المعنى الشرعي فهذا خير وبركة وإلا فالأصل هو المعنى الشرعي، مثال ذلك لفظ الصلاة، فلفظ الصلاة يأتي في اللغة بمعنى الدعاء كقول الله – عز وجل– ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾[التوبة: ١٠٣] إذن: وصل عليهم: ليس المقصود الصلاة المعروفة شرعاً ولكن المقصود وصل عليهم: أي ادع لهم واستفاد العلماء من ذلك أن الذي يأخذ الصدقات عندما يأخذها جاز له أو شرع له أن يدعو لمن أخذ منه الصدقة– اللهم بارك فيك اللهم بارك في أهلك وفي زوجك وفي ولدك اللهم اغفر له وارحمه اللهم.. اللهم..– يدعو له هذا الدعاء يسمى ماذا؟ يسمى صلاة هذا معنى لغوي أما الصلاة في الشرع: هيئات وحركات وأقوال وأفعال تبتدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم والوضوء شرط في صحتها، والنبي–صلى الله عليه وسلم– عندما علم المسيء في صلاته الصلاة قال له:(كبر أو استقبل قبلتك فكبر) فبدأ يعلمه من أول استقبال القبلة والتكبير إلى التسليم وذكر النبي –صلى الله عليه وسلم– (أن الصلاة مفتاحها التكبير) يعني الصلاة مفتاحها التكبير (وتحليلها التسليم) إذن: لو واحد قال لك: إني قد صليت هل صليت العصر؟ قال لك: إني قد صليت ويقصد بالصلاة هنا الدعاء يقبل ذلك منه؟ نحن الآن نريد أن نقوم لصلاة العصر ثم بعد ذلك قلت له: هيا قم للصلاة قال: الحمد لله قد صليت يارجل لقد كنت معنا أين صليت؟ وكيف صليت؟ متى وكيف وأين وأنت لم تبرحنا؟!! فقال لك: لقد دعوت الله – عز وجل– والدعاء صلاة يقبل ذلك منه؟ لا يقبل ذلك منه إذن: إذا كان للفظ معنيان: أحدهما شرعي والآخر لغوي. المعنى اللغوي إذا كان خادما للمعنى الشرعي فبها ونعمت وإلا قدم الشرعي، والذين قرمطوا في باب الألفاظ– قرمطوا بمعنى: استعملوا الألفاظ الباطنية– وصرفوا الألفاظ عن حقائقها الشرعية إنما استعملوا اللغة في ذلك الأمر.

الزكاة كذلك. الحج في اللغة: كل قصد يسمى حجاً لو نظرنا لباب الكليات في فقه اللغة للثعالبي باب يسمى: بباب الكليات الذي ما أتى في تفسيره بلفظة "كل" كل ما علاك فأظلك يسمى: سماء. كل أرض مستوية تسمى: صعيداً. كل بناء مربع عالٍ في السماء يسمى: كعبة. كل قصد يسمى حجاً. لو واحد قال لك: أنت رجل كبرت في السن وعندك مال كثير وعريض لماذا لا تحج؟ يقول: الحمد لله لقد حججت. ويقصد: أنه قصد المسجد للصلاة هل قصده المسجد للصلاة يسمى حجاً في الشرع؟ لا يسمى حجاً؛ لأن الحج في الشرع معروف مناسك، الطواف السعي ومناسك من جملتها ومن أعظمها الوقوف بعرفة كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم– (الحج عرفة) إذن: الذي أراد أن يصرف الألفاظ الشرعية عن مقاصدها الشرعية هذا يعتبر ذندقة في دين الله – عز وجل– هذا إلحاد في دين الله – عز وجل– إذا كان هذا في في لفظ الصلاة وفي لفظ الحج فما بالك بأسماء الله – عز وجل– ؟!! فإذا قلنا: بأن الألفاظ لها معانٍ ثانياً: هذه المعاني قصدية.

ثالثاً أن الألفاظ الشرعية معانيها قصدية أي يقصدها الشرع فلايجوز الحيد عنها.

الرابع: قلنا: إن اللفظ إذا كان له معنيان أحدهما شرعي والثاني لغوي لا يجوز تقديم المعنى اللغوي على المعنى الشرعي.

إذا فهمت ذلك فلا بد أن تطبق ذلك في باب الأسماء والصفات.

فدلالات الأسماء على معانيها دلالة قصدية.

الثاني: أن هذه الدلالة القصدية معلومة معروفة غير مجهولة.

الثالث: لا يجوز الحيد عن هذه الدلالات الشرعية القصدية لمعانٍ لغوية، وإلا فإن هذا لا يجوز.

كذلك أيضاً إذا تعارضت دلالتان أحدهما لغوية والثانية عرفية تقدم الدلالة العرفية على الدلالة اللغوية وهذه مسألة الباب والحديث فيها واسع.

مثال ذلك مثال بسيط جداً: كلمة مثل كلمة عفش كلمة عفش– نسأل الله – تعالى– أن يزوجكم جميعاً الحضور من الشباب– كلمة عفش لما نقول كلمة عفش معناها: الأثاث الجديد الذي يؤتى به للزواج هذا عفش فلان ذهب لشراء العفش هذا معنى عرفي لو نظرنا في بعض المعاجم في أصل هذه الكلمة لوجدنا أن كل شيء ركيك مسترق يطلق عليه: عفش وعفش وما إلى ذلك إذن: هذه الكلمة لها دلالتان: إحداها لغوية والثانية عرفية، بل إن الدلالات العرفية تتغير بتغير الأزمان والأعصار، بتغير الطوائف لو نظرنا مثلاً في الدولة الأندلسية –والحقيقة – أنا أحب القراءة في التاريخ الأندلسي وأحزن عندما أقرأ في التاريخ الأندلسي – سبحانه وتعالى– الاثنين معاً أحب القراءة فيه ويدمي القلب عند القراءة فيه، كان هناك وظيفة في الدولة الأندلسية تسمى الحجابة الحاجب في الدولة الأندلسية يساوي رئيس الوزراء، منصب سياسي حساس خطير رفيع في الدولة الأندلسية يعادل منصب رئيس الوزراء أو يعادل منصب الوزير الأول في المصطلح السياسي المعاصر في بلاد تونس والمغرب يقال: فلان الوزير الأول يعني: رئيس الوزراء ، فكلمة "حاجب" الآن عندنا كلمة حاجب: موظف على الدرجة الخامسة أو السادسة في قاعة المحكمة يقول: محكمة. حتى تنعقد المحكمة. و يقول: محكمة. حتى تنفض المحكمة– سبحان الله– انظر كيف صار الحال من كلمة كانت لها دلالة سياسية واجتماعية مرموقة إلى كلمة يعني دون، فانظر إلى هذه الكلمة كيف تدنى حالها عبر الأزمان. فكذلك الدلالات العرفية وكذلك أيضاً الألفاظ اللغوية الشرعية لا نخضعها أبداً للدلالات التاريخية، بعض الناس يقولون: نحن نريد أن نخضع ألفاظ القرآن على حسب كل عصر يعني: إذا كان الصحابة فهموه بعصرهم نريد أن نفهم نحن القرآن بعصرنا فنلبس الألفاظ مدلولات عصرية وعرفية. هذا كلام فاسد جداً وقد يؤدي إلى ضلالات شديدة.

فلابد أن نجعل لكل لفظ شرعي معناه الشرعي الذي كان عليه السلف الصالح؛ لأن الدلالات العرفية تختلف باختلاف الأعصار فلو أننا فهمنا القرآن بالفهم المعاصر وأسقطنا الدلالات العصرية العلمية وغيرها على القرآن يمكن بعد عصر،،، بعد مائة سنة، قوم آخرون يأتون ليفهموا القرآن بفهم آخر مخالف ويقولون: بأن القوم السابقين لم يفهموا القرآن وأن القرآن كان عياً وما إلى ذلك فلابد أن نحرز القرآن، إذن: انتهينا إلى أن اللفظ والمعنى إشكالية اللفظ والمعنى لا بد أن نرفعها بإن اللفظ له معنى وأن هذا المعنى معنى قصدي لابد أن يكون معلوماً معروفاً وأن الألفاظ الشرعية معناها قصدية معلومة معروفة افتح القرآن واقرأ أي لفظ في القرآن معانيه معروفة –بفضل الله – عز وجل– نعرف الألفاظ الشرعية إما بالكتاب وإما بالسنة وإما بأقوال الصحابة والتابعين؛ لأنهم الأعراب أو لأنهم عرب أقحاح وإما أن نعرف ذلك من دواوين العرب ولغتها.

أما بالنسبة للعلاقة بين اللفظ والمعنى: فإذا كان اللفظ حاملاً المعنى فهناك ألفاظ تسمى بالألفاظ المترادفة وهناك ألفاظ تسمى بالألفاظ المتباينة وهناك ألفاظ تسمى بالألفاظ المتواطئة وهناك ألفاظ تسمى بالألفاظ الأضداد، وتوضيح بسيط لهذا الأمر: الألفاظ المتباينة كأحمد وزيد هل أحمد هو زيد؟ أبداً إذن: هذا غير هذا أقول: قابلت زيداً قابلت عمرواً إذن: عمرو غير زيد. الألفاظ المترادفة يقصد بالترادف معنيان: المعنى الأول: الترادف التام أن كلمة تأتي بمعنى كلمة من كل وجه.

النوع الثاني: الترادف الناقص وهو مايسمى بالتقارب الدلالي، عندما نقول: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرً ﴾[الطور: ٩] ونقول: بأن المور الحركة ثم بعد ذلك نقول: بأن المور والحركة كلمتان مترادفتان ليس هذا بالسديد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله – تعالى– كما ذهب غيره من المتقدمين والمتأخرين إلى أنه لا ترادف

تام في اللغة، فالمور هو الحركة الخفيفة السريعة المتلاحقة. إذن: ليس المور بالحركة ولكنها حركة موصوفة بصفات، بمجموع هذه الصفات كانت الحركة.

إذن: عندما نقول: إن المور بمعنى الحركة هذا تقارب في المعنى ليس أن هذا بمعنى هذا من كل وجه.

نأتي بعد ذلك إلى ما يسمى بالمشترك اللفظي أو الألفاظ المتواطئة أو الألفاظ المشككة ما معنى هذه الألفاظ؟ معنى هذه الألفاظ أن هناك مسميات ولها اسم واحد، هناك واحد يسمى: سهيل بن عمرو وهناك نجم في السماء يسمى: سهيل إذن هذا يسمى بماذا؟ بالألفاظ المتواطئة، وكذلك تتعدد المسميات لاسم واحد إذن: تعدد المسميات لاسم واحد كسهيل، وكعين: عين الماء والعين النابعة والعين الجارحة والعين الجاسوس إذن: هذه كلها أسماء، أسماء لمسمى واحد أم مسميات لاسم واحد من يخبرني؟

مسميات لاسم واحد أحسنت هذا يسمى بالتواطؤ ومنه قول الله – سبحانه وتعالى–: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾، فإطلاق الأسماء على الله – عز وجل– هي من باب التواطؤ ومنه أسماء يوم القيامة: أسماء كثيرة ليوم القيامة: يوم القيامة والحاقة والصاخة هذه كلها أسماء ليوم القيامة فهذه الأسماء تطلق بالتواطؤ على اليوم الذي يسمى بيوم القيامة، أسماء النبي –صلى الله عليه وسلم– (أنا أحمد ومحمد والحاشر والماحي والمعقب) هذه كلها تطلق على النبي –صلى الله عليه وسلم– من باب التواطؤ، الأسماء التي تطلق من باب التواطؤ في إطلاقها هل فيها مجاز؟ لا.. ليس فيها مجاز فالنبي –صلى الله عليه وسلم– يسمى أحمد حقيقة ويسمى محمد حقيقة ويسمى الماحي حقيقة الذي محا الله – تعالى– به الشرك و الكفر الله – تعالى– عندما يسمى بالعزيز الحكيم الحي القيوم كلها أسماء لله – تعالى حقيقة.

أما النوع الذي بعد ذلك ويسمى: التضاد أن الاسم يطلق على معناه وعلى ضده مثل السليم فلان هذا سليم. سليم يطلق على الخالي من الآفة كما يطلق على اللديغ الذي لدغ يسمى سليم. الحيض والطهر هذا اسمان يطلق عليهما لفظ القرء فالقرء يطلق على الحيض كما يطلق على الطهر، هذه كلمة مجملة وهناك تفصيل أوسع– أسأل الله – تعالى– أن يعينني عليه في مرة أخرى بإذن الله – تعالى–.

فضيلة الشيخ هلا تفضلتم بإلقاء أسئلة هذه الحلقة؟

بسم الله الرحمن الرحيم هناك سؤالان فقط وهما يسيران – بإذن الله تعالى–:

السؤال الأول: اذكر بعض القواعد الضابطة لمسألة الأسماء والصفات؟

السؤال الثاني: هاتِ بعض المعاني التي وقفت عليها من تأملك وتدبرك لهذا الباب؟

الدرس السادس

الاعتقاد بالقدر

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه. بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وأحبابه ومن والاه ثم أما بعد.

تكلمت مع حضراتكم في اللقاء الفائت عن الأسماء والصفات وبعض القواعد الحاكمة والضابطة لهذه المسألة مثل: الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات. وكذلك تكلمت عن بعض المسائل العلمية التي بينتها في اللقاء الفائت مثل: معنى الإحصاء في قول النبي -عليه الصلاة والسلام-: (من أحصاها دخل الجنة) وكذلك قضية العلاقة بين اللفظ والمعنى وبيان أثر ذلك في قضية الأسماء والصفات. واليوم - بإذن الله -تعالى- ومشيئته وعونه وفضله سيكون الحديث حول عدة نقاط:

النقطة الأولى: أسماؤه وصفاته أزلية، وهذا هو العنصر الأول أو النقطة الأولى.

العنصر الثاني: إثبات صفة الكلام لله -عز وجل- طبعاً.

أما العنصر الثالث: فهو أن القرآن كلام الله -تعالى- حقيقة منه بدأ وإليه يعود.

ولنسمع - بإذن الله -تعالى- وتوفيقه- إلى ما قاله العلامة الإمام ابن أبي زيد وبسطه لهذه العناصر:

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (لم يزل بجميع صفاته وأسمائه، تعالى أن تكون صفاته مخلوقة وأسماؤه محدثة، كلم موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته لا خلق من خلقه وتجلى للجبل فصار دكاً من جلاله، وأن القرآن كلام الله ليس بمخلوق فيبيد ولا صفة لمخلوق فينفد).

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

قال ابن أبي زيد - عليه رحمة الله-: (لم يزل) أي: لم يزل ربنا - سبحانه وتعالى- (بجميع صفاته وأسمائه) فأسماء الله -تعالى- وصفاته أبدية لا بداية لها، والمقصود بالصفات هنا: صفات الذات؛ لأن صفات الفعل هناك كلام لبعض أهل العلم في هذه المسألة فأسماء الله -تعالى- أذلية أي: لا بداية لها وكذلك صفاته -سبحانه وتعالى- أذلية أي: لا بداية لها، فالكلام في الذات أمر عظيم وكذلك الكلام في الصفات، إذ الصفة فرع عن الذات، فقوله(لم يزل بجميع صفاته وأسمائه تعالى) أي: تقدس وتنزه (أن تكون صفاته مخلوقة) أي: تقدس ربنا -سبحانه وتعالى- أن تكون صفاته مشابهة لصفات خلقه- تعالى الله عن ذلك- فكما قلت وسيكون هذا القول مركوزاً في أفئدتكم- بإذن الله تعالى- بأن الكلام عن الصفات فرع عن الكلام عن الذات، فلابد لنا ألا نتصور كيفية معينة لهذه الصفة، فتقدس ربنا -سبحانه وتعالى- وتنزه أن تكون صفته مشابهة لصفة خلقه من حيث الخلق تعالى أن تكون صفاته مخلوقة وتعالى أيضاً أن تكون أسماؤه محدثة والمحدثة أي: المبتدعة وأسماؤه -سبحانه وتعالى- ليست مخلوقة إذ لو كانت مخلوقة لكانت محلاً للعوارض والحوادث كما يقول المتكلمون- وحاشا لله تعالى أن يكون الأمر كذلك- إذن: أسماؤه وصفاته -سبحانه وتعالى- أذلية، أذلية ما معنى أذلية؟ أي لا بداية له أذلية أبداً، وهذا باختصار العنصر الأول أو الفكرة الأولى التي تدور حول أن أسماء الله -تعالى- وصفاته أذلية أي أبدية أي: لا أول لها ولا منتهى.

كذلك قال ابن زيد- وهذا في العنصر الثاني الذي يثبت عنصر الكلام- قال:(كلم موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته) كلم موسى أي: كلم الله – تعالى- موسى فموسى هنا مفعول،(كلم الله موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته لا خلق من خلقه) أي: ليس كلام الله –عز وجل- خلقاً من خلقه (وتجلى ربنا –سبحانه وتعالى- للجبل) تجلى أي: ظهر (فجعله دكاً من جلاله) وإليكم بسط هذا الكلام.

لما كان الله – تعالى- هو الأول الذي لا ابتداء له وهو الآخر الذي لا انتهاء له كانت كذلك أسماؤه وصفاته، الجملة هذه مرة ثانية: لما كان الله أول لا بداية له وهو آخر لا نهاية له فكذلك أسماؤه وصفاته، فأسماء الله – تعالى- وصفاته لا بداية لها ولا نهاية لها، ومن جملة صفات الله –عز وجل-: الكلام، وصفة الكلام صفة ذاتية أثبتها أهل السنة مع اختلاف أضباطهم يعني أهل السنة: سواء أهل الأثر والحديث، سواء كان منهم المتشبهون بالمتسننين من الأشاعرة والكلابية، كل هؤلاء يثبتون صفة الكلام لله –عز وجل- فكلام الله –سبحانه وتعالى- لا بداية له وكذلك لا نهاية له ؟ لأن الكلام على الصفات فرع عن الكلام في الذات، فإذا كان الله –عز وجل- لا أول له ولا آخر فكذلك صفاته لا أول لها ولا آخر، ومن هذه الصفات: الكلام.. هذا من حيث النوع، من حيث الإجمال، لكن الله –سبحانه وتعالى- أثبت أنه يتكلم وقتما شاء، إذا شاء، كيف شاء، فيتكلم في وقت دون وقت، ويتكلم مع بعض عباده دون البعض وهذا كله ثابت فقد ثبت أن الله –تعالى- كلم آدم –عليه السلام- وكلم الملائكة وكلم بعضاً من النبيين وكلم موسى –عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- وكلم نبينا محمدًا –صلى الله عليه وسلم- كلم الله –تعالى- الملائكة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠]، والقول: كلام ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ ﴾ قال ماذا؟ ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ فجملة"إني" ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ جملة مقول القول، إذن: حدث القول ووقع القول وهو كلام ربنا –سبحانه وتعالى- للملائكة والملائكة خاطبت ربها –سبحانه وتعالى- وسياق هذه القصة موجود في سورة البقرة، أيضاً كلم الله –تعالى- آدم في قوله تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ ﴾ [الأعراف: ١٩]، يعني: هذا نداء من الله –عز وجل- وخطاب من الله –تعالى- لمن؟ لآدم –عليه السلام- أيضاً كلم الله –تعالى- إبليس وذلك في قول الله –عز وجل- عندما قال ربنا لإبليس: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [الأعراف: ١٢] لماذا لم تسجد إذ أمرتك؟ فرد عليه إبليس فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢]، إذن: كلم الله –تعالى- إبليس، كلم الله- تعالى- موسى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمِ ﴾ [النساء: ١٦٤]، بضم لفظ الجلالة ليس وكلم اللهَ ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمِ ﴾ فثبت أن الله كلم موسى تكليماً وسيأتي الحديث حول هذه الآية لاحقاً –إن شاء الله عز وجل- وكلم ربنا – سبحانه وتعالى- نبينا ومصطفانا وحبيبنا –صلى الله عليه وسلم- وحديث الإسراء والمعراج ثابت في هذا الشأن أخرجه الإمام البخاري وغيره:(أن النبي –عليه الصلاة والسلام- عندما عُرج به إلى السماء الدنيا ثم الثانية ثم الثالثة، ثم الرابعة، والخامسة والسادسة ثم عُرج به بعد ذلك إلى السابعة ثم بعد ذلك إلى سدرة المنتهى ورقي به بعد ذلك وفرض الله –تعالى- عليه خمسين صلاة، ثم بعد ذلك خففها عليه إلى خمس صلوات فلما طلب النبي – عليه الصلاة والسلام- أن يخفف الله –عز وجل- عنه هذه الصلوات ناداه ربه فقال: يا محمد فقال النبي –عليه الصلاة والسلام-: لبيك وسعديك، فقال الله –عز وجل-: إني لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في أم الكتاب كل حسنة بعشر أمثالها فهي خمس صلوات ولكن بخمسين ضعف) إذن: هذا خطاب الله –عز وجل- للنبي – صلى الله عليه وسلم- هذا كلام واضح ومعلوم، إذن: هذا كلام كلم الله- تعالى- الملائكة وكلم النبيين وكلم الله – عز وجل- محمداً وكلم إبليس وقال الله –تعالى- ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] إذن: من النبيين من كافحه الله –عز وجل- وكلمه فهذا أمر ثابت والآية التي قلناها منذ قليل: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيم ﴾ [النساء: ١٦٤] كلمة: تكليماً مصدر فهذا تأكيد بالمصدر، وكما يقول الأصوليون: بأن التأكيد بالمصدر قد يكون آكد من التأكيد بالفعل، فهذا تأكيد بالمصدر؛ حتى لا يظن الظان أن هذا كلام مجازي، هذا كلام نفساني أو كلام معنوي أو يحمل الكلام على معنى وإن وجد اللغة لكن لا تحتمله هذه الآية كأن يقول: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيم ﴾ أي جرحه تجريحاً أي: جرحه بنور الحكمة، ومنه: لا يقال: فلان شهيد فالله أعلم بمن يكلم في سبيله. يكلم أي: يجرح أو يقتل في سبيله وعلى ذلك يؤولون قول الله –عز وجل- ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيم ﴾ هذا كلام فيه تكلف شديد والأصل –كما قلت لكم في الحلقة قبل الماضية-: إن الأصل أن يجرى الكلام

على ظاهره ولا يحاد عن هذا الظاهر إلا بقرينة، هذا كلام واضح قلته لكم من قبل وأكرره اليوم – بإذن الله عز وجل-.

كلمات الله -عز وجل- منها الشرعي ومنها الكوني، فكلمات الله -تعالى- الشرعية كأمره -سبحانه وتعالى- بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، فهذا كله من جملة الكلمات الشرعية المحبوبة لدى الله -عز وجل- ومن كلمات الله -تعالى- الكونية: أنه -سبحانه وتعالى- ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢] حركة يدك إنما حدثت بكلمة الله -عز وجل- كن، كتابتك بالقلم حدثت بأمر الله -عز وجل- كن، حركة النملة إنما هي بكلمة الله كن فتحركت، حركة الصاروخ في الفضاء إنما هي بأمر الله -عز وجل- بكلمته كن فتحرك الصاروخ، حركة الجنين في بطن الأم إنما هي بكلمة الله كن فتحرك الجنين، فكل هذا الكون إنما يتحرك ساكنه ويسكن متحركه وكل شيء فيه إنما هي بأمر الله -عز وجل- ﴿كُن ﴾ ومن هنا فكلمات الله- تعالى- الكونية لا تنفد ولا تنتهي قال الله -عز وجل-: ﴿قُل لَّوْ كَانَ البَحْرُ مِدَاد ﴾ [الكهف: ١٠٩] المداد بمعنى: الحبر الذي يكتب به ﴿قُل لَّوْ كَانَ البَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي ﴾ [الكهف: ١٠٩] لو أن هذا البحر جعل مداداً تكتب به كلمات الله -عز وجل- ﴿لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَد ﴾ [الكهف: ١٠٩] لو أن الله -تعالى- جعل هذا البحر المحيط، والبحر يمثل أربعة أخماس المعمورة، المعمورة إنما تسكن على خمسها، والأخماس الباقية بحر فلو أن هذا البحر الكبير هذا جعل مداداً، ثم سجلنا كلمات الله -عز وجل- في هذا الكون بتحريك النملة وتطيير الطائر وتحريك كذا وتسكين كذا لنفد هذا البحر قبل أن تنفد هذه الكلمات، ولو جئنا ببحور مثله تمده مداداً هذا يدل على ماذا؟ على سعة ملك الله -عز وجل- وعلى كثرة كلمات الله -عز وجل- ومن ذلك أيضاً قوله- سبحانه-: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ ﴾ [لقمان: ٢٧] لو أن أشجار الأرض جعلت أقلامًا ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ [لقمان: ٢٧]، أي: ما انتهت كلمات الله ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَد ﴾ [الكهف: ١٠٩]- سبحان الله- فكلمات الله -عز وجل- كثيرة ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان: ٢٧] هذه عزة الله -عز وجل- وهذا ملك الله -عز وجل- وهذه حكمة الله -عز وجل- إذن: نثبت أن لله -تعالى- كلاماً وهذا الكلام صفة ذاتية لله -عز وجل- لا بداية لها ولا نهاية باعتبار نوع الكلام، باعتبار أصل هذا الكلام أما أفراد هذا الكلام، فإن الله -تعالى- يكلم بعض خلقه كما كلم النبيين كما كلم محمدًا -صلى الله عليه وسلم- كما كلم آدم كما كلم إبليس كما كلم الملائكة ومعلوم أن هذا الكلام يكون في وقت دون وقت أي الوقت الذي كلم الله -تعالى- فيه موسى ليس هو الوقت الذي كلم فيه النبي محمداً -صلى الله عليه وسلم- والوقت الذي نادى الله- تعالى- فيه آدم ليس هو الوقت الذي كلم فيه موسى فدل ذلك على أن الكلام من حيث النوع أزلي ذاتي فالكلام من حيث النوع صفة ذاتية ولكن باعتبار أن هذا الكلام يحدث في وقت دون وقت لفرد دون فرد لطائفة دون أخرى، فهذه صفة فعل إذن: الكلام صفة ذات باعتبار وصفة فعل باعتبار آخر.

وكلام الله -تعالى- حقيقة ليس مخلوقًا كما قالت الجهمية والمعتزلة، الجهمية: نسبة إلى الجهم بن صفوان وأصل مذهبه ينتهي إلى اليهود – عليهم لعائن الله- والمعتزلة: هم الذين اعتزلوا مجلس الحسن البصري وخالفوه في مسائل الاعتقاد -لاسيما مسألة الأسماء والأحكام- خالفوه في مسألة مرتكب الكبيرة واعتزلوا مجلسه فسموا بالمعتزلة. الجهمية قالت: بأن كلام الله -تعالى- مخلوق ليس حقيقة إنما هو مخلوق شأنه في ذلك شأن كل المخلوقات وإنما يخلقه الله -تعالى- في المحل الذي يحدث فيه الصوت يعني: إذا أراد الله -تعالى- أن يكلم موسى في الوادي خلق الله -تعالى- الكلام في الشجرة وأحدث في الشجرة صوتاً فسمع موسى كلام الشجرة، إذن: كلام الله تعالى مخلوق وهذا كلام فاسد جدًا وقالوا: بأن الله تعالى عندما سمى كلامه كلاماً ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦]، فليست هذه إضافة تدل على شيء أكثر من دلالته على التشريف مجرد تشريف، كقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَ ﴾ [الشمس: ١٣]، وكقولنا: هذا بيت الله، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: (من بنا لله بيت) إذن: هذا بيت الله ، الإضافة هنا إضافة تشريف ليس إلا... فيرد عليهم برد بسيط جداً: أن الله -تبارك

وتعالى- خاطب موسى في الوادي أليس كذلك؟ وقال له الله: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه: ١٤]، أعيروني قلوبكم وأسماعكم وأفهامكم عباد الله انتبهوا معي.

لو أن الله -عز وجل- خلق الكلام في شجرة فصارت الشجرة هي التي تكلمت بالصوت هل تقول الشجرة: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ ﴾ فيكون موسى عابداً لشجرة هل يمكن أن يتصور هذا؟ ينفع هذا؟ - يا رجل يا طيب- لا ينفع أبداً ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ ﴾ - سبحان الله- هذه الآية ترتعش منها القلوب ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَ ﴾ بالله عليكم هل مخلوق يقول هذا الكلام؟ ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ ﴾ ويقول: ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَ ﴾ وبعد ذلك يقول: ﴿فَاعْبُدْنِي ﴾ وبعد ذلك يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي ﴾ هذا كله من مخلوق ﴿وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُواً كَبِير ﴾ [الإسراء: ٤٣] إذن: يرد عليهم بهذه الآية فحسب ولا داعي أن نتكلف ردوداً عقلية على هؤلاء؛ لأن كثرة الردود العقلية في الأمر الواضح البين قد يشكل الأمر ويلبسه عندما يكون الأمر بيناً واضحاً لا ترد لأن الأمر بين واضح إنما ترد عند حصول الإشكال أو حدوث اللبس أمر واضح جداً ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه: ١٤].

أيضاً كلام الله -تعالى- حقيقة ليس معنى شأنه شأن العلم يعني: لا نقول: بأن القرآن أو بأن كلام الله -تعالى- كالعلم أو أن كلام الله -تعالى- كالإرادة، لأن الإرادة لا يتصور فيها أفرادًا لا يتصور في الإرادة أو في العلم ما يتصور في الكلام فالكلام إذا قلنا: بأنه أذلي وذاتي باعتبار النوع، أما باعتبار الأفراد فهو صفة فعل فهذا لا يتصور في باب العلم ولا في باب الإرادة ولا في باب القوة ولا في باب الحياة، فيتصور بأن الله -تعالى- في الأصل هو حي ولكن ربما لا يكون حياً في بعض المواطن لا يتصور هذا، لا يتصور هذا فالحياة صفة ذات ليس لها أفراد، صفة ذات وأفرادها ينزه عنها الله -عز وجل- وكذلك صفة الكلام لا تشابه صفة الحياة أو صفة الإرادة أو صفة القوة، فالكلام - كما قلت- من حيث النوع هو ذاتي أذلي من حيث الأفراد كلم الله -تعالى- خلقاً دون خلق كلم ناساً في زمن دون زمن فهذا خلاف بين بين الصفة التي هي ذاتية وبين الصفة التي هي فعلية وإن كانت في أصلها ذاتية، فهؤلاء القوم ومنهم الكلابية وهذا هو النطق الصحيح الكلابية، الكلابية قالوا هذا الكلام: بأن كلام الله -عز وجل- صفة معنوية، صفة معنى شأنها في ذلك شأن الصفات المعنوية التي يثبتونها لله -عز وجل- لأنهم قسموا صفات الله -عز وجل- إلى صفات معنوية وصفات خبرية، الصفات المعنوية قالوا: هي الصفات العقلية، وجعلوها سبع صفات، منها: العلم والحياة والقوة والسمع والبصر والإرادة والكلام، هذه سبع صفات ومنهم من زادها ثمانية: قال: هي ثمانية فزاد عليها صفة البقاء؛ فجعلها ثمانية ومنهم من زادها صفة تاسعة وهي صفة الإدراك فقالوا: هذه الصفات المعنوية وسموها: صفات عقلية الصفات الأخرى جعلوها صفات نقلية، أو خبرية، فقالوا: بأن الكلام صفة معنوية أو صفة عقلية شأنها في ذلك شأن العلم، وهذا كلام لا يصح لماذا؟ لأن النصوص أتت متضافرة متعاضدة مبينة: أن الله -تعالى- كلم خلقاً دون خلق وكلم خلقاً في وقت دون وقت فهذا يجعل صفة الكلام تفارق غيرها من الصفات.

أيضاً كلم الله -تعالى- خلقه بصوت وحرف هذه مسألة مهمة جداً كلم الله -تعالى- من كلمه بصوت وحرف، وهذا الصوت يناسب جلاله، وقدره، وكماله بكيف نحن لا ندركه، ولا نتصوره، ولكن نثبته إذن: تكلم الله -تعالى- بصوت نثبت ذلك، كيفية هذا؟ الله أعلم لا ندري لأن كل شيء ثابت لابد أن تكون له كيفية- هذه قاعدة مهمة جداً- كل أمر ثابت له كيفية، ولكن نحن نجهل هذه الكيفية وإنما يعلمها من؟ عالم الغيب، انتبه لهذه المسألة، إذن: الله -عز وجل- ينزل وهذا النزول له كيفية، ولكن نحن نجهلها. ربي -سبحانه وتعالى- يعلمها، يتكلم ربي -عز وجل- وله كيفية، الصوت يشبه صوت من بالضبط؟ وعندما تكلم هل هناك أحبال صوتية؟ وهل وهل وهل؟؟؟ إلى غير ذلك الله أعلم، نمسك، نمسك لا نتكلم، نمسك، فالكلام لابد أن تكون له كيفية نحن نجهلها ولكن نرد علمها لمن؟ لله -عز وجل- يضحك ربنا -عز وجل- ولكن كيف يضحك؟ الضحك له كيفية ولكن نحن نجهلها يعملها من؟ يعلمها الله -عز وجل- الله -عز وجل- له قدم وهذه القدم لها كيفية، ولكن نحن نجهلها فنقول: الله أعلم بهذه الكيفية، ولكن قدم حقيقية، الله -عز وجل- استوى وهذا الاستواء له كيفية، ولكن هذه الكيفية

نحن لا نعلمها، نجهلها وهكذا في كل نظير، فكل أمر ثابت لابد أن تكون له كيفية نحن نجهل هذه الكيفية ونرد علمها لمن؟ لله -عز وجل-.

ومما يدل على أن كلام الله – تعالى- بصوت: لازم ما ذكرنا من قبل في مناداته للملائكة لآدم، في كلامه مع إبليس، في كلامه لموسى، للنبي -عليه الصلاة والسلام- فلا يعقل أن يكون هذا الكلام من غير صوت، فلازم الحق حق، فهذا كلام حقيقة وهذا الكلام سمعه من سمعه فلا يمكن أن يكونوا سمعوا تخييلاً أو سمعوا تمويهاً أو سمعوا معنى يسيح في الهواء وإنما سمعوا كلاماً حقيقة بصوت الله -عز وجل- ليس بصوت غيره، ومما يدل على إثبات الصوت أيضاً لله -عز وجل- قول الله- تعالى- في موسى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ [مريم: ٥٢]، وأيضاً ما أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد -رضي الله تعالى عنه-:(أن الله – تعالى- يقول لآدم: يا آدم، فيقول آدم: لبيك وسعديك) لبيك وسعديك أي: إجابة بعد إجابة وطاعة بعد طاعة، وهذا دلالة على المسارعة في الإجابة، عندما واحد ينادي عليك فتقول له: لبيك وسعديك، معناه: سأسارع في إجابة ما تقول، فنادى الله تعالى: (يا آدم، فقال آدم: لبيك وسعديك، فقال الله -تعالى- [بصوت]: يا آدم أخرج بعث النار) إذن: نادى الله -تعالى- آدم بصوت والحديث موجود في البخاري.

أيضاً ما أخرجه البخاري تعليقاً، ووصله الإمام أحمد وإسناده صحيح من حديث عبد الله بن أنيس -رضي الله تعالى عنه- قال: قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: (يحشر الله -تعالى- الخلائق يوم القيامة فينادي بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قرب فيقول: أنا الملك، أنا الملك، أنا الديان)، (فينادي الله -عز وجل- بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب) فهذا نص واضح على إثبات الصوت لله -عز وجل-.

والقرآن أو كلام الله -عز وجل- حروف فالصوت إنما يكون صوتاً منبئاً عن حرف، ولذلك أخرج ابن أبي شيبة عن علي -رضي الله تعالى عنه- وهذا الأثر من طريق إبراهيم النخعي قال: « من كفر بحرف منه فقد كفر بكلامه كله » من كفر بحرف منه أي: بحرف من كلام الله -عز وجل- من القرآن الكريم فقد كفر به كله أي فقد كفر بالقرآن كله.

وأيضاً نقل ابن قدامة الإجماع على أن من جحد حرفاً من القرآن فقد كفر، لماذا؟ لأن القرآن كلام الله فمن جحد حرفاً في القرآن أي: من جحد شيئاً من كلام الله فقد كفر.

إذن: محصلة هذا القول- وهو العنصر الثاني- أن الكلام صفة ثابتة لله -عز وجل- وهي صفة ذاتية باعتبار ماذا؟ من يذكرني، صفة ذاتية باعتبار؟ باعتبار النوع

باعتبار النوع نعم، هذا كلام جميل وهي صفة فعل باعتبار؟ تفضل؟

باعتبار الأفراد.

باعتبار المواضع أو المواطن التي تكلم فيها الله -عز وجل-

هذا جيد، وتتميم ذلك قول ابن زيد – عليه رحمة الله- (وتجلى للجبل) تجلى للجبل أي: تجلى ربنا -سبحانه وتعالى- للجبل فصار دكاً من جلاله " من" هنا بمعنى السبب أي: بجلاله بسبب جلاله وهذا مشهور في لغة العرب، تقول: دفعت هذا المال من أجل فلان، أي بسبب فلان، وهذه الجملة وتجلى للجبل فصار دكاً من جلاله، هذه الجملة من قول الله -عز وجل-: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ذات الكلام هذا، وكلمه ربه أنا أريد أن تنتبهوا إلى كلام الله -عز وجل- وعندما تسمعون آية أو حديثاً فعوها جيداً ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ قال الله الجليل: ﴿لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ ﴾ هذا

الجبل – ما شاء الله– جبل شامخ صلب أصم انظر إلى هذا الجبل الأصم الشامخ، متناهي السموق والعلو وكما يقولون: إن كل جبل طوله في الهواء مقداره وأكثر عمق في الأرض، يعني: كل جبل يتطاول في الهواء بمقدار هذا الطول وبمقدار هذا الارتفاع بمقدار العمق في الأرض، هذا الجبل ﴿لَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ ﴾ جعله أي: صيره ﴿دَكاً ﴾ دكاً أي: مدكوكاً الدك هنا مصدر، بمعنى مفعول دكاً أي: مدكوكاً والمدكوك كالمدقوق والمدقوق أي التراب فالكاف كالقاف، تشابهتا لقرب المخرج، واقتراب الدلالة، –سبحان الله– الدك بمعنى الدق، والدك: مصدر دك دكاً، مثل مشى مشياً وأكل أكلاً ودك دكاً إذن: دك مصدر والمصدر هنا بمعنى المفعول وهذا من باب تبادل الصيغ وقلت ذلك من قبل: تأتي الصيغة بمعنى صيغة أخرى: فاعل تأتي بمعنى كذا وفعيل تأتي بمعنى كذا وفعل تأتي بمعنى كذا، وفعل تأتي بمعنى كذا، قلت لكم بعض الأمثلة على هذا الأمر، ﴿جَعَلَهُ دَكاً ﴾ أي مدكوكاً أي مدقوقاً أي جعله كالتراب وهذه قراءة والقراءة الثانية: جعله دكاء، بإثبات الهمزة، أي: جعله مستوياً، لا ارتفاع فيه، انظر إلى هذا الجبل العالي عندما تجلى، وتجلى أي: ظهر ربنا له وبرز لما ظهر ربنا – تعالى– للجبل ومنه انجلى الأمر أي: انكشف وظهر أي: فلما ظهر ربنا للجبل ﴿جَعَلَهُ دَكاً ﴾ جعله مدكوكاً كالتراب وعند ذلك ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً ﴾ وقع مغشياً عليه فلما أفاق من غشيته قال: ﴿سُبْحَانَكَ ﴾ تقدست وتعاليت ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ من إساءتي الأدب معك يا مولاي ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ من إساءتي الأدب ومن تجاوزي الحد فكيف أطلب أن أراك؟ ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ هنا قال: وتجلى للجبل فصار دكاً من جلاله –سبحانه– إذن: ما نستفيده من هذه الفقرة؟ أنه كلم موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته انظر، صفة ذاته، إذن: الكلام صفة ذاته لا خلق من خلقه أي: ليس الكلام خلقاً من خلقه، وربنا–سبحانه وتعالى– في عليائه لما تجلى للجبل صار دكاً وخرَّ موسى صعقاً وهذا كله من جلاله –سبحانه وتعالى–.

الفقرة الثالثة: وهي متعلقة بأن القرآن كلام الله –تعالى– حقيقة منه بدأ وإليه يعود، وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة، وعندما نقول: أهل السنة والجماعة فيقصد بهم أهل الحديث الذين يعظمون الحديث ويصيرون إلى حيث انتهى الحديث لا يتجاوزون قول الله ولا قول رسول الله ولا قول السلف من الصحابة والتابعين، لا يتجاوزون ذلك أبداً، فكلامهم منعقد على أن القرآن كلام الله –تعالى– حقيقة، ليس مجازاً وليس معنوياً وليس نفسانياً وليس مخلوقاً حقيقة منه بدأ أي تكلم الله –تعالى– بالكلام فكان مبتدأ الكلام من الله –عز وجل– وإليه يعود في آخر الزمان عندما يرفع الله –تعالى– القرآن من على الأرض يعود القرآن إلى الله –عز وجل– كيف يعود؟ ومتى يعود؟ هذا كله أمر غيبي لا يعلمه إلا ربه سبحانه.

فالقرآن كلام الله حقيقة منه بدأ وإليه يعود، قال المصنف – عليه رحمة الله–: « وأن القرآن كلام الله » إذن: هذا القرآن كلام الله –تعالى– كلم الله –تعالى– موسى تكليماً وكلم الله –تعالى– نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم– وتكلم الله –تعالى– حقيقة بهذا القرآن، ولذلك عندما تقرأ القرآن لابد أن يكون هذا المعنى ثابتاً عندك في قلبك يعني: هذا المعنى لابد أن يكون من الثبوت عندك بمكان فالقرآن كلام الله –عز وجل– (ليس بمخلوق فيبيد) يبيد: من الفعل باد يبيد، بمعنى: ينتهي وينقرض فالقرآن لا ينتهي ولا ينقرض، سبحانه، لا ينتهي ولا ينقرض، فكلام البشر ينقرض وينتهي، أين كلام الله البشر مثلاً منذ ألفي سنة؟ خلاص انتهى ونحن بعد ألف سنة كلامنا ينتهي أما كلام الله –عز وجل– لا ينتهي لأنه لا يبيد أي لا يهلك ولا ينتهي ويقول المصنف: « ولا صفة –أي: ليس صفة– ولا صفة لمخلوق فينفد » ينفد: من نفد الشيء بمعنى ذهب وفني، إذن: القرآن لا يذهب ولا يفنى ولا يطرأ عليه ما يطرأ على كلام البشر أبدًا، جماعة الشعراء يحتمل أن يكون شعرهم هذا منحولاً أليس كذلك؟ يحتمل. انظر إلى امرئ القيس أو زهير بن أبي سلمة أو طرفة بن العبد أو غيره كل هؤلاء الشعراء هناك أناس تكلموا على مسألة الانتحال في أشعارهم وشككوا في مصداقية هذا الشعر الذي وصل إلينا من الشعراء القدماء وهذه المسألة فيها كلام كثير، نعم هذا كلام يحتاج إلى دراسة والحق أن كثيراً من الشعر الجاهلي وصل إلينا حقيقة دون انتحال لأن علم العرب كان متعلقاً بالسمع وكانوا إذا سمعوا شيئاً ضبطوه ضبطاً متقنناً والذين أرادوا أن يطعنوا في الشعر الجاهلي إنما أرادوا أن يطعنوا في الشعر الجاهلي ليتوسلوا بذلك إلى الطعن في القرآن والحديث، وهيهات له ذلك، وإذا تنزلنا معهم وقلنا: بإمكانية أن توجد بعد القصائد المنحولة، وأن بعض الرواة

كخلف الأحمر وغيره تعملوا في هذه المرويات زادوا ونقصوا فهذا لا يمكن أبداً مع كتاب الله -عز وجل- قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، انظر لهذه الجملة ﴿إِنَّ ﴾ يعني: الجملة فيها ضمائر التأكيد كثيرة مع الرغم من أنها جملة صغيرة جداً ﴿إِنَّ ﴾ وبعد ذلك انظر إلى- نحن- ﴿إِنَّا نَحْنُ ﴾ وبعد ذلك ﴿نَزَّلْنَ ﴾ وبعد ذلك النون في نزلنا والنون الثانية في آخر نزلنا ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَ ﴾ وبعدها قال: الذكر؛ ليذكر فلا يغفل عنه، انتبه لهذه الدلالة. لم يقل: إنا نحن نزلنا القرآن ولكن قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ ليذكر لا ليغفل ولا ليلعب به، ولا ليطعن فين وقال بعد هذا: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾-سبحان الله- من الذي يستطيع بعد ذلك أن يطعن في القرآن هذا كلام ربنا -عز وجل- لا أحد يستطيع بعد ذلك أن يطعن في كلام ربه- سبحانه-.

إذن: القرآن كلام الله -تعالى- حقيقة، حقيقة، حقيقة، هذا الكلام لا ينفد ولا يبيد ولا يطرأ عليه ما يطرأ على كلام البشر من الاضطراب والتناقض والتعاكس وإقامة الأمور التي يحتاج من أجلها إلى الاحتراز أبداً أبداً قال الله -تعالى-: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِير ﴾ [النساء: ٨٢]، إذن: أي كلام ليس من عند الله يمكن أن تجد فيه اختلافاً كثيرا، وما عند الله -تعالى- الوحي، والوحي وحي بالمباشرة والقرآن والثاني بالواسطة وهي سنة النبي -عليه الصلاة والسلام- إذن: القرآن والسنة ليس فيها اضطراب وليس فيهما تناقض وإنما الإشكال إشكال المكلف الذي لا يعي ما يقرأ والذي يضع التناقضات أثناء النص عند قراءته وإلا لا تناقض ﴿رَّبُّ المَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ [المزمل: ٩]، عندما أثبت المشرق والمغرب، أن هناك مشرق وهناك مغرب ﴿رَبُّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ المَغْرِبَيْنِ ﴾ [الرحمن: ١٧]، نعم الشمس عندنا تزول من عندنا تشرق في بلد أخرى فهناك مشرقان وعندما تغرب الشمس هنا تشرق في أخرى فهناك مغربان ﴿رَبِّ المَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ [المعارج: ٤٠] - سبحان الله- هل صلاة العشاء اليوم كصلاة العشاء منذ أسبوع؟ صلاة الفجر الآن كصلاة الفجر منذ يومين أو ثلاثة أيام والذي يختلف الميقات؟ يختلف الميقات إذن: هناك مشارق كثيرة وهناك مغارب كثيرة وبناء على كثرة المشارق تتعدد المواقيت وتتفاوت المواقيت أين الاضطراب في ذلك؟ يقول القرآن مضطرب، مرة يقول: ﴿رَّبُّ المَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ ﴿رَبُّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ المَغْرِبَيْنِ ﴾ ﴿رَبِّ المَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ فالقرآن متناقض. وليس القرآن بالمتناقض، فالقرآن كلام الله -تعالى- قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ ﴾ [التوبة: ٦] إن أي إنسان، أحد هنا: نكرة أتت في سياق الشرط للدلالة على العموم ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ المُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦]، حتى يسمع ماذا؟ كلام الله وحتى هنا بمعنى الغاية بمعنى: لغاية ما يسمع كلام الله -عز وجل- والقرآن له سحر - كما يقولون- له سلطان على القلب، ما من امرئٍ يسمع القرآن بقلبه إلا تحرك هذا القلب للقرآن؛ ولذلك كان المطلوب أن نسمع الناس القرآن، إلى الآن نحن لا نُسمع الناس القرآن ولا يَسمَع الناس القرآن إلا في المناسبات في المآتم وبعض الناس في الأفراح في البداية كذا يعني بعض الدقائق من باب البركة فقط، أما القرآن كلام الله، فلا يسمعه الناس ولا يتوافرون على سماعه، (كان الواحد من الصحابة يأخذ بيد أخيه فيقول: هيا بنا نؤمن ساعة فيجلسان فيقرآن القرآن ويذكران الله -عز وجل-) هذا الحديث أخرجه البخاري تعليقاً ووصله غيره، من منا أخذ بيد أخ له في الله وقال: هيا بنا نؤمن ساعة، فيجلسان فيقرآن القرآن، فأنت تجد الأخ مع أخيه يمكن أن يجلسا الوقت الطويل لدراسة مسألة لغوية، مسألة أصولية، قراءة قصة، قراءة مسألة في كذا وكذا، لكن يجلسان ليقرآ القرآن الكريم ويفهما القرآن الكريم هذه أمور صارت قليلة في هذه الأزمان- وإلى الله تعالى المشتكى-.

والقرآن - حقيقة- نزل من الله -عز وجل- تكلم الله -تعالى- بالقرآن حقيقة ولما كان الله -تعالى- في السماء أي: على السماء "في" بمعنى: على، لما كان الله -تعالى- على عرشه فوق خلقه، وتكلم بالقرآن، سمع جبرائيل القرآن من الله -عز وجل- انتبه؛؛؛ لأن - للأسف- بعض كتب علوم القرآن تقول: بأن النبي -عليه الصلاة والسلام- سمع القرآن من السماء الدنيا. كلام عجيب. لا يمكن، هذا الكلام موجود في بعض الكتب، لكن هذا الكلام فيه نظر؛ لأن الله -تعالى- أثبت في القرآن أن جبريل هو الذي نزل بالقرآن بعد سماعه من الله -عز وجل- فقال الله -عز وجل- ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٣- ١٩٥]، إذن: هذه الآيات أفادت عدة أمور أولاً: أن القرآن منزل،

ثانياً: أن القرآن أتت به الواسطة الملائكية هو جبريل من الله إلى النبي –عليه الصلاة والسلام– الأمر الثالث: أن القرآن نزل بلسان عربي مبين ليس بلسان أعجمي، وليس بلسان مختلط ولكن بلسان عربي مبين، وكلمة مبين صفة لم يقل: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ ﴾ ولكن قال: ﴿مُّبِينٍ ﴾، ومبين صفة والصفة قيد للدلالة على أن القرآن إنما نزل فصيحاً، لا اختلاط فيه ولا عجمة فيه، وقال الله –تعالى–: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ [الفرقان: ١]، إذن: نزل الفرقان على عبده؟ من الذي نزل الفرقان؟ إذن: تبارك الله الذي نزل الفرقان على عبده، والفرقان: هو القرآن وسمي القرآن فرقاناً؛ لأن الله– تعالى– فرق فيه بين الحق والباطل، إذن: هذا أيضاً نص ودليل على ذلك، قال الله –تعالى–: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: ٣] اسمع هذه الآية، نصت المسألة ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ من هنا بمعنى الابتداء عندما تقول: سافرت من القاهرة إذن: بداية السفر من أين؟ من القاهرة، لا يتصور أبداً، أن تقول: سافرت من القاهرة تكون بداية السفر، مثلاً بلدة أخرى، إذن: "من" هنا للابتداء، فلما يقول: ﴿اتَّبِعُو ﴾ هذا أمر من الله –عز وجل– ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ ﴾ "ما" هنا بمعنى الموصولية بمعنى: الذي– اتبعوا الذي أنزل إليكم أيها المكلفون– ﴿مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ إذن: لا بد أن نؤمن بأن القرآن نزل من الله تكلم الله –تعالى– بالقرآن ونزل به الروح الأمين ليبلغه إلى النبي الحبيب –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم– وقال الله –تبارك وتعالى–: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣]إذن: من الذي نزل؟ الله –عز وجل– فهذه مسألة مهمة جداً أن تؤمن إيماناً راسخاً أن الله تعالى تكلم بالقرآن حقيقة، وأن جبرائيل سمع الكلام من ربه وأبلغه للنبي –عليه الصلاة والسلام– تؤمن بذلك.

ويسر الله –تعالى– القرآن: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ [القمر: ١٧]، وجعله عربياً: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً ﴾ [الزخرف: ٣]، وكذلك أيضاً جعله بيناً قال: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وتحدى الله به الإنس والجن: تحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن فلم يقدروا، تحداهم أن يأتوا بسورة من سور القرآن فلم يقدروا، تحداهم أن يأتوا بآية واحدة من آيات القرآن فلم يقدروا، أبلسوا وعجزوا تماماً وليس التحدي هنا وليس الإعجاز في القرآن من جهة نظمه فقط، ولا من جهة أسلوبه فقط، ولكن الإعجاز أنه كلام الله فحسب، ولك أن تضع بعد ذلك ما شئت من المعاني والكلمات.

هنا قاعدة يسيرة بسيطة أقولها – سريعاً– هذه القاعدة: أن الكلام إنما يكون لمن ابتداه لا إلى من بلغه وأداه، بمعنى أنك إذا سمعت قول الشاعر مثلاً:

لخولة أطلال ببرقة فاهمدي تلوح كباقي الوشم من ظاهر اليد

مثلاً هذا البيت بيت من؟ طرفة بن العبد أليس كذلك؟ بيت طرفة أنا قلت هذا البيت هل عندما أقول هذا البيت هل ينسب لي أنا؟ لا.. وإنما ينسب هذ البيت لمن؟ لمن ابتداه، عندما أقول: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) الحديث، هل عندما أقول هذا الحديث إذن: أنسب هذا الحديث لنفسي أم إني أنقله عن النبي –صلى الله عليه وسلم–؟ أنقله، إذن: نحن عندما نقرأ القرآن لا ينسب إلينا القرآن وإنما القرآن كلام الله –عز وجل– ولذلك كانت الكلمة الجامعة التي قالها السلف: بأن القرآن كلام الله –تعالى– حقيقة من قال؟ هذا الكلام ثابت عن الإمام أحمد وعن غير الإمام أحمد ولكن هذا الكلام ثبت عن الإمام أحمد بكثرة لأنه هو الذي بلي وابتلي بهذه المسالة بمسألة خلق القرآن على يد ثلاثة خلفاء، الخليفة الأول كان المأمون – سامحه الله– والثاني: هو المعتصم الذي انشغل بالحرب فلم يكن على دراية بالعلم ولا بفهم النص والثالث: كان هو الخليفة الواثق– سامحه الله– ولم يفك هذا الأمر إلا في أيام الخليفة المتوكل الخليفة العباسي الذي كان محباً للسنة مدافعًا عنها إذن: ثلاثة خلفاء كانوا متوافرين على ابتلاء الناس في مسألة خلق القرآن فكان كلام العلماء في ذلك الوقت وعلى رأسهم إمام السنة الإمام أحمد – عليه رحمة الله– قال: من قال بأن القرآن مخلوق فهو كافر؛ لأن القرآن كلام الله –تعالى– حقيقة فلو قال: بأنه مخلوق يكون كافرًا ومن قال: لفظي بالقرآن

مخلوق فهو مبتدع أريد أن أفصل هذه الجملة في دقيقة واحدة لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع لماذا كان مبتدعًا؟ لعدة أمور:

الأمر الأول: أن هذه الكلمة لم تثبت عن أسلافه من الصحابة والتابعين والإمام أحمد عاصر القرن الثاني والثالث.

الأمر الثاني: أن كلمة "لفظ" يمكن أن تأتي بمعنى المصدر ويمكن أن تأتي بمعنى المفعول يعني يمكن أن تأتي بمعنى المصدر الذي هو الكلام بالفعل، ويمكن أن تأتي بمعنى المفعول أي ما خرج من الفم بمعنى الملفوظ إذن: هذه الكلمة صارت كلمة ملبسة، والأصل في العقيدة: عدم استعمال الألفاظ الملبسة، فكل لفظ ملبس محتمل الأصل أن تحيد عنه ولا تستعمله لأنه ليس معقولاً أن كل واحد يقول لفظاً ملبساً نقعد نفصل معه ماذا تقصد؟ وماذا تعني؟ وماذا تريد؟ فالأوفق: الابتعاد عن الألفاظ المجملة الملبسة، ليست المجملة فقط لا.. الملبسة، ولذلك قالوا: ومن قال: بأن لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع. نسأل الله -تعالى- أن يجعلنا أهلاً للقرآن وأن يجعلنا من عباده الصالحين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، كنت أريد أن أسأل فضيلة الشيخ في شبهتين كانتا قد عرضتا علي بالنسبة لمسألة استواء الله -عز وجل- على العرش:

الشبهة الأولى: نقطة التنزل- تنزل الله -عز وجل- إلى السماء الدنيا- يوجد أحد المشايخ طلع على المنبر أظن أنه أشعري قال: إن الله -عز وجل- إذا كان يتنزل من السماء إذن: يتنزل في الثلث الأخير من الليل، والكرة الأرضية يختلف فيها الثلث الأخير من بلد إلى بلد، فالثلث الأخير عندنا في مصر غيره في أمريكا غيره في الصين غيره في اليابان، إذن: الله -عز وجل- متنزل في السماء الدنيا طول اليوم؛ لأن الثلث الأخير موجود في جميع البلاد على مدار اليوم؟ هذه الشبهة الأولى كنت أريد أن أعرف الرد عليها؟

أما الشبهة الثانية: فهي مسألة أن الله -عز وجل- وهذه تكلم فيها ابن تيمية وأنا لم أستطع أن أفهم كلامه - صراحة- وهي نقطة أن الله -عز وجل- يتنزل من السماء الدنيا إذن: يترك عرشه -سبحانه وتعالى- فهل يخلو العرش منه والكرسي طبعاً بالتالي؟ أنا لم أفهم هذه النقطة.

فضيلة الشيخ الأخ الكريم من مصر كان سؤاله الأول: عن الشبهة شبهة التنزل واختلاف الثلث الأخير وأن الله يكون متنزلاً طوال اليوم

بسم الله الرحمن الرحيم، أنا قلت كلمة مجملة في هذه المسألة: إن كل أمر ثابت له كيفية ولكن هذه الكيفية لا ندركها نحن، فلو حاولنا أن نستفصل كيفية معينة لا ندركها لوقعنا في الخطأ، وقلت لكم من قبل: إن الله -سبحانه وتعالى- ﴿ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمٍ ﴾ [الطلاق: ١٢] ونحن نعلم لو أن هذه القاعة ملئت رجالاً وكل واحد منهم تكلم بكلام لاقتضى أني لن أفهم كلام أي واحد منهم أبداً يعني: لو أن هذه القاعدة فيها مثلاً ألف إنسان وكل إنسان تكلم بجملة يطلب مني طلباً إذن: هناك ألف طلب في وقت واحد يطلب مني هل أسمع طلباً واحداً؟ لن أسمع طلباً واحداً هذا بمقتضى العقل، فالله -تبارك وتعالى- لا يسمع لألف وإنما يسمع للخلائق كلها إنسها وجنها وملكها وبرها وجوها وبحرها وصالحها وطالحها ومؤمنها وكافرها وشجرها كل هذه العوالم وكل هذا الخلق يسمعه الله -تعالى- في وقت واحد. كيف ذلك؟ بمقتضى عقولنا لا نصدق هذا ولا نسلم بهذا ولكن دائماً نقول: نثبت المعنى وأما الكيف فنترك أمره لله -عز وجل- فلو كنت مؤمناً إيماناً جازماً بأن الله -تعالى- استوى على عرشه استواءً حقيقياً وأن استواءه هذا استواء حق لا مرية فيه إذا كنت تؤمن بذلك. ثانيًا تؤمن بأن الله -تعالى- يتنزل في الثلث

الأخير من الليل فينادي ويدعو الناس إذا كنت تؤمن بذلك فإنه لا يمكن أن يكون التنزل هنا تنزل أمر الله -عز وجل- ينزل ربنا في الثلث الأخير من الليل فالمقصود: ينزل أمر ربنا؛ لأنه لو كان يقصد أمر ربنا يعني ينزل أمر ربنا فكيف أن أمر ربنا ينادي الناس؟ ألا من داع فأستجيب له؟ ألا من تائب فأتوب عليه؟ ألا من مستغفر فأغفر له؟ هل أمر الله ينادي؟ -سبحان الله- فهذا أمر لا يمكن أبداً فإذا كنت مؤمناً بالتنزل ومؤمناً باستواء الله على عرشه فحسبك ولا تخض في الكيفية.

أما مسألة التنزل معناها أن العرش يخلو منه. لا.. هذا ليس اعتقاد أهل السلف، أهل السلف يؤمنون بالنزول نزولاً حقيقياً يليق بجلاله -سبحانه وتعالى- ولا يخلو منه عرشه-والله تعالى أعلى وأعلم.

إجابات الحلقة السابقة:

كانت إجابة السؤال الأول:

القاعدة الأولى:أسماء الله توقيفية.

القاعدة الثانية:الكلام عن الصفات كالكلام عن الذات.

القاعدة الثالثة: المماثلة في الإثم لا تقتضي المماثلة في المسمى.

القاعدة الرابعة: أسماء الله كلها مشتقة تدل على معان غاية في الكمال.

القاعدة الخامسة: من أسماء الله ما يسمي به نفسه مطلقاً من غير قيد ومنها ما يُطلق على الله -عز وجل- بالقيد وهو إما يكون قيد إضافة أو قيد جزاء ومقابلة.

القاعدة السادسة: الصفات تنقسم إلى قسمين:صفات ذات وصفات فعل.

القاعدة السابعة: أسماء الله ليست محصورة.

القاعدة الثامنة: الصفات منها الثبوتية، ومنها السلبية

ما شاء الله.

إجابة السؤال الثاني:

من المعاني التي وقفت عليها:عظم وخطورة القول على الله بغير علم.

ما شاء الله.

من كان مع الله وعلم أسماءه وصفاته وعمل بمقتضاها كان الله معه يؤيده وينصره

والله معاني طيبة نسأل الله تعالى أن نكون أهلا لهذه المعاني.

هناك سؤال يا فضيلة الشيخ من الأخ الكريم من الكويت: أرجو توضيح هذا الإشكال الذي لدي قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر) أخرجه مسلم في الصحيح من حديث هشام بن حسان، كيف نوفق بين ذلك وبين أن الله -تعالى- لا يسمى بالدهر، وكيف إذا وجدنا آية أو حديث فيه مثل ذلك أن نعرف أن هذا من أسماء الله أم لا؟ وجزاكم الله خيرا

الجواب: باختصار شديد، من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن الدهر اسم ليس بمشتق وقلنا: إن الأصل أن أسماء الله -تعالى- مشتقة، فهذا هو الجواب الأول، الجواب الثاني: أن في النص ما يدل على أن هذا ليس من أسماء الله -عز وجل- قال: (لا تسبوا الدهر فإني أنا الدهر أقلب الليل والنهار) فجملة أقلب الليل والنهار تفسير لمعنى كلمة الدهر، لمعنى كلمة الدهر فليس في النص ما يدل على أنها من أسماء الله -سبحانه وتعالى- وعليه فلا يجوز لأحد أن يسمي نفسه: عبد الدهر.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الدعاء بـــ" يا مسهل" ؟ هل يجوز؟

سؤال آخر: إن لله تسعة وتسعين اسماً، هي المفروض شكلاً أنها للحصر، لماذا هي ليست للحصر؟

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته، سؤالي الأول: ما حكم من جحد أو عطل أو أول أو مثل أو كيس بعض الأسماء والصفات، هل يخرج بذلك من الملة أو يعتبر من المبتدعة؟

السؤال الثاني: كما هو معلوم من عقيدة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته: أن لله تعالى يدين اثنتين وكلتا يديه يمين ويؤيده قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤]، فكيف نجمع بين هذه الآية والآية الأخرى في سورة الذاريات ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ [الذاريات: ٤٧] الآية حيث أنها دليل على الجمع فهل كلمة بأيد تدخل في صفة اليد لله أم لا؟ وجزاكم الله خيراً

الأخت الكريمة من مصر تقول: الدعاء بكلمة: يا مسهل. هل يجوز؟

إذا كانت تقصد الاسم فليس هذا من أسماء الله -عز وجل- وإن كانت تقصد بذلك الإخبار يعني مثلاً: تقول: يا مقلب القلوب والأبصار، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (يا مقلب القلوب والأبصار) فليس من أسماء الله -عز وجل- المقلب، فهذا يجوز لا بأس.

وكان سؤالها الثاني عن حديث أن لله تسعة وتسعين اسماً وأنها ليست للحصر؟

ما مقصودها بالحصر؟ إن كان مقصودها: المقصود البلاغي البياني، فطبعاً ليس في اللغة والبيان ما يدل على ما تقول، وإن كانت تقصد الإحصاء إن هذه تدل على الإحصاء إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة فتسأل عن معنى الإحصاء فذكرت لكم أن معنى الإحصاء ليس هو مجرد العلم والحفظ، ولكن المقصود بالإحصاء العلم والفهم والعمل، والله تعالى أعلى وأعلم، وإذا كانت تقصد إن هذا النص ليس فيه ما يدل على الإحصاء فأنا أؤيدها في ذلك وهذا اعتقاد أهل السنة أن أسماء الله -عز وجل- ليست محصورة بتسعة وتسعين اسما والله تعالى أعلى وأعلم.

الأخ الكريم من مصر كان سؤال الأول: ما حكم من عطل أو شبه أو كيس أو أول في الأسماء والصفات، هل يخرج بذلك من الملة أو يعتبر من المبتدعة؟

كثير من الذين ركبوا هذا المركب مركب التأويل بالذات أو مركب التشبيه يعني يغلب عليهم الجهل ويغلب عليهم أنهم لا يريدون إلا أن يصلوا إلى الحق فهؤلاء لا أستطيع أن أكفرهم حتى تقام على أبعاضهم مما يتكلمون بالكلام الشديد الحجة النبوية التي يكفر من خالفها، فمثلا لو أن إنساناً أوّل اسماً أو صفة ليس حاله كحال الذي جحد صفة من صفات الله -عز وجل- يعني: ليس الكلابي كالجهمي فالأخ كان ينبغي أن يفصل في سؤاله فجمع كل الأصناف كلها في سؤال واحد فلكي أجيب على كل هذه الأصناف فلابد أن أفصل كل حاجة وحدها، الممثل كيف يكون وضعه؟ والمشبه كيف يكون وضعه؟ والمكيف كيف يكون وضعه؟ والمؤمل كيف يكون وضعه؟ والمعطل كيف يكون وضعه؟ فهذا سؤال واسع لكن من حيث العموم لا ينسب مسلم إلى بدعة أو إلى كفر أو إلى فسق أو إلى زندقة أو ما إلى ذلك حتى تقام عليه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها، والحجة معناها ماذا ؟ إن هناك شروطاً وهناك موانع الشروط لابد أن تستوفى والموانع لابد أن تنتفى فلو استوفيت الشروط وتمت هذه الشروط، وانتفت هذه الموانع وقام بها العالم الخبير الذي يقيم الحجة فقد وقع الأمر وحكم على هذا المعين إما بالكفر وإما بالفسق وإما بالدعة وإما بالزندقة وإما وإما إلى غير ذلك، ولا أظن أن طلبة العلم مع بساطتتهم وبداية طلبهم أن يكونوا قادرين على إقامة الحجة في المسائل العقائدية الدقيقة التي هي مثل هذا- والله تعالى أعلى وأعلم-.

كان سؤاله الثاني: (إن لله يدين وكلتا يديه يمين) كما في الحديث كيف نجمع بينها وبين قول الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ [الذاريات: ٤٧]

هذه الآية ليست من آيات الصفات، لأن المقصود بالأيدي هنا: القوة القوة ومنه قول الله -عز وجل- في إبراهيم وأولاده قال: ﴿أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ ﴾ [ص: ٤٥]، فالمقصود بأولي الأيدي والأبصار أي: أصحاب القوة والأفهام والعلم- والله تعالى أعلى وأعلم- فلا تعارض أصلاً.

الأخت الكريمة من السعودية تقول: شيخنا الفاضل قرأت في بعض الكتب التي تتحدث عن أسماء الله وصفاته ما نصه: " للتسعة والتسعين خواص عجيبة لاسيما حين تقرؤها قبل النوم في خلوة منتظمة راتبة وتكرر كل اسم بضع مرات على حدة ترى عجباً في نومك ويقظتك، ثم ذكر بعض ذلك، تقرؤها مستشعراً مثول روحك بين يدي مولاك متيقظاً لعظمتك وأنه محيط بك وبالسماوات والأرض وسائر الخلائق متحققاً باسمه ممتزجاً بمعناه في نفس الوقت، سؤالي- شيخنا الفاضل-: ما معنى ممتزجاً بمعناه في العبارة السابقة، هل يعني ذلك مستشعراً ؟ أفدنا فتح الله عليك؟

يعني نحن لا نصحح عبارة في جملة لا نوافق عليها أصلاً لأن هذه الجملة في معناها ومن مبناها ليست جملة أثرية ولا سلفية ، لا في المبتدأ ولا في المنتهى ولا في المبنى ولا في المعنى بل هي جملة المتأخرين من أهل الذوق؛ لأن المتقدمين من أهل الذوق كانوا متسننة كأبي محمد الجنيد سيد الطائفة كما كان يطلق عليه شيخ الإسلام ابن تيمية – عليه رحمة الله- كان متسننا وكان يعرض ما يأتيه من الخوطر ونحوها على الكتاب والسنة فما وافق الكتاب والسنة قبله وما كان غير موافق رده أما المتأخرون من أهل الوجد والذوق فإنهم يأتون بمثل هذه الطامات فبداية التسع وتسعين اسماً قلت لكم: بأننا لو أتينا بأهل العلم الذين حصروا التسعة وتسعين سنجد أن كل حصر لعالم يخالف الحصر الآخر للعالم الآخر فيا ترى بأي حصر هي ستقرأ التسع وتسعين اسماً هذا أولاً..

ثانيًا: هذه الطريقة من أين أتت بها؟ أو من أين أتوا بها ؟ هل هي طريقة أتى بها النبي -عليه الصلاة والسلام- أم لم يأت بها النبي -عليه الصلاة والسلام-؟ لو أتى بها النبي -عليه الصلاة والسلام- لبلغها الصحابة ولبلغها عن الصحابة التابعون ولبلغها عن التابعين تابعو التابعين وهكذا إلى أن تصل إلينا، فلما لم نجد طريقاً

صحيحة لهذا الكلام فهذه بدعة صلعاء، لا أصل لها في دين الله -عز وجل- والأصل الاتباع لا الابتداع، وقال الله -تعالى-: ﴿لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ﴾ [الأحقاف: ١١]، وقول عبد الله بن مسعود: عليك بالعتيق، فإن الإنسان ينبغي عليه أن يتبع ما ثبت عن الله -عز وجل- وما ثبت عنه -عليه الصلاة والسلام- وما ثبت عن الصحابة الكرام فهذه جملة بدعية وأنصح بعدم فعلها.

الأخ الكريم من مصر يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، هل من إشارة إلى اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى وكيفية تعلمه والتعبد به وهل هو الحي القيوم أم هو غير ذلك؟ وجزاكم الله خيرا

هذه المسألة مما تنوع فيها كلام أهل العلم فمنهم بالفعل من قال: هو ﴿الحَيُّ القَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ومنهم من قال: غير ذلك ولعل عدم العلم بهذا الاسم الأعظم مدعاة إلى أن تعظم أسماء الله -تعالى- جميعاً وتؤمن بقول الله -عز وجل- ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقول المولى -سبحانه وتعالى-: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَياً مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى ﴾ [الإسراء: ١١٠]، فاجعل جهدك في الوقوف على الأسماء الثابتة في القرآن والسنة وادعُ ربك بها لعل الله -تعالى- أن يوفقك إلى اسمه الأعظم في وقت إذا دعوت به أجابك والله المستعان.

الأخ الكريم من الأردن له ثلاثة أسئلة: يقول: شيخنا- بارك الله فيكم- أصلتم في المحاضرة السابقة أن هناك صفات ذاتية وصفات فعلية هل نستطيع القول: إن كل الصفات هي صفات ذاتية في نوعها لأن أصل الضحك موجود لكن أفراده ليست دائمة أم ماذا؟ أرجو ذكر مثال توضيحي؟

هذه القولة يعني دائماً الإنسان عندما يقول يقول الكلمة المجملة الثابتة عن السلف وجملة إن الصفات الفعلية في أصلها ذاتية أو ذاتية النوع ولكنها حادثة أو فعلية الآحاد هذه الكلمة قالها المتأخرون لاسيما من الحنابلة، ثم بعد ذلك وردت إلينا، وهي كلمة أو هذه الجملة جملة ليست أثرية ليست سلفية (كلمة غير مفهوم) النوع والأفراد ليست سلفية ولكن اضطررنا إليها اضطرارا للبيان والتوضيح ولولا ذلك ما تكلمنا بها أصلا، فالأصل الإمساك عما لم يرد به خبر ولا جمل صحيحة عن السلف، والله تعالى أعلى وأعلم.

سؤاله الثاني: أرجو ذكر ضوابط اشتقاق الاسم من الصفة مثلاً، معلوم أن من صفات الله تعالى أنه يمحو ما يشاء ويثبت فهل نستطيع القول: إنه من أسماء الله الماحي، مع أن الماحي من أسماء الرسول -صلى الله عليه وسلم-؟

جيد ما شاء الله. إذا أردت أن تشتق فأنت تشتق الصفة من الاسم لا تشتق الاسم من الصفة، ولا يجوز أيضاً أن تشتق الاسم من الخبر فلابد أن تنتبه فهو تقريباً عكس الأمر، فيمحو الله ما يشاء ويثبت هذا إخبار فأنت لا تشتق من الخبر مثلاً اسمًا يعني قول المولى -عز وجل-: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ﴾ [الأنفال: ٣٠]، هذا خبر، فلا يجوز أن تشتق من ذلك اسما.

الأخ الكريم من ألمانيا يقول: متى يكون الكلام على صفات الله بمثابة التشبيه؟

إذا شبهت صفة من صفاته كصفة خلقه قلت: بأن الله -تبارك وتعالى- يسمع بأذن كأذني مثلاً، إذن: هذا تشبيه أو تقول: بأن الله- تعالى- إنما ينهض على رجليه كما ينهض الناس على أرجلهم يعني الله -عز وجل- قائم، وهو قائم على رجله كما أقوم على رجلي، فهذا كله تشبيه مقيت وتجسيم فظ لا يجوز.

فضيلة الشيخ هلا تفضلتم بعرض أسئلة هذه الحلقة؟

هناك سؤالان يسيران بسيطان:

السؤال الأول: اثبت أن كلام الله –تعالى– حقيقة بصوت وحرف؟

السؤال الثاني: دلل على أن القرآن منزل من عند الله –تعالى– ليس بمخلوق؟

أسأل الله تعالى أن يوفقكم وأن يعينكم

الدرس السابع

الإيمان بالرسل

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه ومن اتبع هداه ثم أما بعد.

فمجلس اليوم – بإذن الله تعالى– يتعرض لقضية عظيمة وأصل كبير من أصول الإسلام وهو الاعتقاد بالقدر و– بإذن الله تعالى– سنحاول أن نستعرض هذه القضية في مقدمة ثم بعد ذلك أصول لابد من معرفتها، ثم بعد ذلك نتعرض لكلام الإمام العلامة ابن أبي زيد –عليه رحمة الله– ونسأل الله – تعالى– أن يوفقني إلى توضيح ما قد يكون فيه مُشكلاً.

فبداية: الإيمان بالقضاء والقدر لابد أن نعلم أنه ركن كبير من أركان الإسلام، يدل على ذلك ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث عمر –رضي الله تعالى عنه– وهو حديث جبريل المشهور من طريق عبد الله بن عمر وهذا الحديث أصله أيضًا مُخَرَّج في الصحيحين وفي غيرهما من حديث أبي هريرة –رضي الله تعالى عنه– أعني: حديث جبريل المشهور، لكن سأتعرض لهذا السياق الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث عمر بن الخطاب –رضي الله تعالى عنه– وفيه: (أن يحيى بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن الحميري أتيا عبد الله بن عمر –رضي الله تعالى عنه– ليسألاه عما أحدث هؤلاء في شأن القدر فوجدا عبد الله بن عمر خارجاً من المسجد فيقول عبد الرحمن: فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي، فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قِبلنا ناس بالبصرة– ويقصد بهؤلاء الناس مَعبد الجهمي– يزعمون ألا قدر وأن الأمر أُنف) وذكر من صفتهم أنهم يتقعرون العلم، أو يتقفون العلم أو يتفقهون العلم– وكل واحدة من هذه الألفاظ وغيرها لها معنى. يتقعرون العلم، أي: يطلبون قَعر العلم، وهذا فيه تشبيه رائق جميل لأن قعر الآبار لا تكون صافية، وإنما قعرها يكون مَشُوباً بالأكدار والعُكارات ومنه قول الشاعر:

ونشرب إن وردنا الماء صفواً *** ويشرب غيرنا كدراً وطين

فالآبار علوها يكون صافيًا نقيًا فهذه الطائفة النابتة في البصرة التي تطلب العلم لا تطلبه من العلم الناقي منه والصافي والمُجمع عليه وإنما تُنقر في هذه المسائل التي لا يترتب عليها عظيم اعتقاد ويخوضون فيها من غير آلة ولا برهان فيكون الفساد حليفًا لهم، وهذا أيضًا قريب من معنى يتقفرون العلم، ويتقفرون: من القِفَار وهي الصحراء، فعندما يسيرون لا يسيرون في الطرق الآهلة المزروعة المباركة، وإنما يسلكون الطرق الوعرة الضيقة التي لا تسلكها السابلة، أي: الذين لا يمشون فيها، فهم متكلفون في طلب العلم، مُتقاعرون في طلبه غير مستفيرين في طلبه، فطلبهم للعلم لا يحور عليهم إلا بالندامة والخزي وهذه طائفة من أهل الأهواء لا يزدادون بطلب العلم إلا فجوراً أو كبراً– والعياذ بالله– لماذا؟ لأنه لم يطلب العلم للعمل وقديمًا قالوا: «من طلب العلم للعمل كسره علمه، ومن طلب العلم لغير ذلك لم يزدد به إلا فخرًا أو فجورًا».

أيضًا هؤلاء القوم يزدادون بالعلم بعداً عن الله –عز وجل– فتدك معاني القلوب من قلوبهم، فيكون حالهم كحال هذا الجبل عندما ينزل عليه المطر فإنه يدك دكاً، كما يقول الشاعر:

والعلم حرب للفتى المتعالي *** كالسيل حرب للمكان العالي

فهذه نابتة السوء التي نبتت في البصرة هذه النابتة مع أنهم يزعمون أنهم يطلبون العلم ويتلمسون مسالكه إلا أنهم قالوا مقالة عظيمة أو قالوا مقولة عظيمة هذه المقولة: أنه لا قدر، وأن الأمر أُنف، أنف بمعنى: مستأنف، أي: إن الله -تعالى- لا يعلم الأمور إلا عند حصولها، أي إن الله -تعالى- لا يعلم أني سآتي إلى هذا المكان إلا عندما أتيت، - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً- وربي- سبحانه- وهو الجليل لا يعلم أن إنساناً سيتزوج امرأة ما إلا عندما يتقدم ويحدث هناك العقد والبناء، فينفون علم الله -تعالى- الأول عن الله -سبحانه وتعالى- فقال عبد الله بن عمر: (إذا لقيتم أولئك فأخبروهم أني بريء مني وأنهم برءاء مني ووالذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهبًا ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر سمعت عمر بن الخطاب) ثم ساق حديث جبريل المشهور.

هنا فائدة عظيمة في قوله: إنه لن يُقبل به حتى يؤمن بالقدر ثم ساق حديث جبريل وفيه سؤال جبريل للنبي – عليه الصلاة والسلام-: (ما الإيمان؟ فقال للنبي -عليه الصلاة والسلام-: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره) إذن: الإيمان بالقدر أصل من أصول الدين وركن ركين من أصول الاعتقاد إن اهتز أو اختل يختل هذا البنيان الاعتقادي العظيم. أرأيتم كيف أن الصحابي الجليل عبد الله بن عمر – رضي الله تعالى عنه وعن أبيه- كَفَّرَ هؤلاء القدرية الأول الذين نفوا علم الله -عز وجل-؟! فهذا دليل واضح على أن هدم هذا الركن هدم للإيمان، إذن: الإيمان بالقدر ركن من أركان الدين.

النقطة الثانية: قبل أن أخوض فيها، أريد أن أبين مسألة ربما تلتبس على أذهان بعض إخواني الفضلاء، مسألة القضاء والقدر، والعلاقة بين القضاء والقدر هل القضاء هو القدر أم أن هناك الفارق بين القضاء والقدر؟ هذان قولان موجودان، فهناك من سوى بين القضاء والقدر بأن الكل بمعنى واحد ويقصد بالقضاء كما يقصد بالقدر: حكم الله -عز وجل- وتقديره أو تقدير الله -سبحانه وتعالى- وحكمه على عباده. فالله -تبارك وتعالى- قدر شيئًا ما على عباده وحكم به عليهم فهذا قضاء وهذا أيضًا قدر، وهذا المفهوم هو ما يمكن أن نتلمسه ونقف عليه جليًا في كتاب القضاء والقدر للحافظ البيهقي- عليه رحمة الله- وكذلك يمكن أن نتلمسه في غير موضع في كتاب العلامة ابن القيم- عليه رحمة الله- وكتابه: شفاء العليل.

المعنى الثاني: أن القضاء أسبق، فالقضاء هو الحكم العام المتعلق بعلم الله -عز وجل- إذن: الحكم العام الإجمالي المتعلق بعلم الله -عز وجل- هذا هو القضاء، أما القدر هذا متعلق بمشيئة الله -عز وجل- فإيجاد أفراد هذا الحكم العام بإذن الله وبمشيئة الله هذا يسمى القدر، وهذا الكلام نقله ابن حجر في الفتح ويمكن أن نتلمس مثل هذه المعاني في رسالة أبي بكر الإسماعيلي وهي رسالة في الاعتقاد أرسلها إلى أهل الجبل وهي رسالة مشهورة معلومة، إذن: الحكم العام المجمل الذي يندرج تحته الأفراد والأنواع والأجناس هذا مُتعلق بالعلم ويسمى قضاءً. أفراد هذا الحكم أو أعيان هذا الحكم أو الموجودات في هذا الكون المتعلقة بهذا الحكم هذا يسمى القدر. وهذه مسألة مسألة علمية ليس لها أثر كبير في أمور الاعتقاد يعني: من قال القضاء هو القدر أو القدر هو القضاء هذا الأمر لن يفيد كثيراً فهي مسألة علمية ولكن أردت التنويه عليها.

القدر مثبت في الكتاب والسنة، هذه هي النقطة الثانية أن القدر مثبت في الكتاب والسنة قال الله -عز وجل-: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال الأصوليون واللغويون بأن لفظة "كل" أبلغ صيغ العموم، فقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ فكل شيء خلقه الله -تعالى- بقدر وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن: ١١]، قال بعض السلف هو الرجل تنزل عليه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويُسلِّم، وقال الله -سبحانه وتعالى- أيضًا ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، نسأل الله -تعالى- أن يورث الأرض عباده الصالحين ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ قيل: الزبور وهو الكتاب، كتاب داود، وقيل: الزبور الكتب التي أنزلها الله -تعالى- على أنبيائه، هذه تسمى الزبور: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ﴾ وقراءة حمزة ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ ﴾، والمقصود

بالزبور الكتب المُنَزلة، فهي جمع زِبْر والزبر هو الكتاب، ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ الذكر هو اللوح المحفوظ أم الكتاب كما أخبر ربنا –سبحانه وتعالى– فالذكر هو أم الكتاب، الذي عند الله –عز وجل– في السماء ﴿لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢]، وفي صحيح مسلم أن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير) اسمع هذا الحديث: المؤمن القوي والمؤمن الضعيف، فالمؤمن القوي خير وأحب خير من صيغة تفضيل، ولكن لا تُصاغ إلا على هذه الصيغة: (المؤمن القوي خير وأحب) والمقصود بالقوة هنا هي القوة القلبية والعملية لا يقصد بذلك مجرد القوة البدنية قال بعض السلف: « قوة المؤمن في قلبه وقوة المنافق في بدنه»، وليس معنى ذلك أن المؤمن بالضرورة لابد أن يكون ضعيف البدن كليلاً مريضًا، حتى يكون أحب إلى الله –تعالى– وأرضى، أبدًا، فلو جمع مع قوة قلبه وقوة عمله القوة البدنية التي بها يستطيع أن يقوم ويجاهد ويدعو ويتحرك لكان ذلك خيراً له وأسد، وقال النبي –عليه الصلاة والسلام–: (وفي كل خير) وأنتم تعرفون حديث عبد الله بن مسعود –رضي الله تعالى عنه– عندما صعد إلى شجرة ليجتني عوداً من أراك فتكفأته الريح فتعجب الصحابة من دقة ساقيه وكان ضعيفاً دقيق الساقين فقال النبي –عليه الصلاة والسلام–: (أتعجبون من دقة ساقيه؟!! والذي نفسي بيده إنهما عند الله –تعالى– لأثقل من جبل أحد)، إذن: ليست المسألة متعلقة بضعف البدن أو قوة البدن، وإنما القوة المقصودة قوة القلب وقوة العمل، فـ (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله – تعالى– من المؤمن الضعيف، وفي كل خير) قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (احرص على ما ينفعك) وهذا منهج حياة (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز)، لابد أن يكون ديدنك وأن تكون سنتك في الحياة (احرص على ما ينفعك) فكل ما فيه حرص أنت تتمسك به لابد أن يكون هذا الحرص متوجهاً إلى النفع (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز)، لا تعجز، لا تفتر، ولا تهدأ ولا تكل، ولا تمل، ولابد أن تمارس وتعالج الأسباب لتفضي بذلك إلى النتائج التي تريدها– بإذن الله عز وجل– ولا تعجز (واستعن بالله ولا تعجز)، هذا حديث رائق لابد أن يكون عُمدة لنا في ذلك الباب، وعند الترمذي بإسناد صحيح أن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال لعبد الله بن عباس: (واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك) إذن: كل الأمور من النفع وغير النفع مقدرة مكتوبة.

إذن: محصلة القول بأن القدر ركن من أركان الإسلام الأمر الثاني: أن النصوص أتت متوافرة على إثبات القدر.

ماذا يُعنى بالقدر؟

يُعنى بالقدر: إثبات عدة أمور:

الأمر الأول: إثبات علم الله –تعالى– الأول، التام، المحيط.

الأمر الثاني: كتابة الله –تعالى– مقادير الخلق.

الأمر الثالث: بعد ذلك: مشيئة الله –تعالى– وإرادته.

الأمر الرابع: خلق الله –تعالى– لكل شيء.

إذن: العلم– والكتابة– والمشيئة– والخلق.

قال الله –تعالى– في مسألة العلم: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْم ﴾ [الطلاق: ١٢]، والآن سمعتم كيف أن الصحابة كفَّروا الذين أنكروا علم الله –تعالى– الأول، وهم القدرية الأُول، عندما أنكروا علم الله –تعالى– الأول، كفَّرهم

عبد الله بن عمر، فلابد أن تثبت أن لله –تعالى– علماً أحاط به كلَّ شيء وهذا العلم علم تام، عَلِمَ الله –تعالى– به الخلائق قبل خلقها، وعلم به الخلائق قبل وجودها، هذا أولاً.

الأمر الثاني: –عُجالات يسيرة سريعة– كتابة الله – تعالى– مقادير الخلق، وفي حديث عبد الله بن عمرو – رضي الله تعالى عنه وعن أبيه– والحديث في الصحيح: أن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: (إن الله –تعالى– كتب مقادير الخلق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة)، يعني: المقادير الخلائق كتبت قبل إيجادها بخمسين ألف سنة –سبحان الله– يعني: حركة يدك هذه كتبها الله –تعالى– في الزبور قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، –سبحان الله– كل شيء كتبه الله –تعالى– في كتاب ﴿لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢].

المرتبة الثالثة: مشيئة الله –تعالى– وإرادته، والمشيئة هنا هي المشيئة النافذة، التامة المشيئة النافذة وهي مشيئة كونية تحيط بكل شيء، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الإنسان: ٣٠]، فما من شيء في هذا الكون إلا – بإذن الله تعالى– ومشيئته، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]، أما إرادته فهي على قسمين: إرادة دينية وإرادة كونية.

الإرادة الدينية: هي المتعلقة بمحاب الله ومراضيه، إذن: كل ما يحبه الله –تعالى– ويرضاه فهي متعلقة بماذا؟ بإرادته الشرعية الدينية فالله– تعالى– عندما تصلي أراد لك الصلاة لأنه أمرك بالصلاة فأحبك عندما صليت فالصلاة محبوبة إلى الله –عز وجل– فمن صلى فإنما صلى بإرادة الله –عز وجل– الدينية الشرعية.

ثم هناك الإرادة الكونية: وهي المتعلقة بسلطان الله –عز وجل– وملك الله –عز وجل– وقيوميته على هذا الكون كله فلا يحدث شيء في هذا الكون إلا بإرادة الله –عز وجل– إذن: الأكل والشرب وطاعة المطيع ومعصية العاصي وكفر الكافر وجحد الجاحد وإيمان المؤمن هذا كله بماذا؟ بإرادة الله –تعالى– الكونية العامة، ومن هنا فإن الإرادة الكونية هي المشيئة الكونية، فكل ما تعلق بسلطانه وقيوميته، فما ينسب إلى ذلك كله قريب يعني: الأمر الكوني والإذن الكوني والإرادة الكونية والمشيئة الكونية هذا كله بمعنى واحد، لماذا؟ لأن الكل يرجع لملك الله –عز وجل– وسلطانه على هذا الكون، لأنه لا يمكن أن يحدث شيء في هذا الكون من غير إرادة الله، من غير مشيئة الله، من غير أن يأذن الله –تعالى– به، من غير أن يأمر الله –تعالى– به أمراً كونياً حركات السحاب ووقع الرمال وطاعة المطيعين وكفر العاصين والكافرين هذا كله متعلق بأمر الله الكوني بمشيئته الكونية، بإذنه الكوني، بأمره الكوني، بقضائه الكوني هذا كله لابد أن يعلم، أما ما كان متعلقاً بطاعة المكلفين وطاعة المكلفين محبوبة إلى الله –عز وجل– يرضى الله –تعالى– عنها فهذا مما أذن الله –تعالى– فيه دينا، فالدين والشرع ما يحبه الله –تعالى– فبالتالي كل من فعل شيئًا يحبه الله –تعالى– ويرضاه فقد أتى بالمراد الديني، ولذلك نحاول أن نتأمل هذه الآيات ونحاول أن نسألكم في هذه الآيات: هذه الآية يا ترى يمكن أن حملها على أي وجه الوجه الشرعي أم الوجه الكوني في قول الله –عز وجل– ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾ [النساء: ٢٨]، يريد الله، إذن: هذه إرادة ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيف ﴾، يا ترى هذه الآية إذا أردنا أن نجعلها نجعلها تحت الإرادة الكونية أم الشرعية؟ ولماذا؟ من يعرف.

تندرج تحت الإرادة الدينية الشرعية

نعم، لماذا؟

لأنها تتعلق بالدين والشرع بما يحبه الله –عز وجل

فمن محاب الله -عز وجل- إرادة اليسر للمكلفين، ولذلك قال بعض الأصوليين: « حيثما كان اليسر كانت المصلحة، وحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله » إذن هذه آية متعلقة بالإرادة الدينية، طيب، في قول الله -عز وجل- ﴿فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، انظر كلمة يشرح الحاء كذا يعني: تشعر بأن هناك بحبوحة عندما تقرؤها، وهناك أريحية، وكذلك الهداية، ﴿فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ ﴾ ومن يرد أن يضله ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، يا ترى هذه الآية يعني ما نوع الإرادة هنا؟ تفضل:

بسم الله الرحمن الرحيم. هي المقصود هنا إرادة كونية

في قوله؟

﴿ فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ ﴾

طب كونية بأي اعتبار؟

لا.. آسف، هي إرادة دينية شرعية،

هي إرادة دينية ويمكن أن تكون إرادة كونية باعتبار أنها حدثت في الكون أو تحدث في الكون، لكنها – في الأصل- إرادة دينية، أما قوله: يضله ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ ﴾ هذه إرادة كونية، لأنه لا يمكن أن يحدث في ملك الله ما لا يريده الله، لا يمكن، فما يحدث في هذا الملك إنما هو بإرادة الله -عز وجل- ولكنها الإرادة الكونية.

ثم بعد ذلك المرتبة الرابعة: أن الله -تعالى- خلق كل شيء، إما ابتداءً، وإما توفيقاً وابتلاءً، خلقنا الله -عز وجل- ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾ [فاطر: ٣]، عندما ذكر الله -عز وجل- خلق السماوات والأرض وما إلى ذلك في سورة لقمان قال: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾ [لقمان: ١١]، ماذا خلق الذين من دونه؟ لم يخلقوا شيئاً وتحدى الله -تعالى- الخلق جميعاً أن يخلقوا ذباباً فلم يقدروا على ذلك الأمر، فالله -تبارك وتعالى- هو الذي خلق الخلق وأوجدهم، ولم يخلقهم غيره، كما خلق من الخلق خلقاً غير البشر كالإنسي والجني والملكي والجبلي والسهلي والوحشي والعوالم التي تجري في الماء إلى غير ذلك، هذا كله خلق الله -عز وجل- ابتداءً، وهناك خلق الله -عز وجل- توفيقاً وابتلاءً، الإنسان عندما صنع الثلاجة، من الذي وفقه إلى صناعة الثلاجة؟ الله -عز وجل- إذن: في الحقيقة الذي أوجد الثلاجة وأعان الإنسان على صنعها وإيجادها هو الله -عز وجل- إذن: الله -عز وجل- خلق الثلاجة توفيقاً، ولو أن الله -عز وجل- قطع توفيقه عن العبد ما صنع هذه الثلاجة، هذه الطائرة التي تحمل أطناناً وتطير فوق المدن، هذه الطائرة صنعها الإنسان لكن هل صنعها الإنسان بفكره وعلمه ولباقته وما إلى ذلك أم صنعها الإنسان بتوفيق الله -عز وجل- له؟

بتوفيق الله -عز وجل- له.. فلا يحدث شيء في هذا الكون إلا بالله -عز وجل- فالله تعالى هو الذي خلق الطائرة. خلقها ماذا؟ توفيقاً أن وفق صانعها إلى صنع الطائرة ولولا هذا التوفيق لما كانت الطائرة، وهكذا في كل نظير فما من شيء في هذا الكون إلا خلقه الله -تعالى- ابتداءً وإما توفيقاً وهذا التوفيق فيه معنى الابتلاء لأن الإنسان عندما يصنع كل شيء ويقدر على كل شيء هذا فيه الابتلاء ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَ ﴾ [يونس: ٢٤]، ماذا يحدث بعد هذا؟ ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٢٤]، قال الله -تعالى- ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦]، بكل شيء إذن: الطائرة شيء خلقها الله -عز وجل- وأنت شيء خلقك الله -عز وجل- والقلم والورقة والسماء والجبال والوحش والسهل والجبل والشجرة كل هذا من جملة الأشياء التي خلقها الله -عز وجل.

كما خلق الله -عز وجل- مع الماديات المعنويات، الحب خلقه الله -عز وجل- والخوف من خلق الله -عز وجل- والذل من خلق الله -عز وجل- فكل شيء سواء كان مادياً أو معنوياً فهو خلق خلقه الله -عز وجل- وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، إذن: ما تعملونه إنما هو منسوب أيضًا إلى الله -عز وجل.

هناك أصول لابد أن نذكرها بعد هذه المقدمة، وبعد هذه الأصول لو قرأنا كلام ابن أبي زيد فقط مجرد قراءة لكان الكلام واضحاً بإذن الله -عز وجل.

الأصل الأول: القدر سر من أسرار الله وغيب من جملة غيبه، فكما أن الله -تعالى- لا يطلع على غيبه أحدًا، فإن الله -تعالى- لا يطلع على حكمة القدر إلا من شاء، وهذه مسألة لابد أن تفهمها وأن تعيها جيداً، فالقدر غيب من غيب الله -عز وجل- ولا يطلعه إلا على من يشاء من عباده، في الصحيح أن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يخطب وكان بجواره ابن ابنته الحسن، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: (إن ابني هذا سيد) ويشير إلى الحسن، (إن ابني هذا سيد) الحسن بن علي، -رضي الله تعالى عنه- (وسيصلح الله -تعالى- على يديه بين طائفتين عظيمتين من أمتي)، هذا كلام النبي -عليه الصلاة والسلام- العجيب في سنة واحد وأربعين من الهجرة أتى معاوية في جند كثيف من أهل الشام، وخرج الحسن بن علي في جند كثيف من أهل العراق وما حولها، في ساحة المعركة عشرات الآلاف أكثر من مائة وخمسين ألفاً مثلا، عندما نظر الحسن بن علي وكان أميراً لمؤمنين بايعه أهل العراق وأهل مصر وأهل الجزيرة وأهل اليمن وأهل إفريقيا هؤلاء كلهم بايعوا من؟ بايعوا الحسن بن علي، ومعاوية ليس معه إلا الشام فقط، لكن عندما نظر الحسن بن علي، فوجد أن دماء المسلمين ستسفك من أجل الإمارة ماذا حصل؟ راسل معاوية وتنازل له عن إمرة المؤمنين وسمي هذا العام بعام الجماعة، وصدق ما قال النبي -عليه الصلاة والسلام.

الغيب غيبان وسأذكر هذا في محله مرة أخرى: غيب مطلق وغيب نسبي.

الغيب المطلق: لا يعلمه أحد إلا الله، قال الله -عز وجل- ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فالله -عز وجل- لم يطلع أحداً على غيبه أحداً أبداً ﴿إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدَ﴾ [الجن: ٢٧]، فالله- تعالى- قد يطلع على بعض غيبه من شاء من خلقه، فهذا هو الغيب المطلق هذا غيب مطلق، من جملة هذا الغيب:

القبر، علامات الساعة، ما يكون بعد لحظة أمور المستقبل كلها من أمور الغيب، كلها أمور مستقبلة لا يعلمها أحد.

أما الغيب النسبي ما تفاوت الناس في دركه، اليوم ماذا أكلت قبل أن آتيكم؟ هل أكلت أم لم آكل؟ أنتم لا تعلمون شيئًا، لكن أنا أعلم من نفسي، إذن: ما غاب عنكم من حالي هو بالنسبة لي شهادة، ولكن بالنسبة لكم غيب، أخي الحبيب ماذا صنعت قبل أن تأتي هنا؟ أنا لا أدري ولكن أنت تعلم، أنت تعلم لكن أنا لا أعلم، فأنا لا أعلم فهذا غيب بالنسبة لي، ولكن هذا شهادة بالنسبة لك، هذا يسمى بالغيب النسبي وهنا الكهان والعرافون إنما يتحركون في هذه الدائرة دائرة الغيب النسبي يأتي الرجل إلى الكاهن يدق عليه الباب يقول له: ادخل يا محمد، كيف علم أن اسمي محمد؟ يقول: تعالَ ادخل زوجتك اسمها كذا وأولادك أسماؤهم كذا وكذا وكنت تفعل كذا، كل هذه المعلومات حصلت، عرفها الجن وأبلغها لهذا الكاهن، لكن هل هذا الدجال يعلم شيئًا في الغيب؟ لا يعلم شيئًا في الغيب؟ فالقدر من جملة الغيب المطلق الذي لا يعمله إلا الله -عز وجل- هذا هو الأصل أول.

الأصل الثاني: أن الله تعالى لا يظلم أحداً ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦]، الله –تعالى– ليس بظلام للعبيد، ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٥٧]، فالله– تعالى– لا يظلم أحداً، فالله –سبحانه وتعالى– في قدره وحكمه وأمره وجزائه هو –سبحانه وتعالى– لا يظلم أحداً.

الأصل الثالث: لا يحتج بالقدر في المعائب وإنما يحتج في القدر في المصائب، ما الفرق بين المصائب والمعائب؟ المعائب من جنس الذنوب والمعاصي. أما المصائب فهي الأمور التي تنزل عليك اضراراً دون دخل منك، رجل ماشٍ في الشارع وقع عليه قطعة من الحديد فشجت رأسه يا ترى هذا ذنب أم مصيبة؟ مصيبة، إذن: يرضى بهذه المصيبة، وهكذا في كل حال، وكما قلت لكم: إن بعض السلف قالوا: إن الرجل لتنزل عليه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم، وهذا باب عظيم والكلام فيه واسع، فلا يجوز الاحتجاج بالقدر في ذنب أو معصية يشرب سجائر أو مثلا يشرب حشيشاً أو يزني أو ما إلى ذلك يقول: هذا بأمر الله لما ربنا يشاء أترك هذه المعصية. لا يقبل منه ذلك، لأن هذا من جنس احتجاج المشركين بمشيئة الله –عز وجل– على الشرك ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَ ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، فهذا لا يجوز شرعاً وهذا المحتج بالقدر بمشيئة الله وإرادة الله –عز وجل– على فعل المعصية لو أنا أمسكت قطعة من حديد وضربت بها رأسه وتألم إيلاماً شديداً فقلت: اصبر فهذا قدر الله هل يقبل ذلك مني؟! –سبحان الله– إذن: كيف يفرق بين هذا وذاك؟! إذن: لا يجوز الاحتجاج بالقدر إلا عند المصائب، أي مصيبة، مثلا– لا نريد أن نمثل أمثلة قريبة جداً –، أي مصيبة تنزل عليك اعلم أنها من عند الله فارضَ حتى يرضى الله عنك.

الأمر الرابع: أن الله – تعالى– ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]،أليس القدر سراً من أسرار الله، ومن جملة غيب الله ونرى القدر في الصفحات المنشورة والمرئية، نرى اثنين يسيران في سيارة واحدة تتقلب بهما السيارة أحدهما يموت والثاني لا يخدش– سبحان الله– هذا كله بقدر الله –عز وجل– نشاهد ذلك، نشاهد أموراً عجيبة جداً في هذا الكون بقدر الله –عز وجل– مثلا نقرأ في القرآن قصة يوسف تصور لو أن يوسف لم يخطفه إخوته، ولم يرموه في البئر وكان لصيقاً بوالده يا ترى هل كانت هذه القصة ستبلغ مداها كما قص ربنا –عز وجل– وأخبر؟ أبداً، فمشاهدة القدر تعطي الإنسان قوة وأماناً وطمأنينة وراحة وتعطيه– بإذن الله تبارك وتعالى– معاني لو تأملها ما ترك هذا التأمل، فسبحانه وتعالى ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، لمَ تعمل ذلك يا رب؟!! هذا خطأ لا يجوز أن تسأل عن شيء فعله الله –عز وجل– فكل شيء في هذا الكون إنما خلقه الله، إنما أوجده الله، إنما أنشأه الله فلا تسأل ربك شيئًا شاءه هذه أصول لابد أن تكون بينة.

بعد هذه المقدمة وبعد هذه الأصول التي هي شرح لما قاله ابن أبي زيد، نحاول أن نقرأ ما قاله العلامة ابن أبي زيد القيرواني– عليه رحمة الله– ونحاول أن نربط بين ما سمعناه وبين ما قاله– عليه رحمة الله–.

قال المصنف –رحمه الله تعالى–: (والإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره كل ذلك قد قدره الله ربنا ومقادير الأمور بيده ومصدرها عن قضائه علم كل شيء قبل كونه فجرى على قدره لا يكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد قضاه وسبق علمه به، قال الله –تعالى–: ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤]، يضل من يشاء فيخذله بعدله ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله فكل ميسر بتيسيره إلى ما سبق من علمه وقدره من شقي أو سعيد تعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد أو يكون لأحد عنه غنى أو يكون خالقاً لشيء إلا هو، رب العباد، ورب أعمالهم والمقدر لحركاتهم وآجالهم).

سبحانه– سبحانه– سبحانه ربي الجليل، يقول ابن أبي زيد– عليه رحمة الله–: (والإيمان بالقدر خيره وشره) هذه الجملة المنصوص عليها في حديث جبريل المشهور المُخَرَّج في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر عن أبيه، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة وفي غيرهما وقوله: (حلوه ومره) هذه رواية موجودة عند الترمذي من حديث أنس –رضي الله تعالى عنه– أن النبي –عليه الصلاة والسلام– كان يقول: (لا يجد العبد

حلاوة الإيمان حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره) وكان يقبض بعد ذلك –عليه الصلاة والسلام– على لحيته، قال أنس وهو راوي الحديث ورأيت النبي –عليه الصلاة والسلام– (قبض على لحيته)، هذا الحديث أخرجه الترمذي ولكنه ضعيف، لأن يزيد الرقاشي وهو راوي الحديث عن أنس ضعيف.

وهنا مسألة خيره وشره، هل القدر فيه شر؟ الجواب: أن القدر كله خير، لا شر فيه، وإنما الشر سمي شراً، لانقطاعه عن الله، فالله –تبارك وتعالى– هو الذي قدر هذا القدر، وهو الذي أذن فيه، فالخير فيما أذن الله –تعالى– فيه فالخير إلى الله –سبحانه وتعالى– والشر لا ينسب إليه – سبحانه وتعالى– وما قد يتصور من شر فلا يوجد شر تام من كل وجه، وإنما هو شر في وقت دون وقت، في حال دون حال في عين دون آخر، فما قد تجده شراً قد يكون خيرًا بالنسبة لك في وقت آخر، وما تجده شراً لك قد يكون خيراً لغيرك، ومثال ذلك: لو قلت لك: إن قوماً أخذوا أخاً لهم ليقتلوه فجعلوه في جب عميق مظلم، وتركوه وانصرفوا ماذا تقول في هؤلاء الإخوة ؟ تقول: ما أظلمهم ما أفظ أخلاقهم، وما أقسى قلوبهم، لو قلت لك بأن هذا الشر بالنسبة لهذا الغلام كان خيراً له، يعني: هذا الشر بالنسبة لهذا الغلام كان خيراً له، ماذا حدث؟ أتت قافلة التقطته ثم بعد ذلك باعته، طيب، أيضًا كونه يكون عبداً بعد أن كان حراً هذا شر ولكنه بعد ذلك سيكون خيراً، ماذا حدث بعد ذلك؟ راودته امرأة العزيز، تأبى، دخل السجن ثم فتح الله عليه بتأويل الرؤى، ماذا حدث بعد ذلك؟ عرف الملك بحاله ثم استدعاه ثم قربه ثم صار عزيز مصر، ثم بعد ذلك أرسل إلى أبيه وإخوته فأدخلهم مصر وأقام العدل ونشره إذن: هذا الخير كله إنما أتى بعد ماذا؟ بعد ما يتوهم أنه شر، لكن ليس هناك شر مطلق، لو قلت لك: إن هناك امرأة أخذت وليدها، رضيعها فجعلته في صندوق فرمت به في الماء، –سبحان الله– لا يمكن، امرأة تأخذ صغيرها وتجعله في صندوق وترمي به في الماء، كيف يكون ذلك الأمر؟!! طب ربما أي إنسان يأخذه هذا الأمر لا يمكن هذا الأمر الذي يتصور أنه شر بالنسبة للغلام، لهذا الرضيع، هو في عينه تمام الخير، ماذا حدث؟ ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ ﴾ [القصص: ٨]، ، فلما التقطه آل فرعون ربي هذا الغلام في قصر الفرعون وكانت نهاية الفرعون على يديه – سبحان الله– المرض يؤلمك وينهكك ولكنه خير لك فهو شر لك من جهة الألم من جهة النفقة من جهة الضعف من جهة الخور، ولكنه خير لك قربة إلى الله –عز وجل– ودرجات وحسنات وسيئات تمحى إذن: هذه كلها خيرات، حتى الدجال، وهو أعظم شر أوجده الله –تعالى– على الأرض، أعظم شر الدجال، وجود الدجال مع أنه شر إلا أنه أيضًا خير، لأن وجود الدجال فيه امتحان للخلق فيثبت المؤمن على إيمانه ويرتكس الكافر بكفره، فهذه الفتنة العظيمة لم تكن شراً من كل وجه، وهكذا كل الأمور ربما وهذه أمور أنت تجدها حتى مع نفسك، أنت تذهب إلى الامتحان لكي تمتحن ثم بعد ذلك تتعطل السيارة تفوت عليك هذه المادة، تفويت هذه المادة شر بالنسبة لك، ستضطر أن تمتحن– دور ثاني– ثم بعد ذلك يحدث خير عظيم، ينزل إعلان نريد حديث التخرج ومواصفات كذا وكذا، وهذه المواصفات لا تنطبق إلا عليك، فيفتح الله –تعالى– باباً لك من أبواب الرزق، لأنك تأخرت في هذه المادة، التي ظننت أنها شر وهكذا في كل حال، فعندما يقول:(خيره وشره) فالخير هو الخير المطلق والشر هو الشر النسبي، فالخير هنا والخير مطلق والشر هنا والشر نسبي، الشر النسبي المتفاوت بتفاوت الأحوال الأشخاص الأوقات الأوضاع، إلى غير ذلك، لكن أن يكون الشر مطلقاً، لا... ليس هناك شر مطلقاً، وعلى قوله: (حلوه ومره) الحلاوة والمرارة لا تتعلق بالعاقبة وإنما تتعلق بالمبتدأ تتعلق بمباشرة الأسباب فالعاقبة عند الله – عز وجل– وهي أعظم من أن توصف بالحلاوة أو المرارة وإنما الحلاوة والمرارة إنما هي عند معالجة الأسباب قال النبي –عليه الصلاة والسلام–: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد –صلى الله عليه وسلم– رسول)، ذاق طعم الإيمان إذن: هذا التذوق إنما كان نتيجة بذل السبب الذي هو أنه رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد –صلى الله عليه وسلم– نبيا، فالمرارة والحلاوة إنما تكون بمباشرة الأسباب وهذا فيه مَلْمَح عظيم كأن الشيخ يريد أن يشير إليه، أنه لابد للمكلف ألا يدفع الأسباب ولكن لابد أن يباشر الأسباب.

قوله: (قدر الله –تبارك وتعالى– كل شيء، فكتبه في اللوح المحفوظ) اللوح المحفوظ كتب الله –تعالى– فيه كل شيء ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَ ﴾ [الحديد: ٢٢]، كل شيء موجود في كتاب وكون كل شيء موجود في الكتاب ليس معناه أن الإنسان يترك العمل ولقد فهم الصحابة

شيئًا من ذلك، فقال لهم النبي -عليه الصلاة والسلام-: (اعملوا فكل ميسر لما خُلق له)، ولا يعارض نصوص إثبات القدر قول النبي -عليه الصلاة والسلام- عند الترمذي وهو حديث حسن: (لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر) لا يرد القضاء إلا الدعاء: ليس هناك تعارض لأن المقصود بالقضاء المقضي أي ما قضى الله -تعالى- به أي المقدر أي لا يرد المقدر إلا الدعاء، فالدعاء مقدر ولا يرد مقدر إلا بمقدر فلا تعارض في ذلك الأمر وهذا ما يسميه العلماء بتدافع الأسباب أو معالجة الأقدار بالأقدار، أي أنك تدفع قدراً بقدر ليثبت ما أراد الله -عز وجل- تدفع قدراً بقدر ليثبت ما أراد الله، لو أن اليهود أرادوا أن يحاربونا وتحركت جيوش اليهود نحو مصر إذن: هذا الأمر بقدر الله -عز وجل- ماذا نقول؟ نقول: نرضى ونؤمن بالقدر ونتركهم يدخلون بلادنا ليقتلونا ويستولون على ديارنا وأموالنا؟ أبداً، ماذا نصنع؟ نعد العدة لقتالهم، إذن: قتالهم من جملة القدر، وقتالهم لنا من جملة القدر، فندفع هذا القدر بالقدر ليحدث ما أراد الله -عز وجل-، المرض قدر، إذا مرضت المرض قدر هل عندما تمرض تقول: هذا قدر استسلم لهذا القدر أم تدفع هذا القدر بالدعاء بالرقية الشرعية بالذهاب إلى الأطباء ؟ فهذه كلها أقدار فتدفع هذا القدر بالقدر فلا يرد القضاء الذي هو المقدر إلا الدعاء لأنه أيضًا مقدر ليتم ما أراد الله -عز وجل- والإنسان المسلم إذا لم يدافع الأقدار بالأقدار يهدم الدين، فإنما يتم الدين قوة وعزاً وشرفاً بمدافعة الأقدار، بعد هذا يكون كلام الإمام القيرواني واضحًا، ولا يحتاج إلى تعليق بفضل الله -عز وجل- إذن: الجملة التي علقت عليها مسألة: حلوه ومره والجملة الثانية: هي جملة مدافعة الأقدار وبذلك يكون كلام الإمام القيرواني كلاماً واضحًا تامًا شافياً كافيًا يطابق ما قال إخوته الأئمة من قبله وصل الله وسلم على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، سؤالي للشيخ عندما قال: من اتهم الله -عز وجل- بأن قدره سيء كفر، أو قال يكون كافراً، فهذه كلمة كافر، هل من عمل بذلك من الأعمال هذه أو من اعتقد يقال له: كافر؟ أم هناك قيود يجب أن يعلمها أو يجهلها أو من هذا القبيل؟

الأخت الكريمة من مصر تقول: أسأل بعض الأسئلة الخاصة بموضوع القدر:

أولاً: سؤال بالنسبة للعبارة التي قالها: ليس هناك شر مطلق، طيب: بالنسبة للكافر أليس كفره هذا شراً له؟ أي نعم هو يمكن يكون بالنسبة لوجوده في البشرة كفر بيفرق الكفر والإيمان والجنة النار؟

السؤال الثاني: حديث: (لا يرد القضاء إلا القدر)هل الإنسان مكتوب له في اللوح المحفوظ أنه لو مرض بمرض معين إنه سيرد هذا القدر بأن يدعو الله -عز وجل- أنه يشفى من هذا المرض؟

السؤال الثالث: ما الفرق بين القضاء وبين القدر؟ وفي الحديث:(لا يرد القضاء إلا الدعاء) هل الدعاء أيضًا يرد القدر؟

الأخ الكريم من مصر يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سؤالي الأول: كما هو معلوم فضيلة الشيخ أن الإيمان بالقضاء والقدر واجب وهو ركن من أركان الإيمان ولكن إذا حصل في النفس بغض أو كره وعدم رضا بالمقدور مع الإيمان بأن ذلك من عند الله هل يقدح ذلك في أصل الإيمان؟

سؤالي الثاني: ذكرتم فضيلة الشيخ أنه لا يجوز الاحتجاج بالقضاء والقدر في المعائب فكيف نرد بالحجة والدليل على من يحتج على فعل المعاصي بأن هذا مقدر ومكتوب عليه ويحتج بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُو ﴾ [الأنعام: ١٠٧]، حيث إن هذا السؤال يتردد كثيرا من تاركي الصلاة وغيرهم من أهل الضلال والعصاة؟

الأخ الكريم من الإمارات كان يسأل عن حديث عبد الله- من اتهام القدرية أو قوله بالكفر فما هي قيود التكفير من مسألة الاعتقاد؟

بسم الله الرحمن الرحيم.

ينبغي للمسلم بداية ألا يجزم في مسائل رمي أعيان المسلمين بشيء من الكفر أو النفاق أو البدعة أو الفسق أو نحواً من ذلك حتى تقام عليه الحجة الرسالية التي يؤاخذ من تركها يؤاخذ بتكفيره أو تفسيقه أو تبديعه من تركها. وأقول: الحجة الرسالية فهي حجة إذن: متعلقة بالعلم هناك علم وهناك برهان ورسالية لأنها شافية كافية كأن الذي يقيمها يقوم مقام النبي -عليه الصلاة والسلام-، فالذي كفر القدرية الأول هو عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمر هذا من سادات الصحابة ومن أوعية العلم فيهم -رضي الله تعالى عنه- فعندما كفرهم ليس معنى ذلك أن ينفتح الباب واسعاً في مسألة التكفير ولكن كما قلت دائماً أنه لا يجوز تكفير أي معين أي مسلم إلا بعد استيفاء الشروط وامتناع الموانع قد يكون جاهلاً فيعلم قد يكون متأولاً فيوقف على وجه الحق في المسألة قد يكون مكرهاً قد يكون مخطئاً قد يكون غير قاصد قد يكون ناسياً قد يكون نائماً قد يكون مريضاً قد يكون ذاهلاً فهذه كلها أعذار تمنع من وقوع التكفير -والله تعالى أعلى وأعلم-.

الأخت الكريمة من مصر كان لها سؤالين: الأول: ليس هناك شر مطلق، مقولة: ليس هناك شر مطلق، وكفر الكافر أليس الكفر شراً مطلقاً؟

جميل هذا سؤال وجيه.

الكافر هل هو بمفرده في هذا الكون أم إن هذا الكافر معه من المؤمنين ما معه؟ وكانت حكمة الله -سبحانه وتعالى- أن الصراع لا يكون بين جنس ونظيره وإنما الصراع بين جنس وضده ، فالصراع بين الإيمان والكفر، بين الكفار والمؤمنين فعندما يكون الرجل كافراً هذا شر بالنسبة له لكن خير بالنسبة للمؤمن كيف ذلك؟ أن المؤمن سيدعوه إلى الله -عز وجل- إذن: هذا خير لهذا المؤمن فالمؤمن يقوم بمقام الدعوة إلى الله -عز وجل- والإرشاد والتوضيح وما إلى ذلك وهذا خير للمؤمن. الأمر الثاني: أن هذا الكفار قد يتأثر بهذه الدعوة فيكون بعد ذلك مؤمناً. الأمر الثالث: أن هذا الكافر قد لا يتأثر بالدعوة وقد يكون هذا المؤمن من القوة بمكان بحيث يقاتل هذا الكافر فإذا قوتل هذا الكافر كان ماله وكان ولده وكان ما يملكه خيراً للإسلام والمسلمين فيكون ذلك من جملة الخير، وقال النبي-عليه الصلاة والسلام-: (وجعل رزقي تحت ظل رمحي) فكيف يكون الرزق تحت ظل الرمح دون أن يوجد حرب مع الكفار؟!! فهذه مسألة موجودة، فهذه كلها وجوه من وجوه الخير قد تكون موجودة في وجود الكافر، فالكافر إن كان كفره شراً له لكن قد يكون خيراً بالنسبة لغيره- والله تعالى أعلى وأعلم- وهذه بعض الوجوه.

سؤالها الثاني فضيلة الشيخ عن حديث: (لا يرد القضاء إلا الدعاء) هل كل هذا مكتوب في اللوح المحفوظ؟

أي نعم، الكتابة هناك كتابة أولى موجودة في أم الكتاب في اللوح المحفوظ في كتاب عند ربي ﴿لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢]، فهو فوق السماء هذا الكتاب، وهناك كتابة عمرية فالله -تبارك وتعالى- قبل أن توجد وعندما دُبت فيك الروح أمر الملك أن يكتب جملة أشياء من هذه الأشياء أن يكتب أجلك وأن يكتب عمرك وأن يكتب شقي أو سعيد، ثم هناك الكتابة السنوية، وهذه الكتابة تكتب في ليلة القدر، وهناك الكتابة اليومية، فإذن: هناك كتابة يومية وهناك كتابة حولية وهناك كتابة عمرية وهناك كتابة أولى، فعندما يقول: (لا يرد القضاء إلا الدعاء) ربما يكون ذلك فيما دون الكتابة الأولى- كما رجح بعض أهل العلم والله تعالى أعلى وأعلم-.

فضيلة الشيخ الأخ الكريم من مصر كان سؤاله الأول: الإيمان بالقضاء والقدر واجب ولكن النفس قد يصيبها عدم رضا بالقضاء والقدر هل يقدح ذلك في صلب الإيمان؟

أخرج الإمام أحمد بإسناد رجاله ثقات والحديث حديث صحيح: (أن عبادة بن الصامت لما مرض قال لولده: أي بني أجلسني، فأجلسه، ثم قال له: أي بني إنك لن تذوق طعم الإيمان ولن تبلغ حقيقته حتى تؤمن بالقدر فقال: أي أبتِ وكيف أومن بالقدر؟ قال: أن تعلم ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت النبي –عليه الصلاة والسلام– يقول: (أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة)، أي بني إنك إن مت على غير هذا دخلت النار) والمقصود أن الإنسان إذا تسخط بالقدر مع إيمانه به، هذا قادح في الإيمان بالقدر ولا يكون بذلك كافراً، ولكن هذا قادح يحتاج هذا الرجل إلى أن يجدد عهده بالإيمان مرة ثانية وألا يحدث في هذا الباب إلا ما يحبه ربنا – تعالى– ويرضاه.

كان سؤال الثالث: فضيلة الشيخ على من يحتج بالقضاء والقدر بالمعاصي ويحتج بقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُو ﴾ [الأنعام: ١٠٧]؟

هذا الاحتجاج من جنس احتجاج المشركين، لا يجوز للمسلم أن يحتج بالقدر في باب المعاصي، لا يجوز لماذا؟ لأن المعصية تجرؤ على الله –عز وجل– والله –تبارك وتعالى– لا يرضى عن المعصية وإنما يرضى عن شكره لطاعته كما قال الله –عز وجل–: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر: ٧]، يعني: ﴿وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر: ٧]، إذن: لا يرضى الكفر، وأصل المشكلة أن الناس يخلطون بين إرادة الله –عز وجل– الكونية وبين محابه ورضاه، فيظنون أن كل ما أوجده الله –تعالى– في الكون بالضرورة يكون الله –تعالى– قد أحبه ورضي عنه، لا أبدًا، فالله– تعالى– لا يحب الزنا ولا يحب القتل ولا يحب شرب الخمر، ولا يحب الاعتداء على الآمنين ولا يحب هذه الأشياء لماذا يحب هذه الأمور؟ طيب من فعل ذلك، فعلها رغماً عن الله أم بإرادة الله؟ بإرادة الله –عز وجل– طيب، فعلها بإرادة الله –عز وجل– الإرادة الكونية، ولكن لا يرضى الله –تعالى– عنها، ولا يحبها الله –عز وجل– طيب لو أنك دخلت المسجد فتوضأت وصليت وقرأت القرآن هذه الأشياء فُعلت بإرادة الله أم بغير إرادة الله؟ بإرادة الله، طيب هذه الأشياء موجودة في الكون أم غير موجودة في الكون؟ إذن: عندما تصلي إذن: أنت تصلي لأن الله –تعالى– أراد لك ذلك في كونه، ثم بعد ذلك الصلاة يحبها الله –تعالى– ويرضاها؟ نعم يحبها الله –تعالى– ويرضاها، إذن: هي من الشرع، إذن: هي من محاب الله ومراضيه إذن: هذه إرادة دينية، إذن: المطيع عندما يطيع تجتمع فيه إرادتان الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، أما العاصي فليس له إلا إرادة واحدة وهي الإرادة الكونية، فلا يجوز الاحتجاج بالقدر في مسألة الذنوب والمعاصي.

الأخ الكريم من مصر يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، كيف نفهم احتجاج سيدنا آدم بالقدر في الحديث المشهور مع سيدنا موسى؟

السؤال الثاني: الشيخ ذكر في الدرس أنه من ضمن أسباب دفع المرض هو الذهاب إلى الطبيب، يعني: التداوي، كنا سمعنا أحد المشايخ في شرح حديث الـــ (سبعين ألفاً يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، منهم الذين لا يسترقون) ففسر الشيخ الذين لا يسترقون: الذين لا يأخذون دواءً، وقال: إن التداوي منافٍ لتمام الإيمان وليس منافياً للإيمان ولكن منافٍ لتمام الإيمان فكيف نفهم ذلك؟

فضيلة الشيخ الأخ الكريم سؤاله الأول كيف نفهم احتجاج سيدنا آدم مع سيدنا موسى بالقدر؟

هذه الحديث حديث ثابت صحيح،أن (موسى –عليه السلام– قال لآدم: أنت أبونا ضيعتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى كليم الله –عز وجل– ألم تجد أن الله –تعالى– قد كتب ذلك عنده، فحاجَّ آدم موسى)، وأصل المسألة أن ليس فيها احتجاج بالقدر، موسى يقول لآدم: يا آدم أنت خلقك الله –تعالى– بيده ونفخ فيك من روحه، ثم ضيعتنا وأخرجتنا من الجنة، إذن: هنا يحتج عليه بماذا؟ بمصيبة، يعني: تصور لو أنك مثلاً كنت في الجنة تتنعم فيها وتأكل من أكلها وشربها وملاذها نعمة سابغة، وبعد ذلك خرجت منها إلى الدنيا، إذن: هذه مصيبة أم ليست مصيبة؟ إذن: مصيبة فحاجه آدم بالقدر، فاحتج بالقدر على المصيبة فليس هناك من ذنب، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له. والله –تبارك وتعالى– تاب عن آدم عندما عصى آدم ربه ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ [طه: ١٢٢]، فكيف بعد أن يتوب عليه ويهديه إلى التوبة بعد ذلك يكون أيضًا عاصياً؟ كيف يكون ذلك؟ فلو أن رجلاً من عصاة الناس تاب ما جاز لأحد أن يعيره بمعصيته، فكيف بنبيٍّ من أنبياء الله –عز وجل–، فليس هذا من باب الاحتجاج بالمعصية، ولكن هذا من باب الاحتجاج بالقدر على المصيبة – بإذن الله تعالى– واضح يا إخواني.

سؤاله الثاني: فضيلة الشيخ، عن قولكم دفع المرض بالتداوي، وحديث (السبعين ألفاً يدخلون الجنة ومنهم الذين لا يسترقون)؟

هذا الحديث حديث ثابت صحيح وهو حديث عكاشة بن محصن –رضي الله تعالى عنه– عندما رفع سواد عظيم فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (هؤلاء أمتي) حديث عبد الله بن عباس، (هؤلاء أمتي فقيل: لا، ثم رفع سواد أعظم منهم حتى قيل: هؤلاء أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب، فقام رجل يسمى عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادعُ الله أن أكون منهم، فقال: أنت منهم ثم بعد ذلك قام آخر فقال: يا رسول الله ادعُ الله أن أكون منهم، فقال: سبقك بها عكاشة) هذا الحديث أما الصحابة عندما قال النبي –عليه الصلاة والسلام– (ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب، بات الصحابة يلوكون بينهم: من هؤلاء؟ هل هؤلاء؟ الذين لم يشركوا أصلاً؟ هؤلاء هم ذريتنا الذين لم يدركوا الجاهلية؟ من هؤلاء؟ فخرج عليهم النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) الاسترقاء هو طلب الرقية، والاكتواء طلب الكي، والتطير معلوم، وهو نوع من التشاؤم الإشكال في الأمرينك اللذين هما الاكتواء والاسترقاء، لأن الكي والرقية اختلف العلماء في هذه المسألة اختلافاً بيناً لو قلنا بأن الرقية من باب التداوي هل تركها هو الأصل أم فعلها هو الأصل؟ فعلها الأصل أو تركها الأصل؟ لقد ثبت أن النبي – عليه الصلاة والسلام– كان يرقي نفسه، فلما مرض كان النبي –صلى الله عليه وسلم– ترقيه عائشة –رضي الله تعالى عنها– وثبت أن النبي –عليه الصلاة والسلام– رقى الحسن والحسين فالمشكلة ليست في الرقية ولكنها في طلب الرقية، فالرقية صحيحة ثابتة، ولكن الإشكال في طلب الرقية، إن الإنسان يكون مريضاً ويطلب من الآخر أن يرقيه، الكلام الصحيح– والله تعالى أعلى وأعلم– أن طلب الرقية بالفعل مناف لكمال الإيمان لا لأصل الإيمان يعني: لا يقدح في أصل الإيمان ولكنه مناف لكمال الإيمان لماذا؟ لأن القلب عندها يلتفت لغير الله –عز وجل– يعني: واحد مثلاً مريض يقول للآخر: أنا مريض ضع يدك هنا وارقيني، كأنه بذلك يكون ملتفتاً بقلبه عن الله – عز وجل– ولو عرض فقال إني مريض ادعُ الله –عز وجل– أن يشفيني، فتحرك الآخر ورقاه لكان ذلك أوفق وأحسن، وأحسن من الاثنين ألا يعرض ولا يستشرف وأن يترك الأمر لله –عز وجل– ولذلك قال النبي –صلى الله عليه وسلم– في آخر الحديث: (وعلى ربهم يتوكلون) لكن هل يؤسس على ذلك قياس التداوي على الرقية؟ هذه مسألة أخرى، يعني: نحن قلنا إن الرقية مشروعة، والإشكال في طلب الرقية، وإن طلب الرقية مناف ليس لأصل إيمان ولكن لكمال الإيمان وفيه هناك ثلاثة حاجات حتى أبين كلمة يسيرة فيه هناك أصل إيمان وهناك الإيمان الواجب وهناك الإيمان المستحب أو كمال الإيمان، أصل الإيمان كالرأس بالنسبة للجسد إذا انتفى انتفى الجسد وهو شهادة الحق، عندنا بعد ذلك الإيمان الواجب ، كالمباني الأربعة والصلاة فيها نزاع وحالها بالنسبة لبقية الدين، كحال اليد بالنسبة للبدن فاليد لو قطعت لكان البدن قائماً ولكنه مع العجز والنقص أما بالنسبة للإيمان المستحب فحاله كحال شعر الرأس مثلاً بالنسبة للبدن، فيكمل الإنسان بشعر رأسه ويجمل، ولذلك يحلق هذا الشعر

ذلاً لله -عز وجل- عند المشاعر فطلب الرقية ليس قادحاً في أصل الإيمان وليس قادحاً في الإيمان الواجب وإنما هو قادح في ماذا؟ في الإيمان المستحب أو كمال الإيمان.

المسألة التي أثارها الأخ وهي قياس التداوي على الرقية، أظن أن هذا القياس يحتاج إلى تأمل لأن التداوي يا ترى هل هو من جنس المشروع أم هو من جنس المباح؟ المسألة هذه فيها نزاع، فلا نريد أن نحسم مسألة وقع فيها نزاع، والذي أميل إليه أن التداوي مباح، فمن تداوى جاز له ذلك، ومن ترك التداوي لم ينكر عليه، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (تداووا عباد الله)، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (شفاء أمتي في ثلاث: في شرطة محجم وكية نار، وشربة عسل) وثبت أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أمر بالحجام فاحتجم النبي -عليه الصلاة والسلام- كما ثبت أن النبي -عليه الصلاة والسلام- أمر بعض الصحابة أن يكوي غيره حسمًا لجرح أو طلباً لشفاء أو نحواً من ذلك، هذا كله ثابت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فالتداوي أصله مباح، وقياس التداوي على الرقية هذا يحتاج إلى تأمل- والله تعالى وأعلم-.

إجابات الحلقة الماضية:

كان السؤال الأول: اثبت أن كلام الله حقيقة بصوت وحرف؟

وكانت الإجابة:

مما يدل على أن كلام الله بصوت وحرف أنه تعالى كلم الملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠]، وأنه كلم آدم -عليه السلام-: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ ﴾ [الأعراف: ١٩]، وأنه كلم إبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [الأعراف: ١٢]، وأنه كلم موسى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وأنه كلم سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- ليلة الإسراء والمعراج.

السؤال الثاني: دلل على أن القرآن منزل من عند الله ليس بمخلوق؟

وكانت الإجابة: مما يدل على أن القرآن منزل من عند الله ليس بمخلوق كلام أهل السنة والجماعة: « القرآن كلام الله حقيقة منه بدء وإليه يعود فكلم الله موسى وكلم نبيه سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-، والقرآن ليس بمخلوق فيبيد أي لا ينتهي وينقرض، ولا صفة لمخلوق فينفد، القرآن محفوظ من الله -عز وجل- قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، القرآن نزل به جبريل من عند الله على نبينا محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- بلسان عربي مبين، قال الله -تعالى-: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٢، ١٩٣]، إلى آخر الآيات.

معنا سؤال فضيلة الشيخ من الأخت الكريمة من مصر تقول: السلام عليكم ورحمه الله وبركاته قرأت في تفسير الآية: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢٢]، أنها رد على القدرية، أرجو توضيح ذلك؟

هذه الآية ﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ ﴾ [المجادلة: ٢٢]، هنا موضع الاحتجاج ﴿أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي

قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ ﴾، فالكتابة لا تكون إلا بعلم فلما علم الله – تعالى– فيهم الإيمان كتبه فهذا هو موضع الشاهد ليس صدر الآية– والله تعالى أعلى وأعلم.

فضيلة الشيخ الأخ الكريم من الولايات المتحدة الأمريكية يقول: هل هذه الجملة صحيحة أن الله يقضي في كل ليلة برد الأنفس أو إمساكها وهي من قوله تعالى: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا المَوْتَ ﴾ [الزمر: ٤٢]، إلى نهاية الآية فهل الله –عز وجل– يقضي في الليلة ذاتها أم أنه قد قضي وانتهى الأمر؟

لا تعارض بين الاثنين لأن هناك القضاء الذي قضى الله –تعالى– به وهو القضاء الأول، ثم هناك الكتابة اليومية– والله تعالى أعلى وأعلم.

فضيلة الشيخ الأخ الكريم من المغرب يقول: السلام عليكم ورحمه الله وبركاته، ما معنى قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) وهل هذا يعني أن أهل الشقاء ميسرون لعمل أهل الشقاء وعكس ذلك صحيح؟

المقصود من ذلك ألا تفكر إلا فيما يصلحك وينفعك فأنت عبد فافعل كما يفعل العبيد، أمرك سيدك أن تؤدي عملاً فلا تفكر عندما أؤدي هذا العمل ماذا أصنع ولكن يكن كل تفكيرك أن ترضي سيدك بإنجاز هذا العمل حتى يوفقك الله –تعالى.

فضيلة الشيخ هلا تفضلتم بإلقاء أسئلة هذه المحاضرة:

هناك سؤال واحد فقط.

هذا السؤال: تصور مناظرة بين مؤمن بالقدر ومنكر له أو مشكك فيه؟

فقط هذا هو السؤال.

الدرس الثامن

إثبات الساعة و البعث والجزاء

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وكفى وصلاة وسلامًا على عباده الذين اصطفى، اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك على النبي محمد المجتبى وعلى آله وأصحابه وأحبابه ومن اهتدى ثم أما بعد.

فهذا لقاء متجدد، نسأل الله- تعالى- أن يجدد بالخير قلوبنا وأن يهدينا إلى صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وهذا اللقاء سيكون حول الإيمان بالرسل. والإيمان بالرسل أصل من أصول الدين قال المصنف - عليه رحمة الله-: (الباعث الرسل إليهم لإقامة الحجة عليهم ثم ختم الرسالة والنذارة والنبوة بمحمد نبيه -صلى الله عليه وسلم) فهنا عدة أصول:

الأصل الأول: أن الإيمان بالرسل من أصول الإيمان، يدل على ذلك الحديث الصحيح الذي فيه أن النبي - عليه الصلاة والسلام- عندما أجاب جبريل فقال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره) فدل ذلك على أن الإيمان بالرسل أصل من أصول الإيمان وقال الله - تبارك وتعالى- أيضًا ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فإيمان النبي -عليه الصلاة والسلام- وإيمان المؤمنين أنهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله ولا يفرقون بين رسل الله -عز وجل- وقال الله - تعالى- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦]، إذن: هذا بيان أيضًا أن الإيمان بالرسل أصل أصيل من أصول الإيمان.

إذن: الأصل الأول وهو العنصر الأول من عناصر لقاء اليوم المبارك: أن الإيمان بالرسل أصل من أصول الإيمان.

الأصل الثاني: الإيمان بالرسل يكون مجملاً ومفصلاً، يكون مجملاً أي: من غير تعيين، ومفصلاً أي بتعيين الأشخاص ومعرفة الأحوال، فالإيمان المجمل: أن تؤمن بأن الله - تعالى- أرسل رسلاً وهؤلاء الرسل أرسلهم إلى الإنس والجن وأمر الله - تعالى- رسله أن يبلغوا الناس دينهم وأن يوقفوهم على طريق الهداية والنجاة، إذن: أنت تؤمن بذلك إيمانًا جازمًا وتؤمن بأن الرسول ذكر، بالغ، عاقل، يُوحى إليه، ذكر: لابد أن يكون النبي رجلاً، النبي لابد أن يكون رجلاً، فلا يصح أن تتصور النبوة في حق امرأة فما أرسل الله - تعالى- نبية ولا رسولة، وإنما جعل المرسلين والأنبياء من الرجال.

الأمر الثاني: لا تُتَصور النبوة والرسالة إلا في بني آدم، فليس في الجن رسول ولا نبي وليس في البهائم رسول ولا نبي؛ لأن بعض الذين تدنت آرائهم في بعض مسائل الاعتقاد وبالتحديد رجل معتزلي يسمى أحمد بن حابط ذكر أن الرسالة جعلها الله - تعالى- في الأمم كلها فأمة النمل لها رسول وأمة النحل لها رسول وأمة الضفادع لها رسول وأمة البهائم لها رسول، وهكذا، واستدل على ذلك بقول الله - تعالى-: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤]، فدلل بذلك على مقولته الفاسدة، وهذه مقولة حابطة، قالها أحمد بن حابط.

فالرسالة لا تكون إلا من بني البشر، فلابد أن يكون رجلاً، ذكرًا ولك أن تقول: هل الجن لا يُتصور أن يوجد لهم الرسل أو أن يوجد من بينهم رسل؟ لا.. الجن يوجد من بينهم النذر، الذين يُنذرون ويبينون ويوضحون فالنذر

بين الجن كالعلماء بين الإنس، ويدل على ذلك قول الله -عز وجل-: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، إذن: النذارة كانت عندهم فالجني الذي سمع القرآن وآمن بالله -عز وجل- وآمن بالرسول -صلى الله عليه وسلم- ينقلب إلى قومه بعد إيمانه منذرًا فيبين لهم معالم الدين ويبين لهم الأمر والنهي كما يفعل العالم من بني الإنسان، ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴿٢﴾ ﴾ [الجن: ١، ٢]، فهذا دلالة على أن الجن سمعوا القرآن وسمعوا النبي -عليه الصلاة والسلام- وتأثروا بالقرآن وآمن طائفة منهم بكتاب الله -عز وجل- وبالنبي -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- إذن: الإيمان المُجمل بأن تعلم بأن الله - تبارك وتعالى- أرسل رسلاً من بني الإنسان، بالغين عاقلين كلفهم بهذا الوحي ليبلغوه للناس، هذا الإيمان المجمل.

الإيمان المفصل: هناك أسماء ذكرها الله -عز وجل- كما قال- سبحانه-: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ [النساء: ١٦٤]، إذن: هناك رسل كثر أرسلهم الله -عز وجل- إلى البشر، ولما أقول: البشر يدخل مع البشر الجن؛ لأن الجن مُكلفون أيضًا؛ لأن الجن أمة تكليف، فأرسل الله - تعالى- رسلاً كثراً منهم من قص الله - تعالى- علينا خبره من اسمه وحاله ومنهم من لم يقصص علينا شيئًا من ذكره، اجتهد بعض المفسرين في عدد الرسل. هناك من أبلغهم إلى عدة عشرات من الآلاف وهناك من أبلغهم إلى عدة مئات من الآلاف وهذه كلها أقوال مرسلة ليس عليها دليل ولا برهان، ولكن الثابت في كتاب الله -عز وجل- أن الله - تعالى- ذكر خمسة وعشرين رسولاً ونبياً خمسة وعشرين نبياً ورسولاً ذكرهم الله - تعالى- في كتابه- سبحانه- فالواجب علينا عندما نسمع اسم رسول أو نبي نؤمن به، كيف نؤمن به؟

أولاً: نعتقد أن الله - تعالى- أرسله ، أو أن الله - تعالى- أوحى إليه، هذا أولاً.

الأمر الثاني: أن نحب هذا الرسول.

الأمر الثالث: إذا ذكر الله - تعالى- لنا طرفًا من قصته، أو من حاله، تمثلنا هذا الحال، واستشعرنا أن لو أن الله - تعالى- جعلنا في هذا المقام لكنا من أنصاره وكنا من أعوانه وكنا من مؤيديه ومعزريه ومتبعي النور الذي أتى به، إذن: المعرفة والمحبة والنُصرة، هذا ما ينبغي أن يكون في حق كل نبي، ننصره علميًا وننصره قلبيًا وندفع عنه ولو أن إنساناً شكك فيه أو همزه أو لمزه فإنا نجتهد في الدفع عن هذا النبي. فالإيمان مُجمل ومفصل، الإيمان بالرسول مُجمل ومفصل، المجمل أن الله - تعالى- أرسل رسلاً وهؤلاء الرسل من بني البشر وأرسلهم إلى أقوامهم منهم من أرسل إلى قومه خاصة ومنهم من أرسل للناس كافة كالنبي -عليه الصلاة والسلام- هذا إيمان مجمل ومن الإيمان المجمل أيضًا: الإيمان بعدد الأنبياء الذين ذكر الله - تعالى- لنا أسماءهم، وهذه الحيثية من الإيمان المجمل قد يكون مفصلاً إذا فصل الله - تعالى- لنا أحوالهم فقد ذكر الله - تعالى- آدم وقصته وذكر الله - تعالى- نوحًا وقصته وذكر الله - تعالى- أيضًا إبراهيم وقصته، وذكر الله - تعالى- أيضًا لوطًا وقصته وموسى وقصته وعيسى وقصته ومحمد -صلى الله عليه وسلم- وطرفًا كثيراً مما حصل له ومعه، وكذلك عيسى- عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- وقص علينا طرفًا من قصة ذي النون، وهكذا في كل نظير فعندما يُفَصَّل الذكر مع نبي فلابد أن نؤمن بما ذكر الله -عز وجل.

لابد أن ننتبه إلى أن بعض المغرضين قالوا: بأن القرآن الكريم لا يُعد وثيقة تطمئن القلوب إلى الأحداث والأخبار التي حواها هذا الكتاب، بعضهم قال هذا الكلام وهذا كلام فاسد فالله - تبارك وتعالى- إذا قص طرفًا أو قص خبرًا، عن رسول أو نبي فقد وقع ذلك حقًا ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً ﴾ [النساء: ٧٨].

الأصل الثالث: وهو العنصر الثالث في لقاء اليوم: أن الإيمان برسول يستلزم الإيمان بكل الرسل، قال النبي – عليه الصلاة والسلام-: (وكان الرسول يُبعث إلى القوم خاصة وبعثت إلى الناس عامة) فكل قوم أرسل الله – تعالى- إليهم رسولاً وهذا قوله – تعالى-: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُول ﴾ [الإسراء: ١٥]، فالله – تعالى- لا يُعذب قومًا إلا بعد أن يبين لهم ما يتقون، إلا بعد أن يبين لهم طريق الخير وطريق الشر، فهذا البيان وهذه النذارة، إنما يتأتى على يد من يُرسله الله –سبحانه وتعالى- فأرسل الله – تعالى- نوحًا إلى قومه وأرسل الله – تعالى- هودًا إلى قومه، وأرسل صالحًا إلى قومه وأرسل موسى إلى قومه وأرسل لوطًا إلى قومه، طيب عندما كذب قوم نوح نوحًا، هل كذبوا نوحًا فقط؟ لا.. قال الله –سبحانه وتعالى-: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ المُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٥] –سبحان الله- مع أن نوح أول المرسلين، آدم أول الأنبياء ونوح أول المرسلين وما بين آدم ونوح عشرة قرون كما قال عبد الله بن عباس: (كلها على التوحيد) فلما ظهر الشرك على الأرض وانتشر أرسل الله – تعالى- عبده نوحًا ليدعو إلى الله –عز وجل- ومكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ودعاهم ليلاً ونهارًا، فلم يزدهم دعاء هذا الرسول لهم إلا فرارًا، وقصة نوح مذكورة بتمامها في أكثر من موطن، ستجدها مثلاً مبسوطة في سورة هود، وتجدها أيضًا مبسوطة في سورة سميت باسمه وهي سورة نوح، قال الله –عز وجل- عندما بين أن قوم نوح كذبوه فقال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ المُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، فلأنهم كذبوا نوحًا فقد كذبوا بجميع المرسلين، فقد كذبوا بجميع المرسلين، وكذلك ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ المُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٢٣]، من الذي أرسل إلى عاد؟ هود –عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- هم لم يكذبوا محمدًا ولم يكذبوا موسى ولا عيسى وإنما كذبوا هودًا فلما كذبوا هودًا كانوا مكذبين بكل الأنبياء السابقين واللاحقين، وكذلك- أيضًا- قال ربي- سبحانه-: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ المُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٤١]، من الذي أرسل إلى ثمود؟ الذي أرسل إليهم صالح، ومع ذلك قال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ المُرْسَلِينَ ﴾ فمن كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين وقال –سبحانه وتعالى- أيضًا: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ المُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٠]، فمن كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين وقال النبي –عليه الصلاة والسلام- في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم: (والذي نفسي بيده ما من يهودي ولا نصراني يسمع بي ثم لا يؤمن إلا أدخله الله النار)- سبحان الله- إذن: ينبغي أن نعلم أن كل إنسان بلغته دعوة رسول ينبغي أن يؤمن بهذا الرسول لاسيما إذا كان هذا الرسول هو الرسول الخاتم –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم – فمن بلغته دعوة هذا الرسول يجب عليه أن يدخل في هذه الدعوة وأن يُسارع مُنقاداً محباً مختارًا الدخول في دين هذا الرسول فإن لم يفعل فقد كذب بموسى وكذب بعيسى وكذب بإبراهيم وكذب بداود وكذب بسليمان وكذب بالرسل جميعًا، لأن الذي يقول: أنا أؤمن بموسى ولكن لا أؤمن بمحمد فهو كاذب في دعواه، فمن كذب بمحمد فقد كذب بموسى حتى لو كان زاعمًا بأنه يؤمن بموسى، ومن قال: إني أؤمن بعيسى ولكن لا أؤمن بمحمد –صلى الله عليه وسلم- فهو كاذب في دعواه لأن من آمن بعيسى يجب عليه أيضًا أن يؤمن بمحمد –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

الأصل الرابع: هو الفارق بين الرسول والنبي: هذه المسألة كثر كلام الناس فيها وكان التفريق تفريقًا هشًا كأن يقال: بأن الرسول أوحى الله – تعالى- إليه بشرع أُمر بإبلاغه، أما النبي فلم يؤمر بإبلاغ هذا الشرع –سبحان الله- نبي لم يؤمر بإبلاغ شرع الله –عز وجل- إذن: هذا شرع لهذا النبي، طيب إذا وجد أحدًا يخالف هذا الشرع الذي يعلمه هل يتركه؟ أم يأمره وينهاه؟ لو أمره ونهاه لكان بذلك مبلغًا هذا الشرع، هذه أو هذا تفريق ليس بالسديد.

بداية ما معنى النبي؟ النبي والنبيء هو المخبر عن الله –عز وجل- ولذلك عندما نبحث في المعاجم كي نعرف معنى كلمة "نبي" نبحث عن هذه الكلمة في مادة ماذا ؟ من الذي يعلم؟

في مادة نب

في مادة نبأ، النون والباء والهمزة، إذن: النبي مُخبر؛ لأنه من الفعل أنبأ، فهو مخبر عن الله -عز وجل- فكل من أوحى إليه الله -عز وجل- فهو نبي، والنبي هو المُخبر عن الله، لكن ما الفارق بين النبي والرسول؟
باختصار شديد جدًا:

- أن الرسول من بعثه الله -عز وجل- إلى المخالفين ليبين لهم ما يتقون، إذن: التفريق بين النبي والرسول سيكون باعتبار المرسَل أو المُبعَث إليهم، ليس باعتبار المُبعَث ولكن باعتبار المُبعَث إليهم، فلو كان المُبعَث إليهم من المخالفين المكذبين إذن: المبعث يسمى رسولاً، وإذا كان المبعث إليهم من الموافقين أهلَ الدين فالمُبعث إليهم نبي، أهل الدين لو حرفوا الدين وغيروا الدين وتركوا الدين فإنهم يحتاجون إلى من؟ إلى رسول، انتبه، إذن: طالما أهل الدين هم مقيمون على الدين مطيعون فيحتاجون إلى نبي، فيكون النبي بينهم كالعالم بين المسلمين، يأمرهم وينهاهم ويعظهم ويذكرهم، ولذلك قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: (العلماء ورثة الأنبياء) لم يقل: العلماء ورثة الرسل، لماذا؟ لأن الرسل إنما تبعث إلى المخالفين، قال الله -عز وجل-: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ انتبه وظنوا أنهم ماذا؟ قد كذبوا ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ﴾ [يوسف: ١١٠]، إذن: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ فالرسول إنما يبعث إلى المخالف ليبين له الدين، ليقيم عليه الحجة ليبين له طريق الهداية، ليزيل عنه الغِشاوة والضلالة فهذا كله أمر واضح.

أما القول: بأن الرسول من كان معه شرع جديد والنبي من ليس معه شرع جديد، هذا كلام غير دقيق أرأيتم قول مؤمن آل فرعون عندما قال لقومه: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾؟ [غافر: ٣٤]، إذن: يوسف رسول وقال الله -عز وجل- عنه: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي﴾ [يوسف: ٣٨]، إذن: هو على ملة آبائه إبراهيم وإسحق ويعقوب، فهو على ملة آبائه وعلى شرعة آبائه ومع ذلك سماه الله - تعالى- رسولاً، سماه الله - تعالى- رسولاً لماذا؟ لأنه كان مع المخالفين في الدين، فلما كان مع المخالفين في الدين كان بينهم ماذا؟ كان بينهم رسولاً، إذن: هذا فارق دقيق بين الرسول وبين النبي.

وهذا الفارق بينه ربنا -سبحانه وتعالى- في قوله- سبحانه-: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ﴾ العطف- كما يقول الأصوليون- يقتضي المغايرة، عندما يقول: أكلت خبزا ولحما، فالخبز غير اللحم ضرورة، أقول: كتبت بالقلم الأسود والأزرق، إذن: الأسود غير الأزرق، قولاً واحداً، فكذلك في قول الله -عز وجل-: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ﴾ فهذا يقتضي أن الرسول غير النبي لو قلنا: من جهة التكليف بالوحي فإن النبوة أوسع، فالرسول نبي لأنه يُوحى إليه وأن الله - تعالى- ينبئه وأن الله - تعالى- يخبره فهو نبي من هذه الحيثية ولكن من حيثية أنه أرسل إلى المخالفين المكذبين المعاندين فهو رسول.

أيضًا عندما ننظر إلى داود وسليمان ذكر الله - تعالى- أنهم أنبياء، وأنهم أيضًا رسل وكانوا على شريعة موسى -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام-، إذن: هذا تفريق باعتبار المبعث إليهم، وهذا الكلام أفاده- بعناية- شيخ الإسلام ابن تيمية وله في ذلك كتاب رائق يسمى النبوات فليراجعه من شاء.

الأصل الخامس أو النقطة الخامسة: وهي أن الأنبياء معصومون:

وعصمة الأنبياء مجمع عليها، والصحيح أن الأنبياء معصومون من الوقوع في الشرك والكبائر لا يُتصور أن يقع نبي في شرك لا قبل البعثة ولا بعدها، فالله - تبارك وتعالى- عصمهم من الوقوع في الشرك قبل وبعد البعثة، وكذلك الكبائر فالأنبياء لا يأتون الكبائر، أما بالنسبة إلى الصغائر فهذه مسألة فيها كلام والصحيح أن النبي قد يقع في الصغيرة ولكن هنا قيدان:

- القيد الأول: يقع فيها دون قصد تأويلاً.

- الأمر الثاني: أنه يتوب إلى الله -عز وجل- مما صنع فيكون مقامُه بعد الذنب أفضل من مقامه قبل الذنب.
إذن: عندنا ثلاث جمل، الجملة الأولى: أن الأنبياء معصومون من الشرك قبل وبعد البعثة الجملة الثانية: أن الأنبياء معصومون من الكبائر.

الجملة الثالثة: أن الأنبياء يتصور أن يقع بعضهم في الصغائر، وإذا وقعوا في الصغائر لا يقعون فيها عمدًا ولكن يقعون فيها خطأ بالتأويل ونحوه ثم لا يقرون على ذلك الذنب، بل يتوبون منه فيكون مقامهم وحالهم بعد الذنب أفضل من حالهم ومقامهم قبل الذنب، تفصيل ذلك ما يلي:

الأنبياء معصومون من الوقوع في الشرك، لا يُتصور أن يقع نبي في الشرك لكن بعض الناس توهم ذلك، بعض الناس توهم إمكانية وقوع الأنبياء في الشرك قبل البعث، واستدل على ذلك بقول الله -عز وجل-: ﴿قَالَ المَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ انتبهوا معي وتأملوا: ﴿قَالَ المَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ﴾ اسمع هذا: ﴿يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَ﴾ أو لتعودن: اسمع، أو لتعودن في ملتنا، ﴿قَالَ﴾: أي قال شعيب: ﴿أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨]، أي: كنا كارهين أن نعود في ملتكم، إذن:﴿قَالَ المَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف: ٨٨، ٨٩]، فقالوا: هذا نص في أن شعيب كان على ملة قومه ولذلك قال: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَ﴾ فهذا نص في هذه المسألة. هذه شبهة، ليست دليلاً لأن الدليل ما يستضاء به أو ما يتوصل به للوصول إلى المطلوب الذي هو الحق، لكن عندما تتلبس عليك الأمور ببعض المسائل العلمية فهذا الأمر الذي لُبِّس عليك بسببه هذا السبب يسمى شبهة، يمكن أن يُسَلَك هذا الأمر على نحوين، النحو الأول: أن يقال: بأن عاد بمعنى صار، إذن: قال: الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتصيرن في ملتنا، وتحمل معنى العود إلى معنى الصيرورة في تمام الآية هذا قول، القول الثاني: أوجه من هذ القول وأنا أميل إليه، القول الثاني: أن يقال: إن هذا الخطاب وإن كان موجهًا لشعيب وإن كان شعيب هو الذي باشر هذا الخطاب إلا أن المقصود غير شعيب ولكن لما كان هذا النبي مخالطاً أصحابه وأتباعه، فكان هو المتكلم بلسانهم فلم يشأ أن يخرج عن جملتهم إذن: هو ليس معنياً ليس هو بالمعني في هذا الخطاب، وهذا له نظائر في كتاب الله -عز وجل- كقوله الله - تعالى-: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، هل يتصور أن النبي -عليه الصلاة والسلام- يشرك بالله وبالتالي يهدده الله -عز وجل- ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾؟ كيف يكون ذلك؟ أبدًا، فهذا خطاب للنبي -عليه الصلاة والسلام- والمقصود به غير النبي -عليه الصلاة والسلام- كذلك قول الله -عز وجل-: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]، هل يُتصور أن النبي -عليه الصلاة والسلام- يكون في شك مما أنزله الله - تعالى- عليه؟ كلا وحاشا، كيف ذلك؟ لا يمكن أبدًا لا يتصور أبداً، إذن: هذا الخطاب لمن؟ للنبي؟ أبدًا، وإنما هو لغير النبي -صلى الله عليه وسلم- إذن: عندما قال شعيب: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَ﴾ هذا الخطاب ليس معنيًا به وإنما يقصد به غيره.

أيضًا قالوا: في قصة إبراهيم عندما نظر إلى الكوكب ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى القَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ القَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ يعني: انظر: الشمس بارغة لم يقل في القمر: بازغًا لكن في الشمس: بازغة ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ أكبر من الكوكب وأكبر من القمر ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٦- ٧٩]. فقالوا: هذا سياق فيه دلالة على أنه لم يكن مناظرًا وإنما كان ناظرًا، هذا كلام- وإن قاله بعض أهل العلم- لكن هذا الكلام

يحتاج إلى تأمل. ما الفارق بين كون إبراهيم ناظرًا وبين كونه مناظرًا؟ الفارق بين الاثنين أن ناظرًا كان تائهًا، حائرًا، غير مهتد يريد أن يهتدي يريد أن يعرف الحقيقة، فأراد أن ينظر وكان قومه يعبدون الكواكب من دون الله فأراد أن ينظر إلى هذه المعبودات التي تعبد من دون الله فعندما نظر وجد الكوكب قال: هذا رب، ثم بعد ذلك قال على القمر عندما أفل الكوكب: هذا رب، ثم بعد ذلك قال للشمس: هذا رب، هذا كلام لا يمكن أن يكون مقبولاً، لماذا؟ لأن لو قلنا: بأن إبراهيم كان تائهًا حائرًا غير مهتد، هذا طعن في عصمة الأنبياء. الأمر الثاني: أن الله – تعالى– قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥١]، والصحيح أن إبراهيم كان مناظرًا– سياق الآيات يدل على أنه كان مناظرًا– كان يناظر قومه، فكأنه يقول: أنتم تعبدون الكواكب من دون الله، تعبدون الكوكب وتعبدون القمر وتعبدون الشمس، فهيا أتنازل معكم إذا كنتم تعبدون الكوكب فإنه يأفل فكيف يكون رب قيوم قائم على هذا الكون يغيب عن كونه؟ كيف يكون ذلك؟ إذن: لا يصح أن يكون هذا بالإله، لا يصلح، ﴿فَلَمَّا رَأَى القَمَرَ ﴾، قال: هذا هو ربكم بزعمكم ؟ ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ ﴾ قال: لا يصح أن يكون ذلك إلهًا رباً تصرف إليه القلوب وتتجه إليه الخلائق بأعمالها ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً ﴾ قال: هذا ربي، ليقيم الحجة عليهم ويبين لهم فساد ما يعبدون، إذن: ليس في ذلك دلالة أبدًا على أنه كان ناظرًا يريد أن يهتدي كان ضالاً كان حائرًا يريد أن يعرف. حاشا وكلا بدليل الكلمات التي أتت بعد ذلك كلمات لا يقولها من كان تائهًا منذ لحظة، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٨– ٨٠]، أي: هدانِ إلى الحق وجعلني عليه وصيرني إليه فهذا سياق لا يدل على ما زعموا أن إبراهيم كان تائهاً كان ضالاً قبل البعثة والله – تبارك وتعالى– هداه بعدها، هذا كلام لا يصح، فإجماع أهل السنة على أن الأنبياء معصومون من الوقوع في الشرك والصحيح أن هذه العصمة عصمة مطلقة متصلة من الصغر إلى الممات.

نأتي بعد ذلك إلى مسألة الأنبياء والكبائر:

بعض الناس يظن أن النبي قد يقع في الكبيرة ويمثلون على ذلك بقصة ذي النون: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، نقول لهم: رويدًا حسبكم، ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبِ ﴾ مغاضب: على وزن مُفاعل من الفعل غَاضب فالفعل غَاضب فيه معنى المُفاعلة غاضبت فلانًا إذن: هو غاضبني وأنا غاضبته، فحصلت بيننا مُغاضبة، هذا دلالة اللغة، يا ترى يونس بن متى غاضب من؟ غاضب ربه أم غاضب قومه؟ قومه. إذن: ليس في الآية ما يدل على ما ذهبوا، ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبِ ﴾ أي: ذهب مغاضبًا لقومه، فليس في ذلك ما يُشار إليه من جنس ما يظنون.

نأتي إلى مسألة النبي والذنب:

أولاً: ليس هناك من نبي يقع في الذنب اختيارًا، قصدًا، عمدًا، وإنما يقع النبي في الذنب– الصغيرة– ظنًا أنه ليس بذنب، إذن: وقوعه في الذنب بالتأويل بدون قصد خطأ، يقع في الذنب خطأ دون تأويل، يقع في الذنب خطأ بتأويل دون قصد.

ثانيًا: أن النبي إذا وقع في ذلك يُحدث من التوبة والإنابة والإخبات والرجوع ما به ينفتح عليه أبواب كثيرة من الخيرات فيكون حاله بعد التوبة وبعد التوب والرشاد خير من حاله قبل ذلك، نضرب عدة أمثلة على ذلك:

المثال الأول: آدم –عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام– آدم أخبر ربنا –سبحانه وتعالى– عنه: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾ ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢]، –سبحان الله– وأشرت قبل ذلك إلى هذه المسألة في اللقاء الفائت، كيف وقع آدم في الذنب؟ الذي حدث أن الله – تبارك وتعالى– أطلق له الجنة يأكل منها حيث شاء، وكيف شاء ولكن حذره أن يأكل من شجرة بعينها، كما حذره من إبليس، فأتى إليه

إبليس وقال يا آدم: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى ﴾ [طه: ١٢٠] إذن: عندما أكل آدم من الشجرة كان يريد الخير لنفسه، وجد الجنة وجد فيها النعيم والنَعْمة والسِتر والخير والكرم والجود وما إلى ذلك، فوسوس إليه إبليس وأغراه إبليس فظن آدم أنه لو أكل من هذه الشجرة سيتأبد خلوده في هذه الجنة فكانت هذه معصية من آدم –عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام– وبيَّن ربنا –سبحانه وتعالى– في سورة طه، أنه عندما أكل من الشجرة أكل منها نسيانًا في قوله – تعالى–: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [طه: ١١٥]، أليس كذلك في القرآن؟ إذن: النسيان ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ إذن: قلبه لم يقصد الوقوع في الذنب قلبه لم يلتفت إلى الذنب فإن التفات القلب إلى الذنب أعظم من الوقوع في الذنب، لماذا؟ لأن القلب إذا التفت إلى الذنب تحجب عنه التوبة وتتأخر عنه، إذا لم تُحجب عنه تتأخر عنه فيترد ويتردى ويتردى، أما إذا وقع في الذنب فقد يتوب سريعًا ويؤوب ويفيء سريعًا ويحدث من التوبة والإنابة والاستعاذة والاستغفار والإخبات والعمل الصالح ما يرفعه الله – تعالى– فيكون ذلك الذنب خيراً له، ولذلك قالوا: «رب طاعة أدخلت صاحبها النار ورب معصية أدخلت صاحبها الجنة، فقيل: كيف ذلك؟ قال: رب طاعة أورثت صاحبها عزًا واستكبارًا يستكبر في طاعة الله –عز وجل– ورب معصية أورثت صاحبها ذلاً وانكسارًا»، إذن: يمكن للإنسان إذا فعل الذنب ينكسر قلبه وينذل فيفتح الله – تعالى– عليه أبوابًا كثيرة من الخيرات، طيب إذا عاد إلى الذنب مرة ثانية يعود إلى التوبة وثالثة يعود إلى التوبة، ورابعة وخامسة وسادسة، إلى متى؟ إلى أن ييأس الشيطان منه، قال رجل للحسن البصري: «أبا سعيد: الرجل يذنب ويتوب، فإلى متى؟ قال: إلى أن ييأس الشيطان منه»، ومصداق ذلك ودليله حديث النبي –عليه الصلاة والسلام–: (إن العبد يذنب الذنب فيقول: أي رب، أذنبت ذنبًا فاغفر لي) إذن: أذنب ذنبًا فقال: أي رب اغفر لي، فيقول الرب الجليل: (علم عبدي أن له ربًا يأخذ بالذنب ويجازي به قد غفرت لعبدي، ثم يذنب ذنبًا، أي ربي قد أذنبت ذنبًا فاغفر لي، فيقول الرب الكريم الجليل: علم عبدي أن له ربًا يأخذ بالذنب ويجازي به قد غفرت لعبدي، في الثالثة أو ما بعدها قال: قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء)، قوله: (قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء) ليس معناها أن يذهب إلى حيث شاء ويعربد ولكن معناها طالما أنه يحدث توبة بعد الذنب فهو في بحبوحة من الخير. آدم –عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام– أذنب؟ نعم، ولكن الله – تبارك وتعالى– فتح عليه باب التوبة ﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣]، فقبل الله – تعالى– توبته، وهداه وسدده وفتح عليه من الخير ما فتح وجعله أبا للبشرية جميعًا، أما ما يقال بأن آدم توبته أنه توسل إلى الله –عز وجل– بالنبي محمد فهذا لا يصح وما يستدلون به بما أخرجه الإمام الحاكم أن آدم –عليه السلام– لما أخطأ قال يا رب: «إني أتوسل إليك بنبيك محمد أن تغفر لي، فقال الله –سبحانه وتعالى–: يا آدم، وكيف عرفت أن لي نبياً اسمه محمد؟ فقال: يا رب نظرت إلى قوائم عرشك فوجدت لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعرفت أنك لا تقرن اسمك إلا بأحب الناس إليك، فقال الله – تعالى– له: يا آدم قد غفرت لك»، إذن: غفر الله – تعالى– لآدم ببركة من؟ ببركة النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– طبعًا القوم، الله أكبر! نعم، هذا الحديث لا يصح وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض والإنسان لا ينبغي له أن يستدل في أمور الشريعة والاعتقاد إلا بما صح عن رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

مثال آخر: النبي –عليه الصلاة والسلام– في قصة الأعمى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾ ﴾ [عبس: ١– ٤] عاتبه ربه –عز وجل– في قصة الأعمى، طيب لماذا فعل النبي –صلى الله عليه وسلم– ما فعل؟ لماذا أشاح عن الأعمى، وانصرف إلى علية القوم؟ لماذا؟ هل لأن النبي –عليه الصلاة والسلام– يكره رائحة العرق التي فاحت من هذا الأعمى هل لأنه يتأفف منه ويتقزز؟ هل لأنه من سقط القوم؟ هل لأنه من أراذل القوم؟ أبداً، الذي حصل أن النبي –عليه الصلاة والسلام– تأول هذا يعني ما معنى تأول هذا؟ أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: الأعمى هذا مؤمن بي وبرسالتي فإذا تركته في هذا المقام ولم أجبه في هذا المقام وانصرفت إلى المكذبين الضالين المنحرفين المستكبرين فهذا أولى لعل الله – تعالى– أن يهديهم فانصرف النبي –صلى الله عليه وسلم– إليهم متأولاً، فعاتبه ربه وكان من جملة ما قال: ﴿وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً ﴿٧٤﴾ إِذاً لأذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ

وَضِعْفَ المَمَاتِ ﴿٧٥ ﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٤، ٧٥]، وتاب النبي -صلى الله عليه وسلم- من ذلك ولم يكن ليقصد أن يؤذي هذا الصحابي الجليل.

نأتي بعد ذلك إلى الكلام المجمل المبارك الذي قاله الشيخ العلامة الإمام القيرواني في عقيدته:

قال المصنف -رحمه الله - تعالى-: (الباعث الرسل إليهم لإقامة الحجة عليهم ثم ختم الرسالة والنذارة والنبوة بمحمد نبيه -صلى الله عليه وسلم- فجعله آخر المرسلين بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وأنزل عليه كتابه الحكيم وشرح به دينه القويم وهدى به الصراط المستقيم).

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، هذه الفقرة كثير منها مأخوذ من قول الله -عز وجل-: ﴿ أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴿٤٥ ﴾ وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ﴿٤٦ ﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]، شاهدًا قيل: شاهدًا على أمته بإبلاغهم دين الله -عز وجل- وشاهدًا على الأمم بأن الأنبياء قد أبلغت أممها وجعله -سبحانه وتعالى- آخر المرسلين وذلك قول النبي -عليه الصلاة والسلام-: (إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى دارًا فكملها وأجملها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلون ويقولون: لولا موضع هذه اللبنة. فكنت أنا هذه اللبنة فأنا خاتم الأنبياء) -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- وأيضًا تأتي الخلائق في حديث الشفاعة الطويل في البخاري ومسلم يأتون إلى آدم فيوجههم إلى نوح ثم بعد ذلك إلى إبراهيم ثم بعد ذلك إلى موسى ثم بعد ذلك إلى عيسى إلى أن يصيروا إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- فالنبي -صلى الله عليه وسلم- سيد الناس يوم القيامة، فيقول الناس له: أنت محمد -صلى الله عليه وسلم- سيد ولد آدم وآخر الأنبياء، فالنبي -عليه الصلاة والسلام- آخر الأنبياء، ودعا إلى الله - تعالى- بإذنه وكان -صلى الله عليه وسلم- سراجًا والسراج هو المصباح، ووجه الدلالة أن المصباح كما يُضيء للناس طريقهم فإن النبي -عليه الصلاة والسلام- يُضيء للناس طريقهم إلى الله -عز وجل- فنسأل الله - تعالى- أن يوفقنا إلى طريقه -صلى الله عليه وسلم- وهو الطريق الموصولة إلى الله- سبحانه- كما نسأله- سبحانه- أن يُطهر قلوبنا وأن يوفقنا إلى محابه ومراضيه وصلى اللهم على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

الأخ الكريم من السودان يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نسأل فضيلة الشيخ في قصة يوسف -عليه السلام- ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَ ﴾ [يوسف: ٢٤]، فقد أشكلت على كثير من الناس؟

الأخت الكريمة من مصر تقول: السلام عليكم ورحمه الله وبركاته، ممكن أسأل سؤالاً بالنسبة للقدر: ألم يقل النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع ولا نقول إلا ما يرضي ربنا) يعني هل يكون الإنسان غير راضٍ عن القدر وهو صابر؟ أليس الصبر هو الواجب والرضا مندوب إليه؟ يعني: لا يأثم؟

ما الفرق بين النبي والرسول؟

الأخ الكريم من مصر يقول: السلام عليكم ورحمه الله وبركاته، هل يمكن الرد على شبهة أن شعيب -عليه السلام- كان على ملة قومه، استدلالاً بقوله - تعالى-: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَ ﴾ بأن يقال: إن شعيبًا وجميع الأنبياء كانوا موحدين قبل أن يبعثهم الله ولكنهم كانوا يكتمون هذا التوحيد، وبمعنى أصح لا يصدعون به على رؤوس الأشهاد كما أمرهم الله أن يفعلوا فلذلك ظن المشركون أنهم- عليهم السلام- كانوا على ملتهم قبل البعث ولم يكونوا على التوحيد؟

فضيلة الشيخ الأخت الكريمة من مصر تسأل عن قول النبي -صلى الله عليه وسلم- لما مات ولده إبراهيم (إن القلب ليحزن) إلى آخر الحديث هل هذا عدم رضا بالقدر؟

بسم الله الرحمن الرحيم. حزن القلب هو عدم فرحته أو ذهاب فرحته إما لحصول مكروه أو فوات محبوب ومعلوم أن الولد بالنسبة لوالده محبوب فعندما يموت هذا المحبوب فمن الأمور الجبلية أن يحزن القلب على فراقه ولذلك جاز الدمع ولم يجز الهجر، الهجر: أن يتكلم الإنسان بما لا يجوز شرعًا، فالأمر واضح والله – تعالى– أعلى وأعلم.

فضيلة الشيخ الأخ الكريم من السودان كان يسأل عن قول الله –عز وجل–: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَ ﴾ من ناحية العصمة؟

بالنسبة لقول الله – تعالى–: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَ ﴾ هناك كلام كثير للمفسرين في هذه الآية وسؤال الأخ سؤال في موضوعنا– جزاه الله خيرًا– لأنه قد يفهم أن يوسف –عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام– همّ بها فيكون ذلك من جنس الذنوب ويكون ذلك دلالة لمن قال بأن الأنبياء ليسوا بمعصومين، ولكن هذا كلام ليس بالصحيح، لعدة أمور:

الأمر الأول: أننا لو قلنا في قول الله – تعالى–: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾ ووقفنا، ثم ابتدأنا ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ [يوسف: ٢٤]، إذن: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾ ونقف، ثم لنبتدئ نقول: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ إذن: نحن نثبت هما وننفي آخر نُثبت هما وننفي آخر الهم المثبت هو هَم امرأة العزيز والهَم المنفي هو هَم من؟ هو هَم يوسف فلم يهم يوسف أصلاً، مثل عندما أقول: لولا محمد –صلى الله عليه وسلم– ما عرفنا الله، وأوضح من ذلك لولا مذاكرتك لرسبت، هل الرسوب وقع؟ أنت لم ترسب، ولكن"لولا" يسمونها أداة امتناع لوجود فقوله – تعالى–: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ فلأن البرهان موجود فلم يَهم بها، والبرهان هو العلم الذي جعله الله – تعالى– في قلبه، البرهان يأتي في القرآن بمعنى العلم فقد جعل الله – تعالى– في قلبه علمًا وفي فؤاده علمًا حجزه عن الوقوع في مثل ذلك، هذا قول وهذا قول طيب لا بأس به.

القول الثاني: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَ ﴾ [يوسف: ٢٤]، وترى هنا الأعاجيب، يقول نعم، ولقد همت به هم معصية وهم بها أي: هم أن يضربها، أو هم أن يدفعها، فهذا إثبات للهم ولكن هم مخالف للهَم الأول، وهذا القول فائدة أن صاحبه يريد أن يحافظ على مقام الرسالة، من أن يلوث بشائب تصور أن يقع الرسول في الذنب فقال ما قال.

الوجه الثالث: أن يقال ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَ ﴾ [يوسف: ٢٤]، ويكون هذا هَم عزيمة وقصد وإرادة وهذا هم خاطرة، فهم العزيمة والإرادة هو الهَم الذي قصد الإنسان فيه شيئًا ما، وجمع أسبابه وتوافر عليه ليفعله، فهذا حتى ولو لم يواقع مقصوده فإنه يُثاب أو يأثم، ودليله في ذلك قول النبي –عليه الصلاة والسلام–: (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قالوا: يا رسول الله هذا هو القاتل، فما بال المقتول؟ قال: كان حريصًا على قتل صاحبه)، حريصًا، إذن: نية وإرادة جازمة وعزيمة صادقة أن يقتل صاحبه، فكان بذلك في النار، فَهَمُ امرأة العزيز كان من هذا الجنس، هم العزيمة والإرادة، ولذلك غَلقت الأبواب وغلق على وزن فعَّل التي تدل على التكثير والتشديد الاثنين مع بعض إذن: هناك أبواب كثيرة وغلقتها بإحكام، ﴿وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ ﴾ [يوسف: ٢٣]، فلما أقول: كَسَّرت الأطباق وأقول كَسَرت الأطباق، لما أقول كَسَرت الأطباق يمكن أن يكون فيها خدش أو كَسر بسيط، لكن عندما آتي بها وأجعلها دكًا، يبقى هنا تَكْثير التكسير كذلك ﴿وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ ﴾ إذن: هناك أبواب كثيرة عندما غلقتها غلقتها بإحكام وأوصدتها بإتقان ثم بعد ذلك قالت: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ تهيأت لك، وتزينت فاقض ما أنت تريد، ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾ معاذ الله، الذي هو الله، معاذ الله، قوله: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ ربي هنا تعود على الزوج، وهذا من أسلوب القرآن أن تجد الشيء والالتفات الذي بعده، كقصة ملكة سبأ: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴾ [النمل: ٣٤]، انتهى كلامها، ﴿وَكَذَلِكَ

يَفْعَلُونَ ﴾ وكذلك يفعلون ليس من كلامها ولكنه كلام الله -عز وجل- يذيل كلامها تأييدًا وتقريرًا لمقولة هذه المرأة الكافرة وهذا من باب الإنصاف، أرأيت أن الله - تعالى- ينصف هذه الملكة الكافرة فيوافقها على ما تقول، فالإنصاف أن توافق الحق وأن تثبته حتى ولو كان على لسان المخالف، فليست هذه الآية مما يُستدل بها، ويستفاد، أن هم يوسف كان ذنبًا وكان معصيًا بل هذا مجرد خاطرة والخاطرة إذا دفعها الإنسان لله كانت من جملة حسناته لا من جملة سيئاته، ومنها قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به).

فضيلة الشيخ الأخت الكريمة كانت ترجو من فضيلتكم توضيح الفرق بين الرسول والنبي؟

باختصار شديد الرسول من بعثه الله - تعالى- إلى أمة مخالفة، حادت عن الكتاب أو كفرت بالكتاب، والنبي من أرسله الله -عز وجل- أو بعثه الله -عز وجل- إلى أمة الموافقة ليذكرهم وليعظهم وليجدد عهدهم بالأمر والنهي الشرعي، فمقام النبي في أمة الموافقة كمقام العالم بين المسلمين، والله - تعالى- أعلى وأعلم.

الأخ الكريم من مصر كان يسأل عن سيدنا شعيب وهل كان على ملة قومه؟ وهل يمكن الاستدلال بقوله: أن الأنبياء كانوا موحدين ويكتمون هذا التوحيد قبل البعثة؟

هذه المسألة غير مقررة بمعنى، أنا لا أستطيع أن أوافق على ذلك، أو أنفي ذلك، وربما يكون ذلك قائمًا وربما يكون ذلك غير قائم، ولكن الثابت حتى من هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن حال النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه قبل البعثة كان على الحنيفية، وكان قومه يعلمون ذلك منه -صلى الله عليه وسلم-، كان قومه يعلمون ذلك منه -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- فتحنثه في الغار كان على مرأى ومَسمع من أهله وقومه لم يكن بالأمر السر وما جرى للنبي -عليه الصلاة والسلام- من إرهاصات وما إلى ذلك كان على مرأى ومسمع من قومه، فلم يكن ذلك بالأمر السر، ولكن الإشكال أن النبي طالما أنه لم يمارس دعوته فإنه لا يمثل خطرًا على الكفار، الخطورة على الكفار أو على المخالفين تكون عند ممارسة الدعوة هناك فارق بين المعرفة والممارسة، فارق بين أن تعرف العقيدة وأن تمارس العقيدة، فارق بين أن تعرف دين الله وأن تدعو بدين الله وإلى دين الله -عز وجل- فإذا كنت على الحق وحدك فلا بأس لا تثريب عليك، لا ضير في ذلك الأمر أما إذا تحركت بالحق الذي أنت عليه لتوصله إلى غيرك يكون هنا الإشكال، يعني النبي -عليه الصلاة والسلام- لو كان في نفسه، يصلي ويعبد ويوحد وإلى غير ذلك، ما أنكر عليه المشركون، المشركون قالوا: إن هذا الرجل ساحر يفرق بين الرجل وولده وبين السيد وعبده، هذا رجل عجيب فالمشكلة عندهم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- اجتهد في إيصال دين الله -عز وجل- إلى الناس ومن هنا كانت المصادمة وكان الإشكال. وعندما تنظر أيضًا إلى قصة الراهب والغلام، الراهب قال للغلام: إنك أفضل مني، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي. لماذا قال: أنت أفضل مني؟ لماذا؟ لأنه يعبد الله -عز وجل- ويعرفه ويوحده ويعتقد الاعتقاد الصحيح بمفرده أما الغلام فإنه حمل هذا الاعتقاد ونشره بين الناس ولذلك عندما أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد أن فاجأه الوحي إلى ورقة بن نوفل، فقال: يا ليتني كنت جذعًا إذ يخرجني قومك، فقال: (أو مُخرجي هم)، قال: لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عود وأوذي وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤذرًا، إذن: أي نبي سيأتي بما جاء به النبي -عليه الصلاة والسلام- من التوحيد الخالص ومحاربة الشركيات وإقامة الدين والدعوة إلى الله -عز وجل- بذلك لابد أن يُحارب وأن يُعادى، فيمكن أن يكون المشركون على عِلم بشعيب، يعرفون أنه ليس على دينهم، على ملتهم ولكن يرتضونه على هذه الحال، فعندما اجتهدت الدعوة وعندما بدأ الناس يدخلون في دينه بدت هنا المشاكسة وبدأ هنا الحرب ولذلك الخطاب ﴿قَالَ المَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ ﴾ فهذا دلالة على أن المصادمة كانت بعد دخول المؤمنين دين الله -عز وجل- أما قبل ذلك هل كانوا يعلمون أن شعيبًا كان على الحق؟ ربما، هل كانوا لا يعلمون؟ ربما، فهذا أمر لا أستطيع أن أجزم فيه بقول والله - تعالى- أعلى وأعلم.

إجابات الحلقة الماضية

فضيل الشيخ وردتنا إجابات سؤال الحلقة الماضية:

وكان السؤال تصور مناظرة بين مؤمن بالقدر ومنكر له أو مشكك فيه؟

استأذنكم في طرق إجابة تكون أدبية إلى حد ما:

الإجابة:

كان أحمد وسامي يدرسان في جامعة واحدة وخرجت نتائج الفصل الدراسي لكن كانت نتيجة أحمد لا تسر، الرسوب- لا حول ولا قوة إلا بالله- وسامي نجح بتوفيق الله له فسخط أحمد وقال: لماذا يا ربي فعلت بي هكذا؟ ألم أدرس ألم أجتهد؟ لماذا من سواي نجح وأنا لم أنجح؟ هذا مستحيل، قال سامي: هون عليك يا أحمد إن ما تقوله حرام، حرام في حق الله – تعالى- فالله يفعل ما يريد والله لا يسأل عما يفعل قال سامي: قل: إن لله وإنا إليه راجعون، وقَدَّرَ الله وما شاء فعل، قال أحمد: ماذا قَدَّرَ علي؟ ما هذا القدر الذي تقوله؟ أنا درست جيدًا ويجب أن أنجح ما هذا الهراء الذي تتكلم به؟ قال سامي: حرام عليك يا أحمد ولا يجوز ذلك فالله خلق كل شيء بقدر فحركاتك وسكناتك كلها بقدر الله فهو النظام الحكيم والقانون الذي وضعه الله أحكم الحاكمين بعلمه وإرادته وحكمته ليسير على أحكامه كل شيء في هذا الوجود من السماء وما فيها وما عليها فلا راد لقضاء الله وقدره قال الله – تعالى-: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال – تعالى-: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً ﴾ [الأحزاب: ٣٨]، فنظراتك وأنفاسك وكل ما فيك بقدر من الله، فقدر الله هو القانون الأزلي الذي لا يعتريه تغير ولا تحول ولو اجتمعت قوى العالم كله السماوية والأرضية على أن تغير مثقال ذرة من قدر الله ما وجدت إلى ذلك سبلاً، قال سامي: يا أحمد قال – تعالى-: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٦]، فالله يُقدر على الإنسان أمور حياته كلها بحكمته -سبحانه – وبإرادته ويجب عليك يا أحمد أن تؤمن بالقضاء والقدر، فلا يجوز لك أن تتكره لأنه من أركان الإيمان التي لا يصح إيمان فرد إلا باكتمالها وتصديقها في قلبه والعمل بذلك فأرجوك يا أحمد استغفر الله قال -صلى الله عليه وسلم-: (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز فإن حصل شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل) فلعل الخير كله في رسوبك يا أحمد ويجب على الإنسان أن يدعو الله ويقول: اللهم ارزقنا الرضا بعد القضاء اللهم واجعل عاقبة أمرنا رشدًا، قال أحمد: جزاك الله خيرًا يا سامي لقد طرقت كلماتك قلبي وسكنت جوارحي، نعم يا سامي لن أقول من بعد اليوم إلا قدر الله وما شاء فعل، وأسأل الله أن يتوب علي. جزاك الله خيراً يا سامي

ما شاء الله.

الأخ الكريم من فلسطين يقول: هل اليهود والنصارى الذين لم يؤمنوا برسول الله محمد -صلى الله عليه وسلم- يكونون غير مؤمنين بموسى وعيسى؟

في الحقيقة نعم، لأنهم لو آمنوا بموسى وعيسى حقيقة لأفضى بهم ذلك الإيمان أن يؤمنوا بالنبي محمد -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- ولابد أن يكون إيمان أهل الكتاب بالنبي -عليه الصلاة والسلام- هو الإيمان الحق بمعنى: لا يقولون بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- نبي ولكنه نبي إلى الأعراب خاصة، يعني لو قال رجل بأن النبي -عليه الصلاة والسلام- نبي إلى العرب فقط أو هو نبي الجزيرة العربية فقط، لم يكن بذلك مؤمناً

بالنبي –عليه الصلاة والسلام– قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (وكان النبي يرسل إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة) وقال الله – تعالى–: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ: ٢٨]، فالله – تعالى– أرسل النبي – صلى الله عليه وسلم– للناس كافة، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فهذه النصوص تدل على أن النبي –عليه الصلاة والسلام– أرسل إلى الناس كافة إلى أبيضهم وأحمرهم وأسودهم وإلى العرب منهم وإلى الأعجام أو الأعاجم، فينبغي للناس أن يؤمنوا بذلك فمن قال بأن النبي –عليه الصلاة والسلام– هو نبي الجزيرة العربية فقط، وحصر الجزيرة فيما بين الخليج العربي والبحر الأحمر وبلاد الشام شمالاً، وبلاد اليمن جنوباً، فيكون النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذه المنطقة فقط، هذا كفر بالله وكفر برسول الله –صلى الله عليه وسلم– ولا يُقبل منه شهادة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حتى يقر بأن النبي –عليه الصلاة والسلام– رسول إلى الناس كافة.

الأخ الكريم من الإمارات يقول: السلام عليكم، سؤاله الأول: ما معنى قوله – تعالى–: ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ [آل عمران: ٨٤]؟

أي: لا نفرق بين رسول ورسول فلا نؤمن بعيسى ونكفر بموسى أو نؤمن بموسى ونكفر بعيسى.

كان سؤاله الثاني: ما معنى كفر التكذيب والجهل وما الفرق بين وبين كفر الجحود؟

كفر التكذيب وكفر الجهل وكفر الجُحود، هذه الأنواع من أنواع الكفر المُخرجة من الملة، لو قلنا بأن إنسانًا وصلَه علم عن النبي –عليه الصلاة والسلام– يعني علم أن هناك نبيًا اسمه محمد –صلى الله عليه وسلم– وتكلم بالقرآن وهذا القرآن يزعم أنه وحي من عند الله، وأن هذا النبي أتى بأوامر وبنواهٍ من جملة ما أمر به أمر بصلة الأرحام ومساعدة الفقراء والمساكين وكما نهى عن شرب الخمر والقتل وقطع الأرحام سمع ذلك، ثم بعد ذلك قال: إن هذا لا يلزمني، لكان بذلك جاحدًا لما وصله، فالجحود بمعنى تغطية، فجحد الشيء إذا غطاه، قال الله – تعالى–: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُو ﴾ [النمل: ١٤]، وصله العلم وصله اليقين وصله الخير ومع ذلك رده، رده من باب الظلم والعلو والكبر– والعياذ بالله– إذن: هذا كفر الجحود. إذا واقع الشك، فهذا كفر التكذيب ومنه كفر فرعون، ففرعون كذب موسى، فرعون كذب موسى وتكذيبه كان تكذيب مُدعى بدليل أنه لما ألجمه الغرق قال: ﴿آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾ [يونس: ٩٠]، وكذلك قوم شعيب عندما قالوا لنبيهم: ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ﴾ [هود: ٩١]، فهم في ذلك هم كذبة لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– هو الذي يبين عن ربه وقال الله – تعالى– ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤]،إذن: أفضل من يبين عن الله –عز وجل– هو الرسول الذي أرسله الله فكونهم قالوا للرسول: لا نفقه كثيرًا مما تقول كانوا كاذبين وكان كفرهم في هذا الباب كفر تكذيب– والعياذ بالله– كفر الجهل: مثل ما وقع فيه كفار قريش، عندما جَهلُوا النبي –عليه الصلاة والسلام– جهلوا أنه رسول إذن: وصل لهم الحق، ووصل لهم الخير وسمعوا القرآن وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: ﴿أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ولكن لأنهم لم يتصوروه رسولاً، واستعظموا أن يكون رسولاً جهلوا رسالته فكذبوه وحاربوه وكفروا به والله – تعالى– أعلى وأعلم.

الأخ الكريم من المغرب يقول: هل من سمع بالنبي دون أن تبلغه الدعوة تكون الحجة قد قامت عليه؟

تكون الحجة قد قامت عليه إجمالاً، يعني من سمع أن هناك رسولاً يسمى محمدًا وهذا الرسول أتى بدين يسمى الإسلام وجب عليه أن يجتهد في البحث عن الحق ليصل إليه– بإذن الله تعالى– ولو مات قبل الوصول إلى الحق وفي طريقه لهذا الحق فهو معذور عند الله –عز وجل– والإمام ابن القيم له كلام جيد في هذه المسألة في طريق الهجرتين عندما ذكر أن من طبقات المقلدين أن إنسان يقول: «يا ربي أنا على هذا الطريق ولو أعلم خيرًا هو

أحب إليك مما أنا عليه لصرت إليه فهذا معذور عند الله –عز وجل–» فهذا الرجل الذي سمع عن النبي –صلى الله عليه وسلم– فأتى بالقرآن ليقرأه وجهز التجهيز وأخذ العدة لكي يسافر إلى ديار المسلمين أو لكي يذهب إلى المركز الإسلامي في بلدته لكي يسمع عن الإسلام ويؤمن به وقال: يا رب اشرح صدري لهذا الدين وإني مقبل على هذا الدين ثم مات دون ذلك أرجو أن يكون معذورًا، والله – تعالى– أعلى وأعلم.

فضيلة الشيخ هلا تفضلتم بطرح أسئلة هذه المحاضرة؟

هناك ثلاثة أسئلة:

السؤال الأول: كيف نؤمن بالرسل مجملاً؟

السؤال الثاني: فرِّق بين الرسول والنبي؟

السؤال الثالث: تكلم عن عِصمة الأنبياء؟

والحمد لله.

الدرس التاسع

عدل الله و فضله – إثبات الشفاعة

إثبات الساعة والبعث والجزاء

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وكفى، وصلاة وسلام على عباده الذين اصطفى، اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك على النبي المجتبى، وعلى آله وأصحابه وأحبابه ومن اهتدى، ثم أما بعد.

نواصل شرح مقدمة الإمام القيرواني، وهي المقدمة التي جعلها في بيان العقيدة الأثرية السلفية شأنه في ذلك شأن بعض المصنفين لاسيما في بلاد المغرب، وموعدنا اليوم – بإذن الله تعالى– أن نتحدث في موضوع يختص بإثبات الساعة والبعث والجزاء وبالتالي ستكون عناصر أو أفكار هذا اللقاء ثلاثة:

العنصر الأول: إثبات الساعة ووجوب الإيمان بها.

والثاني: إثبات البعث ووجوب الإيمان به.

والثالث: إثبات الجزاء ووجوب الإيمان به.

فهيا بنا نسمع وننصت بإمعان وننظر ما قاله الإمام القدوة القيرواني – عليه رحمة الله تعالى–. تفضل أخي الحبيب.

قال المصنف –رحمه الله تعالى–: (وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من يموت كما بدأهم يعودون وأن الله– سبحانه– ضاعف لعباده المؤمنين الحسنات وصفح لهم بالتوبة عن كبائر السيئات وغفر لهم الصغائر باجتناب الكبائر، وجعل من لم يتب من الكبائر صائرًا إلى مشيئته قال الله – تعالى–: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨]).

جزاكم الله خيرًا،

بسم الله الرحمن الرحيم، قال المصنف عليه رحمة الله: (وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من يموت) الساعة تطلق ويراد بها أحد معنيين:

المعنى الأول: الموت عند النفخ، كما في صحيح مسلم أن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: (لا تقوم الساعة إلا على شِرار الخلق عند الله –تعالى–) فلا تقوم الساعة أي: لا يُنفخ في الصور لتصعق الخلائق ويموتون، إلا وهم شر الخلق عند ذلك عند الله –تعالى– فالساعة يقصد بها الانتقال من دار التكليف، من دار العمل إلى دار البعث والجزاء والحساب، وبهذا المعنى أي معنى الانتقال من دار التكليف إلى دار الجزاء والحساب يسمى موت كل امرئ قيامة بل وساعة، فإذا مات الإنسان حانت ساعته وقامت قيامته بهذا المعنى وهذا المفهوم. المعنى الثاني للساعة: يقصد بالساعة البعث كما قال ربي –سبحانه وتعالى– في آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواً وَعَشِياً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦]، وهذه الآية من الآيات العظيمة التي يُحتج بها على إثبات عذاب القبر، ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَ ﴾ آل فرعون والآل يُقصد بها عِلية الناس والأشراف، ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواً وَعَشِي ﴾ في أول النهار وآخره ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ﴾ وهذا المقصود به البعث، أي: وعندما يبعثون فيحاسبون ويجازون بأمر الله –تعالى– بهم فيدخلون أشد العذاب– والعياذ بالله–

والمعنى الثاني هو المقصود، يعني في قول المصنف: (وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من يموت) هذا شبيه بقول الله –تعالى–: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]، فالمقصود بالساعة هنا: البعث؛ ولذلك ذكر الله –تعالى– عن الكفار في قوله –سبحانه وتعالى–: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن: ٧]، إذن: شك الكفار إنما كان متوجهًا لا إلى الموت فإنهم كانوا يعرفون الموت، يعني كان الكفار يعلمون الموت ويؤمنون أن حياتهم تنتهي بالموت، فلم تكن قضية الموت فيها الإشكال وإنما كان الإشكال في ماذا؟ في البعث بعد الموت، وهذا قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُو﴾إذن: المقصود بالساعة: البعث يقصد بالساعة: البعث.

الأمر الثاني: الذي ينبغي أن يعرف: أن الله –تعالى– أثبت الساعة نصًا في قوله تعالى: ﴿أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَ﴾ [الحج: ٧]، وقال– تعالى–: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لاَ رَيْبَ فِيهَ﴾ [الكهف: ٢١]، فالساعة لا ريب فيها، أي: لا شك فيها لا مرية فيها، فهذه نصوص تثبت أن الساعة حق، كذلك الساعة من جملة الغيب، فقال –سبحانه وتعالى–: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَ﴾ [النازعات: ٤٢]، يسألونك من الذين يسألون النبي –عليه الصلاة والسلام–؟ قيل: هم اليهود، وقيل: هم كفار قريش، يسألونك يا محمد عن الساعة أيان مُرساها؟ أيان مُرساها يقصد بمُرساها أي: وقت ثبوتها وحين قِيامتها فكان الجواب قل: ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَ﴾ أي: لا يُظهرها ﴿لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ثقلت في السماوات والأرض أي: ثقُل وخفي علمها في أهل السماء كما خفي علمها في أهل الأرض، ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، حفيٌّ أي: عالم مستقصٍ أخبارها وأحوالها، ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، فالساعة من جملة الغيب وفي البخاري أن رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم– قال: (مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله ومن هذه الخمس وآخر هذه الخمس عِلم الساعة) إذن من جملة الغيب الذي استأثره الله –تعالى– في عمله عِلم الساعة أي متى يُبعث الناس من قبورهم؟ لا ندري، وإن كان النبي –عليه الصلاة والسلام– ثبت عنه في النص الصحيح أن يوم الجمعة هذا هو اليوم الذي تكون فيه الساعة، في قوله –عليه الصلاة والسلام–: (خير يوم طلَعَت عليه الشمس يوم الجمعة ذلك يوم خلق الله –تعالى– فيه آدم وأنزله الله –تعالى– من الجنة، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة)، فمحاولة التكهن بمعرفة هذا اليوم، هذا أمر لا سبيل لأحد إليه ومحاولة بعض المنجمين وبعض الفلكيين عن طريق الحسابات والأرقام معرفة هذا الأمر، هذا الأمر لا يصح ولا يمكن أن يكون، إذن: هذا هو قول المصنف: (وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من يموت)، وهنا لفتة بسيطة قبل الانتقال إلى الجملة الثانية، وهو قوله: (وأن الله يبعث من يموت)، لماذا لم يقل: وأن الله يبعث من في القبور؟ لأن القبور هي التي تحوي أجداث الناس، وعندما قال ربنا –عز وجل–: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]، قال ذلك باعتبار أن غالب الموتى إنما يُدفنون في القبور باعتبار الغالب، إذن: خرج هذا الخطاب مَخرج الغالب، وإلا فإن ناسًا ربما لا توجد قبور تحوي أجداثهم ولا تشمل رُفاتِهم، شأنهم في ذلك شأن الرجل في صحيح البخاري ومسلم وفي غيرهما، الذي أسرف على نفسه: (فقال لأولاده عندما اقترب موته: انظروا يومًا عاصفًا مطيرًا فاحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروا نصفي في الهواء ونصفي في الماء لئن قَدَرَ الله علي ليُعذبنّي عذابًا ما عذبه أحدًا من خلقه، فأمر الله –تعالى– البر فأخرج ما به وأمر البحر فأخرج ما به، فسأله ربه لِمَ صنعت ذلك؟ قال: خشيتك يا رب)، فهذا الرجل لم يكن له قبر، وإنما ذُرِّيَ رماده في البحر كما ذُرِّيَ رماده في الهواء العاصف، فكل ذرة من ذراته انتقلت إلى مكان دون الآخر، ومع ذلك قَدَرَ الله –تعالى– عليه، وجمعه وسأله بعد أن بعثه فكل ذلك لا يغيب على ربنا ولا يعذب عن ربنا ولا يعجز عنه ربنا، ولذلك قال المصنف: (وأن الله يبعث من يموت) سواء كان مقبورًا أو لم يكن مقبورًا.

العنصر الثاني: إثبات البعث ووجوب الإيمان به:

في ذلك يقول المصنف- عليه رحمة الله-: (وأن الله يبعث من يموت، كما بدأهم يعودون) فالله -سبحانه وتعالى- بدأ الخلق ثم أنهى الخلق فكما بدأ الخلق يُعيد الخلق قال- تعالى-: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ ﴾ [ق: ١٥]، هل -سبحانه وتعالى- وهو قادر على كل شيء يكون عاجزًا أو يكون عييًا أن يعيد الخلق الذي بدأه أول مرة؟!- سبحان الله- هذا أمر عجيب وربنا -سبحانه وتعالى- بين مسألة البعث نصًا واعتبارًا أثبت الله -تعالى- بالبعث وبينه في القرآن نصًا واعتبارًا: نصًا واضحًا قاطعًا لا شبهة فيه ولا مرية، واعتبارًا لما فيه من النظر والتفكر والتأمل والتنبيه، وجدنا ذلك عندما نبه الله -تعالى- على قدرته في إعادة الخلق بماذا؟ بإحياء الأرض، وكذلك بخلق السماوات والأرض، فهذا كله موجود وكذلك بخلق الإنسان أول مرة، إذن: الاعتبار بخلق الإنسان أول مرة، الاعتبار بخلق السماوات والأرض، الاعتبار بإحياء الأرض وهي ميتة، بين ربنا -سبحانه وتعالى- البعث ودل عليه نصًا، وذلك في قول الله -تعالى- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي المَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي القُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج: ٦، ٧]، إذن: هذا نص واضح أن الله -تعالى- يبعث من في القبور، ومَنْ هنا هي الموصولية، بمعنى: الذين. وأن الله يبعث الذين في القبور أي: حوتهم القبور، أما الذين لم تحوهم قبورهم فإن الله -تعالى- قادر عليهم.

أيضًا بيَّن ربنا -سبحانه وتعالى- البعث بالتنبيه والتأمل والاعتبار وذلك في عدة مشاهد في عدة مواقف في عدة سياقات:

السياق الأول: سياق خَلْق الإنسان الأول، قال الله -تعالى-: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [يس: ٧٧- ٧٩]، ﴿الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾، أتى المشركون بعظام رميم نخرة وتعجبوا: إن محمدًا يزعم أن ربه يبعث الموتى بعد موتهم وأنه يجمع أشلاءهم وأشتاتهم فتعجبوا من هذه العظام النخرة التي إذا قبضوا عليها فركت بين أصابعهم، وسحقت بين أيديهم، هل الله الذي تزعم يا محمد قادر على إحيائنا بعد أن صرنا عظاماً نخرة؟ فقال ربي -سبحانه وتعالى-: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾ نسي خلقه أي الخلق الأول ﴿قَالَ مَن يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [يس: ٧٧- ٧٩]، -سبحانه وتعالى- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ [الحج: ٥]، فبين الله -تعالى- هنا أصل الإنسان الطينيّ والرحميّ، فأصل الإنسان الطينيّ أنه خلق من تراب، وأصل الإنسان الرحمي أن أصله ماء مهين ثم بعد ذلك صار نطفة، أي ماءً متجمدًا أو قطعة دم متجمدة ثم هذه النطفة المتجمدة علقت بعد ذلك بجدار الرحم فصارت علقة، فهذا أصل الإنسان فالذي خلقك أيها الإنسان من تراب والذي خلقك أيها الإنسان من ماء مهين، أليس بقادر على أن يبعثك بعد أن يجعلك ترابًا؟! لقد خلقك من تراب ثم بعد ذلك يميتك ويجعلك ترابًا أليس الذي خلقك من تراب أليس بقادر على أن يخلقك مرة ثانية من تراب؟! وأن يبعثك بعد أن أماتك؟! إنه قادر على كل شيء، ولذلك قال الله -عز وجل-: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة: ٣٦]، سدى أي: هملاً لا يجازى ولا يحاسب، يقول: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ ﴾ [الجاثية: ٢٤]، فإذا ما متنا انتهى الأمر ليس هناك من حساب ولا جزاء ولا بعث ولا نشور، كيف يكون ذلك الأمر؟ فقال الله -عز وجل-: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ ﴾ الهمزة هنا للاستفهام الذي يقصد به الإنكار والتعجب، أيها الإنسان أتحسب أن تترك سدى؟!! -سبحان الله- ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ ﴾ اسمع الكلام الجميل: ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ المَوْتَى ﴿٤٠﴾ ﴾ [القيامة: ٣٧- ٤٠]، -سبحانه وتعالى- إنه قادر على كل شيء، طبعًا لا نقول: نعم، أو نقول: بلى، إنه قادر على كل شيء في الصلاة، فهذه الآيات بَيَّنت أن الله -تعالى- كما خلق الإنسان أول مرة من تراب من ماء مهين ثم يميته فيصيره ترابًا قادر أيضًا على أن يعيده مرة ثانية، وأن يبعثه مرة ثانية.

التنبيه الثاني: التنبيه بإحياء الأرض على بعث الناس، الأرض جامدة هامدة لا ترى فيها نبتًا ولا شجرة ولا شيئًا متحركًا، أرض -سبحان الله- ما الذي يحدث؟ يأمر الله -تعالى- الريح أن تحمل الماء لتسقط على هذه الأرض فيسقط الماء بأمر الله -عز وجل- على هذه الأرض اليابسة الجامدة الهامدة ما الذي يحدث؟ الذي يحدث جزيئات هذه الأرض تهتز بأمر الله -عز وجل- ثم بعد ذلك تخرج ما بها من خير ونماء وعشب وخضرة ونبت بأمر الله -عز وجل- من الذي أذن لهذا النبت أن يخرج من هذه الأرض اليابسة؟ أرض يابسة، وهذا نبت حي من الذي أمر هذا النبت أن يخرج من هذه الأرض؟ إنه الله -عز وجل- إذن: هذا أمر يحتاج إلى تأمل فقال الله -تعالى-: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ ﴾، إذن: هناك آيات كثيرة لله -عز وجل- آيات كثيرة ومن آيات الله -عز وجل- التي تستحق أن تتدبر وأن تنظر وأن تفهم وأن تتأثر بها أيها العبد: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ [فصلت: ٣٩]، فانظر كيف أن الله -تعالى- صوَّر الأرض الساكنة الخاملة غير المتحركة بالخشوع ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي المُوتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت: ٣٩] إذن: الذي أحيا الأرض يحيي الإنسان ويبعثه مرة ثانية إذن: هذا هو التدبر الثاني والتنبيه الثاني: التنبيه بإحياء الأرض على بعث الإنسان مرة ثانية.

التنبيه بخلق السماوات والأرض على بعث الإنسان: بعد موته قال الله -تعالى-: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ [غافر: ٥٧] أيهما أعظم خلقك أنت أيها الإنسان أم خلق السماء؟ خلقك أنت أيها الإنسان أم خلق الأرض؟ فالذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم، -سبحانه وتعالى- قال الله -تعالى-: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْ ﴾ أو لم يرَ المشركون أو لم يرَ المكذبون ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ ﴾ [الإسراء: ٩٩]، خلق السماوات من غير عمد وبسط الأرض ومهدها قادر على أن يخلق مثلهم، ألا يرون ذلك؟! ألا ينظرون في ذلك الأمر ألا يعتبرون؟ وقال- تعالى-: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ ﴾ -سبحانه وتعالى- ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النازعات: ٣٧- ٣٩]، ودلت النصوص على أن البعث بعد الموت إنما يكون بعثًا لأجساد الناس التي كانت في الحياة إذن: هذا الجسد الذي كان في الحياة نفسه هو الذي يبعث بعد الموت، انتبه لهذه المسألة، يعني هذا الجسد جسدك هذا بيديك برجليك بأذنيك بعينيك بسمعك ببصرك بأنفك بشعرك بجلدك هذا الجسد هو الذي تبعث عليه عندما تنشر من قبرك، فليست هناك أجسادًا جديدة تبعث عليها وإنما هو جسدك الذي متَّ عليه يبعثك الله -تعالى- عليه -سبحانه وتعالى- ولذلك عَجِب المشركون فقالوا: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [ق: ٢]، عندما ذكَّرهم النبي -عليه الصلاة والسلام- بالبعث ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ [ق: ٣]، قال الله -تعالى-: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ [ق: ٤]، ﴿مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ ﴾ أي: ما تأخذ من أجسادهم، فإن الناس عندما يُقبرون ينتفخون ثم ينفجرون ثم تأكلهم الأكلة ثم تأكلهم الأرض فلا يبقى منهم إلا ما أذن الله -تعالى- فيه، فالإنسان تأكله الأرض شيئًا بعد شيء ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ ﴾ -سبحانه وتعالى- فالمشركون تعجبوا عندما يصيرون ترابًا وعظاماً يُبعثون مرة ثانية، أي هذا العظام وهذا التراب يجعل الله -تعالى- منه خلقًا آخر على نفس الخلق الذي كانوا عليه هذا أمر عجيب ﴿بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [ق: ٢] وذكر ربنا -سبحانه وتعالى- أنهم يُحشرون يوم القيامة فقال: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا ﴾ بما كانوا ماذا؟ ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [فصلت: ١٩- ٢١]، إذن: لجلودهم، لجلودهم التي يعرفونها، يا أيتها الجلود كيف تَشهدين علينا؟ فتنطق هذه الجلود فتقول: ﴿أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [فصلت: ٢١، ٢٢]، إذن: هذا نص قوي أن هذه الأبصار وأن هذه الأرجل وأن هذه الأيدي وأن هذه الجلود التي كانوا يعرفونها في الدنيا هي التي تشهد عليهم يوم القيامة، فنسأل الله -تعالى- العافية.

وكذلك الحديث الذي قلته لكم منذ قريب حديث أبي هريرة في البخاري ومسلم في شأن الرجل الذي أسرف على نفسه ولم يعمل حسنة قط: (وقال لأولاده: انظروا يومًا مطيرًا عاصفًا ثم أحرقوني واسحقوني وذروا نصفي في الماء ونصفي في الهواء) الحديث، فيه أن الله -عز وجل- أمر البر والبحر بأن يخرج ما فيه وأن الجسد عاد كما كان، إذن: هذا دليل على أن الله -تعالى- عندما يبعث الناس فإنما يبعثهم على أجسامهم التي كانوا عليها في الدنيا وهذا بخلاف عندما يدخلون الجنة ويتنعمون فيها، فإنهم يدخلون فيها على أطوال كثيرة وردت في الحديث وهذا سيأتي عندما نتكلم عن الجنة وعن أهلها.

إذن: الفكرة الثانية والعنصر الثاني: هو أن الله يبعث من يموت كما بدأهم يعودون، كما بدأهم في خلقهم ثم بعد ذلك يتوفاهم يعودون مرة ثانية بأجسادهم التي كانوا عليها في الدنيا.

الفكرة الثالثة: إثبات الجزاء ووجوب الإيمان به:

قال المصنف -عليه رحمة الله-: (وأن الله -سبحانه وتعالى- ضاعف لعباده المؤمنين الحسنات وصفح لهم بالتوبة عن كبائر السيئات) إلى آخر ما قال، قوله: (وأن الله -سبحانه وتعالى- ضاعف لعباده المؤمنين الحسنات) هذا قيد لعباده من؟ المؤمنين، والصفة قيد، لعباده المؤمنين فالمؤمنين صفة لعباد منصوبة أم ماذا؟ لعباده المؤمنين صفة منصوبة أم مرفوعة أم مجرورة؟ من يعرف؟ تفضل؟

صفة مجرورة

والموصوف وأن الله -تعالى- ضاعف لعباده المؤمنين؟

اللام حرف جر، وعباد اسم مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة والهاء مضاف إليه والمؤمنين صفة لعباد مجرور وعلامة الجر الياء

أحسنت، ما شاء الله ولا قوة إلا بالله، الصفة- كما يقول الأصوليون- قيد، فيها تخصيص فالله -تبارك وتعالى- لا يُضاعف لعباده الحسنات إلا بقيد الإسلام، وهنا قال: المؤمنين فليس معنى ذلك أن المسلمين لا يدخلون تحت هذا الخطاب ولكنهم يدخلون أيضًا تحت هذا الخطاب وسيأتي الحديث في مسألة الإسلام والإيمان في حينه -إن شاء الله-.

وهذا فيه بيان على كرم الله -عز وجل- وجوده وإحسانه وسعة عطاياه فالعبد يأتي بالشيء الحسن يجازيه الله -تبارك وتعالى- به بالحسنة يجازيه بها عشرة أمثالها إلى أضعاف كثيرة كما قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ ﴾ [البقرة: ٢٦١] معنى ذلك: أن الحسنة تصل إلى سبعمائة حسنة تصل إلى أضعاف كثيرة والله يضاعف لمن يشاء، إذن: ليس هناك حد أعلى أو سقف أعلى، لجُود الله -عز وجل- مكافأة الله -عز وجل- لعباده الصالحين أو لعباده المؤمنين أو لعباده المسلمين ليس لها حد وليس لها سقف، بل هي واسعة عظيمة، قال الله -عز وجل-: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٦٠] وهذا من جوده- سبحانه- أن السيئة بمثلها والحسنة بعشرة أمثالها إلى أضعاف مضاعفة إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة والله يضاعف لمن يشاء، وقال الله -عز وجل-: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، اسمع ﴿أَضْعَافاً كَثِيرَةً ﴾ إذن: ائتِ بالخير وافعل الخير وستجد العاقبة عظيمة عند الله - سبحانه وتعالى- ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

لو أننا حاولنا أن نقرأ القرآن ونأتي بالألفاظ التي تبين علاقة المكلف بربه ولكن بصيغ التجارة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ﴾ [التوبة: ١١١]، قال الله -تبارك وتعالى- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم ﴾ [الصف: ١٠]، ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر: ٢٩]، ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَن ﴾ [الحديد: ١١]، -سبحان الله- إذن: هذه الآيات وأمثالها تبين أن الله -تعالى- واسع العطاء.

وكذلك في البخاري ومسلم أن النبي -عليه الصلاة والسلام- يروي عن ربه: (إن الله كتب الحسنات وكتب السيئات، فمن هَمَّ بحسنة فلم يفعلها كتبت له حسنة، وإن فعلها كُتبت له عشرُ حسنات، إلى أضعاف كثيرة، فإن هَمَّ بسيئة فلم يَعملها كتبت له حسنة، فإن علمها كُتبت له سيئة واحدة) هذا جوده وهذا كرمه -سبحانه وتعالى-.

قال المصنف -عليه رحمة الله-: (وصفح لهم بالتوبة عن كبائر السيئات) ما المقصود بالكبائر؟ الكبائر: جمع كبيرة والكبيرة كل ذنب جُعِل له حد في الدنيا، أو وعيد يسمى كبيرة، الوعيد أي: توعد صاحبه باللعنة بالغضب بالسَخَط بالمقت بالنار بعدم دخول الجنة، فهذا كله يسمى كبيرة، حد كالزنى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور: ٢]، إذن: هذا حد ﴿السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَ ﴾ [المائدة: ٣٨]، القتل: (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، ومنها: قاتل النفس) فقاتل النفس هذا يقتل؛ لأن الشريعة أتت للمحافظة على كليات اعتبرتها، من هذه الكليات: الدم، فالأصل أن دم المسلم معصوم لا يجوز سفكه إلا ببرهان ونص، لكن أن يقتل المسلمون بالظنة والتخمين فهذا كله لا يجوز، إذن: قتل القاتل وقطع السارق وجلد الزاني هذه كلها حدود، فمعنى ذلك أن الزنى والقتل والسرقة ونحوًا من ذلك تسمى ماذا؟ تسمى كبائر، أو كان عليها وعيد كعدم دخول الجنة: (لا يدخل الجنة ديوث) ديوث الذي يرى العيب في أهله ثم لا ينكر، لا يدخل الجنة، إذن: هذا وعيد، هذا تهديد، فهذا يدل على أن الدياثة كبيرة من الكبائر، الكذب قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار) فهذا دليل على أن الكذب من الكبائر وهكذا، وهناك من الأئمة من جمع الكبائر وصنف فيها مثل الإمام الذهبي فأوصلها عدة عشرات من الكبائر.

قال المصنف: (وصفح لهم بالتوبة عن كبائر السيئات) التوبة: يُكفِّر الله -تعالى- بها عن السيئات، كبيرها وصغيرها، قال الله -تعالى- ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيع ﴾ [الزمر: ٥٣]، كلمة جميعًا تأكيد للذنوب، والألف واللام في الذنوب هي الألف واللام الجنسية، فجنس الذنوب يغفره الله -عز وجل- كبر أو صغر، عظم أو دق، فالله -تبارك وتعالى- ﴿ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣]، وذكر الله -تعالى- في شأن المتقين أنهم: ﴿ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦]، وأمر الله -تعالى- بالتوبة فقال: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]، فالله -تبارك وتعالى- أمر بالتوبة، فالتوبة مما يكفر الله -تعالى- بها عن كبائر الذنوب، والتوبة لها أركان يعني حتى تكون التوبة توبة نافعة لصاحبها ويكون حاله كحال التائب من الذنب الذي لا ذنب له بل يكون حاله بعد التوبة أفضل من حاله قبل التوبة لابد من عدة أمور:

الأمر الأول: الإقلاع عن الذنب دون تسويف، يعني عندما يعلم أن الخمر حرام، لا يقول: أمكث الليلة في شرب الخمر وأبدأ التوبة من غدٍ، أو هو يوم الثلاثاء أو يوم الأربعاء، يقول: أبدأ التوبة من يوم السبت، من أول الأسبوع، هذا كله لا يجوز، ولكن لا بد من الفور عند التوبة، فلابد أن يقلع عن الذنب فورًا دون تسويف هذا أول أمر.

الأمر الثاني: لابد من الندم على الذنب، فلا تنظر إلى الذنب سواء كان صغيرًا أو كبيرًا، ولكن انظر إلى ربك، كيف أنك عاديت ربك، وكيف أنك بفعلك لهذا الذنب تجرأت عليه –سبحانه– فلابد أن تراعي هذا المعنى وأن ترجع إلى ربك وألا تكون من هؤلاء الذين لا يوقرون الله –تعالى– ولا يعظمونه – نسأل الله تعالى العافية وأن يغفر لنا ذنوبنا كلها، عظيمها وقليها–.

الأمر الثالث: النية الصادقة ألا يعود إلى الذنب مرة ثانية، نية صادقة عزيمة وإرادة جازمة ألا يعود إلى ذلك الذنب مرة ثانية.

الأمر الرابع: إن كان هناك حق من حقوق الآدميين فيجب عليه أن يستوفي هذا الحق، برده إلى صاحبه أو أن يُعفى عنه، فهذا كله من الأمور التي تكون نافعة في مسألة التوبة، فحتى تكون توبتك توبة صادقة صالحة لابد أن تراعي هذه الأمور.

هناك أسباب أخر للتوبة في قول الشيخ: (وصفح لهم بالتوبة عن كبائر السيئات)

١– التوبة:

لا.. كبائر السيئات لا يُصفح عنها بالتوبة فقط، ولكن هناك أسباب أُخر، غير ما ذكر الشيخ –عليه رحمة الله– من ذلك:

٢– الاستغفار: كقول الله –عز وجل–: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً ﴿١١﴾ ﴾ [نوح: ١٠، ١١]، وفي البخاري ومسلم أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (إذا أذنب العبد ذنبًا، قال: أي ربي أذنبت ذنبًا فاغفر لي، فيقول ربي: علم عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويجازي به، قد غفرت لعبدي، ففي الثالثة أو الرابعة يقول الرب الجليل –سبحانه–: قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء) وسبق أن علقت على هذا الحديث، إذن: الاستغفار، لابد من الاستغفار،إذن: الاستغفار من الأسباب التي بها تُكفر الكبائر

٣– الحسنات الماحية: في قول الله –تعالى–: ﴿إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [هود: ١١٤]، والنبي –عليه الصلاة والسلام– في قصة حاطب بن أبي بلتعة هذه القصة موجودة في الصحيح عندما نقل خبر المسلمين إلى نفر من قريش، فعندما أُوتي بالكتاب إلى النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: (والله يا رسول الله ما فعلت ذلك ردة عن ديني ولا رضىً بالكفر بعد الإسلام) إلى آخر ما قال، والنبي –عليه الصلاة والسلام– قَبِل عذره وقال: (إنه قد شهد بدرًا وإن الله اطلع على أهل بدر فقال: افعلوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم) فحاطب بن أبي بلتعة فعل ذنبًا عظيمًا وهو ذنب التجسس ونقل أخبار المسلمين إلى الكفار، هذا ذنب أعظم من القتل وأعظم من الزنى وأعظم من السرقة؛ لأنه بنقل هذا الخبر، قد تحدث مقتلة عظيمة للمسلمين ومع ذلك النبي –عليه الصلاة والسلام– ذكر أنه قد غُفر له لماذا؟ لأنه شهد بدراً، فمشاهدة بدر حسنة ونقله لهذا الخبر كبيرة فهذا دليل على أن الحسنات العظيمة تُمحى بها السيئات، وهل من الشرط أن تكون الحسنة عظيمة لتمحى بها السيئة العظيمة؟ ليس شرطًا أن تكون الحسنة عظيمة لتمحى بها السيئة العظيمة فقد ثبت في الصحيح أن امرأة بغيًا سقت كلبًا فغفر الله لها بسقيا هذا الكلب، وبغي على وزن فعيل صفة مشبهة أي كثيرة البغاء ومع ذلك سقي الكلب كان حسنة بسبب هذه الحسنة كفر الله –تعالى– عن هذه الكبائر التي فعلتها، الحسنات الماحية.

٤– كذلك من هذه الأسباب دون استقصاء، المصائب التي تحل بالمرء، وهذا قول النبي –عليه الصلاة والسلام– في الصحيحين: (ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم ولا غم ولا حزن) هذا كله (حتى الشوكة يشاكها إلا كَفَّر الله بها من خطاياه).

قال المصنف: يعني بعد أن ذكر المصنف أن الله –تبارك وتعالى– يصفح لهم بالتوبة عن كبائر السيئات وأن هناك أسباب أُخر غير التوبة كالاستغفار كالحسنات الماحية كالمصائب كشفاعة المؤمنين بالصلاة عليه في الجنازة كشفاعة النبي –عليه الصلاة والسلام–، كأعمال البر التي تصنع له، كضغطة القبر وهوله كل هذه من الأسباب التي يكفر الله –تعالى– بها كبائر المسلم، قال المصنف: (وغفر لهم الصغار باجتناب الكبائر) فإذا ما اجتنب المسلم الكبائر غفر الله –تعالى– له الصغائر، والصغائر ما دون الكبيرة، قال الله –تعالى–: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيم ﴾ [النساء: ٣١]، وقال النبي –عليه الصلاة والسلام– والحديث مُخرج في صحيح مسلم: (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مُكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر).

قال المصنف –عليه رحمة الله–: (وجعل من لم يتب من الكبائر صائرًا إلى مشيئته) التائب من الذنب كمن لا ذنب له، ومن كانت له حسنات ماحية أو كانت له مصائب أو ما إلى ذلك من الأسباب نفعته هذه الأسباب، فمن لم يكن له مُكفر يكفر عن كبيرته، أو من مات ولم يتب في علمنا ولم يتب من ذنبه كما نعلم، فهذا الرجل نجعل أمره إلى الله –عز وجل– فأهل الكبائر نرد أمرهم إلى الله –عز وجل– إن شاء عفا عنهم ابتداءً فأدخلهم الجنة، وإن شاء حاسبهم فعاقبهم بقدر ما فعلوا من ذنب أو خطيئة أو كبيرة أو جُرم، وهذا كله متعلق بمشيئته– سبحانه– ولكن لا نتوعدهم بنار، لا نقول: بأن أهل الكبائر الذين ماتوا دون توبة متوعدون بالنار فالذين يقولون بذلك هم الوعيدية، ولكن نقول: هم صائرون إلى الله –تعالى– إن شاء عفا عنهم برحمته وجوده وإحسانه، وإن شاء عاقبهم وذلك بعدله وفضله، نسأل الله –تعالى– أن يعاملنا بجوده وإحسانه وأن ييسر أمورنا وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وحتى يكون الأمر واضحًا فإن هذا دل عليه النص قال الله –تعالى–: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، إذن: كل الذنوب دون الشرك موكول أمرها إلى الله –عز وجل– إن شاء ربي –سبحانه وتعالى– أن يغفر لأصحابها وإن شاء عذبهم كما شاء، قال– تعالى–: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ١٠٦]، فنرجو من الله –عز وجل– أن يتغمدنا بفضله وأن يرحمنا وأن يتوب علينا وأن يتجاوز عن سيئاتنا وأن يجعل عاقبتنا خيرًا وبركة، وصلي اللهم على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

فضيلة الشيخ وردتنا إجابات لأسئلة الحلقة الماضية:

كان السؤال الأول: كيف تؤمن بالرسل مجملاً؟

وكانت الإجابة: الإيمان بالرسل أصل من أصول الإيمان فالإيمان بالرسل يكون مجملاً ومفصلاً، ومجملاً من غير تعيين، يجب أن نؤمن بأن الله –سبحانه وتعالى– أرسل رسلاً إلى الجن وإلى الإنس ليبلغوا الناس دينهم، فقد ذكر الله –تعالى– في القرآن الكريم خمسة وعشرين نبيًا ورسولاً يجب أن نؤمن بهم جميعًا مجملاً ومفصلاً أما فيما يخص" مجملاً": أرسل الله –سبحانه وتعالى– رسلاً وأرسلهم إلى أقوامهم ومن المجمل أيضًا: الإيمان بعدد الأنبياء الذين ذكر الله لنا أسماءهم فمن كذب برسول فقد كذب بجميع الرسل، كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم– يستلزم الإيمان بكل الرسل

هذا جيد– ما شاء الله لا قوة إلا بالله– لكن الإيمان بأعيان الرسل الخمسة والعشرين الذين ذكروا هذا يدخل في المجمل من جانب كما يدخل في المفصل من جانب آخر.

كان السؤال الثاني فضيلة الشيخ: فرق بين الرسول والنبي؟

وكانت الإجابة: الرسول: هو من بعثه الله -عز وجل- إلى المخالفين ليبين لهم الدين والنبي: هو المخبر عن الله -عز وجل- فكل من أوحى إليه الله، فهو نبي بُعث إلى أهل الدين يحتاجون إلى النبي يأمرهم وينهاهم ويذكرهم لذا قال -سبحانه وتعالى-، وذكرت الأخت مقولة النبي -صلى الله عليه وسلم-: قالت: قال الله -سبحانه وتعالى-: (العلماء وثة الأنبياء) وهذا خطأ من عندها

هذا طبعًا ليس هذه آية ولكن قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (العلماء ورثة الأنبياء).

السؤال الثالث: تكلم عن عصمة الأنبياء؟

كانت الإجابة: الأنبياء معصومون مجمع عليها والصحيح أن الأنبياء معصومون من الوقوع في الشرك والكبائر لا قبل البعث ولا بعد البعث، قد يقع النبي في الصغيرة لكن دون تأويل بمعنى: لا يقعون فيها عمدًا ثم يتوبون ويكون حالهم أفضل بعد التوبة، الناس يظنون أن الأنبياء لهم كبائر مثل نبي الله شعيب -عليه السلام-، وقصة إبراهيم -عليه السلام- وقصة نبي الله ذي النون -عليه السلام- وقصة آدم -عليه السلام- وقصة النبي -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- محمد مع الأعمى لكن ليس هناك نبي يقع في الذنب قصدًا وعمدًا لكن يقع فيه ظنًا أنه ليس بذنب، وإذا وقع فيه يتوب إلى الله -تعالى-.

هذا جيد، لكن هناك جملة مضت قبل التي متعلقة بالتأويل فتحتاج إلى ضبط فقط، الجملة.

قد يقع النبي في الصغيرة لكن دون تأويل بمعنى لا يقعون فيها عمدً.

لا.. كيف ذلك يعني يقعون في الصغيرة دون تأويل أم بتأويل؟ لا.. بتأويل، نعم فلو تُصور وقوع النبي في الصغيرة فإنه يقع فيها متأولاً، أي لا يقصدها كقول الله -عز وجل-: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، ولكنه لا يقصدها قصدًا، ثم إذا فعلها لا يُقَّر عليها بل إنه يسارع في التوبة ويكون حاله بعدها أفضل من حاله قبلها والله تعالى أعلى وأعلم.

الأخت الكريم من المغرب يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، هل يستنبط من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، اطلاعه- تعالى- وعلمه وفوقيته واستوائه وجزاكم الله خيرًا؟

الآية واضحة، وأسأل الله -تعالى- أن يزيدك توفيقًا وهداية ورشادًا.

الأخت الكريمة من الأردن تقول: آكل الربا الذي يتخبطه الشيطان من المس في الدنيا، ماذا نسميه؟ هل هو عذاب في الدنيا فيُخفف عن صاحبه في الآخرة؟

هذا من عاجل عقوبة الله -عز وجل- أن يأخذ المرابي ليعاقبه: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥] ذلك بأن الله أحل لهم شيئًا وهو البيع وحرم عليهم شيئًا وهو الربا فأبوا إلا أن يحاربوا الله -عز وجل- فهؤلاء القوم الذين يتقلبون في المصائب بسبب الربا إنما هذا جراء ما صنعوا وأزعم أن ليس هذا من تكفير الذنب ولكن هذا من عاجل عقوبة ثم هناك الذي ينتظرهم يوم القيامة فنسأل الله -تعالى- أن يأخذ بأيدينا إلى محابه ومراضيه.

الأخ الكريم من مصر يقول: بعض الناس ينكر عذاب القبر فكيف نرد عليه؟

هذه المسألة خاض فيها بعض الذين ينبغي لهم أن يتعلموا دين الله -عز وجل- فقالوا: بأن عذاب القبر ليس عذابًا حقيقيًا ولكنه أمر نفساني، وقالوا: بأنه لا يوجد من النصوص ما يدل استقلالاً على عذاب القبر وهذا كلام في قمة الفساد فقد ثبت أن النبي -عليه الصلاة والسلام- في حديث عائشة كان يتعوذ بالله -عز وجل- في كل صلاة في نهايتها من عذاب القبر: (اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال، ومن المغرم والمأثم)، فكان النبي -صلى الله عليه وسلم- من جملة ما يتعوذ به عذاب القبر، ودخل النبي -صلى الله عليه وسلم- يومًا فوجد امرأة يهودية تذكر عائشة بعذاب القبر، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (تعوذوا بالله من عذاب القبر)، والنبي -عليه الصلاة والسلام- النصوص الثابتة عنه في إثبات عذاب القبر ونعيمه كحديث البراء وهو حديث طويل نصوص كثيرة بحيث صار هذا الأمر أي: إثبات عذاب القبر من جملة اعتقاد أهل السنة والجماعة وقال الله -عز وجل-: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواً وَعَشِياً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، فصار هناك عدة أمور، ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواً وَعَشِيِ﴾ آل فرعون أغرقوا فماتوا، فيا تُرى ما هي الحال التي يكون فيها الغدو والعشي؟ هل يكون ذلك في الدنيا أم يكون ذلك بعد البعث ويوم الساعة، وعند الفصل بين الناس ثم بعد ذلك الجنة والنار؟ الجنة والنار ليس هناك زمن انتهى الزمن في هذه الدور ليس هناك نهار ولا ليل ليس هناك قيظ ولا شتاء، هناك الأمور مختلفة تمامًا ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواً وَعَشِيِ﴾ هذا متعلق بالقبر، فهم يعذبون ليلَ نهار في القبر، والقول ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواً وَعَشِيِ﴾ أي يعرضون عليها دائمًا في كل وقت فإن هذا يسمى من الظروف المركبة، والظروف المركبة تدل على العموم، كأن تقول: قابلته ليلَ نهار، صبح مساء، أي: قابلته في كل وقت، وكذلك ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواً وَعَشِيِ﴾ أي: النار يعرضون عليها في كل وقت لا يكون ذلك إلا في القبر، فإثبات القبر ثابت- وإن شاء الله- لنا حديث في مسألة القبر وإثباته وبيان بعض الشبهات في هذه المسألة والرد عليها -بإذن الله سبحانه وتعالى-.

فضيلتكم ذكرتم المقصود بالكبائر: كل ذنب جعل له حد في الدنيا أو وعيد، ثم ذكرتم في نهاية الحديث: لا ينبغي علينا أن نكون من الوعيدية، أن نتوعد أحد بالنار؟ فكيف نفرق في ذلك؟

الوعيدية عندما تطلق يقصد بها طائفتان: الطائفة الأولى: الخوارج، والطائفة الثانية: المعتزلة، الخوارج الذين توعدوا العصاة من أهل القبلة بالخلود في النار على أنهم كفروا بهذه الذنوب، إذن: الخوارج كفروا عصاة المسلمين وتوعدوهم بالخلود في النار، المعتزلة قالوا: بأن مرتكب الكبيرة ليس مؤمنًا وليس بكافر وسموه فاسقًا، ولكنهم توعدوه بالخلود في النار، الفارق بين المعتزلة والخوراج أن الخوارج كفروا مرتكب الكبيرة والمعتزلة لم يكفروه وإنما فسقوه، ووجه الاتفاق أن الخوارج جعلت مآل مرتكب الكبيرة الخلود في النار وكذلك المعتزلة، فاختلفوا في الاسم واتفقوا في المآل، فكلاهما توعد مرتكب الكبيرة بالخلود في النار، مع اختلافهم في الاسم يا ترى كافر أم فاسق؟ وهاتان الفرقتان، فرقتان ضالتان خارجتان عن منهج أهل السنة والجماعة، فعندما نقول: بأن هناك بعض الذنوب كان الوعيد لأصحابها فالوعيد ليس معناه التخليد في النار، ولكن الوعيد معناه هنا التهديد كاللعن كالغضب كالسخط كالمقت كالخروج من الجنة كدخول النار من غير خلود، وما إلى ذلك، فهذا كله من جملة الأشياء التي نقصدها.

الأمر الثاني: أن الكبائر تتفاوت بتفاوت الكبيرة نفسها، كما تتفاوت بتفاوت فاعلها، فالشرك بالله كبيرة والقتل كبيرة وقطع الرحم كبيرة، ولكن ما هي أشد هذه الكبائر؟ الشرك بالله، أليس كذلك؟ إذن كلهم كبائر ولكن تتفاوت الكبائر من حيث الأعيان، من حيث عينها، أيضًا تتفاوت الكبائر من حيث فاعلها، فلو أن رجلاً عالمًا شرب الخمر، ورجلاً جاهلاً سفيهًا شرب الخمر، لكان كلاهما شارباً الخمر، وكان كلاهما فاعلاً كبيرة ولكن الكبيرة فيها عند هذا تغلظ وتعظم وتشتد ليكون إثمها عليه أعظم من هذا الآخر فالكبيرة تتفاوت بتفاوت فاعليها كما تتفاوت بتفاوت أفرادها، فهذه مسألة مهمة جدًا وأرجو أن تكون واضحة.

الأمر الثالث: أن الصغيرة قد تنقلب إلى كبيرة، وذلك بالإصرار، الصغائر تنقلب إلى كبائر بالإصرار والإصرار غير الاستحلال، الإصرار كأن يقول: نعم أعلم أني مذنب ولكن سآتي الذنب مرة ثانية، إذن: هذا إصرار لكن لو قال: إن هذا الذنب حلال وأنا سأفعله؛ لأني لا أقتنع بأنه حرام إذن: هذا كفر- والعياذ بالله- فالمصر على الذنب هذا عاصٍ أما مستحل الذنب كافر- نسأل الله تعالى العافية- يعني لو واحد قال: بأن الزنا حلال ولا بأس بأن الناس تستحل فروج بعض، هذا كافر، كما حدثت مع طائفة القرامطة، فالقرامطة كانوا يستبيحون فروج بعضهم البعض، فكان الرجل يستبيح فرج ابنته فيقول: كيف لي أن أُربي ابنتي حتى يستبيحها رجل أجنبي، فأنا أولى بابنتي من غيري، -انتبه لهذا- فهذا كفر بالله العظيم؛ لأنه يستحل ما حرم الله ليس هذا من جنس الذنب هذا كفر، لكن الذي يأتي بالذنب- الزنا أو القتل أو شرب الخمر- ويعلم أنه ذنب ويعلم أنه مخالف ويعلم أنه عاصٍ فإنه بذلك يكون مذنبًا يكون عاصيًا والخير فيه مأمول، قال الله -تعالى-: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

واضح يا أخي هذا الحديث؟

نعم

لو سألتكم ماذا فهمتم تجيبوني؟

إن شاء الله.

الأخ الكريم من مصر يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، عندي سؤالان لو سمحت:

السؤال الأول: ذكرتم فضيلة الشيخ، أن أدلة إمكان البعث ثلاثة: أولاً: الاعتبار بخلق الإنسان أول مرة، ثانيًا: الاعتبار بخلق السماوات والأرض، ثالثًا: الاعتبار بإحياء الأرض وهي ميتة فهل يمكن الاستدلال بآية النوم والاستيقاظ في قوله- تعالى-: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَ﴾ [الزمر: ٤٢]، الآية، وفي الحديث ما معناه: (إنكم ستموتون كما تنامون وتبعثون كما تستيقظون)؟

السؤال الثاني: ذكرتم فضيلة الشيخ أن للتوبة شروطاً، ومنها: إذا كان هناك حق من حقوق الآدميين يستوفي الحق برده لصاحبه أو يعفو عنه فإذا كان الحق غِيبة لمسلم والوقوع في عِرضه، فهل الأفضل أن يستسمحه في ذلك أو يدعو له خاصة إذا ترتب على إعلامه بذلك زيادة عداوة أو حقد أو غير ذلك؟

فضيلة الشيخ الأخ الكريم كان له سؤلان:

سؤاله الأول: عن قولكم في أدلة إمكان البعث هل يمكن الاستدلال بآية النوم: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾؟

هذا جيد، والإشكال أننا عندما تكلمنا عن البعث تكلمنا عن بعث أنكره المشركون ولم يستوعبوا صورته، وبعث التراب والعظام الرميم فكلام الأخ جيد ومعتبر- جزاه الله خيرًا-.

سؤاله الثاني فضيلة الشيخ: عن شروط التوبة في استيفاء الحق للغير ومثّل بالغيبة الاستسماح أو الدعاء له وأن الاستسماح قد يورث الحقد في قلب المستسمح؟

–والله– إن كنت تعلم إن هذا الرجل عنده من سعة القلب وسعة الصدر والمعروف والبر والإحسان ما به ينفسح لقبول توبتك، والعفو عنك، فلابد أن تصارحه وأن تقص عليه تقول له: والله صنعت كذا وكذا وكذا وإني أستسمحك فيما صنعت معك أو فيك، وإن كنت تعلم أنه ضنين بذلك، وأنه قد يترتب على ذلك ما لا يحمد عقباه فالأولى أن تستر ذلك الأمر وأن تكثر من الدعاء له لعل الله –تعالى– أن يغفر لك بذلك، والله تعالى أعلى وأعلم.

الأخ الكريم من السعودية يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، عندي إضافة بسيطة بخصوص شروط التوبة وعندي سؤالان: أولاً الإضافة يقول الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله تعالى–: «ينسى الناس شرطًا هامًا من شروط التوبة وهو الإخلاص»، وإن كان في كل عمل، لكن يقول ينساه كثير من الناس ومثل بشارب الدخان الذي يمرض ثم يتوب من أجل المرض لا من أجل الله،

السؤالان: السؤال الأول: حديث الرجل الذي قال لأولاده: (لئن قدر الله علي) أريد توجيهاً لقوله: (لئن قدر)، هل معناه التضيق أم هناك توجيه آخر؟

السؤال الثاني: ما معنى قوله –صلى الله عليه وسلم–: (وإن الله كتب الحسنات والسيئات)؟ .

فضيلة الشيخ الأخ الكريم سؤاله الثاني: عن حديث الرجل الذي قال لابنيه:(لئن قدر الله علي) إلى نهاية الحديث، يريد توجيهاً في قوله: (لئن قدر)؟

هذا الحديث من الأحاديث التي كثر الخوض فيها، هل المقصود (لئن قدر الله علي) من التقدير بمعنى التضييق، ومنه قوله –سبحانه وتعالى– ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ﴾ [سبأ: ١١]، أي ضيق في السر حتى يكون بقدر أجساد من يلبسون هذا الحديد؟ هذا الوجه ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى وأفسده من وجوه عديدة، وقال: «إن السياق يدل على فساد هذا القول؛ لأن الرجل كان مسرفًا على نفسه وهذا الرجل ظن أنه إن فعل ذلك أن الله –تعالى– لن يقدر عليه»، فالمسألة ليست متعلقة بالتضييق ولكنها متعلقة بالقدرة فهذا الرجل كان جاهلاً قدرة الله –عز وجل– على البعث، كان جاهلاً ليس منكرًا وفارق بين الجهل والإنكار فهذا الرجل كان جاهلاً قدرة الله –تعالى– على البعث، وكان يتصور أن الله –تعالى– لو قدر عليه، يعني هو كان جاهلاً هذه القدرة، ويتصور أنها لو حدثت فإن الله –تعالى– سيعذبه عذابًا شديدًا فكان مشفقًا على نفسه أن لو حصلت هذه القدرة أن يعذبه الله –عز وجل– فلما قدر الله عليه، فجمع جسده وسأله: ما حملك على هذا؟ قال: (خشيتك يا رب) وفيه دليل لأهل السنة أن الرجل قد تجتمع فيه شُعَب الإيمان كما تجتمع فيه شعب الكفر، أيضًا فيه دليل على من ذهب إلى مسألة الإعذار بالجهل فهذا رجل كان جاهلاً قدرة الله –عز وجل– ومع ذلك كان عنده من قوة الإيمان ومن الخوف من الله –عز وجل– وهذه أعمال قلبية ما جعل الله –تعالى– يغفر له ذلك الجهل ويأمر به فيدخل الجنة وتمام ذلك يراجع مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية –عليه رحمة الله–.

كان سؤاله الثاني فضيلة الشيخ: ما معنى (إن الله كتب الحسنات وكتب السيئات)؟

الكتابة هنا هي الكتابة التي عند ربي –عز وجل– في كتاب فهي عنده على العرش فوق السماء ﴿لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢].

فضيلة الشيخ الأخت الكريمة من السعودية تقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الربا من الكبائر فهل المرابي وآكل الربا وموكله حد أم أن عليه وعيدًا فقط؟

اللعن في صحيح مسلم وغيره أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (لعن الله آكل الربا ومؤكله وكاتبيه وشاهديه، وقال: هم سواء)، فهذا لعن شديد واللعن معناه: الطرد من رحمة الله -عز وجل- وإمام المسلمين إذا وجد الرجل يرابي ولا يقلع عن الربا جاز له أن يعاقبه العقوبة البالغة التي يكون فيها ردع له ولأمثاله من المخالفين لشرع الله -عز وجل- والعقوبة تكون من باب التعزير لا من باب الحدود- والله تعالى أعلى وأعلم-.

قال الله -تعالى-: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾ [الحج: ٧]، وقال المصنف -رحمه الله-: (وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من يموت)، فهنا عن عدم اقتدائه بقول الله -سبحانه وتعالى- حينما قلت فضيلتكم:(إن قوله أراد به أن الله -سبحانه وتعالى- يبعث جميع الأموات وليس الذين لهم قبور فقط، فهل قصد الله -سبحانه وتعالى- معنى غير ذلك؟

أنا ذكرت في سياق التعليق على كلام المصنف، أن عبارة المصنف عبارة تفسيرية، وأن نص الآية نص تقريبي؛ لأن معظم الموتى إنما يقبرون- والله تعالى أعلى وأعلم-.

الأخت الكريمة من السعودية تقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ذكرت في كلامك أن قتل النفس يترتب عليه حد، والديوث يترتب عليه وعيد أليس يترتب على قتل النفس حد ووعيد في الآخرة أيضًا؟

نعم، نعم.

ما الحكم فيمن أنكر عذاب القبر جهلاً وليس تأويلاً؟

الجهل كالتأويل، كلاهما مانع من إيقاع الحكم بالتكفير، فلا ينسب الحكم بالتكفير لا إلى جاهل ولا إلا مؤول، وأسأل الله -تعالى- أن يمد لنا وقتًا بحيث نتكلم في بعض هذه المسائل عندما نتعرض لها - بإذن الله تعالى-.

الأخت الكريمة من الأردن تقول: يقول بعضهم: إن استغفارنا يحتاج إلى استغفار؟ ما مدى صحة هذا القول؟ مع شعورنا دائمًا بالتقصير؟

أي والله هذا قول سديد، قول صحيح؛ لأن الاستغفار يحتاج كي يُقبل إلى قلب، وقلوبنا تحتاج إلى طهارة، حتى يقبل الله -تعالى- منها هذا الاستغفار فنسأل الله -تعالى- أن يطهر قلوبنا، وألا يجعلنا من الذين قال فيهم: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ [المائدة: ٤١]- نسأل الله تعالى العافية-.

ذكرتم في الإيمان بالرسل أنه يجب أن يكون الإيمان بالرسول أنه ذكرًا عاقلاً بالغًا مكلفًا ولا يتصور أن تكون النبوة في أنثى، ولكن قرأت في كتاب التذكرة في أحوال الموتى، للإمام القرطبي أنه ذكر أنه هناك خلاف بين العلماء: هل السيدة مريم نبية أم لا؟ وبعض العلماء استدلوا بقول الله -تعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ ﴾ [آل عمران: ٤٢]، وذكر أيضًا قول الله -تعالى-: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَ ﴾ [مريم: ١٧]، فما وجه استدلال العلماء بهذه الأدلة وكيف ردوا عليها؟

باختصار شديد لم يذهب على- ما أعلم- هذا المذهب إلا القرطبي وابن حزم، وكلاهما من أهل المغرب، يعني: هذا الأمر إنما كان له رواج أو له أرضية في بلاد المغرب والأندلس، واستدلالهم في ذلك ليس بسديد، فكون أن الملائكة كلمت مريم ليس هذا نصًا بأنها نبية ويوحى إليها، فإن الملائكة ربما تؤثر في بعض الأشياء في الكون بمعطيات وبأمور- وبإذن الله تعالى- أحاول أن أجيب على هذا السؤال بشيء من التفصيل، بعد هذا المجلس لانتهاء الوقت- والله تعالى أعلى وأعلم-.

هلا تفضلتم بإلقاء أسئلة هذه المحاضرة

هناك سؤالان صغيران:

السؤال الأول: اذكر أدلة إثبات الساعة والبعث؟

السؤال الثاني: أسباب تكفير الذنوب؟

وجزاكم الله خيرًا

المحاضرة العاشرة

مرتكب الكبيرة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وكفى وصلاة وسلامًا على عباده الذين اصطفى اللهم صلي وسلم على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا ثم أما بعد .

سيكون حديثنا – إن شاء الله تعالى– في هذا اللقاء المبارك نسأل الله –تعالى– أن يجعله ثقلاً في ميزان حسناتنا وأن يكفر به عن كثير سيئاتنا سيكون متركزًا في نقطتين اثنتين:

النقطة الأولى: عدل الله –تعالى– وفضله.

النقطة الثانية: إثبات الشفاعة التي منها شفاعة النبي –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم–.

فهيا بنا نسمع إلى ما قاله المصنف– عليه رحمة الله–.

قال المصنف –رحمه الله تعالى–: (ومن عاقبه الله بناره أخرجه منها بإيمانه فأدخله به جنته قال الله – تعالى– : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ﴿٧﴾﴾ [الزلزلة: ٧]، ويُخرج منها بشفاعة النبي –صلى الله عليه وسلم– من شَفَعَ له من أهل الكبائر من أمته)

جزاكم الله خيرًا.

بسم الله الرحمن الرحيم، قول المصنف –عليه رحمة الله–: (ومن عاقبه الله –تعالى– بناره أخرجه منها بإيمانه، فأدخله به)أي: أدخله بإيمانه (جنته قال –تعالى–: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ﴿٧﴾﴾ [الزلزلة: ٧]) الكلام هنا على مسألة الفاسق الملي وهو مرتكب الكبيرة الذي مات دون أن يتوب منها، فمذهب أهل السنة، وهو المذهب الأثري الصحيح الذي عليه أهل الأثر، والسلف الصالح– رضي الله تعالى عنهم جميعًا– من الصحابة والتابعين وتابعيهم وكان عليه الأئمة الأعلام وجرى عليه أهل الخير والصلاح والعلم والهداية والتوفيق من هذا الزمن إلى زمننا هذا إلى أن يشاء الله –عز وجل–: أن مرتكب الكبيرة متروك أمره إلى الله –عز وجل– إن شاء عفا عنه ابتداءً وهذا بفضله وجوده وإحسانه، وإن شاء ربنا –سبحانه وتعالى– آخذه بذنبه ثم بعد ذلك يخرجه من النار بفضله ومنته وجوده. فهذا المذنب مرتكب الكبيرة عندما يُعاقب فإن الله –تعالى– لا يظلمه، فإن ربك ليس بظلام للعبيد، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٧٦﴾﴾ [الزخرف: ٧٦]، فربك –سبحانه وتعالى– عندما يعاقبهم إنما يعاقبهم بذنوبهم ﴿فَكُلاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، فعقاب الله –تعالى– للمذنبين الذين لم يتوبوا من ذنوبهم إنما هذا عدله– سبحانه– وتفضله عليهم بعد ذلك بإدخالهم الجنة وإنجائهم من النار إنما هذا جوده وإحسانه ورحمته، فإن أحداً لن يدخل الجنة بعمله، كما قال النبي –عليه الصلاة والسلام– وإنما يدخل الناس الجنة برحمة ربهم –سبحانه– كما ثبت عن النبي –عليه الصلاة والسلام– والجنة لن يدخلها إلا نفس مؤمنة أو نفس مسلمة، كما صح بذلك الخبر عن رسول –صلى الله عليه وسلم– وقال الله –تعالى–: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] أما المسلم فإن مآله إلى الجنة، قال الله –تعالى– ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وهذا هو الاعتقاد السلفي أن صاحب التوحيد الذي مات عليه حتى لو أتى من الكبائر ما أتى فإنه موكول أمره إلى الله –عز وجل– إن شاء عفا عنه ابتداءً وإن شاء عاقبه ثم أدخله الجنة انتهاءً هذا بعدله وهذا برحمته وفضله، هذا هو الاعتقاد السلفي في هذه المسألة.

وهذا الاعتقاد اعتقاد وسط بين اعتقاد الوعيدية وبين اعتقاد المرجئة ونحوهم:

- فالوعيدية من الخوارج والمعتزلة يتوعدون مرتكب الكبيرة بالخلود التام في النار، مرتكب الكبيرة متوعد بالخلود التام الذي لا يخرج من النار بسببه أبداً، فصاحب الكبيرة مخلد في النار أبدًا شأنه في ذلك شأن الكافر سواءً بسواء، هذا اعتقاد الخوارج والمعتزلة، وقلت لكم من قبل: بأن الخوارج والمعتزلة اختلفوا في الاسم ولكنهم اتفقوا في ماذا؟ في المآل والمنتهى، المعتزلة قالوا: بأن مرتكب الكبيرة ليس مؤمنًا، قلنا: إذن: هو كافر؟ قالوا: ليس بكافر، إذن: هو ماذا؟ قالوا: هو فاسق، إذن: هو فاسق، أيكون في الجنة؟ قالوا: لا، أيكون في النار؟ قالوا: نعم، إذن: يدخل النار ثم يخرج؟ قالوا: لا يخرج منها شأنه في ذلك شأن المخلدين أبداً، فاتفقوا مع الخوارج في ماذا؟ في الحكم والنهاية، ولكنهم اختلفوا مع الخوارج في الاسم، فالخوارج جعلوه كافرًا والمعتزلة جعلوه فاسقاً ولكن النهاية واحدة.

- وأيضًا المرجئة ومن كان نحوهم قالوا: بأنه لا يضر من الإيمان ذنب فإن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، إيمانه تام، فالكبير لا تؤثر في الإيمان ولا تنقص منه. هذا اعتقادهم، هذا اعتقاد ليس بالصواب، وهذا اعتقاد ليس بالصواب.

- أما اعتقاد أهل السنة والجماعة، الاعتقاد القصد، اعتقاد أهل الأثر، اعتقاد السلف الصالح، -رضي الله تعالى عنهم جميعًا- أنه مؤمن بما معه من إيمان، وأنه فاسق بكبيرته، وأنه مُتوعد ولكنه في هذا الوعيد داخل في مشيئة الله -عز وجل- إن شاء الله تعالى أمضى ذلك الوعيد وإن شاء عفا عنه، وإن أدخله النار، نفعه ما معه من الإيمان فكان مآله إلى الرضوان والجنان، نسأل الله -تعالى- أن نكون من أهل الجنة.

وأهل الكبائر عندما يعاقبهم الله -تعالى- بناره كما قال المصنف: (ومن عاقبه الله بناره) وهذا بسبب جرمه، بسبب كبيرته، فإن الله -تعالى- يخرجه منها بإيمانه، فلا يتساوى أن يكون الرجل مرتكباً للكبيرة فلا يتساوى مع الذي نبذ الإيمان كليًا وكان كافرًا برب العالمين، كلاهما في النار، ولكن هذا خالد مخلد فيها أبداً وهذا يخرجه ربنا -سبحانه وتعالى- فيشفع الله -تعالى- فيهم، يشفع الله -تعالى- في العصاة يشفع الله -تعالى- في هؤلاء العصاة، برحمته -سبحانه وتعالى- يدل على ذلك ما أخرجه الإمام أحمد والدارمي، وابن خزيمة وسنده صحيح على شرط الشيخين من حديث أنس: (أن أهل النار يقولون لمن دخل النار من العصاة: ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون في الدنيا، فيقول الرب الجبار: فبعزتي لأعتقنهم من النار) العصاة يكونون مع أهل النار في النار، فيقول الكفار لهؤلاء العصاة: ما أغنى عنكم عبادتكم لله -عز وجل- ما أغنى عنكم توحيدكم، وهنا يشفع الله -تعالى- فيهم، فيقول- سبحانه-: (فبعزتي لأعتقنهم إلى النار فيرسل إليهم فيخرجون وقد امتحشو) امتحشوا أي: صاروا سودًا فحمًا- والعياذ بالله- (فيدخلون في نهر الحياة فينبتون فيه كما تنبت الحبة في جانب السيل)، الحبة: البقلة عندما تنبت في جانب السيل فإنها تنبت يخرج منها الفسيل الصغير منها، أو يخرج منها مجموعها الخضري ثم بعد ذلك تنتفش وتنتعش حتى تكون مباركة، (ويكتب بين أعينهم: هؤلاء عتقاء الله -عز وجل- فيذهب بهم فيدخلون الجنة، فيقول لهم أهل الجنة هؤلاء الجهنميون، فيقول الجبار: بل هؤلاء عتقاء الجبار -عز وجل-) أهل الجنة يقولون: هؤلاء الجهنميون فيقول الله -عز وجل-: بل هؤلاء عتقاء الجبار -عز وجل-.

إذن: هذا الحديث الصحيح نصٌ أن الله -تبارك وتعالى- يخرج المذنبين العصاة من النار فيدخلهم الجنة برحمته وجوده -سبحانه وتعالى- وهذا الحديث له طريق أخرى عند الطبراني من حديث أنس -رضي الله تعالى عنه- وعند ابن أبي عاصم وصححه الألباني من حديث أنس -رضي الله تعالى عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (إذا أخرج الله أهل النار من النار)، والمقصود بأهل النار هنا: الذين يخرجون من النار، الموحدون من العصاة، أو قل: العصاة من الموحدين، (إذا أخرج الله أهل النار من النار، بشهادة أن لا إله إلا الله، تمنى الآخرون لو كانوا مسلمين) وهذه الآية ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]، تأولها أنس -رضي الله تعالى عنه- كما تأولها عبد الله بن عباس أن الكفار يعايرون أهل الجنة، ما أغنى عنكم توحيدكم ما أغنى عنكم عبادتكم لله -عز وجل- فيأمر الله -تعالى- هؤلاء العصاة فيخرجون من النار إلى الجنة وعند ذلك يتمنى الكفار أن لو كانوا مسلمين. وعند ابن أبي عاصم في السنة وهذا الحديث أصله في البخاري وعند الإمام أحمد وابن خزيمة من حديث أنس أن نبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (ليصيبين أقوامًا سفع) أي: وهج ولفع وحر (من النار عقوبة بذنوب أصابوها ثم يدخلهم الله -عز وجل- الجنة بفضل رحمته) إذن: هناك شفاعة ربنا - سبحانه وتعالى- للعصاة المذنبين من المسلمين وهذه الشفاعة ينكرها المعتزلة كما ينكرها أيضًا الخوارج أي شفاعة الله -تعالى، عز وجل- بإخراج مرتكبي الكبيرة من النار هذه شفاعة ينفيها المعتزلة كما ينفيها أيضًا الخوارج.

وإن شاء الله -عز وجل- لنا كلام في مسألة الذين يردون الشفاعة في نهاية الحلقة. فنسأل الله -تعالى- التوفيق والتيسير.

من الذين يشفع لهم ربنا -سبحانه وتعالى- فيخرجون من النار؟ من هؤلاء؟ هؤلاء هم أصحاب "لا إله إلا الله" هم العصاة من الموحدين هم العصاة من الموحدين وحتى لا يظن ظانٌّ أن المقصود بأصحاب لا إله إلا الله، كل من قال: لا إله إلا الله، حتى ولو كان منافقًا فإن هناك نصوص وردت وبينت أن لا إله إلا الله مقيدة بقيد هذا القيد هو أن يوجد مع لا إله إلا الله شيء في القلب، شيء من الحب من الخوف من الرجاء أن يوجد في القلب شيء من عمله ولابد من وجود هذا القيد، فالمنافقون كانوا يقولون: لا إله إلا الله، وهم من أعدى أعداء الإسلام بل هم في الدرك الأسفل من النار كما قال ربنا -عز وجل- وقال الله -عز وجل-: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٨٤]، فالمنافقون كفار، وهم أشد في الآخرة عذابًا ونكالاً ووبالاً من الكفار الأصليين، فـــ "لا إله إلا الله" لن تنفعهم في شيء، هم في الدنيا مسلمون، من أهل لا إله إلا الله في الدنيا من أهل القبلة في الدنيا؛ لأننا نراهم أحيانًا يصلون، وأحيانًا يقولون: لا إله إلا الله فيلزمنا أن نثبت إسلامهم في الدنيا أما هم عند الله -عز وجل-هم كفار وهم عند الله -عز وجل- متوعدون بالنار التي هي أشد من نار الكفار- والعياذ بالله- قال- تعالى-: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، فـــ"لا إله إلا الله" لن تنفعهم لأنه ليس في قلوبهم شيء يتوجهون به إلى الله قلوبهم خاوية تمامًا ليس فيها ذرة ولا شعيرة ولا خردلة ولا حبة ولا برة ولا ذرة من إيمان إذن: قلوبهم خواء قلوبهم مظلمة، ليس فيها شيء من خير إذن: لا إله إلا الله تنفع من كان في قلبه شيء من الخير حتى ولو كان شعيرة حتى ولو كان ذرة حتى ولو كان خردلة حتى ولو كان حبة حتى لو كان برة، أي شيء ولو كان صغيرًا من الخير، ينفعك عند الله -عز وجل- إذن: لو أن إنسانًا لم يأتِ بعمل قط، وهذه مسألة بسطها- بإذن الله تعالى في قضية الإيمان عندما يأتي محلها- لو أن إنسان ليس في صحيفته عمل قط، إلا ما كان من شأن قلبه فإن قلبه أتى بشيء قليل ووضيس قليل من نور الخير هذا الشيء القليل ينفعه عند الله -عز وجل- يدل على ذلك ما أخرجه الإمام أحمد وابن خزيمة من طرق وأصله في الصحيحين ولكن من غير ذكر جملة الإيمان- كما سيأتي- من حديث أبي سعيد -رضي الله تعالى عنه- أنه سمع النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: (يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه ما يزن شعيرةً من إيمان أو شُعيرةً من إيمان)- سبحان الله- إذن: من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه، اسمع وكان في قلبه ما يزن شعيرة من إيمان تنفعه هذه الشعيرة القليلة البسيطة التي لا يؤبه لها، إذن: هذا نص في هذه المسألة.

أيضًا ما أخرجه البخاري ومسلم، هذه كلها نصوص تدل على أن لا إله إلا الله التي تنفع صاحبها مقيدة بقيد، أن يكون القلب فيه شيء ولو يسير من الخير، يدل على ذلك أيضًا ما أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه والطيالسي والترمذي وغيرهم من حديث أنس -رضي الله تعالى عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة).

وأيضًا أخرج ابن أبي عاصم وأحمد وابن خزيمة، وهذا الحديث جود إسناده العلامة الألباني- عليه رحمة الله- والحديث أيضًا في البخاري من حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- قال:(قلت: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد غيرك، لما أرى من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة) وهذا هو الشاهد، (أسعد الناس بشفاعني يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله مخلصًا من نفسه) هذا أسعد الناس بشفاعة النبي -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-.

إذن: شفاعة الله -تعالى- لا تكون لأي أحد وإنما تكون لأهل لا إله إلا الله، وهي لا تكون لأهل لا إله إلا الله هكذا مطلقًا، وإنما تكون لأهل لا إله إلا الله الذين قيدوا هذا القول بشيء في القلب.

وهنا ملحوظة: أن شفاعة الله -عز وجل- إنما تكون شفاعة متأخرة عن شفاعة الشافعين، شفاعة الشافعين وشفاعة الملائكة وشفاعة النبيين وشفاعة المؤمنين وشفاعة الأهل والأقربين-لاسيما من الشهداء- وشفاعة الغلمان الذين يموتون دون سن الحنث. هذه كلها شفاعات صحيحة مثبتة وأتت بها النصوص وشفاعة ربنا -عز وجل- للعصاة من الموحدين من أهل لا إله إلا الله إنما تأتي بعد شفاعة الشافعين، يدل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد -رضي الله تعالى عنه- وفيه: (أن الله -عز وجل- يقول: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبقَ إلا أرحم الراحمين) -سبحانه وتعالى-(فيقبض قبضة من نار، فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط، قد عادوا حُمم) يعني: عادوا كالفحم المتفحم -والعياذ بالله-.

إذن: هذه قبضة قبضها الله -عز وجل- من النار، وهذه القبضة تكون لقوم لم يعملوا خيرًا قط، فيحمل هذا على ما سبق من الحديث أنهم لم يعملوا خيرًا قط ولكنهم من أهل لا إله إلا الله، وفي قلبهم شيء من الخير، فيحمل هذا على هذا، وتجمع الأحاديث جميعها في نسق واحد، فالطريقة السلفية الصحيحة العلمية أن الأحاديث الواردة الباب تجمع جميعًا في نسق واحد ثم تفهم فهماً واحداً ويدل على ذلك أيضًا ما أخرجه مسلم بتمامه والبخاري مختصراً من حديث أنس وفيه: (أن النبي -عليه الصلاة والسلام- يشفع إلى الله -عز وجل- ويشفع النبي -عليه الصلاة والسلام- ويشفع النبي -عليه الصلاة والسلام-) يعني: يشفع فيقبل الله -تعالى- شفاعته ثم يعود فيشفع فيقبل الله -تعالى- شفاعته ثم يعود فيشفع فيقبل الله -تعالى- شفاعته، (ثم يقول النبي -عليه الصلاة والسلام- في المرة الأخيرة: ربي ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقول الله -تعالى-: ليس ذاك أو ليس ذلك لك أو إليك، ولكن وعزتي وجلالي وعظمتي لأخرجن من النار من قال: لا إله إلا الله).

إذن: إخراج القبضة من النار وشفاعة ربنا فيهم إنما يكون ذلك بعد شفاعة من؟ بعد شفاعة النبي -عليه الصلاة والسلام-، وبعد شفاعة الملائكة وبعد شفاعة من أذن الله -تعالى- له في شفاعته، إذن: (ومن عاقبه الله -تعالى- بناره أخرجه منها بإيمانه) حتى ولو كان هذا الإيمان شيئًا قليلاً لا يذكر، حتى ولو كان هذا الإيمان مثقال ذرة، أو كان هذا الإيمان مثقال خردلة، أو حبة أو برة أو شعيرة، طالما أن شيئًا ولو كان قليلاً في القلب من الإيمان فإن الله -تعالى- يخرج صاحبه ما كان يقول: لا إله إلا الله.

قال المصنف -عليه رحمة الله-: (ويخرج منها بشفاعة النبي -صلى الله عليه وسلم- من شفع له من أهل الكبائر من أمته) إذن: نتكلم هنا عن شفاعة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولك أن تقول: لماذا قدمت شفاعة الله

-عز وجل- على شفاعة النبي -صلى الله عليه وسلم- وشفاعة الله -تعالى- يوم القيامة متأخرة عن شفاعة النبي -صلى الله عليه وسلم-؟

فالجواب:

الأمر الأول: أن هذا الأمر كان اضطرارياً لسياق المصنف.

الأمر الثاني: أنه يمكن أن يقال: هذا من باب التشريف، فلا يذكر أحد قبل ربنا -سبحانه وتعالى-.

شفاعة النبي -صلى الله عليه وسلم- شفاعتان:

الشفاعة الأولى: شفاعة عامة---- والشفاعة الثانية: شفاعة خاصة:

الشفاعة العامة: هي شفاعة النبي -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- يوم القيامة للخليقة كلها، وهذا هو المقام المحمود الذي عناه ربنا -سبحانه وتعالى- في قوله: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾ [الإسراء: ٧٩] فسر النبي -عليه الصلاة والسلام- المقام المحمود بالشفاعة، وصح الخبر بذلك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيما أخرجه ابن أبي عاصم بإسناد حسن، أن النبي -عليه الصلاة والسلام- فسر المقام المحمود بالشفاعة، والحديث أخرجه ابن أبي عاصم بإسناد حسن من حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- وهذا السياق وهو سياق معروف: (أن الله -تعالى- عندما يجمع الناس وتقترب الشمس من رؤوس الخلائق، حتى لا يكونوا بينها وبينهم إلا مقدار ميل، والميل قد يقصد به: الميل الذي هو أكبر من الكيلو وقد يقصد به: الميل الذي هو الشيء اليسير الذي تجعله المرأة في مكحلتها لتتكحل به، شيء يعني عدة سنتيمترات، تصور لو أن الشمس بين رأسك وبينها عدة سنتمترات، كيف يكون حالك؟ ولذلك يعرق الناس عرقاً عظيماً في الحديث الطويل الذي فيه تذهب الخلائق إلى آدم ليشفع لها عند الله -عز وجل- أن يفصل بينها ولو إلى النار، الخلائق ترجوا وتدعوا الله -عز وجل- أن يقضي بينها وأن يُعجل هذا اليوم ولو إلى النار، ولو إلى النار، وهذا اليوم مقداره خمسون ألف سنة، هذا اليوم تقفه الخلائق، تقفه الخلائق بمقدار خمسون ألف سنة، يوم عظيم يوم مهول- نسأل الله تعالى فيه العافية يا رب العالمين وأن يظلنا في ظله يوم لا ظل إلا ظله- هذا اليوم العظيم تذهب فيه الخلائق إلى آدم يحيلهم بعد ذلك إلى نوح، ثم بعد ذلك إلى إبراهيم ثم بعد ذلك إلى يذهبون إلى موسى ثم بعد ذلك إلى عيسى ثم يذهبون إلى النبي -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- فيقول النبي: أنا لها أنا لها، فيذهب النبي -صلى الله عليه وسلم- فيسجد تحت عرش الرحمن، فيأمره ربه -سبحانه وتعالى- أن يرفع رأسه ويقول له الرب: ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطَ) ثم الحديث بتمامه، هذه هي الشفاعة العظمى المثبتة للنبي -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- ولذلك أخرج ابن أبي عاصم بإسناد حسن أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: (إذا كان يوم القيامة كنت إمام الناس ولا فخر)، كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إمام الناس، وكان خطيبهم، وكان صاحب شفاعتهم ولا فخر، إذن: الإمام والخطيب وصاحب الشفاعة يوم القيامة هو النبي -عليه الصلاة والسلام- إذن: هذه هي الشفاعة العظمى المثبتة للنبي -عليه الصلاة والسلام- هذه الشفاعة لم ينفها أحد يعني: المعتزلة والمرجئة والخوارج وأهل السنة كل الناس أثبتوا هذه الشفاعة للنبي -صلى الله عليه وسلم- إذن: هذه شفاعة مثبتة للنبي -صلى الله عليه وسلم- وكل الفرق أثبتتها للنبي -صلى الله عليه وسلم-.

الشافعة الثانية: هي الشفاعة الخاصة، وهي شفاعة النبي -عليه الصلاة والسلام- لأمته، للعصاة من أمته، لأهل الكبائر من أمته -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- قال النبي -عليه الصلاة والسلام- وهذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كما أخرجه الإمام أحمد من حديث أنس -رضي الله تعالى عنه- قال: (لكل نبي دعوة) أي: دعوة مستجابة (وإني استخبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة) وإني استخبأت دعوتي أي: طلبت ربي أن يخبئ دعوتي استخبأت: أي طلبت من الله- تعالى- أن يخبئ دعوتي وأن يؤخر دعوتي لأمتي شفاعة

لأمتي يوم القيامة، انظروا إلى حب النبي –عليه الصلاة والسلام– لهذه الأمة، انظروا إلى حرص النبي –صلى الله عليه وسلم– على هذه الأمة، (لكل نبي دعوة مستجابة) يدعوها يستجيب له ربه –عز وجل– أما النبي –عليه الصلاة والسلام– لم يدعها في الدنيا، كل نبي: سيدنا نوح وموسى وعيسى وإبراهيم قبل ذلك، ما من نبي إلا ودعا ربه دعوة ورجا ربه أن يجيبها، فهذه دعوته التي جعلها الله –تعالى– له أما النبي –عليه الصلاة والسلام– فإنه طلب من الله أن يخبئ دعوته، دعا ربه أن يؤخر دعوته لماذا؟ لمن؟ حتى تكون شفاعة لأمته يوم القيامة –عليه الصلاة والسلام–.

وأيضًا عند أبي عاصم من حديث أنس أن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: (إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)، إذن: شفاعة النبي –صلى الله عليه وسلم– ثابتة وهي نائلة من مات وهو يقول: لا إله إلا الله كما ثبت في غير نص.

العجيب أن نابتة سوء من المتأخرين أنكروا شفاعة النبي الأمين –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم– وقالوا: بأن هذه الأحاديث الصحيحة في البخاري ومسلم وعند أحمد وأصحاب السنن وفي الموطأ وفي غيره، القاضية بإثبات شفاعة النبي –عليه الصلاة والسلام– بإخراج العصاة من النار، بل أحاديث الشفاعة القاضية بإخراج العصاة عموماً من النار، سواء شفاعة الله –تعالى– لهم أو شفاعة الملائكة أو شفاعة النبيين، هذه الأحاديث أنكروها، هذا حال المعتزلة والخوارج قديماً، أنهم أنكروا الشفاعة وأنكروا أحاديث الشفاعة، المشكلة أن العقلانيين أصحاب الهوى في هذه العصور المتأخرة لم ينكروا أحاديث الشفاعة هكذا وإنما أصلوا أصولاً بها أنكروا أحاديث الشفاعة، ماذا قالوا؟ قالوا: بأن هذه الأحاديث إنما دُوِّنت في عصر الدولة العباسية في عصر العباسيين، بينها وبين النبي –عليه الصلاة والسلام– مئات السنين فحصل هناك انقطاع زمني بين حديث النبي –عليه الصلاة والسلام– وبين تدوين وكتابة حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وبالتالي نحن لا نطمئن إلى حديث النبي –صلى الله عليه وسلم– فأنكروا جملة حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وكان من جملة ما أنكروه أحايث الشفاعة، إذن: هم أنكروا الحديث مطلقاً، ليس أحاديث الشفاعة فقط، لا كل الأحاديث مطلقاً أنكروها، أنكروها مطلقاً وقالوا: لا يثبت من الحديث إلا ما كان به العمل، يعني ماذا؟ يعني النبي –صلى الله عليه وسلم– عمله والصحابة عملوه والتابعين عملوه وتابعوهم عملوه، وهكذا حتى وصل إلينا عملاً هذا ما نثبته، أما الأحاديث القولية لا نثبتها، بل ينكرونها مطلقاً. وألفوا في ذلك كتباً هي ثقل في ميزان سيئاتهم – إن شاء الله تعالى– عند الله، هذه مسألة فظيعة، بل إن بعضهم قال: بأن الصحابة كانوا من أشد الناس حرصاً على حرق أحاديث النبي –عليه الصلاة والسلام– فكيف وصلت لنا أحاديث النبي –صلى الله عليه وسلم– ؟ قالوا: قال بعضهم: وكتب ذلك في الصحف وكتب ذلك في الكتب، قال: ذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ أن أبا بكر –رضي الله تعالى عنه– أمر بصحف كتبها عن النبي –عليه الصلاة والسلام– أمر بهذه الصحف أن تجمع ثم حرقها، قال: وهذا دليل على أن الصحابة كانوا يحرقون الأحاديث التي كتبوها عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قالوا: وفي البخاري الذي أنتم تستدلون به، أن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: (من كتب عني شيئًا غير القرآن فليمحه) إذن: هذا خبر عن النبي –صلى الله عليه وسلم– وهذا فعل أبي بكر، النبي –صلى الله عليه وسلم– يأمر بمحو ما كتب عنه وأبو بكر يحرق الأحاديث التي جمعها عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فكيف وصلت لنا هذه الأحاديث؟ قالوا: هذه أحاديث مفبركة مكذوبة مدسوسة على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ومنها أحاديث الشفاعة، هذا كلام فظيع وهذه كذبة صلعاء، هؤلاء القوم من أشر الناس كذباً لماذا؟ عندما رجعنا إلى تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي ماذا وجدنا؟ وجدنا هذا الأثر بالفعل موجود في تذكرة الحفاظ، ولكن بعد أن ذكره الإمام الذهبي قالوا: هذا أثر لا يصح. فذكروا الأثر، وتركوا كلام الإمام الذهبي على هذا الأثر، هل هذا منهج علمي؟ لا.. هذا كذب، وهذا تضليل للقراء الكرام، القارئ عندما يقرأ كتاباً فإنه يقتنع بما تقول، فكيف تنقل أثراً ثم لا تنقل حكم صاحب هذا الكتاب على هذا الأثر، إذن: أنت تريد أن تلبس على الناس وأن تضللهم.

الأمر الثاني: حديث: (من كتب عني شيئًا غير القرآن فليمحه) هذا الحديث حديث صحيح أخرجه البخاري وغيره، ولكن ما القول في هذا الحديث؟ القول في هذا الحديث، أن هناك أحاديث كثيرة نسخت هذا الحديث، فكان العمل بذلك في أول الأمر وهناك أحاديث أُخر نسخت هذا الحديث من هذه الأحاديث: ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- أنه قال: لم يكن أحد أكثر مني حديثاً عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب)، وأبو هريرة كان إسلامه متأخراً وكانت وفاته متأخرة، فيقول: (كنت أكثر الصحابة رواية عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص) -رضي الله تعالى عنه وعن أبيه- أنا عندما أقول عبد الله بن عمر بن العاص، أقول: -رضي الله تعالى عنه وعن أبيه- (إلا ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص) -رضي الله تعالى عنه وعن أبيه-(فإنه كان يكتب ولا أكتب) كان يكتب ماذا؟ كان يكتب الحديث؛ لأن السياق في سياق رواية الحديث أي: فإنه كان يكتب الحديث ولا أكتب الحديث.

في الصحيح أن أبا شاه أتى للنبي -صلى الله عليه وسلم- واستأذنه أن تكتب له خطبته، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: (اكتبوها لأبي شاه) وخطبة النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا حديثه، فحديث النبي -صلى الله عليه وسلم- يطلق على قول النبي -عليه الصلاة والسلام- ثانيًا: يطلق على فعل النبي -عليه الصلاة والسلام-، ثالثًا: يطلق على تقرير النبي -صلى الله عليه وسلم- أو على إقرار النبي -صلى الله عليه وسلم- وأحياناً يطلق هذا على وصف النبي -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- يطلق على النبي -صلى الله عليه وسلم- السنة.

أيضًا أخرج الإمام أحمد بإسناد رجاله ثقات (أن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله تعالى عنه وعن أبيه- سُئل أي المدينتين تفتح أولاً؟ فدعا عبد الله بن عمرو بن العاص بصندوق له حلق ففتحه فأخرج منه صحيفة، فقال: بينما كنا نكتب الحديث عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ سئل أي المدينتين تفتح أولاً؟ فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: مدينة هرقل) أي المدينتين تفتح أولاً، القسطنطينية أم رومية؟ فقال النبي - عليه الصلاة والسلام-: (القسطنطينية أي: مدينة هرقل) وقد وقع ما قال النبي -عليه الصلاة والسلام- ففتحت القسطنطينية وهي الآن عاصمة تركيا، ولم يبقَ إلا فتح رومية، لم يبقَ إلا هذا الأمر فنسأل الله -تعالى- أن يجعله على أيدي المسلمين المتوضئين المتوجهين بقلوبهم ووجوههم إلى رب العالمين، إذن: هذا دليل على أن الصحابة كانوا يكتبون حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والنبي -عليه الصلاة والسلام- يأذن لهم في ذلك - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- والأحاديث والنصوص في ذلك كثيرة لو استقصيناها لأخذنا وقتاً طويلاً فالعلماء قالوا: إن هذه نصوص قاضية وحاكمة على النص الذي فيه أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: (من كتب عني شيئًا غير القرآن فليمحه) هذا أول طريق طريق النسخ.

الطريق الثاني: لأهل العلم وهذا هو الأحب، وهذا هو الأليق، وهذا هو الأوثق، أن نقول: بأن هذا الحديث ثابت، وهذه الأحاديث أيضًا ثابتة لأن النسخ معناه الإزالة أي إزالة الحكم فلا يجوز أن يثبت بعد ذلك مطلقاً، ولا يجوز أن يعمل به مطلقاً بعد ذلك، هذا معنى النسخ معنى الإزالة، ولذلك العلماء قالوا: بأن النسخ إهمال، أي: إهمال حكمه، والأولى إذا أمكن الجمع بين النصوص فهذا أولى وأفضل؛ لأن الجمع إعمال، فالإعمال مقدم على الإهمال، لو أن هناك نصين ظاهرهما التعارض هل يقال: بأن هذا ينسخ هذا، يمكن أن نقول ذلك إذا كان أحدهما متأخراً فالمتأخر ناسخ للمتقدم، أو أتى صحابي فنص على أن هذا النص ناسخ لهذا النص، نعم، نصير إلى النسخ.

المسلك الثاني: أنه إذا أمكن الجمع بين النصوص دون أن نقول بالنسخ يكون ذلك أولى وأفضل فإن النسخ إهمال وإن الجمع إعمال والإعمال مقدم على الإهمال، فمثلاً عائشة قالت: (من حدثكم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- بال قائماً فكذبوه لم يبل النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا قاعداً أو جالس) هذا حديث، نص، يأتي حذيفة - رضي الله تعالى عنه- فيحدث: (أنه رأى النبي -عليه الصلاة والسلام- يبول قائماً في حائط لبعض الأنصار)

إذن: هذا نص، وكلا الخبرين صحيح، هل نقول: بأن هذا نسخ هذا أو هذا نسخ هذا؟ لا.. الأولى أن يُقال: بأن الخبرين كلاهما صحيح، والجمع بينهما أن عائشة -رضي الله تعالى عنها- أخبرت بما سمعت ورأت وحذيفة أخبر بما رأى والكل صحيح فعائشة لما كانت هي الملازمة للنبي -عليه الصلاة والسلام- في غالب حاله، فأخبرت بغالب حال النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه كان يبول قاعداً أو جالساً، إذن: غالب حال النبي البول جالساً أو قاعداً، ولكن يجوز البول قائماً عند الضرورة أو الحاجة، كذلك يجوز الجمع بين الحديثين: (من كتب عني شيئًا غير القرآن فليمحه) وأحاديث أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وغيرهم، الجمع أن يقال: بأن هذا الخبر كان في أول الأمر ثم نسخ إذن هذا مسلك النسخ.

أو أن يقال: بأن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: (من كتب عني شيئًا غير القرآن) في صحيفة واحدة(فليمحه) الصحابة كانوا يكتبون القرآن وكانوا يكتبون أيضًا حديث رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- فالنبي -عليه الصلاة والسلام- خشي أن يختلط الحديث بالقرآن، فإذا كان الصحابة يستطيعون التمييز بين الحديث والقرآن فربما يأتي أقوام لا يستطيعون التمييز بين الحديث والقرآن، هناك أقوام ربما يقولون ذلك، يعني من الطرائف كنت أصحح كراسة في الجامعة فأحد الطلاب كتب: قال الله -عز وجل-: اسعَ يا عبد وأنا أسعى معاك، قال ذلك وهذا طالب جامعي، فيمكن أن يأتي وقت إذا كتب الحديث مع القرآن أن يأتي وقت لا يميز الناس فيه بين القرآن والحديث، انظروا إلى هذا الطالب الجامعي كيف يكتب، فالنهي هنا لعله متوجه إلى المنع من الجمع بين كتابة القرآن والحديث في صحيفة واحدة فقال: (من كتب عني شيئًا غير القرآن في صحيفة واحدة فليمحه)، فلا يثبت في الصحيفة إلا ماذا؟ إلا القرآن، لعل هذا هو الجمع بين الحديثين ولعل ذلك هو الأليق، فالصحيح أن يقال: بأن النبي -عليه الصلاة والسلام- نهى عن ذلك الأمر حتى لا يختلط القرآن بالحديث.

إذن: كتب الحديث زمن النبي -عليه الصلاة والسلام- وهناك فارق بين كتابة الحديث وجمع الحديث، انتبهوا فارق بين كتابة الحديث وجمع الحديث، بين كتابة الحديث أي تدوين الحديث وبين جمع الحديث يمكن أن أكتب هذا الحديث في هذه الورقة، والحديث الثاني أكتبه في ورقة ثانية والثالثة في ورقة ثالثة ورابعة وخامسة، إذن: عندي مجموعة من الأحاديث ولكنها في مجموعة من الأوراق، إذن: هذا هو كتابة الحديث، فإذا ما كتبت هذه الأحاديث في صحيفة واحدة كان ذلك ماذا؟ كان ذلك جمعًا لهذه الأحاديث، فالأحاديث كانت مكتوبة ولكنها متفرقة، هناك صحيفة عند أبي هريرة وهناك صحيفة عن عبد الله بن عمرو بن العاص وهناك صحيفة ثالثة عن عبد الله بن مسعود، وهناك صحيفة من الأحاديث الموجودة عند فلان، وعند آخر... صحف موجودة، ما الذي حدث؟ تفرق الصحابة في الأمصار، وحدث كل صحابي بما سمع عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكان الحال مستمراً حتى سنة واحد وتسعين تقريباً في خلافة عمر بن عبد العزيز، هذه الخلافة الراشدة، نظر عمر فوجد أن رقعة الدولة الإسلامية دولة عريضة، من بلاد الهند وقريب من بلاد الصين شرقاً، الدولة الإسلامية هذه كلها- يا إخواني أيها المسلمون- الدولة الإسلامية من أول الهند، يعني: الهند كانت داخلة معنا وحتى حدود الصين كانت داخلة معنا، وشمالاً الجبال الفاصلة بين الشام وتركيا كانت داخلة معنا وجنوباً أدغال إفريقيا، وغرباً المحيط الأطلسي، وشمالاً جبال البرانس، وداخلة معنا جزر رودس وصقلية ومالطة، وتكريت وجنوب إيطاليا، يعني: اليونان وجنوب إيطاليا وقبرص وجنوب تركيا، كل هذه الجزر الموجودة في البحر المتوسط، هذه كلها كانت داخلة في الدولة الإسلامية، كانت دولة مترامية الأطراف والصحابة وصلوا إلى كل هذه البلاد، يعني قبر أبي أيوب الأنصاري، أين يوجد؟ تحت أسوار القسطنطينية، انظروا إلى الصحابة كيف حملوا دينهم وانطلقوا في هذه الديار ونشروا دين الله -عز وجل-!! الذي حدث أن عمر بن عبد العزيز خاف وخشي أن تندرس سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خاف من ضياع السنة هي موجودة في الكتب في الصحف، ولكن هذه الصحف منتشرة، ماذا حدث؟ أمر عمر بن عبد العزيز الإمامين الجهبذين الجبلين العالمين محمد بن الشهاب الزهري، وأبا بكر بن حزم أمرهما أن يجمعا سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فجمعت السنة في عهد عمر بن عبد العزيز، وهناك أول صحيفة مكتوبة مثبتة بعد عصر الصحابة وهي صحيفة همام بن منبه، وهذه الصحيفة موجودة بتمامها في مسند الإمام أحمد، إذن: جمع حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في عصر

عمر بن عبد العزيز، في عصر التابعين الذين أخذوا الحديث من الصحابة إذن: ليس هناك قول لهؤلاء النابتة الذين زعموا أن الحديث لم يكتب إلا في زمن متأخر.

نسأل الله -تعالى- أن يوفقنا وأن يهدينا وأن يسددنا وأن يرحمنا وأن يجعلنا من المستمسكين بسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- والحمد لله أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً.

الأخ الكريم يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ذكر فضيلة الشيخ في الحلقة السابقة أن الجهل والتأويل مانعان من موانع التكفير وسئلت اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية بفتوى رقم تسعة آلاف ومائتين وستين عن العذر بالجهل؟ فأجابت أن المكلف بعبادته لا يعذر بالجهل لعبادته غير الله واستدلت بحديث مسلم عن حديث أبي هريرة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحداً من هذه الأمة يهودياً ولا نصرانياً ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)، فقالت: فلم يعذر النبي -صلى الله عليه وسلم- من سمع به ومن يعيش في بلاد إسلامية قد سمع بالرسول -صلى الله عليه وسلم- فلا يعذر في أصول الإيمان بجهله فنرجو توضيح هذه المسألة يا شيخ لعدم الإشكالية في هذا؟

بسم الله الرحمن الرحيم، أولاً: بالنسبة لهذه المسألة فلابد أن نقول: بأن الأحكام لابد أن تكون مثبتة يعني فارق بين الحكم والفتوى، وعندما نتكلم في مسألة تكفير المعينين فالمقصود هنا هم المسلمون الذين تلبسوا بأمر كفر، واللجنة الدائمة تكلمت عن الكفار الأصليين، فالكفار الأصليون الذين علموا عن الإسلام هم يجهلون الإسلام ولكن سمعوا عنه، فهل جهلهم عن هذا الإسلام يكون عذراً لهم؟ ليس عذرا لهم؛ لأنهم كفار أصليون فكلام اللجنة الدائمة كلام مسدد في وجهه- والله تعالى أعلى وأعلم- أما نحن فإننا نتكلم عن الكفر الطارئ، أي أن رجلاً يكون مسلماً يشهد شهادة الحق وقلبه متجه إلى الله -تعالى- يحب الله -تعالى- يحب النبي -عليه الصلاة والسلام- يخاف الله، يخاف اليوم الآخر، يؤمن بالبعث والنشور، يؤمن بالملائكة والكتاب والنبيين يؤمن بالقدر، يؤمن بالملائكة، أصول الإيمان كلها موجودة عنده، ولكن تلبس بكفر، هل يكون بذلك كافراً؟ الجواب، أما الكفر الطارئ على المسلم الأصلي هذا الكفر الطارئ لا نحكم به إذا كان جاهلاً أنه كفر أو كان متأولاً لوجهه هذا هو الكلام الذي ذكرت- والله تعالى أعلى وأعلم-.

الأمر الثاني: أن الفتوى بالتكفير تتفاوت أحيانًا من مكان إلى آخر، من شخص لآخر، من حال لآخر يعني لو أن رجلاً مثلاً أتى بأمر كفري وهو يعلم أن هذا الأمر أمر كفري فهذا الرجل حاله غير ذلك العامي الجاهل الذي لا يعلم أنه كفري، مثلاً في المملكة السعودية ينشأ الأولاد منذ الصغر على التوحيد، هذه مسألة معلومة، تجد الأولاد من الحضانة يحفظون الأصول الثلاثة للشيخ: محمد بن عبد الوهاب -عليه رحمة الله- وعندما يكبرون يأخذون متن كتاب التوحيد للشيخ: محمد بن عبد الوهاب ويأخذون شروح الأحفاد سواء فتح المجيد أو تيسير العزيز الحميد أو ما إلى ذلك، أو القول السديد يأخذون ذلك ويتعلمونه يمكن أن تجد الرجل في السعودية قد يأتي بالمعصية، قد يأتي بأمر فيه مخالفة شرعية ولكن مسألة التوحيد عنده مضبوطة لا يأتي بأمر يخرجه عن التوحيد، أما عندنا في مصر مثلاً فالأمر قد يكون مختلفاً، عندنا الموالي وعندنا مشايخ الموالد وعندنا الأضرحة وعندنا كذا وكذا، وهناك من يؤصل ويقعد لزيارة الأضرحة والتوسل بالأموات وطلبهم، فلو أتينا برجل عامي بسيط سمع شيوخ تأصيل الموالد والأضرحة سمع كلامهم ورآهم بأنهم علماؤه وتأثر بهذا الكلام، هل يكون ذلك الرجل كافراً بما يصنع؟ لو قال مثلاً: مدد يا حسين أو مدد يا سيد يا بلدي أو ما إلى ذلك هل يكون بذلك كافراً بما يذكر؟ لا.. لا يكون كافراً؛ لأنه قد يكون جاهلاً وشيخه قد يكون متأولاً فما نجده عندنا قد لا تجدوه عندكم فهذه المسائل متفاوتة من بيئة لأخرى- والله تعالى أعلى وأعلم-.

الأخ الكريم من مصر يقول: عندي سؤالان لو سمحت:

السؤال الأول: كما هو معلوم فضيلة الشيخ أن الحديث في الشفاعة يفتح باباً عظيماً من الرجاء برحمة الله، لكن للأسف الشديد بعض الناس يتساهلون في فعل المعاصي والسيئات ويتركون المفروضات والواجبات بحجة أنه مكتفٍ بقول: لا إله إلا الله، ويرجو الشفاعة يوم القيامة ويستدلون بأحاديث الشفاعة على معاصيهم، فكيف نرد عليهم؟

السؤال الثاني: ذكرتم فضيلة الشيخ في الدرس الماضي قصة حاطب بن أبي بلتعة وأن الله -تعالى- غفر له اللاحق من الذنوب؛ لأنه شهد بدراً، فهل هذه خصوصية له أم لكل من عمل أعمالاً صالحة كبيرة؟ حيث إنه من المعلوم أن الذنوب تُكفر بما بعدها من أعمال صالحة لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (واتبع السيئة الحسنة تمحه) وإذا قلنا: بأن الذنوب اللاحقة تكفر بالحسنات السابقة، ألا يدعو ذلك إلى التساهل في فعل المعاصي نرجو التوضيح. وجزاكم الله خيراً؟

فضيلة الشيخ الأخ الكريم من مصر كان له سؤالان سؤاله الأول: الحديث عن الشفاعة وبعض الناس يستدلون بأحاديث الشفاعة على وقوعهم في المعاصي؟

بسم الله الرحمن الرحيم، الأخ الكريم- جزاه الله خيرًا- وأنا معجب حقيقة بلغته وأسلوبه، فأسأل الله -تعالى- أن يوفقه وأن يسدده.

الذين يستدلون بشفاعة النبي -عليه الصلاة والسلام- ويقولون: نحن من أهل شفاعة النبي -عليه الصلاة والسلام- فيتجرأون على الله -تعالى- بفعل الذنوب والمعاصي يقال لهم: إنكم لو دخلتم النار ولو يوماً واحداً من أيامها أو مستكم النار بفحيحها أو بلفحها لكان الأمر عظيماً فهؤلاء القوم يذكرون بالأحاديث الواردة في شأن النار وتهويلها وتفخيم أمرها ويُعلّمون أنهم بفعلهم هذه المعاصي يكونون متعرضين للنار حتى ولو شفع فيهم النبي -صلى الله عليه وسلم- فإن هذه الشفاعة تكون بعد أن يأخذوا نصيبهم من النار، فهل يقدرون على ذلك الأمر؟ هو لو وضع نفسه أو لو وضع أصبعه على عود من الكبريت أشعله ثم جعل أصبعه على النار التي توقد بعود الكبريت، هل يتحمل هذه النار؟ لا يتحملها، فما بالك لو دخل النار بذنبه، نعم سيخرج من النار بشفاعة النبي -صلى الله عليه وسلم- أو سيخرج من النار بشفاعة ربنا -عز وجل- أو قبل ذلك بشفاعة الشافعين، ولكن إذا عامله ربنا -عز وجل- بعدله وأدخله النار بذنبه فقبل أن يخرج بالشفاعة فإنه يكون حمماً يصير متفحماً هل يقبل ذلك؟ هل يرضى بذلك؟ هل يقدر على ذلك؟ أين عقله؟ فهذا الرجل الذي ينظر إلى المآل لماذا لا ينظر إلى ما قد يصيبه من النار؟ فنسأل الله -تعالى- أن يرزقنا العقل فالعاقل هو الذي يحرص على نفسه، نسأل الله -تعالى- العافية.

سؤاله الثاني: عن قصة سيدنا حاطب بن أبي بلتعة، هل هي خاصة له أم لكل الأمة؟

هذه القصة أو هذا سؤال الأخ الثاني فيه عدة جوانب: الجانب الأول: هل هي خاصة ليست بخاصة، ودعوى الخصوصية تحتاج إلى نص، ولا نص، غاية ما في الأمر، أنه قال: (إنه شهد بدراً وإن الله نظر إلى أهل بدر فقال: افعلوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم) فهذه ليست خصوصية لحاطب، وإن شئت فقل: هل يمكن أن تدرس

كأنها خصوصية لأهل بدر، وهو من جملتهم؟ نعم ممكن يكون هنا مناقشة ولكن مناقشة الخصوصية تحتاج إلى نص مستقل- والله تعالى أعلى وأعلم-.

هناك جوانب أخرى من السؤال: مسألة الذنوب تُكفر بما بعدها لقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: (وأتبع السيئة الحسنة تمحه) أبداً، قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (وأتبع السيئة الحسنة تمحه) فيه معنى الحث على المبادرة بفعل الحسنات بعد فعل السيئات، ليس معناه أن السيئة لا تكفر إلا بالحسنة بعدها أبداً بدليل المرأة التي سقت كلباً: (أن امرأة بغياً وجدت كلباً يكاد أن يموت من شدة العطش، فنزلت إلى بئر فجعلت في موقها أي في حذائها ماء فسقت الكلب، فغفر الله لها ذنبه) إذن: فسقي الكلب كان ماذا؟ كان بعد الزنا، وامرأة بغي على وزن فعيل صفة مشبهة، كثيرة الزنا والبغاء إذن: كثرة الزنا والبغاء كان ماذا؟ كان قبل سقيى الكلب، فلما سقت الكلب غفر الله -تعالى- لها ذنبها هل سقيى الكلب كان حسنة عظيمة كفرت هذه السيئات العظيمة؟ أبداً فقد يكفر الذنب العظيم بالحسنة القليلة، وقد يكفر الذنب العظيم بالأمر الذي لا يؤبه له وقد تكون الحسنة قبل الذنب أو بعده، وهذه المسألة تكلم فيها شيخ الإسلام في الإيمان فليراجعه من شاء.

فضيلة الشيخ وردتنا إجابات على أسئلة الحلقة الماضية:

وكان السؤال الأول: اذكر أدلة إثبات الساعة والبعث؟

وكانت الإجابة: من أدلة إثبات الساعة: قول الله -تعالى-: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ [طه: ١٥]، وقوله- تعالى-: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [غافر: ٥٩] وقوله- تعالى-: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: ٧] وقوله- تعالى-: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾﴾ [النازعات: ٤٢]

ومن الأحاديث قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة) وأدلة البعث، قوله- تعالى-: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وقوله-تعالى-:﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴿٧﴾﴾ [الحج: ٧]، ومن الأدلة العقلية خلق الله للإنسان من العدم، وإحياء الأرض الميتة وخلق السماوات والأرض.

السؤال الثاني: اذكر أسباب تكفير الذنوب؟

وكانت الإجابة: من أسباب تفكير الذنوب: التوبة الصادقة من الذنب، الحدود، الصلوات الخمس ورمضان إلى رمضان والعمرة إلى العمرة، ما اجتنبت الكبائر، فعل الحسنات قال- تعالى-: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، شفاعة الصالحين، المصائب، فتنة القبر والفزع يوم القيامة، التمحيص في النار، قبل دخول الجنة.

هذا كلام جيد

هناك سؤال- فضيلة الشيخ- من الأخ الكريم من سوريا يقول: قال -صلى الله عليه وآله وسلم-: (إنما الأعمال بالخواتيم)، فهل لهذا الحديث علاقة بحديث: (إنما أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ... الحديث)، وهل يكون

الرجل مؤمناً ويصلي ويصوم ومن عباد الله لكن إصراره على معصية أو كبيرة كان سبباً في أن ختم الله له بالكفر تفسيراً للأحاديث السابقة؟

بسم الله الرحمن الرحيم

فعل المرء الذنبَ لا يجعله بذلك كافراً وربك –سبحانه وتعالى– ليس بظلام للعبيد.

الأمر الثاني: أن الله –سبحانه وتعالى– خلقك وأوجدك لعبادته قال– تعالى–: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فإذا آمنت أنك عبد لله –عز وجل– مخلوق لعبادته وامتثال أمره. ثانيًا: آمنت بأن الله – تعالى– هو الرب الجليل المتفضل عليك الذي لا يظلمك، الذي يعينك على الخير ويجازيك عليه خيرًا بعد خير، والذي لا يرضى عن الشر الذي أنت تفعله ويعاقبك عليه إذا آمنت بهذا وذاك ينبغي عليك ألا تُدخل نفسك في أمر أنت لن تستفيد منه، فينبغي للمرء أن يحرص على ما ينفعه كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز) فأنصح نفسي وأنصح كل أخ مسلم ألا يخوض في مسائل القدر وأن يأخذ من القدر ما يدفعه إلى ربه كما فعل الصحابة عندما سمعوا أحاديث القدر فكانوا أكثر نشاطاً وأكثر طاعة لله –عز وجل– ثم أقول بعد ذلك بالنسبة لهذا السؤال: إن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) فالمطلوب أن تعمل وأن ترضي ربك وأسأله– سبحانه– أن يوفقني وإياك إلى محابه ومراضيه.

الأخ الكريم من المغرب يقول: السلام عليكم، استشكل عليّ أمر ألا وهو قولك: في تفسير(إليه يعود) قلتم: كيف يعود؟ متى يعود؟ هذا كله أمر غيبي لا يعلمه إلا ربه– سبحانه– موضع الإشكال هو ربه؟ أرجو بيان ذلك؟ حشرنا الله وإياك مع النبي –صلى الله عليه وسلم–؟

لا.. (إلا ربه) لا.. قد يكون ذلك فلتة لسان، فنسأل الله –تعالى– المغفرة والمسامحة.

الأخ الكريم من الكويت يقول: هل يكون تارك الصلاة ممن تدركهم شفاعة الله؟ أم ما هو الرابط؟

هذه المسألة مسألة تارك الصلاة من المسائل التي فيها نزاع عظيم ولكن أنا ما أدين به الله –عز وجل– أرجو أن تنالهم شفاعة النبي –صلى الله عليه وسلم– بإذن الله –تعالى–.

الأخ الكريم من الجزائر يقول: عندي سؤال قد أشكل علي، وهو أهل لا إله إلا الله، لكنهم يزورون ويدعون الأولياء، وكذلك أهل السحر هل يخلدون أم لا؟

هؤلاء القوم من حيث الجملة ما يفعلونه كفر، وكفرهم هذا كفر أكبر، يكونون به كفاراً خارجين عن جملة أهل الإسلام هذا من حيث العموم، أما من حيث التعيين فإنه لابد أن تقام الحجة على أعيانهم ليعرفوا الحق في هذه المسائل وتندفع عنهم الشبهة ويكون الأمر لهم جلياً فإن أصر بعد قيام الحجة النبوية الرسالية المباركة فإنه يكون بذلك كافراً ونسأل الله –تعالى– أن يشرح صدور الجميع إلى دينه المستقيم.

الأخت الكريمة من الأردن تقول: يا فضيلة الشيخ: لا يخفى على علمكم في الآونة الأخيرة ما ظهر من الخوارج ومن أهل التكفير وهلم جراً، وأرجوك أن تقدم لي الجواب الكافي في أنه إذا جاء رجل ليخطب فتاة مسلمة، كيف تعرف أنه من أهل السنة والجماعة؟ لاسيما أن أصحاب الفكر الضال والمنحرف، لا يتميزون في كثير من الأحيان في المظهر الخارجي عن أهل السنة هل هناك أسئلة معينة إذا طرحناها نعلم ما هي عقيدته لأن هذا الأمر في غاية الخطورة بالنسبة لي ولكثير من فتيات المسلمين؟

هي من باب الطرفة، إجابة طريفة بسيطة دون أن أستفيض؛ لأنها تطلب مسألة علمية ولكن سأرشدها، هذا عريس يجهزون له دجاجة، يقدمون له الدجاجة المذبوحة وبجنبها المرقة وينظرون فإن أكل من الدجاج وشرب منها، فإنه بذلك يكون على منهجنا؛ لأن من شرط منهجنا أن يأكل من ذبيحتنا كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-، فهذا لم يأكل من ذبيحتنا إذن: ليس على منهجنا فيخرجوه من الباب أو من الشباك كما يريدون- إن شاء الله- إذن: كمسألة عملية هذا رجل عريس يقدمون له الذبيحة، فرخة من فرخة لما هو فوق، المهم أن يأكل منها من الذبيحة فإن أكل من ذبيحتهم، أجازوه، وإلا فإنهم يطرحوه.

الأخت الكريم من الجزائر تقول: ما معنى من قال: لا إله إلا الله يخرج من النار، قد يقولها كافر أو مستهزئ، فهل يدخل في هذا الحديث؟

لا.. أبداً، أنا قلت: إن هذا مقيد أن يكون في قلبه شيء من خير، إن شاء الله.

الأخ الكريم من المغرب يقول: هل يجوز أن يستدل بقبضته- تعالى- من النار على صفة اليدين له -جل وعلا-؟

إثبات صفة اليد لله -عز وجل- ثابتة فلا نحتاج أن نستدل بهذا اللازم على صفة اليدين وهي ثابتة، لكن يمكن أن نقول: هل يقبض الله -عز وجل-؟ نعم، يقبض الله -تعالى- بيده ما شاء، كيف شاء، نعم.

الأخت الكريمة من المغرب تقول: هل هناك أشياء يقوم بها العبد حتى ينال شفاعة النبي -صلى الله عليه وسلم- وشفاعة رب العالمين؟

نعم. أن يكون مطيعاً للنبي -صلى الله عليه وسلم-، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، فقالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) فمن أطاعني دخل الجنة ابتداءً أو انتهاءً ومن عصاني فقد أبى أي قد أبى أن يدخل الجنة ابتداءً أو انتهاءً.

الأخ الكريم من الأردن يقول: جاءت الروايات في الأحاديث الصحيحة: (أن الموحدين من أهل النار يخرجون من النار وقد امتحشوا إلا موضع السجود منهم)، فهذا يدل على أنهم كانوا يصلون وهذا الذي قرره عدد من العلماء مثل الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله تعالى- وغيره، وكذلك فهمت من كلامكم أن جنس عمل الجوارح ليس شرطاً لصحة الإيمان، فهل ما فهمته صحيحاً؟ أرجو الإجابة.

هذه المسألة بتمامها وكليتها سيكون الحديث عنها في محلها- إن شاء الله-.

الأخ الكريم من الإمارات يقول: عند سؤالان:

السؤال الأول: هل كفر الإعراض يشمل من ترك عمل الجوارح مع حصول الإيمان القلبي عنده؟

سنلحق هذا السؤال بصاحبه -إن شاء الله-.

سؤاله الثاني: ما معنى الإصرار؟ وهل من قال: أنا أعلم أن الله -عز وجل- حرم الخمر، ولكني أشربه، فهل هذا كافر باعتبار أنه مُصِّر؟ وهل يعد بذلك مستحلاً؟

أبداً، هناك فارق بين الاستحلال وبين الإصرار.

الأخت الكريمة من المغرب تقول: هناك بعض الناس يستغربون رواية عائشة -رضي الله عنها- للحديث عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- وهي في سن صغيرة، فكيف نرد عليهم؟

هذا سؤال جيد- حقيقة- المشكلة أن الناس في هذه الأزمان يحكمون مجريات الأمور الماضية بمعايير الزمن، يعني: نحن عندما نسمع بالأمور الماضية نريد أن نحاكمها بمعايير هذا العصر الذي نعيش فيه، هذا العصر الذي نعيش فيه، أنك لو سمعت اسم صاحبك، ويقول لك مثلاً: اسمي محمد محمود عبد السميع علي. عندما يصل إلى علي تنسى الكلمة الأولى وهي كلمة محمد فتحتاج أن يعيد الاسم أكثر من مرة حتى يثبت لحظياً في ذهنك، فإن ثقافتنا ليست ثقافة أذن، ولكن الآن ثقافة هي ثقافة الهشاشة وثقافة ضبابية، لا تؤثر لا في عقل ولا في قلب، هذا هو الموجود الآن، معارف العرب قديماً كانت معارف تعتمد على الأذن، فما تسمعه الأذن يثبت ثبوتاً قوياً، وبالتالي كان ما زال العرب يسمعون الأشعار والكلام ويتناقلونه دون أن يخرموا حرفاً واحداً مما سمعوه، هذه مسألة فالجواب المختصر: أن هذا الأمر يعد ليس بالمستغرب لأن هذا كان مشهوراً أن صغار الأمس ليسوا كصغار اليوم فقد كانوا صغاراً ولكن يتقنون ما يسمعون ويتقنون ما ينقلون ويضبطون ذلك جميعًا فلا يخرم منه حرفاً واحداً وهذا السؤال أرجو أن يكون هناك وقت أكثر اتساعاً لأن في ذهني إجابة واسعة عنه متعلقة بالتراث ونقل الرواية للإجابة الواسعة على هذا السؤال أرجو وأدعو الله -تعالى- أن يوفقنا لوقت أوسع، إن شاء الله.

هلا تفضلتم فضيلة الشيخ بطرح أسئلة هذه المحاضرة؟

نعم هناك سؤالان يسيران:

السؤال الأول: وجه "من يدخله الله الجنة، يدخله بفضله ومن يدخله النار يدخله بعدله". المطلوب هذه الجملة وجهّا يعني بين معناها وكيف يكون هذا المعنى منضبطاً؟

السؤال الثاني: اذكر الشفاعة المثبتة للنبي -صلى الله عليه وسلم-؟

وجزاكم الله خير

الدرس الحادي عشر

الاعتقاد في الجنة والنار والبرزخ

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله، وكفى وصلاة وصلاة وسلامًا على عباده الذين اصطفى، اللهم صلي وسلم وزد وبارك على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرًا ثم أما بعد.

لا زال اللقاء في مسائل الإيمان والاعتقاد ورسالة الإمام ابن أبي زيد القيرواني –عليه رحمة الله– وحديثي مع حضراتكم في هذا اللقاء يشمل ثلاثة عناصر:

العنصر الأول: الاعتقاد في الجنة.

العنصر الثاني: الاعتقاد في النار.

العنصر الثالث: الاعتقاد في البرزخ.

وهذه المسائل التي ستثار في هذا اللقاء في جوانبها وفي أثنائها مسائل أخر، فأسأل الله– تعالى– أن يوفقنا جميعًا وأن ييسر لنا الخير حيثما كان وأن يجعلنا من أهله وأتباعه.

تفضل يا أخي الحبيب.

قال المصنف –رحمه الله تعالى–: (وأن الله– سبحانه– قد خلق الجنة، فأعدها دار خلود لأوليائه، وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم، وهي التي أهبط منها آدم نبيه وخليفته إلى أرضه بما سبق في سابق علمه، وخلق النار فأعدها دار خلود لمن كفر به، وألحد في آياته، وكتبه، ورسله، وجعلهم محجوبين عن رؤيته)

بسم الله الرحمن الرحيم، قال المصنف –رحمة الله تعالى عليه–: (وأن الله –سبحانه وتعالى– قد خلق الجنة فأعدها دار خلود لأوليائه، وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم، وهي التي أهبط منها آدم نبيه وخليفته إلى أرضه بما سبق في سابق علمه) هذه هي الفكرة الأولى والعنصر الأول وهو الاعتقاد في الجنة، وكما قلت لكم في ثنايا هذا الاعتقاد ستبدو لنا بعض المسائل الأخر التي سنناقشها، ونسأل وندعو الله –تعالى– أن ييسر لنا الأمور كلها.

الجنة في اللغة: بمعنى المكان الواسع كثير الأشجار ملتف الأغصان وهو المُسمى بالبستان، والبستان: كلمة ليست عربية ولكن لعل معرفة الناس بها أكثر من معرفتهم بالجنة، وسميت الجنة جنةً لأن من بها لا يرى من بخارجها– إلا إذا شاء الله– فكل شيء سُتر عن الغير إنما يشتق من هذه المادة الجيم والميم والنون، ومنه سمي المجنون مجنوناً لاستتار عقله، وسمي الجن جناً لاستتاره عن الخلق، وسميت الجنة جنةً لاستتار من دخل فيها عمن لم يدخل فيها.

والجنة شرعاً: هي هذه الدار التي أعدها الله –تعالى– لأهل طاعته ورضوانه من المؤمنين، نسأل الله –تعالى– أن نكون منهم.

قال المصنف: (وأن الله– سبحانه– قد خلق الجنة)، فالجنة مخلوقة، لا تبيد ولا تفنى، (وأعدها دار خلود لأوليائه) الأولياء جمع والمفرد ولي، وولي على وزن فعيل والولي هو المطيع القريب النصير، فولي الله: هو

العامل بطاعة الله -عز وجل- القريب من الله وإلى الله، الذي ينصر ربه وينصر دينه هذا هو ولي الله- سبحانه- قال الله- سبحانه-: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢]، فسر الله -تعالى- الولي فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٣]، بشرهم ربنا -عز وجل- بالجنة ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]، فنسأل الله -تعالى- أن يجعلنا من العاملين بطاعته، وسادة الأولياء هم الأنبياء ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون، يدل على ذلك قوله- سبحانه-: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠]، ومن أئمة أولياء الله -عز وجل-: المهاجرون والأنصار، وأيضًا الذين يسيرون على نهجهم، وينتهجون أثرهم، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، وهذا هو الموضع الوحيد في القرآن المذكور فيه ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ﴾ كل المواضع ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ هذا هو الموضع الذي قال: ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، وأولياء الله ليس كما شهر عند بعض الناس، هم أصحاب الأضرحة، والمشايخ الذين يطيرون بعد موتهم، ويجري الناس خلفهم، أبداً ويقولون: إن الشيخ قد طار، وعندما ننظر إلى بعضهم نجد أن بعضهم كان ربما لا يقترب من المسجد، لا أقول: كان لا يصلي، كان ربما لا يقترب من المسجد، بل كان بعضهم أحيانًا يشرب الخمر ويأتي بالموبقات، وهؤلاء بسبب ما يراه بعض العامة مما يظنونه خارقاً يظنونه من أولياء الله، وفي الحقيقة ليسوا بأولياء لله -عز وجل- وإنما هم أولياء الشياطين؛ فإن الأولياء إما أن يكون ولياً لله وإما أن يكون ولياً للشيطان، فهناك أولياء الله أولياء الرحمن وهناك أولياء الشيطان، فالشيطان يؤذهم ويهيجهم وأحياناً يكون في طاعتهم ونصرتهم وأولياء الرحمن يعينهم ويوفقهم ويهديهم ويسددهم ويؤمنهم في الدنيا ويجعل لهم طريقهم إلى الجنة طريقاً مستقيماً فنسأل الله -تعالى- أن يجعلنا من أوليائه، لا أن يجعلنا من أعدائه.

والخوارق التي يحدثها الله -تعالى- لأوليائه، هي من باب ما يجب على المؤمن أن يؤمن به، فنحن نؤمن بكرامات الأولياء كما نؤمن بمعجزات الأنبياء، ومعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء كلاهما يندرج تحت خوارق العادات، فالله- تعالى- يخرق العادة وهي السنة الكونية التي أجراها في كونه، يخرق الله -تعالى- هذه السنة الكونية لأهل طاعته، إما لحاجة وإما لضرورة، إذن: ولي الله هو الذي يعمل بطاعته، هذا أولاً. ثانيًا: أن ولي الله لا ينادي على الخارق الذي أحدثه الله -تعالى- له، يعني لا يعرف أن نبياً أو أن صالحاً قال: يا أيها الناس تعالوا حتى أريكم هذا الخارق، إلا أن يكون نبياً يريد أن يُري الناس هذا الخارق، ليزدادوا إيماناً به، فيكون هذا الأمر من باب الحاجة والضرورة، فأولاً: ولي الله هو الذي يعمل بطاعة الله -عز وجل- الأمر الثاني: ولي الله لا ينادي على كرامته.

الأمر الثالث: أن الكرامة للولي إنما تكون لحاجة أو ضرورة، ولي الله هو العامل بطاعته وبينت ذلك، الأمر الثاني: أن ولي الله لا ينادي على كرامته، ولذلك قال بعض السلف: «كن طالباً للاستقامة ولا تكن طالباً للكرامة»، فبعض الذي يريد أن تظهر الكرامات على يديه هذا الذي يريد ذلك ويريد أن يظهر ذلك، لابد أن يراجع إيمانه من جديد فإن ولي الله يجتهد اجتهاداً بيناً في إخفاء ما من الله -تعالى- به عليه من الكرامة.

الأمر الثالث: أن هذه الكرامة لا تظهر إلا لضرورة أو حاجة، فالنبي -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- أظهر الله -تعالى- المعجزات على يديه وهذا لسبب أو حاجة، ما هذا السبب؟ ما هذه الحاجة؟ ما هذه الضرورة؟ حتى يؤمن الناس به، -صلى الله عليه وسلم-، فما من نبي أرسله الله إلا وآتاه من المعجزات ما بمثلها يؤمن البشر، فمعجزات الأنبياء إنما هي من باب الضرورات التي آتاها الله -تعالى- لهم وأحدثها لهم ليؤمن الناس بهم، فلا يشككون في بعثتهم، ومن هذه المعجزات والكرامات ما هو مثبوت في الكتب الصحيحة مثال ذلك ما أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان: (أن الصحابة لما اشتد بهم الجوع في يوم تبوك استأذنوا النبي

-عليه الصلاة والسلام- أن يذبحوا بعضاً من الإبل، فأذن لهم النبي -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- فأتى عمر -رضي الله تعالى عنه- وقال: يا رسول الله إنك إن فعلت قل الظهر)، أي قل الإبل الذي يركبه الناس، (ولكن ادعُ الناس بفضل أزواده) -والزاد ما يتزود به المرء من الطعام ونحوه- (ثم ادعُ الله لعل الله أن يجعل في ذلك) أي خيراً ونماءً وبركةً (فدعا النبي -عليه الصلاة والسلام- بنطع ثم وسطه، ثم دعا الناس بفضل أزوداهم فكان الرجل يجيء ومعه كف من بر، قالوا: ويجيء الآخر ومعه كف من تمر قالوا: ويجيء الثالث ومعه كسرة من خبز، حتى اجتمع شيء يسير على هذا النطع، ثم قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: خذوا في أوعيتكم) وهذا يوم تبوك وكان الصحابة أكثر من ثلاثين ألفاً كانوا أكثر من ثلاثين ألفاً قال:(خذوا في أوعيتكم قال الراوي: فوالله ما تركوا في المعسكر وعاءً إلا ملئوه، وفضلت فضلة فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة)، فهذا أمر عجيب، هذه عشرات الآلاف تأكل من هذا الطعام اليسير الذي يجتمع على النطع، نطع مفرش من الجلد، شيء يسير من هذا الطعام يكفي هذا الجيش الكبير الذي يضرب في الصحراء، يشتد به الجوع، ويكاد كبده أن يذهب من شدة العطش، هذا الشيء اليسير من الطعام يكفيه؟!! نعم يكفيه فهذا خارق للنبي -عليه الصلاة والسلام-، وأيضًا للصحابة الكرام وهذا الخراق حدث لحاجة وضرورة، أن الصحابة في حاجة إلى هذا الخارق، فهم في جهاد وهم متلبسون بطاعة الله -عز وجل- وهكذا يكون الأمر دائماً وأبداً، وكذلك عندما أرسل عمر -رضي الله تعالى عنه- أميراً على بعض جيوشه، وهو سارية، وأرسله لقتال الفرس، والفرس أهل غدر وأهل مكر، الفرس أهل غدر وأهل مكر وأهل شدة في القتال، فتظاهر الفرس بهزيمتهم ودخل جيش المسلمين خلفهم، ما الذي حدث بعد ذلك؟ كان عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- في المدينة، وهؤلاء في بلاد فارس بين بلاد المدينة وفارس، مئات الأميال، وإن شئت فقل: آلاف الأميال، فقال عمر -رضي الله تعالى عنه-: «يا ساريةُ الجبلَ يا ساريةُ الجبلَ»، تعجب الناس من ذلك، وبعد فترة أتى رسول سارية ودخل على عمر، فسأله عمر الخبر، فقال: يا أمير المؤمنين لقد كدنا أن نهلك لولا أن سمعنا صوتاً هو أشبه الأصوات بصوتك يقول: يا سارية الجبل، فلما التجأنا إلى الجبل أظهرنا الله وهزمهم الله. فما الذي حدث لعمر؟ إن الله -تعالى- أحدث ما حدث ليكون معيناً للمؤمنين في قتالهم وليكون دليلاً على ما يحدثه الله -تعالى- لأوليائه وأحبائه من خوارق العادات، وإذا تركنا لأنفسنا العنان في هذا الباب- إثبات الكرامة للأولياء- وأن هذا من معتقد أهل السنة لكان الأمر واسعاً يحتاج إلى أكثر من لقاء، ولكن هذه إشارة أظنها كافية.

أما ما يحدثه الله -تعالى- للعصاة والمبتدعين والكفار من خوارق العادات فإن هذا من باب فتنة الخلق، أعظم فتنة هي فتنة الدجال، وكان النبي -عليه الصلاة والسلام- يتعوذ دبر كل صلاة من أربع، من هذه الأشياء، (ومن فتنة المسيح الدجال) إن هذا الدجال يمر على الأرض الجرداء فيأمرها فتخرج خيرها كيعاسيل النحل، أي: النحل المجتمع، يمر على الأرض الجرداء فيأمر السماء أن تنزل القطر، فينزل القطر من السماء، ويخرج النبت من الأرض، -سبحان الله- أمور عجيبة لا يقدر عليها إلا رب العزة، إنما أحدثها الله -تعالى- لهذا الدجال فتنة لمن؟ فتنة للخلق، ولذلك يؤمن به خلق كثير، ولا يثبت الله -تعالى- في هذه الفتنة إلا من ثبته من المؤمنين، فنسأل الله -تعالى- أن يثبتنا في الدارين.

فما يحدثه الله -تعالى- للعصاة والمبتدعين والكفار هذا من باب الفتنة، أخرج الإمام مسلم، في صحيحه وهذا حديث أسماء والعجيب أن أسماء بن أبي بكر حدثت بهذا الحديث الحجاج بعد مقتل ولدها، يعني: بعد أن قتل عبد الله بن الزبير دخلت- وقد أسنت وعميت- على الحجاج الذي قتل ولدها، فقالت له: إني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (سيخرج من هذه القرية كذاب ومُبيرٌ) (سيخرج من هذه القرية) أي: ثقيف، (كذاب ومبير) المبير: أي المهلك، المفسد، هذا هو المبير، (أما المبير فلا إخاله إلا أنت)، الذي يفسد الأرض والناس (لا أخاله إلا أنت، وأما الكذاب هو المختار بن عبيد الله الثقفي)، هذا رجل دجال ظهر في الدولة الأموية وبلغ من شأنه أنه ادعى أنه نبي وأن الملائكة تنزل عليه، وكان يخرج الناس معه إلى الفلوات والفضاءات فيقول لهم: انظروا فينظر الناس فيجدون فرساناً يركبون الخيل فيقول لهم: هذه الفرسان إنما هي الملائكة أتت لنصرتي.

الناس تنظر في السماء فتجد خيلاً تجري في السماء، فيخدع الناس به، –سبحان الله– وقاتل الدولة الأموية قتالاً شديداً إلى أن غلب وأتي به إلى الخليفة، فلما أمر به أن يقتل، ضربه الطاعن فلم يصل الرمح إليه، فقال الخليفة له: سمِّ الله ثم اطعنه، فقال: بسم الله فضربه فطعنه، من الذي حماه في المرة الأولى إنما هو الشيطان– بإذن الله عز وجل– ليكون فتنة للناس، فنحن لا ننخدع بطيران نعش بميت ولا ننخدع أن رجلاً يمشي في الهواء أو يطير في الهواء أو يمشي على الماء وإنما لابد أن ننظر إلى الأعمال كما قال الإمام الشافعي: «إذا رأيتم الرجل يطير في الهواء أو يمشي على الماء، فلا تصدقوه حتى تنظروا عمله»، فنسأل الله –تعالى– أن يحسن أعمالنا.

فأولياء الله –عز وجل– هم المطيعون المؤمنون، هؤلاء هم الذين يحدث الله –تعالى– على أيديهم من خوارق العادات ما يحدث تثبيتاً لهم وتثبيتاً لمتبعيهم من المؤمنين وأيضًا إظهاراً لقوتهم وإظهارا لمعية الله –تعالى– لهم.

قال المصنف –عليه رحمة الله–: (وأن الله –سبحانه وتعالى– قد خلق الجنة وأعدها لأوليائه، وأكرمهم فيها، وأعدها دار خلد لأوليائه) ذكر الله –تعالى– في القرآن في غير آية أن الجنة هي دار الخلد التي لا يخرج منها المؤمنون أبداً من ذلك قول الله –عز وجل–: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥]، وهذه جملة اسمية حالية، فحالهم في الجنة أنهم خالدون لا يخرجون منها أبداً، وقال الله –عز وجل– أيضًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨]، إذن فالجنة يخلد فيها المؤمنون المطيعون وقال الله –سبحانه وتعالى–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧، ٨]، والخلود– كما قلت لكم– هو عدم الخروج من الجنة، وهذا تفضل من الله– تعالى– عليهم وجوداً من الله –تعالى– عليهم، فنسأل الله –تعالى– أن يجود علينا، وأن يتلطف بنا وأن يعاملنا بما هو أهله هو أهل الخير وأهل البر –سبحانه وتعالى–، يدل على أن الجنة دار خلود، لا يخرج المؤمنون منها أبداً قول الله –سبحانه وتعالى– ﴿إِنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٥– ٤٨] –سبحانه وتعالى– عندما تتأمل هذه الآيات تجد أن فيها بمفهوم المخالفة تعريض بالدنيا، فالدنيا يميزها أمران: الأمر الأول: أنها دار نصب، الأمر الثاني: أن الناس يخرجون منها، لا يَخْرجون منها وإنما يُخرجون منها، –سبحانه وتعالى– الذي جعل الجنة دار خلود وجعل الدنيا دار فناء ونهاء، فالجنة يدخلها المطيعون لا يخرجون منها أبداً بخلاف الدنيا فإنهم يُخرجون منها، والجنة يتنعمون فيها بخلاف الدنيا فإنهم ينصبون فيها، دار نصب، فالرجل لا يبلغ مراده مما يحب إلا بالنصب والتعب:

لا تحسبن المجد تمراً أنت آكله*** لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر

دار الصبر ودار التكليف ودار التعب هذا كله في الدنيا، دار المرض، ودار الوهن، ودار العجز، ودار الحاجة ودار العوذ، ودار السؤال ودار النقص هذا كله هي الدنيا، فما من نقص في الدنيا إلا وتجده تاماً أي تجد ما كنت تطلبه ولكن كان ناقصاً في الدنيا إلا تجده تاماً عند الله –عز وجل– في الجنة، فنسأل الله –تعالى– أن يرزقنا الجنة، والجنة موجودة، فالجنة خلقها الله –تعالى– وهي موجودة الآن الجنة ، ليست الجنة مخلوقة عندما يدخل الناس الجنة، ولكن الجنة موجودة الآن، يدل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم: (أن النبي –عليه الصلاة والسلام– في صلاة الكسوف قالوا له: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئًا في مقامك ثم رأيناك كعكعت) الكعكعة بمعنى الرجوع والإمساك، كأن النبي –عليه الصلاة والسلام– يريد أن يمسك شيئًا ثم بعد ذلك تركه ولم يمسكه (فقال النبي –عليه الصلاة والسلام–: إني رأيت الجنة فتناولت عنقوداً ولو أصبته –أي أمسكت به–، لأكلتم منه ما بقيت الدني)، يعني: العنقود الذي رآه النبي –صلى الله عليه وسلم– لو أمسكه وأصابه لأكلتم منه ومكث هذا

العنقود ما بقيت الدنيا –سبحانه وتعالى– إذن: رأى الجنة حقيقة، فالجنة موجودة خلقها الله –عز وجل– ولكن متى خلقها بالضبط؟ هذا أمر لا يعلمه إلا ربي –سبحانه وتعالى–.

قال المصنف –عليه رحمة الله–: (وأن الله– سبحانه– قد خلق الجنة فأعدها دار خلود لأوليائه، لا يخرجون منها أبداً، وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم)، ما شاء الله، (وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم)، هذه نعمة سابغة، بل إن أفضل نعمة ينعم الله –تعالى– بها على أهل نعمته في الجنة، أن ينظر إليهم، فيرى المؤمنون وجه الله –سبحانه وتعالى–، وإثبات الوجه لله– تعالى– ثابت قال الله –تعالى–: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً ﴿٩﴾﴾ [الإنسان: ٩]، وليس المقصود بالوجه هنا الجنة، أو التأويلات التي ربما تكون موجودة وإنما يقصد بها الوجه حقيقة، فالوجه يثبت لله –سبحانه وتعالى– حقيقة، وقال– تعالى–: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، ناضرة: أي جميلة، ناعمة، حسنة، والإنسان وجهه لا يكون نضراً متلألئاً حسناً إلا إذا كان آمناً مطمئناً، أما إذا كان خائفاً مذعوراً حتى ولو كان جميلاً فإن نضرة وجهه تذهب، ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ جميلة حسنة ناعمة، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: تبصر الله –عز وجل– وتشاهده وهذا أحد التأويلات الواردة عن السلف، التأول الثاني الوارد عن السلف: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي تنتظر ثواب ربها، وذكر التأويلان الإمام الطبري –عليه رحمة الله– في تفسيره، ولكنه رجح التأويل الأول، أي: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ أي تشاهد ربها وتبصره وتنظر إليه قال: وهذا هو ما أتت به الآثار، ويقصد بذلك الأثر الثابت عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في البخاري ومسلم: (إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضارون في رؤيته)، فهذا أثر يدل على أن المؤمنين في الآخرة يرون ربهم –سبحانه وتعالى–، ورؤية الله –عز وجل– لا تكون في الدنيا، ولذلك موسى –عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام– عندما طلب من ربه أن يراه فإن الله –تعالى– لم يمكنه من ذلك، ولكن قال: ﴿وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقال– سبحانه–: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، أي لا تدركه الأبصار في الدنيا، فإن بصراً لأحد لا يدرك الله –عز وجل– في الدنيا، أما ما ثبت عن بعض الصحابة أن النبي –عليه الصلاة والسلام– رأى ربه في رحلة المعراج، فإن هذا قول مرجوح والراجح: أن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: (نور أنى أراه) كما ثبت في الصحيح عنه –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم–، أيضًا ما ذكرته بعض الكتب أن الإمام أحمد –عليه رحمة الله– رأى ربه في المنام، فقال له ربه –سبحانه وتعالى–: يا أحمد هل تعلم ما أعظم ما يتقرب به إلي المتقربون؟ قال: ما هو يا رب؟ قال: قراءة القرآن، فهذا الأثر ينبغي أن يحقق وأن ينظر إلى صحته، ثم بعد ذلك، مسألة الرؤية المنامية، الراجح أنها لا تثبت، وهناك بعض الآثار، أن الله –تعالى– ربما يكلم بعض عباده في المنام، أما الرؤية فهي لا تثبت في الدنيا وإنما تكون ثابتة يوم القيامة.

وقال الله –تبارك وتعالى–: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، الحسنى: دخول الجنة، فليس هناك شيء أعظم ولا أحسن من دخول الجنة، فنسأل الله –تعالى– أن يجعلنا من أهلها، والزيادة: ثبت أن النبي –عليه الصلاة والسلام– فسرها بأنها النظر إلى وجه الله –سبحانه وتعالى–، ثبت ذلك عن النبي –صلى الله عليه وسلم– في الحديث الصحيح عند ابن أبي عاصم وعند غيره، وثبت ذلك أيضًا عن أبي بكر –رضي الله تعالى عنه– كما ثبت عن عبد الله بن مسعود –رضي الله تعالى عن الجميع– وهذا هو الاعتقاد الصحيح الذي عليه أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة في الدار الآخرة، كما يرون الشمس وقت الظهيرة وكما يرون القمر ليلة البدر، فإنهم يرون الله –عز وجل– في الآخرة، هذا هو اعتقاد الصحابة واعتقاد السلف جميعًا، إلى أن نبتت نابتة السوء من المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة الذين لم يؤمنوا بذلك أصلاً، وتأولوا آي القرآن فتأولوا قول الله –عز وجل–: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، أن "إلى" مفرد آلاء، و﴿نَاظِرَةٌ﴾ بمعنى منتظرة، فـ ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: تنتظر ثواب ربها، نعم، هذا تأويل ثابت عن بعض السلف، ولكن بعض السلف الذين قالوا ذلك لم ينفوا رؤية المؤمنين ربهم –سبحانه وتعالى– في الآخرة.

أيضًا جمع الدارقطني طرق الأحاديث الثابتة في الرؤية فزادت عنده على العشرين طريقاً، وكذلك فعل الإمام ابن القيم -عليه رحمة الله- في كتابه حادي الأرواح فبلغت عنده الثلاثين طريقاً كثير من هذه الأحاديث أحاديث صحاح، وجياد، وكذلك وقع للإمام يحيى بن معين، حيث ذكر أسند الدارقطني له أنه وقع له أكثر من سبعة عشر حديثاً في الرؤية كلها أحاديث صحيحة، فقول المصنف: (وأكرمهم فيه)، أي أكرمهم في الجنة بالنظر إلى وجهه الكريم، وهذه هي الزيادة التي ينعم الله -تعالى- بها على عباده المؤمنين، نسأل الله -تعالى- أن يوفقنا إلى الخير جميعًا.

قال المصنف -عليه رحمة الله-: (وهي) هذا الضمير يعود إلى ماذا؟ يعود إلى الجنة، وهي أي: الجنة (وهي التي أهبط منها آدمَ) آدم مفعول به، (وهي التي أهبط الله -تعالى- منها آدمَ نبيه) بدل (نبيه وخليلفته إلى أرضه) نبيه النبي- كما قلت لكم من قبل-: من أوحى إليه الله -عز وجل-، فكل من أوحى إليه الله فهو نبي، وآدم -عليه وعلى نبينا السلام- أمره الله -تعالى- ونهاه، فهو نبي؛ لأن الله -تعالى- كلمه، وأوحى إليه ربه فأمره ونهاه، فمن جملة ما أمره الله -عز وجل- أمره أن يطيعه، وأمره أن يسكن الجنة، ومن جملة ما نهى الله -تعالى- أو ما نهى عنه آدم أو ما نُهي عنه آدم، نُهي آدم عن أكل الشجرة، فأُمر آدم ونُهي فكان نبياً بهذه الحيثية.

وكذلك قول المصنف: (نبيه أو نبيه وخليفته) كلمة "خليفته" هذه الكلمة تحتاج إلى وقفة يسيرة؛ لأن الخليفة في اللغة على وزن فعيلة، وفعيل، أو فعيلة، تأتي بمعنى فاعل كما تأتي بمعنى مفعول، مثل قول الله -عز وجل-: ﴿الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، الرجيم على وزن فعيل، فيأتي بمعنى فاعل، أي راجم، فالشيطان رجيم، بمعنى راجم، يرجم غيره بالوسوسة والإغواء، يرجم غيره فهو راجم، وكذلك رجيم بمعنى مرجوم، مرجوم أي مرمي فكما يرمي غيره فيكون فاعلاً يُرمى هو، فيرمى بالرمي السماوي من الشهب، كما يُرمى بالرمي الأرضي من الذكر والاستغفار، فهو مرجوم بهذه الحيثية، فكذلك أيضاً خليفة تأتي بمعنى خالف كما تأتي بمعنى ماذا؟ مخلوف، والخالف الذي يُخلف غيره فيقوم مقامه في شأنه وفي أمره عن غيابه. هذا هو الخليفة، وكان النبي -عليه الصلاة والسلام- إذا خرج من المدينة في غَزاة أو سفر استخلف ماذا؟ استخلف خليفةً، يخلفه على المدينة في مغيبه، فالخليفة هو خليفة رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- وبهذه الحيثية لا يمكن أن نجعل آدم خليفة لله -عز وجل- فالله -سبحانه وتعالى- ليس بغائبٍ حتى يحتاج إلى من يكون خليفة بعده ليقوم بأمره في خلقه، فهذا معنى لا يكون لائقاً، أيضاً المعنى الثاني: أن خليفة بمعنى مخلوف، أي: يخلفه غيره، كما هو يخلف غيره، فإنه أيضاً يخلفه غيره، والله -عز وجل- لا يخلفه أحد أبداً من خلقه، بل هو الذي يُخلف غيره من خلقه، ولذلك عندما تسافر تقول: اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في المال والأهل والولد، فالله- تعالى- خليفة لك؛ لأنه هو الذي يخلفك، يخلفك في نفسك بعد وفاتك يخلفك في مالك وأهلك وولدك، أما أن تكون أنت خليفة لله، فهذا لا يكون أبداً، وبهذا فإن هذه العبارة تحتاج إلى تحرير، تحتاج إلى نظر، قول المصنف: (وهي التي أهبط منها آدم نبيه وخليفته إلى أرضه) هذه الجملة تحتاج إلى تحرير ولو قال المصنف: وهي التي أهبط منها آدمَ نبيهُ إلى أرضه وجعل ذريته خلائف في أرضه، لكان ذلك حسناً وجيداً وأخشى أن يكون ذلك من باب تصريف النساخ الذين ربما يتصرفون في بعض النصوص، أخشى أن يكون ذلك من هذا الباب، وإن كان ذلك من العبارة فهي وهلة لا تنقص، أو لا تجعل هذا المصنف خارجاً من نطاق أهل السنة، ولا تجعله منكوساً في إمامته بل هو إمام وجهبذ علم تتقبل عقيدته؛ لأن بعض الناس يأخذون الناس بأفراد الزلات ويبحثون عن الزلات ومنهجهم طي الحسنات وفضح السيئات، فمن وقع في زلة فضح ومن كثرت حسناته تطوى هذه الحسنات -سبحان الله- يعني يفتشون عن مساوئ الناس ووهلاتهم وما يظنونه من سيئاتهم فإذا ما وجدوا شيئًا طاروا به وإذا ما وجدوا حسنة ستروها وأخفوها، فهذا ليس بالإنصاف وليس هذا بالعدل، فالله- تعالى- يحب العدل والإنصاف، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠]، بل إن ذلك هو منهج البغي بعينه، فنعوذ بالله -سبحانه وتعالى- من ذلك، ويؤيد ذلك أن الله -تعالى- جعل ذرية آدم خلائف يخلف بعضهم بعضاً، وهذا قوله- سبحانه-: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ﴾ [يونس: ١٤]، فجعل الله -تعالى- الناس خلائف في الأرض يخلف بعضهم بعضاً، وهذا هو المعنى المتجه. والله تعالى أعلى وأعلم.

قول الإمام –عليه رحمة الله–: (وهي التي أهبط منها آدم)، الجنة التي سكنها آدم ما حالها؟ هناك ثلاثة أقوال في هذا الباب:

القول الأول: أنها جنة الخلد.

القول الثاني: أنها جنة مخصوصة، مكان عالٍ مرتفع في الأرض جعله الله –تعالى– لآدم فهي جنة في الأرض وليست في السماء.

القول الثالث: الله أعلم. التوقف، ولكن ليس التوقف والتبين، ولكن الله أعلم، نتوقف في هذه المسألة فلا ندري أين هذه الجنة هل كانت في السماء، جنة الخلد؟ أم هي جنة مخصوصة؟ الله أعلم.

قص هذه الأقوال وذكرها الإمام ابن القيم، ومال ورجح القول الأول أنها ماذا؟ أنها جنة الخلد.

قال المصنف –عليه رحمة الله–: (وهي التي أهبط منها آدم نبيه إلى أرضه بما سبق في سابق علمه) الوجود أو الموجودات تنقسم إلى عدة أقسام: هناك وجود علمي، وهناك وجود ذهني، وهناك وجود عيني، إذن: هناك وجود علمي والوجود العلمي هو الوجود السابق لكل وجود، نتكلم عن المخلوقات فالوجود العلمي للمخلوقات سابق لوجودها عيناً، ولذلك من الأشياء الطريفة أن الناس عند العامة، يقولون لك: لما يكون هناك مشكلة بين أبيك وبين إخوته في الميراث ثم مات أبوك، فتقول: وأنت في علم الله اعتدى أعمامك على أبيك وصنعوا به كذا وكذا وقالوا له: كذا وكذا، وأنت في ماذا؟ في علم الله، –سبحانه وتعالى– وأنت في علم الله إذن: كنت موجوداً في علم الله –عز وجل– وهذا هو قول الله –عز وجل– ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢]، إذن: هذا هو الميثاق الأول عندما جمع الله الخلائق قبل خلقها، وأشهدهم على نفسه وقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢– ١٧٣]، فهذا هو الميثاق الأول الذي آخذه الله –تعالى– على الناس وهم في عالم العلم. طيب هم في عالم العلم كان موجودين؟ نعم كانوا موجودين إذن هناك وجود علمي، وهذا الوجود العلمي الأول وهذا الإشهاد الأول وهذا الميثاق الأول هو ميثاق عالم الذر، فمن آمن بالرسول وبما جاء به الرسول نفعه هذا الميثاق الأول ولذلك قال الله –عز وجل–: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَ﴾ [الروم: ٣٠]، فالناس جميعًا مفطورون على التوحيد، على معرفة الله، على التوجه بقلوبهم إلى الله، على تعظيم الله –عز وجل– مفطورون على ذلك الأمر وقال النبي –عليه الصلاة والسلام–: (ما من مولود إلا ويولد على الفطرة)، أي يولد على الإسلام، يولد على التوحيد، يولد على تعظيم الله –عز وجل–، (فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه)، وقال النبي –عليه الصلاة والسلام– في الحديث القدسي: (إني خلقت عبادي جميعًا حنفاء فاجتالتهم الشياطين)،إذن: (إني خلقت عبادي جميعًا حنفاء) فقد أخذ الله –تعالى– العهد والميثاق على الناس قبل خلقهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، إذن كان الناس موجودين وكان هذا الوجود هو الوجود الأول وهو الوجود العلمي.

الوجود الثاني: هو الوجود الذهني هذا الوجود هو الوجود المطلق، الموجودات المطلقة وفي الحقيقة أن الموجودات المطلقة لا توجد إلا في الأذهان، والموجودات المطلقة هي غير المقيدة، هي غير المحددة، عندما تقول– وهذا المثال ضربته ولكن في غير هذا الموضع–: اللواء، كلمة لواء فإن ذهنك يطير فيه كل مطار ماذا يقصد بكلمة اللواء؟ غير محددة، غير مقيدة، طيب ولذلك هنا الذهن يتحرك ويتصور كل المعاني لكلمة اللواء، العَلَم الذي يرفرف، القطعة من الجيش التي تتحرك، الرتبة العسكرية في الجيش، الرتبة العسكرية في الشرطة، في الداخلية، كل هذه المعاني يتجه إليها ماذا؟ الذهن، هذه المعاني لهذه الكلمة موجودة في الذهن، وإنما تتحدد عندما تتعين تقول: رأيت اللواء يرفرف فوق المبنى، إذن: تحدد المعنى، إذن: الكلمات المطلقة الكلمات المرسلة الكلمات الغير محددة لا وجود لها إلا في الأذهان.

الأمر الثالث: الموجودات العينية: وهي الموجودات التي قدر الله –تعالى– أن تخرج إلى الدنيا، وجعل لها جسداً وروحاً وإرادةً وشأناً، (وهي التي أهبط منها آدم نبيه وخليفته إلى أرضه بما سبق في سابق علمه)، ثم قال المصنف –عليه رحمة الله–: (وخلق النار فأعدها دار خلود لمن كفر به وألحد في آياته وكُتبه ورسله وجعلهم محجوبون عن رؤيته)، قال الله –عز وجل– في ذلك: ﴿إِنَّ المُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف: ٧٤، ٧٥]، أي: في هذا العذاب، فيه الضمير هنا يعود على العذاب، وقال– تعالى–: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [آل عمران: ١٣١]، ومن رحمة الله –عز وجل– أنه لا يجعل أهل الجنة يخرجون منها، ولكن يجعل بعض أهل النار يخرجون منها– وقد تكلمت عن هذه القضية في المجلس السابق– والإلحاد: التغيير، والتحريف ومنه قول الله –عز وجل–: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والجنة والنار لا تفنيان ولا تبيدان كما أن أهل الجنة ولا يخرجون منها، وكذلك أهل النار لا يخرجون منها إلا من أذن الله له، يدل على ذلك الحديث: (يؤتى بالموت في صورة كبش أملح أقترن فيذبح بين الجنة والنار، ويقال: يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت)، فأهل النار– إلا من شاء الله– يكونون في النار خالدين فيها، وأيضًا الكفار كما أنهم في النار خالدون في النار، فهم في الدنيا أيضًا لا يتنعمون في الدنيا، فهم ليسوا بآمنين في الدنيا، بل هم خائفون مذعورون– والعياذ بالله– وما يحدث لهم من بعض الخوارق في الدنيا إنما هذا من باب البلاء، طرفة يسيرة ذكرها بعض أهل العلم، وهذه الطرفة موجودة في كتاب "الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة" لبعض آل الشيخ ومن أراد أن أذكره بهذه الطرفة أذكره في مقام آخر لأني أشعر بأن الوقت قد أزف، قال الله –عز وجل–: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، هذا في أهل النار، ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة، في الآخرة ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾، لمحجوبون: هناك تأويلان:

التأويل الأول: محجوبون عن رؤية الله –عز وجل–.

والتأويل الثاني: محجوبون عن ثواب الله –عز وجل– وعن إكرامه ونعمائه وذهب الإمام الطبري إلى أن القولين صحيحان، وليس أحدهما بأولى من الثاني، وذهب القاسمي في محاسن التأويل إلى أن قوله– تعالى–: ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾، كلمة عامة فتشمل التأويلين، فأهل النار– والعياذ بالله– محجوبون عن رؤية الله –تعالى– وأيضًا هم محجوبون عن ثواب الله –عز وجل– وعن كرمه وعن نعمه وإحسانه، فنسأل الله –تعالى– أن يجعلنا أهلاً للجنة، وأن يجعلنا أهلاً لنعمائه وصلي الله وسلم على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ورتنا إجابات عدة على أسئلة الحلقة الماضية، وكان السؤال الأول: وجه جملة من يدخله الله الجنة يدخله بفضله ومن يدخله النار يدخله بعدله؟

وكانت الإجابة: توجيه جملة من يدخله الله الجنة يدخله بفضله ومن يدخله النار يدخله بعدله، المقصود به هنا هو مرتكب الكبيرة الذي مات ولم يتب من ذنبه فمذهب أهل السنة والجماعة– وهو المذهب الصحيح– أن مرتكب الكبيرة متروك أمره إلى الله –تعالى– إن شاء عفا عنه ابتداءً وهذا بفضله وجوده وإحسانه وإن شاء عاقبه بذنبه ثم يخرجه من النار بفضله ومنته فمرتكب الكبيرة عندما يُعاقب فإن الله لا يظلمه؛ لأن الله ليس بظلام للعبيد، فالله –سبحانه– يعاقبهم بذنوبهم وهذا عدله– سبحانه– وإن أدخلهم الجنة فهذا بمنه وجوده وإحسانه فإن أحداً لن يدخل الجنة بعمله، وإنما برحمة الله –تعالى– كما ثبت ذلك عن النبي –صلى الله عليه وسلم–.

ما شاء الله هذا جيد، ولو ذكرنا زيادة بسيطة أن الله –سبحانه وتعالى– يضع ﴿وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧]، أن يذكر بأن مرتكب الكبيرة قد تكون له حسنات أو أن يكون الله– تعالى– قد ابتلاه بمرض أو مصاب أو هم أو نصب أو نحو ذلك من المكفرات التي ذكرتوها فقد تكون هذه الأشياء أيضًا سبباً في تكفير هذه الذنب الذي فعل، وهذا مرده أيضًا إلى من إلى الله –عز وجل–، هذا كلام جيد نعم.

السؤال الثاني: أذكر الشفاعة المثبتة للنبي –صلى الله عليه وسلم–؟

وكانت الإجابة الشفاعة المثبتة للنبي –صلى الله عليه وسلم– هي شفاعتان:

الأولى: الشفاعة العامة لجميع الخلائق ليفصل الله –تعالى– بينهم وهي المقام المحمود، الثانية: الشفاعة الخاصة وهي للعصاة من المسلمين.

ما شاء الله، جيد.

الأخ الكريم من مصر يقول: عندي سؤالان:

السؤال الأول : بالنسبة للسؤال الخاص بهذه الحلقة وهو مسألة خروج بعض أهل النار من النار كنت سمعت حديثاً (أن أربعة سيخرجون من النار وربنا –سبحانه وتعالى– سيأذن لهم بالرجوع مرة ثانية، فيبقى واحد ينظر إلى الخلف، فيسأله الله –عز وجل– ما الذي يجعلك يا عبدي تنظر إلى الخلف؟ فيقول: ظني أنك إذ أخرجتني منها أنك لن تعيدني فيها، فيقول له الله –عز وجل–: ادخل الجنة بحسن ظنك بي) أو كما قال –صلى الله عليه وسلم–.

هذا الحديث سمعت أنه صحيح، أريد أن أعرف مدى صحته وما معناه؟ ولماذا خرجت هذه الناس من النار ولماذا دخلت ثانية؟

السؤال الثاني: بالنسبة للإلحاد في أسماء الله –عز وجل– كنت سمعت من أحد الشيوخ الأفاضل: إن نطق أسماء الله –عز وجل– بغير اللغة العربية الفصحى قد يؤدي ذلك إلى الإلحاد، مثل أن يقول: عبد الخالئ بدل عبد الخالق، عبوهاب، بدل عبد الوهاب، عَبْدَ الله بدل عَبْدُ الله، ما مدى صحة هذا القول؟ والناحية الثانية: ما مدى الذنب لو فيه ذنب؟ وما قدر هذا الذنب؟ بالنسبة للعوام كيف نصلح لهم هذا الأمر، مع أنهم يقولون: نحن لا نعتقد في هذا الأمر؟ وليست نيتي أن أخطأ في أسماء الله –عز وجل–؟

فضيلة الشيخ الأخ الكريم له سؤالان سؤاله الأول عن خروج بعض أهل النار وذكر حديث الأربعة فيبقى منهم واحد ينظر إلى الخلف؟

هذه المسألة تحتاج إلى مراجعة مني.

سؤاله الثاني، كان عن الإلحاد في أسماء الله –تعالى– والنطق بغير العربية الفصحى هل يؤدي ذلك إلى الإلحاد؟ وما هو قدر هذا الذنب؟

والله هذا الكلام كلام لم أره لأحد من المتقدمين من أهل العلم، فما زال العامة يتكلمون ولم أرَ ولم أسمع ولم أقرأ أن أحداً من المتقدمين من أهل العلم قال: بأن نطق أسماء الله –عز وجل– بغير اللغة العربية الفصحى يعد ذلك إلحاداً في أسمائه– سبحانه– بل بالعكس الذين يتكلمون باللغة العربية من الأعاجم، عندما يتكلمون هناك حروف بتمامها لا يستطيعون أن يقولوها يعني مثلاً حرف مثل الضاد، لا يستطيع أن يقول أي اسم فيه ضاد، لا يستطيع أن يقول ذلك، بل حرف القاف، يعني الخالق، يقوم مثلاً يقول: الخالك، هكذا هو أعجمي، وأحياناً الخاء لا يستطيعون إخراجها، فيمكن أن يقولها قريبة من الهاء، فالخالق يقولها: الهالك، عبد الهالك، قرابة من الهاء، فهؤلاء الأعاجم نقول لهم: لا تقولوا ذلك وهذا كفر بالله ولا يجوز لكم، هم يقولون هذه الأسماء ولا يقصدون المعاني التي تبادرت إلى أذهاننا، لكن الأوفق طبعًا والأسلم والأجود أن يتعلم الناس اللغة الفصحى، وأن يتكلموا بها تكلماً صحيحاً ومن بركة كلامهم بالفصحى، أن يقرؤوا القرآن قراءة صحيحة وأن يقرؤوا السنة قراءة صحيحة وأن يقرؤوا أسماء الله –عز وجل– قراءة صحيحة، لكن من زلَّ في ذلك أو أخرج حرفاً مكان حرف، أو صوتاً مكان صوت، لا يمكن أن نخرجه من الدائرة، أو نقول بأن ذلك إلحاد في أسماء الله –عز وجل– ونطبق عليه الآية أظن أن هذا الأمر فيه تكلف، والله تعالى أعلى وأعلم.

الأخت الكريمة من مصر تقول: السلام عليكم، أقوم بإلقاء محاضرات لبعض الأخوات، وبعض الأخوات تسأل: هل يجب زرع العقيدة في نفوس الأخوات قبل إلقاء المحاضرات بحجة أن النبي –صلى الله عليه وسلم– ظل في مكة ما يقرب من ثلاثة عشر عاماً يزرع العقيدة في نفوس المسلمين، أنا أقول: هؤلاء كانوا يعبدون

الأصنام وبعيدين كل البعد عن التوحيد الخالص لله -عز وجل-. فلا أعرف ما هو رأي حضرتك بالنسبة لحجة بعض الأخوات اليوم أننا لابد أن نزرع العقيدة أولاً؟

السؤال الثاني: بالنسبة للعمل بالخواتيم، هناك حديث ورد في صحيح البخاري: (أن رجلاً ظل يعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما كان بينه وبين الجنة ذراع، الذي كان في عزوة مع غزوات النبي -صلى الله عليه وسلم- ولما رُمِيَ بسهم قتل نفسه) فيما معنى الحديث، بعض الأخوات عندما نشرح هذا الحديث يحصل في صدرهن خوف شديد جدًا، هل بعد استقامتهن على الحجاب والالتزام وغير ذلك، هذا الحديث فعلاً يسبب خوفاً للأخوات. لا أعرف ما هو رأي حضرتك؟ وما الذي تنصحنا به؟

الأخ الكريم من مصر يقول: السلام عليكم، حقيقة ما يروى في بعض الأحاديث- والله أعلم بصحتها- (أن بين كل فرض وفرض أو بين كل صلاة وصلاة توقد نار للمؤمن حتى إذا توضأ وصلى انطفأت النار)، ما مدى صحة هذا الحديث؟

السؤال الثاني: إمام وخطيب يدخن ما مدى قبول الفرض منه؟ وهل التدخين من الكبائر؟ وهل إذا توفته المنية هل له توبة عند الله أم سيكون من المصرين؟

الأخ الكريم من السعودية يقول: أريد التفصيل في رؤية الله -سبحانه وتعالى- في المنام؟ ويحضرني في هذا حديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (حتى وجد برد يدي الله -سبحانه وتعالى- على كتفيه أو على صدره)؟

السؤال الثاني: تعبير المؤلف لقوله: (خليفة) ألا يكون مأخوذاً من آية البقرة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]؟

فضيلة الشيخ الأخت الكريمة من مصر كانت تقول: إنها تعطي محاضرات للأخوات وهناك أخوات قلن لها: إنها لابد أن تتكلم في العقيدة أولاً قبل أي حديث فما هو رأيكم في زرع العقيدة أولاً؟

بسم الله الرحمن الرحيم، لو نحن نظرنا إلى الوضع الذي كان عليه طلب العلم أولاً: لوجدنا أن الأمور ليست بهذه الصورة التي نطلبها، فهناك الفقه وهناك الأصول وهناك اللغة وهناك كذا وكذا، لكن كان الأمر محصوراً بين الشيخ والأستاذ يعطي مع العلم أمرين: الأمر الأول: يُعطي الاعتقاد الأمر الثاني: يعطي الأدب، إذن: أي مادة علمية، سواء كانت في الفقه أو في اللغة أو كانت في التفسير أو ما إلى ذلك كان الأستاذ أو الشيخ يعطي مع مادته العقيدة كما يعطي معها ماذا ؟ يعطي معها الأدب، والاعتقاد هو هذا المحرك الذي يحرك صورة

العلم لو نظرنا إلى اللغة لوجدنا أن أثر الاعتقاد الاعتزالي يظهر عند أئمة اللغة من المعتزلة، وكذلك إذا نظرنا إلى العقيدة نجد أثر العقيدة الاعتزالية عند المفسرين بل وعند الفقهاء، بل وعند الأصوليين، فالعقيدة خطيرة جداً في مسائل العلوم، ومن هنا أنا أتكلم عن المسائل كمسائل علمية، يجب على طالب العلم أن يطلب العقيدة الصحيحة التي بطلبها يكون رجلاً عقائدياً يطلب العقيدة المتمثلة في الإله، الذي يعبده، والنبي الذي يتبعه ثم بعد ذلك في الغيب الذي يؤمن به والقدر والصحابة، هذه المسائل لابد أن تكون له فيها تصورات صحيحة، فأنا مع هؤلاء القوم الذين يقولون: لابد من تصحيح العقيدة أولاً، ولكن أنا أُخالف في مسألة كيفية تدريس العقيدة، ينبغي في الدروس المستفيضة المتسعة التي يرتبط فيها الشيخ مع تلاميذه أن تُدَرس العقيدة بطريقة أخرى بخلاف الطريقة المدرسية الجامدة الجافة، لابد أن تدرس العقيدة بطريقة سهلة وبسيطة، تراعى فيها كثرة الأمثلة، يراعى فيها السير والتاريخ واللطائف، يراعى فيها تقريب الناس من المفاهيم العقائدية يراعى فيها تدريب الناس على هذه المفاهيم لابد من ذلك الأمر، فأنا في جملة الذين يقولون: لابد من العقيدة أولاً، ولكن لابد من تحرير كيفية الاعتقاد، أو كيفية دراسة العقيدة.

الأخ الكريم من مصر كان يسأل عن صحة الحديث: بين كل فرضين؟

الله أعلم.

الأخ الكريم من السعودية يقول: يريد تفصيل في رؤية الله في المنام، وذكر حديث: (حتى وجد برد أصابعه)؟

هي (برد أنامله أو برد كفه)، وهذا الحديث هو حديث صحيح ثابت، في بعض السنن، وعند ابن أبي عاصم، وهذا الأمر(رأيت ربي في أحسن صورة)، وهذه رؤية منامية، وقالوا: بأن هذا خاص بالنبي –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم–.

كان سؤال الثاني: عن تعبير المؤلف (خليفة أو خليفته) ألا يمكن أن يكون هذا مأخوذ من قول الله –تعالى– في سورة البقرة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]؟

أبداً، كلمة ﴿خَلِيفَةً﴾ في سورة البقرة، يقصد بها يخلف بعضهم بعضاً من بني آدم أو خليفة، أي: قد خلفوا غيرهم من الذين سكنوا الأرض قبلهم، وهذا يدل على أن خلقاً قبل آدم سكن الأرض– والله تعالى أعلى وأعلم–.

الأخ الكريم من المغرب يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: ما قولكم فيمن ينسب القول بفناء الجنة والنار وأنهما غير خالدتين إلى شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى–؟

هذا كلام لا يصح أبداً.

كان له سؤال آخر: هل الجنة والنار مخلوقتان، المخلوقتان والموجودتان الآن هما على الخلقة التي سيكونان عليهما يوم القيامة؟

–والله تعالى أعلى وأعلم– نعم؛ لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– عندما رأى الجنة رآها ورأى عنقوداً وكاد أن يمسكه، وقال: (لو أصبته فأكلتم منه لكان في الدنيا إلى أن تزول) فهذا دليل على أنها الجنة التي أعدها الله –تعالى– والله تعالى أعلى وأعلم؟

فضيلة الشيخ، هلا تفضلتم بطرح أسئلة هذه المحاضرة؟

هناك ثلاثة أسئلة:

السؤال الأول: تكلم عن الاعتقاد في الأولياء: من هم؟ وماذا أعد الله لهم في الآخرة؟

السؤال الثاني: ناقش عبارة المصنف: (وهي التي أهبط منها آدم نبيه وخليفته إلى أرضه)؟

السؤال الثالث: اذكر اعتقادك في البرزخ؟

ملحوظة: يسيرة لإثبات البرزخ إثبات الجنة النار وهذه الفكرة أو العنصر الثالث؟ إثبات الجنة والنار يقتضي أن تكون هناك مرحلة وسطى بين الدنيا والدار الآخرة، هذه المرحلة هي مرحلة البرزخ، ويدل عليها قول الله – عز وجل–: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواً وَعَشِياً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦]، وأيضًا ما أخرجه الإمام أحمد بإسناد حسن حديث البراء بن عازب الحديث الطويل: أن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال موعظة من هذه الموعظة أن قال عن المؤمن: (فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة) فهذا يدل على أن القبر كان في هذه الحالة روضة من رياض الجنة حتى قال النبي – صلى الله عليه وسلم–: (فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له قبره مُد بصره) أما الكافر فإن الأمر يختلف فيقال له: (أفرشوا له من النار وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومه) فنعوذ بالله أن نكون من أهل النار.

والحمد لله أولاً وآخراً.

الدرس الثاني عشر
يوم القيامة وما فيه من حساب وشفاعة

كان الحديث قبل عن الجنة وعن النار وأنهما مخلوقتان، والحقيقة أن متن الإمام القيرواني يحتاج إلى نوع يسير من الترتيب، فقد ذكر –عليه رحمة الله– مجيء الرب –تبارك وتعالى– للفصل بين العباد، وذكر الحوض والصراط وغير ذلك مما هو موجود في ذلك اليوم الرهيب، ذكر ذلك كله بعد ذكر الجنة والنار، ومعلوم أن الجنة والنار إنما هي تلي هذا اليوم العظيم الذي ينزل فيه ربنا ويجيء ربنا –سبحانه وتعالى– للفصل بين العباد، فبإذن الله –سبحانه وتعالى– في هذا اللقاء سيكون حديثنا عن نزول أو عن مجيء الرب –سبحانه وتعالى– للفصل والحساب بين الناس، إلى نهاية هذا اليوم عندما يتجه الناس إما إلى الجنة وإما إلى النار. فنسأل الله –تعالى– أن يحسن بنا القرار، وأن يجعل خاتمتنا في طاعته فإنه –سبحانه وتعالى– القدير على كل شيء. تفضل أخي الحبيب.

قال المصنف –رحمه الله تعالى–: (وأن الله –تبارك وتعالى– يجيء يوم القيامة والملك صفاً صفاً، لعرض الأمم وحسابها وعقوبتها وثوابها، وتوضع الموازين لوزن أعمال العباد، قال الله –تعالى–: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠٢]، ويؤتون صحائفهم بأعمالهم فمن أوتي كتابه بيميه فسوف يحاسب حساباً يسيراً ومن أوتي كتابه وراء ظهره فأولئك يُصلون سعير)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال المصنف –عليه رحمة الله–: (وأن الله –تبارك وتعالى– يجيء يوم القيامة والمَلَك صفاً صفاً، لعرض الأمم وحسابها وعقوبتها وثوابه)، مجيء الرب –سبحانه وتعالى– للفصل بين العباد: لا يكون ذلك إلا بعد البعث والحشر، والبعث: هو القيام من القبور عند سماع النفخة، البعث قيام الناس من قبورهم عند سماع النفخة، قال الله –تبارك وتعالى–: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ﴾ أي: القبور ﴿إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [يس: ٥١]، ينسلون أي: يسرعون، ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَ﴾ أي: من قبورنا ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ هذا الجواب عليهم ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [يس: ٥٢]، وفي صحيح مسلم أن نبي الله –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم– قال: (يُبعث كل عبد على ما مات عليه)، فهذا هو البعث، فعندما يسمع أهل القبور الصيحة فإنهم يقومون سراعاً لله رب العالمين، بعد أن يكون البعث يكون الحشر، والحشر جمع الخلائق بعد بعثها أحياءً في ساحة واحدة تدعى بعرصة يوم القيامة، فالعرصة في اللغة بمعنى: الساحة، ومنها عرصة الدار، أي باحته، وساحته، فكذلك عرصات يوم القيامة، هي الساحات العظيمة التي يُجمع فيها الناس للفصل فيما بينهم، قال الله –تبارك وتعالى–: ﴿وَمَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٧]،

وبعض الصحابة عندما سمع هذه الآية تعجب من حشر الكافرعلى وجهه، ففي البخاري ومسلم من حديث أنس –رضي الله تعالى عنه–: (أن رجلاً قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ فقال النبي –عليه الصلاة والسلام–: أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادراً على أن يُمَشيه على وجهه يوم القيامة؟!) قال قتادة– وهو راوي الحديث عن أنس –رضي الله تعالى عنه–: [بلى وعزة ربن]، أي: أن ربنا –سبحانه وتعالى– قادر على كل شيء، فكما أقدرنا على المشي على أرجلنا في الدنيا، وجعل أهل الدنيا يسيرون منتصبين أي: ناصبي أقدامهم، فكذلك الله –سبحانه وتعالى– قادر على أن يُمَشِّيّ الكافر على وجهه في النار يوم القيامة–

والعياذ بالله- إذن: فتمشية الكافر على وجهه يوم القيامة: هذا خبر حق ثابت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليصدق به ما أخبر به ربنا- سبحانه- في سورة الإسراء.

وبعد حشر الناس يوم القيامة، يأتي ربنا -عز وجل- إذن: يُبعث الناس من القبور، يَهرَعُ الناس إلى ساحة الموقف، ليحتشد الناس جميعاً في ساحة الموقف وهذه الساحة أرض أعدها الله -عز وجل- للفصل بين الناس، فليست الأرض كالأرض التي نعيش عليها، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الرعد: ٤٨]، فالأرض غير الأرض والسماوات غير السماوات فعندما يبدل الله -تعالى- الأرض ويجعل أرضاً مخصوصة يجتمع عليها الناس للفصل فيما بينهم يأتي ربنا -سبحانه وتعالى- والملك صفاً صفاً، فقول المصنف: (وأن الله -تبارك وتعالى- يجيء يوم القيامة والملك صفاً صفاً، هذا مصداق قول ربنا -سبحانه وتعالى-: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّ ﴾ [الفجر: ٢٢]، وهذا مجيء حقيقي وإثبات لصفة حقيقية لله -عز وجل- وهي صفة المجيء، وليس المقصود كما قال بعض الناس- سامحهم الله- أن المجيء هنا عائد على الأمر والتقدير وجاء أمر ربك، هذا كلام لا يصح؛ لأنه ورد في ذلك اليوم أن الله -تعالى- يخاطب الناس ويكلمهم ويحكم بينهم فياترى من ذا الذي سيحكم بين الناس ويحدثهم ويناقشهم أهو أمر الله أم الله؟!! -سبحان الله- إذن: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ هذا على حقيقته لا تحتمل تأويلاً واللفظ ظاهر لا يحتاج أن نصرفه على غير وجهه، وأيضاً قال ربنا -سبحانه وتعالى-: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ هل ينظر الكفار والمكذبون باليوم الآخر والمنكرون له ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلاَئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٠]، هنا تقدير لطيف ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾، الظلل كالسحاب، والغمام نحوه، والله - تبارك وتعالى- لا يأتي في السحاب، ولكن التقدير هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام، فظلل الغمام عائدة على من؟ على الملائكة، لا تعود على الله -عز وجل- وهذا التأويل ثابت عن أبي العالية التابعي الجليل -رضي الله تعالى عنه- إذن: التقدير أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام، إذن: في ظلل من الغمام عائدة على من؟ ومتعلقة بمن؟ بالملائكة ليست متعلقة الله -عز وجل- وهذا تفسير أبي العالية، هذا اليوم الجليل المهول يُسمى بيوم القيام لماذا سمي بيوم القيامة؟ سمي هذا اليوم بيوم القيام؛ لأن الناس يقومون فيه لله رب العالمين قال الله -عز وجل-: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المطففين: ٦]، يوم يقوم الناس يقومون من أي مكان؟ يقوم الناس من رقدتهم، من قبورهم يقومون لمن؟ لله رب العالمين، ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، وهم في فزع شديد، وهلع وخوف، فزع وهلع وخوف، قال الله -تبارك وتعالى- في شأن الناس وهم يشخصون بأبصارهم إلى الله -عز وجل- خائفين مذعورين قال ربي- سبحانه-: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الرعد: ٤٢]، هذا هو يوم القيامة، ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ ﴾ رؤوسهم مطأطأة عليها ذلة وندامة ﴿لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾، الطرف بمعنى: النظر، فنظرهم لا يستقر بل هو تائه مضطرب ثم قال- تعالى-: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾، هذه الواو أجمل ما يقال فيها: أنها واو القطع، واو الاستئناف ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾، جملة جديدة، والأفئدة هي القلوب والهواء أي: ضعيفة غير مستقرة، ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾، قلوبهم ضعيفة غير ثابتة من شدة الخوف- والعياذ بالله- وقال- تعالى-: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ ﴾ من قبورهم ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لاَ يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ﴾ فالله -تبارك وتعالى- لا يشغله زيد عن عمر، ولا عمر عن زيد، ولا مسلم عن كافر، ولا كافر عن مسلم، ﴿لاَ يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ والألف واللام هنا للعهد أي في ذلك اليوم المعهود المعروف، وكما هو معلوم بأن العهد يقتضي التخصيص، فهذا اليوم ليس ككل يوم، بل هو يوم شأنه عظيم، مقداره خمسون ألف سنة، كما صح الخبر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (أرأيت أن الناس يقومون من قبورهم يقفون على أرجلهم خمسين ألف سنة حتى يفصل الله -تعالى- بينهم) فنسال الله -تعالى- أن يرحمنا برحمته، ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴿١٧﴾ ﴾، [غافر: ١٦، ١٧]، فلا ظلم اليوم، ﴿وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدً ﴾ [الكهف: ٤٩] فنسأل الله -تعالى- أن يعافينا.

في هذا اليوم تقترب الشمس من رؤوس الخلائق، حتى يعرق الناس عرقاً شديداً ويبلغ العرق من كل واحد قدر ما كان من عمله، وصح الخبر في ذلك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ففي صحيح مسلم من حديث المقداد -رضي الله تعالى عنه- قال: (سمعت رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- يقول: تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق، حتى تكون منهم كمقدار ميل)، والميل: إما أن يكون الميل المسافة وإما أن يكون ميل المكحلة، ومعلوم حاله، (فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه)، والكعبين أسفل القدمين (منهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون) أي: العرق (إلى ركبتيه، ومنهم من يلجمه العرق إلجام) وأشار النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى فيه)، يعني: يأتي العرق إلى فيه -سبحان الله- هذا أمر مهول. فنسأل الله -تعالى- العافية.

أيضاً هذا اليوم يود الناس أن يفصل بينهم ولو إلى النار، فنسأل الله -تعالى- أن يحسن إلينا في ذلك اليوم. قال المصنف -عليه رحمة الله-: (وأن الله -تبارك وتعالى- يجيء يوم القيامة والملك صفاً صفاً، لعرض الأمم وحسابها، وعقوبتها وثوابه)، هذا الأمر يكون في ذلك اليوم(لعرض الأمم) العرض (وحسابه) الحساب، (وعقوبتها وثوابه)، فالناس يعرضون على الله -عز وجل- صفاً صفاً، كما قال: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّ ﴾ [الكهف: ٤٨]، ويحاسب الله -عز وجل- كل واحد بمفرده، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام: ٩٤]، إذن: الناس يعرضون على الله -عز وجل- صفوفاً صفوفاً صفوفاً، هناك نظام وترتيب صفوفاً صفوفاً، ثم إن الله -تعالى- يحاسب كل واحد بمفرده، ليست هناك لجنة حساب، يدخل فيها الجماعة ليحاسبهم الله مجموعة واحدة، بل يحاسبون فرداً فرداً، وفي هذا اليوم المهول هناك عدة أمور تحدث فيه، من هذه الأمور التي تحدث في هذا اليوم: الحساب، وقراءة الكتب ومناقشة بعض الناس أعمالهم، هذا أول شيء يحدث في ذلك اليوم، بعد أن يحشر الناس في أرض الموقف، ويأتي ربنا -سبحانه وتعالى- والملك صفاً صفاً للعرض على الله أي: الملائكة بين يدي الله -عز وجل- صفاً صفاً، لتأتمر بأمره في ذلك اليوم وكذلك أرض الموقف، الملك صفاً صفاً تحوطها. في هذا اليوم تحدث عدة أمور: الأمر الأول: الحساب وقراءة الكتب ومناقشة بعض الناس أعمالهم، قال الله -عز وجل-: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدً﴿٤٩ ﴾ ﴾ [الكهف: ٤٩]، إذن: هناك حساب وهناك كتب تطير ليلتقفها الناس، فهناك من يقرأ كتابه بيمينه وهناك من يقرأ كتابه بشماله، قال الله-تعالى-: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ ﴾ أي: تعرضون على الله -عز وجل- ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ ﴾ أي: على الله للحساب، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ فالله -تبارك وتعالى- يعلم السر وأخفى، فلا أحد يُضمر شيئًا ولا يُخفي شيئًا إلا والله- تعالى- يعلمه، ﴿لاَ تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨ ﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩ ﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ ﴿٢٠ ﴾ ﴾ أي: تأكدت واعتقدت ووثقت ﴿أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠ ﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١ ﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢ ﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣ ﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤ ﴾ ﴾ [الحاقة: ١٨، ٢٤] إذن: الذين قضوا أعمارهم طاعةً لله -عز وجل- ونصرةً لسنة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- وحباً لهذا الدين، وبذلاً لهذا الدين، بذلوا من أموالهم لهذا الدين ومن أوقاتهم ومن دمائهم لهذا الدين يكافئهم ربنا -سبحانه وتعالى- بأن يأخذوا كتابهم بأيمانهم. ويجدون خيراً عظيماً في ذلك اليوم، فهم ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١ ﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢ ﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣ ﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا ﴿٢٤ ﴾ ﴾ [الحاقة: ٢٢- ٢٤]،

الباء هنا للسبب، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحاقة: ٢٤، ٢٤]، هذا هو الصنف الثاني ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحاقة: ٢٥– ٢٧]، يعني: يا ليتني عندما مت لم أبعث مرة ثانية، ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الحاقة: ٢٧– ٣٠]، فأصحاب الدنيا الذين عبدوا الدنيا من دون الله وعبدوا السلطان من دون الله ولم يعبدوا الله رب العباد، فإن الله –تعالى– يخزيهم في ذلك اليوم الذي كان نبي الله –تعالى– إبراهيم يدعو ربه ويسأله ألا يخزيه في ذلك اليوم، والناس جميعاً يُعرضون على الله –تعالى– يوم الحساب، (فمن نوقش الحساب عُذِّب وأهلك)، ومناقشة الحساب أي: التدقيق في السؤال، والمقصود بإهلاك من نوقش العذاب أن الله –تعالى– لا يرحمه بعد المناقشة، إذن: هناك من يناقشه الله أي: يدقق في حسابه ويراجع أعماله يراجع سيئاته ويناقش سيئاته ويقرره بذنوبه، ثم يرحمه الله –عز وجل– برحمته وفضله، ويدخله الجنة، وهناك من يُعامله الله –تعالى– بعدله فلا يرحمه ربنا –عز وجل– فهذا هو الهالك لا محالة– فنسأل الله –تعالى– العافية– إذن: المناقشة هي الحساب المحاسبة فلو كانت المحاسبة مع المسامحة فهذه هي رحمة الله –عز وجل– أما المحاسبة مع ترك المسامحة فهذه هي الهلكة وهذا هو العذاب.

يدل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة –رضي الله تعالى عنها–: (أن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقالت عائشة: يا رسول الله ألم يقل الله –عز وجل–: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾؟ [الانشقاق: ٧، ٨])، يعني النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: من حوسب يوم القيامة هلك، فعائشة استشكل عليها ذلك الأمر فقالت: (يا رسول الله ألم يقل ربنا سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: إنما ذلك العرض، من نوقش العذاب عُذِّب) وفي لفظ (هلك)، من نوقش الحساب عذب أو هلك، أي: من نوقش الحساب فلم يسامحه ربنا –عز وجل– لم يسامحه ربنا –عز وجل– إذن: مناقشة الحساب مع ترك المسامحة يؤدي ذلك إلى الهلكة لماذا؟ لأن الإنسان مهما صنع من الحسنات فإنه مقصر، ومهما أتى من أعمال البر فإنها ناقصة، بجناب نعم الله –عز وجل– وآلائه ومعروفه، فمن ناقشه ربنا –سبحانه وتعالى– حسابه فقرره بذنوبه ولم يسامحه ربنا –سبحانه وتعالى– ولم يحسن إليه ربنا– سبحانه– فهذا مرذول هالك– والعياذ بالله– يدل ذلك على أن مناقشة الحساب مع المسامحة تؤدي إلى النجاة ما أخرجه الإمام مسلم وقبله البخاري من حديث ابن عمر: (أن رجلاً قال له: كيف سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في النجوى؟ فقال ابن عمر –رضي الله تعالى عنه–: سمعته يقول: يُدنَى المؤمن يوم القيامة من ربه –عز وجل– حتى يضع عليه ربنا كَنَفَهُ)، والكَنَف بمعنى: الستر، أي: إن الله –تعالى– يستره يوم القيامة –نسأل الله تعالى أن يسترنا في الآخرة كما سترنا في الدنيا– (فيقرره بذنوبه)، الله –تعالى– يستر ذلك العبد ويقرره بذنوبه، (يقول الله –عز وجل–: هل تعرف؟) أي: هل تعرف ذلك الذنب؟ (فيقول: أي ربي أعرف)، أي أعرف هذا الذنب، (فيقول الله –عز وجل–: قد سترتها عليك –أي هذه الذنوب– في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم، فيعطى صحيفة حسناته بيمينه)، إذن: هذا رجل حاسبه ربنا وناقشه وقرره ذنوبه، ومع ذلك سامحه الرب، وأحسن إليه، وتجاوز عنه. فنسأل الله –عز وجل– أن يتجاوز عنا.

وكذلك العبد يسأل عن كل نِعم الله –عز وجل– في هذا اليوم يوم القيامة تسأل عن كل النعم التي أعطاها لك ربنا –سبحانه وتعالى– ما من نعمة أنعم بها الرب عليك إلا ستسأل عن هذه النعم، ومن جملة هذه النعم، أن تسأل عن شبابك وعن عمرك وعن مالك وعن علمك، كما صح الحديث بذلك عند الترمذي وغيره، وهو حديث أبي بردة الأسلمي –رضي الله تعالى عنه– فأبو بردة الأسلمي –رضي الله تعالى عنه– قال: (قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيما فعل فيه، وكذلك عن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه)، إذن: الجسم والمال والعمر والشباب هذا كله من

جملة ما ستسأل عنه يوم القيامة، إذن: أول شيء سيحدث في ذلك اليوم، الحساب وقراءة الكتب ومناقشة بعض الناس أعمالهم.

الأمر الثاني: الوزن والميزان، الميزان: الذي توزن به الأعمال والوزن: هي العملية التي توزن بها الأعمال كما يوزن بها الناس وأعمالهم، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ -والعياذ بالله- ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠١- ١٠٣]، إذن: هناك ميزان وهناك وزن، وهناك ناس تثقل موازينهم فيفلحون وناس تخف وتكون موازينهم خفيفة فيرذلون وينتكسون- والعياذ بالله- قال الله -عز وجل-: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٧﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٨﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ ﴾ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾ ﴾ [القارعة: ٧- ١١]-والعياذ بالله- إذن: هذه نصوص تدل على أن هناك ميزاناً وأن هناك وزناً وفي الصحيح أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: (كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)، وقال - صلى الله عليه وسلم-: عندما تعجب الصحابة من دقة ساقي عبد الله بن مسعود: (والذي نفسي بيده لهي أثقل عند الله من جبل أحد)، -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- وهذا الحديث أخرجه الإمام أحمد بإسناد قوي.

والميزان له كفتان، ويدل على ذلك ما أخرجه الترمذي وغيره وهذا الحديث إسناده صحيح من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله تعالى عنه وعن أبيه- أحب أن أقول دائماً عندما أقول عبد الله بن عمرو بن العاص أن أقول: -رضي الله عنه وعن أبيه- من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله تعالى عنه وعن أبيه- أن نبي الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (إن الله -عز وجل- يُخلِّص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجل) والسجل الكتاب والصحيفة، (كل سجل مَدُّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟) وفي بعض الألفاظ: (ليس فيها حسنة قط) ، في بعض الألفاظ؛ لأن هذا الحديث أخرجه الترمذي والحاكم وابن أبي عاصم وغير ذلك، (أتنكر شيئًا من هذا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ يقول: لا يا رب)، عندما أقرأ هذا العبد الخائف المذعور الموقوف بين يدي الله -عز وجل- والرب الجليل يقرره ويقول: (ألك شيء عندنا؟ هل ظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب)، تستشعر أن هذه الكلمة لها ظلال ومعاني (لا يا رب) لك أن تتصور، كيف يقول هذه الكلمة؟ (لا يا رب، فيقول الله -عز وجل-: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول الرب: بلى، إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتُخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فتطيش السجلات وتثقل لا إله إلا الله)، إذن: هذا يدل على أن الميزان حق، وأن الميزان له كفتان، وأن الحسنات والسيئات توزن، وأن الناس يوزنون كما ثبت من حديث عبد الله بن مسعود، فالأعمال توزن والناس يوزنون، ويوزن الناس بأعمالهم أيضاً، ودليل ذلك ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، فكلمة الموازين قد تعني هذا الأمر، تعني: الناس وأعمالهم.

الأمر الثالث: نحن قلنا: الحساب وقراءة الكت، ومناقشة الحساب هذا أولاً، ثانيًا: قلنا: الميزان ثالثًا: هناك القصاص، الحساب عندما يحاسب الله -تعالى- الناس ليقررهم بهذه الذنوب والسيئات التي فعلوها في قِبَلِه - سبحانه- أما القصاص فهذا يكون أو هو القضاء والفصل بين العباد فيما حصل بينهم وبين بعضهم البعض، هذا قتل هذا هذا أخذ مال هذا فالله -سبحانه وتعالى- يقضي بينهم وهو -سبحانه وتعالى- خير القاضين، قال النبي - عليه الصلاة والسلام-: وهذا الحديث أخرجه مسلم وأحمد وغيره، من حديث أبي هريرة، قال -عليه الصلاة والسلام-: (لتؤدنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء) الشاة الجلحاء: التي لا قرن لها، والشاة القرناء: التي لها قرون، فعندما تأتي الشاة القرناء تضرب الشاة الجلحاء بقرونها فالله -تبارك وتعالى- يؤدي هذه الشاة حقها، وفيه دليل على أن القصاص كما يكون بين الناس، فإنه يكون بين غير الآدميين،

ويدل على ذلك قول الله -عز وجل-: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [التكوير: ٥]، والقصاص على نوعين قصاص يكون بين المكلفين، وهو قصاص التكليف، والنوع الثاني: قصاص بين غير المكلفين، وهو قصاص المقابلة، إذن: هناك قصاص التكليف بين المكلفين وهناك قصاص المقابلة، كما ثبت في هذا الحديث والعدل يجمعها كقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدً ﴾ [الكهف: ٤٩]، وفي الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود قال: (أول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء)، إذن: هناك حساب وهناك قضاء، القضاء فيه معنى القصاص، إذن: أول ما يقضى بين الناس يقضى في الدماء وأول ما يحاسب عليه الناس يوم القيامة يحاسبون على الصلاة، ومن صور القصاص ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال للصحابة: (أتدرون من المفلس؟ فقال الصحابة -رضي الله تعالى عنهم-: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا، وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، حتى إذا فنيت حسناته أخذ من سيئاتهم ثم طرحت عليه ثم طرح في النار) -والعياذ بالله- إذن: هذه صورة من صور القصاص.

أيضاً حديث عبد الله بن أنيس -رضي الله تعالى عنه- وهذا الحديث أخرجه البخاري تعليقاً، ووصله غير واحد، فهذا الحديث قال فيه عبد الله بن أنيس -رضي الله تعالى عنه- قال: (سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: يحشر الناس يوم القيامة أو قال: يحشر العباد يوم القيامة، عراة غرلاً بهماً، ليس معهم شيء يناديهم الله -عز وجل- بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قَرُبْ، فيقول الملك -سبحانه وتعالى-: أنا الملك أنا الديان ثم قال الله: لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق، حتى أقصَّه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وله حق عند أحد من أهل النار حتى أقصَّه منه حتى اللطمة)، فينبغي للعبد أن يتقي الله -عز وجل- وألا يظلم أحداً شيئًا حتى يكون حسابه عند ربه حساباً يسيراً. نسأل الله -تعالى- أن ييسر حسابنا وأن يهدينا أمورنا.

ثم نأتي بعد ذلك الأمر إلى أمر آخر وهو الحوض: إذن: ذكرنا ثلاثة أمور: الأمر الأول ماذا؟ الأمر الأول في ذلك اليوم؟ تفضل.

الحساب وقراءة الكتب ومناقشة بعض الناس أعمالهم

الأمر الثاني؟

الميزان، وكيفية الميزان حسي له كفتان، والأدلة حضرتك ذكرتها، وما يوزن الأعمال والأجسام

الأعمال والأجسام ولا بأس أن توزن الأجسام بأعمال أصحابها.

الأمر الثالث الذي قلناه: القصاص، القصاص نوعان:

قصاص مقابلة وقصاص تكليف

قصاص المقابلة يكون بين من؟

قصاص المقابلة يكون بين العباد

قصاص المقابلة يكون بين المكلفين أم غير المكلفين؟

المكلفين

لا.. قصاص المقابلة يكون بين غير المكلفين، طيب والقصاص الآخر؟

القصاص الآخر ما بين المكلفين

ما بين المكلفين، إذن:

قصاص المقابلة: يكون بين غير المكلفين من الحيوانات والعجماوات وغيرها.

قصاص التكليف: يكون بين المكلفين.

الأمر الرابع: الذي يحدث في ذلك اليوم وهو الصراط: تفضل يا أخي.

قال المصنف –رحمه الله تعالى–: (وأن الصراط حق، يجوزه العباد بقدر أعماله فناجون متفاوتون في سرعة النجاة عليه من نار جهنم، وقوم أوبقتهم فيها أعمالهم، والإيمان بحوض رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ترده أمته لا يظمأ من شرب منه، ويذاد عنه من بَدَّلَ وغير).

–جزاكم الله خيراً– الأمر الذي بعد ذلك هو الصراط: والصراط كما قال المصنف وسمعتم: أنه في اعتقاد أهل السنة والجماعة أنه حق، والصراط: هو الجسر المنصوب على جهنم يمر به المسلمون ليجتازوه للدخول إلى الجنة، إذن: لن يدخل المسلمون الجنة إلا بعد أن يجتازوا الصراط، والأحاديث فيه كثيرة وكلها صحيحة، من ذلك ما أخرجه الإمام مسلم –عليه رحمة الله– من حدث أبي هريرة وحذيفة –رضي الله تعالى عنهما–وفيه (وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي) –جنبتي أي: على جانبي– (الصراط يميناً وشمال)، سبحان الله، الأمانة والرحم، كل واحدة منهم تكون واقفة على جنب من جوانب الصراط، هذه الأمانة وهذه هي الرحم، أو هذه هي الرحم وهذه هي الأمانة– سبحان الله– الرحم صلة الرحم، والأمانة، أقول: في هذه الأيام التي ضاعت فيها الحقوق وقلت فيها الأمانة، وانقطع الناس عن صلة أرحامهم، (تأتي الرحم وتأتي الأمانة فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً ويمر أولكم) يمر الناس المسلمون (كالبرق الخاطف) كخطفة البصر، (كالبرق، ثم كمر الريح، ثم كالطير كمر الطير، ثم كشد الرجال) شد الرجال: عندما يأتي الرجل ويجري جرياً شديد(تجري بهم أعمالهم) أي هؤلاء بقدر أعمالهم، (ونبيكم –صلى الله عليه وسلم– قائم على الصراط)، واللهِ كلما أقرأ الأحاديث شيئًا بعد شيء يزداد حبي لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– سبحان الله يعني أتينا في شفاعة قال: (إن لكل نبي دعوة مستجابة وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي فهي نائلة أهل الكبائر من أمتي) انظر إلى ذلك الأمر، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨]، هذا في الدنيا، حتى في الآخرة شفاعته، حتى يقف على رأس الصراط، –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم– (يقول: ربي) أي يا رب (سلم سلم)، يعني: يرى أمته يجتازون الصراط، إذن: هو يرى أمته يا رب الأمة كلها تجتاز الصراط من أول الصحابة إلى أن يرث الله –تعالى– الأرض ومن عليها كل أمة الإسلام تجتاز الصراط، والنبي –عليه الصلاة والسلام– قائم على رأس الصراط، يرى اجتياز أمته لهذا الصراط ويقول: (ربي سلم سلم، وعلى جنبتي الصراط الأمانة والرحم، حتى تعجز أعمال العباد)، إذن: هناك الذي يمر مر البرق ثم الريح ثم الطير ثم بعد ذلك شد الرجال أو الرحال الشديدة، ثم بعد ذلك كل إنسان على حسب عمله، حتى تعجز أو(حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحف) نعم سيسير، هذا الصراط الذي هو أحد من السيف وأدق من الشعرة أدق من الشعرة وأحد من السيف يمشي عليه ويزحف، ولكنه يجتهد حتى يجتاز هذا الصراط، قال –صلى الله عليه وسلم–: (وعلى حافتي الصراط كلاليب معلقة –خطاطيف معلقة– مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج) الرجل الذي يزحف هذا هو ناج ولكن سينجى بعد ماذا؟ سينجى بعد أن يخدش تخديشاً شديداً (فمخدوش ناج

ومكدوس في النار)- والعياذ بالله- الذي يُكدس في النار ويسقط في النار لك أن تتصور نار جهنم وفوقها جِسر فمن سقط من هذا الجسر سقط أين؟ في النار- والعياذ بالله- وهؤلاء العصاة من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- الذين يدخلون النار ويكون حالهم، ما حالهم، وقد تكلمنا عن أحوالم من قبل، إذن: هذا قول المصنف - عليه رحمة الله-: (وأن الصراط حق يجوزه العباد بقدر أعمالهم فناجون متفاوتون في سرعة النجاة عليه من نار جهنم) طبعاً الذي ينجو عليه هذا ناجٍ من نار جهنم، (وقوم أوبقتهم فيه) أي في هذه النيران، (أعمالهم)، فنسأل الله -تعالى- العافية، قال الله -عز وجل- ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ [فاطر: ٣٢]، فالظالم لنفسه هذا هو المكدوس المعرض للعذاب والمقتصد: الذي يأتي المأمورات ويجتنب المنهيات، ثم هذا السابق الذي يأتي بجنس المحبوبات أي يأتي بجنس المأمورات كلها، ما استطاع إلى ذلك من سبيل، فجنس المأمورات كلها يشمل الواجب كما يشمل المستحب، وتجنب المنهيات سواء ذلك المنهي هو الحرام أو هو المكروه، هذا هو السابق بأمر الله -عز وجل- إذن: هذا رابعًا الصراط، الكتاب أولاً: الحساب، وقراءة الكتب، ومناقشة بعض الناس أعمالهم، ثانيًا: الميزان ثالثًا: القصاص، رابعًا: الصراط، خامسًا: الحوض، حوض النبي -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- وأحاديث الحوض أحاديث ثابتة متواترة، جمع ابن كثير -رضي الله تعالى عنه- روايات الحوض عن أربع وثلاثين صحابياً يذكر الأحاديث ويأتي بالكتب الصحيحة وكتب الصحيحين والمسانيد والسنن التي روت هذه الأحاديث ويسند كل حديث إلى الكتاب الذي خُرِّجَ فيه. وحوض النبي -عليه الصلاة والسلام- غير الكوثر، قال الله -عز وجل-: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر: ١]، والكوثر فيه قولان:

القول الأول: معناه الخير الكثير العميم الذي لا حد له ولا وصف.

القول الثاني: أنه نهر في الجنة، وهذا النهر يُصَب في حوض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذن هذا النهر مصبه في حوض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذان قولان.

القول الأول: تحتمله اللغة. والقول الثاني: أتى به النص، وإذا أتى النص تفسيراً لكلمة في القرآن فينبغي أن يكون المُعَوَّل على النص، وثبت في مسند الإمام أحمد وإسناده حسن من حديث حذيفة -رضي الله تعالى عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- قال: (إن ربي أعطاني الكوثر، وهو نهر في الجنة يسيل في حوضي) إذن: هذا حوض رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- ومن الأشياء التي ينبغي أن تعلم: أن لكل نبي حوضاً، وكل نبي يقف على حوضه، يعرف أمته، أي: يعرف الصالحين من أمته ليسقيهم من حوضه، فالصالحون من بني إسرائيل لا يشربون من حوض محمد -صلى الله عليه وسلم- وإنما يشربون من حوض موسى وعيسى، وهكذا، والصالحون من أمة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- إنما تشرب من حوض النبي محمد -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- وحوض النبي -عليه الصلاة والسلام- ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وريحه أزكى من ريح المسك، وورد في ذلك الحديث الثابت عن رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- ففي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله تعالى عنه وعن أبيه- أن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- قال: (حوضي مسيرة شهر) إذن: الحجم والمساحة (حوضي مسيرة شهر) وأنا اخترت هذه الرواية وقدمتها على الروايات التي ذكرت فيها أسماء البلدان، (حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه) الكيزان هي: الكئوس التي لها عُرى، لَمَّا يكون الكوب له عُرى تُمسك منه، الذي نسميه عندنا في مصر: "له ودان"، الكوب الذي له عُرى هذا يُسمى كوزاً، وهذا في اللغة، إذن: كلمة "كوز" الموجودة عندنا في بعض قرى مصر هذه كلمة صحيحة لغة، "الكوز" الزير وفوقه الكوز، فهذه كلمة لها أصل في اللغة، (وكيزانه)، أي الأكواب التي يَشرب فيها الناس منه (وكيزانه كنجوم السماء) كثرة ولألأةً، إذن: هذه الأكواب ليست أكواباً من زجاج، ولكنها أكواب جميلة متلألئة لألأة النجوم، وهذه الأكواب كثيرة كثرة مفرطة، فلا أحد يستطيع أن يحصيها فمثالها في الكثرة مثل النجوم التي هي في السماء، (وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ أبد) فنسأل الله -تعالى- أن نكون من أهل

الحوض الذي يسيقينا منه رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- ويدل على أن لكل نبي حوضاً يعرف أمته الصالحين منهم ليسقهم منه، ما أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث الحسن البصري وهو حديث مُرسل وهذا الحديث حسنه ابن كثير ونقل تحسينه عن يحيى والقطان والحافظ المزِّيّ، وهذا الحديث جمع له الإمام الألباني طرقاً كثيرة وَجَوَّدَهُ بمجموع طرقه، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (إن لكل نبي حوضاً، وهو قائم على حوضه بيده عصا يدعو من عرف من أمته) تقول: وكيف يعرف النبي -عليه الصلاة والسلام- أمته، يعرفهم بسيماهم، هناك سيما كثيرة فمن هذه السيما (تأتون يوم القيامة غُراً مُحجلين من آثار الوضوء) فمثلاً قد يعرفون من هذا الأثر، هناك آثار يعرف النبي بها قومه (ألا وإنهم يتباهون أيهم أكثر تبع) أي: الأنبياء يباهي بعضهم بعضاً أيهم أكثر تبعاً، أي موسى وعيسى وإبراهيم ونوح وزكريا كل هؤلاء الأنبياء كل واحد منهم يباهي الآخر أيهم أكثر تبعاً، قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: (والذي نفسي بيده إني لأرجو أن أكون أكثرهم تبع) -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- وفي البخاري ومسلم أن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- قال: (أنا فرطكم على الحوض)، ينتظرنا ويقف على الحوض (من ورد شرب) من ورد في هذا الحوض شرب منه، من ورد شرب، وعلى فكرة أن كلمة الورد في الأصل معناها: الإتيان إلى موارد أو مواطن الشرب، ثم سُمِيَّ بعد ذلك كل إتيان ورداً، من ورد شرب، (ومن شرب لم يظمأ أبداً وليردنَّ علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم) نسأل الله -تعالى- ألا يجعلنا منهم، ونسأله -سبحانه وتعالى- أن ييسر أمورنا وأن يخفف حسابنا، وألا يجعل حسابنا مناقشةً وأن يوفقنا إلى كل عمل صالح وأن يحسن خاتمتنا بالأعمال الطيبة وأن يرضى عنا ويُرضِّي علينا وصلي اللهم على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

إجابات الحلقة الماضية:

وردتنا إجابات عدة على أسئلة الحلقة الماضية، كان السؤال الأول: تكلم عن الاعتقاد في الأولياء مَن هُم؟ وماذا أعد الله لهم في الآخرة؟

كانت إجابة السؤال الأول: الأولياء جمع ولي مفرد ولي على وزن فعيل والولي هو المطيع القريب النصير فولي الله هو العامل بطاعة الله -عز وجل- القريب من الله وإلى الله الذي ينصر ربه وينصر دينه، هذا هو ولي الله -سبحانه وتعالى- قال الله تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يونس: ٦٢]، وأعد الله لهم في الآخرة بشرهم بالجنة فقال الله -عز وجل-: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ [يونس: ٦٤]، وذكر في القرآن في غير آية أن الجنة هي دار الخلد التي لا يخرج منها المؤمنون أبداً، فقال الله-تعالى-: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَّعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الحجر: ٤٥]، وأفضل نِعمة ينعم بها الله -عز وجل- على أهل نعمته في الجنة أن ينظر إليهم فيرى المؤمنون وجه الله -سبحانه وتعالى- ففي الأثر الثابت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في البخاري ومسلم: (إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته)، انتهت إجابة السؤال الأول.

ما شاء الله.

السؤال الثاني: ناقش عبارة المصنف:(وهي التي أهبط منها آدم نبيه وخليفته في أرضه أو إلى أرضه) (وهي) أي الجنة، (التي أهبط منها آدم) آدم مفعول به، (نبيه) بدل (نبيه وخليفته إلى أرضه) النبي: من أوحى الله إليه –عز وجل– وآدم –عليه السلام– أمره الله –تعالى– ونهاه فهو نبي، الخليفة: هو الذي يخلف غيره فيقوم مقامه في شأنه وأمره إذا غاب، وبهذه الحيثية لا يمكن أن نجعل آدم خليفة لله –عز وجل– فالله– سبحانه– ليس بغائب حتى يحتاج إلى من يكون خليفته بعده، ليقوم بأمره في خلقه فالله لا يخلفه أحد من خلقه، بل هو الذي يخلف غيره من خلقه، ولذلك عندما تسافر تقول: اللهم أنت الصاحب في السفر والخلفية في المال والأهل والولد، فلو قال المصنف: (وهي التي أهبط منها آدم نبيه إلى أرضه وجعل ذريته خلائف في أرضه) لكان ذلك حسناً ويُخشى أن يكون ذلك من باب تصريف النساخ الذين ربما يتصرفون في بعض النصوص وإن كان ذلك من العبارة فهي وهلة لا تنقص ولا تجعل هذا المصنف خارجاً من نطاق أهل السنة والجماعة ولا تجعله منكوساً في إمامته بل هو إمام وجهبذ عَلَم تقبل عقيدته، هذا هو المعنى والله أعلم.

ما شاء الله، يعني: كأني أتكلم، ما شاء الله.

السؤال الثالث: اذكر اعتقادك في البرزخ؟

وكانت الإجابة: يكون هناك مرحلة وسطى بين الدنيا والدار الآخرة وهذه المرحلة هي مرحلة البرزخ، ويدل عليها قول الله –تعالى–: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر: ٤٦]، وما أخرجه الإمام أحمد من حديث البراء بن عازب الحديث الطويل أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال موعظة من هذه الموعظة أن قال للمؤمن: (فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة) فهذا يدل على أن القبر كان روضة من رياض الجنة، حتى قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره)، أما الكافر فيقال له: (أفرشوه من النار وافتحوا له باباً من النار فيأتيه من حرِّها وسمومه) والله أعلم.

ما شاء الله جزاهم الله خيراً.

فضيلة الشيخ هلا تفضلتم بطرح أسئلة هذه المحاضرة لانتهاء الوقت؟

هي سؤال واحد هذا السؤال: تكلم عن اليوم الآخر من البعث إلى الجنة أو إلى النار؟

نسأل الله –تعالى– العافية وحسن القرار والحمد لله.

الدرس الثالث عشر

حقيقة الإيمان ,المسلم لا يكفر إلا بيقين

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وكفى، وصلاة وسلامًا على عباده الذين اصطفى، اللهم صلِّ وسلمْ وزدْ وباركْ على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا ثم أما بعد.

أيها الأحباب الكرام، السلام عليكم ورحمة الله –تعالى– وبركاته، فالله– تعالى– أسأل أن ييسر أمورنا وأن يهدينا سبيل الخير وأن يصرف عنا الشر كله ظاهره وباطنه، وحلقة اليوم حلقة مليئة بالأفكار وبها كثير من المسائل فمن هذه القضايا والمسائل والأصول التي سنستعرضها هذه الحلقة:

الفكرة الأولى: حقيقة الإيمان.

الفكرة الثانية: أن المسلم لا يكفر إلا بيقين.

والفكرة الثالثة: فضيلة الشهادة في سبيل الله –عز وجل–.

والفكرة الرابعة: الإيمان بالبرزخ.

والفكرة الخامسة: الإيمان بالملائكة.

فهيا بنا نسمع ما قال الإمام ابن أبي زيد القيرواني في بسط هذه الأفكار– وجزاكم الله خيراً–.

قال المصنف –رحمه الله تعالى–: (وأن الإيمان قول باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصانها فيكون فيها النقص وبها الزيادة ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل ولا قول ولا عمل إلا بنية ولا قول ولا عمل ونية إلا بموافقة السنة، وأنه لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة، وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وأرواح أهل السعادة باقية ناعمة إلى يوم يبعثون وأرواح أهل الشقاوة معذبة إلى يوم الدين، وأن المؤمنين يفتنون في قبولهم ويسألون، قال الله –تعالى–: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [الرعد: ٢٧] وأن على العباد حفظة يكتبون أعمالهم ولا يسقط شيء من ذلك عن علم ربهم وأن مَلَكَ الموت يقبض الأرواح بإذن ربه).

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن وآلاه وبعد:

قال المصنف –عليه رحمة الله–: (وأن الإيمان قول باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح) يشير الإمام ابن أبي زيد إلى مجمل اعتقاد أهل السنة في مسألة الإيمان هذا الاعتقاد الذي ساقه غير واحد من أئمة الهدى ونقله الإمام النووي في شرحه الممتع على صحيح مسلم: أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان. والإمام ابن أبي زيد عندما قال: (وإخلاص بالقول) هذه إشارة إلى عمل من أعمال القلب، فليس المطلوب أن يكون القلب في عمله خالصاً فقط، بل إن للقلب أعمالاً كثيرة كالخوف والرجاء والرغبة والرهبة إلى غير ذلك من أعمال القلوب، ومسألة الإيمان ذهب جمهور المفسرين وجمهور اللغويين والأصوليين والفقهاء إلى أن الإيمان لغة بمعنى التصديق، وأتوا بقول الله –عز وجل–: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧] وهذه في قصة نبي الله –تعالى– يوسف عندما كاد له إخوته ثم أتوا على قميصه بدم كذب وقال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ

لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨] ثم توالت الأحداث وقالوا هذه المقولة، ولكن هذا الأمر أي تفسير الإيمان بمعنى التصديق أنكره غير واحد من المحققين المحررين كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره، وقالوا بأن الإيمان ليس بمعنى التصديق ولا يرادفه التصديق؛ لأن في اللغة ليس هناك كلمة بمعنى كلمة أخرى من كل وجه هذا أولاً، في اللغة ليس هناك كلمة بمعنى كلمة أخرى من كل وجه، يعني لا نقول مثلاً بأن الإيمان بمعنى التصديق هكذا من كل وجه، فهذا غير موجود أصلاً في اللغة، الأمر الثاني: عندما ننظر إلى الاستعمالات اللغوية لكلمة الإيمان والاستعمالات اللغوية لكلمة التصديق نجد أن هناك فروقاً كثيرة أثبتها شيخ الإسلام في أكثر من ثمانية أوجه جمعها في كتابه القيم: "الإيمان الأوسط"، فمن هذه الفروق أن التصديق يتعدى بنفسه كما يتعدى بالأداة، فتقول: صدقته، وتقول: صدقت به، صدقته فتعدى هنا بنفسه، وصدقت به تعدى بحرف الباء، أما الإيمان فإنه لا يتعدى بنفسه أبداً فلا تقول: آمنته، وإنما لا يتعدى إلا بماذا؟ إلا بالأداة، تقول: آمنت به وآمنت له، ومنه قول الله -عز وجل-: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] وقول الله -عز وجل- في النبي -عليه الصلاة والسلام-: ﴿يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١] فالإيمان يتعدى بالباء كما يتعدى أيضاً باللام، فلفظ الإيمان لا يأتي إلا متعدياً بالأداة، أما لفظ التصديق فإنه قد يتعدى بنفسه وقد يتعدى بالأداة، ففارق هنا لفظ التصديق لفظَ الإيمان من حيث الاستعمال اللغوي حتى، وهناك وجوه كثيرة ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية -عليه رحمة الله- من ذلك مثلاً: أن التصديق إنما يكون في الأخبار وأما الإيمان فإنه أوسع من ذلك، ليشمل الأمور الثابتة المقررة، وبالتالي يميل شيخ الإسلام إلى تفسير الإيمان لغة بمعنى الإقرار، يميل شيخ الإسلام ابن تيمية -عليه رحمة الله- لغة أن يفسر الإيمان بمعنى الإقرار؛ لأن الإقرار معناه: الرضا المستلزم الانقياد والطاعة، هذا معنى الإقرار إذن الإقرار معناه الرضا المستلزم الانقياد والطاعة، ولذلك قال شيخ الإسلام -عليه رحمة الله- بأن تفسير الإيمان بمعنى الإقرار أولى من تفسيره بمعنى التصديق، أيضاً قول المصنف -عليه رحمة الله-: (الإيمان قول باللسان) ما المقصود بقول اللسان؟ المقصود بقول اللسان شهادة الوقت، أو فريضة الوقت، ما هي فريضة الوقت؟ أن يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فمن كان كافراً أصلياً كالذين يعبدون الأوثان والمشركين الأصليين فقال: "لا إله إلا الله" فالراجح عند كثير من أهل العلم أن هذه الكلمة تنفعه، ثم يطالب بالشهادة الثانية التي هي: "وأن محمداً رسول الله" فإن قال الشهادة الثانية انتفع بالشهادة الأولى وصار بذلك على إسلامه قائماً ومن لم يقل الشهادة الثانية، أي من أبى أن يقول: إن محمداً رسول الله لم تنفعه الشهادة الأولى وصار مرتدًا يجب قتله، ولذلك في قصة إسلام أبي سفيان عندما حبس عند فم الشعب، ومرت جيوش المسلمين في فتح مكة، وقال أبو سفيان للعباس: لقد بلغ ملك ابن أخيك مبلغاً ثم أخذه وانطلق به إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- في قصة طريفة فلما دخل أبو سفيان على النبي -عليه الصلاة والسلام- قال له النبي -عليه الصلاة والسلام-: (هيه يا أبا سفيان، أما آن لك أن تسلم، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: وأني رسول الله؟ قال: أما هذه ففي النفس منها شيء) إذن: قُبلت منه الشهادة الأولى، (فقيل له: إذا لم تقلها رميت رأسك بين رجليك، أو كما قيل له، فقال: وأن محمداً رسول الله)، ثم حسن إسلامه بعد ذلك -رضي الله تعالى عنه-، ولذلك في حديث المقداد بن الأسود وهذا الحديث في صحيح مسلم: (عندما قال: يا رسول الله: أرأيت لو أن رجلاً من المشركين قاتلني وقاتلته فضرب يدي فأصنه) أي قطعها (ثم لاذ بشجرة فلما قدرت عليه قال: أشهد أن لا إله إلا الله أرأيت لو قتلته يا رسول الله؟ فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: لو قتلته لكنت مكانه قبل أن يقوله) أي من حيث إباحة الدم؛ لأن هذا المشرك الأصلي عندما قال: أشهد أن لا إله إلا الله، صار بذلك ماذا؟ صار بذلك مسلماً، إذن صار دمه بذلك حرام، عصم دمه بلا إله إلا الله فمن قتله بعد أن قال هذه الكلمة فالقاتل له يقتل، وهذا ما يسمونه بفريضة الوقت، إذن: قول اللسان هو فريضة الوقت التي بها يدخل الإسلام ظاهراً أقول: ظاهراً؛ لأن المنافق قد يقول بلسانه ما لا يبطن في قلبه وفؤاده، ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١] ربما أن تنزلق ألسنتهم بقول لا إله إلا الله، لكن لم تجتمع قلوبهم على معانيها ولا العمل بمقتضاها وهذا حال المنافقين، إذن: (وأن الإيمان قول باللسان، وإخلاص بالقلب) والأحب أن نقول: وعمل بالقلب لماذا- كما قلت في صدر حديثي-؟ لأن عمل القلب أوسع من إخلاص القلب، نعم من أعظم أعمال القلوب الإخلاص، والإخلاص تعني هذه الكلمة عند كثير من الفقهاء معنى النية، والإمام القيرواني بعد ذلك تكلم أن الإيمان قول وعمل ونية وسنة، فلماذا نكرر إذن الإخلاص والنية، ولو قلنا الاعتقاد على ما ذهب إليه جماهير أهل السنة بأن الإيمان قول وعمل، ليشمل القول قول اللسان والقلب وليشمل

العمل عمل القلب والجوارح، لو قلنا ذلك لكان ذلك أعم، وهذه العبارة هي العبارة الدوارة عند علماء الاعتقاد (وعمل بالجوارح) أي: عمل بالظاهر، كالصلاة وغيرها من الأعمال الظاهرة.

يقول المصنف -عليه رحمة الله-: (يزيد) -أي هذا الإيمان- (يزيد بزيادة الأعمال، وينقص بنقصها، فيكون فيها النقص وبها الزيادة) هنا عدة ملحوظات يسيرة:

الملحوظة الأولى: بأن المقصود بالأعمال أعمال الظاهر والباطن، والسلف عندما يقولون: إن الإيمان قول وعمل هكذا مطلقاً فيقصدون بالقول: القول الظاهر والباطن، ويقصدون بالعمل: العمل الظاهر والباطن، هذا ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية -عليه رحمة الله- أن عبارة السلف بإطلاق القول والعمل في مسائل الإيمان يعنون بالقول: القول الظاهر والباطن، ويعنون بالعمل: العمل الظاهر والباطن، القول الظاهر: لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ لأن من قالها كان مسلماً وقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فإن قالوا: لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام)، هذا القول الظاهر، القول الباطن: الذي هو التصديق عند الجمهور والإقرار عند البعض كما ذكرت الآن، التصديق عند البعض والإقرار عند البعض كما ذكرت الآن، وهنا مسألة: هل الإيمان اللغوي الذي هو بمعنى التصديق أو بمعنى الإقرار يزيد وينقص؟ هذه مسألة فيها نزاع، والمتكلمون من غير المتسنين لا يثبتون زيادة ولا نقصاناً لماذا؟ قالوا: لأن الإيمان إذا كان يزيد فإنه قبل الزيادة كان نقصاً، ومتى كان نقصاً كان شكاً، ومتى كان شكاً، كان كفراً، هكذا، إذن: الإيمان الذي أصله تصديق أو المعرفة أو ما إلى ذلك هذا عندهم لا يزيد ولا ينقص بل هو حالة واحدة، وهذا من الفساد، يجعلونه حالة واحدة، لا يثبتون له زيادة ولا نقصاناً، لماذا؟ لأنه إذا كان يزيد وينقص فإنه قبل الزيادة كان ناقصاً ومتى كان ناقصاً كان شكاً كان كفراً، وهذا كلام غير مسلَّم بل المقرر أن الإيمان الذي هو التصديق عند البعض أو هو الإقرار عند الآخرين كما ذكرت الآن يزيد أيضاً وينقص؛ يزيد بكثرة النظر وتواتر الأدلة، البراهين والشواهد والأدلة النظرية والعلمية مفيدة في زيادة الإيمان ونقصانه، ولذلك لا نستطيع أن نقول بأن إيمان النبي -عليه الصلاة والسلام- كإيمان أحد الصحابة أو بأن إيمان أبي بكر -رضي الله تعالى عنه- كإيمان أحدنا، هذا لا يمكن أبداً أن نسلم به،.

إذن الإيمان الذي أصله التصديق أو أصله الإقرار كما ذكرت الآن يزيد وينقص، يزيد بكثرة النظر وتظاهر أو تواتر الأدلة والبراهين الدالة عليه، ومسألة زيادة الإيمان ونقصانه مسألة أتت بها النصوص من الكتاب والسنة، وأقوال الصحابة والأئمة -رضي الله تعالى عنهم جميعاً- فمن ذلك قول الله -عز وجل-: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢- ٤] إذن: الإيمان يزيد يزيد، فطالما أنه يزيد إذن هو ماذا؟ ينقص أيضاً، وقال الله -عز وجل-: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣] و﴿النَّاسُ﴾ الأولى ليست ك﴿النَّاسَ﴾ الثانية ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ الذين قال لهم: العين، عين المشركين أو المخبر الذي يخبر عن المشركين ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ أي: إن جند المشركين ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ فقالوا: أي قال المسلمون: ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

أيضاً من ذلك قول الله -عز وجل-: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ في قصة أصحاب الكهف ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف: ١٣] وقال- تعالى-: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة: ١٢٤] إذن: الذين آمنوا يزداد إيمانهم، يزداد إيمانهم بالذكر وسماع القرآن، وقال- تعالى-: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢] إذن: هذا أيضاً دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، وقال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي

قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤] إذن: السكينة والطمأنينة والهداية والسداد والتوفيق والرشاد هذا مما يجعل الإيمان يزداد في قلب الؤمن فيزاد الإيمان ويزداد ويزداد.

وكذلك مما يدل على زيادة الإيمان ونقصانه قول النبي –عليه الصلاة والسلام–: (الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان)، فهذا دليل على عدة أمور:

أولاً: على أن الإيمان يزيد وينقص.

ثانيًا: على دخول العمل في مسمى الإيمان.

ثالثًا: دليل على تشعب الإيمان وتبعضه وتجزئه، فليس الإيمان هيئة واحدة، لا تتبعض ولا تتشعب ولا تتجزأ، بل إن الإيمان يتشعب ويتجزأ ويتبعض فقد يصيبك بعضه الكثير وينقص منه القليل، وقد ينقص لك منه الكثير ولا يتوفر لك إلا القليل، وهكذا، فنسأل الله –تعالى– الزيادة في الإيمان.

أخرج ابن ماجه بإسناد رجاله ثقات والحديث في الصحيح: (أن بعض الصحابة قال: كنا مع النبي –عليه الصلاة والسلام– ونحن فتيان، فتعلمنا الإيمان، ثم تعلمنا القرآن، فلما تعلمنا القرآن ازددنا به إيمان)، إذن: تعلم الإيمان، تعلم معرفة الله وحب الله والانقياد لله –عز وجل– وتعظيم أمر الله تعلم ذلك، ثم بعد ذلك تعلم القرآن، فلما تعلم القرآن، وسمع القرآن وتدبر القرآن وانفعل بالقرآن وعاش بالقرآن قلباً وانفعل به ذاتاً ووجداناً وعملاً الذي حصل ازداد الإيمان– بحمد الله سبحانه– وروى ابن أبي شيبة والآجري في كتابه: "الشريعة" أن الصحابي الجليل عمير بن حبيب الخطمي –رضي الله تعالى عنه– قال: (إن الإيمان يزيد وينقص) –هذا صحابي جليل– (إن الإيمان يزيد وينقص)، وهذا الحديث حسن – إن شاء الله تعالى–، (فقيل له ما زيادته وما نقصانه؟ قال: إنا إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فذلك زيادته، وإذا نسينا وغفلنا وقصرنا فذلك نقصانه) إذن: النسيان والتضييع والغفلة تسبب نقصان الإيمان والنبي –عليه الصلاة والسلام– أيضاً في وصف النساء قال: (إنهن ناقصات – ماذا؟– عقل ودين)، إذن: الدين ماذا؟ ينقص، الدين ينقص، والحديث مخرج في الصحيحيين وفي غيرهما، وأيضاً في حديث الشفاعة: (أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة خردل من إيمان)، فهذا دلالة على أن إيمانه قليل بسيط، مما يدل على أن إيمان غيره كان كثيرًا كبيراً فالناس يتفاوتون في الإيمان صغراً وكبراً عظماً وحقارةً، فنسأل الله –تعالى– أن يربط على قلوبنا بالإيمان وأن يحبب الإيمان وأن يزينه في قلوبنا.

وأيضاً النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك –ماذا؟– أضعف الإيمان) إذن: مرة قال: (ناقصات عقل ودين)، إذن: أثبت نقصان الدين نقصان الإيمان ومرة قال: (وذلك أضعف الإيمان) إذن: هناك ضعف في الإيمان وقال: (أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة خردل من إيمان) وفي لفظ: (وأدنى من ذلك)، فهذا دلالة على أن الإيمان يزيد وينقص، يقوى ويضعف، وهذا مقرر عند الأئمة –رضي الله تعالى عنهم جميعاً– فذكر ذلك الإمام مالك والإمام البخاري والإمام عبد الله بن المبارك وغيرهم كثير –رضي الله تعالى عنهم جميعاً–.

إذن قول المصنف: (يزيد بزيادة الأعمال) المقصود بالأعمال: أعمال الظاهر وبالباطن، أعمال الظاهر مثل ماذا؟ الجهاد في سبيل الله، مثل الصدقة، مثل بناء المستشفيات، مثل.. هذه كلها أعمال للظاهر، قراءة القرآن أعمال للظاهر، أعمال الباطن، مثل ماذا؟ مثل المحبة والخوف والرجاء والرغبة والرهبة فهذه كلها أعمال للباطن، فالإيمان كلما عظمت أعمالك الظاهرة وعظمت أعمالك الباطنة كلما عظم هذا الإيمان، قال شيخ الإسلام بأن الإيمان في القلب، يعني: أصل الإيمان موجود في القلب، والعمل الظاهر دليل عليه، فعدم الظاهر دليل على عدم الباطن أو ضعفه، انتبهوا.. دليل على عدم الباطن أو ضعفه، لو أن إنساناً ترك طاعة رسول الله –صلى الله

عليه وسلم- في كل ما أمر، يعني: ترك الصلاة والصيام والزكاة والحج وصلة الرحم، وترك السنة الظاهرة وترك عيادة المريض وترك الجهاد في سبيل الله وأتى بكل الموبقات من الزنا ونكاح المحارم والسرقة والقتل وموالاة غير المؤمنين، بل عادى الله ورسوله ونصر الكفار على المسلمين وتقرب إلى الله -عز وجل- بهمز المسلمين وشتمهم وتقرب إلى الله -عز وجل- بالتنكيل لهذا الدين والتشويه لهذا الدين والتشكيك في هذا الدين فعل ذلك كله لو قال بعد ذلك: إنه مسلم فإنا نشك في ذلك الأمر؛ لأن إيمان الباطن يورث شيئًا في الظاهر، فعدم وجود شيء في الظاهر أصلاً ليست هناك قرينة تدل على الإسلام أصلاً فهذا يدل على انعدام الباطن أو على ضعف الباطن، ضعف الباطن عند البعض وانعدام الباطن عند البعض، فلو أن رجلاً حاله ما صنعت بألا يأتي طاعة أصلاً وأن يأتي بكل حرام أصلاً هذا دليل على انتفاء الباطن، لا يوجد هناك إيمان في الباطن، وإذا ضعف العمل في الظاهر، كان هذا دليلاً على ضعف العمل في الباطن، وهذا القول حققه ودندن حوله كثيرًا شيخ الإسلام ابن تيمية -عليه رحمة الله- في كتابه الإيمان فليراجعه من شاء حتى يجد أمراً طيباً.

ثم قال الشيخ -عليه رحمة الله-: (ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل) المقصود بالكمال هنا ليس ما أثير هل يا ترى دخول الأعمال شرط كمال أم شرط صحة في الإيمان؟ هذه القضية لم تثر عند السلف بهذه الأبعاد التي أثيرت بها هذه الأيام. مسألة هل العمل شرط كمال أم شرط صحة؟ هذه المسألة بهذه الصورة بهذه الكيفية بهذه الحيثية لم تثر عند السلف كما أثيرت في هذه الأزمان حتى صارت قضية ولاء وبراء، لا.. فإن الذين يقولون بأنه شرط كمال، يقسمون الكمال إلى قسمين: إلى شرط كمال مستحب وشرط كمال واجب، فصار كلامهم أنذاك قريباً من الذين قالوا بالصحة في جانب من الجوانب، هذا أولاً. ثانيًا: أن الأعمال تتفاوت وتتفاضل من حيث الظاهر والباطن، ومن هنا كان لابد من التفصيل فيما يعنى بكلمة عمل فمثلاً قراءة القرآن عمل، ومثلاً نصرة رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- عمل، فلو أن رجلاً يستطيع أن ينصر النبي -عليه الصلاة والسلام- ثم يتقاعس عن نصرته ورجل يستطيع أن يقرأ القرآن ولكن يتقاعس عن قراءة القرآن هل هذا كهذا؟ رجل لم يقرأ القرآن في يومه مع قدرته على ذلك، ورجل رأى رجلاً يسب النبي -عليه الصلاة والسلام- ويهمزه، ويتهكم عليه، وعلى زوجاته ويتهكم في هديه -عليه الصلاة والسلام- ويشكك في سنته -عليه الصلاة والسلام- والسامع هذا يقدر على الدفع ولكنه تكاسل عن ذلك، هل المتكاسل عن قراءة القرآن كالمتكاسل عن نصرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ لا يختلفان مع الرغم أن هذا عمل وهذا عمل، ولكن هذا العمل يكمل به الإيمان أما هذا العمل فهو شرط في صحة الإيمان، فتارة يكون العمل شرطاً في صحة الإيمان وتارة يكون العمل شرطاً في وجوب الإيمان، الإيمان الواجب، وأحياناً يكون هذا العمل مكملاً للإيمان، وإذا أردنا أن نضرب عدة أمثلة توضيحية لبيان ذلك الأمر: أرأيت جسد الإنسان، الإنسان رأس وجسد وهناك بعض المكملات، بعض المكملات الموجودة لاسيما مثلاً شعر الرأس لو أنك أتيت لإنسان فقطعت رأسه أصلاً أتيت بسيف وقطعت رأسه، هل يكون بذلك إنساناً سوياً مستقيماً صالحاً؟ لا.. انتفت عنه هذه الصفة كذلك من لم يأتِ بالتوحيد ويأتِ بأصل الدين من محبة الرسول -عليه الصلاة والسلام- والإيمان بكليات الاعتقاد بمسألة الإله والنبي والقدر والغيب من لم يأتِ بذلك فإن إيمانه مقتول، فإن إيمانه غير صحيح، ولذلك قال الله -عز وجل-: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥] إذن: المنفي هنا هو أصل الإيمان، لماذا؟ لأن الرضا بحكم الله والرضا هذا عمل والانقياد لحكم الله والانقياد هذا عمل، والتسليم بحكم الله والتسليم منه عمل، هذه الأعمال شرط في صحة الإيمان فلما لم يأتِ بها المكلف كان إيمانه بذلك مرتفعاً، انتهى، ليس هناك إيمان، وأحياناً يكون الإيمان المنفي من جنس ما يقطع من البدن، لو أن إنساناً قطعت يده، هو إنسان أم انتفت عنه صفة الإنسانية؟ هو إنسان، لو قطعت رجله إنسان أم انتفت عنه صفة الإنسانية؟ هو إنسان ولكنه ناقص، وكذلك المكلف، إذا أتى بكبيرة أو فرط في واجب، دون التوحيد؛ لأن التوحيد واجب فأول واجب على العبيد معرفة الرحمن بالتوحيد، فإذا فرط في واجب دون التوحيد أو أتى بكبيرة فإن حاله في ذلك كحال هذا البدن الذي جدع شيء منه، أو بتر طرف من أطرافه، فإنه لا ينتفي عنه الاسم الكلي ولكنه ناقص بما قطع منه، فكذلك هو، فمن أتى بكبيرة أو فرط في واجب فإنه مؤمن بما معه من إيمان، لا نقول: مؤمن هكذا، ولكنه مؤمن بما معه من إيمان، وفاسق بما أتى من عصيان، فهو مؤمن بإيمانه وفاسق بكبيرته

وعصيانه، وهذا الصنف مرده إلى الله -عز وجل- كما سيأتي إن شاء عفا عنه ابتداءً وإن شاء عذبه ثم بعد ذلك أدخله الجنة انتهاءً مثل ماذا؟ مثل ترك الصلاة على أحد القولين؛ لأن هذه مسألة نزاع عظيمة وتنازع السابقون فيها كما تنازع اللاحقون وترك بعض الواجبات، فمن ترك صلة الرحم كان معرضاً لهذا الأمر، ومن ترك الصلاة تكاسلاً- على أحد القولين- كان معرضا لهذا الأمر، أما من ترك بعض الإيمان المستحب مثل ماذا؟ مثل أذى ولكنه لا يؤذي إيذاءً فاحشاً لو أن هناك أذى في طريق المسلمين ولكنه لا يقطع الطريق عليه يعني ماذا؟ هناك حجر طوب كبير جداً، وتركه وانصرف يمكن للسيارات أن تمشي وللسابلة أن تسير لا يقطع السبيل فمن أزاح هذا الحجر عن الطريق أثيب على ذلك الأمر ومن لم يفعل ذلك لم يكن آثماً إلا إذا كان الأذى مما يقطع على الناس طريقهم، فقد يكون آثماً إن لم يزحه عن الطريق، ومنه النبي -عليه الصلاة والسلام- في الحديث الصحيح: (رأى رجلاً يتقلب في الجنة لغصن نحاه عن طريق المسلمين) إذن: إماطة الأذى هذه من الأمور المستحبة، وإذا لم تأتِ بها فاتك خير لكن لا تكون بذلك آثماً في بعض الأحيان كما لا تكون بذلك كافراً ولكن فوَّت خيراً وبذلك لم يكمل لك الإيمان المستحب، فيكون حالك كحال الذي حلق رأسه ولم يترك شيئًا في رأسه، حلق الرأس، فحلق الرأس هذا قد يكون طاعة وقربة وزلفى إلى الله -عز وجل- الأمر الثاني: أن حلق الرأس قد يكون معصية أو شركاً، الأمر الثالث: قد يكون هذا الأمر معصية، الأمر الرابع: قد يكون مباحاً، فمن حلق رأسه تنسكاً لله -عز وجل- نسكاً، اعتمر أو حج فأراد أن يتحلل فحلق رأسه، فإن الله -تعالى- قال: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح: ٢٧] وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (رحم الله المحلّقين ثلاث) فحلق الرأس هنا صار ماذا؟ صار طاعة وعبادة لله -عز وجل-، وقد يكون شركاً مثل ماذا؟ أن يحلق الرأس عند الأضرحة، رجل يذهب للسيد أو للحسين أو يذهب للأضرحة أو الأولياء ويظن أن أصحاب القبور هؤلاء لهم مقام عند الله -تعالى- رفيع، وأنهم لهم حركة تأثيرية في هذا الكون، فلهذا الخوف الذي ملأ قلبه يريد أن يظهر الذل بين يدي هذا المقبور، فيحلق رأسه هذا شرك بالله -عز وجل- هذا شرك وكفر بالله -عز وجل- انظر حلق الرأس شرك وكفر بالله -عز وجل-. وقد يكون معصية كما يحدث في بعض شباب المسلمين هذه الأيام عندما يرى الإفرنج الكفار يحلقون شعورهم، مرة يحلقون الشعر كله، فلا يبقون إلا شيئًا يسيراً في طرفه، كنيدو، الذي يأتي على علب اللبن، فيفعلون كذلك، وتارة يتركون شعورهم ويجعلونه كعرف الديك، وتارة يجدعون شعورهم، فتجد أن الشعر مجعد مجعد مجعد هكذا، وتارة يجعلون الشعر خصلاً خصلة يثبتونها وأخرى يحلقونها، فتكون كالسبت المكسور- سبحان الله- وهكذا فهذا كله بدعة، وهذا كله من باب العصيان؛ لأن هذا تشبه بالكفار ولكنه ليس بالتشبه الكفري، وقد يكون ذلك الأمر مباحاً وذلك عندما يشتد الحر، فإن الناس يذهبون حر رؤوسهم بماذا؟ بتقليل هذا الشعر، فحلق الشعر حلقاً تاماً هذا لا يجعل الإنسان ناقصاً في إنسانيته ولكن هذا منقص من كماله وشكله، ولكن نجد أحيانًا عندما يكدرون أحداً يفعلون ماذا؟ يحلقون رأسه، في التكدير يحلقون رأسه ويتركونه هكذا بين الناس، فيكون ذلك تكديراً عظيماً؛ لأنه ينقص بذلك لكن لا يكون بذلك منعدم البشرية وهكذا، فكذلك الإيمان هناك أصل إيمان وهناك الإيمان الواجب وهناك الإيمان المستحب، أصل الإيمان إذا انتفى كان المرء كافراً، الإيمان الواجب إذا انتفى أو انتفى منه شيء كان الإنسان آثماً أما الإيمان المستحب فإنك لا تأثم ولا تكفر، ولكن يفوتك خير، فقول اللسان وهذه النقطة التي قالها الشيخ: (ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل) لابد من العمل، وكما قلت القول عندما يطلق يشمل ماذا؟ يشمل قول الظاهر والباطن، والعمل عندما يطلق يشمل الظاهر والباطن، فقول المصنف -عليه رحمة الله-: (ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل)، أي إلا بالعمل الظاهر أو الباطن، (ولا قول وعمل إلا بنية)، لما ظن بعض الناس أن الأقوال والأعمال لا صلة لها بالنية فأراد أن يؤكد المصنف على أهمية النية، والنية أمرها عظيم جليل، قال الله -عز وجل-: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

أيضاً قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: (إنما الأعمال بالنيات) هل المقصود بالأعمال الأعمال الشرعية؟ فتكون الألف واللام هنا للعهد، أم المقصود بالأعمال كل الأعمال فتكون الألف واللام للجنس؟ هذان قولان قالهما أهل العلم، إنما الأعمال بالنية، فالنية شرط للعمل، وشرطها هنا شرط صحة، قال بعض أصحاب النظم:

والنية شرط لسائر العمل *** فبها الصلاح والفساد للعمل

ولما ذكر النبي –عليه الصلاة والسلام– ذلك الجيش الذي يذهب للمهدي ليحاصره بالمسجد الحرام قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم، قيل: يا رسول الله إن فيهم من ليس منهم، قال: يموتون جميعاً ثم يبعثون على نياتهم)، رُبَّ عمل قليل تعظمه النية، ورب عمل عظيم تحقره النية، فالنية هي التي توجه العمل وتقلب العمل، فتجعل المباح عبادة كما تميز بين الطاعة والطاعة، وتميز بين المباح والطاعة، فلو أنك اغتسلت طلباً للتبرد واغتسلت رفعاً للحدث كان طلبك للتبرد مباحاً وفعك للحدث عبادة والغسل واحد، ما الذي سيفرق بين الاثنين؟ النية، الذي يفرق بين الاثنين، النية، عندما تجري أنت تجري حتى تبني جسدك وتكون رجلاً رياضياً فتياً قوياً، هذه نيتك فقط، وأنت تجري حتى تقوي جسدك لتكون عوناً للمسلمين على أعدائهم، فهذه نية وهذه نية، فالذي يميز بين هذين النوعين من الجري النية، فالنية تميز بين ما هو مباح وبين ما هو عبادة، كما تميز بين الطاعة والطاعة، فلو أن إنساناً صام صوماً للقضاء أو صوم كفارة أو صوماً مستحباً ما الذي يميز بين المستحب والكفارة والقضاء؟ ما الذي سيميز؟ النية، إذن: النية تميز بين الطاعات كما تميز بين الطاعات والمباحات، والنية تجعل الأعمال ببركة التوجه عظيمة الأثر، جليلة القدر موفورة الثواب، ويحضرني في هذا المقام ما أخرجه الإمام مسلم –عليه رحمة الله–: (أن النبي –عليه الصلاة والسلام– أرسل أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن وأمرها أن يجتمعا ولا يتفرقا وأن ييسرا ولا يعسرا وأن يبشرا وألا ينفرا فنزل معاذ بن جبل ذات يوم على أخيه في الله أبي موسى الأشعري) وهذا الحديث أهديه للذين ينكرون حد الردة (فوجد قوماً يجتمعون على رجل اجتمعت يداه إلى عنقه، فقال معاذ: ما بال الرجل قالوا: ارتد بعد إسلامه، أو تنصر بعد إسلامه، قال: اقتلوه) الحديث في صحيح مسلم، وهذا معاذ بن جبل، ويقول ذلك في حضرة صاحبه وأخيه في الله أبي موسى الأشعري، (اقتلوه، قالوا: ما جئنا به إلا ليقتل انزل قال: الله لا أنزل حتى يقتل فقتلوه، فلما نزل قال: يا عبد الله بن قيس)، من هو عبد الله بن قيس؟ أبو موسى الأشعري، هذا اسمه، اسمه عبد الله بن قيس، (يا عبد الله بن قيس: كيف تقرأ القرآن؟ قال: أفوقه تفويقاً –أي أجزئه أجزاءً– فأقرأه جزءاً بعد جزء، فقال له أبو موسى: وأنت يا معاذ كيف تقرأ القرآن؟ قال: أنام من الليل فآخذ حظي من النوم ثم أقوم بالقرآن فأصلي به ما شاء الله أن أصلي، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي)، إذن: هو ينام وفي نيته أنه يتقوى بهذا النوم على ماذا؟ على صلاة الليل، ينام ليتقوى بهذا النوم على طلب العلم، هذا نوم، ولكنه يتحول بالنية إلى ماذا؟ إلى طاعة وعبادة، إذن: الأقوال الطيبة الصالحة والأعمال النافعة المباركة هي في حاجة إلى ماذا؟ إلى نية، ولذلك الإسلام بُني على عدة أصول عدة أحاديث منها حديث النية، ولذلك النية داخلة في كل باب من أبواب العلم، كل باب من أبواب العلم النية داخلة فيه، ولذلك ما أظرف وما ألطف وما أفقه ما فعل الإمام البخاري عندما صَدَّرَ كتابه الصحيح بماذا؟ بحديث النيات، نقول: أول باب في الصحيح هو ماذا؟ بدء الوحي، طيب ما العلاقة بين النية وبدء الوحي؟ هذه الإشارة إلى أن الأقوال والأعمال لا ترفع ولا تقبل إلا بماذا؟ إلا بالنية فأراد أن يحدث نية صالحة بين يدي عمله لعل الله –تعالى– أن يقبل منه، والله– تعالى– قَبِلَ منه، فكان صحيحه من أصح الكتب بعد كتاب الله –عز وجل–.

في هذا الأمر طرفة أيضاً: هناك ابن أبي ذئب ألف موطأ، الموطأ كتاب حديثي لا يقتصر صاحبه فيه على الأحاديث المرفوعة، بل ربما أتى بالمرفوع وأتى بأقوال الصحابة وربما أتى بأقوال التابعين وفيه بعض البلاغات فألف الإمام مالك موطأه بعد ابن أبي ذئب، فسئل لماذا ألفت موطأك وقد سبقك به ابن أبي ذئب؟ فقال: «إنما صنعته لله»، هذه مسألة مهمة جداً، «إنما صنعته لله» أي: ألف هذا الكتاب لله، ولذلك هل نسمع عن موطأ ابن أبي ذئب؟ فإذا قيل: وفي الموطأ إذن: ليس هناك موطأ في الدنيا إلا موطأ الإمام مالك– سبحان الله– لعله قال هذه الكلمة بصدق فاستجاب الله –تعالى– له وقبل منه صنيعه، (فلا قول ولا عمل إلا بنية) وكذلك الأقوال والأعمال والنوايا لابد أن تكون موافقة لهدي الحبيب محمد –صلى الله عليه وسلم– فلابد كما أنك توحد الله –عز وجل– في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وذاته وصفاته لابد أن توحد نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم– في ماذا؟ في الانقياد، فحق النبي عليك –عليه الصلاة والسلام–:

أولاً: أن تعرف سنته.

ثانيًا: أن تحب سنته.

ثالثًا: أن تنصر سنته.

رابعًا: أن تنشر سنته.

إذن: هذه أربعة حقوق لابد أن تقوم بها مع سنة النبي -عليه الصلاة والسلام-:

معرفة السنة قدر الاستطاعة ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، معرفة السنة.

الأمر الثاني: محبة السنة.

الأمر الثالث: نصرة السنة.

والأمر الرابع: نشر السنة بالعمل بها والدعوة إليها.

إذن: الإيمان قول وعمل ونية وسنة.

قال المصنف -عليه رحمة الله- وهذه هي الفكرة الثانية: أنه لا يكفر مسلم إلا بيقين قال المصنف: (وأنه لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة) نحن عندنا عدة مصطلحات عندنا أهل القبلة وعندنا أهل السنة، لو قلنا بأن أهل القبلة دائرة واسعة فإن أهل السنة دائرة أخص، والناس في هذه الدائرة الأخص متفاوتون في تسننهم، ومتفاوتون بحسب قربهم أو بعدهم من نور محمد -صلى الله عليه وسلم-، أي من نور الوحي، ليس من نور ذاته، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يخلق من نور كما تقول الصوفية، فإن الناس يزيدون ويتفاوتون على حسب مراتبهم قرباً وبعداً من سنة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- فكل من صلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا وصلى إلى قبلتنا فهو مسلم، إذن أهل القبلة الذي هم بمعنى الإسلام، أهل القبلة أي المسلمون، يدخل فيهم كل من اتصف بالإسلام، حتى ولو كان مبتدعاً حتى ولو كان منافقاً؛ لأننا نحكم بمقتضى الظاهر، حتى لو كان منافقاً، فهو من أهل القبلة، فهو مسلم، ولذلك في قول الله -عز وجل-: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤] اختلف أهل العلم في المقصود بهؤلاء على قسمين:

القسم الأول: أنهم منافقون، يظهرون ما لا يبطنون، وهذا قول الإمام البخاري وغير واحد، القول الثاني: أنهم مسلمون حقاً يبتغى منهم الإيمان ويرتجى الإيمان منهم، ويترقب الإيمان منهم، وهذا قول بعض أهل العلم ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية ويميل العبد الفقير إلى هذا القول لماذا؟ لأن الأدلة قائمة على هذا القول، من هذه الأدلة قول الله -عز وجل-: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤] كلمة ﴿وَلَمَّ﴾ فيها نفي مع انتظار المنفي هل أتى الأستاذ؟ لما يأتي، إذن أنت تنفي مجيئة ولكن ينتظر مجيئه، وليس المقصود بالنفي هنا هو النفي المؤبد أو النفي المطلق ولكنه نفي في زمن الخطاب، نفي في زمن الخطاب، ولكن ينتظر حصول المنفي بعد هذا الزمن، وقد وقع فإن هؤلاء الأعراب هم الذين جاهدوا ونصروا وقاتلوا المرتدين وقاتلوا الفرس والروم، واستشهد منهم من استشهد فكان ذلك القول هو القوي، الدليل الثاني: قول الله -عز وجل-: ﴿وَإِن تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لاَ يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئً﴾ [الحجرات: ١٤] من أعمالكم التقدير من ثواب أعمالكم، والمنافق لا ثواب على عمله، و﴿لاَ يَلِتْكُم﴾ أي: لا ينقصكم فهذا دليل على أنهم ليسوا بمنافقين؛ لأن المنافق لا ثواب له على عمله، فأعماله- والله تعالى أعلى وأعلم-.

(فلا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة) إذا أتى بذنب دون الكفر فإنا لا نكفره بل ندع أمره إلى الله -عز وجل- إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه كما ذكرت قبل، كذلك الأشياء الكفرية نذهب فيها إلى التكفير العام، فنقول مثلاً: من حَلَفَ بغير الله فقد كفر، فهذا عام، ونقول: من طاف بالضريح فقد كفر، فهذا كله من باب التكفير العام، ولكن لا يكفر معين إلا بعد استيفاء الشروط وامتناع الموانع، وذكر النبي -عليه الصلاة والسلام- أن هناك كفراً دون كفر، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: (ويحكم لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)، وكان ذلك كفراً أي القتل، أن يقتل المسلم أخاه المسلم سماه النبي -عليه الصلاة والسلام- كفراً ولكن ليس هذا هو الكفر الناقل عن الملة بدليل قول الله -عز وجل-: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُو﴾ [الحجرات: ٩] فهم طائفتان من المؤمنين حصل بينهما اقتتال فهذا دليل على أن الاقتتال هذا لم يكن مكفراً، وهذا دليل على أن هذا الكفر ليس بالكفر الناقل من الملة؟ إذا نحن نثبت التكفير العام، ولكن لا نسقط على معين إلا بعد إقامة الحجة النبوية التي يكفر من خالفها.

قال الإمام -عليه رحمة الله-: (وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون) هذا شبيه بقول الله -عز وجل-: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠] وقال الله -عز وجل-: ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة: ١٥٤].

قال المصنف -عليه رحمة الله- وهذه هي الفكرة الرابعة وهي الإيمان بالبرزخ أي الإيمان بالقبر: (وأرواح أهل السعادة باقية ناعمة إلى يوم يبعثون) أي: إلى يوم الدين (وأرواح أهل الشقاوة معذبة إلى يوم الدين، وأن المؤمنين يفتنون في قبورهم ويسألون قال الله- تعالى-: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [الرعد: ٢٧]) هذه الفكرة هي الإيمان بالبرزخ وما يكون في البرزخ من سؤال ومن عذاب ومن نعيم -نسأل الله تعالى- أن يلطف بنا، وقد ذكرت لكم من قبل حديث البراء بن عازب في مسند الإمام أحمد وإسناده صحيح: (أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما ذكر حال المؤمن عندما يقبض فيقال: أفرشوا له من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً من الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره) -نسأل الله تعالى- أن يفسح لنا في قبورنا، أما الكافر فيقال له: (أفرشوا له من النار وافتحوا له باباً من النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه في قبره حتى تختلف أضلاعه) وكذلك بالنسبة إلى سؤال القبر، فهذا حق نسبته وهذا ما قال الإمام القيرواني: (وأن المؤمنين يفتنون في قبورهم)، أي: يسألون في قبورهم، وهذا قول الله -عز وجل-: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [الرعد: ٢٧] في البخاري من حديث البراء بن عازب أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (إذا سئل المسلم في القبر فإنه يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فذلك قوله- سبحانه-: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [الرعد: ٢٧])، وفي مسند الإمام أحمد بإسناد حسن من حديث البراء بن عازب: (أن المؤمن يأتيه ملكان فيجلسانه ويسألانه من ربك؟ فيقول: ربي الله، ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، من ذلك الرجل الذي بعث فيك؟ فيقول: هو محمد -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- أما الكافر فعندما يجلسانه فيسألانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، وكذلك عندما يسأل عن دينه وعن رسوله)، ولذلك هذا المقام مقام صعب شديد، وكان النبي -عليه الصلاة والسلام- يتعوذ بالله عند التشهد من عذاب القبر.

الفكرة الخامسة: هي الإيمان بالملائكة، والإيمان بالملائكة نجعلها بإذن الله -تعالى- في الحلقة القادمة حتى لا يضيق بنا المقام والحمد لله تعالى أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً.

الأخ الكريم من الجزائر يقول: ما هو جوابنا على من يستدلون بحديث النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله) وأمثال هذا الحديث مثل حديث البطاقة وغيره على إخراج أعمال الجوارح من الإيمان؟

بسم الله الرحمن الرحيم

دخول الأعمال في مسمى الإيمان هذا مذهب أهل السنة والجماعة وعليه دلت النصوص قال الله -عز وجل-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف: ١٠٧] وقال- تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: ٣٠] وهذا بخلاف مذهب المرجئة الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان وبخلاف الذين قالوا بدخول الأعمال مسمى الإيمان دخولاً مجازياً فإن هذه الأقوال أقوال مخالفة والذين قالوا بخروج العمل عن مسمى الإيمان لم يقصدوا أعمال الباطن، وإنما قصدوا بذلك أعمال الظاهر ومن قصد إخراج أعمال الباطن عن مسمى الإيمان فهذا ضال، هذا ما حققه وقرره شيخ الإسلام ابن تيمية أن الذين قالوا بإخراج العمل لا يقصدون بذلك العمل الباطن وإنما يقصدون بذلك العمل الظاهر ومن ذهب بإخراج العمل الباطن عن مسمى الإيمان فهو ضال في هذه المسألة.

هل ما قاله الأخ يستدل به على إخراج العمل؟ أبداً؛ لأن قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (يبتغي بها وجه الله)، أي خالصاً والإخلاص من أعمال القلوب، فدخل العمل آنذاك في المقصود، وكذلك قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يقولها عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة) إذن: كانت أيضاً مقيدة بماذا؟ باليقين واليقين عمل قلبي، كذلك قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة) فصارت مقيدة بالعلم، فهذا دليل على أن الإيمان إنما ينفع صاحبه إذا قيد بشيء من العمل، والله تعالى أعلى وأعلم.

الأخ الكريم من الجزائر يقول: ألا ترى يا شيخنا أن القول بأن الإيمان قول وعمل واعتقاد أن ذلك يعني أنه بلا اعتقاد لا يكون إيمان وكذا بغير عمل لا يكون إيمان ثم إن الإيمان بغير عمل ينجو صاحبه ألا يقول في التناقض؟ لأن تعريف الإيمان المنجي حينئذ لا يصدق عليه تعريف أهل السنة والجماعة في قولهم: قول وعمل واعتقاد؛ لأن العمل حينذاك مفقود؟

المقصود بالعمل، العمل الألف واللام هنا، الألف واللام للعهد، أم الألف واللام للجنس؟ إن كان المقصود الألف واللام للعهد أي الإيمان قول وعمل أي عمل ظاهر وباطن، فلابد للمكلف أن يأتي بما يدل على هذا الباطل، ولا يتصور أن يأتي مسلم بإيمان وظاهره لا يدل على هذا الإيمان الذي هو في الباطن، لا يتصور ذلك أبداً، وهذه المسألة بسطها شيخ الإسلام ابن تيمة والمشكلة أن الناس ينقلون عبارات مبتكرة ومجتزأة عما قاله أو عن مقولات شيخ الإسلام ابن تيمية يعني: هناك أقوال لابن تيمية فينقلون منها ما يريدون والذي يقرأ الكلام بكليته يعلم أن العمل هو عمل ظاهر وباطن، والعمل المنجي هو العمل الباطن، والعمل الظاهر هل هو منجٍ أم لا؟ هذا فيه النزاع، العمل الظاهر منجٍ أم لا؟ هذا فيه النزاع، لكن الصحيح لو أن مكلفاً لم يأتِ بشيء أصلاً من عمل الظاهر هل يكون ناجياً، لا أظنه ناجياً، لم يأتِ بشيء أصلاً من العمل الظاهر، لا نصرة الله والرسول ولا الانقياد الباطن، يعني كما قلت لكم الآن رجل لا ينصر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ويتهكم على النبي -عليه الصلاة والسلام- ورجل ينكح المحرمات ويزني بمحرماته ورجل لا يؤمن بالحلال والحرام أصلاً فلا يأتي حلالاً ولا يحرم حراماً أصلاً فهذا رجل دليل على ضعف الباطن أو عدمه كما قال شيخ الإسلام.

الأخت الكريمة من الجزائر تقول: سؤال يهمني جداً: هل يعقل ويصدق أن يترك المرء أركان الإسلام العظمى- مع ما يعلم من التشديد فيها- ثم يعمل أعمالاً أخرى كزيارة المرضى أو نحوها وتكون هذه الأعمال

من الإيمان والدافع لها الإيمان، وعادة ما يحمل الناس الذين هذا حالهم أن الدافع مجموعة أعراف وعادات ومجاملات أو دوافع أخرى؟

الثواب لا يترتب إلا على القصد والنية، يعني: لو أن إنساناً مشى وراء جنازة حتى توضع وتلحد وكان يقصد بذلك الواجب العرفي فإنه لا يؤجر على ذلك الأمر، أما من صلى على جنازة وتبعها حتى لحدت ويقصد بذلك الأجر أجر على ذلك ولذلك قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: (من صلى على جنازة إيماناً واحتساباً رجع وله من الأجر كجبل أحد، فإن مشى خلفها رجع من الأجر وله قيراطان كل قيراط كجبل أحد)، إذن هناك صلاة على الجنازة ومشي خلفها كعادة كالواجب كما نسميه نحن هنا في مصر واجب، واجب هيا نؤدي الواجب ولكن لا يأتي ذلك من باب القربة والطاعة والعبادة والمشروعية فهذا لا يؤجر على ذلك الأمر، وكذلك مثل قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) فيمكن أن يقوم هذه الليلة كنوع من العرف يعني جرت العادة أنهم يأتون بالأرز واللبن والمشروبات الساخنة والبادرة والبرطمانات ويأتون بالكراسي يسندونها في جوانب المساجد ويأكلون ويشربون وكل فترة يقومون يصلون ركعتين وهكذا إلى أن تنتهي الليلة بهذه الصورة عادة وتقليد وهناك من قام هذه الليلة إيماناً واحتساباً، فإن الأجر لا يكون إلا بالنية، فمن أتى هذه الأعمال كما تقولين ولا يأتيها من باب نية صالحة فإنه لا يؤجر على ذلك- والله تعالى أعلى وأعلم-.

الأخ الكريم من المغرب يقول: إذا جاء نفي الإيمان في القرآن أو السنة مثل قول الله -عز وجل-: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] هل يكون النفي متجهاً لمطلق الإيمان أم للإيمان المطلق؟

هذا النفي متوجه إلى أصل الإيمان، كما قلت لكم، هناك أصل للإيمان وهناك الإيمان الواجب وهناك الإيمان المستحب، فالذي لا يرضى بحكم الله ولا ينقاد لحكم الله ولا يستسلم ظاهراً وباطناً لحكم الله فهذا قد انتفى عنه أصل الإيمان- والعياذ بالله-.

فضيلة الشيخ هلا تفضلتم بطرح أسئلة هذه المحاضرة؟

سؤالان يسيران:

السؤال الأول: تكلم عن الإيمان من حيث: معناه. زيادته. ونقصانه. دخول العمل فيه.

السؤال الثاني متعلق بالمسألة التي أجلناها فنكتفي بالسؤال الأول حتى لا يكون الأمر ضيقاً.

وجزاكم الله خير

الدرس الرابع عشر

الإيمان بالملائكة ، حب الصحابة واعتقاد فضلهم

الملائكة ــ الصحابة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وأحبابه ومن اتبع هداه ثم أما بعد، فاللهَ –تعالى– أسأل أن يوفقنا في هذا اللقاء وأن يعيننا على إيصال هذه المادة التي تتعلق بفكرتين عظيمتين:

الفكــرة الأولـــى: الإيمان بالملائكة ومن جملتهم الحفظة وملك الموت.

أما الفكرة الثانية: فمتعلقة بالصحابة وأعني بها حُبَّ الصحابة واعتقاد فضلهم وعدالتهم، فهيا بنا نسمع ما قال الإمام ابن أبي زيد القيرواني –عليه رحمة الله تعالى–.

قال المصنف –رحمه الله تعالى–: (وأن على العباد حفظة يكتبون أعمالهم ولا يسقط شيء من ذلك عن علم ربهم، وأن ملك الموت يقبض الأرواح بإذن ربه، وأن خير القرون القرن الذين رأوا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وآمنوا به ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي –رضي الله عنهم أجمعين– وألا يذكر أحد من صحابة الرسول –صلى الله عليه وسلم– إلا بأحسن ذكر، والإمساك عما شجر بينهم وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج ويُظن بهم أحسن المذاهب)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال المصنف –عليه رحمة الله تعالى–: (وأن على العباد حفظةً يكتبون أعمالهم ولا يسقط شيء من ذلك) أي: مما يكتبون عن علم ربهم فالله– تعالى– هو المحيط بهم العليم بما يكتبون، (وأن ملك الموت يقبض الأرواح بإذن ربه) الإيمان بالملائكة من أركان الإيمان التي أمر الله –تعالى– بها ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وفي حديث جبريل المشهور –عليه السلام– عندما أتى النبي –عليه الصلاة والسلام– ليسأله عن الإيمان فقال له النبي –عليه الصلاة والسلام–: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره) إذن: الإيمان أصل أو ركن من أركان الإيمان والعلاقة بين أركان الإيمان هي علاقة التلازم، فلا يتصور أن يدعي مدعٍ أنه يؤمن بالله ويكون كافراً بالملائكة، أو يكون مؤمناً بالله والملائكة كافراً بالرسل، أو مؤمناً بالله والملائكة والرسل كافراً بالكتب، أو يكون مؤمناً بذلك كلّه ولكنه يكفر بالقدر، فمن كفر بواحد من أركان الإيمان بطل إيمانه وصار كافراً– والعياذ بالله– فلابد لكل مُكلَّف أن ينظر في إيمانه هل من جملة ما يؤمن أنه يؤمن بالملائكة؟ فإن كان ذلك من جملة إيمانه فليحمد ربه –سبحانه وتعالى– على ما وفقه إليه.

والملائكة: أجسام نورانية خلقت من نور ولكن أي نور خلقت منه هذه الأجسام؟ الله –تعالى– أعلى وأعلم، فذلك من جملة الغيب، ففي الحديث الصحيح الذي أخبر فيه النبي –عليه الصلاة والسلام– عن خلق الخلق قال:

(خُلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار) والمارج من نار: هي النار الشديدة التي لا دخان لها، نار شديدة لا دخان لها؛ لأن النار إذا كانت لها دخان فإن هذا مؤذن بقرب انتهائها فالنار التي خلقت منها الجان نار شديدة تلظى مشتعلة، (وخُلِقَ آدم مما وُصف لكم) وأيضاً هذه الملائكة لها أجنحة مثنى وثلاثة ورباع وهناك من الملائكة كجبريل من له عدة مئات من الأجنحة كما صَحَّ الخبر بذلك عن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١] فالملائكة إذن لها أجنحة، لكن ما صورة هذه الأجنحة؟ ومما تتركب هذه الأجنحة؟ وما هيئة هذه الأجنحة؟ وكيف يطيرون بهذه الأجنحة؟ هذا كله ما لا علم لنا به، والإمساك عن ذلك هو إمساك عن جُمَل من الغيب ليس عندنا فيها خبر.

أيضاً هذه الملائكة تتشكل وتأتي في صورة الأناسيّ، صورة الإنسان ويدل على ذلك حديث جبريل المشهور: (بينما كنا عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ أتى رجلٌ شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يبدو عليه أثر السفر ولا يعرف منا أحد) أمر عجيب جداً وهم في المدينة في وسط الصحراء القاحلة هناك رمال وهناك غبار والمسافر يعلوه الغبار كما أن الشعثة تظهر عليه فهذا رجل مسافر لا يبدو عليه شيء من ذلك، وهو مع ذلك شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، وفي نهاية الحديث: (أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: التمسوه، فالتمسناه فلم نجده، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: هذا جبريل أتاكم ليعلمكم أمور دينكم) إذن: تشكل جبريل في صورة هذا الرجل الذي رآه الصحابة جميعاً حتى تعجبوا من حسنه مع أنه ليس من جملة أهل المدينة، وكثيراً ما كان يَتَشَكَّلُ جبرائيل -عليه السلام- في صورة دحية الكلبي، دحية بن خليفة الكلبي، هذا صحابي جليل.

أيضاً في سورة مريم يُخبر ربنا -سبحانه وتعالى- أنه أرسل إلى مريم بشراً سوياً ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّ﴾ [مريم: ١٧] ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ﴾ أي: تشكل وأتى في مثل الروح البشرية السوية.

وكذلك أيضاً أضياف إبراهيم -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- عندما أتو إليه فأوجس منهم خيفة قالوا: لا تخف، ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لاَ تَخَفْ﴾ [الذاريات: ٢٨] في قصة طويلة نثرها الله -عز وجل- في غير موضع من القرآن فتشكل الملائكة في صورة الأناسي هذا أمر مقرر وعليه الاتفاق وبه أتت النصوص والحمد لله رب العالمين.

أيضاً الملائكة خَلْقٌ كثير لا يعلم عددهم إلا الله -سبحانه وتعالى- ففي حديث البخاري ومسلم: (أن النبي -عليه الصلاة والسلام- ذكر البيت المعمور في السماء السابعة وأن سبعين ألف ملك يدخلون فيه فلا يعودون) -سبحانه وتعالى- سبعين ألف مَلَك يدخلون البيت المعمور لا يعودون إليه مرة ثانية فهذا دليل على كثرة الملك، ويدل على ذلك أيضاً في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود: (أن جهنم يؤتى بها في سبعين ألف زمام كل زمام يجره سبعون ألف مَلَك) فنسأل الله -تعالى- الستر والعافية.

وهؤلاء الملائكة لهم أعمال كثيرة يُوكلون بها، فهناك مَلَك للقِطر الذي ينزل من السماء، وهناك مَلَك للريح وهناك مَلَك للمطر وهناك ملك للجبال، وهناك ملك للأرض، هناك ملائكة كثيرة وكل مَلَك له عمل وظيفي مُوكل به من قِبَلِ الله -عز وجل-.

ومن هذه الأعمال التي تقوم بها الملائكة الحفظ والكتابة، فالملائكة تحفظ الإنسان ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ [الرعد: ١١] فالحفظ هذا إنما هو قَدَر قَدَّرَهُ الله -تعالى- على العبد بدليل أن الله -تعالى- إذا أراد إيصال شر لهذا العبد لحكمة يراها، فإن الملك لا يحفظ ذلك العبد في هذه اللحظة، إذا قَدَّرَ الله -سبحانه وتعالى- أن يصيبك مكروه في رأسك فإن الملك يتنحى حتى تُصاب بذلك المكروه الذي قدره الله -عز وجل- وإلا فإن الحفظة يحفظونك في كل وقت في ليلك وفي نهارك، وكذلك يكتبون كل شيء، ويحصون عليك

كل شيء، حتى الهمّ الذي تَهَمُّ به فإنهم يحصونه عليك ويسترونه، فيكتبون ما شاء الله لهم أن يكتبوا ثم بعد ذلك يأمر الله -تعالى- بإثبات ما شاء كما يأمر بنسخ وإزالة ما شاء، قال الله -تعالى-: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩] فجميع ما يكتبه الملك منه ما يأذن الله -تعالى- بأن يكتب ومنه من يشأ الله -سبحانه وتعالى- أن يُمحى وهذا كله بأمره- سبحانه-.

قال الله- تعالى-: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٦- ١٨] ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾ و"ما" هنا هي النافية ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ فهنا نفي واستثناء للدلالة على الحصر فما تقول من قول حتى ولو كان صغيراً وما تفعل من فعل حتى ولو كان حقيراً إلا وملك يكتبه عليك ويستره حتى تلقى ربك وأنت تنظر ما قلت وما فعلت.

وقال- تعالى-: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠- ١٢] ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ يكتبون ماذا؟ يكتبون أقوالك، ويسطرون أفعالك وهم في الوقت نفسه يحفظونك من كل مكروه قد يصيبك - بأمر الله عز وجل-، وأيضاً من جملة الوظائف التي يقوم بها الملك ولا أقصد بالملك الملك الواحد ولكن أقصد بالملك الجنس من هذه الوظائف قبض الأرواح، قال الله- تعالى-: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١١]- سبحان الله- ﴿مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ ينتشر عند العامة أن ملك الموت اسمه: عزرائيل وهذا لا يصح، لا في كتاب ولا في سنة ولم يرد في ذلك خبر صحيح عن صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وغاية ما في الأمر أن الناس يتناقلون أشياء وبكثرة التناقل تصير هذه الأشياء المنقولة في حكم الاعتقاد، فيتناقلونها كأنها عقيدة مُسَلَّمَة، وهذا الأمر لا يصح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا عن الصحابة الكرام.

وقال الله -عز وجل-: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١] إذن: هناك ملك الموت وهناك ملائكة الموت، وهم لا يقصرون في شيء من ذلك، يدل على هذا الأمر وهذا موقفان، هنا موقفان أحدهما لنفس مؤمنة والموقف الآخر لنفس كافرة، نسأل الله -عز وجل- أن يتوفانا على الإيمان، وأن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأن يعاملنا بعفوه وجوده ولطفه وإحسانه فإنه -سبحانه وتعالى- هو البر الرحيم.

أخرج الإمام أحمد في مسنده بإسناد حسن وهو حديث البراء بن عازب وهو حديث مشهور وسبق أن ذكرت شيئاً منه، وفي ذلك الحديث: (أن المؤمن إذا كان في إدبار من الدنيا وإقبال من الآخرة أتاه ملائكة الموت بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، بيض الثياب فيجلسون منه مد بصره، حتى يأتي ملك الموت فيقول: أيتها الروح المؤمنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج روح المؤمن كما تسيل القطرة من فِي السقاء) الكوب عندما تصب الماء منه يسير، تخرج الروح بيسر، هذه روح المؤمن عندما تخرج من هذا الجسد الذي طالما كان مطيعاً لله -عز وجل- ناصراً دين الله عاملاً بهذا الدين محباً هذا الدين يحيى ويموت من أجل هذا الدين، هذه الروح الطيبة المباركة تخرج من جسدها الطاهر كما تسيل القطرة من فِي السقاء.

أما الصورة الثانية فهي صورة الكافر الذي طالما كان معانداً لشرع الله باغضاً دين الله -عز وجل- معادياً أولياء الله يتلبس في ليله ونهاره بالكفر والعصيان والنفاق والإلحاد، هذا النوع يأتي إليه ملائكة الموت في ثياب سوداء، معهم المسوح التي سيكفن فيها ثم يجلسون منه مد البصر وهو فارق وجل مذعور حتى إذا أتى ملك الموت قال: اخرجي أيتها الروح الخبيثة إلى سخط من الله -تعالى- وغضب، فتتفرق في جسده فينزعها نزعاً شديداً كما ينتزع السفود من الصوف المبتدل) السفود كالمشط أو كحبات الحديد، انظر إلى حبات الحديد أو إلى أسنان الحديد إذا مشط بها صوف ملبد بالماء هل يكون ذلك الأمر يسيراً أم صعباً وهكذا تخرج روح الكافر مسخوط عليها، مغضوب عليها، وتخرج في شدة وعنت، فنسأل الله -تعالى- العافية. إذن: هذه هي الفكرة

الأولى، الإيمان بالملائكة، أجسام نورانية تتشكل، لها أجنحة، هؤلاء الملائكة يطيعون الله -عز وجل- لا يفعلون إلا ما يؤمرون لا يتصور منهم معصية ولا تتصور منهم مخالفة وهذه الملائكة موكلة بأعمال أعمال يقومون بها يؤدون هذه الأعمال لا يقصرون ولا يفرطون فيما وُكِلَ إليهم.

مسألة لطيفة:

هنا مسألة لطيفة: أيهما أفضل، الملك أم صالح البشر؟ هذه المسألة تنازع فيها الناس نزاعاً شديداً وهي مسألة نظرية، مَن جهلها فلا تثريب عليه، ولا يكون مدخول الاعتقاد، عقيدته ليست فاسدة ولا ناقصة إذا لم يعلمها ولكن أذكرها من باب الفائدة:

تنازع الناس في ذلك تنازعاً عريضاً والصواب في هذه المسألة: أن الملك أفضل باعتبار البداية وأن صالح البشر أفضل باعتبار النهاية، هذا هو القول الطيب الذي تميل إليه النفس، أن الملك أفضل باعتبار البداية، وأن صالح البشر أفضل باعتبار النهاية؛ إذا نظرنا للبداية نجد أن الإنسان في دنياه يقصر، مقصر مهما بلغ من الطاعة فهو مقصر، ومهما بلغ من البر فهو أيضاً مقصر فإن التقصير والذنب والعجز والإفراط كل ذلك منا في ظاهرنا وباطننا، فنسأل الله -تعالى- أن يعاملنا بستره في الآخرة كما عاملنا بستره في الدنيا، فالإنسان مقصر وهو أيضاً مذنب حتى ولو كان مطيعاً؛ لأن طاعته ليس طاعة كاملة ولا تامة فما من أحد يستفيد بطاعته الفريضة إلا النبي -عليه الصلاة والسلام- فكل الناس يقصر وكل الناس مقصر فنحتاج إلى النوافل حتى نتمم بهذه النوافل ما قَصُرَ من واجباتنا وفرائضنا. إذن: الطاعات النوافل السنن المستحبات نحن في الحقيقة لا نهنأ بها استقلالاً لماذا؟ لأنها توضع مع الفرائض وتوضع مع الواجبات لتتم الواجبات وتتم الفرائض بالنوافل، من الذي هنأ بطاعته وسننه ونافلته استقلالاً من هو؟ النبي -عليه الصلاة والسلام-، أفضل الخلق استفادةً بالنوافل والرغائب والهدي والزوائد والسنن هو النبي -عليه الصلاة والسلام- مع كماله في طاعته وفرائضه، فالإنسان مُقصر وناقص في الدنيا حتى لو بلغ من الطاعة ما بلغ، وعندها تكون الملائكة أفضل من العبد في الدنيا؛ لأنهم يطيعون الله -عز وجل- يمتثلون أمره عباد مكرون، وهم بأمره يعملون، لا يخالفون أمره لا يزيغون عن أمره، أما الإنسان فقد يزيغ قد ينحرف قد يقصر أما في الآخرة وهي النهاية فإن صالح البشر أفضل من الملائكة بل إن الملائكة تكون خدماً لصالح البشر ﴿وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣] فالملائكة يدخلون عليهم: ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٤] سلام عليكم يسلمون عليهم ويبشرونهم بعقبى الدار وهي الجنة، فنسأل الله -تعالى- أن يعيننا على طاعته وأن يهيأ لنا من أمرنا رشداً وأن يحسن خاتمتنا في الأمور كلها.

أيضاً من الاعتقاد أن تعتقد حب الصحابة وأن تعتقد فضلهم وعدالتهم، صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول المصنف -عليه رحمة الله-: (وأن خير القرون القرن الذين رأوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وآمنوا به ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) القرن ما المقصود بالقرن؟ يقصد بالقرن أمران:

الأمر الأول: المائة عام، المائة عام قرن.

الأمر الثاني: الجيل من الناس، يسمى هذا قرناً كما يسمى هذا قرناً فقول النبي -عليه الصلاة والسلام- وهذا الحديث مخرج في الصحيحين: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)إذن: (خير الناس قرني) يحمل هذا على المائة سنة التي كان فيها النبي -عليه الصلاة والسلام- كما يحمل ذلك أيضاً على الجيل الذي كان فيه النبي -عليه الصلاة والسلام- (خير الناس قرني) وهم الصحابة (ثم الذين يلونهم) وهم التابعون (ثم الذين يلونهم) وهم تابعوا التابعين -رضي الله تعالى عنهم جميعاً-.

الأمر الثاني: ما المقصود بالصحابي؟ التعريف الصحيح للصحابي: أنه من لقي النبي -عليه الصلاة والسلام- مؤمناً وتوفي على الإسلام، هذا هو التعريف الصحيح للصحابي: من لقي النبي -عليه الصلاة والسلام- مؤمناً،

مؤمناً ولابد من هذا الشرط، لماذا؟ أبو جهل عمرو بن هشام ألم يلقَ النبي –عليه الصلاة والسلام–؟! بلى، لقد لقي النبي –عليه الصلاة والسلام– ورآه وشافهه وخاطبه وحدثه، وأبو جهل بن هشام مات كافراً في غزوة بدر في قصة طويلة معروفة، هل يكون أبو جهل آنذاك صحابياً؟!! لا، لماذا؟ لأنه عندما قابل النبي –عليه الصلاة والسلام– لم يقابله على الإيمان، كذلك اليهود الذين لقوا النبي –عليه الصلاة والسلام– هؤلاء ليسوا بصحابة لقد لقوه وحدثوه وشافهوه وناظروه وناقشوه وكانوا مؤمنين أنه هو الرسول ولكن هذا الإيمان لم يتجاوز حدود القلب، قال الله –عز وجل–: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّ﴾ [النمل: ١٤] فكانوا يتيقنون أن هذا رسول الله قال الله –تعالى–: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩] حيي بن أخطب هذا من أعيان اليهود وأحبارها عندما أتى النبي –عليه الصلاة والسلام– المدينة ما الذي حدث؟ خرج هو وابن عم له لملاقاة النبي –عليه الصلاة والسلام– دخل حيي بن أخطب على النبي –عليه الصلاة والسلام– ومكث ابن عمه في الخارج بعد فترة خرج حيي بن أخطب قال ابن عمه: أهو؟ أهو؟ أي هذا هو الرسول الموجود عندنا في التوراة والإنجيل؟ فقال حيي بن أخطب: نعم هو هو، هذا تأكيد هو هو، فقال ابن عمه: وما أنت صانع؟ قال: سأناصبه العداء، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة: ٨٩] هل نقول بأن حيي بن أخطب كان صحابياً؟ أبداً، إذن: مع الرغم أنه آمن بالنبي –صلى الله عليه وسلم– ولكن هذا إيمان المعرفة، ليس هذا هو الإيمان الذي يترتب عليه الأثر الشرعي من رضوان الله –عز وجل– ومن الجنان ومن المغفرة والرحمة أبداً، هذا من جنس إيمان إبليس وبالتالي الذين قالوا: بأن الإيمان هو المعرفة، هذا باطل وهذا فساد بل إن الإيمان كما ذكرت من قبل: هو الإقرار المستلزم الانقياد والمحبة والطاعة.

أيضاً المنافقون لقوا النبي –عليه الصلاة والسلام– وصلوا معه وبعضهم غزا معه فهم في الجملة من جملة الصحابة ظاهراً لكن عند التحقيق ليسوا من هؤلاء الصحابة الذين قال الله –تعالى– فيهم: ﴿رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] فهل الذين تخلفوا عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في غزوة تبوك عندما ننظر إلى صنيع الإمام ابن حجر –عليه رحمة الله– في "الإصابة" وهذا ديوان حافل في ذكر أسماء الصحابة وكذلك ننظر إلى ابن الأثير في كتابه القيم: "أسد الغابة" في ذكر أصحاب النبي –عليه الصلاة والسلام– لا نجد ذكراً لأسماء المنافقين الذين عرفوا وتخلفوا عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، هذه مسألة مهمة جداً. إذن: الصحابي هو من؟ من لقي النبي –عليه الصلاة والسلام– مؤمناً ومات على الإسلام، طيب هل هناك شرط أن يحدث عن رسول الله؟ لا.. ليس شرطاً أن يحدث عن رسول الله يمكن أن يلقى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ولكن لم يحدث عنه بحديث، يمكن وهناك بعض الصحابة لا يعرف أنهم حدثوا عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– حديثاً واحداً هذا موجود، طيب هل يشترط أن يرى النبي –صلى الله عليه وسلم– بعينه، طبعاً من لقي النبي –عليه الصلاة والسلام– فإنه يراه بعينه إلا إذا كان أعمى فمن كان أعمى فهو صحابي أيضاً كعبد الله بن مكتوم –رضي الله تعالى عنه– لقد كان أعمى وكان يتحسس طريقه إلى المسجد وروى حديثاً عن رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم–. أما من لقي النبي –عليه الصلاة والسلام– وآمن به ثم بعد ذلك ارتد نقف هنا وقفة من ارتد بعد إيمان ثم آمن بعد الارتداد وحسن إسلامه فهذا قد تاب الله –تعالى– عليه، مثل من؟ مثل عبد الله بن أبي السرح، عبد الله بن أبي السرح هذا كان صحابياً وكان يكتب الوحي ثم بعد ذلك التبس عليه وارتج عليه فلحق بالمشركين وارتد وكان أحد الذين أمر النبي –عليه الصلاة والسلام– بإهدار دمهم عند دخول مكة ولكن عثمان بن عفان –رضي الله تعالى عنه ورحمه الله– أخذه وأتى به إلى النبي –عليه الصلاة والسلام– وأخذ الأمان له حتى إن النبي –عليه الصلاة والسلام– كان يقول للصحابة: (أليس منكم رجل رشيد يقوم إلى ذلك الرجل فيقتله؟ فقال الصحابة: والله يا رسول الله لو أومأت لنا لصنعنا، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: ما كان لنبي أن تكون له خائنة أعين) يعني: ليس هناك نبي يحرك عينيه وشفتيه ومناخيره وما إلى ذلك (ما كان لنبي أن تكون له خائنة أعين) فعبد الله بن أبي السرح بعد أن ارتد أسلم وحسن إسلامه، ولكم أن تعلموا أن أول معركة بحرية بين المسلمين وبين الروم كان بقيادة من؟ كانت بقيادة عبد الله بن أبي السرح، معركة ذات الصواري البحرية، واشترك فيها لفيف من الصحابة وقتل فيها من قتل، كانت بقيادة هذا الصحابي الذي حَسُنَ إسلامه وجاهد في سبيل الله حق الجهاد كما كان عَامِلَ مصر وإفريقيا فقاد جيوش المسلمين في شمال إفريقية

وفتح بلاداً كثيرة وكان سبباً في إسلام أناس كثيرين- فرضي الله تعالى عنه- ومن أمثلة هؤلاء الذين ارتدوا ثم أسلموا وحسن إسلامهم فيما بعد: الأحنف بن قيس، كان حكيم العرب حسن إسلامه وكان له قدم راسخة في فتوحات المسلمين- فنسأل الله -تعالى- أن يرحم المسلمين جميعاً- أما من ارتد ومات وهو مرتد فهو كافر- والعياذ بالله- إذن لا نقول: أنه من جملة الصحابة. لا.. فهذا كافر، هذا كافر ومن أمثلة هؤلاء عبيد الله بن جحش زوج أم حبيبة، أم حبيبة التي تزوجها النبي -عليه الصلاة والسلام- بعد هلاكه في الحبشة، ما الذي حدث؟ عبيد الله بن جحش كان صحابياً ثم لما هاجر المسلمون إلى الحبشة ارتج أيضاً عليه وحُبِّبَ إليه وهذا من باب البلاء حُبِّبَ إليه دين عبدة الصليب وعبدَ الصليب من دون الله وتنصَّر فلما فعل ذلك بعث النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى النجاشي وتزوج النبي -عليه الصلاة والسلام- بأم حبيبة وانتقلت إليه وهاجرت بعد ذلك من الحبشة إلى المدينة -رضي الله تعالى عنها-.

ومن أمثلة هؤلاء: عبد الله بن خطل هذا الرجل أيضاً أسلم ثم بعد ذلك انتكث على عقبيه وهجا النبي -عليه الصلاة والسلام- وهجا أزواج النبي -عليه الصلاة والسلام- فأمر النبي -عليه الصلاة والسلام- أن يقتل عند دخول مكة حتى ولو تعلق بأستار الكعبة فلما دخل جيش المسلمين مكة هَرَعَ إلى بيت الله الحرام وتعلق بأستار الكعبة فلحقه المسلمون وقتلوه، وهو متعلق بأستار الكعبة.

إذن الصحابي: من لقي النبي -عليه الصلاة والسلام- على الإيمان ومات على الإسلام، فخرج من ذلك اليهود والمشركون والمرتدون والمنافقون الذين عُلِمَ نفاقهم، خرجوا من هذا القيد المبارك.

قول المصنف: (وأن خير القرون القرن الذين رأوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-) رأوا رسول الله كلمة "رأوا" ضمير الجمع هل يعود على الصحابة من البشر فقط؟ أم قد يعود على البشر من الصحابة وغيرهم؟ هذا ضمير الجمع للعاقلين، للعقلاء الذكور المكلفين فيدخل في خطاب التكليف وألفاظ التكليف الجن مع البشر، وهل معنى ذلك أن من الجن صحابة؟ ربما يكون هذا القول متوجهاً فإن بعضاً من الجن لقي النبي -عليه الصلاة والسلام- وسمع منه القرآن وآمن بالقرآن كما آمن بالنبي -عليه الصلاة والسلام-.

وهناك آيات كثيرة في فضل الصحابة من المهاجرين والأنصار.

المهاجرون: هم أهل مكة الذين هاجروا من مكة إلى المدينة باذلين أموالهم وأوطانهم وعشيرتهم في سبيل الله هؤلاء هم المهاجرون.

والأنصار: هم الذين تَبَوَّؤوا دار الإيمان وهي المدينة فسكنوها وعاشوا فيها فما أتى المسلمون والنبي -عليه الصلاة والسلام- المدينة نصروهم وأيدوهم واتبعوهم وكانوا عوناً لهم فجزى الله المهاجرين والأنصار خير الجزاء، قال الله- تعالى-: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ كلهم ﴿ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠] ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ﴾ بمفهوم المخالفة إذن: السابقون غير الأولين هم أقل درجة من السابقين الأولين.

وقال الله -عز وجل-: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ﴾ [الفتح: ٢٩] -عليه الصلاة والسلام- ولكن عندما نصلي لا نقول: -عليه الصلاة والسلام- بل الإنصات هو الواجب، أحيانًا بعض المصلين عندما نقول: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ﴾ [الفتح: ٢٩] تجد المسجد: "عليه الصلاة والسلام" فهذا لا يصح ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩] إذن: هذه صفات

لصحابة رسول الله -عليه الصلاة والسلام- في التوراة والإنجيل هناك صفات سلوكية وهناك صفات علنية، من الصفات السلوكية: رحماء فيما بينهم، هناك الرحمة فيما بينهم، صفات مفقودة في دنيا المسلمين هذه الأيام الرحمة فيما بين المسلمين، وإذا كانت شدة أو غلظة فإنها على الكافرين، وهناك صفات متعلقة بالظاهر وهي غالباً ما تدل على طاعتهم وعبادتهم لله -عز وجل-.

وقال الله -عز وجل-: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ الصدقة التي الفيء والغنيمة يكون ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَاناً﴾ [الحشر: ٨] ثم بعد ذلك قال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩] ثم بعد ذلك قال: الطائفة الثالثة وهي: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠] فذكر الله -تعالى- المهاجرين والأنصار والذين جاءوا من بعدهم، ولم يحدد من الذين جاءوا من بعدهم، أهم التابعون؟ أم تابعوهم؟ فهذا لفظ عام يشمل كل من تَرَضَّى وترحم على الصحابة -رضي الله تعالى عنهم جميعاً- فكل من أحب الصحابة ورضي عنهم وترحم وأحبهم وو الاهم وأمسك عما شَجَرَ بينهم وسَلِمَ لسانه كما سَلِمَ صدره من الوقوع فيهم، بل هو دائم الذكر لهم، هو دائم الثناء عليهم لا يذكر إلا محامدهم، ويمسك عما شَجَرَ بينهم هذا فيه نصيب من قول الله -عز وجل-: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

قال ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه-: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) هذا في البخاري ومسلم وهذا اللفظ للبخاري، وفي حديث عمران بن حصين -رضي الله تعالى عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (خير أمتي القرن الذي كنت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقال: عمران ثم لا أدري هل قال: ثم الذين يلونهم) إذن: هناك الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ويؤيد أن الفضيلة تلحق بالضرْب الثالث الذين لحقوا بالصحابة الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم يدل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم: (أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: يأتي على الناس زمان فيخرج فئام من الناس يقاتلون في سبيل الله فيقال: هل منكم من صحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ فيقال: نعم فيفتح عليهم، ثم يغزو فئام من أمتي فيقال: هل منكم من صحب من صحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ فيقال: نعم، فيفتح عليهم، ففي الثالثة: هل منكم من رأى من صحب من صحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ فيفتح عليهم) فهذا دليل على أن الخيرية والفضل والبر إنما هي في القرون الفاضلة، جيل الصحابة ثم جيل التابعين ثم جيل تابعيهم -رضي الله تعالى عنهم جميعاً-.

قال النبي -عليه الصلاة والسلام- والحديث أيضاً في الصحيح: (النجوم أمنة السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أَمَنَة لأصحابي) أي أنا حفظ وحراسة لأصحابي (فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أَمَنَة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) ولذلك نهى النبي -عليه الصلاة والسلام- عن سبِّ الصحابة فقال -عليه الصلاة والسلام-: (لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيْفه) هذه لغة في النصف، وقيل النصيف بمعنى الخِمَار.

الصحابة -رضي الله تعالى عنهم جميعاً- متفاوتون في الدرجات فأفضل الصحابة بعد الخلفاء الراشدين هم بقية المبشرين، ثم بعد ذلك الذين شهدوا بدراً، ثم الذين شهدوا المشاهد مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهذا أمر مقرر، ومما يدل على أن هناك تفاضلاً بين الصحابة أن الله -عز وجل- قال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلِلهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠] فَفَرَّقَ الله -سبحانه وتعالى- بين الذين أنفقوا وقاتلوا فِي سَبِيلِ اللهِ قبل الفتح والذين فعلوا ذلك بعد الفتح، وذكر الله المهاجرين كما ذكر الأنصار، فأفضل الخلق

بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هم صحابته الأربعة الخلفاء الذين أثنى النبي -عليه الصلاة والسلام- عليهم، فأخرج أبو داود والترمذي أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي) وفي الصحيح: (أن محمد بن الحنفية قال: قلت يا أبي من خير الناس بعد رسول الله؟ فقال: عليٌّ -رضي الله تعالى عنه-: أبو بكر، قلت ثم من؟ قال: ثم عمر؟ فخشيت أن يقول: عثمان، فقلت: ثم أنت يا أبي؟ قال: ما أبوك إلا رجل من المسلمين) -رضي الله تعالى عنهم جميعاً- وفي الصحيح من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله تعالى عنه وعن أبيه- أنه قال: (كنا نُخَيِّرُ بين الصحابة والنبي -عليه الصلاة والسلام- حيٌّ فنقول: خير الناس بعد رسول الله كنا نقول: أبو بكر ثم عمر ثم نُمْسِك) فرضي الله -تعالى- عنهم جميعاً.

والواجب أن نحب الصحابة وأن نتولاهم وأن نترضى عليهم وألا نذكرهم إلا بخير فمن وقع في الصحابة كان مبتدعاً وأشر أهل البدع الرافضة من الشيعة- عليهم من الله تعالى ما يستحقون- فما رأينا قوماً أشر أو أشد شراً من هؤلاء الناس، فاليهود إذا سألت اليهود فقلت لهم: من أفضل الناس في ملتكم؟ قال: خير الناس في ملتنا أصحاب موسى، إذا سألت النصارى من هم خير الناس في ملتكم؟ قالت النصارى: خير الناس في ملتنا أصحاب عيسى، فإذا سألت الشيعة الرافضة الخبثاء المنافقين: من أشر الناس في ملتكم؟ قالوا: أشر الناس في ملة الإسلام هم صحابة رسول الله -عليه الصلاة والسلام- سبحان الله، كان الإمام مالك -عليه رحمة الله- إذا ذكر قوله- سبحانه-: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الآية. [الفتح: ٢٩] قال: من احتمل غلاً أو ذكر أحداً من صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بسوء فإن هذه الآية له منها نصيب، وذكر شبيه من ذلك عن البخاري وعن الرازي وعن الإمام أحمد -رضي الله تعالى عنهم جميعاً-.

فالواجب كما قال ابن أبي زيد القيرواني: (ألا يذكر أحد من صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا بخير وأن نمسك عما شَجَرَ بينهم وأن نَتلمَّس لهم الخير جميع)، نسأل الله -تعالى- أن يجزيهم عنا خير الجزاء، وأن نكون بالنسبة لهم خير خَلَفٍ لخيرِ سلَف، والحمد لله أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً.

فضيلة الشيخ وردتنا إجابات عدة على سؤال الحلقة الماضية:

وكان السؤال: تكلم عن الإيمان من حيث معناه زيادته ونقصانه ودخول العمل فيه.

كانت الإجابة:

الإيمان من حيث معناه زيادته ونقصانه ودخول العمل فيه على قولين:

القول الأول: قالوا: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وهو قول من لم يجعل الأعمال من ضمن الإيمان إذ قالوا: إن التصديق القلبي إذا بلغ حد الجزم والإذعان لا يتصور فيه زيادة ولا نقصان، واستدلوا على ذلك:

أولاً: أن الله -تبارك وتعالى- قد أطلق الإيمان على من عمل المعاصي في كثير من الآيات وهذا دليل على أن الأعمال لا أثر لها في الإيمان.

ثانيًا: أن الله -تعالى- عطف العمل على الإيمان والعطف دليل المغايرة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البروج: ١١] وعلى هذا فإن الأعمال الصالحة لا تدخل في الإيمان فلا تؤثر عليه زيادة ولا نقصاناً.

ثالثًا: جَعْلُ الإيمان شرطاً لقبول العمل في قوله- تعالى-: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الأنبياء: ٩٤] دليل على أن العمل غير الإيمان إذ المشروط لا يدخل في الشرط.

أما القول الثاني: أن الإيمان يزيد وينقص وهو قول من اعتبر الأعمال ركناً للإيمان الكامل وهو القول الصحيح فقد استدلوا من الكتاب والسنة الشريفة المطهرة ومن أقول الصحابة –رضوان الله عليهم– فمن الكتاب قوله– تعالى–: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤] وقوله– تعالى–: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانً﴾ [الأنفال: ٢] وقوله– تعالى– حاكياً قول سيدنا إبراهيم –على نبينا محمد وعليه أفضل الصلاة والتسليم–: ﴿وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] وأخبر الله –تبارك وتعالى– عن أصحاب أهل الكهف قوله– تعالى–: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف: ١٣] ومن السنة المطهرة قال رسول الله– صلوات ربي وسلامه عليه–: (الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة، أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) واستدلوا أيضاً بأن هناك فرق بين إيمان النبي– صلوات ربي وسلامه عليه– وإيمان آحاد الأمة لقوله– صلوات ربي وسلامه عليه–: (لو وزن إيمان أبي بكر –رضي الله عنه– مع إيمان الخلائق لرجح إيمان أبي بكر) أما أقول الصحابة –رضوان الله عنهم جميعاً– فقد أخرج ابن ماجه ورجاله ثقات: (كنا مع النبي –صلى الله عليه وسلم– ونحن فتيان فتعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فلما تعلمنا القرآن ازددنا به إيمان).

نستدل من هذه الأدلة على أن الإيمان يدل على عدة أمور:

أولاً: الإيمان يزيد وينقص.

ثانيًا: دخول العمل في مسمى الإيمان.

ثالثًا: دليل على أن الإيمان يتشعب ويتجزأ ويتبعض، فليس الإيمان هيئة واحدة لا يتبعض ولا يتجزأ ولكن قد يصيبنا الكثير منه وينقص منه القليل.

إذن: الإيمان يزيد وينقص بحسب ثمرة الإيمان وكما قال سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– هذا والله تعالى أعلى وأعلم.

جزاكم الله خيراً، لكن هناك عدة ملاحظات نبتدئ من النهاية حتى لا تخونني الذاكرة بأن الإيمان يتفاوت بحسب ثمرة الإيمان.

الإيمان يزيد وينقص بحسب ثمرة الإيمان.

نعم يتفاوت، يعني العبارة يتفاوت أو يتفاضل أو يزيد وينقص هذه كلها بمعنى واحد، كون الإيمان يتفاضل أو يتفاوت أو يزيد وينقص بحسب ثمرة الإيمان هذا كلام فيه نظر: الإيمان في ذاته يزيد وينقص، ليس بحسب ثمراته؛ لأنه لو قلنا بأن الإيمان بحسب ثمراته يزيد وينقص، إذن: نحن لا نقول بأن الإيمان في ذاته يزيد

وينقص، لكن نحن نقول: الإيمان في ذاته يزيد وينقص كما أن الإيمان من حيث كليته ومن حيث آثاره أيضاً يزيد وينقص هذه واحدة.

الأمر الثاني: عندما تكلمنا أو عندما تكلم الإخوة- جزاهم الله خيراً- فذكروا بأن العمل ركن من أركان الإيمان، هذه مسألة فيها كلام وفيها أشياء ولكن أنا أسلك كلامهم على أن المقصود بالعمل هنا هو العمل مطلقاً الذي يدخل فيه عمل الباطن، يعني العمل الباطن من حب الله -عز وجل- والخوف منه والتوكل عليه إلى غير ذلك من أعمال الباطن نعم هي بالفعل ركن من أركان الإيمان، تفضل يا أخي جزاكم الله خيراً.

هناك سؤال من الأخ الكريم من السعودية يقول: رجحتم فضيلة الشيخ الحبيب أن النبي هو المبعوث إلى الموافق وأشكل علي ذلك مع الحديث الصحيح: (سيأتي النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد) وهنا الشاهد فما قولكم؟

نعم. ليس هناك بأس، أن النبي عندما يبعث فإنه يبعث للموافق ويمكن أن يبعث هذا النبي أيضاً لجملة المطيعين الذين ربما يفعلون بعض المعاصي، وعندما يذكر النبي هنا فإن علاقة النبي إذا أطلقت قد تكون كعلاقة الإسلام بالإيمان، فلو قلنا: نبي يحتمل أن يكون معناه أيضاً ماذا؟ رسول، لو قلنا: نبي ورسول إذن النبي له معنى والرسول له معنى، ولو قلنا: نبي فقط، فإن النبي معناها المنبئ المخبر، فلا ضَيْرَ أن نفهم من ذلك أن يكون النبي بمعنى الرسول، يعني: المقصود أن النبي في هذا الحديث بمعنى الرسول، نعم.

الأخ الكريم من مصر يقول: فضيلتكم أفاد في درس سابق بأن آدم حاج موسى بالقدر واستشكل علي في أن الاحتجاج بالقدر يكون في المصائب وقول ربنا -جل وعلا-: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١] ذلك على أنها خطيئة أي له دخل مباشر في فعلها فكيف يكون ذلك؟

جزاكم الله خيراً، ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١]؛ لأنه خالف الأمر عندما أمره به -عز وجل- أن يدخل هو وزوجه الجنة، ولكن لا يقربا هذه الشجرة، فلما قرب الشجرة وأكلا منها كانت هذه معصية، المحاجة لم تكن في المعصية، ولكن قال موسى: (أنت آدم أخرجتنا من الجنة) إذن: لم يقل له: إنك عصيت الله -عز وجل-، ولم يقل له: بأنك خالفت أمر الله، لكن كانت المسألة (أنك أخرجتنا وذريتك من الجنة، فقال له آدم: أنت نبي الله موسى كتب لك التوراة بيده وكلمك ألم تجد أن ذلك في قدر الله -عز وجل-؟!! أن ذلك الخروج أو أن هذا الإخراج كان في قدر الله -عز وجل-؟ فحاج آدم موسى) فكلاهما كان يتحاجان في مسألة إخراج الذرية من الجنة ليس في مسألة المعصية إذن: المناظرة والمحاججة ليست في المعصية وإنما كانت في ماذا؟ في إخراج الذرية من الجنة، وكما هو معلوم بأن إخراج آدم من الجنة مما استوجبه واستتبعه إخراج الذرية من الجنة هذه مصيبة فكان الاحتجاج في المصائب لا في المعائب.

الأخ الكريم من سوريا يقول: أرجوا بيان من هم الأشاعرة؟ وهل هم من أول الأسماء والصفات فهم يطعنون بعقيدة شيخ الإسلام ويدعون أنهم هم أهل السنة والجماعة ويبثون جراثيمهم في مواقع الإنترنت فقد كدت أن أميل إلى هؤلاء لولا رحمة الله بي فما الخلاف بيننا وبينهم؟

أسأل الله -تعالى- أن يثبتك، وأن يثبت جميع إخواني الذين يطالعون شبكات النت في هذه الأيام فهي ملئى بالغث وما أكثره، ينبغي أولاً أخي الحبيب قبل أن تعرف من هم الأشاعرة ينبغي أن تعرف من هم أهل السنة؟ وما هي صفاتهم؟ وما هو اعتقادهم؟ وما هي سماتهم؟ ومن هم شيوخهم؟ وما هي الكتب التي يرجعون إليها؟ ولا أقصد بالكتب الكتب الحديثة التي تسود بها الصحف هذه الأيام، زيداً وعمراً يشب فيقرأ كلمتين ثم يأتي إلى الكمبيوتر فيأمر الكمبيوتر فيأمر الكمبيوتر أن يجمع مادة تتكلم عن الجنة وخلال أسبوع يؤلف كتاب عن الجنة، أبداً كان المصنفون القدامى يؤلفون كتبهم في عشرات السنين، لا يخرجون الكتاب إلا بعد أن ينظروا فيه ويحققوه

ويجازوا فيه من قبل مشايخهم، وكان أحدهم لا يكتب ولا يصنف إلا بعد أن يتضلع في العلم، وأن يشهد له أساتذته بالعلم والتفوق، أما ناشئة هذه الأيام فقد تزببوا قبل أن يتحصرموا أي صاروا زبيباً قبل أن ينضجوا، ولم يأخذوا من العلم جمله ولم يقفوا من العلم على مقتصراته النافعة الطيبة، فلم يأخذوا شيئًا ولكن أقصد بالكتب النافعة كتب المتقدمين الصالحة، فمنهج أهل السنة والجماعة منهج السلف الصالح يقوم على ركائز:

الركيزة الأولى: ركيزة الاعتقاد.

والركيزة الثانية: هي ركيزة الفهم.

والركيزة الثالثة: هي ركيزة السلوك.

فلابد أن تتعلم منهج السلف في الاعتقاد ومنهج السلف في الفهم ومنهج السلف في السلوك، ثم بعد أن تتعلم ذلك جميعاً يمكن لك أن تعاير بما تعلمت مناهج المبتدعة لأنك إذا قلت لك الآن: منهج الأشاعرة وما يفارقون به أهل السنة سيأتيني سؤالاً من ثانٍ ويحدثني عن الخوارج وثالث يحدثني عن المعتزلة ورابع يحدثني عن المتكلمين، فيضيع الجواب بين هؤلاء جميعاً، فاعرف الحق تعرف أهله أخي الحبيب.

الأخ الكريم من السعودية يقول: هل يجوز تسمية ملك الموت بعزرائيل كما نسمع من بعض الناس؟ وهل له اسم آخر؟

لا.. هو ملك الموت، وعندنا حديث موسى عندما أتى ملك الموت إليه وفقؤ موسى -عليه السلام- عين ملك الموت، فليس اسمه عزرائيل.

الأخ الكريم من السعودية تقول: هل "هاروت وماروت" من الملائكة وكيف أصبح معلمين للسحر، هل هناك قصة صحيحة حولهما؟ وجزاكم الله خير

الحقيقة أن كل الآثار الواردة في تفسير هاروت وماروت لا يصح منها شيء، وقد جمع الإمام الطبري في كتابه الماتع: "التفسير" كل الآثار والأخبار المروية في قصة "هاروت وماروت" وكلها لا تسلم، كلها لا يصح منها شيء، ولعل ما تميل إليه نفسي أن "هاروت وماروت" من جنس الشياطين- والله تعالى أعلى وأعلم-.

فضيلة الشيخ هلا تفضلتم بطرح أسئلة هذه المحاضرة؟

جزاكم الله خيراً. هناك سؤالان:

السؤال الأول: من هو الصحابي؟ وهل الصحابة درجة واحدة في الفضل أم متفاوتون؟

السؤال الثاني: ما حق المسلم تجاه الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم جميعاً-؟

أسأل الله -تعالى- أن يتقبل مني ومنكم وأن يجعل هذه الدقائق كفارة لذنوبنا- وما أكثرها- وثقلاً في ميزان حسناتنا- وما أقله-.

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

الدرس الخامس عشر

طاعة أولي الأمر/ اتباع السلف الصالح/ النهي عن المراء والجدل

النهي عن الابتداع في الدين

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وأحبابه وأتباعه ومن اتبع هداه، ثم أما بعد.

فهذه هي الحلقة الأخيرة ندعو الله –سبحانه وتعالى– أن يوفقنا وأن يعيننا وأن يلهمنا الخير والرشاد، وهذه الحلقة لعلها تتناول أفكاراً محددة:

الفكرة الأولى: مشروعية طاعة أولي الأمر.

الفكرة الثانية: اتباع السلف الصالح.

الفكرة الثالثة: النهي عن المراء والجدال والابتداع في الدين.

فهيا بنا نسمع ما قاله الإمام ابن أبي زيد –عليه رحمة الله–.

قال المصنف –رحمه الله تعالى–: (والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم وعلمائهم، واتباع السلف الصالح واقتفاء آثارهم والاستغفار لهم، وترك المراء والجدال في الدين وترك ما أحدثه المحدثون وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه وذريته وسلم تسليمًا كثيرً).

طاعة أولي الأمر:

بسم الله الرحمن الرحيم، قال المصنف: (والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم وعلمائهم) أصل هذا قول الله– تعالى–: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] وهذه الآية تكلم فيها العلماء كلاماً واضحاً، فذكر بعض أهل العلم كالإمام الشافعي أن هذه الآية فيها دليل على أن طاعة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– تكون استقلالاً كطاعة الله –عز وجل– استقلالاً، أما طاعة أولي الأمر فإنها طاعة بالتبعية ليست طاعة مستقلة، فلو أمروا بمعروف كان من المعروف طاعتهم، ولو أمروا بمعصية كان من المعروف مخالفتهم، ثم تنازع أهل العلم في المقصود بـــ ﴿أُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ وهذا التركيب ﴿مِنْكُمْ﴾ يوحي بأن أولي الأمر من المسلمين، فهذه الآية تتعلق بالمسلمين أما غير المسلمين فلا نتكلم عنهم، وأما الذين ارتدوا عن الإسلام فلا نتكلم عنهم، فهذه الآية متعلقة بالمسلمين، فمنهم من قال: بأن المقصود ب﴿أُولِي الأَمْرِ﴾ هم: العلماء من أهل الدين والقرآن، وهذا قول مجاهد وقول مالك –عليهما رحمة الله– وقول غير واحد من أهل العلم.

والقول الثاني: هم الأمراء لاسيما أمراء السرايا والبعوث الذين كان يرسلهم رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم– ويدل على الأول– أنهم هم العلماء علماء الدين– يدل على ذلك قول الله –عز وجل–: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٣، ٤٤] فالعالم يسأل عن الحكم في المسألة فإذا أخبر بالحكم مدعماً بالدليل كان قبول ما قال من شرع الله –عز وجل–، ومما يُدعِّمُ القول الثاني أن المقصود ب﴿وَأُولِي الأَمْرِ﴾ هم الأمراء، قول النبي –عليه الصلاة والسلام– في البخاري ومسلم: (إنما الطاعة في المعروف)، وفي البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر أن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: (السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإن أُمِرَ بمعصية فلا سمع ولا طاعة).

وفي مسلم عن أبي ذر –رضي الله تعالى عنه– قال: (أوصاني خليلي) يقصد النبي –عليه الصلاة والسلام– (أن أسمع وأطيع) أي: للأمير (وإن كان عبداً مُجدَّعَ الأطرافِ)، أي مقطع اليدين والرجلين.

وقيل: هم العلماء والأمراء معاً، أي هذا قول ثالث يشمل الصنفين معاً، وهذا اختيار القرطبي وابن كثير –عليهما رحمة الله–، وهناك قول جيد ذكره بعض المتأخيرن كالشوكاني في "فتح القدير" أنه قال: «المقصود ب﴿أُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ من ولي ولاية شرعية لا طاغوتية»، فبهذا المفهوم اتسعت معاني الولاية لتشمل الأب في بيته ومدير المدرسة في مدرسته وعميد الكلية في كليته، ورئيس الحي في حيه، فكل من ولي ولاية شرعية صارت طاعته طاعة لله إن كان آمراً بالمعروف.

وقال الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ في المسائل النجدية:« وأهل العلم متفقون على طاعة من تغلب عليهم في المعروف» أي: لو أن رجلاً تغلب على طائفة من الناس وَنَصَّب من نفسه أميراً أو ملكاً فيجب عليهم أن يطيعوه في المعروف، « يرون نفوذ أحكامه وصحة إمامته لا يختلف في ذلك اثنان ويرون» أي يرى أهل السنة «المنع من الخروج عليهم بالسيف» أي: لا يجوز أن يُخرج على حكام المسلمين الذين ثبت إسلامهم بالسيف،« وإن كان الأئمة فساقاً ما لم يروا كفراً بواحاً».

وأثر عن عمر –رضي الله تعالى عنه– كما أخرجه الدارمي وعن أبي الدرداء في معنى ما قاله عمر كما في "تهذيب تاريخ دمشق": (لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة ولا إمامة إلا بسمع وطاعة)، إذن: هذا كله يناسب قول المصنف –عليه رحمة الله– (والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم وعلمائهم).

وظيفة ولي الأمر كما قال الحسن البصري ونقله عنه ابن الجوزي في كتابه: "آداب الحسن البصري" وظيفة أولي الأمر كما قال: «هم يلون من أمورنا خمساً»، وولاة الأمر يقومون بخمس من الجمل، «الجمعة والجماعة والعيد والثغور»، المقصود بالثغور: أي الجهاد في سبيل الله، «وحماية ثغور المسلمين» والثغور: هي المداخل التي قد يدخل منها الأعداء فالقاهرة مثلاً ليست ثغراً، بينما دمياط والإسكندرية من ثغور الإسلام؛ لأن الأعداء قد يدخلون بلادنا عن طريق هذه المدن، فولاة الأمور يحفظون على المسلمين ثغورهم برصد الجيوش، وتأمين الحدود، والجهاد والدفع في سبيل الله، أيضاً مما يفعلون «إقامة الحدود»، وقال الحسن: «واللهِ لا يستقيم الدين إلا بهم وإن جاروا وظلموا» « لا يستقيم الدين» يقصد أي لا يكون الدين منتشراً قوياً مهاباً« إلا بهم بهؤلاء الأئمة وإن جاروا وظلموا» «والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون»، نعم قد يكون شارباً الخمر قد يكون زانياً، قد يكون باغياً، قد يكون قاتلاً، ولكن على يديه يتم الجهاد، على يديه تكون الجماعات على يديه تحمى الديار والبلاد، على يديه تصان الأعراض والأموال، على يديه ترفع الشريعة وتقام الحدود، فهذه كلها من جملة المصالح التي أفضل من جملة المساوئ التي يتلبس بها.

وقول المصنف ابن أبي زيد –عليه رحمة الله–: (والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم وعلمائهم) كأن الشيخ يميل إلى أن المقصود بولاة الأمور هم الأمراء، لماذا؟ كيف عرفنا ذلك؟ أنه قال: (وعلمائهم)، فعطف على ولاة الأمور العلماءَ، والعطف– كما يقول الأصوليون– يقتضي المغايرة، العطف يقتضي المغايرة، فما قبل الواو لا يكون من جنس ما بعد الواو، فلابد من طاعة هذين الصنفين: العلماء والأمراء.

ولابد أن نذكر منهج السلف مع الأمراء حتى وإن ظلموا، منهج السلف مع الأمراء وأقصد بذلك الأمراء المسلمين الذين يثبت لهم عقد الإسلام وإن ظلموا وإن جاروا هذا منهج رصين لابد للناس أن يفقهوه وأن يتأملوه:

الأمر الأول: التحذير من الخروج عليهم، المنهج: التحذير من الخروج عليهم، أخرج الإمام أحمد في مسنده: «أن أهل المدينة في سنة ثلاث وستين لما أرادوا الخروج على يزيد بن معاوية، بسبب شربه الخمر وودعه بعض الصلوات أرادوا الخروج عليه، فكلموا في ذلك عبد الله بن عمر –رضي الله تعالى عنه– فأبى عبد الله بن عمر

أن يشاركهم في خلع يزيد بن معاوية مع فسقه ومع فجوره، بل قال: جمع ابن عمر بنيه وأهله، ثم تشهد) قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال الخطبة أو مقدمة الخطبة ثم قال: (أما بعد، فإننا بايعنا هذا الرجل) يقصد بهذا الرجل هو من؟ الذي هو يزيد بن معاوية، (على بيع الله ورسوله) بايعناه على السمع والطاعة في طاعة الله ورسوله (وإني سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة يقال: هذا غدرة فلان) هذا في المسند.

وعند البخاري أن عبد الله بن عمر قال: «وإني لا أعلم أحداً يقول لأهله وأولاده وأتباعه وخدمه، وإني لا أعلم أحد منكم خلعه» أي خلع أمير المسلمين يزيد بن معاوية «ولا تابع في هذا الأمر» أي شجع على خلعه أو مشى في خلعه، «إلا كانت الفيصل بيني وبينه».

وأيضاً ممن لم يشارك في فتنة خلع الأمير يزيد بن معاوية محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بمحمد بن الحنفية –رضي الله تعالى عنه– وقصته في ذلك طويلة ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية، المجلد الثالث عشر فليراجعه من شاء.

وعندما نطوي أكثر من مائة سنة تقريباً لنصل إلى عهد الإمام أحمد بن حنبل –عليه رحمة الله– وبالتحديد في عهد الخليفة الواثق بالله العباسي الذي نشر مقولة خلق القرآن وكان البلاء في عهده أشد مما كان في عهد المأمون والمعتصم، فأراد فقهاء بغداد أن يخلعوا الخليفة الواثق بالله، وعند ذلك نهاهم الإمام أحمد مع أن القول بخلق القرآن كفر، أجمع أئمة أهل السنة على أن من قال بأن القرآن مخلوق فهو كافر، ومع ذلك نهاهم عن خلع هذا الإمام وقال لهم: وهذا الكلام ثابت قال لهم: «عليكم بالإنكار في قلوبكم، ولا تخلعوا يداً من طاعة، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم وانظروا في عاقبة أمركم» لابد أن الإنسان يتربص وينظر إلى مآلات الأمور وهذا هو الاتزان، «وانظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح بر ويستراح من فاجر».

وقال الإمام أحمد وهذا الأثر أيضاً نقله الخلال في كتابه العظيم: "السنة" قال: «ليس هذا » أي: الخروج على الحكم ومخالفة الحكام وخلع طاعة الحكام قال: «هذا خلاف الآثار» فالحاكم إذا ثبت إسلامه بيقين وإن ظلم وإن بغى تجب طاعته ولا يجوز أن يخرج عليه بل يجب أن نستبدل الخروج على الحكام ومخالفة الحكام المسلمين بطاعتهم وتوقيرهم، وليس هذا فحسب بل لابد من توقير العلماء مع الأمراء، إذن: صنفان لابد أن نربي الناس على توقيرهم وعلى احترامهم:

الصنف الأول: الأمراء المسلمون.

والصنف الثاني: العلماء الربانيون. اتباع السلف الصالح:

هذان الصنفان مهمان جداً، في بعض البلاد عندما تجرأ بعض الشباب على العلماء الكبار وغمزوهم وهمزوهم ما الذي حدث؟ انفرط الأمر في هذه الديار مع أن هذه الديار كان الأمر معقوداً عليها بالبر والخير لَمَّا كان الناس مجتمعين على علمائهم، فلابد للناس أن تجتمع على الأمراء المسلمين وأن تجتمع على العلماء الربانيين، فهذه مسألة مهمة جداً.

لو ضاع توقير العلماء والأمراء من نفوس الناس ضاع الشرع والأمن، من الذي سيقود الناس في القتال والحروب ويقيم الحدود ويحمي بيضة الإسلام والمسلمين وما إلى ذلك؟ الأمراء، من الذي يوجه الأمراء ويربط على قلوب العباد؟ ويربي الناس على الدين؟ إنما هم العلماء، فإذا تضعضعت مكانة الأمراء المسلمين والعلماء الربانيين في قلوب الأمة فإن الأمة يضيع منها الأمن كما يضيع منها الدين– والعياذ بالله–.

نقل القرطبي في تفسيره عن سهل بن عبد الله التستري –رحمه الله تعالى– أنه قال: «لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإن عظموا هذين» أي: السلطان والعلماء «أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإن استخفوا بهذين» أي بالأمراء والعلماء «أفسدوا دنياهم وأخراهم».

إذن: أول واجب من الواجبات: أن نطيعهم وألا نخرج عليهم ما كان عقد الإسلام قائماً، الأمر الثاني: وهو مهم جداً جداً جداً؛ لأن بعض الناس يبيح لنفسه الدعاء على الحكام وسب الحكام، الأمر الثاني: الدعاء لهم، الدعاء للحكام والنهي عن سبهم– ما شاء الله– مسألة مهمة جداً، بعض الناس يفرح عندما يقوم خطيباً ليسب ويتهكم و.. و.. إلى ذلك، هذه مسألة لابد أن نقف عندها؛ لأن سب الأمراء هذه نواة الفتنة، نواة الفتنة سب الأمراء، عندما نقرأ في كتب التاريخ نجد أن أول فتنة عظيمة ظهرت كانت مقتل عثمان بن عفان –رضي الله تعالى عنه– لما قتل عمر كان أمر المسلمين مجتمعاً فالفتنة الصلعاء التي كانت بداية الشر العظيم لهذه الأمة مقتل أمير المؤمنين عثمان، كيف قتل عثمان –رضي الله تعالى عنه–؟ في بداية الأمر هناك رجل يهودي استظهر أو تستر بالإسلام ويسمى بعبد الله بن سبأ، وهذا الرجل هناك كلام كثير حول شخصيته هذا الرجل ما الذي صنع؟ هو من يهود اليمن وأظهر الإسلام تنقل في بلاد المسلمين في الشام وفي مصر وفي الحجاز والعراق يدعو الناس إلى التألب ويدعوهم إلى الخروج على عثمان بن عفان وأخذ يتهم عثمان بن عفان بالخفة والطيش وعدم السداد وإضاعة الأموال وتقريب الأقارب ونحواً من ذلك حتى ألب قلوب الناس على من؟ على عثمان بن عفان ماذا كانت النتيجة؟ قام الناس وحاصروا دار عثمان –رضي الله تعالى عنه– وقتل عثمان بن عفان –رضي الله تعالى عنه– ، إذن: سب الأمراء المسلمين هذه بداية الفتنة، بداية الفتنة، بل هذا أصل الفساد، فإذا علمنا بأن الوسائل لها أحكام وأن من المقاصد الشرعية العظيمة الحفاظ على المصالح العامة المتمثلة في استتباب الخير والأمن والسلم في مجتمع المسلمين لعلمنا أن النهي عن سب الأمراء المسلمين سار ملمحاً شرعياً يميز أهل السنة عن غيرهم، وهذا الأصل الذي هو منع اللسان عن سب الحكام هذا أصل أصيل دل عليه الإسلام وأرشد إليه النبي –عليه الصلاة والسلام– من ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم أن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) إذا كان الحاكم في بلدة والساب في بلدة أخرى يا ترى هل سيصل هذ السباب لهذ الحاكم؟ هل سيستفيد الحاكم من هذا السباب شيئاً؟ لن يستفيد منه شيئاً. إذن: هذه كارثة عظمى لابد أن ننتبه إليها.

وفي البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري –رضي الله تعالى عنه– (أن الصحابة –رضي الله تعالى عنهم– قالوا: يا رسول الله أي الإسلام أفضل؟ قال بأبي هو وأمي –عليه الصلاة والسلام– من سلم المسلمون من لسانه ويده).

وعند البيهقي في الجامع لشعب الإيمان من طريق التابعي الجليل قيس بن وهب –رضي الله تعالى عنه– قال: (أمرنا أكابرنا من أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ألا نسب أمراءنا)، هذا نص خطير مهم جداً (أمرنا أكابرنا من أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ألا نسب أمراءنا).

وهذا التعظيم ليس لشخص الأمير وإنما هو تعظيم لمسؤولية الأمير، انتبه أنت تنام في بيتك ولكن هذا الأمير يسهر على راحتك وهذا الأمير يحمل هَمَّ الأمة، يحمل هم الفقير وهم المريض، هَمَّ الطريق المعوج الذي يريد أن يجعله مستقيماً، يحمل هَمَّ المنكوبين وهَمَّ المأسورين وهَمَّ الفقراء وهمَّ المحاويج، يحمل همَّ الإسلام هذا الأمير نعظمه لما يحمل من هَمَّ، نعظمه لما يحمل من مسؤوليات.

أخرج ابن عبد البر في التمهيد عن أبي إسحاق السبيعي –رضي الله تعالى عنه– قال:« ما سب قوم أميرهم إلا حرموا خيره» وأخرج ابن عساكر في "تاريخ دمشق" أن ابن المبارك قال: «من استخف بالعلماء»، أرجو أن تحفظوها، القول جميل جداً «من استخف بالعلماء ذهبت آخرته ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه ومن استخف

بالإخوان» أي: الأصحاب والخلان لا أقصد بالإخوان اتجاهاً معيناً «ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته» ولذلك كان منهج أهل السنة: الدعاء للحكام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –عليه رحمه الله–:« كان السلف كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: لو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان» وذكر الطحاوي في عقيدته التي تلقاها العلماء بالقبول قال في عقيدته: (ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا) أي: وإن ظلموا« ولا ندعو عليهم ولا ننزع يداً من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله – عز وجل– فريضة ما لم يأمروا بمعصية وندعو لهم بالصلاح والمعافاة».

بدل أن نقول: اللهم انتقم منه،م اللهم شتت شملهم، اللهم خرب ديارهم، اللهم هدم حصونهم. نقول: اللهم اهدهم، اللهم أصلحهم، اللهم اهد قلوبهم، اللهم ارفق بهم، اللهم اجعلهم رفقاء على رعيتهم. فهذا كله من جملة ما ندعو به لأمراء المسلمين. إذن: هذا هو الأصل الثاني من منهج أهل السنة في التعامل مع الحكام.

المنهج أو النقطة الثالثة من هذا المنهج الرشيد: نصيحتهم والتماس العذر لهم لا نلتمس الأخطاء لهم وإنما نتلمس المعاذير لهم مع النصحية لهم وأصل هذا الأمر قول النبي –عليه الصلاة والسلام–: (الدين النصحية قالها ثلاثاً قلنا: لمن يارسول الله قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) وقال النبي –عليه الصلاة والسلام– في الحديث الصحيح: (ثلاث خصال لا يغل عليهم قلب امرئ مسلم) لا يغل عليهن أي يكن طهارة لقبله من الغل فلا يجتمع القلب على الغل إذا حقق هذه الخصال الثلاثة (إخلاص العمل لله –عز وجل– ومناصحة أولى الأمر، ولزوم الجماعة) والمقصود بالجماعة: الدين أن تلزم الدين فلا تبتدع.

وأيضاً في الحديث الصحيح أن عبادة بن الصامت –رضي الله تعالى عنه– (بايع النبي –عليه الصلاة والسلام– على السمع والطاعة، وألا ينازع الأمر أهله ثم قال: والنصح لكل مسلم) إذن: النصح لابد أن يكون لكل مسلم، والحاكم إذا ثبت إسلامه بيقين يجب أن تنصحه، فنحن ننصحهم ونتلمس العذر فيما يقومون به ما استطعنا إلى ذلك من سبيل ما لم يكن ما يفعلونه خطأً واضحاً لا مرية فيه ولا شك.

وهذه النصيحة لابد أن تكون في صورتين:

الصورة الأولى: الرفق.

والصورة الثانية: السر أو الإسرار.

إذن: لابد أن تكون النصيحة سراً إما في كتاب يدفع إليهم وإما أن يختلى بهم وإما أن تبلغ النصيحة لمن يبلغهم هذه النصيحة هذه كلها سبل وأن تكون النصيحة بالرفق دون تغليظ ودون تعنيف.

لما وقعت الفتنة في زمن عثمان –رضي الله تعالى عنه– قال بعض الناس لأسامة بن زيد –رضي الله تعالى عنهما–: ألا تنكر على عثمان؟ قال: أأنكر عليه عند الناس؟ لكن أنكر عليه بيني وبينه ولا أفتح باب شر على الناس. قال الشوكاني في "السيل الجرار" في المجلد الرابع: «ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن يناصحه ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد بل يأخذ بيده ويخلو به ويبذل له النصحية».

ومما يدل على هذ الأصل ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث سعد بن أبي وقاص –رضي الله تعالى عنه– (أن النبي –صلى الله عليه وسلم– أعطى قوماً أو أعطى رهطاً ولم يعط رجلاً منهم وهو أعجبهم إليه) يعني: هذا الرجل الذي لم يعطه النبي –عليه الصلاة والسلام– كان من أعجب الناس إليه –رضي الله تعالى عنه– قال: (

فقمت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فساررته) أي: حدثه سراً (فقلت: يا رسول الله أعطيت فلاناً ولم تعط فلاناً وهو مؤمن، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام- أو مسلم؟ ثم سكت وسكت ثم قلت: يا رسول الله أعطيت فلاناً ولم تعط فلاناً وهو مؤمن، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: أو مسلم؟! ثم قال النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك إني لأعطي المرء وغيره أعجب إلي منه خشية أن يكب على وجهه في النار).

قال الإمام النووي في تعليقه على هذا الحديث: فيه التأدب مع الكبار وأنهم يسارون بما كان من باب التذكير لهم والتنبيه ونحوه ولا يجاهرون، تصوَّر لو أن والدك أخطأ خطأ هل تنصح والدك بينك وبينه أم تنصحه على ملأ من الناس وتشدد وتفجج العبارة على ملأ من الناس إذا كنت بالفعل تريد الخير فحاول أن تكون النصيحة بالطريقة الفضلى لعل الله تعالى أن ينفع بنصيحتك، إذن هذه النقطة الأولى في قول بن أبي زيد القيرواني (والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم وعلمائهم).

النقطة الثانية وهي الفقرة الثانية: قال أبي زيد (واتباع السلف الصالح واقتفاء آثارهم والاستغفار لهم) أثنى الله- تعالى- على المهاجرين والأنصار وذلك في سورة الحشر الذين هاجروا وتركوا أموالهم وديارهم في سبيل الله والأنصار الذين تبوؤوا الدار والإيمان وكانوا قدوة عالية في البذل والإيثار -رضي الله تعالى عن المهاجرين والأنصار- قال الله -تعالى- بعد ذلك: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وفي صحيح مسلم أن عائشة -رضي الله تعالى عنها- قالت فيمن سب بعض بعضاً من صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- (أمروا أن يستغفروا لأصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- فسبوهم) إذن: نحن مأمورون أن نترضى وأن نذكر أصحاب النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- بكل خير ففي عنق كل واحد من المسلمين شيء عظيم لابد أن يبذله لهؤلاء النفر من صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (أمروا أن يستغفروا لأصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- فسبوهم) كأنها تنكر على من سب صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

روى الدارمي عن ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه- قال: (تعلموا العلم قبل أن يقبض وقبضه أن يذهب أهله) أي أن يموت أهله فلا تجدونه (ألا وإياكم والتنطع والتعمق والبدع وعليكم بالعتيق) الإنسان لا ينبغي أن ينقر فيما ليس وراءه طائل لا ينبغي للإنسان أن يبحث في المسائل النظرية التي لا يترتب عليها علم ولا عمل ولا اعتقاد ولا شيء من ذلك بل عليه أن يبحث عما يصلح له وأن يجمع قبله على الذي يستفيده لكن أن يضيع وقته في ذلك فهذا لا يجوز وإذا أراد أن يأخذ فعليه بالعتيق. والعتيق: ما كان عليه السلف -رضي الله تعالى عنهم جميعاً- روى بن عبد البر في كتابه القيم جداً جامع بيان العلم وفضله أن عبد الله بن مسعود -رضي الله تعالى عنه- قال: (من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً وأقومها هدياً وأحسنها حالاً قوماً اخترهم الله- تعالى- لصحبة نبيه -صلى الله عليه وسلم- فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم) إذن: اتباع السلف الصالح -رضي الله تعالى عنهم جميعاً-.

النهي عن المراء والجدال:

قال الإمام بن أبي زيد- عليه رحمة الله-: (وترك المراء والجدال في الدين وترك ما أحدثه المحدثون) أي: المبتدعون. المراء: المخالفة والتأبي عند الحوار عندما يتحاور اثنان أو يتناقض اثنان كل منهما يخالف الآخر يتأبى عليه لا يريد أن يلين له أو ينزل على كلامه وقد يصاحب المراء الشك قال الله- تبارك وتعالى-: ﴿أَلاَ إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨] وقال- تعالى-: ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة:

١٤٧] الجدال هي شدة المخاصمة في الكلام والمجادل غالباً لا يكون معه دليل والمجادل يقصد من جداله إفحام المتحدث أو الغلبة عليه هذا هو الجدال الذي نهى الله- تبارك وتعالى- عنه.

نعم الجدال صار بعد ذلك علماً له قواعد وله أسس وله ضوابط تضبط مسائل النقاش والاستدلال ولكن الجدال بهذا المفهوم الذي يقصد به الغلبة بغير وجه الحق ذمه الله- تعالى- كما ذمه النبي -صلى الله عليه وسلم- قال الله- تعالى-: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾﴾ [الحج: ٣] وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾﴾ [الحج: ٨] وفي الترمذي وهو حديث صحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم تلا قول الله- تعالى-: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[الزخرف: ٥٨]) ونرى تطبيقياً أن النبي -عليه الصلاة والسلام- (خرج يوماً على رجلين يختلفان في آية ويتنازعان في آية فخرج النبي -صلى الله عليه وسلم- وعرف في وجهه الغضب فقال: إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب).

وعند ابن ماجة وهو حديث صحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا تعلَّموا العلم) أي (لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا لتخيروا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار) أي من طلب العلم كي يماري غيره ويجادل غيره ويدفع غيره ليبطله ويقطعه فهذا يبشر بالنار- والعياذ بالله- وعند ابن عبد البر في كتابه القيم جامع بيان العلم وفضله أن عمر بن عبد العزيز قال: «من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل وحظه من العلم قليل وهو مجادل عنيف» مجادل عنيد أكثر التنقل تارة يكون هنا ثم بعد ذلك هناك وهناك وهنا أكثر التنقل- والعياذ بالله-.

وفي كتاب جامع العلم وفضله عن الإمام مالك -رحمه الله تعالى-« المراء يقسي القلب ويورث الضغن» الضغن: الغل والكره والحقد- والعياذ بالله-.

أما إذا كان الجدال من أجل إظهار الحق فلا بأس قال الله- تبارك وتعالى-: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]

وكذلك بالنسبة للابتداع نهى الله- تبارك وتعالى- عن الابتداع ونهى النبي -عليه الصلاة والسلام- عن الابتداع في الدين قال الله- تبارك وتعالى-: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وقال الله- تبارك وتعالى-: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣] وقال النبي -عليه الصلاة والسلام- والحديث مخرج في البخاري وفي مسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) و(رد) على وزن فعل بمعنى مفعول أي: مردود وفي مسلم من حديث جابر المشهور أن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يقول في المناسبات العامة (أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله- تبارك وتعالى- وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم- وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة) وفي غير مسلم (وكل ضلالة في النار) والبدعة خطرها عظيم وهي دلالة على الجهل والبدعة تتأثل وتتأصل في مجتمعات الجهل قال النبي -عليه الصلاة والسلام- وهذا الحديث أخرجه الطبراني بإسناد حسن: (إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يتوب) أي حتى يدع بدعته- والعياذ بالله- وقال الإمام مالك:«من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة» لأن الله- عز وجل- قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] فمن لم يكن يومئذ ديناً فمتى يكون اليوم ديناً؟!!.

وقال أبو عثمان النيسابوري:« من أمَّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ومن أمَّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة» ونختم بهذه الأبيات الجميلة التي قالها أبو عبد الله عبد الله بن أبي داود السجستاني:

تمسك بحبل الله واتبع الهدى *** ولا تك بدعياً لعـــــــلك تفلح

ودِنْ بكتاب الله والســـنن التي *** أتت عن رسول الله تنجو وتربح

وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعلى آله وأزواجه وذريته وسلم تسليماً كثراً والحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

العقيدة – المستوى الثالث
الشيخ/ أ.د. ناصر بن عبد الكريم العقل

الدرس الأول
مقدمات وقواعد في العقيدة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أيها الإخوة المشاهدون السلام عليكم ورحمه الله وبركاته وأهلاً وسهلاً بكم في أكاديميتكم الأكاديمية المفتوحة، هذه الأكاديمية المباركة، أيها الإخوة المشاهدون يسعدنا في هذه الحلقة والحلقات القادمة بإذن الله – سبحانه وتعالى– أن يكون معنا شارحاً لهذا المتن ومحركاً لما فيه من إبهام فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل، أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فأهلاً وسهلاً بكم.

حياكم الله والمشاهدين، بارك الله فيك.

مدخل في أهمية العقيدة في حياة طالب العلم:

فإن السلف الصالح يسمون العقيدة الفقه الأكبر، وله أهمية حقيقة جداً، لكن نرى بعض الناس يعزفون –تقريباً من طلبة العلم وغيرهم– عن أهمية العقيدة في حياة الناس، وأهميتها حتى في أنفسنا وإن كنا متعلمين لهذا الجانب، مدخل بسيط على هذا الأمر، وندخل بعده في النقاط التالية.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

في الحقيقة أن أهمية العقيدة تتضح من مفهومها بشكل أكبر، وهذا ما سنوضحه بعد قليل، لكن في الجملة وبما أنك بدأت بهذا السؤال المهم العقيدة هي الدين، فمن هنا أهمية العقيدة ترجع إلى أهمية الدين، وأهمية الدين معلومة، الدين هو القيمة الحقيقية الأساسية للفرد، للإنسان، في الدنيا والآخرة، الإنسان بلا دين حق، الإنسان بلا دين يكون على نهج سليم، لا قيمة له.

الله –عز وجل– يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، ولا يمكن أن تتحقق العبادة الحقة إلا بالعقيدة السليمة، لا من حيث فقط منهج العبادة الشرعي، بل حتى من حيث الاعتقاد ابتداءً بالله – عز وجل–، وبأصول الإيمان الأخرى، والاعتقاد بالغيبيات، والاعتقاد بمنهاج الدين جملة وتفصيلاً على قدر مدارك الإنسان، فالإنسان إذا صحت عقيدته صح دينه، وإذا صح دينه صحت صلته بالله –عز وجل–، وإذا وصل إلى هذه الدرجة حقق السعادة المنشودة التي هي السعادة الأعظم في الدنيا والآخرة، ولا سبيل إلى تحقيق هذه السعادة الدائمة إلا بسلامة العقيدة.

فضيلة الشيخ بالنسبة لمفهوم العقيدة وما يرادفها لكم في هذا كلام؟ تفضل يا شيخ.

نعم أحسنت، أيضاً هذا الأمر يعني مهم جداً –أي مفهوم العقيدة– لعدة أسباب لعل أهمها اختلال مفهوم العقيدة عند كثير من الناس، بل عند كثير من المسلمين، بل ربما لا أبالغ إذا قلت: عند بعض طلبة العلم، فكيف بغيرهم؟!

فعلى هذا لابد من أن أشير بإيجاز إلى مفهوم العقيدة وما يرادفها.

العقيدة مأخوذة كما هو يعني مصدرها في اللغة من "العقد" وهو الشد والربط بقوة وإحكام، فكل أمر ذي بال، يسمى عقيدة، ولذلك تسمى العهود والمواثيق تسمى "عقد" فإجراء النكاح يسمى عقد، وإجراء البيع يسمى عقد، وهنا من باب أولى أيضاً من بين العبد وربه، فما بين العبد وربه من الأمور التي يجب أن يتصورها ويؤمن بها تسمى عقيدة.

ومن هنا نفهم أيضاً المفهوم الاصطلاحي. فالعقيدة: هو الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه الشك لدى معتقده، هذا على جهة العموم.

أما العقيدة الإسلامية: فهي الاعتقاد الجازم بأركان الإيمان وأصول الدين وثوابته وكل ما ثبت عن الله –تعالى– وعن رسوله –صلى الله عليه وسلم– من أمور القلبية والعلمية، والقولية، وأيضاً مناهج الحياة، كل هذه الأصول ثوابتها ومسلماتها في الدين تسمى عقيدة، ويشمل ذلك جانب التعامل مع الآخرين، وهذه نقطة مهمة، التنويه عنها مهم جداً؛ لأن كثير من الذين يتناولون أمر العقيدة يغفلون أو ربما يذهلون عن أن ثمرة العقيدة هي التعامل الظاهر.

يحجمون هذا المفهوم الشامل، ليجعلوه فقط في مسائل الإيمان أو الجهاد.

أو بعض المسائل العلمية، ثم ينسون الثمرة للعقيدة، وهي جزء من العقيدة وهي نهج التعامل، تعامل الإنسان أولاً مع ربه –عز وجل–، التعامل مع حقوق الرسول –صلى الله عليه وسلم–، في حقوق المؤمنين والمسلمين من عهد الصحابة إلى يومنا هذا، ثم في حقوق الخلق، أيضاً التعامل مع الحياة، الذي هو منهاج حياة المسلم، له ثوابت ومسلمات هي جزء أساس من العقيدة، وهي الثمرة العملية، تصبح العقيدة دعوة، ما لم يكن لها واقع وثمرة، وهو التطبيق العملي، وهذا داخل في العقيدة، وربما يكون أجمع هذا مسمى الأخلاق.

أيضاً العقيدة –تتميماً لسؤالك– العقيدة يرادفها إطلاقات لأن هذا مصطلح، إطلاقات شرعية صحيحة، العقيدة هي تأتي بمفهوم الإيمان، بمعناه الشامل، الإسلام بمعناه الشامل، أصول الدين بمعناه الشامل، كذلك التوحيد، وإن كان التوحيد أصلاً جزء من العقيدة لكن نظراً لأن التوحيد والمقصود به توحيد الله –عز وجل– بأسمائه وصفاته، توحيد الله بالعبادة، نظراً لأن هذا أسمى وأجل موضوعات العقيدة، سميت به العقيدة، فجميع أصول العقيدة ترجع إلى التوحيد، فمن هنا من مسماه من إطلاقات العقيدة التوحيد.

أيضاً اصطلح بعض السلف على تسمية العقيدة بالفقه الأكبر؛ لأن الفقه في الدين يشمل الجانب العلمي والعملي الاعتقادي –قصدي– الجانب العلمي والعملي.

فعلى هذا فإن الدين يمكن تقسيمه اصطلاحاً إلى فقهين:

الفقه الأكبر: فقه الثوابت والمسلمات، فقه القواعد والقواطع، وهذا العقيدة.

والفقه الثاني: وهو التطبيقات الأحكام.

ولا يعني ذلك التفريق في الأهمية، لكن هذا التفريق علمي اصطلاحي، فمن هنا سميت العقيدة الفقه الأكبر؛ لأنها القواعد التي ينطلق منها الدين وهي قسيمة الفقه الآخر وهو الفقه في الأحكام، ونحو ذلك من المسميات لكن هذه هي الأشهر.

كما أنه أيضاً لا أنسى أن السلف غالباً في القرون الأولى، وإلى وقت قريب كانوا يطلقون على العقيدة: السنة لأنها المقصود.

ولهم مؤلفات في ذلك

نعم. كتب كثيرة:

كالسنة للإمام أحمد.

السنة للإمام أحمد، وشرح السنة اللالكائي، والسنة لابن أبي عاصم إلى آخره، يعني كتب السلف الكبيرة الموسوعية في العقيدة غالبها يسمى السنة، ويقصدون بهذا السنة بمعنى الحديث فقط، يقصدون نهج النبي –صلى الله عليه وسلم– في الدين.

ونهج النبي –صلى الله عليه وسلم– في الدين الذي هو السنة يشمل العقيدة والأحكام.

هذه أهم المسميات والإطلاقات.

هذه المترادفات يا شيخ، نستطيع أن نقول: أنها تحوي معنى واحد، ولا مشاحة في الاصطلاح؟.

نعم صحيح، هي مضامينها واحدة، بل هي مترادفة.

البعض يفرق بين التوحيد وبين العقيدة كمنهج دراسة، حيث أن كلاً من العقيدة –مثلاً العقيدة الواسطية وغيرها– والتوحيد –وكتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب– تشمل مسمى واحد فيخلطون بين ذلك؟.

هذا الخلط ناتج عن أنهم ظنوا أن مسمى التوحيد مقصور على جانب التوحيد في العقيدة الذي هو توحيد الله –عز وجل– بالعبادة بأسمائه وصفاته وأفعاله وبالعبادة، فظنوا أن هذا هو مسمى التوحيد، لكن ومع ذلك أظن بين هذه العبارات وجوه اختلاف ووجوه اتفاق من حيث الإطلاق اللغوي، ومن حيث أيضاً المسمى أحياناً، لكن موضوعها واحد، لكن قد يكون بعضها أشمل من بعض، كوننا نطلق على العقيدة السنة، هذا أشمل من أن نطلق عليها التوحيد، كوننا نطلق عليها الفقه الأكبر، أو أصول الدين أيضاً أشمل من أن نطلق عليها التوحيد، فالمسألة ترجع إلى مقصد الذي أطلق إذا لم ينكر المصطلح الآخر، وهذا كثير في العبارات، مثل ما نعبر عن الدين بالإيمان، والإسلام، والإحسان، وهي مراتب للدين لكن أحياناً إذا أطلقنا المفرد على الواحدة شملت الدين كله.

موضوعات العقيدة

يمكن أن نعطيها وصف مختصر على لغة المعاصرين من حيث الإجمال ولا يضر هذا، كأن نقول مثلاً: هي ثوابت الدين، قطعيات الدين ومسلماته، ويشمل ذلك –أي موضوع العقيدة– إذا قلنا أنها الثوابت والمسلمات والقطعيات.

أما من حيث التفصيل: نجد أن هذه الثوابت والمسلمات والقطعيات التي هي موضوع العقيدة تشمل الجانب القلبي العقدي، والجانب العلمي والجانب العملي، والجانب المنهجي، الذي يرسم منهاج الحياة لدى المسلم، فيشمل ذلك من جانب آخر الاعتقاد وقطعيات الأحكام، كلها داخلة في موضوع العقدي.

العقيدة موضوع أساسي، بل أيضاً أصول الأخلاق تدخل في قطعيات الدين، وفي موضوع العقيدة؛ لأن أصول الأخلاق تعتبر من الثوابت التي ليس فقط حبذها الدين بل جعلها من أساسيات حياة المسلم الفرد المسلم والجماعة، فمثلاً الصدق الأمانة الوفاء بالعهد، كل هذه وعليها تقيس هذه من ثوابت الدين عندنا وهي أصول الأخلاق، فهي تدخل في موضوع العقيدة؛ ولذلك نجد علماء السلف في كتب العقائد سواءً كانت المختصرة أو حتى الموسعة، نجد أنهم يفردون لجانب التعامل والأخلاق ضمن كتب العقيدة أبواب.

وكذلك يدخل في موضوع العقيدة المواقف، مواقف المسلم كفرد أو الأمة المسلمة كجماعة، أو كدول ومؤسسات وهيئات، مواقف المسلم ومواقف المسلمين تجاه بعضهم وتجاه الآخرين أيضاً هذه لها قواعد في العقيدة تدخل في صميم موضوع العقيدة.

أيضاً المواقف تجاه كل شيء، الدين رسم لنا –الإسلام رسم لنا– قواعد وثوابت في المواقف ليس فقط مواقف الناس تجاه ربهم –عز وجل–، وتجاه الأنبياء وتجاه الدين وتجاه بعضهم البعض، بل حتى تجاه الحياة بما فيها، تجاه الأحياء، وتجاه أيضاً الكون، عوالم الكون، الإسلام رسم في التعامل معه قواعد، هي ثوابت داخلة في العقيدة ممكن نسميها المواقف، ولذلك المسلم والأمة المسلمة تجاه الأشياء تجاه الأشخاص وتجاه الأشياء وتجاه الأمم وتجاه كل شيء، لابد يكون لهم موقف قبول أو رد، بينما إذا اقتضى الأمر، هذه المواقف هي عبارة عن قواعد وثوابت وأساسيات رسمها الإسلام تدخل في موضع العقيدة وهي من الأمور التي تحتاج إلى الاستجلاء في هذا الوقت والعصر، لأن كثير منها خفي على المتأخرين، الذين اختلطت عليهم منابع الثقافة..

نعم.

يقول البعض أن النصوص الشرعية أغلبها ظنية فكيف نمزج بين هذه الثوابت كونها ثوابت بنصوص قطعية لا يمكن التنازل عنها، وبين كونها ظنية كما يقولون؟.

أولاً: نصوص الدين التي تنبني عليها قطعيات والأصول والقواعد والثوابت والمسلمات ليست نصوص ظنية، يعني بمعنى أن الدين يقوم على قطعيات، لكن هذه القطعيات ترجع إلى منهج الاستدلال، كثيراً من الذين اختلت عندهم هذه القطعيات، وأشكل عليهم موضوع وجود بعض النصوص الظنية كثير منهم يعني وقعوا في الخلل في منهج الاستدلال، الأدلة على نوعين: منها يقيني، ومنها ظني.

فالظني: لا يمكن أن يكون مصدر لثوابت الدين، إلا إذا انضم إليه نص آخر يجعله قطعي، أو إذا انضم إليه قاعدة شرعية محكمة ترجع إلى نص أو نصوص، أو إن ضم إليها الإجماع، تعطيها القطعية.

النص الظني إذا انضاف إليه ما يعطيه القطعية صار قطعي، لكن ومع ذلك هناك نصوص ظنية ليست هي من مصادر العقيدة، والعقيدة ليس فيها ما يُبنى على ظني.

العقيدة تُبنى إما على نص قطعي أو مجموعة نصوص اكتسبت القطعية من مجموعها، أو على قاعدة شرعية ثابتة أو على الإجماع.

والقاعدة الشرعية التي اعتبرناها قطعية في ثوابت الدين إما أن ترجع إلى نص، أو ترجع إلى عدة نصوص، أو ترجع إلى فهم السلف الذي هو حجة، فهم الصحابة لبعض النصوص الظنية، ففهومهم –الصحابة والسلف– لبعض النصوص وتطبيقهم لها، وإجماعهم على ذلك مثلاً أعطاها صفة القطعية.

إذن أعود وأقول ليكون الأمر بيّن: العقيدة لا تنبني إلا على قطعيات، وما بقي من النصوص الشرعية فهو ظني يدخل في الاجتهاد، ولا يدخل في القطعيات، ولا يدخل في العقيدة، سواء كان ظنية الدلالة أو مبنية على عدم صحة أو عدم ثبوت السند أو نحو ذلك.

تسمح لي يا أخي الكريم في استكمال نقطة تتعلق بالسؤال الذي قبل الأخير وهو: موضوعات العقيدة، موضوعات علم العقيدة، هناك مفردات في موضوعات علم العقيدة التنويه عنها مهم، لأنه سندرسها -إن شاء الله- تفصيلاً في الكتاب الذي سندرسه، وهو "لمعة الاعتقاد" وأظن أننا نسينا أن ننوه للإخوة المشاهدين والمستمعين عن هذا، نحن سندرس -إن شاء الله- من خلال الحلقات القادمة كتاب "لمعة الاعتقاد" لابن قدامة المقدسي، وسنعرف بالكتاب والمؤلف -إن شاء الله- لعله في حلقة قادمة إذا ما اتسع الوقت في هذه الحلقة.

إذن أعود وأقول: الأمور التي ذكرتها في موضوعات العقيدة تشمل مفردات معينة هي أساسيات، أول ذلك وأهمه: التوحيد، أي ما يتعلق بالله -عز وجل-، بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وحقوقه -سبحانه-.

التصورات والمعلومات عن الله -عز وجل- التي هي توحيد الأسماء والصفات الربوبية التي نتلقاها من النصوص هذه أول مباني العقيدة ثم يتبعها بالضرورة توحيد العبادة.

إذا كانت العقيدة تفرض علينا أن نعرف الله -عز وجل- بذاته وأسماءه وصفاته، فلابد أن نعرف المنهج الذي يوصلنا إليه -سبحانه- وهذا يسمى توحيد العبادة، وعلى هذا فإن أول مباني العقيدة أنواع التوحيد الثلاثة -وهذا تقسيم اصطلاحي-: توحيد الربوبية، توحيد الأسماء والصفات وبينهما تداخل كبير، وتوحيد الإلوهية الذي هو توحيد العبادة.

ثم أيضاً يدخل في مفردات العقيدة بالضرورة حقوق الرسول -صلى الله عليه وسلم- خصائصه وحقوقه، ثم حقوق الصحابة تبعاً لحقوق النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن حقوق الصحابة كما أن الله أفرد لهم حقوقاً إلا أن أهم من ذلك كله أن حقوق الصحابة وأمهات المؤمنين وحقوق كل ما يحبه الرسول -صلى الله عليه وسلم- من الأشخاص والأشياء هي ضمن حقوق النبي -صلى الله عليه وسلم- فمن قضايا العقيدة المهمة ربط هذه الحقوق بعضها ببعض، ثم حقوق السلف الصالح، أعلام الأمة هذه أيضاً من أساسيات العقيدة، يدخل في العقيدة أركان الدين والقطعيات والغيبيات وأركان الدين الستة، أركان الإسلام أيضاً من الغيبيات الكبرى التي نوه عنها الشرع وأفردت بنصوص أكثر من غيرها في موضوع الشفاعة والرؤية، وموضوعات الإمامة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك منهج التعامل كما قلت مع الآخرين هذا دائماً يكون في الختام أو السياج العملي والثمرة للعقيدة في حياة المسلم، هذه الموضوعات يندرج تحتها أيضاً مئات المفردات التي تعتبر قطعيات أيضاً، عندما نقول: هذه أصول العقيدة، لا يعني أننا نحصر أصول العقدية فيها بل كل أصل من هذه الأصول التي أعددتها وربما تركت.

يندرج تحتها قطعيات ثانية، وهكذ.

أي نعم، وربما تركت البعض اختصاراً للوقت، يندرج تحتها مئات الأصول والثوابت.

نريد أن ننوه على نقطة مهمة في الموضوعات ربما تكون لي أنا والمشاهد الكريم- مسألة الموضوعات التي دخلت في العقيدة، هل هي دخلت مع التاريخ فرق ولا المذاهب التي بدأت تهدم في أركان العقيدة في الأمة الإسلامية ثم أنتجت هذه المؤلفات والكتب؟ إشارة سريعة.

يعني قصدك أيوجد إضافات أدخلت في العقيدة؟

نعم، أضيفت وأدخلت بسبب هؤلاء الذين دخلوا على العقيدة الإسلامية؟.

هذه يسمونها ردود أفعال، سنتكلم عنها.

نعم هذه مسألة من الأهمية بمكان، وأنه ظهرت دعاوى من بعض الجاهلين، ومن بعض أهل الأهواء والبدع والافتراق أو الذين -مع الأسف- أوقعوا أنفسهم وأمتهم ودينهم في حرج حينما تطاولوا على أمور الشرع من غير أهلية ولا جدارة، بمجرد أن يكون الواحد منهم مثقف بزعمه يظن أنه أصبح من أهل الاختصاص في العقيدة والدين، فكثر الكلام والخلط والخبط والتجاوز والجرأة على ثوابت الدين، ومن ذلك ما ذكرته أنهم ادعوا أنه مع الزمن أضيفت قضايا أدخلت في العقيدة وليست منها، وأن هذه القضايا إما ردود أفعال وإما نتيجة أحداث معينة، وإما أحياناً مداهنة لبعض الدول أو الأمراء أو نحو ذلك، كل هذه في الحقيقة نوع من الظلم والبهتان، بل هي عين الظلم والبهتان.

كمثال: التيارات التي قامت في العصر الحديث أدخلت ضمن العقيدة كذلك للرد عليها، كالقومية وغير ذلك؟.

فرق بين إدخال موضوعات ضمن مادة العقيدة كمادة تدرس في الجامعات وبين إدخال قضايا على أنها من العقيدة التي تُعتقد، فرق بين هذا وذاك، لا فرق بين هذا وذاك، إذن دعني أستكمل بإيجاز النقطة الأولى.

أقول: أن هناك قواعد من ضمن العقيدة لا يمكن أن تتغير مصطلحاتها ولا مفاهيمها من عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى قيام الساعة، هذا نوع من قواعد العقيدة، هناك قواعد أخرى هي عبارة عن قواعد مرجعية، قواعد وثوابت مرجعية ترجع إليها الأمة عند النوازل، والمصطلحات المحدثة والمواقف المحدثة، إرجاع هذه النوازل والقواعد والأحداث الجديدة إلى قواعدها، أحياناً تلتبس على بعض الناس وكأنها أضيفت إلى العقيدة، هذا شيء.

الشيء الآخر: ثوابت العقيدة من حيث مفرداتها لا تتناهى، فهي تتدرج الصغيرة فيها مع الكبيرة، أو الجزئية مع الكلية، هذه القواعد أو الجزئية خاصة أحياناً لا يكون هناك مبرر للتنويه عنها، وإعطائها حجم كبير إلا عندما يخالفها الأهواء والبدع والافتراق، فإذا خالفوا أصلاً من الأصول نوه عنه في كتب العقيدة لتحذير الأمة من البدعة، وحماية من بقي على السنة، وهذا له أمثلة كثيرة جداً، يعني مثلاً ما يتعلق ببعض المسائل الفقهية التي ترجع إلى نصوص قطعية، أدخلها العلماء في العقيدة لماذا؟ لأنها خولفت من قِبَل أهل الأهواء، وهي أصلاً فقهية من حيث المخرج، لكن نظراً لأن النص قطعي، أدخلت في كتب العقيدة، تحذيراً من البدع التي وقعت فيها، وحماية الأمة، مثل المسح على الخفين، أصل هذه من الأحكام، من الأحكام الفقهية أليس كذلك؟ من الأحكام الفقهية، لماذا أدخلت في كتب العقيدة؟ لأنه وجد من أهل الأهواء والبدع من أنكر النص القطعي في المسح على الخفين، بل هناك من أنكر أو من ادعى أنه يكفي في الوضوء مسح الرجلين بدل غسلها، وهذا خلاف للإجماع، فلما خالف الإجماع وخالف النصوص أدخل في العقيدة؛ لأنه خالف أصلاً في العقيدة وهو أن كل من أنكر نصاً قطعياً فقد وقع في البدعة أو الكفر، فمن هنا نجد أنه في كل القضايا التي أدخلها السلف في مسائل العقيدة من القطعيات أدخلوها للمناسبة أو لسبب جعلهم ينوهون عنها دون غيرها، وهو وجود ما يبرر ذلك.. نعم.

نحن الآن ندخل كمقدمة للعقيدة -إن شاء الله- بإذن الله -سبحانه وتعالى- نعد المشاهدين الكرام أن يكون بداية شرح لهذا الكتاب في الحلقات القادمة، وهذه مقدمات جميلة من قبلكم فضيلة الشيخ، بالنسبة الآن المصادر من الأهمية بمكان، وأشرنا إلى بعض الإشارات من حيث الثوابت والقطعيات، فتفضل يا شيخ تبين لنا هذه النقطة؟

تقصد مصادر العقيدة؟

نعم مصادر العقيدة.

نعم أحسنت.

مصادر العقيدة هي مصادر الدين أولاً، لا فرق بين أن نقول مصادر العقيدة أو مصادر الدين، لكن أحياناً تختلط عند الناس أو عند كثيرين، مسألة المصادر ومسألة الوسائل، فمثلاً بعض الوسائل لفهم الدين تعتبر عند البعض أو عند الذين لا يفهمون المصطلحات الشرعية بدقة يعتبرونها مصادر، وهي وسائل مثل العقل السليم.

العقل وسيلة لكنه ليس بمصدر، ومثل القياس، ومثل استعمال العلوم مثل العلوم التجريبية في الحقيقة أنها وسائل مؤيدات للدين.

الثوابت العلمية التجريبية لا يمكن أن تعارض الدين، بل غالباً إذا وجدت من يستثمرها استثمار شرعي صحيح الأصل في كل العلوم التجريبية الثابتة أياً كان نوعها أنها مؤيدة ووسيلة لفهم الدين وتحقيقه، فبعض الناس يخلط بين الوسائل وبين المصادر.

فمن هنا نقول: إذن مصادر العقيدة هي مصادر الدين عقيدةً وفقهاً وهي الكتاب والسنة، القرآن والسنة، وليس هناك مصادر غير ذلك، لكن بعض العلماء يذكر مصدر ثالث، من يتذكر؟ يقولون الكتاب والسنة؟ وماذا درستم؟

الإجماع.

أحسنت.

الإجماع، هل هو مصدر مستقل؟ لا ليس مصدر مستقل، الإجماع عبارة عن حصيلة فهم النصوص، حصيلة فهم النصوص، أحياناً ينبني الإجماع على نص، وأحياناً ينبني على مجموعة نصوص، أحياناً ينبني الإجماع على قاعدة أو قواعد أخذت من نصوص أحياناً ينبني الإجماع على فهوم صحيحة سليمة من قِبَل الراسخين في العلم من النصوص، فعلى هذا الإجماع قد يعتبر مصدر ثالث، وقد يقال أنه مصدر تابع، ولا مشاحة في الاصطلاح، لكن حتى إذا اعتبرناه مصدر ثالث، فلا يعني أنه يستقل على النصوص، لا إجماعاً ينفصل عن النصوص على الإطلاق؛ لأن النصوص أو قواعد الشرع لابد أن تشمل جميع الإجماعات.

فعلى هذا نقول: مصادر العقيدة هي مصادر الدين وهي الوحي، والوحي يتمثل بمصدرين أساسين هما: القرآن والسنة.. نعم.

هل هناك تعارض بين العقل ومصادر الدين؟ هذا سؤال دائماً يندرج تحت كتب الفلسفة وغيرها، أن ما فهمت بعقلي وما أحسست به فهو الذي أقره.

أي نعم، هذه مسألة يخطئ فيها كثير من الناس، وفي الحقيقة الصحيح أنه يمكن أن نقول هل هناك تكافؤ بين العقل والشرع؟ هل هما متكافئان؟ ما رأيكم يا شباب؟ هل يتكافأ؟ هل العقل بمنزلة الشرع؟

ليس بمنزلته.

لماذا؟

لأنه معرض للخط.

لأن الشرع هو دين الله، الشرع مبني على كلام الله -عز وجل- المعصوم، كلام الله معصوم، كلام الله كامل لأنه صادر عن الكامل -عز وجل-، والصادر عن الكامل كامل.

لكن العقل لا يعدوا أن يكون مخلوقاً، العقل مخلوق، فإذا كان مخلوقاً، فلابد أن تعتريه عوارض المخلوق، النقص والسهو، والنسيان، والخلل وكذلك الفناء، إذن نبدأ من هذه النقطة، هذه يجمع عليها العقلاء، لو أنهم أخذوا بالأصول المعتبرة، أنه لا يمكن أن يتكافأ الشيء الذي يصدر عن الله -عز وجل- وهو كلامه مع المخلوق.

إذن نعود إلى سؤالك، لو صغت لي السؤال مرة ثانية بشكل دقيق؟

هل يتعارض العقل مع النقل كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية؟.

إذن نعود إلى أصل المسألة، إذا كان لا تكافؤ بينهما، إذن لا يمكن أن يتوقع التعارض أصلاً، لكن ما هو العقل؟ إن قصدنا بالعقل العقل السليم، والعقل السليم لا يمكن أن يحكم له بذلك إلا إذا سَلِمَ مما يُعارض الشرع، سَلِمَ من الهوى، سَلِمَ من التقليد، سَلِمَ من العصبية، سَلِمَ من الضلال، سَلِمَ من الباطل، ويندر أن عقل يسْلَم، وخاصة من الهوى، أيضاً إذا سَلِمَ من النقص فعلى هذا لا يمكن أن يُقال: أن العقل يعارض، بل العقل السليم يسلم، ولا تنافي بينهما، وعلى هذا عندنا بناءً على هذا قاعدة لابد أن نستحضرها لتكون معنا في خلال الدرس كله؛ لأن هذه المسألة سنتعرض لها كثيراً في الدروس القادمة، وهي أنه إذا افترضنا أنه ثبت عندنا ثابت من ثوابت الدين ثم وجدنا عقول بعض البشر لا تستوعب هذا الثابت، أو عندها شك أو شبهة، أو قال إنسان -يرى أنه عاقل- والله هذه المسألة الثابتة التي تقول أنها من ثوابت الدين أنا عندي عليها اعتراض، عندي فيها شك، أنا لست بمُسلم فيها، نرجع إلى قاعدة بناءً على ما سبق، وهو أنه لا تكافؤ بين العقل والشرع، وإذا كان لا تكافؤ فمعنى هذا أيهما المُحَكَّم وأيهما المُقَدم؟ كتاب الله -سبحانه وتعالى-.

إذا جاء ما يوهم التعارض بين عقلية إنسان من الناس مع الشرع الثابت فمن هنا أيهما نتهم بالنقص؟ هو العقل، وعلى هذا فإننا نبدأ نوضح لهذا الإنسان الذي عنده الإشكال وجه الخطأ عنده، إن استوعب وفهم وفقه وهداه الله -عز وجل- وإلا فليبقى النص على ثبوته وقطعيته وإحكامه، ويبقى هذا عنده شبهه، نسأل الله له الهداية والعافية.

ننطلق الآن إلى خصائص العقيدة الإسلامية؟.

نعم، خصائص العقيدة كثيرة جداً، لعل أعظمها وأهمها هو أنها ربانية، إلهية، العقيدة هي الدين الذي شرعه الله -عز وجل- فهي دين الله، فعلى هذا العقيدة ربانية إلهية صادرة عن الله -عز وجل-، الله -عز وجل- هو الذي أوحى بها إلى رسوله -صلى الله عليه وسلم- وكفى بها من سمة وخصيصة يدخل فيها كل ما تحتها من الخصائص الإيجابية، والتي منها القطعية، وهذا أمر بديهي، إذا كانت ربانية إلهية، فلابد أن تكون قطعية، بمعنى: أنها لا يعتريها شك ولا خلل ولا نقص ولا سهو إلى آخره، ولا مجال للريب فيها على الإطلاق.

الشك من ابن آدم، ليس النص.

نعم، الشك من الإنسان؛ لأن الإنسان مهما بلغت مداركه لا يمكن أن يدرك الغاية التي شرع الله -عز وجل- بها الدين والحكمة منه وغايته، فلا يمكن أن يدركها الإنسان.

ومن خصائص العقيدة أنها توقيفية غيبية. ما معنى توقيفية؟ يعني موقوفة عن الشرع، العقيدة لا يمكن أن تستمد من غير الدين والشرع، ومصادر الدين التي هي الوحي والكتاب والسنة، هذا معنى كونها تطبيقية غيبية

بمعنى أنها في أصولها، في منطلقاتها غيبية، قد يكون فيها بعض الجوانب يدركها الإنسان بعقله السليم وفطرته لكن إدراك إجمالي، وتبقى أصولها، تفاصيلها غيبية.

ويمكن أن أضرب مثال على هذا لأن يتضح معنى كونها غيبية توقيفية، يعني الإيمان باليوم الآخر، يعني عند بعض العقول السوية ضرورة، يعني الحاجة إلى البعث، إدراك أهمية البعث، هذه ضرورة يدركها بعض العقلاء، وليس كل العقلاء، لكن هذا الإنسان الذي أدرك بعقله أهمية البعث، أو حتى ضرورة البعث هل يمكن أن يدري كيف يبعث الناس، وإذا بُعث الناس ما الذي يحصل لهم؟ هل يمكن أن يدرك البعث والحشر والميزان والصراط على جهة التفصيل؟ لا يمكن. فمن هنا تكون العقيدة توقيفية غيبية، يوجد لها أصول، وإن أدركت بعض مجملاتها.

ومن خصائص العقيدة وسماتها: الشمول. شمول لجميع حاجات الفرد، في قلبه وعاطفته وأحاسيسه وفي مشاعره وفي أيضاً جوارحه وفي متطلبات حياته، الفردية والأسرية والاجتماعية والعالمية، متطلبات الإنسانية بأفرادها ومجتمعاتها، ومتطلبات الإنسان في الدنيا والآخرة شاملة لكل ما يحتاجه أو ما يحقق السعادة للناس في الدنيا والآخرة، إذا أخذوا الدين على نهج سليم وصحيح فهي إذن شاملة لكل شيء، شاملة لكل متطلبات الحياة في الدنيا والآخرة، وإذا وجد عند بعض الناس إشكال كما هو موجود عند بعض الذين يقل فقههم في الدين أو عند غير المسلمين إشكالات في هذا الجانب نقول: هذا راجع إلى تقصير الناس في تطبيق الدين، إذا قالوا مثلاً: الدين لا يستوعب بعض مشكلات الحياة المعاصرة، هذه مقولة. نقول: هذا راجع إلى تقصير الناس في حل مشكلاتهم على ضوء الدين، لا إلى أن الدين ليس فيه ما يحل المشكلات ويعالج قضايا الأمة، الدين فيه ما يعالج قضايا الإنسانية كلها، وهو شامل لجميع أمور البشرية، لكن البشرية تُقصر، المسلمون أنفسهم يقصرون في أخذ أو معالجة مشكلات حياتهم من الدين.. نعم.

ومن خصائص العقيدة: أن الدين محفوظ. لأن بعض مرضى العقول والقلوب يقول: نعم الدين في وقت النبي -صلى الله عليه وسلم- والخلافة الراشدة كان نقي وبيِّن وبسيط لكن الآن مع متغيرات الحياة ضاعت كثير من معالم الدين، هذا خطأ شنيع، لا يمكن تضيع معالم الدين لكن يمكن أن يقصر الناس في البحث عنها، ومن هنا فإن الدين محفوظ بجميع جزئياته ليس فقط قواعده وأصوله، الدين كله محفوظ بكلياته وجزئياته وأحكامه، عبارة عن كنز موجود واضح بيّن نقي ليس فيه غموض، يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (تركتم على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك)، فهلاك الناس هي التي جعلتهم يقصرون في البحث عن بعض المسائل أو حل مشكلاتهم من الدين، لا لأن الدين ضاع منه شيء، فإن الدين محفوظ وإلى قيام الساعة.

ومن خصائصه: البقاء. وهذا راجع إلى الحفظ، ثم النقاء، الدين سيبقى نقي، لا يعتريه غبش ولا غموض ولا خلل، ولا يمكن أن يكون هناك جانب من جوانب الدين في جزئياته وكلياته يعتريه بذاته الكدر، أو الخلل أو النقص أبداً، سيبقى نقياً، وهذا أيضاً يرجع إلى حفظ الدين، وإلى حفظ مصادر الدين، وهي الكتاب وما صح عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، ويرجع أيضاً إلى أن الدين كما سماه النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (تركتكم على البيضاء) ويقول: (تركتكم على الواضحة، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك) فكونها بيضاء، كونها واضحة يعني أنها لا يعتريها أي شيء يعني من الكدر أو الخلل أو النقص.

ومن خصائصه: أنه يتميز بالسهولة واليسر. العقيدة ليس فيها ألغاز، ولا فلسفات، ولا غموض، وهذا عكس ما يدعيه كثير من الجهلة بالعقيدة، يقولون العقيدة معقدة التراكيب ألفاظها عسرة إلى آخره، لا.... هذا يرجع إلى تعابير الناس عن العقيدة، وإلا فالعقيدة في الكتاب والسنة وعلى ألسنة أكثر السلف، سهلة ميسورة يفهمها العامي بقدر والمثقف بقدر، وطالب العلم بقدر، والعالم الراسخ بقدر، كلٌ يفهمها، ليس في ثوابت العقيدة ما لا يُفهم، ليس فيها ما هو عسير بعكس عقائد أهل الأهواء والبدع، وهذا أمر عجيب، كل أهل الأهواء والبدع يوجد في أصولهم

ما لا يفهمه إلا الخاصة منهم بدون استثناء، لا يفهمه العوام، ولا حتى طلاب العلم إلا المتخصص منهم، كل أهل الأهواء والبدع، وهذا سنعرض له -إن شاء الله- في دروس قادمة -من مُقِل ومُكثر- كلهم يوجد في أصولهم - إذا لم يكن في جميع أصولهم- ما لا يفهمه إلا أصحاب التخصص، يعني "كهانوتية" كما في الديانات المحرفة اليهودية والنصرانية والديانات الأخرى، تجد لهم متخصصين يفكون رموزها وألغازها، لكن العامي ما يفهم منها إلا فهم يشوش عليهم، لا يسعد قلبه ولا يجعله يتصور تصور صحيح، ما عدا العقيدة الإسلامية عقيدة أهل السنة والجماعة العقدية الحق تتميز بالسهولة واليسر والإحكام والوضوح، وأيضاً ثبوت المصطلحات، أصول العقيدة كلها مصطلحاتها الشرعية ثابتة إلى قيام الساعة، لا تختلف من بين وقت ووقت.

ثم أخيراً لعلي أشير إلى مسألة مهمة وهي أن من ميزات التي يغفل عنها كثيرون في عقيدة الحق عقيدة الإسلام عقيدة أهل السنة والجماعة عقيدة السلف: أنها تتوافق تماماً مع العقل السليم والفطرة، بل تستجيب لمتطلبات العقل السليم والفطرة، تسعد بها الفطرة، ويأنس بها العقل السليم حتى يكون على درجة من السعادة إذا استوعبها وفقهها لا يتذوقها إلا من جربها.

على شهادة غيرهم من الدول الأخرى عندما يدخل الإنسان وتجلي أمامه هذه المفاهيم فإنه يؤوب إلى الله - سبحانه وتعالى- أوبة عظيمة.

نعم. لأنه يوجد في وجدانه الاستعداد، إذا وفق، إذا هداه الله -عز وجل-.

ننتقل الآن إلى مفهوم السنة والجماعة؟.

نحن نتكلم عن العقيدة الإسلامية، العقيدة الإسلامية تتمثل بالفئة والمذهب والفرقة التي بقيت على النقاء وبقيت على منهاج النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو منهاج السنة، فعلى هذا فإنه عقدية أهل السنة والجماعة نفهمها من تعريف السنة والجماعة، فالسنة والجماعة تعني: التزام سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- وجماعة المسلمين.

ما هي سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-؟ ومن هم جماعة المسلمين؟

سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- هي ما كان عليه -صلى الله عليه وسلم- والصحابة في جميع أمور الدين، وعلى هذا فإن مفهوم أهل السنة يرجع إلى القدوة الأول وهو النبي -صلى الله عليه وسلم-.

فعلى هذا فإن السنة هي ما كان عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحابته والتابعين والقرون الثلاثة الفاضلة، وأئمة الهدى أئمة الإسلام المقتدى بهم في الدين، أهل السنة والجماعة إلى أن تقوم الساعة.

سميت عقيدة أهل السنة والجماعة لا من باب أنهم أرادوا أن يتميزوا عن غيرهم؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- أوصى بها، لمَّا ذكر الاختلاف في مثل حديث قوله -صلى الله عليه وسلم-: (إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيرً) قال: (فعليكم بسنتي) إذن الذين يتمسكون بسنته -صلى الله عليه وسلم- بعد الاختلاف هم أهل السنة ثم قال: (وعليكم بالجماعة) فمن هنا يجب الأخذ بوصية النبي -صلى الله عليه وسلم- الأخذ بسنته هو أخذ بمنهج الجماعة، فسموا أهل السنة والجماعة، فعلى هذا: السنة والجماعة هي نهج النبوة.. نعم.

هي بالمقابل تقابل البدع والأهواء والافتراق، والجميع يشملهم مسمى الإسلام كما سيأتي، أهل البدع والافتراق لا يخرجون عن الإسلام لكنهم وقعوا في البدع فخرجوا عن سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- في الأصول أو بعضها فمن هنا خرجوا عن نهج السنة والجماعة.. نعم.

وصلنا إلى مفهوم السنة فضيلة الشيخ ثم تجاوزنا هذه النقطة إلى قواعد وثوابت نريد أن تضفي لهذا البرنامج قواعداً للناس يمشون عليها كالصور عندما يريدونها كعلامات لهم في حياتهم؟.

نعم -بحمد الله- كل الإسلام يقوم على القواعد الثابتة والمسلمات وليس في الإسلام ما يمكن أن يقول هذه قاعدة مضطربة أو ليس عليها دليل، ومن هنا فإن هذه القواعد كما أشرت إلى شيء من هذا قبل قليل، قد تكون بعضها أوسع من بعض، وبعض هذه القواعد يندرج تحته من المفردات ما لا يحصى، وبعضها قد يكون محصوراً وبعضها قد تتداخل.

فمن هنا سأذكر بعض القواعد، لعلي أمهد لذلك استكمال الحديث عن مفهوم السنة والجماعة ليتبين مدى ارتكاز أصول السنة والجماعة على قواعد الدين التي هي مجملات، فأولاً: إذا قلنا أن السنة والجماعة تعني وصية النبي -صلى الله عليه وسلم- وأنها ليست دعوة ادعاها فئة من المسلمين أو حتى من العلماء أو حتى الصحابة ادعوها لأنفسهم، وأنها ليست ردود أفعال -كما يقول البعض- أو أنها نتيجة مواقف تجاه أحداث تاريخية كل هذا باطل، إنما السنة والجماعة ما دامت وصية النبي -صلى الله عليه وسلم- فإن هذه السنة والجماعة تعني أنها تقوم على قواعد ثابتة هي مسلمات الدين وثوابته، وهذه القواعد لا تحصى، وسنذكر نماذج منها أشرت إلى بعضها في الحديث السابق، وأيضاً ربما أترك أو أغفل أو أسهوا عن قواعد ليست أقل أهمية مما سأذكر، إنما هذا على سبيل التمثيل، على سبيل المثال.

من أهم القواعد والثوابت حول العقيدة يعني المنهاج الذي يحكم عقيدة السلف أهل السنة والجماعة وهي العقيدة الإسلامية الحقة:

الأمر الأول: أنها هي منهاج النبوة، ليست منسوبة إلى عالم، ولا إلى طائفة، ولا إلى مذهب، ولا إلى حزب، ولا إلى توجه، ولا إلى دولة، ولا إلى حاكم، بل هي منهاج النبوة، وهذا الذي يعطيها صفة الثبوت والقداسة والحفظ، وأيضاً صفة يمكن أن نسميه القطعية ليس فقط في موضوعها بل حتى القطعية في كل ما يرد عليها من موارد عقلية وعاطفية وغيرها، فهي إذن من منهاج النبوة بمعناها الشامل، هذه القاعدة الأولى أو الثابت الأول.

الأمر الثاني: أشرت إليه وهو سلامة المصادر، ما دمنا أننا قلنا أن العقيدة تقوم على الوحي من الكتاب والسنة فمن هنا تسلم من كل نقص وعيب وخلل وزيادة ونقص إضافة إلى أن الله تكفل بحفظها، وهذا التكفل قائم إلى قيام الساعة.

يقول الله -عز وجل-: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، وأيضاً تتمثل السلامة ببقاء النماذج، أعني الكفالة بحفظ الدين لا تعني حفظ المصادر فقط، بل حتى حفظ النموذج القدوة، بمعنى أنه لابد أن يبقى من المسلمين، من يعتصم بهذه العقيدة، ويظهرها ويعتز بها، وتقوم به الحجة، وهم أهل السنة والجماعة وعلى رأسهم العلماء، إلى قيام الساعة، وهذا ما يرجع إليه أو ما نفهمه، بل هو واضح من قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح المتواتر قوله: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من عاداهم إلى أن تقوم الساعة).

من هنا تسلم مصادر الدين بمصادر تلقيها مصادر التلقي وأيضاً بحفظ الجماعة التي تمثل عقيدة السلف وهم أهل السنة والجماعة.

الأمر الثالث.

لو أذنت لنا يوجد مداخلة من أحد الشباب.

كما أشرت يا شيخ أن مفهوم السنة والجماعة هو التزام سنة الرسول –صلى الله عليه وسلم– وصحابته والتابعين وطلبة العلم إلى أن تقوم الساعة، فهل هذا يندرج على حديث الرسول –صلى الله عليه وسلم–: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين عضوا عليها بالنواجذ).

أحسنت.

(عضوا عليها بالنواجذ) وذلك لم يذكر التابعين وطلبة العلم في هذا الحديث؟.

أي نعم. أحسنت.

هذه دائماً من مجملات وصايا النبي –صلى الله عليه وسلم– هذا يسمى من جوامع الكلم، النبي –صلى الله عليه وسلم– أوتي من جوامع الكلم كثيرًا ما يذكر شيء وغيره من باب أولى.

وهذا معروف في لغة العرب.

الحديث الذي مر قبل قليل.

يعني النبي –صلى الله عليه وسلم– لو يسرد لنا مفردات ما يدخل تحت السنة والجماعة كان يمكن لنا أن نقول أيضاً المتقدمين والمتأخرين وعلى رأسهم المذاهب الأربعة، وعلى رأس المذاهب الأربعة الإمام مالك والشافعي، ما تنتهي، فما دام ذكر الصحابة والباقين يقتدون بالصحابة إذن دخل فيهم كل من يأتي بعدهم هذا شيء.

الشيء الآخر خطاب النبي –صلى الله عليه وسلم– قوله: (فعليكم بسنتي)، ليس هناك دليل على أنه يقصد الصحابة فقط، (إنه من يعش منكم بعدي) أليس كل من جاء بعده عاش بعده؟ إلى قيام الساعة، صحيح المخاطب المباشر الصحابة لكن دائماً في الخطاب الشرعي النبي –صلى الله عليه وسلم– يخاطب الصحابة ومن بعده، بل في خطاب الله –عز وجل– في القرآن تجدون أنه يخاطب يعني الصحابة وغيرهم يدخل بالتبعية، وأحياناً من باب الأولى، بعض النصوص.

أحسنت هذا السؤال– نفهم بوضوح أن النبي –صلى الله عليه وسلم– حينما أوصى..

قال: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)، وكذلك تنبيه النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه ستبقى طائفة من أمة محمد –صلى الله عليه وسلم– ليوم القيامة منصورة، فلذلك يشمل الأمر كله.

أي نعم، صحيح هذا يعني أمر قطعي أنه لابد أن يشمل جميع الأمة ثم الصحابة والذين هم قدوة السلف الصالح.

ومن أهم القواعد والثوابت سلامة منهج الاستدلال. وهذه مسألة في الحقيقة أرى أن التنويه عنها من طلاب العلم يجب أن يأخذ قدره من الأهمية في هذا الوقت، لأنه كثر الخلل في الاستدلال عند الناس اليوم بسبب اختلاط الثقافات، واختلاف مصادر التلقي، وهذا ما نسميه بالهجوم الشرس على عقيدة الأمة وثقافتها، فيعني نحتاج الآن أن نؤكد مثل هذه المعاني، وهي أن وجود الكتاب والسنة ومصادر الوحي لا يعني أن كل من استدل بالكتاب والسنة يوفق الصواب، بل لابد من أن يكون منهج الاستدلال سليم، ومن هنا فإن عقيدة أهل السنة والجماعة تسلم لسلامة منهج الاستدلال فيها، يعني يأخذون دلالات النصوص بطريقة شرعية سليمة، ليس فيها تأويل باطل، ولا فيها هوى، ولا فيها تقليد، وليس فيها يعني ضرب للنصوص بعضها ببعض، وليس فيها اضطراب ولا تشابه.

يجمع ذلك باختصار أن عقيدة السلف تقوم على تفسير القرآن بالقرآن، ورد آيات القرآن إلى الآيات الأخرى، ومن هنا سلم منهجهم، وعلى سبيل المثال أخذوا مسألة نصوص الوعد ونصوص الوعيد، طوائف الأمة التي ضلت منهم من ضل بأنه أخذ بنصوص الوعد، وأغفل بنصوص الوعيد، فوقع في الإرجاء الغالي، فوقع في الانفلات من الدين، آخرون أخذوا بنصوص الوعيد، وأهملوا نصوص الوعد، فوقعوا في التكفير والتشدد والتنطع، السلف سلم منهجهم ردوا نصوص الوعد إلى نصوص الوعيد، فسروا هذه بهذه، والعكس كذلك، اعتدل عندهم المنهج. هذا على سبيل المثال.

ومن سلامة منهج الاستدلال تفسير النصوص بما فسره النبي –صلى الله عليه وسلم–. النبي –صلى الله عليه وسلم– فسر لنا القرآن بقوله وفعله وتقريره وهديه، وفسرت السنة بعضها بعض، النبي –صلى الله عليه وسلم– قال أقوالاً وفسرها بأعماله، وقال أقوالاً فسرها بتوجيهاته، فعل أفعالاً علمنا كيف نفعل؟ وكيف نقتدي به؟ كقول النبي –صلى الله عليه وسلم– مثلاً في الحج: كل خطوة يخطوا كان يقول: (خذوا عني مناسككم).

(خذوا عني) هذا منهج في الاستدلال، فمن هنا إذا أشكل علينا مسألة من مسائل الحج، نرى كيف كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يفعلها؟ كيف كان يكون؟ كيف كان يسلك؟ فمنهج الاستدلال من أصوله اعتماد فهم السلف الصالح الصحابة والتابعين ومن تبعهم، خاصة الصحابة.

لماذا؟ لأن النصوص تنزلت مجردة، فيعهد النبي –صلى الله عليه وسلم– على الصحابة فالمجتمع الذي طبقه يتكون من أفراد ومن أسر ومن جماعة ومن دولة، من الذي يمثل هذا؟ من هو الجيل الذي يمثل هذا؟ الصحابة.

إذن كثير من تطبيقات الدين التي طبقوها في القطعيات والثوابت هي نهج الاستدلال، إجماعهم معتبر، عملهم في كثير من النصوص يعتبر رسم لمنهج العقيدة.

كذلك من سلامة منهج الاستدلال اعتبار القياس الصحيح في الأحكام، وحتى القياس الصحيح في مسائل الاستدلال للعقيدة بالوسائل.

العقيدة في كثير من أمورها تحتاج أحيانًا إلى براهين، تؤيد كثير من قضايا الاعتقاد، هذه البراهين من أين نأخذها؟ من العقل السليم، من الفطرة، من العلم التجريبي من القياس الصحيح، هي ليست مصادر، لكنها عبارة عن وسائل للاستدلال، هذه الوسائل وهذه المصادر أو هذه الضوابط التي هي جزء من منهج الاستدلال اختلت عند كثير من الفرق، أو اختل بعضها على الأقل، فوقعوا في الأهواء والافتراق والجدال.

ومن القواعد والثوابت: أصول السنة. كلها ثوابت الدين مسلماتها، أصول العقيدة كلها، ليس فيها ما يختلف عليه السلف الصالح، هذه مسألة مهمة، لكن أنا أسأل سؤال –وهذا السؤال للطلاب–: أليس يوجد في كتب العقيدة مسائل يختلف عليها؟ بلى. إذن هذه المسائل التي يختلف عليها في العقيدة ليست من الثوابت لكنها تابعة للثوابت من حيث الموضوع، موضوعها يعتبر داخل في الثوابت.

نأخذ مثلاً نموذجاً في موضوع الشفاعة: بعض أنواع التوسل اختلف عليه السلف، مثلاً التوسل بذوات الأنبياء غير النبي –صلى الله عليه وسلم–، التوسل بذات النبي –صلى الله عليه وسلم– وأشيائه في حياته، هذا مشروع بإجماع، يعني بإجماع جمهور السلف، فهو من ثوابت الدين، لكن غيره من الأنبياء هل يتوسل بذواتهم؟ هذه محل خلاف، إذن هل هذا يعود إلى الاختلاف في التوسل المشروع؟ لا..، التوسل المشروع متفق عليه، لكن يوجد بعض الأشياء تندرج تحت التوسل يختلف عليها.

نأخذ مثال آخر في الشفاعة: في الشفاعة مثلاً شفاعة الشهيد يختلف عليها، لكن شفاعة النبي –صلى الله عليه وسلم– لأهل الكبائر من أمته هل عليها خلاف؟ شفاعة النبي –صلى الله عليه وسلم– لأهل الكبائر من أمته أليست من قطعيات الدين؟ طيب. لكن شفاعة الشهيد محل خلاف ما السبب؟ السبب الكلام في الحديث الذي ورد في شفاعة الشهيد، بعض أهل العلم لا يصححه، فمنهم من يقول أنا ما أعتبره من ثوابت الدين، إذن قد تندرج بعض الجزئيات تحت الثوابت اندراج علمي، لكنها ليست من الثوابت، فمن هنا أعد وأقول: الثوابت أصول الدين أصول العقيدة، لا يختلف عليها أبداً عند السلف، يختلف عليها المخالفون، طبيعي، ولذلك لما خالفوا خرجوا عن السنة، أما أهل السنة والجماعة فلا يختلفون.

إذا كان حول بعضها إشكالات أو كذا..

ما بقي معنا إلا دقيقتين يا فضيلة الشيخ حتى لو تسرع فيه.

تفضل.

يا شيخ مذهب الأشاعرة كان هو المشتهر في قبل مجيء شيخ الإسلام ابن تيمية بل كان عليه جمهور العلماء فهل خفي الحق عنهم؟.

لا..، هو عليه يوجد مذهب السلف ومذهب الأشاعرة في وقت واحد، لكن مسألة الأكثرية والأقلية هذه مسألة ما لها دخل في ثبوت الحق وعدمه.

من قواعد العقيدة:

– أنها تجمع ولا تفرق.

– أنها مصطلح العقيدة ليس بدعياً، بل هو من المصطلحات التي تعارف عليها أهل السنة والجماعة والعلماء.

– أنه لم يحدث بعد الصحابة افتراق على هذه الأصول ولا يحصرها مذهب أصول السنة والجماعة لا يحصرها مذهب، ليس فيها ردود أفعال، ولا انعكاسات للأحداث، وليست مجرد اجتهاد أشخاص، ولا يعني رأي طائفة، إنما هي الحق الذي ينبثق من الكتاب والسنة، ثم الأخطاء والزلات التي يقع فيها بعض المنتسبين للسنة والجماعة، ليست هي المنهج.

– أخيراً ما يلقبه أهل الأهواء والبدع والجاهلين لأهل السنة والجماعة من ألقاب شنيعة، هذا لا يضرهم، ولا يضر بالحق الذي هم عليه كما سأبين –إن شاء الله– في الحلقة القادمة، وأرجو أن تذكرنا يا أخي الكريم –إن شاء الله–.

الدرس الثاني:

التعريف بالمتن وصاحبه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

كنا في الحلقة الماضية استعرضنا جملة من القواعد والثوابت حول عقيدة السلف التي هي موضوع هذا الكتاب الذي سندرسه "لمعة الاعتقاد لابن قدامة" وقبل أن أشرع باستكمال تلكم القواعد والثوابت أحب أن أعتذر للذين أبدوا ملاحظات قيمة حول الأسلوب، أو حول مستوى أداء الحلقة الماضية، وهذه الحلقة أيضاً بحيث أنهم كانوا يعانون من فهم بعض العبارات والمصطلحات، وأنا أشكر لهم هذه الملاحظة ثم أحب أن أبين أن غالباً القواعد والأصول والثوابت والقضايا العامة تكون صعبة نوعاً ما بخلاف الشرح في الكتاب، وهو الذي نرجو أن يكون أيسر.

في القواعد والثوابت ذكرنا، أهم تلكم القواعد أسردها إجمالاً ثم أبدأ بتفصيل ما وقفنا عليه في المرة الماضية.

ذكرنا أن قواعد وثوابت عقيدة السلف، وعقيدة أهل السنة والجماعة التي هي موضوع كتاب "لمعة الاعتقاد" وغيرها من كتب السلف المركزة:

أولاً: أن السنة والجماعة وعقيدة السلف هي منهج النبوة. بمعنى أنها امتداد لما كان عليه النبي –صلى الله عليه وسلم– وصحابته والتابعون، فهي مستقاة من نهج رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، والذي يتمثل من حيث المصادر بالقرآن والسنة، ومن حيث التطبيقات والمناهج بمنهج النبي –صلى الله عليه وسلم– في تطبيق الإسلام، ومنهج من جاء بعده من الصحابة والتابعين.

ثانياً: سلامة المصدر. وسبق الكلام بما أظنه يكفي من أن مصدر العقيدة عقيدة السلف الصالح هو الكتاب والسنة، ولا شك أنها هي أسلم المصادر على الإطلاق، أما القرآن فلا شك أنه كلام الله هو محفوظ، أما السنة فإن السلف اجتهدوا في تمييز الصحيح منها حتى صار من القواطع والثوابت.

ثالثاً: سلامة الاستدلال. وسبق أن أشرت إلى منهج الاستدلال عند السلف، وأن الذين خرجوا عن هذا المنهج وقعوا في الخلل في العقيدة، إما في القواعد والأصول والثوابت، أو حتى في الجزئيات والتطبيقات، وذكرت أنها من قواعده وثوابته أنه لا يختلف عليها. بمعنى: أن عقيدة السلف تتمثل من أركان وواجبات وقواعد وثوابت ليس بين السلف فيها خلاف على الإطلاق، وما يرد أحياناً من وجود بضع الزلات أو الأوهام أو الأخطاء من أفراد السلف فهذه أمور لا تحسب على المنهج، وهي نادرة جداً بحمد الله، ولا تكون أيضاً محل إشكال عند الأئمة.

رابعاً: أن عقيدة السف وعقيدة أهل السنة والجماعة في أصلها تجمع ولا تفرق؛ لأنها دين الله؛ لأنها منهاج النبوة. ودين الله هو الصراط، هو السبيل، هو حبل الله؛ ولذلك الله –عز وجل– أمراً مؤكداً بالاعتصام بحبله، والنهي عن الاختلاف، فقال سبحانه: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، والتفرق هنا تفرق التنازع، لا تفرق الاجتهادات، تفرق التنازع، بل غالباً أن الخلاف على الاجتهادات لا يعد من التفرق، بل هو من الاختلاف السائغ.

ثم وقفنا على أن مصطلح العقيدة، وهذا من الأمور التي أثير حولها شبهات كبيرة، مصطلح كلمة عقيدة ومعتقد واعتقاد، هي مصطلحات التي استقرت عند السلف مرادفة للسنة والإيمان، والدين، وأصول الإسلام، وكذلك التوحيد وغير ذلك من المسميات الكبرى لأصول الدين وقواعده، وقلنا ليس بدعياً؛ لأن بعض الجاهلين

الذين ربما –بقصد أو بغير قصد– توهموا أنه ما دام كلمة عقيدة لم ترد في عهد الصحابة والتابعين، هذا يعني أنها بدعة، وهذا خطأ؛ لأنه لا مشاحة في الاصطلاح، لأنه ما دام المضمون صحيح، والعبارة ليس فيها لبس، وأيضاً المصطلح يتماشى مع المصطلحات العلمية لسائر العلوم الشرعية التي بعد تفصيل العلوم.

الأمة كما هو معروف استجابة لمتطلبات الحياة، تتطور حياتها وأساليبها، وأدواتها، وهذا أمر طبيعي، سنة الله في خلقه، هذا التطور شمل التوسع في العلوم التقعيد، التأصيل، شمل الشروح، البيان بعد ضعف اللغة عند الناس، هذا استدعى أن توجد مناهج علمية ومصطلحات عليمة تحكم علوم الشريعة، ومن ذلك مثلاً ما يتعلق بقواعد تفسير القرآن، يسمى قواعد تفسير القرآن؟ أصول التفسير، تسمى أيضاً علوم القرآن، وهي علوم يعني تأصيلية تتبع من ثوابت الدين وثوابت السلف نحو تفسير كتاب الله –عز وجل– سميت أصول التفسير، وسميت علوم القرآن، وهذه التسمية لم تعرف إلا بعد القرن الثاني والثالث تقريباً، فعلى هذا ومع ذلك لم توصف بأنها بدعية؛ لأنها عبارة عن مصطلح علمي صحيح، كذلك مثلاً علوم الحديث مصطلح الحديث مقاييس التي تضبط بها علوم الحديث وهكذا.

نجد كل علم من العلوم الشرعية وجدت له عناوين مصطلحات صحيحة، لا تتعارض مع الشرع، اقتضتها الظروف، وليست بدعية، إذن فالعقيدة كذلك، لاسيما أن مسمى العقيدة أصبح واضحاً بيِّناً، ليس فيه لبس ولا غموض، إذن مصطلح العقيدة ليس بدعياً، ومن هنا سمى إمامنا –الذي سندرس كتابه سمى– كتابه الذي بين أيدينا، "لمعة الاعتقاد" وفي بعض العناوين "الاعتقاد" وهذه التسمية لم تكن منكرة، بل كانت مفهومة وبينة، ولا لبس فيها، ولا أحد من العلماء أنكرها من الأئمة وغيرهم.

خامساً: أنه لم يحدث أن افترق عليه أحد من أئمة السلف على الإطلاق بصفته منهج. كما قلت قبل قليل: قد يكون بعض السلف زل في بعض مفرداته عن تأول أو عن خفاء بالدليل أو نحو ذلك، لكن هذه الزلات ليست محسوبة، لكن إذا نظرنا إلى المناهج، مناهج علماء السلف، نجد أنهم لم يحدث من أحد منهم أن خرج على هذا المنهج على الإطلاق، لا في أصل ولا في أكثر، ومن خرج أعني أنه وجد بعض الذين انتسبوا إلى السلف فتن –نسأل الله السلامة والعافية– ببعض مناهج أهل الأهواء والابتداع والفرق، فيكون خرج عن السنة، ولم يعد السلف يعتبرونه يعني ممن يمثل منهجهم.

على سبيل المثال "ابن كلاب" هذا رجل كان من طلاب العلم في الحديث، وكانت بداياته على نهج السلف، ثم استهوته المناظرات والمناقشات، مع أهل الأهواء حتى خرج عن حد الضوابط الشرعية للمناظرة، خرج عن حد الضوابط الشرعية للجدال المشروع، ففتن بأن التبست عليه بعض الأصول فخرج عن منهج السلف في صفات الله –عز وجل– وأفعاله، فسميت فرقته الكلابية ولم تعد من السنة والجماعة أصبحت فرقة، هذا مثال، يعني أنه قد يكون بعض أهل العلم يعني في بداية طلبه للعلم على نهج السلف، لكنه إذا خرج في أصل أو أكثر، لم يعد من السلف، ولم يعد منهجه محسوب على السلف.

إذن لم يحدث افتراق على أصول السلف، وقواعدها، وثوابتهم بحمد الله، ثم عقيدة السلف، منهج أهل السنة والجماعة منهج شمولي، ولا يحصره مذهب، أعني مذهب في الاجتهادات، لا في القطعيات، في القطعيات منهج السلف قطعاً مذهب واحد، لكنه فيما يتعلق بالاجتهادات يستوعب كل المذاهب التي تسير على أصول شرعية صحيحة؛ ولذلك استوعب المذاهب الأربعة، كلها داخلة في منهج السلف، في أصلها، لا في أفرادها، أعني بذلك مذهب من؟ ما هي المذاهب الأربعة الفقهية؟ ممكن يا شباب تذكرون المشاهدين؟

مذهب الإمام أحمد. مذهب الإمام مالك. مذهب الإمام الشافعي. ومذهب الإمام أبي حنيفة.

نعم، أحسنت، ولو أخذناها بتسلسل تاريخي نقول:

مذهب الإمام أبي حنيفة، ثم مذهب الإمام مالك، ثم الشافعي، ثم مذهب الإمام أحمد، هذه المذاهب تسمى المذاهب الأربعة، وليست حاصرة لاجتهادات السلف، اجتهاد السلف أحياناً بل كثيراً ما يكون من السلف أئمة مجتهدين لا يلتزمون هذه المذاهب لكن يقرونها، ومما يحسن التنبيه له في هذا المقام: أن المذاهب الأربعة كلها مذاهب سنية تقوم على منهج أهل السنة والجماعة أئمتها وكبار رجالها، وهذا يعني يذكرنا بأغلوطة أو التنبيه على أغلوطة لا يزال يتأثر بها كثير من الجاهلين، يظنون أن مذهب السلف يتمثل مثلاً بمذهب الحنابلة، وهذا خطأ، بل لو نظرنا فيما يبدو لنا من وقائع التاريخ.

الأمر الأول: أن أول من قرر مذهب السلف في العقيدة قبل الإمام أحمد، هم الأئمة الثلاثة قبله، سابقيه في الزمان والتاريخ، فهم ممن قام عليهم مذهب السلف في العقيدة.

الأمر الثاني: أن أئمة السلف الأوائل العلماء منهم من أئمة المذاهب الثلاثة غير المذهب الحنبلي، أكثر منهم من المذهب الحنبلي أكثر عدداً، بل أغلب الذين ألفوا في عقيدة السلف، ولهم مصنفات كبرى، أغلبهم ليسوا من الحنابلة، لا يعني أن الحنابلة ما أسهموا في ذلك، لكنهم كانوا كغيرهم.

هم أتوا متأخرين يعني عن المذاهب الأخرى؟.

أي نعم، المذهب الحنبلي متأخر.

ظهرت مصطلحاتهم في نهاية الأمر.

من هم؟

هم الحنابلة، عندما نتكلم نحن عن مصطلح العقيدة يا فضيلة الشيخ.

العقيدة مصطلح ليس خاص بالحنابلة، قيل قبل ظهور الحنابلة، مصطلح العقيدة ظهر حتى قبل ظهور الحنابلة.

ثم أن العقيدة كما سبق الإشارة إليه ليست ردود أفعال، ولا انعكاس للأحداث، وليست خاضعة لرغبات بشر، لا من العلماء، ولا سلاطين ولا دول، ولا مذاهب، ولا اتجاهات، ولا انتماءات بل هي مذهب السلف.

هذه من القواعد يا شيخ.

نعم من القواعد والثوابت المهمة جداً، إن عقيدة السلف هي عبارة عن أصول وثوابت تقررت في الكتاب والسنة، فهذه الأصول والثوابت كانت تنبع عنها يعني كما نقول مناهج جزئية إما في تقرير العقيدة، وإما في الدفاع عنها، هذه المناهج الجزئية لا تخرج عن القواعد والثوابت، فليس فيها ردود أفعال على الإطلاق، ولا انعكاسات، لكن مما يشتبه على كثيرين أنه قد يكون في أساليب بعض علماء السلف وبعض طلاب العلم بعض علماء السنة إلى يومنا هذا قد يكون في أساليب البعض شيء من الحدة، أو الغيرة أو القوة والقسوة أحياناً، وهذه ممارسات بشر، ليست محسوبة على المنهج، مع أنه أحياناً يقتضي المقام، وهذه مسألة لعلنا نتحدث عنها –إن شاء الله– في دروس قادمة، بمعنى ما أثر عن السلف مما هو خروج عن القواعد والثوابت أحياناً من قسوة أو من حزم، أحياناً يقتضيه المقام، تقتضيه الملابسات لذلك الحدث، ومع ذلك الأخطاء قد توجد، لكنها ليست محسوبة على المنهج، فما يحدث من ردود أفعال عند بعض العلماء أو عند بعض المتحمسين للعقيدة والغيورين عليها، هذه الأمور تحسب عليهم لا تحسب على المنهج، ثم لعله أخيراً ما ذكرته ولا داعي أن نفصل فيه، هو أن الأخطاء والزلات من الثوابت والقواعد المهمة الأخطاء والزلات التي تحدث من المنتسبين للسنة والجماعة لمنهج السلف

لعقيدة السلف، هذه الأخطاء والزلات سواءً حدثت من عالم كبير أو من طالب ومن باب أولى إذا حدثت من عامي أو مبتدئ ليست محسوبة على المنهج، ولا ينبغي أيضاً أن تكون هي مقياس، أقول هذا؛ لأنه في الحقيقة كثر العدوان على نهج السلف؛ بسبب الانتقائية غير المرشدة في أخذ بعض الأخطاء وحسابها على أهل السنة والجماعة إلى يومنا هذا، على أي حال يبدو لي أن هذه أهم الخصائص، أو أهم القواعد والثوابت الذي أرى أنها مهمة في هذه اللمحة السريعة.

نعم تفضل.

يا شيخ ذكرتم أكثر من مرة مصطلح مذهب أهل السنة والجماعة متى ظهر هذا المصطلح؟.

أحسنت، مصطلح أهل السنة والجماعة ظهر حينما قامت الحاجة إليه، قامت الحاجة إليه، أعني بذلك أنه في أول ظهور الإسلام في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- الأمة كلها على السنة والجماعة، أليس كذلك؟ ثم في عهد الصحابة -رضي الله عنهم- الأمة كلها على السنة والجماعة ثم لما ظهر الافتراق الأول، ظهور الشيعة والخوارج، كانت أيضاً عموم الأمة وعامتها وولاتها وعلماؤها كلهم على السنة والجماعة وكانت الفرق مغمورة كذا؟ نعم مغمورة، إلى -تقريباً- نهاية القرن الأول زادت الفرق، فظهرت مع الفرقتين الأوليين فرقة القدرية وفرقة المرجئة، بدأت بوادر الاتجاهات العقلانية التي تحكم العقل في الدين بغير ضوابط، فكثر أتباع الفرق، فلما كثر صارت لهم آثار على الأمة وعلى شبابها، وصارت لهم -كما نقول- مؤسسات علمية يستقي منها بعض أجيال الأمة، فلما بدأ أتباع الفرق يكثرون، جاءت الحاجة إلى الأخذ بوصية النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما قال: (إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثير) ثم قال: (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين) فمن هنا أدرك السلف بموجب هذا النص وغيره، أنه لابد من التميز الشرعي.

التميز الشرعي المطلوب؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- أمر بالسنة وأمر بالجماعة، قال: (وعليكم بالجماعة، وإياكم بالفرقة)، من هذه النصوص وغيرها من وصايا النبي -صلى الله عليه وسلم- عرف السلف أنه لابد أن يميز الحق وأهله بشعار أو بوسام شرعي، لا من عندهم، ما سموا أنفسهم بأي اسم، إنما قالوا: نحن على السنة والجماعة، فإذن أيضاً خصهم سماهم أهل السنة والجماعة وهم تسموا بذلك، فإذن ظهر المصطلح في آخر القرن الأول الهجري حينما استوجب الأمر ظهورهم.

ننتقل إلى النقطة الأخرى يا شيخ، الكتاب والمؤلف.

أي نعم.

هنا نقطة المؤلف -رحمه الله- ابن قدامة بحيث اسمه وشيوخه والمتن والحاجة إليه والباعث الذي دفعه إليه، سوف نتطرق إليه بشكل مفصل الآن، تفضل يا شيخ.

أحسنت، الدروس هذه في الحقيقة التي تكون على شكل انتقاء كتب يلزم منها وجردت عادة السلف، بل جرت العادة عند المختصين في كل فن، أنه إذا كان مادة الدرس تتعلق بكتاب، فلابد من تعريف الناس أو المستمعين أو المستفيدين بالدرس بالمؤلف، وبالكتاب كذلك، فمن هنا أرجو أن تأذنوا لي بوقفة حول المؤلف أولاً ثم حول الكتاب.

المؤلف: هو موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدسي ثم الدمشقي، المقدسي أنه ولد ببيت المقدس وما حوله في فلسطين، ثم انتقل إلى دمشق واستقر فيها أغلب حياته، وهو قرشي عدوي، توفي سنة ٦٢٠ فعلى هذا هو عاش في قرنين، في القرن السادس والقرن السابع، وهذان القرنان تميزا بشيوع البدع وكثرة الاضطراب

السياسي في الأمة، وأيضاً بداية منحى قوة في المسلمين أيام صلاح الدين الأيوبي، فكانت الأمة من وجه فيها قوة سياسية وقوة سلطان، ومن وجه آخر كانت أيضاً هيمنت على كثير من بلادها البدعة، مما استوجب من الشيخ أن يؤلف مثل هذا الكتاب.

الموفق ابن قدامة إمام علم مشهور من الأئمة الراسخين، له كتب ومؤلفات قيمة جداً، أعظمها فيما أعلم "المغني" في الفقه، "المغني" الحقيقة موسوعة شاملة كاملة، أرى أنه أفضل موسوعة من حيث السلامة، وجودة العرض، أعظم موسوعة فقهية، وأشمل موسوعة فقهية من حيث السلامة وجودة العرض، وقد تفضله مؤلفات أخرى في بعض الخصائص الأخرى.

هذا الكتاب لا يزال مرجع موسوعي للأمة جميعاً، مع أنه يحسب على أنه من كتب الحنابلة، لكن هو في الحقيقة.

يرجح يا شيخ.

نعم، يرجح ويناقش الأدلة، ومتحرر من أن يتقيد بأصول المذهب كعادة العلماء الراسخين في كل الأمة، ولا يعني ذلك أن نحتقر من يقف عند المذهب، هذه مسألة ترجع إلى قدرات العلماء ومداركهم ومدى الرسوخ، فكل علماء لهم الراسخون في العلم غالباً أنهم يكون لهم الاستقلالية ما يجعلهم وإن أخذوا بالمذهب في الجملة، إلا أنهم يأخذون بالدليل في الأصل، فتميز ابن قدامة في "المغني" وفي غيره من كتبه، أنه يأخذ بالدليل ويرجح، وكان أيضاً يلتزم نهج السلف في الاستدلال والترجيح، ومن ذلك ما ذكرته في الدرس الماضي، وله "الكافي" و"العدة" و"العمدة" و"المقنع" كلها في الفقه، وأيضًا هو متمكن في أصول الفقه، ولذلك يعتبر كتابه "روضة الناظر" من أفضل الكتب في الأصول؛ لأنه تميز بالسلامة من المسائل الكلامية الفلسفية التي دخلت على بعض أصول الفقه، في "روضة الناظر" حرر أصول الفقه من كثير من المسائل الكلامية، وليس من كلها.

كتابه هذا الذي بين أيدينا اسمه "الاعتقاد" وأيضاً يسمى "لمعة الاعتقاد" وليس بين العبارتين فرق، إنما اللمعة يقصد بها القطعة أو الطائفة أو الإشارة أو الإضاءة التي تضيء للناس الطريق، فكأن القصد بكلمة "لمعة" يعني الإشارة الموجزة التي تضيء للناس دينهم في أصول الاعتقاد.

"لمعة الاعتقاد" في العقيدة، أي في الجملة، أصله في العقيدة، يتميز بأمور سأذكرها بعد قليل، كذلك له غير "لمعة الاعتقاد" أي لابن قدامة كتب كثير في العقيدة منها "القدر والتأويل" و"منهاج القاصدين".

"اللمعة" –كما أشرت– التي هي "لمعة الاعتقاد" هي عبارة عن كتيب يجمع أصول منهج السلف في العقيدة من حيث مفردات الاعتقاد ومن حيث المنهج والقواعد والضوابط، وهذا ما يتميز به هذا الكتاب وغيره من كتب السلف الموجزة، أنهم يجمعون العقيدة في وريقات مما يسهل على طلاب العلم وعامة الأمة تناول العقيدة بأسلوب ميسر، ومما يسهل أيضاً على العلماء والشارحين ضبط العقيدة بمثل هذه الكنوز.

"اللمعة" تميز بخصائص نوجزها بما يلي:

أولاً: الإيجاز مع الوضوح والشمول. إيجاز من غير تقصير ولا تفريط، ليس فيه استطرادات، وليس فيه خلل يعني نقص يجعل الكتاب مثلاً يكون جزء الذي هو شمولي.

ثانياً: تميز بالسلامة. يعني ليس فيه أشياء تخل بالاعتقاد ولا في ظاهرها، نعم لوحظت على ابن قدامة –رحمه الله– بعض العبارات التي سنناقشها في ثنايا الشرح، لكن عبارته مفسرة، بمعنى أنها ليست خلل مقصود، ومع ذلك يبقى الكتاب من أسلم الكتب وأنقاها وأصفاها.

ثالثاً: تميز الكتاب بالسهولة. سهولة العرض، سهولة العبارة أيضاً الترتيب السهولة في الترتيب وتسلسل الموضوعات في ذهن القارئ والسامع، بشكل يجعله يأخذ العقيدة وهو مرتاح البال، وأيضاً ليس فيها تداخلات تلبس على الطالب.

رابعاً: تميز الكتاب بالمنهجية العلمية الراقية التي قل أن يصل إليها حتى كثير من المعاصرين الذين يدعون الموضوعية والمنهجية.

أظن كثير منهم واصل إلى المنهجية التي كان عليها مثل هذا الكتاب، نعم هو يفقد مثلاً أشياء موجودة في العصر الحديث لكن .. مثل العنصرة؛ لأن الناس في ذلك الوقت ليسوا بحاجة إلى العنصرة؛ لأن فهمهم للعربية جيد، ولأنهم اعتادوا أخذ الكتب بهذا الإطار؛ ولأن غالباً مثل هذه الكتب تخضع للشرح والتدريس، فالعنصرة كانت مهمة الذين يدرسون، ما عدا ذلك فإنه يتأصل يعني تميز يعني التفصيل والتقعيد.

موضوعات الكتاب شاملة أيضاً، لعلي أشير إلى أهمها:

أولاً: تعرض من وضع قواعد في أسماء الله وصفاته. قواعد في الحقيقة ذهبية عظيمة، طبعاً أشار إليها إشارات موجزة جداً، لكن عندما نقف عليه –إن شاء الله– ستجدون فعلاً أن هذه الإشارات تعني أنه استحضر في ذهنه التقعيد لكل مسألة عقدية، إما في بدايتها، وإما أو في ثناياها، ومن ذلك ما يتعلق بأسماء الله وصفاته وأفعاله، فقد وضع قواعد ربما لا تعدوا أن تكون سطور قليلة ثم بدأ بالتفصيل، وكان يشير في كل مسألة إلى منهج السلف في أي مسألة عقدية يشير إليها.

ثانياً: تميز بالتزام السنة، أعني من حيث الاستدلال من حيث مراعاة العبارة، من حيث سلامة المصطلحات، ومن حيث كذلك التزام السنة في احترام آراء العلماء وغير ذلك.

ثالثاً: كذلك الأدلة.

أي نعم، في الأدلة والاستدلال، نعم في منهج الاستدلال والأدلة والتلقي.

رابعاً: كان يرد البدع بأسلوب مؤدب ورفيق. يعني ما كان مثلاً يستطرد بل كانت عنده لمحات يرد فيها البدع بعبارات موجزة؛ لأن الكتاب كتاب تأصيلي، ليس كتاب رد، ومع ذلك كان يشير إلى ما يحصن القارئ والمستمع من غرائب البدع، إشارات يعني موجزة جداً.

خامساً: تميز كذلك بأنه يجمع ثم يفصل. فمثلاً في أسماء الله –عز وجل– وصفاته وأفعاله، ذكر القواعد العامة، والأدلة ثم بدأ بالمسائل الكبرى في أسماء الله وصفاته، بدأ بكلام الله وفصل فيه واستدل، والرؤيا ثم عرج على القضاء والقدر، ثم بين بعض القواعد التي تقوم عليها مذاهب المخالفين، ذكر مسائل الإيمان المعروفة بشكل تأصيلي، ثم عرج على كثير من السمعيات التي هي من أصول العقيدة الكبرى المقصود بها السمعيات التي أيضاً نأخذها من الكتاب والسنة من قضايا العقيدة الغيبية في الدنيا والآخرة، من ذلك أنه أشار إلى الإسراء والمعراج وأشراط الساعة، والبعث والشفاعة والرؤية والجنة والنار، ثم أفرد أو ميز خصائص النبي –صلى الله عليه وسلم– بحديث وحقوق النبي –صلى الله عليه وسلم– كعادة السلف، ثم عرج على حقوق الصحابة وهذا منهج

أيضاً يعني انفرد به السلف في أنهم على الأصل الشرعي يلحقون دائماً حقوق الصحابة بحقوق النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن الصحابة هم صحابته، وحقوق الصحابة أصل من أصول حقوق النبي -صلى الله عليه وسلم- ليست فرع، حقوق الصحابة أصل من حقوق النبي -صلى الله عليه وسلم-، فمن هنا ألحقها المؤلف بها، وخصص بعض الطبقات وأفراد الصحابة الذين خصوا بفضل.

ثم تحدث عن التكفير وأحكام التكفير، وعن الخلافة وقواعدها وأحكامها والإمامة والطاعة، وحقوق ولاة الأمر، تحدث عن الجهاد وتحدث عن موقف السلف من الجدال، والمنهج في ذلك، ثم أيضاً عرج على التحذير على الخصومات في الدين والبدع وأهلها، وأشار إلى علامات أهل البدع بإيجاز بالغ لكنه كافي، ثم ذكر مواقف أهل البدع تجاه الدين وتجاه السنة والسلف أيضاً بإيجاز، ثم ختم كتابه بخاتمة رائعة التي هي عبارة عن الجوانب الأخلاقية وتمثل بإشارات موجزة لا يتفطن لها إلا القليل من الناس.

وفي الجملة فإن هذا الكتاب يعد أنموذج لكتب السلف الشاملة الموجزة المختصرة الميسرة التي تمثل المنهج النقي الصافي لمنهاج السلف في الدين عموماً، لكنها من الكتب كسائر الكتب القديمة للسلف تحتاج إلى العنصرة والشرح والبيان للأجيال التي تعودت على هذا النهج، نهج العنصرة والشرح والبيان، وإن شاء الله لعلي نسلك مسلك الشرح مع التسهيل قدر الاستطاعة.

لعل الشيخ -رحمه الله تعالى- أرخ تقريباً لذلك العصر السياسي والاجتماعي وما مرت به الأمة في ذلك الوقت في تلك الحقبة، لعل من المناسب جداً أن نذكر هنا سؤال تطرق للموضوعات التي ذكرتموها: يقول: ذكرتم -حفظكم الله- في الدرس السابق أن هناك مواضيع لم تكن في العقيدة ثم صارت مواضيع عقدية، وذكرتم أن هذا .. سؤالي -بارك الله فيكم-: ما ثمرة الخلاف في مثل هذه القضايا؟ لأن القائلين بأنه لم يكن من مواضيع العقيدة فصار منها لا يعنون بذلك عدم الاعتقاد فيها، بل عدوها من المسائل التفصيلية الجزئية والتي تدخل في الأحكام الفقهية، والقائلين بأنه من مواضيع العقيدة أصلاً يقولون: أنه من موضوعاتها التفصيلية ذات الجانب العملي؟ ليت الشيخ يوضح هذه المسألة؟ وجزاكم الله خير.

لعل العبارة مفهومة يا فضيلة الشيخ.

أي نعم، نوعاً ما، كأني فهمته، هو الحقيقة هناك يبدو لي غموض في فهم السائل أو في فهمي للسؤال، هو أنه أنا ما قلت أنها ليست من العقيدة؛ لأن مفردات العقيدة لا تحصى، نحن نتكلم عن العقيدة المكتوب المقرر، لا العقيدة التي تضمنها الكتاب والسنة، العقيدة التي تتضمنها الكتاب والسنة لا نهاية لها، لكن أقصد تسطيرها في مؤلفات، فإدخال بعض المسائل العلمية التي تتعلق بالأحكام في كتب العقيدة ربما تكون خانتني العبارة أن أوضح هذا في الدرس السابق، إدخالها في كتب العقيدة وفي مفردات مسائل العقيدة كان الموجب، وهو أنها يعني وجد من خالف فيها رغم صحة الدليل، ونحن نعرف -وسبق أن قررنا أكثر من مرة- أنه ما صح به الدليل فهو يجب اعتقاده سواءً كان مما يسمى من باب العقائد أو من باب الأحكام؛ لأن حصر قضايا العقيدة بالعلميات الاعتقادية هذا المصطلح عليها هذا خطأ، وليس هو المفهوم الشرعي للعقيدة، المفهوم الشرعي للعقيدة يشمل قطعيات الأحكام ومن المسائل التي خُولف فيها مسائل كانت فقهية لكنها من قطعيات الأحكام، فأدرجت في كتب العقائد؛ لأن المخالفين فيها عارضوا النصوص القطعية، وهذا يمكن أن يكون حتى في عصرنا هذا وإلى قيام الساعة فيه مسائل استجدت، استجد الكلام فيها هي مسائل الاعتقاد، أدرجت في كتب العقيدة في العصر الحديث، ولعلي أضرب لها أمثلة -إن شاء الله- في درس قادم، لا.. لأنها من العقيدة المحدثة لكن لأنها من المسائل التي كانت مسلمة لا تحتاج إلى أن تكتب وتقرر، فلما وجد المخالف وعمت الفتنة بهذه المخالفة، قررت في كتب العقائد وفي ثوابت الدين.

إذن أعود وأقول: المسائل الأحكام التي أدرجت في كتب العقيدة هي أصلاً كانت عقيدة وهي أحكام، لكنها أدرجت في كتب العقيدة، وليس في العقيدة، العقيدة لا تنتهي، وأدرجت في كتب العقيدة؛ لأنه وجد المخالف فيها للنص القطعي.

نبدأ بالمتن يا شيخ؟.

نعم، اقرأ؟

بسم الله الرحمن الرحيم، قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (الحمد لله المحمود بكل لسان، المعبود في كل زمان الذي لا يخلوا من علمه مكان، ولا يشغله شأن عن شأن، جل عن الأشباه والأنداد، وتنزه عن الصاحبة والأولاد، ونفذ حكمه في جميع العباد، لا تمثله العقول بالتفكير ولا تتوهمه القلوب بالتصوير، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

أحسنت -إن شاء الله- مستقبلاً سنكون على هذا المنهج، نقرأ ثلاثة سطور أو أربعة، ثم نقف للشرح، وأحياناً قد نقرأ فقرة أو فقرتين حتى لو لم تتجاوز سطر، هذا راجع إلى تصنيف الموضوعات، وأحياناً قد نقرأ إلى نصف صفحة، على أي حال، هذه الكلمات الأولى عبارات تحتاج إلى وقفات مهمة؛ لأنها في البدايات.

فأولاً: البسملة معروف أنها سنة من سنن الهدى؛ لأن معناها أن من يبدأ بأي شيء من الأشياء ذات البال يبدأ مستعيناً بالله، فيشرعه المسلم أن يبدأ بــ"بسم الله الرحمن الرحيم" ومن هنا بدأ المؤلف في كتابه -كعادة السلف- دائماً وفي كل زمان يبدءون بــ"بسم الله والحمد لله".

"بسم الله" معناها: بسم الله أبدأ، أو أبدأ بــ"بسم الله الرحمن الرحيم" مستعيناً بالله ومتوكلاً عليه، هذا يفهمه الإنسان بالفطرة، أي إنسان يستشعر معنى "بسم الله" يشعر فعلاً أنه بدأ متبركاً متفائلاً مستعيناً، والعرب من عادتها أنها تحذف كثيراً من العبارات والكلمات للإيجاز، لكن الخطاب العربي أو المتكلم بالخطاب العربي يفهم العبارة ولو لم تكن مكتملة في ألفاظها، والإيجاز دائماً هذا له فوائد عظيمة، فمن هنا -كما قلت- أصل الكلمة أنها نبدأ بسم الله، أو أبدأ بسم الله الرحمن الرحيم، لماذا أبدأ بسم الله؟ حينما علقت الأمر بالله -عز وجل- الذي بيده ملكوت كل شيء، فهذا يعني أني التجأت بالله، تعلقت باسمه، اسمه الذي هو العظمة والكمال والجلال، الذي تتوجه إليه القلوب استعانةً واستغاثةً ولجوءاً إليه، فمن هنا حينما نقول: نبدأ بسم الله، فلابد أن نفهم منها أنه: بسم الله نبدأ مستعينين متوكلين ثم إنه أيضاً يشعر بالتبرك التماس البركة من الله -عز وجل- فيما يشرع به المسلم.

ثم بدأ المؤلف بالحمد والثناء وكذلك هذا من السنة. النبي -صلى الله عليه وسلم- كما كان يبدأ بسم الله، كان يبدأ بحمد الله في خطبه، ويبدأ بالصلاة على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لكن الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- أحياناً تكون في ختام الكلام، وأحياناً تكون في البداية، وفي ثنايا الكلام وفي ختامه، فالشيخ هنا ربما استصحب الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- في ثنايا الكتاب كله، وفي آخره كذلك.

الحمد الذي يشرع به، يمجد به المسلم الله -عز وجل- في كل أمر ذي بال، معناه الثناء والشكر، كأنه يقول: أحمد الله على أن هداني؛ لأنه حينما بدأ بسم الله، هداه الله -عز وجل- إلى بداية الطريق، أن لجأ إلى الله واستعان به، ثم ليحمد الله على ما كان، وما هو حاصل، وما سيكون من توفيق من الله، من خلال ما سيشرع به، المؤلف هنا سيشرع في تقرير أمر عظيم وهو عقيدة السلف، فهو يحمد الله ابتداءً ويثني عليه، أن وفقه الله وسدده وأعانه، وهداه إلى أن يشرع بتقرير أمر عظيم من أمر الدين، وهو العقيدة.

ثم قال: (المحمود بكل لسان)، العبارة هذه عظيمة مجملة واسعة، المقصود بها أن الله -عز وجل- يُحمد في كل حال وبكل لغة؛ لأن اللسان هنا يشمل اللسان الناطق، ويشمل معنى اللغة، حتى لو كانت لغة إشارة.

اللسان نوعان:

لسان المقال: وهو الكلام والنطق.

ولسان الحال: الذي هو حمد القلب، يسمى لسان حال.

وحمد الجوارح.

أي نعم، مثلاً لو أنك تتفكر في حمد الله وشكره فقال له إنسان: لماذا ما أسمعك تحمد وتشكر؟ تقول: أنا الآن أحمد الله بقلبي وفكري؛ لأني أتأمل نعمة الله علي، والجمع بينهما أفضل، لكن القصد هنا عبارة الشيخ، أن اللسان هنا المقصود به الحال التي يكون عليها من يعبد الله، من يتوجه إلى الله بالحمد سواءً بحمد اللسان أو حمد القلب، بل يشمل ما هو أوسع من ذلك، حمد الله تمجيده وتسبيحه، بكل لسان يعني حمد الفطرة الذي يكون حتى من الجمادات الله -عز وجل- يقول عن جميع المخلوقات: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤]، فهذا التسبيح هو نوع من الحمد.

فعلى هذا جميع المخلوقات تسبح، وهذا يدخل في عموم قول الشارح: (بكل لسان)، إذن اللسان يشمل ما يحدث من جميع المخلوقات من تسبيح وتعظيم لله، ويشمل لغات البشر، ويشمل اللسان الذي ننطق به، ويشمل من حمد الله ومن لم يحمده، لمعنى أنه في كل لغة يستطيع أي عبد من عباد الله أن يحمد الله، لكن قد يحمد وقد لا يحمد، كذا؟ هذه مسألة مهمة؛ لأن الله محمود بمعنى أن الله أقدر عباده على أن يحمدوه بكل لسان، منهم من يحمده، ومنهم من لا يحمده؛ لأنه قد يرد أن بعض الأمم الهالكة التي وقعت في الضلال والكفر قد لا يصدر منها حمد لله -عز وجل- على الوجه الشرعي الصحيح، لكن لا لأنها لم تتمكن، لا لأنها لا تملك اللغة التي تحمد بها، إنما لأنها صرفت لصوارف العوارض، وصوارف الشيطان.

ثم قال: (المعبود في كل مكان)، بمعنى: أنه المستحق للعبادة.

قبل تجاوز هذا النص -الله يحفظكم يا شيخ- فيه سؤال: هناك الحمد وهناك الثناء، وهناك الشكر، هل هناك من تفريق؟ أو أنها مصطلحات ربما أنها لا بأس؟.

لا..، هي تتداخل، الحمد أوسع من الشكر، الحمد الثناء المطلق، والشكر غالباً يكون تجاه نعمة، غالباً هو حمد الله تجاه نعمة يسمى شكر، فالحمد هو أعم، الشكر أخص، وقد تتناوب هذه العبارات.

ثم قال: (المعبود في كل زمان)، طبعاً وفي مكان، من الطبيعي أنه إذا عُبد في كل زمان عُبد في كل مكان، لكن هنا يبدو أنه أراد أن تعاقب الأمم على عبادة الله -عز وجل- المعبود تشمل عدة معاني:

المعبود بمعنى المستحق للعبادة. لكن هناك من البشر من يعبده، وهناك من لا يعبده، لكن مع ذلك فإن الله -عز وجل- هو المستحق للعبادة مطلقاً، والعبادة نوعان:

عبادة عامة: وهي أن جميع الخلق يعبدونه عبودية الربوبية، عبودية الخضوع لسننه -عز وجل-، لكن ليست هذه عبادة بالمصطلح الدقيق، وهي نوع ما ذكره الله -عز وجل- ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ فالعبودية بالنسبة للكون كل الكون متجه إلى عبودية الله، وعموم البشر الأصل أنهم يعبدون الله، لكن منهم من يمتثل،

ومنهم من لا يمتثل، والذي لا يمتثل هذا، لا يمتثل بإرادته وعقله، إذا ما هداه الله –عز وجل–، لكن جوارحه الخاضعة لسنن الله الكونية، هذه تسبح له وتحمده.

طوعاً أو كره.

نعم، يعني جوارح الذي لا يعبد الله بقلبه جوارحه عابدة لله –عز وجل– هذا هو الأرجح؛ لأنها تدخل في عموم الشيء الذي يسبح بحمده، لكن الإنسان كإنسان له كيان ذو كيان أعطاه الله –عز وجل– القلب والروح والنفس والإرادة، فهذا قد يمتنع بعضهم عن عبادة الله –عز وجل– استكباراً أو ضلالاً أو جهلاً أو نحو ذلك.

(المعبود في كل زمان الذي لا يخلو من علمه مكان) المقصود شمول علم الله –عز وجل–، أي أن الله بكل شيء عليم، وأنه لا يخفى عليه شيء في السماوات والأرض؛ ولذلك أنكر الله –عز وجل– على الذين شككوا في عموم علم الله في خلقه، ﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤]، يعني هل يعقل أن الله لا يعلم خلقه؟! هل يعقل أن الخالق لا يعلم خلقه؟! هل يرد هذا في ذهن أي إنسان على الفطرة والعقل السليم؟! لا يعقل، إذن هي بدهية، لكن –أحياناً– الشبهات ووساوس الشيطان قد يشكون على بني آدم في البدهيات.

(فلا يخلوا من علمه مكان)، بمعنى عموم علم الله –عز وجل–، (ولا يشغله شأن عن شأن)، يعني أن الله –عز وجل– له كمال القدرة، كل الكون متحرك بقدرة الله، كل الأحداث نشأت بقدرة الله، كل المقادير الله –عز وجل– أنشأها في أوقاتها، وفي وقت واحد الله –عز وجل– يحدث له من شئون خلقه، يحدث منه في شئون خلقه ما لا يتناهى، هذه شئون، كل هذا الكون الذي يتحرك كل لحظة الله –عز وجل– هو الذي يحركه ويدبره بكلياته وجزئياته، وهذا فيه رد على نزعة الفلاسفة ومن تأثر بهم، الذين زعموا أن الله –عز وجل– لا يحيط إلا بالكليات، وهذا لا شك أنه ضلال مبين، فهم بهذا كأنهم جعلوا مع الله خالقين، تعالى الله عن ذلك، فالله –عز وجل– بإحاطته بعلمه، وتقديره لجميع المقادير، وكثرة المقادير في اللحظة الواحدة التي تأتي بما لا يحصى، ومع ذلك هذه الشؤون لا يشغله بعضها عن بعض، هذا معنى (لا يشغله شأن عن شأن).

(جل عن الأشباه والأنداد). كلمتان مترادفتان الأشباه هي الأنداد، لكن قد يكون بينهما بعض وجوه الفرق، بمعنى أن الله –عز وجل– تنزه –تقدس– عن أن يكون له شبيه ومثيل، وأن يكون له مكافئ من خلقه ولا من أي شيء يفترض ولا حتى يتصور، وكل تصور إنما هو محض أوهام، فالله –عز وجل– ليس له شبيه ولا مثيل، وإن كانت مسألة الشبه تحتاج إلى تفصيل، إنما المقصود التشبيه المنفي هنا الذي يقع في أذهان كثير ممن وقعوا في الباطل، في التشبيه أو الذين نفوا التشبيه فصار عندهم خلط بين التشبيه الذي هو مطلق المعاني المشتركة بين الخالق والمخلوق، فهذا سموه تشبيه تجوزاً، المقصود أن الله –عز وجل– ليس له مماثل يشبهه، وليس له مكافئ يعادله، ليس له مماثل يشبهه وهذا نفي المشابهة، وليس له مماثل يعادله ويكافئه، وهذا نفي يدخل فيه نفي الأنداد.

ثم قال –تفصيل لهذه القاعدة– حينما قال: (أن –عز وجل– تنزه وتقدس وتعالى عن أن يكون له مثيل وند) ذكر بعض المسائل الفرعية التي ادعاها المبطلون من ضلال الأمم؛ ولذلك الله –عز وجل– في كثير مما نفاه في القرآن وما نفاه عنه رسوله –صلى الله عليه وسلم– عنه في السنة، كان ينفي أشياء في الغالب قالت بها الأمم الضالة، مثل قولة: تنزه عن الصاحبة. الصاحبة الزوجة أو نحو الزوجة. يعني أن الله –عز وجل– لا يليق وهو أعظم وأجل من أن يكون له صاحبة، زوجة أو نحو ذلك.

فالله –عز وجل– هو الغني وغناه مطلق، ومصاحبة الصاحبة: هي حاجة.

والله -عز وجل- أعظم من أن تكون له حاجة من خلقه، فنظراً لأن هذه المقولة قيلت من ضلال الأمم، من ضلال من فلاسفة ومن المشركين ومن بعض اليهود، وبعض النصارى، إما بصريح المقالة أو بلزومها، فالله -عز وجل- تنزه أو نزه نفسه عن ذلك.

ثم قال: (والأولاد)، هذا معنى قوله -عز وجل-: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾ [الإخلاص: ٣]، كما أنه قوله -عز وجل-: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤]، هي معنى نفي الأشباه، والأنداد.

معنى هذا أن الله -عز وجل- لا يتولد عنه شيء؛ لأنه الكامل كمال مطلق؛ لأن الله -عز وجل- متفرد بصفات الكمال. والمخلوقات كلها يعتريها النقص، والخلل، والفناء، وغير ذلك.

ومن هنا الله -عز وجل- نفى عن نفسه الولد كما نفى الصاحبة، والأولاد يشمل كل ما هو متولد وليس فقط بمعنى الأولاد هنا التوالد التناسل، الله -عز وجل- لا شك أنه منزه عن ذلك من باب أولى، لكن أيضاً حتى التولد الذي يعني أن المخلوقات تنبثق من ذات الخالق -عز وجل- كما يزعم أصحاب الفلسفات التي تقول بأن هناك العقول التي انبثقت عن الخالق أو الأشياء المخلوقات التي فاضت عن الرب -عز وجل-، كل ذلك عين الباطل، فمن هنا التولد كل نوع من التولد، لكن بعض المبطلين قد يدخلون في الشيء ما ليس منه، فربما يعني اشتبه عندهم مسألة أفعال الله -عز وجل- والحوادث التي يحدثها الله في خلقه، فقد ينفونها أي أفعال الله بناءً على أنهم بالغوا في نفي هذا المعنى إلى حد أنهم خلطوا الحق بالباطل، وسيأتي هذا في مناسبته.

ثم قال: (ونفذ حكمه في جميع العباد) حكمه: يعني قدره. الله -عز وجل- بيده مقادير كل شيء، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

لكن يجب أن نفهم، ما معنى نفوذ الحكم؟ نفوذ الحكم لا يعني الجبر للعباد، العباد ليسوا مجبورين، الله -عز وجل- أقدرهم وخيرهم، وهم لا يخرجون عن أقدار الله؛ ولذلك الله -عز وجل- شرع الأسباب؛ لأنها لها أثر في الأقدار بإذن الله، بمعنى: أن الله قدر الأقدار على ضوء الأسباب، على قدر الأسباب، على أساس الأسباب، الله -عز وجل- عالم بمقادير كل إنسان، وماذا سيفعل، فمن خلال علم الله السابق، كانت مقاديره سبحانه، وعلمه النافذ في العباد مبني على علمه ماذا سيفعلون؟ نقول: هذا لئلا يقول قائل: ما دام حكمه نافذ في العباد فمعنى هذا لماذا لا يعملون العباد؟ كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (وقل اعملوا فكل ميسر قدر) النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (وقل اعملوا فكل ميسر لما خلق له) يعني ميسر قدراً لما خالق له؛ فلذلك إذا فعل الأسباب فإن الله مقدر له ما جعله الله -عز وجل- مبني على الأسباب؛ ولذلك حتى الدعاء قد يرد القضاء بإذن الله وفي علمه السابق، وقد ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يعني أنك تعارض بين قضاء الله وشرعه وأمره، إنما يعني هذا أن الله -عز وجل- جعل الدعاء سبب، وجعل تقدير العباد مبني على فعلهم للأسباب، إذا توافرت شروط السبب، فإن الله -عز وجل- يجعل الأسباب مؤثرة في الأقدار بإذنه.

فمن هنا معنى حكمه يعني قدره في جميع العباد هنا خص العبادة بأنهم هم العقلاء المخاطبون، وإلا فإن الله نافذ حكمه في جميع الخلق، وإذا كان نافذاً حكمه في العبادة الذين هم العقلاء فغيرهم من باب أولى، وهذا من إيجاز المؤلف.

قال: (لا تمثله العقول بالتفكير، ولا تتوهمه القلوب بالتصوير)، يقصد بذلك أن عقول البشر لا تحد له مثلاً، لا تستطيع أن تعين له مثيلاً وإن حصل في الأذهان شيء فهو أوهام، لو قدر أن أحد يقول: أنا والله تفكرت في عقلي ووجدت مثال، نقول: هذا المثال وهم عندك، الله -عز وجل- ليس كمثله شيء.

إذن ما تتمثله عقول بعض العقلاء بالتفكير، فإن هذا التفكير لا يمكن أن يتطاول إلى إدراك كنه الله، وإلى إدراك كيفية صفات الله، ولا أن يحد لله مثلاً ولا شبيهاً أبداً على الإطلاق؛ لأن العقول أقل وأقصر من أن تدرك المثال لله -عز وجل-، لكن قد تدرك المجملات إدراك عظمة الله. هذا في كل عقل سليم، إدراك علم الله هذا في كل عقل سليم، لكن القصد هنا التفكير الذي يتطاول أو يريد أن يضع صور في ذهنه، ثم يحكم بأنها هي صفات الله، فهذا وهم وهذا الوهم هو الذي جعل كثير من المعطلة والمشبهة يقعون في مصادمة الشرع، ويسيئون الأدب مع الله -عز وجل-.

ثم أن العقول لا تمثله بالتفكير، يعني بها أن غالباً بل كل المخاطبين إذا سمعوا كلام الله في صفاته وسمعوا كلام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في صفاته، قد يقدح في أذهانهم تصورات، المخاطب العاقل، لا يخلوا أن يضع في ذهنه عن الكلام الذي يسمعه من الكتاب والسنة، في أسماء الله وصفاته، وفي غيرها من الغيبيات، يضع في ذهنه صورة خيال، فقد يأتي الشيطان ويدخل على الإنسان ليظن أن هذا الخيال هو حقيقة صفات الرب، نقول: لا، الله -عز وجل- أعظم وأجل، وهذه الخيالات لا تستطيع أن تطردها، بعض الناس يقول: يا أخي أنا أتخيل إذا سمعت بعض صفات الله أتخيل في ذهني صورة، نقول: نعم هذه الخيال أمثال تضرب، أنت لا تستطيع أن تطرد هذه الصور التي في خيالك، لكن يجب أن تعتقد أن هذه الصورة التي في خيالك ليست هي كيفية صفة الله، فمن هنا (لا تتمثله العقول بالتفكير، ولا تتوهمه القلوب بالتصوير)، أي: بالتصورات، الصور والتصورات التي تكون في قلوب وعقول الناس، إنما هي أمثال لله -عز وجل- تضرب أما حقيقة أسماء الله وصفاته وأفعاله فهي أعظم وأجل من أن تدركها العقول ولا التصورات ولا الأوهام، وهذا يدخل فيه معنى قول الله -عز وجل-: ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، يعني أن الله -عز وجل- حينما تراه الأبصار يوم القيامة، فإن هذه الأبصار لا تحيط به بكماله، وكذلك قبل ذلك المشهد لا تحيط بأسمائه وصفاته على جهة الكيفية، أما الحقائق فهي معلومة، حقائق صفات الله وأفعاله، معلومة؛ لأن الله -عز وجل- لا يخاطبنا إلا بحق.

يقول -وعلنا أجبنا على هذا السؤال فضيلة الشيخ- وهو: متى ظهر مصطلح السنة والجماعة؟ نعيد هذا بإيجاز....؟

إذن بإيجاز أعيد مصطلح السنة والجماعة أولاً من حيث هو أصل جاء وصية للنبي -صلى الله عليه وسلم-، هو مع أصل الإسلام بمعنى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- حينما حذر أمته من الاختلاف: (إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثير) قال: (فعليكم بسنتي) معنى: أنه وصية صرح بها النبي -صلى الله عليه وسلم- وكذلك في أحاديث كثيرة أمر بالجماعة، ونهى عن الفرقة، ونهى عن الخلاف، فمن هنا جاء الأمر بالسنة والجماعة عن لسان النبي -صلى الله عليه وسلم-، لكنه ما جاء كمصطلح إلا في نهاية القرن الأول الهجري لعدة أسباب أهما:

- أن الأمة كانت كلها على السنة والجماعة.

أغلب القرن الهجري الأول أو حتى مع وجود الفرق القليل، فإنها كانت شاذة ومغمورة ونادرة، والنادر لا حكم له. يعني ما كان فيه داعي أن الأمة وهي كلها على السنة ومع أئمتها وعلمائها أن يسمون أنفسهم أهل السنة والجماعة والأمة كلها كذلك؛ لأن الفرق والافتراق كانت معزولة.

- في نهاية القرن الأول الهجري كثرت الفرق وكثر أتباعها؛ فاختلط الأمر على العامة وعلى الناشئة، وعلى أجيال المسلمين.

فالسلف تأملوا وصايا النبي -صلى الله عليه وسلم- كعادتهم في كل أمر يحدث لهم يبحثون عن الحلول في الشرع، فقالوا: كيف يعني لسان الحال أنهم قالوا: كيف نميز بين الحق والباطل ما دام كل يدعي الإسلام والسنة

والجماعة؟ هم كلهم مسلمون، لكن هناك مسلمون خرجوا عن السنة والجماعة كالشيعة والقدرية والمرجئة والخوارج في ذلك الوقت، فرأى أئمة السلف أو جاءت على ألسنة أئمة السلف أخذاً من قول النبي -صلى الله عليه وسلم- التمييز بين الباقين على ما كان عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- من العلماء وأتباعهم والعامة، وبين الذين خرجوا، فكان الذي يميزهم هو وصف النبي -صلى الله عليه وسلم-، السنة التي أوصى بها، والجماعة التي أوصى بها، فسموا أنفسهم وسموا من قِبَل أيضاً أهل الأهواء والبدع بأهل السنة والجماعة.

يقول: لدي سؤال يا شيخ فيما يتعلق بالأسماء والصفات، عندما يقال مثلاً لفظ الجلالة "الله" يوصف بالرحمن أو الرحيم أو أي من صفاته أو أسمائه -سبحانه وتعالى-، لكن لفظ الجلالة نفسه هل نعتبره يشتمل على صفة ماذا يعني؟.

تقصد لفظ الجلالة "الله" -سبحانه وتعالى-.

هل هو الموصوف أو يشتمل على صفة معينة؟ لأنه دائماً مثلاً في مقدمة الكتاب يقول: (الحمد لله المحمود بكل لسان المعبود) فوصف لفظ الجلالة بهذه الصفات، فهل لفظ الجلالة يشتمل على صفة أم ماذا؟ أم هو اسم يشتمل على صفة؟ وهل الصفة التي يشتمل عليها هل هي صفة في ذاتها أم صفة متعدية؟.

أحسنت، اسم الله -عز وجل- اسم الجلالة "الله" من الأسماء الجامعة التي تشمل جميع أسماء وأوصاف وأفعال الكمال، الكمال المطلق؛ لأن منشأ معنى الله في اللغة العربية يحمل معاني كلها واسعة وعظيمة، منها: أن الله يعني الذي تألهه القلوب أي تنجذب إليه، وتألهه المخلوقات أي تنجذب إليه فالله هو الذي تصمد إليه جميع الخلائق، هذا معنى الألوهية أو من المعاني اللغوية الواسعة للألوهية، التي تصمد إليه تتوجه إليه جميع المخلوقات، كلها، كل الكون ينجذب إليه ويتوجه إليه، وقلوب العباد -العقلاء بخاصة- فمن هنا هذا المعنى اللغوي يشمل جميع معاني الكمال وصفات الكمال.

ثم إن من معنى "الله" معناها: المحبوب؛ لأن التأله كمال المحبة والشوق، والمحبة، كذلك فطرة لجميع المخلوقات، وكذلك هي أعظم خصال العباد المخلصين الصادقين مع ربهم -عز وجل-، هي محبة الله، وهي أول مباني الدين وأول مباني الاعتقاد، وأول مباني الأعمال القلبية، أول أركان العبادة هي المحبة، فالله هو المألوه المحبوب الذي تعشقه القلوب، والأرواح والنفوس، تنجذب إليه انجذاب المحب، المتأله، الواله، الواله بمعنى: الذي بمنتهى المحبة والشوق، وهذه نعرفها حتى عند عامة الناس، الناس إذا اشتاق إلى شيء وتذكره قال: أنا ولهان إلى كذا، ما معنى ولهان؟ ما رأيكم؟ ما معنى ولهان؟ مشتاق، فهذا من معاني الألوهية، وعلى هذا فقس، فإن معاني الألوهية واسعة.

أيضاً "الله" بمعنى المعبود، "الله" في لغة العرب تعني: المعبود، والمعبود الذي هو له جميع أسماء الكمال وصفات الكمال، وأفعال الكمال، فعلى هذا فعلاً اسم الجلالة تميز بأنه يجمع جميع أسماء وصفات وأفعال الكمال لله -عز وجل-.

يقول: هل هناك فرق بين العقيدة والمنهج؟.

نعم هذا سؤال جيد ووجيه، الفروق اللفظية موجودة، يعني العقيدة هي العقل، والمنهج هو الإطار أو القواعد التي تحكم الشيء، الإطار يسمى منهج، القواعد تسمى منهج، المسار العام يعني المسلك التطبيقي المسلك العلمي كل هذا يسمى منهج، فعلى هذا المنهج عبارة عن أو المناهج في العقيدة أو المنهج في العقيدة هي تعبير عن القواعد والأصول والتطبيقات العامة الشاملة للعقيدة، فممكن نسمي قواعد ضبط العقيدة منهج، ممكن نسمي أصول الاعتقاد بمفرداتها منهج، ممكن نسمي التطبيقات العلمية للعقيدة منهج، ممكن نسمي التطبيقات العملية للعقيدة من

خلال سلوك الأفراد من خلال سلوك الجماعة، من خلال سلوك الأمة منهج، تطبيقات الضوابط الدين والوسائل التي تخدم الدين على ضوء القواعد والأدوات هذه تسمى منهج؛ ولذلك يجوز جمعها مناهج، إذا قصد بها هذه المسائل متفرقة، لكن إذا قصد بها شمولية الدين، فهو يسمى منهج، أقول هذا لأن السؤال الحقيقة هذا وجيه، وبمناسبته أحب أن أشير إلى ما يتنازع عليه كثيرون الآن ويقع على هذا النزاع تخطئة وتبديع وغير ذلك، وهو أن بعض الناس يقول: لا تسمي عقائد السلف عقائد، لا تسميها مناهج؛ لأنها لا تتعدد، هي الدين الواحد، نقول: لا يا أخي، هذا راجع إلى المقصد، إن كان المقصد هو ما يعبر به كل عالم عن العقيدة نسميها عقائد، وإن كان المقصد أصل ما نشأ أو ما أنزله الله -عز وجل- الكتاب والسنة من الأصول والثوابت، فهذا واحد وليس متعدد، أيضاً مسألة المنهج، إذا قصد به يعني طرائق وأساليب العلماء في تقليد الدين والتطبيقات، فإننا نسميها مناهج، وإذا قصد بها ما يجتمعون عليه من الأطر والثوابت الشرعية التي لا تغيير فيها ولا تبديل، فمن هنا تسمى منهج، إذن فالمنهج عبارة عن الضوابط التي تضبط العقيدة.

يقول: قلت: ما تعشقه القلوب يا شيخ، فهل هناك فرق بين العشق والمحبة؟.

لا، كلمة تعشقه هذا تجوز، يعني عندما نستفيض في الشرح، نأتي بمثل هذه العبارات، أما إذا أردنا أن نأخذ من المصطلح الشرعي الحد الدقيق نقول: تحبه، تألهه، تعبده، فيعني كلمة تعشقه هذه من باب الشرح والبيان والتوسع في العبارات.

تقول: ما هو أفضل شرح لكتاب "لمعة الاعتقاد" وما رأي فضيلتكم بشرح الشيخ محمد العثيمين -رحمه الله تعالى-؟.

على أي حال هو من الأسئلة التي أحياناً تحرجنا عن المعاصرين، يعني يسأل عن الأفضل، أولاً: الأفضل قد لا يكون ميزانه واحد، قد يكون عندي الأفضل الكتاب الفلاني لاعتبارات أراها، ويرى غيري أن الأفضل هو الكتاب الفلاني، لكن في الحقيقة أنا أرى أن الكتب التي بين أيدينا من شروح "لمعة الاعتقاد" للمعاصرين بينها تقارب كبير، وبعضهم موسع وبعضها موجز، يعني كتاب الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله- ما دام أشارت إليه السائلة في الحقيقة جيد -ولا شك- ويتميز بالتقعيد والضبط والعنصرة، لكن ليس بشامل، أشمل منه كتابان: كتاب لمعالي الشيخ "صالح الفوزان" حفظه الله، وكتاب للدكتور "عبد الرحمن بن صالح المحمود" يعني هذا الذي يحضرني الآن من حيث الشمولية والتفصيل.

أسئلة الحلقة.

طبعاً من الخصائص التي ذكرناها من خصائص عقيدة السلف أنها توقيفية غيبية. أرى أنه يُطلب من المستمعين شرح موجز لا يزيد عن ما يعادل سطرين؟

السؤال الأول: ما معنى قولنا: توقيفية غيبية؟

السؤال الثاني: فقد أشرت في أول الكتاب أن الشارح أو المؤلف قال: (المحمود بكل لسان) فنريد معاني الحمد ومعاني اللسان هنا؟ ما المقصود بكل لسان؟ وأضيف إلى السؤال منحى أدق: لماذا عبر المؤلف باللسان مع أنه ليس كل الحامدين لله يحمدون بألسنتهم؟

الدرس الثالث

شرح مقدمة المتن

(الحمد لله المحمود بكل لسان، المعبود في كل زمان الذي لا يخلوا من علمه مكان، ولا يشغله شأن عن شأن، جل عن الأشباه والأنداد، وتنزه عن الصاحبة والأولاد، ونفذ حكمه في جميع العباد، لا تمثله العقول بالتفكير، ولا تتوهمه القلوب بالتصوير، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه: ٥: ٨].

أحسنت، نقف عند هذا -بارك الله فيك-.

في الدرس الماضي وقفنا على الآية: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ هذه الآية تمثل القاعدة الكبرى التي تحكم الاعتقاد في أسماء الله وصفاته، والتي أجمع عليها جميع الأمة، وهي قاعدة نفي المماثلة لله -عز وجل-، وإثبات الصفات، وكان الذي يتبادر إلى ذهن الإنسان غالبًا أن يثبت أولاً أن الله -عز وجل- لا شك في ثبوت الكمال له، ثم ينفي النقص عن الله -عز وجل-، لكن جاءت الآية مقررة للبداية بنفي المماثلة، مماثلة الله لخلقه أو مماثلة شيء من الخلق لله، قال -عز وجل-: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ قبل الإشارة إلى الإثبات بقوله: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ أي أنه في هذه الآية بدأ بنفي النقائص عن الله -عز وجل-، والتي من أشهرها ومن أشهر ما وقعت فيه الأمم التشبيه، أو بلفظ شرعي دقيق تمثيل الله بالخلق، أو تمثيل الخلق بالله مماثلة جزئية أو كلية تعالى الله عما يزعمون.

والبداية بالنفي هنا لها أهمية في تأسيس الاعتقاد في قلب المسلم، ولها أهمية كبرى، وهو أن الإنسان العاقل مخاطب بالشرع، وكان من ضمن الخبر والخطاب الذي جاءه عن الله -عز وجل- وعن رسوله -صلى الله عليه وسلم- الخبر عن الله -عز وجل- في ذاته وأسمائه وصفاته، وهو أعظم الخبر، وأعظم ما يعتقده المسلم في حق الله، ونظرًا لأن السامع العاقل غالبًا إذا سمع بأسماء الله وصفاته وأفعاله، يتوهم في ذهنه صورًا وأشكالاً وأوهامًا ربما ينطبع في قلبه إذا لم يحصن بالعقيدة السليمة، أن هذه الأوهام والصور والأشكال هي حقيقة صفات الله؛ ولذلك جاء النفي هنا ليطرد ويطهر القلب والعقل والتصور من أن ينقدح التشبيه، بمعنى أن الإنسان إذا بدأ باعتقاد أن الله ليس كمثله شيء من هنا عظم الله حق التعظيم، وتهيب التشويه والتمثيل، وتحصن قلبه وعقله من أن يتوهم لله مثيلاً أو شبيهًا، ثم بعد ذلك يأتي الإثبات ليحل في هذا القلب الذي حصن بمثل هذا التحصين، فبدأت الآية بقوله -عز وجل-: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾، إذن إذا جاء قوله: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ يجب أن لا يتوهم السامع أن سمعه مثل سمع المخلوقين، ولا أن بصره مثل بصر المخلوقين، وهكذا بقية الصفات، هذا أمرٌ آخر؛ نظرًا لأن أغلب ما ابتليت فيه الأمم من أنواع الضلالات هو سوء التصور عن الله، وعدم تعظيم لله حق تعظيمه، وعدم تقديره حق تقديره، ومن ذلك أن طوائف من الأمم الهالكة حكَّمت خيالاتها وتخرصاتها في الله -عز وجل- فشبهوا الله بالخلق، أو شبهوا الخلق بالله، فمن هنا جاء التنزيل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾. [الشورى: ١١].

فهذه الآية قاعدة عظيمة، وهي التي ستكون محتكم فيما سيرد -إن شاء الله- في الدروس القادمة حول أسماء الله وصفاته على جهة التفصيل، هذا فيما يتعلق بالآية.

ثم قال: (له الأسماء الحسنى والصفات العلى) ومثل لذلك مثل للصفات العلى وللأسماء بقوله: ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ وهذا اسم لله -عز وجل- ﴿ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ وهذا وصف فعل من أفعال الله -عز وجل-.

هذه الآية أيضًا والآية التي قبلها والتي بعدها تذكرنا بأهمية ذكر القواعد التي يجب على كل مسلم أن يعتقدها في الله -عز وجل-، وهذه القواعد أراد المؤلف هنا أن يضرب لها أمثلة بنماذج من الصفات فقط، وهذا يكفي، فإذا استجلينا هذه النصوص التي أمامنا وجدنا أنها تعني إثبات قواعد عظمى في أسماء الله وصفاته منها ما يلي على جهة الإجمال:

القاعدة الأولى: أن أسماء الله -عز وجل- وأوصاف الله وأفعاله كلها حسنى، وكلها كمال على الإطلاق، كلها حسنى بمعنى: بمنتهى الكمال والجلال والعظمة، هذا أولاً: كل أسماء الله وأفعاله وأوصافه كلها حسنى وكلها كاملة.

القاعدة الثانية: أن أسماء الله وصفاته أعلام وأوصاف. أعلام تدل على ذاته، وأوصاف تدل على صفاته وأفعاله، وهذا مقتضى الكمال، مقتضى الكمال: أن أسماء الله أعلام تدل على ذاته، تدل على وجوده، تدل على عظمته وكماله، كل أسماء الله كمال، وكل اسم يدل على الذات، وإن كانت لها معاني متعددة بحسب ألفاظها، فالرحمن: تعني أنه ذو الرحمة، والحكيم: تعني أنه ذو الحكمة، والله: تعني أنه ذو الألوهية المعبود، وهكذا بقية الأسماء، والموصوف هو واحد، المسمى بهذه الأسماء هو الله -عز وجل-، فهي -أي أسماء الله- أعلام، تدل على موصوف وهو الله -عز وجل-.

كما أنها أوصاف أي أن أسماء الله تدل على الأوصاف، فالرحمن يدل على الرحمة، والعظيم يدل على العظمة، والعلي يدل على العلو، والسميع يدل على السمع، والبصير يدل على البصر، وهكذا.

من دون دخول في توصيف للبشر.

لا شك.

العقلي.

نعم بدون دخول في الكيفيات، التوصيف العقلي يا أخي الكريم والكلام للمشاهدين جميعًا ليس ممنوع مطلقًا، التوصيف العقلي بمعنى: ما نعقله من حقائق أسماء الله وصفاته هذا لابد نعتقده؛ لأننا خوطبنا بلسان عربي مبين، وخوطبنا عن وجود ذاتي لله -عز وجل- موصوف بالصفات العلى وبالأسماء الحسنى، فإذن العقل يدخل مدخل محدود، وهو إثبات الكمال، إثبات حقائق الأسماء والصفات على ما يليق بجلاله، لكنه لا يستطيع أن يتعدى؛ لأنه لا يطيق أن يتعدى الكلام في كيفيات الأسماء والصفات؛ ولذلك أذكركم بما قلته قبل قليل من أن الآية بدأت بقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ من أجل أن نطرد التوهمات قبل أن نعتقد، ثم نعتقد بعيدًا عن توهم التشبيه، والتمثيل.

فإذن القاعدة الثانية: أن أسماء الله أعلام تدل على موصوف واحد وهو الله -عز وجل- وأوصاف متعددة تدل على أن صفات الله لا تتناهى، وأنها أيضًا تدل على ذاته وأفعاله، الأوصاف صفات الله -عز وجل- منها ما يرجع إلى الصفات الذاتية، ومنها ما يرجع إلى الصفات الفعلية، أي: صفات الله صفات تدل على الكمال المطلق، والتي تعني دلالات الأسماء، وتعني أيضًا دلالات الأفعال لله -عز وجل-.

القاعدة الثالثة: أن أسماء الله كلها كمال، وصفاته كلها كمال، وأفعاله كلها على وجه الكمال والحكمة الكاملة، لا يعتريها نقص من أي وجه من الوجوه، وقد يستغرب السامع والمشاهد وهو -إن شاء الله- على الفطرة.

لماذا نقول هذا وهو بديهي؟ أليس من البدهي أليس من المعلوم بالضرورة أن الله -عز وجل- له الكمال المطلق، ولا يمكن أن يتطرق إلى ذهن عاقل أن الله ممكن أن يوصف بنقص؟ أليس هذا معلوم؟ لكن لماذا نقوله مع أنه معلوم؟

التشويه الحاصل.

أحسنت؛ لأن هناك من البشر من وقع في استنقاص الرب -عز وجل- فهناك من الأمم من نسبوا إلى الله ما لا يليق مثل الولد والصاحبة، نسبوا له بعض أفعال المخلوقات التي لا تكون إلا في الناقص الذي هو المخلوق، وسيأتي هذا من ضمن النصوص.

إذن لما وقع أهل الباطل في التصورات الخاطئة عن الله -عز وجل- والاعتقادات الباطلة عن الله -عز وجل- جاءت ضرورة إحكام هذا الأصل بقواعد هي مقتضى النصوص القطعية، وهي مقتضى العقل السليم والفطرة، وهو أن الله بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله كمال مطلق لا يعتريه نقص بحال من الأحوال.

القاعدة الرابعة: أن الله -عز وجل- أوصافه تعتمد على الإثبات، أي: إثبات الكمال، والنفي أي: نفي النقائص، يجمع ذلك مثل قوله -عز وجل-: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ [الإخلاص: ١، ٢]، ثم بعد ذلك ماذا قال؟ بدأ النفي: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤]، جاء النفي هنا أكثر تفصيلاً من الإثبات، لماذا؟ لما قلناه قبل قليل، أن الأمم الهالكة وأهل الأهواء والبدع تجرءوا على الله -عز وجل-، ووصفوه بالأوصاف غير اللائقة، فمن هنا لابد أن نقول: من القواعد الضرورية أن الله -عز وجل- كما يوصف بالكمال، وهذا إثبات جملة وتفصيلاً، فوصف بالكمال من خلال أسمائه -عز وجل-، من خلال صفاته، من خلال أفعاله، الكمال المطلق، فكذلك أيضًا جاء الشرع، وأيضًا العقل السليم بضرورة نفي النقائص.

إذن قاعدة الصفات أنها تقوم على الإثبات، إثبات الأسماء والصفات والأفعال على جهة التفصيل، وعلى النفي أي نفي ما لا يليق بالله -عز وجل-، خاصة ما قاله المبطلون.

هل يجوز وصف الله -سبحانه وتعالى- بما لم يصف به نفسه أو لم يصفه به رسوله -صلى الله عليه وسلم- كواجب الوجود مثلاً؟

لا.. على سبيل تحديد الاسم لله -عز وجل- أو الصفة لا يجوز الخروج عن مقتضى ما جاء به الشرع؛ لأن ما جاء به الشرع من أسماء الله وصفاته وأفعاله فيه الكمال المطلق، وكل ما يمكن أن يرد على ألسنة البشر بأي لغة، من أوصاف الكمال -أرجو أن تتنبهوا جيدًا- كل ما يرد على ألسنة البشر بأي لغة على أي لسان، بل كل ما يتوهمه بشر من أوصاف الكمال، فإن في نصوص الكتاب والسنة ما يفي بذلك وزيادة، لسنا بحاجة إلى أن نستحدث لله أسماء؛ لأن ما ورد في النص يشتمل على كل ما يمكن أن يرد في الخاطر فضلاً عن أن يرد في اللسان، لكن من باب الشرح والبيان، هذا أمر آخر، بمعنى: فرق بين أن نحدد لله أسماءً حدية، نقول: هذا من أسماء الله، وبين أن نشرح ونبين، إذا أردنا أن نشرح ونبين قد نفيض لنصيغ للمستمعين بعض العبارات التي تقرب معاني الأسماء والصفات عند من لم يفهمها، فالشرح أمره سهل، أما تحديد الاسم والصفة لله -عز وجل- فيجب أن يكتفي فيه بما يرد بنصوص الشرع الثابتة.

يقول: هل يجوز تكييف أسماء صفات الله؟.

التكييف بمعنى: الكلام في الكيفية هذا لا يجوز بإطلاق، لماذا؟ لأن الكيفية التي هي الكلام على التفاصيل الغيبية في أسماء الله وصفاته وسائر أمور الغيب، هذه الكيفية، يعني الحقائق الغائبة عنا؛ لأن الحقيقة نوعان:

حقيقة المعلومة: وهي إثبات الكمال لله -عز وجل- جملة وتفصيلاً على نحو ما ورد في الكتاب والسنة وما يمكن أن يتصوره العقل السليم من الكمال، فهذه الحقيقة تثبت.

لكن الجانب الآخر: وهي الحقيقة التي تعني الكيفية تعني التفاصيل التي عليها ذات الله وأسمائه وصفاته، هذه لا يمكن تصورها ولا يجوز الكلام فيها.

وطبعًا وأنا أتحدث عن القواعد الآن، أخشى أن يكون بعض المشاهدين الآن يظن أننا سنتوقف كثيرًا عند بدايات الكتاب، لا.. الأمر -إن شاء الله- محسوب بأننا سننهي الكتاب -إن شاء الله- في نهاية الحلقات المقررة؛ لكن نظرًا لأن بداية الكتاب دائمًا تكون هي مفتاح وموطن المنهجيات؛ فلذلك سنتوقف في هذا الدرس والذي بعده على الأصول والمنهجيات بعد ذلك نأخذ الكتاب بصفة تحليلية ومنهجية، الآن نركز الجانب المنهجي.

القاعدة الخامسة: أن لله -عز وجل- الكمال المطلق، ونفي التمثيل المطلق، الكمال المطلق يعني الكمال الذي لا يقيد بقيد، الكمال الذي لا يتناهى، يمثل ذلك مثل قوله -عز وجل- في وصف الأول وفي وصف الآخر فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (الأول: الذي ليس قبله شيء)، كمال مطلق، (والآخر: الذي ليس بعده شيء) هذا أنموذج للكمال المطلق في الأولية والأخروية، بمعنى أن له الكمال المطلق في كل شيء، وأيضًا يجب نفي كل نقيصة عن الله -عز وجل، وهذه راجع إلى قاعدة سابقة لكن هذه أكثر تفصيلاً.

القاعدة السادسة: أن أسماء الله وصفاته وأفعاله توقيفية. وهذا يرجع إلى سؤال الطالب قبل قليل، هل يجوز أن نحدث لله اسمًا وصفة؟ نقول: لا...، أسماء الله وصفاته توقيفية، ما معنى توقيفية؟ بمعنى أننا نقف فيها على ما ورد عن الله -تعالى- وصح عن رسوله -صلى الله عليه وسلم-، لماذا نقول ما جاء عن الله، ولا نقول صح عن الله؟ في حين أننا نقول: وما صح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا نقول: ما جاء عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مطلقًا؟ السؤال مفهوم ولا أعيده؟

نحن نقول: يجب أن نعتقد أو نعرف أن أسماء الله وصفاته وأفعاله موقوفة متوقفة على ما جاء عن الله، وثبت عن رسوله -صلى الله عليه وسلم- لاحظوا السلف قالوا: جاء عن الله، في حين أنهم لما ذكروا ما جاء عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قالوا: وما ثبت. نعرف من هذا شيء معين هو استدراك ما هو؟

أن ما جاء عن الله تشريع، وأما ما ثبت عن النبي ما فعله النبي -صلى الله عليه وسلم-.

هذا من جانب، لكن فيه أمر أوضح من هذا. أحسنت.

كل نصوص الوحي.. قطعية.

هو ما جاء عن الله؛ لأن ما جاء عن الله هو القرآن، والقرآن قطعي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، محفوظ.

قلنا: ما ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن هناك بعض الأحاديث والآثار كذبت عن النبي أو هي ضعيفة، فما لم يثبت، وما نعتقده: لا يعني أن الدين دخله الوضع، الله -عز وجل- هيأ من علماء الأمة وهم علماء الحديث من محص الصحيح الذي نأخذ منه أسماء الله وصفاته وأفعاله وجميع أمور الدين من غير

الصحيح، لكن قلنا ما ثبت؛ لأن هناك بعض الأحاديث الضعيفة، وردت فيها بعض الآثار المشكلة، فهذه لا نعتقدها اعتقادً، وإن اختلف عليها العلماء، إلا أنه لا نقف عندها على أنها عقيدة.

إذن فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته وسائر أمور الدين، يعني ما جاء عن الله لابد من قبوله، وما ثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لابد من قبوله، وما لم يثبت هذا لا ينسب إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فلا نعتقد فيه اعتقاد.

القاعدة السابعة: وأرجو أن تتأملوا هذا جيدًا. ظواهر النصوص، ظواهر ألفاظ الشرع، في أسماء الله وصفاته وأفعاله مرادة، وهذه مسألة قد تكون تحتاج إلى تعمق نوعًا ما ثم نسهلها، يعني بمعنى أن ألفاظ القرآن التي جاءتنا بأسماء الله -عز وجل- وصفاته، مثل قول -عز وجل-: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ أو قوله سبحانه: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ومثل قوله -عز وجل-: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤] ونحو ذلك، هذه جاءت فيها أسماء وجاءت فيها صفات، هذه الأسماء والصفات نقول: يراد بها ظاهرها، لكن هل الكلام مطلق على إطلاقه؟

لا.. بحدود المعنى اللغوي العربي.

نعم، الظاهر نوعان: ظاهر بمعنى الحقيقة التي تليق بما وصف، تليق بالله -عز وجل- بأمور الغيب، والظاهر الذي يتبادر إلى الأذهان، وهذا ليس هو المطلوب؛ لأن -كما قلت- الظاهر نوعين: أعيد وأقول: الظاهر على نوعين: ظاهر النصوص: يعني الذي نفهمه من النص لأول وهلة من كلام الله -عز وجل- أو كلام رسوله -صلى الله عليه وسلم- حينما وصف ربه، وهذا الظاهر مراد، ظاهر هذه النصوص مرادة، والذي نعنيه هنا الظاهر الذي يعني الحقيقة، فظاهر قوله -عز وجل-: ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ ظاهره أنه ذو الرحمة، أليس كذلك؟ بلى، أنه رحيم بعباده، وهذه حقيقة، هذه الحقيقة مراده، لا يجوز أن نؤولها ولا نصرفها عن معناها.

قوله -عز وجل-: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ظاهره أن الله -عز وجل- استوى على العرش، هذا الظاهر الذي هو حقيقة الاستواء اللائقة بالله وهذا لابد من الاحتراز منه، حقيقة الاستواء اللائقة بالله لابد من إثباتها، لكن قد يفهم بعض الناس أن المقصود بالظاهر: ما يقاس على عالم الشهادة، يعني ما ينقدح في الخيال من الظواهر المعلومة في حياتنا اليومية.

هذا هو الزلل يا شيخ.

هذا هو موطن الزلل، فالسلف عندما قالوا: أسماء الله وصفاته ألفاظ، وأسماء الله وصفاته في القرآن والسنة يراد بها ظاهرها لا يقصدون الظاهر الذي هو في الأذهان، إنما يقصدون الظاهر اللائق بالله، لماذا؟ لأنهم أخذوا بقاعدة ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ فهم عندما سمعوا خطابه -عز وجل- ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ عرفوا أن المراد ظاهر الآية أن له سمعًا وبصرًا يليقان بجلاله.

الظاهر الآخر الذي هو الأوهام الذي هو تصوراتنا في الخلق: هذا لا شك أنه غير المراد؛ لأن الله ليس كمثله شيء.

لو أعطينا صفة أو اسم من أسماء الله -عز وجل- وبينا هذه النقطة يا شيخ؟ مثلاً "الرحمن" أو "العليم"؟

يتبادر إلى أذهان بعض الناس "العليم" أن الله يعلم كل شيء حتى خواطر النفس؟ فيقول كيف يعلم خواطر النفس؟.

نعم الله -عز وجل- يعلم كل شيء حتى خواطر النفس. الله -عز وجل- يعلم كل شيء يعلم السر وأخفى.

أي نعم حتى خواطر النفس، كل شيء، ولكنهم أدخلوا العقل فيها كيف يعلم كل خواطر الأشياء فوقعوا في الزلل، هذا ما نقصده.

الله -عز وجل- يقول: ﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤]، يعني طبعًا هذا راجع إلى نقص تصورات الناس، والناس تختلف عقولهم ومداركهم فمن المقرر عند العقلاء جميعًا أن أي عقل سليم من العوارض والهوى، أي عقل سليم لابد أن يحكم قطعًا بأن الله على كل شيء عليم؛ ولذلك الله -عز وجل- خاطب العقول في قوله سبحانه: ﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ أيعقل أن الخالق يخفى عليه شيء من خلقه؟! هل يعقل هذا؟!!

لا يعقل أبدً.

إذن العقول تتفاوت، فالعقل ليس محكم دائمًا، ومن هنا سيأتي الزلل فيمن يحكمون عقولهم.

إذن ممكن أن نضرب مثلاً في مسألة ظاهر النصوص في قوله -عز وجل-: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾، حينما قال سبحانه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ثم قال: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ عرفنا أن الله موصوف بسمع وبصر لكن ليس كمثله شيء، وعرفنا أنه السميع البصير على الحقيقة على ما يليق بجلاله، وعرفنا وهو الذي يتعلق بهذه القاعدة أن إثبات السمع والبصر هو ظاهر الخطاب، هو ظاهر كلام الله، قوله -عز وجل-: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ يظهر لكل عاقل من خلال هذه الآية إثبات السمع والبصر وأن ذلك لله -عز وجل- وأن ذلك حقيقة، لا يجوز تأويلها.

القاعدة الثامنة: وهي: أن أسماء الله وصفاته حق على ما يليق بجلال الله -عز وجل-، بمعنى ليست مجرد تمثيل أو مجرد عبارات ليس لها معاني لا يمكن تجريدها من ظواهرها المعلومة، لا يمكن تجريدها من حقائقها، لا يمكن أيضًا ردها ولا تأويلها، حق بمعنى القاعدة السابقة، حق بمعنى تثبت لله على الحقيقة كل أسماء الله -عز وجل- وصفاته وأفعاله تثبت لله على أنها حق غير قابلة للتأويل.

نمرها ونقره.

نعم، غير قابلة للتأويل، ولا أنها إشارات ولا رموز ولا ألغاز، ولا أحادي ولا مجازات؛ لأن الذين ما يعرفون هذه القاعدة، حينما تأتيهم الشبهات يصرفون أسماء الله وصفاته عن كونها حقيقة.. بسبب هذه الأوهام.

القاعدة التاسعة: طبعًا -الأخيرة عندنا، والقواعد لا تنتهي- أن أسماء الله -عز وجل- وصفاته وأفعاله معلومة لدينا من جهة، ومن جهة أخرى هناك ما لا نعلمه من حقائق أسماء الله وصفاته وأفعاله. من ناحيتين:

من الناحية الأولى: أننا لا نحيط بأسماء الله وصفاته جميعًا، ما جاءنا وما ثبت عن الله -تعالى- وعن رسوله -صلى الله عليه وسلم- من الأسماء والصفات والأفعال ليس هو كل ما يوصف به الله بل هو بعضها؛ لأن ما جاءنا هو ما يناسب مداركنا، أليس كذلك؟ مداركنا أليست محدودة؟ أليست قاصرة؟ فمن هنا لله -عز وجل- من الأسماء الحسنى والأوصاف العلى ما لم يرد على لسان بشر ولم يخطر على بال أحد، ويثبت ذلك العقل السليم وثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه سأل ربه بكل اسم هو له أنزله في كتابه أو علمه أحدًا من خلقه قال:

(أو استأثرت به في علم الغيب عندك)، وورد في حديث الشفاعة النبي –صلى الله عليه وسلم– يدعو ربه بمحامد يلهمه الله إياها، محامد ترجع إلى صفات الكمال لله –عز وجل–، يعني أوصاف وكمال يرجع فيها إلى الله في ذلك الوقت يوم القيامة لم يكن يعرفها في الدنيا.

إذن أوصاف الله وأسماء الله وصفاته وأفعاله لا تحصر بما ورد في الكتاب والسنة، طبعًا قد يرد إشكال، قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة) هذا الحديث صحيح، لكن الحديث على مقتضى العرض لا يعني حصر، يعني أنها مما هو لله، الأسماء هذه التسعة والتسعين مما يوصف الله به، وسيأتي الكلام عن هذا في مقام آخر.

إذن أسماء الله –عز وجل– وأوصافه وأفعاله معلومة لنا من حيث أن ما ورد فيها علمناه.

وهناك ما لا نعلمه، من جانب آخر أيضًا من الجهة الثانية، أسماء الله وصفاته معلومة لنا من حيث أننا نعتقد أنها حق، ونثبت كل اسم وصفة لله –عز وجل– وفعل على أنه على حقيقته على ما يليق بجلال الله، وعظمته مع نفيه المماثلة والتشبيه، لكن هناك جانب مجهول لنا، ما هو هذا الجانب المجهول وقد سبقت الإشارة إليه؟ هناك جانب مجهول لا يمكن أن يطلع عليه أحد، ولا يخطر على بال بشر في أسماء الله وصفاته وأفعاله، ما هو؟ نعم الكيفيات.

اقرأ من بعد ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾.

(له الأسماء الحسنى والصفات العلى، ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه: ٥: ٨]).

أحسنت، أحب أن أنبه الشباب الحاضرين الطلاب والإخوة المشاهدين إلى أننا سنسلك طريقتين في وقت واحد في شرح الكتاب:

الطريقة الأولى: الوقوف على المنهجيات، إذا جاءت لها مناسبة.

الطريقة الثانية: الشرح التحليلي، المقصود بالشرح التحليلي هو أن نقف عند كل كلمة تحتاج إلى شرح، فنجمع بين الجانب المنهجي والجانب التحليلي؛ لأن هذه الطريقة هي التي يحتاجها طلاب العلم في هذا الوقت أكثر من غيرها؛ نظرًا لأن كثير من المنهجيات اختلت عند الناس؛ ولأن هذا العصر الذي نعيشه هو عصر البحث العلمي والتأصيل والعنصرة، وهذه إيجابيات ترجع إلى وسائل البشر في تطور العلوم، فيجب أن نخدم ديننا، وأهم ذلك العقيدة، الاستفادة من مناهج البحث العلمي والتأصيل والتقعيد التي تشتمل عليها النصوص وآثار السلف، وكتب السلف مثل هذا الكتاب.

إذن أعود وأقول سنسلك في شرح الكتاب نسلك الطريقتين: طريقة التأصيل والإشارة إلى المنهجيات مع طريقة الشرح التحليلي الذي هو الوقوف عند العبارات والتي سأسلكها الآن في بقية هذا الدرس.

قوله: (له الأسماء الحسنى) هذا مَر؛ لأنه من قواعد أسماء الله –عز وجل–، والصفات العلى يعني العلو المطلق، علو الذات وعلو الأفعال وعلو القدر، العلو المطلق، طبعًا الكلمات تترادف، يعني الصفات توصف بأنها حسنى، والأسماء كذلك توصف بأنها علا، لكن هذا من باب التنويع، ومن باب التخصيص والتعميم والتخصيص لإثراء ذهن السامع، والقارئ بهذه المعاني العظيمة، فأسماء الله –عز وجل– كلها حسنى، وكلها عليا، وصفات الله –عز وجل– كلها حسنى وكلها عليا.

ثم ضرب لذلك أمثلة من النصوص، هذه الأمثلة بمثابة القواعد، سيأتي تفصيلها في نصوص أخرى تالية عندما يفصل الشيخ الصفات على نحو آخر، فكأنه بعد التقعيد الذي أشار إليه أراد أن يضرب أمثلة لهذه القواعد:

أولها: "الرحمن على العرش استوى"، يعني الله -عز وجل- موصوف بالكمال في الرحمة، وهذا من أسماء الله -عز وجل- الحسنى، كذلك موصوف بالأوصاف الفعلية التي منها الاستواء.

هذا التنويع في مثل هذه الآية يدل على أن الله -عز وجل- كما أنه مسمى بالأسماء الحسنى كذلك موصوف بالصفات، وهذا رد على المبطلين الذين وقفوا عند الأسماء ولم يثبتوا الصفات، كما أنها أيضًا ردًا على الذين أنكروا أو أولوا الصفات الفعلية كما سيأتي تفصيلها.

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ هذا أنموذج للإثبات، إثبات الأسماء والصفات فـ"الرحمن" اسم، "والاستواء على العرش" صفة، ثم قال: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾ هذا يعني إثبات عمومية الملك لله -عز وجل- عموم الربوبية لله سبحانه، وأنه لا يخفى عليه شيء ولا يمكن أيضًا أن يخرج عن ملكه شيء؛ لأنه حينما ذكر السماوات والأرض ذكر الأجرام العليا من خلق الله، وحينما ذكر ما تحت الثرى ذكر منتهى السفل، فهذا فيه عموم تدبير الله للخلق، وعموم الربوبية للمخلوقات العليا والمخلوقات السفلى.

ثم قال: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ ﴾ وهذا خطاب لكل من يسمع القرآن للنبي -صلى الله عليه وسلم- ولغيره، ولكل من يسمع القرآن: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ بمعنى أنه لا يخفى عليه شيء، بل إنه أعلم بكمائن العباد وما في ضمائرهم منهم، لأن ما يخفى يشمل نوعين: يشمل ما يخفيه الإنسان مما يعلمه هو، ويشمل ما يخفيه مما لا يعلمه.

هناك أشياء تخفى عليك في نفسك، وهناك أشياء في نفسك أنت تتصورها، تخيلها، تضمرها، والله -عز وجل- يعلم بما في الصدور كما أنه عليم بذات الصدور، وذات الصدور أعمق مما في الصدور، وهذا معنى قوله: ﴿ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾.

فالسر: طبعًا بعض الناس أو بعض الذين يأخذون الأمور بسطحية يقولون: السر هو الذي أخفى، لا.. الأخفى أحيانًا يكون أعمق من السر، فالسر ما تسره وتضمره مما يخطر في بالك من الخواطر، أو ما تهم به من الأشياء والأعمال التي لم تتكلم بها، هذه سر، فالله يعلمها، لكن هناك شيء أخفى من السر، وهو ذات الصدور، ما يمكن أن يختلج في صدرك قبل أن يكون، فهذا مما يخفى ثم قال.. اقرأ.

(أحاط بكل شيء علمًا، وقهر كل مخلوق عزة وحُكما، ووسع كل شيء رحمة وعلمًا، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يحيطون به علمًا، موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم وعلى لسان نبيه الكريم).

أحسنت، هنا فصل بعض الإجمالات السابقة، يعني من الطبيعي أنه لما علمنا أن الله -عز وجل- يعلم السر وما هو أخفى من السر، فهذا يعني أنه أحاط بكل شيء علمًا، الإحاطة تعني: كمال التحكم في الشيء، خلقًا وعلمًا وتصورًا وإدراكًا لما كان وما يكون وما هو كائن كيف يكون. في معنى هذا الإحاطة المطلقة، الإحاطة الكاملة.

ثم قال: (وقهر كل مخلوق عزة وحكم)، وهذه من بلاغة المؤلف، ذكر العزة والحكم بعد القهر؛ لأنه فرق بين القهر من الخالق، وبين القهر من المخلوق، القهر من المخلوق غالبًا يكون ظلم وجبروت وطغيان، لكن القهر من الخالق، كأنه حكمة وعزة كمال، لأن الله -عز وجل- حينما قهر، قهر قهر ربوبية، قهر إحاطة، قهر علم وقدرة مطلقة، لا قهر التحكم الظالم الذي يقع من البشر؛ ولذلك قال: (قهر كل شيء) هذا القهر عزة، يعني قوة وحكمة يعني عن حسن تدبير لا عن سوء تدبير كما يكون من قهر المخلوق.

قال: (ووسع كل شيء رحمة وعلمً)، حينما خلق الله -عز وجل- كل شيء فإن الله -عز وجل- جعل الرحمة محيطة بكل خلقه، وسبقت رحمته عذابه؛ ولذلك حينما وسع كل شيء رحمة، فمقتضى الرحمة هنا يشمل الرحمة العامة التي يرحم بها العباد جميعًا، حتى الجمادات والحيوان وحتى غير الخاضع لدين الله وهو الكافر، إنما يشمله شيء من رحمات الرب -عز وجل-، لكنها رحمة تنتهي إلى حد، حينما يأتي وقت الجزاء فإن الله -عز وجل- يجازي كل إنسان بعمله، لكن قبل ذلك جميع العبادة يتقلبون بمقتضى رحمة الله، خلقهم ودبرهم وأحاط بهم وأعطاهم كل ما يحتاجون من عوامل الحياة حتى قدر الله لكل واحد منهم أن يموت على عمله. وهنا رحمة خاصة ما يرحم الله به عباده المؤمنين، هذه الرحمة لا تخرج عن عموم الرحمة العامة، لكنها هذه رحمة تكون على سبيل التفضل والمجازاة، والرحمة الأولى تكون على سبيل العدل والحكمة فالله بعدله وحكمته رحيم بجميع الخلق، لكن بعضهم حينما لا يطيع الله يأبى أن يرحمه الله الرحمة الخاصة، بعض المخلوقين الذي يتنكب الصراط المستقيم يحجب نفسه عن الرحمة الخاصة، لكنه مع ذلك هو يتقلب في رحمة الله العامة بنعمته وربوبيته.

ثم قال: (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) بمعنى: يعلم كل ما حولهم.

(ولا يحيطون به علمً) بالمقابل البشر، وإن علموا شيئًا من كمال الله وأسمائه وصفاته، وإن الله -عز وجل- أقدرهم يوم القيامة على رؤية الرب -عز وجل- خاصة رؤية المؤمنين ربهم في الجنة نسأل الله أن يجعلنا جميعًا منهم، فلا يعني ذلك أنهم يحيطون به.

لا يحيطون به في ما يسمعونه من أسمائه وصفاته ويعتقدونه، فإن ما يدركونه من حقائق كمال الله هو قليل جدًا أمام الكمال المطلق الذي لا يحيطون به، لأن الله أعظم وأجل من أن تحيط به مدارك البشر المحدودة، مهما بلغت مدارك البشر من القوة والإحاطة وعقولهم وأفكارهم من التفوق إلا أنها لا يمكن أن تحيط بشيء بكمال الله -عز وجل-.

يقول: نعلم أن الله -عز وجل- يعلم ما بين أيدينا وما خلفنا وما نضمره في صدورنا، فقد يقول قائل: ما الحكمة من جعل الملائكة الحفظة الكاتبين؟.

يعني ما دام الله بكل شيء عليم لماذا هذه الكتابة؟

أحسنت، هذا في جميع أفعال الله -عز وجل- في الكون، يعني المتعلقة بالخلق، أفعال الله المتعلقة بالخلق كلها تمشي على سنن ونظم وقوانين، الله -عز وجل- يجعلها من باب الأسباب، والتي تدل العقول السليمة على كمال الإتقان، فمثل هذه الإجراءات في الخلق التي يجريها الله في الخلق يعني التي هي الأسباب التي يجعلها الله -عز وجل- الوسائل التي يجعلها الله -عز وجل- في خلقه إنما هي سنن كونية، نظم، إنما هي قوانين يحيي الله -عز وجل-بها الخلق، يدبر بها الخلق ليكون في ذلك للمخلوق العبرة، ويكون فيه الأسماء والصفات إدراك لعظمة الله -عز وجل-، كثير من صور عظمة الله إنما ندركها من خلال هذه الأسباب والوسائل التي جعلها الله -عز وجل- سنن للخلق، فهذه تثري العقل، وتطمئن القلب، وتشعر الإنسان بعظمة الخالق الذي جعل هذه الوسائل، وجعل هذه الأسباب على سبيل الإتقان الظاهر، الله -عز وجل- قادر على أن يجعل كل تصاريف الكون بكلمة "كن" دون أن يجعل هناك أسباب، لكنه أراد -سبحانه- مما أراده، وحكم الله لا نحصيها، مما أراده أن يكون لنا في ذلك اعتبار، وأن يكون لنا في ذلك إدراك لبعض حكمة الله وعظمته سبحانه، ويكون لنا في ذلك أيضًا دروس نستفيدها في الحياة، فحينما نرى هذا الكون منظم مرتب بأسباب وعلل، نستفيد من هذا التنظيم والترتيب في عمارة الكون على ما يرضي الله -عز وجل-، نستفيد من هذا التنظيم والترتيب بخلق الله -عز وجل- في العمل بالوسائل من خلال هذه المدركات.

قال: (ولا يحيطون به علمً) يعني بمعنى: يعلمون القليل عن الله -عز وجل-، ما علمنا الله إياه، إما بالوحي وإما بالعقل السليم، وإما بالفطرة، وإما بالوسائل العلمية في الحقيقة مما نعلمه ويطلعنا الله عليه -عز وجل- من العلوم التي تنمي العقيدة، وتنمي عظمة الله في الخلق، العلوم التجريبية التطبيقية، إذن المعلومات عن الله جاءتنا بالوحي، جاءتنا بالعقل السليم، جاءتنا بالفطرة، جاءتنا بالعلوم التي يكتشف بها البشر مدى عظمة الله -عز وجل-، ومع ذلك (لا يحيطون به علمً) ولذلك من المقرر عند العلماء سواءً علماء الشرع، أو حتى علماء الطبيعة وعلماء العلوم التجريبية، كل عالم يدرك أنه كلما ازداد علمه في تخصصه أو في أي علم من العلوم عرف مدى مساحة الجهل، ازدادت مساحة المجهول عنده، أرجو يتضح هذا جيدًا، أنه كلما يزداد علمك تعلم أن ما تجهله أكثر، كذلك في حق الله -عز وجل- كلما يزداد علمك بالله بأسماء الله وصفاته، كلما تزداد وتثرى عندك المعلومات عن الله، تدرك أن ما تجهله أكثر؛ ولذلك فضل الله العلماء؛ لأنهم يكون عندهم التواضع، وتعظيم الله -عز وجل- ويدركون أنهم لا يحيطون بالله علمًا، وأن ما أحاطوا به هذا قليل جدًا.

ثم قال: (موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم وعلى لسان نبيه الكريم)، هذه أيضًا قاعدة عظيمة، نضيفها إلى القواعد السابقة:

القاعدة العاشرة: هو أنه يجب أن نصف الله بما وصف به نفسه، وما وصف به رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وهذا الوصف مقيد بالقواعد التي ذكرناها من قبل وبقواعد سوف تأتي فيما بعد، يعني بمعنى أن ما وصف الله به نفسه هو ما ثبت في كتابه وعلى لسان رسوله -صلى الله عليه وسلم- وما وصفه به رسوله -صلى الله عليه وسلم- هو ما جاء في القرآن، وما جاء أيضًا على لسانه -صلى الله عليه وسلم-، فمن هنا لا فرق بين القاعدتين إلا أنا نستفيد من هذا الرد على الذين ينكرون دلالات السنة، أو يجعلونها درجة ثانية في الدلالات على أسماء الله وصفاته، الذين قالوا: إننا لا نأخذ مثلاً من أسماء الله وصفاته إلا ما ثبت بالقرآن، وما ثبت بالسنة نقسمه إلى قسمين: نقول: هذا حديث متواتر، وهذا آحاد، فما كان آحاد لا نأخذ به، نقول: هذا خلاف للقاعدة.

ما وصف به النبي -صلى الله عليه وسلم- ربه ما ثبت بنص وسند صحيح فلابد الأخذ به بصرف النظر عن الاعتبارات الأخرى؛ لأنه القاعدة عندنا هي ثبوت النص.

ثم أن قوله: (موصوف بما وصف به نفسه)، فهذا يعني أن الله -عز وجل- أغنانا بأن نبحث عن مصادر غير المصادر النقية المعصومة وهي الكتاب والسنة، يعني أن الله وصف نفسه ووصفه رسوله -صلى الله عليه وسلم- بما فيه الكفاية.

كفى بالله شهيدً.

لسنا أعلم بالله من الله، ولا أعلم بالله من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فلا يحتاج البشر إلى أن يستحدثوا من الطرق والمناهج ما يكون غير الكتاب والسنة يكون مصدر لأسماء الله وصفاته وأفعاله.

يقول: السؤال الأول: كثيرًا ما نقرأ أو نتلقى من علمائنا الفرق بين بعض الأسماء والصفات التي تحمل معاني متقاربة مثل الفرق بين "الرحمن" و"الرحيم" فيقال لنا: أن "الرحمن" أعم من "الرحيم"، لكن نود لو أن "الرحيم" لفظ خاص بالمؤمنين، رحمة خاصة بالمؤمنين، فنود أن نعرف الدليل على مثل هذا التفريق بين هذه المعنيين؟ هذا الشق الأول من السؤال.

الشق الثاني من السؤال: عندما يقال: إن الأسماء يجب أن تؤخذ على ظاهرها، وأن تؤخذ على الظاهر الحقيقي، فكيف نصرف مثلاً قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (فإن الله هو الدهر)، أو في الحديث القدسي:

(من أتاني ماشيًا أتيته هرولة) وما إلى ذلك من مثل هذه الأسماء التي تحمل في ظاهرها دلالات غير لائقة- في نظري-، ومع ذلك نوصفها عن ظاهرها؟.

أحسنت، بالنسبة للشق الأول من السؤال في الحقيقة أنه متعلق بفقه العربية، فقه لغة العرب، أما الدلالة على أن "الرحمن" و"الرحيم" بينهما وجوه اشتراك، ووجوه تخصيص واختلاف فلأنهما جاءا لفظان متواليان في نص واحد في البسملة مثلاً "بسم الله الرحمن الرحيم" هذا لفظ شرعي، فهذا اللفظ الشرعي دل على أن هذين الاسمين جاءا بينهما خصوص وعموم؛ لأنه كسائر الألفاظ الشرعية إذا جاءت الأسماء في سياق واحد متعاطفة فلابد أن يكون بينهما وجوه اشتراك، ووجوه اختلاف، ففي "الرحمن الرحيم" كلاهما دال على الرحمة من الله -عز وجل- ، لكن لما جاء في سياق واحد نظرنا إلى لغة العرب، فالعرب إذا عرفنا من لغتها أنها عرفت من معنى "الرحمن" الرحمة المطلقة الشاملة لجميع الخلق، وأن "الرحيم" جاءت بمعنى أخص لما قرنت بـــ"الرحمن" والخصوصية غالبًا إنما تكون لمن يستحقها، والذين يستحقونها هم أصحاب الرحمة الخاصة الذين وهبهم الله -عز وجل- ما يستحقون به الرحمة الخاصة كالمؤمنين والملائكة والصالحين، فإذن دلالات اللغة في مثل هذه الأمور واضحة لمن عرف فقه اللغة.

يقول: يعني "الرحمن الرحيم" لو لم يكن الله -سبحانه وتعالى- رحيمًا بكل الخلق سواءً كانوا كفارًا أو مسلمين في الدنيا لوصفنا الله -سبحانه وتعالى- بشيء من النقص، وهو عدم الرحمة صح يا شيخ؟ هل هذا صحيح؟.

قد يكون هذا من وجوه الفرق الدقيقة، لكن القصد أن الفرق العام أنه ما دام جاء الاسمان في سياق واحد، صحيح ثبت بالنصوص القطعية فيعني أن بينهما كسائر الألفاظ الشرعية، مثل الإسلام والإيمان أن بينهما خصوص وعموم، "الرحمن" دلت دلالتها اللفظية من مقتضى لغة العرب على الرحمة العامة، "الرحيم" دلت دلالتها على مقتضى لغة العرب على الرحمة الخاصة، ومع ذلك إذا وردت "الرحيم" مفردة، فإنها تدل على شيء من معنى الرحمة العامة، وإذا وردت لفظة "الرحمن" مفردة فإنها تدل على شيء من اللفظة الرحمة الخاصة، ما دامت وردت الكلمتان متواليتان من سياق واحد، فهذا يعني أن كل واحدة منهما لها دلالة تخصها مع الدلالة المشتركة العامة، هذا عن الشق الأول من السؤال.

أما الشق الثاني فما يتعلق بصفات الله -عز وجل- منها ما جاء على سبيل المقابلة أو على سبيل السياق الذي يدل على الفعل بحال المخلوقات، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- حينما قال عن ربه -عز وجل- أنه هو الدهر، فجاء بمناسبة سب الناس للدهر، وسب الناس للدهر ماذا يعني؟ يعني سبهم للمقادير، فحينما نقول المقصود بها أن الله -عز وجل- هو خالق المقادير، وأن الدهر وصفه في مثل هذا السياق فلأن الأمر ارتبط بتصورات المخلوقات وبتصورات المخلوقين الخاطئة، حينما نسبوا الأفعال لغير الله، فكأنه قال: هذه الأفعال هي أفعال الله، وهذه الأفعال التي يسمونها "الدهر" هي راجعة إلى ربوبية الله للخلق، فإذن وصف الله هنا بالدهر، لا يعني أنه اسم من أسماء الله، إنما جاءنا على سبيل المقابلة، ربط بأفعال المخلوقات، ربط بالمخلوقات التي يسميها الناس الدهر، ودائمًا إذا جاءت مثل هذه الأحوال يأتي اللفظ على لفظ المشاكلة والمقابلة، لا على سبيل الاسم المفرد أو الوصف المفرد، ويوضح ذلك المثال الآخر الذي ذكره السائل، حينما ذكر حديث الهرولة، حديث الهرولة هنا جاء في سياق يتعلق بواقع الناس، بأفعال الناس، فالله -عز وجل- قال في الحديث القدسي: (من أتاني ماشيًا أتيته هرولة) طبعًا نحن نعلم بالضرورة أننا لا نعبد الله بالمشي، (ماشيً) يعني بالأعمال الصالحة، فكان ما يقابله الجزاء الذي أكبر من العمل الصالح، فصار تشبيه عمل المخلوق بالمشي من حيث فعله، وتشبيه جزاء الخالق بالسعي من الجزاء، فهذا راجع إلى عالم الشهادة، ليس غيب خالص، وجاء على سبيل المشاكلة والمجازاة، وهذا معلوم على مقتضى اللغة العربية وعند كل من يفقه النصوص أن المقصود به المجازاة والمشاكلة، والله أعلم.

الدرس الرابع

الكلام حول أسماء الله وصفاته

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبعد:

(وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفى -عليه الصلاة والسلام- من صفات الرحمن وجب الإيمان به، وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل).

أحسنت.

في هذا المقطع أكد الشيخ -رحمه الله- ابن قدامة على قاعدة عظيمة من قواعد التلقي والاستدلال، ومن قواعد الصفات خصوصًا أي أسماء الله وصفاته والدين عمومًا، وذلك بأنه ذكَّرَ بأصل هو من ثوابت الدين، هذا الأصل كما ذكره (كل ما جاء في القرآن)؛ لأن القرآن كله حق ومحفوظ، ما جاء في أسماء الله وصفاته وأفعاله وسائر أمور الغيب وكل أحكام الله -عز وجل-، لكن هنا المقام مقام التفصيل في أسماء الله وصفاته كما هو معروف.

إذن كل ما جاء في القرآن من أسماء الله وصفاته وأفعاله وجب الإيمان به.

(أو صح عن المصطفى -صلى الله عليه وسلم- من صفات الرحمن) وهذا يسمى المصدر الثاني، وهنا احترز بكلمة (صح)؛ لأن هناك من الأحاديث والآثار ما لا يصح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في أسماء الله وصفاته، وفي سائر أمور الدين فهذا لا يثبت منه شيء، إنما نثبت ما صح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من صفات الله -عز وجل- وأسماءه وأفعاله، هذه قاعدة عظيمة لابد تجاهها أن يكون لنا المواقف التالية، كل مسلم تجاه هذه القاعدة أي ما جاء في القرآن وما ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في ذات الله وأسماءه وصفاته وأفعاله، لابد أن يقف المسلم الموقف التالي:

أولاً: الإيمان به. أي بما جاء في هذه النصوص القطعية، ومعنى الإيمان هنا اليقين ليس مجرد التصديق، التصديق الذي ينبني على اليقين، والتصديق الذي يتفرع عنه الإثبات؛ لأن مجرد الإيمان قد يكون دعوة، الذي يحرر الإيمان الصحيح من المؤمن تجاه أسماء الله وصفاته وأفعاله، هو أن يؤمن إيمان اليقين، يصدق تصديقًا يقينيًا لا شك فيه، ثم يثبت ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسول -صلى الله عليه وسلم-، هذا أولاً.

ثانيًا: التلقي. بمعنى: بعد الإثبات واليقين لابد أن يكون هناك استعداد، استعداد قلبي وعقلي وشعوري، استعداد نفسي عند المسلم بأن يتلقى ما قاله الله عن نفسه، وما قاله عنه رسوله -صلى الله عليه وسلم- بالتسليم أي الإذعان، تلقيه يعني يأخذه، يستعد لقبوله بالتسليم أي الإذعان، وأنه حق دون رد، التسليم الذي لا يخالطه شيء من الشك أو الرد أو الشبهات أو المداخل التي تهز اليقين، التسليم بمعنى الإذعان الكامل.

ثالثًا: القبول. القبول مرادف للتسليم، لكن ربما يكون القبول ثمرة للتسليم، لما سَلَّمَ قبل كل ما جاء عن الله -عز وجل-، قبله بمعنى أنه خضع له عقله وقلبه، استعد لأن يجعله عقيدة.

القبول الذي لا يصاحبه شيء من الرد، التسليم لا يصاحبه شيء من التردد، لعل هذا يكون أدق، التسليم هو الإذعان الذي لا يكون فيه تردد، والقبول هو الإذعان واليقين الذي لا يكون فيه رد، من هنا يأتي بعض الفروق بين العبارتين.

قال: (وترك التعرض له) التعرض له مطلقًا؟ لا..، التعرض له بالإثبات واجب، لا نقول كما يقول المفوضة أو المشككة أو أصحاب الريب: بأننا نترك الكلام في أسماء الله وصفاته مطلقًا لا، بل يجب أن نثبت أن لله الأسماء الحسنى وندعوه بها، وتمتلئ قلوبنا بمحبة الله وعظمته، ومعرفته حق المعرفة من خلال أسمائه وصفاته وأفعاله.

إذن هنا عدم التعرض له أولاً: بالرد، بمعنى: لا نرد كلام الله ولا كلام رسوله -صلى الله عليه وسلم-، قد يقول قائل: هل يتوقع من مسلم أن يرد كلام الله وكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم-؟ لا..، لا يتوقع، لكن أحيانًا يكون الرد من تلبيس الشيطان، الرد بالتشكيك الرد بعدم إثبات الحقيقة، الرد بالتأويل، الرد بأنواع الصوارف التي تصرف المسلم عن الحق بسبب هوى أو تقليد أو شبهة وهو لا يشعر أو يشعر.

إذن لا نتعرض له بالرد لا نرد اللفظ أن كما أننا لم نرد اللفظ الذي ثبت في القرآن وصح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كذلك لا نرد المعنى بأن نثبت اللفظ والمعنى على الحقيقة اللائقة بالله -عز وجل-، وكلمة الرد هنا تعني في مصطلح علماء العقيدة، تعني التعطيل.

التعطيل معناه إفراغ ألفاظ أسماء الله وصفاته وأفعاله من معانيها من حقائقها، وهذا الإفراغ ينتج عنه مذاهب باطلة لا حصر لها منهم من يفرغ ألفاظ أسماء الله وصفاته من معانيها، فيثبت معاني من عنده، ومنهم من لا يثبت معاني ويبقى شاك، ومنهم من يزعم أن هذه إشارة أو مجازات إلى آخره، يعني الذين فرغوا المعطلة الذين فرغوا ألفاظ أسماء الله وصفاته في الكتاب والسنة ما انتهوا إلى مذهب، كلهم ضلت بهم السبل، فكل نهج منهج يخالف الحق من مناهج الباطل.

(بالرد ولا التأويل) قال: والتأويل يعني ولا التأويل، التأويل هو نوع من الرد لكنه ألطف، الرد يكون بتفريغ ألفاظ الأسماء والصفات من معانيها، لكن التأويل هو المقصود هنا -لا نتكلم عن التأويل بمعناه التفصيلي- عند علماء الفقه، وعلماء الأصول، فإن التأويل أقسام، ربما يأتي مجال -إن شاء الله- في درس قادم نذكر هذه الأقسام، لكن هنا نركز على التأويل الباطل في أسماء الله وصفاته، والتأويل في أسماء الله وصفاته كله باطل؛ لأنها حقائق لا تقبل التأويل.

إذن التأويل الذي لا نتعرض له، هو التحول من حقيقة أسماء الله وصفاته التي تدل عليها الألفاظ إلى معاني متوهمة أو متصورة أو مقدرة. التحول من إثبات الحقيقة اللائقة بالله -عز وجل- التي تدل عليها ظواهر نصوص الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته وأفعاله المراده لله ولرسوله -صلى الله عليه وسلم-، التحول من هذه الألفاظ والحقائق إلى معاني أخرى بسبب لبس أو تلبيس أو شبهات أو دعاوى سيأتي نماذج منها، فالتحول من الحقيقة التي أرادها الله وأرادها الرسول -صلى الله عليه وسلم- التي هي ظاهر اللفظ على ما يليق بجلال الله من غير تشبيه ولا تمثيل هذا يسمى تأويل.

والتشبيه قال: (والتشبيه والتمثيل) يعني لا نتعرض لأسماء الله وصفاته كما نقول: لا نتعرض لها بالرد والتأويل، كذلك لا نتعرض لها بالمقابل بأن نشبه الله -عز وجل- بخلقه أو نشبه الخلق بالله، ولا نمثل الله بخلقه، ولا نمثل الخلق بالله، فلا مشابهة بين شيء من صفات الله وبين شيء من الخلق، ولا العكس كذلك، لكن هنا جاء بكلمتين بينهما شيء من الترادف وبينهما شيء من الاختلاف، التشبيه قد يعني في الجملة التمثيل لكن بينهما فروق، التشبيه هو ذكر شبه أو أكثر من بعض الوجوه بين الخالق وبين المخلوق تعالى الله سواءً كان هذا الشبه الجزئي في تشبيه شيء من صفات الله بصفات الخلق، أو إعطاء بعض الخلق شيء من صفات الله، فهذا تشبيه.

التمثيل أشمل من ذلك هو المطابقة المماثلة التي من كل وجه، فكما أن الله -عز وجل- لا يماثل خلقه من كل وجه، كذلك لا يشابه من بعض الوجوه، لكن نفرق بين التشبيه والتمثيل -كما سيأتي على جهة التفصيل- هو أن

كلمة التشبيه أحيانًا تستخدم استخداماً غير مشروع، فباسم نفي التشبيه قد ينفي بعض المبطلين ينفون الصفات؛ لأنهم يزعمون أن إثبات الصفات لله -عز وجل- قد يقتضي التشبيه أو يقتضي التشبيه، وهذا خطأ، فالتشابه العام اللفظي ليس ممنوعًا، إنما التشابه الحقيقي الكيفي بين الله وبين خلقه هذا هو الذي لا يجوز في حق الله، أقول التشابه اللفظي ليس ممنوع؛ لأن هناك ألفاظ من أسماء الله وصفاته هي موجودة في الخلق، لكنها لله على جهة الكمال المطلق، وفي الخلق على جهة النقص مثل كلمة عليم أو عالم أو مثل قدير أو قادر، فالله -عز وجل- جعل في بعض خلقه أو في خلقه شيء من العلم، فيوصف المخلوق بأن عنده علم، والله -عز وجل- هو العليم، فهذا التشابه اللفظي، وكذلك الإرادة كذلك، الرحمة كما أن الله -عز وجل- هو الرحيم كذلك جعل في بعض عباده شيئًا من الرحمة، فهذا التشابه اللفظي ليس هو التشابه الحقيقي الذي يوقع في تشبيه الخالق بالمخلوق، لكن التمثيل ممنوع مطلقًا ليس هناك مماثلة على الإطلاق.

إذن التشبيه الممنوع هو تشبيه الله بخلقه على وجه الكيفية، أو تشبيه الخلق بالله، أما التشابه اللفظي العام فلا يدخل في التشبيه الممنوع.

(وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظًا وترك التعرض لمعناه، ونرد علمه إلى قائله، ونجعل عهدته على ناقله).

أحسنت.

هذا المقطع فيه نوع من الغموض والاضطراب، القاعدة سليمة، لكن الشيخ تكلم بعبارة فيها إشكال وقبل أن أقف عند هذه العبارة أسأل الطلبة الآن هل يمكن تتعرفوا على العبارة التي فيها إشكال هنا؟

قد تكون العبارة هي قوله: (وترك التعرض لمعناه)، فإن أسماء الله وصفاته يجب الإيمان بها لفظًا ومعن.

أحسنت، بارك الله فيك، هذا وجه الإشكال، إذن نعود إلى العبارة، (وما أشكل من ذلك) أي ما يكون فيه نوع من عدم الفهم عند بعض الناس أو ضعف الفهم لبعض ألفاظ أسماء الله وصفاته عند بعض الناس وهذا راجع إلى ضعف مداركهم؛ لأن نصوص الأسماء والصفات قطعية، لكن قد يشكل شيء من ألفاظ أسماء الله وصفاته أو معانيها على بعض الخلق، والإشكال درجات:

منه ما هو مشكل على الجميع، وهذا لسنا متعبدين بالخوض فيه، الذي يشكل على الجميع هو الكيفيات التي لا يعلمها إلا الله -عز وجل- وهذا الإشكال فيه، لا يعني أنه اضطراب في العقيدة أو عدم وضوح لا، يعني أنه مما لم نتعبد به أولاً.

وثانيا: مما ليس داخل في مداركنا ولا مدارك عقولنا على الإطلاق، هذا تسميته إشكال فيها تجوز، يعني بمعنى نسميه إشكال عندما يوقع الإنسان نفسه في المشكلة وإلا في حد ذاته ليست بمشكلة.

الإشكال في أن بعض الناس في هذا الأمر يوقع نفسه بالتذكير في كيفيات الغيب، فهذا إذا أوقع نفسه في الإشكال فليخرج للمخرج الشرعي، لكن هناك درجات من الأشكال قد تحدث دون ذلك، وهي أن بعض الألفاظ في أسماء الله وصفاته قد تشكل على العامي أو طالب العلم المبتدئ، قد تشكل على طالب العلم المتقدم لكن لا تشكل على العالم الراسخ، وهذا ما يسمى التشابه الذي قال الله فيه: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ﴾ [آل عمران: ٧]، هذا النوع من التشابه هو الذي يشكل على بعض الناس ثم يخوضون فيه.

عندنا درجتين من الحكم في هذه المسألة: كونه يشكل على بعض الناس؛ لقلة مداركهم؛ لضعف لغتهم، هذا لا يعتبر عيب في حد ذاته، مجرد وجود الإشكال، إنما العيب إذا الإنسان وصف النص أو وصف دين الله بأنه هو الذي مشكل، لكن حينما يعترف الإنسان بأنه يشكل عليه الفهم، فهذه صراحة ينبغي أن يحمد عليها الإنسان؛ لأجل أن يعلم.

إذن قد تشكل بعض ألفاظ أسماء الله وصفاته على بعض الناس، مثل لفظ الهرولة كما جاء في الحديث: (وإن أتاني ماشيًا أتيه هرولة) أو: (إن الله لا يمل حتى تملو) فهذه عبارات فيها إشكال من حيث أن الذي لا يعرف قاعدة الإثبات في هذه الأمور قد يشتبه عليه الأمر يعني لا يليق بالله -عز وجل- أن يوصف بأنه يهرول على نحو ما يهرول المخلوق أليس كذلك؟ تعالى الله، نعم الله -عز وجل- ينزه عن مثل ذلك.

أيضًا لا يوصف الله -عز وجل- بما هو صفة نقص في المخلوق وهو الملل بإطلاق، ومن ذلك مثل صفة المكر والاستهزاء ونحو ذلك، هي صفات مذمومة بالنسبة للمخلوق، لكن قد ترد في حق الخالق على سياق يدل على الكمال لله -عز وجل- من غير وجه نقص، هذه الأمور وما أشبهها وهذه الألفاظ قد تشكل، فما الموقف من هذا المشكل التالي؟

أولاً: ما يشكل علينا من نصوص الشرع في أسماء الله وصفاته وأفعاله وجميع أمور الغيب نثبت لفظه؛ لأنه ثبت عن الله وعن رسوله -صلى الله عليه وسلم-، ما معنى نثبت اللفظ؟ يعني لا نحرفه بألسنتنا، لا نقيم ألفاظ بديلة عن ألفاظ الشرع كما فعل المعطلة، بل نتلفظ بها كما هي كلام الله -عز وجل- وكما تلفظ بها رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-، إذن وجب إثبات هذه النصوص في حق الله لفظًا وإن أشكلت على بعضنا معانيها.

قال: (ونترك التعرض لمعناه، ونرد علمه إلى قائله، ونجعل عهدته على ناقله)، هذه مسألة تحتاج إلى وقفة خفيفة، قال: (ونترك التعرض لمعناه) هذا الكلام قد يرد فيه إشكال، لولا أننا نعرف أن المؤلف على نهج السلف وقد بين ما ينافي الإشكال الظاهر بين كما سيأتي بعد سطور ليست بالبعيدة، سيتبين لنا أن الشيخ لا يقصد أننا لا نتعرض للمعنى أي بمعنى لا نثبت لا...، أو أننا نشكك أو لا نتكلم في الحقيقة، لا... لا يقصد ذلك، إذن هنا لابد أن نتعرض للمعنى الحقيقي والشيخ ما أراد في نفي التعرض هنا المعنى الحقيقي بمعنى أن نثبت لله ما ثبت له من الأسماء والصفات حقيقة على ما يليق بجلال الله، وأن هذه الألفاظ ألفاظ أسماء الله وصفاته لها معاني حقيقية نتعرض لإثباتها، لكن حينما قال: (ونترك التعرض لمعناه) يقصد المعنى الغيبي، أرجو أن تنتبهوا جيدًا.

إذن ترك التعرض لمعناه الغيبي الذي هو الكيفية، ما نقول كيف، فكلمة "كيف" بدعة كما حدث عند الإمام مالك حينما سأل بعض المفتونين في الشبهات عن استواء الله -عز وجل- فسأل عن الاستواء بكيف، فغضب عليه مالك ونهره وأخرجه من المجلس، وبين أن هذا بدعة، وأن السؤال عن كيفيات أسماء الله -عز وجل- وصفاته وأفعاله بدعة؛ لأنه لا يعلم كيفية أسماء الله على وجه الغيب إلا الله -عز وجل-.

إذن قول المؤلف هنا (ونترك التعرض لمعناه) أي المعنى الغيبي، هذا من جانب.

والجانب الآخر: أن هناك معاني لأسماء الله وصفاته لا نحيط بها، لا تدركها مداركنا العقلية فضلاً عن حواسنا، فهذه الأمور التي لا ندركها لا نتكلم فيها.

ثم قال: (ونرد علمه إلى قائله) يعني العلم الذي يخفى علينا نرده إلى الله -عز وجل- وإلى رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فنقول: "الله أعلم"، ونقول: "صدق رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-"، في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- كان الصحابة إذا أشكل عليهم شيء من الدين قالوا: "الله ورسوله أعلم"، حينما كان الرسول

-صلى الله عليه وسلم- يبلغ، ولما بلغ الأمانة وأدى الرسالة وتوفاه الله إليه، وقبضه إليه -صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك أصبح العلم كله لله -عز وجل-، فيقال: "الله أعلم" و"صدق رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-".

هذا معنى (ونرد علمه إلى قائله)، نقول: "الله أعلم".

ثم قال: (ونجعل عهدته على ناقله)، هذا يا إخوان من العبارات البديعة، التي يجب أن يترسمها المسلم دائمًا في نظرته إلى مصادر التلقي نظرتنا إلى كتاب الله وإلى ما صح عن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- إذا أشكل علينا أمر لا نرد النصوص إذا أشكل علينا فنحن لا نحكم فهومنا على الشرع، بل نقول: "العهدة على الناقل"، والناقل من هو؟

الناقل درجات:

الناقل الأول: هو جبريل -عليه السلام- الأمين، جبريل الأمين.

الناقل الثاني: بعده هو النبي -صلى الله عليه وسلم- المعصوم، الذي لا ينطق عن الهوى، أصدق الخلق وأفضل الخلق -صلى الله عليه وسلم- بأبي هو وأمي هو الناقل.

ثم النقلة الثقات العدول الذين حفظ الله بهم الدين وهم الصحابة، ثم الأجيال من العدول الثقات الذين قال فيهم النبي -صلى الله عليه وسلم-: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله) فهؤلاء العدول نقلة، تقطع بشهادتهم الرقاب، لا يتطرق إلى نقلهم الشك؛ ولذلك الله -عز وجل- هيأ من علماء الأمة من محص الصحيح من غير الصحيح من إسناد الدين فأصبح الدين محتفظ بذلك.

ثم قال نعم تفضل.

(ابتاعًا لطريق الراسخين في العلم الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران: ٧]، وقال في ذم مبتغي التأويل لمتشابه تنزيله ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ﴾ [آل عمران: ٧] فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ، وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم، ثم حجبهم عما أملوه وقطع أطماعهم عما قصدوه بقوله سبحانه: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ﴾).

أحسنت.

هذه القواعد هي ثمرة لما سبق، لما سبق من قواعد الإثبات، وقواعد التلقي الموقف من المشتبه، كلها قواعد إجمالية عظيمة جدًا يثبت بها دين المسلم، وأيضًا يقر اليقين في قلبه، وقبل أن أبدأ بشرح هذه العبارات عندما انتهينا من كثير من قواعد الصفات قواعد الأسماء والصفات أحب أنبه طلاب العلم بخاصة، وأنبه عموم المسلمين بعامة من الأخوة المشاهدين بأن حينما نتكلم عن هذه القواعد وهذه الأمور في أسماء الله وصفاته وأفعاله لا نتكلم عنها لمجرد العلم، لا إنما نتكلم عنها لغرس اليقين في قلوبنا في الله -عز وجل- الذي يجب أن ينشأ عنه من خلال أسماء الله وصفاته وأفعاله يجب أن ينشأ عنه تعظيم الله، ومحبته وخشيته ورجاؤه، بأسماء الله وصفاته وبتدبرها يجب أن تمتلئ قلوبنا بتعظيم الله، باستشعار جلال الله -عز وجل- وعظمته ورقابته، بأن تمتلئ قلوبنا بما يدفعنا إلى ما يحبه الله من الأعمال والأقوال، ما يدفعنا إلى أن نتقي الله ونتقي محارم الله، ونتقي ما يكرهه الله ويبغضه، يدفعنا ذلك إلى أن نراقب الله في جميع أعمالنا وتصرفاتنا، يدفعنا ذلك إلى العمل الصالح، وهذه هي من ضمن ثمرات الإيمان بأسماء الله وصفاته، ومن هنا أحب أيضًا أن أحذر إخواني المشاهدين عامة، وطلاب

العلم بخاصة أحذرهم من بعض المسالك التي ابتلي بها بعض طلاب العلم بأنه يقف عند المعلومة، ولا يغرس في قلبه المعاني الإيمانية المطلوبة من كل من يدرس أسماء الله وصفاته، أرجو أن نستصحب هذا المعنى في كل ما سيأتي،

بعد ذلك نعود إلى الشرح، بعد هذه القواعد، ذكر الشيخ أولاً أن هذه القواعد هي سبيل المؤمنين الذي توعد الله من خالفه، وهي طريق الراسخين في العلم أي علماء الأمة الذين الله –عز وجل– أمرنا بالاقتداء بهم، فهم مرجع الأمة وهم أهل الذكر الذين يجب سؤالهم في أمر الدين، ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣]، هؤلاء الذين هم الراسخون في العلم ومن تبعهم، بأن من تبع الراسخين فهو على نهجهم، لا يلزم أن لا يكون المدح للراسخين، الراسخون هم القدوة، لكن كم من ملايين المسلمين –أفراد الأمة– هم تبع لهذه القدوة، يدخلون في فضلهم.

إذن نعود ونقول: اتباعاً لطريق الراسخين في العلم من هم الراسخون؟ الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين، فقال سبحانه: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران: ٧]، متى قال هذا؟ بعد قوله –عز وجل–: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾.

يقول: القول على الله بغير علم ما أقسامه؟ وهل أي قول في القرآن بغير علم يعد كفراً؟

ذكرتم في الدرس السابق أن أسماء الله أعلام تشتمل على صفات، فهل "ذو الجلال والإكرام كذلك"؟

نعم، السؤال الأول يتعلق بـــ.

القول على الله بغير علم ما أقسامه؟.

هو على أي حال القول على الله بغير علم تقسيماته بحسب الفنون والعلوم، فما يتعلق بالعقيدة القول على الله بغير علم درجات، فنقول أنه درجات: الدرجة الأولى هي تسويغ الشرك، هذا أعظم قول على الله بغير علم، وأشنع الأقوال وهو الذي يؤدي إلى الشرك المخرج من الملة، فالشرك بذاته وتبرير الشرك وذرائع الشرك، التبرير للشرك هو أعظم وأشد درجة من درجات القول على الله بغير علم.

ثم يأتي بعد ذلك القول على الله بغير علم بنسبة حكم إلى الله ولم يقل به، أيضًا الكذب على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو قول على الله بغير علم، هذه الدرجة أيضًا كفر.

تأتي درجة ثالثة من القول على الله بغير علم وهي الكلام في أحكام الله بغير دليل، هذا نوع من القول على الله بغير علم وهو من كبائر الذنوب؛ لأنه جرأة على النص وغالبًا الذي يقول هذا القول يغفل عن أنه لابد له من دليل فهو يظن أن هذا هو حكم الله، فهذا وقع في كبائر الذنوب، وبين هذه الدرجات شعب لا تنتهي، فالقول على الله بغير علم هو نوع من الشرك والكفر والبدعة والمعصية.

السؤال الثاني الذي سأله قال: هل "ذو الجلال والإكرام" لها معنى؟.

هي من الصفات، نعم هو قصده هل هي تدخل في صفات الله، نعم هي من أسماء الله -عز وجل- "ذو الجلال والإكرام" من الأسماء المركبة، "ذو الجلال" اسم مركب من هذه العبارتين، وتضاف "الإكرام" كذلك، "ذو الجلال" اسم لله، و"ذو الجلال والإكرام" كذلك داخلة فيها، فهي من أسماء الأعلام.

قال: الذين أثنى الله عليهم أي الراسخون في العلم ومن يتبعهم ومن يقتدي بهم من عامة المسلمين في كتابه المبين بقوله: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ الراسخون في العلم يعني هم الذين بعلمهم وفقههم في الدين يقوى إيمانهم ثم يسلمون لله -عز وجل- فيؤمنون بكل ما جاء عن الله سواءً ما تبين لهم أو ما لم يتبين لهم، هذا معنى قول: ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ يعني الذي تبين لنا أو الذي لم يتبين، نؤمن بأنه حق، وكله حق وصدق من عند ربنا -عز وجل-، فلا يفرقون بين ما يفهمون وما لا يفهمون، ما يدركون وما لا يدركون، ما هو محكم أو ما هو متشابه، لا يفرقون به كله يخضعون له إيمانًا ولا يخوضون بما لا يعلمون.

ثم قال: وقال في ذم مبتغي التأويل، لمتشابه التنزيل ذم الذين جرءوا على التأويل بصرف ألفاظ ومعاني أسماء الله وصفاته إلى غير ما تدل عليه على مقتضى لغة العرب مهما كانت الذرائع، هؤلاء الذين انصرفوا ابتغوا التأويل بمعنى أنهم أوقعوا أنفسهم بتسويق التأويل.

لمتشابه تنزيله: يعني لما تشابه عليهم، المتشابه التنزيل هو نوعان:

فيه متشابه على الجميع وهو الكيفيات -كما ذكرت- كيفيات أسماء الله وصفاته وأفعاله والغيبيات متشابهة على الجميع، والطريق أننا نسلم به ونقول: حق من عند ربنا والله أعلم بمراده.

وهناك نوع من متشابه التنزيل الذي يشتبه على طائفة من الناس -كما ذكرت قبل قليل- ولا يشتبه على العلماء، هؤلاء الذين يخوضون فيه يقعون في ما لا يعلمون.

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ الزيغ: هو الخروج عن الحق، إما بالشرك، وإما بالبدعة، وإما بالشبهة، وإما بالشكوك، وإما بالجرأة، والقول على الله بغير علم، هذا من أعظم أبواب الزيغ، فهؤلاء الذين ابتلاهم بهذه المناهج، يبتليهم الله -عز وجل- بتتبع المشكلات من النصوص التي تشكل عليهم أو حتى تشكل على الجميع، أيضًا يتعمدون إثارة الإشكالات والشبهات التي تجعل النصوص المحكمة تشتبه عليهم، فمن هنا سماهم مبتغين، ﴿ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ طبعًا قصد الفتنة، ﴿ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾، وأحيانًا يكون درجة من غير الابتغاء القصد، أحيانًا تكون بسبب التفريط والجهل، ابتغاء الفتنة أحيانًا يكون قصد بتبييت ونية، وأحيانًا يكون بسبب التفريط والجهل، فيفرط بأخذ منهج السلف لا يتفقه في الدين يجهل المنهج الحق فيكون هذا سبب؛ لأن يبتغي الفتنة وابتغاء التأويل، طبعًا عندنا نوعان:

ابتغاء الفتنة هذا غالبًا يكون من المنافقين وأصحاب الزيغ وأصحاب البدع والأهواء.

ابتغاء التأويل: أحيانًا يكون عن حسن نية، لكنه خطأ في المنهج، أصحاب التأويل قد يكون عن سوء نية، وهو الذي ينبني على منهج أهل الفتنة، أحيانًا يكون ابتغاء التأويل نوع من الاجتهاد الخاطئ، وهذا سيأتي له نماذج، لكنه -ومع ذلك- هو وقوعًا في ما نهى الله عنه قال: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ﴾ أي الكيفيات.

عندنا التأويل تأويلان: تأويل بمعنى إثبات الحقائق، إثبات ظواهر النصوص كما يليق بالله -عز وجل-، فهذا تفسير حقيقي، نوع من التأويل الجائز.

التأويل الممنوع الذي هو هنا لا يجوز إلا لله، الذي لا يمكن أن يكون من مقدور بشر هو تأويل الغيبيات البحتة كيفيات الغيبيات التي لا يعلمها إلا الله، ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ﴾ قال: فجعل -أي الله عز وجل هنا- جعل ابتغاء التأويل يعني قصد التأويل علامة على الزيغ، لماذا قال: علامة على الزيغ؟ لأنه أحيانًا -وهذا نادر- يكون قصده التأويل عن اجتهاد خاطئ، لكن هذا لا يكون هو منهج الحق، وإن وقع من إمام مجتهد، وهذا نادر ولله الحمد -كما سيأتي- ومع ذلك قال: فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ؛ لأن الله نهى عن التأويل؛ ولأن أي عاقل كل عاقل سليم، كل إنسان على الفطرة يعرف أنه لا يمكنه أن يخوض بالغيب، وإلا لما كان غيب، لو كان الغيب تحت مدارك الناس لما سماه الله غيبًا، ولمَا امتدح الله المؤمنين بالغيب، إذن ما ميزتهم؟ هنا قال: (وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم).

(إذن هنا تأويلان يا شيخ: التأويل المذموم، والتأويل المحمود، أليس كذلك يا شيخ؟!.

يعني التأويل المحمود هنا أشار إليه إشارة بعيدة، هنا لا يتكلم إلا عن التأويل المذموم.

كمصطلح العقيدة، الداخل في سياق العقيدة.

أحسنت، ما دمنا في درس عقيدة، أحسنت نبهتني إلى أمر، ما دمنا في درس العقيدة فأي تأويل في العقيدة فهو باطل، لو كنا في دروس أصول الفقه أو في التفسير أو في الحديث أو في الفقه، فإن هذا كنوع من التأويل سائغ؛ لأنه في عالم الشهادة في الاجتهاديات، بل جل اجتهادات العلماء هي نوع من التأويل السائغ في الاجتهاديات، لكن هنا ما عندنا اجتهاديات، هنا عندنا ثوابت، ثوابت لا يرد فيه التأويل، إذا ورد فيها التأويل ضاع الحق؛ لأن التأويل احتمال، فهنا كم الآن عددكم؟ ما شاء الله!! أنت يحتمل عندك تأويل، وأنا عندي تأويل، والطالب هذا عنده تأويل والخامس والسادس عنده تأويل، إذن عندنا ست عقائد، هل يجوز أن تتعدد العقائد؟

من هنا سد باب التأويل، وهذا تقتضيه الفطرة السليمة والعقل السليم.

يقول: يا شيخ من قسم التأويل إلى ثلاثة أقسام من ناحية صدوره مثلاً ذكرتم أنه إذا صدر عن حسن نية واجتهاد فهذا معفو عنه، فمن قال: إنه صدر عن هوى أو تعصب وله وجه من لغة العربية فهو فسق، وليس كفر، وإذا كان صادر عن هوى وتعصب وليس له وجه في اللغة فهو كفر، فماذا يقصد بهذا؟.

في الجملة هذا تقسيم صحيح، أحسنت، في الجملة هذا تقسيم صحيح، لكنه سيأتي تفصيله فيما بعد، ثم عندما أشرت إليه من أن التأويل ينقسم إلى هذه الأقسام، هذا فرع من التأويل، التأويل في جملته يعني ينقسم إلى أقسام كبرى:

- التأويل بمعنى التحريف والخروج عن مقتضى النص إلى مفهوم آخر لشبهة عند المؤول، وهذا نوع ممنوع في العقيدة.

- والتأويل بمعنى التفسير، وهذا وارد في العقيدة، بل العقيدة تقوم عليه.

- والتأويل بمعنى الحقيقة التي يؤول إليه الأمر وهذا أيضًا تقتضيه العقيدة، لكن لعلنا ما نستعجل التفصيل في هذا الموضوع.

يقول: سؤالي يا شيخ: "المعطل لا يعطل إلا إذا وقر في قلبه التشبيه" كيف نفسر هذه العبارة وهل هي صحيحة؟.

نعم هذه بدهية، معنى بدهية إذا أخذنا سبب التعطيل الذي يعلن عنه معطله ما نلزمهم، المعطلة يعني الذين فرغوا أسماء الله وصفاته من معانيها، المعطلة سواءً الذين أنكروا أسماء الله وصفاته أو الذين أولوها كلهم فرغوا الألفاظ عن معانيها، هؤلاء المعطلة بالرد أو بالتأويل كلهم يصرحون أن شبهتهم في التعطيل والسبب في لجوءهم إلى التعطيل وذريعتهم للتعطيل هو: أن الإثبات يقتضي التشبيه. يقولون الإثبات يلزم منه التشبيه، إذن هم شبهوا أولاً، فلما شبهوا في أذهانهم جعلوا هذا التشبيه هو ظاهر النص، لمعنى أنهم وقعوا في الزيغ ابتداءً، فلما قالت لهم أوهامهم وشبهاتهم، لما جاءتهم هذه الخواطر الشيطانية، بأن الإثبات يقتضي التشبيه، معناه أنهم شبهوا، ثم عرفوا أن التشبيه غير لائق بالله، فلما وقع التشبيه في أذهانهم أدركوا أن التشبيه غير لائق بالله، ففروا منه إلى التعطيل، وهذه ردود الأفعال المذمومة، ليس كل ردود الأفعال مذمومة، هذا من رد الفعل المذموم، وفعلاً أغلب ما وقع فيه أهل الأهواء تجاه أسماء الله وصفاته هي ردود أفعال، فالمشبهة شبهوا؛ لأنهم سمعوا التعطيل، فأخذته الغيرة غير المنضبطة على أن وقعوا في التشبيه من باب العناد للمعطلة، والمعطلة كثير منهم وقعوا في التعطيل من باب ردة الفعل ضد التشبيه، والحق وسط بين ذلك وهو مذهب السلف.

نعود إلى درسنا، نعم.

قال: (وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم) يعني أنه مذموم، (ثم حجبهم عن ما أملوه) يعني هم ادعوا التنزيل، أملوا أنهم في وقوعهم في المتشابه أملوا أي يعنوا صار عندهم حرص على الحصول على حقيقة من غير طريقة شرعي، بمعنى كان سبب تأويلهم هو أنهم أرادوا أن يسكتوا شيئًا في أذهانهم لا هو الحقيقة التي عناها الله –عز وجل–، إنما شبهات وأوهام في أذهانهم أرادوا بزعمهم بها أن ينزهوا الله أو يصلوا إلى الحقيقة، فلما خرجوا عن المنهج الحق في ابتغاء الآمال التي يؤملونها بقصد تعظيم الله أو تنزيهه، حجبوا عن آمالهم حينما سلكوا طريقًا غير شرعي، لإثبات ما عناه الله –عز وجل– وعناه رسوله –صلى الله عليه وسلم–، لما تركوا الطريقة الشرعية، الله –عز وجل– عاقبهم بأن حجبهم عن الوصول إلى آمالهم التي ادعوا بها أنهم أرادوا التنزيه لله، فهم ما نزهوا الله.

الله –عز وجل– حجب قلوبهم حينما طرقوا طريق الحق، وسبيل المؤمنين الذي أمر الله باتباعهم.

قال: (وقطع أطماعهم عما قصدوه) كأنهم قصدوا تنزيه الله –عز وجل–، لكنهم سلكوا طريقًا غير مشروع، فلما سلكوا الطريق غير المشروع، جانبوا نهج السلف، وجانبوا مقتضى النصوص، لم يتفقهوا في الدين الله –عز وجل– حجبهم عن الوصول إلى ما قصدوه؛ لأنهم استعملوا طريقًا غير شرعية.

يقول سبحانه: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ﴾ بمعنى: كيف حجبهم؟ كيف قطع أمالهم؟ لأنهم حينما تطاولوا إلى ما لا يعلمه إلا الله، وقعوا في ما لا تطيقه مداركهم، فمن هنا انكسرت جميع قواهم تحطمت أمام الحقيقة، وهي أن ذلك غيب لا يعلمه إلا الله، فمن هنا تكسرت وتحطمت جميع وسائلهم وآمالهم التي تذرعوا بها إلى الخروج عن النهج السليم.

(قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل –رضي الله عنه– في قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (إن الله ينزل إلى سماء الدني)، (وإن الله يرى في القيامة) وما أشبه هذه الأحاديث نؤمن بها ونصدق بها لا كيف ولا معنى، ولا نرد شيئًا منها، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق ولا نرد على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–).

هذا الكلام لإمام السنة أحمد بن حنبل أيضًا عبارة عن تقعيد وتأصيل لبعض مسائل العقيدة في أسماء الله وصفاته وأفعاله، هنا قال: (قال الإمام أبو عبد الله) هو إمام بإجماع الأمة ولله الحمد، وهو مشهور أي الإمام أحمد علم أشهر من أن نتكلم عنه، لكن نقف عن قوله (رضي الله عنه)، قد تشكل على تشكل على بعض طلاب

العلم، أنه ما معنى أننا نترضى عن إمام بعينه، ثم كثير من علماء المسلمين لا نقول: رضي الله عنهم؟ هو في الحقيقة لعلها من إكرام الله -عز وجل- لبعض خلقه، هذه ما قصدت، يعني غالبًا الذين يترضى عنهم من هم؟ الصحابة -رضي الله عنهم-، هذا غالبًا أنه من خصائصهم، لكن كلمة رضي الله عنه كلمة دعاء أحيانًا يجوز أن تقولها لشخص، إذا التزمتها يكون غير مشروع، تقولها لشخص لكن ومع ذلك الله -عز وجل- أكرم بعض خلقه مثل الأئمة الأربعة الإمام أبو حنيفة -رضي الله عنه- والإمام مالك -رضي الله عنه- والإمام الشافعي -رضي الله عنه- والإمام أحمد -رضي الله عنه-، هؤلاء تقال لهم هذه الكلمة أحيانًا؛ لأن الله أكرمهم بالإمامة في الدين حتى صاروا قريب من مصاف الصحابة، فهذا حق، ومع ذلك لو قلنا رحمهم الله لكان أولى.

تقول: ما حكم قول "الله ورسوله أعلم" في أمور الدين بعد موته -صلى الله عليه وسلم-؟ لكونه يعرف الدين كله ما عدا الغيبيات؟.

أقول النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد وفاته لم نعد نتلقى عنه علم، كل العلم الذي الله -عز وجل- كلفه به أعطانا إياه، فلا يقال "الله ورسوله أعلم" إلا حينما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- حي بمعنى ننتظر العلم منه، كان الصحابة يقولونها ينتظرون من النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يعطيهم العلم الذي لم يصلوا إليه، عن طريق ما يبلغه به ربه، لكن بعد وفاته -صلى الله عليه وسلم-، يعني العلم الذي حباه الله به لم يعد يعني الذي يخصه، ولا يدخل في الرسالة والنبوة هذا ما حباه الله به يعني لم يعد لنا إليه سبيل، والعلم الذي كلف بأن يبلغنا إياه بلغنا إياه، فلم يبق لنا طريق إلى العلم إلا ما يوفق الله -عز وجل- إليه ويسدد خاصة ما ينكشف للعلم من غير الوحي، ما ينكشف من العلوم التجريبية وغيرها، العلوم التي تحت مدارك الناس وحواسهم لا تزال هي من علم الله، ووسيلتنا فيها أن نطلب الله -عز وجل- أن يعلمنا ونتعلم، والدين لم يعد هناك معلومات جديدة في الدين غير ما بلغه النبي -صلى الله عليه وسلم-، إذن ما نقول: "الله ورسوله أعلم" لا لأني النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يخصه الله بعلم؛ لكن لأنا لم يعد لنا طريق لأخذ العلم عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنه انقطع الوحي وختمت النبوة.

قال الإمام أحمد: (قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إن الله ينزل إلى السماء الدني))، يعني أن هذا مما ثبت عن الله عن طريق الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- بالحديث المتواتر النزول إثبات النزول لله، (إن الله ينزل إلى السماء الدني) وكذلك إثبات الرؤيا، في قوله: (إن الله يرى في القيامة)، طبعًا سيأتي الكلام عن الرؤيا وأنها نوعين: رؤية خاصة قطعية، ورؤية عمة، يعني هي ثابتة لكن فيها كلام، وما أشبه هذه الأحاديث، قال: ما أشبه هذه الأحاديث التي تثبت لله -عز وجل- أفعالاً وتثبت لله -عز وجل- حقائق لا ندركها لو لم ترد لنا بالنص، فهذه الصفات الفعلية مثل النزول ثبتت بالنص.

أيضًا كون الله -عز وجل- يُرى يوم القيامة بما يقدر الله به عباده من الرؤية هذا أمر غيبي أخبرنا الله به لا يكون للناس في الدنيا، هذه النصوص نصوص يعني تثبت لنا ثوابت من الغيب لا يمكن أن نعرفها بعقولنا، ولا مداركنا ولا بأي وسيلة من وسائل العلم، ولا حتى بالإدراك العام؛ لأنه هناك بعض الحقائق تدرك إدراكًا عامًا، يعني كون الله -عز وجل- بكل شيء عليم، هذه يدركها العاقل سليم العقل، كون الله حكيم، هذا أمر يدركه العاقل، أليس كذلك؟ لكن لا يدرك التفاصيل وكمال الله، لكن كون الله -عز وجل- ينزل إلى السماء الدنيا، هل يمكن أن يتوصل عقل عاقل ما لم يثبت في النص، يتوصل إلى هذا؟ إثبات الرؤية هل يمكن أن نتوصل إليه لو لم يرد؟ مستحيل، إذن هذه النصوص وأمثالها ما أشبه هذه الأحاديث التي أخبر بها النبي -صلى الله عليه وسلم- وتواترت نؤمن بها، يعني أولاً نؤمن بها، لأنها أخبرت عن الله، نؤمن بها ونصدق بها، لماذا قال نؤمن ونصدق؟ العبارتان مترادفتان، لكن قصده هنا الإيمان يقتضي التصديق الذي ينافي الرد، والتصديق الذي ينافي التكذيب وينافي الرد.

ثم قال: (لا كيف ولا معنى)، بمعنى: بلا أن ندخل بدون أن ندخل في كيفيات الحقائق الغيبية لا يلزم أننا نتكلم فيها، لا نثبت ولا ننفي؛ ولذلك لا يجوز ومن أعظم الذنوب أننا يسأل كيف ينزل ربنا -عز وجل-؟ هذا عظيم، كيف تسألني أو تسأل أي مخلوق عن كيفية نزول الله -عز وجل- بل سلم أن الله ينزل كما يليق بجلاله، وهذا هي عبارة صريحة بينة ونعلم أن التشبيه منفي؛ لأن الله ليس كمثله شيء.

إذن هذه النصوص وما أشبهها نقف منها المواقف التالية: نؤمن بها فلا يتطرق إلينا أي شك، نصدق فلا نتردد، ثم لا نكيف لا بالسؤال ولا بالابتداء، منع التكييف أننا نسأل عن الكيفية، لا أيضًا لا نخوض في الكيفية على الإطلاق.

قال: (ولا معنى) هذا قريب من كلمة الشيخ السابقة، ابن قدامة قال.. تعرض له قبل قليل، الإمام أحمد أيضًا أثبت هذه الكلمة، قال: (ولا معنى) يعني سوا ما دلت عليه، هذا بدهي، لماذا نقول بدهي؟ هل معنى ذلك أن الإمام أحمد ينفي معاني أسماء الله وصفاته؟ طبعًا لا، لماذا لا؟ لأن الإمام أحمد يثبت هنا، هذا يتناقض، ودائمًا النصوص إذا جاءت يرد بعضها إلى بعض، سواءً كانت نصوص القرآن أو نصوص السنة، أو كلام السلف، لابد نرد بعضه إلى بعض، والعالم إذا تكلم بكلمة هي مذلة أو مظنة أو مشتبهة كيف نفسر كلامه؟ نفسر كلامه بأقواله الأخرى، بأن لا نفتري عليه، فقول الإمام أحمد (ولا معنى) يعني لا نتحدث عن المعنى الذي لا تدل عليه دلالة ظاهرة بينة حقيقة المعاني الغيبية المعاني الكيفية لا نتكلم فيها، قال: (ولا نر د شيئًا منه).

يقول: قال تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٨]، هل الله يدخل في كلمة شيء؟ وإذا كان كذلك فكيف نفسر قوله تعالى: ﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦]؟

نعم، كلمة "شيء" تعني الوجود، كلمة "شيء" ليست صفة لله ولا اسم، كلمة "شيء" تعبير عن الموجود، كل موجود شيء، والله -عز وجل- هو أعظم الوجود، والله -عز وجل- خالق الوجود، وهو موجود، فالشيء هنا ليس المقصود بها يعني الغير، المقصود بها الموجود، كل موجود يسمى شيء، كذا؟ فالله -عز وجل- من هنا بذاته وأسماءه وصفاته يعني يمكن يعبر عنه بشيء من باب المقابلة كما ورد في النص.

الشق الثاني من السؤال قلت؟

وإذا كان كذلك فكيف نفسر قوله تعالى: ﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾؟.

أي معروف سوى الله -عز وجل-، يعني كلمة "خالق" تعني أن هناك مخلوق، إذن كل شيء مخلوق، هذه من بدائه لغة العرب، ولغة العرب لغة بديعة تجمع المعاني الكبيرة تحت لفظة واحدة، فلما وجد "الله خالق" معناه المخلوقات، كل شيء مخلوق، هذا يسمى بدهي، والله -عز وجل- مع ذلك هو خالق المخلوق وما سيخلق وما سيوجد، فالله -عز وجل- سمى خالق حتى قبل وجود الخلق، وهذه مسألة مهمة، من كمال الله أنه كان يسمى خالق حتى قبل وجود الخلق لقدرته على الخلق، فهو خالق كل مخلوق وهو خالق لكل ما سيُخلق وهو خالق حتى لو لم يوجد مخلوق سبحانه؛ لأن الخلق كمال هو نوع من القدرة الكاملة لله -عز وجل-، نعم.

ثم قال: (ولا نرد شيء منه)، أي هذه النصوص لا نردها لا بالتأويل ولا بالتكذيب، ولا بأي نوع من أنواع الرد، ولا بالاشتباه أيضًا، يعني أحيانًا بعض الناس يرد وهو لا يشعر بمعنى يرد ولا يشعر؟ يقول: لا يُعقل كذا، نقول: كيف لا يُعقل؟ المسألة ما هي مسألة يعني هذا اختبار للعقول، العقول تُسلم لله في الغيب، فكلمة لا يُعقل هي ظلم للعقل، لأن لا يُعقل، كأن العقل لا يُسلم بذلك.

ثم بعد ذلك قال: (ولا نرد شيئًا منه) لا لفظها، ولا حقيقتها، ولا معناها، كلها نثبت كل هذه الأمور بحقيقتها ومعانيها وألفاظها.

الدرس الخامس: قواعد إثبات الصفات لله -عز وجل-

وصلنا يا شيخ في الحلقة الماضية لقول الإمام عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل .

تفضل اقرأه ثم نستكمل.

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل -رضي الله عنه-: (في قول النبي -صلى الله عليه وسلم- (إن الله ينزل إلى سماء الدنيا) و (إن الله يُرى في القيامة) وما أشبه هذه الأحاديث، نؤمن بها ونصدق بها لا كيف ولا معنى ولا نرد شيئًا منها، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق، ولا نرد على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ونقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه لا نتعدى ذلك ولا يبلغه وصف الواصفين، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت ولا نتعدى القرآن والحديث، ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول -صلى الله عليه وسلم- وتثبيت القرآن) .

أحسنت، بارك الله فيك.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

ففي الأسبوع الماضي في الدرس الماضي وقفنا عند آخر كلام الإمام أحمد، الإمام أحمد تكلم عن قواعد إثبات الصفات لله -عز وجل- أو الأخبار عن الله مما يتعلق بالصفات جاء بأنموذج النزول، كقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إن الله ينزل إلى سماء الدنيا) هذا من الصفات الفعلية ويسمى النزول، من نص القرآن، وهو حقيقة كما يليق بجلال الله -عز وجل- كما أسلفت.

الشيء الثاني من الأمور الغيبية: هو إثبات أن الله -عز وجل- يُقْدر عباده على رؤيته سبحانه على ما يليق بجلاله، وسيأتي الكلام عن الرؤيا -إن شاء الله- في درس قادم، وأنها تنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: الرؤية العامة، بمعنى أن جميع الخلائق يوم القيامة يرون ربهم رؤية عامة لا نعرف تفاصيلها؛ لأنها لم ترد وهي غيب.

والنوع الثاني: رؤية خاصة، وهي رؤية المؤمنين لربهم في الجنة بأبصارهم على ما يليق بجلال الله -عز وجل-.

ثم ذكر قال: (وما أشبه هذه الأحاديث) إذن هو أراد هنا أن يضرب أنموذجا للأحاديث التي ثبتت في صفات الله -عز وجل- أو الإخبار عن الله، هي وما أشبهها ما ثبت منها يجب أن نؤمن به ونصدق ولا نكيف ولا نذكر المعنى سوى ما دلت عليه النصوص (ولا نرد شيئًا منها) يعني من النصوص (لا نرد شيئًا منها) بمعنى: لا نرد لفظها ولا ما دلت عليه من الدلالات والحقائق، ليس الرد -كما يظن البعض- أنه رد اللفظ فقط أو رد السند، ولا شك أن هذا أيضًا محادة للدين، لكن أيضًا هناك نوع من الرد يلتبس على كثير من الناس، وهو: رد المعاني ورد الحقائق، نجد كثيرًا من المبطلين لا يجرءُون على تكذيب حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا يجرءُون على الرد المباشر فيلجئون إلى التأويل رد المعاني التي ثبتت، رد الحقائق، رد دلالات الأحاديث، وهذا النوع من الرد هو الأخطر.

إذن (لا نرد شيئًا منها) يعني: لا نرد ألفاظها ولا أسانيدها، ولا نرد حقيقتها التي دلت عليها ولا معانيها الظاهرة التي في مدارك المخاطبين، أما المعاني الغيبية فلا شك أننا لا نعلمها ولذلك لا نرده نقول: الله أعلم بمراده بالنسبة للجانب الغيبي من أخبار الصفات.

قال: (ولا نرد على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–) هذا تخصيص بعد تعميم، أراد بذلك أن يلفت النظر إلى مسألة خطيرة جدًا يجب على المسلم أن يحذر من الوقوع فيها، وهي أنه لو رد أحاديث هذه النصوص، لو رد ألفاظها وأسانيدها، لو رد معانيها أو بعض معانيها فإن ذلك يعني أنه رد على الرسول –صلى الله عليه وسلم– وهذا من أعظم الإساءة، بل هو أعظم إساءة إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

فالكلام في النصوص على غير قواعد الشرع والرد المباشر أو الرد بالتأويل لا شك أنه يعود إلى رد النبي –صلى الله عليه وسلم– وهذا قد يصل إلى حد الردة نسأل الله العافية.

معذرة نحتاج أن نذكر المشاهدين بالعبارات التالية، اقرأ النص التالي أخي الكريم.

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي –رضي الله عنه–: (آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله) .

لحظة لحظة، اقرأ بما قرأته (ولا نصف الله بأكثر ...) بعد كلام الإمام أحمد مباشرة، بعد الكلام المشروح.

(ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه) .

نقف عند هذه، هذه أيضًا قاعدة عظيمة، تقابل ما سبق من قاعدة الإثبات، القاعدة الأساسية التي ينبني عليها الاعتقاد في حق الله –عز وجل– في أسمائه وصفاته وأفعاله هي إثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسول –صلى الله عليه وسلم– هذه القاعدة يتفرع عنها قاعدة أيضًا كبرى وعظيمة، إذا قلنا: نثبت ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله –صلى الله عليه وسلم– فهذا يعني بالضرورة أيضًا ألا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه، يعني نقف عند الإثبات ولا نزيد، ثم تقيد أو يتفرع عن هذه القاعدة القاعدة التالية اقرأ ... قال:

(بلا حد ولا غاية، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .

هو هنا فرع قاعدة أخرى أو القاعدة الأولى حينما لا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه؛ لأن الله –عز وجل– أعطانا بل علمنا ما يناسب مداركنا، ما أطلعنا الله عليه وأخبرنا به وأخبرنا به رسوله –صلى الله عليه وسلم– مما يتعلق بذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله هو الذي تطيقه مداركنا، ولله –عز وجل– من أوصاف الجلال والكمال، ولله –عز وجل– من الأسماء والصفات والأفعال ما لا يحصى، ولم يرد به الخبر لأن مدارك البشر لا تطيقه ولأنهم ليسوا بحاجة إليه، فمن هنا لا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه، ثم حينما نصف الله تأتي القاعدة الثانية، حينما نصف الله –عز وجل– بما وصف به نفسه، فإنا لا نحد هذه الصفات بكيفيات، لا نحد صفات الله وأفعاله لا بكم ولا حصر، ثم قال: (ولا غاية) يعني ولا نهاية، كمال الله لا يمكن أن تدركه مداركنا، الله –عز وجل– أعظم وأجل من أن نحد له في أذهاننا في خيالاتنا حدودا، والله –عز وجل– أعظم وأجل من أن يتصور له غاية؛ لأن الله –عز وجل– هو الكمال المطلق.

إذن الحد هنا يعني تحديد الكيفية، وحصر المكان مثلاً والغاية هي النهاية، ويعني بذلك أن عقولنا ومداركنا –نحن البشر– لا يمكن بل جميع المخلوقات لا يمكن أن تحيط بكمال الله –عز وجل– فهكذا لا تحد له حدودًا، ولا يمكن أن تتوهم له نهاية، وما يحدث من أوهام بعض الناس ما هو إلا رجم بالغيب والتخرص.

ثم قال -تقريرًا لهذه القاعدة-: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) هنا في قوله -عز وجل-: (ليس كمثله شيء) طرد لكل ما يمكن أن يتوهمه ويتخيله الناس ويتخيله المستمعون الذين يقرءون كلام الله، ويسمعون كلام رسوله -صلى الله عليه وسلم- كل ما يتخيلونه من الكيفيات في حقائق الغيب عمومًا وحقائق أسماء الله وصفاته وأفعاله على وجه الخصوص فإن هذه خيالات محال أن تحيط بالله، أو أن تكون هي الحقيقة على معانيه؛ لأن الله -عز وجل- ليس كمثله شيء، وما يتخيله المستمعون وغيرهم من الخيالات والأوهام مبنية على مداركهم من خلال إدراكهم للأشياء، مبنية على مداركهم من خلال إدراكهم لعالم الشهادة، والله -عز وجل- ليس كمثله شيء، إذن لا يشبه به خلقه، ولا يشبه خلقه به، وهو -مع ذلك- (هو السميع البصير) حينما نقول: (ليس كمثله شيء) لا يعني أن يجرد من الأسماء والصفات، بل تثبت له على ما يليق بجلاله.

أكمل، قال: (ونقول ...).

(ونقول كما قال، ونصف بما وصف به نفسه، لا نتعدى ذلك) .

أحسنت.

(ونقول) يعني: نعتقد في الله، ونتكلم في حق الله -عز وجل- كما قال عن نفسه، فالله أعلم بحقيقة أسمائه وصفاته من الخلق، ونصفه بما وصف به نفسه على جهة التفصيل، نقول كما قال: على جهة الإجمال والتفصيل، ونصف بما وصف به نفسه مما جاء في كتاب الله أو صح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال عنه ربه وهو لا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم: ٤] ولا نتعدى ذلك، لا نتعدى ذلك لأن مداركنا وعقولنا أقل من أن تدرك أمور الغيب المخلوقة فكيف بالخالق؟! لأنها غيب، لا نتعدى ذلك لا بالتمثيل ولا بالتكييف ولا بالزيادة ولا بالنقص، لا نزيد ولا ننقص، لا نمثل ولا ننفي ما جاء في كتاب الله، ولا نثبت ما لم يثبت؛ لأن كل ما يمكن أن نتصوره في كيفيات الغيب في الحقائق الغيبية عن الله وأسمائه وصفاته فهو رجم بالغيب، فلا نتعدى النص، لا نتعدى ما وصف الله به نفسه، ووصف به رسوله -صلى الله عليه وسلم-.

هنا قد ينشأ سؤال وهو: ألا نصف الله -عز وجل- بكل الكمال؟ نقول: بلى، نصف الله بكل الكمال، وقد يرد بعض الكمالات على ألسنتنا أو في لغة أي لغة من اللغات، يعني التعبير عن بعض الكمالات التي الله أحق بها، نقول: نعم، لكن نعلم أن ما جاء في ألفاظ الشرع، ما جاء في ألفاظ القرآن وألفاظ النبي -صلى الله عليه وسلم- من أسماء الكمال وأوصاف الكمال لله -عز وجل- يدخل فيه كل ما يتكلم به المتكلمون بأي لغة، لا يمكن أن نعبر عن حق الله -عز وجل- وكماله جملة ولا تفصيلاً بأعظم وأفضل وأكمل مما جاء في كلام الله وعبر عنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

فإذن هنا لسنا بحاجة إلى أن نفترض أنه قد يحدث على ألسنة بعض الناس أن يوصف الله بكمال لم يرد في الكتاب والسنة.

ثم قال: (ولا نتعدى ذلك) كما قلت: لا نتعدى النصوص.

نعم أكمل.

(ولا يبلغه وصف الواصفين) .

نعم (ولا يبلغه وصف الواصفين) الذين يصفون الله –عز وجل– بما لم صف به نفسه، وما لم يصفه به رسوله –صلى الله عليه وسلم– لأن الذين يتكلمون في أوصاف الله بغير ما ورد به الشرع إنما يتكلمون بالأوهام والتصورات الخاطئة أو بما هو رجم بالغيب، والله –عز وجل– نهى عن هذا وحذر من هذا النصف فقال سبحانه: ﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ * يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴾ [الذاريات: ١٠: ١٢] .

فكل من تكلم في أمر غريب ومما تعلق بالله من باب أولى فإنما هو متخرص، فعلى هذا فإن كمال الله لا يبلغه وصف الواصفين الذين يريدون أن يصفوا الله بأكثر مما وصف الله به نفسه بزيادة أو نقص.

(نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه) .

نعم، بمعنى: أن كل ما جاء في كتاب الله –عز وجل– يجب أن نعتقد أنه حق وصدق وأن نسلم به ونذعن، ونعتقده يقينًا، ونستعد لقبول ما جاء به.

قال: (محكمه ومتشابهه) لأن من القرآن ما هو بين لجميع الناس، فهذا المحكم الذي يتفق عليه الجميع، ومن القرآن ما هو بين لفئات من الناس ويخفى على فئات، ومن القرآن ما لا يعلمه إلا الراسخون فهذا بيّن لمن يعلمونه مشتبه على من لا يعلمونه، فالذين لا يعلمون ما لا يعلمه غيرهم عليهم أن يسلموا بأنه حق ثم يرجعوا إلى أهل الذكر كما قال الله –عز وجل–: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣] هناك من المتشابه ما لا يعلمه أحد؛ لأن هناك تشابها نسبيا وهناك تشابها مطلقا، التشابه النسبي هو الذي يشتبه على بعض الخلق ولا يشتبه على آخرين، فهؤلاء يرجع الناس فيهم إلى أهل العلم منهم، ومع ذلك إذا بقي الأمر مشتبهًا على من أشكل عليه شيء من القرآن فيجب أن يسلم بأنه حق ويقول: الله أعلم، كما ذكرنا في قاعدة سابقة في الدرس الماضي، يقول: الله أعلم بمراده، وليعلم وليوقن أن كلام الله حق.

لكن أعود وأقول: ومع ذلك هناك من المتشابه ما لا يعلمه إلا الله وهو الكيفيات، الغيبيات البحتة التي لم يطلع الله أحدًا من خلقه عليها، فهذا متشابه على الجميع فيجب على الجميع أن يسلموا به، وليعلموا أن الله –عز وجل– قد يبتليهم بمثل هذه الأمور ليعرف هل يقفوا عند حدوده، نعم فالمسلم الذي لا يخوض فيما لا يعلم وقف عند حدود الله، والذي يخوض في ما لا يعلم تجرأ على حدود الله فوقع في المحذور.

(ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شُنِّعت) .

نعم، يقصد بذلك الذين تكلموا في المتشابه، أو الذين أولوا بعض الصفات لأنهم سمعوا من يتوهم أن إثبات الصفات تشبيه، أو أن إثبات الصفات تجسيد، فمن هنا بعض الذين أثرت عليهم مثل هذه الشبهات اعتبروا وصف أسماء الله –عز وجل– اعتبروا إثبات الصفات أو حينما سمعوا من بعض المئولين أو المعطلة أن إثبات الصفات يعني التشبيه والتجسيم نفروا من هذه العبارات، فاستجابوا لهذه أو تأثروا بهذه العبارات الشنيعة، فزعموا أنهم اضطروا إلى التأويل لئلا يسمعوا بهذه الشناعات أو ليدفعوها مع أن هذا ليس منهجا، يعني إساءة الأدب مع الله – عز وجل– هذه لا تنتهي، هناك صنف من الخلق من المشركين وضلال الفلاسفة وأصحاب الشبهات والمنافقين يعني لا يتأدبون مع الله –عز وجل– فنحن لا نستجيب لاستفزازاتهم في حق الله، لا نستجيب لشبهاتهم فنزيل الحق الثابت من أجل درء هذه الشبهات، لا بل نثبت على الحق، نثبت على إثبات ما أثبه الله لنفسه، وما أثبته له رسوله –صلى الله عليه وسلم– من الصفات حتى وإن سماه الآخرون تجسيما أو تمثيلا أو تشبيها أو حدودا أو غايات فنحن لا نتعلق بالأسماء، نتعلق بالمعاني، ولذلك قعد السلف لهذه المسألة بما يسمى بالألفاظ المجملة والألفاظ المشتبهة هذه لها قاعدة، فإذن قصدي هنا: لا نزيل عنه أي: عن الله –عز وجل– بمعنى: نئول صفاته أو نخرج عن اعتقادها لمجرد أن يأتي طائفة من الخلق فيصفون الصفات بالتجسيم والتمثيل والتشبيه ونحو ذلك، لأن الإنكار كما قال: (لشناعة شنعت) المقصود بها: اعتراض المعترضين وتصنيف أهل الحق بأنهم مجسمة، هذه

شناعة، التشنيع هو التعيير والإنكار بغير حق، هذه الشناعة لا تحملنا على أننا نحيد عن الحق أو نتخلى عن العقيدة؛ لأن شناعات المبطلين لا تنتهي، ثم قال ...

(ولا نتعدى القرآن والحديث) .

(ولا نتعدى القرآن والحديث) بمعنى لا نتعدى ما وصف الله به نفسه، وما وصفه به رسوله –صلى الله عليه وسلم– بل نقف على ذلك، لا نتعداه بالتأويل، ولا نتعداه بالتشبيه، ولا نتعداه بالتجسيم، ولا نتعداه أيضًا بالتخلي عن الإثبات كما يسمى التفويض، بل نقف مع الحق، ولا نزيد بأكثر مما ورد في الكتاب والسنة.

(ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول –صلى الله عليه وسلم– وتثبيت القرآن) .

نعم، بمعنى: ما ورد عن النبي –صلى الله عليه وسلم– وقبل ذلك ما ثبت في القرآن من أوصاف الغيب، من ذكر بعض كيفيات الغيب فهذا نؤمن به، فعلى سبيل المثال من أمور الغيب الكبرى الإسراء والمعراج، الإسراء والمعراج بجملته من الأمور الغيبية، ويجب أن نؤمن أنه حدث للنبي –صلى الله عليه وسلم– على جهة اليقين بروحه وجسده، الخبر الذي ثبت عن النبي –صلى الله عليه وسلم– عن الإسراء والمعراج فيه بعض الكيفيات المتعلقة بالغيب، فذكر لنا شيئًا عن أحوال الأنبياء في بيت المقدس حين صلى بهم، ذكر أوصاف بعض الأنبياء، ذكر مقامات الأنبياء في السماوات، ذكر النبي –صلى الله عليه وسلم– سدرة المنتهى، ذكر مقامًا له –صلى الله عليه وسلم– لم يصله جبريل –عليه السلام– هذه الأمور كيفيات، لكن نقف عندها، إذن يقال: لا نتكلم بكيفيات الغيب وأسماء الله وصفاته وأفعاله وما وردنا من ذلك إلا بما ورد في النص فنصدق الرسول –صلى الله عليه وسلم– فيه، وقبل ذلك نصدق القرآن.

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي –رضي الله عنه–: (آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله) .

أحسنت.

هذه أيضًا قاعدة عظيمة قال بها هذا الإمام المطلبي القرشي محمد بن إدريس الشافعي أحد الأئمة الأربعة الكبار المتبوعين بين المسلمين، هذا الإمام من أعظم الأئمة الذين رسموا منهج السنة والجماعة، من أعظم الأئمة الذين كانت مواقفهم في تثبيت السنة وأهلها في الاجتهاد في أمور الدين الاجتهادية، أيضًا في الدفاع عن الحق ورد الباطل في الرد على المخالفين، هذا الإمام إمام سنة متبوع، ولا يزال له مذهب متبوع بين أهل السنة والجماعة يسمى مذهب الشافعي، لكن لا أنسى من باب النصح للمسلمين جميعًا أن أنبه على أمر هو مسألة ازدواجية عند بعض المسلمين في الانتماء لأئمة السنة الأربعة، هذه الازدواجية هي في الحقيقة من الأمور التي لا تليق شرعًا ولا تصح عقلاً ولا تثبت أمام البحث العلمي المتجرد، وهي أن كثيرين ممن ينتسبون لهذا الإمام الكبير ينتسبون له في الاجتهاديات، ولا ينتسبون له مما هو قدوة فيه في العقيدة، وهذا لا شك أنه تناقض، كيف تجعلونه إمامكم في السنة في الاجتهاديات والفقه، ثم تنسون ما هو أولى وأعظم من ذلك وهو أصول الدين وثوابت الدين؟ وهذا ليس فقط في بعض الشافعية بل في جميع المذاهب، يعني من أتباع الإمام أبي حنيفة وأتباع الشافعي وأتباع مالك وأتباع الإمام أحمد بن حنبل كلهم في أتباعهم من خرجوا على أصولهم في العقيدة، ولا شك أن هذا تناقض.

الإمام الشافعي هنا رسم منهجًا عظيمًا يجب أن يترسمه كل مسلم، وهذا مما يجمع عليه أئمة السنة، قال: (آمنت بالله) يعني بذاته وأسمائه وصفاته (ثم بما جاء عن الله) يعني: في القرآن والسنة، ما ثبت عن الله بأي طريق من طرق الثبوت الشرعية طرق الوحي.

مما جاء عن الله -عز وجل- أمور الغيب، أمور الغيب لا نعلم جميع مراد الله فيها، لكن نؤمن بأن الله -عز وجل- أراد الحق، أراد الحقيقة لأن القرآن جاء بلسان عربي مبين، ولأن النبي -صلى الله عليه وسلم- مبلغ عن الله وأوتي جوامع الكلم.

إذن نؤمن بالله وبما جاء عن الله عن طريق القرآن وعن طريق رسوله -صلى الله عليه وسلم- على مراد الله، أي كما أراد الله، بمعنى: إن عرفنا المراد بها ونعمت، ما عرفنا المراد فقد لا نعرف في كثير خاصة في الأمور الغيبية وبأخص في أسماء الله وصفاته وأفعاله وهي موضوع الدرس، لا نعلم كثيرا من مراد الله، لكن نعلم أن الله أراد الحق، لكن ليس كل مراد الله نعلمه، نعلم ما تدركه مداركنا، نعلم أن كلام الله حقائق، لكن ليس كل المراد خاصة الكيفيات نعلمها.

إذن نسلم ونؤمن بمراد الله، ما علمنا منه تيقناه، وما لم نعلمه سلمناه لله وعلمنا أنه يقين ونفوضه إلى علم الله -عز وجل- تفويض الإثبات لا تفويض الشك والريب.

ثم قال: (وآمنت برسول الله) كذلك الأول مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، وهذا الثاني هو مقتضى شهادة أم محمدًا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (وآمنت برسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-) نفس القاعدة السابقة؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبرنا عن أمور كثيرة، من هذه الأمور ما ندركه، ومنها ما لا ندركه، ونعلم أن مراد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مراد حق، أراد الحق فلنقف على هذا الحق إن أدركناه بها ونعمت، وإن لم ندركه فلنسلم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- بلغ عن الله، وأنه بلغ الحقيقة من غير تأويل ولا امتحان لأنه ما أراد أن يمتحنا بأن نقع في الغيب، إنما أراد أن نسلم، نعم.

(وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف -رضي الله عنهم- كلهم متفقون على الإقرار) .

أحسنت، نقف على العبارة الأولى.

قال: (وعلى هذ) أي: على الإقرار بهذه القواعد العظيمة والتسليم والإذعان والإيمان بمراد الله -عز وجل- وأنه الحق، وبمراد الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأنه أراد الحق، هذا وغيره من الأصول السابقة واللاحقة هذا الذي سار عليه السلف، السلف الصالح كلهم، وهنا مثل هذه العبارة كلمة السلف، طبعًا هي مقيدة بمعنى لكنه عند الإجمال لا نحتاج إلى التقييدات، المقصود بالسلف: أئمة الحق الذين سلفوا، الذين مضوا على الحق، ليس كل سلف، إنما السلف الصالح، لكن إذا كان الأمر في تقرير الحق وقيلت كلمة السلف حتى لو ما وصفناهم بالصالحين أو السلف فإنه يعنى بهم على مراد الشخص المتكلم إذا كان من أهل الحق، أنه يقصد بهم السلف الذين سلفوا على الحق، الذين سبقونا من أئمة الحق وأتباعهم حتى من عامة المسلمين، بعض الناس قد يفهم من السلف هم فقط أئمة الإسلام، وهم أولاً الرسول -صلى الله عليه وسلم- والصحابة والتابعين ويقصر الأمر على العلماء، لا، السلف هم العلماء ومن تبع العلماء من أدنى العامة هم كلهم سلف، سلفوا على المنهج الصالح.

قال: (وأئمة الخلف) هذه كلمة قد تشكل، هل أئمة الخلف غير السلف؟ هنا لابد من التوضيح، يقصد هنا بأئمة الخلف أن بعض العلماء قسم قرون الأمة وتاريخ الأمة من حيث استقامة المنهج إلى قسمين:

القسم الأول: القرون الفاضلة التي ثبتت فيها مناهج الإسلام، مناهج الدين، وهي القرون الثلاثة الفاضلة، فهؤلاء يسمون سلف أئمة الهدى منهم يسمون سلف بإجماع، بعضهم لا يسمي من جاء بعد القرون الفاضلة أو بعد القرن الأول يوجد خلاف كبير في هذا، بعضهم قد لا يسمي هذه الأجيال سلفا، لكن يسميهم خلف خلفوهم على

خير، لكن العبارة أيضًا موهمة، لأن الاصطلاح أحيانًا هذا قد يستعمل على وجه آخر وهو أن بعض أئمة الإسلام يقسمون ورثة العلم أو يقسمون الذين يتلقى عنهم العلم إلى قسمين:

قسم السلف: وهم أصحاب المنهج السليم في كل عصر إلى قيام الساعة.

وقسم الخلف: وهم الذين خالفوا منهج السلف في بعض الأمور أو في كل الأمور، فمن هنا الاصطلاح الآخر يقسم المسلمين أو علماء الأمة إلى قسمين: السلف الذين بقوا على نهج النبي -صلى الله عليه وسلم- والصحابة ونهج السنة والجماعة، والخلف الذين خالفوا نهج السنة والجماعة وهم أهل البدع، لكن ليس هذا هو المقصود في هذا المقام، المقصود هنا الذين خلفوا أي جاءوا بعد القرون الفاضلة من أهل الحق والاعتدال من علماء الأمة، وإلا فليس كل السلف يُعَدلون، يعني السلف تاريخيًا لكن السلف الصالح كلهم عدول، وليس كل الخلف مجروحين، بل الذين خلفوا على مناهج مخالفة.

(وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف -رضي الله عنهم- كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله، وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله) .

أحسنت.

في هذا المقطع ذكر أربعة أصول عظيمة جدًا هي عبارة عن قواعد في الإثبات، قواعد تدل عليها قطعيات النصوص وإجماع السلف الصالح، لما قال: (وعلى هذا) أي في الإثبات، وكتفصيل قواعد الإثبات والنفي درج السلف كلهم وحتى الأئمة الذين جاءوا بعد القرون الثلاثة الفاضلة أئمة الخلف -رضي الله عنهم- كلهم اتفقوا على هذه القواعد.

يقول: ما الفرق بين التسليم والقبول؟ .

أحسنت.

الحقيقة هذه العبارات غالبا معانيها مترادفة، تأتي من باب تثبيت المعنى في قلب القارئ أو السامع؛ لأن بعض الناس قد يفهم كلمة تسليم أكثر مما يفهم كلمة قبول، القبول شرح للتسليم، أو بيان لمعنى التسليم، لكن ومع ذلك بينهما بعض الفروق، التسليم أوسع من القبول.

تقول: يا شيخ العقيدة هي مهمة جدًا في سلامة عمل العبد، نلاحظ يا شيخ أن جانب العقيدة لم تحظ بالاهتمام الكبير في توعية عامة الناس، نجد الاهتمام البالغ عند طلبة العلم فقط، لكن العوام الذين هم بأمس الحاجة إلى معرفة سلامة العقيدة أجد أن الدروس في مادة العقيدة عند العامة قليلة، يعني خاصة نحن الآن نعيش في ظل المملكة العربية السعودية -بحمد الله- تمنع دخول أي كتاب يعني ما كنا الأول نشعر بقيمة الحث على هذه المادة، لأنها ما كانت تدخل علينا كتب فيها جانب التعطيل والتشبيه وما إلى ذلك، لكن الآن أصبح الانفتاح -كما تعلمون يا شيخنا الإنترنت وغيرها أصبح اطلاع الشباب على كثير من الكتب الفاسدة، والتي أنا أرى أننا بحاجة شديدة إلى التحذير منها أعتقد أننا نحن بحاجة ماسة إلى ليس فقط طلاب العلم أن يهتموا بهذه المادة بقدر ما يحث عامة الناس، وأن يجب أن تكون هذه الدروس في هذه المادة بالذات؛ لأنها هي الانطلاقة إلى العمل المقبول عند الله -عز وجل- وجزاك الله خيرً .

نعود إلى سؤال الأخ الكريم: القبول والتسليم .

بين التسليم والقبول أيضًا بعض وجوه الفروق، فالتسليم أشمل من القبول، التسليم غالبًا يتعلق بخضوع القلب واستعداده، التسليم غالبًا يتعلق بيقين القلب وخضوعه واستعداده وتصديقه وما يكون في القلب من تثبيت الحق، هذا هو التسليم، أما القبول فغالبًا يكون الاستعداد للعمل، هذا هو الغالب، ومع ذلك كما قلت: العبارتان تتناوبان في المعنى، لكن التسليم غالبًا هو خضوع القلب واستعداده، ثم القبول هو التنفيذ بناءً على التنفيذ.

نعود إلى الاقتراح.

في الحقيقة هذا الاقتراح قيم جدًا، أنه ينبغي أن نُعنى بدروس العقيدة أكثر، مع أن دروس العقيدة بحمد الله موفورة، يعني لابد أن نشير إلى حقيقة موجودة، وهذا من التحدث بنعمة الله -عز وجل- علينا في هذه البلاد بخاصة، وهو أن دروس العقيدة موفورة، لكن هل هي بالقدر الكافي؟ أنا أرى أنها ليست بالقدر الكافي، وأيضًا لابد أن نشير في هذا المقام إلى ما تحظى به بلادنا هذه البلاد المملكة العربية السعودية -حفظها الله وجميع بلاد المسلمين من كل سوء- ما تحظى به من عناية بالعقيدة وثوابت الدين التي عليها ركيزة بقاء المجتمع والأمة من خلال مناهج التعليم، بقدر في الحقيقة جيد ووافٍ، وهذا ما أقلق الكثيرين ممن يحسدوننا من أعداء الأمة، أو من المنافقين في الداخل الذين أزعجهم وجود هذه الثوابت وتلقينها للأجيال، فصاروا ينهشون الآن في هذه الثوابت من خلال النقد غير المرشَّد لجانب العقيدة خاصة في مناهج التعليم، نعم النقد مقبول وتوجيه الأجيال عبر مناهج على ضوء العقيدة وتسديد هذه المناهج هذا أمر مطلوب ومقبول، لكن أرى أن الأمر زاد عن حد المصلحة إلى الوقوع في مفاسد كبرى.

أعود وأقول: الدروس الحمد لله موفورة، لكن مع ذلك الإكثار منها ضروري لاعتبارات أشارت إليها صاحبة هذا الاقتراح الطيب -جزاها الله خيرًا- وهي أن العقيدة ليست تخصصا، العقيدة واجب كل مسلم، تنبني عليه حياته العلمية والمادية وحتى حينما نعد المواطن كمواطن صالح يخدم الأمة في مجالات الحياة، حتى لو لم يكن طالب علم شرعي أو عالما، حتى في مجالات الحياة المادية التي هي الآن تقوية الأمة بها مطلب ضروري، لكن الضرورة الأولى هي أن نبني هذا الشخص قبل أن يخدم أمته في جوانب الحياة الأخرى، أن نبنيه بناءً عقديا رصينا من أجل أن يكون شخصا سويا يخدم ثوابت الأمة، الأمة لها ثوابت ننطلق منها، أول هذه الثوابت على جميع المسلمين أو جميع الأمة أن تعلم أجيالها العقيدة وجميع أفرادها، فمن هنا أؤكد على مثل هذا الاقتراح القيم.

يقول: جاء في الكتاب التسليم بأحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن المعلوم يا فضيلة الشيخ أن غالبية العوام أو طلبة العلم المبتدئين لا توجد لديهم ملكة الحكم على الحديث، وكثير من العوام لا يعرفون الأحاديث صحيحها وضعيفها، فمثلاً قد يرد على أحدهم حديث مثلاً ورد في الدارقطني، بـــ (أتاني ربي في أحسن صورة) وكذا، مثل هذه الأحاديث، فهل هناك يا شيخ قاعدة مجملة نستطيع بها حماية العوام من هذه الدواخل على العقيدة التي قد تضر بهم أو تأتيهم بشبه لا يسهل التخلص منها؟ .

أحسنت، نعم في الحقيقة الأخ الكريم يعني هنا ركز على مسألة ربما تكون في نفوس كثيرين، هو أنه إذا سمع غير المتخصص أو طالب العلم المبتدئ أو العامي من المسلمين بحديث قد يكون لا يفهم معناه، أو يشكل عليه فهمه، أو يظن أن هذا الحديث قد يكون فيه بعض التساؤلات ثم لا يدري هذا الحديث ثابت أو لم يثبت، طبعًا إذا سمع المسلم مثل هذه النصوص ولا يدري عن مدى ثبوتها، فله أن يتوقف حتى يسأل، لكن عليه أن يسأل ما دام الحديث يتعلق بأساسيات دينه عليه أن يسأل ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣] لاسيما في مثل هذا الوقت توافرت وسائل التثبت من النصوص بشكل لا يُعذر فيه أحد، فإذن يتثبت، الطريق هو أن يكون هناك تثبت.

نعود إلى القراءة.

نعم نكمل .

ثم قال: هنا عندنا قواعد أشار إليها، وهي إجابة على بعض الأسئلة التي وردت، السلف من أهل السنة والجماعة متفقون على القواعد التالية، الإقرار، يعني الإقرار بما جاء عن الله وثبت عن رسوله -صلى الله عليه وسلم- نصدق به نثبته، الإقرار نقر بأنه حق، ثم قال القاعدة الثانية: (الإمرار) معنى الإمرار يشرحه ما بعده، يعني الإمرار ما هو إمرار التخلص كما يفهم بعض الناس قال مرره: أي مَشِّهِ ، لا الإمرار بمعنى أن نمره في قالب القناعة بأنه حق، لكن نمره بلا مناقشة اعتراض وبلا شبهات، وبلا تشكيك، نمره دون وقوف عند ما لا نعلمه، نمشيه على قالب الحق لا على قالب التخلص منه، الإمرار ليس هنا ليس إمرار التخلص أو التفويض السلبي، إنما إمرار اليقين الذي يسلم لله -عز وجل-، فهنا المرار يعني التسليم.

هذه القاعدة الثانية، ثم قال: القاعدة الثالثة: الإثبات، الإثبات نتيجة للإقرار والإمرار، وهي أيضًا قاعدة احتياطية، حينما قلنا: الإقرار، ثم قلنا: الإمرار فلا يعني ذلك عدم الإثبات، بعض الناس يقول: أقر، لكن لا أدري، أمرر لكني أتوقف، نقول: لا، الإقرار القاعدة الأولى، والإمرار القاعدة الثانية يعني بالضرورة الإثبات، إثبات ما ورد في صفات الله -عز وجل- وأسمائه وأفعاله في كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- ثم تأتي القاعدة الرابعة وهي قاعدة احتياطية، هذه ترد في جميع قواعد الشرع، أنه لابد عند الإثبات الحق من الاحتياط مما يرد من أوهام، منهج الرد، رد الباطل، وهنا أنبه على مفهوم خاطئ عند الذين يتخوفون من الردود، هم أن يظنون أن الردود إنما هي ردود أفعال ردود على الباطل أو أن الردود تعني حماية الرأي ضد الرأي الآخر، لا، فالردود سياج لابد منه، سياج ضروري لحماية الحق، حينما تثبت الحق لابد ترد الباطل لئلا يرد إليه، فمن هنا ترد القاعدة الرابعة: (من غير تعرض لتأويله).

بعض الناس يقول: إذا أقررت وأمررت وأثبت توهمت التشبيه، توهمت التمثيل في حق الله -عز وجل- وفي الغيبيات، توهمت الكيفية، إذن لابد أن أُءَوِّل، نقول: وهمك تطرده ولا تئول، التأويل سبق شرحه الذي هو الخروج عن الإثبات في حقائق أسماء الله وصفاته وأفعاله إلى معانٍ محتملة، هروبًا من التشبيه والتجسيم، نقول: لا أنت أولاً اهرب من التجسيم والتشبيه ولا تئول، اعلم أن كلام الله وكلام رسوله حق على حقيقته على ما يليق بجلال الله، ولا تتعرض له لا بتشبيه وتمثيل ولا بتأويل.

(وقد أُمِرنا بالاقتفاء لآثارهم والاهتداء بمنارهم) .

نعم أحسنت، هنا تنبيه عظيم جدًا وهو أنه إذا كان هذا هو منهج السلف، إذا كانت هذه قواعد السلف، إذا كانت هذه ثوابت الدين التي قررها السلف على نهج شرعي سليم أجمعوا عليها، هل هذه الأمور والمعاني والقواعد تخصهم؟ هل هذه دينهم فقط؟ أو هي دين الأمة؟ إذن يجب أن نتبع ونقتدي لا اتباع الأعمى واقتداء غير بصيرة لكن ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠] كما أمرنا الله -عز وجل- وكما أرشدنا الرسول -صلى الله عليه وسلم- باتباع سبيل المؤمنين، إذن ما دامت هذه القواعد فهذه ليست تخصهم، بل يجب أن نفعل ذلك لأننا أُمرنا بالاقتداء بآثارهم والاهتداء بمنارهم فنحن نعتقد ما اعتقدوا، ونقول ما قالوا، وندين لله بذلك لأن هذا هو سبيل الحق، وما عداه سُبُل، وحين نتبع ونهتدي ونقتدي إنما نمتثل أمر الله وأمر رسوله -صلى الله عليه وسلم- بذلك لا مجرد تعصب، ولا مجرد تشهي ولا هوى، إنها هو منهاج الدين، نسأل الله للجميع التوفيق، والآن نترك الفرصة للإخوة الطلبة وغيرهم إذا كان هناك أسئلة.

تقول: بالنسبة للحديث القدسي: (من أتاني يمشي أتيته هرولة) والحديث الآخر: (إن الله لا يمل حتى تملوا) هل من فَسرَ ذلك بأنه من باب المشاكلة والجزاء يكون قد أوَّلَ اللفظ وأخرجه عن معناه؟ وهم يستدلون بأنها كقوله تعالى: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠] ؟ .

هذا سؤال جيد، طبعًا ستأتي له قاعدة تفصيلة في الدروس القادمة، لكن ما دام ورد فهذه الألفاظ وما في معناها للسلف فيها قواعد ذهبية عظيمة، أذكر ببعضها:

القاعدة الأولى: أن أي نص يأتي مقابل أفعال العباد بشكل صريح فإنه لابد أن يذكر لازمه، بمعنى أنه جاء ذكر المهرولة هنا مقابل المشي من العباد، ونحن نعلم أن هذا لم يعد تصويرا لعالم الغيب، بل فيه جزء من عالم الشهادة، ما هو عالم الشهادة الذي نعلمه؟ الذي نعلمه أن العباد حينما يعبدون الله -عز وجل- يعبدونه بالصلاة والصيام والحج وسائر العبادات، هذه تسمى مشيا إلى الله -عز وجل- يعني سيرا في طريق العبادة، ليس المشي بمعناه الكيفي الذي هو المشي بالأرجل فقط، فمن هنا أيضًا النص الذي جاء يقابله عرفنا أن من لوازمه أن هذا جاء من باب الجزاء، فيجازيه الله -عز وجل- بأعظم مما فعل، لكن كلمة هرولة أيضًا لها قاعدة ثانية، وهي أن مثل هذه الألفاظ هي حقائق عن الله -عز وجل- لا نثبتها لله على نحو ما هو معهود عند البشر؛ لأن الله -عز وجل- ليس كمثله شيء، لكن نثبت أنها حقيقة على ما يليق بجلال الله، إذن عندنا اللفظ وحقيقته، وعندنا لازم اللفظ، فلازم اللفظ معلوم؛ لأنه ربط العمل بالجزاء، فالعمل هو مشي العباد إليه -عز وجل- بالعبادات، والجزاء هو يعني أن الله -عز وجل- يضاعف لهم الجزاء.

الجانب الآخر أعود مرة ثانية للفظ هرولة: هذا من الألفاظ الغيبية، لا نخوض فيها، وهذا هو الذي ينطبق عليها قول الصحابة: «أمِرُّوها كما جاءت» ينطبق على مثل هذه الألفاظ المجملة المحتملة لمعانٍ، فهي حقيقة على ما يليق بجلال الله، والتشبيه الذي يتوهمه المئولة ممنوع قطعًا فمن هنا لا نزيد عن أن نقول: الله أعلم بمراده، وكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم- حق على حقيقته.

يقول: ما حكم من يثبت الصفة ويفوض المعنى؟ .

أول شيء هذا تناقض، هذه يسمونها المعادلة الصعبة، أو من ناحية موضوعية علمية عقلية بدهية لا يمكن يثبت ثم يفوض، لأنه أثبت أولاً ثم نكص وخرج عن الإثبات، التفويض هو عدم اعتقاد شيء، أليس كذلك؟ إذن هو ما أثبت، لكن للتفويض معنى أحيانًا يقصد به تفويض الكيفيات، فهذا لا دخل له بالإثبات، الإثبات هو أن نثبت ما ورد من حقائق ألفاظ الأسماء والصفات لله -عز وجل- على أنها حق على حقيقتها، وهذا غير قابل للتفويض، أما المعاني الغيبية فنعم يفوض أمرها لله، ولكن بمثل هذا التعبير لا يستقيم الأمر، إذا أثبتنا فما نثبته لا نفوضه.

يقول: المؤلف يقول: (وحذرنا من المحدثات، وأخبرنا أنها من الضلالات) فضيلة الشيخ توجد بعض المسائل في الإسلام في بدايتها حذر منها أو توقف أمهامها الصحابة والسلف مثل رد عمرو بن الخطاب لتدوين ما سوى القرآن في وقته، ومثل اعتراض بعض أئمة السلف على تدوين الفقه في وضع مسائل خالية من الأثر، ومثل اعتراضات الإمام أحمد بن حنبل في تدوين التفصيل في أعمال القلوب، والتفصيل في بعض المسائل كقولهم: نطقي بالقرآن مخلوق وكذلك، ولكن هذه أقرت فيما بعد فهل بقيت من المحدثات إلى الآن أم ماذا؟ .

لا على أي حال أغلب ما ذكرته يدخل في باب الوسائل الاجتهادية، فمن هنا الأمر -إن شاء الله- سهل.

يقول: إذا ثبت فيما بعد أنه كان الاعتراض للتبيين لا يعتبر محدث نعم، قد يشكل على بعض الأئمة ومنهم الصحابة بعض أمور هي من الثوابت لكن عندما ترد يكون لهم توهمات معينة لأنهم بشر ثم يعودوا إلى الحق؛ ولذلك سيأتي ذكر أن جميع ثوابت الدين لا خلاف عليها منذ عهد الصحابة إلى يومنا هذا، ومن هنا يحسم الأمر بهذه القاعدة العظيمة.

ونسأل الله الجميع التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السادس : اقتفاء أثر السلف الصالح

الحمد والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبعد:

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وقد أمرنا بالاقتفاء بآثارهم والاهتداء بمنارهم).

الحمد والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبعد، لما ذكر الشيخ رحمه الله جملة من القواعد والأسس والثوابت في منهج الدين، ومنهج السلف الصالح وبين قاعدتهم في الأسماء والصفات، وأنهم اتفقوا على الإقرار فيما جاء عن الله تعالى وثبت عن رسوله -صلى الله عليه وسلم- في سائر أمور الدين وعلى رأسها ما يتعلق بذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله "الإقرار والإمرار" بمعنى التسليم بها وأنها حق، والإثبات أي إثبات ما جاء في القرآن والسنة من ثوابت الدين بأسماء الله وصفاته وأفعاله وغيرها، وهذه القواعد هي محل اتفاق.

لما ذكر هذا قال: هذه العقيدة وهذه الثوابت ليست خاصة بالسلف الصالح، بل هي منهج؛ ولذلك أمرنا الله -عز وجل- وأوصانا رسوله -صلى الله عليه وسلم- بالاقتفاء بآثارهم؛ لأن السلف الصالح هم أول قدوة وأعني بهم النبي -صلى الله عليه وسلم- والصحابة والتابعين ومن تبعهم، هم القدوة في الدين وسبيلهم هو سبيل المؤمنين، فأمرنا بالاقتفاء بآثارهم، والمقصود بالآثار هنا كل الدين، الآثار التي هي المنهج والقواعد والثوابت، والآثار التي هي المرويات، والآثار التي هي منهج التعامل يعني بمعنى آثرهم في الدين الذي هو سبيل المؤمنين، آثارهم والاهتداء بمنارهم، الاهتداء؛ لأنهم على هدى، الاهتداء هو سلك طريقهم، هو لزوم سبيل الحق، فهذا يسمى اهتداء.

أمرنا يعني: أمرنا الله وأوصانا رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك.

ثم الاقتفاء أيضا معناه السير على آثارهم بالحق؛ لأن السلف في جملتهم هم أهل الحق، وليس المقصود هنا التقليد إنما المقصود الاتباع، فرق بين التقليد والاتباع سيأتي الحديث عنه إن شاء الله في فقرة تالية، نعم تفضل.

(وحذرنا المحدثات، وأخبرنا أنها من الضلالات، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)).

أحسنت، هذا الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- يرسم منهجاً عظيماً في تلقي الدين، وفي اتباع الحق، لما ذكر بأننا أمرنا -أي أمرنا الله- ووصانا الرسول -صلى الله عليه وسلم- باتباع السلف الصالح والاهتداء بهديهم قال في المقابل: (وحذرنا المحدثات)، أي: حذرنا الله وأوصانا رسوله -صلى الله عليه وسلم- بترك المحدثات في الدين، والمحدثات هنا البدع؛ لأنها أحدثت من قبل أهل الأهواء والبدع والافتراق والجهلة؛ لذلك قال: (حذرنا المحدثات وأخبرنا أنها من الضلالات)، وهذا يعني أنه يقصد بالمحدثات البدع، وليس كل المحدثات.

هذه مسألة أرجو أن يتنبه لها المشاهد، هو أن المحدثات على نوعين:

- النوع الأول: محدثات تتعلق بوسائل الدنيا وأساليبها وأنماط الحياة وأنماط السلوك، وما يتعلق أيضا بمحدثات الآراء والأقوال الاجتهادية، فهذه الأصل فيها التطوع، وأن نأخذ ما يحتاجه الناس على قواعد الشرع،

من باب الوسائل،إذ أن الأصل فيه الحل، باب الاجتهاد الأصل فيه أنه مفتوح لمن توافرت فيه الشروط إلا ما عارض الشرع.

- النوع الآخر: وهو ما يتعلق بثوابت الدين، العقيدة والعبادات ومناهج الدين الكبرى، الثوابت والقواعد والأصول والقطعيات مسائل العقيدة الكبرى التي تمثل منهج السلف الصالح هذه هي التي حذرنا المحدثات فيها، لماذا؟ لأن الدين قد كمل؛ ولأن النبي صلى الله عليه وسلم أدى الرسالة وبلغ الأمانة، فكل ما أحدثه الناس في هذه الثوابت فهو بدعة، والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (كل محدثة في الدين بدعة) وقال -صلى الله عليه وسلم- : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) وقال -صلى الله عليه وسلم-: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) فهذه النصوص -قواعد- قواطع محكمة، تسد باب الابتداع والإحداث في الدين على الإطلاق، أما ما يتعلق بوسائل الحياة فالأصل فيها الحل إذا وافق الشرع.

ثم قال -أي الشارح- استدل بحديث النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (عليكم بسنتي)، هذا الحديث جاء في صدره في بعض الألفاظ: (إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثير) قال: (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعدي) سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- هي الدين كله، كل ما جاء بمصادر الدين الكبرى، قرآن وصحيح السنة، فهو سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- من الاعتقادات والأقوال الأعمال والمواقف سواءً كانت متعلقة بالفرد أو الأسرة أو الجماعة أو المجتمع أو الدولة أو البشرية جمعاء، فسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- هي هذا الدين بجملته، (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعدي) وهذا يعني أن هناك بعض التطبيقات للدين إنما حدثت بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- في عهد الخلفاء الراشدين، وبعض الاجتهادات التي استقرت على شكل إجماع أو اتفاق الجمهور أو نحو ذلك في عدالة العهد، أي عهد الخلفاء الراشدين فأصبحت من ثوابت الدين.

ثم قال: (عضوا عليها بالنواجذ) يعني تمسكوا بها بقوة، شبهة التمسك بالعض بالنواجذ، النواجذ الأسنان المقصود بهذه العبارة أن على المسلم أن يحرص بأن يتشبه بسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- وسنة الصحابة -رضي الله عنهم- خاصة في عهد الخلفاء الراشدين؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر أنه ستحدث من الناس أهواء وبدع وافتراق، وأن كثير من أفراد المسلمين من جمهور المسلمين قد يقعون في الأهواء والافتراق والبدع، مما يجعل أهل الحق قلة، وهذا يعني أن من يتمسك بالحق قد يشعر في وقت من الأوقات أو في بعض الأحوال بأنه يحتاج إلى أن يتمسك كما يتمسك الذي يريد أن يتشبث بشيء غال عليه مهم جدا كما يتمسك صاحب القضية بقضيته بكل ما يملك.

قال: (إياكم ومحدثات الأمور) هذه يفسرها الأحاديث الأخرى، أي: البدع، محدثات الأمور في الدين كما سبق، فإن كل محدثة بدعة، يعني أيضا كل محدثة في الدين ولا شك -وكما قلت قبل قليل- ليس المقصود بها محدثات وسائل الحياة وأساليبها أو الاجتهادية هذه تضبط بضوابط الشرع، وما احتاجته ا لأمة وما احتاجه الناس فلابد من الأخذ به، والشرع يأمر بذلك وإن كان حديثاً أو محدثاً، بل أحياناً يلزم الأخذ بالمحدثات في وسائل الحياة كما هو في عصرنا هذا، أظن الآن يكاد يكون اتفاق أو إجماع بين علماء الأمة أن ما تحتاجه البشرية من المحدثات المباحة يجب الأخذ به ليس فقط يجوز، إذا كان مما تتوقف عليه الحاجات الكبرى للأمة.

(فإن كل محدثة) يعني في الدين (بدعة) أياً كانت، ومهما كان مبررها، ومهما سواها أصحابها، فإنها ما دامت في الدين فإنها بدعة، وكل بدعة ضلالة، يعني أنها خارجة عن الحق.

يقول: مسألة البدعة مفصل من مفاصل العقيدة الحقيقة، وهي فصل من فصوله الكبيرة التي اعتنى بها الشراح والعلماء على عبر العصور، فما أثر العقيدة في انحراف الناس عن التأويل الصحيح للأسماء والصفات، وغيرها من مسائل العقيدة كالشفاعة وغيرها؟.

الحقيقة أن الأساس الأول لوجود البدعة يعتمد على عدة عوامل، وهو أن البدعة نتجت عن عدة أسباب رئيسة:

أولها: الجهل بالدين.

ثانيها: التقليد للأمم الضالة والفرق الضالة والملل والنحل، الاتباع: يعني الاتباع للأمور الهالكة، وأخبر بذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- بقوله: (لتتبعن سنن من كان قبلكم، قال: شبراً بشبر وذراعاً بذراع).

ثالثها: الهوى، الزيغ. كما قال الله -عز وجل-: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[آل عمران: ٨].

رابعها: الاشتباه. كثير من الناس يشتبه عليه الأمر، فمن هنا هذه الأمور هي من الأسباب الرئيسة التي أدت إلى وقوع الناس في البدع، كما يعني أن البدعة عادة يحسنها الشيطان للإنسان؛ لأنه ما من مبتدع يبتدع بدعة إلا ويتدين بها، فهو نوع من الاستدراك على الشرع بحيث يشعر الإنسان أو لا يشعر، فهي نوع استدراك، والشرع لا يستدرك عليه؛ لأن الله أكمل الدين والنبي -صلى الله عليه وسلم- بلغ الرسالة.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم).

نعم، هذه من القواعد العامة في الدين، وقد أثرت عن ابن مسعود -رضي الله عنه-:

أولاً: هي مقتضى النصوص فالأمر بالاتباع وعدم الابتداع هو مقتضى النصوص -نصوص القرآن والسنة-.

ثانيا: هذا الكلام يتفق عليه الصحابة والتابعون وسلف الأمة؛ لكن اختلفت عباراتهم فابن مسعود -رضي الله عنه- وهو من المهاجرين من الصحابة ومن الأوائل من مسلمي ما قبل الفتح بل هو يعتبر من فقهاء الصحابة - رضي الله عنهم- ومن علمائهم الكبار، يقول حينما رأى بوادر البدعة؛ لأن ابن مسعود -رضي الله عنه- لما تولى في العراق وجد أناسا يغلون في بعض العبادات من ضمنها التسبيح، ووجد أنواعاً من البدع الأخرى مثل المبالغة في الانقطاع والمبالغة في القيام والصيام إلى آخره، إنما القصة المشهورة التي استوجبت مثل هذا الكلام عند ابن مسعود هو أنه رأى أناسا يسبحون التسبيح المشروع لكن بطريقة غير مشروعة، فيقف أمامهم واحد يقول: سبحوا كذا وكذا، هللوا كذا وكذا، ويهللون ويسبحون بطريقة جماعية كما واجه فئة يسبحون تسبيح مشروع، لكن يسبحون بعد الحصى، يعني بوسيلة تدرج البدعة، وهي ذريعة للبدعة، فابن مسعود لما رأى مثل هذه المظاهر قال: اتبعوا يعني اتبعوا الرسول -صلى الله عليه وسلم- واتبعوا الصحابة من مات منهم، ومن بقي حياً -رضي الله عنهم- اتبعوهم يعني اقتفوا أثرهم يعني لا تأتوا بجديد، ولا تبتدعوا: لا تحدثوا في الدين فقد كفيتم، كفيتم بمعنى أن الله كفاكم، وأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- بلغ، كفيتم بأن الله أكمل الدين، وأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- لم يترك شيئاً إلا وبلغه للأمة، فلا نحتاج إلى أن نزيد في الدين ولا ننقص - كفينا- كفانا الله وأغنانا برسالة رسوله -صلى الله عليه وسلم- بأن نحتاج في الدين إلى شيء جديد، فمن هنا كانت هذه قاعدة عظيمة، من أعظم قواعد الدين.

وقال عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- كلاما معناه: (قف حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وهم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها أحرى، فلئن قلتم حدث بعدهم فما أحدثه إلا من خالف هديهم، ورغب عن سنتهم ولقد وصفوا منه ما يشفي وتكلموا منه بما يكفي فما فوقهم محسر وما دونهم مقصر، لقد قصر عنهم قوم فجفوا وتجاوزهم آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم).

نعم هذا كلام عظيم يكتب بماء الذهب؛ لأنه يشكل قواعد في الدين هذه القواعد صارت من منهج السلف الصالح، لا لأنها فقط قول عمر بن عبد العزيز لكن؛ لأنها عبارة عن ثوابت جاءت بها النصوص، وعمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد وهو عبد العزيز بن مروان أبوه، عبد العزيز بن مروان الأموي من خلفاء المسلمين الكبار أو من الأئمة العادلين حتى أنه ألحقه كثير من أهل العلم بالخلفاء الراشدين، مع أن خلافته لا تزيد عن السنتين، ومع ذلك فإن الله نفع به في تجديد الدين، وإحياء السنة ومحو البدع وإقامة العدل في الأمة، وهذا يذكرنا بأصل عظيم من أصول الدين، وهو أن الأمة متى أخذت بثوابت الدين، الأمة متى أخذت بالإسلام بجد فإنها تستطيع أن تصل إلى قمة العز والعدل بأقل زمن قياسي، الأمم تضع في وصولها إلى غاياتها استراتيجيات إلى عشرات السنين، نحن لسنا بحاجة؛ لأن الله -عز وجل- هو الذي رسم لنا هذا المنهج، ورسوله -صلى الله عليه وسلم- هو الذي قعد لهذه القواعد وطبق الكثير منها فتعمر بن عبد العزيز حينما تمثل خلافته ويمثل منهجه وقوله يعني قمة التطبيق للدين بعد الخلفاء الراشدين رغم قلة الزمن الذي يعني شملته خلافته، ورغم الأخطاء الكبار والمظالم الكبرى التي وقعت قبله إلا أنه خلال هذا الزمن القياسي أعاد الأمة إلى أفضل ما تصبوا إليه إلى ما يمكن يسمى على العهد المثالي الذي هو أشبه بعهد النبي -صلى الله عليه وسلم- والخلفاء الراشدين.

أعود وأقول: هذا درس نحتاج فيه أن نقف عنده كثيرا، ولاسيما الدعاة والمصلحين والولاة ومن يعنيهم أمر الأمة من أهل الحل والعقد ليعطينا الأمل والثقة بأنه متى ما استقمنا على نهج السلف الصالح بجد فإنا لا نحتاج إلى كثير زمن؛ إنما نحتاج إلى كبير جهد وقوة عزيمة، فالخطة العامة للرقي بالأمة موجودة، هي مقتضى الكتاب والسنة ونهج السلف الصالح.

أعود وأقول: في كلام عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- قواعد عظيمة ممكن نلخصها بما يلي من خلال ما ذكره:

أولا: هنا يوصي كل مسلم خاصة الذين عندهم نوع من الحرص على التأصيل والتقعيد أو الفئة الأخرى الذين أحيانا يتوثبون إلى البدعة بدعوى الحرص على الدين، هؤلاء الذين يتوثبون ثم يتجاوزون نصوص الكتاب والسنة وثوابت السلف يذكرهم بقواعد شرعية، أولا: يقول: " قف حيث وقف القوم ". قف: يعني في الدين والشرع، والوقوف هنا ليس وقوف الجمود، إنما وقوف الاعتماد، تأسيس، وقوف تأسيس، أي نعم وقوف..

جميل يا شيخ لو تشرحها؛ لأن بعض الناس يشكل عليهم مسألة الوقوف، يعني وقوف الاعتماد أو وقوف الأساس كما قلتم يا شيخ.

أي نعم أحسنت؛ لأنه بعض الناس يقول إذا قلنا: قف معناه كأننا ندعو إلى الجمود وعدم التطور، وعدم الأخذ بوسائل الحياة، وأساليبها بحجب الآراء بكبت الحريات، لا ليس هذا المقصود.

كأن بعضهم يستهزئ ويقول: اركب خيلا أو اعمل بالثواني أو غيرها من الأمور البدائية.

هذا حتى لو استهزئ ربما تأتيه ظروف في يوم من الأيام يحتاج إلى الخيل، هذا قصور في العقل، -على أي حال- المهم نعود إلى الكلمة كما سألت يا أخي الكريم، هو يقول: قف، يعني في الدين وفي الشرع يلتزم المنهج لا معناه قف في الحياة، الحياة لابد أن تسير، والحياة تتطور، فالوقوف هو على الثوابت والمسلمات، ثوابت الدين، على العقيدة.

من هنا أذكر بعض الجرءاء -هداهم الله- خاصة بعض الكتاب الذين يتجرؤون على ثوابت الدين بدعوى أننا لا نقف فتجمد الحياة فنتخلف عن ركب الحضارة المدنية نتخلف عن ركب الأمم، نقول: هذا خلط، نحن فيما يتعلق بالدنيا ووسائلها أمرنا أن لا نقف، بل أمرنا أن نسبق، لكن فيما يتعلق بثوابتنا وما يتعلق بمسلماتنا لسنا

بحاجة إلى أن نزعزعها ولا أن نستمد غيرها –أمر هو من ضروريات الدين وفرائضه– بل نحن بحاجة إلى أن نعود إلى الثبات عليها، فمن هنا يقول: قف حيث وقف القوم؛ لأنهم وقفوا: يعني بالقوم هنا: السلف الصالح: النبي –صلى الله عليه وسلم– وصحابته، حيث وقفوا، على ما وقفوا؟ وقفوا على ثوابت الدين في العقيدة، على ثوابت الدين في الأصول، في مسلمات الدين وقفوا على المنهج، ولم يبدلوا ولم يغيروا ولم يزيدوا ولم ينقصوا.

ثم قال: فإنهم –يعني السلف الصالح– عن علم وقفوا حينما وقفوا على شرع الله، حينما وقفوا على أمر الله ووصية رسوله –صلى الله عليه وسلم– فإنهم حينما وقفوا هذه الوقفة، حينما التزموا الدين لم يقفوا عن جهل، ولا عن عجز، إنما وقفوا عن تسليم لله –عز وجل–، فهم ببُصر أو ببَصر كلها صحيحة، البُصر هو الرأي والعقل، والبَصر أيضا يدخل فيه هذا وذاك، يدخل فيه بصر القلب وبصر العين.

(وببصر نافذ كفوا)، يعني حينما كفوا، كفوا وهم أصحاب رأي أصحاب ذكاء ومواهب، لكنهم كفوا التزاماً لأمر الله، ولم يكفوا عن ما أمروا بأن يسيروا فيه، إنما كفوا عن ما أمروا بأن يقفوا فيه على الثوابت.

ثم قال: (وهم) يعني السلف الصحابة والتابعين وتابعيهم حينما وقفوا، وحينما كفوا عن ما لا يلزمهم في الدين، حينما كفوا عن ما نهوا عن الخوض فيه، هم حين فعلوا ذلك لم يكن ذلك عن عجز ولا عن جهل ولا عن ضعف قدرات، إنما تورعاً، وقوفاً.

"فهم على كشفها كانوا أقوى"، يعني على إثارة الشبهات والأسئلة والجدل، على إثارة الإثارة في الدين كانوا أقوى؛ لأنهم لا ينقصهم الذكاء، ولا تنقصهم المواهب والقدرات، أصحاب مواهب فذة، وإلا لماذا صاروا أئمة في الدين؟ عباقرة؟! بعض الناس –هداهم الله– عندما يرون تورع السلف عن الدخول فيما لا يعنيهم من الجدل والمماحلات والمراء في الدين يظنون هذا بساطة وقلة مواهب، وأنه نوع من القصور في القدرات، لا لم يكن الأمر كذلك، والدليل على أنه في المواقف الكبرى كانوا يأتون بما يعجز عنه غيرهم من الحجج العقلية والآراء السديدة والعمق في الفهم، والوقوف على المنهج العلمي الرشيد، لكنهم تورعوا عما أمروا بالكف عن الخوض فيه، فمن هنا كانوا على كشف ما كشفه أهل الأهواء والبدع كانوا أقوى، لكنهم وقفوا حيث أمرهم الله.

" وبالفضل ": وهذه أيضا سمة أخرى " وبالفضل لو كانوا فيها أحرى": ، يعني لو كان الخوض في أسماء الله وصفاته، والخوض في أمور الدين والكلام بالرأي في الثوابت والمسلمات لو كان أفضل لسبقوا إليه.

يقول: لماذا اهتم المصنفون في العقيدة؟ وتوسعوا في الأسماء والصفات في حين أن مسائل التصوف والعبادات البدعية لم تنل منهم التوسع نفسه؟.

على أي حال هذا سؤال جيد فعلاً، يعني في محله، الشبهة قائمة، لكن مع ذلك ليس كل ما يقال نسلم به، في الحقيقة ما أظن هناك افتراض في منهج السلف، يعني نقص في الجملة، فهم اهتموا في مسائل العقيدة بقدر درجاتها وأولوياتها وأنا أظن يا أخي الكريم السائل وجميع المشاهدين يشاركونني في أن أعظم وأهم وأخطر مسائل الدين ما يتعلق بالله –عز وجل– وأسمائه وصفاته وأفعاله، وأن أكبر مدخل دخل به أهل الأهواء على الدين هو الطعن والتأويل والتعطيل والتشويه في أسماء الله وصفاته، فلما جرؤوا عليها كانوا على غيرها أجرأ، فمن هنا أعطيت حجمها، أعطاها الصحابة والسلف خاصة بعد ظهور الأهواء والبدع ما تستحقه؛ لأنها هي الأولى، ثم بعد ذلك تكلموا عن كل مسألة بقدرها؛ لذلك أنا أرى أنه لو نظرنا إلى جهود السلف في جملتها لا بأفرادهم، أفرادهم يتفاوتون حسب زمانهم وظروفهم والملابسات التي تكون في عهدهم، لكن لو نظرنا جملة إلى منهج السلف نجده متوازي.

حتى يا شيخ –الله يحفظكم– هل نحن استقرأنا كل ما قاله العلماء منذ العصر الأول إلى هذا الوقت؟ فلو استقرأنا يا شيخ لوجدنا كثير من الكتابات والردود على مثل هؤلاء مثل المتصوفة وغيرهم يعني مثلا على سبيل المثال منهاج السنة تحدث عن الأسماء والصفات.

نعم بقدر تحدث.

بقدر، لكن هذه الشبهات التي كانت لديهم في ذلك الوقت، ونحن نحتاج إلى أن نرد على الشبهات في كل عصر وفي كل وقت من علماءن.

هذا جواب صحيح.

ثم قال الخليفة عمر بن عبد العزيز –رحمه الله–: (فلئن قلتم) هنا يعني كأنه يفترض شبهة قد قيلت صراحة أو بهذا المعنى من قبل الذين خالفوا مناهج السلف وخابوا وجرؤوا على الكلام في الدين بدعوى شبهة، ما هذه الشبهة؟ قالوا: حدث بعدهم أشياء تستوجب أن نتكلم فيها، كذا زعموا!!!

قال: (فما أحدث ذلك) أي ما أحدثه أي ما أحدث الكلام في أسماء الله وصفاته وأفعاله وفي أمور الدين الأخرى التي نهينا عن الخوض فيها، وعن الحديث بأكثر مما ورد في الكتاب والسنة ما أحدث ذلك إلا من خالف هديهم، فلماذا يجرنا أهل الأهواء والبدع إلى معارك خاسرة؟

السلف تورعوا إلا عند الضرورة، لا يعني هذا مطلقا لكن ما كان هذا أصل اهتمامهم، إنما اهتمامهم الثوابت القواطع القطعيات الأولويات إلى آخره.

(ورغب عن سنتهم) أي سنة السلف الصالح، قال –هذه قاعدة جديدة–: (ولقد وصفوا منه ما يشفي) وصفوا يقصد قرروا من الدين عموماً، ومن أسماء الله وصفاته (وأفعاله ما يشفي) يعني يشفي الصدور، يملأ القلوب إيمانا، يملأ القلوب عقيدة سليمة، ما يشفي يملأ بالعلم الصحيح ما يشفي العواطف والعقول، يعني يملأها بالحق، هنا الشفاء المعنوي، ولا يلزم أن يكون الشفاء الحسي، ما يشفي يعني يكفي.

ثم قال يعني تأكيدا للعبارة: (وتكلم منه بما يكفي) يعني فيما قرروه من قواعد الدين وثوابته ما يكفي، وهذا صحيح، لكن قد يقول قائل: إذن لماذا زاد بعدهم السلف؟ نقول: زادوا من حيث الشروح والبيان وردود ما أحدثه الناس، هذا الذي زادوه، مقتضيات الظروف والأحوال، ولم يزيدوا في الثوابت، وإنما زادوا في البيان والشرح فقط، ذلك الكلام في الزيادة، لابد من التفصيل فيه، ليس كل زيادة محظورة، إنما الزيادة التي ترجع إلى نقض الثوابت أو الزيادة التي ترجع إلى الابتداع في الدين هذه ممنوعة، أما الزيادة التي فيها بيان فيها سد حاجة المسلمين فيها مقاومة للآراء والبدع جديدة، فهذه الزيادة مشروعة، والتي كان السلف عليها.

قال: (فما فوقهم محسر) يعني الذي زعم أنه يزيد عليهم فهو محسر يعني واقع في الغلو، التحسير هو يعني الوقوع في الأمر الصعب، كأن الإنسان إذا أراد أن يرتقي مرتقًى صعباً يحسر عن ثيابه ليرتقي، لكنه يرتقي مرتقًى صعباً لم يكلفه الله به، فالذين غلوا في الدين هؤلاء حسروا عن منهج السلف.

(وما دونهم) أي من أهل الإعراض ومن أهل التساهل في الدين الذين قصروا، السلفي إذن بين هؤلاء وبين أولئك في المنهج الوسط الذي ميز الله به هذه الأمة.

ثم قال: (لقد قصر عنهم قوم فجفو) يعني: وقعوا في التساهل والإعراض، (وتجاوز آخرون فغلو) هذا تكرار للعبارات السابقة، تجاوزوا يعني: تعمقوا في الدين أكثر مما يجب، ومما أمر الله به فغلوا (وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم) أي: السلف الصالح بين الغلو والتقصير، نعم.

يتبادر إلى الذهن كثير من الأسئلة يا شيخ حول هذا المقطع المبارك: أمرنا بعدم التقليد –أمرنا بعدم التقليد مطلقا– ومن قبلنا كان فيهم من يختلف وكان فيهم من يقلد الصحابة رضوان الله عليهم، فكيف نجمع بين عدم التقليد، وبين الاجتهاد؟.

أحسنت، هذه مسألة ترد في أذهان كثيرين.

أولا: يجب أن نفرق بين التقليد وبين الاتباع، هذا أولا، فالتقليد هو الاتباع الأعمى من غير بصيرة، فهذا لا يجوز، ومع ذلك أحيانا قد يطلق على الاتباع تقليد، فتكون المسألة تحتاج إلى تفصيل، ككثير من العبارات المجملة، تسمى عبارة مجملة، فالتقليد له جانب سلبي وهو غالب مذموم، وهو الاتباع من غير بصيرة وبغير دليل، وهو اعتقاد عصمة المتبع ولو لم يكن معصوم، لا معصوم إلا النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا مذموم، وأحيانا قد يطلق على الاتباع تقليد يعني بمعنى أن العامي أو طالب العلم غير المتمكن يقلد العالم لكن يقلده وهو يعتقد أنه غير معصوم يقلده من باب أنه يرى أنه قدوة في الدين فهو واثق بأنه يمثل رأي الشرع، فهذا التقليد إذا كان بمعنى الاتباع على بصيرة، فهذا التقليد المشروع.

إذن نعود نقول: الأولى أن نقول: الاتباع، فالاتباع والاهتداء على أسس شرعية هذا هو المطلوب؛ لأنه لا يمكن أن نأخذ الدين إلا بالاتباع والاقتداء، النبي –صلى الله عليه وسلم– قدوة لنا، كيف نأخذ كثير من الجوانب العملية السلوكية إلا من خلال القدوة التي نقلت لنا عبر العدول الثقات من الأئمة الذين نقلوا عن النبي –صلى الله عليه وسلم– الدين، فمن هنا يكون الاتباع من هذا الوجه هو الاتباع المشروع، أما التقليد فمنه مشروع ومنه ممنوع.

هل الاتباع في الأمور الثابتة؟ أما النوازل وما ينزل على الأمة من أمور مستجدة فيقوم بها من حمل لواء الدين؟.

في هذا شق ثاني يا أخي الكريم من السؤال وهو أنه ما الذي نتبع فيه؟ إذن العقيدة نظرا بأنها ثوابت فإنها تقوم على الاتباع مطلقا، أما الأحكام ووسائل الحياة الاجتهاديات فإن الأصل فيها الاجتهاد ولا يجوز التقليد فيها إلا ببصيرة.

وقال الإمام أبو عمر الأوزاعي –رحمه الله–: (عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول).

أحسنت،

الإمام الأوزاعي كذلك من أئمة الدين الكبار الذين نفع الله بهم في الدفاع عن الدين وفي محاربة البدع والأهواء؛ ولذلك نجد أن هذا الإمام ثقيل على أهل الأهواء والبدع إلى يومنا هذا كغيره من أئمة السلف؛ لأنهم يرون أنه بزعمهم يحجرون الحريات، طبعا الحريات المنفلتة التي تخرج عن المسلمات والثوابت التي تخل بأمن الأمة التي تفرق الأمة وتفرق الجماعة هذه ليست حريات مشروعة، هذه تقيدها جميع الأمور، فهؤلاء الأئمة مثل الأوزاعي كان شديداً على أهل البدع، بمعنى أنه حازم، ما هو شديد، يظلم كما يزعم البعض حاشاه من الظلم، وقد يقع منه ظلم عن اجتهاد، ما نقول إنه معصوم، لكن قصدي أنه إمام هدى، أبو عمر الأوزاعي وهو من أئمة

الدين في الشام –رضي الله عنه– أيضا قعد بقواعد عظيمة قال: (عليك بآثار من سلف) يعني سبقوك من أهل الحق والهدى، ليس كل من سلف، يعني من سلف من أئمة الدين المعتبرين الذين هم قدوة، والمقصود بآثار من سلف هنا جملة الدين والثوابت التي تشمل الاعتقادات والأقوال والأعمال والمنهج، ليس المقصود بالآثار مفهومها الضيق الذي يفهمه بعض الناس الآن أنه مجرد الأقوال أو مؤلفات أو ما هو أضيق من ذلك، لا.. الآثار تعني أثرهم في الدين الذي يشمل الاعتقاد والقول والعمل والمنهج.

عليك بآثار من سلف من أهل الصلاح والاستقامة وإن رفضك الناس، أيضا هذه إشارة لطيفة جدا، يقصد بهذا أنك لا تنظر إلى كثرة الناس؛ لأن الناس أحياناً يشكلون عقل جمعي خاطئ، يشكلون ضغط نفسي على صاحب الحق بسبب شيوع البدعة أو شيوع الخطأ أو شيوع الفتنة، فيقول: أنت إذا شعرت أن الناس يضغطون عليك بأن تتخلى عن الحق أو لا تقول به، فيجب أن تنظر إلى الأصل هل ما أنت عليه هو الحق الذي يقوم عليه الدليل إذن فاثبت وإن ردك الناس، وإن رفضك الناس، ردوك يعني أو شنعوا عليك أو أعرضوا عنك أو لم يقبلوا عملك أو قولك ما عليك رفضهم ليس هو الميزان، الميزان هو اتباع الشرع، لكن مع ذلك تراعي الحكمة.

أنا أجد أن بعض الغيورين خاصة من الشباب الناشئين يأخذون هذا المبدأ غلط فيقعون في العنف ويقعون في صادمة الثوابت أو صادمة الأصول المعتبرة؛ لأنهم يأخذون مثل هذه الوصية بشكل حدي، بينما في بعض الظروف قد يحتاج الإنسان إلى مداراة، يحتاج إلى الرفق بالناس، بل يحتاج ولابد إلى الحكمة، فأنت لا تتنازل عن الحق الذي معك، لكن لابد أن تعرضه بحكمة ورفق، ويجب أن تفرق بين مثل عهدك ومثل عهد الأوزاعي قائل هذا الكلام، فرق بين العهدين، وإن رفضك الناس.

يقول: هذه المسألة من حيث الرفض، من حيث الحكمة في المجتمع، يعني نجد البعض لا يراعي الحكمة في المجتمع من حيث استقطاب الناس ورجوعهم لهذا الأمر، بل إن بعضهم لا يراعي مسألة إن الدين شمولي، فيأخذون بشيء ويضربون بعض النصوص الأخرى من غير قصد فتوجيه لهذا الأمر يا شيخ.

هذه سمة في بعض الناس لقلة مداركهم وقلة فقههم واعتبارات كثيرة جدا لكن سببها الرئيسي في تقديره هو عدم الأخذ بالمرجعية، كان الناس الذين فيهم مثل هذه الصفات إما تعجل وإما حمق وإما جهل وإما يعني نوعا من الخصال التي تؤدي إلى الاضطراب أو شخصية مضطربة كانوا أول يرجعون إلى العلماء ويرجعون إلى أهل التجارب والحكمة، الآن تفلتت كثير من المرجعية فصار كل واحد يريد أن يطبق مثل هذه القواعد كما يحلوا له، لا يسأل لا يستفيد من تجارب الآخرين لا يهتدي بهدي العلماء لا يأخذ بمنهج العلماء الكبار الذين هم أولى بتطبيق هذه القواعد فينظر كيف يطبقوها، فيقع في مصادمة ما عليه الناس ويفقد الحكمة.

ثم قال: (وإياك وآراء الرجال) يعني في الدين ما كل آراء الرجال ترد، بعض الناس يقول مثلا خاصة كما قلت بعض الناشئين وبعض المغرورين الذين عندهم نوع من العاطفة غير منضبطة بضوابط الشرع والتجربة يقول: نحن رجال وهم رجال يعكسها، يقول: لماذا نأخذ بآرائهم؟ السلف كانوا يقولون: إياك وآراء الرجال، نقول: لا، هذه فهمها معكوسة، إياك وآراء الرجال في الدين، بمعنى لا تأخذ بآراء الدين في أمر ثبت في الكتاب والسنة وعند السلف الصالح، لأننا لسنا فيه بحاجة إلى الرأي لكن في مجالات الحياة الأخرى لابد أن نعتبر آراء الرجال ولا ننجح في سلوكنا مع الآخرين، ولا ننجح في النجاح في مقومات الحياة مع بعضنا ومع الناس ومع الأمم إلا بالاعتماد على آراء الرجال، مستجدات الأمور لابد أن نعتمد على آراء الرجال والله عز وجل جعل الشورى مبدأ بين الناس، والشورى تعتمد على الآراء.

(وإياك وآراء الرجال) يعني في الدين (وإن زخرفوه لك بالقول).

(زخرفوه) يعني زينوه سواء بالعبارة أو زينوه بلحن القول أو زينوه بدعوى المنهجية يأتيك واحد ويقول لك: يعني أنا عندي كذا، كذا فيريد أن يهدم يعني أصل من أصول السلف أو يطعن في أئمة من أئمة الدين ويقول: هذا اقتضته الموضوعية والإنصاف والتجرد وإلى آخره، وهو أبعد الناس عن الموضوعية والإنصاف والتجرد، يزخرف لك البدعة، يزخرف لك الرأي الهادم، وهو يشعر أو لا يشعر أحيانا، أنا أرى كثيرا ممن يستهدفون ثوابت الدين الآن يزعزعون هذه الثوابت في قلوب الأجيال أرى أن الكثيرين منهم يجهلون مع الأسف وبدؤوا في وسائل الإعلام الآن يرجفون، بدءوا يرجفون ويزعزعون ثوابت الدين في قلوب الأجيال بدعوى أن كلها آراء وأنه يعني هذه تقتضيها الموضوعية والعدل والإنصاف والتجرد للحق إلى آخره، بينما هم أبعد الناس عن هذه الدعاوى وزخرفة القول، إذن عليك بثوابت الدين وإن زينها لك أهل الأهواء والبدع والافتراق.

تقول: بالنسبة لخطورة البدعة في الدين التي تحدثتم عنها، ماذا عن تبديع أهل السنة؟ يعني قد يكون الإنسان يفعل شيء من السنة ولكن بلد من البلدان تسير على مذهب معين ولا يطرح أمامها مثل ما في المذاهب الأخرى وبالتالي إذا رأوا شيء يخالف هذا المذهب مع أنه صحيح يبدع أهل السنة مع أنه من السنة هل هذا بنفس الأهمية؟

النقطة الأخرى: بعض الخطباء أو المحدثين ما أراهم يذكرون عبارة: (كل محدثة بدعة) فقط: (كل بدعة ضلالة) هل العبارة الأولى غير موجودة في النص؟ أم أنها خصلة... أم أنا متوهمة في هذا الأمر؟

تقصدين بالخطباء خطباء الجمع؟.

يعني أحيانا خطباء الجمع لا يذكرون (لا محدثة بدعة) يقولون: (كل بدعة ضلالة).

يعني ناقصة؟.

يعني ما أدري هل هذه العبارة غير موجودة؟.

هما حديثان رويا عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

نقطة أخرى: بعض الأشياء في الحياة قد لا تتعلق بالعقيدة ولا بالدين وممكن الإنسان أن يجدد فيها، لكن يختلط على عامة الناس أن يكون هذه من البدعة وأن هذه ما كانت موجودة وأنها بدعة، فما هو المقياس الذي يجب عامة الناس حتى لا يبدعوا أشياء ليست هي من العقيدة ويجوز فعلها؟

فيه أمر ثالث: أنا أرى كثير في رمضان مثل المساجد يحاولون أن ينوع مثلا يعني ممكن يكون الوتر ركعتان ثم التسليم ثم ركعة، وبعض الأئمة يحاول دائما في كل صلاة وهذا شيء طيب حتى تعلم الناس أن... حتى يعرف الناس أنها ليست من البدعة ولا يختلط عليهم الأمر، فودي لو أن الشيخ يشير إلى هذه النقاط؟.

ركعات الأئمة في الصلوات؟

يعني أحيانا توصل ثلاث ركعات،.. حتى يعرف الناس أنها ممكن تكون متصلة ثلاث بدون تشهد يعني تشهد واحد، وأحيانا ركعتان وتسليم ثم الركعة الثالثة، وأحيانا يكون دعاء في الوتر وأحيانا لا يكون، يعني التنويع هذا يعني يعرف الناس أن هذا يجوز هذا فلا نبدع من يفعل هذا؟.

نعم، تسمحي لي أن نقول أن الأسئلة أربعة، ثلاثة منها كلها موضوعها واحد كلها في أن الناس يبدعون ما ليس ببدعة، وباختلافات كثيرة،

نجيب على هذه النقطة الأولى:

- الأمر الأول: الآن يوجد خلل في المنهج عند بعض الدعاة وبعض طلاب العلم فضلاً عن غيرهم من العامة وهو أنهم يبدعون على اجتهادات على الخلافات، طبعا هذا راجع إلى عدة اعتبارات من أهمها عدم المرجعية للعلماء الكبار، قلة المرجعية للعلماء الكبار، فتجد أن واحد قلة تجربته وقلة فقهه يظن أن ما قاله مخالف أو ما فعله خلاف منهج السلف فيبدع به في حين أنه ليس ببدعة.

- الأمر الثاني: أن هؤلاء أحياناً يعني يتشددون في مفهوم البدعة، ربما يتوسعون في مفهوم، يعني يضيقون على الناس فيتوسعون في تحديد البدعة فمن هنا يبدعون ما ليس بدعة بعدم معرفة الضابط تبديع.

- الأمر الثالث: أنه مع الأسف أصبح مسألة التراشق بالبدعة سمة عند بعض المنتسبين للسنة بسبب عدم سعة صدورهم للخلاف فيما بينهم الذي هو ضيق العطن، فيأخذه الانتصار للرأي والحدة إلى تبديع ما ليس ببدعة من أخيه.

مسألة ما يحدث من بعض الخطباء: في الحقيقة أرى أن كل بل ما أعرفه وهذا معروف عن أهل العلم أنها ألفاظ كلها وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم (فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة) وأنا الذي أعرفه أن غالب الخطباء يأتون بالعبارتين، ومع ذلك جاءت هذه وجاءت تلك فلا حرج في هذا ولا ذلك، والعبارات متداخلة، إذا قلنا: (أن كل بدعة ضلالة) فنرجع إلى أنه أيضا النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كل محدثة بدعة) فمن هنا ترجع هذه إلى تلك والأمر إن شاء الله يسير.

أيضا جزء من سؤال السائلة يتعلق بالتحديد بما يحدث في رمضان: أقول: هذه كلها وجوه شرعية صحيحة، والتبديع راجع إلى الاستعجال وعدم الإحاطة بأقوال العلماء والأدلة هذه الأمور تحتاج إلى أن الإنسان ما ينكرها حتى يتثبت فيها، بما في ذلك ولعلي أعرج على تعدد عدد أو اختلاف الأئمة في عدد صلاة التراويح والتهجد عددها سواءً عدد تسليماتها أو عدد الركعات، هذه كلها أمور داخلة في سنن الخلفاء الراشدين؛ لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما رأى أن ما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم انقطع بالوحي من أن تفرض عليهم أعاد صلاة التراويح وقره الصحابة وصار من سنن الخلفاء الراشدين فصارت من السنن الصحابة في وقتهم في عهد عمر وما بعده صلوها على وجوه عديدة فعلى ما الناس يبدع بعضهم بعضا؟ والله أعلم.

هي تكلمت على خطورة البدعة، وذكرنا خطورة البدعة في بداية الحلقة، وتكلمت عن تبديع أهل السنة يا شيخ.

كأن السائلة أرادت أن تلفت النظر إلى ظاهرة خطيرة الحقيقة بين أهل السنة الآن وهي وجود طوائف منهم من المتعجلين والذين لا يلتزمون بمنهج العلماء الكبار وإن كانوا ينتحلونهم مع الأسف، ينتحلونه بأنهم يدعون أنهم على منهجهم ويرتكزون على فتاواهم لكن بطريقة غير مرشدة، إنهم كثيرا ما يبدعون تصرفات وأقوال وأحوال واجتهادات لبعض أهل السنة أنفسهم، هذا أنا أشرت إليه لكن أيضا لأهميته لعلي أقول:

– إن هذا راجع إلى التتلمذ على غير من هم مؤهلين من طلاب العلم الصغار، تتلمذ الصغار على الصغار.

– أيضا وجود منهج سليم نظرياً وهذا مشهور سليم نظرياً يقوم على عقيدة سليمة وعلى غيرة مشكور للدين ومحارب للبدع وإن كانت غير حكيمة إلى آخره، هذا المنهج رسم طريقة في التعامل في الجرح والتعديل وغيرها هذه الطريقة فيها حدة وفيها نوع من استخدام قواعد الجرح والتعديل على غير وجه سليم فوقعوا في تبديع علماء ودعاة وطلاب علم وغيرهم من أفراد أهل السنة والجماعة وهذا منهج في الحقيقة يحتاج إلى معالجة؛ لأن أصحابه ليس في عقيدتهم خلل إنما منهجهم هو الذي فيه خلل.

يقول: هل اتباع الفرق الضالة هم كفار أتباعهم ممن يتبعون المشايخ وهم ربما لا يعلمون ذلك؟ أو ليس لديهم من يجلي لهم المسألة؟.

هذا من الأهمية بمكان، كل فرق المسلمين التي ما حكم عليها أئمة السلف بأنها خرجت من الإسلام كلها داخلة في ملة الإسلام، كلهم داخلون في عموم الأمة الإسلامية وإن ابتدعوا بما خرجوا به من السنة فهم أي الفرق فرق الأمة فرق المسلمين التي النبي صلى الله عليه وسلم أدخلها في المسلمين حينما قال: (افترقت اليهود على كذا فرقة، وافترقت النصارى على كذا فرقة) ثم قال: (وتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة) قال: (كلها هالكة إلا واحدة) يقصد هالكة يعني من أهل الوعيد، لأنهم وقعوا في البدع والبدع هي أشد الكبائر صحيح، لكن لا يعني أنهم خرجوا من الدين خرجوا من الإسلام هم بقوا من المسلمين ولهم حقوق المسلمين ويعاملون معاملة المسلمين في الجملة إلا ما تقتضيه المصلحة في أمور هي من باب الردع والهجر والتحذير من البدعة لا من باب أنهم خرجوا من الإسلام، إن اتفق جمهور الأمة أو نحو هذا الكلام على أن هذه الفرق التي هي الاثنتين والسبعين الخارجة من السنة اتفقوا على أنهم من فرق المسلمين اتفاق فإذن المسألة تحتاج إلى تصحيح مفاهيم، بعض الناس يقول كيف وأهل البدع نعم أهل البدع وأهل البدع إخوانك المسلمين يجب أن تنصح لهم وتبين لهم وتشفق عليهم، وما يحتاجونه من التعامل الحزر أو نحو ذلك أو الحزم أو محاولة النصح أو رد بدعتهم أو الحماية منها هذه إجراءات يقررها العلماء الراسخون بالحكمة ومقتضيات المصلحة والله أعلم.

أسئلة المراجعة.

السؤال الأول: ما معنى قول الإمام عمر بن عبد العزيز: (قف حيث وقف القوم)؟ ما معناها؟ اشرح كقاعدة؟

السؤال الثاني: حول محدثات الأمور؟ ما هي المحدثات؟ ما المقصود في حديث النبي –صلى الله عليه وسلم– بالمحدثات؟

والله أعلم.

الدرس السابع

صفات الله وأفعاله

الحمد والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبعد:

لا نزال في تقرير أسماء الله وصفاته وأفعاله، وبيان القواعد والأمثلة لذلك، ثم سنعرج -إن شاء الله- في بداية هذا الدرس على الحجج العقلية الشرعية التي يحتج بها السلف على أهل البدع فيما أحدثوه من الكلام في ذات الله و أسمائه وصفاته وأفعاله، وأن ذلك من أعظم البدع وأشنعها، كما سيأتي في الحوار القادم من أحد السلف لبعض أئمة الأهواء والبدع والافتراق، ثم بعد ذلك سنستعرض من خلال كلام المؤلف ابن قدامة -رحمه الله- مجموعة من الأمثلة في أسماء الله وصفاته، فليبدأ الأخ الكريم بقراءة المقطع الأول.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (وقال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها: هل علمها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أو لم يعلموها؟

قال: لم يعلموها.

قال: فشيء لم يعلمه هؤلاء علمته أنت؟

قال الرجل: فإني أقول: قد علموها.

قال: فبوسعهم أن لا يتكلموا بها ولا يدعوا الناس إليها؟ أم لم يسعهم؟

قال: بلى وسعهم.

قال: فشيء وسع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وخلفاؤه لا يسعك أنت؟ فانقطع الرجل، فقال الخليفة: وكان حاضرًا: لا وسع الله على من لم يسعه ما لم يسعهم.

وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه والتابعين له بإحسان والأئمة من بعدهم والراسخين في العلم من تلاوة آيات الصفات وقراءة أخبارها وإمرارها كما جاءت فلا وسع الله عليه).

أحسنت.

هذه المناظرة في الحقيقة تعد أنموذجاً من مناظرات طويلة وكثيرة لأئمة السلف في دفاعهم عن العقيدة، وهذا الإمام محمد بن عبد الرحمن الأدرمي، ولعله الأصح أنه الآذرمي بالذال وهو المشهور، جاء في وقت كان الصراع بين أهل الحق أهل السنة والجماعة وبين أهل البدع خاصة أهل التأويلات الباطلة من الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم كان في ذروته؛ ولهذا كان السلف كانوا يتورعون عن الجدل لغير الضرورة، وعن المراء، وعن الخوض فيما نهى الله عن الخوض فيه، وبما في ذلك الغيبيات، لكنهم حينما تنتهك حرمات الدين، وحينما يجرؤ الناس على أسماء الله وصفاته، وعلى ثوابت الدين ومسلماته وعلى القدر ونحو ذلك، فإنهم لا يتوقفون عن الدفاع عن الحق بأرقى الأساليب العلمية والنقاش الموضوعي والعقلي الذي يرقى إلى أعلى درجات الذكاء والفهم والعمق.

هذا المقطع أنموذج لحوار السلف مع المخالفين، فذكر ابن قدامة -رحمه الله- قال: (أن الأدرمي قال لرجل تكلم ببدعة) يقصد بذلك أحد أئمة المؤولة "الجهمية ومن سلك سبيلهم" تكلموا ببدعة تتعلق بأسماء الله وصفاته وذاته، وهذه البدعة بدعة التأويل والتعطيل، التأويل والإنكار للصفات، هذا هو الراجح، ثم لم يكتفي بالكلام عنها بل دعا إليها، وهذا فيه إشارة إلى أن أهل التجهم استطاعوا أن يلبسوا على أئمة المسلمين -على المأمون والواثق والمعتصم- ليقنعوهم بأن رأيهم هو الحق لاسيما وأن هؤلاء الأئمة ليسوا متخصصين كتخصص أئمة السلف، وإن كانوا في الأصل هم على السنة، لكن حينما لبس عليهم هؤلاء، وهذا يذكرنا بخطورة البطانة السيئة عند ولاة الأمر، وأنهم قد يلبسون على أولي الأمر مهما كان من قوة الذكاء والفطنة ما لم يكن متخصصاً التخصص الدقيق، وما لم يعصمه الله -عز وجل-، فهؤلاء البطانة أقنعوا هؤلاء الأئمة أن يدعوا إلى هذه البدعة على أنها هي الحق وأن يقصروا الناس عليها قصرًا، ويرغموا الناس على هذه البدعة إرغامًا؛ لأنهم يظنون أنها الحق وهذا تلبيس، وهذا أيضًا يذكرنا بنقطة منهجية مهمة جدًا، وهي دعوة كثير من أهل الأهواء والبدع والمفتونين والجاهلين اليوم ممن يزعمون الثقافة ويزعمون أنهم على الموضوعية والإنصاف والعدل، هؤلاء أحيانًا يظنون أن بعض أهل الأهواء والبدع تكون أصولهم على قواعد عقلية صحيحة، وأنهم في بعض الأحيان يتحرون الموضوعية والعدل والإنصاف، نقول: هذا أنموذج وأنهم أيضًا أصحاب حرية، حرية القول وحرية الرأي نقول: هذا أنموذج، حينما تمكنت المعتزلة والجهمية بعض التمكن في السلطان أرغموا الناس على عقائدهم بقوة السيف وبقوة السلطان، وهذا لم يحدث حتى من السلف الذين هم أهل الحق، لم يحدث أنهم حملوا الناس على أن يخضعوا للحق بقوة السيف، إلا إذا وجدوا بدعة تنتشر ويعم فسادها، فهذا أمر من مقتضى الحدود الشرعية التي لابد من حماية الأمة من غوائلها، أما إرغام عامة الناس وإرغام الساكتين والذين هم على الفطرة، إرغامهم على قول فهذا لم يحدث؛ لأن الهداية بيد الله، الناس يعرض عليهم الحق، فإن استجابوا بها ونعمت، وإن لم يستجيبوا فأمرهم إلى الله إلا من عارض الحق وأتى بما يفسد عقائد المسلمين فهذا لابد من أن يقف منه ولي الأمر الموقف الحازم.

أعود وأقول نعم هذه القصة دليل على أن هؤلاء الذين يدعون الحرية هم أبعد الناس عن الحرية، يدعون الموضوعية وهم أبعد الناس عن الموضوعية، يدعون العدل والإنصاف هم لم يعدلوا ولم ينصفوا، وقد أرغموا الناس على البدعة إرغامًا، هذا الذي تكلم ببدعة ربما يكون ابن أبي ذؤابة وغيره، القصة مبهمة، لكنه من رؤوس أهل البدع، (ودعا إليها الناس) يعني بقوة السلطان، قال -أي: الأدرمي- عن هذه البدعة وهي بدعة تأويل الصفات على الراجح وإنكارها، تأويل الصفات وإنكارها (هل علمها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي)، انظر، السؤال فيه إلجام للمسئول كما سيأتي؛ لأنه خيره بخيارات لا نحيد عنها، هذه البدعة يقول: هذه البدعة التي دعوت إليها أنت وأصحابك هل علمها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ لأنك تقول: أنها حق سنة، هل علمها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي، يعني الخلفاء الراشدين أو لم يعلموها؟ أمامه أحد خيارين، وفعلاً هل علموها أو لا يعلموها، ليس وراء الخيارين خيار ثالث، يعني هل هم يعلمونها أو يجهلونها؟ قال: بلا علم بتخرص والله -عز وجل- يقول: ﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴾ [الذاريات: ١٠] قتلوا حتى بأنهم يهزمون، لا يعني القتل قتل السيف، لكنهم هذا من باب الدعوة عليهم، بمعنى أن الله يخذلهم في الدنيا ويعذبهم في الآخرة، ﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴾ [الذاريات: ١٠].

قال الخصم وهو من أهل البدع صاحب البدعة: قال: لم يعلموها، يعني أن النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه يجهلون هذه المقولة، أرجو أن تلاحظوا كيف وقع هذا الشخص من حيث لا يشعر، فهذا كأنه فهو هنا نسب الجهل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، في قضية من قضايا الدين الكبرى متعلقة بذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، أعظم مقاصد الدين، فهنا الرجل أو المبتدع وقع في مشكلة معضلة.

وهي أعظم من التي تكلم بها في البداية، المشكلة التي وقع فيها الآن هي أعظم من البدعة التي تكلم فيها أو دعا بها في البداية؟.

لا، ... هو يعني بالبدعة التي تكلم فيها في البداية هي نفسها.

أقصد أنه نفي علم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– والصحابة أشد من البدعة نفسه.

نعم أحسنت، يعني وصف النبي –صلى الله عليه وسلم– بأنه لم يعلم يعني يجهل هذه البدعة التي قالوا بها هذا أعظم من البدعة نفسها، أحسنت، هذا شيء.

الشيء الآخر: أن هذه القاعدة قبل أن آتي بالإلزام الثاني: هذه القاعدة تشمل جميع البدع وأهل البدع، نقول لهم: هذه البدعة التي فعلتموها أو قلتموها أو اعتقدتموها هل كان يعلم بها النبي –صلى الله عليه وسلم–؟ إن قالوا: يعلم بها، نقول: هاتوا العلم، هاتوا برهانكم، هاتوا الدليل، إن قالوا: لم يعلم بها ونحن أحدثناها من باب تحسين الدين إلى آخره نقول: إذن الأمر على الخيارين كله باطل، إن قلتم لم يعلمها الرسول –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه فنسبتم إليهم الجهل، إن قلتم علموها فمعنى هذا إذن إذا كانوا علموها ولم ترد في الكتاب والسنة بمعنى أنها جحدت معناها أنه خفي من الدين شيء، وهو الإلزام الثاني، فشيء قال: لم يعلموها، قال له –أي: صاحب السنة الأدرمي– قال لهذا المبتدع: فشيء لم يعلمه هؤلاء علمته أنت؟!!

ماذا سيقول؟ وقع في معضلة هل يعقل أن يدعي أنه أعلم من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– والصحابة، مهما كان صاحب ضلالة فإنه لا يجرؤ على ذلك؛ لأن هذا هدم للرسالة، قال: نكص كيف، النكوص دليل أصلاً أنه لم يثبت عنده ثوابت، لو كان دينه ثوابت ما قال بقولين في مجلس واحد؛ لأن الدين ثابت العقيدة ثوابت ومسلمات لا تقبل أن يكون فيها قول والقول الآخر، أو قول ويرجع عن قول.

قال هذا المبتدع: (لم يعلموها، قال: فشيء لم يعلمه هؤلاء) أي الرسول –صلى الله عليه وسلم– وصحابته (علمته أنت؟!! فقال الرجل: إذن فإني أقول: قد علموه) أقول: أرجع عن قولي وأقول علمها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وصحابته، وهنا أيضًا وقع في ورطة أخرى، قال: (أفوسعهم) أي: هل جاز لهم هل جاز لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– إذا كان يعلم بهذه المقولة والبدعة أن لا يتكلموا بها؟ يعني هل جاز لهم أن يكتموها؟ إن قال لا، نقول: إذن هات الدليل إذا كانوا ما كتموها، إذن أمامك أحد خيارين إما أن لم يكونوا يعلموها فنسبت الجهل إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهذا عين الباطل، أو تقول علموها، نقول: هات برهانك هات دليلك، إذاً ما عندك دليل يبقى معنى ذلك أنك افتريت على النبي –صلى الله عليه وسلم– والصحابة.

قال الرجل: (أفوسعهم ألا يتكلموا به) أي أن كتموا هذه البدعة التي تقول بها، ولا يدعوا الناس إليها أو لم يسعهم؟ (قال: بل وسعهم) أي أنه وسعهم أن لا يخبروا الناس هذه المقولة، كأنه يقول النبي –صلى الله عليه وسلم– علمها لكن ما أخبر بها، هذا معناها، علمها لكن ما أخبر بها، والصحابة علموها فما أخبروا بها، (قال: إذن هل يجوز لهم أن لا يدعوا الناس إليها ولم يخبروا بها؟ قال: نعم وسعهم) إذن وقع في مشكلة، معناه أن هناك شيء من الدين خفي، هناك من الدين لم يبلغه النبي –صلى الله عليه وسلم– ولم يؤد الأمانة، ولم يبلغ الرسالة، قال الرجل: فشيء وسع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وخلفاؤه لا يسعك أنت؟ إذن هو الآن يعني رجع إلى نتيجة مضمرة قال: إذا كانوا لم يدعوا إلى هذا الأمر فمعناها أنه ليس بحق، أنه باطل؛ لأنه لو كان حقاً لدعا إليه الرسول –صلى الله عليه وسلم– ولدعا إليه أصحابه، إذن الحجة الثانية تتضمن أمرين: إما أنهم علموا وجحدوا، وهذا عين الباطل، أو لم يعلموا فمن هنا نسبت إليهم الجهل، وكل ذلك عين الباطل.

(قال: فشيء وسع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وخلفاؤه) أي لم يتكلموا بهذا الأمر، لم يتكلموا به (لا يسعك أنت؟) يعني ألا تسلك نهج النبي –صلى الله عليه وسلم–؟ (فانقطع الرجل، قال الخليفة وكان حاضرًا: لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم)، يعني من لم ينهج نهجهم فلا وسع الله عليه، وهكذا من لم يسلك ما سلكه

رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه والتابعين لهم بإحسان والأئمة من بعدهم والراسخون في العلم بتلاوة آيات الصفات وقراءة أخبارها وإمرارها كما جاءت بالحق والبيان، بلا تمثيل ولا تعطيل، فلا وسع الله عليه.

إذن الذي وسع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ووسع أصحابه أولاً البيان، تلاوة آيات الله وإيراد الأحاديث الثابتة في أسماء الله وصفاته وأفعاله وجميع أمور الدين وقراءة أخبارها على من لا يجحدون شيئًا منها، قراءة أخبارها، يعني النبي -صلى الله عليه وسلم- بلغها وقرأها وأعلمنا والصحابة قرؤوها وأخبروها وحدثوا بها وعلموها، وأمروها كما جاءت بمعنى أنهم أهل فقه، الصحابة -رضي الله عنهم- أهل تدبر للقرآن، وأهل فقه وعلم راسخ، لم يكونوا يتلون القرآن تلاوة سطحية ولم يأخذوا أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم- مجرد الأخذ من غير تدبر، بل كانوا يتدبرون القرآن ويتدبرون السنة؛ ولذلك هذه النصوص -نصوص العقيدة والغيبيات- أمروها كما جاءت أي كما جاءت بالحق والبيان ولم يمثلوا ولم يعقبوا ولم يشبهوا، هذا الذي كان عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحابته، أظن الأمر واضح يا شباب.

هل هناك سؤال قبل أن أنتقل للتي بعدها.

يقول: هل ممكن أن يؤخذ من هذا أنه يجوز أو يحق لكل إنسان أن يجادل أهل البدع والمبتدعة؟ أو هي لابد من صفات معينة حتى يقوم الإنسان بمجادلة ومناقشة أهل البدع؟.

أحسنت، طبعًا من خلال هذه القصة وغيرها، بل النهج الذي نهجه السلف كانوا لا يتكلمون إلا بعلم، ولا يجادلون أهل الأهواء إلا عن بصيرة وتمكن، بل كانوا يرون أن منهجهم الذي هم عليه وعودوا عليه عامة المسلمين وطلاب العلم أن من لم يتمكن من العلم الذي يجادل فيه عن الدين فلا يجوز له أن يجادل حتى ولو ظهرت البدعة، لماذا؟ لأنه لابد إذا قصر علمه وقصرت قدرته العقلية كذلك فلابد أن يقول على الله بغير علم، وأن يلتزم بلوازم لا تصح، وأن يقع في حرج يخرج منه بكذب أو جهل أو تخرص، أو انهزام فيعود الأمر على ضعف الموقف عن السنة وهذا لا يجوز، فلهذا أوصي طلاب العلم أن لا يتعجلوا في مجادلة أهل الأهواء والبدع والافتراء بغير علم، وأنهم إذا لم يتمكنوا فلا يلحق ذمهم شيء، حتى وإن أعلن أهل البدع بدعهم وجرءوا على الدين، فإنك إذا لم تتمكن فذمتك بريئة، والله -عز وجل- يهيئ للأمة من أمرها رشداً.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (فمما جاء من آيات الصفات قول الله -عز وجل-: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقوله -سبحانه وتعالى-: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله تعالى إخبارًا عن عيسى -عليه السلام- أنه قال: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ المائدة: ١١٦]، وقوله سبحانه: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقوله تعالى: ﴿ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقوله تعالى: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقوله تعالى في الكفار: ﴿غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٦]، وقوله تعالى: ﴿ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ ﴾ [محمد: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿ كَرِهَ اللهُ انبِعَاثَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٦]).

أحسنت.

هذه الآيات كلها جاءت نماذج لإثبات الصفات والشيخ -رحمه الله- ركز على الصفات التي عليها خلاف؛ ولذلك لم يتحدث في مثل هذه الأمثلة عن الصفات التي يتفق عليها كثير من أهل التأويل، وليس كلهم، كأهل الكلام التي يتفقون عليه من أهل السنة في الإرادة والخلق ونحو ذلك، فهذه الصفات يقرون بها، لكنه أتى بنماذج من الصفات التي يؤولونها، وهذه الصفات كلها وإن كنا نعدها الآن باختصار وهي صفة الوجه في قوله -عز وجل-: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ وصفة اليدين لقوله: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ لله -عز وجل- كما يليق بجلاله، وكذلك صفة النفس في قوله سبحانه عن عيسى: ﴿ وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ وكذلك صفة المجيء في قوله

سبحانه: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ وكذلك صفة الإتيان وهي بمعنى المجيء: ﴿ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ كذلك صفة الرضا من الله -عز وجل- في قوله سبحانه: ﴿ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ﴾ وكذلك صفة المحبة لله -عز وجل- في قوله سبحانه: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾، كذلك صفة الغضب لله -عز وجل- على ما يليق بجلاله في قوله سبحانه: ﴿ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾ وقوله تعالى عن السخط: ﴿ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ ﴾ هذه النصوص بل أيضًا قوله -عز وجل- في صفة الكره: ﴿ كَرِهَ اللهُ انبِعَاثَهُمْ ﴾ هذه الآيات هي نماذج من آيات كثيرة هي بالعشرات والمئات فيها إثبات الصفات، هذه جاء بها الشيخ ليقرر عقيدة السلف، قاعدة السلف في هذه النصوص ونحوها، هذه مجرد أمثلة ثم سيأتي بعد قليل بأمثلة من السنة، هذه الأمثلة كلها نؤمن بما جاء بها حقًا، يعني هذه الصفات هي لله حقًا على ما يليق بجلاله، وأن هذه الصفات لا ترد، بأي شبهة كانت، مهما كانت الشبهة في ذهن السامع أو المتأمل مهما كانت الشبهة قوية إلا أنه لا يجوز أن يتعلل بالشبهة أو الاشتباه أو عدم الفهم أو تعارض العقل عنده عن النص بما يزعم، لا يجوز أن يجعل ذلك مبرر لرد هذه الصفات، كذلك لا نؤول هذه الصفات على الإطلاق، نبقيها على حقيقتها على ما يليق بجلال الله، أيضًا لا نشبه، ثم نثبت الصفات ولوازمها، ومعنى ذلك أن هذه الصفات كلها جاءت بإثبات العظمة والجلال لله -عز وجل- ونفي النقائص، أيضًا أعني بذلك أن السلف حينما يثبتون هذه الضرورات يثبتون بالضرورة لوازمها، فمثلاً في قول -عز وجل-: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ يلزم منها أن الله -عز وجل- بذاته باق، لكن عبر عن الذات بالوجه؛ لأن الوجه أكرم عند الخلق أكرم ما يوصف به الموصوف، نعم صفات الله -عز وجل- كلها على منتهى الكرم والكمال لكن هذا من باب تقريب المعاني للمخاطبين، فإذن حينما نثبت الوجه لله -عز وجل- صفة ذاتية كما يليق بجلاله، فلا يعني ذلك أننا ننكر لوازمها من صفات الكمال والجلال ونفي النقائص، فحينما نثبت الوجه نثبت جميع صفات الكمال، ومن ذلك إثبات الذات، وحينما نثبت الوجه ننفي التشبيه بالضرورة؛ لأن الله -عز وجل- كما قلنا في الدرس الماضي كما جاء في قاعدة الآية ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، ثم كذلك بقية الصفات الأخرى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾.

هنا نثبت كلام الله كما جاء لا نزيد ولا ننقص الله -عز وجل- هو الذي يتكلم عن نفسه، لم نأتي من عندنا بشيء، واليدان حقيقة لله على ما يليق بجلاله لكن مع نفي التشبيه قطعًا، ثم أيضًا نثبت اللازم يمكن أسأل؟ ما هو اللازم؟ ما لازم إثبات اليد؟ لأن قوله -عز وجل-: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ جاء في معرض نفي النقائص التي زعمها اليهود عن الله -عز وجل- حينما قالوا: ﴿ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة: ٦٤]، تعالى الله وما أحلم الله حينما قالوا: ﴿ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ الله -عز وجل- أثبت من خلال إثبات اليدين ما يرد عليهما، وهو لوازم، يسمى لوازم بالضرورة، ما هي هذه اللوازم؟

إثبات الذات لله -سبحانه وتعالى-، إثبات اليدين لله -جل وعلا-، والقدرة.

والذي جاء بمناسبة الرد على اليهود؟

الكرم.

هم قالوا: ﴿ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ نعم.

﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾.. الإنفاق.

إثبات الكرم والعطاء والرزق على وجه الكمال، ثم أيضًا قوله -عز وجل- عن عيسى ﴿ وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ فيه إثبات هذه الصفة لله -عز وجل- على ما يليق بجلاله، ولا نقيس ذلك على نفس المخلوقين، بل هنا النفس تدل على الذات وتدل على الصفات، وتدل على جميع معاني الكمال، وكذلك قوله -عز وجل-: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ هذا ثبت فيه صفة المجيء لله -عز وجل-، وليس المقصود مجيء الملائكة أو مجيء الآيات لله أو غير ذلك من الأمور الأخرى؛ لأن الآية جاءت صريحة نسبة المجيء إلى من؟ إلى الرب -عز وجل-، فهذا دليل

على أنها صفة لله على ما يليق بجلاله، اللوازم الباطلة التي تلزم في ما نعهده في المخلوقين لا تلزم في حق الله؛ لأن الله أعظم من كل شيء، إنما نثبت المجيء وهو صفة كمال لله على ما يليق بجلاله، وكذلك قوله: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ هنا الإتيان لله -عز وجل- مثل المجيء على ما يليق بجلاله، وليس المقصود به إتيان آياته ولا إتيان الملائكة؛ لأن الله -عز وجل- قال: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ والله -عز وجل- ذكر في آيات أخرى إتيان الملائكة في سياق آخر وإتيان آيات الله في سياق آخر، فلا يحمل هذا على ذلك بل هنا لابد من إثبات الآية على ظاهرها؛ لأن الله خاطبنا بلسان عربي مبين، والإتيان بالله -عز وجل- يلزم منه إثبات كمالات لله لا تنتهي، ومنها كمال الأفعال، كمال الأفعال لله -سبحانه وتعالى-، فهو يفعل ما يشاء، وكذلك قوله -عز وجل-: ﴿ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ﴾ هذا يلزم منه إثبات الرضا وما يلزم من الرضا من الثواب ومن الرحمة، ومن جميع لوازم الرضا والولاء للمؤمنين، لأن بعض أهل الأهواء والبدع الذين يؤولون ينقلون الصفة إلى بعض لوازمها، ولذلك تميز السلف، مثلاً يقولون الرضا: هو إرادة الإنعام، نحن نقول: إرادة الإنعام لا شك أنه يدل عليها السياق، لكن ليست هي المقصود فقط؛ ولذلك تميز منهج السلف بإثبات الصفة مثل صفة الرضا لله -عز وجل- وإثبات لوازمها الكثيرة التي لا تنتهي، من الرضا والرحمة والولاء للمؤمنين وغير ذلك من الذين رضي الله عنهم نسأل الله أن يجعلنا جميعًا منهم، يخشى من الذين ينكرون مثل هذه الصفات لله -عز وجل- أن يحرمهم الله -عز وجل- من رضاه، وإن كان ظهر عليهم الصلاح؛ لأنهم أساءوا الأدب مع الله وكذلك قوله: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ إثبات المحبة لله -عز وجل- على ما يليق بجلاله، وإثبات لوازمها كذلك، وكذلك السخط والكره كلها الله -عز وجل- يسخط الباطل، ويسخط أهل الباطل، ويسخط الأعمال المشينة، ويسخط الظلم ويكره أيضًا الكفر والشرك وأهلهما ويكره الظلم والعصيان إلى آخره، فهذا كمال لله -عز وجل- على ما يليق بجلاله أيضًا، وكذلك نثبت منه اللوازم، فإن الله -عز وجل- حينما يسخط من بعض أعمال العباد وحينما يكره بعض أعمال العباد هذا يعني أنه لا يرضاها ويعاقب أهلها إلى آخرها من اللوازم التي تلزم.

يقول: ما معنى قولهم: جانب الأسماء أضيق من جانب الأفعال، وجانب الأفعال أضيق من جانب الإخطار؟

السؤال الثاني: ما حقيقة التفويض وهل بقيت له باقية في عصرنا الحالي؟.

هو قال أضيق السؤال الأول؟

أضيق من جانب الأفعال، جانب الأسماء أضيق من جانب الأفعال.

لا، أضيق من وجه وأوسع من وجه حقيقة يعني مسألة أضيق هذه كلمة ترجع إلى المعنى المقصود، فباب الأسماء لله -عز وجل- أضيق؛ لأن مجال الأسماء توقيفي على ما يتعلق بالأسماء المتعلقة بالذات، الأسماء أسماء الله -عز وجل- توقيفية على ما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأيضًا الأسماء معدودة ومحدودة؛ لأنها ليس كل ما يرجع إلى الوصف يثبت منه الاسم؛ لذا كانت الصفات أوسع؛ لأن كل الأسماء تدل على الصفات، وهناك صفات تزيد على الأسماء ليس كلها يدل على الأسماء، فكان باب الصفات من هذا الجانب أوسع، لأن الصفات هي أحوال، يعني تدخل فيها الأسماء وزيادة، بمعنى: إن كثير من الصفات لا يلزم أن نثبت منها أسماء، بينما الأسماء كلها نثبت منها صفات، ثم الأفعال أوسع؛ لأن الأفعال تتعلق بمقدورات الله -عز وجل- وهذه لا تتناهى، بينما الصفات لا يمكن نثبت صفة إلا نجزم بأنها لها دلالة على الوصف، الأفعال بعضها يدل على الوصف، وبعضها أوسع من ذلك؛ ولذلك الأفعال هي كل الأخبار المتعلقة بأفعال الله -عز وجل- لكن كلها يثبت منها الصفات، هذا المنهج لعله يقرب، أو هذه الطريقة في الإثبات هي التي ستقرب معنى الأضيق والأوسع أو الخصوصية والعموم، وإلا فلها وجوه أخرى فيها غموض أخشى أنها تشكل على كثير من المشاهدين.

السؤال الثاني:

يقول: حقيقة التفويض وهل له وجود في العصر الحاضر؟.

نعم، التفويض موجود أولاً والأمر الآخر حقيقته هي التخلي عن الإثبات، التنصل من الإثبات، وهذا لا شك أنه يعتبر نوع من الإلحاد غير الظاهر، يعني يعتبر نوعًا من الإنكار التعطيل على لغة السلف، التعطيل هو إفراغ ألفاظ الأسماء والصفات عن معانيها، إفراغها من حقيقة، إذن فالتفويض هو الهروب من إثبات الحقيقة، الهروب من إثبات الحق والحقيقة، أحيانًا يكون عن عجز وعن جهل، فهذا لعل صاحبه معذور حتى يتعلم، لكن يشكل أنه في بعض الأحيان الأخرى يكون عن منهجية بدعية، التي هي قصد عدم الإثبات، قصد النفور من التشبيه بطريقة خاطئة، واعتقاد أن إثبات الأسماء والصفات تشبيه أو تجسيد فهذا الاعتقاد الباطل أحيانًا يجر إلى التفويض، بمعنى أن بعض الناس قد لا يجرؤ أن يؤول أو ينكر فيقف موقف سلبي يقول: أنا لا أثبت ولا أؤول ولا أنكر فهذا كأنه تنصل من إثبات الحقيقة، وهذا أيضًا عين الباطل، إذن فأقول: نعم التفويض أحيانًا يكون منهج، وهو هروب من الإثبات، وأحيانًا يكون التفويض عن جهل وعجز، فهذا لعل صاحبه معذور حتى يتعلم.

تقول: السؤال الأول: بالنسبة للقصة التي ذكرها الشيخ هل هي المقصود بها قصة خلق القرآن التي كان في زمن الخلفاء الراشدين؟ قرأت قصة قريبة من هذه من نفس السياق وكان المقصود فيها خلق القرآن وكذا وبعد هذه المناظرة رفعت الفتة؟

السؤال الثاني: كثيرًا ما تراود الإنسان كثيراً من الناس تراوده شكوك مثلاً هذه الأمور مثلاً في تأويل أسماء الله –سبحانه وتعالى– وصفاته، يعني يهجم عليه الشيطان –والعياذ بالله– يشككه في بعض الأمور، يعني مثلاً في أن الله –سبحانه وتعالى– هو الأول والظاهر، كيف هو الأول، فسبحان الله أحيانًا تهجم بشكل كبير جدًا على الإنسان فيكف.. الإنسان هذه الشكوك؟ يعني أحيانًا تكون بشكل مزعج ولا يعلم كيف تعداها؟.

تقول: السؤال الأول: ما المقصود بالبدعة النسبية في قوله: نعمة البدعة؟

السؤال الثاني: هل البدعة درجات أم درجة واحدة؟

السؤال الثالث: هل التسبيح.. بدعة قياسًا لنهي ابن مسعود –رضي الله عنه– عن التسبيح بالحصى؟ وإذا كان غير بدعة فكيف نوفق بين هذا ونهي ابن مسعود؟

السؤال الأخير: هل يجوز مجادلة أهل البدع إذا كان يؤدي إلى منكر أعظم من بدعتهم؟ مثل ما فعل هؤلاء المبتدعة عندما نسبوا الرسول –صلى الله عليه وسلم– بكتم العلم والجهل؟.

تسأل عن القصة التي ذكرت قبل قليل.

القصة هذه اختلف عليها؛ لأن القصة جاء بها المؤرخون، دون سند يثبت متى كانت وعلى يد من كانت، فهذا على سبيل الشهرة فقط، يعني القصة من حيث سياقها هل قصة الأدرمي مع ابن أبي داود أو مع واحد آخر، وهل هو الأدرمي هذا الذي له بعض المواقف الأخرى يعني القصة من حيث ما يكتنف بها من بعض الأحداث وعلى يد من كانت، ومن هو الرجل المقابل؟ هذه الحقيقة ما عندنا ما يثبت صحتها، لكن هذه المحاجة بهذه الطريقة قال بها عدد من السلف، هذا أنموذج، ولذلك أنا أرى أن هذا منهج سواءً حدثت القصة على النحو الذي ذكر من الأدرمي أو من غيره أو لم تحدث، سواءً هي القصة التي طبعت واشتهرت الآن عند الناس أو وهي غيرها لا يهمنا ذلك، يهمنا الفحوى، فالفحوى ثابتة، يعني الموضوع بهذا السياق ثابت عن السلف في مقامات كثيرة، نعم.

هل نقول أن القصة ليست مقصودة لذاتها؟.

نعم ممكن يكون المقصود يعني ملابسات القصة هي المقصودة، ولا أشخاصها، إنما المقصود ما تضمنه من حجج عقلية قوية ملزمة.

تسأل عن الشكوك التي تراود الإنسان في تأويل الأسماء والصفات كيف أن الله هو الأول وهو الآخر؟.

علي أي حال هذه خواطر ليست شكوك، أرجو أن تكون خواطر وخيالات لا يسلم منها إنسان، لكن المؤمن القوي الإيمان الثابت العقيدة يطرد هذه الخيالات بقوة إيمانه؛ لأنه علم أن الله -عز وجل- أعلم من كل شيء؛ ولذلك الإنسان الذي ترد عليه الخيالات عليه أن ينظر في واقعه القريب ما يتطلع إلى الوقوف عند خيالات وأوهام عن الله -عز وجل-، ينظر إلى نفسه، هذه الروح التي فيه هل يدري كيفيتها، أحيانًا يتصور عن الروح صورًا خيالية ويعلم جزمًا أنها ليست هي الحقيقة، هذا العقل، العقل الذي نعقل به كثيرًا منا عندما يتحدث عن العقل أو يقرأ عنه يتخيل خيالات ويتوهم أوهام يجزم أنها ليست حقيقة العقل، هذا إذا كان في مخلوقات يعيشها الإنسان في نفسه، فليعلم أن الله أعظم وأجل من أن تحكمه خيالاتنا أو تحيط به، فمن هنا -إن شاء الله- قوة الإيمان تطرد هذه الخيالات، إما أن يسلم عنه الإنسان، فهذا قد يستحيل أن يسلم منه الإنسان، ويجب من يجد هذه الخيالات والأوهام أن لا يضيق صدره، إلا إذا وصلت إلى حد يؤثر في مسلكه العقدي فمن هنا -إن شاء الله- يجد من يبصره.

يقول: هل يبحث عن معاني أو تأويلات أو يقفل الموضوع نهائي بحيث لا يتكلم به؟.

لا...، هو إذا عرف أن هذه خيالات وهي تتسبب في المعاني والتأويلات إذن كما قطع الخيال وأبعده عن الله -عز وجل- كذلك ما يلزم من ذلك من معاني وتأويلات، كذلك يجب أن يطرده؛ لأن الله ليس كمثله شيء سبحانه وهو السميع البصير.

تسأل عن البدعة السنية، هل هناك بدعة وتستشهد بمقولة: نعمت البدعة؟.

نعم، على أي حال عمر -رضي الله عنه- رسم منهج كسائر الصحابة في سد ذرائع البدع؛ ولذلك قصة نعمت البدعة، قصة لها ملابسات هو كان تكلم في إعادة صلاة التراويح بعدما النبي -صلى الله عليه وسلم- تركها خوفًا من أن تفرض، فهو يقول -أي: عمر-: انقطع الوحي ولا خوف ممن فرضها، ورأى الناس أنزاعًا يعني جماعات يصلون، نجمعهم على إمام واحد، قال أحدهم: نعمت البدعة من باب المخاصمة، فهو رد عليهم من باب المخاصمة، قال أحدهم: بدعة، فهو من باب رد العبارة بما يشاكلها، قال: نعمت البدعة، وإن كنت تسميها بدعة إلا أن هذه عبارة لغوية، وصف لغوي للكلمة، لا وصف شرعي، والدليل على هذا منهج عمر نفسه، يعني أبعد الناس عن البدع، فكيف يكون إمام راشد.. حتى ذرائع البدع يأخذها بحزم، ذرائع البدع وسائلها يأخذها بحزم، فكيف بدع حقيقية، فإن هذه الحقيقة تؤخذ على أنها من باب الرد رد الكلمة بمثلها لا من باب الإقرار الشرعي بأنها بدعة ولا شك، نعم.

تسأل عن مجادلة أهل البدع، هل يجوز ذلك؟.

بدون تأهل أهلية وجدارة لا يجوز، بل هو إثم عظيم؛ لأنه يؤدي إلى القول على الله بغير علم، ويؤدي إلى خذلان الحق.

يسأل يقول: بالنسبة للذين لا يتكلمون العربية هل يصح أن نترجم لهم العقيدة وشروحها؟.

نعم، تترجم لهم بمعانيها فقط يترجمها واحد حاذق في فهم اللغة العربية وفقه الدين، ليس فقط فهم اللغة العربية، يفقه المصطلحات الشرعية على وجه سليم، ترجمة معاني، شرط أن يفهم المترجم لهم حينما تأتي النصوص على أنه هنا يترجم معانيها، نعم لابد، كيف يبلغ الحق إلا بالترجمة؟.

الآن سنبدأ الأدلة من السنة وهي كذلك نماذج انتقاها المؤلف لأدلة كثيرة، نعم

يقول المؤلف –رحمه الله تعالى–: (ومن السنة قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (ينزل ربنا –تبارك وتعالى– كل ليلة إلى سماء الدني) وقوله –صلى الله عليه وسلم–: (يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة) وقوله –عليه الصلاة والسلام–: (يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة) فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعدلت رواته نؤمن به ولا نرده، ولا نجحده ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره، ولا نشبهه بصفات المخلوقين ولا بسمات المحدثين ونعلم أن الله –سبحانه وتعالى– لا شبيه له ولا نظير ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله –تعالى– بخلافه).

أحسنت في هذا المقطع المؤلف –رحمه الله– أتى بنماذج للصفات، خاصة الصفات الفعلية، من أحاديث النبي –صلى الله عليه وسلم– الثابتة، من ذلك صفة النزول، وهذا أيضًا كغيره من الصفات الأخرى ثبت فيه نسبة أو إضافة النزول إلى ربنا –عز وجل– قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (ينزل ربنا تبارك وتعالى) مما يرد ويقطع باب التأويل الذي أول به المؤولون حينما قالوا: تنزل ملائكته تنزل آياته، تنزل رحمته، ينزل أمره وتقديره، إلى آخره، كل هذا عين الباطل نعم هذه الأمور هي من لوازم، فربنا –عز وجل– ينزل كما يليق بجلاله ليس كنزول المخلوقين من أجل أن ننفي ونشبه.

(كل ليلة إلى سماء الدني) ومن خلال النزول نثبت الصفة واللوازم الأخرى أنه من خلال نزوله نثبت له الكمال أنه ينزل رأفة بالعباد وأنه أيضًا يدبر أمر ملائكته وأمر خلقه، كل ذلك من اللوازم يلزم من النزول، لكنه هذا النزول له خصوصية فإن الله –عز وجل– ينزل لطفًا بالعباد بعباده الذين يدعونه كل ليلة إلى سماء الدنيا.

قال: (ويعجب ربك) كذلك نسبة العجب إلى الله تدل على أنها صفة من صفات الله على ما يليق بجلال الله وهي صفة الكمال، وكذلك قوله: (يضحك الله) الضحك لله –عز وجل– على ما يليق بجلاله، وأضيف إلى الله –سبحانه وتعالى– إضافة الفعل إلى الفاعل إلى من يفعله وهو الله كما يليق بجلاله من غير توهم فضلاً عن إثبات أو القول بالتشبه من غير توهم والتشبه، وهذه الصفات وأمثالها، هذه النصوص وأمثالها التي تتضمن الصفات وضع لها المؤلف هنا كما وضع هناك قواعد عظيمة في هذين السطرين الشيخ أشار إلى خمس قواعد تحكم هذه الصفات من أمثلتها عرف منهج السلف وسلمت عقيدته من غوائل التشبيه وغوائل التأول.

قال: (هذا مما صح سنده وعدلت رواته) بمعنى أننا نحن لا نثبت إلا ما ثبت، الحديث الضعيف أو الموضوع أو الحكايات هذا لا نثبت منها دين، هذا أولاً قاعدة أولى، القاعدة الثانية: نؤمن به، ما معنى نؤمن؟ يعني نسلم، ونخضع، ونصدق ونقتنع بأن كلام الله حق، هذا معنى الإيمان بمفهومه المجمل هنا، نؤمن به ولا نرده، لماذا قالوا: ولا نرده؛ لأن هناك أناس يدعون أنهم يؤمنون بالصفات ثم يردونها.

إذن هذا نكص، فدفعًا للنكوص قال: (ولا نرده) ثم (ولا نجحده) الراد أوسع من الجاحد من جانب، وأضيق من الجاحد من جانب آخر، الرد رد النص، والجحد أحيانًا يكون رد النص ورد الحق الذي يتضمنه، وكذلك العكس، إذن هما عبارتان أقرب إلى الترادف، رد النص ورد المعنى والجحد جحد النص وجحد المعنى.

قال رابعًا: (ولا نتأوله بتأويل) أي تأويل؟ حتى وإن سماه أصحابه تأويل صحيح أو إلى خلافه لماذا؟ لأن أمور الغيب التأويل فيها هو حيدة عن حقيقتها إلى معاني أخرى، هو خروج عن الحقيقة والإثبات إلى معاني

أخرى، ولا نتأول بتأويل نخالف ظاهره، بمعنى أن بعض النصوص تؤول بنصوص أخرى؛ لأن هذا هو ظاهرها، أيضًا قصده (يخالف ظاهره) بمعنى: أن قد نسمي الإثبات تأويل، لكن إذا كان التأويل يخالف الظاهر، فمعنى أن التأويل باطل وهو يعني العدول عن المعنى الحقيقي في النص إلى معنى متوهم لقرينة، فهذا تأويل يخالف ظاهره، أما الإثبات فقد يسمى تأويل؛ لأن السلف يطلقون على التفسير تأويل.

قال: (ونشبه بصفات المخلوقين) هذا واضح، (ولا بسمات المحدثين) المحدثين هم المخلوقات التي أحدثها الله -عز وجل-، فالله -عز وجل- لا يتسم بأي سمة من سمات المخلوقات، ونعلم أن الله -سبحانه وتعالى- لا شبيه له مطلقًا ولا نظير، وليس بين العبارتين الفرق الكبير ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ هذه قاعدة عظيمة نأتي بها دائمًا في كل موضوع وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله -تعالى- بخلافه، سبق الكلام عن هذه المسألة إن الخيالات والأوهام التي تكون في أذهان بعض الناس ليست حقيقة الرب ولا قريبة من الحقيقة، إنما هي معاني تقرب أذهان الناس إلى الحقيقة لكنها أبعد ما تكون عن وصف الله -عز وجل- فالله أعظم وأجل من أن يخطر لنا صفاته وأفعاله ببال، والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نستأذنكم في طرح سؤالي الحلقة القادمة:

السؤال الأول: ما الموقف من الصفات الفعلية ومثل لذلك؟

السؤال الثاني: قال الإمام مالك -رحمه الله تعالى- الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول اشرح ذلك بمثال؟

الدرس الثامن

من قول المؤلف (وكل ما تُخيل في الذّهن....)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبعد:

الحقيقة لعل للإخوة المشاهدين حقوق علينا، فإن كان لديك أسئلة نبدأ بها ثم نستأنف الدرس -إن شاء الله-.

الأخ الكريم أجاب عن السؤال الأول وهو: ما الموقف من الصفات الفعلية؟ بقوله: أن نؤمن بها حقًا على ما يليق بجلال الله وعظمته، وأن لا نردها بأي شبهة كانت، ولا نؤولها بل نبقيها على حقيقتها على ما يليق بجلال الله وعظمته، قال: ونثبت هذه الصفات كما نثبت لوازمها، ونؤمن بأن هذه الصفات إنما جاءت لإثبات العظمة لله -عز وجل- ونفي النقائص عنه.

نعم هذا الحقيقة أنموذج للجواب، الجواب سديد، وإن كنت وأتمنى لو أنه أضاف عبارة من غير تأويل ولا تمثيل، أو من غير تأويل ولا تشبيه لا فرق، لكن ومع ذلك الإجابة سديدة ووافية ومتقنة ومرتبة ترتيب موضوعي، ولذلك الإجابات التي تشابه هذه الإجابة تعتبر أنموذجية وصحيحة -إن شاء الله-.

الأخت الكريمة أجابت عن السؤال الثاني وهو: عن قول الإمام مالك: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة»؟ قالت: بأن الاستواء غير مجهول عند أهل اللغة بل معلوم معنى الاستواء في اللغة العربية بأنه العلو فوق الشيء، لكن نجهل الكيفية ولا نعلم كنهها ولا صفة الاستواء الله -تعالى- على عرشه، ولا يصح أن نكيف ولا نشبه ولا نمثّل.

هذا كذلك، هذه الحقيقة إجابة سديدة، وإن كان ممكن نستغني عن عبارة: ولا صفة الاستواء؛ لأن هذه توهم بأنها هروب من إثبات الصفة، مع أن سياق الأخت التي أجابت يدل على أن قصدها بالصفة الكيفية، لكن مع ذلك دفعًا للبس أرى أن تحذف كلمة صفة وتستبدل أو يوضع بدلها كيفية.

قال الموفق ابن قدامة -رحمه الله تعالى- في كتابه "لمعة الاعتقاد": (وكل ما تُخيل في الذّهن أو خطر بالبال فإن الله -تعالى- بخلافه).

العبارة هذه تعرضت لها في الدرس الماضي بإيجاز مع أنها الحقيقة تمثل قاعدة هامة جدًا، وأيضًا الإلمام بهذه القاعدة يمثل حماية، هي حماية لمعتقد المسلم وصيانته من دخول الشبهات والتعطيل والتشبيه، وهو أن كل ما يمكن أن يتخيله السامع والقارئ بكلام الله وكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم- في مسألة ذات الله وأسمائه وصفاته، أو الأمور الغيبية الأخرى لا فرق، إلا أن أسماء الله وصفاته هي أجل وأعظم ما يجب اعتقادها، فمن هنا أقول: كل من يسمع أو يقرأ هذه الصفات والحقائق الغيبية لابد أن يضع أو يجد في ذهنه خطرات يتخيل المعنى، وهذا مقتضى فهم اللغة، أي لغة يعني لابد أن يكون لعبارتها مفاهيم، هذه المفاهيم أحيانًا ترتبط بخلفيات عند الإنسان، لكنها فيما يتعلق بالغيب، هذه الخلفيات مجرد انطباعات، إذن أقول أخي المستمع، أخي المشاهد: كل ما يخطر ببالك من خواطر وخيالات في الذهن، خواطر بالبال فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته وأفعاله، فإن الله خلاف ما تتخيله، وخلاف ما يخطر ببالك؛ لأن الله أعظم وأجل من أن تكون الخواطر هي الحقائق، فالحقائق تتبنى على قوله -عز وجل-: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]، إذن هذه الخيالات التي تتخيلها وما يخطر ببالك من المعاني التي تكون مبنية على خلفياتك في تجاربك في الحياة، هذه أمثال تضرب وتقرب للحقيقة ولا توصل إلى الكيفية.

يقول: في الحلقة الماضية إحدى الأخوات طرحت أنه يرد لديها أفكار وتصورات عن كيفية الخالق -جل وعلا- وهي ترد كثيرًا من الناس، فما الحل السليم لمثل هذه الظنون أو الشكوك التي ترد على الإنسان؟.

هو على أية حال أنا ذكرت أنه كونه ترد مجرد خواطر ولا تكون تصل إلى حد الشبهات والشك، فهي طبيعية ويدفعها الإنسان، وهذا دليل على قوة إيمانه، لكن لعل مما يكون سبب بإذن الله لحماية المسلم من غوائل هذه الخواطر هو أنه دائمًا يستحضر عظمة الله -عز وجل- من خلال أسمائه وصفاته وعظمته وجلاله، ثم يستحضر دائمًا أن الله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ يجعل هذه القاعدة سياج، فكل ما يتأمل أسماء الله وصفاته يستحضر هذه القاعدة، ويمرر نفسه على كثرة استحضارها، فمن هنا - بإذن الله - ينقطع باب الوهم والوساوس والخطرات، ولو - لا قدر الله - حصل أن هذه الأمور استقرت بما يشبه الوسواس فهذه تعالج، تعالج بعلاج الوسواس المعروف، ومنه العلاج بالعقاقير في العيادات النفسية، بعضها بل يجب عند الإنسان إذا حس أنها تؤثر على عقيدته هذه الخطرات أن يعالج بنفسه بإذن الله يجد العافية بسرعة.

يقول: يا فضيلة الشيخ عفوًا: ورودها على الإنسان ليس دليل على ضعف إيمانه؟.

لا...، مجرد الورود ليس دليل على ضعف الإيمان، لكن إذا كانت عبارة عن هواجس مستمرة، خواطر يعجز عن دفعها فمن هنا نخشى أن تكون وسوسة، فلابد من علاجها قبل أن تستفحل، ومع ذلك حتى لو - لا قدر الله - لا تضر بأصل الإيمان، بل ربما يكون هذا ابتلاء يؤجر الإنسان عليه.

يقول: يتحدث عن هذه الأشياء؟.

نعم، إذا كان تحدث بها أمام الناس الذين لا يعنيهم الأمر يأثم؛ لأنه ينقل مرضه وشكوكه للآخرين، لكن عند أهل العلم والمختصين ومن يعني من الذين يطمئن إليهم ممن يساعدونه في علاج هذه المشكلة نعم، أما إعلانها على الملأ فهذا نوع من إشاعة الشبهات التي تؤدي إلى العدوى عند آخرين، هم على السلامة في الأصل، نقرأ.

قال الموفق ابن قدامة -رحمه الله تعالى-: (ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥]، وقوله تعالى: ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ﴾ [الملك: ١٦]، وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمه) وقال للجارية: (أين الله؟ قالت: في السماء، قال: أعتقها فإنها مؤمنة) رواه مالك بن أنس ومسلم وغيرهما من الأئمة، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- لحصين: (كم إلهًا تعبد؟ قال: سبعة، ستة في الأرض وواحدًا في السماء، قال: من لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء، قال: فاترك الستة واعبد الذي في السماء، وأنا أعلمك دعوتين، فأسلم وعلمه النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يقول: اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي)).

أحسنت، هذا استمرار لتقرير القاعدة السابقة، والقواعد التي سبقت أيضًا، سبق من القواعد أن أسماء الله -عز وجل- تثبت كما أثبتها الله لنفسه، وأثبتها له رسوله -صلى الله عليه وسلم- من غير تشبيه ومن غير تأويل، أيضًا أن كل ما يخطر في الذهن والبال من معاني لأسماء الله وصفاته، فإن الله -عز وجل- أعظم من هذه الخطرات وأجل.

مَثَّلَ لهذا بأمثلة من ذلك قوله: أي من ما يجب إثباته ونفي الخطرات والوساوس فيه قوله -عز وجل-: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ بمعنى إثبات الاستواء؛ لأن الله -عز وجل- هو الذي أثبته لنفسه، وهذا كلام الله، وهو بلسان عربي مبين، لا يجوز الحيد عن معناه الظاهر فيما يتعلق بجلال الله إلا أننا نثبت هذا المعنى في الحقيقة فيما يختص بالله سبحانه، كذلك بقية النصوص والأحاديث، وإن كان بعضها ضعيف، لكن هذه الأحاديث الضعيفة التي وردت هي من باب -ساقها المؤلف- الارتباط، بمعنى إن إثبات هذه الصفات مثل كون الله في

السماء، واستوى على العرش ونحوها، هذه أمور ثابتة بنصوص قطعية متواترة، والعلماء أحيانًا يوردون بعض الأحاديث الضعيفة، وهذه الأحاديث يوردها السلف من باب الاعتضاد لا من باب الاعتماد، بمعنى أن هذه الأدلة الضعيفة ليست هي الدليل، لكنها من باب كثرة الأدلة؛ لأن بعض أهل الحديث قد يقوي هذا الحديث الضعيف ويستدل به، لكن ليس هو الدليل الأصلي؛ لأنه قد يلفت النظر وجود بعض الأحاديث الضعيفة، وقد يقول إنسان جاهل – أو بعض المفتونين أصبح الآن يثيرون على السلف هذا المنهج– يقولون: إنهم يستدلون بأحاديث ضعيفة وحكايات وموضوعات ويجعلونها أدلة، لا... السلف ما جعلوها أدلة، إنها من باب الاعتضاد، كما عند الحاجة تعتضد الدولة بالجيوش الاحتياطية مع الجيش النظامي، الجيش النظامي هو الأصل، وهو المدرب، فهذا نوع من تقوية إيمان الناس بحشد الأدلة.

فإذن كون الله –عز وجل– في السماء أو كونه استوى على العرش كما تدل هذه الأدلة، هذا من الثوابت، وكلها على ما يليق بجلاله، وبعضها يفسر بعضاً، معنى كونه على العرش استوى يدل على العلو لماذا؟ لأنه ذكر أنه في السماء، وأيضًا ليبعد توهم أن معنى في السماء أن السماء تظله والله –عز وجل– أعظم وأجل من أن تحصره مخلوقاته، فإذن قوله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ يفسر معنى كونه في السماء، في السماء يعني مستوي في عرشه، والعرش أكبر المخلوقات وأعظمها وليس بعده مخلوق، مما يدل على أن الله –عز وجل– في العلو المطلق الذي لا يحصره مكان، وكذلك العكس، فإذن هنا أورد المؤلف الاستواء هو كون الله في السماء دلالة على العلو المطلق، وإثبات الاستواء، وإثبات كون الله في السماء، وهكذا النصوص يفسر بعضها بعضًا؛ ولذلك لا نقف عند هذا إلا في آخره، عندما ذكر قصة المشرك الذي كان يعبد آلهة متعددة مع أنه يقر بأنه يعبد الله، لكن أشرك، أقول هذا فيه دلالة على أن الإسلام يقوم على الأدلة الفطرية والعقلية الواضحة البينة، مثل هذا الدليل نموذج للأدلة الشرعية لا تعقيد، لا مقدمات معقدة، ولا يخفى على أبسط الناس وأذكاهم، كلهم لو سئلوا هذا السؤال: من الذي ترجوه لجلب نفعك؟ ومن الذي تدعوه عند الضر؟ سيقول الله، إذن لا حاجة لك بأن تتعلق بغير الله على الإطلاق؛ ولذلك هذا الرجل وإن كان مشركاً ثم بعد ذلك أسلم، اعترف بدون أن يتردد على الإطلاق؛ لأن الحجة عقلية وفطرية دامغة، فأقول إن نعم كل الحجج والأدلة العقلية والفطرية على مسائل العقيدة هي من هذا النوع.

قال الموفق ابن قدامة –رحمه الله تعالى–: (وفيما نقل من علامات النبي –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه في الكتب المتقدمة أنهم يسجدون للأرض، ويزعمون أن إلههم في السماء، وروى أبو داود في سننه أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (إن ما بين سماء إلى سماء مسيرة كذا وكذ) وذكر الخبر إلى قوله: (وفوق ذلك العرش والله سبحانه فوق ذلك) فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف –رحمهم الله– على نقله وقبوله، ولم يتعرضوا لرده ولا تأويله ولا تشبيهه ولا تمثيله).

هذا أيضًا فيه إشارة إلى إيراد الإسرائيليات، إيراد الإسرائيليات ضمن كتب السلف هذا أيضًا يحكمه ما سبق، القول بأن هذه للاعتضاد، والنبي –صلى الله عليه وسلم– قال في الإسرائيليات: بأنها لا تصدق ولا تكذب و(حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) أيضًا، فهذا من باب الاعتضاد، فكذلك الأثر الذي بعده والحديث ضعفه بعض أهل العلم فهذا على القاعدة التي ذكرناها.

ثم قال– وهذا الذي يهمنا هنا–: (فهذ) أي هذا النص، هذه الآثار (وما أشبهه) من أدلة صحيحة أو الأدلة العاضدة والحكايات والروايات (مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله) يعني على روايته، ما معنى أجمعوا؟ السلف ما أجمعوا على ذات المكذوب والموضوع، ولا أجمعوا على أن الضعيف يورد للاستدلال، وإنما أجمعوا على نقله فيما له دليل صحيح في الأصل، إذن أجمعوا في الجملة على نقل الأدلة الصحيحة في إثبات هذه الصفات وغيرها، وما بعد الأدلة الصحيحة من الأدلة الضعيفة والروايات والحكايات.. إذن الإجماع ينعقد على

الاستدلال السليم الصحيح، هذا معنى قوله: (وأجمع السلف على نقله وقبوله) نقلوا هذه الروايات الصحيحة وقبلوها، وأيضًا نقلوا الضعيف من باب الاعتضاد.

قال: (ولم يتعرضوا برده) الصحيح لم يردوه بمعنى أنهم ما قالوا: هذا الحديث لا يصح، أو هذا الدليل لا يسلم به أبدًا، سلموا به تسليم المؤمن الموقن بأن كلام الله حق على حقيقته لكن قد نجهل، إذن هذا الأصل الأول التسليم، تسليم القلب والاستعداد للقبول، ثم بعد ذلك (ولا تأويله) لم يعرضوا لرده ولا تأويله لكن حينما أثبتوه، أثبتوه على الحقيقة التي أرادها الله –عز وجل–، والحقيقة التي أرادها الله نوعان: حقيقة معلومة في الظاهر، وهي الحقائق المجملة التي نؤمن بها أنها حق فيما يليق بجلال الله والغيبيات الأخرى، وحقيقة بمعنى الكيفية هذه لا نعلمها؛ ولذلك كوننا لا نعلمها لا يعني أننا ننصرف إلى التأويل لها بأنه هروب من الإثبات.

قال: (ولا تشبيه ولا تمثيل) لا تشبيهه ولا تمثيله بمعنى واحد، وإن كان بينهما فروق لغوية، بمعنى أننا لا نتعلل للرفض، فإننا نثبت، ولا نؤول، وبالمقابل أيضًا لا نؤول ولا نشبه ولا نمثل لماذا؟ لأن الذين وقعوا في التأويل أو الإنكار من الجهمية ومتكلمة الفرق الأخرى لجئوا للتأويل حينما استشعروا أو تخيلوا التشبيه، فأرادوا أن يهربوا من التشبيه – ما هو إلى الإثبات– إلى التأويل فوقعوا في خطأ مركب، صدقوا أوهامهم وخواطرهم ثم أرادوا أن يهربوا منها إلى ردة الفعل المعاكسة لا إلى الاعتدال، ردة الفعل التي هي التأويل والتعقيب.

يقول: إن قال قائل:...؟.

نعم العقل يعتد به في الفهم والتفكير واستنباط الحجج العقلية والفطرية، فهو إذن العقل وسيلة، وهذا هو الفارق المنهجي بين السلف الصالح ومنهج الأنبياء ومنهج أئمة الدين، العدول الثقات، وبين كثير ممن خلطوا في مسألة العقل، السلف يعتبرون العقل نعمة من الله –عز وجل– وأداة، ووسيلة فعالة للفهم، بل هي الوسيلة لفهم النصوص تقوم بها الحجة، فمن هنا السلف استعملوا العقل كوسيلة لفهم الشرع، وفهم نصوص الكتاب والسنة، أما أن يكون العقل يشارك الوحي في إدراك الغيبيات، أن يشارك الغيب في تثبيت الثوابت التي ليست من مدارك العقل، فهذا هو مذهب الفلاسفة والمتكلمين الذي ضلوا، العقل ليس مصدر للدين، لكنه وسيلة لفهم الدين.

قال –رحمه الله تعالى–: (وسئل الإمام مالك بن أنس –رحمه الله– فقيل: يا أبا عبد الله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، ثم أمر بالرجل فأخرج).

طبعًا هذه القاعدة قال بها شيخ الإمام مالك الذي هو ربيعة، وقال بها بعد ذلك أئمة السلف كلهم، فهي قاعدة مجمع عليها الآن، لكن التلفظ بها بهذه الصيغة أو الصيغ الأخرى التي قال فيها استواء معلوم والكيف مجهول، إلى آخر العبارة وهو مشروع لا فرق، هذا التقعيد ما ظهر عند السلف إلا عندما احتاجوا إليه، بمعنى أنه أصله موجود في الكتاب والسنة، هذا عبارة عن قواعد حتمية ضرورية قطعية تتضمنها قطعية النصوص، فليست ابتداء، إنما السلف ما كانوا بحاجة إليها قبل هذا السؤال الذي حدث، لماذا ليسوا بحاجة إليها؟ لأن الناس على الفطرة، على الإتباع على الاهتداء بهدي الأئمة، وكان طلاب العلم وعامة المسلمين يخضعون لهذه القاعدة لفهمهم العربية وفقهم للدين، فلما راجت البدعة وخاضت الفرق في أسماء الله وصفاته، وتكلموا في الله وقل أدبهم مع الله –عز وجل– ولم يعظموا الله ويقدروه حق قدره، صاروا يخوضون في الكيفيات فوقع التأويل ووقع التشبيه، الإمام مالك ما تصور أن هذه البدعة تصل إلى حد الإعلان، حتى أعلنها هذا الرجل عنده، وسأل هذا السؤال، والذي حصل: الإمام مالك لما سئل هذا السؤال استعظمه تعظيمًا لله، حتى أنه كاد يغمى عليه، سكت فترة، تصبب منه العرق من تعظيم الله –عز وجل– وخشيته، أنكر هذا السؤال، ما كان يظن أن مسلم يتجرأ أن يقول: كيف استوى؟ لأن لا يعقل أن أحدًا يتطلع إلى أن يعرف الكيف، فكيف يسأل؟!! السؤال نفسه سوء أدب مع الله، وقلة فقه، وأيضًا يدل على الفتنة، ويدل على الشبهة، وأنها مستحكمة في القلب؛ ولذلك طرد الإمام مالك هذا السائل؛

لأنه أثار قضية فيها سوء أدب مع الله، وهذا فيه نوع حماية لجناب الحق سبحانه، فمن هنا قعد الإمام مالك هذه القاعدة، نبه لهذه القاعدة التي هي قاعدة قطعية من النصوص، حتى صارت من ثوابت الدين عند السلف، الاستواء نموذج من صفات الله -عز وجل- وأسمائه؛ ولذلك الذين أولوا الاستواء أولوا غيره، والذين أثبتوا الاستواء لا يؤولون، خذها قاعدة، إلا النادر والنادر لا حكم له، الذين يثبتون الاستواء من الفرق بل أقصد الذين يثبتون الاستواء هم أهل السنة والجماعة لا يشاركهم أحد من الفرق إلا النادر، والنادر لا حكم له، والعكس كذلك، الذين يؤولون، يؤولون باقي الصفات الذاتية والفعلية؛ لأنه كما ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- عن أهل الأهواء: (تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكَلَب بصاحبه) الكَلَب مرض خطير يحصل من عضة الكلب، قديمًا قبل أن توجد الأدوية الحديثة كان الإنسان إذا عضه كلب مسعور سرى هذا الوباء في جسده حتى يقطعه قطعة قطعة، كذلك البدعة، وأول بدعة ظهرت وأعلنت في تأويل أسماء الله وصفاته، والتعطيل هي إنكار الاستواء وتأويلها، من هنا وضع الإمام مالك لهذه القاعدة التي تقتضيها النصوص وهي متفق عليها، أن الاستواء وغيره من أسماء الله وصفاته وأفعاله معلوم، قوله: (غير مجهول) يعني معلوم، ما معنى معلوم؟

معلوم أي معلوم من ناحية اللغة العربية.. ومعلوم شرعً.

ومعلوم بالكتاب والسنة؛ لأن هذا مقتضى ثوابت الدين، معلوم يعرفه أدنى العامة إدراك، جيب عامي لا يعرف من تفاصيل العلم الشرعي شيء يعني يعرف قضية أن الله استوى على العرش كما يليق بجلاله، فإذن الاستواء معلوم عند جميع المسلمين حتى جاءتها الفتن فجرفت طوائف من المسلمين عن هذا المعلوم بعد القرن الأول.

ثم قال: (والكيف غير معقول) يعني مجهول، الكيف مجهول، كون الكيف مجهول لا يعني أن حقيقة الصفة مجهولة، لا... حقيقة الصفة معلومة.

ثم قال: (والإيمان به واجب) الإيمان بأن الله استوى على عرشه كما يليق بجلاله - وبقية الصفات - واجب، ليس فيه خيار لماذا؟ لأنه كلام الله وكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم- ليس كلام فلان أو رأي فلان من الناس جماعة ولا أفراد.

ثم قال: (والسؤال عنه بدعة) لماذا السؤال عنه بدعة؟ لأنه أحدث في الدين ما لم يكن منه، وبأن السؤال يدل على الشك، السؤال يدل على ارتفاع اليقين من قلب السائل، فهذا السائل الذي يسأل عن كيفية الاستواء إما أن عنده بدعة التأويل والتعطيل، وإما عنده مرض الشك - نسأل الله السلامة- ولذلك السؤال عن مثل هذه الأمور في حق الله -عز وجل- وفي حق الغيبيات الأخرى بدعة؛ لأنه تنبيش عن ما لا طاقة للعقل به، وليس من معلومات الإنسان، معلوماته إدراك الحقائق المجملة.

ثم قال: (ثم أمر بالرجل فأخرج؛ لأنه تكلم ببدعة لا يعرفها الناس) بدعة عظيمة، كسرت حاجز الهيبة لأسماء الله وصفاته، كسرت حاجز الهيبة في ثوابت العقيدة وتعظيم ثوابتها، كسرت حاجز أدى إلى تحطيم الثوابت من قِبَل أهل الأهواء والبدع، فمن هنا صار ذلك من الأمور التي استدعت تأديب هذا الرجل.

يقول: لو أردنا أن نتعرف على معاني الأسماء والصفات، ما هي المراجع التي تعتبر الأسلم عن أخذ هذه المعاني والتعرف عليها؟ هل هي كتب العقيدة أو كتب التفسير؟.

أحسنت، يعني شرح معاني أسماء الله -عز وجل- وصفاته وأفعاله على نهج شرعي سليم، طبعًا أمامنا كنوز:

أول ذلك: تفسير الصحابة وهو على نوعين: نوع تنقلوه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فيرجع إلى أنه قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في أسماء الله وصفاته وأفعاله، النبي -صلى الله عليه وسلم - شرح كثير من

أسماء الله مثل شرحه " للأول "، النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (الأول: هو الذي ليس قبله شيء، والآخر: الذي ليس بعده شيء، والظاهر: الذي ليس فوقه شيء، والباطن: الذي ليس دونه شيء) هذا تفسير النبي -صلى الله عليه وسلم- لهذه الأسماء الأربعة، أيضًا النبي -صلى الله عليه وسلم- فسر الكثير من الأسماء والصفات، فمن هنا لابد من التزام تفسير النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم تفسير الصحابة الذين نقلوا تفسيرات عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وغيرها؛ لأنهم أعلم بالعربية والقرآن تنزل عليهم وهم أفقه الخلق بعد النبيين فيرجع إلى تفسيرهم.

مواطن هذا أولاً: كتب التفسير الأولى، والتي تتمثل بنوعين: النوع الأول: كتب التفسير التي ضمنت كتب السنة، يعني كثير من كتب السنة يقول لك كتاب التفسير، بل أحسن منها كل كتب السنة المعتمدة عند السلف سواءً الصحاح والسنن والمسانيد والمصنفات وغيرها، كلها تضمنت التفسير السلفي النقي لأهل السنة والجماعة الصحابة والتابعين ومن تبعهم، إلى يومنا هذا، كتب الحديث، كتب السنة، ثم أيضًا هناك كتب التفسير الأولى قبل أن يظهر التأويل، لما ظهر التأويل حقيقة أكثر كتب التفسير دخلها شيء من الغبش، لكن مثل تفسير ابن جرير هذا يعتبر كنز، أكبر كنز في التفسير حفظ الله به العقيدة وتفسيرات السلف للأسماء والصفات وثوابت الدين الأخرى.

قال الموفق ابن قدامة -رحمه الله تعالى-: (فصل، ومن صفات الله -تعالى- أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه سمعه موسى -عليه السلام- منه من غير واسطة، وسمعه جبريل -عليه السلام- ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه، ويأذن لهم فيزورونه، قال الله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال سبحانه: ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي ﴾ [الأعراف: ١٤٤] وقال سبحانه: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [الشورى: ٥١]، وقال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ [طه: ١١، ١٢]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ [طه: ١٤]، وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله).

أحسنت، هذا انتقال إلى التفصيل في بعض أسماء الله -عز وجل- وصفاته التي خالفت فيها الفرق، ومن أعظمها وأشد جرأة عليها كلام الله، ومسألة الكلام في المرحلة الثانية من التأويل، المرحلة الأولى التعطيل بدأ في الكلام في الاستواء والعلو، الاستواء بخاصة، المرحلة الثانية البدع حول كلام الله -عز وجل- وهذه انفسق بعدها باب التأويل والتعطيل من قِبَل أهواء الأهواء.

هنا الشيخ يقرر مذهب السلف في كلام الله -عز وجل- وأن كلام الله من صفاته، وهنا لابد أنبه على ثلاثة أمور كمقدمة لهذا الفصل الكبير العظيم:

الأمر الأول: أن كلام الله -عز وجل- أزلي النوع، ما معنى أزلي النوع؟ أي أن الله موصوف بالكلام حتى قبل أن توجد المخلوقات التي كلمها، كما أن الله -عز وجل- موصوف بأنه خالق قبل وجود الخلق، ظاهر؟ الله -عز وجل- يوصف بأنه خالق حتى قبل أن يخلق المخلوقات، فهذه صفة أزلية، كذلك الله -عز وجل- متكلم بمعنى قادر على الكلام؛ لأن الكلام صفة كمال؛ ولذلك هناك سؤال فطري، أي أكمل وأعظم وأجل؟ الذي يتكلم أو الذي لا يتكلم؟ المتكلم أكمل، لكن كلام الله ليس ككلام المخلوقين، فإذن ما دام صفة كمال عقلاً وفطرة، فإذن الله -عز وجل- كلامه أزلي النوع يعني أن الله موصوف بصفة الكمال من الأصل، وأنه متكلم بكلام قديم، يقصد بالقديم: الأزلي، يعني الأول الذي ليس قبله شيء، طبعًا عبارة قديم عبارة اضطرارية، وإلا نحن لا نصف شيء من صفات الله بأنه قديم؛ لأن القديم أحيانًا يفهم منه البالي المتهالك، لا هذا معنى آخر، إنما المقصود بالقديم الأزلي الذي ليس قبله شيء لا بداية له، إذن كلام الله قديم، إذن كلام الله أزلي النوع، لكنه آحاد المفردات يعني

بمعنى حادث الآحاد، يعني أن الله -عز وجل- حينما كان موصوفًا بالكلام فإنه -عز وجل- متى شاء تكلم، وهذا أيضًا من الكمال، ولا يصبح غير متكلم.

الأمر الثاني: أن كلام الله يسمع، كما قال الله -عز وجل-: ﴿ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ﴾ [التوبة: ٦]، وأيضًا ورد في الحديث الصحيح: (أن كلام الله يوم القيامة يسمعه من قَرَبَ كمن يسمعه من بَعُدَ) إذن هو كلام حقيقي كما يليق بجلال الله وإلا فكيف يسمع؟ لا يسمع إلا الكلام الحقيقي؛ ولذلك كلام الله سمعه جبريل وسمعه موسى، ويسمعه المؤمنون ويسمعه عامة الخلائق يوم القيامة.

الأمر الثالث: أنه ثبت أنه في الدنيا أن الله -عز وجل- أسمع بعض خلقه، ليس كلام الله مقصور، سماع كلام الله من قِبَل بعض الخلق أو كل الخلق ليس مقصور على القيامة فقط، حتى في الدنيا، فموسى -عليه السلام- سمع كلام الله في الدنيا، وهذه مسألة، الله -عز وجل- أقدره عليها؛ ولذلك هذه من خصائص موسى -عليه السلام- التي اختص بها، وكذلك كلم الله جبريل ويكلم ملائكته، ويكلم المؤمنين يوم القيامة جميعًا وأفرادًا، بل يكلم عموم الخلائق؛ لذلك فُسِّرَ قوله -صلى الله عليه وسلم-: (ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حجاب) أو: (ليس بينه وبينه ترجمان) هذا دليل أن الكلام يأتي درجات، ثم بعد ذلك ذكر الشيخ قال: (يسمعه من شاء من خلقه) هذا مطلقًا، بل نعلم أن الله -عز وجل- أسمع ملائكته وأسمع من الخلق ما يشاء، لكن الذي ثبت نثبته، والذي لم يثبت نقر بنوعه، ولا نستطيع أن نثبت آحاده بغير دليل، سمعه موسى -عليه السلام- منه من غير واسطة، بمعنى أنه لا يجوز أن نقول: إن موسى سمع الشجرة تتكلم كما يزعمون، أو أن الله خلق الأصوات والحروف في الجو كما يزعمون، أو أن الله -عز وجل- جعل جبريل هو الذي يسمع كلام الله، كل هذا تخطي لقطعيات النصوص وهروب من الإثبات؛ لأن المشكلة توهم أن الإثبات يعني التجسيم والتشبيه.

(وسمعه جبريل -عليه السلام- ومن أذن له من ملائكته - كما جاء في صحيح مسلم- ورسله، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين -كما جاء في الصحيحين- في الآخرة، ويكلمونه ويأذن لهم فيزورنه)، كلمة (يزورونه) عليها تحفظ، مسألة الزيارة ليس عليها دليل قطعي تبقى من الأمور الخلافية، وهذا يذكرنا بأن بعض السلف أحيانًا يوردون بعض المسائل الخلافية في كتب العقيدة، لا أنها من الثوابت لكن لأنها من الأمور التي اشتبه فيها الدليل، وهذه مسألة طعن بها بعض المفتونين على عقيدة السلف، وقالوا: إنهم يريدون أشياء لا دليل عليها، وأن عقيدة السلف لا دليل عليها، لا... السلف الذين يريدون الزيارة المؤمنين يزورون ربهم في الجنة يوردونها على أنها من الأمور الخلافية لا أنها من النصوص القطعية، فهذه مسألة قطعية.

ثم ذكر الأدلة: ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ يعني كلمة تكليمًا تقطع خط التأويل والتعطيل، لعله لما قال: ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ ﴾ يمكن أحد يؤولها، أو ممكن يجد باب للتأول لكن لما قال: ﴿ تَكْلِيمًا ﴾ مثل ما تقول شيء رأيته تقول: والله أنا رأيته عيانًا، إذا قلت " عيانًا " جزمنا أنك رأيته بعينك، وليس برأيك و ما فكرت فيه، أليس كذلك؟ تقول: والله الشيء الفلاني أنا أقسم لكم رأيته عيانًا، ماذا نفهم من عيانًا؟ يقينًا، كذلك قول الله -عز وجل- ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ يعني حقيقة، ثم قال: ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي ﴾ هنا خطاب. المخاطب من هو؟ المتكلم من؟ النداء إلى النداء كلام لابد أن يكون كلمة يا موسى بكلام سمعه موسى.

ثم قوله -عز وجل-: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ ﴾ لو كانت القضية قضية معاني وضعها في القلب أو عبر وسيط لما جعل هذه خصوصية؛ لأنه ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ ﴾ الله -عز وجل- أراد يمتن على هذه الفئة بأنه كلمهم، خصوصية عن غيرهم من الخلق، ﴿ ومِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ ﴾ حادثه بكلام يليق بجلاله ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ يدل على أن الكلام غير المباشر نوع آخر من الكلام، وأن الوحي منه ما هو كلام مباشر.

ثم قوله -عز وجل-: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ دلالة على أن الكلام حقيقي؛ لأن المتكلم من هو؟ الضمير في قوله: ﴿ إِنِّي ﴾ يرجع لمن؟ إلى الله -عز وجل- ثم أيضًا أكد بأنه ﴿ أَنَا رَبُّكَ ﴾ لما قال: ﴿ إِنِّي أَنَا ﴾ موسى سمع كلامًا ممن إذن؟ من الله، ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ هذا أثناء تكليم موسى.

كذلك قوله: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ هذا أيضًا خطاب للمتكلم معه، وغير الجائز نقول: لا يمكن، غير جائز عقلاً: يعني وشرعًا، وهنا ليس المقصود به جواز الحكم الفقهي، هنا غير جائز، يعني لا يعقل ولا يتصور ولا يليق أن يقول هذا أحد غير الله، أن يقول: ﴿ أَنَا رَبُّكَ ﴾ أو يقول: ﴿ يَا مُوسَى ﴾ أو: ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ أو: ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ ﴾ إلى آخره، ما يمكن أن يكون الخطاب إلا من الله -عز وجل- لا يشركه أحد في مثل هذا الخطاب خطاب ربوبية وإلهية، وغير جائز أن يقول أحد هذا غير الله، لو كان الكلام من غير الله لما صح أن يقول ﴿ أَنَا رَبُّكَ ﴾ وهكذا.

يا صاحب الفضيلة فيه عبارة هنا يقول المؤلف: (أنه متكلم بكلام قديم) لو فصلتم في معنى (قديم) أحسن الله إليكم؟ لأنه قد يفهم مثلاً هذه الصفة صفة نقص مثلاً بحكم أنه قديم؟.

أي نعم، أنا أشرت إشارة خاطفة قلت: أن كلمة (قديم) تستعمل للدلالة على معنى الأول الذي ليس قبله شيء، وأنها نوع من تقريب العبارة يعني كلمة قديم لم ترد في الشرع إطلاقًا، إنما هي شرح بعض الناس لا يفهم معنى أزلي أو معنى الذي ليس قبله شيء، فيقال: هو القديم، كلمة قديم تستعمل على معنيين: على معنى الأزلي الأول الذي ليس قبله شيء، الأول مطلقًا، وهذا هو اللائق بالله -عز وجل- وهو المقصود بالقديم هنا، أحيانًا تستعمل كلمة قديم أي المتهالك الذي مر عليه أزمان حتى صار يعني متهالك ويعني أحيانًا تعتبر صفة نقص، الجديد عند الناس أرغب من القديم، ليس هذا مقصود في كلام الله.

يقول: ألا يمكن أن يفهم من كلمة القديم الشيء المتحقق؟.

قديم المتحقق؟

يعني يفهم منها شيء متحقق أو الحاصل.

من لوازمها، نعم.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (وقال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه: (إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء)، روي ذلك عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وروى عبد الله بن أنيس عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراةً حفاةً غرلاً بهمًا، فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ: أنا الملك أنا الديان) رواه الأئمة واستشهد به البخاري.

وفي بعض الآثار: أن موسى -عليه السلام- ليلة رأى النار فهالته ففزع منها، فناداه ربه: يا موسى فأجاب سريعًا استئناسًا بالصوت، فقال: لبيك لبيك، أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت؟ فقال: أنا فوقك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك، فعلم أن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله تعالى، وقال: كذلك أنت يا إلهي أفكلامك أسمع أم كلام رسولك؟ قال: بل كلامي يا موسى).

(
(

أحسنت، هذا تقرير لما سبق وتفصيل في أن كلام الله -عز وجل- مسموع والحديث في هذا صريح، يعني يعتبر هذا مثال لما سبق ذكره بأن الله -عز وجل- يكلم الخلق ويناديهم بأصوات، فهذا هو الشاهد، يناديهم يعني يكلمهم، النداء هنا نداء كلامي، النداء لا يكون إلا بالكلام؛ هذا لأننا خوطبنا بلسان عربي، والنبي -صلى الله عليه وسلم- أفصح الخلق فهذا مقتضى العربية، أن النداء لا يكون إلا بالكلام (فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ)، هذا فيه إثبات أن كلام الله بصوت كما يليق بجلال الله وهذا حق، وهذا هو المعنى وهو معنىً متواتر تواتر معنوي، أما القصة بعده فلا أصل لها، والشيخ أوردها من باب - كما قلت لكم- التقريب والاعتضاد؛ ولذلك أتى بها على صيغة التمرير وما أسندها، فكأنه حشدها من باب تقريب المعاني، فإذن القصة لا تثبت، والأولى عدم إيرادها، بعدما كثرت الشبهات بين الناس، قد نعذر ابن قدامة لإيرادها؛ لأن الناس في ذلك الوقت في وقته متمايزون، كان التمايز بين أهل الحق وأهل البدع والأهواء واضح، أما الآن فنظراً للخلط فيجب أن لا تورد في مثل هذه الكتب.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (فصل، ومن كلام الله - سبحانه - القرآن العظيم وهو كتاب الله المبين، وحبله المتين، وصراطه المستقيم، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلب سيد المرسلين، بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو سور محكمات، وآيات بينات، وحروف وكلمات).

أحسنت، في هذا المقطع نجد أن الشيخ يفصل في مسألة كلام الله، يعني دخل في حقيقة القرآن كلام الله الذي تكلم به على ما يليق بجلاله، فبعد الكلام على عموم صفة الكلام، أتى بالأنموذج لكلام الله -عز وجل- الذي بين أيدينا وهو هذا القرآن، وذلك يعني راجع إلى تسلسل مسألة الإثبات عند أهل السنة وأهل الحق ومسألة التأويل والتعطيل لأهل الأهواء، أهل الأهواء لما شكوا في صفات الله الفعلية، ومنها الاستواء جرهم ذلك إلى الشك في الكلام؛ لأن قاعدة الإثبات واحدة، فلما أولوا صفة الاستواء اضطروا إلى تأويل جميع الصفات الأخرى، ومنها كلام الله، لما تعرضوا لكلام الله انسحبت ذلك هذه البدعة وتعدت إلى القرآن؛ لأنهم أحرجوا بالقرآن، لما قالوا: أن الله -عز وجل- كلامه هو ككلام جبريل أو معاني في قلوب العباد أو كلامه ليس كلام على الحقيقة، يعني أولوا تأويلات كثيرة في معنى الكلام، لما أولوا ورد عليهم القرآن، ما تقولون في القرآن؟ أهل الأهواء - كما ذكرت - في وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- لهم: (إنهم تتجارى بهم الأهواء) بدعة تجر لبدع، وبدع تجر لمئات البدع إلى أن تكون أميال، تبدأ بشبر ثم تنتهي بأميال، فالبدعة بدعة تأويل كلام الله انسحبت على القرآن عندهم، فاضطروا أن يقولوا أيضًا عن القرآن أنه ليس كلام الله على الحقيقية، وهذا فيه تهوين وسوء أدب مع الله -عز وجل- تهوين شأن القرآن يعني كيف يتصور مسلم أن يعتقد أن القرآن ليس كلام الله؟ هل يكون مثل من يعتقد أن القرآن كلام الله؟ هل يكون مثله؟ لا...، فرق حتى الدعوة قد تكون واحدة، لكن حقيقة الأمر تختلف عن حقيقة الدعوة.

قال: عن القرآن كلام الله أن القرآن كلام الله كأنموذج أو كنوع من كلام الله -عز وجل- كلام الله منه ما هو في كتبه المنزلة، ومنه ما هو كلامه في أمور وردت، ومنه الكلام المطلق الذي متى شاء الله تكلم به، هذا القرآن كلام الله على الحقيقية، وهو كتاب الله المبين، يعني المفصح عن الحق، مبين يشرح يبين يقرر الحق جملة وتفصيلاً، والحبل المتين؛ لأنه بمعنى الوسيلة التي توصل إلى الحق الذي يريده الله، كما يكون الحبل وسيلة لمن يرتقي أي مرتقىً إلى جبل أو إلى غيره يرتقي بحبل إذا كان الحبل قوي، فمعناه أن الوسيلة مأمونة، فكذلك القرآن هو حبل قوي للوصول إلى ما أرضاه الله من عباده، وإلى ما يرضي الله -عز وجل-.

(حبله المتين وصراطه المستقيم تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين) وهو جبريل -عليه السلام- (على قلب سيد المرسلين) بمعنى أنه نزل به على قلب محمد -صلى الله عليه وسلم- والنبي -صلى الله عليه وسلم- أدركه ووعاه في قلبه؛ ولذلك أنواع الوحي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- منها ما هو بالقلب بمعنى أنه

حروف وأصوات يدركها النبي -صلى الله عليه وسلم- بقلبه ويسمعها بسمعه، ومنه ما هو على سبيل الإلهام ونحو ذلك من أنواع الوحي التي وردت في أنواع الوحي.

تقول: ما معنى البُهم؟

السؤال الثاني: بالنسبة لأسماء الله وصفاته عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: (من أحصاها دخل الجنة) طيب من أحصاها عملاً لم يحصها حفظًا يعني عمل بها يعني الرقيب راقب الله -سبحانه وتعالى- وابتعد عن المعاصي الجبار خاف من الله -سبحانه وتعالى- لم يقع في المعاصي؟

السؤال الثالث: بالنسبة للصمد هل هناك حكمة من أنه لم يذكر إلا مرة واحدة في القرآن؟ اسم الصمد في ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١] هل هناك حكمة من أنه لم يذكر غير مرة واحدة في القرآن الكريم؟.

نعم الفقرة الأولى ما يتعلق بتعريف البُهم؟ البُهم هم الذين على الفطرة ما معهم أي وسائل مثل الحيوان البهيم يعني ليس عليهم ملابس يعني على الفطرة الطبيعية تمامًا ولا يملكون شيء، لا يملكون وليس على أجسامهم أي شيء من العلامات أو الأدوات التي تكون عند البشر في الدنيا.

السؤال الثاني تقول: أسماء الله وصفاته هل صحيح أن من أحصاها دخل الجنة؟.

نعم هذا مُفَسَّر من أحصاها بمعنى: آمن بها، مجرد الإحصاء ممكن الكافر يحصيها أليس كذلك؟ ولذلك دائمًا مثل هذه النصوص المجملة ترد إلى النصوص الأخرى وقواعد الشرع، فإذا رددنا هذا المعنى لسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- ولمعاني الإسلام وقواعد الإسلام عرفنا أن المقصود بها أحصاها مؤمنًا بها متدبرًا لمعانيها ملتزم لوازمها، توحيد الله -عز وجل- وطاعته؛ لأن لها لوازم؛ ولذلك أنبه الإخوة المشاهدين أنه يا إخوة أنتم كلما تقفون على أسماء الله وصفاته يجب أن تتدبرونها وأن تجعلونها في قلوبكم؛ لتكون معاني إيمانية وسلوك، من هنا يكون من أحصاها على هذا المنهج بإذن الله فهو يُبشر بالجنة.

تقول: الصمد هل من حكمة؛ لأنه ورد مرة واحدة؟.

والله لا أدري.

أسئلة الحلقة.

السؤال الأول: ما معنى قول الشارح: «يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمون» اشرح هذا المعنى على ضوء النصوص وقواعد الشرع مع الاستدلال؟

السؤال الثاني: قال الشارح: «وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله -تعالى- بخلافه» أريد شرح هذه العبارة مع الدليل؟

الدرس التاسع

تابع فصل (ومن كلام الله تعالى..)

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله -صلى الله عليه وسلم وآله- ورضي الله عن صحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

بعون الله وتوفيقه نستأنف هذا الدرس ونبدأ بقراءة المقطع السابق؛ لأنه متمم للدرس القادم فليتفضل الأخ بقراءة الفصل: (ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم..).

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (فصل، ومن كلام الله - سبحانه- القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين، وحبله المتين، وصراطه المستقيم، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين، بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو سور محكمات وآيات بينات، وحروف وكلمات).

أحسنت، سبق أن شرح مجمل لهذه العبارات، لكن بقيت بعض النقاط يحسن الوقوف عليها، أولاً: قوله: (من كلام الله) لأنه سبق في الدروس الماضية تقرير أن الله -عز وجل- موصوف بالكلام، وأن الكلام كمال لله سبحانه، وأنه يتكلم سبحانه بما شاء كما شاء كيف شاء، وأن كيفية الكلام غير معلومة، وأن هذا تواترت فيه النصوص ثم قال: (وهو كتاب الله المبين) بمعنى المبيِّن، مبين بمعنى: مبيَّن، أي أن القرآن بَيِّنٌ بنفسه، ومُبيِّن للحق بجميع أصوله وفروعه، ومن ذلك أن القرآن بين التوحيد وبين طرق الشرك ونهى عنها، بيَّن التوحيد وأمر به، وبين طرق الشرك ونهى عنها، وبين الحلال وبين الحرام، وبين كل ما يحتاجه الناس من باب الأوامر والنواهي، أو من باب الأخبار والقصص، أو من باب الغيبيات الأخرى الماضية والحاضرة والمستقبلة، فهو إذن مبين عن كل ما يحتاجه البشر.

ثم قال: (وحبله المتين) يعني المقصود بالحبل أنه يوصل إلى الله -عز وجل-، المقصود أن القرآن يتضمن ما يوصل إلى الله -عز وجل- من أصول الحق، والتوحيد والشريعة، وسمي متين؛ لأنه من استمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى كما جاء وصفها في كتاب الله -عز وجل- والعروة الوثقى هي مستمسك الموفق الذي من أخذ به على أسسه ومنهجه فإنه يضمن السلامة، كالحبل الذي يعتمد عليه الإنسان في شيء ما، فإن الحبل إذا كان قوي وموثق فإنه يؤدي إلى ما يراد به، فكذلك الإسلام، والقرآن هو حبل الله المتين الذي يؤدي إلى مراد الله -عز وجل- وإلى السعادة في الدنيا والفلاح في الآخرة.

ثم قال: (صراطه المستقيم) الصراط هو الطريق، يعني هو الطريق إلى الله وهو الطريق إلى الجنة.

ثم قال عن القرآن: (تنزيل رب العالمين) أي أن الله -عز وجل- أنزله.

(نزل به الروح الأمين) يعني جبريل، الروح الأمين هو جبريل.

(على قلب سيد المرسلين) وهو نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، وهو كلمة (سيد المرسلين) تعني أنه سيد الخلق أجمعين؛ لأن الرسل هم أفضل الخلق، وإذا كان نبينا -صلى الله عليه وسلم- هو سيد المرسلين، فمن باب أولى أن يكون سيد جميع الخلق، وذلك باتفاق الأمة أن نبينا -صلى الله عليه وسلم- هو أفضل الخلق أجمعين، ليس فقط الثقلين الإنس والجن، بل أفضل جميع الخلق بما فيهم الملائكة.

(على قلبك) يعني أن الله –عز وجل– أعطاه من القدرة ما استوعب به القرآن ووعاه، فصار –صلى الله عليه وسلم– أفقه الخلق بكتاب الله، والنزول على القلب هنا يعني أنه النبي علم القرآن تعلمه وعلمه وفقهه، وأن الله –عز وجل– أعطاه العلم الكامل بالقرآن، فلذلك جاء كان مسكن هذا العلم هو القلب، قلب النبي –صلى الله عليه وسلم– ثم النبي –صلى الله عليه وسلم– عبر عن كل ما أمره الله به، والذي تضمنه القرآن بلسانه وقوله وفعله، بقوله وفعله وتقريره.

ثم قال: (بلسان عربي مبين) وهذا يعني أن القرآن فصيح، هو أفصح الكلام، كيف لا... وهو كلام الله؛ ولذلك فإن مما أجمع عليه المسلمون أن أفصح كلام هو كلام الله، هو هذا القرآن، وأن أفصح البشر هو نبينا –صلى الله عليه وسلم– الذي أوتي جوامع الكلم وأوتي القرآن.

قال: (منزل غير مخلوق) يعني نزل به جبريل – كما سبق – إلى محمد –صلى الله عليه وسلم– وجبريل علمه وأقرأه لنبينا –صلى الله عليه وسلم– فهو أي القرآن بحروف وأصوات سمعها النبي –صلى الله عليه وسلم– من جبريل، نزل به من عند الله.

(منه بد) أي أن الله ابتدأ الكلام به (وإليه يعود)؛ لأنه ورد في آثار وأحاديث صحيحة أنه عندما تنتهي الدنيا وينتهي الصراع بين الحق والباطل عندما يقبض الله –عز وجل– أرواح المؤمنين بعد نزول عيسى –عليه السلام– والمهدي ووجود المجتمع المسلم التي تُختم به الدنيا، فإن الله يقبض أرواح المؤمنين في آخر لحظة من الدنيا ولا يبقى إلا شرار الخلق، فإن الله –عز وجل– يرفع القرآن من الصدور ومن المصاحف؛ لأنه لم يبقى من يعمل به.

(وهو سور محكمات) السور هي المعروفة مثل سورة الفاتحة سورة البقرة يعني السورة تعني المجموعة من الآيات التي جاءت على نسق واحد، رتبها النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذا الموضع الواحد، تبدأ ببسم الله، وتنتهي بنهاية السورة التي علمنا إياها النبي –صلى الله عليه وسلم–.

(سور محكمات) يعني ليس فيها تناقض ولا غموض ولا لبس، والإحكام هنا بمعنى الإحكام العام ليس معنى الإحكام الخاص.

(وآيات بينات) الآيات هي التي تندرج تحت السور، ف﴿ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ آية ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ آية ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ آية، والقرآن كله تمثل بهذه الآيات، مجموعة العبارات التي حددت من قِبَل النبي –صلى الله عليه وسلم– على أنها آيات هذه تمثل القرآن كله.

ثم قال: (بينات) يعني بينة بمعنى محكمة ترد إلى المعنى السابق، والبيان هنا بيان لغة وبيان المعنى، (بينات)؛ لأنها بلسان عربي مبين، وبينات؛ لأنها أيضًا محكمة والبيان أمر نسبي، بمعنى أن ما أمر الله به وخاطب به البشر أمر بيِّن، لكن هذا البيان يتدرج، هناك ما هو بيِّن لعموم المسلمين، وهناك ما هو بين لبعض طلاب العلم وأهل اللغة ونحوهم من أهل الاختصاص، وهناك ما هو بيِّن لأصحاب الاختصاصات الأخرى، وقد يخفى عليهم، كالمختصين بالإعجاز قد يتبين لهم بعض وجوه في القرآن ما لا يتبين لغيرهم المختصون في التفسير، والمختصون في اللغة وهكذا، كل يتبين له من القرآن بحسب اختصاصه مما قد يخفى على غيره، وهناك ما لا يدركه إلا الراسخون في العلم، فيبقى بيِّن للعموم.

ثم قال: (وحروف وكلمات) أي أنه كلام الله –عز وجل– هذا القرآن يتمثل من هذه الحروف المعلومة التي نجدها تتكون من حروف اللغة العربية الثمانية والعشرين، أ ب ت ث إلى..؛ ولذلك افتتح الله –عز وجل– كثيرًا من السور بحروف ترمز؛ لأن القرآن يتمثل بهذه الحروف وغيرها من الحروف الأخرى مثل ﴿ الم ﴾ وغيرها

من الحروف المركبة والمفردة، فإما هذه الحروف تمثل القرآن، فالقرآن مجموعة حروف وكلمات، وهي التراكيب التي تدل على معاني، فالحمد لله كلمة، رب العالمين كلمة، أو ربما كلمتين، رب كلمة، والعالمين كلمة، فالقرآن يتمثل مما يعرفه العرب، هذا معنى كونه حروف وكلمات، وأيضًا الله -عز وجل- تكلم به على ما يليق بجلاله، نقرأ.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، له أول وآخر، وأجزاء وأبعاض، متلو بالألسنة، محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان، مكتوب في المصاحف).

نعم، هذه كلها خصائص للقرآن وصفاته، بمعنى أن هذا القرآن نظرًا لأنه سور وآيات وكلمات وحروف بلسان عربي مبين، فإن له أحكام وخصائص تتفرع عن هذه الأصول والثوابت، من هذه الأحكام: الأجر الذي وعد الله به من قرأه، إذا توافرت فيه الشروط: النية والصدق والإيمان به إلى آخره، إذا توافرت شروط تحصيل الأجر، وهي معروفة فإن من قرأه فأعربه بمعنى: أقامه على اللغة العربية من غير لحن، فله بكل حرف عشر حسنات، كما ورد في هذا الحديث - لكنه ضعيف- إنما هذا يفسره أحاديث أخرى صحيحة، مثل قوله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأه ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران) ومثل قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (أن من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات) ثم قال -صلى الله عليه وسلم-: (لا أقول ﴿ الم ﴾ حرف لكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف)، أما الحديث الذي ورد بهذا اللفظ (بكل حرف عشر حسنات) مطلقًا أي من قرأه فأعربه فهذا ضعيف، لكن يفسره أو نأخذ بالمعنى الآخر وهو أصح.

(له أول وآخر) له أول وآخر من عدة اعتبارات: أشهر هذه الاعتبارات أن له أول من حيث سوره، القرآن أوله سوره الفاتحة، وآخره سوره الناس، النبي -صلى الله عليه وسلم- رتبه هكذا، ومن حيث النزول كذلك، أول القرآن على المشهور: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١]، وآخر سورة في القرآن سورة ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [الفتح: ١]، سورة الفتح ومع ذلك اختلف بعض أهل العلم في آخر ما نزل، بعضهم اعتبر الآخر بالنسبة للآيات، وبعضهم اعتبرها بالنسبة للسور، لكن في الجملة هذا الذي عليه جمهور أهل الاختصاص، فهذا معنى كون القرآن له أول وآخر وله معاني أخرى أيضًا.

يقول: لماذا لا يمكن تدريس العقيدة من خلال كتب تكون صافية من القرآن والسنة؟ لماذا ردود الأشاعرة الماتريدية فيصير تلقي الإنسان لها أصعب وأصعب؟.

هذا سؤال مهم جدًا في منهجية تعليم العقيدة، لا شك أن عقيدة السلف أصلاً ترتكز على القرآن والسنة، وما من شيء في العقيدة عندنا إلا ونقول: قال الله قال رسوله -صلى الله عليه وسلم-، هذا أمر، الأمر الآخر: أن أصول العقيدة وثوابتها كثير منها يحتاج إلى استمداد من القرآن، يعني لا يمكن في مثل هذا الوقت بعد ما ضعفت العربية وتشتت الأمة إلى فرق وكثرت الأهواء والبدع وشاعت الشبهات عند الكثيرين، لا يمكن للإنسان غير المتخصص في العقيدة أو غير العلماء الراسخين أن يستمد ثوابت العقيدة بنفسه من النصوص، فمن هنا نحتاج إلى مثل هذا المنهج الذي ندرسه من أجل أن نعرف الثوابت، ونعلمها من خلال النصوص، بعرض ميسر معنصر بَيِّن يتفادى الشبهات ويرد على المقالات.

الأمر الآخر: ولعل السائل يشير إلى هذا: أن الأصل في تعلم العقيدة أن المبتدئ وعامة المسلمين لا يدخلون في الخلافات أصلاً، نعلمهم ثوابت العقيدة من خلال القرآن والسنة فعلاً، فإذا علمناهم ثوابت العقيدة فتأتي مرحلة لمن أراد أن يستزيد من طلب العلم، هذا أيضًا يمكن أن نعطيه الكتب الموسعة التي تقرر العقيدة بشيء من التفصيلات، تأتي مرحلة ثالثة وهي: أنه إذا كان هناك طالب علم يريد أن يتخصص في العقيدة ويدافع عنها

ويدفع عنها الشبهات والأباطيل التي أدخلت من قِبَل أهل الأهواء والبدع والافتراق فلابد أن نعلمه أصول البدع والأهواء والافتراق، من أجل أن يرد على نهج سليم.

ثم أيضًا أخيرًا في جواب هذا السؤال: نحن نرى أن طالب العلم المبتدئ حتى وإن تعلم، لا يلزمه أن يستعجل الرد حتى يتعين عليه هذا، أما ما يحدث من تجاوزات بعض طلاب العلم في أنهم يستعجلون الكلام في الردود، ويستعجلون أيضًا المناقشات، وهم غير مؤهلين فهذا خطأهم ليس خطأ المنهج الذي نحن عليه.

يقول: لا شك أن القرآن هو كلام الله –تعالى– لكن ما توجيه قول الله –تعالى– في سورة الحاقة: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة: ٤٠]؟

السؤال الثاني: حول قول الله –تعالى–: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠]، هل يا فضيلة الشيخ من يشتغل بحفظ القرآن دون أن يختمه يكون داخل في هذه الآية؟

السؤال الثالث: الذي لا يحفظ القرآن ثم لا يختمه، كم القدر الذي يحكم بأن هذا الشخص هجر القرآن؟ هل لو ما ختم في شهر أو أقل أو أكثر؟ متى يكون هاجر حفظكم الله؟.

يقول: ذكرت يا شيخ أن كلام الله لا يُكيف، وأن القرآن نزل بكلام الله كيف نوجه الأمر؟ هل هذا تشبيه له بأنه كلام الله؟.

يقول: القرآن كلام الله كيف نجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾؟.

على أي حال أذكر السائل وغيره من إخواني المشاهدين بقاعدة في الاستدلال بها تتقرر أصول الاعتقاد وتندفع توهم التعارض دائمًا، هو أننا نورد النصوص إلى النصوص، فلابد من تفسير مثل هذا النص بالنصوص الأخرى؛ لأن الله –عز وجل– ذكر أنه تكلم بالقرآن، وقال عن النبي –صلى الله عليه وسلم– عن المستجير من المشرك قال: ﴿ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ﴾ [التوبة: ٦]، الذي هو القرآن، ثم أيضًا الله –عز وجل– قال عن كلامه لموسى وهو من جنس كلام الله هو كالقرآن، ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]، وثبت في النصوص الصحيحة أن الله –عز وجل– يتكلم يوم القيامة بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قَرُب، وثبت بقواطع النصوص أن القرآن من كلام الله ليس هو كل كلام الله، القرآن من كلام الله، فمن هنا تكون هذه القواعد هي الحاكمة يأتي تفسير الكلمة التي وردت عند السائل وهو عبارة ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ بمعنى الذي نقله، (نزل به الروح الأمين) أي: لما نزل به، هذا تفسير من تفاسير هذا المعنى، وإلا ورد في تفسير هذا المعنى معاني كثيرة، لكن هذا هو الظاهر من سياق النص، هذا قول ناقل وليس قول مبتدئ، جبريل ناقل للقرآن فهو قول له حينما نقله، لم يبتدئ به.

فإذن يا شيخ يسأل عن قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ يقول: هل من يقرأ القرآن يكون من من؟.

الهجر عام وأيضًا نسبي، أولاً: من هجر القرآن هجر العمل به، وهذا هو الذي يقتضيه سياق الآية، يعني أول درجات الهجر، هجر العمل به، ويدخل في هجر القرآن هجر التلاوة ولا شك، فالهجر يشمل النوعين، بقي متى يكون الهجر؟ الإنسان مثلاً لو ما قرأ قرآن كل أسبوع مرة أو في الشهر مرة نقول: هذا أمر نسبي في الحقيقة بحسب حال الشخص هو لا يليق أن الإنسان يهجر القرآن، نعرف أن المسلم لابد أن يقرأ القرآن يوميًا ولا شك،

وما الحال التي يقرأ فيها القرآن؟ في صلاته، لكن هل يكفي هذا؟ هل يعتبر من قرأ القرآن في الصلاة يعني لم يهجر القرآن؟ نقول: لا، ما يكفي القراءة؛ لأن هذه قراءة فرض، هناك فرض آخر ووجه آخر وهو تعهد القرآن بالتلاوة والتدبر، إذن فمسألة الهجر أمر نسبي، لكن لا يليق المسلم يمر ثلاثة أيام ما قرأ شيئًا من كتاب الله غير قراءة الصلاة.

يقول: السماع هل يجزي عن القراءة؟.

أي نعم، أرجو أن السماع يعني إذا كان الإنسان مشغول، أولاً: كثير من المسلمين لا يقرءون، وقد يكون حفظهم قليل، فحفظهم قليل، الحفظ للقرآن قليل، فهذا يكفيه السماع.

الأمر الثاني: لا شك أن سماع القرآن من القراء، ومن الأشرطة، ونحوها هو جزء من تعهد القرآن، ويعتبر من تعهد القرآن بالسماع من أشرطة، أو من القراء نوع من -إن شاء الله- المواصلة، ويكون يسلم من الهجر، لكن لا يكون هذا ديدنه، يتكل دائمًا على سماع أشرطة أو سماع القراء، بل ينبغي أن يتعهد القرآن بما حفظ منه، أو من حفظه كله أو بالقراءة بالمصحف.

يقول: بالنسبة لقراءة القرآن، هل هناك ترتيب مقدار معين في اليوم لكي يكون خارج عن هجر القرآن؟.

ما ورد تحديد توقيفي فيما أعلم، لم يرد تحديد توقيفي فيما أعلم، الأقل والأكثر.

يسأل عن: أن كلام الله -جل وعلا- لا يُكيف؟.

القصد الكيفية التي تكلم الله بها، هذا أمر لا نعلمه، لكن إذا قلنا: إن الله تكلم بالقرآن، وبحرف وصوت كما سبق، فهذا وردت به النصوص، وهذا أيضًا لا يكيف، وما أشتبه على السائل أمر يرد في ذهن كل إنسان أنه قد يتخيل، لكن نرجعه للقاعدة السابقة، وهي أن الله -عز وجل-: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، وهو أيضًا المتكلم كما يليق بجلاله، فإذا حكمنا قاعدة ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ فلابد أن نثبت ما ثبتت به النصوص، منها أن الله تكلم بالقرآن وأنه يتكلم أيضًا بحرف وصوت، والقرآن أيضًا بصوت وحرف، وأن هذا الكلام يليق بالله سبحانه، والتوهم يجب أن يُطرد يجب أن يستعيذ بالله، المسلم يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم من مثل هذه الأوهام، لكن لا يتسلط على النصوص فيؤولها ويعطلها.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (مكتوب في المصاحف، فيه محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونهي، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]).

أحسنت، هذا استكمال لخصائص القرآن وفضائله، وما احتوى عليه من أصول الحق وفروعه، فقال: (له أول كما سبق (وآخر وأجزاء وأبعاض) أجزاء وأبعاض نعني بها أنه تكون من سور وآيات، وأيضًا أجزاء بمعنى الجزء الأول الجزء الثاني إلى الثلاثين، وهذه الأجزاء تتبعض أيضًا إلى أحزاب وهكذا، ثم أيضًا يتكون من كونه سور وآيات وحروف وكلمات وأبعاض، هذا أيضًا تعني بمعنى أجزاء، أن القرآن يتبعض من حيث سياقه، ومن حيث معانيه من حيث السياق كما ذكرت في السور والآيات إلى آخره، ومن حيث معانيه أيضًا يتبعض.

(متلو بالألسنة) بمعنى أن القراء الذين يقرؤونه، يقرؤونه بألسنتهم (ومحفوظ في الصدور) بما أن الله -عز وجل- يسر حفظه لمن حفظه من المسلمين، في صدور الناس الذين يحفظونه، (مسموع بالأذان) بمعنى أننا إذا قرأناه نسمعه ونسمع غيرنا، لكن هذا الذي نسمعه هو صوت القارئ لا صوت الرب -عز وجل، وهذا يجب أن

يعتقده المسلم جزمًا، من أجل دفع الشبهات التي أثارها السائل قبل قليل، ندفع الشبهات، نعلم أن المسموع بالآذان هو قراءتنا نحن، أو قراءة غيرنا من البشر.

(مكتوب في المصاحف) يعني: أن كلام الله -عز وجل- الذي تكلم به بحرف وصوت تحول إلى هذا المكتوب بالمداد وبالأوراق، المداد والأوراق مخلوقة، لكن القرآن في حقيقته كلام الله بحروفه ومعانيه.

ثم قال: (فيه محكم ومتشابه) هنا الإحكام الخاص والتشابه الخاص، والأحكام العام والتشابه العام على الحال، لعل هذا سيأتي لكن من المناسب أن أشرح أبسط معنى للإحكام والتشابه هنا، وهو المعنى الذي ينبغي أن يتبادر للذهن ابتداءً، وهو المقصود بالمحكم هنا، البين الذي لا يخفى على أكثر الناس، والمتشابه الذي يخفى على الكثيرين، يحتاج إلى بيان من قِبَل أهل الاختصاص.

ثم قال: (وناسخ ومنسوخ) يعني أن هناك من آيات القرآن ما ورد خاصة في الأحكام، بل لا يكون النسخ إلا في الأحكام، هناك أحكام وردت في القرآن بآيات نسختها آيات أخرى، والنسخ هنا يعني أنواع النسخ، لكن لعل الأظهر هنا هو النسخ نسخ الحكم لا نسخ التلاوة، كما تدرج يعني حد الزنا من مجرد الحبس ثم بعد ذلك نسخ ظاهر الآية بالسنة، وأيضًا بالجلد، وهذا ورد في القرآن، فمن هنا هذا النسخ يعني بقاء نص من آيات القرآن مع نسخ الحكم، فالنسخ هنا لا يعني نسخ الحروف إنما نسخ الحكم، وهذا كثير.

(ناسخ ومنسوخ وخاص وعام) والخصوص والعموم أيضًا أمر نسبي.

(وأمر ونهي) يعني أمر بفعل أشياء ونهي عن فعل أشياء، مثل قوله -عز وجل-: ﴿ وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء: ٣٦] عبارة: ﴿ وَاعْبُدُوا اللهَ ﴾ هذه أمر ﴿ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ هذه نهي.

ثم قال: (لا يأتيه الباطل) يعني القرآن لا يمكن أن يرد إليه أي نوع من أنواع الباطل، سواءً هذا الباطل في ذاته لا يمكن، ولا مما يرد إليه من الخلق، ما يمكن أن يتطرق إليه الباطل، فكما أنه كلام الله المتقن الذي لا يمكن أن ترد فيه الشبهات كذلك الله -عز وجل- حفظه من عبث العابثين وإخلال المخلين؛ ولذلك تحدى الله به جميع البشر بأن يأتوا بمثله، فلا يأتيه الباطل بالزيادة والنقص ولا التحريف، ولا الشبهات ولا غيره من بين يديه ولا من خلفه.

(تنزيل من حكيم حميد) وهو الله -عز وجل-.

ثم قال: وعلى سبيل التحدي بهذا القرآن: (﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾) وهذا المثل يشمل القرآن كله ويشمل السور ويشمل الآيات، بل ولا حتى كلمة، بقي التحدي في أجزائه وفي جملته، لا يأتون بمثله على الإطلاق، ولا يقدر أحد من المخلوقين إلى قيام الساعة وإلى الأبد أن يأتي بمثل هذا القرآن، ﴿ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ يعني لو أنهم تظاهروا كلهم، اجتمعت قواهم ويملكون من القوة العقلية والمادية لا يمكن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وهو هذا الكتاب العربي يعني هذا القرآن الذي لا يزال يمثل قمة الفصاحة والبيان العربي ولم يزال، إلى يوم القيامة.

يقول: ربما يقول قائل: أن القرآن نزل في عصر مضى على عصر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولم يكن هناك من التقدم والرقي أو الحضارة الموجودة، الآن فهل يناسب القرآن ما هو موجود عندنا من حضارات أي مناسب لكل عصر وزمان؟.

أي لا شك، القرآن هو دستور للبشرية إلى قيام الساعة، والقرآن أيضًا ليس مجرد أخبار، يقال: إنه مثلاً تضمن أخبار عن المخترعات والعلوم الحديثة، أيضًا القرآن تضمن وضع نظام تسيير الحياة، وأيضًا يتمثل في تشجيع البشرية على النظر في ملكوت الله، وتقدم العلم وازدهاره، فالقرآن معجزة من هذا الجانب، كما أنه نظام ينظم الحياة قديمًا وحديثًا، فهو كذلك أيضًا يتضمن البواعث على رقي الحياة، يأمر بها ويرشد إليها ولا يزال، لكن البشرية قد تحرم من الاستفادة من القرآن بسبب الأعراف، والمسلمون أيضًا قد يحرمون من بعض فوائد القرآن بسبب تقصيرهم في اكتشاف الأصول والثوابت والمنهاج، منهاج الحياة في القرآن، وإلا فالقرآن بذاته لا شك أنه يمثل منهج حياة من جميع مناشط الحياة في الدين والدنيا وإلى قيام الساعة للبشرية جمعاء.

تقول: أنا معلمة قرآن وأدرس مستوى الأمهات، وأعاني من عدم تثبيت حفظهم رغم محاولتي لتفسير السورة لهم فما نصيحتك لي ولهم؟.

الناحية الأولى: سددوا وقاربوا، أنا رأيي أنكِ تستفيدين من تجارب الأخريات.

الناحية الثانية: أنا رأيي أنه يختلف وجه التعامل مع الدارسات، لا تعامليهن معاملة واحدة، وأنت من خلال التعامل معهن صنفيهن إلى عدة أصناف، فلا شك أن درجة الحفظ تختلف، فلا تعامليهن معاملة واحدة.

الناحية الثالثة: أن الآلة للحفظ تختلف من امرأة إلى أخرى، فنوعي آلية طلب الحفظ، وأهم من هذا ما قلته قبل قليل: الاستفادة من تجارب الأخريات في تحفيظ الكبار.

يقول: قراءة القرآن تجويدًا تيسر على فهم القرآن وفهم معانيه، فما حكم تعلم التجويد بحيث أن هناك بعض الكلمات في القرآن لو اختلف التشكيل اختل المعنى، فما حكم تعلم التجويد؟.

تعلم التجويد من الأمور المتممة للعناية بكتاب الله -عز وجل- ليس من الضروريات إلا للمختصين، التجويد علم وسيلة لضبط القرآن؛ ولذلك يجب أن نفرق، أما بالنسبة للمتخصصين من طلاب العلم المعنيين بكتاب الله -عز وجل- يجب عليهم أن يعنوا بالتجويد، وأن يقرءوا بتجويد، وأما ما عداهم فهذا قد يكون فيه عسر، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها فنسدد ونقارب، ونعطي الناس بقدر قدراتها.

يقول: هل ثبت أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كلم الله -جل وعلا- وهل يصح أن نقول: أنه هو كليم الله؟.

الكلام بالمعنى الحقيقي الذي ثبت لموسى لم يثبت للنبي -صلى الله عليه وسلم- فيما أعلم على الوجه الذي ثبت لموسى؛ ولهذا اختص الله به موسى، وإن كان النبي -صلى الله عليه وسلم- هو أفضل جميع النبيين والمرسلين هذا في الجملة؛ لأن هذه مسألة تفصيلية، قد لا يناسب الكلام فيها على جهة التفصيل فإذن الكلام الذي وصفه الله -عز وجل- لموسى لم يحدث لأحد غير موسى، لا لنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- ولا لغيره في الدنيا، هذا في الدنيا.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (وهو هذا الكتاب العربي الذي قال فيه الذين كفروا: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ ﴾ [سبأ: ٣١]، وقال بعضهم: ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ [المدثر: ٢٥]، فقال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر: ٢٦]، وقال بعضهم: هو شعر، فقال الله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس: ٦٩]، فلما نفى الله عنه أنه شعر وأثبته قرآنًا لم يبقى شبهة لذي لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي هو كلمات وحروف وآيات؛ لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد إنه شعر، وقال -عز وجل-: ﴿ وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣]، ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يدري ما هو ولا يعقل، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ

آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ﴾ [يونس: ١٥]، فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلى، وقال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٧٧- ٧٩]، بعد أن أقسم على ذلك، وقال تعالى: ﴿ كهيعص ﴾ [مريم: ١]، وقال تعالى: ﴿ حم ﴿١﴾ عسق ﴾ [الشورى: ١، ٢] وافتتح تسعًا وعشرين من سوره بالحروف المقطعة، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة) حديث صحيح، وقال -عليه الصلاة والسلام-: (اقرءوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم، يتعجلون أجره ولا يتأجلونه)، وقال أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما-: «إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه» وقال علي -رضي الله عنه-: «من كفر بحرف فقد كفر به كله» واتفق المسلمون على عد سور القرآن وعد آياته وكلماته وحروفه).

هذا المقطع كله يتعلق بمسألة واحدة، ولا نطيل فيه لأن هذه مسألة واضحة، هو أن المؤلف أشار إلى قضية قطعية اتفق عليها أهل العلم بل جميع من اطلع على القرآن يدرك هذه القطعية الأصلية، وهو أن هذا القرآن الذي تحدى الله به البشر أن يأتوا بمثله بما فيهم فصحاء العرب ليس من جنس ما لا يعرفونه، ليس ألغاز ولا أحادي ولا مجازات والقرآن، أيضًا ليس بلغة غير لغتهم، ولا حتى تخصص في نوع من اللهجات الغامضة على بقية العرب، بل هذا القرآن يتكون من لغة العرب الفصحى التي يدركها كل العرب، بل إن القرآن يمثل أعلى وأفصح ما عرفته العرب من اللهجات العربية، هو في جملته بلغة قريش، ولكن تضمن للهجات العرب الأخرى، أفضلها وأعلاها، فصار القرآن من النوع الذي يعرفه الناس، يعرفه العرب في كلماته وحروفه ومعانيه، إذن التحدي لا يعني أن القرآن فيه شيء معجز في نوعه بالجملة، ولا أنه بلغة يعجز الناس أن يتكلموا عنها، إذن الإعجاز جاء بأن كان في أمر يعرفه العرب، وكل عربي إلى قيام الساعة، وهذا يعطي الإعجاز وضوح وقوة؛ ولذلك نجد أن كل متمكن من اللغة العربية وأخص بذلك الذين عندهم نوع من الزيغ – نسأل الله السلامة – يعني في العصور المتأخرة بعض أصحاب النزاعات الأدبية التي عندهم نوع من الزيغ يقفون مع القرآن ثم يعترفون بأنه معجز، كبار الأدباء واللغويون إلى الآن حتى الذين ليس عندهم نوع من التدين أو الفقه في الدين نجدهم يقرون ما داموا عرفوا، ومن أهل العربية يقرون بأن القرآن لا زال معجز لا في لغته بل معجز في تركيبه ونظمه، اللغة مدركة، يعني ما في القرآن كلمة غامضة، حتى الكلمات المعربة التي استعملها القرآن سائرة عند العرب وتحولت إلى مصطلح عربي، فمن هنا قوي ولا يزال الإعجاز قوي.

قبل أن نسترسل في القراءة أحب أن أشير إلى أسئلة هذه الحلقة.

السؤال الأول: اذكر ثلاثة أقوال للجاحدين للقرآن؟ والرد عليهم بإيجاز؟

السؤال الثاني: ما معنى أعربه؟ فيما أثر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وإن كان الحديث ضعيف لكن العبارة تحتاج إلى شرح بصرف النظر عن صحة الحديث ما معنى أعربه في حديث: (من قرأ القرآن فأعربه) ما معنى أعربه؟

إجابة أسئلة الحلقة الماضية.

السؤال الأول: معنى قول الشارح وكل ما تخيل أو خطر في البال فإن الله بخلافه؟

أجابت الأخت الكريمة عن السؤال الأول قالت: لا شك أن كل ما يخطر في الأذهان من خيالات وخواطر فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته، مجرد تصورات وانطباعات تقتضيها مفاهيم مرتبطة بخلفيات هي نتائج حتمية للتجارب الحياتية لدى الإنسان، ولكن لا تبلغ الكيفية؛ لأن كل ما يخطر في الأذهان فالله سبحانه بخلافه، والله –

سبحانه وتعالى- أعظم وأجل من أن تدركه المدارك، فهو سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ قاعدة عظيمة يستمدها المسلم من تلك الآية لحماية معتقده من كل ما يعتريه من خيالات وخواطر.

ما شاء الله، هذا جواب متقن في الحقيقة ويدل على صفاء في التصور، والحمد لله.

السؤال الثاني: وهو قول الشارح: (يكلمهم ويكلمونه)؟

أجابت الأخت الكريمة عن السؤال الثاني: تقول: أن كلام الله -جل وعلا- حقيقي يسمع، قال تعالى: ﴿ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ﴾ وورد في الحديث: (يسمعه من قَرُب كما يسمعه من بَعُد) وأجمع السلف على ثبوت الكلام لله -جل وعلا- فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

هذا أيضًا جواب جيد، الحقيقة لا أقول هذا مجاملة، عموم الأسئلة في هذه الحلقة والتي قبلها، الأجوبة تدل بحمد الله على صفاء العقيدة عند عامة المسلمين وهذا مما يبشر بالخير.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من هذا القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفًا متفقًا عليه أنه كافر، وفي هذا حجة قاطعة على أنه حروف).

نعم، هذا استكمال للكلام السابق، أولاً قول علي -رضي الله عنه- هذه قاعدة عظيمة، وأجمع عليها المسلمون، وهي من ثوابت الدين ومسلماته، يعني لا تحتاج إلى نقاش ولم يناقش فيها أحد معتبر من المسلمين حتى بفرقهم التي ضلت عن السنة في كثير من الأصول، هم يجمعون على أن من جحد - ولو حرف من القرآن - هذا معناه كفر، وقد وقع في الكفر، يعني من كفر بحرف - من جحد حرفًا - فقد كفر الكفر المخرج من الملة، وكأنه كفر به كله؛ لأن القرآن لا يتجزأ من حيث الاعتقاد، يجب أن نعتقده كله، ما نقول: هذا مضمون وهذا مجزوم، وهكذا سائر الثوابت، والقرآن هو أعظم الثوابت فيما يتعلق بمصادر التلقي، واتفق المسلمون على عد سور القرآن، يعني معدودة سور حددها النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي مائة وأربعة عشر سورة، وكلماته كذلك، وإن كان اختلف في عدد الكلمات، وهذا راجع إلى القراءات أو بعض العبارات التي هل هي كلمة أو لا، وإلا فالقرآن يعني آياته تزيد على ستمائة وستة آلاف ومائتين آية، الآيات بمعنى هذه المحددة ذات الفقرات التي نعرفها برسمها في المصحف تسمى آيات، وحروفه كذلك، اتفقوا على حروف القرآن، لكن قد يكون تنوع القراءات يشكل على غير المختصين؛ لأن بعض القراءات يكون فيها زيادة حرف أو نقص حرف، وهذا ليس راجع إلى زيادة القرآن، راجع إلى لغة العرب في استعمال الألفاظ، وهذا نادر، ومعروف أيضًا هذا من أجل أن لا ترد شبهات بأن هناك شيء من الإشكال أو في عدد حروف القرآن، قال: (ولا خلاف بين المسلمين بأن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرف متفق عليه أنه كافر) قال: (متفق عليه)؛ لأنه - كما قلت لكم - في بعض القراءات قد يكون بعض الحروف يكون عليها خلاف، لا يرجع إلى الخلاف في حروف القرآن بذاته، إنما يرجع إلى نوع القراءة، القراءة سواء المتواترة منها أو ما دون ذلك، والله أعلم.

يقول: عندنا هنا في الجزائر يقرءون القرآن جماعي في الجنائز فما حكم ذلك؟.

القراءة الجماعية في مثل هذه الحالة بدعة لا أصل لها.

يقول: هل القرآن كتاب هداية أم كتاب علم أو هما معًا؟.

القرآن كتاب هداية وعلم هما معًا وغيرهما، القرآن شامل لكل الخير.

يقول: كثير من الذين أسلموا حديثًا لم يقرءوا باللغة العربية ويعتمدون على المصاحف المترجمة المعاني فهل هم مأجورين كمن يقرأ باللغة العربية؟.

نرجو ذلك -إن شاء الله- نرجو الأجر، لا شك أنهم مأجورين، لكن يبقى هل يشملهم التحديد يعني من قرأ حرف، بأنه بكل حرف عشر حسنات، يظهر لي - والله أعلم - أن هذا لا يتأتى في ترجمة المعاني، لكنهم مأجورون، مأجورون -إن شاء الله- حتى لو قرءوا غير القرآن إذا قرءوا كتب العلم احتسابًا فلا شك أن لهم أجراً فهذا يحتسب عند الله -عز وجل- وفضل الله واسع.

هل نقول يا شيخ أنه يجب في حقهم تعلم اللغة العربية مثلاً أو الأفضل في حقهم؟.

لا شك، أن المسلم الأعجمي يعني يجب عليه أن يبذل جهده ما استطاع في أن يتعلم العربية؛ لأنها لغة القرآن ولغة الفقه في الدين ما استطاع ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

تقول: من يجد الوسواس في العقيدة والذات علمًا بأنه يجاهد نفسه لكنها تأبى إلا الزيادة، ويخشى على نفسه من الشرك - والعياذ بالله- فماذا يصنع إذا اشتدت به هذه الوساوس؟.

الأمر الأول: على أي حال ينبغي في مثل هذه الحالة أن يعلم صاحبها أو صاحبتها أنه -إن شاء الله- ما دام يحس بخطأ هذه الخطرات فمعناه أنه عنده إيمان فيبشر -إن شاء الله- بالشفاء العاجل.

الأمر الثاني: أنه يجب أن يدفع هذا بالانصراف عند التفكير في هذه الأمور، يصرف نفسه بتلاوة القرآن، بالانشغال حتى بالأمور المادية، لو يشغل نفسه ويحضر مجالس العلم، يتحرى المواطن التي تشغل باله أيًا كان نوعها من المواطن المباحة عن هذه الخواطر.

الأمر الثالث: إذا حرصت أو حرص أمثال من يقعون في مثل هذه الأمور وبذلوا الجهد ولم يشفوا أو لم يجدوا الشفاء العاجل، فأنا أرى أن يتوجب عليهم أن يتوجهوا للعيادات النفسية؛ لأن الوسواس القهري أو ما يشبهه غالبًا يكون نتيجة مرض عضوي في الرأس والمخ وغيره، فلابد أن يتجه إلى العلاج النفسي عبر العيادات والأطباء المأمونين وإن شاء الله يجد الشفاء العاجل - بإذن الله - وهذا أمر جُرِّبَ.

الأمر الرابع: لعلها كلمة أخيرة بالنسبة للذين يصابون أو يبتلون بمثل هذا: إن بعضهم ربما يعتبر زيارة العيادات النفسية من الأمور التي هي مُعابة عند المجتمع وهذا خطأ، خطأ فادح بل يتعارض مع قانون النبي - صلى الله عليه وسلم-: (تداووا عباد الله) وأيضًا الإخبار بأن الله -عز وجل- جعل لكل داء دواءً، فهذا أمر قد يحجب بعض الناس، وهو الاستشفاء الذي به تنفى عقيدته ويعبد الله على يقين، ويجب على من يشعر بهذا أن يتجه للعيادات النفسية بعد العلاج المعنوي بالقرآن والرقية وغير ذلك مما هو معروف.

تقول: كيف نجمع بين أن الأمور الغيبية لا يجوز الخوض فيها إلا بما ورد عن الله -جل وعلا- وعن رسوله -صلى الله عليه وسلم- وأننا نقرأ كثيرًا عن وصف السلف للجنة، ويوم القيامة والحور العين وأوصاف من خيالهم لبعض الناس وترقيق قلوبهم؟.

على أي حال هذه اجتهادات خاطئة، إذا حدث من بعض السلف، خاصة بعض العباد، وبعض الوعاظ والقصاص من أتوا بأوصاف عن أحوال القيامة غير ما ورد في الكتاب والسنة على أنها ثوابت، فهذا خطأ ويجب أن يُرد، لكن أحيانًا بعض الوعاظ وبعض العلماء يستعمل العبارات المرادفة لما ورد في الشرع يتوسع في

المعاني والشرح لوصف نعيم الجنة – نسأل الله أن يجعلنا وجميع المشاهدين من أهلها – قد يتوسع فهذا مما يباح، لكن يجب أن يميز بين ما هو من الثوابت والقطعيات وبين ما هو من بيان الشرح والبيان.

يقول: في الآونة الأخيرة كثرت الاعتقادات أن بعض الناس يجمعون بعض سور القرآن وعدد سور القرآن وعدد آيات السور ويستدلون بها على وقائع تقع في العصر الحاضر بأنه من الإعجاز القرآني فهل مثل هذا يصح يا شيخ؟.

هذا بالنسبة لماذا؟ بالنسبة للتعبد بالقرآن وتلاوته تقصد؟

لا يا شيخ، يعتقدون مثلاً أحداث تقع...

التعلق بأراقم أو بأحوال تناسب الآيات ونحو ذلك، هذا فيه حد ممنوع وحد مشروع، يعني إذا كان الأمر تعلق مثلاً بأمور ليس لها دليل من القرآن أو ليس لها أصول ترجع إلى أصول شرعية في الاستدلال، أو في قواعد الشرع، فهذه وإن حصل فيها فائدة أحيانًا فهي تدخل في نوع دجل، استعمال القرآن حتى الدجالين والسحرة والمشعوذين يلبسون على الناس في استعمال آيات من القرآن، ثم يخلطونها وهذا من الابتلاء، فأنا أقول: حتى لو استفاد بعض الناس من الطرق غير المشروعة في استخدام القرآن فهذا من الابتلاء والاستدراج إلى الفتنة والبدعة فيجب أن يحذره المسلم ما لم يكن الأمر بين يتماشى مع آيات بينات مع أحاديث تجارب السلف المبنية على الأصول والثوابت ما لم يتماشى مع قواعد الشرع، والذي يجهل هذا يرجع إلى أهل العلم، أغلب ممارسات الناس في ما يتعلق بالتعلق بالقرآن كأرقام أو جمع آيات على غير منهج سواءً بالحصر أو العدد أو النوع أو الجنس أو نحو ذلك، هذا كله من باب الفتنة ويجب أن يتجنبه المسلم ويسأله أهل العلم عن وجه ذلك.

يقول: في بعض الأسواق يوجد مصاحف فيها سور معينة من القرآن خمس سور سورة يس وبعض السور تفرد في مصحف واحد، فهل هذا يصح يا شيخ؟.

إذا كانت مرتبة على ترتيب القرآن فلا حرج؛ لأنه الآن يحتاج الحفاظ إلى إفراد أجزاء من القرآن كل جزء وحده، هذا لا حرج، أما إذا كان هذا الجمع على وجه يخلط بين سور غير متوالية فهذا فيه نظر، ما أدري ما السبب، ولكن إذا كان ليس هناك سبب شرعي كأن يكون مثلاً يتحدث عن موضوع حكم من الأحكام الشرعية، ثم يسرد السور التي وردت في هذا الحكم من باب الاستدلال فهذا لا حرج، لكن أظنه نادر، فلا نفتح الباب، وأنا أقول: الخلط بين السور بهذه الطريقة غير مشروع وبدعة، ويجب تنبيه أهل العلم عليه، وأهل الحسبة والجهات المسئولة قبل أن تتمكن مثل هذه البدع في قلوب الناس.

الدرس العاشر

من قول المؤلف: (والمؤمنون يرون ربهم..)

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى وآله، ورضي الله عن صحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

بعون الله وتوفيقه نستأنف الدرس في لمعة الاعتقاد، وقفنا اليوم على موضوع الرؤية، وقبل أن نقرأ أحب أن أعرض الأسئلة لهذه الحلقة:

السؤال الأول: الله -عز وجل- حصر الرؤية للمؤمنين يوم القيامة فما دليل ذلك؟ وأين تكون الرؤية؟ يعني في أي مشاهد القيامة.

السؤال الثاني: اذكر مراتب القدر مع دليل كل مرتبة وماذا تعني كل مرتبة من هذه المراتب؟

هذان السؤالان من ضمن ما سنتطرق إليه في هذا الدرس، والآن تفضل يا أخي الكريم بقراءة الفصل الذي وقفنا عليه.

قال الإمام الموفق ابن قدامة -رحمه الله تعالى-: (فصل: والمؤمنون يرون ربهم بأبصارهم ويزورونه ويكلمهم ويكلمونه قال الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥]، فلما حجب أولئك في حال السخط، دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضا، وإلا لم يكن بينهما فرق، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته) حديث صحيح متفق عليه، وهذا تشبيه للرؤية لا للمرء، فإن الله -تعالى- لا شبيه له ولا نظير).

أحسنت، هذا الموضوع يعتبر من ثوابت العقيدة، من مسلمات الدين، وهو موضوع الرؤية، هكذا يعنون له الرؤية، وسيأتي بعد قليل أنواع الرؤية، المهم أن الرؤية من ثوابت الدين ومن قطعياته، ومن أصول الاعتقاد التي تواترت بها النصوص القرآن والسنة وأجمع عليها السلف الصالح، والمقصود بالرؤية رؤية الناس لربهم، وهي على نوعين:

النوع الأول: رؤية الناس في المحشر لربهم -عز وجل-.

والنوع الثاني: رؤية المؤمنين لربهم في الجنة بأبصارهم نسأل الله أن يمتعنا جميعًا بذلك، رؤية المؤمنين لربهم في الجنة بأبصارهم على ما يليق بجلال الله -عز وجل-، وهذه تسمى الرؤية الخاصة؛ لأن الله اختص بها المؤمنين؛ ولأنها أيضًا لا تكون إلا في الجنة، الرؤية الخاصة.

سميت رؤية لأنها على الحقيقة، وهي في أحكامها أيضًا على نوعين:

النوع الأول: في الدنيا كرؤية الرب في الدنيا لا يمكن أن تحصل، بمعنى: أن الله -عز وجل- قدر أن لا يراه أحد في الدنيا، وهذا أيضًا جاءت به ثوابت النصوص مثل قوله -عز وجل- لموسى: ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فرؤية الله -عز وجل- في الدنيا لا تكون لأحد، ولا يعني ذلك أنها مستحيلة كما يظن البعض لأنها مادامت فيما يتعلق بأقدار الله للعباد، فالله -عز وجل- قادر على أن يمكن عباده من الرؤية، لكنه قدر بقدره وهيأ

العباد في الدنيا على أحوال لا يستطيعون بها ولا يتمكنون في حال خلق الله لهم وتقديره لهم لا يتمكنون من رؤيته، الاستحالة ليس على الله شيء يستحل الله -عز وجل- من الممكن أن يقدر عباده أو أحدًا من عباده على رؤيته في الدنيا لكن الله -عز وجل- منع ذلك، منعه قدرًا ﴿ لَن تَرَانِي ﴾.

النوع الثاني: الرؤية في الآخرة وهي التي ذكرتها قبل قليل، على نوعين: النوع الأول: رؤية الناس لربهم في المحشر، وهذه وردت فيها نصوص صريحة صحيحة، لكن هذه رؤية مجملة، الراجح أنها بصرية، لكنها تختلف ما بين جنس وجنس من الناس، فجنس المؤمنين يرون ربهم رؤية فيها تنعم، والمنافقون يحصل لهم نوع استدراج فيستدرجون بأن يروا الله -عز وجل- كما يراه المؤمنون لكنهم لا يتمتعون بالرؤية، رؤية التحسر الخجل المنكسر المذنب، لا يتمتع بالرؤية، وهم تحجب أو تنكسر أبصارهم عن التمتع بالرؤية، أما المؤمنون في المحشر فيتمتعون والله أعلم برؤية ربهم -عز وجل-، الكافرون يرونه أيضًا رؤية مجملة، أعني المشركين وأهل الكتاب وغيرهم يرون الله -عز وجل- رؤية لكنها مجملة لم يأتي تفسيرًا لها؛ لأنها بالعيان ولا بغير ذلك، فيمكن أن تكون رؤية عيانيَّة لكن أيضًا مثل رؤية المنافقين هي بالنسبة للكافرين رؤية لا يستمتعون بها لما لقوا الله -عز وجل- وهم جاحدون متنكرون لدينه وشرعه فلا يتمتعون بالرؤية كما يتمتع بها المؤمنون.

إذن الرؤية العامة في المحشر رؤية غير محددة بنص قطعي، لكنها ثبتت بها النصوص وتبقى غيبية.

النوع الثاني: وهو الرؤية الخاصة، رؤية المؤمنين لربهم في الجنة، وهنا حصرت للمؤمنين؛ لأنه أولاً: لا يدخل الجنة إلا مؤمنًا موحدًا، ثانيًا: إن الله -عز وجل- احتجب احتجابًا مطلقًا عن الكفار بعد أن يفصل القضاء بين العباد كما قال سبحانه: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ وسيأتي معنى ذلك.

إذن الرؤية الخاصة معناها: إن المؤمنين يرون ربهم -عز وجل- رؤية حقيقية بأبصارهم على ما يليق بجلال الله سبحانه، والله هو الذي يقدرهم ويمتعهم؛ ولذلك تعد الرؤية هذه هي أعلى النعيم، وأكمل النعيم؛ ولذلك الله -عز وجل- وصفها بالزيادة، بمعنى: مع أن الله -عز وجل- وعد المؤمنين بالنعيم الذي فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، نسأل الله أن يمتعنا جميعًا بذلك، ومع ذلك فإنهم ينعمون بأعظم من هذا النعيم كما قال -عز وجل-: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] فما هي الحسنى؟

الجنة.

نعم، هي الجنة وتفاصيل نعيم الجنة، ما يتمناه المؤمن في الجنة يحصل له مطلقًا، ومع ذلك يحصل له من النعيم أعظم مما يتمناه، يحصل له من النعيم ما لا يخطر له على بال، وهو رؤية الرب -عز وجل- والله سبحانه بكماله وجلاله وجماله لا شك أن رؤيته أعظم من كل نعيم؛ ولذلك أطمع الله المؤمنين وأرغبهم في العمل الصالح بمثل هذا الوعد.

كذلك الله -عز وجل- قال: ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق: ٣٥]، قد فسر النبي -صلى الله عليه وسلم- الزيادة والمزيد بأنه رؤية المؤمنين لربهم في الجنة، بأحاديث صحاح، ما عدا ذلك من التفاصيل التي قال بها أهل الأهواء أو بعض الذين توسعوا في فهم النصوص من بعض السلف اجتهادًا هناك أمور ليس عليها دليل، وسيأتي الإشارة إليها في ثنايا الدرس.

إذن قال: (والمؤمنون) يعني أهل الجنة (يرون ربهم بأبصارهم) كما أنهم أيضًا رأوه مع عموم الخلق في المحشر.

قال: (بأبصارهم) يعني أن الرؤية بصرية، ولا تقاس على رؤية الدنيا؛ لأن بعض المفتونين من أهل الأهواء وعلى رأسهم ورثة الفلاسفة، الفلاسفة أغلبهم يتنكرون للدين والحق، وفيهم إكبار للعقول فيما لا تقدر عليه العقول؛ ولذلك حكموا عقولهم في الغيبيات، ومن ذلك في مسألة الرؤية، فالذين تأثروا بمنهج الفلاسفة من الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم أنكروا الرؤية، مع أن النصوص فيها قاطعة، والذين لم ينكروها إنكارًا مباشرًا أولوها، قالوا: إن الرؤية قلبية إلى آخره، وهذا معنى قول المؤلف (بأبصارهم) ثبتت النصوص القطعية والإجماع على أن الرؤية رؤية المؤمنين لربهم في الجنة رؤية بصرية صرح بها القرآن وصرحت بها السنة، أما في القرآن فقوله -عز وجل-: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ يعني بهية، يعني مضيئة مسرورة ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ وأهل اللغة مجمعون على أن كلمة "نظر" إذا سبقتها كلمة "إلى" فلا تعني إلا الرؤية بالعين الباصرة؛ ولذلك "نظر" تستعمل عدة استعمالات، وسياقاتها هي التي تبين: فـ"نظر" أحيانًا تتعدى بنفسها، تقول: "نظرت" أو مثلاً تقول: "أنظرني" بمعنى انتظرني، إذا عديت بنفسها، أحيانًا تتعدى بـ: "في" تقول: "نظرت في الأمر"، فماذا تعني هذه العبارة عند العرب؟ ففكرت فيه، أحد يعني جاءك بفكرة معينة تقول: دعني أنظر في الأمر، ما معنى دعني أنظر في الأمر؟ يعني أتفكر فيه. وإذا قلت: "نظرت إلى الكتاب" فماذا يفهم من ذلك؟ يفهم منه نظرت أي بصرت، نظرت إلى القمر، نظرت إلى الشمس، فإذا جاءت عديت "نظر" بـ"إلى" فإنها تعني النظر بالعين الباصرة وهذا دليل قطعي، بل النبي -صلى الله عليه وسلم- لما سأله الصحابة سؤالاً صريحًا قالوا: (هل نرى ربنا؟) وفي بعض الألفاظ: (كيف نرى ربنا؟) فقال: (إنكم سترون ربكم)، وفي بعض الألفاظ وهذا كله في الأحاديث الصحيحة، بعضها متفق عليها، قال: (إنكم سترون ربكم عيانً) ثم مَثَّلَ الرؤية في الوضوح والبيان والجزم رؤية الناس لربهم برؤيتنا نحن في الدنيا للشمس ليس دونها سحاب وللقمر ليس بدونهم سحاب، وهذا لا يعني تشبيه الله -عز وجل- بالشمس والقمر، الله -عز وجل- لا يشبه بخلقه وليس كمثله شيء، لكن ظاهر من سياق النص أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قصد في الجزم والبيان، أنكم كما تجزمون برؤية القمر ليس دونه سحاب ليلة الرابع عشر، وكما تجزمون برؤية الشمس في رابعة النهار ليس دونها سحاب، بمعنى: تجزمون بوقوع الرؤية، بوضوح الرؤية ببيانها، فكذلك أنتم يوم القيامة في الجنة تجزمون برؤية ربكم -عز وجل- كما ترون الشمس والقمر، على أي حال هذا سيأتي الكلام عليه.

قال: (ويزورونه) كلمة الزيارة يعني بهذا اللفظ لم يرد بها نص صريح صحيح، لكن بعض السلف أخذوها من مفهوم بعض النصوص، وهو أن الله -عز وجل- يتبدى للمؤمنين يوم الجمعة أو نحو هذا الكلام، فبعضهم يعني استنتج منها الزيارة، أحاديث الزيارة ضعيفة، فلذلك مسألة الزيارة من الأمور الخلافية ليست من ثوابت الدين، إنما ألحقت بالرؤية؛ لأنها تفهم من بعض النصوص فهمًا غير ملزم، وقلت لكم في السابق، وأرجو المشاهدين أن يفهموا هذا جيدًا، إن السلف أحيانًا يلحقون بعض الأمور الخلافية بالأمور القطعية من باب أنها وردت لا من باب أنها من الثوابت، وإذا كانت الزيارة فيها شك أو فيها كلام لا يعني هذا أن الرؤية فيها كلام، لا ينسحب الخلاف على الرؤية، فالرؤية ليس فيها خلاف بل هي إجماع.

قال: (ويكلمهم ويكلمونه) وهذا ثابت، والتكليم أيضًا على نوعين:

النوع الأول: فيه تكليم لعموم العباد؛ لأنه كما ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه بواحً) بمعنى: كلامًا مباشرًا عند الحساب، ويحاسب الله -عز وجل- عباده ويعاتبهم بكلام يسمعه كل إنسان فهذا كلام بالأفراد، لكن هذا كلام مجمل أيضًا قد لا يكون من الكلام الذي يتمتع به جميع الناس، فالكلام الذي يصدر من الله -عز وجل- للمذنبين والكفار لا يتمتعون به؛ لأنهم يلقون الله -عز وجل- وقد عصوه وقد خالفوه فليس لهم تطلع إلى أن يكون لهم استمتاع بمثل هذه الصلة مع الله -عز وجل-؛ ولذلك هذا الموقف يحرجهم ويكونون في حال من الخجل، وحال من الارتباك لا يعلمه إلا الله -عز وجل-، لكن ومع ذلك فإن هذا أي النوع الأول: كلام لجميع البشر، وهو أيضًا أنواع: منه كلام يتكلم به الرب لعموم الخلق، وكلام لكل إنسان على حدة.

النوع الثاني: وهو الكلام الذي يستمتع به الخلق، قيل: إنه يكون للمؤمنين في الجنة مع الرؤية، وهذا أيضًا يحتاج إلى تحقق على هذه الصلة.

(ويكلمهم ويكلمونه) ثم ذكر ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ سبق الكلام على هذا، بدأ يستدل على ثبوت الرؤية بالقرآن، يضاف إلى هذا قوله –عز وجل-: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ وقوله –عز وجل-: ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ وذكرت لكم أن النبي –صلى الله عليه وسلم- فسر ذلك بالرؤية، أيضًا قوله –عز وجل-: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠]، اللقاء العام يكون لجميع البشر، إذن هناك لقاء خاص، واللقاء عادة عند العرب لا يكون إلا برؤية، أنت لو قلت لنا الآن: نفترض أنك جئت من مكة وقلت: أنا رأيت فلان أو لقيت فلان في مكة، ماذا نفهم؟

أنك رأيت.

طيب، لو أنك قلت: لقيته وأنت ما رأيته تكون صادقاً؟ لو قلت: أنا لقيت فلان وأنت ما رأيته تكون صادق.

ما يمكن...

إذن قوله –عز وجل-: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ ﴾ يعني لقاء النظر، لقاء الرؤية، وعلى هذا أيضًا نجد نصوص كثيرة بعضها صريح مثل هذه النصوص وبعضها أيضًا صريح بالمفهوم، مثل قوله –عز وجل-: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ فسرها السلف وعلى رأسهم الإمام الشافعي: بأنه حينما احتجب عن هؤلاء الذين توعدهم وهم الكفار والمنافقون لما توعدهم بالاحتجاب عنه فهذا بالضرورة يدل على أن هناك فئة أخرى لا يحتجب عنهم، وإلا لو كان الله –عز وجل- محتجب عن الجميع كما يزعم الذين ينكرون الرؤية ما كان لهذا الوعيد معنى، ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ أي أن الله احتجب عنهم، إذن لما احتجب عن هؤلاء الكفار بسبب سخطه عليهم نسأل الله السلامة والعافية فدل هذا بالضرورة على أنه لا يحتجب عمن يرضى عنهم، وهم المؤمنون.

ثم قال: (فلما حَجَبَ أولئك في حال السخط) أو حُجِبَ كلها صحيحة، أي أن الله –عز وجل- لمنا احتجب عن الكافرين والمنافقين وتوعدهم بذلك بسبب سخطه عليهم بذنوبهم وكفرهم دل ذلك على أن المؤمنين يرونه في حال الرضا، وإلا لما كان لمعنى الاحتجاب معنى أو مفهوم، وكلام الله –عز وجل- حق بلسان عربي مبين.

إذن هذا الدليل وأمثاله كثير، إنما المؤلف اكتفى بالضروري من الأدلة من أجل الاختصار؛ لأنه كما سمى كتابه "لمعة الاعتقاد" أي موجز الاعتقاد.

ثم قال: (وإلا لم يكن بينهما فرق، لو لم يكن الله –عز وجل- حين احتجب عن الكافرين تبدى للمؤمنين لم يكن بينهما فرق، والله فرق بينهم في مثل ذلك، والله وعد المؤمنين بالرؤية ووعد الكافرين بالاحتجاب، ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾، و قال النبي –صلى الله عليه وسلم-: (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون) وفي رواية: (لا تضامون) وفي رواية: (لا تضامون في رؤيته) وهذا الحديث وأمثاله متواتر، هذا الحديث بجموع الأحاديث التي وردت في الرؤية تكون أحاديث متواترة، ومعروف حكم التواتر أنه قطعي، ولابد من الإيمان به، هنا معنى (لا تضامون) بمعنى لا تتزاحمون، الناس حينما تطلع الشمس هل يحتاجون إلى التزاحم من أجل رؤيتها؟ هل يتزاحمون عندما يكون القمر ليس بينه وبينهم سحاب؟ أيضًا هل يستطيع أحد أن ينكر على أحد رؤية البينة الشمس والقمر؟ ولو أنكر البينة يعتبر هذا ضيم، ضيم بمعنى؟ ما معناه؟ نوع من الضيم، هذا على معناه، كل المعاني صحيحة، لا يتزاحمون ولا يستطيع أحد أن ينكر هذه الحقيقة، لا ينكرها إلا مكابر ينكر أكبر الحقائق.

ثم قال: وهذا تشبيه للرؤية لا للمرئي، أرجو أن تنتبهوا إلى هذا جيدًا؛ لأن هذه قاعدة في كل ما ضرب الله به مثلاً للأمور الغيبية، وكل ما ضرب به الرسول -صلى الله عليه وسلم- مثلاً للأمور الغيبية؛ ولذلك لما ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- نعيم الجنة نسأل الله أن يجعلنا جميعًا من أهلها، وذكر عنبها وخمرها ولبنها وعسلها وماءها وأنواع النعيم، قال: (وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) مجرد الخاطر الذي يمكن أن ينفلت في الخيال، والخيال لا يضبط، ومع ذلك مهما تخيل الناس من أنواع النعيم من أصناف الملذات فإن ما في الجنة أعلى منه وأعظم، لكن ما ذكر لنا مما في الدنيا إنما هي أمثال تضرب، فكذلك في حق الله -عز وجل- أولى؛ لأن الله أعظم وأجل من أن يكون له شبيه من خلقه، فلذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- نبه يعني الصحابة في مسألة الإشارة إلى أن الرؤية بالقمر والشمس أن المقصود هو وضوح الرؤية وبيانها؛ ولذلك فالرؤية أو تشبيه رؤية الله -عز وجل- في البيان والوضوح برؤية الشمس والقمر هي تشبيه للرؤية بالرؤية، يعني كما أن رؤية الشمس والقمر على هذه الحال بينة واضحة قطعية فكذلك رؤية المؤمنين على ربهم بينة واضحة قطعية، ولكن ليس هذا معناه تشبيه الله بالشمس ولا بالقمر، فإن الله -تعالى- لا شبيه له ولا نظير.

يقول: ربما يقول قائل أو من أهل البدع: أن الرؤية القلبية ممكنة لله -جل وعلا-؟.

أحسنت، الرؤية القلبية ليس لها ضابط، أما الرؤية القلبية الحقيقية التي هي أشبه بالإلهام أو أشبه بالفراسة، فهذه لا يمكن أن تكون، لكن بعض الناس يعني يفسر الأوهام والخيالات بأنها قلبية، فإذا توهم أوهامًا عن الله أو تخيل خيالات عن الله سماها رؤية قلبية، فهذا خلط، فالرؤية القلبية الحقيقية لا تكون إلا إذا بدت بنص، وهذه فسرت بها رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- لربه في المنام، وفسرت بها للرؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- لربه في المعراج، ولا تكون إلا للنبي -صلى الله عليه وسلم- هي من خصوصياته الرؤية القلبية التي يشعر بها الرائي أنه رأى ربه لكن على غير كيفية؛ لأنه لما سئل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن رؤية ربه حينما ثبتت الرؤية مجملة وهي رؤية القلب، سئل هل رأى ربه، النبي -صلى الله عليه وسلم- فسر السؤال بأنه سؤال عن الرؤية البصرية، قال: (نور أنى أراه) وقال في لفظ آخر: (رأيت نورً) فهو من هنا لم يفسر الرؤية إلا بالمعنى العام القلبي الذي يتذوقه النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا يتذوقه غيره، أما غير النبي -صلى الله عليه وسلم- فلا يمكن أن يرى ربه الرؤية القلبية الحقيقية التي ثبتت للنبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن هذا يفتح باب فتنة، وليس عليه دليل بل الدليل على خلافه.

يقول: موسى -عليه السلام- لما ورد في القرآن الكريم ﴿ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] أيضًا هل يستدل بهذا يا شيخ بهذه الآية؟.

نعم يستدل على عدم وقوع الرؤية لأحد، ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ هذا دليل أنه إذا ما تمكن منه موسى وهو كليم الله وفي مقام عظيم، وهو في مقام أن كلمه الرب فكون الرؤية تقترب بالتكليم هذا أقرب أليس كذلك؟ ولذلك ما طمع موسى وهو نبي يعظم الله حق قدره ما طمع موسى في الرؤية ولا طلبها إلا حينما كلمه ربه، وهذه خصوصية له، فحينما عرف أن ربه -عز وجل- يكلمه طمع في الرؤية، ومع ذلك مُنِعَ منها، وهو كليم الله، فغيره من باب أولى، وإن كان النبي -صلى الله عليه وسلم- محمد -صلى الله عليه وسلم- هو أفضل من موسى، وأفضل من جميع الخلق أجمعين، لكن هو مع ذلك، الله -عز وجل- قد يختص بعض النبيين بخصيصة لا تدل على الفضل المطلق، إنما هو فضل مقيد لموسى -عليه السلام- ومع ذلك الله نهاه عن ذلك وضرب له مثلاً بأن تجلى -عز وجل- للجبل، فلما تجلى للجبل جعله دكاً، فخر موسى صعقًا، بمجرد رؤية الجماد الذي تجلى له الرب -عز وجل-، فهذا درس لموسى وللأمة وللمؤمنين وللبشرية جمعاء إلى يوم القيامة بأنهم لا يطمعون برؤية الله، ومن طمع وزعمها قلبية أو بصرية فإنه ضل ضلالاً مبينًا.

قال المؤلف –رحمه الله تعالى–: (ومن صفات الله –تعالى– أنه الفعال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد عن القدر المقدور ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور).

المؤلف هنا دخل في موضوع جديد وهو موضوع القدر، وبدأ في تقرير القدر في أسهل قواعد القدر وهذا نوع فقه؛ لأن مسائل القدر معضلة إذا زاد فيها الإنسان عن الضوابط الشرعية التي وردت في الكتاب والسنة لماذا؟ لأن القدر كله غيب، والقدر أيضًا معضل وهو سر الله في خلقه، ومعضل يعني في أسراره، لا في ضوابطه وقواعده، فإن قواعد القدر وضوابطه فطرية، يعني ينسجم معها كل إنسان، المتعلم وغير المتعلم، يعني الذكي والمتوسط الذكاء، كلهم يفهمون القدر بمعانيه المجملة، لكن الغوص في دقائق القدر هذا أمر غالب يشكل؛ ولذلك نهينا عن الخوض في القدر، وهو سر الله في خلقه؛ ولذلك بداية المؤلف بالسهل من القدر هذه تغرس في قلوب السامعين والقارئين، والإيمان بالقدر بسهولة، ثم إذا جاءت بعض المسائل القدرية الصعبة، استوعب المسائل السهلة بسهولة.

إذن قبل أن نبدأ بشرح هذه العبارات لابد أن أشير إلى ما يسمى بمراتب القدر لأنها موجودة لكنها مفرقة، فمن أجل أن ننظم في ذهن المشاهد والسامع موضوع القدر، أشير إلى مراتب القدر بإجمال:

القدر كله يدور على أربع مراتب، كل القدر بنصوصه ومعانيه وبحقيقته التي جعله الله عليها يدور على أربع مراتب، لابد أن يفهمها كل مسلم، والغالب أن مفهومها عند الناس لكن بغير ترتيب، كل المؤمنين الذين يسلمون من الشبهات، يسلمون من الأهواء والبدع يدركون هذه المراتب بالبديهة والفطرة، لكن من غير تبويب وعنصرة، التبويب والعنصرة يسهلها، خاصة طالب العلم أمثالكم.

مراتب القدر أربعة:

المرتبة الأولى: العلم. ومعنى ذلك أن الله بكل شيء عليم.

والمرتبة الثانية: الكتابة. ومعناها: أن الله كتب مقادير كل شيء على الإطلاق.

والمرتبة الثالثة: المشيئة. ومعناها: أن كل شيء بمشيئة الله ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ ﴾ [الإنسان: ٣٠] بل هي غير مشيئة العباد، كل المقادير التي تحدث والتي حدثت والتي ستحدث إنما هي بمشيئة الله وإرادته.

وبين المشيئة والإرادة بعض الفروق، لكن في هذا المقام يعني في مقام مراتب القدر الإرادة والمشيئة واحدة، يعني المشيئة بمعنى الإرادة العامة، ومعنى هذا أنه لا يكون إلا ما يريده الله، وأن الله فعال لما يريد، ما أراده الله كان، ما شاء الله كان وما لم يشأه لم يكن معنى الإرادة العامة.

المرتبة الرابعة: الخلق. هي أن الله خالق كل شيء، هذه المراتب كل قواعد القدر ترجع إليها، ولو أن المسلم غرسها في قلبه وفي ذهنه وفي عقله انتظمت عنده أمور القدر بإذن الله، ولا يمكن إذا صفت عقيدة وقوي إيمانه أن تنطلي عليه شبهة بتوفيق الله –عز وجل–، وإلا فالأمر في مثل هذه الأمور ما هو إلا بالله –عز وجل–؛ لأن الهداية ومن ضمنها الإيمان بالقدر إنما هي توفيق من الله، ليس بقدرات الناس ولا ذكائهم ولا علومهم، وهذا أمر يحكم كل الدين والتوفيق إلى الإسلام إنما هو بتوفيق الله –عز وجل–، لكن القدر هو يعني الجامع لأصول التسليم التي ينبني عليها الإسلام، القدر إذا ثبت بإذن الله فإن المسلم يستقيم ويستجيب لله بقدر الله وشرعه، المسلم إذا استوعب أصول القدر على هذا النحو بإذن الله يوفق للاستجابة لشرع الله وأمره وقدره، ثم نبدأ الآن بشرح العبارات.

قال: (ومن صفات الله -تعالى- أنه الفعال لما يريد) ومعنى هذا: أنه قدر هنا مراتب القدر في عبارة واحدة، الفعال لما يريد ألا يلزم أن يكون عالم قبل أن يفهم؟ الله -عز وجل- يقول: ﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤] هل يعقل أن الخالق لا يعلم شيء من خلقه؟!! لا يعلم، أيضًا جاء في النصوص القطعية أن الله -عز وجل- كتب ما أراد أن يفعله، فإنه حينما قال: (فعال لما يريد) فإن الله قدر أن كتب في اللوح المحفوظ كل ما هو كائن من أفعاله، ثم يأتي المشيئة والإرادة العامة، بمعنى أن الله -عز وجل- يشاء ويريد كل ما يدخل في مراداته -عز وجل-، إذن فعال لما يريد يدخل فيها المرتبة الثالثة المشيئة العامة، ثم أيضًا للخلق الله -عز وجل- يخلق ما يشاء وفي ذلك يكون فعال لما يريد من المخلوقات، أن يخلقها، الله -عز وجل- يقول ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: ١١٧] ولا يكون شيء إلا بإرادته على الإطلاق بما في ذلك أفعال العباد، أفعال العباد خيرها وشرها لابد أن تكون بإرادة الله، لكن بعض الناس قد يشتبه عليه أمر الشر، هل يكون الشر بإرادة الله؟ هذه لابد فيها من الإشارة إلى أن ما المقصود بالإرادة؟

إن قصد بها النوع الأول: الإرادة العامة بمعنى المشيئة فنعم، الله -عز وجل- شاء أفعال العباد حتى الشر من باب الابتلاء؛ لأن الله -عز وجل- يقول: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، هذا حكمة، إذن الإرادة العامة يدخل فيها أن الله -عز وجل- قدر أفعال العباد ابتلاءً لهم ليميز الخبيث من الطيب.

النوع الثاني: الإرادة الخاصة، وهي أن الله -عز وجل- شرعًا لا يريد إلا الخير، يريد الخير ولا يريد الشر ﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] يريد بكم اليسر أن تفعلوا ما أمر الله به، لا يريد بكم العسر أن ترتكبوا ما نهى الله عنه، فمن هنا الإرادة الشرعية هي غير داخلة في الإرادة العامة فلا تأتي عندنا هنا في هذا المقام، لكن ومع ذلك كل ما يحدث في الكون بما في ذلك أفعال المخلوقين والمخلوقات لا يكون إلا بإرادة الله العامة لمشيئته، ولا يخرج شيء عن هذه المشيئة على الإطلاق.

(وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره)، طبعًا العالم المقصود بها، إذا عبر بالعالم ما المقصود به؟ كل شيء، العالم المخلوقات، والوجود كله، الوجود كله يسمى عالم.

(ولا يصدر إلا عن تدبيره سبحانه ولا محيد عن القدر المقدور) هنا كأنه أراد أن يؤسس معنى الإيمان بالقدر، أو ثمرة من ثمرات الإيمان بالقدر، لما عرفنا أن الله فعال لما يريد، كل شيء بإرادته الخير والشر، فهذا يعني أن المؤمن لابد أن يسلم؛ لأنه لا محيد عن المقدور إذا قدر، أما قبل أن يقدر فالله -عز وجل- أعطانا من الأسباب ما ندفع به المقادير قدر الإمكان، هناك مقادير تدفع بالأسباب، فالله شرع الأسباب لنا لندفع ما نستطيعه من المقادير مما يوفق الله له، لكن إذا وقع المقدور، وأنت عارف بمراتب القدر وأصولها، فهنا الله -عز وجل- يعني ميزك أنت بالتسليم، وأنك عرفت أنه إذا وقع المقدور فإنه لا محيد عنه، ما تقول: ليت، ولو فعلت كذا لكان كذا، بعد أن يحدث المقدور لا تفعل، لكن كان هذا المقدور بسبب تفريطك فتب إلى الله، وارجع إلى الصواب، وإن كان المقدور قدر مما سلطه الله -عز وجل- عليك، فهذا ابتلاء وامتحان يجب أن تسعى إلى أن تحصل فيه على الأجر وهو الصبر على المقدورات، واللجوء إلى الله -عز وجل-.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور، أراد ما العالم فاعلوه، ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعًا لأطاعوه، خلق الخلق وأفعالهم، وقدر أرزاقهم وآجالهم، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، قال الله تعالى: ﴿ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢]، وقال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ﴾ [الحديد: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

روى ابن عمر: (أن جبريل -عليه السلام- قال للنبي -صلى الله عليه وسلم-: ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، فقال جبريل: صدقت) رواه مسلم).

هذا المقطع تفصيل لما أجمل في السابق، وهذه عادة السلف، يجملون بمعنى أنهم يقعدون، لكن مفاهيم الناس قريبة إلى اللغة، وقريبة إلى فهم المعاني الإجمالي لا يحتاجون إلى عنصرة وتبويب، في هذا العصر يعني تفنن الناس في عرض العلم، وأيضًا كثرت الأساليب والوسائل وضعفت اللغة عند كثير من أهلها، احتاج الناس إلى عنصرة وتصنيف للمعاني والكلمات ومن هنا ننبه على مثل هذا في مثل هذا الدرس.

المؤلف هنا ابن قدامة لما ذكر إجماليات في قواعد القدر ذكر النتائج والثمار من ضمنها قوله: (ولا محيد عن القدر المقدور) وقوله: (ولا يتجاوز ما خُطَّ في اللوح المسطور) يعني هذه المقادير التي تحدث في الكون، ومنها ما يحدث على العباد من خير أو شر إنما ذلك كله مسطور مكتوب، ومن هنا ينشأ سؤال: إذا كان مكتوب إذن لماذا يعمل الناس؟ النبي -صلى الله عليه وسلم- سأله الصحابة عن مثل هذا، حينما ذكر حديث الصادق المصدوق، وذكر منه أنه عندما يبلغ الإنسان مائة وعشرين يومًا، أربعة أشهر، يأتيه ملك بإذن الله -عز وجل- فيكتب مقاديره الكبرى، أجله وعمله وشقي أم سعيد ورزقه، وقالوا: إذن فيم العمل؟ مادام مكتوب الشقاء والسعادة ففيم العمل؟ قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) معنى هذا أن الغيب محجوب عنك، فأنت يجب أن تعمل، إذا كان الغيب محجوب عنك، وأنت عرفت أن الله -عز وجل- كلفك بأن تبذل الأسباب، كلفك بأن تسلك طريق النجاة، وبيَّن لك ذلك، فإذن ما كتبه الله -عز وجل- في اللوح المحفوظ وما قدره ونسخه من اللوح المحفوظ إلى صحيفة كل إنسان عند نفخ روحه، هذا الأمر كله مبني على علم الله السابق، ما الناس فاعلون، واضح؟ يعني بمعنى ليس ذلك من باب الجبر، إنما الله جبل العباد على ما هيأهم له، ويسر لهم لمن شاء منهم أن يعمل به خير، فالله عالم ماذا سيعمل هذا الإنسان عند الابتلاء والامتحان، وهو التكليف الذي عليه البشر، فقدر عليه أجله، عندما خلقه وعندما أيضًا نفخت فيه الروح، فقدر عليه مقاديره، ومن ذلك شقي أم سعيد بناءً على ما علم الله أنه سيفعل، هذه المسألة تحتاج إلى توضيح أكثر، ولعلنا نقف عندها بعد نهاية المقطع.

أحد الإخوة يسأل يا شيخ: الرؤية في المحشر يسأل يا شيخ هل من تفسير واضح لرؤية المؤمنين لربهم -جل وعلا- في المحشر؟ وهل هذا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾؟.

لا... هو ما يتعارض، هو الرؤية في المحشر كما وردت في النصوص وردت مجملة، لكنها صرحت بأن العباد يرون ربهم يرون، فمن هنا هل هذه الرؤية بصرية؟ أو قلبية؟ يعني ما فيه مرجح قطعي؛ لأن الذين قالوا: إنها رؤية قلبية، ورد في بعض سياق الرؤية هذه في المحشر أن الله -عز وجل- يتبدى لهم بصورة لا يعرفونها، وهذا يعني أن الله ضرب لهم مثلاً فقالوا: لست ربنا، ثم تبدى لهم -عز وجل- بالصورة التي يعرفونها من خلال أسمائه وصفاته، فهذا السياق يعطينا دلالة على أن الرؤية لا يلزم أن تكون كرؤية المؤمنين لربهم في الجنة بصرية قطعية، فإذن ما فيه دليل قطعي، إنما هي ثابتة، الرؤية في المحشر ثابتة للناس، وأيضًا تحدث على درجات:

الدرجة الأولى: جميع البشر يرونه، لكن الكافرين يرونه رؤية الخجل، الندم الذين لا يتمتعون بالرؤية.

الدرجة الثانية: رؤية تكون للمؤمنين ومعهم المنافقين يستجيرون بالرب -عز وجل-؛ لأنهم كانوا يخادعونه في الدنيا فالله -عز وجل- أراد أن يخادعهم في الآخرة ليطمعهم، وكأنهم حينما رأوا ربهم مع المؤمنين ظنوا أنهم نجوا وأنهم لا يزالون يخادعون الله.

الدرجة الثالثة: رؤية أخص في المحشر للمؤمنين، يحتجب فيها عن الكافرين والمنافقين.

هذه الأنواع دلالاتها دلالات مجملة غير قطعية ولا يتفق عليها أهل العلم.

يقول: ما نوع اللذة التي تحصل للمؤمنين برؤية الله -جل وعلا-؟.

هذا أمر غيبي، لكن هي لذة بمعناها العام يعني هم يشعرون بمنتهى السرور والحبور، ولا تقاس بلذات الشهوات، هذا أمر مهم، هي أعظم من لذات الشهوات؛ ولذلك من الأشياء التي يجب التنبيه إليها: أن اللذة الحقيقية ليست هي لذة الشهوة، حتى في الدنيا فكيف بالآخرة، اللذة الحقيقية ليست هي لذة الشهوة فحسب، بل لذة الشهوة يعتريها العوارض والنواقص؛ لأنها لذة ليست دائمة، طبعًا هذا في الدنيا، في الآخرة لا شك أن لذة الشهوة أكمل من لذة الدنيا ولا يعتريها نواقص، ولكن مع ذلك فإن اللذة الحقيقة هي اللذة المعنوية لذة القلوب، لذة العبادة، لذة العبادة التي تكون في الدنيا على أعلى درجات السعاة واللذة، وفي الآخرة تكون المتعة برؤية الرب -عز وجل- من قِبَل هؤلاء الذين عبدوه.

فمن هنا يعني ممكن نصور للإخوة المشاهدين اللذة الحقيقية التي ليست لذة شهوة فقط، الأمر أعظم من ذلك، يقول أحد العباد عن شعوره بلذة العبادة يقول: «والله لو يعلم الملوك وأبناء الملوك» يقصد السلاطين والخلفاء الذين يملكون السلطان في الدنيا وهو أعلى شهوة في الدنيا، يقول: «والله لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه» يعني من السعادة في العبادة، «لجالدونا عليها بالسيوف» طبعًا عبادة الله -عز وجل- في المحاريب والمساجد تحتاج إلى مجالدة بالسيوف، لا، ما أحد يحول بين أحد وبين ربه، لكن قصد التقريب، معناه أن هؤلاء يشعرون بلذة منتهى السعادة والحبور لا يشعر بها الناس الذين يتلذذون بالشهوات، فإذن اللذة بنعيم الرؤية هي لذة قلبية عقلية بكل معاني اللذة بكمالها ليست مفسره على الكيفية لا يعلم حقيقتها وكيفيتها إلا الله -عز وجل-.

الدرس الحادي عشر

القضاء والقدر، ومسائل الإيمان

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وآله، ورضي الله عن صحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

بعون الله وتوفيقه نستأنف الدرس وقبل أن نستأنف لعلي ألفت نظر الإخوة المشاهدين والمستمعين إلى أننا قد نحتاج إلى شيء من الاستعجال في الدروس القادمة من هذا الدرس وما بعده؛ نظرًا لأن هذه الدروس العلمية قد تنتهي قبل موسم الحج؛ فلذا نعتذر أن بعض الأشياء التي قد تحتاج إلى مزيد شرح ربما نمر عليها خفيقًا، كذلك نعتذر للإخوة الطلاب وهم يقدِّرون الظروف.

وقفنا في الدرس على حديث ابن عمر عن عمر –رضي الله عنه– في أركان الإيمان، ومناسبة الحديث عن القدر، درسنا الماضي بدأ في موضوع القدر وتقرير أصول القدر ومراتب القدر وبعض الضوابط عند القدر وليقرأ الأخ الكريم الآن.

قال المؤلف –رحمه الله تعالى–: (وروى ابن عمر أن جبريل –عليه السلام– قال للنبي –صلى الله عليه وسلم–: (ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، فقال جبريل: صدقت) رواه مسلم).

هذا الحديث حديث مراتب الإيمان الشاهد منه هنا هو: أن الإيمان بالقدر خيره وشره من أركان الإيمان، والمقصود بذلك: أن كل المقادير الخلق قدرها الله –عز وجل– بعد علمه وكتبها وقدرها بخيرها وشرها، وهذا يعني أن الله –عز وجل– جعل الشر الذي يحدث من العباد ابتلاءً وفتنة كما قال سبحانه: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، والشر ليس إلى الله –عز وجل–، وليس منه لكنه قدره، (ليس منه) بمعنى أنه لا يوصف الله –عز وجل– بأنه فرض الشر على الخلق أو على العباد، بل قدره تقديرًا، لكن موضوع الشر يرجع إلى أمرين:

الأول: ما يتعلق بالأمور الكونية الأقدار الكونية، وهذه قد يكون أحيانًا لها علاقة بأفعال العباد، وقد لا تكون، الأمور الكونية المتعلقة بأفعال العباد، ما يكون منها شر بالنسبة للعباد غالبًا يأتي على سبيل العقوبات والجزاء، والأمور الكونية الأخرى التي ليس لها علاقة مباشرة للعباد داخلة ضمن التقدير العام؛ لأن هناك من المخلوقات – من الملائكة الجن والشياطين – من يبتلون كابتلاء الناس، لكن لا نعرف الكثير من مقاديرهم، فعلى هذا فالإيمان بالقدر: أي أن الله قدر جميع المقادير بخيرها وشرها هذا من أركان الإيمان، ولا يجوز للإنسان يجزئ المقادير فينسب إلى الله بعضها وينسب إلى غيره الآخر، حتى أفعال العباد التي هي من الأفعال التي يحاسبون عليها فإنها مقدرة عليهم كما سيأتي بيانه –إن شاء الله–.

هذا الحديث نجد فيه تأكيد ثوابت الإيمان، وثوابت الدين بطريقة تربوية عجيبة هو أن جبريل –عليه السلام– حينما جاء للصحابة عند الرسول –صلى الله عليه وسلم– في المسجد بالطريقة التي وردت في الحديث أراد أن يقرر منهجًا تربويًا تعليميًا يكون للأمة إلى قيام الساعة، وقد جاء بهيئة ملفتة للنظر ليهيئ نفوس المستمعين من الصحابة ويهيئ نفوس الأمة كلها لتلقي ماذا يقول، ثم بعد ذلك أيضًا أسلوبه في تقرير الحق على لسان النبي –صلى الله عليه وسلم– كان أسلوب تربوي يعمق أصول تربوية، كثير من التربيون يظنونها من الاكتشافات الحديثة وهي أصيلة، وهو أنه جاء إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– فسأله وهو عارف؛ لأن الله علمه، جبريل

حينما سأل النبي –صلى الله عليه وسلم– عن هذه الأسئلة، عن أركان الإيمان وعن أركان الإسلام وعن الإحسان وعن أشراط الساعة، سأله وهو يعلمها؛ لأن الله علمه، لكن سأله بطريقة تؤكد وتثبت هذه المسلمات في قلوب السامعين من الصحابة، ثم تثبت هذه المسلمات في قلوب الأمة من خلال رواية الحديث وتلقي الدين عبر هذا المنهج، فجبريل حينما سأل النبي –صلى الله عليه وسلم– ثم أجاب الرسول –صلى الله عليه وسلم– على سؤاله قال: صدقت، هذا أمر عجب يلفت النظر، كيف يكون سائل ثم بعد ذلك يرجع ويقول: صدقت، أليس هذا مما يلفت؟ لكن هذه اللفتة لها مغزى، أو منهج تربوي عظيم؛ لتثبيت الحق في قلوب السامعين.

(وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره)).

نقف عند هذا، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (آمنت بالقدر خيره وشره) يعني يقصد هنا أن الخير جاء من الله –عز وجل–؛ لتوفيق العباد إليه الذين وفقوا إلى الخير، وشره جاء ابتلاء، الخير من الله هو الأصل، والشر جاء ابتلاءً؛ ولذلك مآل تقرير الشر أنه يعود بالفائدة على العباد؛ لأن الله يميز بالشر بين الضال والمهتدي، بين الصالح وغير الصالح، بين المسلم والكافر؛ ولذلك الله –عز وجل– يقول: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ [القلم: ٣٥]، هذه نتيجة الابتلاء بالخير والشر، أو بالشر والخير ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ﴾ [السجدة: ١٨] كما سيأتي تقريره في قاعدة واضحة –إن شاء الله– بعد قليل.

إذن قول النبي –صلى الله عليه وسلم– (آمنت بالقدر خيره)؛ لأن الخير هو الأصل، وهو الذي يرضي الله – عز وجل– من عباده، وأيضًا يبتلي الله به العباد في جانب التشريع، ثم الشر جاء ابتلاءً، الحلو والمر يرجع إلى ثمرة الابتلاء بالخير أو النتيجة –الأثر– فأثر الخير هو الحلاوة، حلاوة الإيمان وحلاوة العمل الصالح، حلاوة حسية ومعنوية، وأثر الشر المرارة؛ ولذلك قال النبي–صلى الله عليه وسلم–: (حلوه ومره) فالحلو هو أثر التقدير الخير، مقادير الخير، والمر هو أثر تقدير الشر.

(ومن دعاء النبي –صلى الله عليه وسلم– الذي علمه الحسن بن علي يدعوا به في قنوت الوتر: (وقني شر ما قضيت) ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه، بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل، قال الله تعالى: ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥] ونعلم أن الله –سبحانه– ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك، وأنه لم يجبر أحدًا على المعصية، ولا اضطره إلى ترك طاعة، قال الله تعالى: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، وقال الله –تعالى–: ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾ [غافر: ١٧]، فدل على أن للعبد فعلاً وكسبًا يجزى على حسنه بالثواب وعلى سيئه بالعقاب، وهو واقع بقضاء الله وقدره).

أحسنت، هذا الكلام تضمن أيضًا قواعد تفصيلية بعد القواعد الأولى التي هي مراتب القدر، قواعد تفصيلية عظيمة جدًا يحتاجها كل مسلم، وهذه القواعد فرقها الشارح بغير ترتيب، أو فرقها المؤلف ابن قدامة بغير ترتيب سنشير إليها بعد أن أذكر أصول هذه القواعد وهي كالتالي:

أولاً: أن الله –عز وجل– علم كل شيء وكتبه، وهذا راجع إلى المرتبة الأولى والثانية من مراتب القدر التي سبق الكلام عنها.

وثانيًا: تقرير مشيئة الله –عز وجل– وتقديره لجميع الأمور، وكل شيء بقدر الله.

وثالثًا: أن الله –عز وجل– حينما علم كل شيء وكتب كل شيء وكل شيء بإرادته العامة ومشيئته، والله حين خلق كل شيء، فإن ذلك كان على أسس واضحة بينة تقوم بها الحجة على العباد، كأن لا يقول قائل: ما دام الله

كتب مقادير كل شيء إذن ففيم العمل؟ كما قال الصحابة -رضي الله عنهم- لما ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- حديث الصادق المصدوق الذي فيه كتابة مقادير الإنسان التي قدرها الله قبل ذلك عند نفخ الروح فيه، وذكر منها الشقاوة والسعادة والرزق والعمل وذكر منها الأجل، فالصحابة وقفوا عند مسألة الشقاوة والسعادة، [الهداية والإضلال] قالوا: إذا كان الأمر كذلك ففيم العمل يا رسول الله؟ هم وقفوا عند حد الابتلاء، هذا الأمر نحتاج أن نؤسس له على الترتيب التالي وهي:

أولاً: لما علمنا أن الله علم كل شيء وكتبه وقدره فلنعلم أن الله أقام الحجة على الخلق، كيف أقام الحجة؟ عندكم جواب؟ بم كانت إقامة الحجة؟

بإنزال الكتب وإرسال الرسل.

نعم أحسنت بإرسال الرسل وإنزال الكتب، بالشرائع، أحسنت، لما أقام الحجة لابد أن نستبين كيف كانت إقامة الحجة؟ قامت الحجة بالشرع والعقل والفطرة وذلك كالتالي:

أولاً: أن الله -عز وجل- أرسل الرسل وأنزل الكتب، وعلى ألسنة الرسل جاءت الأحكام والتشريعات تفصيلاً، العقيدة وكيف نعبد الله؟ والأحكام، وكيف نسعى إلى ما يرضي الله ونجتنب ما يغضبه؟

ثانيًا: أن الله -عز وجل- حينما أمر بالخير، حينما شرع الخير أمر به، وأقدر العباد عليه، وجعلهم مخيرين، ثم رتب على أفعالهم الجزاء، يعني وعدهم على الخير الجزاء في الدنيا والآخرة، الجزاء الحسن في الدنيا والجنة في الآخرة نسأل الله أن يجعلنا جميعًا من أهلها.

ثم إن الله -عز وجل- نهى عن الشر، وحذر منه، وأقدر العباد عليه ابتلاءً وفتنة، أقدرهم على فعل الشر وعلى تركه، كما قال -عز وجل-: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٣]، ومعنى "هديناه السبيل" هذه تعني: القدرة والشرع والبيان ورسم طريق الخير، والأمر به ورسم طريق الشر والتحذير منه، ثم أيضًا أن الله -عز وجل- كما رتب على فعل الخير الجزاء الحسن رتب على فعل الشر العقوبة، وهذا من كمال عدله سبحانه، فمن هنا قامت الحجة، ومع ذلك جعل الله -عز وجل- أفعال العباد رهينة بقدرتهم، لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، لم يعجزهم وأقدرهم؛ ولذلك إذا فقد الإنسان القدرة على الفعل فإن الله يعذره، (رفع القلم عن ثلاثة) كما جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

إذن تبقى حلقة نحتاج أن نقررها من خلال هذا التفصيل في بيان طريق الخير وطريق الشر، وهي: الجواب على السؤال حينما سأل الصحابة -رضي الله عنهم- النبي -صلى الله عليه وسلم- لما ذكر القدر، وأنه مكتوب على كل إنسان، مكتوب عليه قالوا: (ففيما العمل يا رسول الله؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له)، ولاحظوا العبارة (كل ميسر لما خلق له) بمعنى لما قدره الله عليه، هذا الذي قدر على الإنسان من الشقاء والسعادة، هل هو معلوم؟

لا، ليس معلوم.

إذن أنت هنا تحفز إلى أن تنجوا بإذن الله إذا حرصت، ما دمت تعرف أنك محكوم عليك بالسعادة أو الشقاوة، وأن هذه السعادة والشقاوة مبناها على ما ستعمل أنت، العمل الذي خيرك الله به، إذن هذا حافز لك لأن تعمل وتنجوا؛ ولذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (اعملو) ثم قال: (فكل ميسر لما خلق له)، أرجو أن تتنبهوا جيدًا؛ لأني ربما أسأل عن هذا فيما بعد؟ هذا التيسير إلى طريق الخير وإلى طريق الشر، مبني على علم الله -عز وجل- السابق عن كل إنسان، ماذا سيعمل؟ لأن بعض الناس قد يأتيه الشيطان ويقول: هذا تحكم، تعالى الله،

فالله سبحانه هو أحكم الحاكمين، وكل أفعاله عدل لا يعتريه شيء من الظلم، وهو سبحانه حكم على عباده وعلى كل إنسان من خلال علمه – سبحانه– عن هذا الإنسان ماذا سيفعل؟ فالله –عز وجل– عالم عن أهل الضلال ماذا سيسلكون، فقدر عليهم الضلال، عالم عن أهل الهداية والسعادة ماذا سيفعلون، فقدر لهم السعادة.

هذا موجز الموضوع أرجو بذلك أن يكون بذلك اتضح، ومن هنا ننبه على هذه المسائل من كلام الشيخ.

قال الشيخ بعد أن ذكر وصية النبي –صلى الله عليه وسلم– للحسن بن علي –رضي الله عنهما– في دعاء القنوت قال: (وقني شر ما قضيت)، يعني أن الله –عز وجل– قدر الشر، لكن جعل للعباد أسباب وقاية من الشر، لكنها بعون الله؛ ولذلك نحن نقول: قنا شر ما قضيت، يعني أعنا أن نتجنب شر ما قضيت، قضاه الله بناءً على مقادير العباد التي سيفعلونها والله عالم بذلك، إذن لابد من الاستعانة بالله، والإنسان إذا استعان بالله حق الاستعانة فإن الله –عز وجل– يقيه الضلال والشقاوة وما بينهما من مفردات الأعمال، ثم قال الشارح: (ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه) بمعنى لا نقول: والله هذا مقدر علي؛ لأنك مأمور ببذل الأسباب، فإذا حدث المقدور بإمكانك أن تقول: هذا قدره الله علي، ما لم يكن بسبب تفريطك؛ لأن المقدور نوعان:

النوع الأول: هناك مقدور هو من نوع العيب الذي تذم عليه، فلا يجوز تحتج بالقدر، كما لو تضرب إنسان بغير حق، تقول: هذا والله مقدور، هل يصح هذا؟ تضرب إنسان بريء وتقول: هذا والله مقدور، إذن هذا ذنب لا تحتج بالقدر على ذنبك.

النوع الثاني: ما يحدث من نتيجة التصرفات السابقة من أمور خارجة عن أفعال العباد، عن قدرة العباد، وهي ما يسمى بالمصائب، فهذا هو المقدور.

إذا كانت المصيبة ترتبت عن خطأ من الإنسان، فالإنسان يعاتب على الخطأ ولا يُعاتب على ذات المصيبة، الخطأ الذي سبب هذه المصيبة نعاتبه عليه، وربما يؤدب، لكن المصيبة بحد ذاتها لا ترجع إلا ما يمكن استرجاعه فهذا يتعلق بالحقوق بين العباد.

قال: (ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه) فالإنسان إذا ارتكب معصية ما يقول: والله قدر الله عليَّ ذلك، فلابد أن يلقى جزاءه في الدنيا والآخرة إلا من تاب، بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله علينا حجة، هذه الحجة تتمثل في إرسال الرسل وإنزال الكتب وشرع الشرائع، وهذه حجة على جميع العباد منهم مؤمنهم وكافرهم.

ثم قال الله –عز وجل–: ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ بمعنى إن إرسال الرسل حجة على جميع العباد، الناس كلهم.

ثم ذكر قوله: (ونعلم أن الله سبحانه ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك) نفهم من هذا أمور:

الأمر الأول: أن الأمر والنهي يتوجه إلى القادرين من العباد، الإنسان إذا كان لا يقدر فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وأنه لم يجبر أحدًا على معصية، بمعنى أن الله –عز وجل– حينما قدر المعاصي حذر منها، وأقدر العباد على تركها ما هم مجبورين، أقدر العباد على تركها، إذن لا حجة لأحد، وأنه لم يجبر أحد على معصية ولا اضطره إلى ترك طاعة، والإنسان إذا توجه إلى الطاعة فالله –عز وجل– إذا أعطاه الاستطاعة فإنه يوفق ويسدد، كما قال تعالى: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ بمعنى أن مقادير العباد إنما يحاسبون منها على ما يستطيعون. وما لا يستطيعون من فعل أو ترك فإن الله لا يكلفهم بها ولا يحاسبهم عليها.

وقال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾؛ ولذلك الاستطاعة بالنسبة لأفعال العباد على نوعين:

– النوع الأول: الأمور القلبية كل الناس يستطيعها، كونك تؤمن بالله وتحب الله تخشى الله وترجوه، تراقب الله هذه ما يمكن أن يعتذر أحد بعدم الاستطاعة فيها إلا إذا فقد عقله.

– النوع الثاني: لكن الأعمال بالعكس، فقدرات العباد تختلف في فعلها، فالإنسان السوي يقدر على أفعال، ما يقدر عليها الإنسان الذي عنده نوع شيء من الإعاقة، أليس كذلك؟

بلى.

إذن هذا معنى قول الله –عز وجل–: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾.

الأمر الثاني: أنه حينما قال: ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ تبين وجه كون الله –عز وجل– يعني قدر الخير والشر بحكمة، وابتلاء، من كونه جعل الاستطاعة هي محل التكليف.

وتسمى الكسب كما قال –عز وجل–: ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾ "بما كسبت" بما تسببت فيه، هذا معنى الكسب، الشيء الذي يتسبب فيه الإنسان، إن خيراً يجزى عليه، إن شراً يعاقب عليه.

والكسب هنا بمعنى مجموعة قدرات عند الإنسان، وهي ثلاثة أمور:

أولاً: الإرادة. الله –عز وجل– أعطى الإنسان القادر الحر الإرادة، إذا فقد الإرادة لم يعد يكلف

ثانياً: القدرة. أعطاه القدرة مع الإرادة على الفعل؛ ولذلك إذا فقد القدرة على الفعل لا يكلف.

ثالثاً: الفعل، التنفيذ.

إذن الكسب هو مجموعة ثلاثة أمور: هي الإرادة والقدرة والفعل، والإنسان إذا أراد شيئًا قدر عليه وفعله يعتبر كسبه؛ لأن الله –عز وجل– أعطاه القدرة على ذلك، هذا الكسب لا يخرج عن إرادة الله.

الله –عز وجل– قدر مقادير كل شيء بما فيها كسب العباد، أو أفعال العباد، فدل على أن للعبد فعل وكسب يجزى على حسنه بالثواب وعلى سيئه بالعقاب، أي كل ذلك واقع بقضاء الله وقدره.

تقول: قوله تعالى: ﴿ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ [الكهف: ٨٠]. ما معنى كلمة "حشينا" هنا؟ وما علاقتها بالاعتقاد الصحيح في أقدار الله؟ وقوله تعالى: ﴿ لِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ﴾ [المائدة: ٩٤] وقوله: ﴿ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾ [البقرة: ١٤٣] وباقي الآيات التي يعلق فيها ابتلاء العباد، بأن يعلم الله المسيء منهم والمحسن، ما معنى العلم في هذه الآيات؟.

يعني قصدي واضح لا يحتاج إلى طويل كلام، هنا الخشية من الله –عز وجل– ليست كالخشية من العباد، بمعنى أن الله –عز وجل– بتقديره لمقادير الكون جعل مثل هذا عادة في العادة من مقادير الله، أن مثل هذه الحال تتسبب في الإرهاق، تتسبب في وقوع الضرر على الوالدين، فهنا الخشية من الله بمعنى علمه أن ذلك سيكون، لو لم يقدر الله هذا القدر الذي حال بين فعل هذا الغلام وبين أن يؤثر على والديه، فالخشية مثل عسى بالنسبة لله –عز وجل–، عسى لا تعني الترجي بالنسبة لله –عز وجل– لأن الله سبحانه في كل مقاديره تقوم على الحزم والفعل، ليس عنده تردد –سبحانه وتعالى– لكن هذا من باب تقريب الحقائق للعباد، فالخشية هنا من باب تقرير

الحقيقة، بمعنى أنه لو لم يقيض الله -عز وجل- هذا السبب لحجب الضرر عن والدي الغلام لصار ذلك، فذلك كله بقضاء الله وقدره.

أيضًا تسأل يا شيخ قوله تعالى: ﴿ لِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ﴾؟.

معنى هذا أنه يتحقق نتيجة العلم، لأن علم الله - عز وجل- علم مجرد له وقائع تكشف حقيقة العلم، ولتتبين حقيقة العلم بإذن الله -عز وجل- ولا يعني ذلك أن الله تخفى عليه الحقيقة حتى من البيانات، لكن هذا من باب إحكام المعلومات للعباد، تقريب بيان حكمة الله -عز وجل- للعباد، هذا كله جاء مخاطبة الناس والعقلاء، فيعني كون كل مقادير الكون لله -عز وجل- أن لها أسباب ولها علل، هذا كله من باب يعني تقريب المعاني للعباد، ومن باب تعميق معنى الحكمة والتقدير له -سبحانه وتعالى- في أذهان العباد؛ ولذلك نعلم يقينًا أن الله -عز وجل- يقدر ويخلق الخلق بدون أسباب، وأن الله -عز وجل- يدبر الكون حتى بدون أسباب، لكن جعل الأسباب؛ ليتبين لنا مدى إتقان الخلق، ولتتكشف لنا مدى حكمة الله في خلقه، ولنستفيد نحن العقلاء، وإلا لا يحتاج الله -عز وجل-إلى ذلك.

فإذن نحن البشر العقلاء نحن مخاطبون بمثل هذه المعاني، وكل ما يحدث هذا لتقريب المعاني إلى المخلوقين، إلى العقلاء، إلى العباد؛ لتقوم لهم الحجة ويعظموا الله ويقدروه حق قدره.

حقيقة الإيمان ومسائله

قال الموفق ابن قدامة -رحمه الله تعالى-: (فصل: والإيمان قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، قال الله تعالى:﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥]، فجعل عبادة الله -تعالى- وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) فجعل القول والعمل من الإيمان، وقال تعالى: ﴿ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقال: ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا ﴾ [الفتح: ٤]، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال ذرة أو خردلة أو ذرة من الإيمان) فجعله متفاضل).

أحسنت، هذا الموضوع يتعلق بما يسمى بحقيقة الإيمان ومسائل الإيمان وهي مجمله عند السلف، تسمى مسائل الإيمان، وهي فرع عن أركان الإيمان، وهذه المسائل أيضًا من القطعيات، وهذا يذكرنا بموضوع سبق الإشارة إليه، وهو أن أركان الإيمان ليست أركان مجردة عن اللوازم والشروط الضرورية أو القواعد والثوابت التي تتفرع عنها، فمسائل الإيمان هي فرع عن أركان الإيمان، وهذا التفريع لا يعني أنها أقل من حيث أنها ثوابت، بل يعني أن هذه المسائل هي من المسلمات التي تدخل في جملة الأركان، وكل ركن له من المسلمات القطعية الضرورية ما يمكن يعد بالعشرات والمئات، أركان الإيمان الستة لو وزعنا عليها ثوابت الدين وقواعد الدين الأخرى لوجدنا أن كل ركن يتبعه من الثوابت والقواعد والقطعيات مئات بل ربما آلاف المفردات، وعلى هذا فإن الموضوع الذي سندخل فيه يسمى مسائل الإيمان اصطلاحًا، وهذه المسائل جاءت بها النصوص القطعية التي أورد المؤلف شيئًا منها، على سبيل التمثيل، مسائل الإيمان هي ثلاثة أو أربعة، نأخذها على أربعة:

المسألة الأولى: تعريف الإيمان، حقيقة الإيمان، حد الإيمان، مفهومه.

المسألة الثانية: دخول الأعمال في مسمى الإيمان -الأعمال الصالحة- دخولها في الإيمان، ما معنى دخولها في الأيمان؟ أي أن الأعمال تعد جزء لا يتجزأ، جزء أساسي من الإيمان، وإلا فهي تتجزأ، جزء أساسي من الإيمان.

المسألة الثالثة: زيادة الإيمان ونقصانه.

والمسألة الرابعة: جواز الاستثناء في الإيمان على تفصيل سيأتي.

إذن نعود إلى تطبيق كلام المؤلف على هذه المسائل:

المسألة الأولى: داخل فيها قوله: (الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان)، هذا تفصيل لكلمة مجملة عند السلف التي هي تعريف الإيمان وحقيقته، بأن الإيمان قول وعمل، وهذه مأخوذة من النصوص.

القول يدخل فيه قول اللسان الذي هو ناتج عن اعتقاد القلب؛ ولذلك سمي قول مع أنه يشمل اعتقاد القلب، وقول اللسان؛ لأن الأصل في القول: أن ينتج عن حقيقة يعتقدها الإنسان، إذا قال الحق، فنحن نفترض أنه يعتقد الحق، كنهه لا يعتقد كما في حال المنافق، هذا أمر لا يعلمه إلا الله، لكن نحن لنا الظاهر، إذن الإيمان قول، أي قول القلب الذي يعبر عنه اللسان، والذي هو قول اللسان.

العمل يشمل جزئيين: عمل القلب وعمل الجوارح التي منها قول اللسان؛ ولذلك كانت عبارة السلف قبل أن تضعف العربية في مثل هذا الإيجاز قول وعمل يدخل فيه كل معاني الإيمان، قول القلب وقول اللسان، ويدخل فيه عمل القلب وعمل اللسان وعمل الجوارح، وكذلك يدخل فيه ثمرة القول وهو عمل الجوارح، إذن الإيمان هو قول باللسان بمعنى تعبير عما يعتقده الإنسان.

وأول وأعظم درجات قول اللسان التي تمثل الإيمان: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

ثم قال: (وعمل بالأركان) يعني بالجوارح: الحركات، الأعضاء. الصلاة عبارة عن عبادة تنتج عن طريق الأعضاء، كذلك الحج الصيام منه ومنه...، فمن هنا يسمى هذه الأدوات التي يعمل بها الإنسان ما أمره الله به، الجوارح التي هي الأعضاء تسمى أركان.

ثم قال: (وعقد بالجنان) يعني هذا مما يدل على أنه يجوز أن نعكس فنقول: العكس هو عقد بالجنان أي اعتقاد القلب، العقد بمعنى الاعتقاد، بمعنى المعرفة اليقينية، عقد بمعنى الاعتقاد، بالجنان يعني بالقلب.

إذن خلاصة الأمر: أن الإيمان يشمل الاعتقادات التي لابد أن ينتج عنها النطق بالشهادتين ونحوها، ويدخل فيها الذكر وتلاوة القرآن وعمل كلٍ، يعني قول كل خير يدخل في هذا الأمر، ويدخل فيه أيضًا بالضرورة الأعمال الظاهرة كالصلاة والصيام والحج وسائر الأعمال.

من هنا نجد أن الإيمان هو كل الدين سواءً ما يتعلق بالقلب أو ما يتعلق بما يعبر به الإنسان بلسانه من الأمور الإيمانية أو الدينية، أو ما يتعلق بالتطبيقات وهي أعمال الناس.

إذا كان هذه من المسألة من مسائل الإيمان، فيترتب عليها إذا عرفنا أن الإيمان يدخل فيه الأعمال تدخل فيه الأقوال، تدخل فيه أحوال القلب التي أحيانًا تصل إلى اليقين القطعي، وأحيانًا تكون أقل من ذلك، نريد أن نمهد فنقول إذن:

المسألة الثانية: أن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان.

إذا كان كذلك ودخلت الأعمال في مسمى الإيمان وهي المسألة الثانية إذا كانت الأعمال ضمن الإيمان فمعنى هذا أننا ننتقل إلى المسألة الثالثة:

المسألة الثالثة: زيادة الأعمال ونقصانها، أن الإيمان يزيد ونقص.

لماذا قلنا: يزيد وينقص؟ من عندنا؟ من عدة اعتبارات:

أولاً: التصريح. كما ذكر المؤلف وسنذكر هذا بعد قليل، الآيات التي صرحت بأن الإيمان يزيد وينقص أيضًا أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ثانياً: وهو الذي يمكن أن يكون مقرر شرعًا وعقلاً وبداهة، أنه ما دامت الأعمال من الإيمان، إذن الأعمال تزيد وتنقص حتى اليقين يزيد وينقص، أليس كذلك؟ بلى، هذا الجانب القلبي يزيد وينقص، إذن فعلى هذا الإيمان يزيد وينقص.

فإذا كان المقصود بالإيمان هو ما عليه الإنسان، هو ما يتوفى عليه الإنسان الذي يدعي الإيمان.

إذن نخرج إلى المسألة الرابعة:

المسألة الرابعة: أنه يجوز الاستثناء في الإيمان. طبعًا هنا فيه تفصيل ربما لا يتسع المقام إلا إلى إشارة إليه: وهو أنه إذا سئلت: أمؤمن أنت؟ هل أنت مؤمن؟ تقول: إن شاء الله أنا مؤمن، أو تقول: آمنت بالله، أو تقول: إن شاء الله، إن شاء الله هل هذا يعني أنك في شك؟ إذن ماذا يعني؟

يعني أنك لا تنسب الكمال لك أو اليقين.

أنك لا تجزم بمصيرك، لكن ترجوا، إن شاء الله هنا على سبيل الرجاء، وعلى سبيل الأمل والتعلق بالله سبحانه لا على سبيل الشك، لكن لو سئلت عن مدى التصديق عندك؟ فأنت تقول: أنا مؤمن. لكن ليس هذا هو السؤال، غالبًا يتجه السؤال إلى هل أنت مقر بأصول هذا الدين ومسلم لله -عز وجل- بأصل الإيمان؟ ثم هل تتوقع أنك مؤمن عند الله؟ طبعًا ما تستطيع تجزم، تقول: إن شاء الله على سبيل الدعاء والرجاء، إذن هذا يسمى الاستثناء في الإيمان.

الآن نقرأ النص بإيجاز لنطبق ما قلناه وهو أولاً: قوله: (الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان) هذا يعني أن الإيمان لا يقف عند مجرد التصديق، بل يحمل معاني عظيمة يدخل فيها العمل والتصديق والقول، وكل ما يصدر عن الإنسان حتى الخلجات والخواطر، التي تنبني على مدى الإيمان هي داخلة في ذلك.

إذن الإيمان لا يقف عند مجرد التصديق، بل الإيمان يحمل معاني اليقين والتسليم والإخلاص والعمل والتطبيق، قال: (يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾) أليس دين القيمة هو الإيمان الحقيقي؟ إذا كان كذلك فكما ذكر الله -عز وجل- ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ ﴾ أولاً: ﴿ لِيَعْبُدُوا اللهَ ﴾، ثانيًا: ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ ثالثًا: ﴿ حُنَفَاءَ ﴾ ما معنى ﴿ حُنَفَاءَ ﴾؟ موحدين، رابعًا: ﴿ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ﴾ جعل إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ذلك كله بعد أن ذكر ذلك، جعلها قرينة الإخلاص والعبادة التي هي عبادة القلب وعبادة الجوارح، ثم ختم ذلك بقوله: ﴿ وَذَلِكَ ﴾ أي كله ﴿ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾.

إذن العبادة وتشمل الأمور القلبية والأمور العملية، أليست الصلاة عبادة؟ وحب الله عبادة؟ وحب الرسول -صلى الله عليه وسلم- عبادة واتباع النبي -صلى الله عليه وسلم- في هديه الظاهر عبادة، إذن دخل في العمل، ﴿ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ ﴾ هذا الجانب القلبي، ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ ويشمل الجانب العملي، بمعنى لا يمتثلون في

أعمالهم إلا أمر الله وأمر رسوله -صلى الله عليه وسلم-، ﴿ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ توحيد، والتوحيد يشمل الجانب العلمي والعملي الظاهر والباطن، ثم قال: ﴿ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ﴾ التي هي عمل ظاهر، لكن هل تصح إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة بلا اعتقاد؟ لا يمكن.

إذن هذه أدلة قطعية على أن الإيمان يشمل جميع هذه الأمور؛ ولذلك الله -عز وجل- قال: ﴿ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ الذي هو مسمى الإيمان.

ثم قال: (فجعل عبادة الله -تعالى- وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى من الطريق) ثم قال: (والحياء شعبة من الإيمان))

نأخذ الآن مفهوم مسائل الإيمان التي ذكرتها قبل قليل من هذا الحديث:

قال: (الإيمان) وهذا يعني أن المقصود بالإيمان؟ القول والعمل، بتفسيره فيما بعد، يعني هنا قال: (الإيمان بضع وسبعون شعبة) ثم قال: (أعلاها: شهادة أن لا إله إلا الله) شهادة أن لا إله إلا الله أولاً هي ظاهرًا قول، لكنها باطنًا دالة على أنها عمل باطني اعتقادي؛ لأن الإنسان يقول ما يعتقد، هذا الأصل، والكاذب لم يقل الحقيقة، لكن الأصل فيمن يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الأصل أنها تنبعث من قلبه.

إذن هذا الحديث بوضوح دل على:

أولاً: أن حقيقة الإيمان هي القول والعمل.

ثانيًا: أن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان. حينما قال: (الأقوال والأعمال تدخل في مسمى الإيمان، حينما ذكر الشهادتين وذكر إماطة الأذى عن الطريق) إماطة الأذى ما هي؟ هما الظاهر من الإيمان وهي عمل، أيضًا الحديث صريح في أن الإيمان يزيد وينقص وكيف؟

حينما قال: (بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة) ذكر أعلاها وأدناه.

هذا من ناحية، من ناحية أخرى هل أحد عنده جواب آخر؟ قال: (بضع و ستون أو بضع وسبعون شعبة) أليس معنى الشعب الدرجات؟ أليس معنى الشعب الأجزاء؟ إذن الشيء الذي يتدرج ويتشعب دليل على أنه يزيد وينقص، والدليل على هذا أنه هناك من الناس من يميط الأذى فهذا يكتمل إيمانه لو كمل الأمور الأخرى، هناك من لا يميط الأذى من الطريق، أليس نقص عنده شعبة؟ إذن الإيمان يزيد وينقص، وتدخل فيه الأعمال.

ثم قال: (فجعل القول والعمل من الإيمان وقال تعالى: ﴿ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾) ما هي التي زادتهم إيمانًا؟ الله -عز وجل- ذكر أنه إذا أنزلت سورة، كما جاء في سورة التوبة، ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ [التوبة: ١٢٤]، إذن صريحة في أن الإيمان يزيد، كيف زادتهم إيمانًا؟ يقينًا وتصديقًا، وأيضًا زادتهم إيمانًا، وأيضًا زادتهم إيمانًا؛ لأن الآية التي زادتهم إيمانًا، أليس كثير من الآيات بكل كل الآيات تتضمن الأعمال سواءً القلبية أو الجوارح؟

إذن زادتهم إيمانًا من ناحيتين: من ناحية اليقين والتصديق، ومن ناحية أنها تطلبت منهم العمل فزادت يقينهم وزادت بها أعمالهم؛ لأن الآية الجديدة يكون فيها تشريع جديد.

ثم قال -عز وجل-: ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا ﴾ من هم الذين يزدادون إيمانًا؟ الله -عز وجل- يقول: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا ﴾ [الفتح: ٤]، ليزداد يقينهم ثم يزداد عملهم.

أيضًا قال: وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال ذرة من خردلة.. من قال برة، ذرة، خردلة هذه مثاقيل، البرة حبة صغيرة، حبة البر التي هي صغيرة جدًا، ثم أصغر منها الخردلة، لا تكاد توزن إلا بالميزان الحساس، أصغر منها الذرة، والذرة أصبحت الآن يعني في العلم الحديث من الصغر بحيث - يصعب بل يكاد- يستحيل وزنها لولا وجود موازين حساسة وتقديرها بمقاييس علمية دقيقة فقط، وإلا يعني على الموازين المعهودة لا يمكن أن توزن الذرة؛ لأن ثقلها أو الثقل يوجد فيها ربما يحتاج إلى ملايين الملايين من الجزء الصغير، فمن هنا هذه المقادير تدل على التفاوت، التفاوت في الجزاء، التفاوت في الجزاء مبني على التفاوت في العمل في الدنيا، الناس أعمالهم في الدنيا تتفاوت تزيد وتنقص حتى من قل إيمانه وقل توحيده فهو -بإذن الله- سيلقى جزاؤه على النحو الذي فيه هذا التفاوت، إذن هذا الدليل على تفاوت الإيمان وزيادته ونقصانه، وأنه تدخل فيه الأعمال إلى آخره.

يقول: من احتج بهذا الحديث على أن مجرد الإيمان يكفي من دون أعمال في دخول الجنة؟.

الأمر الأول: هذا الحديث أو غيره، لابد أن يُربط بالأحاديث الأخرى، هذا الحديث جاء في مسألة رحمة الله -عز وجل- بعباده الذين عندهم أدنى درجة من الإيمان يوم القيامة، بعد أن ذكر جزاء الذين أعمالهم بينة وكبيرة، فهذا دليل على عكس استدلالهم.

الأمر الآخر: أن هذا الحديث - كما قلت- لابد أن يربط بالأدلة الأخرى ويفسر بها، فهذا الحديث جاء -والله أعلم- في حق الناس الذين كفر الله -عز وجل- عنهم سيئاتهم في الأعمال الأخرى، وبقي ما في القلب، سياق الحديث الطويل في هذا الأمر يدل على أن الناس حوسبوا على أعمال قلبية وأعمال جوارح، ثم وصل الأمر إلى الحد الذي حين طهرهم الله -عز وجل- من جميع أعمالهم من جميع أعمال السوء التي عملوها، بقي أصل الإيمان الذي عندهم، فالله -عز وجل- رتب على أصل الإيمان هذا الجزاء الذي ذكره في الحديث.

إذن الأحاديث الأخرى ورد فيها أن الجزاء يكون على قدر الأعمال، وأن هذه الأعمال تفسرها النصوص الأخرى، أنها تشمل أعمال قلبية وأعمال جوارح.

يقول: ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- الدعاء برد القضاء، فكيف يكون صيغة هذا الدعاء؟ لأن بعض الناس يقعون في أخطاء كثيرة في هذا الدعاء؟.

على أي حال: الدعاء في رد القضاء ليس له صيغة، المهم أن تكون الصيغة مشروعة، بمعنى: أنك تدعو الله -عز وجل- بأن يدفع عنك الشر، كما جاء في الحديث: (اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك) فالسخط من قدر الله وقضائه (وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك) فهذا نموذج للدعاء الذي يرد الله به القضاء، وثبت في الحديث أن الدعاء سبب لرد القضاء، كل ذلك بتقدير الله السابق.

الله -عز وجل- علم أن هذا الإنسان المضطر سيدعو الله -عز وجل- وأن الله سيجيب دعاءه فجعل دعاءه سببًا لرد قضاء، لو لم يدعوا لوقع عليه القضاء؛ ولذلك جاء في الحديث الصحيح في مستدرك الحاكم وفي غيره وفي ألفاظ متعددة: (إن الدعاء والقضاء ليلتقيان بين السماء والأرض فيعتلجان) وفي بعض الألفاظ: (فيتصارعان بين السماء والأرض فيغلب الدعاء القضاء)، هذا معناه، أن الإنسان يدعوا بأي دعاء مشروع، بأن الله يرد عنه الشر، والسوء حتى سواءً بأدعية القرآن مثل المعوذات أو بالأدعية التي ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أو بأي دعاء يكون مشروع.

تقول: نحن والحمد لله نؤمن بأن الأعمال والأقوال تدخل في مسمى الإيمان، ولكن كيف نرد على من يقول: أن الإيمان هو تصديق بالقلب واللسان، وأن الأعمال تدخل في مسمى الإسلام؟.

نقول لهم بمثل هذه الأدلة يعني الله -عز وجل- ذكر زيادة في الإيمان، كما ذكرها في الإسلام، لكن الآيات التي أوردناها قبل قليل تنص على أن الإيمان هو الذي يزيد، ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا ﴾، ﴿ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ أليس كذلك؟ أليس الله -عز وجل- في كتابه قال بلفظ صحيح صريح نسب الزيادة أو أضاف الزيادة إلى الإيمان؟ إذن هذا دليل يكفي، لكن قد يفسر الإيمان بالإسلام أحيانًا، وهذا راجع إلى التداخل في بعض المعاني بين الإسلام والإيمان، أما أننا نقول: لا يكون زيادة ولا نقص إلا في الإسلام، فهذا خطأ بموجب هذه النصوص القطعية، وأيضًا قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (الإيمان بضع وسبعون شعبة) فذكر هذه الشعب قال: أعلاها وأدناها فالإشارة إلى الأعلى والأدنى، أليس الأعلى هو زائد؟ والأدنى هو ناقص؟ نعم، هذه صريحة جدًا؛ ولذلك أعجب ولا ينقضي عجبي كيف يكون طالب العلم المتمكن المتبصر بالأدلة يخفى عليه مثل هذا الوضوح؟!! ما عند المرجئة أمور مشتبهة شبهات، والشبهات لا تقوى على صريح الأدلة.

تقول: ما حكم من يقول: أن الإيمان في القلب، وعندما تنصحه بأن يقوم بأحد الأعمال يقول: أن الإيمان في القلب؟.

نورد له هذه الأدلة، يعني مثل حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- صريح: (الإيمان بضع وسبعون شعبة) نورد له ونقول له: النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكر (إماطة الأذى عن الطريق) وذكر: (شهادة أن لا إله إلا الله) وهي أعلاها، وذكر: (الحياء شعبة من الإيمان) كل هذه الأمور يعني الحياء وإن كان يبدأ من القلب إلا أنه تصرف سلوكي، لكن شهادة أن لا إله إلا الله قول، وإماطة الأذى فعل، فما نرد مثل هذا الحديث الصريح، ولكن أحب أن أنبه إخواني طلاب العلم وعموم المشاهدين إلى أن الكثير ممن يريدون هذه الأمور قد لا يكونوا جهلة، إنما هو من الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، إن كان جاهل نعلمه، وإن كان جاهل فإذا علم فسيخضع للحق؛ لأن الحق بين، لكن يبدو لي أن أغلب الذين -أو ما أقول أغلب- بعض الذين يوردون مثل هذه الشبهات من أصحاب أهواء وشهوات يريدون أن يصدوا الحق بمثل هذه الردود، فهؤلاء تقال لهم الأدلة ولا يمارون ولا يجادلون، يوعظون الأولى أنهم يوعظون لعل الله يهديهم.

أسئلة الحلقة.

السؤال الأول: في قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (آمنت بالقدر خيره وشره، وحلوه ومره) ما العلاقة بين العبارات؟ بين "خيره وحلوه" وبين: "شره ومره"؟

السؤال الثاني: ما وجه استدلال المؤلف هنا بحديث: (الإيمان بضع وسبعون شعبة) على مسائل الإيمان الثلاث الأولى؟

الدرس الثاني عشر

الإيمان بما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله -صلى الله عليه وسلم وآله- ورضي الله عن صحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

بعون الله وتوفيقه نستأنف درس اليوم، وقد وقفنا على فصل: (ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم-) فليتفضل الأخ الكريم بقراءة هذا المقطع.

فضيلة الشيخ نستأذنكم في تلقي إجابات أسئلة الحلقة الماضية .

وهو كذلك.

أجاب الأخ الكريم عن السؤال الأول وهو عن قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره) ما العلاقة بين العبارات: "خيره" و"حلوه" و"شره" و"مره"؟

يقول الأخ الكريم: العلاقة بين قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (خيره) و (حلوه) هي إن الحلاوة والسعادة هي النتيجة والثمرة الحتمية لعمل الخير، كما أن المرارة هي نتيجة وثمرة عمل الشر .

نعم، هذا جواب مسدد.

السؤال الثاني: وجه استدلال المؤلف بحديث: (الإيمان بضع وسبعون شعبة) على مسائل الإيمان الثلاث الأولى؟ تقول: يستدل على مسائل الإيمان الثلاثة:

أولاً: إن حقيقة الإيمان هي القول والعمل، وتستدل على ذلك من حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-: (أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله) وهي قول باللسان، وقوله: (وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) وهي عمل .

لا بأس مع أنها لو أشارت..

كذلك فصلت غير ذلك يا شيخ بقولها: إن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان، وأيضًا إن الإيمان يزيد وينقص حيث قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إن الإيمان بضع وستون شعبة) .

وقال أعلاها وأدناها، نعم جواب جيد.

يقول الموفق ابن قدامة -رحمه الله تعالى- في كتابه "لمعة الاعتقاد": (فَصْلٌ: وَيَجِبَ اَلْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ اَلنَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- وَصَحَّ بِهِ اَلنَّقْلُ عَنْهُ فِيمَا شَاهَدْنَاهُ، أَوْ غَابَ عَنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَسَوَاءٌ فِي ذَلِكَ مَا عَقِلْنَاهُ وَجَهِلْنَاهُ وَلَمْ نَطَّلِعْ عَلَى حَقِيقَةِ مَعْنَاهُ مِثْلَ حَدِيثِ اَلْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ وَكَانَ يَقَظَةً لَا مَنَامًا، فَإِنَّ قُرَيْشًا أَنْكَرَتْهُ وَأَكْبَرَتْهُ، وَلَمْ تُنْكِرْ اَلْمَنَامَاتِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ مَلَكَ اَلْمَوْتِ لَمَّا جَاءَ إِلَى مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لِيَقْبِضَ رُوحِهِ لَطَمَهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ عَيْنَهُ) .

أحسنت، هذا المقطع استكمال للكلام عن الإيمان بمعناه الإجمالي، نحن نعرف أن الإيمان يتكون أولاً من أركان الإيمان الستة، والتي هي اعتقادات وأقوال وأفعال، تتضمن اعتقادات وأقوال وأفعال، وأيضًا يدخل في الإيمان في أركان الإيمان وفي جملته وفي أركانه الستة، كل ما أخبر به الله -عز وجل- وأخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- مما ثبت عنه، وعلى هذا فهذه الأمور وهي نماذج لمسائل لا تتناهى كثيرة جدًا، أخبر الله بها وأخبر بها رسوله -صلى الله عليه وسلم- هذه المسائل تدخل في أركان الإيمان، فمثلاً ما أخبر الله به من أحوال الماضي وأحوال المستقبل وأحوال القيامة داخل في الإيمان بالله، لأنه لا يتم الإيمان بالله إلا بالإيمان بما أخبر به الله، وداخل في الإيمان بالكتب وهو الركن الثاني؛ لأن الكتب المنزلة من الله جاءت بهذه الأخبار كما جاءت بالشرائع، وداخل في الإيمان بالرسل وهو الركن الثالث؛ لأن الرسل أخبروا بهذه الأخبار وغيرها من أخبار الدنيا والآخرة، وداخل أيضا الإيمان باليوم الآخر من باب أولى، وإن اليوم الآخر كله غيب وجاءت فيه أخبار مجملة ومفصلة، كذلك كثير من أمور الغيب تدخل في الإيمان بالقدر، لأن القدر غيب.

وعلى هذا فإنه كما يجب الإيمان بأركان الإيمان الستة يجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- وبالضرورة ما جاء به القرآن فهو من باب أولى؛ لأن من خبر النبي -صلى الله عليه وسلم- القرآن أليس كذلك؟.

ثم قال: (وصح به النقل عنه) هذا نوع تقييد لما يمكن أن يُرْوَى عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ولم يصح، فإن ما لم يصح لا يصدق، أو الذي يتردد بين الصحة والضعف، بمعنى لم يثبت صحته لكن يكون ضعيفا هذا لا يكون الخبر به يقينيا، ولذلك إنما تُعُبدنا بما صح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- بأن نؤمن به على جهة اليقين.

قال: (فيما شاهدناه) يعني ما نشاهده مما يحدث في أحوالنا مما كان أخبر الله به، فمثلاً مما نشاهده أقدارنا التي تحدث لنا، هي غيب حتى تحدث، فإذا حدثت صدقنا الخبر بها.

ونشاهد أيضًا بعض مظاهر الغيبيات، نشاهد مظهر الموت فيما يحدث عندنا من عبر الموت، ونشاهدها أيضًا من الأخبار التي بقيت آثارها، فمثلاً أخبر الله -عز وجل- عن الأمم الهالكة التي أهلكت بالعقوبات، فنحن نرى آثارها الآن من خلال ما نشاهده من بقايا تلك الأمم، وغير ذلك مما يشهده الإنسان في نفسه ومن حوله في أخبار الحاضر وأخبار الماضي، أما المستقبل فهو أمر لا ينكشف حتى يحدث.

(أو غاب عن) أي من الأمور الماضية التي لم ندركها لكن أخبر الله بها، أو الأمور المستقبلة التي لم ندركها لكن أخبر الله بها فهي غائبة عنا، كل ما أخبر الله به غائب إلا ما حدث، يعني هناك أشياء كانت غائبة في أثناء أخبار النبي -صلى الله عليه وسلم- بها ثم حدثت بعد ذلك، وحدوثها مصداق خبر النبي -صلى الله عليه وسلم- نعلم أنه حق وصدق، حق بمعنى على حقيقته، وصدق بمعنى أنه ليس بكذب، والنبي -صلى الله عليه وسلم- حاشاه أن يصدر عنه الكذب فإن ما جاء به من أخبار سواء في القرآن أو في السنة حق، وأيضًا صدق واقع لا محالة.

(وسواء في ذلك ما عقلن) سواء فهمناه، عقلناه هنا بمعنى فهمناه، أو أدركناه على حقيقته (أو جهلناه) يعني جهلنا الكيفيات، وإلا فما أخبر الله به فمعلوم ليس بمجهول، حتى لو لم يقع فهو معلوم، فنحن نعلم أن الله يبعث من في القبور، وأن الله يحاسب الخلق، وأن الله يعذب من يشاء ويرحم من يشاء، هذا نعلمه لكننا لا نعرف حقيقته، نجهل الكيفية، الحقيقة بمعنى الكيفية.

(أو جهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه) يعني الكيفية كما أسلفت، مثل حديث الإسراء، وهنا ضرب أمثلة لما جاء به الخبر لكنا لا نعرف كيفيته، صح به الخبر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو جاء في القرآن والسنة لكن لم نعرف الكيفية التي وقع عليها لأنها لا تزال مغيبة، من ذلك قصة الإسراء والمعراج.

المقصود بالإسراء والمعراج ما حدث للنبي -صلى الله عليه وسلم- حيث أسري به يعني نُقِل لأن الإسراء من السُّرى وهو المشي بالليل، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- نُقل بالبراق من مكة إلى البيت الأقصى إلى بيت المقدس ليلاً، فسمي هذا بالإسراء، والمعراج أيضًا وهو تابع للإسراء، أي النبي -صلى الله عليه وسلم- لما أُسري به إلى بيت المقدس وصلى بالنبيين كما ثبت عُرِج به إلى السماء، والعروج هو الصعود، وهذا أيضًا كان بالبراق، وعلى أي حال قيل: إن الإسراء بالبراق، والمعراج الله أعلم بكيفيته، لكن ومع ذلك هذا أمر حدث للنبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة بروحه وجسده ولا شك.

قال: (وكان يقظة لا منامً) أي لم يكن حلما أو رؤية، لماذا؟ لأنه لو كان رؤية أو حلما ما كان محل إشكال وإنكار عند مشركي قريش، لأن الأحلام لا تقيد، يمكن لأي إنسان منكم أنتم أيها الحاضرون أو غيركم أو أي مشاهد أو غيره يمكن أن يدعي أنه رأى في منامه البارحة أنه عَرَج إلى السماء، نقول: هذا منام لا نستطيع أن ننكر عليه أنه حلم أو رأى رؤيا؛ لأن الرؤيا ليست أمرا عيناً وليست بالجسد والروح، فإن هنا يكون الإسراء والمعراج للنبي -صلى الله عليه وسلم- حقيقة بروحه وجسده؛ ولذلك صار هذا من أعظم المقامات والمعجزات والآيات الكبرى للنبي -صلى الله عليه وسلم- وامتدحه الله به، ووصفه بأعظم الأوصاف التي قربة لله -عز وجل- وهي العبودية ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ [الإسراء: ١] والعبودية هنا ذكرت في هذا المقام مما يدل على أن مقام الإسراء والمعراج من أعظم المقامات التي شرف الله بها نبيه محمدًا -صلى الله عليه وسلم-.

(يقظة لا منامًا، فإن قريش أنكرته وأكبرته) هنا يستدل على أنه بالجسد والروح وأنه يقظة لا منامًا؛ لأن قريش يعني مشركي قريش أنكروا وضحكوا وسخروا من النبي -صلى الله عليه وسلم- حينما ذكر لهم ذلك زعمًا منهم أن ذلك مستحيل، لكن لو قال: إني رأيت في الحلم أو في المنام هل يكون مثل ذلك الإنكار والسخرية؟ أبدًا.

ثم قال: (أنكرته) يعني جحدته (وأكبرته) استعظمته واستهولته وجعلته أمرا مهيلا لا يُصدق (ولم تنكر المنامات) يعني أن مشركي قريش ما كانوا ينكرون الأحلام والمنامات لو كان المسألة مسألة مجرد حلم، ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء إلى موسى -عليه السلام- ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه فرد عليه عينه، هنا يمثل بمثال آخر من الغيبيات وهي التي تحدث على أمر غيبي لكنه مُثل بشيء معهود عند الناس، هنا القصة قصة ملك، ملك الموت، الملائكة كيفيتها لا نعلمها، هذا الملك تمثل بإذن الله -عز وجل- لموسى -عليه السلام- على هيئة رجل، وهذا حدث كثيرًا، الملائكة خلق آخر، ولا يمكن أن يكون لهم قربة من البشر إلا حينما يمثلون بصورة البشر، فذلك جبريل -عليه السلام- جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- مرات على صورة إنسان، مرة على صورة دحية الكلبي، ومرات كثيرة على صور كثيرة كما جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- في المسجد عند أصحابه على هيئة رجل غريب، ومع ذلك لم يُرَ عليه أثر السفر، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، يعني أنهم يرونه كما يرون أي إنسان لكنه جاء نظيفًا مهذبًا على خلق عظيم، فهذا مثال أو صورة لجبريل -عليه السلام- تمثلت للناس على هيئة آدمي، فكذلك هذه القصة التي حدثت لموسى هي غيب لكن الله -عز وجل- مثل له ملك الموت على هيئة رجل، فحدث ما حدث أن موسى -عليه السلام- أنكر هذا الموقف، قيل: لأنه فجعه بذكر الموت، يعني فوجئ فضرب ملك الموت، وقيل وهو الأرجح: إنه لما وجده في بيته خاف على عرضه، أو أن ذلك نوع من الإهانة له في بيته عند محارمه، فضربه وذلك مشروع كما ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أن من فعل مثل ذلك تُفقأ عينه، من اطلع على عورة أناس يجوز أن يفقئوا عينه، فمن هنا يكون المشهد مشهد فيه جزء من عالم الشهادة فيه جزء غيبي، الجزء الذي من عالم الشهادة هو موسى، فهو إنسان نبي من أنبياء الله وما حدث منه طبيعي أن يحدث من البشر، لكن الطرف الآخر ملك الموت، وهو تمثله على شكل إنسان، وما حدث لموسى منه من أنه فقأ عينه هذا مثال ضُرب للخلق وأمثاله كثيرة، المقصود أن هذا مجرد أنموذج من أنه يجب أن نؤمن بمثل هذه القصص التي ثبتت في كتاب الله وصحت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نكمل القراءة.

تقول: السؤال الأول: انتقد العلماء قول الطحاوي في الإيمان: الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان، وأهله في أصله سواء، ما معنى هذه الكلمة؟ ولماذا انتقدها أهل العلم؟

السؤال الثاني: أمرنا الله بالإيمان بأخبار الغيب، لكن ما الواجب علينا اتجاه النصوص الغير قطعية الثبوت؟ هل يجب علينا الإيمان بها؟ وهل يجوز لنا التشكيك فيما نطق بعض أهل العلم بعدم صحته مثل المهدي المنتظر وغيره؟ .

سؤالها الأول عن قول الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى-: الإيمان قول باللسان وعمل بالجنان وأهله في أصله سواء؟ .

في الحقيقة الطحاوي –رحمه الله- في هذه العبارة وافق المرجئة في الظاهر، ومع ذلك كلامه محتمل، وهو قوله: إن أهله –يعني أهل الإيمان- في أصله سواء، هذا لا يستقيم مع منهج السلف، أهل الإيمان في أصل الإيمان ليسوا سواء، بل يتفاوتون فإيمان جبريل وإيمان النبي –صلى الله عليه وسلم- وإيمان النبيين والصديقين ليس كإيمان العصاة وإيمان المشككين والمرتابين، فلا شك أن بينهما تفاوتاً، لكن قد يُحمل كلام الطحاوي بتكلف على أن المقصود به أصله الذي هو مبدأ التصديق، ومع ذلك أيضًا لا يسلم بذلك، وإن كنا نعذر الطحاوي في هذا لأنه حتى التصديق أيضًا يتفاوت، أحيانًا يكون التصديق مجرد خضوع للمبدأ الذي هو مبدأ القول، وأحيانًا يكون التصديق يقينا، فرق بين التصديق اليقيني والتصديق لمجرد الخضوع.

أما الشق الثاني من السؤال فنعم يجب أن نؤمن بكل ما صح عن النبي –صلى الله عليه وسلم- وهذا محك الاختبار، ما ثبت يجب الإيمان به قطعًا، لكن قد يرد بعض الأشياء لم تثبت فيها الأدلة، وهذا الذي لم يثبت فيه دليل اختُلِف فيه اختلاف معتبر، هناك اختلاف غير معتبر كما في قضية المهدي، لكن توجد أشياء الخلاف فيها معتبر مثل شفاعة الشهداء، الشهيد يشفع، لكن اليقين بأنه يشفع يرجع إلى مدى صحة الدليل، قد تكلم بعض أهل العلم بكلام معتبر في دليل شفاعة الشهيد، فهذا يرد الشك فيه بناءً على عدم ثبوت الدليل، لكن المهدي تواترت فيه النصوص، والذين خاضوا في أمر المهدي خاضوا في بعض المسائل والأخبار التي تتعلق ببعض تفاصيل قصة المهدي تتعلق بها وأنكروها، فالمهدي وردت أخباره على صور كثيرة، بعض هذه الصور وبعض الأحوال للمهدي يكون فيها شك، فهؤلاء الأئمة والعلماء تكلموا في هذه الصور والأحوال لا في أصل المهدي المنتظر، فإن أصل المهدي المنتظر ثابت بنصوص قطعية ولا يجوز الشك فيه لأن هذا مما ينعكس على تكذيب النبي –صلى الله عليه وسلم-.

يقول المؤلف –رحمه الله تعالى-: (ومن ذلك أشراط الساعة مثل خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم –عليه السلام- فيقتله، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صبح به النقل، وعذاب القبر ونعيمه حق) .

نقف عند أشراط الساعة، أشراط الساعة من الأحداث الكبرى التي أخبر بها النبي –صلى الله عليه وسلم- الأشراط نوعان: توجد أشراط بمعنى علامات صغرى وتوجد أشراط بمعنى علامات كبرى، الأشراط هي العلامات والأحداث التي تقترن بالساعة.

فالعلامات الصغرى كثيرة جدًا من ضمنها بعث النبي –صلى الله عليه وسلم- ومن ضمنها انتشار الإسلام، ومن ضمنها ما أخبر به النبي –صلى الله عليه وسلم- من ظهور النار التي تخرج شرق المدينة، وهي التي الآن نرى آثارها وقد خرجت، وغيرها من الأمور التي تسمى العلامات الصغرى.

العلامات الكبرى عشرة، هذه حسب سياقاتها كما ثبتت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا حدثت تحدث متوالية، يعني مترابطة، كل حدث منها يرتبط بالآخر، ولذلك اختُلف أيها أول وأيها آخر؟ قد يكون الترتيب النسبي ممكنا، لكن الترتيب اليقين صعب.

خروج الدجال، وهو رجل يدعي أنه الرب، ويدعي أنه يخلق -تعالى الله عما يفعل الظالمون- ويُفتَن به الناس ويصدقه فئة من الخلق، خروج الدجال يقارنه أو في آخره ينزل عيسى -عليه السلام- من السماء فيقتل الدجال، ويحكم بشريعة محمد -صلى الله عليه وسلم- عن طريق المهدي، يتزامن ويتعاصر المهدي وعيسى -عليه السلام- لأن المهدي يخرج قبل ذلك، ثم ينزل عيسى -عليه السلام- ويقتل الدجال وينتصر، ويجتمع عليه المؤمنون إلى أن يقضي الله بنهاية الدجال.

ثم في هذه الأثناء أيضًا يخرج فئة من الناس اسمهم يأجوج ومأجوج، وهل هذا الاسم اسم أو وصف؟ الله أعلم، وهم من البشر، ويفتن بهم الناس، ويحدث منهم أذى عظيم، ثم يدعو الله -عز وجل- عيسى -عليه السلام- يدعو الله بأن يميتهم فيميتهم أي يأجوج ومأجوج.

وخروج الدابة، والدابة حيوان هذا معنى الدابة، يسمى يعني الحمار دابة والحصان دابة، فهو دابة الله أعلم بتفاصيل الأخبار عنها إلا أنه ثبت أنها تخرج وأنها تسم الناس، فالمؤمن تضع عليه وسم الإيمان، والكافر تضع عليه وسم الكفر، وهذا الوسم أو هذه السمة يعرفها الناس في ذلك الوقت.

وطلوع الشمس من مغربها، وهذا انقلاب في الكون، الشمس هذه التي نراها يوميًا تطلع من المشرق وتغرب من المغرب ينعكس مسارها، وهذه آية عظيمة مهولة مفجعة يهتال منها الخلق، ولذلك يحدث للناس تميز، ويؤمن كثير منهم بل كل يؤمنون، لكن من لم يكن آمن قبل الحادثة لم ينفعه إيمانه، فهو مثلما فعل فرعون عندما اعترف بالرب -عز وجل- في لحظات الموت، فهؤلاء كذلك الذين هم من الفجار والكفار إذا رأوا الشمس طلعت من مغربهم يعلنون إيمانهم لكن لا ينفعهم ذلك، وهذا يعني أن يستعد المسلم دائمًا بأن يعتصم بالله، وأن يحافظ على دينه، وأن يحرص على البعد عن مضلات الفتن والأهواء؛ لئلا يحدث عليه ما يحدث من تلك المواقف المهولة.

ذكر هذه الأشياء كنماذج، أيضًا بقي من أشراط الساعة الكبرى الدخان يغشى الناس، بمعنى أنه يكون له أثر ظاهر ويتأذى منه البشر، وأيضًا الدخان قيل: إنه خرج في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- أو في عهد الصحابة، وقيل: إنه لا يزال، والراجح -والله أعلم- أنه إن كان حدث شيء من الدخان قبل ذلك فليس هو المقصود بالآيات العشر؛ لأن الآيات العشر مترابطة، ذكرها النبي -صلى الله عليه وسلم- مترابطة، فهو -والله أعلم- دخان آخر يخرج في آخر الزمان.

وكذلك الخسوف الثلاثة، أخبر بها النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي خسوف عظمى هائلة تحدث في جزيرة العرب وفي أقصى المشرق وفي أقصى المغرب.

ثم ذكر العاشرة النار التي تحشر الناس من اليمن إلى المحشر أي إلى الشام.

هذه تسمى أشراط الساعة الكبرى العشر، ويتخللها أشراط صغرى قبلها وبعدها وفي أثنائها.

يقول: هل يلزم الإيمان بتفاصيل الأمور الغيبية أو يكتفي الإيمان بها؟ مثل علامات الساعة هل يلزم الإيمان بتفاصيلها ومتى وقوعها وترتيبها أو ما يتعلق بها من المسائل؟ .

أحسنت، أركان الإيمان الستة ضرورة لا يجوز لأحد أن يجهلها، لكن ما يتفرع عنها ومن ضمنها هذه الأمور ومن ضمنها أشراط الساعة، فالمسلم مطالب بأن يؤمن بما سمعه من الخبر من الخبر في كتاب الله وفهمه، أو عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا سمع الحديث وعلم أنه صحيح في أي أمر من أمور الغيب وجب التسليم به، أما المسلم ما دام لم يسمع الضرورات فلا يطالب إلا بما يستطيع، ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

يقول المؤلف -رحمه الله تعالى-: (وعذاب القبر ونعيمه حق، وقد استعاذ النبي -صلى الله عليه وسلم- منه وأمر به في كل صلاة) .

نعم، هذا من ضمن الغيبيات، وعذاب القبر ونعيمه هو في الحياة البرزخية، حياة بين حياتين، هو نهاية الحياة الدنيا وقبل البعث، لذلك تسمى البرزخ، البرزخ هو الطريق أو الجسر بين قطعتين أو شيئين، فهذه الحياة التي هي ما بعد الموت تسمى الحياة البرزخية، وفيها يفتن الناس، وقد وردت تفاصيل هذه الفتنة، من ذلك النعيم نسأل الله أن يجعلنا جميعًا من المنعمين في القبر، ومنه أن المؤمن يشرح له صدره ويفرح ويرى ما يسره من عمله، ويفتح له باب إلى الجنة فيرى مقعده من الجنة، فيعيش حياة سعيدة هي بداية ثمرة عمله في الدنيا قبل الآخرة، وكذلك أيضًا يأتيه ملكان فيبشرانه، ويرى من المبشرات ومن مقدمات النعيم ما يسعد به.

والعكس كذلك، فالفاجر والكافر -نسأل الله العافية- يُعَذَّب، يعذب بأن يرى ما يسوءه ويرى عمله السيئ فيوحشه، وكذلك تعذبه الملائكة ملائكة القبر، كذلك يفتح له -نسأل الله السلامة- منزله من النار، فيلقى ثمرة عمله السيئ في الدنيا قبل الآخرة في هذه المرحلة أي القبر، ولذلك استعاذ النبي -صلى الله عليه وسلم- من عذاب القبر، وأمر كل مسلم بأن يستعيذ بالله من ذلك في كل صلاة.

قال -رحمه الله تعالى-: (وفتنة القبر حق، وسؤال منكر ونكير حق، والبعث بعد الموت حق، وذلك حين ينفخ إسرافيل -عليه السلام- في الصور ﴿ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [يس: ٥١] ويحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بهمًا، فيقفون في موقف القيامة حتى يشفع فيهم نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- ويحاسبهم الله -تبارك وتعالى- وتنصب الموازين، وتنشر الدواوين، وتتطاير صحائف الأعمال إلى الأيمان والشمائل ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴾﴾ [الانشقاق: ٧- ١٢] والميزان له كفتان ولسان توزن به الأعمال ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣]) .

أحسنت، هذا امتداد أيضًا للحديث عن الغيبيات، فيه تفصيل عن فتنة القبر وأن الفتنة في القبر حق بمعنى أنها لابد واقعة، ومنها سؤال منكر ونكير، أي سؤال الملكين، سؤال الملكين ثابت لكن تسمية الملكين بمنكر ونكير بعض أهل العلم ما ثبت عنده الحديث في اسم الملكين، ولذلك يخطئ بعض الناس الذين ظنوا أن الحديث الذي فيه اسم الملكين منكر ونكير أنه لا يصح، ظنوا أن معنى هذا أن فتنة القبر لا تصح، ففرق بين هذا وذاك، الملكان وردت بهما الأخبار، لكن تسميتهم منكر ونكير ضعفه بعض أهل العلم والراجح أنه صحيح.

(والبعث بعد الموت حق) كذلك البعث يكون بعد القبر، وذلك أي البعث حين ينفخ إسرافيل وهو ملك النفخ، ملك الحياة الآخرة، ينفخ إسرافيل -عليه السلام- في الصور ﴿ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ ﴾ أي من القبور ﴿ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ أي يخرجون بسرعة.

(ويحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بهمً) بمعنى أنهم لا يملكون شيئا، والغرل هم غير المختونين، والبهم الذين هم أشبه بالبهيم الذي لا يملك شيئا لا ثياب ولا أساس ولا أي شيء من الممتلكات، يأتي بشكل لا يلحق به أي شيء من الأشياء ولا حتى اللباس.

ثم قال: (فيقفون في موقف القيامة) أي المحشر، مكان الحشر (ويحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة) ثم قال: (حتى يشفع فيهم نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-) وهذا ما سيذكره بعد قليل مما يسمى بالمقام، سماه الله -عز وجل- بالمقام المحمود، أي إن الناس حينما يحشرون حشرًا طويلاً يبحثون عمن يشفع لهم عند الله -عز وجل- فلا يجدون إلا النبي -صلى الله عليه وسلم- بعدما يعرضون أنفسهم على أولي العزم، على آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى فتنتهي إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- فيشفع فيهم بأن يفصل الله بينهم.

ثم بعد الشفاعة يحاسبهم الله -عز وجل- يحاسب كل إنسان بمفرده، كما يحاسب الجميع حسابًا عامًا، كما ورد في حساب الأمم الذين مع أنبيائهم.

(وتنصب الموازين) أي الآلات التي توزن بها أعمال الناس بأفرادهم، الخير والشر (وتنشر الدواوين) وهي الصحائف والأوراق التي تكون فيها النتائج، أشبه ما يكون بأحوال الامتحانات الاختبارات للطلاب اليوم.

(وتتطاير صحائف الأعمال إلى الأيمان) أي الأيدي اليمين (أو الشمائل) الأيدي الشمال، فالذين ينجون يعطون صحائفهم شهادة النجاح بأيمانهم، والذين يفشلون -نسأل الله السلامة- وهم العصاة الذين لا يغفر الله لهم، وأهل الكفار وأهل النفاق هؤلاء يأخذون صحائفهم بأيديهم الشمال، وهذا فيه أيضًا إشارة إلى فضل اليمين والتيمن، فبعد ذلك يحدث للناس التمايز إلى الصراط كما سيأتي بعد ذلك.

قال: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ هذا ما ورد في كتاب الله -عز وجل- عن وصف هذه الأحوال والأخبار ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ يعني صحيفة النجاح ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ يعني لابد من الحساب، لكنه لا يشعر بشيء من الضيق وطول الوقت؛ لأنه يشعر بالسعادة والهناء، وأيضًا تذوق نتيجة عمله الصالح فمن هنا لا يشعر بثقل الحساب.

﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ يعني بمعنى أنه يذهب إلى مقامه في الجنة وهو سعيد كل السعادة ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ وهو الكافر والمنافق الذي تلوى يده الشمال وراء ظهره، لماذا؟ لأنه كان في الدنيا يخادع الله ويخادع المؤمنين، ولأنه كان له أمام الناس وجه ووجه آخر، ولأنه كان يلوي الحق، ويحتال على الحق، فالله -عز وجل- جزاه بهذا الجزاء بهذه الصورة الشنيعة، هذه الصورة الشنيعة بأن جوزي على قدر عمله في الدنيا، فكما كان يلتوي عن الحق الله -عز وجل- ختم له بأن تلوى يده الشمال وراء ظهره فيأخذ صحيفة شقائه.

يقول: ما الفرق بين المعتزلة والفلاسفة في أخبار الغيب؟ .

أكبر فرق بينهما هو أن الفلاسفة ينكرون أخبار الغيب جملة وتفصيلاً، لا يؤمنون بالغيب، أما المعتزلة فهم يئولون الكثير من أحوال الغيب، يئولون يعني لا ينكرونها إنكارًا قطعيًا، لكنهم يتأولونها على غير حقيقتها، فمثلاً المعتزلة كثير منهم وليس كلهم يرون أن الميزان هو العدل، وليس المقصود بالميزان ميزانا حقيقيا له كفتان، برغم أنها ثبت ذلك في النصوص أن الميزان ميزان حقيقي له كفتان، وأنه يرجح ... إلى آخره، لكن المعتزلة قالوا: بأن المقصود بالميزان العدل، هذا أنموذج إذن المعتزلة غالبًا يئولون الغيبيات، لكن الفلاسفة ينكرون إنكارًا قطعيًا.

تقول: يا شيخ هناك شريط منتشر بين الناس عن عذاب القبر يصور فيه على أشرطة فيديو ويظهر فيها شخص يعذب بعذاب القبر هل هذا يصح يا شيخ؟ .

لا، لا يصح؛ لأن هذا غيب خالص، لا يجوز أبدًا ولا يمكن، إنما هذا إن لم يكن من عبث البشر، فهو من عبث الجن والشياطين بالناس، سواء كان عن طريق الصور أو عن طريق الأشياء المسموعة، وأنا سمعت شريطا يُدَّعى أن فيه أصوات أحوال أهل القبور، وتأملت الشريط وطبعًا حتى لو مثلاً سمعنا فيه كما هو حاصل من بعض الأصوات الغريبة فإنه إن ثبت أن هذا التسجيل صادرًا عن أصوات حقيقية فهي أصوات جن وشياطين يعبثون بالإنس.

طيب يا شيخ ما حكم من يساعد على نشر تلك الأشرطة من باب التخويف؟ .

هذا إثم عظيم، لا يجوز، ليست هذه وسيلة، الناس يخوفون بما جاء عن الله وجاء عن رسوله –صلى الله عليه وسلم– فالمواعظ والتخويف بالآيات القرآنية والكونية هو الطريق الصحيح، وهو الأسلم والأقرب إلى التخويف الحقيقي الذي يقود الناس إلى الإيمان الحق.

توقفنا يا شيخ عند الميزان .

قال: (قال –عز وجل–: ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴾) أي يعني يقول: هلكت هلكت، يصيح ينادي يقول: هلكت هلكت، والثبور هو الهلاك ﴿ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴾ أي يعذب بالسعير، والسعير يعني النار شديدة الحر.

قال: (والميزان له كفتان ولسان) بمعنى أنه ثبت في النصوص بأحاديث صحيحة عن النبي –صلى الله عليه وسلم– (توزن به الأعمال) أي أعمال الناس، الأعمال تمثل يوم القيامة ذات أحجام وأثقال، والله على كل شيء قدير، تمثل الأعمال موزونات فتوزن الأعمال ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ يعني رجحت لسبب ثقلها في الخير ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ بمعنى أنه ليس لأعماله ثقل عند الله حتى وإن كانت أعمال صالحة لكن لا تتوافر فيها شروط القبول عند الله ﴿ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ بمعنى أنهم خسروا حياتهم مهما بلغ لهم النعيم في الدنيا فإن الحياة الأبدية هي حياة الآخرة، فإذا كان الإنسان شقي في الآخرة فقد خسر نفسه قبل أن يخسر أي شيء من الممتلكات الأخرى ﴿ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ بمعنى لا يموتون نسأل الله السلامة.

يقول المؤلف –رحمه الله تعالى–: (ولنبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– حوض في القيامة ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأباريقه عدد نجوم السماء، من شرب منه الشرك شربة لم يظمأ بعدها أبدً) .

نعم هذا عن الحوض، حوض نبينا –صلى الله عليه وسلم– وهذا مما تميز به النبي –صلى الله عليه وسلم– وقيل: إن لكل نبي حوضا، ومع ذلك فإن حوض نبينا –صلى الله عليه وسلم– إذا صح للأنبياء أحواض فهو متميز في سعته وفي مثل هذه الصفات، فهذه الصفات صفات حقيقية، بمعنى أنه تميز هذا الحوض بطوله وعرضه وبياضه وحلاوته، وأنه وضعت وسائل الشرب فيه الأباريق عدد نجوم السماء، وأن من شرب منه لم يظمأ أبدًا بقدرة الله –عز وجل–.

قال –رحمه الله تعالى–: (والصراط حق يجوزه الأبرار، ويزل عنه الفجار) .

كذلك الصراط هو عبارة عن خيط دقيق رفيع جدًا، يمتحن الله به العباد على قدر أعمالهم، فمن كان عمله صالحًا تجاوز الصراط بسرعة، ويتفاوت المؤمنون في تجاوزهم للصراط بقدر أعمالهم، فمنهم من يتجاوز الصراط كالبرق، يعني أقل من اللحظة، طرفة عين، ومنهم من أقل من ذلك إلى أن يكون آخرهم من يحبو حبواً،

لكنه ينجو، أما الكفار والمنافقون –فنسأل الله العافية– فيتكدسون، لا يثبتون على الصراط لأن الصراط على متن جهنم، يتكدسون في النار نسأل الله السلامة.

وهذه كلها من أحوال القيامة، وينبغي أن نستصحب هذه المسألة دائمًا فيما يتحدث عنه الآن وأن كل ما ذكر في الدرس في أول الدرس وهذه الفقرة وما بعدها كلها من أحوال القيامة، ليس فيه من الدنيا شيء.

قال –رحمه الله تعالى–: (ويشفع نبينا –صلى الله عليه وسلم– فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر، فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحمًا وحممًا فيدخلون الجنة بشفاعته، ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات، قال تعالى: ﴿ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٨] ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين) .

أيضًا هذه من أحوال القيامة وهي أي الشفاعة أنواع: أعظمها شفاعة النبي –صلى الله عليه وسلم– في المقام المحمود للخلق أن يفصل الله بينهم في المحشر، ثم يليها وهي جزء من المقام المحمود شفاعة النبي –صلى الله عليه وسلم– لأهل الجنة أن يدخلوها، لذلك بعدما يتجاوزن الصراط ويشربون من الحوض –نسأل الله أن يسقينا جميعًا منه وأن يجعلنا من الناجين– فإنه توصد أمامهم أبواب الجنة إلا من استثنى الله –عز وجل– فيطلبون من النبي –صلى الله عليه وسلم– الشفاعة فيشفع على نحو ما شفع في المقام المحمود الأول، ثم كذلك تحدث شفاعات أخرى للنبي –صلى الله عليه وسلم– من ضمنها شفاعته –صلى الله عليه وسلم– لأهل الكبائر من أمته أن يخرجوا منها، وهذه تواترت بها النصوص، ثم تتعدد الشفاعات، شفاعة الملائكة لمن يأذن الله له، شفاعة المؤمنين الصالحين، وهناك أيضًا شفاعات للقرآن وللصيام، وشفاعة للشهيد، وهذه الشفاعات كلها مشروطة بإذن الله، وهي لمن كان على أصل التوحيد، أما الكفار الخلص فلا تنفعهم شفاعة الشافعين.

ينبغي أن يفهم أن شفاعة النبي –صلى الله عليه وسلم– لا تكون قبل دخول النار، نعم ورد أنه يشفع لأحوال بعض مثل الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم لكن هذه أيضًا لم تثبت، وإن ثبتت فهي فيمن تساوت عنده الحسنات والسيئات بمعنى أنه لم يكن من أصحاب كبائر الذنوب والموبقات هذا أمر، الأمر الآخر: هو أنه لا ينجو من النار، بمعنى أن المقصود أن الإنسان ينجي نفسه من النار، أهل الكبائر تحت مشيئة الله، فمن شاء الله أن يغفر له فهذا من دون الشفاعة، ومن شاء أن يعذبه فهذا الذي تكون له الشفاعة، لكن أي عاقل يعرض نفسه لعذاب النار؟!! نسأل الله السلامة والعافية فهذا أمر عظيم هائل لا يمكن لمسلم أن يتصور مجرد أن –نسأل الله السلامة– يتعرض لعذاب الله، فأقول: يجب أن يسعى المسلم إلى أن ينجو من النار، أما إذا هلك فنسأل الله السلامة فليس بخير.

قال المؤلف –رحمه الله تعالى–: (والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان، فالجنة مأوى أوليائه، والنار عقاب لأعدائه، وأهل الجنة مخلدون ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٤، ٧٥] ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت) .

يعني بذلك أن الجنة والنار موجودتان الآن مخلوقتان، والله أعلم بكيفية وجودهما، لكن الجنة في مكان عالٍ، والنار في أسفل سافلين، لكن كيف يكون ذلك؟ هذا أمر غيب خالص، لأن أحوال الغيب لا تقاس بأحوال الشهادة على الإطلاق، ولا يجوز أن يورد المسلم إشكالات أو شبهات مثل: كيف تكون الجنة مع أن عرضها السماوات والأرض؟ أو كيف تكون النار مع أنه ورد من عظمتها وعظمة ملائكتها وعظمة عذابها كيت وكيت؟ كل هذا أمر غيب خالص، لا يمكن أن يقاس بأمور الدنيا، إنما الذي يجب أن نؤمن بأنهما أي الجنة والنار مخلوقتان يعني خلقهما الله قبل ذلك، وأنهما موجودتان الآن، وأن الجنة لا تزال تستقبل أعمال المؤمنين ويغرس فيها من أعمالهم

-نسأل الله أن يجعلنا من أهل الجنة- (ولا تفنيان) معنى ذلك يوم القيامة، إذا بدأ العذاب أو بدأ النعيم فإن عذاب النار لا ينقطع -نسأل الله السلامة- وإن نعيم الجنة لا ينقطع كذلك نسأل الله أن يجعلنا جميعًا من أهلها.

أسئلة الموقع.

تقول: كيف نرد على من يحتج بالقدر على فعل المعاصي؟ .

في الحقيقة هذا غالبًا يكون مرض شبهة أو مرض شهوة، مرض الشبهة وهو نوع من الاحتجاج على القدر، فهذا الأولى أن يُضْرَب له مثل فيما يتعلق بما يمس حقوقه، فنقول: لو أن إنسانا ضربك وأوجعك أو أخذ مالك، أو قهرك بأي نوع من أنواع القهر والظلم، ثم قال لك: هذا شيء مقدور، هل تقبل منه هذا العذر؟ إذا ظلمك ثم قال: هذا شيء مقدور، ضربك ثم قال: هذا شيء مقدور، إذن هذا مثله الاحتجاج بالقدر على المعاصي.

والأمر الثاني: الناس ينبغي أن يسلك معهم وهو الذي عنده نوع من الشهوة، ما عنده شبهة، الشبهة مرض في القلب يحتاج إلى الحجة العقلية القوية، لكن إذا كان عن مرض شهوة، بمعنى أنه يريد أن يبرر خطأه فهذا الأولى أن يسلك معه طريق الوعظ والتخويف بالله -عز وجل- تُحَرِّك فطرته وعقله السليم بالتخويف بالله -عز وجل- ومن عقابه الله.

تقول: لو قال الله -جل وعلا- في كتابه الكريم عن اللعن وينسبها إليه فمثل قوله تعالى: ﴿ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٨٩] فهل هذه اللعنة صفة مقالية من أفعال الله -جل وعلا-؟ .

مقالية؟

تسأل تقول: هل هي صفة مقالية، اللعن؟ .

على أي حال السؤال واضح، لكن اللعن من الله هو الطرد، يعني كلمة "مقالية" هل هي قول من الله؟ قول الله -عز وجل- لا نحيط به، لا نحيط بكلماته سبحانه، لكن الله -عز وجل- إذا صدر منه ما يستحق المخلوق، ما يستحق المذنب فهو كمال من الله، الله يستهزئ بالمستهزئين، ويمكر بالماكرين، ويعذب العاصين، فهذا كمال من الله -عز وجل- ويلعن الكافرين بمعنى يطردهم ويخرجهم من رحمته، فهذا من كماله سبحانه، فلا يعتبر عيبا في حق الله، ولو كان ذلك قولاً لله فلا يعتبر من باب القول المعيب.

أسئلة الحلقة القادمة .

السؤال الأول: حينما قال المؤلف: (ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- وصح به النقل) لماذا هنا اشترط صحة النقل؟ وهل لهذا الاشتراط معنى؟ أرجو التوضيح بالمثال في المعنى الإيجابي والمعنى السلبي؟

السؤال الثاني: النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكر عن فتنة القبر وعذاب القبر ونعيمة، قال: (وقد استعاذ منه وأمر به في كل صلاة) عذاب القبر ونعيمه، نريد الدليل على الاستعاذة والدليل على الأمر به في كل صلاة؟

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثالث عشر

الدرس الختامي لشرح متن لمعة الاعتقاد

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله، ورضي الله عن صحابته والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

بعون الله وتوفيقه نستأنف الدرس، وقد وقفنا على موضوع فضل النبي –صلى الله عليه وسلم– وخصائصه، وموضوع الصحابة وما يلحق بذلك من الموضوعات التي هي –إن شاء الله– مكملات موضوع العقيدة الذي ندرسه الآن، فليتفضل الأخ الكريم في قراءة المقطع التالي.

قال الإمام الموفق ابن قدامة –رحمه الله تعالى–: (فصل: ومحمد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– خاتم النبيين وسيد المرسلين لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته، ولا يُقضَى بين الناس في القيامة إلا بشفاعته، ولا يدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته، صاحب لواء الحمد والمقام المحمود والحوض المورود، وهو إمام النبيين وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم، أمته خير الأمم، وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام).

هذا جزء من حقوق النبي –صلى الله عليه وسلم– وخصائصه، لعل المؤلف اختار أهمها وإلا فخصائص النبي –صلى الله عليه وسلم– هي أكثر من ذلك، أول ذلك أنه خاتم النبيين، محمد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– معنى أنه رسول يدخل فيه أنه نبي، أي إن الرسالة تتضمن النبوة، فكل رسول نبي لكن ليس كل نبي رسولا.

محمد –صلى الله عليه وسلم– هو رسول الله، من خصائصه أولاً: إنه خاتم النبيين يعني آخرهم فلا نبي بعده، ولذلك أُمرت جميع الأمم أن تتبع رسالته، وأن تشهد له بالرسالة والنبوة، وأن تدين بدين الحق، بمعنى أنه بُعِث لجميع الأمم بل للإنس والجن إلى قيام الساعة، أولاً: أنه –صلى الله عليه وسلم– خاتم النبيين.

ثانيًا: سيد المرسلين، وهذا يعني أنه سيد الخلق أجمعين؛ لأن الرسل هم أفضل الخلق على الإطلاق، وإذا كان كذلك أي كونه أفضل الخلق وهو سيدهم –صلى الله عليه وسلم– إذن هو سيد الخلق وأفضلهم على الإطلاق.

ثالثًا: (لا يصح إيمان عبد) يعني لا يصح إيمان إنسان مكلف من الجن والإنس حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته ويلتزم لوازمها، بمعنى أن يدخل الإسلام، والنبي –صلى الله عليه وسلم– بين ذلك بقطعيات النصوص ومتواترها، من ذلك قوله في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره في بعض الألفاظ قال: (والله) وفي بعض الألفاظ قال: (لا يسمع بي) أو في بعض الألفاظ قال –صلى الله عليه وسلم–: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار) وأنا هنا أنشئ سؤالا وأرجو من الإخوة الطلاب الحاضرين أن يستعدوا للجواب: لماذا قال فقط: (يهودي ولا نصرانيًا) وغيرهم من الأمم أليسوا مطالبين؟ قال: (لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار) لماذا حصر الأمر باليهودي والنصراني؟ نعم يا أخي الكريم.

لأن اليهود والنصارى عندهم علم سابق بنبوة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

لأنهم أُمروا أمرًا صريحًا من خلال رسلهم وكتبهم، هذا شيء، الشيء الآخر إذا كان اليهودي والنصراني وهم أهل كتاب إذا لم يؤمنوا بنبينا –صلى الله عليه وسلم– فهم من أهل النار فغيرهم من باب أولى، هم أهل الكتاب، عندهم نوع من بقية ما بقي من أنبيائهم من التوراة والإنجيل، ومع ذلك إذا لم يؤمن الواحد منهم بالنبي –صلى

الله عليه وسلم– فغيرهم من الأمم الوثنية والمشركة والملاحدة من باب أولى أنه إذا لم يؤمن بالنبي –صلى الله عليه وسلم– فهو من أهل النار.

ثم رابعًا: إنه لا يُقضَى بين الخلق يوم القيامة إلا بشفاعته، يعني أنه صاحب الشفاعة العظمى والمقام المحمود الذي لا ينبغي لغيره، بل يعتذر عنه أولي العزم من الرسل كما تعرفون حينما يعرض الناس الشفاعة عند الله –عز وجل– على آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى –عليهم السلام جميعًا– ثم ينتهون إلى محمد –صلى الله عليه وسلم– فيقول: (أنا لها) إذن هذه خصيصة مما ميزه الله به.

ثم من خصائصه –صلى الله عليه وسلم– أنه لا يدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته، يعني أمته هي أفضل الأمم، ويوم القيامة هي صاحبة الأقدمية وهي أول الأمم دخولاً الجنة.

صاحب لواء الحمد، ولواء الحمد داخل في الشفاعة، لواء الحمد أنه بذلك يكرم ويحمد ويرفع قدره، كما رفع في الدنيا يرفع في الآخرة، أنه صاحب لواء الحمد، اللواء هو العلم والبيرق، فهذا إشارة إلى أن النبي –صلى الله عليه وسلم– يتقدم جميع الأمم وأمته تتقدم معه جميع الأمم، فهو صاحب اللواء المتقدم على الأمم.

ثم من خصائصه –صلى الله عليه وسلم–: أنه صاحب المقام المحمود، وهذا جزء من لواء الحمد، لواء الحمد يشمل عدة مقامات، الشافعة العظمى وهي أعلى أساس منها، والمقام المحمود، وكذلك الشفاعة لدخول أهل الجنة، وإلى آخره، النبي –صلى الله عليه وسلم– هو صاحب المواقف والمشاهد يوم القيامة بعد إذن الله له.

ثم الحوض المورود، هذا على اعتبار أنه لا حوض إلا حوض النبي –صلى الله عليه وسلم– لكن قيل: إن للأنبياء أحواضا، وإذا كان كذلك فحوض النبي –صلى الله عليه وسلم– هو أعظم الأحواض وأكبرها.

الحوض المورود وهو إمام النبيين، إمامهم في الدنيا فصلى بهم يوم الإسراء، وإمامهم في الآخرة يتقدمهم مع أمته، ثم إنه خطيبهم بمعنى أنه يوم القيامة هو الذي يخاطب ربه، أول من يخاطب الرب –عز وجل– في ذلك المقام العظيم المشهود هو النبي –صلى الله عليه وسلم–.

(وصاحب شفاعتهم) يعني هو مقدم في الشفاعات في القيامة (أمته خير الأمم) بمعنى أيضًا هذه من خصائصه –صلى الله عليه وسلم– أنه كما كان هو أفضل النبيين فأمته خير الأمم.

قال –رحمه الله تعالى–: (وأفضل أمته أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضَى –رضي الله عنهم أجمعين– لما روى عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– قال: (كنا نقول والنبي –صلى الله عليه وسلم– حي: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، فيبلغ ذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– فلا ينكره) وصحت الرواية عن علي –رضي الله عنه– أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، ولو شئت سميت الثالث.

وروى أبو الدرداء –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: (ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر) وهو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي –صلى الله عليه وسلم– لفضله وسابقته وتقديم النبي –صلى الله عليه وسلم– له في الصلاة على جميع الصحابة –رضي الله عنهم– وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته، ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة)).

نعم أحسنت، هذا تقرير لأصل من أصول الدين وثوابته، أعني حقوق الصحابة –رضي الله عنهم– وأيضًا ما ميزهم الله به من الفضل على جهة التفصيل والإجمال، قبل أن نتجاوز إلى الصحابة بقي عندنا من المقطع السابق

خصيصة من خصائص النبي -صلى الله عليه وسلم- يعني سمة من سماته، أو أيضًا مما أكرمه الله به هو أنه ميزه الله بخير أصحاب نبي، وهذا أمر طبيعي عقلاً وشرعًا، فإنه ما دام -صلى الله عليه وسلم- هو أفضل النبيين فمن الطبيعي أن يكون أصحابه هم أفضل أصحاب النبيين، وأيضًا ينتج عن هذا أمور كثيرة من ضمنها أن الصحابة هم خير الناس بعد النبيين، بعد المرسلين، لأنهم هم خير أصحاب نبي، وأمور أخرى سيذكر المؤلف شيئا منها عندما الكلام عن الصحابة.

هنا تكلم عن الحق العام للصحابة والحقوق الخاصة، فكما أن أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- هم خير الناس بعد النبيين، وهم خير أصحاب نبي، كذلك الصحابة يتفاضلون، وتفاضلهم هذا الذي سيذكره هنا جاء بقطعيات النصوص، هذا التفاضل الذي ذكره المؤلف وسأشير إليه الآن جاء بقطعيات النصوص، بنصوص متواترة فمن قطعيات الدين، من ضرورياته، من ثوابته، وهو أن أفضل الصحابة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وهذا لا يعني أن أحدهم لا يكون عنده خصائص قد يمتاز بها عن الجميع، فمثلاً أبو بكر تميز بخصائص لم يتميز بها غيره، عمر -رضي الله عنه- قد يكون عنده بعض الخصائص أفضل من أبي بكر بعض الخصائص، قد يكون عند عثمان -رضي الله عنه- من الخصائص ما يكون بها أفضل من أبي بكر وعمر، لكنها لا تعني الحكم العام، الجملة هكذا: أفضلهم على الإجمال أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، علي -رضي الله عنه- أيضًا عنده من الخصائص ما يفضل به أبي بكر وعمر وعثمان، لكن ليست أفضلية مطلقة، إنما أفضلية في أمور، كما نسوي استبانة الآن في رصد حق من الحقوق ونضع استبانة واحد اثنين ثلاثة أربعة، قد يكون هذه الاستبانة إذا طبقناها على مائة شخص، قد يكون واحد منهم يتميز بجميع هذه الخصائص، لكن آخرون قد يسبقونه بخصائص أخرى، فإذن علي -رضي الله عنه- تميز بأنه من آل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتميز بميزات أخرى كثيرة، لكنها لا تجعله أفضل؛ لأن الأفضلية ترجع إلى عموم الخصائص، لأن هناك من يستشكل، يقول: كيف نقول بالأفضلية لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي -رضي الله عنه- من آل البيت، وأيضًا له خصائص أخرى أثنى عليه بها النبي -صلى الله عليه وسلم-؟!! نقول: النظرة هي إلى مجموع الصفات، مجموع الخصال، مجموع الخصائص، وهذا في عموم الصحابة حتى في فئاتهم، ما معنى كون المهاجرين أفضل من الأنصار؟ ما معنى كون أهل الشجرة أفضل ممن جاء بعدهم؟ السابقين من الصحابة أفضل ممن جاءوا بعد الفتح لماذا؟ هذا لأنهم لا يعني أنهم خرجوا من أفضلية الصحابة العامة، لكن هذه خصائص تتعلق بأمور الله ميزهم بها.

فإذن الصحابة في جملتهم كلهم أهل فضل، ولهم من الحق ما ليس لغيرهم، ثم يتميزون بهذه السمات التي منها تمييز الأربعة -رضي الله عنهم جميعًا- بهذه الميزات، وأن خلافتهم أيضًا على ترتيب فضلهم، فأولاهم بالخلافة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، فالله -عز وجل- سدد الصحابة بأن يختاروا الخلافة على هذا النحو الذي ينطبق على الأفضلية، ولذلك سميت خلافتهم راشدة.

ما ورد بعد ذلك هو تأكيد لما سبق فلا داعي لأن نعيده أو نقف عنده، الآن نقرأ ما بقي.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (ثم من بعده عمر -رضي الله عنه- لفضله وعهد أبي بكر إليه، ثم عثمان -رضي الله عنه- لتقديم أهل الشورى له، ثم علي -رضي الله عنه- لفضله وإجماع أهل عصره عليه، وهؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيهم: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ) وقال -صلى الله عليه وسلم-: (الخلافة من بعدي ثلاثون سنة، فكان آخرها خلافة علي -رضي الله عنه-)).

نعم، هذا تفريع عما سبق، وإن الأفضلية لهؤلاء الصحابة جاءت مع تواتر النصوص بها جاءت أيضًا بالإجماع، إجماع الصحابة وإجماع سلف الأمة، لاسيما بعدما توافرت النصوص، أعني وهذه مسألة مهمة أنه وجد في عهد متأخر للصحابة وكبار التابعين من يفضل علي على عثمان بناءً على الخصائص التي أشهرت عن

علي -رضي الله عنه- لكن هذا راجع إلى أنهم لم تتوارد إليهم النصوص العامة، لم تتوارد لهم كل النصوص في أفضلية عثمان على علي، فلما تواردت النصوص واجتمعت، ورواها الرواة من عموم الصحابة ثبت عند سلف الأمة أن ترتيب فضل الصحابة كترتيب الخلافة، فيكون على هذا عثمان -رضي الله عنه- أفضل من علي في عموم الخصائص، والأفضلية لا تعني الاستنقاص لمن هو مفضول، لا هذه مسألة الأفضلية المطلقة، وإلا فكلهم خفاء راشدون، وكلهم من العشرة المبشرين بالجنة كما سيأتي.

أيضًا هؤلاء الأربعة زكاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- تزكية خاصة وعامة، زكاهم تزكية خاصة بكل واحد منهم، وزكاهم تزكية عامة، بل زكى أيضًا خلافتهم، سماهم الأئمة المهديين، الخلفاء الراشدين فهذا دليل على أن خلافتهم خلافة رشد، وأن ما يحدث فيها من أمور اجتهادية مما يطعن به الطاعنون على الصحابة فهي هذه أمور داخلة فيما أباح الله لهم من الاجتهاديات، ولذلك لم يختلف المسلمون في عهد هؤلاء في شيء من ثوابت الدين، ولما ظهرت الفرق في آخر عهد علي -رضي الله عنه- ميزهم السلف أخرجوهم من السنة، وبقي الإجماع بينًا نقيًا على مثل هذه الأمور.

قال -رحمه الله تعالى-: (ونشهد للعشرة بالجنة كما شهد لهم النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: (أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة) وكل من شهد له النبي -صلى الله عليه وسلم- بالجنة شهدنا له بها، كقوله: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) وقوله -صلى الله عليه وسلم- لثابت بن قيس: (إنه من أهل الجنة)).

نعم يعني بذلك أنه حينما نقول: (نشهد للعشرة المبشرين بالجنة) لا يعني ذلك أنهم وحدهم الذين بشرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بالجنة من الصحابة، بل لأنهم ورد ذكرهم على الخصوص في نص واحد، وإلا فالمبشرون بالجنة من الصحابة منهم أصناف ومنهم أفراد، فأصنافهم يعني مثلاً أهل بيعة الشجرة هذا الصنف شهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- لهم بالجنة، وأيضًا النبي -صلى الله عليه وسلم- شهد لأفراد، وشهد أيضًا من الأصناف زوجات النبي -صلى الله عليه وسلم- شهد لهن النبي -صلى الله عليه وسلم- بالجنة وهكذا.

أما الأفراد فعددهم كثير جدًا من ضمنهم كما ذُكر الحسن والحسين وبلال وثابت بن قيس وغيرهم، هذا أمر، الأمر الآخر ن الأصل في عموم الصحابة -رضي الله عنهم- أنهم مشهود لهم بالفضل والخيرية، وإن النبي -صلى الله عليه وسلم- توفي وهو راضٍ عنهم، وإن الله رضي عنهم أيضًا، وذكر فئات الصحابة كما سيأتي، وهو أن الصحابة جاءت تفضيلهم ومع ذلك جاء تزكيتهم جميعًا في جملتهم، فالله -عز وجل- ذكر المهاجرين وأثنى عليهم كما في سورة "الحشر" ثم ذكر الأنصار وأثنى عليهم، ثم ذكر الذين جاءوا من بعدهم، الذين جاءوا من بعدهم مطلقة، وقال بعض السلف: إنه يدخل فيها كل مسلم يأتي من بعدهم ما دام سليم القلب على السلف، سليم القلب على الصحابة، أما من لا يكون سليم القلب على الصحابة فالله أعلم بحاله، يحشر مع من يحب.

قال -رحمه الله تعالى-: (ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار، إلا من جزم له الرسول -صلى الله عليه وسلم- لكنا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء، ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ولا نخرجه عن الإسلام بعمل).

أحسنت، هذه قاعدة مهمة جدًا، والناس بحاجة إليها دائمًا وفي هذا الوقت بالذات الذي كثر فيه الافتيات على الناس، كثر فيه التعجل في الحكم على الخلق وعلى أفراد الأمة، يعني جماعاتها وفرقها ومؤسساتها، بل أحيانًا على علمائها وولاتها إلى آخره مما هو يحصل الآن مما يقع فيه كثيرون وهو يخالف قواعد الشرع، مثل هذه القاعدة عظيمة (لا نجزم لأحد من أهل القبلة) يعني ممن يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله بأنه من أهل الجنة إلا من شهد له الرسول -صلى الله عليه وسلم- ونعني بذلك أن من رأيناه على الإسلام والسنة نرجو أن

يكون من أهل الجنة لكن ما نجزم، لماذا لا نجزم؟ لأنه أولاً: لا نعلم على أي حال يموت، ولو مات أيضًا على حال تظهر لنا أيضًا ما ندري مصيره عند الله -عز وجل- هذا أمر، الأمر الآخر إن مسألة الثبات في الإيمان، أو ثبوت الإيمان عند الله المقبول عند الله أمر غيبي يرجع إلى ما في القلب، ولا يعلم ما في القلوب إلا الله، فمن هنا لا نجزم وإن كنا نرجو ونأمل وأيضًا نشهد الشهادة العامة لمن رأيناه على الخير وكشهادة عامة، أما أن نجزم بمصير الإنسان سواءً كان حيًا ونرى عليه أثر الخير، أو إذا مات وهو على الإسلام، لا نجزم له بالجنة لهذين السببين وغيرهما، لكن أهمهما ألا نعلم حال القلب يعني حاله التي بينه وبين ربه وهي في القلب لا يعلمه إلا الله، ولا نعلم على أي حال مات، هل مات على عمل مقبول عند الله أو لا؟

هذا أمر الأمر الآخر: كذلك لا نشهد على من كان عنده تقصير وفجور ومعاصي من المسلمين أنه من أهل النار؛ لأنه تحت مشيئة الله، لا نشهد له وهو حي ولا إذا مات على الكبيرة؛ لأنه ثبت في قواطع النصوص أن مرتكب الكبيرة إذا مات فإن الله -عز وجل- يتولاه إن شاء غفر له فدخل الجنة، والله غفور رحيم، وإن شاء عذبه بما يطهره فقط، ومآل المسلم ولو كان عاصيًا وفاجرًا إذا كان على التوحيد مآله إلى الجنة إن شاء الله، لكن لا نجزم بمصيره لأول وهلة لأن هذا أمر غيبي.

إذن نرجو للمحسن، نرجو لمن عمل خيرًا نرجو له، نأمل ونثق إنه -إن شاء الله- على الخير لكن ما نجزم الجزم الذي نقسم عليه (ونخاف على المسيء) أي من المسلمين، كل هذا يتعلق بأهل القبلة بالمسلمين، أما الكفار الخلص فليسوا محل كلام؛ لأن الله هو الذي حكم عليهم، اليهود والنصارى أو الذين يدعون الإسلام لكن يخرجون من الإسلام بنواقض ظاهرة بينة مثل الشرك الصريح أو غيره فهؤلاء لا يدخلون في هذه القاعدة؛ لأن الله هو الذي كفرهم ليس لنا خيار في ذلك، إنما الكلام هنا في المسلمين، فيمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وادعى الإسلام.

(ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب) هذا فرع عن الكلام السابق، بمعنى: إن من رأيناه يعمل معاصي وكبائر لا نستطيع أن نكفره، بل لا يجوز أن نكفره مهما بلغ الذنب ما دام الذنب ليس كفريا؛ لأن هنا المقصود بالذنب كبائر الذنوب، ليس المقصود بالذنب الشرك، وإن كان يدخل الشرك في مفهوم الذنوب، لكن الذنب إذا أطلق في مثل هذا السياق فالمقصود به الكبيرة، يعني لا نخرج المسلم الذي يرتكب كبيرة مهما كانت كبيرته لا نكفره نخرجه من الملة، وإن كان أحيانًا يسمى عمله كفرا من الكفر الذي لا يخرج من الملة كما ثبت عن النبي أنه سمى النياحة كفرا، والطعن في الأنساب كفرا، وسمى كفر النعمة كفرا، وإتيان الكاهن كفرا، كل هذا لكن باتفاق السلف أن هذه كفريات تعني كبائر الذنوب، وإن كان منها ما هو شركي، لكن الأصل أنها تعني كبائر الذنوب.

إذن لا نكفر أحدا من أهل القبلة لمجرد الكبيرة، ولا العمل الذي يظهر منه أيضًا أنه كبيرة، وقال: (لا نخرجه من الإسلام بعمل) يعني مهما كان العمل ما لم يكن شركا أو ردة فإنه لا يخرج به المسلم من الإسلام، ولا يكفر به التكفير المخرج.

طيب يا شيخ عفوًا: هل هناك فرق بين قول: هذا كافر أو هذا عمله كفر مثلاً؟.

نعم، فرق أن يقال، كافر، وبين أن يكون عمله كفرا، المسلم قد يقع في عمل الكفر ولا يكفر، أما كافر لا تطلق إلا على الكافر الخالص، أو المسلم الذي وقع في أمر كفري وتوافرت الشروط في ذلك وانتفت الموانع، وهذا لا يعمله إلا الراسخون في العلم وأهل الاختصاص.

قال -رحمه الله تعالى-: (ونرى الحج والجهاد ماضيين مع طاعة كل إمام برًا كان أو فاجرًا، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة، قال أنس -رضي الله عنه- قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (ثلاث من أصل الإيمان: الكف

عمن قال: لا إله إلا الله ولا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماضٍ منذ بعثني الله –عز وجل– حتى يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، ولا الإيمان بالأقدار) رواه أبو داود).

أحسنت، هذا أيضًا الموضوع امتداد للموضوعات السابقة، يعني بمعنى الحقوق كما تكلم عن حقوق النبي –صلى الله عليه وسلم– ثم تكلم عن حقوق الصحابة –رضي الله عنهم– ثم تكلم عن حقوق من يقعون في أخطاء من المسلمين، هنا بدأ في الحقوق الخاصة لولاة أمر المسلمين وهم السلطان، يعني سواءً سمي هذا السلطان رئيسا أو سمي ملكا أو سمي أميرا أو سمي سلطانا أيًا ما سمي؛ لأنه لا عبرة بالاصطلاحات والألفاظ، العبرة بالمضامين، من ولاه الله أمر المسلمين ولاية عامة أو ولاية خاصة لبعض البلاد، فهذا إذا تمت له البيعة وخضعت له الدولة فلابد له من حقوق، من ضمنها: صحة الحج معه، بل وجوب أن يكون الحج تحت رايته، والثاني: الجهاد، إذا جاء داعي الجهاد فراية الإمام هي الراية المعتبرة في الجهاد، قال: (ماضيين مع طاعة كل) ماضيين يعني بمعنى: الجهاد لا ينقطع، توفرت شروطه وموجباته فهو من ثوابت الدين، وكذلك الحج –الحمد لله– هو ركن الإسلام ولابد أن يبقى كل عام، والقصد بهذا أن الحج لابد أن يكون تحت إمام يقود الحج، أو من ينوب هذا الإمام، ولابد من طاعة الإمام والحاكم المسلم في الحج والجهاد وفي غيرهما، لكن الحج والجهاد هما أكبر شعارات التجمع للمسلمين، وأعظم شعائر الدين التي يكون فيها اجتماع الكلمة على أمر إما ركن من أركان الدين كالحج أو مصلحة عظمى كالجهاد، فالجهاد والحج هما شعار أو أكبر شعارات الاجتماع، ثم هذا الحج والجهاد ماضيين مع طاعة كل إمام في كل ما يأمر به في الجهاد والحج وفي غيرهما، والطاعة مقصود بها التزام أمره في غير معصية الله، في المعصية لا يطاع.

قال: (برًا كان أو فاجرً) بمعنى طاعة الوالي بالمعروف واجبة، لأنه لا تقوم مصالح الأمة في دينهم ودنياهم إلا بذلك، وهذا أمر يدركه جميع العقلاء في جميع الأمم، الآن نرى من الظواهر المزعجة عند كثير من المسلمين وهذا ناتج عن الفرقة فيما بينهم –أنهم أحيانًا لا يلتزمون هذه القاعدة في الالتزام بالنظام العام الذي تقتضيه مصلحة الأمة، بينما –مع الأسف– كثير من الكفار نجدهم يلتزمون الأنظمة لأنهم يعرفون أن في هذا مصالح، لا يتدينون أغلبهم لا يتدين بهذا الدين ولا يحتسب عند الله، ومع ذلك يوجد من بعض المسلمين الذين يكون هذا العمل عندهم حسبة يدينون الله به، ويؤجرون عليه، ويأثمون على خلافه من يخل بهذا المبدأ طاعة ولي الأمر برًا كان أو فاجرًا، يعني برًا كان خيرًا أو كان فاسقا وفاجرا وظالما، فلابد من طاعته فيما فيه المصلحة العامة وما هو المعروف من غير معصية الله.

ثم قال: (وصلاة الجمعة) لأن صلاة الجمعة أدنى من شعار الحج، صلاة الجمعة لابد أن تقام تحت مظلة إمام المسلمين وخليفتهم (خلفهم جائزة) يعني بمعنى إذا أَمَّ المسلمين في الجمعة هذا الإمام الذي فيه فسق وفجور تصح الصلاة خلفه ما لم يعمل بردة، فما دام لم يعمل بشيء يقتضي ردته عن الإسلام مهما كان الفجور والفسق والمعاصي فإن الصلاة خلفه أو خلف من ينيبه، الآن أكثر ولاة المسلمين لا يؤمون الناس في الجمعة، كان هذا في الماضي، وهذا من الخلل الذي صار، لكن لو أَمَّ يعني والٍ مسلم في الناس الجمعة والعيدين والحج أمهم في الصلاة أو نحو ذلك تصح الصلاة خلفه ولو كان عنده شيء من المعاصي والفجور، ثم ذكر الحديث، الحديث هنا ضعيف لكن ما ورد فيه ثبت بنصوص قطعية أخرى التي هي: (ثلاث من أصل الإيمان) الحديث بلفظه لم يثبت، لكن المعاني التي وردت فيه وردت في نصوص أخرى، الكف عمن قال لا إله إلا الله، ولا نكفره بذنب، يعني نكف عنه لا نستبيح دمه ولا نستبيح عرضه ولا نظلمه، وإن كان أيضًا هذا عاما حتى فيمن لا يقول: لا إله إلا الله، لكن القصد من قال لا إله إلا الله له حقوق أخص، بأنا لا نظلمه بسبب معاصيه ولا أيضًا نكفره بذنب يعني بالكبيرة ليس كل ذنب، إذا كان الذنب شركا أو كفرا فهذا له قاعدة معروفة.

(ولا نخرجه من الإسلام بعمل) يعني بعمل كبيرة، ليس كل عمل، الشرك ونحوه يخرج به الإنسان من الإسلام ((والجهاد ماضٍ منذ بعثني الله –عز وجل– حتى يقاتل آخر أمتي الدجال)) هذا أيضًا ثبت بنصوص قطعية

متواترة، فالجهاد ماضٍ إلى قيام الساعة ((لا يبطله جور جائر)) يعني إنه على المسلمين أن يجاهدوا ولو كان إمامهم مع صاحب الراية الإسلامية ولو كان جائرا، ولو كان ظالما وفاجرا وفاسقا؛ لأنه لا تقوم مصالح الأمة إلا بذلك، والأمة في كثير من أحوالها قديمًا وحديثًا تبتلى برؤساء وملوك وأمراء وسلاطين فيهم فجور وظلم، هل كل من حكم الأمة قديمًا وحديثًا كلهم خلفاء راشدون؟ لا ليسوا كلهم، بل أكثر من حكم الأمة فيهم فسق وفجور وفيهم مظالم؛ ولذلك كثرت وصايا النبي –صلى الله عليه وسلم– في الأحاديث الصحيحة بأمر الأمة بالصبر على الجور، وعدم الخروج على السلطان وضرورة اجتماع الكلمة، وهذا مع الأسف أدركه عقلاء الكفار اليوم أكثر مما يدركه كثير من المسلمين، تجدهم يجتمعون الآن على رؤسائهم وإن كان يقع منهم ما يقع من الكوارث التي تؤثر على أغلى ما يملكون، ومع ذلك حفاظًا على كيانهم لا يبدون شيئا يؤثر على أمنهم، فكيف نجد من أبنائنا –مع الأسف– من يقع في غوائل وفي مسائل وغلو فيتأول لنفسه بأن يخرق ثوابت الأمن التي آثارها السلبية على الدين نفسه وعلى ثوابت الأمة وحقوقها الخاصة والعامة –معلومة عبر التاريخ وإلى يومنا هذا، لم نرَ ممن تأولوا الخروج على ولاة المسلمين وإن كان فيهم فسق وفجور وعملوا بالعنف إلا وآثار أعمالهم على الدين وعلى الخير وعلى الأمة وعلى الثوابت التي يجب حفظها كالأنفس والأموال والأرواح والعقول والآراء والأعراض آثارها مدمرة، ولا نرى أحدًا استطاع أن يغير منكر بالعنف منذ عهد النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى يومنا هذا، ولا يقر معروف بالعنف، مما يدل على أن وصايا النبي –صلى الله عليه وسلم– في مثل هذه الأمور الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشعائر الإسلام لا يبطلها جور جائر ولا عدل العادل، والإيمان بالأقدار وأيضًا هذا من ثوابت الدين.

قال –رحمه الله تعالى–: (ومن السنة تولي أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ومحبتهم وذكر محاسنهم والترحم عليهم والاستغفار لهم، والكف عن ذكر مساوئهم، وما شجر بينهم واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم، قال الله –تعالى–: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الحشر: ١٠] وقال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩] وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه)).

أحسنت، هذا عود على الموضوع السابق وهو حقوق الصحابة –رضي الله عنهم– وهذا دين، أول ذلك تولي أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ما معنى توليهم؟ أولاً: محبتهم، وثانيًا: الترضي عنهم، وثالثًا: اعتقاد حقهم، تعتقد حقهم اعتقادا، ليس مجاملات ولا مجرد اعتراف بحق تاريخي، لا فهذا حق شرعي ديني، تولاهم بمعنى الولاية المحبة، الولاية الاتباع أي ولاية الاقتداء والاهتداء بهديهم، هذا من ثوابت الدين، ويلزم منه محبتهم بالضرورة هم أُحِبوا لمحبة الله لهم ومحبة الرسول –صلى الله عليه وسلم– لهم، ولأن محبتهم دين وإيمان (وذكر محاسنهم) لأن محاسنهم تشيع الخير في الناس، تزيل الغل من القلوب، وأيضًا لأن محبتهم دين وإيمان فأنت تدين بذلك، ذكر المحاسن أيضًا يعطي الإشارة إلى الاتباع، الاتباع والاهتداء والاقتداء بهديهم، والترحم عليهم لأن الله –عز وجل– رضي عنهم وترحم عليهم، ولأن النبي –صلى الله عليه وسلم– فعل ذلك وأمر به، وهذه من ثوابت الدين، والاستغفار لهم؛ لأنهم بشر يقع منهم ما يقع، وإن كانوا أفضل الأمة على الإطلاق إلا أنهم مع ذلك هم بشر ليسوا معصومين، الاستغفار لهم ولكل من سلف من المؤمنين، الاستغفار لهم لأنهم لهم حق أخص من غيرهم.

(والكف عن ذكر مساوئهم) لماذا الكف عن ذكر مساوئهم؟.

حتى لا يحصل انتقاص لهم.

هذا من ناحية وناحية أخرى؟

أن ما حصل بينهم اجتهاد.

أحسنت، وثالثًا: لأن الذين قدحوا في الصحابة ركزوا على المساوئ، ركزوا على المساوئ إن كانت مساوئ بسيطة لكن -سبحان الله- لما امتلأت قلوبهم بذكر المساوئ وصاروا لا يسمعون فيما بينهم إلا هي نشأت مذاهب تقدح في ذمم الصحابة بل تكفرهم، هذا الجيل الذي زكاه الله -عز وجل- واختاره ورضي عنه والذي جعله خير أصحاب نبي، أصحاب خير الأنبياء وهو محمد -صلى الله عليه وسلم- هذا الجيل الذي نقل الدين لنا حينما استهدفه مرضى القلوب والزنادقة الذين أسسوا ديانات الآن فيما بيننا تعتقد في الصحابة ما تعتقد من الباطل، لما ركزوا على قضية ذكر الأخطاء التي يقع فيها البشر امتلأت قلوبهم بالغل حتى صاروا لا يطيقون تزكية هؤلاء الصحابة الذين زكاهم الله -عز وجل- ولذلك هم يقعون في معضلات عقلية وشرعية وفطرية لا يمكن أن يجيبوا عليها، ونقول لهم: كيف تقولون بتزكية الله لهم؟!! هل الله -عز وجل- بدا له أمر آخر؟!! تعالى الله، البداء لا يقول به إلا اليهود الذين يستنقصون الرب -عز وجل-، أيضًا لا يقال لهم: هؤلاء الذين زكاهم الله -عز وجل- ثم اختارهم لنبيه ألم تتواتر النصوص التي تتكلم عن النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى أن مات؟ بلى، إذن ما الذي دهى القوم؟ ما هو إلا التركيز على المساوئ في البداية، ودائمًا الإنسان لو يُشحن حتى ضد أبيه وأمه في ذكر مسائهم لابد يكون في قلبه غل على أبيه وأمه، إذا ما الإنسان أخذ الأمور بالتوازن، فمن هنا لا يجوز ذكر ما شجر بينهم، يعني يجب الكف عن ذكر مساوئهم لأنها تغرس الغل (وما شجر بينهم) أي: ما حدث من أحداث في الخلافات بينهم كما هو معروف فهذه أمور اجتهادية ابتلوا بها، والله -عز وجل- ابتلى الأمة بها كلها ليكون فيها عبر ودروس؛ ولذلك الصحابة -رضي الله عنهم- حينما ابتلاهم الله -عز وجل- بهذه الأمور نجحوا، تجاوزوها بنجاح، والدليل أنه ما نشأ عندهم بسبب هذه الأحداث الكبار فيما شجر بينهم ما نشأ عندهم بدع ولا نشأ عندهم غل فيما بينهم، بل انتهوا إلى الأصل يعني أننا نأخذ الدروس، لو لم يبتلوا بمثل هذه الأحداث فيما شجر بينهم لغابت عنا كثير من الدروس، كثير من الحكم، كثير من الفوائد، ولله في ذلك حكمة.

قال -رحمه الله تعالى-: (ومن السنة الترضي عن أزواج الرسول -صلى الله عليه وسلم- أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء، أفضلهن خديجة بنت خويلد وعائشة الصديقة بنت الصديق التي برأها الله في كتابه زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- في الدنيا والآخرة، فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم).

أحسنت، أيضًا هذا امتداد للحقوق الخاصة للصحابة -رضي الله عنهم- وفئة أخص وهي زوجات النبي -صلى الله عليه وسلم- لأن حقوق الصحابة من حيث الحقوق العامة والخاصة أولاً: حق الرسول -صلى الله عليه وسلم- هو حق له على جميع الخلق، حتى الأمم السابقة التي بعث الله بها الأنبياء والرسل مطالبة بأن تعرف حق الرسول -صلى الله عليه وسلم- في الجملة، ومن هنا فالبشرية كلها مطالبة بحق النبي -صلى الله عليه وسلم-.

أيضًا هناك حقوق مرتبطة بالنبي -صلى الله عليه وسلم- بعض الارتباط مثل آل بيته، آل البيت لهم حقوق خاصة إلى يومنا هذا من ثبت أن فلانا من الناس من آل البيت وهو من المسلمين الصالحين يجب له من رعاية الحقوق واعتبار القدر والفضل ما يجب له اليوم، وهذا ما يجب أن نتنبه له وأن ننبه أجيالنا، أنه يوجد الآن من آل البيت بين ظهرانينا من قد نغفل عن حقوقهم الخاصة، غفلة، لكن نعتقد ولله الحمد دينًا وجميع أجيالنا وأبنائنا يتربون على هذا وندين الله به، لكن قد ينسى كثير منا الحقوق الخاصة يقدم في المجلس يظهر له الاحترام بلا تقديس.

فحقوق آل البيت ثم حقوق زوجات النبي -صلى الله عليه وسلم- والصحيح أنهن من آل البيت، أليس بيت الرجل هو أسرته؟ أليس من عُمد البيت بعد الرجل الزوجة؟ إذن هن من آل البيت، وهذا الأرجح والأصح، فذكر حقهن والترضي عليهن، ثم إنهن أمهات المؤمنين، أمهات الصحابة، وأمهات الأجيال، وأمهاتنا وأمهات كل مسلم إلى أن يقوم الساعة، فالأم لها قدرها، فهذه أم، وزوجة النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحابية، وجاءت تزكيتها، وقد يخص منهن ما هو أفضل كما في الخلفاء الأربعة والعشرة المبشرين بالجنة وبقية الصحابة قد يكون بعضهم أفضل من بعض، فأضل زوجات النبي -صلى الله عليه وسلم- وأمهات المؤمنين خديجة وعائشة، عائشة خصت

بهذا الحديث -رضي الله عنها- لسبب معين، هو أن عائشة امتُحِنت وابتليت ونجحت في الامتحان والابتلاء حينما رميت بالبهتان، وجعل الله -عز وجل- رميها أن رتب عليه أحكاما للأمة إلى يومنا هذا وإلى أن تقوم الساعة، الموقف من البهتان، والموقف من رمي المحصنات، كان ما حدث لها عبارة عن قواعد ثوابت في الدين في تعامل الأمة في مثل هذه الأمور إلى قيام الساعة، ثم إن الله -عز وجل- زكاها تزكية خاصة، برأها من السماء، ولذلك أعجب ولا ينقضي عجبي وآسف على الذين يكون في قلوبهم شيء على عائشة -رضي الله عنها- فهم طعنوا في عرض النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا طعن في عرض النبي -صلى الله عليه وسلم- بأبي هو وأمي، حاشاه أن يكون شيء من ذلك مما يشيرون إليه، فإذن الطعن في عائشة -رضي الله عنها- كفر بالله العظيم لماذا؟ لأنه من باب اللوازم.

لأنه تكذيب.

لأنه تكذيب، والكفر بالله لا يعني جحد الرب -عز وجل- بالضرورة، كل أمر يعود إلى استنقاص الرب -عز وجل- فهو نوع من الكفر بالله، أليس الله -عز وجل- سمى اليهود والنصارى كافرين بالله؟ هل يعني أنهم ينكرون وجود الله؟ لا، لأنهم كفروا بخصائص الرب -عز وجل- أو ببعض خصائصها، فصار كفرًا بالله العظيم، فكذلك الذين طعنوا في عائشة يحكم عليهم بأنهم كفروا بالله العظيم حينما كذبوا خبر الله، حينما صادموا ما أمر الله به، أيضًا حينما صادموا حقوق النبي -صلى الله عليه وسلم- مصادمة حادة، ولذلك -نسأل الله السلامة والعافية- نجد أن مثل هذه الأمور هي من مكائد الشياطين الجن والإنس وشياطين الزنادقة الذين بذروا هذه البذور في الطعن في أصحاب الحقوق الخاصة من الأمة.

(ومعاوية خال المؤمنين، وكاتب وحي الله أحد خلفاء المسلمين -رضي الله عنهم-).

أولاً: أريد أن أسأل الطلاب الحاضرين، لماذا خص معاوية بهذا الكلام، لماذا؟.

لأن معاوية كثر الكلام حوله للفتن التي حصلت، فأراد أن يبين فضله.

نعم، لأن معاوية -رضي الله عنه- اجتهد بعض الاجتهادات التي كانت مرجوحة فيما بعد في خلافه مع علي، فهذا مما استغله أصحاب الأهواء والبدع والافتراء في غرس الحقد على معاوية -رضي الله عنه- لكن نسوا ما هو أكبر من ذلك.

معاوية -رضي الله عنه- أو غيره المسلم يجتهد ويخطئ هل يذم في دينه؟ إذن اجتهد وأخطأ، بل أجره من الأجرين، له الأجر من الثلاثة أجور، فالمجتهد المصيب له أجران، والمجتهد المخطئ له أجر، فهو صاحب أجر، هذا شيء.

الشيء الآخر: هو بشر، معاوية -رضي الله عنه- وغيره من الصحابة أليسوا وقعوا في أخطاء؟ بلى، إذن لماذا قدحوا في معاوية؟ لأن القضية قضية موقف سياسي بني عليه مذاهب باطلة قامت إلى يومنا هذا وشقت عصا المسلمين بناءً على استغلال بعض الأخطاء السياسية التي وقعت باجتهاد من معاوية -رضي الله عنه- ومن كان معه من الصحابة غُذِّيت وضُخِّمت حتى جعلت مذاهب، فكان الدخول في طعن معاوية مدخلا لأهل الأهواء والبدع والافتراق في بذل الفرقة إلى يومنا هذا، وهي مدخل أيضًا لسب بقية الصحابة؛ ولذلك نجد حتى بعض الكتاب الذين الآن بدءوا يجرءون على الصحابة كان كثير منهم بدأ في جرأته من خلال الكلام في معاوية، ثم جره ذلك إلى الطعن في عدد من الصحابة وربما في جملتهم، وهذا مصداق حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول عن أهل الأهواء (تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه) يعني الهوى يبدأ مثل عضة الكلب المسعور، عضة بسيطة، السعَار عبارة عن بكتيريا تفتك بالجسم قبل أن يأتي العلاج في العصر الحديث،

فالعضة هذه تبدأ بسيطة ثم تفتك بالجسم عضوا عضوا حتى يهلك، فكذلك الهوى فبداية الأهواء على الصحابة تبدأ بالقدح في معاوية أو أمثاله ممن وقعوا في بعض الاجتهاديات، فإذن ذكر معاوية لأنه مدخل لأهل الأهواء والبدع -رضي الله عنه-.

ما معنى (خال المؤمنين)؟.

لأنه قريب عثمان، والرسول -صلى الله عليه وسلم- زوج ابنتيه لعثمان، أيضًا أخته زوج الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

أحسنت، يعني أخو الأم ماذا يسمى؟ خالا، أليست حبيبة بنت أبي سفيان أمنا؟ أم المؤمنين؟ إذن معاوية أخوها هو خال المؤمنين، الأمر سهل لكن وهذه سمة خصيصة، فضل له، إضافة إلى أنه كاتب وحي، من كتاب الوحي، والنبي -صلى الله عليه وسلم- لا يأتمن على القرآن خائنا، لا يأتمن على القرآن إلا من يعلم الله -عز وجل- فيه .. فالنبي -صلى الله عليه وسلم- لا يطلع على الغيب إلا ما أطلعه الله عليه، لكن لو كان معاوية -رضي الله عنه- كما يزعمون لما أقر الله -عز وجل- نبيه في أن يأتمن هذا القرآن وأن يكون من كتاب الوحي.

قال -رحمه الله تعالى-: (ومن السنة السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله، فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به أو غلبهم بسيفه حتى صار خليفة وسُمي أمير المؤمنين وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين).

أحسنت، أيضًا هذه من ثوابت الدين، بعض الناس يظن أن هذه نوع من الاجتهاد للأئمة من أجل جمع كلمة المسلمين وحفظ دينهم ورعاية حقوقهم، لا الأمر أعظم من ذلك، نعم هذه المقاصد هي مقاصد الدين، لكن الطاعة لولاة الأمر السمع والطاعة بالمعروف ما لم يأمروا بمعصية هذه من ثوابت الدين، ولا يستقيم أمر الأمة في دينها ودنياها ولا تحفظ حقوقها الدينية وأعراضها وأموالها وحقوقها الخاصة ولا يكون للأمة عز ولا حضارة ولا مدنية إلا بالسمع والطاعة، لكن أيضًا السمع والطاعة مشروط بالمعروف، وقد يفهم بعض الناس أن المقصود بالسمع والطاعة في غير معصية الله -أن الوالي إذا أمر بمعصية لا يطاع مطلقًا، لا يطاع لا في الطاعة ولا المعصية هذا غلط، إذا أمر بمعصية فلا يطاع في المعصية، لكن يطاع في أمور الطاعة، لكن هذا عبارة عن ضابط عام يحتاج إلى تفصيل، من السنة السمع والطاعة لأئمة المسلمين من ولاه الله أمر المسلمين برًا أو فاجرًا، ولذلك قال: (وأمراء المؤمنين) والأمير سواء كان الأمير الحاكم الأكبر أو من دونه، أمير المنطقة، المحافظ، الأمير الصغير، الأمير الكبير، كل من كان له ولاية وهي تحت السلطان الأكبر فلابد أن يطاع بالمعروف من غير معصية الله، يعني إذا أمر بمعصية فلا يطاع، ومفهوم المعصية معروف عند العلماء ليس المقصود به الأمور الاجتهادية التي أرى أنها معصية وغيري يرى أنها طاعة، هذه الأمور لابد من طاعة الوالي فيها وإن أمر بأمر مرجوح عندي لأن أمر الأمة لا يستقيم إلا بذلك.

(برهم وفاجرهم) يعني كما سبق، يعني سواءً كان مؤمنا مستقيما أو كان عنده تجاوزات وأخطاء ومعاصٍ وفجور فلابد أن يطاع بالمعروف فيما يتعلق بالسمع والطاعة في غير معصية الله، ما لم يأمر بمعصية، فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله حتى وإن كان غير الوالي، الوالد، ومن له حق، وشيخ العشيرة غيرهم ما يطاع في المعصية، المعصية الثابتة التي يتفق على أنها معصية.

(ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به أو غلبهم بسيفه حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين) أو نحن ذلك سمي أميرا، سمي سلطانا، سمي ملكا، سمي رئيسا فلابد من طاعته ويجب، ولا يجوز المخالفة له، ولا يجوز الخروج عليه؛ لأن الخروج فيه شق عصا الطاعة على المسلمين عمومًا، والوالي هو رأسهم.

قال –رحمه الله تعالى–: (ومن السنة هجران أهل البدع ومباينتهم وترك الجدال والخصومات في الدين، وترك النظر في كتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم، وكل محدثة في الدين بدعة، وكل متسمٍ بغير الإسلام والسنة مبتدع كالرافضة والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة والكرامية والكلابية ونظائرهم، فهذه فرق الضلال وطوائف البدع أعاذنا الله منها.

وأما النسبة إلى إمام في فروع الدين كالطوائف الأربع فليس بمذموم، فإن الاختلاف في الفروع رحمة، والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم، مثابون في اجتهادهم، واختلافهم رحمة واسعة، واتفاقهم حجة قاطعة، نسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتنة، ويحيينا على الإسلام والسنة، ويجعلنا ممن يتبع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في الحياة، ويحشرنا في زمرته بعد الممات، برحمته وفضله آمين).

أحسنت وبارك الله فيك، هذا ختام الكتاب، موضوع الموقف من أهل البدع الحقيقة موضوع طويل، الشيخ أشار هنا إلى المجملات، إلى قواعد عامة، هذه القواعد هي الأصل لكن قد تستثنى في بعض الظروف، في بعض الأحوال، هذا ما أحب أن أنبه إليه، بمعنى أن الأصل من السنة هجران أهل البدع لماذا؟ لأن أهل البدع يحملون أمراضا بدعية تحرف المسلم عن السنة، فالهجران هنا بمعنى حماية المسلم من غوائل الانحراف والضلالة، وحماية عموم المسلمين من الفرقة، الفرقة في الدين كارثة، ولذلك تجدون الآن أكثر كارثة على الأمة فيما تعانيه اليوم من المصائب الكبرى التي فيها مما وقعت فيه الأمة من الذل والهوان حينما تسلط عليها العدو كان أكبر نكاية على الأمة حرب بعضها بعض.

الآن التصفيات بين طوائف المسلمين فيما بينهم أشد مما نالهم من العدو الأصل، وإن كان هو السبب العدو يريد ذلك، لكن نرجع: ما السبب في تقاتل المسلمين تحت الرايات والطوائف؟ أليس هو الفرقة الموجودة سابقًا، إذن هذا مما يذكر بأهمية ما كنا نقوله من قبل وبعض الناس يعتب على المتخصصين في العقيدة حينما يحذرون وينبهون على أهمية جمع الأمة على السنة والتحذير من البدع لا لأننا هنا نريد أن نضيق على أهل البدع وأن نظلمهم حقوقهم، لا لأننا نريد أن نرحمهم وأن نشفق عليهم نريد أن نجمع الأمة على راية واحدة، فهجران أهل البدع هنا هجران الباطل، هجران الفرقة، هجران ما يؤثر على عقائد المسلمين، حماية عقول وقلوب الأجيال من غوائل البدع التي سبب في هذا الافتراق الذي هو أشد نكاية على الأمة في تاريخها الطويل، والعدو لا يملك أن يضر الأمة إلا من خلال استغلال الفرقة، حتى العدو الذي الآن يملك الأسلحة الجبارة الذي تسلط على المسلمين ما استطاع أن تكون له نكاية شديدة على المسلمين إلا حينما جعل بعضهم يضرب بعضا، وأتاح الفرصة لأن ينتقم سفهاء الفريقين بعضهم من بعض.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

العقيدة - المستوي الرابع

الشيخ/ د. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف

الدرس الأول

مقدمة الطحاوى

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد، أحيي الجميع فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وسنبدأ مستعينين بالله تعالى وحده لا شريك له، سنبدأ بعون الله -تعالى- في شرح العقيدة الطحاوية من خلال الاستفادة من شرح ابن أبي العز الحنفي -رحمة الله عليه-، فنسعى إلى أن يكون المتن الذي هو العقيدة الطحاوية هو الأصل في هذه الدرس في هذه الدورة، ونستأنس بشرح ابن أبي العز من جهة أننا نقرأ ما فيه أو نقرأ بعض الكلام الذي فيه ثم ما يحتاج إلى تعليق أو تعقيب أو توضيح أو بيان هذا دور المدرس في هذه الدورة.

العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر الطحاوي -رحمه الله- والمتوفى سنة واحد وعشرين وثلاثمائة هي من العقائد التي تلقاها علماء أهل السنة بالقبول وصار لها من الانتشار والقبول ما لها ولله الحمد والمنة؛ ولهذا حرص العلماء على شرحها والاعتناء بها، ومن أفضل الشروح شرح ابن أبي العز الحنفي الذي له من القبول والانتشار ما له، لاسيما وأن شرح ابن أبي العز الحنفي -رحمة الله عليه- صار فيه على طريقة أهل السنة والجماعة، هذا بالنسبة للكتاب الذي سيكون بين أيدينا.

لعلنا الآن نبدأ في الحديث من خلال مقدمة أوردها ابن أبي العز الحنفي -رحمة الله عليه- في الحديث عن أهمية العقيدة وأترك المجال لأخينا يقرأ المقدمة في أهمية العقيدة فليبدأ:

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله تعالى-: (الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فإنه لما كان علم أصول الدين أشرف العلوم، إذ شرف العلم بشرف المعلوم، وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع، ولهذا سمى الإمام أبو حنيفة -رحمة الله عليه- ما قاله وجمعه في أوراق من أصول الدين: الفقه الأكبر، وحاجة العبادة إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه).

المسألة الأولى: أهمية العقيدة:

المقدمة التي استمعنا إليها تشير إلى أهمية العقيدة، والشارح -رحمه الله- تحدث عن أمرين في بيان أهمية العقيدة:

الأمر الأول: أن علم العقيدة أشرف العلوم، أشرف العلوم على الإطلاق علم العقيدة، لم؟ عَلَّلَ ذلك وبينه بقوله قال: (إذ شرف العلم بشرف معلومه) والمقصود أن علم التوحيد موضوعه هو معرفة الله -سبحانه وتعالى-، والتعرف على الله بأسمائه وصفاته وأفعال، وما يُلحق بذلك من التعرف على الأنبياء والرسل واليوم الآخر، هذه

الموضوعات لا شك أنها أجل العلوم؛ ولهذا نجد أن الإمام أبا حنيفة النعمان لما كتب في العقيدة سمى ما كتبه في العقيدة: "الفقه الأكبر" فهو ليس فقهًا فحسب بل هو الفقه الأكبر، هذا الأمر الأول.

الأمر الثاني: ما ذكره -رحمه الله- في أن الحاجة إلى العقيدة هي أعظم الحاجات، فالحاجة إلى معرفة الله فوق كل حاجة، وضرورة التعرف على الله فوق كل ضرورة، وبيَّن ذلك وعَلَّله ووضحه لماذا؟ لأنه (لا حياة للقلوب ولا سعادة ولا طمأنينة إلا بمعرفة الله -سبحانه وتعالى-).

وها هي البشرية تعاني من الضياع والشقاء لما أعرضت عن عبادة الله -سبحانه وتعالى- كما هو مشاهد في العالم الغربي وما شابه.

أمر ثالث نشير إليه في هذه المقدمة في أهمية العقيدة:

الأمر الثالث: ألا وهو أن العقول لا تستقل، العقول البشرية -أيها الإخوة الكرام- لا تستقل بمعرفة تفاصيل أمور الدين، فالتعرف على الله -سبحانه وتعالى- ومعرفة أسمائه وصفاته، ومعرفة الغيب مما يتعلق بالجنة والنار واليوم الآخر، كل ذلك العقول البشرية لا تستقل بمعرفة ذلك، فلابد من رسولٍ يبين ذلك؛ لهذه الأمور الثلاثة ولغيرها صارت العقيدة لها من الأهمية ما لها.

هذه هي المسألة الأولى التي بدأنا فيها في هذا الدرس ألا وهي أهمية العقيدة.

المسألة الثانية: حكم المعرفة الإجمالية والتفصيلية.

المسألة الثانية وهي: ما يمكن أن نسميه بحكم المعرفة الإجمالية والمعرفة التفصيلية.

المقصود بالمعرفة الإجمالية: هي الإيمان المجمل. الإيمان بأركان الإيمان الستة إيمانًا مجملاً عامًا، هذا الإيمان المجمل هذا فرض عين، فيجب على كل مسلمة وعلى كل مسلم أن يؤمن إيمانًا عامًا مجملاً بهذه الأركان، عندنا حديث جبريل الذي نعرفه وتعرفونه جيدًا أنه -عليه الصلاة والسلام- لما سئل عن الإيمان قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره) فالإيمان المجمل العام دون تفاصيل هذا يجب على كل مسلم ويجب على كل مسلمة، إذن نخلص من هذا أن المعرفة الإجمالية الإيمان المجمل العام، دون تفاصيل، هذا الإيمان العام المجمل فرض عين على كل مسلم ومسلمة.

أما المقصود بالمعرفة التفصيلية وهو الجانب الآخر: معرفة تفاصيل أركان الإيمان الستة، هذه التفاصيل -أيها المشاهدون المشاهدات- فرض كفاية، ونوضح ذلك بمثال: يجب على كل مسلم ومسلمة أن يؤمن باليوم الآخر، لكن تفاصيل اليوم الآخر، أن ثمة صراط وثمة ميزان، وثمة حوض للنبي -عليه الصلاة والسلام- هذه التفاصيل ليست فرض عين على كل مسلم ومسلمة، وإنما هي فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط الحرج والإثم عن الباقين، هذا ما يتعلق بمسألة المعرفة الإجمالية والمعرفة التفصيلية، لكن نحب أن نؤكد على مسألة مهمة بعد هذا البيان للمعرفة الإجمالية والمعرفة التفصيلية.

نؤكد على مسألة أنه قد يجب على الأعيان- على أشخاص- بأعيانهم، يجب عليهم ما لا يجب على غيرهم، وهذا الأمر أنه يجب على أشخاص بأعيانهم ما لا يجب على غيرهم منوط بأمرين:

الأول: القدرة.

الثاني: الحاجة.

الأمر الأول: القدرة: بمعنى أن من قدر على سماع العلم فيجب على من قدر عليه ما لا يجب على من لم يسمع ذلك.

ما معنى ذلك؟ يعني لو أن أحد العوام صلى الجمعة مع إمام، وتحدث الإمام مثلاً عن الحوض، فهنا نقول على هذا العامي الذي سمع كلام النبي -عليه الصلاة والسلام- من هذا الخطيب - أن يؤمن بهذا الكلام، ولا يجب على غيره من العوام ممن لم تجب عليه هذه الجمعة مثلاً، فيجب على من سمع العلم وقَدِّر عليه ما لا يجب على غيره.

الأمر الثاني: الحاجة: فقد يحتاج بعض الأشخاص -بعض الأعيان- إلى أن يتعرفوا شيئًا من التفاصيل لهذا الدين ما لا يجب على من لم يحتج إلى ذلك؛ ولهذا قال العلماء: إذا كان عند العامي مال بلغ النصاب وحال عليه الحول عليه أن يعرف أحكام الزكاة -عليه أن يتعرف على أحكام الزكاة في هذه المسألة- ما لا يجب على من لم تجب عليه الزكاة.

وبهذا نخلص إلى أن المعرفة الإجمالية فرض عين والمعرفة التفصيلية فرض كفاية، وأن تفاصيل العلوم الشرعية، ومنها مسائل الاعتقاد أنه يجب على الأعيان أو على بعض الأعيان ما لا يجب على غيرهم، وهذا منوط بأمرين: إما القدرة وإما الحاجة.

أترك المسألة هذه وأنتقل إلى المسألة الثالثة في هذا الدرس.

من باب رفع الجهل يا شيخ: هل نقول إنه يستحب للمسلم -أو يؤكد عليه- أن يبحث عن العلوم العقدية ويدرسها ويفهمها حتى ينفي الجهل عن نفسه ويرفع الجهل عن نفسه؟.

هو لا شك، ولكن نحن نتكلم عن الوجوب العيني، عليه أن يؤمن إيمانًا مجملاً بأركان الإيمان الستة، فالعبد كما نعرف وتعرفون إذا وضع في قبره يسأل المسائل الثلاثة هذه فرض عين، من ربك؟ من نبيك؟ ما دينك؟ أيضًا كما قال أبو العالية -رحمه الله-: كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ ما زاد على فرض العين لا شك أنه يستحب له أن يبحث عنه؛ لأنه من أعظم القربات، وهو أن الشخص يشتغل بالعلوم الشرعية لاسيما ما يتعلق بعلم الاعتقاد علم العقيدة الإسلامية.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، قال الإمام ابن أبي العز في الشرح: اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله -عز وجل-، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، وقال هود -عليه السلام- لقومه: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾، وقال صالح -عليه السلام-: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ وقال شعيب -عليه السلام- لقومه: ﴿ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [المؤمنون: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]).

المسألة الثالثة: سبب الضلال.

عفوًا عندنا أيضًا مسائل قبل أن نبدأ في شرح عبارة الطحاوي ها هنا فأحب أن أشير إليها وذكرها ابن أبي العز لأهميتها: كنا تحدثنا قبل قليل عن حكم المعرفة الإجمالية والمعرفة التفصيلية، هناك مسالة مهمة أشار إليها ابن أبي العز -رحمة الله عليه- ومن المهم أن نشير إليها في هذا الدرس، ألا وهي سبب الضلال، ما سبب ضلال الفرق والناس ووقوعهم في هذا الشقاء والنكد؟

السبب بإيجاز شديد: ألا وهو الإعراض عن كتاب الله وعن سنة النبي -عليه الصلاة والسلام-، هذا المعنى هو الذي أشار له الشارح لما أشار -رحمه الله- في هذه المسألة إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: ١٢٤]، وذكر -رحمه الله- كلام ابن عباس -رضي الله عنهما- إذ يقول: " تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل به أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة".

فالذي يلتزم بكتاب الله ويصدق بنصوص الوحيين ويتبع ذلك التصديق الانقياد والإذعان والعمل بموجب ذلك يحصل من ذلك الحياة الطيبة والإيمان والأمن والسلامة في الدارين، أما من تنكب صراط الله المستقيم وأعرض عن نصوص الوحيين فما الذي يعرض له؟ يعرض له ما سمعنا في الآية الضلال والشقاء، ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ الضنك: هو الضيق -نسأل الله العافية- قال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ هذا حال المعرضين عن نصوص الوحيين.

يقول: ما الفرق بين العقيدة والتوحيد؟ أو العقيدة والإيمان؟.

قضية الفرق بين العقيدة والتوحيد أو العقيدة والإيمان: أنت لو نظرنا إلى المعنى من جهة اللغة نجد أن هناك فرق بينها، فالعقيدة مأخوذة من فعل عقدت، وفعل عقد فيه معنى الجزم والعزم، تقول: عقدت الحبل، فالعقيدة فيها معنى الجزم والحزم والصلابة، فالعقائد مبنية على اليقين؛ ولهذا الله -سبحانه وتعالى- قال عن المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ [الحجرات: ١٥]، لما نأتي مثلاً لموضوع الإيمان نجد أن الإيمان في اللغة قد يطلق على التصديق، قد يطلق ويكون من الأمن الذي هو ضد الخوف.

التوحيد لو جئت إليه في اللغة وهو جعل المتعدد واحدًا وهذا سيأتي معنا -إن شاء الله- تفصيلاً، فنجد أنها يختلف معناها من جهة اللغة، لكن نجد أن أهل العلم يطلقون على العقيدة: أنها العقيدة، ومرة يطلقون الإيمان، ومرة يطلقون التوحيد، وعلى كلٍ هذا لا إشكال فيه، نسمي هذا العلم العقيدة فنجد أن السلف استعملوا هذه الكلمة في كتبهم لا إشكال، نسمي ذلك توحيدًا لا إشكال، نسمي ذلك إيمانًا، أي نعم مع أن ثمة فرق بين هذه الأمور لكن علم العقيدة يسمى بهذه الأسماء كلها، لكن لا يعني أن هذه الكلمات كلها مترادفة، بل لكل منها معنىً، وهذه المعاني كما تلحظ فيها شيء من التداخل والتقارب، هذا الذي يمكن أن يقال في هذه العجالة.

المسألة الرابعة: الفرق بين التحريف والتأويل:

عندي هنا أيضًا مسألة أنا أحب أن أنبه عليها لأن الشارح ذكرها ولم يفصل فيها الكلام، وهو سيفصل فيها فيما بعد -في موضع آخر- الشارح ابن أبي العز يقول: (وقل من يهتدي إلى الفرق بين التحريف والتأويل) فابن أبي العز يشير إلى أن هناك فرق بين التحريف وبين التأويل، لكنه لم يذكره في المقدمة بل جعل له كلاماً مطولاً في موضع آخر ونحب أن نذكر في هذه العجالة الفرق بين التحريف والتأويل:

باختصار شديد نقول: التحريف كله مذموم، والله -سبحانه وتعالى- إنما ذكر التحريف عن أهل الكتاب قال -عز وجل-: ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ [النساء: ٤٦]، والتحريف هو: إمالة الكلام عن المعنى المتبادر منه إلى معنى آخر، يعني المعنى المتبادر منه -المعنى الصحيح، المعنى الظاهر- يميل عنه ويعرض عنه إلى معنى آخر، هذا هو التحريف، فالتحريف هو إمالة الكلام وصرفه عن المعنى المتبادر منه إلى معنى آخر.

أما التأويل -أيها الإخوة الكرام-: التأويل ليس مذمومًا بإطلاق، لكن التحريف كله مذموم.

الأمر الأول: أن التأويل ليس مذمومًا بإطلاق، بل منه ما هو مذموم ومنه ما هو محمود.

الأمر الثاني: أن التأويل له أكثر من معنى، يعني له معانٍ صحيحة، وله معانٍ ليست بذلك.

فالتأويل قد يطلق على التفسير، ولا شك أن تفسير القرآن ومعرفة معاني الكتاب، لا شك أن هذا من الأمور المحمودة المحبوبة أن الإنسان يتعرف على معاني القرآن، وهذا الذي تجده عند شيخ المفسرين ابن جرير -رحمه الله- وهو يستعمله، لما يقول ابن جرير - وهو شيخ المفسرين- في تفسيره: "اختلف عن التأويل"، يقول: "تأويل قوله تعالى كذا" ومراده التفسير.

وقد يراد بالتأويل: الحقيقة، حقائق الأمور.

وقد يراد بالتأويل: صرف الكلام عن احتمال راجح، إلى الاحتمال المرجوح.

المقصود أن التأويل له عدة إطلاقات لا يمكن أن نذمه بإطلاق، أما التحريف فهو مذموم بإطلاق.

المسألة الخامسة : ذم علم الكلام.

أيضًا عندنا مسألة عرض لها المؤلف وأيضًا نحب أن نشير إليها قبل أن نبدأ في شرح العبارة التي قرأها أخونا، وهي مسألة ذم الكلام، تحدث ابن أبي العز عن ذم الكلام، أو ما يمكن أن نسميه علم الكلام، قبل أن نذكر بعض آثار السلف في ذم علم الكلام أحب أن نوضح ما معنى علم الكلام، ما معناه؟ علم الكلام: هو علم يزعم أصحابه أنهم يريدون التوفيق والجمع بين الأدلة النقلية وبين الأدلة العقلية. فأصحابه يَدَّعُون ذلك، يَدَّعُون التوفيق والجمع؛ لكن هؤلاء المتكلمين الذين اشتغلوا بهذا الكلام في الواقع أنهم تركوا نصوص الوحيين أعرضوا عنها وقدموا عقولهم ولم يعطوا النصوص الشرعية حقها، فنجد أنهم يظنون أن النصوص النقلية مجرد أخبار ليس فيها أدلة عقلية ولا براهين، هذا غير صحيح، النصوص الشرعية -الكتاب والسنة- حافلة بالأدلة العقلية والبراهين.

هذا وإن علم الكلام أورث أصحابه شكًّا صار عندهم شيء من الشك الاضطراب والحيرة التردد، فالذي نريد أن نخلص إليه -أيها الإخوة الكرام- أن السلف ذموا الكلام، ولاحظ السلف يسمونه "الكلام"، ولا يقولوا: "علم الكلام"؛ لأن العلم هو ما قام عليه الدليل، والكلام لو سميناه "علمًا" تجوزًا فهو في الواقع ليس قائمًا على الدليل، إنما هو فيه تخرص وفيه ظنون وفيه أقوال أقرب ما تكون للمجهولات إلى الفساد، فالسلف تجدهم يقولون: "الكلام" ما يقولون: "علم الكلام"، لكن نحن نسميه "علم الكلام" تجوزًا؛ وإلا فالعلم ما قام عليه الدليل، والكلام لم يقم على دليل.

فبان لكم هذا العلم وأن السلف ذموه ولعله يشير فقط إلى بعض عبارات من أقوال السلف في ذلك:

- عندنا أبو يوسف -رحمه الله- صاحب أبي حنيفة يقول في عبارته: «من طلب العلم بالكلام تزندق» يعني يقول الذي يطلب العلم عن طريق علم الكلام هذا يؤدي به إلى الزندقة، والمراد بالزندقة عند الفقهاء أي: النفاق، فعلم الكلام هو باب إلى الزندقة والنفاق.

- ولهذا جاء عن الإمام أحمد بن حنبل أيضاً أن علماء الكلام زنادقة، يعني أنهم تلبسوا بشيء من النفاق.

- عندنا أيضًا عبارة الإمام الشافعي -رحمه الله- وهي عبارة مشهورة: «حكمي على أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال» قال هؤلاء حقهم أن يضربوا بالجريد والنعال، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واشتغل بالكلام.

السلف ذموا علم الكلام لما فيه من الحيرة، إذ يوقع في الحيرة والشك، ويوقع في انتقاص النصوص الشرعية.

المسألة السادسة: أول واجب على المكلفين هو التوحيد.

أنا أعتذر على هذه الإطالة وأرجع للعبارة التي قرأها أخونا وهي التي سمعناها عندما قال الإمام الطحاوي –رحمه الله–: (نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له) هنا التوحيد كما سمعنا كلام ابن أبي العز هو أول واجب على المكلف، وهذه مسألة مهمة لما نسألك ما أول واجب على المكلف؟ هو التوحيد، من أين أخذنا هذا؟ أخذناه من كلام النبي –عليه الصلاة والسلام– لما أرسل معاذ بن جبل فجاء في الحديث أنه –عليه الصلاة والسلام– قال لمعاذ: (إنك تأتي قومًا من أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله) فهذا أول واجب، أول واجب على المكلف هو التوحيد، هكذا جاء في وصية النبي –عليه الصلاة والسلام– لمعاذ بن جبل –رضي الله عنه–، وسمعنا الآيات الكريمات، الآيات الكريمات نجد أن الرسل عليهم السلام بدءوا بالتوحيد، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ ما من نبي من أنبياء الله إلا وقد قال لقومه ابتداءً واستهلالاً بدعوته اعبدوا الله ما لكم من إله غيره.

هذه المسألة التي ربما تكون عندنا وعندكم بدهية وتحصيل حاصل، هذا الأمر البدهي القطعي للأسف هناك من يخالفه ويصادمه، والذين صادموا ذلك وخالفوه هم الذين اشتغلوا بعلم الكلام ومن تأثر بهم، ولاحظوا أننا نقول: ومن تأثر بهم؛ لأن هناك أناس ربما تجدهم من المنتسبين لأهل السنة قد أصابتهم هذه اللوثة، لوثة علم الكلام، فبعض هؤلاء ما يقول: أول واجب: التوحيد،ولكن يقول: أول واجب: النظر، وبعضهم يقول: أول واجب: القصد إلى النظر، وبعضهم يقول لك: أول واجب: الشك –نسأل الله العافية– وهذه العبارات كلها سواء قيل: أول واجب: النظر، ومرة يقولون: أول واجب: المعرفة، ومرة يقولون: أول واجب: القصد إلى النظر، وآخرون يقولون: أول واجب: الشك.

لا نريد أن نُشْكِل عقول المشاهدين والمشاهدات في الدخول في مصطلحات كلامية؛ لكن الذي يهمنا أن نوضح العبارات ولو بشيء من الإيجاز والتقريب هم حينما يقولون: أول واجب النظر، ما معنى أول واجب النظر؟ مقصودهم النظر في الكون الذي يؤدي إلى إثبات أن الله –تعالى– هو الصانع، وأن العالم حادث، هذا باختصار شديد، معنى النظر، وكلمة القصد إلى النظر هو: الطريق إلى هذا النظر، فالقصد هو أشبه ما يكون بالوسيلة والطريق إلى النظر.

أما حينما يقول لك: أول واجب الشك، فمقصودهم –والله أعلم– أن الإنسان يبدأ من الشك وينتقل إلى اليقين بأن الله –تعالى– هو الصانع الخالق وأن الكون حادث، فهذا الكلام مردود؛ نقول لأن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال أول واجب التوحيد –كما سمعنا–: (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله) أما قضية أول واجب النظر وإثبات أن الله –تعالى– هو الصانع فهذا:

أولاً: خلاف الدليل.

الأمر الآخر: أن هذا تحصيل حاصل؛ لأنه معلوم أن الله –تعالى– هو الصانع ليس هناك شك، ومشركو العرب يقولون بذلك كما سيأتي معنا بعد قليل.

إذن نخلص –أيها المشاهدون والمشاهدات– إلى أن أول واجب هو التوحيد، علينا أن نعتني به وأن نشتغل بالتفقه فيه، وهو كما أنه أول واجب هو آخر واجب، كيف آخر واجب؟ الشخص يطالب بذلك ويستحب له أن ينطق بالتوحيد عند احتضاره؛ ولهذا قال –عليه الصلاة والسلام–: (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله) وفي الحديث الآخر قال: (من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة) أو كما قال –عليه الصلاة والسلام–.

لعل الكلام يكون في هذا واضح وبَيِّن، إذا كان هناك إشكال عند الإخوة، هل هناك استفسار أو سؤال؟

يقول: لا شك أنكم حينما تطرقتم إلى أهل الكلام ولا نقول علم الكلام كما تفضلت وبينت أنهم قد ضلوا في اعتمادهم على العقل دون النقل، فهل نقول فضيلة الشيخ أن العقيدة إنما تستمد من النقل فقط دون العقل؟ أم أنه قد يُجمع في استمدادها بين النقل والعقل؟.

الأمر الأول: أنه لا تعارض بين العقل والنقل.

ليس هناك إشكال وهذا ما نعتقده وندين الله –تعالى–به، أنه لا تعارض بين العقل والنقل، فالعقل خلقه الله والنقل أنزله الله، ولا يمكن أن يتعارض ما خلقه الله –سبحانه وتعالى– مع ما أنزله الله –تعالى– من وحيه، ونجزم ونوقن بأن النقل الصحيح يتفق مع العقل الصحيح لا يمكن أن يتعارضا أبدًا.

الأمر الثاني: أن أهل الكلام لم يعظموا النصوص ولم يعطوا النصوص الشرعية حقها، بسبب أنهم أعرضوا عن نصوص الوحيين، وظنوا أن نصوص الكتاب والسنة مجرد أخبار، يعني مجرد أدلة خبرية ليس فيها أدلة عقلية، وهذا كلام فاسد ومردود.

فالقرآن حافل وكذا السنة، سنة النبي –عليه الصلاة والسلام– حافلة بالأدلة العقلية، كم من الأدلة العقلية في القرآن التي تقرر التوحيد أو النبوات أو اليوم الآخر، وهذه الأدلة بسطها مثلاً ابن القيم في "الصواعق المرسلة" ومن قبل شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في "الرسالة التدمرية" ومثل ذلك مما نتكلم فيه جعل هذا الكلام قاعدة فقال شيخ الإسلام: «إن الكثير مما دل عليه النقل دل عليه العقل» فهذه قضية ينبغي أن نتنبه لها، أنه لا تعارض بين النصوص الشرعية وبين العقل إذا كان هذا العقل عقلاً صريحًا وليس مجرد ظن وتخرص.

والقرآن حافل بالأدلة العقلية، وسلفنا الصالح اعتنوا بالأدلة العقلية، فمثلاً الإمام أحمد بن حنبل كتب كتابًا اسمه "الرد على الزنادقة" وأورد الأدلة العقلية، الإمام عثمان بن سعيد الدارمي له كتاب في "الرد على بشر" وغيره وهو حافل بالأدلة العقلية، فبعض الناس للأسف يظنون أن أهل السنة لم يعتنوا بالعقل، هذا غير صحيح هم اعتنوا بالعقل وأعطوه حجمه دون إفراط أو تفريط.

يقول: حكم أهل السنة في أهل الكلام .

على كلٍ أولاً نحن نبدأ في موضوع المسألة التي سأل عنها أخونا فنقول: أهل السنة والجماعة –رحمة الله على أمواتهم وحفظ الله أحياءهم– أهل السنة هم يعلمون الحق ويرحمون الخلق، فأهل السنة يعلمون الحق ولا يضيعون الحق من باب التميع وتضييع دين الله، وفي نفس الوقت أيضًا لا يسيئون إلى الناس ولا يظلمونهم، فنحن نقول: علم الكلام لاشك أن له من الآثار السلبية والآثار الوخيمة ما له، فأهل الكلام أوقعوا أنفسهم في الشك والحيرة، بل إن الكلام أوقع بعضهم من الانسلاخ عن دين الإسلام؛ ولهذا قال الإمام أحمد أو غيره من الأئمة: إن أكثر الناس شكًا عند الموت أهل الكلام وهذا واقع، يعني أنهم عند الموت يصابون بالشك، ويقعون في الحيرة، فإذا كان هذا العلم يورث شكًا وحيرة ويورث قسوة القلب ويورث ترك العمل، وهذا نسينا أن نشير إليه أن السلف لماذا نهوا عن الكلام؟ الإمام مالك نهى عن الكلام؛ لأنه يقول: ليس فيه عمل، مجرد جدل عقلي، فإن قلتم وقلنا إلى آخر ما يسميه العلماء: "الفنقلة" (فإن قالوا قلن)، والسلف أرباب عمل وأرباب جد، أرباب اجتهاد في العبادة وأرباب تسليم، فعلم الكلام لا يسلم للنص الشرعي، وفي نفس الوقت أيضًا أصحاب جدل لا يعملون ولا يمتثلون بالسنة.

فيبقى الكلام أن عبارة الإمام أحمد قال: «علماء الكلام زنادقة» يعني عندهم شيء من النفاق، لكن لا يمكن أن نطلق القول بتكفيرهم، فالتكفير كما هو معلوم هو حق الله –سبحانه وتعالى– لا نكفر إلا من تلبس بالكفر قولاً أو

عملاً وقامت عليه الحجة، هذا بالنسبة للأعيان، لكن كوننا نقول: إن علم الكلام يورث نفاقًا يورث شكًا هذا أمر ظاهر؛ لكن الحكم على الأعيان –على أعيان المتكلمين– هذا يحتاج إلى هذين الأمرين:

الأمر الأول: نجزم أن والله هذا الشخص تلبس بالكفر قولاً أو عملاً ودل الدليل على ذلك.

الأمر الثاني: هل قامت عليه الحجة؟ بمعنى اجتمعت الشروط فيه وانتفت الموانع. ومع هذا يحضرني عبارة جميلة أحب أن أذكرها في هذا المقام جاءت في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في ختام "الرسالة الحموية" لما تكلم وتحدث عن المتكلمين وانحرافهم في آخر الرسالة قال كلامًا جميلاً ما معناه، قال هذا لما ذكر ضلالهم قال: «وإذا نظرت إليهم بعين القدر: رحمتهم» هذه الرحمة ثم قال –رحمه الله–: «أوتوا سمعًا وأبصارًا وأفئدةً فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء» قال: أوتوا علومًا ولم يؤتوا فهومًا، أي نعم، أوتوا علماً ولم يؤتوا ذكاءً، ثم قال: «وأوتوا سمعًا وأبصارًا وأفئدةً فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء».

يقول: هل علم الكلام مكروه لذاته؟ أم أنه مكروه لما يعتري صاحبه من قوادح في العقيدة؟.

لا نريد أن نفصل، الفرق بيِّن، هو لا ينفك عن هذا، علم الكلام لا ينفك عن هذه الأمور، علم الكلام لا ينفك عن مخالفة نصوص الوحيين– انتبهوا يا إخوان– البعض يظن أن السلف نهو عن علم الكلام مجرد؛ لأن فيه مصطلحات جديدة، هذا غير صحيح، نحن نقول: «لا مشاحة في الاصطلاح» وإن كنا نوقن ونجزم أن المتعين الالتزام بالعبارات الشرعية الدينية، لكن ذم السلف للكلام ليس لمجرد المصطلحات فحسب، ليس هذا أمرًا جوهريًا إنما ذم علم الكلام؛ لاشتماله على الباطل؛ لأنهم خالفوا الدليل، خالفوا النصوص الشرعية، خالفوا عقائد أهل السنة والجماعة، فعلم الكلام هو مذموم؛ لأنه لا ينفك عن هذه الأمور، لا ينفك عن الشك، لا ينفك عن الحيرة، لا ينفك عن مخالفة النصوص الشرعية، المتكلمون يقولون هذا، جاء العقل والنقل تجده يقدم النقل عند التعارض كما يتوهمون، فعلم الكلام مذموم، علم الكلام مذموم لذاته، والمقصود بذاته أنه لا ينفك عن هذه الأمور التي أشرنا إليها.

المسألة السابعة: قصة لأبي حنيفة.

يبدو أيضًا أن هناك شيء نسيته وأحب أن أنبه عليه لما فرغنا من الحديث عن أول واجب في مسألة كان قد تحدث عنها ابن أبي العز الحنفي –رحمة الله عليه– أحب أن أنبه عليها؛ لأنه حصل فيها شيء من الإشكال وهي أنه ذكر قصة أبي حنيفة ممكن لعلك تقرأها يا شيخ، في المخطوطة عشرة قبل ما قرأت هذا، (ويحكى عن أبي حنيفة..).

قال ابن أبي العز –رحمه الله تعالى–: (ويحكى عن أبي حنيفة –رضي الله عنه– أن قومًا من أهل الكلام أرادوا البحث معه في تقرير توحيد الربوبية فقال لهم: أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام والمتاع وغيره بنفسها وتعود بنفسها فترسي بنفسها وتتفرغ وترجع، كل ذلك من غير أن يدبرها أحد، فقالوا: هذا محال، لا يمكن أبدًا، فقال لهم: إذا كان هذا محالاً في سفينة فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله؟ وتحكى هذه الحكاية عن غير أبي حنيفة أيضًا).

يعني هذه الحكاية التي أشار لها وذكرها ابن أبي العز –رحمه الله– في هذا المقام هي قصة مشهورة عن أبي حنيفة –رحمه الله– وعن غيره في تقرير توحيد الربوبية.

لكن الذي حصل يبدو أن هناك شيء من سبق قلم من الناسخ أو من المؤلف والله أعلم هنا قال: (ويحكى عن أبي حنيفة -رحمه الله- أن قومًا من أهل الكلام) لا.. ليس الأمر كذلك، وإنما هؤلاء قوم من الملاحدة، وهذا الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في الدار لما ذكر القصة عن أبي حنيفة، وأيضًا ذكره الحافظ ابن كثير في بداية تفسيره فالمقصود أنه ينبه على هذا الخطأ اليسير، وأن الذين ناظرهم أو ناقشهم الإمام أبو حنيفة هم قوم من الملاحدة وليسوا من أهل الكلام؛ لأن أهل الكلام مقرون بأن الله -تعالى- هو الخالق، لا يجحدون ذلك ولا ينكرونه، لكن يبقى كلام أبي حنيفة -رحمة الله عليه- كلام يعني قوي وحجة ظاهرة أنه لا يمكن، فإذا كان لا يمكن لسفينة أن تحمل أزوادها وأثقالها وتنتقل من ضفة إلى ضفة دون قائد أو ملاح فكيف بهذا الكون الفسيح بسمائه وأرضه أن يكون قائمًا بلا خالق ولا صانع؟!! تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

يقول: يا شيخ أريد أن أستفسر عن عبارة عن كلام الله عن القرآن يقول: "القرآن كلام الله القديم النفسي القائم بذاته" هل هذه العبارة صحيحة أم لا؟.

"كلام الله القديم النفسي القائم بذاته" هل هناك زيادة على هذا؟

أي نعم، هذه المقولة قال: "أن كلام الله قديم قائم بذاته"؟

هذه العبارة من الأقوال التي قالها بعض المتكلمين، وهم أنهم زعموا أن كلام الله صفة قائمة بذات الله يعني صفة ذاتية، وهذا كلام فاسد، فكلام الله -سبحانه وتعالى- هو صفة ذاتية فعلية، والمقصود أننا لما نقول صفة ذاتية فعلية أي أنه قديم النوع حادث الآحاد، والمقصود بكلمة قديم النوع أن الله -سبحانه وتعالى- موصوف بالكلام منذ الأذل -سبحانه وتعالى-، فله صفات الكمال والجلال، وإذا قلنا إنه "حادث الآحاد" فالمقصود بكلمة "حادث الآحاد" إن كلامه -سبحانه وتعالى- متعلق بمشيئته واختياره، أي نعم، مثل ما قال -عز وجل-: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[يس: ٨٢]، فالعبارة هذه ليست صائبة وإنما هي عبارة مشهورة عن الأشاعرة، وأما مذهب أهل السنة فهم يقولون كلام الله صفة ذاتية فعلية، وأن كلام الله قديم النوع حادث الآحاد.

المسألة الثامنة: الحديث عن الضابط الدليل العقلي في الكتاب والسنة:

يقول: لدي سؤال هنا يتعلق بالمسألة أريد أن أورده لكم بارك الله فيكم: يقول: حبذا لو يتكرم الشيخ ببيان ضابط الدليل العقلي الوارد في القرآن والسنة؟.

هو السؤال مُلح أو سؤال مهم لما يقول: أريد الحديث عن الضابط الدليل العقلي في الكتاب والسنة يعني الذي يمكن أن يقال في هذا المقام وأشرنا في الكلام السابق ولا نريد أن نعيده إلى أن القرآن حافل بالأدلة العقلية وكذا السنة، وأشرنا أيضًا إلى أنه لا تعارض بين النقل الصحيح وبين العقل الصريح.

أما ما أشار السائل الكريم من قضية الضوابط في هذا فهنا يمكن أن نشير إلى جملة من الضوابط التي ذكرها أهل العلم:

أولاً: العقل لا يستقل بمعرفة تفاصيل مسائل الاعتقاد.

العقل لا يستقل، ما معنى لا يستقل؟ يعني العقل ليس دليلاً مستقلاً يستقل بمعرفة مسائل الاعتقاد، فالعقل وحده لا يمكن أن يثبت مثلاً صفة مثلاً الاستواء على العرش، ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥] صفة الاستواء هذه مردها إلى الخبر، مردها إلى نصوص الوحيين، مثلاً قضية مثلاً أن هناك حوض للنبي -عليه

الصلاة والسلام- هذا أمر لا يستقل عقل بإثباته فإذن نخلص من هذا أن العقل ليس وحده دليلاً كافيًا وليس دليلاً مستقلاً بإثبات مسائل الاعتقاد، وإنما هو يكون من باب الاعتضاد، لا من باب الاعتماد، هذا أمر.

ثانيًا: أنه عندما تتنازع العقول وهذا من الضوابط المهمة، عندما تتنازع العقول يأتي شخص يقول لك: العقل يقتضي إثبات هذه المسألة العقدية، يقول لك العقل يقتضي إثبات مثلاً هذه الصفة لله، ويأتي آخر العكس، يقول: العقل يقتضي استحالة إثبات هذه الصفة لله، يقول: العقل يقول هذه الصفة مستحيلة أن يوصف بها الله -سبحانه وتعالى-، هنا عندما تتنازع العقول وكل يرى أن عقله أولى من عقل صاحبه، عندما تتنازع العقول - أيها المشاهدون والمشاهدات- المرد إلى من؟! إلى نصوص الوحيين قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩]، عندما نتنازع واحد يقول لك والله إثبات الرؤية مستحيل، إثبات رؤية الله -تعالى- في اليوم الآخر، والآخر يقول لك: إثبات الرؤية دل عليها العقل، فكل يعني تنازعت العقول، المرد الوحي، المرد إلى قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، المرد إلى الأحاديث المتواترة عنه -عليه الصلاة والسلام- في إثبات الرؤية، قال -عليه الصلاة والسلام-: (إنكم سترون ربكم كما ترون القمر...) الحديث، أي نعم.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى: (ولا شيء مثله)؟.

العبارة التي قرأها أخونا: (ولا شيء مثله) تلحظون أن العبارة هي نفي المثيل عن الله، (ولا شيء مثله) والدليل على هذا في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، فالله تعالى لا مثيل له -سبحانه وتعالى-، نفي المثلية جاءت في هذه الآية جاءت في قوله تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥] هذا استفهام يراد به النفي، فالله تعالى لا سمي له -سبحانه وتعالى-، لا أحد يساميه -سبحانه وتعالى- أو يماثله، أيضًا جاء في مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٤] الآيات تقرر أن الله -تعالى- لا مثيل له.

هذه الآية التي سمعناها ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ والتقدير لو أخذناها في التقدير، فتقدر:" ليس شيء مثله"، تلاحظ هنا قال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ فالشيء ما محلها من الإعراب؟ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ هو اسم "ليس" والتقدير "ليس شيء مثله" فإذا كانت الجملة "ليس شيء مثله" يعني هذا تقديرها فالآية الكريمة تنفي تمثيل المخلوق بالخالق، وهذا هو الذي جاء به القرآن، ألا وهو نفي تمثيل المخلوق بالخالق.

نعم هناك تمثيل آخر الذي هو ماذا؟

نقول: الأول: تمثيل المخلوق بالخالق، فيه تمثيل آخر الذي هو ماذا؟

الثاني: تمثيل الخالق بالمخلوق، حتى تكون المسألة واضحة لمن يستمع ويشاهدها في هذه اللحظة نمثل نعطي مثالاً على كل منهما:

تمثيل المخلوق بالخالق مثلاً الذي يذبح لغير الله هو الآن مثل من بمن؟ مثل المخلوق بالخالق، الذبح لله -سبحانه وتعالى- ما هو لأحد من الناس ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢]، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، قال -عليه الصلاة والسلام-: (لعن الله من ذبح لغير الله) فهذا يعتبر من باب تمثيل المخلوق بالخالق، فالذين يصرفون العبادة لغير الله هؤلاء مثلوا المخلوق بالخالق، لكن تمثيل الخالق والمخلوق مثل ما قاله جملة من اليهود والنصارى لما زعموا أن لله ولد -تعالى الله عن ذلك-، فلما قالوا مثلاً المسيح ابن الله أو عزير ابن الله فهذا يعد ماذا؟ تمثيل الخالق بالمخلوق.

التمثيل الذي نجد أن القرآن والسنة اشتغلا بنفيه ألا وهو تمثيل المخلوق بالخالق؛ لأنه أكثر وقوعًا، والآن تلحظ الذي يذبح لغير الله يعد ممثلًا؛ لأنه مثل مخلوق بالخالق، الذي يدعو غير الله في ما لا يقدر عليه إلا الله، الذي ينذر لغير الذي يصرف أي عبادة من العبادات التي هي لله تعالى وحده لا شريك له فليصرفها لغيره، هذا كله شرك ويعد ممثلًا؛ ولهذا قال ابن القيم -رحمه الله-: «هؤلاء هم المشبهة في الواقع» المشبهة هم الذين مثلوا المخلوق بالخالق، واضح هذا، تفضل يا أخي عندك سؤال.

يقول: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ سمعت بعض الناس يذكرون الحديث: (خلق الله آدم على صورته) كيف نشرح هذا الحديث؟.

ما فيه إشكال، كلام النبي -صلى الله عليه وسلم- حق وصدق وكلامه وحي فقوله -عليه الصلاة والسلام-: (خلق الله آدم على صورته) يعني جاء ما يفسر هذه الرواية في بعض الروايات: (خلق الله آدم على صورة الرحمن) وجاء ما يبين هذا الكلام أو كلام النبي -صلى الله عليه وسلم- في كلام الأئمة الكبار ومنهم خطيب أهل السنة ابن قتيبة -رحمه الله- وهو أن الله -تعالى- له صورة تليق به كما أن المخلوق له صورة تخصه، ولا يلزم من ذلك التمثيل، ولا يلزم من ذلك المشابهة من كل وجه، فالله -سبحانه وتعالى- ليس كمثله شيء، وإنما المراد: (إن الله خلق آدم على صورة الرحمن) كما بين ابن قتيبة -رحمه الله- خطيب أهل السنة: أن الله -سبحانه وتعالى- له صورة فهو سميع بصير يوصف بالسمع والبصر وسائر صفات الكمال، وكذلك المخلوق له صورة وهذه الصورة لا تنفك عن أن له سمع وبصر، فكما أن المخلوق يوصف بالكلام والله -عز وجل- يوصف بالكلام، ولا يلزم من ذلك التمثيل فكذلك أيضًا الله -سبحانه وتعالى- له صورة تخصه ولا يلزم من ذلك أن تكون مماثلة لصورة المخلوق، واضح هذا؟ هذا الذي يمكن أن يقال في هذه العجالة.

يقول: يسأل عن الفرق بين التمثيل والتشبيه؟ ويقول: لماذا ذكر التمثيل في القرآن؟ ولم يذكر التشبيه؟.

هو على كل كنا نتحدث عنها لكن ما دام جاء السؤال الذي أنا أعرفه من كلام المحققين من أهل السنة ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: أنكم تلاحظون في النصوص التي مرت بنا أن القرآن نفى التمثيل، جاء نفي التمثيل ولم يأت نفي التشبيه، الآية الكريمة سمعناها: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾، وعلى كلٍ البعض من أهل العلم يرى أن التشبيه والتمثيل بمعنى واحد، والذي حققه شيخ الإسلام أن الأمر ليس كذلك وأن هناك فرق من جهة اللغة والشرع بين التمثيل والتشبيه، وعلى كلٍ المتعين علينا أن نلتزم بالعبارات الشرعية الدينية وأن نقول: أن الله -تعالى- لا شيء مثله؛ ولهذا شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- لما ألف عقيدته الواسطية قال -رحمه الله- قال: «إني عدلت عن لفظ التشبيه إلى لفظ التمثيل؛ لأن لفظ التمثيل جاء القرآن بنفيه»، دون لفظ التشبيه، فالواجب علينا أن نلتزم بالعبارات الشرعية الدينية لفظًا ومعنى، هذا أمر.

الأمر الآخر: أن هناك فرق بين التشبيه والتمثيل: من أهل العلم من يرى أن التمثيل هو المساواة من كل وجه، والتشبيه من وجوه دون وجوه، هذا قاله بعضهم- بعض أهل العلم-.

والذي يهمنا في هذا أن نلتزم بالعبارات الشرعية الدينية وأن المشابهة يعني يمكن أن تكون بين الخالق والمخلوق فيما يسمى بالقدر المشترك وهذا لعلنا نتحدث عنه غدًا -إن شاء الله-، فهذا القدر المشترك لابد من إثباته، مثل ما سمعنا الآن، الله -سبحانه وتعالى- يوصف بالسمع والمخلوق يوصف بالسمع الله -تعالى- قال عن نفسه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ والمخلوق يسمى سميع بصير، قال -عز وجل-: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ ثم قال تعالى ماذا؟ ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان: ١، ٢]، فالمخلوق سميع بصير والله -عز وجل- سميع بصير لكن لا يلزم من ذلك التمثيل، نعم فيه قدر مشترك نعم أن المخلوق يسمع يعني يدرك المسموعات والله -سبحانه وتعالى- يسمع كل شيء لكن لا يلزم من ذلك التمثيل، أنت تسمع القريب لكن ما تسمع البعيد، أما الله -سبحانه وتعالى- فلا

يخفى عليه شيء يسمع دبيب النملة في صخرة سوداء في ظلمة الليل -سبحانه وتعالى- وهذا سيأتي له حديث غدًا -إن شاء الله-.

أسئلة الحلقة.

السؤال الأول: ما الفرق بين التأويل والتحريف؟

السؤال الثاني: لم ذم السلف علم الكلام؟ نريد أن تذكر أو يذكر المشاهد والمشاهدة أن يذكروا ثلاثة أجوبة أو ثلاثة تعليلات لهذا؟

الدرس الثاني

أقسام التوحيد

الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- أما بعد: فنود لو أجبتم على الأسئلة التي طرحناها في آخر الدرس السابق:

فضيلة الشيخ كنتم قد طرحتم سؤالين اثنين في المحاضرة السابقة:

كان السؤال الأول: ما هو الفرق بين التأويل والتحريف؟

أجابت الأخت الكريمة بقولها: إن التحريف كله مذموم بإطلاق، وهو إمالة الكلام وصرفه عن المعنى المتبادر منه إلى معنى آخر، والله -تعالى- ذكر التحريف عن أهل الكتاب قال تعالى: ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ [النساء: ٤٦]، أما التأويل فتقول: أنه ليس بمذموم بإطلاق وله أكثر من معنى منها ما هو صحيح ومنها ما هو غير ذلك، ويطلق على التفسير ويراد به الحقيقة.

إجابة الأخت الكريمة إجابة جيدة وصحيحة فشكر الله لها حرصها واهتمامها.

وكان السؤال الثاني: لم ذم السلف علم الكلام؟ نريد أن تذكر ثلاثة أجوبة أو ثلاثة تعليلات لهذا؟

أجاب الأخ الكريم بقوله: عن أسباب ذم السلف عن أهل الكلام يقول: إن الأسباب هي أولاً: أنهم أعرضوا عن نصوص الوحيين وتركوها، ثانيًا: أنهم قدموا عقولهم على النصوص ولم يعطوا النصوص الشرعية حقها، وثالثًا يقول: لظنهم أن النصوص مجرد أخبار ليس فيها أدلة عقلية ولا براهين.

نعم إجابة أخونا الكريم أيضًا إجابة صحيحة، هو ذكر ثلاثة أجوبة في سبب ذم السلف الصالح لعلم الكلام.

أيضًا يا شيخ وردتنا إجابات كثيرة ولكن لعل هذه هي الإجابة النموذجية يا شيخ.

كنا توقفنا عند أقسام التوحيد، تحتاج إلى مزيد من البيان والشرح أحسن الله إليكم فلو ابتدأنا هذه الحلقة بارك الله فيكم.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

لعلنا نتحدث بإيجاز عن أقسام التوحيد الثلاثة أقول مستعينًا بالله -سبحانه وتعالى- أقسام التوحيد ثلاثة:

النوع الأول: هو توحيد الربوبية وهو توحيد الله بأفعاله -عز وجل-، ومعنى توحيد الله بأفعاله: أننا نقر ونوقن ونجزم بأنه لا خالق إلا الله، لا رازق إلا الله، لا محيي ولا مميت إلا الله، ولا مدبر إلا الله، فالله -سبحانه وتعالى- وهو ربنا أي خالقنا ورازقنا وهو -سبحانه وتعالى- النافع الضار المحيي المميت، هذا هو توحيد الربوبية بإيجاز.

النوع الثاني: هو توحيد الألوهية، وهو إفراد الله -سبحانه وتعالى- بالعبادة أو كما يعبر بعض العلماء: إفراد الله -تعالى- بأفعال العباد، فلا نذبح إلا لله، ولا نستغيث إلا بالله، ولا نخاف إلا الله، ولا نستعيذ إلا بالله، فكل ما كان عبادة فإنه يجب صرفها لله -سبحانه وتعالى-، ما كان عبادة لله فهو لله تعالى وحده لا شريك له، كيف نعرف أن هذه عبادة؟ نعرف ذلك من خلال الشرع، فالعبادات موردها الشرع، فالدعاء عبادة؛ لأن الله أمر به؛ ولأن النصوص الشرعية الكثيرة والتي تصل إلى ثلاثمائة آية في كتاب الله كلها تأمر بدعائه وحده، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨]، وبناء على هذا فلا ندعو ولا نستغيث إلا به -عز وجل-، وهكذا في سائر العبادات سواءً كانت هذه العبادات قولية أو عبادة تتعلق بعمل القلب. هذا ما يتعلق بتوحيد العبادة.

النوع الثالث: هو توحيد الأسماء والصفات، وخلاصة ذلك هو أن يوصف الله -عز وجل- بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه -عليه الصلاة والسلام- من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، فهذا هو ما يتعلق بأسماء الله وصفاته باختصار، وهو أن يوصف الله -تعالى- بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه -عليه الصلاة والسلام- من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

الذي جعلنا نذكر هذه الأقسام وإن كانت هذه الأقسام أو الأنواع قد مرت -بالمشاهدين والمشاهدات- من قبل:

أولاً: الموجب لذلك هو التذكير ابتداءً.

ثانيًا: أننا نجد في الوقت الراهن الأيام الأخيرة بالذات هناك من يطعن في هذا التقسيم، ويشكك فيه ويقول: هذا التقسيم حادث، وهذا التقسيم مبتدع، ويتطاولون يقولون: هذا التقسيم ما عرف إلا عن ابن تيمية ومن جاء بعده؛ فلهذا كان الحديث والتذكير بهذه الأنواع، ثم نجيب عن هذه الدعوى أو عن هذه الشبهة التي قد تنطوي على البعض لما يسمعون هذا الكلام عندما يقول هؤلاء إن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام هذا تقسيم محدث لم يعرف إلا عن ابن تيمية ومن جاء بعده، فنجيب عن هذه الدعوى:

أولاً: نقول هذا التقسيم تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام هذا التقسيم ثبت باستقراء نصوص القرآن الكريم وقد حرر ذلك العلامة محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله- في "أضواء البيان" وقرر هذا المعنى، وأيضًا ممن أشار إلى هذا المعنى من المعاصرين الشيخ العلامة بكر أبو زيد في أحد رسائله؛ فالمقصود أن أقسام التوحيد الثلاثة ثبتت بالاستقراء، العلماء استقرءوا وتتبعوا ما جاء في كتاب الله -عز وجل- وجدوا أن هذه الأقسام كلها مذكورة في كتاب الله -عز وجل-، الآن عندك مثلاً الكافية الشافية، سورة الفاتحة، ﴿ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، لو تأملنا في هذه السورة وجدنا أن هذه السورة تحوي أنواع التوحيد الثلاثة، نخاطبكم معشر الطلاب: أين أقسام التوحيد الثلاثة في هذه السورة: ﴿ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ سورة الفاتحة، القرآن العظيم، توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، تفضل؟

تقوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

هذا ماذا؟

توحيد الربوبية.

طيب أحسنت.

﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ توحيد الأسماء والصفات، و﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ أيضًا، و﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ توحيد الألوهية.

لو تعيد الإجابة؟

الآية قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ توحيد الربوبية، ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ توحيد الأسماء والصفات، و﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾، و﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ توحيد الألوهية.

أحسنت نعم، الصورة كما هو ظاهر أنها شملت أنواع التوحيد الثلاثة، أيضًا عندنا من الآيات ما جاء في قوله تعالى: ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥] فقوله تعالى: ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ هذا توحيد ماذا؟ الربوبية، لما قال تعالى: ﴿ فَاعْبُدْهُ ﴾ هذا توحيد ماذا؟ العبادة أو الألوهية، لما قال تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ فهذا توحيد الأسماء والصفات.

إذن نخلص إلى أن تقسيم التوحيد إلى هذه الأقسام الثلاثة:

أولًا: ثابت بالاستقراء، ثابت باستقراء نصوص الوحيين.

ثانيًا: ردًا على هذه الدعوة، نجد أن العلماء المتقدمين يقررون هذه الأقسام فلم يكن هذا مما أحدثه شيخ الإسلام كما يزعم هؤلاء، ليس هذا مما أحدثه ابن تيمية كما يزعم بعض الخصوم، وإنما هذا معروف عند العلماء، ومنهم الإمام الطحاوي الآن، الإمام الطحاوي -رحمه الله- في هذه العقيدة سيتضح لنا أنه يقرر أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، لعلي أقرأ العبارة كاملة، هنا يقول -رحمه الله-، يقول الطحاوي في أول العقيدة يقول: (إن الله -تعالى- واحد لا شريك له) وهذا يشمل أنواع التوحيد الثلاثة، هذا بداية المتن كما مر بنا بالأمس، ثم قال: (ولا شيء مثله) وهذا توحيد ماذا؟ الأسماء والصفات، لما قال: (ولا شيء يعجزه) في تقرير الربوبية، (ولا إله غيره) في تقرير ماذا؟ الإلهية، ثم تأتي عباراته الأخرى عندما يقول في وصف الله: (لا يفنى ولا يبيد ولا يكون إلا ما يريد) -سبحانه وتعالى- إذن نجد أن الإمام الطحاوي يقرر هذا الأمر.

أيضًا نجد جملة من العلماء يقررون هذه الأقسام منهم ابن بطة -رحمه الله- في كتابه "الإبانة"، ومنهم أيضًا ابن منده في كتابه "التوحيد" كل هؤلاء قرروا هذا الأمر، فينبغي التنبه إلى هذه الشبهة التي أحيانًا قد تورث شكًّا في هذه الأقسام فيتضح لكم أن هذا التقسيم جاء من خلال استقراء النصوص القرآنية وأيضًا هذا التقسيم أو الحديث عن هذه الأقسام الثلاثة كان معروفًا عند السلف المتقدمين وذكرنا أمثلة من هؤلاء.

وحسبك أن الله -تعالى- قال: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦] وابن عباس -رضي الله عنهما- فسَّر هذه الآية، وبيَّن ما فيها من توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية، فقال ابن عباس -رضي الله عنهما- في تفسير هذه الآية: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ قال: تسألهم -أي مشركي العرب- تسألهم من خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: الله، وهم يعبدون غيره، فهذا متقرر عندهم، أن هناك فرق بين توحيد الإلهية وبين توحيد الربوبية.

لعلنا نقف عند هذا ونبدأ الآن في الكتاب، فتفضل.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى- وهو الإمام ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله تعالى-: (فإن الله سمى نفسه بأسماء، وسمى بعض عباده بها، وكذلك سمى صفاته بأسماء، وسمى ببعضها صفات خلقه وليس المسمى

كالمسمى، فسمى نفسه حيًا عليمًا قديرًا رءوفًا رحيمًا عزيزًا حكيمًا سميعًا بصيرًا ملكًا مؤمنًا جبارًا متكبرًا، وقد سمى بعض عباده بهذه الأسماء فقال: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ [الروم: ١٩]، وقال: ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ [الذاريات: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢]، وقال تعالى: ﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ ﴾ [يوسف: ٥١]، وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ ﴾ [الكهف: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا ﴾ [السجدة: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر: ٣٥]، ومعلوم أنه لا يماثل الحيُ الحيَّ ولا العليمُ العليمَ ولا العزيزُ العزيزَ، وكذلك سائر الأسماء).

طيب، المسألة التي سمعنا تقرير ابن أبي العز فيها هي مسألة مهمة وعظيمة جدًا، وقد اعتنى العلماء بهذه المسألة، وخلاصة الكلام في هذه المسألة نستطيع أن نقول:

إن إثبات القدر المشترك بين الخالق والمخلوق لا يستلزم تمثيلًا، فهناك قدر مشترك بين الخالق والمخلوق، هذا القدر مشترك يعني يمكن أن نسميه الاسم العام أو الاسم الكلي أو القدر المشترك فهذا القدر المشترك أو الاسم العام أو الاسم الكلي هذا يتفق فيه الخالق والمخلوق، لكن عند الإضافة وعند التخصيص يكون لكل واحد منهما ما يخصه، ربما يكون هذا الكلام غير واضح، لكن بالمثال يتضح، وبالأدلة التي سمعنا شيئًا منها، فمثلاً لما نقول: الحياة، أو نقول: السمع، ولا نقول: البصر، هذا اسم عام كلي يشترك فيه الخالق والمخلوق، لكن عندما نقول: سمع الله -سبحانه وتعالى-، فهذا يختص بالله -عز وجل-، وإذا قلنا: سمع فلان، سمع زيد سمع عمرو فهذا يختص بزيد أو عمرو، فإذا قلنا: سمع الله فجزمًا أن سمع الله لا يماثل المخلوقات؛ لأنه كما تقرر وكما هو معلوم ما جاء في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾، أيضًا الحياة، لما نقول: حياة، الحياة ضد الموت، فالحياة يوصف بها المخلوق، ويوصف بها الخالق -سبحانه وتعالى- لكن عندما نقول: حياة الله فهذه حياة تليق به -عز وجل-، وعندما نقول: حياة المخلوق، حياتك أنت يا فلان، حياتي، حياة زيد حياة عمر، حياة فلان فلانة، فهذه حياة تتعلق بهذا المخلوق، فحياة الله -عز وجل- ليست مسبوقة بالعدم، وهو -سبحانه وتعالى- لا يلحقه الفناء فهو الأول ليس قبله شيء، وهو الآخر ليس بعده شيء -سبحانه وتعالى-، أما أنت وأنا والثالث والرابع من سائر المخلوقات فنحن حياتنا مسبوقة بالعدم ويلحقنا الفناء، فأنت الآن عمرك مثلاً عشرين سنة، ستين سنة، أربعين سنة، أنت قبل هذا كنت عدمًا، كنت نسيًا منسيًا، وأيضًا هذا الشخص الذي عاش ثلاثين أو أربعين سنة هو فيما بعد مآله إلى الموت لا محالة.

المقصود أن إثبات القدر المشترك لا يستلزم تمثيلاً، وأنه لابد من إثبات القدر المشترك والشارح -رحمه الله- ذكر أمثلة في هذا يعني لعلنا مثلاً ننظر في بعض الأمثلة التي ذكرها، الله -سبحانه وتعالى- في وصف نفسه فقال تعالى: ﴿ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فمن أسمائه -سبحانه وتعالى- الحي، ومع هذا أيضًا سمى المخلوق حيًا، أليس كذلك قال تعالى: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ فهنا اتفاق في القدر المشترك أو الاسم العام، لكن هذا لا يستلزم تمثيلاً، فإذا قلنا: الله هو الحي هذا ليس معناه مثلاً لو قلنا: زيد حي؛ لأن حياة الله حياة تليق به، حياة موصوفة بالكمال، أما حياة المخلوق فهو حياة لا تنفك عن النقص، هذه الحياة لا تنفك عن الضعف، لا تنفك عن الموت كما هو معلوم، هذا الأمر اعتنى به الشارح في هذه المقدمة وممن بسط الكلام عنه في مواطن كثيرة شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمة الله عليه-.

وأيضًا هذا المعنى أشار له جملة من المتقدمين أذكر منهم الإمام السجزي في رسالة الإبانة أشار إلى هذا المعنى وبين أن الاتفاق في القدر المشترك لا يستلزم تمثيلًا ولا تشبيهًا.

واضح الكلام هذا؟

يقول: الآن، لا شك أن الله -جل وعلا- حينما يسمي نفسه باسم وكذلك يسمي مخلوقه باسم كما تفضلتم أن هناك فرق بين تسمية الله وبين تسمية المخلوق، لكن هل نقول: إنه يجوز ابتداءً أن يسمي المخلوق باسم من أسماء الله؟.

يعني الجواب عن هذا نقول: هناك أسماء تطلق على الخالق والمخلوق، مثل عندك السميع البصير الحي المؤمن، فالشخص يسمى مؤمنًا ومن أسماء الله ماذا؟ المؤمن، من أسماء الله المؤمن، فهناك أسماء تطلق على الخالق والمخلوق، وهذا الذي قلناه: القدر المشترك، لكن عندما تطلق على الله فهذه تختص به -سبحانه وتعالى-، وعندما نقول على المخلوق أنه هو الحي فحياته مسبوقة بالعدم ويلحقه الفناء.

نعم هناك أسماء تختص بالله لا تطلق على المخلوق كائنًا من كان، مثل ما بين العلم مثلاً "رب العالمين" هذا لا يمكن أن تطلق على المخلوق، أنه قال: فلان "رب العالمين" يمكن تقول: فلان رب الإبل، ولا فلان هذا رب السيارة، ونحو ذلك، لكن أن يقال: "رب العالمين" هذا لا يطلق إلا على الله -سبحانه وتعالى-، مثلاً "الرحمن" فالرحمن لا يطلق إلا عليه -سبحانه وتعالى- كما بين ذلك بعض أهل العلم، المقصود أن من أسماء الله ما يطلق على الخالق والمخلوق، ومن أسمائه ما يختص به فلا يطلق على أي مخلوق كائنًا من كان.

يقول: الأسماء التي فيها التعبيد لله -سبحانه وتعالى- كـــ"عبد الباسط" وغيرها، فهل يجوز انفراد اسم الله -سبحانه وتعالى- عند النداء؟ بأنه يقول: "يا باسط" تعال يا باسط؟ الأسماء التي فيها تعبيد هل يجوز انفرادها عند النداء؟.

والله أنا أقول مقتضى الأدب لا، يعني هو الآن لما يسمي نفسه مثلاً يعني مثلاً يسمي نفسه مثلاً بعد الحي، هو الآن تعبد لمن؟ تعبد لله -سبحانه وتعالى- أي نعم، فكيف تقول له: يا حي؟ هو الآن تعبد وسمى نفسه متعبدًا وسمى نفسه عبد الحي فمقتضى الأدب ومقتضى هذا التعبيد أن لا ينادى إلا بهذا الاسم، يقال: يا عبد الحي، يقال مثلاً: يا عبد السميع، يقال مثلاً: يا عبد القادر، ما تقول: يا قادر، أليس كذلك؟ ما دام أنه اختار هذا الاسم الحسن، وهو أنه عَبَّدَ نفسه لله -سبحانه وتعالى-، أقول: لعل هذا هو مقتضى الأدب ومقتضى تحقيق هذا التعبد، والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (ولا شيء يعجزه، قال ابن أبي العز: لكمال قدرته، قال تعالى: ﴿ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قوله: ﴿ وَلاَ يَؤُودُهُ ﴾ أي لا يكرثه ولا يثقله ولا يعجزه فهذا النفي لثبوت كمال ضده، وكذلك كل نفي يأتي في صفات الله -تعالى- في الكتاب والسنة إنما هو لثبوت كمال ضده، كقوله تعالى: ﴿ وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]، لكمال عدله، وقوله تعالى: ﴿ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ ﴾ [سبأ: ٣]، لكمال علمه وقوله تعالى: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨]، لكمال قدرته، وقوله تعالى: ﴿ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، لكمال حياته وقيوميته، وقوله تعالى: ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، لكمال جلاله وعظمته وكبريائه.

.

الآن الإمام الطحاوي يقول في وصف الله -سبحانه وتعالى-: (ولا شيء يعجزه) فهو -سبحانه وتعالى- لا يعجزه شيء لا في الأرض ولا في السماء، وبين لنا الشارح ذلك وقال: (لكمال قدرته) وهذا جاء في القرآن

كثيرًا، قال تعالى: ﴿ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٦]، ﴿ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥]، فالله –سبحانه وتعالى– على كل شيء قدير لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

بعدها أشار الشارح –رحمه الله– إلى مسألة مهمة وهي مسألة: النفي في باب الصفات، فقرر هذه القاعدة وهي: كل نفي في باب الصفات فهو يتضمن ماذا؟ إثباتًا، هنا في عبارته قال: (كل نفي يأتي في صفات الله في الكتاب والسنة إنما هو لثبوت كمال ضده) فالمقصود أن النفي في القرآن هو نفي يتضمن إثباتًا، وبالمثال يتضح المقال كما يقول العلماء، فعندك مثلاً في قوله تعالى: ﴿ وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ هذه الآية كما لا يخفى تنفي الظلم عن الله، إذا نفينا الظلم أثبتنا في المقابل كمال ماذا؟ كمال عدله –عز وجل–.

مثال آخر: لما نأتي إلى آية الكرسي: قال –عز وجل– في شأن نفسه –سبحانه وتعالى–: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾ وعرفنا أن معنى ﴿ وَلاَ يَؤُودُهُ ﴾ أي لا يعجزه ولا يكرثه، فهنا نفى العجز فإذا نفينا العجز فنقول: هذه الآية إذا نفت العجز عن الله فهي تثبت ماذا؟ تثبت كمال القدرة.

لما نأتي إلى قوله تعالى مثلاً: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤] هذه الآية ما ذكرها الشارح، لكن عندما تأتي هذه الآية: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ هذه الآية نفت النسيان عن الله –سبحانه وتعالى–، فإذا نفينا النسيان أثبتنا ماذا؟

السؤال لكم معشر الطلاب من عنده جواب؟

نعم، ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ مر بنا أن كل نفي يتضمن إثباتًا، النفي إذا نفينا صفة النقص التي هي النسيان، النسيان نقص في حق الله فنثبت ماذا؟ نثبت كمال العلم لله –سبحانه وتعالى–.

أيضًا عندنا الآية الكريمة التي سمعناها وهي آية: ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ أولاً نقول: ما معنى الإدراك؟ الكلام الذي قاله العلماء المحققون: إن الإدراك هو الإحاطة، ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ يعني: لا تحيط به، فإذا نفت الآية الكريمة نفت الإحاطة ففي هذا إثبات الضد، ضد الإحاطة وهي كمال عظمته –سبحانه وتعالى–، كمال عظمته وجلاله –سبحانه وتعالى–.

لما نأتي إلى حديث النبي –عليه الصلاة والسلام– في شأن الدجال قال –عليه الصلاة والسلام–: (إن ربكم ليس بأعور، وإن الدجال أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية) لما قال –عليه الصلاة والسلام–: (إن ربكم ليس بأعور) فهنا لما ننفي العور عن الله –سبحانه وتعالى– نثبت ماذا؟

عينين.

أحسنت، فالعور في لغة العرب هو فقد إحدى العينين، فإذا نفينا العور عن الله –سبحانه وتعالى– أثبتنا له العينان، وهذا محل إجماع عند أهل السنة، أن الله –سبحانه وتعالى– له عينان تليقان به –عز وجل–، وبهذا يتضح لكم هذه القاعدة: (أن النفي يتضمن إثباتً).

أيضًا في المقابل نقول: النفي الصرف والمقصود بالنفي الصرف أو النفي المحض هو الذي لا يتضمن إثباتًا النفي المحض ليس كمالاً، النفي المحض الذي ليس متضمنًا لإثبات، النفي المحض ليس كمالاً ولا مدحًا، فمثلاً أنت لما تقول: "المعدوم لا يُرى" هل هذا مدح للمعدوم؟ ما رأيكم؟ لما تقول: "المعدوم لا يُرى" هل يعد مدحًا للمعدوم؟ لا يعد مدحًا؛ لأنه لا يتضمن إثباتًا، فالمقصود أن النفي المحض ليس مدحًا ولا كمالاً فالنفي المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء كما يقولون: ليس بشيء، ليس مدحًا ولا كمالاً، هذا ما يتعلق بالنفي المحض.

هل عندك سؤال؟ نعم تفضل.

يقول: يا شيخ ما معنى قول العلماء: كل صفة نقص لا تحمل كمال ضد لا يوصف الله به؟.

الذي يظهر لي من خلال سؤالك أنه هو نفس المعنى هذا، أي نعم، أن كل نقص وكل نفي عن الله فهو لابد أن يتضمن إثبات ماذا؟ إثبات الضد، أي نعم، نفي الظلم في إثبات كمال العدل، نفي النسيان إثبات كمال العلم، نفي العجز إثبات كمال القدرة وهكذا. لعل هذا هو الجواب والله أعلم.

يقول: قوله تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ ﴾ [الأنفال: ٣٠]، هل في هذه الآية إثبات لصفة المكر؟.

هذه الصفات التي جاءت في مثل قوله تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ ﴾ وما جاء في معناها في مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ [الطارق: ١٥، ١٦] ونظائرها، هذه الآيات نقول: نعم، الله –سبحانه وتعالى– لما وصف نفسه هنا بالمكر أو بالاستهزاء أو بالكيد ونحو ذلك هذه الآيات كما تلحظون جاءت في سياق الجزاء، فهي لما تأتي في سياق الجزاء والمقابلة فهذا يعد مدحًا وكمالاً يعني لاحظ الآية التي سأل عنها أخونا من بلاد المغرب لما يقول الله –عز وجل–: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠] –سبحانه وتعالى–، فهنا هؤلاء لما مكروا –سبحانه وتعالى– هو جازاهم بهذا المكر وهذا يدل على ماذا؟ يدل على كمال علمه وقدرته، فلاحظوا هنا هذا مكر لما مكروا مكر الله بهم فالمكر هنا منه –سبحانه وتعالى– لم يقع ابتداءً، فالمكر ابتداءً هو ليس كمالاً، لكن لما يأتي في مقام الجزاء في مقام من يستحقه من هؤلاء الماكرين فهذا يعد مدحًا وكمالاً ويدل على علمه –سبحانه وتعالى– وقدرته، فهنا نقول: هي صفة كمال لكنها بقيد، أي ليست كمالاً بإطلاق وإنما هي مقيدة أنها تكون كمالاً إذا كان ذلك في مقام الجزاء كما هو ظاهر الآية وسياقها.

وكذلك مثال قوله تعالى: ﴿ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة: ١٥].

أي نعم لما قال تعالى عن المنافقين قالوا: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة: ١٤، ١٥] كذلك، كل هذه الآيات نجد أنها جاءت في مقام الجزاء سواء صفة الاستهزاء أو المكر أو الكيد أو الخداع.

بالنسبة الآية: ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] هل هذا في الدنيا أو في الآخرة؟ وما ورد أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– رأى ربه ليلة المعراج هل هذه الروية صحيحة؟.

يعني هو يا أخي الكريم الآية الكريمة هنا عرفنا أن الإدراك هو الإحاطة، ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ أي لا تحيط به، وهذا هو معنى الإدراك، هذا معنى الإدراك هو الإحاطة، فالله –سبحانه وتعالى– يرى في الآخرة، يراه أهل الإيمان وهذا هو أعظم النعيم، لكن أهل الإيمان وإن رأوا الله بأبصارهم لكنهم لا يحيطون به، وهذا أمر ظاهر – ولله المثل الأعلى– فأنت يا أخي الكريم وكلنا يرى القمر أليس كذلك؟ ترى القمر واضحًا جليًا لاسيما ليلة البدر ومع ذلك هل تحيط به؟ الجواب: لا تحيط به، ترى ما يقابلك من هذا القمر، ترى السماء لكن لا تحيط بها، فإذا كان هذا في المخلوق فالخالق من باب أولى أن لا يحاط به –سبحانه وتعالى–، المقصود أن الرؤية شيء والإحاطة شيء آخر، وأنه لا تعارض، فأهل الإيمان يرون الله –تعالى– في الآخرة لكن لا يحيطون به، هذا بإيجاز في هذه الآية الكريمة، والقرآن يصدق بعضه بعضًا في قصة موسى –عليه السلام– مع فرعون: ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ ماذا قال موسى؟ ﴿ قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢] فالآية أثبتت ماذا؟ أثبتت أن الإحاطة، أن فرعون وقومه أحاطوا بموسى ومن معه ولا أثبتت الرؤية؟

الإحاطة.

﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ ﴾؟

الرؤية.

أي نعم، فهؤلاء كل يرى صاحبه، لكن هل فرعون أحاط بهم؟ لا هذا الذي نفهمه.. قوم الذين كانوا مع موسى -عليه السلام- لما رأوا أنهم شاهدوهم وعاينوهم ظنوا الإحاطة فقالوا: ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ أي: محاط بنا، فموسى نفى ماذا؟ لما قال: ﴿ كَلاَّ ﴾؟

الإحاطة.

نفى الإحاطة، أي نعم، فأنا قصدي أنك قد ترى الشيء لكن لا تحيط به، هذا بإيجاز.

يقول: أريد أن توضح لنا معنى المكر؟ وهل هو مكر الله مثل مكر الإنسان؟ أو بالعكس؟.

أولاً: أجبنا في الكلام السابق في قضية القدر المشترك لما نقول: مكر الله -سبحانه وتعالى- ومكر العبد وقلنا: إن المكر هذا جاء في مقام الجزاء، فإذا أضفنا المكر لله فهذا يليق به -سبحانه وتعالى-، وله في ذلك الكمال في هذه الصفة وسائر الصفات أما إذا قلنا مكر العبد:

فالأمر الأول: أن العبد إذا مكر بصاحبه هل هذا المكر بالضرورة أن يتحقق ولا ما يتحقق؟ قد يتحقق وقد لا يتحقق، أما الله -سبحانه وتعالى- فلا يعجزه شيء لا في الأرض ولا في السماء، هذا أمر.

الأمر الآخر: إذا جئنا إلى معنى المكر يعني معناه في اللغة هو إيصال الضرر بتدبير خفي هذا معناه، فهذا المكر الذي هو إيصال الضرر بتدبير خفي هذا هو المعنى العام، الاسم العام المشترك، لكن إذا أضفنا المكر إلى الله فهذا يختص بالله وإذا أضفناه للعبد فإذا يختص بالعبد والله أعلم.

يقول: ومثله يا شيخ -بارك الله فيك- الاستهزاء، يكون مثل استهزاء الإنسان؟.

الله -سبحانه وتعالى- عندما يوصف بالصفات فله صفات الكمال، يعني إذا قلنا: إن من أسماء الله -تعالى- الجبار وأنه جبر الخلق على ما أراد وجبلهم على ما أراد، لا يعني أن نقول: إنه -سبحانه وتعالى- الجبار أنه مثل الجبار المخلوق، المخلوق إذا صار جبار هذا صفة نقص أليس كذلك؟ صفة نقص وعيب ولا يستحق ذلك المخلوق، المقصود أن أي صفة تثبت لله -سبحانه وتعالى- فهي صفة كمال وجلال له -سبحانه وتعالى-.

قبل ما نشرع في المتن يبدو أننا أطلنا في الأسئلة، كان أيضًا هناك تنبيه مهم لما تحدثنا عن أن كل نفي يتضمن إثباتًا، فطريقة القرآن وطريقة الرسل عليهم السلام عمومًا ألا وهي الإثبات المفصل والنفي المجمل، فأنت لو جئت مثلاً في الإثبات تجد الإثبات المفصل والنفي تجده نفيًا مجملاً، يعني مثلاً لما نأتي مثلاً سورة الحشر فيها الإثبات مفصل واضح بين لما قال تعالى عن نفسه: ﴿ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ﴾ [الحشر: ٢٣]، هذا إثبات مفصل وأما النفي فنجده يكون مجملاً، يعني الله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ما قال: ليس كالشجر، ليس كالحجر، ليس كالإنسان، ليس كالجان، وهذا لا شك أن هذه الطريقة هي الطريقة الصحيحة وتليق بالله -سبحانه وتعالى-.

أهل الكلام الذين أشرنا إليهم بالأمس أهل الكلام عكسوا هذه الطريقة ففي الإثبات تجد أنهم يجملون وفي النفي يفصلون، فالنفي عندهم مفصل والإثبات عندهم مجمل، على خلاف طريقة القرآن، وهذا ليس مدحًا ولا كمالاً، والشارح ابن أبي العز ذكر مثالاً لو أن شخصًا دخل على أحد السلاطين أو أحد الرؤساء وقال له: أنت لست بزبال ولا حجام ولا كذا ولا كذا ولا جزار لأوجعه، لكن لو قال مثلاً لمن يستحق المدح والكمال قال يعني: أنت لست مثل رعيتك لكان مادحًا مدحًا ملائمًا.

يطب تقول: نبدأ الآن، تفضل يا شيخ.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (ولا إله غيره، قال ابن أبي العز –رحمه الله تعالى–: هذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلها –كما تقدم ذكره– وإثبات التوحيد بهذه الكلمة باعتبار النفي والإثبات المقتضي للحصر، فإن الإثبات المجرد قد يتطرق إليه الاحتمال).

الآن الطحاوي –رحمه الله– يقول: (ولا إله غيره) وفي هذا تقرير توحيد الإلهية، قال –عز وجل–: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال –عز وجل–: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣]، فكلمة لا إله إلا الله هي كلمة التوحيد، هي كلمة الإخلاص، هي العروة الوثقى فما معنى لا إله إلا الله؟ معناها بإيجاز لا معبود حق إلا الله، أو لا معبود بحق إلا الله –سبحانه وتعالى–.

أشار الشارح ابن أبي العز إلى ما سمعناه لما قال: (وإثبات التوحيد بهذه الكلمة باعتبار النفي الإثبات المقتضي للحصر، فإن الإثبات المجرد قد يتطرق إليه الاحتمال) يعني مثلاً لو قلنا: "زيد قائم" هذا إثبات لكنه إثبات يرد عليه الاحتمال، لكن إذا قلنا: "لا قائم إلا زيد" هذا يفيد الحصر، لكن إذا قلت: "زيد قائم" يعني يحتمل إلى أن غير "زيد" أيضًا قد يكون قائمًا، لكن لما تحصر تقول: "لا قائم إلا زيد" فهذا فيه حصر، ويتحقق به التأكيد، وكذا أيضًا عندنا في هذه الكلمة، الكلمة العظيمة كلمة التوحيد لما نقول: لا إله إلا الله هذه فيها حصر، فهو –سبحانه وتعالى– هو وحده المستحق للعبادة وحده لا شريك له، وما عداه فألوهيته باطلة، فلا شك أن هذه الكلمة كلمة التوحيد لا إله إلا الله أبلغ من قولنا: الله إله، لو أن شخص قال: الله إله أو قال: الله إلهنا يعني يحتمل أن هناك آلهة أخرى، يحتمل أن هناك ثمة آلهة، المقصود أن هذا النفي والإثبات فيه من التأكيد ما فيه، ودائمًا في كتاب الله –عز وجل– نجد النفي والإثبات، نفي الإلهية عما سوى الله وإثبات الإلهية لله –سبحانه وتعالى– كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ هذا نفي وإثبات، في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، ﴿ بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ هذا نفي، ﴿ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ هذا إثبات.

فيبقى عندما مسألة حصل فيها لبس عند بعض النحاة وهي مسألة تقدير خبر "لا"، هنا في كلمة "لا إله إلا الله" "لا" هذه نافية للجنس، ولابد لها من اسم وخبر، فالاسم إله مبني على الفتح، "لا إله" والخبر محذوف حصل فيه لبس عند بعض النحاة فظنوا الكلام تقدير خبر "لا إله" موجود.

والحق والصواب في هذا أن الكلمة هنا لا إله حق فلا يسوغ أن يقدر خبر لا بموجود وإنما يقال: لا إله حق، وموجب تخطئة القول الأول لما يقول لك: لا إله موجود؛ لأن هناك آلهة موجودة، وهذا الذي جاء ذكره في القرآن: ﴿ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ ﴾ [هو]: ١١٠]، فهذه آلهة موجودة، هناك آلهة تعبد من دون الله كما هو موجود في القديم والحديث، لكن هذه الآلهة التي تعبد من دون الله كلها آلهة باطلة، فالحق في هذا والصواب أن يكون تقدير الخبر حق، وهذا الذي جاءت به الأدلة في مثل قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴾ [الحج: ٦٢]، بهذا نكون انتهينا عن الحديث عن خبر "لا" وأنه محذوف وتقديره حق.

.

طيب لو فيه أسئلة؟

يقول: لفظة "لا إله إلا الله" لا شك أنها هي اللفظة التي يعني كثير من المسلمين يقولونها وهي الأقرب إلى الله -جل وعلا-، لكن لو قال إنسان: لا معبود بحق إلا الله، أو نحوها من الألفاظ التي تتساوى في المعنى مع هذه اللفظة فهل في ذلك حرج يا شيخ؟.

أي لكن يقولها في أي مقام؟ يعني إذا كان لو واحد قال: لا إله إلا الله معناها لا معبود بحق، هذا كلام صحيح، لكن مثلا ذكر لله -سبحانه وتعالى- لا شك أن السنة والمتعين علينا أن نلتزم بالأذكار الشرعية، لاشك أن أفضل الكلام لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر، إذا جئنا في مقام الذكر، في مقام التعبد، فنقول: لا إله إلا الله، لكن لو جئنا في مقام تقرير، في مقام تعليم، نقول: نعم لا معبود بحق إلا الله.

يقول: يا شيخ بداية البرنامج تكلمت عن قوله تعالى: ﴿ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾ وإن الله لا يعجزه شيء. بحيث بعض الناس صاروا يروحوا للسحرة ويقولوا أن ذكر الله أحيانًا يعني ما ينفع للمسحور يقولون مثل هذا يقولوا:..... أريد أن أكلم الشيخ عن هذا الكلام؟.

تقول: السؤال الأول: هل أسماء الله... الحي القيوم؟

السؤال الثاني: سمعنا أن هناك محذور في قول "مبروك"؟

السؤال الثالث: ما الحكمة في جعل الله ملائكة خاصة للمطر رغم قدرته على إنزاله بالأمر للسحب أن تُمطر، وكذلك الحفظة والمعقبات رغم أن الله قادر على الحفظ وإحصاء كل شيء عن العبد؟.

بالنسبة لسؤال صاحبنا من المدينة لما يتكلم عن أن هناك أناس يذهبون للسحرة وأن هذا يعني يعارض ما سمعناه أن الله -تعالى- لا يعجزه شيء، ما ذكره الأخ الكريم يعني هذا هو واقع، أنه واقع موجع، يعني للأسف أننا نجد في بلاد المسلمين من يتعلق قلبه بهؤلاء السحرة الأفاكين الدجالين الذين هم أسوأ الناس وأهون الناس والله -سبحانه وتعالى- قال عنهم عن السحرة قال: ﴿ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [طه: ٦٩]، هذا الساحر لا يفلح في نفسه فكيف يعني يستطيع أن ينقذ الآخرين ولا يعالجهم ولا أن يحل مشاكلهم، لكن بسبب ضعف الإيمان وغلبة الجهل وأيضًا هؤلاء السحرة لم يأخذوا حقهم وجزاءهم من إقامة حكم الله عليهم حصل ما حصل مما ذكره السائل.

فالمقصود أننا نعاني والبشرية تعاني من هذا الخلل ونقول: البشرية وأيضًا وأنا أشير إلى أهل الإسلام للأسف الشديد أين الاعتقاد أن النفع والضر بيد الله؟ أين اعتقاد أن الله -سبحانه وتعالى- هو الشافي؟ لا شفاء إلا شفاؤه؟ إذا كان مشركو العرب يقرون بالربوبية لله -سبحانه وتعالى- فيعتقدون أن لا خالق ولا رازق ولا مدبر إلا الله للأسف الشديد أنك تجد بعض المنتسبين للإسلام، وقعوا فيما ينقض توحيد الربوبية، يظن أن هذا الساحر الأفاك الجاهل الأثيم يظن أنه ينفع ويضر، ويظن أنه يعلم الغيب فينبغي الحظر من الذهاب إلى هؤلاء وحسبنا في ذلك قوله -عليه الصلاة والسلام-: (من أتى كاهنًا أو عرافًا فسأله عن شيء فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم-)، وفي الحديث الآخر في صحيح مسلم عن بعض أزواج النبي -عليه الصلاة والسلام-: (من أتى كاهنًا أو عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يومً) مجرد أنه يأتيه يسأله، ويدخل في ذلك ما يقع الآن ممن يتابعون قنوات السحر، وشهرزاد ونحوها من تلك القنوات البائسة أي نعم المخذولة فهؤلاء الذين يتصفحون هذه القنوات ولو على سبيل الفرجة كما بين ذلك مشايخنا في هذا البلد أنه مجرد بعض الناس أحيانًا

يتابع هذه القنوات من باب حب الاستطلاع كما يقولون: فهذا محرم كما أفتى بذلك المشايخ الشيخ عبد الله بن جبرين والشيخ العلامة عبد الرحمن البراك ونحوهم.

تقول: لفظ قول "مبروك" تقول أنها سمعت أن هناك محذور من هذا اللفظ أو شيء من هذا؟.

والله ما أعرف فيه شيء، لكن من جهة اللغة أنه ما يصح يقال مبروك يقال مبارك أي نعم؛ لأن مبروك فعل "برك"، وإنما يقال للشخص مثلاً يعني حلت له النعمة نقول "مبارك عليك".

تقول: تخصيص الله -جل وعلا- ملائكة للمطر ولبعض الأعمال هل يدل على نقص مثلاً حق الله -جل وعلا-؟.

لا... لا هي نقول له -سبحانه وتعالى- يفعل في ملكه ما يشاء -سبحانه وتعالى- وهو -سبحانه وتعالى- جعل هؤلاء الملائكة رسلًا فالملائكة كلمة الملائكة مأخوذة من الألوك وهي الرسالة فهم رسل يعني ملتزمون ومنفذون لأمر الله -سبحانه وتعالى- الشرعي والكوني، وهو -سبحانه وتعالى- يفعل بالأسباب فهؤلاء هم عباده يأمرهم بذلك، وهو -سبحانه وتعالى- هو الغني عن العالمين عن الملائكة وسائر المخلوقات، وإنما هذا مقتضى حكمته -سبحانه وتعالى- ومقتضى تدبيره لهذا الكون أن جعل هؤلاء الملائكة يقومون بهذه الأعمال فهو -سبحانه وتعالى- جعل أعمال العباد موكولة إليهم وهو -سبحانه وتعالى- يعلم أعمالنا ومطلع على ما في قلوبنا وإن كان هؤلاء الكرام الكاتبين يكتبون ذلك ويعلمونه، والله أعلم.

تقول: حكم من يشاهد هؤلاء السحرة من باب معرفة ما يفعلون لتحذير الناس منهم هل يجوز هذا؟.

هذا الكلام هذا ليس صالحًا لكل من هبَّ ودبَّ، لكن إذا جاء طالب علم أو داعية له رسوخ في العلم والدعوة وأراد أن يطلع على هؤلاء من باب أن يرد عليهم، ومن باب التحذير منهم فله ذلك، أما عامة المسلمين ونحوهم فلا، لا يسوغ لهم ذلك لأن هذا مدعاة للفتنة، وأيضًا هذا أقل ما يقال أن فيه تعاون على الإثم والعدوان، لكن لو جاء طالب علم أو داعية راسخ وذهب إلى هؤلاء السحرة من أجل زجرهم ومن أجل بيان إفكهم فنحن نقول: هذا أمر مشروع والنبي -عليه الصلاة والسلام- قال لابن صياد وهو من الكهان، قال: (اخسأ فلن تعدو قدرك).

تقول: هل يجوز التسمي بالكريم أو الباسط معرفة بـــ"ال"؟

تقول: هل يجوز تسمية "رحمن"؟ فإنه يوجد في بعض البلدان كالباكستان والشيشان يسمون باسم "رحمن" هكذا؟.

أما كونه واحد يسمي نفسه الكريم فالذي أفهمه من كلام بعض أهل العلم إذا كانت الكريم إذا قيلت الكريم "ال"، يعني "ال" للعهد يعني أنه الكريم مثلاً في قومه أو في جماعته فإذا كانت "ال" للعهد فلا إشكال، لكن إذا أريد بـــ"ال" الاستغراق التي تستغرق يعني أنواع الكرم وكماله فـــ"ال" للاستغراق التي تستغرق كل الكرم هذا يختص بالله، مثل كلمة "سيد" إذا قلنا فلان السيد فلان بمعنى أنه سيد قومه أو سيد عشيرته فلا إشكال، لكن إذا قيل "السيد" "ال" للاستغراق التي تستغرق جميع أنواع السؤدد فهذا لا يستحقها إلا الله -سبحانه وتعالى-، ما "رحمن" فلا تطلق على المخلوق كائنًا من كان لا في باكستان ولا في غيرها.

أسئلة الحلقة.

السؤال الأول:" كل نفي في باب الصفات يتضمن إثباتًا" هل هذه الجملة صحيحة؟ مع التعليل والدليل؟

السؤال الثاني: هل إثبات القدر المشترك في باب الصفات يستلزم تمثيلاً؟ مع الدليل؟

الدرس الثالث

قوله: "قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء"

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد: فنستأذن فضيلتكم باستعراض الحلقة الماضية:

إجابة أسئلة الحلقة الماضية

السؤال الأول: هل جملة كل نفي يتضمن إثبات الصفات صحيحة أم لا مع الدليل والتعليل؟

تقول: هذه قاعدة مهمة وصحيحة: أن كل نفي يأتي في صفات الله وفي الكتاب والسنة إنما هو لثبات كمال ضده، مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤] فالآية نفت النسيان لله -عز وجل- وأثبتت كمال العلم له، والدليل من السنة قول حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الدجال حين قال: (إن ربكم ليس بأعور، وإن الدجال أعور العين اليمنى) فهنا نفى العور عن الله -جل وعلا- وإثبات لله -عز وجل- بأن له عينين.

الإجابة صحيحة.

هل إثبات القدر المشترك في باب الأسماء والصفات يستلزم تمثيلا؟ مع الدليل؟

كذلك أجاب الأخ الكريم: يقول: لا.. إثبات القدر المشترك في الأسماء والصفات لا يستلزم تمثيلاً، والدليل أن لله -سبحانه وتعالى- صفة السمع والبصر وهي الاسم العام أو القدر المشترك لكن الله -سبحانه وتعالى- له سمع وبصر يليق بجلاله وكماله وهو لا حدود له ولا نهاية، ولكن المخلوق الذي له أيضًا سمع وبصر أن سمعه وبصره قاصر ناقص لا يتعدى حدودًا بعينه.

نعم أيضًا إجابة الأخ الكريم إجابة صحيحة.

نشكر الإخوة الكرام الذين أجابوا عن السؤالين، ونبتدئ درسنا بإذن الله فضيلة الشيخ.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى- في العقيدة: (قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء).

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

قول الإمام أبي جعفر الطحاوي: (قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء) هذا الكلام الذي قرره الإمام الطحاوي من باب الإخبار عن الله -سبحانه وتعالى-، فهو -سبحانه وتعالى- هو الأول الذي ليس قبله شيء وهو -سبحانه وتعالى- هو الآخر الذي ليس بعده شيء، لكن يبقى أن نشير إلى أن القديم، وكذا الدائم، أنهما وإن وردا في بعض الأحاديث، لكن الأحاديث التي ورد فيها اسم القديم أو اسم الدائم -الذي أعرفه- أنه لم يثبت عن رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، القديم جاء في حديث أخرجه ابن ماجه، والدائم جاء في حديث أخرجه الحاكم في المستدرك، لكنه لا يثبت عن رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، وإنما الذي ثبت في القرآن والسنة هو الأول والآخر، فقد جاء ذلك في القرآن في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ [الحديد: ٣]، وجاء ذلك مفسرًا في قوله -عليه الصلاة والسلام-: (أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء) فلا شك أن الحديث الذي سمعناه في مسلم أنه -سبحانه وتعالى- هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، لاشك أن هذا هو أصح، وأيضًا من جهة أخرى هو أكمل وأتم من اسم القديم أو اسم الدائم، لكن أحب

أن أشير وأن أذكر المشاهدين والمشاهدات وأذكر قبل ذلك الإخوة الفضلاء الذين يحضرون معنا في هذا الدرس أن الطحاوي -رحمه الله- قال ذلك من باب الإخبار، لعله قال ذلك من باب الإخبار، والعلماء -رحمة الله عليهم- أشاروا إلى أن باب الإخبار أوسع من باب الأسماء، يعني لك أن تخبر وتقول: إن الله -تعالى- قديم، أو تقول: أن الله -تعالى- موجود -سبحانه وتعالى- أو تقول: إن الله -تعالى- شيء، أو تقول: إن الله -تعالى- ذات -سبحانه وتعالى-، لكن عندما تدعو الله -تعالى- أو عندما تعبد نفسك إنما يكون ذلك بأسماء الله الحسنى، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٠٨]، فالمقصود أن باب الإخبار أوسع من باب الأسماء كما بين ذلك ابن القيم -رحمه الله- في "بدائع الفوائد" وأيضًا بينه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمة الله عليه- في كتابه "الدرء" وأيضًا أشار إلى ذلك في "مجموع الفتاوى".

بعض الطلاب يؤكدون على ذكر الإحالات، شيخ الإسلام تحدث عن هذه المسألة الفرق بين باب الإخبار وباب الأسماء في "الدرء" الجزء الرابع صفحة مائة وأربعين، وفي "مجموع الفتاوى" السادس صفحة اثنتين وأربعين ومائة، وفي "مجموع الفتاوى" السادس في صفحة اثنتين وأربعين ومائة ذكر الشيخ -رحمه الله- الضابط في الإخبار، وقال: «أن تخبر باسم حسن أو باسم ليس بسيئ» فهذا هو باب الإخبار، فلك أن تخبر وتقول: أن الله -تعالى- موجود قديم لكن عند الدعاء وعند التعبد فإنما يكون بأسماء الله الحسنى، هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

لكن يبقى معنا لفتة مهمة نشير إليها: أنه إذا كان من أسماءه -عز وجل- الأول والآخر فعندنا لفتة تربوية جميلة لابن القيم -رحمه الله- ذكرها في مطلع كتابه "طريق الهجرتين" لعلي أقرأ عليكم العبارة ثم يحصل بعض البيان، يقول ابن القيم -رحمة الله عليه- يقول: «فعبوديته -سبحانه وتعالى- باسمه الأول تقتضي التجرد من مطالعة الأسباب أو الالتفات إليها» يقول الشخص إذا تعبد الله -تعالى- باسمه الأول ماذا يحصل؟ هذا الاسم الكريم من أسماء الله الحسنى "الأول" هذا يحقق عبادة، ما العبادة؟ وهو أن العبد لا يعلق قلبه بالأسباب، وإنما يستحضر ويوقن بفضل الله -سبحانه وتعالى- عليه، ثم ذكر العبودية الناشئة من اسمه الآخر فقال -رحمه الله-: «وعبوديته باسمه الآخر تقتضي عدم ركونه للأسباب» فأيضًا كذلك عندما الإنسان يستحضر أن الله -تعالى- هو الآخر الذي ليس بعده شيء فهذا يجعله أيضًا كذلك لا يعلق قلبه بالأسباب، وإنما يعلق قلبه بالله الذي لا يفنى ولا يبيد -سبحانه وتعالى-، وأؤكد في هذا المقام ما دام أننا تحدثنا عن كلام ابن القيم -رحمه الله- أؤكد على مسألة مهمة للغاية أيها المشاهدون والمشاهدات ألا وهي مسألة: التلازم بين الأسماء والصفات وبين التعطيل، وهذا وإن كان معلومًا عند البعض لكن قد يخفى البعض الآخر، هناك أيها الإخوة وأيتها الأخوات تلازم بين التعطيل وبين الشرك في العبادة، فالعبد كلما زاد إثباتًا للصفات، كلما زاد تحقيقًا لتوحيد العبادة والعكس، فالعبد إذا كان عنده تعطيل أو نفي لشيء من أسماء الله أو صفاته -عز وجل- فعنده من الشرك بقدر هذا التعطيل، وهذا ظاهر يعني أنت الآن لما تتأمل في أسماء الله تجد أن هذه الأسماء الحسنى له -عز وجل- تورث أنواعًا من العبادات.

مثلاً من أسماءه -سبحانه وتعالى- الصمد، والصمد هو الذي تصمد إليه الخلائق وتقصده، وهو -سبحانه وتعالى- هو الصمد الذي لا جوف له فإذا استصحب العبد أن الله -تعالى- هو الصمد الذي تصمد إليه الخلائق هذا يورث تعلقًا بالله ويورث سؤالاً وعبادة ودعاءً لله تعالى وحده لا شريك له.

من هذا المقام ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- أن سورة الفاتحة إذا نظرنا إلى الآيات الأولى نجد أن هذه الآيات وهي في أسماء الله وصفاته تورث جملة من العبادات، بل تورث أصول العبادات، أو ما يسميه شيخ الإسلام -رحمه الله- ابن تيمية ألا وهو: محركات القلوب، فعندما تقول: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢] هذا يحقق عبادة المحبة، الله -سبحانه وتعالى- هو الذي ربانا بنعمه التي لا تعد ولا تحصى، وهذا يورد محبة الله -سبحانه وتعالى-، عندما تقول: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: ٣] وتستصحب أن الله -تعالى- رحمته وسعت كل شيء، هذا يورث الرجاء، فإذا الإنسان المسلم استصحب أن الله -تعالى- رحيم وأن رحمته وسعت كل شيء هذا يورث عبادة الرجاء وحسن الظن به -عز وجل-، فإذا قلت: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة:

٤] واستصحب العبد أن الله –تعالى– ملك الملوك لا مالك إلا هو –عز وجل– فهذا يورث عبادة الخوف والخشية لله –عز وجل–، هذا الأمر نؤكد عليه أيها الإخوة والأخوات ألا وهو: أن هناك تلازم بين التوحيد توحيد الأسماء والصفات وبين توحيد العبادة، وأيضًا أن على العبد المسلم أن يستصحب وأن يوقن أن لكل صفة من صفات الله –تعالى– عبودية كما بين ذلك ابن القيم –رحمه الله– في "مفتاح دار السعادة".

يقول ابن القيم –رحمه الله– يقول: "إذا علم العبد أن الله –تعالى– هو المتفرد بالنفع والضر والخلق والرزق فهذا يثمر عبادة التوكل"، إذا كان الله –تعالى– هو الذي بيده النفع والضر وحده لا بيد زيد ولا بيد عمرو فهذا يورث التوكل على الله، إذا علم العبد أن الله –تعالى– بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء من أمرنا فهو –سبحانه وتعالى– يعلم السر وأخفى، فإذا استصحب العبد أن الله –تعالى– بكل شيء عليم هذا يورث عبادة الحياء من الله –سبحانه وتعالى–، يورث الحياء والخشية منه –عز وجل–، هذا ما يمكن أن نقوله في هذه العبارة والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (لا يفنى ولا يبيد، ولا يكون إلا ما يريد).

قوله –رحمه الله–: (لا يفنى ولا يبيد) هو تقرير للكلام السابق، فالله –سبحانه وتعالى– لا يفنى ولا يبيد، قال –عز وجل–: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٨٨] فهو –سبحانه وتعالى– هو الأول الذي ليس قبله شيء، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء.

المسألة الأخرى لما قال الطحاوي –رحمه الله–: (ولا يكون إلا ما يريد) قوله –رحمه الله–: (لا يكون)أي لا يصير الشيء كائنًا متحققًا موجودًا إلا إذا أراد ذلك وشاءه، وقوله: (ولا يكون إلا ما يريد) أي: أن الشيء لا يكون موجودًا متحققًا واقعًا إلا إذا شاءه هو –عز وجل–، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

هنا أشار الشارح ابن أبي العز –رحمه الله– إلى أن قول الطحاوي: (ولا يكون إلا ما يريد) أن في ذلك رد على القدرية النفاة، فالقدرية النفاة الذين ينفون القدر يزعمون أن الله –سبحانه وتعالى– لم يرد أعمال العباد فيخرجون أعمال العباد من الطاعات ومن السيئات يخرجونها من ملكه –سبحانه وتعالى–، وهذا كلام فاسد وكلام مردود، والله –سبحانه وتعالى– لا يقع شيء في هذا الكون إلا بإرادته ومشيئته –عز وجل–، فالمقصود أن قول الطحاوي –رحمه الله–: (ولا يكون إلا ما يريد) رد على القدرية النفاة، الذين يخرجون أفعال العباد عن ملكه –سبحانه وتعالى–.

الأمر الثاني الذي نحب أن نؤكد عليه ونقرره في هذا الدرس: أن إرادة الله –عز وجل– على قسمين:

– هناك إرادة كونية قدرية.

– هناك إرادة شرعية دينية.

الإرادة الكونية القدرية: هي مشيئته –سبحانه وتعالى–، الإرادة الكونية هي ما شاءه الله وقدره، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، هذه الإرادة الكونية القدرية هي المذكورة في مثل قوله تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج: ١٦].

والإرادة الشرعية الدينية: هي ما يحبه الله ويرضاه مثل ما جاء في مثل قوله –عز وجل–: ﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] أي: يحب ذلك، فينبغي أن نميز بين هذا وذاك، فمثلًا المعاصي والكفر الذي يقع في الأرض هذا لا يحبه الله –سبحانه وتعالى–، قال –عز وجل–: ﴿ وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ [الزمر: ٧] وقال

تعالى: ﴿ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٥] وأي فساد أعظم من الكفر بالله -سبحانه وتعالى-؟! لكن هذا الكفر الذي لا يحبه الله ولا يرضاه هو واقع بمشيئته وتقديره -سبحانه وتعالى-، لا يخرج شيء عن تقديره -عز وجل-، فينبغي أن نميز بين الإرادة الكونية القدرية وبين الإرادة الشرعية الدينية، لعل المسألة واضحة؟

هل يمكن أن تجتمع في الأمر الإرادتان؟ نعم.

طيب إذا قلت: نعم اذكر مثالًا أو توضيحًا؟

نقول: نعم يمكن ذلك من خلال مثلاً نحن الآن صلينا العصر قبل قليل فالشخص الذي صلى العصر أدى صلاة العصر وفرغ منها نقول: إن هذا أمر شاءه الله أو لم يشاءه؟ شاءه الله، ويحبه أم لا يحبه؟ جزمًا أن الله -تعالى- يحبه، فهذا مما اجتمعت فيه الإرادتان، فما يفعله العباد من الطاعات، ما فعلوه وأدوه من الطاعات اجتمعت فيه الإرادتان: الأمر الأول: أن الله -تعالى- شاء ذلك، والأمر الثاني: أن ذلك يحبه الله ويرضاه.

يقول: مقولة الإمام الطحاوي لا شك أنها مقولة عظيمة (ولا يكون إلا ما يريد) لكن اشتهرت المقولة عن المعتزلة يا شيخ وهي: أن الله قادر على ما يريد، فلو سألنا يا شيخ ما مدى صحة هذه العبارة؟ قولهم: إن الله قادر على ما يريد؟.

يعني إذا كان المعتزلة يقولون هذه العبارة: إن الله قادر على ما يريد، فالمعتزلة لا يثبتون الإرادة الكونية القدرية، مصيبة القدرية وكذا أيضًا مصيبة الجبرية في الطرف الآخر أنهم لم يثبتوا الفرق بين الإرادة الكونية وبين الإرادة الشرعية الدينية، فالقدرية النفاة يزعمون أن كل ما يقع في الكون هذا يريده الله بمعنى يحبه، فإذا جاء الكفر والمعاصي قالوا: هذه لا يحبها الله، فقالوا: ما دام أن الله -تعالى- لا يحبها إذن لم يشأها، الجبرية قالوا في الطرف المقابل: هذه المعاصي هي بتقدير الله، وما دام أنها بتقدير الله فهي ماذا؟ إذن يحبها الله، وتعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، فنحن إذا أخذنا الحق الموجود عند القدرية النفاة والحق الموجود عند الجبرية الذين غلو في إثبات القدر ظهر لنا الحق: وهو مذهب أهل السنة والجماعة، فالعبارة التي ذكرتها عن المعتزلة عبارة موهمة؛ لأنهم لا يجعلون الإرادة هي ما يحبه الله ويرضاه؛ ولهذا أخرجوا أفعال العباد عن ملكه -سبحانه وتعالى-، ونحن نرد عليهم بمثل قوله تعالى: ﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦] الله -تعالى- خالق كل شيء بما في ذلك أفعال العباد والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام).

هنا لما قال -رحمه الله- في وصف الله -سبحانه وتعالى-: (لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام) هنا (لا تبلغه الأوهام) يعني المقصود من هذه العبارة أنه -عز وجل- لا يُظن أن صفاته على هيئة كذا وكذا، فكلامه -رحمه الله- لما يقول: (لا تبلغه -عز وجل- الأوهام) أي أنه -سبحانه وتعالى- لا يحاط به، أيضًا كذلك لما قال: (ولا تدركه الأفهام) قد مر بنا أن الإدراك هو الإحاطة، فمعنى العبارة، أي: لا تحيط به العقول -عز وجل- مثل ما مر بنا في قوله تعالى: ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] -سبحانه وتعالى- المقصود من هذه العبارة أو من هذا التقرير للإمام الطحاوي -رحمه الله- بيان أنه -سبحانه وتعالى- أن عظمته فوق ما يخطر في البال أو يدور في الخيال؛ ولهذا نجد أن العلماء يؤكدون على هذا المعنى، وفي هذا المقام يقول ابن قدامة -رحمه الله- في حقه -عز وجل- يقول: «لا تمثله العقول بالتفكير ولا القلوب بالتصوير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» فعظمة الله -تعالى- فوق ما يخطر في البال، وهنا نؤكد لمن يستمع إلينا ويشاهد هذا البرنامج أن بعض الناس أحيانًا قد ينقدح في أذهانهم أن الله -تعالى- على كيفية كذا وكذا، ألا فليوقن الجميع ولنوقن جميعًا أن الله -سبحانه وتعالى- فوق ما يخطر في البال، أو يدور في الخيال فمهما تصور العبد أن الذات الإلهية على كذا وكذا فالله -سبحانه وتعالى- فوق ذلك قال -عز وجل-: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ

وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر: ٧٦]، لعل الكلام في هذا يكون واضحًا بينًا، نقرأ العبارة التي تليها.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (ولا يشبه الأنام).

هنا يقول الإمام الطحاوي –رحمه الله– في حق الله –سبحانه وتعالى–: (ولا يشبه الأنام)، قد مر بنا أيها الإخوة الكرام قوله: (ولا شيء مثله) فهنا لما قال –رحمه الله–: (ولا يشبه الأنام) إذا أثبتنا العبارة كما قرر ذلك الطحاوي واعتمده في شرحه، فالعبارة هنا كما سمعنا من أخينا الشيخ عبد الرحمن هنا قال الطحاوي (ولا يشبه الأنام) والمعنى: ولا يشبه الله الأنام، فهذه العبارة فيها تقرير نفي تشبيه الخالق بالمخلوق، وأما العبارة التي مرت بنا في أول درس وهي قوله: (ولا شيء مثله) ففيها تقرير نفي تشبيه المخلوق بالخالق، إذن الطحاوي –رحمه الله– نفى ابتداءً تشبيه المخلوق بالخالق؛ ولعله بدأ به لأنه أكثر وقوعًا ثم ثنى بنفي تشبيه الخالق بالمخلوق، هذا الذي يبدو من هذه العبارة.

لكن في بعض نسخ الطحاوية جاءت العبارة: (ولا يشبهه الأنام) هذه عبارة جاءت في بعض النسخ الخطية لهذه العقيدة، وإذا أثبتناها كما جاءت بهذا اللفظ (ولا يشبهه الأنام) فيكون هذا من باب نفي تشبيه المخلوق بالخالق، يعني يكون هذا تأكيد للعبارة السابقة، وعلى كلٍ الأمر محتمل، وسواءً نفينا التشبيه بنوعيه فهذا جيد وسواءً أكدنا على نفي التشبيه الأول؛ لأنه أكثر وقوعًا فهذا حسن، والأمر في هذا يسير، لكن كان الأدق أن تكون العبارة: (ولا يماثل الأنام) يعني لو أن العبارة جاءت هكذا: (ولا يماثل الأنام) لكان هذا أدق وموجب بذلك ما قد مر بنا أن التمثيل جاء القرآن بنفيه، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] وأما التشبيه ففيه من التفصيل والإجمال ما فيه، ولا شك أن موافقة نصوص الوحيين لفظًا ومعنًى لا شك أن هذا أتم وأدق، هذا الذي يمكن أن يقال عند هذه العبارة والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (حي لا يموت، قيوم لا ينام).

لعلي أستأذنك يا شيخ عبد الرحمن وأشير قبل أن ندخل في بعض التفاصيل لهذه العبارات أن كان بودي أن أذكر بعض التقاسيم المهمة والتقاسيم هذه تضبط هذا الموضوع الجليل وهو موضوع صفات الله –سبحانه وتعالى–، قبل أن نتحدث عن هذه العبارة (حي لا يموت، قيوم لا ينام) –سبحانه وتعالى–، أحب أن أعطي بعض التقاسيم في باب صفات الله –سبحانه وتعالى– وعلى سبيل الإيجاز، فأقول مستعينًا بالله –سبحانه وتعالى–:

صفات الله –سبحانه وتعالى– تنقسم باعتبار أدلتها إلى قسمين:

القسم الأول: صفات تثبت بالنقل والعقل، يعني تثبت بالدليل النقلي والدليل العقلي.

القسم الآخر: صفات تثبت بالنقل، تثبت بالدليل السمعي، تثبت بالوحي في القرآن أو بالسنة، وبالمثال يتضح المقال.

ما الصفات؟ أو نذكر أمثلة على الصفات التي تثبت بالنقل والعقل، منها صفة العلم وهذا سيمر بنا –إن شاء الله– فالعلم نثبته بالنقل وبالعقل، قال تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩] ﴿ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٥] وأيضًا صفة العلو لله –سبحانه وتعالى– فالعلو أثبته أهل السنة بالأدلة المتواترة من الكتاب والسنة، وأيضًا أثبتوه بالعقل.

أما القسم الآخر: فهي الصفات التي تثبت بالنقل فحسب، مثل: الاستواء على العرش، فما يتعلق بالاستواء وما يتعلق بالعرش هذا من الغيب الذي لا يمكن أن نثبته إلا بالدليل السمعي.

طيب فرغنا من هذا التقسيم، ننتقل إلى تقسيم آخر، فنقول:

صفات الله -سبحانه وتعالى- تنقسم باعتبار إثباتها أو نفيها إلى قسمين:

القسم الأول: صفات ثبوتية. والصفات الثبوتية هي الصفات التي تثبت لله -سبحانه وتعالى-، وهذا واضح يعني لما نقول: العلم القدرة السمع البصر الحياة كلها صفات تثبت لله -عز وجل-.

القسم الآخر: وهي الصفات السلبية. والصفات السلبية هي الصفات التي تُنفى عن الله -سبحانه وتعالى- مثل النوم ومثل الموت والعجز والنسيان في مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ هذا ما يتعلق بالصفات المنفية عن الله -سبحانه وتعالى-، فالصفات المنفية أو السلبية هي الصفات العيب والنقص التي يجب أن تنفى عن الله -عز وجل-.

الصفات الثبوتية التي تثبت لله تنقسم باعتبار تعلقها بالله إلى قسمين:

القسم الأول: الصفات الذاتية، وهي الصفات الملازمة لله -سبحانه وتعالى- أزلاً وأبدًا، أزلاً فيما مضى وأبدًا فيما يستقبل، هذه يسميها العلماء الصفات الذاتية، وبالمثال يتضح، مثل صفة العلو، الله -سبحانه وتعالى- موصوف بالعلو أزلاً وأبدًا -عز وجل- وهو العلي العظيم، مثل صفة العلم -سبحانه وتعالى- صفة العلم له -سبحانه وتعالى- مثل صفة السمع والبصر ونحو ذلك.

القسم الآخر: صفات الأفعال، هذه الأفعال التي نحب أن نشير إليها وأن نذكر معناها هي صفات قائمة بذات الله، متعلقة بمشيئته وإرادته، انتبهوا جيدًا، فهذه الصفات تجمع بين الأمرين أنها صفات قائمة بذات الله، وفي نفس الوقت هي متعلقة بمشيئته وإرادته، هذه الصفات الفعلية يطلق عليها العلماء أو بعض المحققين يقولون عنها: أنها قديمة النوع حادثة الآحاد، ما معنى قديمة النوع؟ أي: أن الله -سبحانه وتعالى- موصوف بها منذ الأزل، حادثة الآحاد أي: أن أفرادها متعلق بمشيئته واختياره.

ونمثل على ذلك مثلاً صفة الكلام له -عز وجل- فالله -سبحانه وتعالى- موصوف بالكلام منذ الأزل بمعنى أنه موصوف بالكمال، ومن الكمال أنه -سبحانه وتعالى- يتكلم، ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤] لكن أفراد كلامه متعلق بمشيئته واختياره، هذا المقصود بهذه العبارة ولعلي أبين أن من العلماء الذين حرروا هذه المسألة -قضية الصفات الأفعال- شيخ الإسلام -رحمه الله- ابن تيمية في بداية كتابة "درء تعارض العقل والنقل" الجزء الثاني، وممن حررها من المعاصرين تحريرًا بينًا بليغًا العلامة عبد الرحمن السعدي -رحمة الله عليه- في كتاب له صدر أخيرًا بعنوان "الأجوبة السعدية عن المسائل الكويتية"، وأيضًا ممن حرر هذه المسألة الشيخ العلامة عبد الرحمن البراك في شرحه على "الرسالة التدمرية".

أفعال الله -عز وجل- منها اللازم ومنها المتعدي، فإن أفعال الله منها اللازم ومنها المتعدي، اللازم يعني مثل الاستواء على العرش أو النزول، أما الأفعال المتعدية التي تتعدى إلى الغير، تتعدى إلى المخلوق، فمثل صفة الرحمة وصفة الرضا أو صفة السخط أو صفة الغضب، أنا أعلم أن التقاسيم هذه كثيرة وقد تكون متشعبة؛ ولذلك أنا أوجزها مرة أخرى فأقول:

أولاً نقول: تنقسم صفات الله في باعتبار أدلتها إلى قسمين:

أولاً: صفات تثبت بالنقل والعقل.

ثانيًا: صفات تثبت بالنقل.

ثم نقول: صفات الله تنقسم باعتبار ثبوتها أو نفيها إلى قسمين:

- صفات ثبوتية تثبت لله.

- صفات سلبية تُنفى عن الله.

ثم قلنا هذه الصفات الثبوتية تنقسم باعتبار تعلقها بالله إلى قسمين:

- الأول: صفات ذاتية.

- الثاني: صفات فعلية.

وقلنا في الصفات الفعلية: أنها قديمة النوع حادثة الآحاد أي أنها قائمة بذات الله لكن أفرادها متعلق بمشيئته واختياره.

ثم قلنا عن أفعال الله أن هذه الأفعال على نوعين:

- منها أفعال لازمة كالنزول والاستواء على العرش.

- منها ما هو متعدٍ كصفة الخلق أو صفة الغضب أو صفة السخط.

العبارة التي سمعناها من كلام الطحاوي -رحمه الله-: (حي لا يموت قيوم لا ينام) يبدو أن الكلام فيها واضح، لكن الذي يهمنا في كلمة (قيوم) قيوم معناها: أنه -سبحانه وتعالى- هو القائم بنفسه -عز وجل- وهو -سبحانه وتعالى- المقيم لغيره، فهو قائم بنفسه -سبحانه وتعالى- وأيضًا هو المقيم بخلقه بتدبيرهم ورزقهم وسائر أمورهم، كما قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد: ٣٣]، فهذا هو اسمه -سبحانه وتعالى- القيوم.

كان أيضًا أود أن نشير إلى مسألة ذكرها الشارح في هذا المقام، وهي مسألة القياس:

القياس الذي يستعمل في حق الله -سبحانه وتعالى- وهذه مسألة مهمة تفيدنا في فهم موضوع الأسماء والصفات، وإيصالها إلى الناشئة والأجيال التي تريد أن تتعلم في باب الصفات، قياس الأولى هو قياس جاء به الكتاب والسنة، واستعمله السلف، منهم الإمام أحمد -رحمه الله- الإمام أحمد بن حنبل في الرد على الزنادقة، ومنهم الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية.

هذا القياس خلاصته أن نقول ما يلي: كل صفة كمال لا نقص فيها بوجه من الوجود وصف بها المخلوق فالله تعالى أحق وأولى بها، وكل صفة نقص تنزه عنها المخلوق فالله -سبحانه وتعالى- أحق وأولى بالتنزه عنها، وبالمثال يتضح المقال، فمثلاً عندك صفة العلم صفة كمال صفة القدرة، فإذا كان المخلوق يوصف بالعلم والقدرة فوصف الخالق بالعلم والقدرة من باب أولى وأحق بها -سبحانه وتعالى-، وأما صفة النقص التي تنزه عنها

المخلوق صفة الجهل صفة العجز، فإذا كان المخلوق يعد ذلك عيبًا ونقصًا في حقه فذلك النقص والعيب في حق الله من باب أولى وأحرى.

ولاحظ هنا العلماء قالوا: كل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه، أو أحيانًا يقولون: كل كمال مطلق، فهذا الكمال لابد ألا يكون فيه نقص أو يكون كمالًا مطلقًا، فإذا قلنا: كمال مطلق أو قلنا: لا نقص فيه بوجه من الوجوه يخرج الكمال النسبي، أي: ما يكون كمالاً في حق المخلوق، مثل الولادة، كون الشخص يولد له يعني كون الرجل يولد له أو كون الرجل يولد له أو تلك المرأة وليس عقيمًا فلا شك أن هذه الولادة تعد كمالاً لكن هذه الولادة في حق الله نقص، والله -سبحانه وتعالى- نفى ذلك عن نفسه قال -عز وجل-: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [الإخلاص: ٣]، والجن قالوا: ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا ﴾ [الجن: ٣] فالولادة كمال في حقك في حقنا نحن معشر البشر، لكنها في حق الله -سبحانه وتعالى- نقص وعيب، فهذا كمال نسبي، ليس كمالاً مطلقًا، الشخص يحتاج إلى الولد أما الله -سبحانه وتعالى- فهو الغني عن العالمين.

أيضًا أمر آخر هناك صفات هي كمال في حق الله، لكنها نقص في حق العبد، فلو أن العبد اتصف بالكبرياء أو بالجبروت هذا نقص، لكنها كمال في حق الله، يقول الله -تعالى- في الحديث القدسي: (العظمة إزاري، والكبرياء ردائي) ومن أسمائه -سبحانه وتعالى- "الجبار، المتكبر" -سبحانه وتعالى-.

يقول: نقول: بالنسبة لأفعال الله نسميها قديمة أم حادثة؟.

قلنا هذا وذاك، نقول: عن هذه الأفعال عن أفعاله -عز وجل- أنها قديمة النوع حادثة الآحاد، ومعنى لما نقول: قديمة النوع أي: أن الله -سبحانه وتعالى- أن هذه الأفعال قائمة بذاتها، لا نقول عن هذه الأفعال مخلوقة، كما قالت المعتزلة وإنما نقول: هذه الأفعال قائمة بذاته -عز وجل-، وإذا قلنا: حادثة الآحاد: المراد من ذلك لا يفهم حادث أنها مخلوقة تعالى الله عن ذلك، وإنما المقصود بحادثة أي أن ذلك متعلق بمشيئته واختياره، مثل ما قال تعالى: ﴿ لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ [الطلاق: ١]، مثل ما قال تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ [الأنبياء: ٢]، والله أعلم.

يقول: ما الفرق بين الصفات والأفعال؟ يقول: هل باب الأفعال أوسع من باب الصفات؟.

والله أنا الذي أعرفه أن الأسماء أخص والصفات أعم والأفعال أعم من الصفات، والعلماء يقولون: أن الاسم يشتق منه صفة ولا عكس، فنحن إذا قلنا من أسماءه -سبحانه وتعالى- العزيز فمن صفاته العزة، وإذا قلنا: من أسماءه الرحيم فمن صفاته الرحمة، لكن لا نشتق من الصفة اسمًا، ما يأتي واحد يقول: ما دام من صفات الله -تعالى- الكلام ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ﴾ [التوبة: ٦]، فلا يأتي شخص يقول: من أسماء الله -تعالى- المتكلم.

وكذا أيضًا الأفعال ما يأتي واحد يقول: ما دام أن من أفعال الله -تعالى- الاستواء ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥]، فيشتق من ذلك أن من أسماءه المستوي، فالمقصود أن الأسماء أخص والصفات أعم من الأسماء والأفعال أعم من الصفات والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (خالق بلا حاجة رازق بلا مئونة).

هنا في قوله: (خالق بلا حاجة رازق بلا مئونة) لا نقف عند هذا كثيرًا؛ لأن الأمر في هذا واضح، فهو -سبحانه وتعالى- (خالق بلا حاجة) قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧]، فالله -سبحانه وتعالى- ليس محتاجًا للخلق، فهو خالق بلا

حاجة، وهو أيضًا –سبحانه وتعالى– (رازق بلا مئونة) أي: بلا تعب وبلا كلفة وبلا مشقة؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن الله –تعالى– يقول: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً.... فلو اجتمع أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم على صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك من ملكي شيء، إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر) فخزائن الله ملئا، وكما قال –عليه الصلاة والسلام–: (يمين الله ملأى سحاء الليل والنهار) وهو –سبحانه وتعالى– (خالق بلا حاجة ورازق بلا مئونة) أي: بلا كلفة ولا مشقة.

قال –رحمه الله تعالى–: (مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة).

يعني هنا في قوله: (مميت بلا مخافة) يعني لها صلة بما قبلها، فكما أنه –سبحانه وتعالى– هو الموجد والخالق بلا احتياج فأيضًا هو –سبحانه وتعالى– هو المميت، بلا مخافة، ولا شك أن هذا من كماله –سبحانه وتعالى–، لما يقول الطحاوي –رحمه الله–: (أنه مميت بلا مخافة) هذا دليل على تفرده –سبحانه وتعالى– بالعز والبقاء –سبحانه وتعالى–، وقوله هنا: (باعث بلا مشقة) فأيضًا هو –سبحانه وتعالى– عندما يبعث الخلائق عند القيامة الكبرى فهذا البعث بلا مشقة، قال –عز وجل–: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]، وقال –عز وجل–: ﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [لقمان: ٢٨] قال –عز وجل–: ﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [ق: ١٥] فقوله تعالى: ﴿ أَفَعَيِينَ﴾؟ هنا هذا استفهام يراد به النفي أي: أنه –سبحانه وتعالى– لا يعتريه العجز، فالآية نفت العي عنه –سبحانه وتعالى– وهو العجز، هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

قال –رحمه الله تعالى–: (ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئًا لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليًا كذلك لا يزال عليها أبديً).

هنا الطحاوي –رحمه الله– يقول: (ما زال بصفاته) لاحظ هنا قال: (ما زال بصفاته) طيب لو قال: "ما زال وصفاته" المعنى واحد؟ طيب فيه إشكال في هذا؟ هنا الإمام الطحاوي قال: (ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه)؟ نعم.

الإتيان بالواو يكون المعنى التفريق بين الله –سبحانه وتعالى– وصفاته يعني يكون الصفة شيء والله –سبحانه وتعالى– شيء آخر.

يعني هذا الإشكال؟

نعم.

نعم أحسنت، مثل ما قال أخونا فعلًا يعني هنا لما قال الطحاوي لاحظ عبارات العلماء دقيقة، قال: (ما زال) أي ما زال الله –سبحانه وتعالى– (بصفاته قديمً) لاحظ هنا قال: (ما زال بصفاته) ولم يقل –رحمه الله–: "ما زال وصفاته"؛ لأنه لو قال: "ما زال وصفاته" فالعطف بالواو قد يشعر بالمغايرة بين الله وبين صفاته والأمر ليس كذلك، فالله –سبحانه وتعالى– إذا قلنا الله فالمراد به هذه الذات الموصوفة بالصفات والأفعال اللائقة به –سبحانه وتعالى–، هذا المعنى الذي قرره الطحاوي أشار له من قبل الإمام المبجل أحمد بن حنبل –رحمه الله– عندما كان يقول: «كان الله بصفاته»، الإمام أحمد يقول: «كان الله بصفاته» يقول: «ولا نقل: كان الله وصفاته»؛ لأن العطف بالواو قد يشعر أو قد يوهم بالمغايرة بين الله أو بين ذات الله –سبحانه وتعالى– وبين صفاته.

هذه العبارة التي استمعنا إليها في وصف الله –سبحانه وتعالى– (ما زال الله بصفاته قديمًا قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئًا لم يكن قبلهم من صفاته، وكما كان بصفاته أزليًا كذلك لا يزال عليها أبديً) المقصود من هذا

التقرير: أن الله -سبحانه وتعالى- موصوف بصفات الكمال، سواء صفات الذات أو صفات الأفعال منذ الأزل، فهو موصوف بالكمال منذ الأزل، فلا يظن ظان أن الله -سبحانه وتعالى- حدث له وصف وكان من قبل معطلًا عن هذا الوصف أبدًا، فالله -سبحانه وتعالى- موصوف بالكمال منذ الأزل، ومراد الطحاوي -رحمه الله- من هذا التقرير أن يبين لنا ولكم أن الله -سبحانه وتعالى- موصوف بالكمال منذ الأزل، سواءً بصفات الذات أو بصفات الأفعال، ولا يرد -انتبهوا- ولا يرد على هذا ما يتعلق بصفات الأفعال؛ لأنه سبق وأن مر بنا أن أفعال الله -سبحانه وتعالى- أنها قديمة النوع حادثة الآحاد، فهو -سبحانه وتعالى- موصوف بالكمال منذ الأزل كما بينًا ذلك مثلاً في مسألة الكلام الإلهي، هو موصوف بالكلام منذ الأزل، أما أفراد كلامه فهو متعلق بمشيئته واختياره، أي نعم.

يقول: هل يجوز أن نقول: غدًا نأتي عندكم بمشيئة الله أو بإرادة الله أو أن هذه الزيارة التي قمت بها إليك جاءت بمشيئة الله؟ هل تجوز هذه العبارة؟.

عندما نقول: إن شاء الله فيكون هذا فيما يستقبل، يعني مثلاً سأزورك غدًا إن شاء الله هذا هو المشروع أن نقول، لكن في شيء في الماضي، هذا الذي يفهم من تقريرات لابن تيمية مثلاً تقول: زرنا فلان بالأمس بمشيئة الله، لكن إذا جاء إن شاء الله فهذا فيما يستقبل، فالقصد أنه إذا كان شيء فيما يستقبل فيقال: إن شاء الله، يقول: سأزورك غدًا إن شاء الله، شيء وقع يقول: والله أنا ذهبت إلى فلان بالأمس بمشيئة الله، فهذا شيء وقع فلا إشكال تقول: بمشيئة الله، لكن ما يأتي شخص ويتحذلق ويقول: زرنا فلان بالأمس إن شاء الله، لا هذا ليس كذلك، وهذا قد يقع فيه أحيانًا بعض الناس يقول عن شيء قد وقع ومضى أو شيء متحقق ومشاهد يقول: هذا كذا إن شاء الله، مثلاً يقول: هذه طاولة إن شاء الله، هذا لغو هي طاولة أمامنا نراها بأعيننا، فإنما يقال إن شاء الله فيما يستقبل والله أعلم.

يقول: هل الجميل من أسماء الله أو صفاته؟ وهل يجوز أن يسمى أحد بعبد الجميل؟.

والله هو ورد في الحديث عنه -عليه الصلاة والسلام-: (إن الله جميل يحب الجمال) هذا الذي ورد، لكن هل يتعبد به ما عندي جواب في هذا، هل يعني يتعبد ويسمي نفسه عبد الجميل؟ لا أدري!!

تقول: أحب أن أسأل عن اسم الله الأعظم؟.

يعني اسم الله الأعظم فيه كلام طويل لأهل العلم منهم من يرى أن اسم الله الأعظم كما مر بنا في هذا الكتاب أن اسم الله الأعظم هو "الحي القيوم" بناء على حديث أبي أمامة الذي ورد: أن اسم الله الأعظم هو في هذه السور الثلاث: البقرة، وآل عمران، وطه، فالعلماء قالوا: أن الاسم الذي ذُكر في هذه السور الثلاث البقرة وآل عمران وطه هو "الحي القيوم" وبعضهم يقول: أن "الحي القيوم" هو اسم الله الأعظم، ومنهم من يقول: أن كل اسم من أسماء الله هو يعد اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى، والكلام في المسألة طويل، والله أعلم بالقول الراجح في هذه المسألة، لكن هذه من أشهر الأقوال التي قيلت في هذه المسألة والله أعلم.

يقول: الإرادة الكونية القدرية والإرادة الشرعية الدينية إرادتان تجتمعان في حق من؟ وتتفرقان في حق من؟.

يعني نحن قلنا: أنهما تجتمع الإرادة الكونية والشرعية في حق العبادة التي نؤديها، فالعبادة التي نؤديها تجتمع فيها الإرادتان، وقد تفترقان، يعني مثلاً شخص ما صلى العصر لم يؤدي صلاة العصر فكون فلان ما صلى العصر لم يؤدي صلاة العصر فهذا بإرادة الله الكونية أليس كذلك؟ بمشيئته، لكن هل الله -سبحانه وتعالى- يحب ذلك؟ لا يريده شرعًا ولا دينًا، واضح؟ وقد تجتمع الإرادتان، أو قد يتحقق أحدهما دون الآخر.

عندي هنا في المسألة التي تحدثنا عنها قبل قليل وهي مسألة: أزلية صفات الله، قلنا: إن مقصود الطحاوي أن يقرر لنا ولكم أن الله -سبحانه وتعالى- موصوف بصفات الكمال منذ الأزل، وأن مراده في ذلك الرد على من زعم أن الله -تعالى- حدثت له صفات، وهذه الصفات كان معطلاً عنها قبل، فهذه ينبغي أن يكون واضحًا جليًا، أن المراد هنا أن الله -سبحانه وتعالى- موصوف بالكمال منذ الأزل، وأن صفات الأفعال لا توهم أنه كان معطل عنها كما يظن البعض أبدًا، وإنما هو موصوف بالكمال منذ الأزل، لكن أفراد أفعاله متعلق بمشيئته واختياره، ودائمًا نحن نؤكد على مسألة الكلام لله؛ لأنها فعلاً من المسائل التي وقع فيها الخوض، وكما قال العلماء: مسألة الكلام حيرت الأنام، فنحن نذكر مسألة الكلام من باب التوضيح، قلنا لكم: الله -سبحانه وتعالى- موصوف بالكلام منذ الأزل، هو يتكلم متى شاء -سبحانه وتعالى-، فإذا تكلم -سبحانه وتعالى- لا يعني أنه كان معطل عن الكلام ثم تكلم، ومن باب التمثيل ومن باب التقريب -ولله المثل الأعلى- مثل أنت الآن أنتم أيها الإخوة الذين تشاهدون أنت الآن تنصت إلي، أنتم أيها الطلاب، فإذا تكلمت لا يقول أحد أنك كنت أخرس ثم صرت متكلمًا، وإنما كنت متكلمًا بالقوة ثم صرت متكلمًا بالفعل الآن، فهذا المقصود من هذا الكلام والله أعلم.

أسئلة الحلقة.

السؤال الأول: هل القديم من أسماء الله الحسنى؟ مع التعليل؟

السؤال الثاني: ما قياس الأولى في باب صفات الله -سبحانه وتعالى-؟

الدرس الرابع

قوله: «ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- أما بعد:

كنتم قد طرحتم سؤالين في نهاية الحلقة الماضية فإن أردتم أن نستعرض بعض الأجوبة:

كان السؤال الأول يقول: هل القديم من أسماء الله الحسنى؟ مع التعليل؟

أجابت الأخت الكريمة بقولها: إن القديم ليس من أسماء الله الحسنى، بل ما ثبت في الكتاب والسنة قول الله تعالى: ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ ﴾ [الحديد: ٣] وقال -صلى الله عليه وسلم-: (اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء) والمتكلمون أدخلوا في أسماء الله -تعالى- القديم فقد أنكر هذا كثير من السلف والخلف.

الإجابة صحيحة ووافية.

بالنسبة للسؤال الثاني: السؤال يقول: ما قياس الأولى في باب صفات الله تعالى؟

قياس الأولى هو أن كل صفة كمال للإنسان ليس فيها نقص بوجه من الوجوه فالله أولى بها، وكل صفة نقص تنزه عنها الإنسان فالله أولى بأن يتنزه عنه.

أحسنت نعم، مثل ما سمعنا إجابة الأخ: كل صفة كمال مطلق أو نقول: كل صفة كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه وصف بها المخلوق فالله تعالى أحق وأولى بها، وكل صفة نقص تنزه عنها المخلوق فالله -سبحانه وتعالى- أحق وأولى بالتنزه عنها، أحسنت.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري، له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق، وكما أنه محيي الموتى بعدما أحيا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

كنا في آخر الدرس الماضي كان الحديث عن قول الإمام أبي جعفر الطحاوي -رحمه الله- لما قال: (ما زال الله بصفاته قديمًا قبل خلقه) وعرفنا من خلال هذه العبارة أن الله -عز وجل- موصوف بصفات الكمال منذ الأزل، سواء كانت صفات الذات أو صفات الأفعال، هذه العبارات التي سمعناها من أخينا هي امتداد للتقرير السابق، والذي يهمنا في هذا المقام أن نؤكد على أمرين مهمين من خلال تلك العبارة:

الأمر الأول: أن الله -سبحانه وتعالى- ما زال موصوفًا بصفات الكمال، ما زال فاعلًا، ما زال خالقًا، ما زال رازقًا -سبحانه وتعالى- وعندما نقرر أن الله -سبحانه وتعالى- موصوف بصفات الكمال سواء كانت صفات الذات أو صفات الأفعال، فعندما نقرر ذلك ففي هذا رد على المتكلمين، ماذا قال المتكلمون؟ المتكلمون زعموا أن الله -عز وجل- كان معطلاً عن الفعل والخلق حتى خلق وفعل، فزعموا أن الله -عز وجل- كان ممتنعًا عن الفعل ثم انتقل ذلك من الامتناع إلى الإمكان، يعني كان الفعل والخلق ممتنعًا عليه ثم صار ممكنًا، فنحن أهل

السنة لما نقول: إن الله -تعالى- ما زال فاعلًا، ما زال خالقًا -سبحانه وتعالى- ففي هذا رد على هؤلاء الذين زعموا أن الله -تعالى- معطل عن الفعل حتى فعله.

والدليل على أنه -سبحانه وتعالى- ما زال فاعلًا خالقًا: ما جاء في مثل قوله تعالى: ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج: ١٥، ١٦]، فهو -سبحانه وتعالى- ما زال خالقًا فاعلًا صانعًا رازقًا -سبحانه وتعالى-.

الأمر الآخر: أيضًا عندما نقرر هذا الأمر، نقرر في نفس الوقت أن كل مخلوق من أفراد المخلوقات له أول وآخر، وله بداية وله نهاية، فعندما نقرر أن كل ما عدا الله -سبحانه وتعالى- فهو مخلوق محدث كل ما سواه مخلوق محدث ففي هذا: رد على الفلاسفة القائلين بقدم العالم:

- فالفلاسفة الذين تأثروا بفلسفة "أرسطو" الفيلسوف اليوناني المعروف هؤلاء قالوا مقالة شنيعة وهي أنهم زعموا أن العالم قديم كقدم الله، تعالى الله عما يقول الكافرون والظالمون علوًا كبيرًا، قولهم: بأن العالم قديم كقدم الله، هذه فيها من الزندقة، وفيها من التنقص لله تعالى ما فيها، من ذلك أنهم إذا جعلوا العالم قديم كقدم الله عطلوا الله -سبحانه وتعالى- عن الخلق، عطلوا الله -سبحانه وتعالى- عن الفعل عندما يزعمون أن العالم ملازم لله تعالى أزلًا وأبدًا.

- أنهم قالوا مقالة شنيعة من خلال تلك المقولة وهي أنهم زعموا أن العالم تولد عن الله، تولد المعلول عن العلة، وكونهم يقولون: إن العالم تولد عن الله، هذه المقالة أشنع من مقالة المشركين الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله، وأشنع من مقالة النصارى الذين قالوا: إن المسيح ابن الله، وأشنع مما قالت اليهود الذين قالوا: إن عزيرًا ابن الله، فالفلاسفة قالوا: ما هو أشنع جعلوا هذا العالم كله متولد عن الله -سبحانه وتعالى-، والله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [الإخلاص: ٣]، إضافة إلى أن مقالة الفلاسفة بقدم العالم تردها العقول الصحيحة والفطر السليمة.

المقصود أننا من خلال هذا التقرير عندما يقول الطحاوي: (له معنى الربوبية ولا مربوب) فالمقصود من هذه العبارات المعنى الصحيح لها، أن نفهم جيدًا أن الله -سبحانه وتعالى- موصوف بصفات الكمال منذ الأزل، ومن ذلك أنه ما زال فاعلًا صانعًا يفعل الشيء بعد شيء وذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: ١٠٧] وبهذا نرد على المتكلمين الذين زعموا أن الله -تعالى- كان معطلًا عن الفعل حتى فعله، وأنه انتقل من الامتناع الذاتي إلى الإمكان الذاتي، وإذا قلنا: إن كل ما عدا الله فهو مخلوق، وأن كل مخلوق من المخلوقات -أنا وأنت وسائر المخلوقات- ما من مخلوق إلا وله بداية وله نهاية، وله أول وله آخر، بهذا نرد على الفلاسفة القائلين بقدم العالم، هذا ما يمكن أن يقال في هذه العبارة والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (ذلك بأنه على كل شيء قدير، وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

لا يزال الإمام الطحاوي -رحمه الله- يذكر شيئًا من صفات الله -سبحانه وتعالى- وشيئًا من أسمائه اللائقة به -عز وجل-، يقول -رحمه الله-: (ذلك بأنه على كل شيء قدير) وهذا أمر ظاهر فالله -سبحانه وتعالى- على كل شيء قدير، قال -عز وجل-: ﴿ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢٧]، وهو -سبحانه وتعالى- كما مر بنا في درس سابق: لا يعجزه شيء لا في الأرض ولا في السماء -سبحانه وتعالى-.

هذا المعنى العظيم والمعنى البدهي الذي لا يخفى على كل مسلم ومسلمة أن الله -تعالى- على كل شيء قدير، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، هذا المعنى البدهي الذي يعرفه كل مسلم ومسلمة، ينبغي أن

يكون ظاهرًا في حياتنا، وكما مر بنا في الأمس قضية التعبد بأسماء الله وصفاته، واستصحاب هذه الأسماء وهذه الصفات في حياتنا العملية وفي سلوكنا، هذا أمر مهم، وكان نبينا –صلى الله عليه وآله وسلم– يربي الصحابة على ذلك.

ومن المناسب أن نشير إلى حديث أبي مسعود البدري –رضي الله عنه– إذ يقول: (كنت أضرب غلامًا لي، فسمعت صوتًا يقول: اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود، فلم يتبين) يقول أبو مسعود يقول: (فلم يتبين لي الصوت من شدة الغضب، فلما دنا إذا هو رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فقال: ألقيت السوط ثم قال –عليه الصلاة والسلام–: اعلم أبا مسعود اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام) فعندما سمع أبو مسعود هذه الكلمة العظيمة عندئذ قال: (يا رسول الله والله لا أضرب غلامًا بعده) وفي رواية أيضًا عند مسلم، قال أبو مسعود –رضي الله عنه– قال: (هو حر لوجه الله) ثم قال –عليه الصلاة والسلام–: (لو لم تفعل لمستك النار) هذا أمر أيها المشاهدون، أيتها المشاهدات، أيها الإخوة الكرام الذين معنا هذا أمر ينبغي أن يكون حاضرًا عندنا، فالإنسان لا ينفك عن الجهل والظلم، وإذا الإنسان سولت له نفسه أن يظلم الآخرين في أعراضهم أو في أموالهم أو شيء من ذلك فعليه أن يوقن ويستصحب وأن يستحضر أن الله –تعالى– فوق كل شيء، وأنه –سبحانه وتعالى– قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء –سبحانه وتعالى–.

بعدها قال الإمام الطحاوي –رحمه الله–: (وكل شيء إليه فقير) نعم كل شيء إليه فقير، فهو –سبحانه وتعالى– من أسماءه الغني، ومن صفاته صفة الغنى، والغنى وصف ذاتي لله –سبحانه وتعالى– كما أن الفقر وصف ذاتي لنا نحن معشر البشر، فنحن لا ننفك عن الفقر والاحتياج، والله –سبحانه وتعالى– صفة الغنى صفة ذاتية ملازمة له –سبحانه وتعالى–، يقول الله –عز وجل–: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥] الكل فقير إلى الله، المؤمن والكافر، والبر والفاجر، لكن هذا الفقر كما بين ابن القيم –رحمه الله– في "طريق الهجرتين" في مقدمة كتابه "طريق الهجرتين" بين أن هذا الفقر على قسمين:

القسم الأول: فقر إلى ربوبيته، وهذا الفقر يشترك فيه المؤمن والكافر والبر والفاجر، فالكافر وكذا المؤمن كل هؤلاء فقراء إلى الماء الذي أنزله الله، وإلى الهواء الذي خلقه الله، وإلى الرزق الذي يسره الله –سبحانه وتعالى–.

القسم الآخر: وهو الفقر إلى عبادة الله وحده لا شريك له، الفقر إلى عبادة الله فهذا يختص بالمؤمنين يختص بالمؤمنين الذين أكرمهم الله –سبحانه وتعالى– بعبادته، فالفقر إلى عبادته هذا يختص بالمؤمنين، ولا شك أن في القلب من الفقر والحاجة ما لا يسده إلا عبادة الله –سبحانه وتعالى–، وأعظم الضرورات وأعظم الحاجات ألا وهي عبادة الله –سبحانه وتعالى–، ففي القلب فقر لا يسده إلا عبادة الله، وفي القلب شعث لا يلمه إلا التعلق بالله –سبحانه وتعالى– وحده لا شريك له، هذا ما يتعلق بمسألة (وكل شيء إليه فقير).

(وكل أمر عليه يسير) المعنى ظاهر فهو –سبحانه وتعالى– كما قال عن نفسه –عز وجل–: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢].

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] هذه الآية التي جاء بها المؤلف –رحمه الله– في مقام التضمين هذه الآية كثيرًا ما يحتج بها أهل السنة والجماعة وهي لا شك أنها آية وجيزة قررت مذهب أهل السنة وقررت وسطية أهل السنة في باب الصفات، فأهل السنة وسط في باب الصفات بين المعطلة النفاة وبين الممثلة المشبهة، فإذا قلنا ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ في هذا رد على أهل التمثيل الذين مثلوا الله –تعالى– بخلقه، وإذا قلنا ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ في هذا رد على أهل التعطيل والنفي الذين نفوا أسماءه أو صفاته أو شيء من ذلك.

يبقى بإيجاز ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ الكلام عنها من جهة الإعراب، سبق الإشارة إلى شيء من ذلك في أول درس، والذي يهمنا الحديث عن الكاف هنا والذي يظهر على أرجح الأقوال: أن الكاف هنا صلة للتأكيد، فنحن عندما نقول صلة أو يقول البعض أنها زائدة فالمقصود إذا قلنا أنها زائدة من جهة الإعراب، وإلا ليس في القرآن زائد بمعنى أنه شيء لا معنى له، فهي صلة أو البعض يقول زائدة من جهة الإعراب، لكن هذا الحرف الذي هو الكاف يدل على التأكيد والله أعلم.

قال -رحمه الله تعالى-: (خلق الخلق بعلمه).

هنا في قول الإمام الطحاوي -رحمه الله-: (خلق الخلق بعلمه) -سبحانه وتعالى- في قوله: (خلق الخلق بعلمه) أولاً: نشير إلى معنى الخلق:

الخلق له معنيان:

الأول: الإيجاد والإبداع.

والثاني: التقدير.

والله -سبحانه وتعالى- له هذا الوصف وذاك، فهو -سبحانه وتعالى- هو الذي أوجد الخلائق من العدم، مثل ما قال تعالى في شأن زكريا: ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ [مريم: ٩] وقال -عز وجل-: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان: ١] فالخلق هو الإيجاد هذا المعنى الأول.

والمعنى الثاني: التقدير، الله -سبحانه وتعالى- قدر الأمور وما يقدره -عز وجل- يقع وينفذ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

الخلق بمعنى التقدير قد يوصف به المخلوق، فالمخلوق يقدر يعني أنت تقدر أنك مثلاً ستذهب أو ستسافر أو تفعل كذا، لكن ليس كل ما تقدره يقع، قد تقدر أنك تسافر ولا يتيسر لك الأمر، تقدر أنك تُحصل شيئًا أو تترك شيئًا ولا يتحقق ذلك، أما الله -عز وجل- فما يقدره يقع ويتحقق وفي قوله تعالى: ﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤] كما بين بعض علماء أهل السنة أن قوله تعالى: ﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ أي المقدرين، لكن الخلق الذي هو معنى الإيجاد هذا يختص بالله -سبحانه وتعالى-، إذن انتهينا من الكلام عن معنى الخلق.

بعدها قال -رحمه الله-: (خلق الخلق بعلمه) ففي هذا حديث عن صفة العلم له -سبحانه وتعالى-، ولا يخفى أن الله -سبحانه وتعالى- موصوف بصفة العلم، وهو -عز وجل- يعلم ما كان أي في الماضي، وما يكون في الحاضر، وما سيكون في المستقبل، بل إنه -عز وجل- يعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ [الأنعام: ٢٨] وهنا في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ لا شك أن عود الكفار إلى الحياة الدنيا بعد أن يبعثهم الله هذا ممتنع، لكن ممتنع لماذا؟ لأن الله -تعالى- لم يشأه، وليس لأن الله -تعالى- عاجز عن ذلك تعالى الله عن ذلك، لكنه -سبحانه وتعالى- اقتضت حكمته أن الخلائق إذا بعثوا أنهم لا يعودون إلى حياتهم الدنيا السابقة، المقصود أنه -سبحانه وتعالى- يعلم ما كان وما يكون وما سيكون ويعلم -عز وجل- ما لم يكن لو كان كيف يكون.

قال -عز وجل- في وصف نفسه: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ [الأنعام: ٧٣] وقال تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]، وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

فهذا الوصف العظيم أنه -سبحانه وتعالى- بكل شيء عليم، يعلم السر وأخفى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، هذه الصفة ينبغي أن يكون لها أثر في حياتنا؛ ولهذا نجد أن القرآن الكريم عندما يتحدث عن هذه الصفة يتحدث عن شيء من لوازمها، فقد تأتي هذه الصفة يأتي تقريرها في مقام التهديد والوعيد، أرأيتم إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾ [فصلت: ٤٠] هنا في قوله تعالى: ﴿ لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾ فيها ماذا؟ فيها تهديد لهؤلاء الذين يلحدون في آيات الله، لما قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ﴾ [النور: ٦٣] فهذا العلم يترتب عليه الجزاء والعقاب.

وقد يكون الأمر العكس، قد يكون في تقرير هذا العلم التسلية: مثل ما قال تعالى مسليًا نبيه الكريم -صلى الله عليه وسلم-: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣].

المقصود أن تكون هذه الصفات أن تكون سبب في تحريك قلوبنا من جهة الخوف من الله -سبحانه وتعالى- من جهة ومن جهة الرجاء وحسن الظن به -عز وجل-.

لعلي أيضًا أشير في هذا المقام كما سبق أن مر بنا إلى الذين أنكروا صفة العلم؛ لأن تلحظون في عبارات الإمام الطحاوي هو يقرر، وهذا التقرير يجمع بين أمرين:

- أن يقرر عقيدة أهل السنة من جهة.

- ويرد على المخالفين من جهة.

سبق أن مر بنا مثلاً في الدرس الماضي لما قال الطحاوي: (ولا يكون إلا ما يريد) عرفنا مذهب أهل السنة في الإرادة الكونية والإرادة الشرعية وقلنا كما قال الشارح: في هذا رد على القدرية النفاة، أيضًا هنا لما قال: (خلق الخلق بعلمه) في هذا رد على جملة من الطوائف:

- الطائفة الأولى: الفلاسفة، الفلاسفة زعموا أن الله -تعالى- لا يعلم الجزئيات، وإنما يعلم الكليات، على حد زعم هؤلاء الفلاسفة الذين تنقصوا الله -سبحانه وتعالى- هم يزعمون مثلاً ونحن في هذا الدرس أن الله -تعالى- لا يعلم حالنا تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، هم يقولون: الله -تعالى- يعلم الكليات، لكنه لا يعلم الجزئيات، هو في الواقع والمحصلة والنتيجة أن الله لا يعلم شيئًا، لم؟ لأن الكليات تتركب من الجزئيات، فالمقصود في هذا رد على الفلاسفة الذين يقولون: إن الله -تعالى- لا يعلم الجزئيات ولا تفاصيل أحوال الخلق.

- الطائفة الثانية: القدرية الغلاة، الذين هم القدرية الأوائل هؤلاء أنكروا العلم، أنكروا علم الله، وزعموا أن الأمر أنف، ما معنى الأمر أنف؟ يعني أن الأمر مستأنف، وليس ثمة علم سابق، هؤلاء القدرية الغلاة الذين أنكروا علم الله -تعالى- وزعموا أن الله -تعالى- لا يعلم بالأشياء إلا بعد وقوعها، هؤلاء كفرهم الأئمة الكبار: كالإمام الشافعي -رحمه الله- لما قال: «ناظروا القدرية بالعلم فإن أنكروه كفروا؛ وإن أقروا به خصموا».

- الطائفة الثالثة: الروافض، الروافض عندهم عقيدة اسمها عقيدة البداء،

والبداء له معنيان:

- إما الظهور بعد الخفاء.

- وإما نشأة رأي جديد.

إذا قلنا بالمعنى الأول الذي هو البداء الظهور بعد الخفاء: فهذا جاء في مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

وإذا جاء بمعنى نشأة الرأي الجديد: فهذا جاء في سورة يوسف على لسان إخوة يوسف قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ ﴾ [يوسف: ٣٥].

وعلى كلٍ سواء قيل: أن البداء هو الظهور بعد الخفاء أو قيل: إن البداء هو نشأة علم جديد، لا شك أن هذا عندما يوصف الله -تعالى- بالبداء بهذا المعنى أو ذاك لا شك أن هذا تنقص لله -سبحانه وتعالى- ومعناه أنه كان مسبوقًا بالجهل وأن علمه ليس قديمًا أزليًا.

يقول: بالنسبة للقدرية الغلاة أنت قلت: كفرهم بعض أهل العلم فما أدري بعض القدرية ليسوا بغلاة هل هم حكمهم؟.

هو لعله يأتي -إن شاء الله- تفصيل في هذا -إن شاء الله- في موضوع القدر، لكن ممكن نجيب بإيجاز يعني لما نقول هناك قدرية غلاة، نعم هناك قدرية ليسوا غلاة، وهم الذين يسموهم العلماء مقتصدة القدرية، فالقدرية الغلاة هم الذين ينكرون العلم والكتابة من المعلوم وسيأتي -إن شاء الله- في وقته -إن شاء الله- أن مراتب القدر أربع مراتب أليس كذلك؟ العلم والكتابة والمشيئة والخلق، فالقدرية الغلاة من أمثال "معبد الجهني" ومن سلك سبيله، هؤلاء ينكرون العلم وينكرون سائر المراتب، فهؤلاء لا شك في كفرهم، وهذا واضح من خلال مواقف الصحابة مثل: ابن عمر -رضي الله عنهما- ابن عباس -رضي الله عنهما- جابر بن عبد الله هؤلاء الصحابة كلهم أدركوا مقالة القدرية الغلاة.

القدرية الذين ليسوا غلاةً أو يسميهم البعض: مقتصدة القدرية، فهؤلاء يثبتون العلم والكتابة وينكرون المشيئة والخلق، هؤلاء للعلماء في تكفيرهم نزاع والله أعلم بالقول الراجح في تكفيرهم، أما الغلاة فتكفيرهم ظاهر بين. اتضح لنا الآن هؤلاء الذين أنكروا صفة العلم.

يقول: ذكرتم في الدرس السابق أن هناك صفات نقص بالنسبة للمخلوق ليست بصفات نقص بالنسبة للباري -جل وعلا- على غير أنه وقع لي إشكال: هل هناك ضابط في هذه المسألة؟ فكيف نعرف أن هذه الصفة نقص بالنسبة للمخلوق وكمال بالنسبة لله -جل وعلا-؟.

يعني هو لا شك أن الأسماء والصفات توقيفية، عندما نتحدث مثلاً عن صفة الكبرياء، صفة الجبروت يعني هذه الصفات ثبت في الكتاب والسنة أن الله -تعالى- موصوف بها، ففي الكتاب كما جاء أن من أسماءه -سبحانه وتعالى-: الجبار المتكبر، فهي كمال؛ لأن الله -تعالى- سمى نفسه بذلك، ووصف نفسه بذلك، لكن الكبر في حق المخلوق مذموم؛ لأن الحديث في هذا بيِّن في ذمه، قال -عليه الصلاة والسلام-: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) والخلاصة أن مرد ذلك إلى التوقيف، إلى ما جاء به الكتاب والسنة.

أما صفة النقص ما كان صفة نقص فيجب نفيه عن الله -سبحانه وتعالى-، سواءً جاء النص عليه باسمه كمثلاً العجز، أو لم يأتي، يعني مثلاً عندنا صفات نعلم أنها صفات نقص يجب أن تنفى عن الله، وإن لم يأتي نفيها بأسمائها الخاصة مثل صفة الحزن أو البكاء هذه يجب أن ننفيها عن الله، ولو لم يأتي نص ينفي هذا الاسم على سبيل الخصوص وموجب النفي أن الحزن والبكاء يُنفى عن الله -سبحانه وتعالى- لأنه ينافي قيوميته وينافي غناه وينافي قدرته -سبحانه وتعالى-.

قبل أن نواصل كان عندنا مسألة مهمة نحب أن نشير إليها وهي مسألة: الدليل العقلي حتى يتبين لمن يشاهد ويحضر معنا أن أهل السنة استعملوا العقل في هذا الباب، فسمعنا شيئًا من النصوص تثبت العلم لله -سبحانه وتعالى- عندنا دليل عقلي أو عندنا جملة من الأدلة العقلية، نقتصر على واحد منها:

فلما نقول: ما الدليل العقلي على صفة العلم لله -سبحانه وتعالى-؟

فنقول كما ذكر أهل العلم: الإيجاد الذي هو الخلق، الإيجاد مستلزم للإرادة، وهو -سبحانه وتعالى- لما أوجد لا شك أن هذا يستلزم أنه ماذا؟ أراد ذلك ولا ما أراده؟ أراده، الإيجاد مستلزم للإرادة، ثم نقول: والإرادة تستلزم العلم، إذن النتيجة الإيجاد يستلزم العلم.

فعندنا مقدمتان:

الإيجاد يستلزم الإرادة.

والإرادة تستلزم العلم.

إذن النتيجة:

الإيجاد يستلزم العلم، وهذا ما جاء في سورة تبارك: ﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

يمكن أيضًا أن نستعمل قياس الأولى: فإذا قلنا: إن المخلوق إذا كان يتصف بصفة العلم فخالقه والذي أوجده أن يوصف بصفة العلم من باب أولى وأحق.

هذا الدليل العقلي ذكره الشارح وأيضًا شيخ الإسلام -رحمه الله- تحدث عنه- في "شرح العقيدة الأصفهانية" في أولها في صفحة أربعة وعشرين- فلو رجعنا إلى "شرح العقيدة الأصفهانية" شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمة الله عليه- ذكر أكثر من دليل في هذه المسألة.

يقول: يا فضيلة الشيخ: أنتم حينما ذكرتم الدليل العقلي عبرتم بلفظ الإيجاد، ولم تعبروا بلفظ الخلق فهل هناك فرق بين اللفظين؟.

لا..، قلنا نحن في البداية إن الإيجاد أخص أليس كذلك؟ لأن الخلق إما الإيجاد وإما التقدير؛ وإلا قلنا: إن الشخص كل مخلوق يقدر الأمور، لكن الإيجاد هذا يختص بمن؟ يختص بالله -سبحانه وتعالى-.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (وقدر لهم أقدارًا).

هنا (قدر لهم أقدارً) لا تستوقفنا كثيرًا؛ لأن المسألة واضحة، والله تعالى قال: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩]، وفي حديث جبريل المشهور قال -عليه الصلاة والسلام- وجاء فيه: (أن تؤمن بالقدر خيره وشره)، وأيضًا جاء في حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: (إن الله كتب المقادير قبل أن يخلق السماء والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء).

قال -رحمه الله تعالى-: (وضرب لهم آجال).

هنا في قوله -رحمه الله-: (وضرب لهم آجال) يعني هذه الجملة أقرب ما تكون من باب عطف الخاص على العام، ولا من باب عطف العام على الخاص؟ قال: (وقدر لهم أقدارًا وضرب لهم آجال) ما الذي يظهر؟ أنه من باب عطف الخاص على العام، فلا شك أن الآجال من جملة المقادير التي تقدرها الله -سبحانه وتعالى-.

(وضرب لهم آجال) وهذا أمر واضح وبين ومحكم قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤]، وذكر الشارح عندكم حديث الذي أخرجه مسلم وهو: أن أم حبيبة أم المؤمنين -رضي الله عنها- زوج النبي -عليه الصلاة والسلام- قالت: (اللهم أمتعني بزوجي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية فقال -عليه الصلاة والسلام-: لقد سألت الله -تعالى-: لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة.. إلى أن قال -عليه الصلاة والسلام-: ولو سألت الله -تعالى- أن يُعيذكِ من عذاب القبر وعذاب جهنم لكان خيرًا وأفضل) أو كما قال -عليه الصلاة والسلام-، المقصود أن هذه الآجال قد فرغ منها ولن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، ولا شك أن العبد إذا استصحب هذا المعنى عندئذ يوقن بأن الأمر لله -سبحانه وتعالى- ويقضي على ما تعاني منه البشرية الآن وما قد يقع فيه جملة من المسلمين من قضية الجزع من المصائب، فلن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها.

إذا تقرر ذلك: ففي هذا رد على طائفة خالفت في ذلك من الطوائف من أهل الأهواء والبدع: وهم القدرية.

فالقدرية خالفوا ذلك، فالقدرية يقولون: إن المقتول -الشخص الذي مات قتلًا- هذا المقتول يقولون: إن القاتل قطع أجله، وهذا كلام فاسد، فهذا المقتول إنما مات بأجله، فسواء كان هذا الميت مات بالقتل أو بالمرض أو بغير ذلك، مثل ما يقولون: تعددت الأسباب والموت واحد، فالمقصود أن في هذا رد على طائفة القدرية الذين يزعمون أن القاتل قطع أجل المقتول، نقول: أبدًا، فلان هذا الذي مات بالقتل هذا أجله، وكونه مات بأجله لا يعني أننا لا نطالب مثلاً بالقصاص أو نطالب بالدية فالجهة منفكة، هذا أمر نثبته من جهة القدر ونطالب بالقصاص من جهة الشرع.

يقول: هل هناك فرق بين الأجل وبين العمر؟.

والله ما أعرف شيء في هذا، يعني الذي أعرفه أنه الأجل بمعنى العمر، يعني لما نأتي حديث ابن مسعود المشهور والذي جاء فيه: لما قال -عليه الصلاة والسلام-: يمر على هذه النطفة أربعة أشهر قال: فيكتب رزقه وأجله وشقي أم سعيد، فالذي يظهر أن الأجل بمعنى العمر والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (لم يخفى عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم).

يعني هذا الكلام أيضًا هو تقرير لما سبق لما قال هنا: (لم يخفى عليه شيء قبل أن يخلقهم) هذا تقرير وتأكيد لمسألة العلم الإلهي، وأن الله -تعالى- يعلم ما كان وما يكون وما سيكون وفي هذا رد على الطوائف الثلاثة التي مرت بنا الفلاسفة والقدرية الغلاة والروافض.

يقول: قلت يا شيخ: كل ما سوى الله مخلوق، وهل القرآن أيضًا مخلوق كما يزعم بعض الناس؟.

جزمًا أن القرآن كلام الله -عز وجل-، القرآن كلام الله، وإذا قلنا هو كلام الله فالكلام صفة من صفاته، والصفة تتبع الموصوف أي نعم، فإذا كان الله -سبحانه وتعالى- ليس مخلوقًا -عز وجل- فكذا صفاته، فالقرآن كلام الله، ومما يدل على أن كلام الله الذي هو القرآن وسائر الكتب المنزلة مما يدل على أن كلام الله غير مخلوق ما جاء في مثل قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾

[الكهف: ١٠٩]، فلو كان مخلوقًا فالمخلوق له نهاية، ومما يدل على أن كلام الله غير مخلوق ما جاء في حديث خولة بنت حكيم في قوله –عليه الصلاة والسلام–: (من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك) واستدل الإمام أحمد بهذا الحديث على أن كلام الله غير مخلوق، وجه ذلك: أنه لا يستعاذ بمخلوق، فدل ذلك على أن كلامه غير مخلوق والله أعلم.

يقول: الآية الكريمة التي وردت في سورة إبراهيم: ﴿ يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [إبراهيم: ٣٩] هل يعني ذلك أن الآجال تتغير من دعاء أو من كثرة صلاة أو غير ذلك؟ أم أنها ثابتة؟.

مسألة أن الآجال تتغير فهي مسألة فيها حصل فيها نزاع والذي ذكره الشارح ابن أبي العز –رحمة الله عليه– أن الدعاء ليس له تأثير في زيادة العمر أو نقصانه، مستدلًا بحديث أم حبيبة؛ لأن في حديث أم حبيبة أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: (لقد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة)، فاستدل ابن أبي العز على أن الدعاء ليس له تأثير في زيادة العمر أو نقصانه.

لكن من أهل العلم من يخالف في ذلك ويقولون: أن للدعاء أثر في زيادة العمر ونقصانه، ويحتجون بجملة أدلة منها أنه –عليه الصلاة والسلام– دعا لأنس بن مالك بطول العمر وكثرة الذرية وقد تحقق ذلك، لأنس –رضي الله عنه–، وجاءت في ذلك آثار كثيرة أن بعض السلف ربما دعا على أقوام فحصل بسبب هذا الدعاء الهلاك والموت، ولعل ما ذكره ابن مفلح –رحمه الله– أن هذا هو الراجح، فابن مفلح –رحمه الله– فيما أذكر أنه يرى أن الدعاء له تأثير في زيادة العمر ونقصانه وأن حديث أم حبيبة فقال عنه ابن مفلح –رحمه الله–: أن هذا الحديث أنه –عليه الصلاة والسلام– لم ينه أم حبيبة أو لم يخطئ أم حبيبة في دعائها وإنما أرشدها إلى الأفضل، الأفضل أن تستعيذ من عذاب جهنم ومن عذاب القبر. هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

أما آية ﴿ يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾ فالعلماء لهم فيها كلام طويل خلاصته:

– أن من أهل العلم من يرى أن ما في اللوح المحفوظ يعتريه المحو والإثبات.

– ومنهم من يقول: لا... اللوح المحفوظ لا يعتريه محو ولا إثبات.

وهما قولان لأهل السنة ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته).

يعني هذا التقرير نستطيع أن نقول لما يقول: (وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته) في هذا تقرير لما جاء في مثل النصوص الشرعية في مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧]، مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥]، فهذا تأكيد على الالتزام بالشرع، فعل المأمورات وترك المنهيات، وفي هذا رد على الجبرية الذين يعطلون الشرع، وإذا كان الكلام السابق رد على القدرية النفاة ففي هذا الكلام رد على الجبرية؛ لأن الجبرية الذين يقولون: إن الإنسان مجبور على فعله هؤلاء يعطلون الشرع، فأهل السنة يثبتون القدر ويثبتون الشرع، نثبت القدر ونلتزم بالشرع، قال تعالى: ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤] الخلق الذي هو متعلق بالتقدير والمقادير، والأمر الذي هو ما يتعلق بالمأمورات التي هي الشرائع سواءً كان ذلك أمرًا أو نهيًا.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن).

وهذا أمر سبق أن مر والمؤلف يؤكد عليه، أن (ما شاء الله كان ولم يشأ لم يكن) قال -عز وجل-: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَّشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩]، قال -عز وجل-: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ [السجدة: ١٣]، فيجب أن تعلم أن الذي شاءه الله حتمًا سيتحقق، وإن لم يشأ ذلك الناس، وما لم يشأه -سبحانه وتعالى- ولم يقدره فهذا لا يقع ولو شاء الناس خلافه، فمشيئة الله -تعالى- تنفذ لا مشيئة للعباد إلا ما شاءه الله - سبحانه وتعالى- وقدره.

قال -رحمه الله تعالى-: (يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلًا، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلً).

هنا لما يقول -رحمه الله-: (يهدي من يشاء) نعم هو -سبحانه وتعالى- يهدي من يشاء، فهداية التوفيق هي بيده -سبحانه وتعالى- قال -عز وجل-: ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: ٥٦]، وفي هذا التقرير رد على القدرية الذين ينفون هداية التوفيق، ونحب أن نفيد الذين يشاهدونا ويستمعون إلينا أن الهداية على أربعة أقسام كما بين ذلك ابن القيم -رحمه الله- في "شفاء العليل":

- القسم الأول: هداية عامة. وهي هداية كل مخلوق لما يصلح حاله وشأنه، هذه هداية لكل مخلوق، الإنس والجن والحيوانات وهي الهداية المذكورة في مثل قوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ [الأعلى: ١- ٣]، فهذه هداية كل مخلوق لما يصلح حاله وشأنه.

- القسم الثاني: هداية الدلالة والإرشاد. وهذا مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢]، هداية الدلالة والإرشاد هذه يقوم بها الرسل عليهم السلام وأتباعهم.

- القسم الثالث: وهي التي أشار لها الطحاوي في عبارته: (يهدي من يشاء) هي هداية التوفيق والقبول فتحويل القلوب من الكفر إلى الإيمان فهذا بيد الله -سبحانه وتعالى-، قال -عز وجل-: ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص: ٥٦].

- القسم الرابع: الهداية إلى طريق الجنة أو إلى طريق النار -أعاذنا الله منها- في يوم القيامة، جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري أن أهل الجنة: (أن أحدهم أهدى بمنزله في الجنة من منزله في الدني).

نعم تذكرت الآية الكريمة الهداية طريق الجنة، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٤، ٥]، وقالوا هذه الهداية هي الهداية التي تكون في اليوم الآخر.

وأما الهداية إلى طريق النار فهي مذكورة في قوله تعالى: ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٢٢، ٢٣] أعاذنا الله من ذلك.

هذه هي أقسام الهداية، والذي يهمنا هنا هداية التوفيق والقبول التي هي من خصائص الله -سبحانه وتعالى- تختص بالله -سبحانه وتعالى- وهي التي أنكرها القدرية.

قال هنا الشارح -رحمه الله- قال: في هذا رد على المعتزلة قولهم: بوجوب فعل الأصلح للعبد على الله، مسألة فعل الأصلح على الله هذه مسألة نشير إلى مذهب أهل السنة فيها بإيجاز؛ لأن الشارح لم يتحدث عنها، نشير إليها كما ذكر ذلك شيخ الإسلام -رحمه الله- في "منهاج السنة النبوية" وخلاصة الكلام: أن بعثة الرسل - عليهم السلام- لا شك أن فيها مصلحة عامة، وفيها من الخير في العاجل والآجل ما لا حد له، لكن هذا الخير الذي يعم ويغلب لا يخلو أن بعض القوم يكفرون بهذا الرسول، فيدخلون جهنم بسبب هذا العصيان أو يقاتلون، فيقتلون فيكون ضررًا عليهم من هذه الجهة، لكن يبقى أن الخير عام، أيضًا كذلك لو أخذنا حتى في الأمور

الكونية الآن المطر لما ينزل فيه خير ولما فيه خير؟ فيه خير كثير، ومع ذلك هذا الخير لا ينفك عن أنه قد يحصل مثلاً شيء من الأذى بالنسبة للطرق أو بالنسبة للمساكن، لكن خيره ومصالحه وثمراته لا حد لها، فهذا الذي ينبغي أن يذكر في هذا المقام.

تقول: هل عندما نصلي صلاة الاستخارة هل معناها: تستلزم العلم من عند الله بما كتب في كتابه أن يقدر لنا الخير في الشيء المراد والاستخارة فيه؟.

والله هذا الذي يظهر؛ لأن الشخص يقول في الاستخارة يقول: اللهم إني أستخيرك بعلمك، أستخير طلب يقول: أستقدرك بقدرتك فإنك تعلم ولا أعلم، وتقدر ولا أقدر، هذا الذي يظهر والله أعلم.

يقول: كثير من الناس يقولون عند العزاء: لفظة "البقية في حياتك" فهل فيها شيء؟.

والله ما أدري عنها العبارة "البقية في حياتك" لكن إذا كان يفهم من كلمة "البقية في حياتك" أن الآجال يعني تنقص أو يزاد منها فنحن سبق أن مر بنا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ وأنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، وعلى كل ينبغي الأكمل أن يلتزم بالعبارات الشرعية، كأن يقال: أحسن الله عزاءكم، إن لله ما أخذ ولله ما أعطى، وكل شيء عنده إلى أجل مسمى، هذه العبارة الشرعية التي ينبغي أن نحرص عليها في العزاء.

يقول: لقد جرت كلمة على ألسنة كثير من الناس يدعون بها عندنا في المغرب وهي: "أسأل الله أن يطيل لك في العمر" وقد سئلت عن هذه الكلمة لعدة مرات لأنني خطيب جمعة فهل هذا الدعاء يجوز؟.

يعني هو مسألة الدعاء بطول العمر فيها نزاع بين أهل العلم: وكان الإمام أحمد يكره ذلك، الإمام أحمد بن حنبل يكره ذلك، ويقول: هذا أمر قد فُرِغَ منه، لكن جاءت آثار عن السلف وبعض الأدلة التي يستأنس بها على أنه يجوز ذلك يمكن يستأنس بما سمعنا أن النبي -عليه الصلاة والسلام- دعا لأنس؛ لكن على كلٍ طول العمر مطلقًا لا يترتب عليه مدح ولا ذم، وإنما لو دعا شخص لشخص وقال: "اللهم أطل عمره في طاعتك" ونحو ذلك لكان حسنًا، أما طول العمر في حد ذاته فليس في ذلك ما يوجب المدح أو أن يكون قربة، فبعض الناس ربما إذا طال عمره زاد شقاؤه بكثرة معاصيه، فلعل الأليق أن يقال عندما يدعى بطول العمر يقيد بهذه، يقال: "أطال الله عمرك في طاعته".

يقول: هل ثبت هذا الدعاء عن السلف: "اللهم إن كنت كتبتني شقيًا فامحني واكتبني سعيدًا"؟.

أنا الذي أعرفه أن هذا جاء عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وأذكر أن ابن كثير -رحمه الله- ذكر ذلك في تفسير الآية الكريمة ﴿ يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾ وأن ابن عمر كان يقول: "اللهم إن كنت كتبتني شقيًا فامحني واكتبني سعيدًا" ويتأول الآية الكريمة: ﴿ يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾ فهذا الدعاء جاء عن عمر -رضي الله عنه- والله أعلم.

أسئلة الحلقة القادمة.

السؤال الأول: ما معنى الخلق؟ المقصود ما معنى الخلق في قول الطحاوي: (خلق الخلق بعلمه)؟

السؤال الثاني: من أنكر صفة العلم لله -سبحانه وتعالى-؟

والله أعلم.

الدرس الخامس

من قوله: (وكلهم يتقلبون في مشيئته)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– أما بعد:

فضيلة الشيخ إن أذنتم لنا في طرح إجابات أسئلة الدرس الماضي:

طرحتم في الحلقة الماضية سؤالين اثنين:

السؤال الأول: ما معنى الخلق في قول المؤلف: (خلق الخلق بعلمه)؟

يقول: معنى الخلق في قول المؤلف الإيجاد والإبداع، والمعنى الثاني: التقدير.

الإجابة صحيحة.

كما أجابت الأخت الكريمة عن السؤال الثاني والذي هو: من أنكر صفة العلم؟ فتقول: أن الذين أنكروا صفة العلم هم عدد من الطوائف، الطائفة الأولى هم الفلاسفة الذين زعموا أن الله –تعالى– لا يعلم الكيفيات وإنما يعلم الكليات.

هم زعموا أن الله –تعالى– لا يعلم الجزئيات، لعلها قصدها الجزئيات، نعم.

الطائفة الثانية تقول: غلاة القدرية وهم الذين زعموا أن الأمر أُنُف فأنكروا العلم السابق لله تعالى.

والطائفة الثالثة: هم الرافضة، وهم الذين وصفوا الله –تعالى– بالبداء، وهو بمعنى الظهور بعد الخفاء.

نعم الإجابة صحيحة.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله، وهو متعالٍ عن الأضداد والأنداد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره، آمنا بذلك كله، وأيقنا أن كلاً من عنده).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

نبدأ في هذه العبارة التي ساقها الإمام أبو جعفر الطحاوي –رحمة الله عليه– في عقيدته المشهورة، قال –رحمه الله–: (وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله) أفعاله –عز وجل– هي عدل وفضل، وهو –سبحانه وتعالى– إذا وفق أهل الإيمان للإيمان وأدخلهم الجنة فهذا فضل محض منه –سبحانه وتعالى–؛ ولهذا لما ذكر الله –تعالى– النعيم لأهل الجنة قال –عز وجل–: ﴿ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾[النبأ: ٣٦]، وقال –صلى الله عليه وآله وسلم–: (لن يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل)، وأما الكفار فهؤلاء الذين استحقوا الكفر في الدنيا ويستحقون نار جهنم وبئس المصير –أعاذنا الله من ذلك– هذا عدل منه –سبحانه وتعالى– ولا يظلم ربك أحدًا؛ ولهذا قال الله –سبحانه وتعالى– لما ذكر عذاب الكفار قال: ﴿ جَزَاءً وِفَاقًا ﴾ [النبأ: ٢٦] فهو –سبحانه وتعالى– منزه عن الظلم، وأفعاله –عز وجل– كلها توجب

الحمد، فله الحمد في الأولى والآخرة، وهو -سبحانه وتعالى- أفعاله مبنية على رحمة وإحسان ومبنية على حكمة وتعليل فله الحمد في حال عدله وفي حال فضله -عز وجل-.

ولهذا هو -عز وجل- في أفعاله وفي تقديره منزه عن الشر -سبحانه وتعالى-، وقد جاء في بعض صيغ دعاء الاستفتاح، من المعلوم أن دعاء الاستفتاح في الصلاة له عدة صيغ: منها ما جاء عنه -عليه الصلاة والسلام- أنه كان يقول: (لبيك وسعديك والخير كله بيديك والشر ليس إليك) فقوله -عليه الصلاة والسلام-: (والشر ليس إليك) أي أنه -عز وجل- لا يخلق شرًا محضًا، وإنما أفعاله مبنية على الحكمة والتعليل، ومن أسمائه الحكيم، ومن صفاته الحكمة، والحكمة تقتضي أن يضع الأمور في مواضعها -سبحانه وتعالى-.

قول الطحاوي -رحمه الله-: (هو متعالٍ عن الأضداد والأنداد) نعم هو -سبحانه وتعالى- منزه عن الأضداد والأنداد فلا ند له في ربوبيته، ولا ند له -سبحانه وتعالى- في إلهيته، ولا ند له في أسمائه وصفاته، قال تعالى: ﴿ فَلاَ تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢]، ومعنى الآية: يعني لا تجعلوا لله أندادًا في العبادة وأنتم يا معشر مشركي العرب تعلمون أن الله لا ند له في الخلق والرزق والتدبير، وأيضًا هو -سبحانه وتعالى- لا ند له في عبادته؛ كما في قوله -عز وجل-: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] والمقصود أنه -سبحانه وتعالى- لا ند له، لا في خلقه ولا في رزقه وتدبيره، كما لا ند له في العبادة، وهو -سبحانه وتعالى- المستحق للعبادة وحده لا شريك له، كما أنه -سبحانه وتعالى- لا ند له في أسمائه وصفاته فله الكمال المطلق -عز وجل-.

أيضًا اتخاذ الأنداد قد يكون شركًا أكبر وقد يكون شركًا أصغر، فمن جعل لله ندًا في الخلق والرزق هذا شرك أكبر، وكذا أيضًا من جعل لله ندًا في العبادة، أي أنه صرف عبادة لغير الله كأن يذبح لغير الله، كأن يذبح للجن أو نحو ذلك، أو يستغيث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، هذا قد جعل مع الله ندًا في العبادة، وقد أشرك شركًا أكبر يوجب الخروج من الملة ويوجب الخلود في النار -أعاذنا الله من ذلك- وقد يكون اتخاذ الند شركًا أصغر: ومن ذلك ما جاء في الحديث: أن رجلًا قال لنبينا -صلى الله عليه وسلم-: ما شاء الله وشئت، فقال -عليه الصلاة والسلام-: (أجعلتني لله ندًا؟ قل ما شاء الله وحده)، فهذه العبارة التي أطلقها هذا الرجل وقال: (ما شاء الله وشئت) وعطف بالواو التي قد توهم المساواة هذه عبارة من الألفاظ الشركية التي ينبغي تجنبها وإنما يقول العبد: ما شاء الله وحده، أو يقول: ما شاء الله ثم شاء فلان، هذا ما يتعلق بقوله -رحمه الله-: (وهو متعالٍ عن الأضداد والأنداد).

هل هناك فرق بين الضد والند؟.

يعني هو بعضهم يفرق هنا كما نلحظ من كلام الشارح، يقول: إن الضد هو المخالف، والند هو المماثل، هكذا يقول البعض في التفريق، وبعضهم يقول: حتى الند، الند لما نقول: إنه هو المثل، فيقول المثل لا يكون إلا مخالفًا، مثل أن يقول: هؤلاء أنداد أو أقران وعلى كل سواء ثبت هذا الفرق أو لم يثبت فهو -سبحانه وتعالى- لا ند له ولا ضد له ولا عدل له، وهو -سبحانه وتعالى- الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد.

تبقى معنا العبارة قبل الأخيرة لما قال -رحمه الله-: (لا راد لقضائه) العبارة هذه (لا راد لقضائه، ولا غالب لأمره، ولا معقب لحكمه) هذه الجمل الثلاث كلها في تقرير أنه -سبحانه وتعالى- هو له الخلق وحده، وهو الخالق لا شريك له، لما قال هنا: (لا راد لقضائه) المراد بالقضاء هنا- أيها المشاهدون والمشاهدات - القضاء الكوني، فما قدره الله وقضاه كونًا وقدرًا فلا راد له، (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن)، والمراد منه بالقضاء هنا القضاء الكوني، أما القضاء الشرعي ما شرعه الله فأكثر أو كثير من الناس قد لا يلتزمون بشرع الله -سبحانه وتعالى-، أما ما قدره الله وشاءه فهذا نافذ لا محالة.

وكذا أيضًا (لا معقب لحكمه) أي: لا مؤخر لحكمه، والمراد بذلك الحكم الكوني القدري، (ولا غالب لأمره) فالمقصود من هذه العبارة هو تقرير أنه -سبحانه وتعالى- هو الخالق، وأنه -سبحانه وتعالى- هو المقدر وحده لا شريك له.

قال بعدها -رحمه الله- ختم هذا المقطع فقال: (آمنا بذلك كله، وأيقنا أن كلًا من عنده)، (فآمنا بذلك كله) المراد بذلك كله مما سبق تقريره من صفات الله -سبحانه وتعالى- وأفعاله، ثم قال: (وأيقنا أن كلًا من عنده) كلمة اليقين أصلها في اللغة كما بين الشارح -رحمه الله- مأخوذة من يقن الماء أي استقر، فكلمة اليقين فيها معنى الثبات والاستقرار والمقصود أن قوله: (أيقنا أن كلًا من عنده) أن كل كائن وكل مخلوق هو من عنده -سبحانه وتعالى- فهو الخالق المدبر.

وهنا نؤكد -أيها المستمعون وأيها المشاهدون والمشاهدات- على مسألة مهمة للغاية ألا وهي مسألة اليقين: الإمام الطحاوي -رحمه الله- أشار إلى هذه العبارة في هذا المقام، وسيأتي إشارة إليها في موضوع الكلام الإلهي، ويتكرر ذلك في عدة مواطن من هذه العقيدة النافعة، والمقصود أن العقائد مبنية على اليقين، ونحن في زمن كثرت فيه الشبهات وكثرت فيه الشكوك، لاسيما مع هذا الانفتاح الإعلامي والعالمي الذي عم وطم، فنؤكد ونخاطب أنفسنا ونخاطب طلابنا ومن يشاهدوا هذه الحلقة، على ضرورة تحقيق اليقين.

واليقين كما قال بعض العلماء: اليقين هو واردات ترد على النفوس تعجز عن ردها، فهذا اليقين ينبغي أن نتحلى به، ولا ينفع في العقائد الصحيحة إلا اليقين؛ ولهذا نجد أن من الكفر الذي يخرج من الملة: الكفر الذي يسميه أهل العلم: كفر الشك أو الظن، فلابد للمسلم وللمسلمة أن يتلقى هذه العقائد عن يقين، وعن رسوخ؛ ولهذا نجد مثلًا النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة)، لما يقول: (غير شاك) يعني لابد من اليقين، قبل هذا في كتاب الله قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ [الحجرات: ١٥] فلابد من اليقين، وكان من دعاء ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه كان يقول: (اللهم زدنا علمًا ويقينًا وفقهً).

واليقين يتحقق بعدة أمور لعلي أذكر ثلاثة منها ذكرها شيخ الإسلام في موطن:

الأول: تدبر القرآن.

والثاني: تدبر آيات الله في الآفاق وفي الأنفس. قال -عز وجل-: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣].

والثالث: العمل بما نعلم. إذا عملنا بما علمنا فإن ذلك يحقق اليقين.

من أين أخذ هذا؟ أخذ من قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء: ٦٦- ٦٨].

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (وإن محمدًا عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى).

الآن المؤلف -رحمه الله- ينتقل ويتحدث عن مسألة النبوات وما يتعلق بنبينا محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-، وموضوعات العقيدة كما أشرنا من قبل هي تدور على هذه الموضوعات الثلاث:

الأول: التوحيد.

والثاني: النبوات.

والثالث: ما يسمى: الغيبيات أو السمعيات. وهو ما يتعلق باليوم الآخر، وما يلحق به.

هنا في موضوع النبوة والرسالة نؤكد:

الأمر الأول: نؤكد ابتداًء أن الرسالة أنها ضرورية للبشر، وأن حاجة البشر للرسالة، أعظم من حاجتهم لكل شيء، ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم لما قررا كلامًا ما معناه: أن هذه الدنيا مظلمة إلا ما أشرقت عليه شمس الرسالة، والعبد كذلك، العبد في ظلمة ما لم يشرق على قلبه شمس الرسالة ونور الوحي؛ ولهذا الذي لا يرتبط بالوحي ولا يلتزم بما جاء به نبينا -عليه الصلاة والسلام- هو في ظلمة، وحكمه حكم الميت يعيش في ظلمات، وفي موت، أما من صار على طريق الرسل عليهم السلام، فهذا هو الذي وفق للنور ووفق للحياة الحقيقية، قال سبحانه: ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

الأمر الثاني: أن أعظم نعمة أنعم الله بها على هذه البشرية هي بعثة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، فلم ينعم الله -سبحانه وتعالى- نعمة أعظم ولا أجل ولا أفضل من بعثة هذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام.

الأمر الثالث: الذي نريد أن نشير إليه في عبارة الإمام الطحاوي لما قال: (وأن محمدًا عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، ورسوله المرتضى) هذه العبارة يقرر فيها الإمام الطحاوي أن النبوة اصطفاء، الله -تعالى- يصطفي يعني يختار فهو -سبحانه وتعالى- يختار ويصطفي ويجتبي وهو -سبحانه وتعالى- كما قال عن نفسه: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤] فالنبوة اصطفاء، وهذا جاء كثير في القرآن منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣] وجاء ذلك في آيات كثيرة، فالمقصود أن النبوة اصطفاء و اجتباء، إذا تقرر أن النبوة اصطفاء واجتباء بهذا؛ يأتي الرد على جملة من الزنادقة وهم الفلاسفة الذين زعموا أن النبوة اكتساب، الفلاسفة زعموا أن النبوة اكتساب مثل سائر الحرف يمكن للشخص أن يكتسبها إذا اجتمعت فيه شروط زعموها وأوردوها، فالنبوة ليست اكتسابًا وليست أيضًا تأتي بالمجاهدة والترويض كما زعمه بعض أيضًا زنادقة الصوفية الذين كان بعضهم ينتظر أن يوحى إليه، وهؤلاء إن جاءهم وحي فإنما هو وحي الشياطين، مثل ما قال ابن عباس -رضي الله عنهما- لما قيل له: إن المختار الثقفي يقول: إنه يوحى إليه، قال: صدق، إن الله -تعالى- يقول: ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ [الأنعام: ١٢١]، فقيل لابن عباس إن المختار -وليس مختارًا- المختار يزعم أنه يتنزل عليه، فقال: صدق، إن الله -تعالى- يقول: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الشعراء: ١٢١: ١٢٢].

الأمر الرابع: أيضًا عندنا مسألة مهمة نشير إليها وأطال فيها الشارح لكن نوجز الكلام فيها وهي: أن دلائل النبوة كثيرة جدًا، إثبات أن هذا نبي صادق، الدلائل على ذلك أكثر من أن تحصر، وهنا نحب أن ننبه على حقيقة مهمة وهو: أن الشيء كلما كان الناس أحوج إليه كلما كانت أسبابه وأدلته أكثر، سواء كان ذلك في الأمور الدينية أو حتى في الأمور الدنيوية، فلننظر إلى الأمور الدنيوية، لو جئنا إلى الأمور الدنيوية نجد أن حاجتنا إلى الهواء أعظم من حاجتنا إلى الشراب إلى الماء، وحاجتنا إلى الماء أعظم من حاجتنا إلى الطعام؛ ولهذا أيهم أكثر توفرًا الماء ولا الهواء ولا الطعام؟ جزمًا الهواء، نحن الآن في هذا المكان الهواء موجود عندنا ما يحتاج إلى أن أحد يأتي به، لكن حاجتنا إلى الماء أقل من حاجتنا إلى الهواء، وحاجتنا إلى الطعام أقل من حاجتنا إلى الماء وهكذا، المقصود أن من رحمة الله -سبحانه وتعالى- ومن حكمته أن الشيء كلما كانت الحاجة إليه أكثر كلما كانت أسبابه ووسائله أكثر في تهيئه، فكذلك النبوة تثبت بأدلة كثيرة، وليست بالمعجزات فقط كما ظنه المتكلمون، أهل

الكلام زعموا أن النبوة لا تثبت إلا بالمعجزة فقط، وهذا الحصر حصر فاسد، بل النبوة تثبت بالمعجزات وبغيرها، تثبت بالمعجزات تثبت بالنظر إلى ما يدعو إليه هذا النبي بالنظر إلى شخصه وسيرته، تثبت النبوة بالنظر في الكتب المنزلة بشارات الأنبياء السابقين، تثبت النبوة بما أحدثه الله –تعالى– على أيدي هؤلاء الأنبياء وما حصل في عهدهم من أن الله –تعالى– أنجاهم وأهلك أعداءهم، يعني عندك غرق فرعون، عندك مثلًا هلاك قوم ثمود هذه كلها أحداث متواترة تعرفها يعني جميع الأمم أو جل الأمم، فالمقصود أن أدلة النبوة كثيرة، لا نحصرها في قضية المعجزات؛ ولهذا قال العلماء: النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين، أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بذاك إلا على أجهل الجاهلين، يعني النبوة إما أن يدعيها أصدق الصادقين مثل نبينا محمد –عليه الصلاة والسلام– أو أكذب الكاذبين مثل مسيلمة الكذاب، ما يمكن أحد يلتبس عليه أمر هذا النبي الكريم محمد –عليه الصلاة والسلام– بمثل هذا الأفَّاك الذي هو مسيلمة الكذاب ومن شابهه في هذا الباب، هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

تقول: هل يجوز أن نقول: أن الدعاء يرد القدر؟.

نعم، مر بنا هذا أنه ورد في الحديث: (لا يرد القدر إلا الدعاء) فالذي يظهر أن الدعاء يرد القدر، وجاءت آثار أن الدعاء والبلاء يعتلجان بين السماء والأرض، وجاء في الحديث الآخر قوله –عليه الصلاة والسلام–: (ما من مسلم يدعو الله بغير إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله إحدى ثلاث) وذكر منها –عليه الصلاة والسلام–: (وإما أن يدفع عنه بلاًء) فالمقصود أن الدعاء يرد القدر، وكونه يرد القدر لا يعني أنه ليس مكتوبًا، بل هذا وذاك مكتوب، مكتوب أن فلان يدعو الله –تعالى– وأن هذا الدعاء يكون سببًا في رد بلاء أو مصيبة قد قدرت عليه، والله أعلم.

يسأل عن الفرق بين الدليل والبرهان والمعجزة؟ هل هناك فرق بينهم؟.

الدليل والبرهان والمعجزة، والله نحن الذي نحب أن نؤكد عليه قبل سؤال أخينا: أن التسمية القرآنية للمعجزات إنما هي آيات، وبراهين وبينات، وهذا الذي حرره شيخ الإسلام –رحمه الله– ابن تيمية في الجواب الصحيح، فنحن نسميها آيات الأنبياء، أو نسميها البينات، أو البراهين قال تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا ﴾ [القمر: ٢]، وقال تعالى: ﴿ فِي تِسْعِ آيَاتٍ ﴾ [النمل: ١٢] آيات موسى، قال تعالى: ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ ﴾ [القصص: ٣٢]، فالمقصود أن التسمية القرآنية وهي التي ينبغي أن نلتزم بها أن تسمى آيات وبراهين وبينات، أما تسمية المعجزات فهذا عرف عند المتكلمين، وعلى كلٍ لا مشاحة في الاصطلاح، لكن الالتزام بالعبارات الشرعية الدينية أتم وأكمل.

يقول الفرق بين الدليل والبرهان والمعجزة؟

يعني هنا قلنا البرهان هو المعجزة، يعني في موضوعنا سواء قلنا براهين أو قلنا معجزات كذلك، لكن إذا كان الكلام عن دلائل النبوة، إذا كنا نتكلم عن دلائل النبوة، لا شك أن دلائل النبوة أعم من الآيات؛ لأن دلائل النبوة كثيرة: منها آيات الأنبياء أو معجزات الأنبياء، ومنها النظر إلى ما يدعو إليه هذا النبي، كون النبي –عليه الصلاة والسلام– وسائر الأنبياء يدعون إلى التوحيد، إلى صلة الأرحام وينهون عن الفواحش في الظلم، هذا كله أمور يعني تقبلها الفطر السليمة، والعقول الصحيحة، النظر إلى سيرته –عليه الصلاة والسلام– قبل نبوته تبين أنه ليس نبيًا كاذبًا –عليه الصلاة والسلام–؛ ولهذا لما قال لخديجة أم المؤمنين: (إني خشيت على نفسي) لما عرض له جبريل في غار حراء، قالت أم المؤمنين خديجة: (كــــلا والله لا يخزيك الله أبدًا إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق) والمقصود أن من كانت هذه صفاته فإن حكمة الله –سبحانه وتعالى– تأبى أن يخزي من يكون موصوفًا بهذه الصفات عليه أفضل الصلاة والسلام.

يقول: بالنسبة للفرق بين النبي والرسول وهل يكون كل نبي رسول، وكل رسول نبي؟.

هذه المسائل من المسائل التي يتحدث عنها العلماء كثيرًا، ولعلنا نوجز الكلام فيها، ونقول: أن الفرق ثابت، نبدأ بالمقدمة هذه، أن الفرق ثابت بين النبي والرسول، خلافًا لمن ادعى الترادف، فنقول:

الفرق ثابت سواء لو جئت إليه من جهة اللغة، فالنبوة إما مأخوذة من الإنباء أو الإخبار أو مأخوذة من النبوة وهو ما ارتفع من الأرض، والإرسال معناه في اللغة واضح، سواء قلنا هو التوجيه أو البعث، فالمقصود أن الفرق في اللغة ثابت، وأيضًا الآيات دلت على ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ ﴾ [الحج: ٥٢] والعطف يقتضي المغايرة، وأيضًا هذا جاء في حديث البراء في الدعاء الذي يُقال عند النوم، والذي جاء فيه أنه –عليه الصلاة والسلام– عَلَّمَ البراء الدعاء وجاء فيه أنه قال: (وبنبيك الذي أرسلت) فقال البراء: (فجعلت أستذكرهن وأقول: (برسولك الذي أرسلت) فقال –عليه الصلاة والسلام–: (لا.., وبنبيك الذي أرسلت) فهذا دليل آخر.

الدليل الثالث: حديث أبي ذر الطويل وإن كان فيه كلام لكن من أهل العلم من يثبته حديث أبي ذر في عدد الأنبياء والرسل وأنه –عليه الصلاة والسلام– أخبر أن عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي، وأن عدد الرسل من ذلك ثلاثمائة وبضعة عشر، الذي عرف في الفرق المشهور الذي ذكره ابن كثير ونقله الشارح أن النبي هو من أوحي إليه بوحي ولم يؤمر بالتبليغ، وأن الرسل من أوحي إليه بوحي وأمر بالتبليغ، لكن من أهل العلم من تعقب ذلك، ويفهم من كلام شيخ الإسلام أنه يرد هذا الكلام.

وخلاصة الكلام في هذه المسألة ولعله أقرب الأقوال في الفرق بين النبي والرسول: أن النبي والرسول كلاهما يبلغ، ويدل على ذلك حديث أنه –عليه الصلاة والسلام– لما رأى الأمم قال: (عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط) فكون النبي معه الرهط ومعه الرجل والرجلان معناه أنه بلغ أليس كذلك؟! فذاك استجاب له رهط وذاك استجاب له واحد أو اثنين، وهناك من لم يستجب له، فالذي يظهر –والله أعلم– أن الأنبياء يُبلغون، والنبي –عليه الصلاة والسلام– قال: (العلماء ورثة الأنبياء) وإذا كان العلماء يبلغون فلا شك أن الأنبياء يبلغون من باب أولى.

المقصود أن الجميع يبلغ، والفرق أن الرسول يبعث إلى قومٍ مخالفين، هذا هو الفرق، فنقول مثلًا موسى –عليه السلام– رسول؛ لأنه بعث إلى قوم مخالفين، إلى قوم كفار، كذا نوح وهكذا، هذا الذي يقال في الفرق بينهما والله أعلم.

يقول: هل يحدث المعجزات على يد أولياء الله كما نسمع من بعض الناس؟.

يعني معجزة تحدث لولي؟

تخرق العادة مثلً.

يعني ما يمكن، هو لا شك أن أولًا نحن لا نريد أن نشغل أنفسنا بالفرق بين كرامات الأولياء وبين آيات الأنبياء أو معجزات الأنبياء، والسبب في هذا –أيها الإخوة–: أن كرامات الأولياء نعتبرها من معجزات الأنبياء، يعني هذا الولي هذا الرجل الصالح ما حصلت له الكرامة إلا بسبب اتباعه للرسول، أما أن يظن أن الأولياء الصالحين يحصل لهم أمر معجز أو خارق للعادة مثل ما يحصل للنبي فليس الأمر كذلك، نعم هم يحصل لهم أمر خارق للعادة، لكن خرق العادة الذي يقع لهم دون خرق العادة الذي يحصل للأنبياء، هذا الذي يمكن أن يقال في التفريق بينهما.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (وأنه خاتم الأنبياء).

هنا مسألة (وأنه خاتم الأنبياء) –عليه الصلاة والسلام–، ختم النبوة جاء مقررًا بالكتاب والسنة والإجماع:

أما الكتاب: فعندنا الآية الكريمة، قال –عز وجل–: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقرأ الجمهور بكسر التاء ﴿ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ ﴾ فهو –عليه الصلاة والسلام– هو خاتم الأنبياء أي به ختمت النبوة فلا نبي بعده –صلى الله عليه وآله وسلم–.

وأما الأحاديث: فالأحاديث في هذا متواترة عن رسول الله –عليه الصلاة والسلام– منها ما جاء في الحديث: (وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي) فهو –عليه الصلاة والسلام– هو خاتم الأنبياء ببعثته انقطعت النبوة وختم الوحي فلا نبي بعده –عليه الصلاة والسلام–، هذا أمر ينبغي أن يكون واضحًا لا نزاع فيه، ومع هذا كله مع أن هذا الأمر قد فُرغ منه من خلال الأدلة الواضحة من القرآن سواءً الأدلة الصريحة بأنه –عليه الصلاة والسلام– خاتم الأنبياء أو أن هذه الرسالة ناسخة فلا حاجة إلى رسول بعده –عليه الصلاة والسلام– أو أن هذه الرسالة عامة أو أن الأحاديث المتواترة أو إجماع الأمة ومع هذا وجد في هذه البشرية من يدعي النبوة، لكن من رحمة الله بالبشر أن الذين يدعون النبوة سرعان ما يهلكهم الله –سبحانه وتعالى–، بدءًا لو جئنا مثلًا بمسيلمة الكذاب إلى رشاد خليفة –أحد المتنبئين المعاصرين– نجد أن هؤلاء لا يمكثون طويلًا، سرعان ما تحل بهم العقوبات والمثولات، لماذا؟ لأن أدعياء النبوة يحصل على أيديهم من التضليل والتلبيس وحكمة الله –تعالى– تأبى أن يمكن لهؤلاء المتنبئين الكذابين، وانظر في تاريخ أدعياء النبوة ما أكثرهم– لا كثرهم الله– لكن سرعان ما تحل بهم العقوبات والمثلات.

وفي هذا المقام أذكر قصة طريفة ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في شرح العقيدة الأصفهانية وهي: أن أحد ملوك النصارى كان عنده مجموعة من الرجال النصارى ومن القساوسة، فقام رجل نصراني من هؤلاء فطعن في نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم–، تطاول هذا النصراني الأفاك وسب النبي –عليه الصلاة والسلام– في حضرة هذا الملك النصراني، هذا الملك النصراني سأل القساوسة الآخرين، وسألهم عن المتنبئ الكذاب كم يمكث؟ فقال هؤلاء –وعندهم علم بالكتاب– فقالوا: المتنبئ الكذاب لا يمكث طويلًا، لا يعيش كثيرًا، فعندئذ هذا الملك النصراني حرك عقله وقال: هذا دين محمد –عليه الصلاة والسلام– له مئات السنين ومع ذلك حصل لهذا الدين التمكين والانتشار والقبول مما عم البشر، فعرف الملك النصراني أن هذا الرجل الذي تطاول على النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه رجل كذاب، وأنه أفاك ثم أمر بضرب عنقه، فالملك النصراني أمر بضرب عنق هذا الرجل؛ لأنه عرف أن طعنه في النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه كذب وإفك، فالمقصود أن رحمة وحكمته تأبى أن يمكن للمتنبئين الكذابين فلله الحمد والمنة.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (قوله: وإمام الأتقياء).

نعم هو –صلى الله عليه وسلم– هو (إمام الأتقياء) يعني هو الذي يؤتم به –عليه الصلاة والسلام– ويقتدى به وهو قدوتنا جميعًا عليه أفضل الصلاة والسلام قال –عز وجل–: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١] أيضًا يمكن أن نفسر هذه العبارة ونبينها كما جاء ذلك في حديث أبي بن كعب أقرأ عليكم، قال –عليه الصلاة والسلام–: (إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم ولا فخر) أخرجه الترمذي وحسنه، وأخرجه أيضًا الإمام أحمد، هنا نص –عليه الصلاة والسلام– قال: (إمام النبيين) فهو إذا كان إمام النبيين فهو إمام سائر المتقين.

قال –رحمه الله تعالى–: (وحبيب رب العالمين).

لا هو قبلها (سيد المرسلين) أليس كذلك؟ نعم هو (سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين) –عليه الصلاة والسلام–، هنا (سيد المرسلين) نعم هو سيدنا –صلى الله عليه وسلم–، جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم أنه –

عليه الصلاة والسلام- قال: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة) فهو -عليه الصلاة والسلام- هو سيد البشر.

هنا عرض العلماء مسألة التفضيل بين الأنبياء وكونه -عليه الصلاة والسلام- في حديث آخر قال: (لا تفضلوني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور) فوقع إشكال في هذا أنه -عليه الصلاة والسلام- قال: (لا تفضلوني على موسى) وهنا قال -عليه الصلاة والسلام-: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) والعلماء جمعوا بينهما بعدة أجوبة من أظهرها أن يقال: إن التفضيل المنهي عنه في حديث (لا تفضلوني) التفضيل المنهي عنه إذا كان على سبيل الحمية والعصبية، فإذا كان التفضيل ليس على سبيل الحمية والعصبية وهوى النفس فلا إشكال في ذلك، أو بعبارة أخرى كما يقول بعض العلماء: إذا كان في التفضيل انتقاص للمفضول فيمنع، أما إذا كان هذا التفضيل ليس فيه انتقاص في حق المفضول فلا إشكال فيه كما دل عليه حديث (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) أو ما جاء في الآية الكريمة قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾[البقرة: ٢٥٣].

العبارة التي قرأها أخونا وهي عبارة: (وحبيب رب العالمين) هنا هذه العبارة يعني نبه العلماء على جملة من الملحوظات عليها كان الأليق والأدق أن يقال في حقه -عليه الصلاة والسلام- أن يقال: هو خليل رب العالمين، وموجب ذلك ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أن هذا الذي ثبت في الحديث عنه -عليه الصلاة والسلام- أنه هو خليل الرحمن، وجاء ذلك في حديث أخرجه مسلم قال -عليه الصلاة والسلام-: (إن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا)، وفي حديث آخر أخرجه مسلم قال -عليه الصلاة والسلام-: (لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن صاحبكم خليل الرحمن) يعني نفسه -عليه الصلاة والسلام-، فالمقصود أن الذي ثبت في الحديث أنه -عليه الصلاة والسلام- هو خليل الرحمن -عليه الصلاة والسلام-، وأما ما جاء أنه حبيب رب العالمين، نعم هذا ورد لكن كما بين أهل العلم أن ذلك لم يثبت عنه -عليه الصلاة والسلام-، جاء في الحديث: (أن العباس يحشر بين حبيب وخليل)، أو الحديث الآخر: (ألا إن إبراهيم هو خليل الرحمن، وأنا حبيب رب العالمين) لكن هذه الأحاديث لا تثبت، وإن الذي ثبت في صحيح مسلم وغيره ما سمعناه.

الأمر الثاني: أن الخلة أخص وأعلى، فالحب مراتب وأعلاها مرتبة الخلة، فالخلة هي أعلى مراتب المحبة وفيها اختصاص، فيها تخصيص؛ ولهذا الله -سبحانه وتعالى- لم يختص بالخلة إلا إبراهيم -عليه السلام- ونبينا محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-، فلم تحصل إلا لهذين النبيين الكريمين -عليهما وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام- فالخلة أخص أما المحبة فلا، ليس فيها ذاك الاختصاص والانفراد فالله -سبحانه وتعالى- يحب المتقين، ويحب الصابرين فينبغي التعبير بالعبارة الشرعية، وهذا أبلغ في تعظيم النبي -عليه الصلاة والسلام-، وأدق في الالتزام بالعبارات الشرعية الدينية.

يقول: هل هناك مراتب لمحبة الله -تعالى- لعباده الصالحين؟ هل محبة الله لعباده لها مراتب معينة؟.

لا شك الله -سبحانه وتعالى- كما قال عن نفسه -سبحانه وتعالى- ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة: ٥٤]، فالله -سبحانه وتعالى- عندما يحب أهل الإيمان فهذه المحبة متفاوتة، فمحبة الله -سبحانه وتعالى- لنبيه -عليه الصلاة والسلام- ليست لسائر الأنبياء ومحبته للأنبياء ليست للأولياء ومحبته للأولياء الصالحين المتبعين ليست كمحبته مثلًا لعصاة الموحدين، فالمقصود أنه -سبحانه وتعالى- إذا أحب المؤمنين فالمحبة هذه تتفاضل وتتفاوت على حسب حال الشخص وعلى حسب منزلته عند الله -سبحانه وتعالى-. هذا الذي يمكن أن يقال في هذه المسألة.

يقول: بالنسبة للإجابة السابقة قلت: إنه لا تلازم بين النبي والرسول، ألا يمكن نقول: كل رسول نبي وليس كل نبي رسول؟

السؤال الثاني: الآن فيه فرق يعترون ما هم مسلمون قد ما أدري بهائية ما هو الرد العلمي لهم؟ يدعون أن هناك نبي؟.

المسألة واضحة وبينة، أنه لا شك أن عرفنا أن لاشك أن الرسول أخص، وبناء على هذا نقول: كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولًا، وهذا واضح لما جئنا إلى حديث أبي ذر والذي حسنه بعض أهل العلم أن عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرين ألف، وعدد الرسل ثلاثمائة وبضعة عشر، فلا شك أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولًا.

أما قضية القديانية والذين ادعوا النبوة يعني هذا لا شك أن هذه طوائف منسلخة عن الدين، هذه طوائف لا يعدوه، وإن عدوا أنفسهم مسلمين فقد أجمع علماء أهل السنة بل علماء أهل القبلة على أن هؤلاء خارجون عن الملة، يعني خاصة القديانية الذين يدعون أن هذا الأحمق السقيم غلام مرزا أحمد يدعوا أنه نبي، على كل القديانية هي من صنائع الإنجليز، والذي يقرأ سيرة غلام مرزا أحمد القدياني يعني هو يشرع أمام رجل أقرب ما يكون للجنون والبله فهو رجل من أذناب وأذيال المستعمر البريطاني الذي استعمر جملة من بلاد المسلمين في وقت من الأوقات، وهو مذهب كاسد، مذهبهم كاسد لولا أنه يدعم من تلك الدوائر الغربية والله المستعان.

يقول: بالنسبة لمن سب الله -سبحانه وتعالى- أو سب الرسول -عليه الصلاة والسلام- الحكم على هذا الساب، هل حكم واحد أم يختلف؟.

يعني هو -نسأل الله العافية- الذين سبوا الله -سبحانه وتعالى- أو سبوا النبي -عليه الصلاة والسلام- هذا وذاك كلاهما ردة وخروج عن الملة، وهذه من أعظم الكفر، هذه ردة يسميها العلماء ردة مغلظة، يعني ليست ردة مجردة، يعني هذه ردة مغلظة يعني هي مع الكفر فيها محاربة لله ولرسوله -عليه الصلاة والسلام-؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾[الأحزاب: ٥٧]، كون هؤلاء مطرودين من رحمة الله في الدنيا والآخرة دل ذلك على أنهم كفار خارجون عن الملة، لما قال تعالى: ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٧] والعلماء كشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمة الله عليه- يقول: لم يجئ إعداد العذاب المهين إلا في حق الكفار، العذاب الذي فيه إهانة وفيه خزي وتبكيس لا يكون إلا في حق الكفار، فهذا أمر ليس محل نزاع إلا أن الذين يسبون الله -سبحانه وتعالى- من جهة الفرق أن الذي يسب الله -تعالى- يستتاب، من سب الله -تعالى- فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قُتل، هذا الحكم الشرعي.

أما في حال سب النبي -عليه الصلاة والسلام- فإن الذي يسب النبي -صلى الله عليه وسلم- يقتل بلا استتابة، وموجب التفريق لا يتوهم متوهم أن حق النبي -صلى الله عليه وسلم- أعظم من حق الله أبدًا، ولكن؛ لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- عندما يُساءُ إليه بسب أو شتم عليه أفضل الصلاة والسلام، أن هذا السب تلحقه المعرة ويلحقه الأذى، أما الله -سبحانه وتعالى- فلا يسبه الناس، فكما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا ﴾ [آل عمران: ١٧٦]، فلهذا الذين يسبون النبي -عليه الصلاة والسلام- الحكم الشرعي لمن هو صاحب حكم وصاحب ولاية شرعية الحكم في هؤلاء الذين يسبون النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يقتلوا بلا استتابة، يعني لو قال: أنا تبت فلا تقبل توبته في ظاهر الأمر، وإن كان صادقًا فهذا بينه وبين الله -سبحانه وتعالى- وإنما يقتل بلا استتابة؛ لأن أعظم مقاصد الشريعة حفظ الدين، وحفظ الدين لا يتأتى إلا بالحفاظ على عرضه -عليه الصلاة والسلام- والذب عنه، وعلى كل يجب أن يعلم الجميع أنه إذا غُيِّبَ شرع الله في كثير من الأمصار -ولا حول ولا قوة إلا بالله- ألا فليعلم الجميع أن التطاول على النبي -عليه الصلاة والسلام- والإساءة إليه وانتقاصه إذا غُيِّبَ حكم الله -كما هو واقع في كثير من بلاد المسلمين- وللأسف إلا أن هؤلاء لا يسلمون من عقوبة الله، ولا يسلمون من

المثلات، فتجد هؤلاء الذين ينتقصون النبي -عليه الصلاة والسلام- سرعان ما تلحقهم العقوبات، وهذا مصداق السورة التي نحفظها كلنا، يحفظها أهل الإسلام قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر] دائمًا الذين يبغضون النبي -عليه الصلاة والسلام- ويتطاولون عليه هم يحصل لهم البتر، لا يحصل لهم قبول، ولا يحصل لهم عز في الدين، ولا ثواب في الآخرة، والتاريخ حافل، التاريخ حافل بأنواع من العقوبات ذكرها ابن كثير -رحمه الله- وغير ابن كثير وفي الوقت المعاصر عندنا نماذج كلها تبين أن الذين يتطاولون على النبي -صلى الله عليه وسلم- سرعان ما تلحقهم العقوبة العاجلة والله المستعان.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (وكل دعوة نبوة بعده فغي وهوى، وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى وبالنور والضياء).

هنا قال -رحمه الله-: (وكل دعوة نبوة بعده فغي وهوى) يعني هذه كلمة رائعة وجميلة من الإمام الطحاوي -رحمه الله- فالذين يدعون النبوة يعني هذا مجرد هوى، مجرد شهوة ليس ثمة عنده شبهة أو عنده شيء من إثارة من علم ولو قل ودق، وإنما هو مجرد شهوات وغي، والغي والهوى معناه متقارب؛ لأن الغي هو اتباع الهوى، فليس مبني على شيء من الشبهة أو شيء من ذلك.

ثم قال -رحمه الله- في وصف نبينا -عليه الصلاة والسلام-: (وهو المبعوث إلى عامة الجن، وكافة الورى) نعم هو -صلى الله عليه وآله وسلم- هو مبعوث إلى الثقلين معًا، مبعوث إلى البشر جميعًا قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨] فنبينا -عليه الصلاة والسلام- بعث إلى الناس كافة، للعرب ولليهود وللنصارى ولسائر الأمم، كل الأمم الموجودة الآن على سطح الأرض مطالبة باتباع النبي -عليه الصلاة والسلام-، قال -عليه الصلاة والسلام-: (ما من أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني يسمع بي ثم لا يؤمن بي إلا أدخله الله النار) أخرجه مسلم، (ما من أحد من هذه الأمة) من أمة الدعوة، فكل الأمم مطالبة باتباع النبي -عليه الصلاة والسلام-، سواء كان يهودًا أو نصارى أو كانوا وثنيين أو غيرهم، فهو -عليه الصلاة والسلام- بعث إلى الثقلين، بعث إلى الإنس وبعث أيضًا إلى الجن.

أما أنه بعث إلى الجن فهذا واضح من خلال ما جاء في سورة الجن وسورة الأحقاف قال تعالى في سورة الأحقاف: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنْذِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، فنبينا -عليه الصلاة والسلام- بُعِثَ إلى هؤلاء وأولئك، ومن حماقات بعض النصارى أنهم يزعمون أن محمدًا -عليه الصلاة والسلام- هو رسول إلى العرب فقط، يقولون: هذا رسول للعرب وليس لنا أو لليهود، فيرد عليهم برد واضح وبين ورد مفحم نقول: أنتم إذا أقررتم واعترفتم بأنه نبي وأنه نبي صادق فهو -عليه الصلاة والسلام- ما دام أنه نبي صادق هو قد قال وجاءت الأحاديث وجاءت الآيات وصار أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة هو -عليه الصلاة والسلام- يقول: إنه بعث إليكم بعث إلى الناس كافة، فإذا أقررتم بأنه نبي وصدقتم بأنه نبي صادق -عليه الصلاة والسلام- فأقروا واعترفوا بأنه بعث إلى الناس كافة بما فيهم أنتم، وعلى كلٍ بعثته -عليه الصلاة والسلام- للناس كافة هذا أمر معلوم، أمر ضروري، أمر لا انفكاك عنه يعد، أمر معلوم من الدين بالضرورة، وهذا يوجب علينا نحن معشر المسلمين والمسلمات أن نسعى إلى تبليغ دين الله -سبحانه وتعالى- وأن على البشرية سواءً كانوا يهودًا أو نصارى أو غيرهم عليهم أن يلتزموا وأن يتبعوا وأن يدخلوا في هذا الدين الذي هو الدين الناسخ لجميع الأديان، ولن يقبل من أحد إلا أن يتبع النبي -عليه الصلاة والسلام-.

أسئلة الحلقة.

السؤال الأول: نقول هذه الجملة أولًا: "النبوة اصطفاء ودلائل النبوة كثيرة" هذه الجملة بعد ما كتبناها نقول في الجملة التالية "رد على مقالتين" اذكرهما واذكر أصحابهما؟ يعني اذكر ما يخالف ذلك. واذكر من هم أصحاب تلك المقالات المخالفة.

السؤال الثاني: أيهما أخص الخلة أم المحبة؟ مع التعليل؟

وبقيت العبارات التي معنا لعلنا سنمر بها -إن شاء الله- في الأسبوع القادم.

يقول: ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (لا تفضلوني على غيري من الأنبياء) ونحن نقول: "خير خلق الله وخير الأنبياء" فكيف نجمع بين ذلك؟.

يبدو أن الأخ ما انتبه إلى الكلام في المسألة، طبعًا الحديث الذي ورد سمعناه أنه قال -عليه الصلاة والسلام-: (لا تفضلوني على موسى) وجاءت له ألفاظ، والعلماء لهم عدة أوجه في الجمع، لكن قلنا الوجه الذي ذكره الشارح وغيره وهو أن التفضيل بين الأنبياء جائز ما لم يكن على سبيل الهوى والحمية والعصبية، فلا نقول إن محمدًا -صلى الله عليه وسلم- أفضل من عيسى أو نقول أفضل من الأنبياء، سائر الأنبياء، ما دام أن هذا التفضيل ليس على سبيل الهوى ولا على سبيل الحمية فهذا جائز ولا إشكال فيه.

المحاضرة السادسة

القرآن كلام الله عز وجل

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

الموضوع الذي سنتحدث عنه في هذا الدرس بإذن الله -سبحانه وتعالى- عن مسألة أن القرآن كلام الله، لكن بقي عندنا مسألتان في الدرس السابق:

الأولى: لما قال -رحمه الله- في شأن محمد -صلى الله عليه وسلم-: (وهو المبعوث إلى كافة الجن وعامة الورى بالهدى والحق والنور والضياء) نحب أن نشير إلى معنى الحق في هذه العبارة، فالحق -أيها المشاهدون والمشاهدات- الحق له معنيان:

الأول: الثابت الموجود.

الآخر: هو النافع المقصود.

فالحق يطلق على الثابت الموجود، كأن نقول مثلاً: عذاب القبر حق، يعني أنه ثابت وموجود، ونقول أيضًا: الحق يطلق على النافع المقصود، كما ورد في الحديث عنه -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: (الوتر حق) يعني صلاة الوتر، فلا شك أن صلاة الوتر فيها من النفع ما فيها.

وفي المقابل سيكون الباطل أيضًا له معنيان:

فقد يطلق الباطل على المعدوم.

وقد يطلق الباطل على ما لا نفع فيه.

ومن ذلك قول النبي -عليه الصلاة والسلام- قوله: (كل لهو باطل إلا ثلاثة) أي كل لهو باطل -أي لا نفع فيه- إلا ثلاثة التي جاءت في حديث عقبة بن عامر -رضي الله عنه-.

الأخرى: هنا لما قال -رحمه الله-: (بالحق والهدى والنور والضياء) فلا شك أن بعثة محمد -صلى الله عليه وسلم- أن فيها النور، وفيها الإشراق وفيها الهدى؛ ولهذا سمى الله -تعالى- نبيه -صلى الله عليه وسلم- سماه سراجًا منيرًا، وهذا الوصف كما بين بعض العلماء هذا الوصف أبلغ من ما جاء في تسمية الشمس ووصفها بأنها سراج وهاج، فالشمس يقال عنها أنها سراج وهاج -كما جاء ذلك في التنزيل- لكن لما يقال: وهاج ففيه حرارة قد يحصل فيها شيء من الأذى والألم لكنه -صلى الله عليه وسلم- هو السراج المنير الذي سيرته وبعثته ورسالته -عليه الصلاة والسلام- كلها نور وكلها خير، وفيها المصالح في العاجل والآجل.

لعلنا نقف عند هذا ونبدأ الآن في موضوع الدرس الجديد.

يقول: ما حكم من سب النبي -صلى الله عليه وسلم- وضرب مثالًا بالذمي الذي يسب النبي -صلى الله عليه وسلم- هل يصبح محاربًا؟.

سبق أن تحدثنا بإيجاز وقلنا: من سب النبي -عليه الصلاة والسلام- فهو كافر خارج عن الملة حلال الدم والمال، وهذه مسألة محل إجماع، سواءً استحل ذلك أو لم يستحله، إذا سب النبي -عليه الصلاة والسلام- فإنه يكفر سواءً استحل ذلك، يعني ظنه أن ذلك حلالًا أو ظن أنه حرام وفعل ذلك، فهو كافر حلال الدم والمال، وإن كان الساب ذميًا له عهد الذمة، فإن كان ذميًا ففي هذه الحالة ينتقض عهده ويُقتل، وقد بسط هذه المسألة -بسطها بشيء من البسط والإطناب- شيخ الإسلام -رحمه الله- في كتابه الحافل "الصارم المسلول في الرد على شاتم الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم-".

يسأل عن: هناك كتب كثيرة في العقيدة تختلف أسماؤها، يعني مثلًا العقيدة التدمرية، العقيدة الطحاوية، والعقيدة الواسطية، هل هناك اختلاف في مضمونها؟.

لا.. هذه الكتب المذكورة في السؤال كلها من كتب عقائد أهل السنة -ولله الحمد- فعندما نقول: العقيدة الطحاوية نسبة إلى المؤلف -كما نعرف- نسبة للإمام الطحاوي الذي ألفها، وعندما مر بكم في العقيدة الواسطية فهذه ألفها شيخ الإسلام ابن تيمية، وسميت بالواسطية؛ لأن السائل الذي من أجله كتبت هذه العقيدة رجل من بلدة واسط في العراق -أحد القضاة من بلدة واسط- طلب من شيخ الإسلام ابن تيمية أن يصنف رسالة في العقيدة له ولأهل بيته فكتب الشيخ هذه الرسالة؛ فسميت الواسطية نسبة إلى السائل الذي طلب تصنيف هذه العقيدة.

كذلك أيضًا لما تأتي الرسالة التدمرية فكما بين ابن عبد الهادي -رحمه الله- تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمة الله عليهم جميعًا- أن هذه الرسالة سميت بالتدمرية؛ لأن هذه الرسالة كتبها شيخ الإسلام لبعض طلاب العلم من أهل تدمر في بلاد الشام، وإلا فكلها -ولله الحمد- عقائد على طريقة أهل السنة والجماعة -ولله الحمد-.

يسأل عن: انتقاد بعض الأشياء التي وردت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- هل تدخل في سبه أو التعدي عليه؟.

إذا كان هذا الانتقاد فيه انتقاص وتطاول، فلا شك أن هذا يعد سبًا، السب ضابطه هو العرف، فما كان شتمًا أو ما كان فيه من انتقاص فهذا يعد سبًا للنبي -عليه الصلاة والسلام-، والذي يقرأ كلام العلماء فيما يتعلق بمقام النبي -عليه الصلاة والسلام- وجنابه يجد أن العلماء حذروا وشددوا في هذا الباب، والذي يقرأ مثلًا ما قرأه القاضي عياض -رحمه الله- في كتاب "الشفاء" يجد أن العلماء من باب حماية جناب المصطفى -صلى الله عليه وسلم- والذب عن عرضه الشريف -عليه أفضل الصلاة والسلام- نجد أنهم يحكمون أحكامًا صارمة في مثل أشياء أحيانًا يتساهل فيها جملة من الناس لاسيما هؤلاء الذين ابتليت بهم الأمة من هواة الأقلام، والذين يسودون الصحائف بكلام لا يخلو من سب وتطاول عن النبي -عليه الصلاة والسلام-، والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (وإن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولًا، وأنزله على رسوله وحيًا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًا، وأيقنوا أنه كلام الله -تعالى- بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر؛ حيث قال تعالى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر: ٢٦]، فلما أوعد الله بسقر لمن قال ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ [المدثر: ٢٥]، علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر).

المسألة الأولى: نبدأ بهذه العبارة، هذه العبارة الطويلة التي بسطها الإمام الطحاوي في مسألة الكلام الإلهي، وعلى سبيل الخصوص في مسألة القرآن، وأن القرآن كلام الله -عز وجل- نحب أن نشير إلى أمور:

الأمر الأول: أن هذه المسألة لها صلة بالمسألة التي قبلها، فالكلام السابق في تقريراته -رحمه الله- فيما يتعلق برسالة محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-، فلما تحدث في هذه المسألة عن حق النبي -عليه الصلاة والسلام-

وشيئًا من صفاته، وشيئًا من شمائله -عليه الصلاة والسلام- ناسب أن يتحدث عن شيء من معجزاته فتحدث عن أهم المعجزات، وهي المعجزة الخالدة وهي معجزة القرآن الذي هو كلام الله -سبحانه وتعالى-، هذا أمر.

الأمر الثاني: أن ثمة صلة بين الإيمان بكلام الله والإيمان بالرسالات، الإيمان بالرسالة أو برسالات الأنبياء هو في الواقع هو إيمان بكلام الله -عز وجل-، فالذي يكذب أن الله -تعالى- يتكلم، من كذب أن الله -تعالى- متكلم بالقرآن أو بالوحي ففي الحقيقة هذا مكذب بالرسالات، فينبغي أن تكون المسألة واضحة عندنا في مسائل الاعتقاد، وسبق أن بينا في موضع سابق وأكدنا على أهمية أنه عندما نتحدث عن مسائل الاعتقاد ينبغي أن ينتبه المشاهد والمشاهدة وكذا الإخوة الحاضرين معنا الآن أن ثمة ترابط وتداخل وتلازم بين مسائل الاعتقاد، فمسألة الكلام الإلهي لا تنفك عن موضوع الرسالات.

نبدأ الآن في الحديث عن هذه المسألة، وفي البداية ينبغي أن نوطن أنفسنا أن هذه المسألة من المسائل الشائكة، وكما قال بعض أهل العلم: مسألة الكلام حيرت الأنام، ولعلنا نبدأ بعرض مذهب أهل السنة والجماعة، مذهب أهل الحق في مسألة القرآن، نعرض لهذا بإيجاز مع شيء من الأدلة، وإذا اتضح لنا مذهب أهل السنة، سيتضح لنا مذاهب المخالفين، ونورد مذاهب المخالفين بشيء من الإيجاز.

ابتداءً نقول:

الأمر الأول: صفة الكلام صفة كمال. وهذا معلوم عند العقلاء، ولا شك أن الشخص عندما يوصف بأنه أخرس أو يكون أخرسًا فلا شك أن هذا يعد نقصًا ويعد عيبًا.

وإبراهيم الخليل -عليه السلام- عاب على المشركين أنهم اتخذوا الأصنام التي لا تنطق ولا تتكلم، عندما قال لهم: ﴿ فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، فهذا أمر، فكونه -سبحانه وتعالى- يوصف بالكلام لا شك أن هذا أمر دل عليه الكتاب وأيضًا دلت عليه الفطرة، ودل عليه العقل الصريح، أن الذي يتكلم أكمل ممن هو أخرس لا يتكلم.

الأمر الثاني: وهو الذي يعنينا بالدرجة الأولى: أن كلام الله غير مخلوق، وهذه قضية حصل فيها من اللبس والتلبيس والتضليل في زمن الخليفة المأمون والخليفة الواثق، وقبله الخليفة المعتصم، حصلت في عهد هؤلاء الثلاثة محنة ابتليت بها الأمة، وثبت الإمام أحمد -رحمه الله- وبين أن القرآن كلام الله غير مخلوق، فنحن ندين الله -تعالى- أن القرآن كلام الله غير مخلوق، فالقرآن كلامه، وكلامه -سبحانه وتعالى- صفة من صفاته، وما دام أنه صفة من صفاته، فالصفة تتبع الموصوف، فإذا كان الله -عز وجل- ليس مخلوقًا فكذلك صفاته، ومنها الكلام ليست مخلوقة، قال -عز وجل-: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ﴾ [التوبة: ٦].

الأمر الثالث: نورد بعض الأدلة في تقرير هذه المسألة؛ لأن عندنا جملة من الطوائف تنكر ذلك، عندنا المعتزلة تقول بخلق القرآن، الخوارج بما فيهم الإباضية يقولون بخلق القرآن، وكذا الروافض ونحوهم، فنذكر بعض الأدلة التي تكون واضحة عندنا في تقرير أن القرآن كلام الله غير مخلوق، من الأدلة على ذلك:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤]. فهنا لما قال -عز وجل-: ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ نلحظ أن الله -تعالى- عطف الأمر على الخلق، والعطف يقتضي المغايرة، ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ فدلت الآية الكريمة على أن الخلق غير الأمر، أليس كذلك؟ والقرآن يفسر بعضه بعضًا، إذا نظرنا إلى هذه الآية وعرفنا أن الخلق غير الأمر، نقول: الأمر هو كلامه وقوله، كيف عرفنا أن الأمر هو كلامه وقوله؟ من آيات أخرى وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢].

فالمقصود أن الخلق غير الأمر، والأمر هو كلامه وقوله، فدلت الآية الكريمة أو دلت الآيتان على أن كلام الله غير مخلوق للمغايرة بين الأمر وهو قوله وكلامه كما في الآية الأخرى والخلق.

الدليل الثاني: أيضًا ما جاء في سورة الرحمن، قال تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الإِنْسَانَ ﴾ [الرحمن: ١- ٣] فأيضًا كذلك لما غاير فقال: ﴿ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ ما قال: خلق القرآن، قال: ﴿ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الإِنْسَانَ ﴾ فدل ذلك على أن القرآن غير مخلوق، وأن القرآن من علم الله، وعلم الله غير مخلوق، هنا لما قال: ﴿ الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الإِنْسَانَ ﴾ فدل ذلك على أن القرآن غير مخلوق لهذه التفرقة، والقرآن من علم الله، وعلم الله غير مخلوق، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ [آل عمران: ٦١] وما العلم الذي جاء النبي –عليه الصلاة والسلام–؟ هو القرآن، هو الوحي الذي أوحى الله به إلى نبيه –عليه الصلاة والسلام–.

الدليل الثالث: أيضًا من الأدلة على أن كلام الله غير مخلوق: ما جاء في حديث خولة بنت حكيم: قال –عليه الصلاة والسلام–: (من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك) أخرجه مسلم.

هذا الحديث الشريف استدل به الإمام أحمد بن حنبل على أن كلام الله غير مخلوق، ما وجه الدلالة؟ وجه الدلالة أن الاستعاذة لا تكون بمخلوق، فدل هذا الحديث الشريف على أن كلام الله غير مخلوق؛ لأنه لا يستعاذ بمخلوق، إنما يستعاذ بالله أو بصفاته والصفات تابعة لذاته والله أعلم.

هذه بعض الأدلة التي ذكرناها في هذه العجالة في هذه المسألة، إذن ننتهي الآن من المسألة الأولى: أن كلام الله غير مخلوق.

المسألة الثانية: أن الله –سبحانه وتعالى– يتكلم بحرف وصوت، فنقول: هذا القرآن هو بحرف وصوت، ما الدليل على هذا؟ الدليل على أنه بحرف: ما جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم: أن جبريل –عليه السلام– قال للنبي –عليه الصلاة والسلام– قال: (أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أوتيته) الشاهد في الحديث بين، أنه قال: (أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهم) فدل الحديث على أن كلام الله من حروف، وعندنا الحديث المشهور، وهو ما جاء في الحديث عنه –عليه الصلاة والسلام– أنه قال: (من قرأ "الم" فله بكل حرف حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول "الم" حرف، ولكن "ألف" حرف، و"لام" حرف، و"ميم" حرف...) الحديث، فدل ذلك على أن الله –تعالى– يتكلم بحرف.

أيضًا هو –سبحانه وتعالى– يتكلم بصوت، وصوته –سبحانه وتعالى– لا يماثل أصوات العباد، كما أن ذاته –سبحانه وتعالى– لا تماثل الذوات، ما الدليل على أنه –عز وجل– يتكلم بصوت؟

الدليل على هذا: الآيات التي وصف فيها الرب –سبحانه وتعالى– بالنداء، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ ﴾ [مريم: ٥٢] هذا في شأن موسى كليم الرحمن، وفي آية أخرى، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى ﴾ [الشعراء: ١٠] وكما قال ابن القيم –رحمه الله– في كتابه "مختصر الصواعق المرسلة" قال: «النداء في لغة العرب لا يكون إلا بصوت» والنداء ذكر في تسع آيات من كتاب الله –عز وجل– إذن نقول: النداء ذكر في كم آية إذن؟ في تسع آيات، لأن النداء في لغة العرب لا يكون إلا بصوت، وجاء إثبات الصوت صريحًا وجاء نصًا في حديث عبد الله بن أنيس –رضي الله عنه–، الحديث الذي أخرجه البخاري تعليقًا، قال –عليه الصلاة والسلام–: (إن الله –تعالى– ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب) فعندك هذا حديث نص صريح في إثبات الصوت لله –عز وجل–، بل هذا الحديث أيضًا يبين لنا أن صوت الله –عز وجل– لا يماثل الأصوات،

لاحظ هنا في الحديث ماذا قال؟ قال: (يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب) وهذا يبين أن صوته لا يماثل أصوات العباد، وهذا أمر بين؛ لأنه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] لكن أنت وأنا وكل مخلوق، يعني صوتك يسمعه القريب لكن لا يسمعك البعيد كما هو ظاهر وكما هو معلوم، إذن نخلص من هذا أن الله –تعالى– يتكلم بحرف وصوت.

المسألة الثالثة: أنتقل إلى مسألة ثالثة، ولا زلنا نقرر مذهب أهل السنة في باب الكلام الإلهي ألا وهو المسألة الثالثة نقول: إن صفة الكلام ذاتية فعلية، والقرآن من كلام الله، فالله –سبحانه وتعالى– يتكلم متى شاء إذا شاء، لاحظ نحن نقول: ذاتية ثم نقول: فعلية، لما نقول: ذاتية المقصود: أن الله –سبحانه وتعالى– موصوف بالكلام منذ الأزل، وإذا تكلم –سبحانه وتعالى– وفق مشيئته وإرادته –عز وجل– فلا يعني أنه سبحانه كان معطلًا عن الكلام حتى تكلم –تعالى الله عن ذلك– فهو موصوف بالكلام، وموصوف بسائر صفات الكمال منذ الأزل.

لما نقول: ذاتية فعلية، يعبر العلماء أحيانًا عنها بعبارة أخرى، ويقولون: قديم النوع حادث الآحاد، ما معنى قديم النوع؟ قديم النوع يعني أن الله –تعالى– موصوف بالكلام منذ الأزل، وإذا قالوا: حادث الآحاد أي أفراد كلامه وآحاد كلامه متعلق بمشيئته واختياره، فهو يتكلم متى شاء كيف شاء، قال –عز وجل–: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾، وبهذا يتضح لنا أن كلامه صفة ذاتية فعلية قديم النوع حادث الآحاد، وعرفنا أن معنى كلمة حادث أي متعلق بمشيئته، مثل ما قال تعالى: ﴿ لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ [الطلاق: ١].

المسألة الرابعة: ننتقل إلى مسألة أخرى نختم بها مذهب أهل السنة وهي أننا نقول: (منه بدأ وإليه يعود) فهذا القرآن العظيم منه بدأ من الله تكلم به ابتداءً، وعندما نقول: منه بدأ، الدليل على ذلك: ما جاء في الآيات الكثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ [السجدة: ١٣]، ومنها قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [الزمر: ١]، لما نقول: ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ من هنا ابتدائية، فالقرآن تكلم الله –تعالى– به ابتداءً.

أيضًا لما نقول: (وإليه يعود) ما معنى (وإليه يعود) قرره أهل السنة بناءً على الحديث الذي أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي أنه جاء في الحديث في آخر الزمان، قال –عليه الصلاة والسلام–: (وليسري على كتاب الله في ليلة فلا يبق في الأرض منه آية) ففي آخر الزمان، وآخر الزمان قبيل قيام الساعة، الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق، كما جاء ذلك في الحديث الصحيح، ففي ذاك الحال، عندئذ ينزع القرآن من الصدور ويرفع من السطور فلا يبقى في الأرض منه آية.

هذا خلاصة مذهب أهل السنة نقول: الكلام صفة كمال، ونقول: إن الله –سبحانه وتعالى– كلامه غير مخلوق –هذا أولًا– ثم قلنا: إنه بحرف وصوت، وإن صفاته ذاتية فعلية، وقلنا منه بدأ وإليه يعود.

يقول: ما ذكرتم من هذا الحشد العظيم من الأدلة التي تثبت أن الله –جل وعلا– متكلم بالقرآن يقودنا سؤال عن أصل الشبهة في خلق القرآن، كيف وردت هذه الشبهة لدى من قال بخلق القرآن؟.

يبدو أن شبه الذين يعطلون الصفات وينفون الصفات ومنها هذه المسألة التي تشير إليها، الشبهة هي زعمهم أنهم يظنون ويزعمون أن إثبات الكلام للرب –سبحانه وتعالى– أنه يلزم من ذلك التشبيه والتجسيم، هذه الشبهة التي يظنونها، فهم يقولون: لو أثبتنا أن الله –تعالى– يتكلم معناه أنه إذا قلنا يتكلم معناه لا نعقل من يتكلم إلا وله شفتين أو له لسان ونحو ذلك، فيقولون: إثبات الكلام يستلزم التشبيه والتجسيم، وهذه شبهة مردودة، نحن نقول للمعتزلة: أنتم يا معشر المعتزلة، تثبتون الأسماء لله، تثبتون الله –تعالى– سميع بصير عزيز حكيم ونحو ذلك، ما دام أنكم أثبتم أنه عزيز حكيم، فالمخلوق يقال عنه حكيم، وهم يقولون: لا... الحكيم الذي هو الله ليس كالحكيم الذي هو المخلوق، فنقول: أيضًا كذلك الصفات، ومنها الكلام لله، وصفات الله تليق به، كما أن صفات المخلوق تختص به، فالمقصود أن هؤلاء القوم انقدح في ذهنهم التمثيل، والتشبيه، فدفعوا هذا بالتعطيل، وزعموا أن الله –

تعالى- لا يتكلم؛ ولهذا العلماء دائمًا يقررون أن كل معطل ممثل، يعني هؤلاء المعتزلة المعطلة، ولاحظ الآن مذهب المعتزلة سرى إلى الفرق الأخرى، يعني هذا المذهب المنحرف في مسألة الكلام لله قاله المعتزلة، لكن تأثر به الخوارج، ولا يزال الخوارج عندهم هذا المذهب الفاسد، وكذلك أيضًا الروافض على هذا المذهب الفاسد.

فالمقصود أن كل معطل ممثل، هذا الذي يعطل الصفات قبل أن يظهر التعطيل انقدح في ذهنه التمثيل فدفعه بالنفي والتعطيل.

يقول: هل هناك فرق بين كلام الله وبين الحديث؟ بين الكلام وبين الحديث على الإطلاق؟.

يعني لا شك أن كلام الله -سبحانه وتعالى- هو كلامه لفظًا ومعنًى، اللفظ والمعنى من عند الله، لكن الحديث لا شك أن الحديث هو وحي من الله كما قال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم: ٤] لكن من الذي تكلم به؟ هو نبينا -عليه الصلاة والسلام-، فإذا قال مثلًا قال -عليه الصلاة والسلام-: (إنما الأعمال بالنيات) نقول: لا شك أن هذا وحي من الله -سبحانه وتعالى- أوحاه إلى نبيه بناءً على الآية الكريمة ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم: ٣، ٤]، لكن من الذي تكلم بهذا من الذي قال (إنما الأعمال بالنيات)؟ الذي تكلم بهذا هو نبينا محمد -عليه الصلاة والسلام-.

يبقى الإشكال في مسألة الحديث القدسي التي أحيانًا ترد أن الحديث القدسي يأتي قول: قال الله تعالى، فنحن نقول: الحديث القدسي، وإن كان هنا يقول: قال الله -تعالى-، مثلًا: قال الله -تعالى-: (من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب) فالحديث القدسي هو كلام الله لفظًا ومعنًا، لكن الفرق أن الحديث القدسي لا يتعبد بتلاوته كما يتعبد بالقرآن، ولا يجزئ قراءته في الصلاة كما يجزئ القرآن، هو كلام الله لكن لا يتعبد بتلاوته، ويروى بالمعنى ولكن القرآن لا يروى بالمعنى، والقرآن متعبد بتلاوته والله أعلم.

يا شيخ -عفوًا- هذا يفهم من كلامك أن كلام -جل وعلا- غير مقصور على القرآن فقط، وإنما هناك كلام لله غير القرآن؟.

كلام الله -عز وجل- نستطيع أن نقول إذا نظرنا إليه هو أعم من الوحي، قد يكون أعم من الوحي، وقد يكون- كما بين أهل العلم- أخص، وبينهما عموم وخصوص من وجه، لما قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى ﴾ [القصص: ٧] فما أحد يظن أن الوحي هنا كلام الله، وإنما هذا إلهام، ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ [النحل: ٦٨] فهذا وحي بمعنى الإلهام، ليس وحيًا بمعنى أن الله -تعالى- أوحى إليهم وحي بمعنى أنه جاءهم جبريل؟ أبدًا، فهنا إذا نظرنا إلى هذا الجانب يكون الوحي أعم، لكن قد يكون أحيانًا العكس، يكون الكلام أعم أو العكس.

الآية التي جاء في فيها ذكر أنواع الوحي: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ [الشورى: ٥١]، فلاحظ هنا الآن صار أيهما أعم في هذه الآية الكريمة؟ ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ فهنا من هذه الآية الكريمة نجد أن الكلام أعم أم الوحي أعم؟ هنا في هذه الآية؟

الوحي.

الوحي هنا أعم، فهنا الوحي قد الله -تعالى- يكلم يكون الوحي إلهام، وقد يكون أن الله -تعالى- يكلمه بلا واسطة، وهذا حصل لمن؟ من الذي كلمه الله -سبحانه وتعالى- بلا واسطة؟

موسى عليه السلام.

موسى -عليه السلام- ونبينا -عليه الصلاة والسلام-، نبينا متى؟ لما عرج به، وأحيانًا ﴿ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ كما في جبريل عندما يأتي للنبي -عليه الصلاة والسلام- في هيئة بشر، أو في هيئته التي خلقه الله، والله أعلم هذا الذي يحضرني في هذا المقام.

المسألة الخامسة: ننتقل إلى مسألة أخرى وهي أن نشير إلى مذهبين من المذاهب التي حصل عند أصحابها لبس، وأيضًا لمذاهبهم أثر وتأثير في العالم الإسلامي.

المذهب الأول: الذي هو مذهب المعتزلة القائلين بخلق القرآن، هؤلاء نرد عليهم ببعض الردود المهمة: من الردود التي نرد بها على هؤلاء:

نقول: أنتم لما تنفوا صفة الكلام عن الله، وتقولون أن الكلام مخلوق، هذا يلزم منه أن يوصف الله -سبحانه وتعالى- بالنقص والعيب، عندما تقول الله -تعالى- لا يتكلم، هذا يلزم منه أن يكون الله -تعالى- موصوفًا بصفة الخرس تعالى الله عن ذلك، هذا أمر.

الأمر الآخر: هؤلاء القوم عندهم من الشبهات ما عندهم، من شبهاتهم التي يتعللون بها: أنهم يتعللون بقوله تعالى: ﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦]، فيقولون: قوله تعالى: ﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يدل على أن القرآن مخلوق؛ لأن القرآن شيء فيدخل في عموم تلك الأشياء؟ فيرد على هذه الشبهة ويقال: إن معنى الآية الكريمة: ﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ معناها خالق كل شيء مخلوق، أما أن يتوهموا أن شيء مخلوق فلا، فالقرآن -وإن أطلق عليه شيء- فليس مخلوقًا؛ لأنه صفة من صفات الله والصفة تتبع الموصوف، ولو كان الأمر كما يزعمون فهو -سبحانه وتعالى- أطلق على نفسه أنه شيء، أليس كذلك؟ قال -عز وجل-: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ ﴾ [الأنعام: ١٩]، فما أظن المعتزلة فضلًا عن أن غيرهم سيقولون: إن الله -تعالى- مخلوق -تعالى الله عن ذلك-.

المقصود في الرد على هؤلاء أن نقول: إن معنى الآية الكريمة ﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يعني كل شيء مخلوق، ثم نحن نرد عليهم أيضًا ونقول: هذه الآية هي حجة عليكم، حجة عليكم في مذهبكم الفاسد لما زعمتم أن أفعال العباد غير مخلوقة، طيب أفعال العباد كيف تكون غير مخلوقة؟ أنتم الآن تقولون: الإنسان مخلوق، ثم تقولون: أن أفعاله غير مخلوقة، هذا تفريق بين متماثلين، إذا كان الشخص مخلوقًا، فجزمًا أن أفعاله مخلوقة، فهذه يبين أن القوم هكذا، وهذا ديدن أهل البدع والأهواء أنهم يفرقون بين المتماثلات، ويسوون بين المختلفات، لاحظ التفريق بين المتماثلات لما يقول الإنسان مخلوق، وفعله غير مخلوق، هذا تفريق بين المتماثلات، ما دام الإنسان مخلوق، فكذلك فعله مخلوق، وأيضًا لما يسوون بين المتفرقات لما يقولون: الله -تعالى- غير مخلوق لكن كلامه مخلوق، نقول: لا.. كلامه صفة من صفاته، والصفة تتبع الموصوف، وما دام أنه -سبحانه وتعالى- ليس مخلوقًا -عز وجل- فكذا القرآن هو كلامه غير مخلوق. فهذا مما يذكر في هذا المقام.

قبل أن نواصل وأستطرد في النقاشات أحب أن أشير -أيها المشاهدون والمشاهدات أيها الإخوة الكرام- إلى أن المعتقد الصحيح يورث تعظيمًا لله -سبحانه وتعالى-، ونؤكد على هذه المسألة حتى لا نأخذ العقائد على أنها مجرد معلومات خبرية نظرية لا تحرك إيماننا أو لا تحرك قلوبنا، فإذا اعتقدنا أن القرآن كلام الله، وأن هذا الكلام يليق به -سبحانه وتعالى- عندئذ هذا يورث تعظيم للقرآن، الاعتقاد الصحيح يورث تعظيمًا، يورث إجلالًا، ولو نظرنا إلى علماء الطوائف، نجد أن علماء أهل السنة هم أكثر وأعظم العلماء تعظيمًا وإجلالًا وخدمة لكتاب الله -عز وجل-، وانتفاعًا بهذا القرآن، فهم اعتقدوا الاعتقاد الصحيح فأورثهم ذلك تعظيمًا وفتح الله عليهم، من أنواع الفتوح والمعاني وفهم القرآن ما لم يؤته أولئك المخالف، فهذه نتيجة طبيعية، نتيجة ظاهرة، شخص يعتقد

الاعتقاد الصحيح هذا يورثه انتفاعًا بالقرآن، لكن شخص تلوث بالبدع والمحدثات لن ينتفع بالقرآن، لا ينتفع بالقرآن كما يجب؛ ولهذا الله –سبحانه وتعالى– قال عن هذا القرآن الكريم: ﴿ لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٧٩]، وبين العلماء من باب الإشارة أن هذا القرآن لا يجد حلاوته ولا ينتفع به إلا أصحاب القلوب الحية الطاهرة، وهذا أمر مقرر في القرآن، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ [ق: ٣٧]، فالقلب الحي السالم من الشبهات والشهوات ينتفع بالقرآن، لكن القلب الملوث بالشبهات أو الشهوات لن ينتفع بالقرآن، وتكون هذه الشبهات وهذه الشهوات حواجز، وحجب تمنعه من الانتفاع بالقرآن بل تمنعه من تعظيم القرآن، الطوائف الأخرى لا يعظمون القرآن كما يعظمه أهل السنة، لا يعظمونه، أهل الكلام يقولون لك مثلًا عن القرآن: لا يقول أن القرآن دلالته يقينية يقول: دلالته ظنية، هذا طعن في القرآن، لما تأتيك نصوص الآيات واضحة بينة جلية ثم تقول: لا..، هذه دلالة ظنية ليست يقينية، هذا طعن في القرآن، طعن في دلالته، أو يأتي مثلًا البعض يقول لك مثلًا: القرآن ليس فيه أدلة عقلية –كما يقول أهل الكلام– فهذا أيضًا هؤلاء لم يقدروا الله حق قدره، ولم يعظموا كلام الله –تعالى– حق تعظيمه، سبحان الله، القرآن ما فيه أدلة عقلية؟! الله –سبحانه وتعالى– يقول عن هذا القرآن: ﴿ وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[الفرقان: ٣٣].

وجاءت آثار سلفنا الصالح مثل الإمام أحمد وعن مسروق وعن الشعبي –رحمة الله عليهم جميعًا– كلهم ينصون في هذه الآية الكريمة على أن القرآن فيه رد على كل مبتدع وعلى كل مخالف، لكن لا نهتدي له، نحن لا نهتدي له، لماذا؟ إما لقلة علمنا أو لكثرة ذنوبنا التي تحجبنا عن القرآن، وإلا لو جئت إلى كلام الأئمة الكبار، الإمام أحمد، الإمام عثمان بن سعيد الدارمي، الإمام البخاري، الأئمة الذين جاءوا من بعد شيخ الإسلام، ابن القيم إلى آخره، تجد أن هؤلاء لهم من الاستنباطات، ولهم من الردود التي يستنبطونها من القرآن ما تتعجب منه، وهذا فتح من الله –سبحانه وتعالى– على هؤلاء العلماء أصحاب القلوب الحية، فتجدهم يأتون للآية التي نقرأها صباحًا ومساءً، يقول لك في هذه الآية رد على الطائفة الفلانية، وتجدد أن الرد دلالته ظاهرة بينة جلية، هذا ما يتعلق بهذه المسألة وهو: أن الاعتقاد الصحيح يورث تعظيمًا ويحقق الموقف الصحيح تجاه هذا القرآن العظيم.

[يقول: إذا تقرر أن كلام الله –سبحانه وتعالى– غير مخلوق فمن قال بخلق القرآن ماذا نحكم عليه؟.

كلام العلماء في هذه المسألة إذا جئنا إليه نجد أن كلام أهل العلم كالإمام أحمد والأئمة الذين عاصروا هذه الفتنة، كلامهم بين ظاهر جلي؛ لأن من قال بخلق القرآن فهو كافر، وهذا تجده ظاهر، بل من أهل العلم من حكى ذلك إجماعًا، كعبد الغني المقدسي، لكن الذي يجب أن نتنبه له –لاسيما في هذا الزمن– غلبة الجهل وقلة العلم الشرعي، نحب أن نؤكد أن هذا حكم يسميه العلماء تكفير مطلق، فنقول: من قال بخلق القرآن فهو كافر، لكن الأعيان الأشخاص زيد أو عمرو ممن قال بخلق القرآن لا يحكم عليه بعينه أنه كافر حتى تقوم عليه الحجة، فيجتمع الشروط وتنتفي الموانع؛ ولهذا نجد أن الإمام أحمد –رحمه الله– وقد كابد هذه المحنة وعاصرها وابتلي بها وأوذي وسجن وجلد كما هو مبسوط في رسالة محنة الإمام أحمد بن حنبل "لحنبل بن إسحاق" ابن عمه نجد أن الإمام أحمد لم يكفر مثلًا المعتصم لم؟ مع أن المعتصم هو الذي كان يباشر تعذيبه فالمعتصم لم يكن يقول بخلق القرآن فحسب بل كان يقول به، ويدعو الناس إليه ويلزمهم والذي لا يقول بذلك يضرب ويسجن ويجلد ويعاقب بأنواع العقوبات، بل وصلت المحنة أنه في أيام المفاداة بين الأسرى يعني أسرى المسلمين وأسرى الروم أنه يؤتى بالمسلم فيقال له: ما تقول في القرآن؟ فإن قال القرآن كلام الله غير مخلوق عندئذ لا تحصل مفاداة، ويبقى مع الروم –نسأل الله العافية– مع هذا كله الإمام أحمد لم يكفر المعتصم، لم؟ لأن المعتصم في نظر الإمام المبجل أحمد بن حنبل –رحمه الله– يرى أن عنده من العوارض ومن الموانع ما يمنع من تكفيره والحكم عليه بالكفر.

فهذا أمر ينبغي أن يتنبه له، وهو ما يسميه العلماء بعوارض الأهلية، وهذا أمر يقع فيه خلل، ويقع فيه إفراط وتفريط، المعين يحكم عليه بالكفر إذا تلبس به قولًا أو اعتقادًا أو عملًا، يعني هذا الكفر دل الدليل أنه كفر فيحكم عليه، لكن المعين لا ينزل عليه الحكم إلا إذا اجتمعت الشروط وانتفت الموانع.

عندنا أيضًا الرد على الأشاعرة، يعني مذهب الأشاعرة نوجز هذا المذهب؛ لأن له انتشار، الأشاعرة يقولون: القرآن هو الكلام النفساني، أو يسمونه أحيانًا يقولون: معنى قائم بالذات، وأن الله -تعالى- يقولون: لما تكلم تكلم بغير حرف ولا صوت، فكلام الأشاعرة فيه من الضلالات والانحرافات الشيء الكثير، لكن نقف عند بعضها:

أولًا: يقولون القرآن هو المعنى فقط، المعنى يسمونه أحيانًا: الكلام النفساني، فالحرف والصوت واللفظ هذا كله يعد مخلوقًا عندهم، هذا كلام لاشك أنه كلام فاسد للأمور الآتية:

الأمر الأول: الله تعالى لما يتكلم يتكلم بحرف وصوت، لاحظ هنا الآية التي سمعناها ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ﴾ يعني مثل ما قال الإمام أحمد: يسمع ماذا؟ بالله عليك أنت الآن لو كنت الآن عندك معنًى في نفسك، معنًى زورته في نفسك، معنًى أبطنته في قلبك أو في فؤادك، هل أحد يعرف هذا المعنى؟ أبدًا، ما يسمع الشيء إلا إذا كان حرفًا، لا يسمع إلا ما كان بحرف أو صوت.

الأمر الثاني: لما يقول لك: إن القرآن هو المعنى فقط، هذا لا يحصل به التحدي، أليس كذلك؟ يعني لو جئنا -ولله المثل الأعلى- جاءت شخص وقال لك يا فلان: أتحداك أنك تعرف ما في نفسي، هل هذا التحدي مقبول؟ لا.. ليس مقبولًا، فكيف يقال أن القرآن تحداهم بالمعنى القائم بنفسه، يعني الله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿ وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ ﴾ [البقرة: ٢٣]، إذن تحداهم بماذا؟ هل تحداهم بالمعنى القائم بذات المعنى النفساني القائم بذاته؟ أو تحداهم بالقرآن الذي بين أظهرهم؟ تحداهم بهذا القرآن؛ ولهذا تجدي الإشارة بهذا، الإشارة للقرب الذي هو بين أظهرهم، هذه من الردود عليهم.

الأمر الثالث: إن الكلام في لغة العرب وأيضًا في القرآن إذا أطلق الكلام وأطلق القول يشمل اللفظ والمعنى، يعني الله -سبحانه وتعالى- لما قال عن المؤمنين: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ﴾ [فصلت: ٣٠]، لما قالوا: ربنا الله، هل قالوها لفظًا؟ ولا لفظًا ومعنًى؟ لفظًا ومعنًى، تلفظوا بذلك وهم يعتقدون ذلك في قلوبهم، فنقول: الكلام يشمل اللفظ والمعنى، وليس المعنى فقط، كما ظنه هؤلاء الأشاعرة.

ثانيًا: القوم يقولون: معنى قائم بالذات، لما يقولون: قائم بالذات ماذا يريدون بهذه العبارة؟ يريدون بكلمة "قائم بالذات" يريدون أن كلام الله ليس متعلقًا بمشيئته ولا اختياره، ولا شك أن هذا ترده الأدلة ومنه الآية الكريمة التي سمعناها مرارًا وهي قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ ﴾ إذا أراد يعني إذا شاء، ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾، أو في الحديث الصحيح: قال -عليه الصلاة والسلام-: (إذا تكلم الله) لما قال: (إذا تكلم الله بالوحي ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله)، (إذا تكلم الله) إذن معناها ماذا؟ معناها أن الكلام متعلق بمشيئته أم لا؟ قال: (إذ) ظرف لما يستقبل. هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

ثالثًا: الأشاعرة لماذا لا يثبتون الحرف والصوت؟ يظنون أنهم إذا أثبتوا الحرف والصوت أن هذا يلزم منه التمثيل، نحن نرد عليهم مثل ما رددنا على المعتزلة، ونقول: أنتم يا معشر الأشاعرة تثبتون الكلام، أنتم تزعمون أنكم تثبتون صفة الكلام، فإذا أثبتم صفة الكلام على الوجه اللائق بالله فأثبتوا الحرف والصوت على الوجه اللائق بالله، الباب واحد، القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، فكما أثبتم السمع والبصر والحياة والإرادة فأثبتوا الحرف والصوت لله على الوجه اللائق بالله.

المسألة السادسة: إذا تكلم العباد بكلام الله، هنا ما يقع الخلط بين ما يقوم به الله -سبحانه وتعالى- وبين ما يقوم به العبد، فابتداءً نقول: -أيها المشاهدون أيتها المشاهدات أيها الإخوة الكرام- القرآن حيث ما تصرف هو كلام الله، ما معنى هذه العبارة؟ لما نقول: القرآن حيث ما تصرف هو كلام الله، معناها: أن القرآن سواءً كان مكتوبًا فهو كلام الله، سواءً كان مسموعًا فهو كلام الله، سواءً كان مقروءً فهو كلام الله، سواءً كان محفوظًا فهو كلام الله، يعني مثلًا الآن أنا أمسكت القلم وكتبت على هذه الورقة "بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللهُ الصَّمَدُ ﴾ [الإخلاص: ١، ٢]" إذن هذا المكتوب كلام الله، لكن الكتابة، هذا القلم، هذا المداد الذي كتبت به، هذا الفعل، هذا الأداء، مخلوق ولا غير مخلوق؟ مخلوق. فينبغي التمييز بين ما يكون وصفًا وما يكون من صفات العبد، أيضًا كذلك عندما نقول: هذا بالنسبة للمكتوب، بالنسبة للصوت، يعني الآن لو مثلًا الآن سمعنا قراءة مثلًا سورة الأعراف للشيخ "المنشاوي" -رحمه الله- أو للشيخ مثلًا "الشريم" مثلًا فنحن نقول: الكلام هذا كلام الله، لكن هذا صوت "الشريم" أو صوت "المنشاوي" فينبغي التفريق بين ما يقوم بالله، وما يقوم بالعبد؛ ولهذا سلفنا يقولون: الكلام كلام الباري، والصوت صوت القاري، يعني الآن نحن صلينا مع الإمام أو سنصلي مع الإمام مثلًا المغرب -إن شاء الله- فقرأ نقول: هذا كلام الذي نسمعه كلام الله، لكن من الذي يؤدي هذا الكلام؟ بصوت من؟ بصوت هذا الإمام، فالمقصود ينبغي أن يفرق بين ما يقوم بالله من صفة وبين ما يقوم بالعبد من صفة.

لعلنا نمر بعد هذا التوضيح على كلام الطحاوي بإيجاز، هنا قال: (وإن القرآن كلام الله منه بد) كلمة (منه بد) يعني البعض أحيانًا يقول: "بدا" أي ظهر أو خرج، ومنهم أحيانًا يضبطها (ومنه بد) من الابتداء، والمعنى متقارب، سواءً قلنا: (بد) أي: ظهر، أو قلنا: (بد) من الابتداء فالمقصود: أن هذا الكلام من عند الله -سبحانه وتعالى-.

لما قال: (بلا كيفية) المقصود ب(لا كيفية) يعني نحن لا نعلم كيفية ذلك، الكيفية قد استأثر الله بها، ونحن وسط في باب صفات الله، بين أهل التمثيل والتكييف وبين أهل التعطيل والنفي.

هنا لما يقول: (منه بد) طبعًا هذه فيها رد على المعتزلة؛ لأن المعتزلة لا يقولون: إن القرآن من عند الله، أو من صفات الله، وإنما يجعلونه مخلوقًا، وهنا لما يقول المؤلف -رحمه الله-: (منه بد) في هذا رد على المعتزلة الذين يزعمون أن القرآن مخلوق.

لما قال: (بلا كيفية قولًا) يشمل اللفظ والمعنى، وفي هذا رد على الأشاعرة.

قال: (وأنزله على رسوله وحيًا) الكلام في هذا بين يعني (أنزله على رسوله وحيًا) يعني أن جبريل -عليه السلام- سمع كلام الله، ثم بلغه نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، والنبي -عليه الصلاة والسلام- بلغه للناس، فالآن جبريل بلغ الكلام وسمعه، أحيانًا تجد في كتب علوم القرآن أو أحيانًا تجد حتى في بعض الإجازات، يقول: جبريل أخذه من اللوح المحفوظ، هذا كلام الأشاعرة، لا.. ليس كلام أهل السنة، إنما جبريل سمعه من الله -سبحانه وتعالى-، ثم بلغه نبينا محمد -عليه الصلاة والسلام-.

لما قال: (وأيقن أنه كلام الله بالحقيقة ليس بمخلوق) هذا واضح أنه رد على المعتزلة الذين يزعمون أن كلام الله مخلوق.

إذن المعتزلة للأسف أنهم شابهوا الوليد بن المغيرة الذي ذكر هنا في هذه الآيات الوليد ماذا قال عن هذا القرآن؟ قال: ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ فجعل القرآن مخلوقًا، وكذا المعتزلة شابهوا الوليد، الذين قالوا: إن اللفظ مخلوق، والمعنى غير مخلوق من هؤلاء؟ من الذين قالوا: المعنى غير مخلوق لكن اللفظ مخلوق؟ الأشاعرة،

فنقول: هذا من أمثال ابن كلاب ومن سلك سبيله هؤلاء قالوا بقول من؟ أخذوا بنصف قول المعتزلة، ونصف قول المغيرة، فلهم نصيب من هذا الوعيد بقدر انحرافهم والله أعلم.

أسئلة الحلقة.

السؤال الأول: اذكر دليلًا واحدًا في الرد على من قال بخلق القرآن؟

السؤال الثاني: ما دليلك على أن الله -تعالى- يتكلم بحرف وصوت؟

وبالله التوفيق

الدرس السابع

تتمة الكلام عن مسألة الكلام الإلهي

بسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، نبدأ مستعينين بالله -سبحانه وتعالى- وسيكون موضوع هذا الدرس -إن شاء الله- بقية الكلام عن مسألة الكلام الإلهي، ثم الحديث عن ما قرره الإمام الطحاوي -رحمه الله- في مسألة رؤية الله -سبحانه وتعالى- للمؤمنين في اليوم الآخر.

أسئلة الحلقة الماضية

السؤال الأول كان يقول: اذكر دليلًا واحدًا في الرد على من قال بخلق القرآن.

وقد أجاب الأخ الكريم بقوله: الذين قالوا بخلق القرآن هم المعتزلة، وأدلة الرد عليهم كثيرة منها: إن قولكم كلام الله مخلوق، وإن صفة الكلام ليست صفة ذاتية فعلية لله -عز وجل-، وهذا يستلزم أن يكون الله أخرسًا تعالى الله، وهذه صفة ذم ونقص وعيب، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرً.

الإجابة طيبة لكن كان بودي أن يورد دليلًا على أن كلام الله غير مخلوق، دليل يكون أظهر، كالأدلة التي مرت بنا مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤] أو حديث خولة بنت حكيم: (من نزل منزلًا وقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك).

بالنسبة للسؤال الثاني: أجابت الأخت الكريمة بقولها: وهو دليل تكلم الله -عز وجل- بالحرف والصوف؟ تقول: قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (من قرأ "الم" له بكل حرف حسنة) دل على أن كلام الله بحرف، وأما التكلم بصوت فتقول: ما ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (إن الله ينادي بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ...) الحديث..

نعم الإجابة صحيحة.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر، فمن أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أن الله بصفاته ليس كالبشر).

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

الإمام الطحاوي في هذه العبارة يقرر أن كلام الله -سبحانه وتعالى- لا يماثل كلام البشر، وقد قرر -رحمه الله- من قبل: إثبات الصفة، وأنه -سبحانه وتعالى- يتكلم حقيقة وعرفنا أنه لما قرر ذلك -أنه يتكلم حقيقة- رد على الذين قالوا بخلق القرآن، والذين نفوا أن يكون الله تعالى موصوفًا بصفة الكلام كما كان في كلامه السابق، وفي تقريره السابق رد على الذين وصفوا الله -تعالى- بالكلام لكنهم نفوا الحرف والصوت كما هو حال الأشاعرة ومن تبعهم.

لما فرغ المؤلف -رحمه الله- من تقرير هذه الصفة وإثباتها، جاء هذا التنبيه المهم منه -رحمه الله- أن إثبات هذه الصفة كونه -سبحانه وتعالى- يتكلم، وكونه -عز وجل- يتكلم بحرف وصوت أن ذلك على وفق جلاله وعظمته، وفق ما يليق به -سبحانه وتعالى-، وهذا أمر دائمًا يؤكد عليه علماء أهل السنة، أن الله -سبحانه وتعالى- لا يماثل الذوات، فهو إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل، فالمقصود أن هذه العبارة أراد بها المؤلف -رحمه الله- أن يقرر أن الله -سبحانه وتعالى- ليس كالبشر كما جاء في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، فإذا تقرر أن ذات الله –سبحانه وتعالى– لا تماثل الذوات فكذلك أسماءه وصفاته وأفعاله لا تماثل أسماء ولا صفات ولا أفعال المخلوق، ومن ذلك صفة الكلام، فصفة الكلام التي يوصف بها الرب –سبحانه وتعالى– لا تماثل صفة الكلام التي يوصف بها المخلوق.

تأملوا معنا في العبارة لما قال: (ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر) نعم هو كفر؛ لأنه مكذب لصريح القرآن في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، مكذب لقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٤]، هو مكذب لقوله تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥]، ومكذب لقوله تعالى: ﴿ فَلاَ تَضْرِبُوا للهِ الأَمْثَالَ ﴾ [النحل: ٧٤]، ولهذا قال الإمام نعيم بن حماد الخزاعي شيخ الإمام البخاري قال: «من شبه الله –تعالى– بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله –تعالى– به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ورسوله –عليه الصلاة والسلام– تشبيه».

بعدها قال في العبارة التي بعدها قال: (فمن أبصر هذا اعتبر) (أبصر هذ) يعني نظر بعين البصيرة، (اعتبر) يعني حصلت له العبرة والاعتبار، ما الاعتبار؟ أن يقاس الثاني على الأول، فالأول: هو ما مر بنا سابقًا من قول الوليد بن المغيرة المشرك الكافر الذي قال عن هذا القرآن العظيم قال: ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ [المدثر: ٢٥] فالاعتبار والقياس أن يقال: إن من قال بخلق القرآن فهو مشابه للوليد بن المغيرة، هذا هو وجه القياس ووجه الاعتبار.

ثم فرغ –رحمه الله– من تقرير هذا المعنى والتأكيد عليه عندما قال: (وعلم أنه بصفاته ليس كالبشر) نعم هو –سبحانه وتعالى– بصفاته ليس كالبشر كما مر بنا في الآيات السابقة والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]).

هنا الإمام الطحاوي يتحدث عن مسألة جليلة ومسألة عظيمة هي من أجل مسائل أصول الدين ألا وهي مسألة النظر إلى وجه الله الكريم في يوم القيامة، رؤية المؤمنين لربهم –عز وجل– في يوم القيامة، قال ها هنا: (والرؤية حق) وقد مر في درس سابق أن كلمة (حق) لها معنيان:

المعنى الأول: الثابت الموجود.

والمعنى الآخر: النافع المقصود.

والرؤية تشمل هذا وذاك، والرؤية ثابتة وواقعة، وأيضًا هي لاشك أنها هي أعظم النفع وهي مقصودة، أعظم النعيم وأشرفه ألا وهو النظر إلى وجه الله الكريم –سبحانه وتعالى–، هذه الرؤية، كون المؤمنين يرون الله –سبحانه وتعالى– هذه المسألة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، بل إن أهل السنة أيضًا أثبتوها بالعقل.

أما الكتاب فذكر المؤلف –رحمه الله– الآية الكريمة التي سمعناها قال –عز وجل–: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ فهذه الآية صريحة وظاهرة في إثبات الرؤية.

ووجه ذلك بين، تأملوا معنا الآية الكريمة قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ النضرة من البهجة والبهاء، ثم قال تعالى: ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ﴿ إِلَى رَبِّهَا ﴾ أي إلى رب الوجوه، فأضاف النظر إلى الوجه الذي هو محل الإبصار، وأيضًا قال: ﴿ إِلَى رَبِّهَا ﴾ ففعل نظر هنا تعدى بـــ"إلى"، وفعل "نظر" إذا تعدى بـــ"إلى" فهو بمعنى المشاهدة والمعاينة، فإذا نظرنا إلى الوجه الأول والوجه الثاني ظهرت أن هذه الآية صريحة في إثبات الرؤية.

أيضًا من الأدلة التي استدل بها أهل السنة والجماعة على إثبات الرؤية ما جاء في قوله –عز وجل–: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥] هذه الآية الكريمة استدل بها الإمام الشافعي –رحمه الله– وغيره على إثبات الرؤية، ما وجه الدلالة؟

وجه الدلالة كما قال الإمام الشافعي –رحمه الله– عن هذه الآية الكريمة قال: «لما حجب هؤلاء –يعني الكفار– في حال السخط –يعني حجبوا عن رؤية الله –سبحانه وتعالى– دل على أن أولياءه يرونه في حال الرضا».

أيضًا من الآيات التي تقرر الرؤية ما جاء في قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦]، وجاء تفسير الزيادة أنها النظر إلى وجه الله الكريم –سبحانه وتعالى–، وهذا جاء مفسرًا في حديث صهيب –رضي الله عنه– مرفوعًا للنبي –عليه الصلاة والسلام–، أن النبي –صلى الله عليه وسلم– فسر الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم، جاء في الحديث –حديث صهيب– وفيه الشاهد قال –عليه الصلاة والسلام–: (فينظرون إليه) يعني ينظر المؤمنون إلى الله –سبحانه وتعالى– (فما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة)، هكذا الحديث، إذن النبي الكريم –صلى الله عليه وآله وسلم– فسر الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم كما جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم.

هذه بعض الآيات التي احتج بها أهل السنة في إثبات الرؤية.

أما عن الأحاديث، فالأحاديث متواترة رواها ما يزيد عن ثلاثين صحابيًا من أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وهذه الأحاديث ساق جملة منها الإمام الدارقطني في كتاب مفرد له بعنوان "كتاب الرؤية"، وأيضًا ساقها الإمام الآجري في كتاب "الشريعة"، وأيضًا ابن القيم –رحمه الله– في كتابه "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراد".

ومن أشهر هذه الأحاديث حديث جرير بن عبد الله البجلي –رضي الله عنهما– قال: (كنا جلوسًا مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ليلة البدر –كان القمر في هذه الليلة ليلة الرابع عشر– فقال –عليه الصلاة والسلام– الحديث قال: إنكم سترون ربكم عيانًا لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا) أو كما جاء في الحديث عنه –عليه الصلاة والسلام– وهذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم فتأملوا في هذا الحديث العظيم، هذا الحديث الجامع، فيه مسائل مهمة:

الأولى: النبي –عليه الصلاة والسلام– أثبت الرؤية من خلال جملة مؤكدات:

أولًا: قال: (إنكم) فجاءت "إن" الدالة على التأكيد، قال: (إنكم سترون ربكم)

ثانيًا: (عيانً) أي بأعينكم، وهذا مؤكد آخر، (إنكم سترون ربكم عيانً).

ثالثًا: قال: (كما ترون هذ) نسينا هذه الجملة. ويعني (كما ترون هذ) إشارة إلى القمر ليلة البدر، هذا مؤكد ثالث.

رابعًا: قال: (لا تضامون في رؤية) يعني لا يحتاج أن ينضم بعضكم إلى بعض؛ لأن الأمر ظاهر بَيِّن جلي، عادة إذا كان الأمر خفيًا ليس ظاهرًا فتجد الشخص ينضم إلى صاحبه حتى يبين له هذا الشيء الخفي الذي لا يظهر ولا يكون بينًا جليًا.

المقصود أن هذه جملة من المؤكدات.

الثاني: المهم في هذا الحديث أنه -عليه الصلاة والسلام- قال: (فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلو) فدل هذا الحديث على أن المحافظة على هاتين الصلاتين العظيمتين -يعني صلاة الفجر وصلاة العصر- من أسباب حصول هذا الوعد الكريم ألا وهو النظر إلى وجه الله الكريم.

قال -عليه الصلاة والسلام-: (من صلى البردين دخل الجنة) الفجر والعصر البردان.

الثالث: أيضًا مما نذكره في هذا الحديث -تأملوا معنا هنا- قال -عليه الصلاة والسلام-: (إنكم سترون) جاءت السين الدالة على الاستقبال، وهذه السين الدالة على الاستقبال فيها رد على بعض الطوائف الصوفية الذين يزعمون أن رؤية الله -سبحانه وتعالى- متحققة يقظة في الدنيا، فهنا -عليه الصلاة والسلام- قال: (إنكم سترون ربكم) أي أن هذه الرؤية في يوم القيامة، هذه الرؤية البصرية إنما تكون يوم القيامة، فهذا الحديث العظيم فيه رد على من غلا وجفا في مسألة الرؤية، رد على من أنكر الرؤية، وهم المعتزلة والخوارج بما فيهم الإباضية وأيضًا الإمامية الرافضة والزيدية، هذه أشهر الطوائف التي أنكرت الرؤية، فنقول: هذا الحديث رد على هؤلاء جميعًا.

أيضًا في قول -صلى الله عليه وسلم-: (إنكم سترون) رد على بعض طوائف الصوفية الذين يزعمون أن رؤية الله -سبحانه وتعالى- متحققة وواقعة بالأبصار في الدنيا، فالحديث يردهم، ويره أيضًا الحديث الآخر في قوله -عليه الصلاة والسلام-: (واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتو) هكذا قال -عليه الصلاة والسلام-.

هذه جملة من الأمور التي تتعلق بحديث جرير بن عبد الله البجلي -رضي الله عنه-.

يقول: بالنسبة إلى النظر إلى الله -تعالى- هل فيه تفاوت بين النظر للمؤمنين الذين ينظرون من أعلى الجنة يساوي الذي ينظر من أدناها؟.

الذي أعرفه -والله أعلم- أنه جاءت أحاديث وآثار تبين أنهم في هذا النعيم العظيم -الذي هو أشرف نعيم- أنهم متفاوتون في هذا؛ ولهذا بعض أهل العلم قال: إن النساء لا تحصل لهم هذه الرؤية، النساء المؤمنات باعتبار أنه ما جاءت فيه من الآثار أن نظرهم إلى الله وقربهم إلى الله على حسب بكورهم إلى صلاة الجمعة، لكن الصحيح أن رؤية الله -سبحانه وتعالى- متحققة للمؤمنين والمؤمنات جميعًا، لكن الذي أفهمه من كلام بعض أهل العلم بناء على بعض الآثار أنهم يتفاضلون في هذا النعيم كما يتفاضلون في نعيم الجنة، هذا الذي يبدو والله أعلم.

أحب أن أؤكد على مسائل قبل ما ننساها:

أولًا: في حديث جرير هنا لما قال -عليه الصلاة والسلام-: (إنكم سترون ربكم كما ترون هذ) أي كما ترون القمر ليلة البدر، نبه أهل العلم أن هذا التشبيه إنما هو تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي، يعني لا يظن ظان أن هذا تشبيه الرب -سبحانه وتعالى- بالقمر، لا ليس الأمر كذلك، وإنما هو تشبيه الرؤية بالرؤية، يعني كما أن رؤية القمر ليلة البدر تكون في غاية الظهور والوضوح فكذا أيضًا رؤية المؤمنين لربهم -سبحانه وتعالى- في غاية الظهور والوضوح، فهذا هو القاسم المشترك أو هو وجه الشبه.

الثاني: أيضًا مما يؤكد عليه أن هذا الحديث كما فيه إثبات الرؤية للمؤمنين في الآخرة فيه إثبات العلو والفوقية؛ وهذا بيِّن لأن الناس يرون القمر أو الشمس ليس دونها سحاب في جهة العلو والفوقية، فكذا أهل الإيمان يرون الله -سبحانه وتعالى- وهو موصوف بالعلو والفوقية أزلًا وأبدًا.

الثالث: دل عليه الحديث ألا وهو عدم الإحاطة، وكونه -سبحانه وتعالى- يراه أهل الإيمان لا يعني أنهم يحيطون به -تعالى الله عن ذلك- قال تعالى: ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وها أنت ترى القمر وإنما ترى الوجه المقابل من القمر، لكن لا تحيط به، قد ترى السماء بينة ظاهرة أمامك لكن لا تحيط بها، فإذا كانت ثمة مخلوقات نراها ولا نحيط بها فالله -سبحانه وتعالى- أجل وأعظم من أن يحاط به -سبحانه وتعالى-.

يقول: هل لنا أن نسأل عن كيفية الرؤية لله -جل وعلا-؟.

هو سيأتي معنا، أن الكيف مجهول لا يسوغ لنا أن نسأل بـــ"كيف"، كيفية الرؤية الكيفية مجهولة، وقد قال -عز وجل-: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ﴾ [آل عمران: ٧] فحقيقة صفاته -سبحانه وتعالى- حقيقة صفاته وكيفيتها لا نعلمها، نحن نقول: أهل الإيمان يرون الله، لكن كيفية ذلك هذا مما استأثر الله به -سبحانه وتعالى-.

يقول: الخطاب في حديث جرير -رضي الله عنه-: (إنكم سترون) وهو خطاب عام هل كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقصد أشخاصًا بعينهم أو جماعة بعينها؟.

والله ظاهر الحديث أنه خطاب للمؤمنين، الخطاب للصحابة هو خطاب للمؤمنين، سواءً من خلال هذا الحديث أو من خلال الآيات التي مرت بأن هذا الوعد الكريم وهذا النعيم العظيم إنما هو لأهل الإيمان؛ ولهذا جاء في الحديث حديث عمار بن ياسر أنه -عليه الصلاة والسلام- قال في هذا الدعاء العظيم جاء فيه: (وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة) أخرجه أحمد والنسائي، فهذا من الدعاء الذي دعا به النبي -عليه الصلاة والسلام- والنبي -عليه الصلاة والسلام- قدوة لنا: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، ونحن علينا أن ندعو بهذا الدعاء العظيم، وأن نقول كما قال -عليه الصلاة والسلام-: (وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة).

يقول: القرآن كلام الله، والقرآن سيتكلم يوم القيامة كما ورد في الحديث، بعض الناس يسألون السؤال: كلام الله سيتكلم يوم القيامة؟.

كيف يتكلم يوم القيامة؟

القرآن كلام الله، والقرآن سيتكلم يوم القيامة كما ورد في الحديث: (القرآن يأتي شفيعًا لصاحبه يوم القيامة) يعني بعض الناس يسألون السؤال: كلام الله يتكلم يوم القيامة؟.

لا... هو المسألة التي أنت تشير إليها لما جاء حديث أن: (القرآن يأتي شفيعًا لصاحبه، وأن البقرة وآل عمران تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان) الحديث... فهنا المراد بالقرآن هنا القراءة وعملك، فالقرآن يطلق على المقروء، وهذا كلام الله غير مخلوق، وقد يطلق القرآن على القراءة، والقراءة التي هي عملك وهو مخلوق، أليس كذلك؟ فلما يأتي القرآن شفيعًا لأصحابه، أو يأتي على هيئة شاب، كما جاء في بعض الآثار، المقصود أنه قد يطلق القرآن ويراد به القراءة، والذي يحدد ذلك هو السياق، يعني لما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٨] واضح أن القرآن هنا ماذا؟ القرآن الذي هو المقروء ولا القراءة؟ القراءة؛ لأن القرآن واحد، فالمقصود أنه ما جاء في الآثار التي تشير إليها فالمراد بذلك قراءتك وعملك، وهذا لا شك أنه مخلوق؛ لأننا نحن مخلوقون، فكذلك أيضًا أعمالنا، أعمالنا الصالحة وغيرها كلها أيضًا مخلوقة.

يقول: قلتم إنه لا يمكن رؤية الله -سبحانه وتعالى- في الدنيا، السؤال: هل يمكن رؤية الله -سبحانه وتعالى- في الدنيا في حالة المنام؟.

هذه من المسائل التي عرض لها بعض المحققين كشيخ الإسلام ابن تيمية وقال: يمكن هذا، يعني يمكن للشخص أن يرى ربه في المنام، لكن جزمًا أن ما رآه ليس هو الله -سبحانه وتعالى- حقيقة؛ لأن الشخص في المنام قد يرى الممكن والمستحيل، أليس كذلك؟

فالمقصود أن يقع ذلك، أن الشخص يمكن أن يرى في المنام، نعم هذا قد يقع، قد يرى الشخص ربه في المنام، فإن كان الرائي رجلًا صالحًا فيرى الله -سبحانه وتعالى- بما يتفق مع حاله وهيأته، وإن كان كافرًا أو فاجرًا فقد يرى الله -تعالى- بحسب حاله من فجور أو كفر، فالمقصود من جهة الوقوع أن هذا يقع، أن هذا واقع لكن جزمًا أن ما رآه ليس هو الله -تعالى- حقيقة؛ لأن كيفية صفاته وحقيقة ذاته غيب، مثل ما مر في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ﴾ فحقائق وأسمائه وصفاته استأثر الله بها -سبحانه وتعالى-.

يقول: متى تكون الرؤية؟ هل هي يوم الحشر؟ رؤية المؤمنين لله؟.

الرؤية التي نتحدث عنها ويتحدث عنها العلماء إذا دخل أهل الإيمان الجنة، إذا دخل المؤمنون الجنة حصل ذلك، وهذا واضح من خلال حديث صهيب الذي ذكرنا شيئًا منه، أنه جاء في الحديث أن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة أن الله -تعالى- يقول لهم: (إن لكم موعدًا ينجز لكم) أو كما جاء في الحديث، فيقول أهل الإيمان ألم يدخلنا الجنة؟ ألم يبيض وجوهنا؟ فينظرون إليه، فلاشك أن ظاهر حديث صهيب وما جاء في معناه، أن أهل الإيمان إنما يحصل لهم الوعد الكريم في هذا النظر الذي هو غاية النعيم، إنما هو إذا دخلوا الجنة.

يبقى الكلام في مسألة الرؤية التي تقع في أرض المحشر، هذه فيها كلام لأهل العلم، منها من يثبتها للجميع للمؤمن والكافر، ومنهم من يقول: إنما يراه المؤمنون في أرض المحشر، ومنهم من يقول: يراه المؤمنون والمنافقون، لكن يبقى أن هذه الرؤية ليست من النعيم، هذه الرؤية ليست من النعيم، وإنما الرؤية التي هي النعيم حقيقة وفعلًا إذا دخل أهل الإيمان الجنة. والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (والتفسير على ما أراده الله وعلمه، ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام).

هنا لما قال -رحمه الله- تتمة عبارة الطحاوي بعد الآية الكريمة قال: (والتفسير على ما أراده الله -تعالى- وعلمه) هذا أمر مهم يؤكد عليه الإمام الطحاوي أن تفسير الرؤية على ما أراده الله، وهذا يذكرني بمقالة جميلة للشافعي -رحمه الله- لما قال: «آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله -تعالى-، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-»، فعلينا أن نؤمن بالرؤية على ما أراده الله، ليس على مراد عقولنا كما نجده عند المتكلمين وليس على مراد أذواقنا ووجداننا كما هو عند المتصوفة ولا على مراد أهوائنا وآرائنا كما يقع عند بعض أرباب الآراء والكلام.

ثم قال: (وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله -عليه الصلاة والسلام- فهو كما قال)، وهذا تأكيد على موضوع التسليم الذي سيتحدث عنه المؤلف بعد قليل -إن شاء الله-، قال: (ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا) الآن الطحاوي -رحمه الله- يؤكد على الحذر من أمرين: في مسألة الرؤية وفي مسائل صفات الله عمومًا يقول: (لا ندخل في ذلك) أي في الرؤية، وسائر مسائل أصول الدين (متأولين بآرائنا) فمقصوده -رحمه الله- أن يذم التأويل الذي هو صرف الكلام عن ظاهره، وعن المعنى المتبادر منه، هذا التأويل الذي هو في الواقع تحريف، فينبغي أن نتجنب هذا التأويل الذي هو صرف الكلام عن حقيقته وعن معناه المتبادر منه؛ لأن ذلك يعد تحريفًا ويعد صرفًا للكلام عن معناه.

ثم قال: (ولا متوهمين بأهوائن) أيضًا المؤلف يحذر من الخوض في الكيفية، وسبق أن مر بنا في بداية الدروس ما قرره –رحمه الله– من أنه –سبحانه وتعالى– لا تدركه الأفهام ولا تبلغه الأوهام، ومقصود بالوهم هنا أن يظن أن الرؤية على كيفية كذا وكذا، فهو الآن يحذر –رحمه الله– من الخوض في الكيفية، من الخوض في كيفية هذه الصفة، فينبغي تجنب التأويل المذموم الذي هو التحريف، وينبغي تجنب الوهم، وهو أن يظن أن الرؤية على كيفية كذا وكذا، ولا يجوز الدخول في الكيفية ولا الاشتغال بها؛ لأن الكيفية غيب وسمعنا الآية الكريمة: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ﴾ أي كيفية صفاته ومنها الرؤية، وأيضًا مر بنا عبارة الإمام مالك لما قال: «الاستواء معلوم والكيف مجهول» وكلام الإمام مالك –وإن كان في الاستواء– لكن هذا الكلام يضطرد في كل صفة من صفات الله –سبحانه وتعالى–.

قال –رحمه الله تعالى–: (فمن رام علم ما حظر عنه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار موسوسًا تائهًا شاكًا زائغًا لا مؤمنًا مصدقًا ولا جاحدًا مكذبًا).

قبل أن نعلق على هذه العبارة المهمة من كلام الإمام الطحاوي أشرنا في موضوع الرؤية إلى الذين أنكروا رؤية الله –سبحانه وتعالى–، وهم المعتزلة والخوارج والرافضة الإمامية والزيدية، هؤلاء القوم ربما احتجوا ببعض الآيات التي يحتجون بها على إنكار الرؤية، فقد يحتجون بقوله تعالى: ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣] أن الله –تعالى– قال لموسى: ﴿ لَن تَرَانِي ﴾، وهنا نحب أن نؤكد على أمر مهم نحمد الله –تعالى– أن هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، يجب أن نستصحب –أيها المشاهدون والمشاهدات أيها الإخوة الكرام– أن الأدلة الشرعية لا تدل إلا على حق، والمخالف صاحب البدعة أو صاحب الضلالة إذا احتج بدليل لبدعته فيجب عليك أن توقن يقينًا تامًا أن هذا الدليل –فاعلم يقينًا– إن كان دليلًا صحيحًا فهذا الدليل إذا وضع في استدلاله الملائم إنما ينقض قول هذا المبتدع، إنما هو دليل عليه، فهذه الأدلة إن كانت أدلة صحيحة فلا شك أن الدليل الصحيح هو حق، والحق لا يدل إلا على حق، ولا يمكن أن يكون الحق يستدل به على باطل، فهنا يحتجون بقوله تعالى: ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ على إنكار الرؤية.

نجد أن أهل العلم المحققين يقولون: هذه الآية هي دليل لنا، نجد أن أهل السنة ومنهم ابن القيم يقول: آية ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ هي دليل لأهل السنة في إثبات الرؤية، ويذكر عدة أوجه في الاستدلال بهذه الآية على إثبات الرؤية– فهذا الدليل صار دليلًا عليهم، أو ما يسمى "قلب الدليل" يعني إن جوزنا هذه العبارة فصار حجة عليهم، فنقول: الآية الكريمة التي احتج بها النفاة نفاة الرؤية هي دليل لأهل السنة في إثبات الرؤية، ما وجه ذلك؟

وجه ذلك:

أولًا: أن الله –تعالى– قال: ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ ولم يقل: لست مرئيًا، أو لا أرى، وفرق بين العبارتين، فرق أن يقال: ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ وبين أن يقال: لا أرى، أو لست مرئيًا.

ثانيًا: أنه –سبحانه وتعالى– قال مخاطبًا موسى –عليه السلام– قال: ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ قال بعدها: ﴿ وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فهنا علقت الرؤية على استقرار الجبل، واستقرار الجبل أمر جائز ممكن، وما علق على الجائز فهو جائز، علقت الرؤية على أمر جائز ممكن، وما علق على الرؤية فهو ممكن وجائز، إلى آخر هذه الأوجه.

ثالثًا: أن موسى لما قال: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، لو كانت رؤية الله –تعالى– مستحيلة ممتنعة لما سأل موسى –عليه السلام– وهو من أعلم الناس بربه، ولو كان ذلك ممتنعًا مستحيلًا لعوتب

موسى –عليه السلام– على هذا السؤال، لكن لما أن موسى سأل هذا السؤال ولم يعاتبه الله، والأوجه الأخرى فكل هذه تدل على أن رؤية الله –سبحانه وتعالى– متحققة.

فهذا يجب أن نتنبه لها، ليس في هذه المسألة فقط، يجب أن يتنبه أهل السنة والجماعة أن المخالف من أهل البدع أيًا كان إذا احتج بدليل فهذا الدليل إن كان صحيحًا كأن يكون من كتاب الله أو من السنة النبوية الصحيحة ألا فليوقن الجميع أن هذا الدليل إذا وضع في استدلاله الملائم إنما هو حجة على المخالف، وهذا يتكرر عند أهل السنة في كثير من المسائل، عندما يحتج بعض المبتدعة ببعض الأدلة ويشغبون بها على أهل السنة، ولهذا شيخ الإسلام –رحمه الله– له عبارة جميلة نقلها ابن القيم في هذه المسألة، شيخ الإسلام يقول: « أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله» يبقى هذا الدليل الذي احتج به إنما هو ينقض قوله ويبطل بدعته، هذا تنبيه أرى أنه لابد أن ننبه عليه في هذا المقام.

العبارة التي سمعناها وقرأناها، لما قال –رحمه الله– الإمام الطحاوي: (فإنه ما سلم في دينه إلا من سلّم لله –عز وجل– ولرسوله –عليه الصلاة والسلام–...) إلى آخر كلامه –رحمه الله–، يعني هذا المعنى نحن نؤكد عليه ونذكر أنفسنا ونذكر الإخوة الأفاضل الذين معنا ونذكر جميع من يشاهدوا هذه الحلقة، نؤكد على هذه القضية التي أكد عليها هذا الإمام الجليل الإمام الطحاوي ألا وهي مسألة التسليم لنصوص الكتاب والسنة، تأملوا عبارة الطحاوي قال: (ما سلم في دينه إلا من سلم لله –سبحانه وتعالى– ولرسوله –صلى الله عليه وسلم– ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه) يعني لابد من التسليم، لابد من الانقياد، الكثير من الإشكالات والانحرافات سواءً في الشبهات أو الشهوات سببها ضعف التسليم، والله –سبحانه وتعالى– لما قال –عز وجل– على لسان إبراهيم: ﴿ يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] ما المراد بالقلب السليم؟ يعني السالم من الشبهات، والسالم من الشهوات، يعني لا يعارض الأخبار الشرعية بالشبهات، ولا يعارض الأحكام الشرعية بالشهوات، هذا هو القلب السليم، فلابد من التسليم؛ ولهذا نجد الآيات كثيرًا ما تؤكد على هذا.

نحن الآن إنما سمي الواحد منا مسلمًا لم؟ لأنه الأصل فيه أن يكون مسلِمًا منقادًا خاضعًا للكتاب والسنة، الله –سبحانه وتعالى– يقول: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء: ١٢٥] وقال –عز وجل–: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [لقمان: ٢٢]، وقال –عز وجل–: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] فلابد من التسليم، إذا جاءنا حكم من الله –سبحانه وتعالى– نقول: سمعنا وأطعنا، إن كان خبرًا صدقناه، وإن كان أمرًا أو نهيًا التزمنا بالأمر وتركنا النهي ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧]، وما أجمل ما قاله الإمام الجليل الإمام الزهري –رحمه الله– لما قال: «من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم» إنما علينا التسليم والانقياد، هذا دين الله، وهذه نصوص الوحي الواجب علينا أن لا نعارضها، وإنما الواجب المبادرة.

قال ابن عقيل الحنبلي –رحمه الله– في وصف السلف قال: «كانوا أرباب تسليم في الاعتقاد وأرباب جد في العمل».

إن جاء الاعتقاد فهم أرباب تسليم انقياد، وإذا جاء العمل أرباب جد، خلافًا لواقع الكثير من المسلمين الآن، إن جاءت العقائد جاءت الشكوك من هنا من شياطين الإنس والجن، وإن جاءت الأعمال والتكاليف الشرعية حصل التلكؤ والتكاسل والتسويف والتفريط، إنما الواجب علينا أن نسلم للنصوص الشرعية جملة وتفصيلًا.

بعدها لما قال عندكم أيضًا: (ولا تثبت قدم إنسان) يعني لا يتحقق للعبد ثبات واستقرار إلا إذا سلم وانقاد، ثم ذكر المؤلف ما يضاد له، قال: (فمن رام علم ما حظر عنه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه حجبه مرامه أي طلبه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان).

مقصوده -رحمه الله-: أن هؤلاء الذين لا يسلمون للنصوص الشرعية ويخوضون فيما يجب عليهم الكف عنه هؤلاء ماذا يحصل لهم؟ يحصل لهم هذا الأمر المشين ألا وهو: أن يحرموا من التوحيد الخالص، ومن الإيمان الصحيح، ومن المعرفة الصافية، وها هم المتكلمون أنموذج في القديم وفي الحديث وما شابههم على هذا المنوال، تجد هؤلاء لا يسلمون للنص يخوضون فيما لا يجوز الخوض فيه، خاضوا في كيفية صفات الله، خاضوا في كيفية أفعال الله، خاضوا وقدَّموا عقولهم على النصوص لم يعظموا النصوص حق تعظيمها، فحصل ما حصل من هذا الضلال ومن حرمانهم من التوحيد الخالص ومن الإيمان الصحيح.

بعدها قال: (فيتذبذب بين الكفر والإيمان)، وهذا نعوذ بالله من أعظم الشقاء، أعظم النكد الذي عاناه المتكلمون ويعاني منه جملة من المفكرين، أو من يسمونهم المفكرين ممن أعرضوا عن شرع الله وعارضوا النصوص الشرعية تجد هؤلاء يعيشون في حال الحيرة، في حال الشكوك، في حال الوحشة، هذا ما عبر عنه الفخر الرازي لما قال يحكي هذه المعاناة، يحكي هذا البؤس لما يقول في شعره يقول: "وأرواحنا في وحشة من جسومنا" يعني كما يقول بعض المشايخ المعاصرين الشيخ محمد بن عثميين -رحمه الله- يقول: إذا كان الإنسان يستوحش من روحه التي بين جنبيه فما بالك بغيرها، فالآن يقول: "أرواحنا في وحشة من جسومنا" هذا أنموذج لهؤلاء القوم الذين سلكوا الطرق المنحرفة فلم يجدوا منها إلا الضلال والحيرة.

وبعد هذه الأبيات يقول الفخر الرازي: "لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلًا ولا تروي غليلًا، وإنما رأى اليقين في طريقة القرآن، فالحيرة والتذبذب والوسوسة هذه وقع فيها المتكلمون، وسبب هذه الحيرة، وسبب هذا الاضطراب، وسبب هذا القلق وهذه الوحشة ألا وهو سببها الإعراض عن التسليم للنصوص الشرعية ومعارضتها بعقولهم وآرائهم، هذا أمر ينبغي أن نؤكد عليه في هذا المقام.

تقول: السؤال الأول: ما حكم قول "شيخ الإسلام"؟ السؤال الثاني: إدخال العامة كلام الله وآياته ضمن كلامهم، هل هذا مشابهة لكلام الله؟ السؤال الثالث: (الدعاء هو العبادة) و(الدعاء مخ العبادة) هل هي روايتان صحيحتان؟ وكيف أجمع بين الدعاء والمشيئة؟ وقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- للمريض: (لا بأس طهور إن شاء الله)؟.

على كل كلمة "شيخ الإسلام" ليس هناك إشكال فيها، يعني هذه معروفة عند العلماء، والشيخ بكر أبو زيد -شفاه الله- أشار إلى أن هذا مصطلح معروف عند العلماء، بل قيل إن بعض الصحابة لقب بذلك، وإن لم يكن هذا مسندًا لكن لقب بهذا أئمة كبار منهم الإمام الهروي -رحمه الله- منهم شيخ الإسلام الصابوني من أئمة الشافعية المتقدمين في القرن الخامس، ولقب به ابن تيمية، فما فيه إشكال في هذا، وابن ناصر الدين الدمشقي ذكر الأقوال في معنى كلمة "شيخ الإسلام"، وأنها على معانٍ كثيرة، والذي يهمنا عندما تطلق على ابن تيمية وعلى الهروي والإمام الصابوني الشافعي المتقدم ونحوهم، تطلق ويراد بها الإمام أو العالم الرباني فما فيه إشكال في هذا.

السؤال الثاني تقول: إدخال العامة كلام الله -عز وجل- في كلامهم؟.

أنا ما فهمت السؤال بالضبط لكن إن كان المقصود أن يضمن كلام الشخص كلام الله يعني؟

قد يكون تضمين كلام الله -جل وعلا- في كلام الإنسان، مثل بعضهم في الأشعار مثلًا أو كذ.

والله إذا كان السؤال كما نفهم بهذا المعنى أنه هل للإنسان أن يضمن كلامه كلام الله سواءً سمي تضمينًا أو اقتباسًا فالذي أعرفه من كلام أهل العلم أنه إذا استعمل القرآن فيما أنزل فيه فهذا حسن، يعني شخص الآن مثلًا رأينا شخصًا أقيم عليه حكم الله فقطعت يده هو سارق وثبتت البينة أنه سارق، فلو جاء شخص قال: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة: ٣٨]، فهذا استعمل القرآن فيما أنزل فيه، هذا حسن، لكن إن استعمل القرآن

في أموره المعاشية كما يفعل بعض الناس إن جاءه شخص مثلًا، قال: ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴾ [طه: ٤٠] فينبغي أن لا يمتهن القرآن، وأن لا يبتذل في هذا الاستعمال، كما يقع عند بعض الناس ويتساهلون في ذلك، يستعملونه في أمورهم الكلامية وأمورهم مثلًا في قضاء حوائجهم، وأسوأ من ذلك الذي هو أن يستعمل القرآن على سبيل الهزء، هذا أمر شنيع، يعني تجده يورد الآية في مقام الاستهزاء والسخرية، وهذا ربما أخرجه من الملة، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

تسأل عن عبارة (الدعاء هو العبادة)؟.

هو المشهور طبعًا الثابت هو (الدعاء هو العبادة) هذا الذي ثبت في حديث النعمان بن بشير: (الدعاء هو العبادة) والمقصود (الدعاء هو العبادة) أي أن الدعاء هو جل وآكد وأهم العبادة، أما رواية (الدعاء مخ العبادة) فالذي أعرفه من كلام بعض العلماء أن هذه الرواية ضعيفة لا تثبت عن النبي –عليه الصلاة والسلام– والله أعلم.

يقول: ما قول الشرع فيمن ينكر رؤية الذات، ويقول: إن الرؤية للوجه؛ لأن النصوص أتت بإثبات الرؤية للوجه فقط؟.

لا ما هو صحيح؛ لأنه عندنا نصوص تدل على غير ذلك، مثلاً هنا: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ فالمقصود النظر إلى الله –سبحانه وتعالى–، هذا الذي جاءت به الأدلة، فالمقصود النظر إلى الله –سبحانه وتعالى– هذا الذي هو ظاهر النصوص وكونه مثلًا جاءت بالوجه لا ينفي النظر إليه –سبحانه وتعالى–.

يقول: ما المقصود في هذه العبارة (وتفسيره على ما أراده الله –تعالى– وعلمه) ما هو العلم الذي يقصده المؤلف؟.

هنا قال –رحمه الله–: (وتفسيره على ما أراده الله –تعالى– وعلمه) هنا جاءت الصغيرة (على ما أراده الله) يعني ذكرنا مقالة الشافعي أنه قال: «آمنت بالله وما جاء عن الله على مراد الله» هذا المقصود، إذا قلنا: تفسيره على ما أراده الله وعلمه، يعني المقصود من ذلك أن الشخص لا يفسر هذه النصوص وفق عقله أو وفق ذوقه؛ لأن بعض الناس أحيانًا يأخذ القرآن لكن يفسره تفسيرًا على وفق العقل، أو وفق ذوقه، مثل ما قال بعض العلماء: المعتزلي يجعل القرآن معتزليًا، والخارجي يجعل القرآن خارجيًا، فلابد من تفسير النصوص على وفق مسلك السلف، القرآن تفسره الآيات الأخرى، أليس كذلك؟ يفسر بالسنة والحديث أو بما جاء عن الصحابة –رضي الله عنهم– أو بما جاء في لغة العرب، هذا الذي أفهمه من كلام الطحاوي –رحمه الله– والله أعلم.

يقول: تكثر هذه الأيام الدعوة إلى أن الأشاعرة والماتريدية هم أكثر أهل السنة والجماعة، وأن معظم علماء الأمة في الماضي والحاضر منهم –ولا تجتمع الأمة على ضلالة– ومما يقولون: إن ابن عباس –رضي الله عنه– قد قام بتأويل اليد إلى القدرة. نريد من فضيلتكم الرد على هذه الشبهة.

أولًا: العبرة ما هي العبرة بالكثرة ولا بالكثرة ولا الأغلبية، العبرة باتباع الدليل، والله –سبحانه وتعالى– قال: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦]، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣]، فلا نجعل مقياس أن هؤلاء على حق أو على باطل الكثرة ولا الأغلبية.

ثانيًا: ليس هذا محل اتفاق أن يقال أن هؤلاء هم الأكثرية وهم الأغلبية، هذا أمر، ولو جئنا مثلًا للقرون الأولى الثلاثة المعتبرة قرن الصحابة وقرن التابعين وتابعي التابعين.. يكون واضح، وأهل السنة والجماعة هم امتداد لهذه القرون الثلاثة المفضلة.

ثالثًا: أما قضية أن ابن عباس تأول بالكلام الذي نقل هنا فليس الأمر كذلك، ابن عباس هو حبر هذه الأمة وترجمان القرآن وكلامه -رحمه الله- في إثبات الصفات بيِّن وكلامه في الرد على المبتدعة ومنهم القدرية ظاهر بين في هذا الأمر وعلى كل العبرة بماذا العبرة بالدليل، لكن هذا التأويل الذي حكاه السائل لا يثبت عن ابن عباس، أنه أول اليد بالقدرة.

أسئلة الحلقة.

السؤال الأول: قال -عز وجل-: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ هذه الآيات تكتب ثم نقول يأتي السؤال: ما وجه دلالة هذه الآية على رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة؟

السؤال الثاني: من أنكر رؤية الله -تعالى- في يوم القيامة؟

تقول: نرجو منكم أن توجهوا كلمة لبعض الأساتذة عندنا الذين يلقنون أطفالنا بأن القرآن مخلوق، ويختبرونهم بذلك، بم توجيهكم لهم ولمن يسمعكم؟.

نحن نخاطب هؤلاء وغيرهم نقول: نوصيهم أولًا بتقوى الله -سبحانه وتعالى- ونخوفهم من القول على الله بلا علم، ونوصيهم أن يلتزموا بما جاء به الكتاب والسنة، كيف تقولون: إن القرآن مخلوق؟ والأدلة تنقض هذا الكلام، والله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤] ومر بنا أن قوله تعالى: ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ هذا يبين أن أمره غير مخلوق؛ لأن الأمر قوله والعطف يقتضي المغايرة، فنحن نؤكد عليهم ونحذرهم من القول على الله بلا علم، الذين يقولون بخلق القرآن، هذا قول على الله بلا علم، والقول على الله بلا علم هو أشنع ذنب، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣] فالقول على الله -تعالى- هو أعظم ذنب، فهذا الذي يقال في هذا المقام عليهم أن يتقوا الله -سبحانه وتعالى- ويعلموا أن هذه الأجيال هي أمانة في أعناقهم، عليهم أن يعلموهم المعتقد الصحيح الذي جاء به الكتاب والسنة الصحيحة.

فضيلة الشيخ حتى الآن بعض الناس يقول: إن فتنة خلق القرآن أصبحت فتنة حاضرة وليست فتنة سابقة، كأنه بدأ الكلام حولها في هذا العصر؟.

هو القول بخلق القرآن نعم وجد في عصر متقدم لما ولي المأمون الخلافة، لكن هذه الفتنة اندرست -ولله الحمد- وانقمعت بفضل الله -سبحانه وتعالى- ثم بجهود الأئمة، جهود الإمام أحمد -رحمه الله-، وعلى كلٍ الانحراف والأفكار -كما يقولون- لا تموت، يعني المأمون يموت، وأحمد بن أبي دؤاد مات في تلك العصور الغابرة والسابقة لكن الأفكار لا تموت فآراء المعتزلة قد تجد من يتبناها جملة أو تفصيلًا أو من يتأثر ببعضها، وسبق أن مر بنا أن جملة من آراء المعتزلة تأثر بها من تأثر من الأشاعرة، تأثر بها من تأثر من الخوارج، والواجب علينا نحن أهل الإسلام أهل السنة، علينا أن نعض بالنواجذ على المذهب الحق وأن نعتز به وأن نتفقه في دين الله وعلينا المدافعة، أن ندافع هؤلاء بما نستطيع من علم وحجة، واعلموا ولنثق بالله -سبحانه وتعالى- أن العاقبة للمتقين وأن مذهب أهل السنة والجماعة مع كل هذه العوائق التي مرت به في القديم والحديث لكن الله -سبحانه وتعالى- ينصره أولًا؛ لأن هذا هو الدين الذي رضيه الله؛ ولأن مذهب أهل السنة هو الذي يتفق مع العقول ويوافق الفِطر أما مذاهب الآخرين ففيها من الانحراف ومخالفة العقل ومخالفة الفطر بقدر انحرافها، كلما

زادت انحراقًا كلما مجها العقل، وكلما مجتها الفطر، فهذا فضل من الله -سبحانه وتعالى- فضل محض من الله، فنقول: مذهب أهل السنة مع كل العوائق ومع كل المكر الكبار والكيد من شياطين الإنس والجن في القديم والحديث لكن مذهب أهل السنة في الوقت الحاضر تجد أن له انتشار في أنحاء العالم كله، في مواطن كانت تتغمس بالبدعة، وهي تتغمر بالبدعة ومع ذلك الآن تجد أن المذهب السلفي السني يظهر، هذا فضل من الله - سبحانه وتعالى- فما علينا إلا أن نعتز بهذا المذهب، ونتمسك به وندعو الآخرين؛ لأن السنة -أيها المشاهدون والمشاهدات أيها الإخوة الأفاضل- أهل السنة يعرفون الحق ويرحمون الخلق، نحن نرحم أهل البدع وندعو الله - تعالى- أن يهديهم، ونسأل الله -تعالى- لهم الهداية ونعاملهم بالعدل والقسط، وإن أساءوا إلينا لكن لا نسيء إليهم؛ لأننا نرى أن العدل واجب مع كل شخص حتى مع الكافر، فما بالك بأهل البدع الذين هم جملة منهم من أهل القبلة ومن أهل الإسلام.

نعم يا فضيلة الشيخ، ولعل ما تقدمونه في هذه الحلقات المباركة جزء من الدعوة المباركة التي نسأل الله أن يجعلها في ميزان حسناتكم وأن يبارك فيه.

اللهم آمين

المحاضرة الثامنة

تابع «التسليم بما جاء عن الله وما صح عن رسوله»

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد، أحيي الجميع فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ونستكمل ما وقفنا عنده بالأمس كان آخر ما توقفنا عنده ما ذكره الإمام الطحاوي من مسألة التسليم بما جاء عن الله وما صح عن رسول الله -عليه الصلاة والسلام- نستكمل هذا بمسألتين مهمتين:

المسألة الأولى: ما نبه عليه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في كتاب "الدرء" إذ يقول: كل من أعرض وعارض الكتاب والسنة بمعقولاته فلابد أن يقع في أحد الأمور الأربعة التالية: إما أن يقع في تحريف أو كتمان أو كذب أو عدم فهم، فمن عارض النصوص الشرعية بالمعقولات قد يقع في أحد هذه الأمور الأربعة وهي: التحريف والكذب والكتمان والرابع عدم الفهم.

وهذه الأمور الأربعة التي ذكرها -رحمه الله- استقاها من قوله تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ [البقرة: ٧٥] فهنا ذكر التحريف عند أهل الكتاب لما لم يسلموا بما جاء عن الله وما جاء عن رسلهم عليهم السلام، هذا أولاً، ألا وهو التحريف، ثم قال تعالى في ثنايا الآيات التي بعدها: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ٧٦] وهذا يعد كتمانًا، ثم قال تعالى بعدها في نفس الآيات التالية قال: ﴿ وَمِنْهُمْ ﴾ أي: من أهل الكتاب، ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾ [البقرة: ٧٨]، فقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ ﴾ أي أن هؤلاء القوم يقرءون مجرد قراءة للكتاب، يعلمون الكتاب لكنه مجرد أماني، يعني مجرد تلاوة دون فهم أو عقل، والأمر الرابع جاء بعدها في قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾ [البقرة: ٧٩] وهذا يعد تكذيبًا، فوقع القوم في هذه الأمور الأربعة، هذه الأمور: الأربعة كتمان شيء من دين الله، أو تحريف شيء من النصوص الشرعية، أو ما ذكرناه من قضية عدم الفهم، هذه الأمور الأربعة وقع فيها أهل الكلام ومن شابههم، فهذه من الآثار السيئة لعدم التسليم، فالذي يسلم للنص، لا يقع في الكتمان، والذي يسلم للنص ينتفع بعقله ويفهم النصوص الشرعية وهكذا.

المسألة الثانية الذي نحب أن نشير عليه ونؤكد عليه في هذه المقدمة: لما قال الإمام الطحاوي -رحمه الله- في حال الذين لا يسلمون ولا ينقادون قال عنهم: (فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار موسوسًا تائهًا شاكًا).

هنا عندما مسألة نحب أن نقف عندها قليلًا وهي مسألة الوساوس والشكوك التي قد ترد وقد يقع فيها جملة من الرجال ومن النساء أيضًا، سبق أن قلنا: نحن في زمن الانفتاح زمن العولمة والفضائيات ونحو ذلك مما انفتح على بلاد المسلمين وعلى غيرهم، هذا الانفتاح له تبعاته السلبية ومن ذلك كثرة الشكوك، وكثرة الوساوس، فهنا نحب أن نقف قليلًا عند هذه الوساوس ونذكر جملة من الأمور التي ندفع بها تلك الوساوس، فأقول مستعينًا بالله - سبحانه وتعالى-:

الأمر الأول: الإنسان بطبيعته لابد أن يفكر، فالإنسان مفكر أيًا كان، وهذا ما أشار إليه النبي -عليه الصلاة والسلام- في قوله: (أصدق الأسماء حارث وهمام) فأصدق ما يسمى به الإنسان أنه حارث، يعني أنه صاحب حرث وعمل وكسب وأنه همام يعني أنه صاحب نية وتفكير وخواطر، فالإنسان لا ينفك عن الخواطر وعن الأفكار، إذا تقرر ذلك فهنا أن يرد على الإنسان وساوس أو من هذا القبيل فهذا أمر لا انفكاك عنه، لكن الناس تجاه الوساوس التي تعرض لهم على طرفي نقيض، فمنهم من إذا جاءته الوساوس الشيطانية سواء كانت من

شياطين الإنس أو من الجن نجد أن البعض يستسلم لها، ويستغرق فيها، ويشغل قلبه وفؤاده بها، ربما أدى به ذلك إلى الحيرة وربما أدى به إلى ما هو أشد من ذلك إلى الكفر والزندقة، هذا طرف، يقابل ذلك طرف آخر وهو أن بعض أهل الإيمان إذا عرض له مجرد أي خاطر أو وسواس تجد أنه يطعن في إيمانه ويشك في دينه ويتهم نفسه بالكفر والنفاق، وهو مجرد وسواس عارض ومجرد شك سرعان ما يزول، فينبغي التوسط في هذا الباب، وأن يعلم الجميع أن الوساوس لابد أن تعرض للعبد، وقد عرضت الوساوس لأصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأخبروا النبي –صلى الله عليه وسلم– بذلك، وقال هؤلاء الصحب الكرام، قالوا: (يا رسول الله إنا نجد في أنفسنا لأن يخر أحدنا من السماء أحب إليه من أن يتحدث به) يجدون في أنفسهم من تلك الخواطر ومن تلك الوساوس، فماذا قال –عليه الصلاة والسلام–: (قال: أو قد وجدتموه؟ ذاك محض الإيمان) وفي رواية قال: (الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة) فقوله –عليه الصلاة والسلام–: (ذاك محض الإيمان) المقصود: أن كراهية تلك الوساوس هذا هو الإيمان المحض يعني هو الإيمان الصحيح.

فالمقصود أن هذه الوساوس إذا عرضت لك فعليك أن تكره هذه الوساوس، إن كانت وساوس شيطانية في تشكيك في صفات الله أو وجوده –سبحانه وتعالى– أو ما يعرض من الوساوس في باب القدر ونحو ذلك، هذا أمر.

الأمر الثاني: كيف ندفع هذه الوساوس؟ بإيجاز شديد: ندفعها بجملة أمور نذكر أربعة منها:

الأول: أن نحفظ خواطرنا، نحفظ أفكارنا، لا يشتغل التفكير والخواطر إلا بما ينفع من العلوم الدينية والدنيوية، فعلى الإنسان أن يضبط أفكاره إذا بدأ يفكر ويسترسل في التفكير والنظر فليكن هذا التفكير والنظر فيما ينفع من العلوم النافعة سواءً كانت دينية أو دنيوية.

الثاني: أن على العبد أن يحرص على الاستعاذة بالله –سبحانه وتعالى–، ما أكثر الوساوس التي تعرض للناس وهذه الوساوس –كما قلنا– قد تأتي من هؤلاء الشياطين ومن تلك النفس الأمارة بالسوء، فعلى العبد أن يستعيذ بالله يعني يلجأ إلى الله –سبحانه وتعالى–، وقد بين ذلك النبي –عليه الصلاة والسلام– في حديث أخرجه البخاري: (أن الشياطين يأتي أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول الشيطان: من خلق الله؟ قال –عليه الصلاة والسلام–: فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته) إذا جاءت تلك الوساوس عليك أن تستعذ بالله كما جاء ذلك في الوصية النبوية وأن تنتهي، يعني لا تسترسل في تلك الوساوس، وجاءت رواية أخرى: (وليقل آمنت بالله).

فإذن إذا جاءت تلك الوساوس علينا أن نقول: (آمنا بالله) وأن نكف عنها، فالإغراق فيها لا يزيد الإنسان إلا حيرة وقلقًا وشقاءً، وأن نستعيذ بالله –سبحانه وتعالى– لاسيما وأن هذا السؤال الذي جاء في الحديث الذي يقوله الشيطان –أعاذنا الله منه–: من خلق الله؟ كما بين أهل العلم، هذا سؤال فاسد من أصله، فالله –سبحانه وتعالى– ما دام أنه هو الخالق، فلا يمكن أن يكون الخالق سبحانه لا يمكن أن يكون مخلوقًا، كما أنك أنت –أيها المخاطب أيها الإنسان– إذا كنت مخلوقًا لا يمكن أن تكون خالقًا، هذا الأمر الثاني: علينا الاستعاذة بالله.

الثالث: سؤال أهل العلم الراسخين، قد يرد على الإنسان وسواس، يرد عليه شبهة، فعليه أن يسأل عليه أن يسأل أهل العلم، "فيزيد الفقير" أحد التابعين حصل عنده لبس وكاد أن يفتتن برأي الخوارج حتى لقي جابر بن عبد الله الصحابي الجليل –رضي الله عنه– فحدثه بحديث الجهنميين يعني عصاة الموحدين الذين يخرجون من النار، وفي هذا رد بليغ على الخوارج، فترك هذا المذهب، أيضًا ابن عباس –رضي الله عنهما– ناظر الخوارج فرجع أكثرهم، ابن الديلمي أحد التابعين وقع في قلبه شيء في القدر، فذهب إلى ابن مسعود –رضي الله عنه– فحدثه بحديث القدر، فذهب ما يجد، المقصود علينا أن نسأل أهل العلم الراسخين حتى تندفع تلك الوساوس أو تلك الخواطر.

الرابع: ونختم به وهو أهمها وآكدُها: ألا وهو التسليم. كلما زاد العبد تسليمًا كما زاد يقينًا، وكلما كان أبعد عن الوساوس، ولما ضعف التسليم عند المتكلمين غلبت عليهم الشكوك والوساوس وقال سلفنا في حق هؤلاء المتكلمين: أكثر الناس شكًا عند الموت أهل الكلام.

أسئلة الدرس الماضي:

كان السؤال الأول: عن قوله تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥] ما وجه الدلالة في هذه الآية على رؤية الله يوم القيامة؟

يقول: قال الإمام الشافعي –رحمه الله تعالى– لما حجب الكفار عن رؤية الله يوم القيامة في حال السخط دل على أن أولياء الله يرونه في حال الرض.

نعم الإجابة صحيحة، وجزى الله خيرًا الأخ على هذه الإجابة.

أيضًا الأخت الكريمة أجابت عن السؤال الأول وهو عن الذين أنكروا رؤية الله –تعالى– تقول: أنهم هم المعتزلة والخوارج بما فيهم الإباضية والروافض الإمامية والزيدية.

نعم أيضًا إجابة الأخت إجابة صحيحة وموفقة.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم، أو تأولها بفهم، إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ترك التأويل ولزوم التسليم وعليه دين المسلمين ومن لم يتوق النفي والتشبيه ذل ولم يصب التنزيه).

هذه العبارة التي ساقها الإمام أبو جعفر الطحاوي –رحمه الله– في تقرير مسألة الرؤية، وامتداد للكلام السابق الذي مر بنا بالأمس إذ يقول: (ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام) يعني الجنة (لمن اعتبرها منهم بوهم) فالإمام الطحاوي يحذر من الوقوع في الوهم، بمعنى: أن يظن أن رؤية الله على كيفية كذا وكذا، فيقع في التمثيل، فربما مثل ووقف عند هذا الحد، وربما مثل ثم يدفع هذا التمثيل بالتعطيل، فالوهم كما مر بنا في الدرس السابق وفي أول الكتاب الوهم: هو خوض في كيفية صفات الله، اشتغال بالكيفية والتمثيل، لكن هذا الوهم الذي هو وهم التمثيل قد ينقل الشخص إلى وهم التعطيل؛ ولهذا نجد أن ابن القيم –رحمه الله– جعل الوهم على قسمين: وهم كيفية وتمثيل، والآخر: وهم تعطيل، وعلى كل كما سمعنا أنه إذا توهم أن رؤية الله على كيفية كذا ومثل ذلك بالمخلوقين هذا التمثيل قد يدفعه بالتعطيل، وهذا أمر ينبغي أن يتنبه له الجميع، أن هؤلاء المعطلة النفاة لصفات الله أو النفاة لشيء من صفات الله –سبحانه وتعالى– هؤلاء قد انقدح في أذهانهم التمثيل ثم دفعوا التمثيل بالتعطيل؛ ولهذا يقول العلماء: يقولون: كل معطل ممثل، وأيضًا كذلك كل ممثل معطل، كما جاء مبسوطًا في موضعه.

ثم قال –رحمه الله–: (أو تأولها بفهم) إلى آخر كلامه، فالإمام الطحاوي هنا يحذر أيضًا من التأويل الفاسد للرؤية، وكأنه يشير مثلًا إلى تأويل المعتزلة لما يفسرون الرؤية بالعلم، وهذا تأويل فاسد ترده النصوص كما مر بنا في حديث جرير بن عبد الله قال –عليه الصلاة والسلام–: (إنكم سترون ربكم عيانً) رؤية بصرية، رؤية بالعين، فلما يقول أنها رؤية علمية هذا رد لهذه النصوص الصريحة الظاهرة، فالمقصود بقوله: (أو تأولها بفهم) المقصود بذلك التأويلات الفاسدة للرؤية سواءً كما هو عند المعتزلة أو كما وقع عند بعض المتأخرين من الأشاعرة، فالأشاعرة هم في الأصل يثبتون الرؤية، وإن كانوا لا يثبتون العلو والفوقية لله –سبحانه وتعالى–، لكن نجد أن جملة من المتأخرين منهم مثل أبي حامد الغزالي ومثل الفخر الرازي نجد أنهم يفسرون الرؤية

تفسيرًا يقارب تفسير المعتزلة، يجعلون الرؤية أقرب ما تكون للانكشاف والعلم، وهذا ترده النصوص، فالرؤية واضح أنها رؤية بالأبصار، أن أهل الإيمان يرون الله -تعالى- بأبصارهم، كما هو ظاهر النصوص وصريحها.

بعدها كلام المؤلف -رحمه الله- خلاصته: أنه يرى ذم التأويل مطلقًا لما قال هذه العبارة قال: (إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنًى يضاف إلى الربوبية -يعني إلى الله سبحانه وتعالى- بترك التأويل ولزوم والتنزيل) فمقصوده -رحمه الله- بترك التأويل والتأكيد عليه مقصوده: التأويل المذموم، الذي هو التحريف، الذي هو صرف الكلام عن المتبادر منه، هذا مقصوده -رحمه الله-، فهذا الذي ينبغي أن نَحْذَر منه، وأن نُحَذِرَ منه، وإلا إن أريد بالتأويل التفسير ومعرفة مراد الله ومراد الرسول -عليه الصلاة والسلام- فهذا معنى صحيح لكن مقصود الطحاوي -رحمه الله- بترك التأويل وذمه مقصوده هنا التأويل الذي هو بمعنى التحريف وصرف الكلام عن المعنى المتبادر منه.

إلى أن قال: (ومن لم يتوق النفي والتشبيه ذل ولم يصب التنزيل) هذا تأكيد لما سبق، فالرؤية علينا أن نثبتها من غير تشبيه ولا تعطيل، من غير تشبيه ولا نفي، هذا هو المسلك الوسط وهذا هو مسلك العدل أن نتوسط في هذا الباب، وأهل السنة والجماعة في باب الرؤية وسائر الصفات وسط بين المعطلة النفاة وبين المشبهة الممثلة قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

يقول: هل كل من ينفي الرؤية ينفي العلو؟ أو كل من ينفي العلو ينفي الرؤية؟.

لا.. ليس لازمًا، يعني أهل السنة والجماعة اتباعًا للدليل أثبتوا الرؤية وأثبتوا العلو والفوقية، والمعتزلة نفوا الرؤية ونفوا العلو، والأشاعرة أثبتوا الرؤية لكنهم نفوا العلو، ودائمًا الذي يثبت بعض الحق وينفي بعضه يتسلط عليه المخالف، فالمعتزلة تسلطوا على الأشاعرة، قالوا: كيف تثبتون رؤية شيء ليس في جهة علو ولا في غيرها؟ يعني أنت الآن عندما ترى شيء إما أن ترى فوقك ولا تحتك ولا عن يمينك ولا عن شمالك أما أنك تقول: أنا أرى هذا الشيء لكنه ليس في علو ولا فوقية ولا غير ذلك، هذا لا شك أن هذا تناقض وتذبذب وهذا مما جعل المعتزلة يتسلطون على الأشاعرة، فهذا عرض الأقوال في هذه المسألة.

يقول: ما الفرق بين التصديق والتسليم والاتباع؟.

في العبارة الأخير هذه التي سمعناها. بين التصديق والتسليم والاتباع، والله أنا ما يحضرني شيء الآن هل فيه فروق بينها ظاهرة هي لاشك أن فيه معاني متقاربة، نعم يمكن نقول أن التصديق كما لا يخفى ضده التكذيب التسليم الذي هو الانقياد والخضوع يقابله الإباء والرد، والاتباع يقابله الابتداع، هذا من جهة التقابل، وعلى كل يمكن نقول: إذا قلنا التسليم فالمراد به التسليم لله تعالى وحده، وإذا قلنا التسليم لله تعالى وحده فيقابله الشرك ويقابله الاستكبار، فإذا قلنا التسليم يقابله الاستكبار فربما يكون التسليم من هذه الجهة ربما يكون أعم من ما سألت عنه في قضية التصديق، التصديق يقابله التكذيب، والله أعلم هذا الذي يحضرني الآن في هذه العجالة.

يقول: ورود الوساوس التي عن الذات الإلهية وغيرها هل هي دليل على ضعف الإيمان مثلًا عند الإنسان؟.

لا.. ليس الأمر بهذا الإطلاق، يعني الذي أفهمه من كلام أهل العلم: أن الشخص إذا أقبل على ربه -سبحانه وتعالى- وأقبل على الاستقامة علمًا وعملًا فالشيطان يحرص على إيقاعه في الوساوس، أما الذين انغمسوا في الملذات والشهوات واشتغلت قلوبهم بهذه الملذات أو انغمست بالشبهات، فتجد أن هؤلاء كفوا أنفسهم من الشيطان، لكن الشيطان إذا رأى العبد مقبلًا عن الاستقامة وعلى اتباع السنة فإنه يحرص على إيقاعه في الوساوس، أقول مجرد الوساوس في حد ذاتها كونها تعرض لا يعني أن العبد ضعيف الإيمان، الوساوس عرضت لخير الناس بعد الأنبياء هم الصحابة -رضي الله عنهم- لكن الواجب علينا تجاه الوساوس ما سمعناه: أن نكره هذه الوساوس فإذا

كانت هذه الوساوس شيطانية أو خوض في كيفية صفات الله أو نحو ذلك ينبغي أن نكره تلك الوساوس والأمر الثاني أن ندفعها بما سمعنا من النصوص الاستعاذة بالله -سبحانه وتعالى- وإذا استقرت الوسوسة في الفؤاد فلابد من سؤال أهل العلم الراسخين حتى يدفعوا هذه الوسوسة أو تلك الشبهة، والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (فإن ربنا -جل وعلا- موصوف بصفات الوحدانية منعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية).

يعني هذه العبارة لا نقف عندها كثيرة لأنها بينة وواضحة، ويبدو أن الإمام الطحاوي استقى هذه العبارة مستفيدًا من سورة "الإخلاص" هنا قال: (فإن ربنا -جل وعلا- موصوف بصفات الوحدانية) وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١]، ثم قال: (منعوت بنعوت الفردانية) مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ اللهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [الإخلاص: ٢، ٣]، قوله: (ليس في معناه أحد من البرية) مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٤].

قال -رحمه الله تعالى-: (وتعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات).

هنا قال العبارة التي سمعناها، قبل أن نبدأ في هذه العبارة نحب أن نؤكد على مقدمة مهمة، ألا وهي: العناية بالألفاظ الشرعية والالتزام بالألفاظ الشرعية القرآنية أو النبوية، فالألفاظ الشرعية لها من الحرمة والتعظيم ما لها، فنبدأ ونؤكد على الإخوة الكرام الذين معنا وعلى من يشاهد هذه الحلقة أن نصف الله -سبحانه وتعالى- بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه -عليه الصلاة والسلام-، فنقول: هو السميع البصير العزيز الحكيم والموصوف بصفات الحكمة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك من الصفات التي جاءت في الكتاب والسنة النبوية الصحيحة، فالألفاظ الشرعية التي جاء الكتاب والسنة بإثباتها لله يجب علينا أن نثبتها، وكذا أيضًا الألفاظ التي جاء بها الكتاب والسنة جاء نفيها فعلنيا أن ننفيها، فإذا نفى الله -سبحانه وتعالى- عن نفسه النوم علينا أن ننفيه، إذا نفى الله -سبحانه وتعالى- عن نفسه العور ننفي ذلك عنه كما في حديث (إن ربكم ليس بأعور) وهكذا فننفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه -عليه الصلاة والسلام- ونثبت ما أثبته الله -تعالى- لنفسه في كتابه وعلى لسان نبيه -عليه الصلاة والسلام-.

يبقى أنه جاءت عندنا ألفاظ، هي ألفاظ تطلق على الله إما نفيًا أو إثباتًا لكن هذه الألفاظ لم ترد لا في الكتاب ولا في السنة لا بنفي ولا بإثبات، هذه الألفاظ يسميها بعض المحققين الألفاظ المجملة، ألفاظ مجملة، يعني فيها إجمال، فيها اشتراك، تحمل حقًا وتحتمل باطلًا، هذه الألفاظ المجملة التي تشتمل وتحتمل حقًا أو باطلًا هذه الألفاظ كلام المحققين من أهل العلم أن هذه الألفاظ ينبغي أن لا نردها بإطلاق، وألا نقبلها بإطلاق، هذه الألفاظ تحتمل وتشتمل على حق وباطل، فإذا رددناها جملة وتفصيلًا فقد نرد حقًا، وإذا قبلناها جملة وتفصيلًا قبلناها بإطلاق قد نقبل باطلًا، فلابد من التفصيل، والإمام الطحاوي على جلالة قدره -رحمه الله- استعملها في هذا المقام، وقد تعقب كلامه -رحمه الله- وليته -رحمه الله- عدل عن هذه العبارات التي فيها إجمال وفيها تفصيل، هذا أمر.

الأمر الثاني: أنه -رحمه الله- في هذه العبارة كما لاحظنا تكرر نفي، يعني فصل في النفي قال: (تعالى عن الحدود والغايات والأعضاء والأركان والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات) وقد مر بنا في أول المتن أول هذه العقيدة أن النفي في القرآن والسنة يكون مجملًا، وهنا في هذا النفي فصل -رحمه الله-، على كل الذي يهمنا في هذه العجالة أن نبين هذه الألفاظ وما فيها من الإجمال، لفظ الحد هذا لفظ مجمل، لم كان لفظًا مجملًا؟ لأن لفظ الحد لم يأتِ في الكتاب ولا في السنة لا بنفي ولا إثبات، ويشتمل على حق وباطل، يحتمل فلا نثبته بإطلاق ولا ننفيه بإطلاق.

هذا اللفظ لفظ الحد هل نثبته لله؟ نقول: هذا الحد له معنى صحيح، وله معنى فاسد، ما المعنى الصحيح له؟ المعنى الصحيح للحد إذا أريد بالحد أن الله -تعالى- مباين للمخلوقات وأنه منفصل عنهم، فإذا أريد بالحد المباينة والفوقية فلا شك أنه -سبحانه وتعالى- موصوف بالفوقية، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [الأنعام: ١٨]، إذن إذا أريد بالحد الفوقية فهذا المعنى صحيح، فالله تعالى موصوف بالفوقية أما وهذا هو المعنى الآخر المعنى الفاسد، أما إن أريد بالحد أن العباد يحدونه يعني يحيطون به فهذا المعنى فاسد يُنفى عن الله، فلا يمكن للعباد أن يحيطوا بالله -سبحانه وتعالى- قال تعالى: ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠]، قال تعالى: ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، يعني لا تحيط به.

إذن اتضح لكم أن الحد لفظ مجمل لم قلنا أنه لفظ مجمل؟ لأن هذا اللفظ يشتمل على حق وباطل وقبل هذا أنه لم يرد في نصوص الكتاب أو السنة لم يرد نفيه أو إثباته، فإذا جئنا إلى كلام السلف، السلف الذين أثبتوه أرادوا معنى صحيح وهو: أن الحد بمعنى العلو والفوقية والمباينة عند الله -تعالى- ليس داخل العالم -سبحانه وتعالى-، والذين نفوه عن الله -سبحانه وتعالى- أرادوا بهذا النفي أن الله -تعالى- لا يحد يعني لا يحاط به ولا شك أن هذا النفي صحيحًا، أن الله -تعالى- لا حد له، بمعنى أنه لا يحاط به هذا المعنى صحيح.

يقول: أهل العلم الراسخين، كيف نعرف أهل العلم الراسخين؟ وإذا كان هناك عالم يعتبر راسخًا وله بعض الزلات في العقيدة فتنفى عنده صفة الرسوخ؟.

على كل يعني نقصد لما نقول: العلماء الراسخين، نقصد بهم الأئمة من أهل السنة الذين يوصفون بالرسوخ، أما من تلبس بدعة وتلبس بعلم الكلام فهو أحوج ما يكون أن يدفع الوساوس عن نفسه فضلًا أن يسعى في إنقاذ غيره، فالمقصود بالعلماء الراسخين ومثلنا لهم بالعلماء السابقين فهو يمكن أن يسأل الأحياء منهم ويستفيد مما كتبه وقرره العلماء السابقين، فالمقصود بالعلماء الراسخين العلماء الذين التزموا واتبعوا وسلموا لنصوص الوحيين أما الذي لا يسلم للنص الشرعي وإنما يستسلم لعقله أو يستسلم لذوقه فهذا ليس راسخًا في العلم، لو كان راسخًا لسلم للنص، وصار سبيله سبيل الراسخين الذين قالوا: قال تعالى: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران: ٧] كلمة ﴿ آمَنَّا بِهِ ﴾ عند التحقيق لا يقولها إلا الراسخون، أما الذي يسلم لعقله ويعارض النص أو يسلم لذوقه ومواجيده هذا لا يعد راسخًا في العلم، لو كان راسخًا لسلم للنص وأعرض عما استحسنه بعقله أو ذوقه.

عندنا كلمة "الغايات" تحتاج أن نقف قليلًا، الغايات (تعالى عن الحدود والغايات) نحب أن ننبه عليها؛ لأن الشارح ابن أبي العز لم يذكر معنى هذه الكلمة ويمكن أن نوجز ذلك ونقول: الغاية قد يراد بها الحكمة، وقد يراد بها الغرر، فإذا أريد بالغاية الحكمة فلا يجوز أن ينفى ذلك عن الله، لاحظ العبارة قال: (تعالى عن الحدود والغايات) تعالى الله عن الغايات، فإذا أريد بالعبارة نفي الحكمة فهذا المعنى فاسدًا ولا ليس فاسدًا؟ لاشك أنه فاسد، لابد من إثبات الحكمة، فالله -سبحانه وتعالى- من أسمائه الحكيم، ومن صفاته الحكمة، أما إن أريد بكلمة (تعالى عن الحدود والغايات) أراد بنفي الغاية يعني نفي الأغراض التي فيها معنى الحاجة فالله تعالى منزه عن الحاجة، يعني أحيانًا بعض الناس يقول مثلاً: أنا فعلت هذا أو قدمت هذا الأمر لغرض في نفسي عند فلان، كلمة الغرض لا تنفك عن الحاجة، فإذا أريد بالغرض الحاجة فالله -سبحانه وتعالى- منزه عن ذلك، فنحن أهل السنة نثبت الحكمة خلافًا للجبرية والأشاعرة وفي نفس الوقت لا نسميها غرضًا كما يقوله المعتزلة الذين يشبهون أفعال الله بأفعال العباد، إذن إن أريد بالغاية الحكمة فلا يصح هذا النفي، وإن أريد بالغاية الغرض فهذا النفي يكون صحيحًا.

نأتي للعبارات الثلاثة: الأركان والأعضاء والأدوات، هذه العبارات قد يستعملها بعضهم فيقول الله -تعالى- منزه عن الأركان والأعضاء والأدوات، يستخدم هذه العبارات ويضمنها نفي صفات الله، يقول الله -سبحانه

وتعالى- منزه عن الأركان والأعضاء والأدوات، فتقول له: ماذا تريد بالأعضاء؟ يقول: إن الله -تعالى- لا يوصف بالوجه، وليس له يدان، فهذا النفي فاسد، فلا يسوغ أن تنفى صفات الله -سبحانه وتعالى- التي جاءت في الكتاب والسنة بدعوى أنها أعضاء أو أركان أو أدوات، إنما الواجب علينا أن نثبت هذه الصفات أما كلمة الأركان والأعضاء والأدوات فعلينا أن نستفصل، فإذا أراد بالأركان أن ينفي الصفات الثبوتية لله -سبحانه وتعالى- فهذا النفي فاسد، أما إذا أراد بنفي الأركان والأعضاء والأدوات أن ينفي مماثلة الله -سبحانه وتعالى- لخلقه فلا شك أنه -سبحانه وتعالى- ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾، ومع هذا ينبغي التنبيه إلى أن كلمة الأركان والأعضاء والأدوات وما جاء في معناها الجوارح هذه لا تخلو من جهة إثباتها لا تخلو من محذور، فالركن في اللغة هو جزء من الشيء، لما تقول: ركن هذه الغرفة أو هذا المكان فالركن هو جزء، جزء من الشيء، والله -سبحانه وتعالى- منزه عن أن يكون متجزئًا أو متبعضًا -سبحانه وتعالى- هو الصمد -سبحانه وتعالى-، وأيضًا كذلك لما يأتي كلمة الأعضاء، الأعضاء في اللغة إذا نظرت إلى أصلها كما بين أهل العلم مأخوذة من التعضية وهي التجزئة والتفرق، ومنه قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ [الحجر: ٩١] فالتجزئة والتفرقة الله -سبحانه وتعالى- منزه عن ذلك، كذلك أيضًا لما يقول: أدوات الأدوات فيها معنى جلب المنفعة ودفع المضرة والمعنى هذا جلب المنفعة ودفع المضرة الله -تعالى- ينزه عنه، وعلى كل الذي يهمنا في خلاصة هذه الكلمة أن نعرف أن هذه العبارات الأركان والأعضاء والأدوات، قد ينفيها البعض عن الله ويضمن النفي أن ينفي شيئًا من صفات الله، فلا يسوغ نفي شيء من صفات الله بهذا النفي المجمل العام، وأيضًا ينبغي أن نؤكد في نفس الوقت، علينا أن نلتزم بالعبارات الشرعية الدينية.

تبقى العبارة الأخيرة لما قال: (لا تحويه الجهات الست) هو -سبحانه وتعالى- لا تحويه الجهات الست، والمراد بالجهات الست: أمام، وخلف، ويمين، وشمال، وفوق وتحت، فيقول: هو -سبحانه وتعالى- لا تحويه الجهات، يعني ليس محويًا، لا يحاط به.

قال: (كسائر المبتدعات) المبتدعات التي هي المخلوقات، لو جئت إلى عموم المخلوقات تجد أنها محوية محاط بها، ونحن الآن في هذا المكان محاط بنا، يحيط بنا هذا السقف وهذه الغرفة، إذا وضعت كتابك في حقيبتك، فالكتاب أيضًا محوي، إذا ركبت السيارة فالسيارة تحيط بك وهكذا..

الغالب والأعم الأغلب في المخلوقات أنها محوية فهو -سبحانه وتعالى- ليس محويًا تعالى الله عن ذلك، ولا يمكن أن تكون شيء من مخلوقاته تحيط به-عز وجل-، فله من العظمة ما له.

أختم في هذه المسألة عندما نستغرق أيها الإخوة الكرام ومن يشاهد هذه الحلقة عندما نستغرق في الحديث عن هذا النفي ينبغي أن لا يشغلها هذا التحقيق وهذا البسط عما هو آكد وأجل وأعظم ألا وهو: أن نتنبه ونحرص على أن تكون عظمة الله -سبحانه وتعالى- حاضرة في قلوبنا، لابد من هذا الأمر، ونحن ما درسنا موضوع الأسماء والصفات إلا من أجل أن نحقق ذلك، أن نحقق عظمة الله -سبحانه وتعالى- وأن يكون ذلك باعثًا لنا في القيام بعبادته -سبحانه وتعالى-، فهذا أمر نؤكد عليه، لأننا نلحظ أن بعض الذين يدخلون في موضوع الصفات ويشتغلون في تفاصيلها قد يقعون في شيء من الجفاء في حق ربهم -سبحانه وتعالى-، فأقول: هذا التفصيل ينبغي أن لا يشغلنا عن ما هو آكد، بل ينبغي أن نجعل من الاشتغال والتفقه في باب الأسماء والصفات بابًا عظيمًا لتحقيق عظمة الله -سبحانه وتعالى-، فعظمة الله -سبحانه وتعالى- فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال، قال تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾ [مريم: ٩٠]، قال الضحاك -رحمه الله- في تفسير هذه الآية قال: تكاد السماوات تتشقق من عظمة الله -سبحانه وتعالى-، وسبق أن مر بنا قول الله -تعالى-: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الزمر: ٦٧]، نحن بحاجة يا إخوان إلى هذا الكلام بحاجة إلى أن نحرك قلوبنا، يعني الآن الواحد منا إذا رأى رجلًا عظيمًا بجاهه أو بماله يجد أنه يصاحبه إجلال وهيبة وهو مخلوق مسكين هذا صاحب الجاه وصاحب المال أو صاحب السلطان، فكيف بعظمة ملك الملوك -سبحانه وتعالى-؟ لابد أن نحرك قلوبنا، ما

نأخذ موضوع الأسماء والصفات مجرد معلومات وقوالب معلومات لا تحرك عاطفة ولا تحرك إيمانًا ولا تبعث على خوف ولا تبعث على اقشعرار جلد، ولا تورث دمعة عين خوفًا من الله وإجلالًا له -سبحانه وتعالى-، لابد أن يكون هذا الباب باب الأسماء والصفات باعثًا لنا إلى عبادته والقيام بحقه -سبحانه وتعالى-.

حتى فضيلة الشيخ يعني مواصلة لحديثكم تنقلب باب الأسماء والصفات إلى نقاشات بين طلبة العلم وأخذ ورد، يعني تراهات قد لا تكون لها نتيجة جيدة أو مؤثرة في نفس المؤمن.

نعم.. هذا قد يقع وما قد يقع منا وما يقع من غيرها ينبغي التنبه عليه وأن نشتغل بما ينفع وأن يكون باب الأسماء والصفات طريقًا إلى القيام بعبادة الله -تعالى- وحده لا شريك له.

يقول: ما الفرق بين التكذيب والجحود في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣]؟.

والله أنا الذي أعرفه أن الآية الكريمة أجابت وبينت أن فيه فرق بينهما، والذي يقرره أهل العلم كما هو من خلال هذه الآية الكريمة أن المكذب يظهر ذلك، أن المكذب يظهر تكذيبه، لكن الجاحد ليس كذلك، وهذا واضح عند مشركي العرب، فهم في قرارة أنفسهم يعلمون صدق محمد -عليه الصلاة والسلام-، لكن يظهرون التكذيب أو كما تعرف ويعرف الإخوة ما عند فرعون وملئه قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤]، فالكذب قد يكذب الإنسان بقلبه ولسانه فيعد مكذبًا، وقد يكون مكذبًا بلسانه مصدقًا بقلبه، فقد يقال عنه أنه جاحد وليس مكذبًا، هذا الذي يبدو لي والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (والمعراج حق وقد أسري بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء ثم إلى حيث شاء الله من العلى، وأكرمه الله بما شاء وأوحى إليه ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى فصلى الله عليه في الآخرة والأولى).

اللهم صلي على محمد، الآن المؤلف يتحدث عن جملة من الغيبيات، ومنها المعراج، وابتداءً نؤكد ونذكر أنفسنا ومن يشاهدوا هذه الحلقة على أمور:

الأمر الأول: ضرورة الإيمان بالغيب والتسليم بذلك والانقياد لما جاء في هذه النصوص الثابتة الصحيحة الصريحة، ومن ذلك الإيمان بالإسراء والمعراج، قال تعالى في حق المؤمنين: ﴿ الم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ [البقرة: ١- ٣] فالله -سبحانه وتعالى- أثنى على هؤلاء المؤمنين؛ لأنهم آمنوا بالغيب، هذا أمر.

الأمر الثاني: نسب إلى ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال في تعريف الغيب قال: الغيب كل ما أمرت بالإيمان به، فيما غاب عن بصرك يسمى غيبًا، قال: مثل الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان، هذا أثر نسب إلى ابن عباس -رضي الله عنهما-.

الأمر الثالث: وحديث الإسراء والمعراج كما ذكر الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره في تفسير قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ [الإسراء: ١]، ذكر أن حديث الإسراء أقر به المسلمون وأنكره الزنادقة والملحدون، فالزنادقة والملحدون ينكرون ذلك، ولا يزال الزنادقة والملحدون في هذا العصر ينكرون هذا الأمر الغيبي وينكرون سائر المغيبات.

الأمر الرابع: هنا لما قال -رحمه الله تعالى-: (والمعراج حق) نعم المعراج حق يعني أنه ثابت موجود، والأحاديث في هذا متواترة عن رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

قال: (وقد أسري بالنبي عليه الصلاة والسلام) والإسراء كما لا يخفى هو المشي ليلًا قال: (وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء) فالذي عليه المحققون من أهل العلم أن الإسراء وقع بروحه وجسده -عليه الصلاة والسلام-، وكان يقظة، والأدلة على أن ذلك بروحه وجسده الأدلة في هذا كثيرة:

أولًا: ما جاء في أول سورة الإسراء، قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ والعبد هو مجموع الروح والبدن، فإذا قلنا: "جاء زيد" فزيد يشمل روحه وبدنه مجموعهما.

ثانيًا: مما يدل على أنه كان بروحه وجسده: أن الله -تعالى- قال: ﴿سُبْحَانَ﴾ والتسبيح إنما يكون بالأمور العظيمة.

ثالثًا: أنه كان يقظة لا منامًا: أن قريشًا أنكرته، ولم تكن قريش تنكر المنامات.

رابعًا نستفيده من سورة النجم قال تعالى: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ [النجم: ١٧] ذكر ذلك الله -سبحانه وتعالى- في الكلام عن أدبه -عليه الصلاة والسلام- وعن تمام رباطة قلبه -عليه الصلاة والسلام- قال: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ ﴾ والبصر كما لا يخفى من أدوات البدن.

خامسًا: أيضًا في سورة الإسراء قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء: ٦٠] قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في تفسير هذه الآية قال: رؤيا عين أريها النبي -عليه الصلاة والسلام-.

إذن نخلص أن الرؤية كانت يقظة لا منامًا، وأن ذلك كان بروحه وجسده،

هذه جملة من الأمور التي تتعلق بهذه المسألة.

يبقى عندنا مسألة أحب أن أشير إليها، وهي: ما يقع أحيانًا من إشكال كونه -عليه الصلاة والسلام- طبعًا كما لا يخفى هو أسري به إلى المسجد الأقصى على البراق في صحبة جبريل -عليه السلام-، فلما قدم المسجد الأقصى صلى بالأنبياء أمهم -عليه الصلاة والسلام- ثم عرج به إلى السماء الأولى والثانية، وفي كل سماء يلقى جملة من الأنبياء ففي الأولى لقي آدم، وفي الثانية لقي عيسى ويحيى بن زكريا ابني الخالة، ثم في السماء الثالثة لقي يوسف، وفي الرابعة لقي إدريس وفي الخامسة عيسى، وفي السادسة موسى -عليه السلام- وفي السابعة إبراهيم -عليه السلام- وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

يرد إشكال في قضية كيف رآهم النبي -عليه الصلاة والسلام-؟ فالذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وذكره الحافظ ابن حجر -رحمة الله عليهم- أنه -عليه الصلاة والسلام- رأى أرواحهم مصورة في صورة أبدانهم، وإلا أجساد هؤلاء الأنبياء في الأرض إلا عيسى -عليه السلام- فقد عرج بروحه وجسده، وعلى كل إذا الواحد منا لم يستوعب ما ذكره هؤلاء العلماء أنه -عليه الصلاة والسلام- رأى أرواحهم مصورة في أبدانهم ما علينا إلا أن نسلم، هذا كلام الله -سبحانه وتعالى- ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ وهذا أحاديث النبي -عليه الصلاة والسلام- الذي لا ينطق على الهوى، فعلينا أن نسلم وأن نصدق بالنصوص سواءً عقلناها أو لم نعقلها، الواجب علينا التسليم كما مر بنا في الدرس السابق.

يسأل عن قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٨٨]؟.

يقول المؤلف: (لا تحويه الجهات كسائر المبتدعات) يعني العلو جهة يا شيخ؟ الجهات الست؟ فالآن نعتقد أن الله يوصف بالعلو فالعلو جهة من الجهات؟.

لا... ليس الأمر كما توهمت، هنا المؤلف يقول تعالى: (ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات) يعني هنا يقول: (لا تحويه) يعني أن الله -سبحانه وتعالى- ليس محويًا ليس محاطًا، وإلا -كما لا يخفى- الله موصوف بالعلو والفوقية هذا أمر دلت عليه الأدلة الكثيرة التي قال بعض العلماء: أنها تصل إلى ألف دليل أن الله -تعالى- موصوف بالعلو والفوقية، لكن هو سبحانه جل وعلا وتقدست أسماؤه إذا قلنا موصوف بالعلو لا يعني أن شيئًا يحيط به.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (والحوض الذي أكرمه الله -تعالى- به غياثًا لأمته حق).

نعم المراد بالحوض هنا: هو حوض نبينا محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-، هذا حق أي أنه ثابت، والأحاديث فيه متواترة عن رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، إذن الحوض ثابت والأحاديث فيه متواترة، من أنكر الحوض؟ نقول: أنكره الخوارج وبعض المعتزلة.

هذا الحوض جاءت الأحاديث في وصفه وأنه حوض عظيم وأن طوله وعرضه سواء، كما جاء في بعض رواية مسلم، (وأن طوله مسيرة شهر) ومن الأحاديث التي جاءت في ذلك حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: (إن قدر حوضي كما بين آيلة إلى صنعاء اليمن) وآيلة هي في طرف بحر القلزم الذي هو البحر الأحمر من جهة الشام، وصنعاء اليمن معروفة، فدل ذلك على أنه حوض طويل جدًا، لأن العلماء قالوا: إن ما بين آيلة التي هي في الشام في طرف البحر الأحمر بينها وبين المدينة مسيرة شهر، فما بالك -أيضًا- ما بين المدينة إلى صنعاء اليمن، فالمقصود أنه حوض عظيم، وجاءت الأحاديث أن هذا الحوض يذاد عنه أقوام يعني يمنعون، فالناس يخرجون من قبورهم عطشى فيقدمون على هذا الحوض فيذادون عنه، فيقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: (أمتي) وفي رواية قال: (أصيحابي) فيقال: (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) فدل الحديث على أن اتباع السنة والالتزام بالدليل والسير على وفق ما جاء به النبي -عليه الصلاة والسلام- أن ذلك من أسباب ورود الحوض، وكذا العكس، منطوق الحديث بين: أن من أحدث في دين الله سواءً ارتد عن دين الإسلام أو تلبس بالبدع والمحدثات والضلالات أن ذلك من أسباب الحرمان من ورود هذا الحوض الكريم وهذا الحوض العظيم.

هذا ما يتعلق بالحوض، إذن اتضح لنا ولكم أن هذا الحوض قد يذاد عنه أقوام ويمنعون بسبب ما أحدثوه وأن هؤلاء الذين أحدثوه قد يكونوا مرتدين، كما ذكر بعض الشراح وقد يكونون من أهل البدع والمحدثات كما اختار ذلك الإمام الشاطبي -رحمه الله- في كتابه "الاعتصام".

يقول: السؤال الأول: هل يجوز إطلاق ضابط أسماء الله وصفاته معرفة على البشر كقول: الكريم، القوي، الجبار، وغير ذلك؟

السؤال الثاني: أحد المعلمين من الدول العربية طرح سؤالًا وهو أن الأنبياء معصومين فكيف عصى آدم -عليه السلام- ربه وأكل من الشجرة؟ فكيف الرد على مثل هذا؟

السؤال الثالث: نسمع أحيانًا بعض الألفاظ من العامة ومن الخاصة كقول" "خذوه" "وحدوه" عند حمل الجنازة، تلقين الميت الشهادتين في القبر، ومثلا قول: يا حمار أو يا كلب يا عدو الله للمسلم وغير ذلك من الألفاظ فما حكم ذلك؟.

هل يجوز إطلاق صفات معرفة على العباد؟.

طيب على كل هنا الآن لما يقال فلان "الكريم" ولا يقال مثلًا: "السميع" ما دام أن "ال" هنا "ال" للعهد، فكونها تطلق على المخلوق ما فيه إشكال، لكن إذا أطلقت وأريد بـــ"ال" الاستغراق فهذه تختص بالله -سبحانه وتعالى-، وعلى كل يبقى هناك أسماء تختص بالله -سبحانه وتعالى-، يعني مثلًا "الرحمن" لا يجوز أن تطلق على المخلوق، "رب العالمين" لا يجوز أن تطلق على مخلوق، لكن يقال فلان "سميع" أو "بصير" أو يقال "السميع" إذا أريد بـــ"ال" هنا للعهد فلا إشكال في ذلك.

يسأل عن الأنبياء معصومين؟.

جزمًا الأنبياء هم معصومون -عليهم السلام- معصومون، نوضح هذا بإيجاز، أولاً: هم معصومون فيما يبلغونه عن الله من الوحي، ومعصومون من الكبائر ومعصومون من أيضًا الصغائر التي فيها دناءة وخسة -عليهم السلام-، وما ذكره قضية آدم -عليه السلام- فيجب أن نتنبه إلى أنه ما قد يقع فيه الأنبياء من لمم أو شيء من ذلك لا يذكر شيء من ذل لا يذكر ذنب لنبي إلا ويذكر له توبة، فآدم -عليه السلام- أكل من الشجرة كما هو معلوم، وحال الأنبياء -عليهم السلام- بعد التوبة أكمل من حالهم قبل وقوعهم في ذلك، فينبغي أن نعظم الأنبياء، وأن نجلهم، وأن نتوسط في باب العصمة بين الذين قد يسيئون إلى الأنبياء وبين من يدعي عصمة الأنبياء عصمة مطلقة حتى يقول أنه معصوم أنه معصوم من السهو والنسيان، لا.. الأمر وسط في هذا الباب.

أسئلة الدرس.

السؤال الأول: ما الألفاظ المجملة في باب الصفات؟ وما الموقف منها؟

السؤال الثاني: هل لله حد؟ مع التعليل والتوضيح؟

الدرس التاسع

الشفاعة والميثاق

بسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سنستعرض -إن شاء الله- في هذا الدرس موضوع الشفاعة وموضوع الميثاق ونشرع في بداية موضوع القدر مبتدئين بما قرره الإمام الطحاوي من علم الله -سبحانه وتعالى- وأنه يعلم أهل الجنة من أهل النار -سبحانه وتعالى-.

نستأذنكم فضيلة الشيخ باستعراض أجوبة الدرس الماضي:

إجابة الدرس الماضي:

السؤال الأول: ما الألفاظ المجملة في باب الصفات وما الموقف منها؟

أجاب الأخ الكريم بقوله: الألفاظ المجملة هي الألفاظ التي لم ترد في كتاب الله -تعالى- أو سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- لا بنفي ولا إثبات، وهي التي تحتمل الحق وتحمل الباطل، ويقول: لا نردها جملة وتفصيلًا، فلربما رددنا حقًا ولا نقبلها جملة وتفصيلً.

الإجابة صحيحة، الموقف أننا لا نقبلها بإطلاق فقد نقبل باطلًا ولا نردها بإطلاق، فقد نرد حقًا، فالإجابة طيبة.

الأخ الكريم أجاب عن السؤال الثاني وهو: هل لله حد؟

يقول: الحد لفظ مجمل لم يأتي في كتاب ولا سنة وله معنيان حق وباطل، فأما الأول: أن الله -تعالى- مباين لعبده منفصل عنهم وهذا صحيح، أما الثاني: أن العباد يحيطون به، وهذا معنى خاطئ.

الإجابة صحيحة، ونشكر للأخ ولجميع الذين شاركوا معنا في الإجابة عن هذه الأسئلة.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (والشفاعة التي ادخرها لهم حق كما روي في الأخبار).

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، في هذه العبارة يقرر الإمام الطحاوي مسألة الشفاعة فيقول: (والشفاعة التي ادخره) أي ادخرها الله -سبحانه وتعالى- (لهم حق) لهم ظاهر العبارة أنه يرجع إلى ما سبق، لهم أي لهذه الأمة، لأمة محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- وهي أمة الإجابة، فالشفاعة حق، وعلى كل نعرض لهذا الموضوع -موضوع الشفاعة- من خلال جملة مسائل نبدأ أولًا: بمسألة تعريف الشفاعة:

المسألة الأولى: تعريف الشفاعة.

الشفاعة لغة: من الشفع ويقابل الوتر، يقال: شفع كذا، أي ضمه إلى الفرد، فالشفع لغة: هو يقابل الوتر، يقابله ويضاده.

أما المراد به شرعًا: المراد بالشفاعة شرعًا: يمكن أن نعرفها بالتعريف التالي فنقول: الشفاعة هي التوسط للغير من أجل جلب منفعة أو دفع مضرة. هذا هو تعريف الشفاعة.

والبعض يعرفها بقولهم: هي التوسط للغير بالخير، لكن لعل التعريف الأول أشمل وهو أن يقال: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة، فالشفاعة قد يحصل بها جلب منفعة أو يحصل بها أيضًا دفع مضرة كما هو مبسوط في أنواع الشفاعة، هذه مسألة.

المسألة الثانية: عن الشفاعات التي تختص بنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-:

لما نتحدث عن الشفاعات التي تختص بنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- فهي ثلاثة:

الأولى: الشفاعة العظمى. وهي الشفاعة لجميع الناس من أجل فصل القضاء، هذه تختص بنبينا محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-، وهو أن يشفع لجميع الخلائق من أجل فصل القضاء، وجاءت في ذلك الأحاديث الثابتة عنه -عليه الصلاة والسلام-، وهي المقام المحمود، هذه الشفاعة هي المقام المحمود المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾[الإسراء: ٧٩].

فهذه الشفاعة التي يعتذر عنها آدم -عليه السلام-، ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى، ويقوم بها محمد -صلى الله عليه وسلم- فيشفع لجميع الخلائق من أجل فصل القضاء.

الثانية: من أنواع الشفاعات التي تختص بنبينا الكريم -عليه الصلاة والسلام-: الشفاعة لأهل الجنة في دخول الجنة، فهو -عليه الصلاة والسلام- هو أول من يستفتح باب الجنة، وقد جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم: (أنا أول شفيع في الجنة) هكذا جاء الحديث الذي أخرجه مسلم.

الثالثة: من أنواع الشفاعات التي تختص بهذا النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- ألا وهي الشفاعة في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب، فأبو طالب من المعلوم أنه مات على الكفر وامتنع أن يقول لا إله إلا الله عندما حضره الأجل، فالعباس -رضي الله عنه- ابن عبد المطلب عم رسول الله -عليه الصلاة والسلام- قال لنبينا محمد -عليه الصلاة والسلام-: عمك أبو طالب كان يحوطك ويغضب لك فهل نفعته، فقال -عليه الصلاة والسلام-: (هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) أخرجه البخاري ومسلم، فإذن نبينا -عليه الصلاة والسلام- شفع لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه، فلولا شفاعته -عليه الصلاة والسلام- لكان في الدرك الأسفل من النار -أعاذنا الله عن ذلك- فخفف عنه العذاب، وصار في هذا الضحضاح من النار، وكلمة ضحضاح معناه الشيء اليسير والشيء القليل كما جاء في لغة العرب.

هذا ما يتعلق بأنواع الشفاعة التي تختص بالنبي -عليه الصلاة والسلام-، هذه مسألة.

المسألة الثالثة: الشفاعة للعصاة.

الشفاعة لعصاة الموحدين فالشفاعة لعصاة الموحدين هذه الشفاعة ثابتة في الأحاديث عنه -عليه الصلاة والسلام- وهي له -عليه الصلاة والسلام- ولسائر الشفعاء، فالملائكة يشفعون والأنبياء يشفعون، والصالحون يشفعون، والأفراط الأطفال الذين ماتوا ولم يبلغوا الحنث، كل هؤلاء يشفعون، فالشفاعة للعصاة لا تختص بنبينا -عليه الصلاة والسلام-، لكن له في ذلك أوفر الحظ والنصيب -عليه الصلاة والسلام-، وهذه الشفاعة يثبتها أهل السنة والجماعة كما جاءت في ذلك الأحاديث الثابتة ومنها حديث النبي -عليه الصلاة والسلام- إذ يقول:
(شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) فالنبي -عليه الصلاة والسلام- يشفع لهؤلاء العصاة، فبشفاعته وشفاعة الشافعين من الأنبياء والملائكة والصالحين والشهداء ونحوهم، هؤلاء يشفع للعصاة فشفاعتهم هي سبب في إخراجهم من نار جهنم ودخولهم جنة النعيم.

هذه الشفاعة قررها أهل السنة بناءً على الأحاديث الثابتة عنه –عليه الصلاة والسلام– وأنكرها الوعيدية، والمقصود بالوعيدية الخوارج والمعتزلة، فالخوارج الذين يكفرون مرتكب الكبيرة، وكذا المعتزلة الذين يخلدون العصاة في نار جهنم هؤلاء وأولئك كلهم يتفقون على هذا المذهب الفاسد وهو أن عصاة الموحدين مخلدون في نار جهنم ولا يخرجون منها بشفاعة الشافعين. هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

المسألة الرابعة: وسطية أهل السنة والجماعة في باب الشفاعة.

نحن أهل السنة والجماعة وسط في باب الشفاعة بين من غلا وبين من جفا، ونبدأ بالجفاة الذين أشرنا إليهم قبل قليل وهم هؤلاء الخوارج والمعتزلة ومن سلك سبيلهم الذين ينكرون شفاعة الشافعين في العصاة، هذا يعد جفاءً فنحن اجتنبنا هذا المسلك، مسلك الجفاة. وأيضًا نجتنب مسلك الغلاة وهم الذين يجعلون الأموات ونحو الأموات يجعلونهم شفعاء فيطلبون منهم الشفاعة، هذا غلو كما هو عند مشركي العرب، وللأسف عند الكثير ممن ينتسب للإسلام تجد أن هؤلاء وأولئك يطلبون الشفاعة من الأموات؛ كأن يقول: يا فلان اشفع لي، تجده يدعو النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: يا محمد اشفع لي، أو يقول: يا علي بن أبي طالب اشفع لي، أو يا عبد القادر الجيلاني اشفع لي، أو يا أحمد البدوي اشفع لي، فيطلب الشفاعة من هؤلاء وغيرهم، وطلب الشفاعة من الأموات، هذا شرك بصريح القرآن، ونصه والدليل على ذلك ما جاء في قوله تعالى في سورة يونس قال –عز وجل–: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨] فالمقصود من هذه الآية الكريمة أن الله –سبحانه وتعالى– ذكر مقالتهم وأنهم يحتجون بالشفاعة، ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ ﴾ ثم جاء في آخر الآية –كما سمعنا– أن الله –سبحانه وتعالى– سمى ذلك شركًا قال: ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ فاتخاذ الشفعاء مع الله هذا يعد شركًا وخروجًا عن الملة، وعلى هذا يجب علينا نحن معشر أهل السنة أن ننبه هؤلاء الذين ضلوا عن سواء السبيل، ونأمرهم وندعوهم إلى أن يطلبوا الشفاعة من الله، كأن يقول: اللهم شفع فيَّ نبيك –عليه الصلاة والسلام–، لا أنه يطلب الشفاعة من محمد –عليه الصلاة والسلام–، الشفاعة –أيها الإخوة الكرام أيها المشاهدون والمشاهدات– الشفاعة هي ملك لله –سبحانه وتعالى– قال تعالى: ﴿ قُل للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٤٤]، تأملوا هذه المؤكدات، قال تعالى: ﴿ قُل للهِ ﴾ قدم الجار والمجرور، وهذا يفيد الحصر ثم قال: ﴿ قُل للهِ الشَّفَاعَةُ ﴾ الألف واللام للاستغراق تستغرق جميع أنواع الشفاعات، ثم أكد ذلك قال: ﴿ جَمِيعًا ﴾ فالشفاعة كلها بجميع أنواعها هي ملك الله –سبحانه وتعالى– وعلى هذا فلنطلب الشفاعة من الله –سبحانه وتعالى– ونسأله، إن أعظم سبب وأعظم وسيلة لتحقق ونيل شفاعة محمد –عليه الصلاة والسلام– ألا وهو إخلاص العبادة لله، التوحيد، إذا أردنا أن ننال الشفاعة وأن نكون أسعد الناس بشفاعته –عليه الصلاة والسلام– يوم القيامة فعلينا أن نحقق التوحيد، وهذا الحديث الذي جاء في حديث أبي هريرة، أن أبا هريرة سأل النبي –عليه الصلاة والسلام– وقال: (من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ فقال –عليه الصلاة والسلام–: أسعد الناس بشفاعتي: من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه) أو كما قال –عليه الصلاة والسلام–.

فتقرر من خلال هذا الحديث أن التوحيد هو أعظم سبب في نيل الشفاعة، والعكس، الشرك هو من موانع الشفاعة؛ ولهذا الذين يتلبسون بالشرك لا ينتفعون بشفاعة الشافعين، وهذا واضح في كتاب الله –عز وجل– قال تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [المدثر: ٤٨] قال –عز وجل–: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨]، فهذا أمر ينبغي أن نحرص عليه لاسيما في هذا الزمن الذي ابتليت فيه الأمة –للأسف الشديد– بالتعلق بالأضرحة وبالأموات وبالمشاهد، وصاروا يصرفون العبادة لغير الله، يا سبحان الله!!

يعني نحن الآن أو نجد بعض المسلمين يدعون ويستغيثون ويطلبون الشفاعة من هؤلاء الأموات الذين لا ينفعون ولا يضرون ويعرضون عن باب الله –سبحانه وتعالى– والذي يقول: (هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من داعٍ فأستجيب له؟) عجب من واقع المسلمين كيف يفعلون ذلك، وهو –سبحانه

وتعالى– هو الذي يملك الشفاعة؟ وهو –سبحانه وتعالى– له الأمر كله؟ فالشفاعة ملكه كما أن الخلق والرزق بيده –سبحانه وتعالى–.

يقول: للأسف الشديد ما ذكرته من يدعو من دون الله يقع في الشرك، وهذا حال كثير من المسلمين في البلدان الإسلامية والعربية، يسأل يقول: ما هي الطريقة المناسبة لتوجيه مثل هؤلاء؟ وهل يعذر من يفعل ذلك بجهل أو غيره؟.

الكلام عن هذه المسألة يطول، لكن الواجب علينا في هذا المقام ألا يكون حظنا من هذا الدرس أن نندب واقع المسلمين، ولا واقع المسلمون ونحن جزء من هذا الواقع مليء بالانحرافات والآفات، لكن علينا أن نحرص على المدافعة، وبإيجاز شديد مدافعة هذا الانحراف، وهذا الخلل الكبير يتمثل من خلاله ثلاثة أمور بإيجاز:

الجانب الأول: الجانب الدعوي. أن ندعو وأن نرغب الناس في توحيد الله، وندعوهم إلى عبادة الله –سبحانه وتعالى– وحده لا شريك له، ونبين لهم أن الله –سبحانه وتعالى– هو الخالق القادر الرازق، ومن كان كذلك حقه أن يفرد بالدعاء، فلا تطلب الشفاعة إلا منه.

الجانب الثاني: الجانب العلمي. الذي يملكه طلبة العلم وأهل العلم، وهو أن هؤلاء القوم عندهم من الشبهات، وعندهم من الإشكالات ما يجعل طلب الشفاعة من الأموات يزين لهم، ونحن نعرف أن هناك من أئمة الضلال وأئمة السوء الذين يزينون الشرك، فلابد لطلبة العلم الذين أكرمهم الله –تعالى– بالعلم الشرعي أن يزيلوا هذه الشبهات، ودائمًا أن هذه الشبهات التي يتعلق بها هؤلاء إما يتعلقون بأحاديث مكذوبة، وإما يتعلقون بنصوص لا تدل على ما أرادوا، بل نجد أن الأدلة الصحيحة تنقض مذهبهم.

الجانب الثالث: الجانب الاحتسابي. وهو أخص من ذلك كله: ، وأقصد بالجانب الاحتسابي: أن مظاهر الشرك هذه التي تقع مثل قضية المشاهد وما يبنى عليها، وطلب الشفاعة، هذه المشاهد ينبغي لمن له ولاية، وله قوة، وله سلطة، وله شوكة، ينبغي أن تزال هذه المظاهر، كما أن النبي –عليه الصلاة والسلام– كسر الأصنام التي كان مشركو العرب يطلبون منها الشفاعة، فأيضًا على أتباعه من بعده أن يفعلوا ذلك، وعلى هذا كان الأئمة، فإذا وجد عند بعض أهل الإسلام قوة وشوكة وغلبة، فلهم أن يزيلوا هذه المنكرات بأيديهم إذا كانت المصلحة الراجحة تقتضي ذلك. هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

أما قضية العذر بالجهل أو نحو ذلك فالكلام يطول لكن بإيجاز نقول: العذر بالجهل معتبر، هذا أمر في مثل هذه الأمور، لكن ينبغي أن يفرق بين الجاهل المفرط والجاهل العاجز، فبعض هؤلاء تجده فعلًا جاهل عاجز ملبس عليه، لكن من هؤلاء من هو جاهل مفرط، لم يرفع بذلك رأسًا، لم يسأل ولم يتفقه، فليس كل جاهل يكون معذورًا، إن كان الجاهل جهل عجز ما وجد ولم يتهيأ له من يعلمه، فهذا قد يعذر والله –سبحانه وتعالى– حكيم ورحيم –سبحانه وتعالى– لكن الجاهل المفرط هذا لا يعذر، فينبغي أن يفرق بين الجاهل المفرط والجاهل العاجز، يفرق بين من يكون في أماكن يظهر فيها العلم الشرعي، ويظهر فيها مذهب أهل السنة، ويظهر فيها التوحيد، وبين أماكن يغلب فيها الجهل ويندرس فيها العلم الشرعي، فالأماكن تختلف، والأشخاص يختلفون، هذا الذي يمكن أن يقال في هذه العجالة.

يقول: قلنا الشفاعة لأهل الجنة بدخول الجنة، هل يشفع لأمته الذين يدخلون الجنة؟ حتى لأهل الجنة من الأمم السابقة؟.

ظاهر الأحاديث العموم، أنه يشفع لأهل الجنة، سواءً من هذه الأمة أو من غيرها، فهو –عليه الصلاة والسلام– هو أول من يستفتح باب الجنة –عليه الصلاة والسلام–.

يقول: كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ وبين شفاعة النبي -صلى الله عليه وسلم- لعمه أبي طالب؟.

الذي ذكره العلماء في هذا أنه لا إشكال، فقوله تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ في قضية الخروج من النار، هذا جواب. فأبو طالب هو في نار جهنم لا يخرج منها، كحال الكفار لكنه خفف عنه العذاب، يمكن يقال في قوله تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ في الخروج من هذه النار، هذا الذي يبدو والله أعلم، والبعض يقول أن الآية تبقى عامة ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ وأن هذا الحديث يخص الآية، لكن لعل الأظهر الأول، وهو: أن معنى قوله تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ في مسألة أنه لا يخرج أحد من أهل النار، لا أبو طالب ولا غير أبي طالب أعاذنا الله من جهنم.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (والميثاق الذي أخذه الله -تعالى- من آدم وذريته حق).

مسألة الميثاق التي ذكرها الإمام الطحاوي، الميثاق الذي ذكره هنا هو ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣] المقصود أن الميثاق الذي ذكره الطحاوي -رحمه الله- ها هنا هو المذكور في هذه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ لكن يوجد هنا نزاع طويل بين أهل العلم نلخصه في قولين:

ما معنى الميثاق في هذه الآية الكريمة؟

اختلف أهل العلم على قولين في هذه المسألة:

القول الأول: فجملة من أهل العلم فسروا هذه الآية الكريمة فسروها بالأحاديث والآثار التي وردت، وخلاصة هذه الآثار والأحاديث أن الله -سبحانه وتعالى- لما خلق آدم مسح على ظهره بيمينه ثم استخرج ذريته على هيئة الذر وأخذ عليهم الميثاق ألا يعبدوا إلا الله، هذه خلاصة هذه الآثار.

فإذًا القول الأول: فسروا الآية الكريمة فسروها بالآثار التي وردت عنه -عليه الصلاة والسلام- من أن الله -سبحانه وتعالى- لما خلق آدم استخرج ذريته، أو مسح على ظهره بيمينه سبحانه، واستخرج ذريته على هيئة الذر، ثم لما استخرجت هذه الذرية أخذ عليهم الميثاق ألا يعبدوا إلا الله، هذا عليه جملة من الأئمة وجملة من العلماء والأئمة الكبار.

القول الثاني: من يفسر هذه الآية الكريمة آية: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ ﴾ يفسرها: بأن المراد من ذلك ميثاق الفطرة، ويفسر الآية الكريمة بما جاء في حديث أبي هريرة قوله -عليه الصلاة والسلام-: (كل مولود يولد على الفطرة) فمعنى الآية يقولون: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ ﴾ أن الله -سبحانه وتعالى- أقام الأدلة والشواهد الدالة على أنه -سبحانه وتعالى- هو الرب المستحق للعبادة -سبحانه وتعالى-.

هذا الرأي الثاني هو رأي شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، وكذا ابن القيم وغيرهما، ويميل إليه الشارح ابن أبي العز، وهم قالوا عن تلك الآثار التي احتج بها الفريق الأول قضية أن الله -تعالى- مسح ظهر آدم واستخرج ذريته قالوا: هذه الآثار لا تثبت عن النبي -عليه الصلاة والسلام-، فالمسألة فيها نزاع طويل، لكن هذه هي الخلاصة في هذه المسألة، وعلى كلٍ سواء أخذ بالقول الأول وهو رأي الجمهور أو أخذ بالقول الثاني الذي قاله جملة من المحققين كشيخ الإسلام ابن القيم وغيرهما، فالذي يهمنا في هذه العجالة أن يعلم أن الميثاق الذي

تقوم به الحجة على العباد ويوجب الإثم والعقاب هو ميثاق الرسل، كما جاء ذلك في النصوص الأخرى قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء: ١٥]، وكما قال -عز وجل- على لسان نبيه -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩] فالحجة التي توجب العقاب لمن تركها ولم يلتزم بها ألا وهي ميثاق الرسل -عليهم السلام- ألا وهي الدليل السمعي الذي هو الوحي كما سمعنا في الآية الكريمة. هذا ما يتعلق بهذه المسألة والله تعالى أعلم.

يقول: بالنسبة للشفاعة شفاعة الأولاد الصغار الذين ماتوا وهم صغار في صغرهم يشفعون لآبائهم، سؤالي: هل يستطيعون من يشفعوا الأولاد الصغار لآبائهم الكفار؟.

هو ظاهر النصوص لا.. أن هؤلاء يشفعون لآبائهم المؤمنين، أما الكافر ما ينتفع لا بشفاعة الأفراط ولا غيرهم؛ لعموم الآيات التي سمعناها: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ وإذا كان إبراهيم الخليل -عليه السلام- لا تقبل شفاعته في أبيه -أليس كذلك- كما في الحديث الصحيح، وهو إبراهيم الخليل، فالكفار لا ينتفعون بشفاعة الشافعين كما هو صريح الآيات التي سمعناها ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ هذه نكرة في سياق النفي تفيد العموم، أو الآية التي سمعناها ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾.

يقول: ما هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها؟.

نرد عليهم بهذا الحديث؛ لأنه -عليه الصلاة والسلام- قال: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) وجاء عندنا في حديث أبي سعيد الخدري وغيره أن هؤلاء يخرجون، جاءت أحاديث صحيحة ثابتة أن هؤلاء يخرجون من جهنم، وأنهم يسمون بالجهنمين، ثم يغمسون في نهر يقال له نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، كل هذه الأدلة تدل على أن هؤلاء يخرجون، إما بشفاعة الشافعين أو برحمة أرحم الراحمين -سبحانه وتعالى-، فالنصوص في هذا كثيرة، لكن هؤلاء الوعيدية مصيبتهم أنهم عندهم أصل فاسد، وهو أن العصاة مخلدون في نار جهنم، هذا الأصل الفاسد يقررونه، فإذا جاءت النصوص الأخرى إما أن يردوها بحجة أنها خبر آحاد، وإما أن يتأولوها تأويلًا فاسدًا، هذا ديدن المبتدعة، سواءً في هذه المسألة أو في غيرها، أنهم يقررون أصولًا فاسدة، فإذا جاءت النصوص التي ترد وتنقض مذهبهم إما أن يردوها بحجة أنها خبر آحاد، وإما أن يقولوا: هذه متأولة، ويحرفون الكلم عن مواضعه من أجل أن يسلم أصلهم الفاسد ودينهم الباطل.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (وقد علم الله -تعالى- فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار جملة واحدة فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه).

الآن المؤلف الطحاوي -رحمه الله- يقرر مسألة العلم الإلهي، وسبق أن مر بنا وبكم مسألة العلم في قوله: (خلق الخلق بعلمه) لكنه -رحمه الله- قرر ذلك هنا، فيما يبدو، وجعل ذلك مدخلًا لموضوع القدر، وموضوع القدر هو من الموضوعات المهمة العظيمة -كما لا يخفى- وهو ركن من أركان الإيمان لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، بل الأمر أعظم كما قال إبراهيم الحربي -رحمه الله- كلمة جميلة يقول: "من لم يؤمن بالقدر لم يتهن بعيشه" المقصود: أن الإيمان بالقدر قائم على إثبات صفة العلم، لله -سبحانه وتعالى-؛ ولهذا الذي يثبت صفة العلم لله -سبحانه وتعالى- هذا يستوجب أن يقر بالقدر وبمراتب القدر الأخرى التي ستأتي -إن شاء الله- تفصيلًا، ومن ذلك أن الإمام الشافعي -رحمه الله- يقول: "ناظروا القدرية بالعلم، فأن أقروه خصموا، وإن أنكروه كفروا" يقول: "ناظروا القدرية بالعلم"، القدرية: الذين ينفون القدر، "فإن أقروه" يعني أقروا بالعلم "خصموا" يعني: غلبوا، يعني ما دام أن الله -تعالى- علم الأشياء فهذا يستلزم أن يكون كتبها وشاءها وخلقها، وإذا أنكر العلم أنكروا أن الله -تعالى- يوصف بالعلم هذا كفر صريح، هذا يستوجب أن يوصف الله -تعالى- بالجهل تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، فهذه قضية ينبغي أن يتنبه إليها الجميع.

الأمر الآخر الذي نؤكد عليه: أن موضوع القدر قائم على إثبات الصفات، وعلى سبيل الخصوص صفة العلم -كما قلنا قبل قليل- فالإيمان بالقدر وثيق الصلة تمامًا موضوع الأسماء والصفات؛ ولهذا لو نظرينا إلى كتاب "شفاء العليل" لابن القيم "شفاء العليل" في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، نجد أن ابن القيم لما ألف هذا الكتاب العظيم "شفاء العليل" استفتح الكتاب بهذه المقدمة، وبين صلة موضوع القدر بموضوع الأسماء والصفات، فهذا أمر ينبغي أن يتنبه له المشاهدون والمشاهدات والإخوة الكرام، أن موضوع الصفات وثيق الصلة بموضوع القدر، وهذا ليس فقط في القدر، موضوع الصفات مرتبط بموضوع النبوات، وموضوع الصفات مرتبط بموضوع البعث والنشور كما سيأتي معنا -إن شاء الله- فالذي يهمنا أن الشخص إذا أقر بصفات الله -تعالى- تجد أنه يقر بالقدر، لكن الذي يعطل في الصفات، تجد يكون عنده أيضًا خلل في موضوع القدر.

نحن أهل السنة أثبتنا قدرة الله، وأثبتنا علم الله، ومشيئته فلهذا نجد أن كلام أهل السنة في باب القدر كلام واضح بين، كلام صحيح، لكن لو جئت مثلًا القدرية الذين ينفون القدر لماذا نفوا القدر؟ تجد أنهم نفوا القدر؛ لأنهم ينفون قدرة الله، يجعلون العبد هو الذي يخلق فعل نفسه، فأخرجوا أفعال العباد عن ملك الله، العكس: تأتي الجبرية الذين يقولون أن الإنسان مجبور على فعله، تجد هؤلاء الجبرية كذلك، يعني هذا الجبر، وهذا المذهب الفاسد سببه أنهم أنكروا صفة الحكمة والتعليل في أفعاله -سبحانه وتعالى-، فأيضًا ينبغي أن نتنبه لهذا الأمر.

إذن نخلص من هذه المقدمة أن موضوع القدر قائم على إثبات صفة العلم؛ ولهذا الطحاوي -رحمه الله- ابتدأ بتقرير العلم، ثم دخل في موضوع القدر كما سيأتي، والأمر الثاني عمومًا أن موضوع القدر وثيق الصلة بموضوع الأسماء والصفات.

سبق أن مر بنا -وبكم وبكن- أن أهل السنة يثبتون صفة العلم، وأهل القبلة عمومًا يثبتون ذلك، أن الله -تعالى- بكل شيء عليم، يعلم ما كان ويعلم ما يكون وما سيكون، بل هو -سبحانه وتعالى- يعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون، علمه محيط بكل شيء -سبحانه وتعالى-، ومر بنا أن الذين أنكروا العلم إما الفلاسفة الذين يقولون: إن الله -تعالى- لا يعلم الجزئيات، وأيضًا القدرية الغلاة الذين ينكرون العلم القديم، ويقولون: أن الأمر أنف، يعني ما فيه علم سابق يعني ما فيه علم سابق، أو الصنف الثالث: وهم الروافض الذين قالوا بالبداء وعقيدة البداء لا شك أنها تناقض إثبات العلم المحيط بكل شيء لله -سبحانه وتعالى-.

في تقريب وضوح العلم نذكر دليلًا في هذا: الأدلة في هذا من القرآن واضحة، لكن نحن نذكر دليلًا من السنة مما يبين صلة موضوع القدر، بموضوع العلم الإلهي، جاء في حديث عمران بن حصين -رضي الله عنهما- أن رجلًا قال للنبي -عليه الصلاة والسلام-: (أَعُلِمَ أهل الجنة من أهل النار؟ فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: نعم، فقال الرجل: ففيم العمل؟ فقال -عليه الصلاة والسلام-: اعملوا فكل ميسر لما خلق له) فإذن هذا الحديث يقرر فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- أن الأمر قد فرغ منه، وقد عرف أهل الجنة من أهل النار، وسمعنا كلام الإمام الطحاوي في هذا، فقد علم أهل الجنة فلا يزاد فيهم، وكذا أهل النار أعاذنا الله من النار وأهلها، فهذا أمر قد فرغ منه، لكن لاحظوا الأجوبة النبوية السديدة الحكيمة، لما قال -عليه الصلاة والسلام-: (أنه قد علم أهل الجنة من أهل النار فقال رجل: ففيم العلم؟ فقال -عليه الصلاة والسلام-: كل ميسر لما خلق له) وفي رواية قال: (اعملو) إذًا أيها الإخوة الكرام، أيها المشاهدون أيتها المشاهدات علينا أن ننبه إلى أمر مهم، كون الأمر قد فرغ منه وقد علم أهل الجنة من أهل النار، هذا لا يعني ترك العمل أبدًا، بل هو -صلى الله عليه وسلم- حقق الأمرين، فقرر القدر -عليه الصلاة والسلام-، وأن الأمر قد فرغ منه وقد عرف أهل الجنة من أهل النار، لكن هذا لا يعني ترك العمل، وفي بعض الروايات: أن السائل هو سراقة بن مالك بن جعشم، ولما أخبره -عليه الصلاة والسلام- بأن الأمر قد فرغ منه، فقال سراقة: (أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟) يعني نتكل على كتابنا الذي في اللوح المحفوظ، فقال -عليه الصلاة والسلام-: (لا..) يعني لا تتكل على ما في اللوح المحفوظ، ثم قال: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) قال -عليه الصلاة والسلام- في بعض الروايات: (فأهل السعادة ييسرون لعمل

أهل السعادة، وأهل الشقاوة ييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ [الليل: ٥– ١٠]، فهذا أمر ينبغي أن نتنبه له، كوننا قررنا القدر، وأنه قد علم أهل الجنة من أهل النار –كما سمعنا الأحاديث الصحيحة– هذا لا يعني ترك العمل بل العكس، هذا يوجب الاجتهاد؛ لأن أهل السعادة ييسرون لعمل السعادة، وأهل الشقاوة ييسرون لعمل الشقاوة، ييسرون يعني يصيرون إلى عمل الشقاوة؛ ولهذا الصحابة –رضي الله عنهم– وهم أعلم الناس وأعمق الناس علمًا لما سمعوا أحاديث القدر كان بعضهم يقول: (ما كنت أشد اجتهادًا مني الآن) أما أن بعض المسلمين إذا سمعوا أحاديث القدر يعني أصابهم الكسل والتقصير، ثم ركنوا إلى القدر هذا كلام مردود ترده النصوص، والمسألة واضحة، يعني هذا المثل ما لو قلنا: إذا كان الله – تعالى– علم أن فلانًا سيولد له، سيحصل له ذرية، ما يأتي أحد شخص عاقل ويقول: ما دام أن فلان تصير له ذرية، إذن تأتيه ذرية، تزوج ولا ما تزوج، هذا حمق، ولا شخص يقول مثلًا: والله إذا كان علم الله –تعالى– أنه يأتيني ثمر، شخص من الزراع أو من الفلاحين يقول سيأتيني ثمر ويأتيني محصول، إذًا ما دام يأتيني ثمر ومحصول ويأتيني غلة، ما فيه داعي لأرض ولا بذر ولا تراب ولا ماء ولا شيء من هذه الأسباب، هذا لا يمكن، لا يمكن أن ينال الثمر إلا بهذه الأسباب، ولا يمكن أن تحصل الذرية إلا بهذا الزواج ونحوه، فهذا مما يذكر في هذا المقام.

تقول: مات لي ولدان أحدهما عمره يومان، والآخر ثلاثة أيام، فهل يعتبران من الشفعاء لي ولزوجي؟.

نرجو ذلك، أقول نرجو أن يكون هذا الطفل أو ذاك كلاهما أن يكون ذلك شفيعًا لكِ.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (وكل ميسر لما خُلِقَ له، والأعمال بالخواتيم والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله).

الآن عرفنا الآن أنه –سبحانه وتعالى– قد علم كل شيء ومن ذلك أفعال العباد، كما مر بنا في مثل قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[الأحزاب: ٤٠]، ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، بعدها قال –رحمه الله–: (وكل ميسر لما خُلِقَ له) لا حظ الأئمة يعتنون بالعبارات وبالألفاظ الشرعية الدينية، لا حظ هنا قال: (وكل ميسر لما خُلِقَ له) هذه العبارة هي التي سمعناها قبل قليل في حديث عمران بن حصين وفي غيره، أنه –صلى الله عليه وسلم– يقول: (وكل ميسر لما خُلِقَ له) وجاء مفسرًا في بعض الأحاديث: (أهل السعادة ييسرون) فلما يقول: (وكل ميسر لما خُلِقَ له) هذه العبارة التي ينبغي أن نعتني بها، الآن نجد في العبارات الدارجة دائمًا لما يأتي موضوع القدر ماذا يقول الناس؟ نسمع هذا السؤال الذي نسمعه صغارًا وكبارًا، يقول لك: الإنسان مسير ولا مخير؟ هذا ليست العبارات شرعية، و هذه عبارة توهم فسادًا، فلما يأتي شخص يقول لك: الإنسان مسير يعني توهم العبارة أن الإنسان مجبور وأنه مكره وليس له اختيار وليس له إرادة، هذا كلام فاسد، الواحد منا وكل شخص يعرف أنه يفعل الطاعة أو المعصية باختياره ومشيئته، ما أحد يجبره على ذلك، ولو أن الشخص أكره على معصية فالأصل أن الشخص إذا أكره على معصية فإنه لا إثم عليه ولا حرج.

أيضًا بعض الناس يقول لك: الإنسان ما هو مسير، لا.. مخير، فلما يقول لك: مخير، العبارة هذه توهم أنه مستقل بفعله وليس ثمة مشيئة لله –سبحانه وتعالى– تخضع هذا العبد أو فعله لمشيئته –عز وجل–، لا.. ليس الأمر كذلك، بل علينا أن نلتزم بالعبارات الشرعية الدينية، فالعبارات الشرعية الدينية نجد أنها عبارات جامعة ومسددة وعلينا أن نلتزم بها، فنقول كما قال –عليه الصلاة والسلام–: (وكل ميسر لما خُلِقَ له) فإذا كان الله –سبحانه وتعالى– قضى لفلان أنه من أهل السعادة، فإنه ييسر ويصير إلى عمل أهل السعادة، وإذا كان الله –تعالى– قضى على فلان بأنه من أهل الشقاوة ﴿ جَزَاءً وِفَاقًا ﴾ [النبأ: ٢٦] وله الحكمة في ذلك، وهذا مقتضى

عدله -سبحانه وتعالى- ﴿ وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩] فهذا الرجل الذي كتب أن يكون من أهل الشقاوة هو أيضًا يصير إلى عمل أهل الشقاوة.

أما أن يأتي شخص يقول: أنا إذا كان الله -تعالى- كاتبني من أهل السعادة إذًا أنا من أهل السعادة فلا حاجة إلى أن أفعل واجبًا ولا أن أترك محرمًا، نقول: هذا كلام باطل، ترده النصوص وترده العقول الصحيحة والفِطر السليمة، فكونه يترك الواجب ويفعل المحرم هو الآن ما صار من أهل السعادة، أليس كذلك؟ بل صار من أهل الشقاوة، صار بذلك من أهل الشقاوة.

ونؤكد على قضية فهم الصحابة، الصحابة منهم من شُهِدَ له بعينه بالجنة كالعشر -كما هو معلوم- ومع ذلك ما أحد من هؤلاء العشرة قال: والله ما دام أنه مشهود لي بالجنة على لسان الصادق المصدوق -عليه الصلاة والسلام- ترك العمل، بل كان الصحابة لاسيما العشرة -رضي الله عنهم- كانوا أعظم الناس اجتهادًا على في العبادة وحرصًا على فعل الطاعات والابتعاد عن المنهيات. هذا ما يتعلق بهذه العبارة.

أيضًا مما نؤكد عليه في هذا المقام، لما قال -رحمه الله- (والأعمال بالخواتيم) هنا لما يقول: (الأعمال بالخواتيم) هذا إشارة إلى ما جاءت في النصوص كحديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- والذي جاء فيه قوله -عليه الصلاة والسلام-: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يُرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد) قال -عليه الصلاة والسلام- بعد ذلك: (فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخله) أخرجه البخاري ومسلم، فالأعمال بالخواتيم، لكن نؤكد في هذا الحديث ما ذكره بعض المحققين أن قوله -عليه الصلاة والسلام-: (إن أحدكم ليعمل بعمل الجنة حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع...) الحديث أن ذلك جاء ما يفسره في حديث سهل -رضي الله عنه- في قوله -عليه الصلاة والسلام-: (إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس) وإلا كما قال أهل العلم: "من صلح ظاهرًا وباطنًا واستقام ظاهرًا وباطنًا فحكمة الله -تعالى- ورحمته تأبى أن يُختم لهذا بسوء" وهذا ما قرره الإمام عبد الحق الإشبيلي: أن من صلح ظاهرًا وباطنًا وحسن حاله ما في قلبه فهؤلاء لا يختم لهم بسوء، كما بين ذلك عبد الحق الإشبيلي في كتابه "العاقبة" والله أعلم.

المقصود أن (الأعمال بالخواتيم) وهذا يوجب علينا نحن وعليكم أيها الطلاب الفضلاء، ويوجب علينا نحن جميعًا ومن يشاهد هذه الحلقة علينا من خلال هذا الحديث الذي سمعناه علينا أن نخاف من سوء الخاتمة وأن نستعد للقاء الله وأن الإنسان لا يتكل على عمله، لا يقول الإنسان أنا عندي أعمال صالحة وأنا صاحب طاعة ولا صلاة ولا صيام ولا صدقة ولا دعوة ولا جهاد.. لا، الأمر أعظم من ذلك، فسلفنا الصالح كانوا يخافون من سوء الخاتمة، وعلينا دائمًا وأبدًا أن نقول كما قال -عليه الصلاة والسلام-: (اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين) نحن ضعفاء ولا ننفك عن الجهل، ولا ننفك عن الظلم، ولا ننفك عن التقصير، والدنيا مليئة بالفتن والتقلبات، فما على العبد إلا أن يلجأ إلى الله، وأن يقول كما يقول أهل الإيمان دائمًا: "يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، يا مصرف القلوب صَرِّف قلوبنا على طاعتك" هذا الذي يتعين علينا في هذا المقام، فالمقصود أنه لما نسمع كلام العلماء والأعمال بالخواتيم هذا يوجب الخوف من الله ويكسر داء العُجْب والغرور، أحيانًا الواحد صار عنده كلمتين من العلم ولا عنده شيء من العمل الصالح البعض أحيانًا يعتريه العُجْب يغتر بعمله، فالإنسان إذا تذكر أن الأعمال بالخواتيم فعلى ماذا تغتر؟ تغتر بأنك والله حضرت لك درس ولا ألقيت لك درس، هذا الدرس الذي ألقيته فضل من الله أليس كذلك؟ وهذا الدرس الذي حضرته ولا شاهدته فضل من الله -تعالى- هو الذي وفقنا، ونقول كما قال أهل الإيمان: ﴿ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ ﴾[الأعراف: ٤٣]، فالفضل لله -تعالى- أولاً وأبدًا، له الفضل في الأولى وفي الآخرة -سبحانه وتعالى-، فعلى العبد أن يستصحب هذه المعاني

فهذا يورثه خوفًا وخشيةً ويجعله منكسر القلب بين يدي الله –سبحانه وتعالى– ويلجأ إلى الله، وكم نحتاج إلى هذه المعاني الإيمانية لاسيما في مثل هذه الأوقات.

يقول: كيف يكون الجمع بين قول الرسول –صلى الله عليه وسلم–: (شفاعتي يوم القيامة لأهل الكبائر) وبين قول الله –تعالى–: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا ﴾ [النساء: ١٤]؟.

أولًا: يجب أن ننبه على قاعدة: أن النصوص يصدق بعضها بعضًا، وكلام الله –سبحانه وتعالى– وكلام النبي –صلى الله عليه وسلم– وحي، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ [النجم: ٣]، فهنا هذا وذاك يصدق بعضه بعضًا هذا أمر.

فنحن نجزم ونوقن أن الشفاعة متحققة للعصاة كما جاءت بذلك الأحاديث، وكما هو مقرر في قواعد أهل السنة وعقائدهم: أن الشفاعة تحصل للعصاة (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) جاء ذلك الحديث عنه –عليه الصلاة والسلام– من عدة طرق، أما ما جاء من الإشكال في قول الله –تعالى–: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ فهنا ما جاء في هذه الآية الكريمة هنا قد يطلق العصيان ويراد به الكفر، فالعصيان قد يرد ويطلق على الكفر، وقد يطلق على الكبائر، وقد يطلق على ما دون ذلك، فينظر للنص، الله –تعالى– قال: ﴿ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ [المزمل: ١٦] جزمًا أن معصية فرعون الكفر أليس كذلك؟ لأنه كفر، لكن لما قال تعالى: ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ [طه: ١٢١] هذه أكل من الشجرة ليس كفرًا مخرجًا من الملة، فالقصد أنه لما نضم هذه الآية الكريمة إلى الحديث والنصوص الأخرى إذا أطلق العصيان وجاء فيه الوعيد بالخلود في النار فهذا العصيان يراد به الشرك، يراد به الكفر المخرج من الملة، فهذا الأمر ينبغي أن يتنبه له، أن ينظر للنصوص وحالها من الاقتران والافتراق، وقلنا لكم: قد يأتي العصيان بمعنى الكفر كما في هذه الآية، أو في آية ﴿ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ [المزمل: ١٦] وقد يأتي ويطلق على الكبائر، مثل ما قال تعالى: ﴿ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾ [الممتحنة: ١٢] وذكر العلماء منها النياحة، والنياحة من كبائر الذنوب، وقد يطلق العصيان على ما دون الكبائر، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ [الحجرات: ٧] ففي هذه الآية آية الحجرات لما قال: ﴿ وَالْعِصْيَانَ ﴾ واضح من السياق أن ذلك دون الشرك ودون الكبائر؛ لأنه قال: ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ ﴾ هذا هو المخرج من الملة، ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ ﴾ الفسوق هنا الذي هو التلبس بكبائر الذنوب، ﴿ وَالْعِصْيَانَ ﴾ هنا ما دون الكبائر من الصغائر ونحوها، والله أعلم.

هل الإنسان مسير أو مخير؟

تقول: البعض يقول أن الإنسان في بعض الأمور مخير، وفي بعضه الأخرى مسير.

هو البعض يقول هذا: أن الإنسان مسير ومخير في نفس الوقت، لا.. ليس الأمر كذلك؛ لأن العبارة قلنا علينا أن نلتزم بالعبارات الشرعية الدينية، نحن نقول كما قال –عليه الصلاة والسلام–: (وكل ميسر لما خُلِقَ له) أهل السعادة ييسرون لعمل أهل السعادة، وأهل الشقاوة ييسرون لعمل أهل الشقاوة، هكذا قال –عليه الصلاة والسلام–، وهذا الذي جاء به القرآن، هو –عليه الصلاة والسلام– لما قال ذلك تلا الآية الكريمة التي سمعناها: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ أما أن يُقال مسير مخير في نفس الوقت، لا.. ليس الأمر كذلك، نحن نعرف أن هناك أفعال للعبد نعم ليس له فيها خيار لكن هذا ليس مناط التكليف، يعني مثلًا يكون هناك حركة المرتعش ولا نبضات القلب هذا لا يعد من أفعال التكليف؛ لأن هذا ليس من اختياره، لكن نحن نتكلم عن الأفعال التي باختياره، هذه

الأفعال التي يفعلها باختياره، وإرادته لا يمكن نقول أن الشخص في هذه الحالة أنه مسير؛ لأنك إذا قلت أنه مسير قد يوهم أنه مجبور مكره على ذلك، ولا نقول: أنه مخير؛ لأن هذه العبارة قد توهم أنه مستقل وأن أفعاله تخرج عن مشيئة الله –تعالى– فنلتزم بالعبارات الشرعية الدينية.

هل نقول: الأفعال التي يحاسب عليها؟.

هذا الأصل، الكلام هنا عن أفعال العبد التي هي مناط التكليف، عن الأفعال التي يفعلها باختياره، أما قضية الحركة حركة المرتعش ونبضات القلب وكون الإنسان مثلًا يصيبه اقشعرار جلد بسبب أمور ما له اختيار فيها هذا خارج موضوعنا، نحن نتكلم عن الأفعال التي يفعلها العبد من طاعة أو معصية.

يقول بعض الناس: إن الله أعطى الشفاعة ومقام محمود لرسوله –صلى الله عليه وسلم–، فيشفع يوم القيامة، فيقولون؛ لهذا السبب نسأل الشفاعة من الرسول –صلى الله عليه وسلم–؟.

يعني نحن نجيب على هذا السؤال أو هذه الشبهة التي تنقلها عن غيرك، يعني لما يقول البعض: إنه –عليه الصلاة والسلام– أعطي الشفاعة وأنا أسأله شيئًا أعطاه الله إياه، أليس كذلك؟ هذه الشبهة، فنحن نقول جوابًا عن ذلك: نقول: النبي –عليه الصلاة والسلام– نعم أعطي الشفاعة، لكن الله –سبحانه وتعالى– نهاك أن تطلب الشفاعة من محمد –عليه الصلاة والسلام–، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨] كل شخص يقول: يا محمد اشفع لي يطلب الشفاعة، يسأل محمد أو يسأل الأموات الشفاعة هذا منهي عنه بالآية الكريمة؛ لأن طلب الشفاعة من الأموات هو دعاء، والدعاء عبادة لله –سبحانه وتعالى–، قال تعالى:: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا ﴾ هذا جواب.

الجواب الآخر: أن نجيب على هؤلاء نقول: الآن الأفراط يشفعون، والملائكة يشفعون، هل يأتي واحد مثل المرأة التي سألتنا قبل قليل تقول: والله ما دام الأفراط يشفعون أنا أروح أسأل وأطلب الشفاعة من فلان المولود الذي مات عمره يومين أو ثلاثة أيام، ما أحد يقول بهذا، ما أحد يقول: بأنه تطلب الشفاعة من الأفراط ولا هؤلاء الأطفال الذين ماتوا قبل أن يبلغوا الحنث، هذا جواب.

جواب ثالث ذكره أهل العلم في هذه المسألة: أن الشفاعة الذين يشفعون ومنهم محمد –عليه الصلاة والسلام– النبي –صلى الله عليه وسلم– لا يشفع ابتداءً أليس كذلك؟ وإنما يشفع إذا أُذِنَ له، فالشفاعة لا تكون ابتداءً فهي إذن ليس إذنًا مطلقًا وإنما إذن معلق بشرط:

الشرط الأول: أن يؤذن له، فالنبي –عليه الصلاة والسلام– لا يشفع ابتداءً –عليه الصلاة والسلام–، وإنما يسجد تحت العرش ويستأذن، فيقال: اشفع تُشَفَع فهو إذن معلق، وليس إذنًا مطلقًا.

والأمر الثاني: أنه –عليه الصلاة والسلام– إذا أُذِنَ له لا يشفع لأرباب الشرك، والذين يطلبون الشفاعة من محمد –عليه الصلاة والسلام– تلبسوا بالشرك، فهؤلاء لا يستحقون، يحرمون من الشفاعة، فلابد من الرضا عن المشفوع له، فالذين يطلبون الشفاعة من محمد –عليه الصلاة والسلام– بعد وفاته أو يطلبونها من سائر الأموات هؤلاء تلبسوا بما يحصل به نقيض مقصودهم، تلبسوا بالشرك الذي يحرمهم من هذه الشفاعة.

وأمر رابع نقوله في هذا المقام ذكره بعض الأئمة: أن الأنبياء أُعطوا الجنة، والعشرة المبشرون بالجنة أُعطوا الجنة، هل يأتي واحد يقول: ما دام أن أبو بكر –رضي الله عنه– أعطي الجنة إذن أنا أقول يا أبا بكر أعطني الجنة، لا يقول بهذا، الجنة هي لله –سبحانه وتعالى–، وإذا أردت الجنة فاسأل الله، اسأل الله –تعالى– الجنة، هذه بعض الأجوبة التي قالها بعض العلماء في الرد على هذه الشبهة والله أعلم.

يقول: هل تجوز أن تُطلب الشفاعة من الأحياء؟ كأن يطلب الشفاعة من الصالحين أو الأتقياء الأحياء؟.

كيف يطلبها؟ يعني هل يطلب الشفاعة بمعنى مثل ما في لغتنا الدارجة الواصي يقول يا فلان اشفع لي عند فلان في أمر يقدر عليه، إن كانت شفاعة في أمر يقدر عليه كأن يطلب منه مثلًا أن يتوسط له عند مسئول أو صاحب شأن فإذا كان هذا في أمر في مقدورهم، فعندنا حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-: (اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله -تعالى- على لسان نبيه ما يشاء)، أما كونه يطلب الشفاعة من الأحياء أو كما ذكر من الصالحين يطلب منهم الشفاعة في أمر لا يقدر عليه إلا الله، فهذا شرك الأمور التي لا يقدر عليه إلا الله، إنما تطلب من الله -سبحانه وتعالى-، فلك أن تطلب فلان يتوسط لك في أمر هو يقدر عليه ما دام أنه حي حاضر قادر، لكن كان ميتًا أو كان هو حي وحاضر لكنه يطلب منه أمر لا يقدر عليه إلا الله فلا يجوز، بل هذا شرك، الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله إنما تطلب منه -سبحانه وتعالى-.

قد يكون يقصد فضيلة الشيخ أن يطلب من إنسان أن يدعو له، هل هذا مشروع يا فضيلة الشيخ؟.

إذا كان يطلب الدعاء من الآخرين، يعني يا فلان: ادع الله لي، فالذي يظهر أن هذا من التوسل المشروع كأن يطلب مثل من رجل صالح أو من يُظن فيه الصلاح يطلب منه الدعاء، لكن نحن نؤكد على احتراز ذكره بعض الأئمة الكبار منهم شيخ الإسلام ابن تيمية: أن على المسلم إذا طلب الدعاء من الصالحين ونحوهم، أو طلب الدعاء من هؤلاء عليه أن يتنبه لأمر مهم: أن لا يكون طلبه الدعاء من هؤلاء مجرد حظ نفسه، مجرد حظه الشخصي، وإنما عليه أن يرعى السنة التي وردت في ذلك وهو أنه يطلب الدعاء من أخيه، ويكون له مقصود آخر من ذلك وهو أن يحصل الوعد الكريم لأخيه الذي سيدعو له، حتى يحصل له الوعد الكريم لقوله -عليه الصلاة والسلام-: (ما من مسلم يدعو لأخيه ب ظهر الغيب إلا وَكَّلَ الله له ملكًا قال: ولك بمثله) ونحن نلحظ كثير من الناس عندما يطلبون الدعاء من الآخرين هم ينظرون إلى حظ أنفسهم، على العبد لا ينظر فقط إلى حظه، فهذا كسؤال الناس أموالهم بل عليه أن يرعى هذا الجانب الآخر وهو أن يحصل الوعد الكريم لأخيه لما يدعو له وهو: أن الملك يؤمن عليه ويقول: (ولك بمثله).

أسئلة الحلقة.

السؤال الأول: ما دليلك في الرد على من أنكر الشفاعة للعصاة؟

السؤال الثاني: ما حكم طلب الشفاعة من الأموات مع الدليل؟

الدرس العاشر

القدر: تعريفه – ومراتبه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– أما بعد: نستأذن فضيلة الشيخ في عرض الإجابات التي أجابها الإخوة الكرام:

كان السؤال الأول: ما دليلك على من أنكر الشفاعة للعصاة؟

الجواب: أولًا: حديث أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) رواه الإمام أحمد –رحمه الله–، ثانيًا: ما روى البخاري –رحمه الله– في كتابه "التوحيد" عن أنس –رضي الله عنه– قال: حدثنا محمد –صلى الله عليه وسلم–: (إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض إلى أن قال: ثم أعود الرابعة)، وهذه الشفاعة تتكرر منه –صلى الله عليه وسلم– أربع مرات أي أن النبي –صلى الله عليه وسلم– يشفع في أهل الكبائر الذين استحقوا دخول النار، ودخولها حقيقة أربع مرات فيذهب ويأتي أربع مرات كما جاء في هذا الحديث بخلاف الشفاعة العظمى، فإنها مرة واحدة، وكذلك شفاعته عند دخول أهل الجنة الجنة مرة واحدة، فهذا الحديث بهذه الصفة من أعظم الأدلة الدالة على أن الناس متفاوتون في درجات جهنم بحسب زيادة الإيمان ونقصانه، ومعلوم أن المعاصي تزيد بنقصان الإيمان، وتنقص بزيادته، وأعظم دليل من كتاب الله –تعالى– قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[النساء: ٤٨].

الإجابة صحيحة، وإن كان أخونا بارك الله فيه أتى بأدلة لم نوردها، لكن هذا دليل على حرصه واجتهاده، فإجابته صحيحة بناءً على الحديث الأول الذي مر بنا حديث أنس قوله –عليه الصلاة والسلام–: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي).

كان السؤال الثاني والذي يقول: ما حكم طلب الشفاعة من الأموات مع الدليل؟

الجواب: طلب الشفاعة من الأموات شرك، يقول الله –تعالى–: ﴿ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٩]، ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨]، ويقول: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلاَ يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الزمر: ٤٣، ٤٤].

الإجابة صحيحة، ونقول: جزاكم الله خيرًا على حرصه وعلى كمال إجابته.

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، الموضوع الذي سنبدأ به في هذه الحلقة –إن شاء الله– هو عن موضوع القدر، سنتحدث عن تعريف القدر، وعن مراتبه ثم يتحدث أخونا الكريم عن كلام الطحاوي –رحمه الله– ثم نبدأ التعليق على كلام الطحاوي –رحمة الله عليه–.

أقول مستعينًا بالله –سبحانه وتعالى– القدر تعريفه بإيجاز: هو علم الله –تعالى– وكتابته سبحانه ومشيئته وخلقه، هذا تعريف القدر بإيجاز: هو علم الله –تعالى– وكتابته ومشيئته وخلقه، هذا تعريف مجمل، وإذا أردنا أن نفصل وأن نبين فنقول: القدر هو تقدير الله الأشياء في القدم، وعلمه –سبحانه وتعالى– بأنها تقع، أو بأنها ستقع

في أوقات معلومة وعلى صفة مخصوصة وأنه كتب تلك المقادير، وأنه -سبحانه وتعالى- شاءها على الوجه الذي أراد، وأيضًا هو -سبحانه وتعالى- خلقها.

المقصود -أيها الإخوة يا من يشاهد هذه الحلقة-: أن القدر تعريفه معلق بهذه الأمور الأربعة: علم الله هذا أولًا، وكتابته، هذا ثانيًا، وثالثًا: مشيئته، ورابعًا: خلفه، إذا تقرر ذلك سيتضح لنا أن مراتب القدر أربع مراتب:

المرتبة الأولى: هي العلم. وهو أنه -سبحانه وتعالى- بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء لا في الأرض ولا في السماء، وهو -سبحانه وتعالى- يعلم ما كان وما يكون وما سيكون بل هو -سبحانه وتعالى- يعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون، هذه مرتبة العلم، والله -سبحانه وتعالى- قال عن نفسه: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾[الأنعام: ٧٣] وقال تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وهو -سبحانه وتعالى- بكل شيء محيط لا يخفى عليه شيء لا في الأرض ولا في السماء، هذه هي المرتبة الأولى.

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة. وهو أنه -سبحانه وتعالى- كتب المقادير، كتبها عنده في اللوح المحفوظ، ما الدليل على ذلك؟ الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾والكتاب هنا اللوح المحفوظ ﴿ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال -سبحانه وتعالى- ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ﴾ [الحديد: ٢٢] وقال -صلى الله عليه وسلم- كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال -عليه الصلاة والسلام-: (إن الله كتب المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء) أخرجه مسلم، هذه المرتبة الثانية.

المرتبة الثالثة: مرتبة المشيئة، وهي أن كل ما يقع في هذا الكون من صغير أو كبير دقيق أو جليل كل ذلك تحت مشيئته -سبحانه وتعالى-، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وهذه المرتبة جاءت في مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَّشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩].

ومن دعاء المصطفى -عليه الصلاة والسلام- كما جاء في مسلم أنه كان يقول: (يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك)، كان -عليه الصلاة والسلام- يقول: (إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يصرفها حيث شاء)، ثم قال -عليه الصلاة والسلام- هذا الدعاء: (اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك)، وفي لفظ: (اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك).

المرتبة الرابعة: مرتبة الخلق، وهي: التي جاءت في قوله تعالى: ﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦]، فهو -سبحانه وتعالى- هو الخالق لكل شيء، مهما دق ومهما صَغُرَ فهو الخالق لكل شيء، لا يستثنى من ذلك شيء من تلك الأشياء المخلوقة.

هذا بإيجاز، وهو مدخل لموضوعنا، ونبدأ الآن بعبارة الإمام الطحاوي -رحمه الله-.

قال المصنف -رحمه الله تعالى- قوله: (وأصل القدر سر الله -تعالى- في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوسة، فإن الله -تعالى- طوى علم القدر عن أنامه ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: ﴿ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فمن سأل لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين.

فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله –تعالى– وهي درجة الراسخين في العلم؛ لأن العلم علمان: علم في الخلق موجود، وعلم في الخلق مفقود، فإنكار العلم الموجود كفر وادعاء العلم المفقود كفر، ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود، وترك طلب العلم المفقود).

(

(

نبدأ في التعليق على هذه العبارة التي سمعناها من أخينا الكريم، فأقول مستعينًا بالله –تعالى–: كلام الله الطحاوي –رحمة الله عليه– في هذه العبارات خلاصته أنه –رحمه الله– يؤكد على أمرين مهمين، وعلى قاعدتين من القواعد المهمة التي ينبغي لنا أن نستصحبها في هذا الموضوع الجليل، في هذا الموضوع الخطير، موضوع القدر الذي هو موضع زلت فيه أقلام وأقدام وأفهام.

فالأمر الأول الذي أكد عليه الإمام الطحاوي –رحمه الله– في هذه المسألة الجليلة ألا وهو: التسليم لنصوص الوحيين في باب القدر، التسليم –أيها الإخوة الكرام– هو أمر لابد منه في جميع أمور الدين، لاسيما في مثل موضوع القدر الذي هو مذلة أقدام، ويقع فيه الاشتباه والالتباس، فأنتم تلحظون أن الإمام الطحاوي –رحمه الله– أكد على هذا الأمر، لاحظوا لما قال –رحمه الله–: (فإن الله –تعالى– طوى علم القدر عن أنامه) إلى أن قال: (فمن سأل لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب) فهنا السؤال بـــ"لم" فيه اعتراض، وهذا الاعتراض ينافي التسليم، ينافي الانقياد لما جاء عن الله وما صح عن النبي –عليه الصلاة والسلام–، إذن نؤكد على هذا الأمر الأول ألا وهو: التسليم، التسليم في باب القدر، وكما قال ابن القيم –رحمه الله– في هذا المقام قال: " واعلم أن مبنى العبودية على التسليم"، مبنى العبودية لله –سبحانه وتعالى– على التسليم لهذه النصوص الشرعية من كتاب وسنة، هذا أمر ينبغي أن نؤكد عليه.

الأمر الثاني الذي قرره الإمام الطحاوي –رحمه الله– في هذه العبارات المهمة: أن باب القدر وأن موضوع القدر له جانبان له شقان: شق ينبغي الكف عنه، وعدم الخوض فيه، وشق ينبغي البحث فيه وينبغي التفقه فيه، فما الشق الذي ينبغي الكف عنه؟

الشق الذي ينبغي الكف عنه: هو ما سماه –رحمه الله– بقوله: (القدر سر الله –تعالى– في خلقه) وهو الذي جاء في الآثار والأحاديث بالإمساك عنه، جاء في بعض الأحاديث التي حسنها بعض أهل العلم أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: (إذا ذُكِرَ القدر فأمسكو) وجاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– أنه قال: «القدر سر الله فلا تكشفوا» وفي لفظ قال: «القدر سر الله فلا تتكلفه».

فإذن عندنا جانب ينبغي الإمساك عنه عدم الخوض فيه الذي عبر عنه الطحاوي بكلامه الذي سمعناه: (العلم المفقود) فهذا الجانب الأول الذي هو الذي ينبغي الكف عنه وعدم الخوض فيه هو ما يتعلق بالجانب الغيبي الجانب الخفي من هذا الموضوع ينبغي عدم الخوض فيه، فلا يأتي شخص ويقول: لماذا هدى الله فلانًا؟ وأضل فلانًا؟ لماذا فلان عاش ستين سنة؟ وفلان عاش عشرة سنوات؟ لماذا الله –تعالى– أغنى فلانًا؟ وأفقر فلانًا؟ لا يجوز السؤال بـــ"لم"، ولهذا قال الطحاوي –رحمه الله– قال: (فمن قال: لم، فقد رد حكم الكتاب، من رد حكم الكتاب كان من الكافرين) هكذا قال –رحمه الله–، ومقصوده أنه رد حكم الكتاب يعني أنه رد ما جاء في قوله تعالى: ﴿ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ الله –تعالى– لا يُسأل عما يفعل، قال تعالى: ﴿ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ لماذا لا يُسأل عما يفعل –سبحانه وتعالى–؟ لا يُسأل كما يتوهم البعض أنها مشيئة محضة وقهر، لا.. وإنما لكمال

حكمته وتمام عدله ورحمته أن أفعاله -سبحانه وتعالى- كلها عدل وكلها فضل، كما مر بنا قديمًا لما قال -رحمه الله- الطحاوي قال عن أفعال الله قال: (أفعاله بين العدل والفضل) قال: (وكلهم يتقلبون ببين عدله وفضله).

فالمقصود أن هذا الجانب ينبغي الكف عنه، الجانب الذي هو غيب واستأثر الله به ينبغي ألا نخوض فيه.

أما الشق الآخر الذي ينبغي البحث فيه والتفقه فيه وتعلمه هو ما سمعناه من قضية مراتب القدر الأربعة: العلم والكتابة والمشيئة والخلق، وأيضًا كذلك مما ينبغي البحث فيه والتفقه فيه: أن القدر السابق لا يمنع العمل -كما مر بنا بالأمس- لما قال سراقة بن مالك -رضي الله عنه- وبعض الصحابة: (أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال -عليه الصلاة والسلام-: لا.. اعملوا فكل ميسر لما خُلِقَ له) إذن: هذا الجانب الآخر الذي ينبغي البحث فيه والتفقه فيه هو ما يتعلق بمراتب القدر الأربع وما يتعلق بأن القدر السابق لا يمنع العمل بل يوجب الجد والاجتهاد كما ذكرنا ذلك بالأمس أن بعض الصحابة لما سمعوا أحاديث القدر قال بعضهم: «ما كنت أشد اجتهادًا مني الآن».

فإذن ينبغي أن نبين الشق الذي ينبغي البحث فيه، والشق الذي ينبغي الإمساك عنه.

هذه المسألة بينها الطحاوي بهذه العبارة الموجزة، وممن بسط الكلام فيها الإمام ابن بطة -رحمه الله- في كتابه "الإبانة" فقد بين هذا، الإمام ابن بطة في "الإبانة الكبرى" الجانب الذي ينبغي الكف عنه، والجانب الذي ينبغي التفقه فيه، وبسط الحديث عنه، بين ذلك بشيء من الكلام المبسوط يمكن أن ترجعوا إليه في هذا الكتاب النفيس "الإبانة" لابن بطة.

هذا خلاصة كلام الإمام الطحاوي -رحمه الله- في هذه المسألة.

تقول: ما الفرق بين القضاء والقدر؟.

من أهل العلم من يرى التفريق بين القضاء والقدر، ومنهم من يرى عدم التفريق، فبعضهم يقول: سواء قلنا: الإيمان بالقضاء أو قلنا: الإيمان بالقدر هما بمعنًى متقارب أو هما مترادفان، والبعض يفرق بينهما فيجعل أحدهما أخص من الآخر، والبعض يجعله العكس، فالبعض يقول: إن القضاء هو الحكم العام الكلي، الحكم العام الإجمالي، كما نقل الحافظ ابن حجر -رحمه الله-، يقول: القضاء هو الحكم العام الإجمالي، وأما التقدير فهو الأمور الجزئيات، ما تتعلق بالجزئيات الأمور التفصيلية.

وبعضهم يعكس القضية فيجعل التقدير هو أمر عام، والقضاء يتعلق بالأمور التفصيلية، وعلى كل يبدو التفريق أن الأمر في ذلك يسير، سواءً أثبتنا الفرق أو لم نثبته فالمعنى متقارب، سواءً عبرنا بقولنا: الإيمان بالقدر أو الإيمان بالقضاء، فالمعنى في ذلك متقارب، والله أعلم.

هنا لما قال -رحمه الله-: (وأصل القدر سر الله -تعالى- في خلقه) عرفنا أن مراده بذلك الجانب الغيبي الذي ينبغي عدم الخوض فيه، الذي ينبغي ألا نخوض فيه، هذا شق ينبغي أن نكف عنه، فلا يجوز لإنسان أن يسأل هذا السؤال: لم أضل الله فلانًا؟ أو لم هدى فلانًا؟ هذه الأمور التي استأثر الله بها فينبغي الكف عنها؛ لأن الأمر الغيبي استأثر به -سبحانه وتعالى- فعلينا أن نمسك وأن لا نخوض في هذه المغيبات.

قال بعدها: (والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان) إلى أن قال: (وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان) الدخول في هذا الأمر الغيبي لا يزيد الإنسان إلا حسرة ولا يزيده إلا شكًا وحيرة، فالسبب في حيرة كثير من الناس في

باب القدر: أنهم اشتغلوا بما لا ينفعهم، اشتغلوا بما ينبغي أن يمسكوا عنه، وتركوا الأمر الذي ينبغي أن يتفقهوا فيه ويشتغلوا به.

قال هنا: (فإن الله -تعالى- طوى علم القدر عن أنامه) أي عن خلقه: (ونهاهم عن مرامه) يعني على طلبه، فهذا الجانب الذي ينبغي الكف عنه، ثم أورد الآية الكريمة: ﴿ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾.

العلماء علماء السلف يقولون: لا يُقال كيف في صفاته -سبحانه- ولا يُقال لم في أفعاله، ما الدليل على هذا أو ذاك؟

أما لا يُقال كيف في صفاته: فجاء ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ﴾ [آل عمران: ٧]، فكيفية صفاته، حقيقة صفاته، هذه غيب استأثر الله بها -سبحانه وتعالى-.

أيضًا لا يُقال: لم في أفعاله، فلا يُقال: لم هجا الله -تعالى- فلانًا؟ هذا السؤال الذي فيه اعتراض فيه رعونة فيه سوء أدب هذا لا يجوز أن يُقال في حق الله كما سمعنا الآية الكريمة: ﴿ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾.

قال بعدها: (فمن سأل لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب) يعني رد حكم القرآن (ومن رد حكم الكتاب فهو من الكافرين) لكن بين الشارح -رحمه الله-: إذا كان هذا الرد سببه التأويل، تأويل له وجه فينبغي أن يُزال هذا التأويل وتُزال الشبهة، فلا يُكفر الشخص بعينه حتى تجتمع فيه الشروط، وتنتفي عنه الموانع.

العبارة التي بعدها لا نقف عندها كثيرًا؛ لأنها تأكيد للكلام السابق، قال: (فهذا جملة ما يحتاج إليه من هم منور قلبه من أولياء الله، وهي درجة الراسخين في العلم).

نعم درجة الراسخين في العلم هي قائمة على البصيرة، وهذه البصيرة نور يقذفه الله -تعالى- في قلوب من يشاء من عباده عن حكمة ورحمة وفضل منه -سبحانه وتعالى-.

ثم قال: (العلم علمان) فالعلم المفقود: هو الجانب الغيبي في هذا الموضوع موضوع القدر، والعلم الموجود هو علم الشريعة، ومن ذلك الإيمان بشرع الله، الإيمان بهذه المراتب الأربعة، الإيمان بأن الله -تعالى- أمر بفعل الأسباب، يعني كون الأمور قدرت علينا لا يعني ترك الأسباب، قال -عليه الصلاة والسلام-: (احرص على ما ينفعك، واستعن بالله) لاحظ (احرص على ما ينفعك) هذا يتعلق بفعل الأسباب (واستعن بالله) يتعلق بالقدر، نحن في كل ركعة نقول: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥] ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ هذا من باب فعل الأسباب، من باب اتباع الشرع، وعندما نقول: ﴿ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ هذا من باب الإيمان بالقدر والاعتماد على الله -سبحانه وتعالى-.

يقول: السؤال الأول: قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء: ١٥]، (.... من أمتي إلا خلا فيها نذير) هل يشمل يأجوج ومأجوج؟

السؤال الثاني: بالنسبة للإحاطة، إحاطة لله -سبحانه وتعالى- بالمخلوقات؟ منهم من يقول: إحاطة الله -سبحانه وتعالى- إحاطة تليق بجلاله، ومنهم من يفصل فيها بعلمه و قهره؟.

كيف؟

يعني منهم من يؤول الإحاطة؟ ومنهم من يجعلها لائقة بالله -سبحانه وتعالى- هذا قصدك؟.

منهم من يقول.. من غير اللوازم يعني الله محيط بخلقه بعلمه بقهره وبقدرته وغير هذ.

تقصد التأويل هذا؟.

ومنهم من يقول: أنه محيط إحاطة تليق بجلاله، هل فيها فرق بين العبارتين؟.

تقول: هل الدعاء يرد القدر؟ وهل المصائب من القدر أيضًا؟

الأصل الذي جاءت به الأدلة كما أنت ذكرت في الآيات الله تعالى قال: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء: ١٥] قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤]؛ فهذا الأصل أنه لا تعذب أمة إلا وقد جاءها نذير أو قد جاءها رسول كما هو في هذه الآيات المذكورة.

أما ما يأتي في قضية يأجوج ومأجوج فهذا يعني يكون ما عندي أنا جواب عنه الآن لا يعني أن يعكر على هذه القاعدة، وإلا فالأصل أن الله تعالى لا يعذب أحدًا إلا بعد أن تقوم الحجة وان تبلغه الرسالة: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩]. هكذا جاء في قوله تعالى على لسان النبي -عليه الصلاة والسلام- هذا الذي يبدو لي والله أعلم.

أما مسألة الكلام عن الإحاطة أنا أقول لا تعارض بين هذا وذاك فنحن نثبت أن الله تعالى بكل شيء عليم، وأنه أحاط بكل شيء علما، وهذه الإحاطة لها لوازم، يعني هذا العلم المحيط بكل شيء يستلزم التهديد والتخويف كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾ [فصلت: ٤٠]؛ وقد يكون هذا العلم مدعاة للمواساة والتسلية كما في قوله تعالى لنبيه -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣]؛ أو قد يكون للتهديد في مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذِن ﴾ [النور: ٦٣].

فهذا أمر ينبغي أن يكون في الحسبان، وانظر إلى سياق الآية ومورد النص، وما يحتف به من القرائن والله أعلم.

أما ما ذكرته السائلة من الأسئلة فنعم ورد في الأحاديث والآثار أنه -عليه الصلاة والسلام- قال: (لا يرد القدر إلا الدعاء)؛ وجاءت أحاديث أن الدعاء والبلاء يعتلجان بين السماء والأرض فإذا كان الدعاء غالبًا وقويًا، فإنه يرد القدر وكونه يرد القدر لا يعني أن الدعاء ليس مكتوبًا أو ليس مقدر، الكل مقدر، الله تعالى قدر هذا وهذا، المقصود أن الدعاء يرد القدر كما جاءت في ذلك الأحاديث قضية المصائب أنها بقدر الله قطعًا جزمًا سمعنا الآية الكريمة قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ ﴾ [الحديد: ٢٢].

فالمصائب التي تصيبنا والتي تصيب الناس في أموالهم وفي أولادهم وفي أجسادهم كل ذلك بقدر الله والله -سبحانه وتعالى- عندما يقدر على العبد مصيبة، هو له الحكمة في ذلك، وابن القيم -رحمه الله- لما تحدث عن المرض قال: «قد أحصيت فوائد المرض فوجدتها تزيد على مائة فائدة»؛ هذا هو المرض الذي يتوجع منه الإنسان ويتألم ويعتريه ما يعتريه من أنواع الآلام وربما لم يؤدي الصلاة كما يجب، وربما ترك طاعات يؤديها وقت صحته مع هذا كله فابن القيم يقول قد أحصيت هذا مجرد إحصاء بن القيم رحمة الله عليه وجدتها مائة فائدة ولكن كما قال تعالى: ﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ما مدى صحة قول الكتابة سابقة وليست سائقة؟ هل لهذا صحة يا شيخ؟

والله إذا قلت أن الكتابة سابقة وليست سائقة أما الكتابة السابقة نعم صحيحة ما كتبه الله تعالى هذا مسبوق وقديم مر بنا في حديث عبد الله بن عمرو أن الله كتب المقادير قبل أن السموات والأرض قبل خمسين ألف سنة، لكن كلمة لا سائقة إذن أريد بكلمة لا سائقة أن الكتاب لا يعني أن الإنسان مجبور ومكره تكون العبارة صحيحة، لكن أما كون يفهم من كلمة لا سائقة أنه يتوهم منها أن العبد يخلق فعل نفسه فهذا كلام فاسد، فالله تعالى خالقنا وخالق أفعالنا فنحن نحرر ماذا يريد بكلمة "لا سائقة" إن أراد بكلمة لا سائقة إن الكتابة ليست إكراهًا ولا تكون جبرًا فنعم، نقول إذن الكتابة ليست سائقة، أما يريد بكلمة ليست سائقة أراد بذلك أن ينفي أن الله تعالى يخلق أفعال العباد فلا يسلم بهذا المعنى.

يقول: بالنسبة هل يجوز بعض عوام الناس إذا أصابتهم مصيبة لشخص يقول والله ما يستاهل؟ هل يكون فيه اعترض للقدر؟

هذه العبارة نبه عليها بعض المعاصرين من العلماء أن هذه العبارة يعني لا تسوغ وهذه عبارة أن فيها سوء أدب لما يصاب الإنسان بمرض أو مصيبة يقال ما يستاهل فهذا فيها سوء أدب في حق الله، وأيضا فيها جهل بما يقدره الله، عليه أن نوقن الإخوة الكرام يا من يشاهد هذه الحلقة علينا أن نوقف أن الله –سبحانه وتعالى– بما يقدره فيه الخير فهو –سبحانه وتعالى– لا يخلق شرًا محضًا، لا يخلق شرًا محضًا، ويكون هذا الشخص الذي يصاب بمرض يقول ما يستاهل، هذا يكون فيه رعونة وسوء أدب مع حق الله، وأيضًا عدم معرفة بحكم الله وأسراره، فالله –سبحانه وتعالى– حينما يقدر على العبد مصيبة فليوقن العبد أن في ذلك خير سواء أدرك ذلك أو لم يدرك فهذه العبارة ينبغي أن نتجنبها من سوء الأدب في حق الله؛ ولأنها تعارض ما يوصف به الرب –سبحانه وتعالى– من الحكمة والرحمة والعدل والله أعلم.

يقول: بعض الناس إذا وقع في المصيبة أو في أي أمر، شاءت الأقدار أي يصيب هذا الأمر؟ فما مدى صحة هذا القول؟.

والله بعض المشايخ المعاصرين منهم الشيخ ابن باز رحمة الله عليه يمنعون هذه العبارة عبارة شاءت الأقدار باعتبار الأقدار أن هي صفة، ولا ينسب إليها الفعل، وإنما يقول العبد شاء الله قدر الله، البعض من أهل العلم يتحرجون من هذه العبارة فعلى الإنسان أن يقول شاء الله، قدر الله، وهذا جاءت به السنة، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ [السجدة: ١٣]؛ ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ ﴾ [الإنسان: ٣٠].

وعلى كل الالتزام بالعبارات الشرعية الدينية هو الأتم والأكمل والله أعلم.

كنت تحدثت عن أمرين وذكرنا ما قاله الطحاوي في مسألتين مهمتين:

الأول: أن القدر مبني على التسليم.

والثاني: أن القدر له جانبان:

- جانب ينبغي الكف عنه.

- وجانب ينبغي البحث فيه والتفقه فيه.

– الجانب الثالث الذي أشار إليه ابن أبي العز رحمة الله عليه الشارح وذكره من قبل ابن القيم من في مدارج السالكين وهو مسألة مهمة جدًا، وهي مسألة: ما منشأ الضلال في باب القدر؟

بإيجاز شديد نقول: منشأ الضلال في باب القدر هو التسوية بين المشيئة وبين المحبة والرضا. أن يسوى بين محبة الله وبين محبته ورضاه، ولما يسوى بين هذا وذاك يحصل الضلال الذي وقع فيه القدرية والجبرية، أما نحن أهل السنة نفرق فنقول ما يشاؤه الله وما يقدره فالله –سبحانه وتعالى– يقدر يعني كل شيء، كل شيء يقع في هذا الكون وبتقديره الخير والشر والطاعة والمعصية والحسنة والسيئة، كل ذلك بقدره قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩]؛ فما يقدره ويشاؤه شيء، وما يحبه ويرضاه شيء أخر، أما ما يحبه فهو – سبحانه وتعالى– يحب المحسنين، يحب المتقين، يحب الطاعات، قال تعالى: ﴿ وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ [الزمر: ٧]؛ وقال –عز وجل– ﴿ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٥]؛ إذن أيها الإخوة يا من يشاهد هذه الحلقة عليك أن تفرق حيث فرقت النصوص، فليس كل ما يشاؤه الله يحبه، فالكفر الآن الموجود في الأرض والمعاصي هذه بتقديره ومشيئته –سبحانه وتعالى– لكنه لا يحبها ولا يرضاها، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾.

أيضًا في الجانب الآخر هل كل ما يحبه الله ويرضاه يقع؟ ما جوابكم؟

يقع ولا ما يقع؟ نعم كل ما يحبه الله يقع في الدنيا؟!!

الله –سبحانه وتعالى– يحب أن الناس يكونوا مؤمنين كلهم آمنوا؟

الجواب؟ لا...

إذن نخلص من هذا نقول: ليس كل ما يشاؤه الله يحبه، وليس كل ما يحبه يقع؛ فإذن علينا أن نفرق بين مشيئته وبين محبته ورضاه، لاحظ الذين ضلوا في باب القدر وانحرفوا سووا بين الأمرين، وحصل الضلال المبين، حصل الضلال والانحراف ومن ذلك مثلًا القدرية.

القدرية الذين ينفون القدر لما جعلوا مشيئة الله تساوي محبته ورضاه، ماذا حصل عندهم؟

قالوا: المعاصي لا يحبها الله، إذن ما دام المعاصي لا يحبها الله، إذن المعاصي لم يشأها الله.

المقدمة الأولى صحيحة، المعاصي نعم لا يحبها الله، لكنهم ظنوا لما قالوا أن هذه المعاصي لم يشأها الله، فأخرجوا أفعال العباد عن ملك الله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٤٣]

عندك الجبرية العكس أن يكون الإنسان مجبور على فعله، وأنه يعني ماله اختيار، وماله مشيئة، كالريشة في مهب الريح هؤلاء الجبرية ماذا حصل؟ قالوا المعاصي بتقدير الله، المعاصي بمشيئة الله، وهذه المقدمة صحيحة ولا فاسدة؟ هذه مقدمة صحيحة، المعاصي بمشيئة الله ثم قالوا بعدها قالوا مادام المعاصي بمشيئة الله، إذن المعاصي يحبها الله، وهذا كلام في غاية البطلان؛ قال تعالى: ﴿ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٥]؛ وأعظم الفساد الشرك والمعاصي.

لكن أهل السنة قالوا: لا.. المعاصي وإن قدرها الله وشاءها لحكم وأسرار نعلم شيئًا منها ويخفى علينا الكثير، هذه المعاصي التي قدرها الله هو قدرها وشاءها لكنه –سبحانه وتعالى– لا يحبها، فينبغي أن نفرق بين هذا وذاك.

هذه تقريبًا أهم القواعد والضوابط في باب القدر.

يعني: أن القدر مبني على التسليم، وأن القدر له جانبان: جانب ينبغي الكف عنه وجانب ينبغي البحث فيه، والثالث أن منشأ الظلال في باب القدر هو التسوية بين مشيئة الله وبين محبته ورضاه.

(قوله: ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رقم. قوله: فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه إنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه يجعله كائنًا لم يقدر عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة).

هنا قال -رحمه الله- ونؤمن باللوح المراد باللوح هنا هو اللوح المحفوظ الذي كتب الله تعالى فيه مقادير الخلائق، كتب الله تعالى فيه جميع المقادير من أفعال العباد وما يتعلق بخلقه من جميع أفعالهم، وما يحدث في هذا الكون ويقع، وقوله والقلم المراد بالقلم هو القلم الذي كتبت به تلك المقادير، وهو المذكور في حديث عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- إذ يقول النبي -عليه الصلاة والسلام- (أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب. قال وما أكتب؟ قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة)؛ أخرج أبو داود وأحمد.

هذا القلم هو الذي كتب الله أو كتبت به تلك المقادير جميعًا فبهذا نخلص إلى أن ما يقع في الكون وما يقع من العباد من أفعال وتصرفات هذا أمر قد فرغ منه، كما سمعنا في آخر العبارة، وكما جاء ذلك في حديث ابن عباس: (رفعت الأقلام وجفت الصحف).

الكلام الذي بعده الذي ذكره الإمام الطحاوي هو مستفاد من حديث ابن عباس في الوصية العظيمة لما أوصى النبي -عليه الصلاة والسلام- ابن عباس فقال له: (واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلى بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)؛ المقادير قد فرغ منها، وجف القلم فما يعمله العباد وما يقع وما سيقع وما وقع في الماضي، كل ذلك قد كتبه الله عنده في اللوح المحفوظ، كل ذلك مكتوب قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

طيب نواصل.

(وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه، فقدر ذلك تقديرًا محكمًا مبرمًا، ليس فيه ناقض ولا معقب ولا مزيل، ولا مغير ولا ناقص ولا زائد من خلقه، في سمواته وأرضه؛ وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته كما قال تعالى في كتابه: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢]؛ وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨]).

إذن العبارة التي سمعناها من كلام الإمام الطحاوي -رحمه الله- هو يقرر في هذا المقطع في هذه العبارة المحررة: أن علم الله تعالى لا يتغير، قال: ليس فيه ناقض ولا معقب، فعلم الله تعالى هذا العلم القديم الأزلي هذا لا يتغير، وهو ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٩]؛ فهو بكل شيء عليم، وفي هذا رد على الطائفة الثلاثة التي مرت بنا سواء الفلاسفة أو القدرية الغلاة أو الروافض الذين قالوا بعقيدة البداء.

الأمر الآخر: أنه قال بعدها: "وذلك من عقد الإيمان" ذلك: اسم إشارة ترجع إلى الإيمان بالقدر، الإيمان بالقدر لما قال من عقد الإيمان يعني: مما ينبغي اعتقاده والاعتقاد فيه، معنى الاستيثاق والتأكيد، قال: من عقد الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله وربوبيته، أيضًا أشار -رحمه الله- إلى مسألة مهمة هو أن الإيمان بالقدر هو اعتراف بتوحيد الله وربوبيته.

وجه ذلك: أن العبد إذا لم يقر بالقدر وأنكره وزعم أن الإنسان يخلق فعل نفسه أنه بذلك أشرك؛ ولهذا جاء عن ابن عباس -رضي الله عنهم- وجاء عن غيرهم أن أول شرك وقع في هذه الأمة هو شرك القدرية، ماذا قالت القدرية النفاة؟ القدرية النفاة قالوا: إن الإنسان يخلق فعل نفسه، وجعلوا الإنسان خالق؛ ولهذا سموا مجوس هذه الأمة، وجاءت في ذلك أثار موقوفة ومرفوعة عن النبي -عليه الصلاة والسلام- أن القدرية هم مجوس هذه الأمة؛ لأنهم أثبتوا خالقين مع الله تعالى الله عن ذلك ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٤٣].

فإذن أيها الإخوة الكرام: إن الذي لا يقر بالقدر هو في الواقع لم يحقق توحيد الربوبية؛ لأنه إذا أثبت أن الإنسان يخلق فعل نفسه فعندئذ نقض توحيد الربوبية، وهذا ما أشار إليه حبر هذه الأمة ابن عباس -رضي الله تعالى عنهم- «إذ يقول: القدر نظام التوحيد»؛ لماذا نظام التوحيد؟ يعني أن العبد لا ينتظم ولا يتحقق له التوحيد إلا بالقدر، قال ابن عباس: «القدر نظام التوحيد فمن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده»؛ هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

طيب نواصل.

يقول: ما الفرق بين مشيئة الله وإرادته؟

الفرق بين مشيئة الله وإرادته يعني الذي يعرف أن الإرادة كما صريح النصوص أن الإرادة تنقسم هناك إرادة كونية قدرية وهناك إرادة شرعية دينية الإرادة الكونية القدرية هي المشيئة، فالإرادة الكونية القدرية هي مذكورة في قوله تعالى ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: ١٠٧] أما الإرادة الشرعية الدينية فهي المذكورة في مثل قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ يعني يحب، فالإرادة تنقسم، أما مشيئة لا المشيئة لا تنقسم، يعني ما نقول: إن هناك مشيئة شرعية وإنما المشيئة إذا أطلقت فهي بمعنى الإرادة الكونية القدرية، وهذا الذي نبه عليه الشيخ العلامة محمد إبراهيم -رحمه الله- أن المشيئة لا تنقسم، فإذا قلنا المشيئة فتشمل كل ما شاءه الله من الطاعات والمعاصي؛ لكن الإرادة لا تنقسم، هناك إرادة كونية فهذه بمعنى المشيئة أما الإرادة الشرعية الدينية وهي ما يحبه الله ويرضاه فهذه تختص بما يحبه الله من الطاعات والحسنات. واضح الفرق الآن.

هل من سؤال آخر يا شباب.

يقول: بعض الناس إذا فعل فعلًا مثلا يقول لو أني فعلت كذا لكان أفضل؟ فما مدى صحة هذه العبارة يا شيخ.

يعني الكلام عنه لو أني إذا كان قال على سبيل الحسرة، التحسر على شيء قضي وانتهى، هذا جاء فيه الذم في قوله -عليه الصلاة والسلام-: (وإن أصابك شيء فلا تقل له أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قدر الله وما شاء فعل)؛ فالمقصود الشخص لو قال لو على سبيل الحسرة على شيء قد وقع وانتهى فهذه التي تفتح عمل الشيطان، وفيها ما فيها من التسخط على قدر الله؛ أما إذا قال الشخص لو على سبيل تمني الخير، لو أني اغتنمت هذه الأيام وذهبت إلى بيت الله الحرام نعم فإذا كان قالها على سبيل تمني الخير فلا إشكال فيه، ومن ذلك يحمل قول -عليه الصلاة والسلام- لما قال: (لو استقبلت من أمري لما سقت الهدي)؛ -عليه الصلاة والسلام- لكن إذا كان على سبيل التحسر على أمر قد قضي وقد فرغ منه فهذا الذي جاء فيه الوعيد إن لو تفتح عمل الشيطان.

(فويل لمن صار لله تعالى في القدر خصيمًا، وأحضر للنظر فيه قلبًا سقيمًا لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سرًا كتيمًا وعاد بما قال أفاكًا أثيمً).

عندنا هنا في هذه العبارة الطحاوي -رحمه الله- يحذر أيما تحذير فيقول: "فويل لمن صار لله تعالى في القدر خصيمًا" لعله يريد بهذا الذين خاصموا القدر هم النفاة والعلماء يقولون: ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ

خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩]؛ فالذين أنكروا القدر هم يعتبروه خصماء أنهم خاصموا الله تعالى في تقديره وفي فعله، وأيضا هذا أشار إليه شيخ الإسلام –رحمه الله– في قصيدته التائية في القدر، ثم قال: "وأحضر للنظر فيه قلبًا سقيمًا" أيضًا الإمام الطحاوي يحذر من أن يكون الشخص يتلبس بقلب سقيم في القدر، والقلب السقيم هو القلب المريض والقلب المريض إما بمرض الشبهة أو الشهوة، وغالب الذين ذلوا في باب القدر إما بشهوة أو شبهة، بعض الناس أحيانًا إذا فعل المعاصي فيقول فلان اتق الله! لماذا تفعل ذلك؟ فيقول قدر الله، فتجد أحيانًا أن هذه شهوته تجعله يفعل المعاصي ويحتج بالقدر، وحينئذ قد تكون عنده شبهة عنده اشتباه عنده لبس، فعادة هذا الداء إما يكون عن شبهة أو شهوة، وكما قال أحد العلماء عبارة طريفة قالها ابن الجوزي –رحمه الله– عن بعض هؤلاء القوم يقول: " أنت عند الطاعة قدري وعند المعصية جبري، أي مذهب وافق هواك تمذهبت به" فبعض الناس حاله كذلك، فهؤلاء شر الأقسام إذا فعل طاعة أي نعم إذا فعل طاعة قال أنا فعلتها والفضل لي وينسى فضل الله –سبحانه وتعالى– والتيسير لهذه الطاعة، وإذا فعلوا معصية قال الله –تعالى– قدر عليه معصية أنا مجبور، أنا...، ونحو ذلك، وهؤلاء شر الأقسام الذين إذا فعلوا طاعة أسندوها إلى أنفسهم ونسوا فضل الله، وإذا فعلوا معصية احتجوا بالقدر، وقال الله –تعالى– هو مقدرها علينا، هؤلاء شر الأقسام، وهناك قوم إذا فعلوا طاعة أو معصية قالوا هذه نحن خلقناها وفعلناها، هؤلاء القدرية الذين يزعمون أن الإنسان يخلق فعل نفسه، وبعضهم إذا وقعت طاعة أو معصية يقول أن العبد مجبور على الطاعة أو مجبور على المعصية هؤلاء هم من الجبرية.

يبقى عندنا خير الأقسام: خير الأقسام الذين إذا فعلوا طاعة قالوا: إن الله تعالى هو الذي وفقنا، وقالوا كما قال الإمام الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله؛ وإذا فعلوا معصية قالوا بسبب تقصير تفريطنا، أنظر ماذا نقول في سيد الاستغفار الذي يقال في أذكار الصباح والمساء تقول: أبوء لك بنعمتك علي ثم تقول أبوء بذنبي إن كان هناك نعمة من طاعة أو حسنة فعلتها تعترف أو تسندها إلى الله وإذا جاءت ذنب تقول وأبوء بذنبي تسند الذنب إلى نفسك؛ لأن النفس هي من الجهل والظلم ما فيها فهذا أمر يجب أن نتنبه له إذا فعلنا طاعة فهذا فضل من الله وإذا فعلنا معصية فهذه بتقصير وتفريطنا والله –سبحانه وتعالى– منزه عن الظلم: ﴿ وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩].

هنا قال عندك بعدها لقد التمس أي طلب بوهمه بفحص الغيب سرا كتيمًا، هؤلاء الذين خاضوا في القدر التمسوا يعني طلبوا سرًا كتيمًا، طلبوا سرًا مكتومًا ولا يمكن أن نصل إليه، وهذا خوض بالباطل، ولن ينالوا من ذلك إلا الإفك، قالوا وعاد لما قال فيه أفاكًا أثيمًا، أفاكًا أي كذابًا أثيمًا.

أنا أختم هذا الموضوع بمسألتين مهمتين أن المسألة الأولى أؤكد عليها وهي شبهة يعني يقولها الناس بألسنتهم، وربما لو لم يقولها بألسنتهم ربما تجد أنها موجودة في بعض أفئدتهم، فهذه الشبهة التي دائمًا تتكرر وتسمع في القديم والحديث، أن بعض الناس إذا فعل معصية يعني:

كيف الله تعالى يقدر على المعصية ثم يعذبني على ذلك؟ كيف يقدر على الله –سبحانه وتعالى– أن أترك الصلاة ثم يعاقبني على هذا الترك؟ هذه شبهة كبيرة ما تسمع في أوقات مختلفة وفي أماكن متعددة؟

أجب عن هذه الشبهة بإجابة أقول: هؤلاء الذين يحتجون بالقدر عندما يفعلون السيئان أو يتركون الطاعات نقول: إذا كان قدر حجة لك هو أيضًا سيكون لغيرك؛ لأن الجميع كلهم تحت قدر الله، الجميع كلهم خاضعون لقدر الله، وإذا كان القدر حجة لك وصار حجة لغيرك فعلى هذا لو جاء شخص وضربك أو أخذ مالك أو اعتدى عليك ولا تعدى عليك، فعليك أن تستسلم وألا تلومه، وألا تطالب بحقك؛ لأنه فعل ذلك ماذا وهو مجبور على ذلك لقدر الله –سبحانه وتعالى–.

مجرد هذا الكلام يا أخوان مجرد تصور هذا الكلام يؤدي إلى فساد الحياة، كل إنسان يقتل ويعتدي وينتهك ويفسد الحرث والنسل ثم يقول والله هذا قدر الله علي هذا أمر.

الأمر الأخر: أن الاحتجاج بالقدر في فعل المعاصي وترك الواجبات هذا يؤدي إلى تعطيل الشرائع، معناه أن الذي يصلي مثل الذي لا يصلي؛ لأن الذي يصلي مجبور، وان الذي ترك الصلاة مجبور، والذي يشرب الخمر مجبور، والذي يشرب اللبن مجبور فعندئذ لا فرق بين المؤمن والكافر، ولا البر والفاجر، الكل على حد سواء، ولا فرق بين النكاح والزنا، ولا فرق بين البيع والربا؛ لأن الكل بقدر الله –سبحانه وتعالى– فهذا يفضي إلى إبطال الشرائع، فالمقصود أن هذا القول إذا نظرت إليه في غاية الفساد؛ ولهذا تجد أن هؤلاء الجبرية أن الذين يحتجون بالقدر لمذهبهم هؤلاء يحتجون مجرد هوى في أنفسهم، وانظر إلى مشركو العرب، مشركو العرب كانوا يقولوا لو شاء الله ما أشركنا، احتجاج بالقدر، يعني لكن لو جئت للعربي في الجاهلية، لو جئت أخذت ناقته لأقام الدنيا ولم يقعدها، وهي مجرد هوى تجدها في بعض النفوس في القديم والحديث.

أيضا أؤكد على مسألة مهمة لما نقول يا إخوان جبرية قالوا بأن الإنسان مجبور على فعله وقدرية يقولوا بأن الإنسان يخلق فعل نفسه أنا أعرف أن بعض الناس أنا أعرف أن بعض الذين يشاهدون هذه الحلقة يقولون هؤلاء بعض مدرسي العقيدة يتحدثون عن فرق أكل عليها الدهر وشرب وصارت في متحف التاريخ وهذه الفرق انقرضت، الكلام هذا غير صحيح الجهم بن صفوان، ولا وبعض رؤوس الفرق هؤلاء ماتوا من مئات السنين، لكن الفكر لا يزال موجودًا لا يزال القول بالجبر ونفي القدر لا يزال موجودًا إما عند بعض الفرق الإسلامية، وإما موجودة في المذاهب المعاصرة في بعض المذاهب الأدبية والفكرية وجملة من الروايات الآن التي يقرأها الأجيال نجد أن في هذه الرواية ما يقرر عقيدة الجبر، يعني أنا أذكر في بعض الروايات كما ذكر بعض الباحثين بعض روايات نجيب محفوظ التي يعني يتلقفها كثير من الناشئة، الأسف ضعف هذه الرواية تقرر عقيدة الجبر، وتقرر بطريقة في غاية الخبث يعني ليست بطريقة كلامية، وإنما بطريقة روائية جذابة ينخدع بها هؤلاء الأجيال المقصود بأن هؤلاء الأفكار لا تموت نعم يموت أصحابها، لكن لا يزال مذهب الجبر ونفي القدر لا يزال موجودًا إما في بلاد مسلمين أو حتى في بلاد أوروبية.

نفي القدر معروف عند النصارى القول بالجبر معروف النصارى الجبر ونفي القدر كان عند اليهود وعند النصارى، فهذه الأفكار لا تزال موجودة، والحمد لله الذي هدانا لهذا فسلبنا من الجبر الذي عند هؤلاء الجبرية أو هؤلاء القدرية الذين نفوا القدر وقالوا إن الإنسان يخلق فعل نفسه.

السؤال الأول: ما منشأ الضلال في باب القدر؟

السؤال الثاني: قرر الإمام الطحاوي –رحمه الله– مسألتين مهمتين، اذكرهما في أول كلامه عن القدر؟ قرر الطحاوي مسألتين مهمتين يعني قلنا عنهم نعتبرهم من القواعد في باب القدر اذكرهما؟

الدرس الحادي عشر

آثار الإيمان بالقدر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– نبدأ مستعينين بالله –سبحانه وتعالى– ونبدأ باستعراض الأجوبة فليتفضل أخونا الشيخ عبد الرحمن: تفضل.

بالنسبة للسؤالين في الحلقة الماضية:

السؤال الأول: منشأ الضلال في باب القدر؟

وكانت الإجابة: يقول أنه نشأ لدى كل من الجبرية والقدرية تسويتهم بين المشيئة والمحبة والرضا؛ أما أهل السنة والجماعة فرقوا بين ما يشاء الله بقدره وبين ما يحبه ويرضاه، ونتيجة لتسويتهم هذه قالت القدرية: إن المعاصي لا يحبها الله وأما الجبرية فقالوا: إن المعاصي بتقدير ومشيئة الله تعالى.

الإجابة صحيحة لكن كان عليه أن يكمل ما قالت الجبرية وما قالت القدرية فالقدرية قالت إن المعاصي لم يحبها الله ثم قالوا بعدها لم يشأها الله والجبرية قالوا المعاصي بقدر الله فالمعاصي يحبها الله؛ إجابة أخونا في الأول إجابة صحيحة فمنشأ الضلالة هو التسوية بين المحبة وبين المشيئة والرضا.

والسؤال الثاني: قرر الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى– مسألتين مهمتين عن القدر اذكرهما؟

وكانت الإجابة: المسألة الأولى: إن القدر مبني على التسليم لنصوص الوحيين في باب القدر.

والمسألة الثانية: إن القدر له جانبين جانب ينبغي الكف عنه وعدم الخوض فيه وجانب ينبغي الخوض فيه والتفقه فيه مثل معرفة مراتب القدر

إجابة الأخت إجابة صحيحة لكن كان عليها أن تقول جانب ينبغي البحث في والتفقه فيه ما يقال الخوض فيه كلمة الخوض في الغالب تكون قول بلا علم؛ الإجابة جيدة وصحيحة.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (والعرش والكرسي حق)

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله قبل أن نبدأ في هذه العبارة كان بقي عندنا بقية من الحلقة الماضية فيما يتعلق بموضوع الإيمان بالقدر، آخر ما تحدثنا عنه عن شبهة في باب القدر مع الجواب عنها، فبقي الحديث عن آثار الإيمان بالقدر لعلنا نوجز الكلام عنها في هذه العجالة، فأقول مستعينا بالله –سبحانه وتعالى–:

إن الإيمان بالقدر يورث جملة من الآثار الحميدة والثمرات الطيبة في سلوك العبد وفي أحواله جميعًا ومن ذلك أمور:

– الأمر الأول: أن الإيمان بالقدر يورث الإخلاص بالله –سبحانه وتعالى– فمن آمن بالقدر إيمانًا صحيحًا، إيمانًا حقيقيًا فهذا يورث الإخلاص؛ ما وجه ذلك؟ وجه ذلك –أيها الإخوة ومن يشاهد هذه الحلقة– أن من آمن بالقدر فإنه يوقن أن النفع والضر بيد الله وأن –سبحانه وتعالى– له الأمر كله، وأن المدح الذي يبتغيه هو مدح الله والذم الذي ينفر منه هو ذم الله –سبحانه وتعالى–له، فلا يلتفت إلى مدح الناس ولا إلى ثنائهم ولا إلى ذمهم، همه أن يرضي الله فهو يوقن أن النفع والضر بيد الله، فيجتهد فيه ما يقربه إلى الله رضي الناس أم سخطوا؛

ولهذا قال الفضيل بن عياض: من عرف الناس استراح، من علم وأيقن أن النفع والضر بيد الله -كما مر بنا- في حديث ابن عباس: (واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلى بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلى بشيء قد كتبه الله عليه رفعت الأقلام وجفت الصحف).

- الأمر الثاني: يورثه الإمام بالقدر ألا وهو: سلامة القلب وطهارته من مراض الحسد والغل والضغينة في مجتمعات المسلمين التي تظهر هذه الأمور وتزداد ويكثر الحسد والضغينة؛ فأعظم علاج لهذه الأدواء التي تعصف بمجتمع ألا وهو الإيمان بالقدر، ما وجه ذلك؟ كيف يكون الإيمان بالقدر سببًا في السلامة من تلك الأدواء؟

أقول إن الإيمان بالقدر يجعل العبد راضيًا بما قسمه الله له من مال أو صحة أو نحو ذلك، فلا يحسد الناس على ما آتاهم الله في فضله، كون فلان غني كون فلان صحيح البدن كونه كذا، الذي يؤمن بالقدر لا يحسد الناس؛ لأنه يعلم أن هذه قسمة الله -سبحانه وتعالى- وأن الله تعالى هو الحكيم لما جعل فلانًا غنيًا وجعل فلانًا فقيرًا فله الأمر في ذلك كله، وله الحكمة البالغة، أدركناها أو لم ندركها.

وأمر آخر: أن هذا الأمر يطهر القلب من هذه الأمراض الحسد؛ لأن العبد المؤمن لا يعترض على قدر الله، لا يعترض على قسمة الله؛ فإذا الله تعالى قدر لفلان الصحة والمال وغير ذلك فيسلم ويعلم أن الخير فيما يختاره الله -سبحانه وتعالى-.

- الأمر الثالث: وهو من ثمرات الإيمان بالقدر ألا وهو: أن الإيمان بالقدر يورث الشجاعة، من الأخلاق التي ضعفت عند كثير من الناس خلق الشجاعة، فاستحوذ الجبن على كثير من الناس، وكان النبي -عليه الصلاة والسلام- يتعوذ بالله من الجبن، فإذا أردنا أن نغرس في أنفسنا وفي أبنائنا وفي بناتنا هذا الخلق النبيل خلق الشجاعة، هذا لا يتأتى إلا من خلال الإيمان بالقدر، وهذا بين جلي، فمن أيقن أن النفع والضر بيد الله، وأن الأرزاق مقسومة، والآجال معدودة، ولن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها؛ فعندئذ يقدم ولا يصاب بهذا الجبن الذي نجد أنه يشل كثير من الناس عن قول الحق، ويجعل الناس يحجمون عن مجالات الخير، الإيمان بالقدر يورث شجاعة.

- الأمر الرابع: مما يورثه الإيمان بالقدر ألا وهو: أن الإيمان بالقدر يورث حسن الظن بالله -سبحانه وتعالى- ومن أيقن أن الله تعالى يقدر الأمور وأن تقديره مبني على حكمة وتعليل، وأن -سبحانه وتعالى- لا يخلق شرًا محضًا خالصًا، وأنه -عز وجل- له الحكمة البالغة، فهذا يورث حسن الظن بالله -سبحانه وتعالى- وحسن الظن فيه ثقة بالله، فيه رجاء، فيسلم العبد من الشؤم، يسلم العبد من التطير، يسلم العبد من هذا الإحباط الذي يوجد عند بعض نفوس الناس، فحسن الظن هو من ثمرات الإيمان بالقدر.

- الأمر الخامس: أختم به -ولا أريد أن أطيل- ألا وهو: الإيمان بالقدر يورث خُلق الصبر على المصائب، الدنيا مليئة بما يكدر، فالإنسان إذا آمن بالقدر وأيقن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، عندئذ يصبر على المصائب، ويرضى بذلك، ويطمئن، لكن لما ضعف الإيمان بالقدر عند كثير من الناس تجد أنهم إذا أصابتهم المصائب يصابون بجذع، يصابون بالقنوط، ربما أدى إلى ما أدى من أمراض نفسية، ربما أدى إلى ما أدى مما يسمى بالانتحار التي تزداد ظاهرته في هذه الأيام، فالصبر على أقدار الله والصبر على المصائب إلا ما هو ثمرة من ثمرات الإيمان بالقدر.

إذا أذنت لي فيه مسألة هنا طرحها الأخوة: بالنسبة يا شيخ في وقوع المصائب على الإنسان لا شك أنها تورث ضجرًا وضيقًا وكدرًا هل نقول على المؤمن والمسلم قد يأثم بوجود التضجر من أقدار الله عليه؟

المعروف أن المصائب التي تقع على العبد كونه يصاب مثلًا في بدنه أو ماله أو في ولده فهو إن كان الشخص قد تسخط فلا شك أن التسخط على أقدار الله –والمصائب– هذا يعد ذنبًا، ويعد من الأمور المحرمة، فالصبر واجب، والصبر يقابله التسخط، فإذا كان هذا التضجر ينافي الصبر فهذا ممنوع لا يجوز، فيجب على العبد أن يصبر إذا أصاب الإنسان مرضًا، أو أصابه بلاء، عليه أن يصبر؛ لأن الله تعالى أمر بالصبر قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

والأمر للوجوب –كما لا يخفى– فلابد من الصبر، فبعض الناس يقولون أنا ما أقدر أصبر، أنا طبيعتي ما أتحمل، نحن نقول كما قال –عليه الصلاة والسلام–: (ومن يتصبر يصبره الله)؛ إذا كان الإنسان ليس من طبيعته عنده جلد وصبر فعليه أن يتصبر، فالصبر قد يكون أمرًا جبل عليه العبد، وقد يمكن اكتسابه، الإنسان إذا جاءته مصيبة يعود نفسه ويروض نفسه على الصبر مثل ما الإنسان يروض بدنه على أنواع من الرياضات، فكذلك يروض هذه النفس على الصبر، ولا شك أنها كما سمعنا الوعد الكريم: (ومن يتصبر يصبره الله)؛ إذا وصل إلى المقامات، مقام الرضا هذا مقام أعلى وأرفع، لكن الذي يجب علينا نحن وعلى كل مسلم ومسلمة أمام المصائب أن يصبر ليس عليه أن يتضجر، وعليه أن يقدم –كما قلنا في الحلقة الماضية– عليه أن يعلم أن الخير فيما اختاره الله، قلنا في ثنايا الكلام كيف أن ابن القيم –رحمه الله– ذكر أنه أحصى فوائد المرض الذي يتوجع منه الناس ويتألمون، ذكر أن فيه مائة فائدة، فالله –سبحانه وتعالى– حكيم والله –سبحانه وتعالى– قال: ﴿ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩].

بارك الله فيك نشرح العبارة هذه

طيب العبارة التي سمعناها: (والعرش والكرسي حق) العرش المراد به طبعًا عرش الرحمن –سبحانه وتعالى– والعرش في لغة العرب معناها سرير الملك، وكلمة العرش فيها معنى الارتفاع، مادة العرش فيها معنى الارتفاع، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ [الأنعام: ١٤١].

ومنه العريش، فالمقصود أن هذه مادة العين والراء والشين فيها معنى الارتفاع والعلو، هذا معنى العرش وهو سرير الملك، قال تعالى عن ملكة سبأ: ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ [النمل: ٢٣].

أما المراد به هنا فهو عرش الرحمن –سبحانه وتعالى– طيب ما صفاته؟

صفاته نقول:

أولًا: هو سرير.

ثانيًا: ذو قوائم.

ثالثًا: تحمله الملائكة.

رابعًا: هو سقف المخلوقات.

خامسًا: وهو كالقبة على العالم.

هذه خمسة أمور نعرف بها هذا العرش، عرش الرحمن –سبحانه وتعالى–.

الأمر الأول: هو سرير هذا أولًا: من أين أخذناه؟ أخذناه من المعنى اللغوي، والعرش في اللغة هو: السرير.

الأمر الثاني: ثم قلنا -أو قال العلماء- سرير ذو قوائم، من أين أخذنا؟ هذا الوصف أخذناه من الحديث الصحيح؛ لقوله -عليه الصلاة والسلام-: (لا تفضلوني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش)؛ الحديث أخرجه البخاري؛ فهنا في قوله -عليه الصلاة والسلام-: (فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش)؛ فدل الحديث على أن العرش له قوائم.

الأمر الثالث: أن العرش تحمله الملائكة، وهذا واضح في كلام الله قال تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٧].

وجاء ذلك في حديث الأوعال الذي أخرجه أبو داود وغيره والعرش تحمله الملائكة.

الأمر الرابع: هو سقف المخلوقات من أين أخذنا هذا؟ أخذناه من قوله -صلى الله عليه وسلم-: (إذا سألتم الله الجنة فسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسطها وفوقه عرش الرحمن).

(إذا سألتم الله الجنة فسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلاها، وفوقه عرش الرحمن)؛ فدل الحديث هذا الذي أخرجه البخاري أن العرش هو سقف المخلوقات هو أعلى شيء أعلى المخلوقات.

الأمر الأخير: وهو أنه كالقبة على العالم، وهذا جاء في حديث للنبي -عليه الصلاة والسلام-: (أنه -عليه الصلاة والسلام- وإن عرشه على سماواته هكذا، وأشار بيده -عليه الصلاة والسلام- مثل القبة)؛ فالعرش هو مثل القبة فهو كالقبة على العالم، هذا الحديث -يعني وإن كان فيه كلام- لكن نصره جملة من العلماء وأثبت صحته منهم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمة الله عليه- وغيره.

هذا ما يتعلق بمسألة العرش، طيب ننتقل إلى مسألة الكرسي.

المؤلف قال: (والعرش والكرسي حق): فالعرش حق أي أنه ثابت موجود وعرفنا شيئًا من صفاته التي دلت عليه من الأدلة، أما الكرسي هناك أقوال لعل أظهر هذه الأقوال ما جاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن الكرسي هو موضع قدمي الرحمن -سبحانه وتعالى- وهذا الأثر أخرجه الحاكم وقال إسناده صحيح على شرط الشيخين.

هذا ما يتعلق بمسألة الكرسي، وظاهر الأحاديث التي جاءت أن الكرسي عظيم، والعرش أعظم منه، ومن ذلك ما جاء في الحديث عنه أنه -عليه الصلاة والسلام-: (ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة).

السموات السبع كلها بالنسبة للكرسي ما هي إلا حلقة حديد ألقيت في فلاة أي صحراء مترامية الأطراف، ثم قال -عليه الصلاة والسلام-: (وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة).

هذا الحديث أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات وصححه الألباني -رحمه الله-، المقصود أن العرش -يعني كما ورد في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم- لا يقدر إلا الله، هذا ما يتعلق بهذه العبارة والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى- (وهو مستغنٍ عن العرش وما دونه).

هنا لما قال -رحمه الله- هو مستغن عن العرش وما دونه يعني مستغن عن العرش ومستغن عما دون العرش، هذه العبارة المحررة منه -رحمه الله- مهمة؛ لأن هناك من قد يتوهم أنه -سبحانه وتعالى- إذا كان موصوفًا بالاستواء على العرش، وقد جاء ذلك في سبع آيات من كتاب الله: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ جاءت في ست آيات وجاء في الآية السابعة: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥].

بعض الناس يتوهم أن الله -سبحانه وتعالى- إذا كان موصوفًا بالاستواء عرش أنه محتاج ﴿ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٤٣].

تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا؛ فهو -سبحانه وتعالى- مستغن عن العرش ومستغن عن من دونه من المخلوقات فهو -سبحانه وتعالى- الغني، ومن أسمائه الحسنى الغني، ومن صفاته الغِنى، فهو -سبحانه وتعالى- موصوف بالغنى، والغنى وصف ذاتي لا ينفك عنه -سبحانه وتعالى- كما أن الفقر وصف ذاتي لنا، نحن معشر بني آدم لا ننفك عن الفقر، نحن محتاجون: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ ﴾ [فاطر: ١٥].

المقصود أن الطحاوية -رحمه الله- قال هذه العبارة حتى لا يتوهم متوهم أنه -سبحانه وتعالى- إن كان مستويًا على العرش أن يكون محتاجًا، فنحن نرد على هؤلاء الذين توهموا ذلك، ثمة أقوام توهموا هذا التشبيه، وأن الله تعالى محتاج إلى العرش، فدفعوا هذا التمثيل بالتعطيل فأنكروا العرش، وأنكروا الاستواء، كما هو موجود عند غالب الذين وقعوا في التعطيل من أشاعرة ومعتزلة وجهمية فنحن نرد عليهم من وجهين:

الوجه الأول: أن نقول لهؤلاء هو -سبحانه وتعالى- كما أن ذاته لا تماثل الذوات فكذلك أيضًا صفاته وهو -سبحانه وتعالى- كما قال عن نفسه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

فكما أن ذات الله لا تماثل الذوات فكذا استوائه على العرش ليس كاستواء خلقه، أنت الآن إذا كنت جالسًا على الكرسي أو استويت على الدابة أو على السيارة أو على السفينة أنت محتاج إليها، لو سقطت السفينة مثلًا في أعماق البحر لسقط من عليها -كما هو معلوم-، لكن الله -سبحانه وتعالى- هو الغني، هذا الجواب الأول، فإذا تقرر عند كل مسلم ومسلمة أن ذات الله لا تماثل الذوات، فكذا جميع صفاته، فإذا كان صفات العبد لا تنفك عن هذه الحالة فصفات الله -سبحانه وتعالى- ليست كذلك؛ لأنه -عز وجل- ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾.

الوجه الثاني: في بيان أنه -سبحانه وتعالى- مستغنٍ، وفي الرد على من يتوهم الحاجة، نقول: عندنا مخلوقات الآن بعضها فوق بعض ومع ذلك، العالي ليس محتاج إلى من دونه، أليس كذلك؟ فالآن عندك السماء فوق الأرض وليست السموات محتاجة إلى الأرض، وكذا الآن السماء الثانية فوق السماء الأولى وليست السماء الثانية محتاجة إلى السماء الأولى وهكذا.

فإذا ثبت الغنى -لاحظ- إذا ثبت الغنى لهذه المخلوقات، وهي مخلوقات فالله -سبحانه وتعالى- ماذا؟ فالله -سبحانه وتعالى- أحق وأولى، كما مر بنا في قياس؟ الأولى، كل صفة كمال وصف بها مخلوق فالله تعالى أحق وأولى بها؛ هذا ما يتعلق بهذه العبارة؟

قال -رحمه الله تعالى- (محيط بكل شيء وفوقه وقد أعجز عن الإحاطة خلقه)

هنا عندنا العبارة تتركب من مسألتين:

- أن الله تعالى محيط بكل شيء.

- وفوقه. أي أنه فوق كل شيء.

هذا معنى العبارة معنى قوله -رحمه الله- محيط بكل شيء وفوقه، أي أنه محيط بكل شيء، هذا أولًا.

وثانيا: أنه فوق كل شيء -سبحانه وتعالى- ما الدليل على أنه محيط بكل شيء؟ هذا واضح:

قال تعالى: ﴿ وَاللهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴾ [البروج: ٢٠].

قال –عز وجل–: ﴿ أَلاَ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ [فصلت: ٥٤].

قال تعالى: ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

أي أنه يحيط بالأبصار –سبحانه وتعالى– أما أنه فوق كل شيء فهذا أمر بين ظاهر، وأدلته كثيرة جدًا أن الله –سبحانه وتعالى– موصوف بالعلو والفوقية، فالأدلة دلت على ذلك من الكتاب والسنة والعقل والفطرة.

ومن العجب أن إثبات العلو لله –سبحانه وتعالى– مع كثرة أدلته حتى قال بعض العلماء أن أدلته تصل إلى ألف دليل، ومع هذا كله للأسف أنك تجد جملة من بلاد المسلمين من ينكر أن يوصف الله –سبحانه وتعالى– بالعلو، مع هذه الأدلة كلها أدلة من الكتاب والسنة العقل والفطرة، ومع هذا كله تجد أن هؤلاء ينكرون العلو، ويقولون: إن الله تعالى في كل مكان؛ والبعض يقول: إن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا: ﴿ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾.

أما الأدلة على إثبات صفة العلو لله تعالى فالأدلة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [الأنعام: ١٨]، ومنها قوله تعالى: ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ﴾ [الملك: ١٦]؛ وأيضًا عندنا في حديث الجارية، حديث معاوية بن الحكم السلمي لما قال –عليه الصلاة والسلام– لجارية معاوية: (أين الله؟ في السماء فقال –عليه الصلاة والسلام– من أنا؟ أنت رسول الله –عليه الصلاة والسلام– قال –عليه الصلاة والسلام– أعتقها فإنها مؤمنة).

ومنها أيضًا رفع الأيدي إلى السماء، أنت لما تدعو ترفع يديك إلى السماء، إلى الله –سبحانه وتعالى– وقد جاء في الحديث قال –عليه الصلاة والسلام–: (إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه إلى من إلى الله يديه أن يرده صفرًا)، أخرجه أحمد وغيره، فهذا أمر ظاهر، أن العلو يعني هو صفة الله –سبحانه وتعالى– أيضًا عندك الآية الكريمة: ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال تعالى: وهو العلي العظيم في آية الكرسي هنا هو موصوف بالعلو، العلي الألف واللام للاستغراق، تستغرق كل أنواع العلو فهو –سبحانه وتعالى– موصوف بعلو القهر كما في الآية الأخرى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [الأنعام: ١٨].

موصوف بعلو القدر والرتبة والشأن، والأمر الثالث: هو علو الذات، هذه بعض الأدلة من الكتاب والسنة في إثبات العلو.

أما الدليل العقلي: ونحن نتعمد أن نرد الدليل العقلي في هذا المقام من أجل أن نقرر ما سبق أن مر بنا أن سلفنا الصالح اعتنوا بالأدلة العقلية؛ فالدليل العقلي على إثبات العلو نورده من خلال كلام –إمام أهل السنة– الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله– في كتابه الرد على الزنادقة والجهمية، يقول أحمد –رحمه الله–: في هذا الدليل العقلي إن الله –سبحانه وتعالى– حين خلق هذا الكون –هذه الخلائق– إما أن يكون خلق هذه الخلائق في نفسه وإما أن يكون خلقها في خارج نفسه، لاحظ كيف الدليل العقلي، كيف التقسيم العقلي، أن الله –سبحانه وتعالى– لما خلق الخلق إما أن يكون هذا الخلق في نفسه –يعني في ذاته– إما أن يكون خارج ذاته.

كأنه يرد على

الآن يبدأ في الرد، فلما ذكر هذا الجواب بدأ يبسط الدليل هكذا، فإذا قلنا: إن الله تعالى خلق الخلق في نفسه – في ذاته– فهذا كفر وباطل، كيف أن ذات الله تكون فيها الإنس والجن وسائر المخلوقات، وإذا قلنا: إن الله تعالى خلق الخلق خارج ذاته فنحن أيضًا بين أمرين: إما أن نقول إنه خلق الخلق خارج ذاته ثم دخل فيهم، وهذا أيضًا

باطل وكفر، إذا قلنا: إن الله تعالى خلق الخلق خارج ذاته ثم دخل في مخلوقاته فهذا باطل وكفر؛ لأنه يستلزم أن يكون الله -سبحانه وتعالى- في أماكن النجاسات والقاذورات تعالى عن ذلك، وأن نقول: إن الله تعال خلق الخلق وأن ولم يدخل فيهم فأثبتنا ماذا؟ أثبتنا المباينة، والمباينة هي العلو الفوقية؛ هذا باختصار ما ذكره الإمام أحمد في الرد على الزنادقة.

الدليل الفطري: هذا يعني واضح من دون اكتساب، من دون تعلم، وهذا ما عبر عنه الهمداني -رحمه الله- أبو جعفر الهمداني -رحمه الله- سمع الجويني وهو يقرر نفي العلو، الجويني -الملقب بإمام الحرمين- كان ينكر العلو على طريقة أسلافه من الأشاعرة، فماذا قال أبو جعفر الهمداني؟ قال كلامًا جميلًا، كلامًا واضحًا يفهمه كل مسلم وكل مسلمة، فقال هذا الإمام أبو جعفر الهمداني قال حدثني يخاطب الآن الجويني: يقول حدثني عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا ما قال عارف قط يا الله إلا اتجه إلى العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة؟ يقول حدثنا عن هذه الضرورة؟ هذا أمر ضروري من دون اكتساب، من دون تعلم، يقول: كيف ندفع هذه الضرورة فعندئذ بكى الجويني وقال: حيرني الهمداني حيرني الهمداني.

هذا أمر -يا أخواني- فطري، من العجب أن بعض الناس يصادم هذه الفطرة، هذه الفطرة موجودة عند كل مسلم، وموجودة حتى عند البهائم، والذي يقرأ ما ذكره ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو الجهمية والمعطلة يجد أنه أورد أدلة كثيرة جدًا في إثبات هذه الصفة، وكذا أيضًا كما ذكره الحافظ الذهبي في كتابه العلو للعلي العظيم، وأيضًا كذلك ما ذكره ابن قدامة -رحمه الله- في كتاب إثبات العلو هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

يبقى عندنا مسألة وإن كنا أطلنا فيها ولم نستمع إلى أسئلة الأخوة، يبقى عندنا مسألة نؤكد عليها، أن إثبات العلو له صلة وثيقة بتوحيد العبادة، وهذا يعني نؤكد عليه دائمًا، أن التلازم بين موضوع الأسماء والصفات وبين توحيد العبادة؛ ولهذا نقول في هذا المقام كما يقول شيخ الإسلام -رحمه الله- في نقض التأسيس: أن الشخص الذي ينفي العلو -وينكر العلو- تجد أن عنده من ترك الدعاء وترك الانحلال عنه بقدر هذا النفي، والعكس: كلما كان العبد أكثر تحقيقًا وإثباتًا لصفة العلو لله تجد أن عنده من الإقبال على الدعاء والتضرع إلى الله والانكسار بين يديه ورفع يديه إلى السماء ما لا تجده عند هؤلاء النفاة المعطلة، فإثبات العلو لله -سبحانه وتعالى- يستوجب ويستلزم إقبالًا على الله في الدعاء والتضرع إليه ورفع اليدين إليه -سبحانه وتعالى-.

لعلنا نقف إذا كان فيه سؤال أو استفسار؟

لدي تساؤل: هل يجب على المسلم أن يعرف تفاصيل خلق العرش والكرسي على التفصيل أم أن نقول أن يؤمن بها على الإجمال؟.

طبعًا هذا سبق أن قلناه في أول درس أن هناك شيء اسمه المعرفة الإجمالية، وهو الإيمان المجمل بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر؛ هذا الإيمان المجمل هذه المعرفة الإجمالية أو الإقرار المجمل هذا فرض على كل مسلم ومسلمة، أما تفاصيل مثلًا الصفات الله أو تفصيل مثل هذه الموضوعات التي بين أيدينا فهذه من فروض الكفاية إذا قام به البعض سقط الحرج والإثم على الباقين.

يقول: إن الله ينزل كل آخر ليلة إلى السماء الدنيا -سبحانه وتعالى- كما ورد في الحديث، هل ينزل مع العرش؟

نحن نقول في مثل هذا نقول كما قال سلفنا "قف حيث وقف النص" فهو -سبحانه وتعالى- ينزل نزولًا يليق بجلاله وعظمته إلى السماء الدنيا وهو الذي -سبحانه وتعالى- هو الذي ينزل نزولًا يليق بجلاله وعظمته، ولم يأت قضية أن العرش ينزل، فنقف حيث وقف النص، فهو -سبحانه وتعالى- ينزل، لكن نزوله -سبحانه

وتعالى- كما قلنا نزول يليق بجلاله وعظمته، وهذا النزول لا يفارق صفة العلو؛ لأنه ليس كمثله شيء؛ ولهذا السلف هنا يقولون: إن الله -سبحانه وتعالى- قريب في علوه عال في دنوه -لاحظ عبارة الطحاوي جميلة- قال: "محيط بكل شيء وفوق كل شيء" فهو -سبحانه وتعالى- له من صفات الكمال ما تنبهر منها العقول؛ ولهذا لاحظ الآن عندك الآن لما قال محيط بكل شيء وفوق كل شيء هذا مؤكد مقرر في الأدلة لما قال تعالى في سورة قال -عز وجل-: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فهنا لما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾، بعدها قال: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ﴾ [الحديد: ٤].

لاحظوا هنا أول شيء قال ثم استوي على العرش فوصف بالعلو والارتفاع -سبحانه وتعالى- ثم قال: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ قوله -سبحانه وتعالى- على العرش هذا لا ينفي علمه بكل شيء قال: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ ﴾ [الحديد: ٤].

فعلمه محيط بكل شيء، وفي حديث الأوعال قال -عليه الصلاة والسلام-: (والله فوق ذلك- يعني فوق العرش- وليس يخفى عليه من أعمال بني أدم شيء) فالمقصود أننا نثبت هذا النزول، أما قضية العرش لم يرد شيء في ذلك فنقف حيث وقف الناس، إنما ينزل هو -سبحانه وتعالى- واضح الآن.

يقول: بالنسبة للإيمان بالقدر قلنا أنه يورث شجاعة، كيف نوفق بين الأخذ بالأسباب وإنسان مثلًا ذهب إلى مكان يغلب فيه الهلاك وهو يقول أنا مؤمن بالقدر وإذا قدر الله أن أهلك أو أموت أو كذا فيدخل، كيف نوفق بين الشجاعة والأخذ بالأسباب؟

ما في إشكال أولًا نحن نؤكد -يا أخوان- أن الإيمان بالقدر يورث الشجاعة، فيجب أن نستصحب أن الشجاعة هي خلق كريم بين خُلقيين مذمومين، بين خلق الجبن الذي كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يتعوذ بالله منه، وبين التهور فلا تعني الشجاعة التهور، وإنما الشجاعة بين هذا وذاك، هذا أمر.

الأمر الآخر: الشجاعة هي -أخي- سبب، هي في حد ذاتها من فعل الأسباب، أنت عندما تكون شجاع، وتواجه أعداء الله هذا سبب في السلامة منهم، عندما تواجه أعدائك بهذه الشجاعة هذا سبب في حفظك، فالشجاعة هي أعظم سبب؛ ولهذا كانت الشجاعة هي خلق الأنبياء، إبراهيم -عليه السلام- كسر الأصنام ونبينا -عليه الصلاة السلام- كما قال أنس -رضي الله عنه-: (كان عليه الصلاة السلام أشجع الناس).

فالشجاعة هي من الأسباب، لكن كونه قلنا: "من الأسباب" لا يعني أن الشجاعة هي التهور، وإنما هي خلق نبيل وخلق كريم بين الجبن وبين التهور والطيش.

يقول: ما معنى فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة؟ هل يعني الفرق في القدر أم الفرق في الحجم أم ماذا؟

نأخذ بظاهر الحديث لما قال هنا: (وفضل العرش -أو قال فضل العرش- على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة) من جهة عظمته، مثل الآن لو أتينا بحلقة حديد وضعناها في صحراء يعني شاسعة مترامية الأطراف ليست شيئًا، هذه الحلقة تضيع في هذه الصحراء المترامية الأطراف، فكذا أيضًا يعني هنا الآن بالنسبة للعرش، العرش مع الكرسي، فالعرش هو كهذه الفلاة والكرسي كالحلقة فمن جهة العظمة من جهة ذات الكرسي ومن جهة ذات العرش.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (ونقول: إن الله اتخذ إبراهيم خليلًا وكلم موسى تكليمًا إيمانًا وتصديقًا وتسليمً)

هذه العبارة بينة واضحة من خلال الأدلة، أما قوله إن الله اتخذ إبراهيم خليلًا هذا جاء في القرآن قال تعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ [النساء: ١٢٥]؛ وقال –عليه الصلاة والسلام–: (لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليل)؛ وسبق أن مر بنا شيء من ذلك أما قوله ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]،فأيضًا كذلك هذا من الصلاية: ﴿ وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ الله –سبحانه وتعالى– كلم موسى؛ ولهذا العلماء يقولون عن موسى أنه كليم الرحمن، موسى بن عمران هو كليم الرحمن، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، إذا أثبتنا الخلة لمحمد –عليه الصلاة والسلام– وأثبتنا الكلام لموسى –عليه السلام– ففي هذا رد على من أنكر ذلك، وأول من أنكر ذلك الجعد بن درهم حين قال مقالته الشنيعة فأنكر هذا وذاك، فضحى به خالد بن عبد الله القسري –رحمه الله– في عيد الأضحى، وقال في خطبته: ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضحٍ بالجعد بن درهم، فإنه يزعم أن الله تعالى لم يكلم موسى تكليمًا، ولم يتخذ إبراهيم خليلًا فقتله، بناًء على فتيا من التابعين على ذاك هذا أمر.

الأمر الثالث: أن الخلة كما مر بنا هي غاية المحبة وكمالها، فنقول: إن الخلة هي أعلى مراتب الحب ليست هي المحبة فقط بل هي أعلى مراتب الحب، وأهل السنة يثبتون ذلك يثبتون أن الله يوصف بصفة الحب، كما أيضًا يثبتون ذلك بالنسبة للعبد فالعبد يحب الله، والله تعالى يحب المؤمنين كما قال تعالى: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة: ٥٤]؛ ومن أسمائه –سبحانه وتعالى– الودود: قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾ [البروج: ١٤]؛ والودود: إما أن يكون اسم فاعل أو اسم مفعول أو هما معًا فهو –سبحانه وتعالى– الودود أي أنه يود عباده ويحبهم وهو الودود، أي المودود أي أنه –سبحانه وتعالى– هو المحبوب الذي يحبه أهل الإيمان المعتزلة زعموا أن الخلة هي الفقر، فيرد عليهم نقول:

الأمر الأول: إن الخُلة هنا جاءت هكذا هي الخُلة بضم الخاء وليست الخَلة، نعم الخلة في لغة العرب هي الفقر، صاحب الخَلة هو الفقير المحتاج، فنقول هي الخُلة، وليست الخَلة، هذا الخطأ من جهة اللغة.

والأمر الثاني: نرد عليهم لو كانت الخلة هي الفقر فكل إنسان فقير محتاج إلى الله أليس كذلك؟ مرت بنا الآية الكريمة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ ﴾ [فاطر: ١٥]؛ فكل شخص مسلم وكافر بر وفاجر الكل فقير إلى ربوبية الله، فلو كانت الخلة هي الفقر لما تميز مسلم عن كافر فضلًا أن يتميز إبراهيم –عليه السلام– عن غيره من الأنبياء –عليهم السلام– هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين).

هذه جملة من أركان الإيمان أشار إليها المؤلف –رحمه الله– لكنا نوجز الحديث عنها؛ لأن الحديث عنها يطول هنا قال نؤمن بالملائكة، الملائكة: جمع ملك ومادة الملك أصلها من الألوكة والألوكة هي الرسالة، فالملك هو الرسول، وهذا معناه والألوكة هي الرسالة، فالواجب عليه أن نؤمن بالملائكة، نؤمن بوجودهم، نؤمن بأنهم خلقوا من نور، نؤمن بأن لهم أجنحة، خلقوا من نور كما في الحديث الذي أخرجه مسلم: قال –عليه الصلاة والسلام–: (خلقت الملائكة من نور)؛ ونؤمن بأن لهم أجنحة كما في قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ ﴾ [فاطر: ١]، والملائكة لهم أجنحة، وجبريل –عليه السلام– له ستمائة جناح كما ثبت في الحديث، أيضًا نؤمن بصفاتهم الخلقية كما قال تعالى في صفاتهم: ﴿ لاَ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[الأنبياء : ٢١]. ونؤمن أيضًا بمن ذكر من أسمائهم كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومالك يعني خازن جهنم -أعاذنا الله منها- وملك الموت ومنكر ونكير ونحو ذلك، كما نؤمن بوظائفهم التي وكلت إليهم هناك ملائكة وكلوا بالرياح وملائكة وكلوا بقبض الأرواح وأخذها وهكذا، فيجب علينا أن نؤمن بهذا إيمانًا مطلقًا هذا ما يتعلق بقضية الملائكة -عليهم السلام-.

هنا قال بعدها والنبيين والكتب نبدأ بالكتب مراعاة لحديث جبريل أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه، فعلينا أن نؤمن بالكتب أن هذه الكتب المنزلة هذه كلها من عند الله، وأن الله تعالى تكلم بها، ويجب علينا أن نؤمن بها، نؤمن بالتوراة والإنجيل، لكن أيضًا علينا أن نوقن أن هذه الكتب التوراة والإنجيل والزبور كلها كتب اعتراها ما اعتراها من التحريف وأيضا هي كتب منسوخة لكن يجب علينا أن نؤمن بها، إيمانًا مجملًا أما الإيمان التفصيلي الذي يستلزم الإتباع فهذا يعني يختص بالقرآن الكريم.

يقول: متى ترك الإحاطة الذاتية أو معنوية أو ليقال ذلك مثلًا؟

نقول الإحاطة ذاتية أو معنوية نحن نقول أن نقتصر ما جاء به النص الله تعالى قال: ﴿ وَاللهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴾ [البروج: ٢٠]؛ فالإحاطة هنا إحاطة علم وهو محيط بكل شيء مثل ما نقول على المعية: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [الحديد: ٤]؛ وهو معنا بعلمه واطلاعه، فهذه الإحاطة إحاطة علم وهذا الذي أفهمه والله أعلم.

يعني أيضًا نشير إلى أن القرآن جاء ناسخًا للكتب السابقة وأيضًا من مزايا هذا القرآن أنه محفوظ قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]؛ هذه كلها أمور نتحدث عنها بإيجاز.

يبقى عندنا موضوع الأنبياء -عليهم السلام-؛ ما هو قال والنبيين علينا أيضًا أن نصدق تصديقًا جازمًا بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولًا: كما في قوله تعالى: ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]؛ وأن الرسل عليهم السلام كلهم يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وقد تختلف بعض شرائعهم كما قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨]؛ وأن الله تعالى أيَّد الأنبياء بالآيات والبراهين الدالة على صدقهم.

يبقى معنا أن نشير إلى الإيمان بمحمد -عليه الصلاة والسلام- كما بين ذلك الشارح فيجب علينا أن نؤمن بمحمد -عليه الصلاة والسلام- وأن بعثته ناسخة ورسالته ناسخة للشرائع السابقة، ويجب على كل من في الأرض أن يتبعوا محمد -عليه الصلاة والسلام- ويؤمنوا به، والإيمان بمحمد -عليه الصلاة والسلام- يشمل تصديقه فيما أخبر، والالتزام بما أمره، واجتناب ما نهى عنه وزجره، وألا يعبد الله إلا بما شرع، كما يتضمن أيضًا الإيمان بمحمد -عليه الصلاة والسلام- محبته فيجب علينا نحن معشر المسلمين والمسلمات أن نحب الرسول -عليه الصلاة والسلام- محبته هي أعظم الفرائض من أعظم الفرائض، يجب على كل مسلم ومسلمة أن يحب الرسول -عليه الصلاة والسلام- ومن أبغض النبي -عليه الصلاة والسلام- فقد خرج عن الملة، فبغض النبي -عليه الصلاة والسلام- من أعظم أنواع الكفر وأنواع الردة التي تخرج من الملة، لكن هذه المحبة -أيها الأخوة الكرام ومن يشاهد هذه الحلقة- هذه المحبة توجب الإتباع، فالمحبة إذا استقرت محبة النبي -عليه الصلاة والسلام- في قلوبنا هذه المحبة تستوجب الإتباع، إتباع السنة، أما ما يقع الآن للأسف في بلاد المسلمين لاسيما في مثل هذه الأيام في يوم السبت مثلًا ما يسمى بالمولد النبوي فهذا هو عين المخالفة لسنة النبي -عليه الصلاة والسلام- نحن نؤكد ونحذر من الاحتفال بهذه الموالد، وقد يقول قائل أنت تحدث عنه بعد أن انتهى ومضى فنقل المولد الآن لا يتكرر كل سنة بل يتكرر أحيانًا كل أسبوع، نجد أن بعض المسلمين بل كثير من المسلمين يحتفلون بمولد النبي -عليه الصلاة والسلام- كل أسبوع، يعني لم يكفهم أن يحتفلوا به كل سنة، بل زاد الابتداع والإحداث إلى هذا الأمر، فنقول إلى هؤلاء ونخاطب هؤلاء ونخاطبكم أنتم يا معشر المتبعين من أجل أن تصل هذا الرسالة إلى أولئك من باب الرحمة بهم ومن باب الإشفاق عليهم نقول أن الاحتفال بمولد النبي -عليه الصلاة والسلام-

هو أحداث وابتداع في دين الله ونبينا -عليه الصلاة والسلام- وهو الذي يجب علينا أن نحبه هو الذي قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد).

فكيف نحدث هذا الأمر، النبي -عليه الصلاة والسلام- لم يحتفل بمولده، والصحابة الكرام وهم أعلم وأكثر محبة للنبي -عليه الصلاة والسلام- لم يحتفلوا به، يأتي بعض المبتدعة وبعض الضالين من أمثال العبيديين ويحدثون هذا البدعة ثم يأتي جهلة أهل السنة أو من جهة المنتسبين إلى السنة ويحتفلون بها، هذه مصيبة، يعني هذا ابتداع وإحداث.

والأمر الثاني هذا مشابهة لأعداء الله مشابهة للنصارى الذين يحتفلون بميلاد المسيح، وعلينا أن نحذر من هذا وذاك، نحذر من الابتداع في دين الله ونحذر من التشبه بأعداء الله، فقد قال -عليه الصلاة والسلام-: (من تشبه بقوم فهو منهم)؛ وإذا كنا نريد أن نحب النبي -عليه الصلاة والسلام- محبة صادقة علينا أن نتبعه هذا هو المحك، هم حبذا أننا نحتفل بمولده ونقرأ السيرة في ليلة واحدة، أو نأكل أو نشرب ونزعم أو يزعم البعض أن روح النبي -عليه الصلاة والسلام- تحضر، هذا كله نوع من الدجل، وكل ذلك مخالف لسنة النبي -عليه الصلاة والسلام-.

يقول: بعض الناس يسأل عن معنى فضل العرش، وهل معناه الحجم؟ وأيضًا بعضهم يسأل عن نزول الله تعالى وهل ينزل مع العرش؟

يقول أن هذه الأسئلة تدور كثيرا لدى كثير من الناس فهل يجب أو هل يصح السؤال عنها أما الأفضل كتمانها؟

والله على كل الأسئلة التي سأل عنها الأخ وقال إنها مرت بنا قبل قليل الواجب علينا كما قال الله تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء: ٣٦]؛ علينا أن نقف حيث وقف النص، يعني عندنا النص أثبت الحديث أن الله تعالى ينزل ولم يثبت أن العرش ينزل فنقف حيث وقف الناس، أما قضية الحجم والحجم فأيضًا كذلك نحن جاء الحديث الذي حسنه بعض أهل العلم أن فضل العرش على الكرسي كفضل الصحراء أو الفلاة على الحلقة، أو هكذا معناه فعلينا أن نقف أما قضية البعض أنه يقول حجم وكذا ما عندي أنا جواب في هذا، لكن نحن نقف حيث وقف الناس، ما فيه جواب، جاء به الدليل، فنقف حيث وقف الناس، هذا الذي ينبغي أن نجيب عنه، ونشتغل بما ينفع، الأسئلة هذه التي ليس ورائها عمل، وليس ورائها تصديق بالنص، فعلينا أن نقف حيث وقف النص، وأن نصدق بالنص ونؤمن به كما جاء على لسان النبي -عليه الصلاة والسلام-.

يقول: يستدل بعض الصوفية بقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ ﴾ [الزخرف: ٨٤]؛ أن الله تعالى في كل مكان؟ هذا السؤال الأول.

والسؤال الثاني: تسمية بعض الناس ملك الموت باسمه عزرائيل؟ هل ثبت ذلك في السنة؟

الذي أعرفه بالنسبة للسؤال الأول واضح الآية الكريمة كما قال أهل العلم وأيضًا كما قاله حتى بعض الصفاتية هذه الآية الكريمة مثل ما لو قلنا: إن فلان أمير في الرياض، وأمير في الخرج، وأمير في كذا، لا يعني أنه تعدد

شخصه، أليس كذلك؟ أيضًا لما جاء في الآية الكريمة ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ ﴾؛ يعني أن الله تعالى هو إله الأرض وإله السماء.

أما ما جاء في قضية عزرائيل نعم هو جاء في أثار لكنها آثار إسرائيلية فالواجب علينا أن نقف كما جاء به النص الصحيح قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ ﴾ [السجدة: ١١]؛ فنحن نسميه ملك الموت كما جاء في القرآن وكما جاء في حديث البراء بن عازب والله أعلم.

يقول: إن هناك من ينفي العلو ويقول: إن السماء هي قبلة الدعاء؟

نعم هذه شبهة قديمة يقول إن السماء قبلة الدعاء غير صحيح، لا الشخص عندما يدعو هو يدعو الله تعالى، مستقبل القبلة، أليس كذلك؟ فقضية أن السماء قبلة الدعاء هذا كلام لا دليل عليه، وعلى كلٍ تجد أن هؤلاء الذين ينفون العلو وينكرونه عندما تضطرب الأمور، وعندما يأتي الكرب تجد في الحال تجدهم يرفعون أيديهم إلى السماء؛ وفي قصة طريفة أختم بها أن أحد نفاة العلو الذين ينكرون العلو كان له حاجة عند ابن تيمية –رحمه الله– فكان شيخ الإسلام يتعمد أن يؤخر قضاء حاجته أكثر من مرة فجاءه في أحد المرات وطلب حاجته، أي طلب تلك الحاجة من ابن تيمية –رحمة الله عليه– فابن تيمية أيضًا أجله فما كان من هذا الرجل الذي ينكر العلو إلا أنه رفع يديه إلى السماء قال شيخ الإسلام ها أنت الآن تنكر العلو، وتقرر ما في العلو، لما احتجت رفعت يديك إلى السماء، هذا أمر ظاهر، لكن بعض الناس يصادم هذه الضرورة التي يجدها في نفسه والله أعلم.

هلا تفضلتم بطرح أسئلة هذه المحاضرة:

السؤال الأول: ما المقصود بالعرش؟ أو ما تعريف العرش؟

والسؤال الثاني: لم قال الطحاوي –رحمه الله– "وهو مستغنٍ عن العرش وما دونه" لم قال الطحاوي هذه العبارة؟

الدرس الثاني عشر

من فصل " ونسمي أهل قبلتنا مسلمين"

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– أما بعد فإنكم طرحتم سؤالين فضيلة الشيخ في الدرس الماضي:

السؤال الأول: ما المقصود بالعرش؟

وكانت الإجابة: العرش في لغة العرب هو سرير الملك، ومادة العرش فيها معنى العلو والارتفاع، والمقصود بالعرش هنا هو عرش الرحمن، وهو سرير

ذو قوائم تحمله الملائكة.

إجابة صحيحة لكنها ناقصة؛ قلنا بالأمس كما مر بنا أنه سرير ذو قوائم تحمله الملائكة لكن بقي جملتان، وهو أن يقول هو سقف المخلوقات وهو كالقبة

على العالم.

والسؤال الثاني: قول الإمام الطحاوي: وهو مستغن عن العرش وما دونه؟

وكانت الإجابة: أن الإمام الطحاوي أورد هذا الكلام لكي لا يفهم من استواء الله –سبحانه وتعالى– على عرشه أنه يحتاج إليه إذ أن المخلوق لو استوى

على شيء كالسيارة مثلًا فإنه يحتاجه أما الله –سبحانه وتعالى– فهو غني العرش وعن جميع ما دونه.

إجابة صحيحة وموفقة.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– لله معترفين وله بكل ما

قال وأخبر مصدقين).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، والحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد: يقرر الإمام الطحاوي –رحمه الله– في هذه العبارة يقرر أمرًا مهما وهو ما يتعلق بأهل القبلة، فأهل القبلة هم أهل الإسلام، قد نسميهم أهل القبلة، أو أهل الإسلام، أو أحيانًا يسميهم بعض العلماء أهل الصلاة؛ ولهذا أبو الحسن الأشعري –رحمه الله– ألف كتابًا بعنوان مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، وسواء قلنا أهل الإسلام أو قلنا أهل القبلة أو أهل الصلاة المعنى واحد، والمقصود بأهل القبلة هم المذكورون في قوله –عليه الصلاة والسلام–: (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا، فهو المسلم، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم)؛ هؤلاء أهل الإسلام هم أهل القبلة، فأهل الإسلام يدخل فيهم أهل البدع والمحدثات ممن لم تكن بدعتهم مكفرة، كما يدخل فيهم أيضًا من تلبس بفسق أو فجور فأهل الإسلام أعم أهل السنة أخص، هذا المراد بأهل القبلة

هؤلاء كما سمعنا الحديث لهم يعني ما لأهل الإسلام من الحقوق وعليهم ما عليهم، هذا ما تعلق بهذه العبارة لكن يبقى عندنا في كلام الطحاوي -رحمه الله- بعض الإشكال، والإشكال يتمثل في مسألتين:

المسألة الأولى: أن الإمام الطحاوي -رحمه الله-قال: ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، وظاهر العبارة هاهنا أن الطحاوية -رحمه الله- جعل الإسلام والإيمان شيئًا واحدًا أو جعله مترادفًا وليس الأمر كذلك بإطلاق، والأحاديث والنصوص الشرعية دلت على أنه يفرق بينهما، كما جاء ذلك في جملة من النصوص، من ذلك ما جاء في آية الحجرات لقوله تعالى: ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات: ١٤]؛ وأيضًا كما جاء في حديث جبريل المشهور: (أن جبريل -عليه السلام- سأل نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- عن الإسلام: فأجاب -عليه الصلاة والسلام- الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إلى ذلك سبيلًا؛ قال ما الإيمان: قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره).

المقصود قوله -رحمه الله- نسميه أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين وكونه جعل الإسلام والإيمان شيئًا واحدًا أو مترادفًا ليس الأمر كذلك، والذي عليه جمهور أهل العلم أن يفرق بينهما كما فرق بذلك النصوص.

المسألة الثانية: الذي يؤخذ على هذه العبارة: أنه قال -رحمه الله-: ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- معترفين، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين فنلحظ من هذه العبارة أن الطحاوية -رحمه الله- جعل الإيمان يتركب من أمرين من الاعتراف وهو إقرار اللسان ومن التصديق وهو تصديق القلب والإيمان لا يقتصر على هذا وذاك، فالإيمان نعم هو إقرار باللسان وهو أيضا تصديق بالقلب أو تصديق بالجنان، لكن لابد من العمل، لابد من عمل الجوارح، فهذا مما أخذ عليه -رحمه الله- أنه جعل الإيمان يقتصر على أمرين على إقرار اللسان وعلى تصديق الجنان، وسيأتي في كلامه ما يبين أنه يقرر هذا الأمر، وسيأتي التعقيب على كلامه بشيء من التفصيل، عندما نتحدث -إن شاء الله- على تعريف الإيمان عند أبي جعفر الطحاوي والتعقيب عليه؛ هذا ما يتعلق بهذه المسألة، وبهذا يتضح لكم -أيها الإخوة- أن عبارة الطحاوي فيها مأخذان:

الأول: ما سمعناه أنه جعل الإيمان والإسلام شيئًا واحدًا.

والثاني: أنه جعل الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان، والإيمان ليس كذلك فحسب، بل لابد من عمل الجوارح والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (ولا نخوض في الله ولا نماري في دين الله).

هذه من المسائل المهمة التي قررها الإمام الطحاوي -رحمه الله- قال:

الأمر الأول: ولا نخوض في الله، لا نخوض في الله لا نخوض في ذات الله -سبحانه وتعالى- بمجرد الظنون والتخرصات والقول بلا علم؛ فالخوض هذا مذموم، وفي هذا رد على المتكلمين كما أشار الشارح ابن أبي العز الذين خاضوا في صفات الله -سبحانه وتعالى- بلا علم ولا دليل ولا برهان صحيح هذا أمر.

الأمر الثاني: أن الخوض لما قال ولا نخوض في الله الخوض هو: الوقوع في الشبهات، إذا ذكر الخوض فهو قول الباطل، والخوض هو الوقوع في الشبهات؛ ولذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾ [التوبة: ٦٩]؛ فالخوض هنا هو الوقوع في الشبهات والقول بالتخرص والظنون، ومنه أيضًا من هذا الخوض ما

جاء في قوله تعالى على سبيل التحذير قال تعالى: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ [النجم: ٢٨].

والظن الذي هو التخرص وقول على الله بلا حجة ولا بينة ولا برهان ينبغي علينا وينبغي لكل مسلم ومسلمة أن يكف عنه، القول على الله بلا علم من أعظم المحرمات، فينبغي الكف عن ذلك، ونقف حيث وقف الدليل، في باب أسماء الله وصفاته -كما مر بنا- أن أسماء الله وصفاته توقيفية، نقف حيث ورد الدليل الصحيح.

قوله -رحمه الله- ولا نماري في دين الله، لا نماري المراء قد يكون من المرية وهي الشك، وقد يكون من المراء الذي هو الخصومة، أو كما يعبر بعض العلماء الجدال الذي يوقع في الشك، والمعنيان متقاربان أو متلازمان، فسواء قلنا: إنه من المراء هو الشك كما في قوله تعالى: ﴿ فَلاَ تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ ﴾ [السجدة: ٢٣]؛ هذا صحيح، وكذا أيضًا لما نقول: إن المراء وهو الجدال أو الخصومة فالأمر كذلك؛ لأن الجدال المذموم أو الخصومة هذه توقف في الشك والريب؛ لهذا نجد أن سلفنا الصالح كان يحذرون من هذه الجدال، من ذلك ما جاء عن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- الذي يقول من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل؛ فإذا جعل دينه مقصودًا بالجدل والقيل والقال والخصومات أكثر التنقل، أي أنه في كل يوم له طريقة ومذهب، والمقصود أنه يحذر من هذا المراء، وقد ورد في هذا الحديث الذي أخرجه أبو داود وحسنه ابن القيم في تهذيب سنن أبي داود أنه -عليه الصلاة والسلام- قال: (المراء في القرآن كفر)؛ وذكر الشراح أن المراء إما أن يكون من المرية الذي هو الشك أو من الجدال الذي يورث الشك والريب وكما مر بنا أن المعنيين متقاربان والله أعلم.

نتجاوز العبارة هذه

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (ولا نجادل في القرآن، ونشهد أنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فعلمه سيد المرسلين محمدًا -صلى الله عليه وعلى آله أجمعين- وهو كلام الله تعالى لا يساويه شيء من كلام المخلوقين ولا نقول بخلقه ولا نخالف جماعة المسلمين)

هذه العبارة التي سمعناها لما قال -رحمه الله- ولا نجادل في القرآن ذكر الشارح -رحمه الله- أن هذه العبارة تحتمل أن مقصود الطحاوي يعني لا نجادل في القرآن أي لا نجادل في أن القرآن كلام الله، بل نقطع نجزم أن القرآن كلام الله غير مخلوق، هذا الاحتمال الأول.

الاحتمال الآخر: أن مقصود الطحاوي -رحمه الله- من هذه العبارة: أن مقصوده لا نجادل في القرآن أي لا نجادل في القراءة الثابتة عن رسول الله -عليه الصلاة والسلام- كالقراءات السبع، وعلى كل حال إن قلنا هذا أو ذاك فهذا صحيح وذاك صحيح، إلى أن قال: ونشهد أنه كلام رب العالمين، ولما قال ونشهد أنه كلام رب العالمين، هذا يؤكد المعنى الأول، وأن مقصوده -رحمه الله- التأكيد على ما سبق أن مر بنا في مسألة الكلام الإلهي، فالقرآن هو كلام الله -سبحانه وتعالى- منزل غير مخلوق -كما مر بنا بشيء من البسط والبيان في درس سابق- قال نزل به الروح الأمين، وهو جبريل -عليه السلام-: قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء:١٩٣- ١٩٥].

فالمراد بالروح الأمين -كما لا يخفى- جبريل -عليه السلام- فعلمه سيد المرسلين -عليه الصلاة والسلام- نعم علمه، وكما مر بنا أن محمدًا -صلى الله عليه وآله وسلم- سمع القرآن من جبريل، وجبريل -عليه السلام- سمع القرآن من عند الله -سبحانه وتعالى-.

قال: وهو كلام الله نعم –مر بنا– في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ﴾ [التوبة: ٦]؛ لا يساويه شيء من كلام المخلوقين في هذا رد على الممثلة أو من يتوهم التمثيل فكلام الله – سبحانه وتعالى– لا يماثل كلام الخلق؛ لأنه –سبحانه وتعالى-: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

وإذا تقرر أن ذات الله لا تماثل الذوات فصفاته –سبحانه وتعالى– لا تماثل صفات المخلوقين، ومن ذلك الكلام الإلهي؛ ثم قال: "ولا نقول بخلقه" لما رد على الممثلة رد بعدها على المعطلة الذين قالوا بخلق القرآن كالمعتزلة والرافضة والإباضية ونحوه ولا نقول بأن القرآن مخلوق بل نقول هو كلامه–سبحانه وتعالى– ثم قال: ولا نخالف جماعة المسلمين، وفي هذا إشارة إلى أن من قال بخلق القرآن فقد خالف الإجماع، وقد مر بنا أن هذه المسألة محل إجماع عند أهل السنة فمن خالف في ذلك وقال بخلقه فقد خالف الإجماع، ومن قال بخلق القرآن فهو كافر كما مر بنا في موضوع الكلام الإلهي والله أعلم.

لدينا سؤال من أحد الإخوة وهو على عبارة قول الإمام الطحاوي: ولا نماري في دين الله؟ أنتم ذكرتم فيه تحذير من الجدل؟

إيه نعم؛ الجدل المذموم.

نريد تحليل لهذا المصطلح؟ ما المقصود به على التحديد؟

نحن قلنا قبل قليل: إن المراء يعني جاء ذمه في نصوص كثيرة وحسبنا ما جاء في الحديث عنه –عليه الصلاة والسلام–: (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وهو محق)؛ فترك المراء محمود ولو كان الشخص على حق، فكيف لو كان على باطل فالمراء مذموم مطلقًا كما سمعنا الحديث، وسمعنا أيضا الحديث السابق (المراء في القرآن كفر) نعم الجدال قد يكون هناك جدال مذموم وجدال سائغ محمود والله –سبحانه وتعالى–قال: ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]؛ وقال تعالى: ﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

فالجدل ينقسم أو الجدال ينقسم إلى ما هو محمود وما هو مذموم، فالمقصود أن المراء ينبغي اجتنابه لما يوقع في نفس الشخص من التشكيك، وما يقع فيه من الريب والأمر الآخر: المراء لا ينفك عن حدود النفس وشهواتها وحب الانتصار، يغيب عن صاحبه قضية أن المقصود هو إتباع الحق فضلًا عما هو اشد من ذلك ألا وهو الشك الذي يورث الزيغ والضلال والله أعلم.

يقول: كيف نجمع بين قولنا إن النبي –صلى الله عليه وسلم– سمع القرآن من جبريل، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٢–١٩٤]؟

ما في إشكال في هذا؛ لأنه كما مر بنا أن الوحي أنواع أليس كذلك؟ فهناك وحي يعني هو إلهام، كما مر بنا في حديث: (إن روح القدس نفذ في روعي، أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجله)؛ فالوحي أنواع منه ما يكون إلهامًا من الله لنبيه، ومنه ما يكون أنه يسمعه، ومر بنا أنه –عليه الصلاة والسلام– سمع كلام الله أليس كذلك؟ سمع كلام الله بلا واسطة، لما عرج به إلى السماء فحصل له التكليم بلا واسطة، كما حصل لموسى من قبل –عليه السلام– وقد يكون هذا الوحي من خلال أن جبريل يأتي في صورته البشر كما في حديث جبريل المشهور؛ وكما وقد يأتي على هيئته التي خلقه الله، المقصود أن ما في تعارض بين هذا كله فهذا كله نوع من أنواع الوحي، فمن الوحي يكون إلهاما في قلبه –عليه الصلاة والسلام– ومنه ما يكون ماذا؟ أن جبريل –عليه

السلام- يسمع كلام الله ثم يبلغه محمدًا -عليه الصلاة والسلام- ومحمد -صلى الله عليه وسلم- يسمعه من من؟ من جبريل -عليه السلام- هذا الذي أفهمه والله أعلم.

تقول: ما رأيكم فيمن يقول في الأخذ بالسبب نحن سنفعل ذلك عسى الله أن يجعل لنا حظًا؟

تسأل عن العبارة؟

نعم

أعد العبارة من فضلك؟

عسى الله أن يجعل لنا حظًا.

نحن نفعل ذلك عسى الله أن يجعل لنا حظًا.

يعني قصد حظًا فيه أو شيء

ما فيه إشكال في هذا في العبارة، يعني ما في إشكال أن كل واحد يقول أن نفعل ذلك عسى الله أن يجعل فيه حظًا؛ يعني إذا كان المقصود فعل أسباب فمر بنا أن فعل أسباب لابد منه قال -عليه الصلاة والسلام-: (احرص على ما ينفعك واستعن بالله)؛ قولها في تتمة العبارة عسى الله أن يجعل لنا منه حظًا؛ إذا كان هذا على سبيل أنها تتمنى ذلك، هي تتمنى أو يتمنى غيرها ذلك، لكن لما الله -سبحانه وتعالى- يقول "عسى" يمكن هذا الإشكال عند الأخت إذا قال الله تعالى عسى فكما قال ابن عباس -رضي الله عنهما- عسى من الله واجبة؛ لما قال تعالى: ﴿ عَسَى اللهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ﴾ [الممتحنة: ٧]؛ هذه متحققة وواقعة، لكن نحن إذا قلنا عسى الله تعالى أن يهيئ لنا الأمر الفلاني، هذا قد يقع وقد لا يقع، أليس كذلك؟ فإذا الله تعالى تكلم به فكما قال ابن عباس عسى من الله واجبة وهذا الذي تحقق من الآية الكريمة التي سمعناها: ﴿ عَسَى اللهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ﴾؛ نعم أن هؤلاء الكفار أهل مكة أسلموا ودخلوا في دين الله أفواجًا والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي: -رحمه الله تعالى-: (ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله)

عندنا هذه المسألة فيما يتعلق بموضوع التكفير، ولا شك أن التكفير هو من الموضوعات التي لها من الشأن ولها من الخطر ما لها وهذا أمر لا يخفى عليكم -أيها الإخوة- نؤكد أيها الإخوة إلى أمور:

الأمر الأول: أن التكفير هو حق الله -سبحانه وتعالى- التكفير حق الله، التكفير حكم شرعي، متلقى عن صاحب الشرع، والتكفير ليس حق لزيد أو لعمرو، ليس حقوقًا شخص، مثلا يعني اعتدى عليك تعتدي عليه عاقبك تعاقبه، ليست المسألة مقايضة ومجازاة، التكفير حق الله -سبحانه وتعالى- أمر ينبغي أن نتنبه له.

والأمر الثاني: في هذا الذي نؤكد عليه أن باب التكفير باب خطير فينبغي عدم الخوض فيه بلا علم ولا عدل، وينبغي أن التوسط في هذا الباب؛ لأن عندنا أقوام غلو في التكفير، فسلكوا مسلك الخوارج، وهذا انحراف، وقابلهم قوم آخرون ووقعوا فيما يقابل ذلك وهو أنهم ربما أنهم أدخلوا كافرًا في دين الإسلام وهو كافر، وكما قال العلماء: "إخراج المسلم من الإيمان هذا أمر شنيع شديد" وكذا أيضًا شخص قد تلبس بالكفر واستبان ذلك وظهر إدخاله في الإسلام هذا أمر شديد لا يقل انحرافًا عن الأمر السابق، والواجب علينا أن نحذر من هذا المسلك الغالي وذاك المسلك الذي لن يميع دين الله كما هو الحال في المرجع في القديم والحديث هذا الأمر الثاني.

بعدها ننظر في عبارة الطحاوي –رحمه الله– هنا قال: "لا نكفر أحدًا من أهل القبلة" لا نكفر أي لا نصفه بالكفر، لا نحكم عليه بالكفر، لا نقول إنه كافر، لا نقول عن شخص من أهل القبلة –من أهل الإسلام– كافر بمجرد ذنب، قال لا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله.

مقصود الطحاوي –رحمه الله– يعني لا نكفر بمطلق المعاصي، كما هو حال الخوارج، هذا مراده –رحمه الله– لا نكفر بمطلق المعاصي، يعني لا نكفر أن فلانًا مثلًا سرق أو شرب الخمر أو زنا أو نحو ذلك هذه كلها من كبائر الذنوب التي عظمها الشارع، لكن هذه الكبائر لا تخرج العبد من الملة إذا ارتكبها، لا تخرجه من الملة، المقصود من هذه العبارة أن الطحاوي –رحمه الله– مراده الرد على الخوارج الذين يكفرون بمطلق المعاصي، أهل السنة لا يكفرون بمطلق المعاصي.

مطلق المعاصي التي هي كبائر الذنوب، هذه لا توجب كفرًا، لا توجب الخروج من الملة كما ظنه الخوارج أو كما ظن الزيدية أو كما ظن المعتزلة والزيدية ومن تبعهم أن هذه الكبائر تخرج العبد من الإيمان بالكلية، وقلت عن مرتكب الكبيرة السارق شارب الخمر الزاني ونحو ذلك نقول هؤلاء انتفى عنهم كما الإيمان الواجب، لكن فعلهم هذا السرقة أو شرب الخمر أو نحو ذلك هذا لا يخرجهم من ملة الإسلام، كما جاءت بذلك الأدلة، وكما قرر بذلك أهل السنة في مصنفاتهم، وفي مؤلفاتهم، هذا أمر.

إذن علينا أن نفهم أن مراد الطحاوي في قوله: "لا نكفر أحد من أهل القبلة بذنب" أي لا نكفر بكل ذنب؛ ولهذا كان الأليق والأدق أن تكون العبارة هكذا لا نكفر أحد من أهل القبلة بكل ذنب؛ هذا قد تكون العبارة أدق وأسلم من الإشكال الذي يعني أورده بعض العلماء، فبعض العلماء قالوا: تعقبوا عبارة الطحاوي –رحمه الله– وقالوا: إن هناك ذنوب تخرج من الملة، الطحاوي الآن قال: لا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، فقالوا ثمة ذنوب لو فعلها العبد لكفر ولو لم يستحلها، ومقصودهم بهذه الذنوب التي تخرج من الملة، مثلًا كسب الله –سبحانه وتعالى– أو سب الرسول –عليه الصلاة والسلام– وشخص سب النبي –عليه الصلاة والسلام– فإنه كافر، ولو لم يستحل هذا السب، فكان لو كانت عبارة الطحاوي ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بكل ذنب لو قال بكل ذنب لسلمنا من هذا الإشكال أو من هذا التعقيب الذي تعقبه بعض العلماء أو بعض المشايخ الفضلاء.

ثم قال بعدها ولا نقول:" لا يضر من الإيمان ذنب لمن عمله" لاحظ التوسط والاعتدال ومسلك الوسط في هذه العقيدة، لما رد على الخوارج رد على المرجئة الذين يؤخرون يخرجون العمل، لاحظوا ثم مرجئة لماذا؟ لأنهم أرجئوا يعني أخروا العمل عن مسمى الإيمان، أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، صار الإيمان مجرد تصديق فقط؛ فلهاذا هونوا من شأن العمل، وهونوا من فعل المعاصي، وهنا قال –رحمه الله– ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، فهذا كلام المرجئة الذين يهونون من فعل المعاصي فالمعاصي لا شك أنها تؤثر على الإيمان وتنقص الإيمان وسلفنا الصالح حذروا من المعاصي والنصوص في هذا واضحة، وهذا أمر ينبغي أن نعتني به أيها الإخوة أن نحذر المعاصي، سلفنا كان يقول المعاصي بريد الكفر، فالاستهانة في المعاصي قد يوقع العبد شيئًا فشيئًا حتى قد ينسلخ من الملة بسبب المعاصي التي ارتكبها وأصر عليها وتهاون بها، هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

يبقى عندنا مسألة نختم بها في هذه العبارة أن الشخص المعين "زيد من الناس" أو عمرو أن نحو ذلك متى يحكم على الشخص المعين بالكفر؟ فهنا نؤكد على أمرين مهمين:

لا يحكم على الشخص المعين بالكفر إلا إذا تلبس به قولًا أو عملًا قال ما هو كفر، كمثلًا سب الله أو نحو ذلك.

وأيضًا الأمر الثاني لابد منه، اجتماع الشروط وانتفاء الموانع في هذا الشخص، إذا تلبس به قولًا أو عملًا أو اعتقادًا ثم قامت عليه الحجة بمعنى والله أن هذا الرجل انتفت عنه الموانع اجتمعت فيه الشروط ليس جاهلًا جهلًا يعذر به ليس متأولًا تأويلًا يدرأ عنه التفكير، ليس مكرهًا فعندئذ يحكم على هذا الشخص بأنه كافر.

لكن هذا الحكم لا يكون إلا لمن عنده علم و أهلية وإلا ليس التكفير بكل من هب ودب، وإنما لكل من عنده علم وأهلية فعليه أن يتنبه لهذين الأمرين المذكورين والله أعلم.

يقول: بالنسبة للصلاة على الرسول –صلى الله عليه وسلم– يقول: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)؛ ما هو الكفر الذي في الحديث هل هو كفر يخرج من الملة؟ أم يكون كفرًا دون كفر؟

والله هو ظاهر الحديث التي ذكرت جاءت في الأحاديث في تكفير تارك الصلاة على أنها يظهر أنه الكفر الأكبر، فلما أنت تذكر أن هذا الحديث عندنا الحديث: الآخر (بين الرجل وبين الكفر أو الشرك ترك الصلاة)؛ فلاحظ أن الكفر هنا جاء معرفًا فإذا جاء الكفر معرفًا فيراد به الكفر الأكبر الكفر الأكبر المخرج من الملة الذي دلت عليه الأدلة أن من ترك الصلاة تهاونًا وكسلًا أن هذا الترك يخرج من الملة وأن هذا الكفر هو كفر أكبر بما جاء في حديث جابر وحديث بريدة وغيرهم من الأحاديث، وهذا الذي يظهر وهذا اختيار جملة من المحققين من السابقين ومن المعاصرين، وعلى كل من أراد المزيد في المسألة فليرجع إلى ما ذكره ابن القيم –رحمه الله– في كتاب الصلاة؛ وأيضًا ما ذكره الشيخ ابن عثيميين –رحمه الله– في هذه المسألة وغيرهما.

يقول: مر علينا أن القرآن كلام الله وليس مخلوقًا ولا شك في ذاك ولكن يقال أن السنة أيضًا كلام الله؛ لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: (أتيت القرآن ومثله معه)؛ لأنه يطلق عليه مثلًا الوحيين الكتاب والسنة فليقال إن هذا كله كلام الله؟

قد يكون يا شيخ أيضًا الحديث القدسي يدخل في ذلك مثلًا؟

والله إننا قلنا الحديث القدسي نعم يأتي فيه قال الله تعالى لا شك أن هذا هو كلام الله فلم يأتي فيه الحديث القدسي قال الله فهو كلامه –سبحانه وتعالى– نقول قاله الله –سبحانه وتعالى– لفظا ومعنى؛ لأنه مر بنا أنه القول أو الكلام يشمل لفظ المعنى لكن يبقى بين الحديث القدسي والقرآن الكريم أن القرآن المتعبد بتلاوته ولا يجوز روايته بالمعنى أما الحديث القدسي فليس متعبدًا بتلاوته ويجوز روايته بالمعنى، أما أحاديث النبي –عليه الصلاة والسلام– فإن الأحاديث التي يقال ليست أحاديث قدسية نعم هي وحي كما سمعنا، والله تعالى قال عن نبيه –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم: ٣– ٤].

ما نقول إن كونها وحي إن معناه أن هذا هو كلام الله –سبحانه وتعالى– يعني لما يقول –صلى الله عليه وسلم–: (إنما الأعمال بالنيات)؛ يقال هذا كلام النبي –عليه الصلاة والسلام– لكن لما نسمع قول الله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ١]؛ يبقى هذا كلام الله –سبحانه وتعالى– يفرق بين هذا وذاك، وكونه يفرق نعم هما يجتمعان أن كلاهما وحي يوحى، سواء كلام الله أو كلام السنة والله أعلم.

يقول: ما حكم الترحم على النصارى؟ وسؤال الله يغفر لهم على ما قدموه؟

إن هذه مسألة مفروغ منها، لا يجوز الترحم لا على النصارى ولا على اليهود ولا على الكفار، فالله تعالى قال عن المنافقين: ﴿ وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ [التوبة: ٨٤]؛ فلا يجوز الصلاة عليهم، ولا يجوز الدعاء لهم بالرحمة ما إنهم ماتوا على هذا الكفر؛ هذه مسألة يعني واضحة وبينة، ولا ينبغي أن يقع فيها شيء من اللبس، إنما يترحم على أهل الإسلام، أما هؤلاء فلا يترحم عليهم ولا يقال هذا إذا ماتوا؟ هؤلاء

الكفار إذا ماتوا على الكفر مآلهم إلى جهنم وبئس المصير؛ وإذا كان النبي -عليه الصلاة والسلام- مع أمه هذا النبي الكريم أمه -عليه السلام- استأذن ربه أن يدعو لها فلم يؤذن له، واستأذن ربه أن يزورها فأذن له في زيارة قبرها فزار قبر أمه -عليه الصلاة والسلام- فهذا أمر ينبغي أن يكون واضحًا بينا عند أهل الإسلام والله المستعان.

لعل اللبس حصل فضيلة الشيخ عندما يموت بعض كبرائهم من المتدينين أو الأحبار أو الرهبان أو غيرهم قد يحدث اللبس لدى بعض المسلمين ماذا يقول إذا ذكروا أو شيء بعد موتهم؟

نقول أن هؤلاء يعني هلكوا وكون هلك واحد من أهل الكفار أراح البلاد والعباد من هؤلاء، لكن يدعا لهم!!! ينبغي الرحمة أن تكون لأهل الإسلام، ما تكون لأئمة الكفر، وهذا مقتضى الولاء والبراء أن نحب أهل الإيمان وأن بغض أهل الكفر، فإذا ماتوا على الكفر، فإن الحكم العام أن الكفار إلى نار جهنم، هذا الحكم يبقى الخلاف في قضية الحكم على المعني هذا مسألة لا تعنينا، لكن من المعلوم حديث النبي -عليه الصلاة والسلام- قال -عليه الصلاة والسلام-: (ما من أحد من هذه الأمة من يهودي أو نصراني يسمع بي ثم لا يؤمن بي أدخله الله النار)؛ فهنا أدخله الله النار نجدوا أننا نترحم عليه وندعو له بالرحمة!!! لا.. فليكن دعائنا لإخواننا المسلمين والله المستعان.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنه ويدخلهم الجنة برحمته ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم ولا نقنطهم).

يعني ما ذكره الإمام الطحاوي -رحمه الله- في هذه العبارة المحررة، هذا أمر ينبغي أن نستصحبه في حق أنفسنا أو في حق غيرنا، فعلى المسلم إن كان محسنًا أن يرجو أن الله تعالى يرحمه وأن يغفر له وأن يحسن له الختام، لكن لا يأمن، فالإنسان ما دام هو حي فهو عرضة للفتنة، وإذا كان مسيئًا مقصرًا وهو حال الكثير منا فعليه أن يخاف، يخاف من عقاب الله، يخاف من العقوبات، يخاف من المثولات، يخاف من اللقاء بين يدي الجبار -سبحانه وتعالى- لكن لا يحمله هذا الخوف إلى حد اليأس والقنوط من رحمة الله؛ هذا هو المسلك الوسط والمسلك العدل، فنحن نرجو المحسنين لكن يصل حد الرجاء إلى حد الأمن من مكر الله، فلأن مكر الله من كبائر الذنوب بل ربما كان كفرًا كما سيأتي في عبارة الطحاوي -رحمه الله- قال تعالى: ﴿ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩].

وأيضًا كذلك هنا لما قال نستغفر لمسيئهم ونخاف عليه لكن هذا الاستغفار والخوف على المسيء لا يفضي إلى حد القنوت من رحمة الله، واليأس من روح الله، فإن الله تعالى قال: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦]؛ وفي الآية الأخرى فوق قال: ﴿ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧]؛ فينبغي الجمع بين الأمرين الخوف الرجاء الرغبة والرهبة، لا حظ هنا أن الله -سبحانه وتعالى- عن أنبياء قال: ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [الأنبياء: ٩٠]؛ هذا أمر؛ أيضًا قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٧]؛ فلابد من الخوف والرجاء سواء في حقنا أو في حق غيرنا.

يبقى عندنا مسألة ينبغي أن نؤكد عليها في هذا المقام لما نقول نرجو رحمة الله أو نقول نخاف عقاب الله بالنسبة للرجاء علينا أن نتنبه أن الرجاء لابد أن يكون معه عمل، أما كون أن الواحد يقول أنا أرجو رحمة الله أرجو أن الله تعالى يدخلني الجنة ولا يعمل، هذا ليس رجاء هذا تمني، هذه أماني والأماني هي بضاعة المفرطين بضاعة الحمقى، فالرجاء لابد فيه من عمل لاحظ الآية الكريمة قال -عز وجل-: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾؛ قال تعالى بعدها: ﴿ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللهِ ﴾ [البقرة: ٢١٨]؛ فالرجاء معه عمل وهذا هو الفرق بين الرجاء والتمني أن الرجاء معه عمل وأما التمني فليس معه عمل يعني كونك أنت الآن

ترجو رحمة الله افعل الأسباب أعمل الصالحات وثق برحمة الله، وعليك أن ترجو هذه الرحمة بعد هذا العمل وفعل الأسباب أما أيضا الخوف: لما نقول عنه الخوف لما إنسان يعني يخاف إن كان مسيئًا من الله –سبحانه وتعالى– لكن لا يصل به حد الخوف إلى حد اليأس والقنوط الخوف الذي ينبغي أن ينضبط ونلتزم به وهو الضابط هو ما حجزك عن محارم الله، الخوف المحمود الخوف المطلوب ما حجزك عن محارم الله؛ هكذا ضبطه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه، يعني أن يكون هذا الخوف زاجرًا ومانعًا من الوقوع في محارم الله، ما زاد على ذلك فلا حاجة إليه إن قد يوقع العبد في اليأس.

ابن رجب –رحمه الله– الحافظ ابن رجب في كتابه التخويف من النار بسط ضوابط الخوف أكثر وبين أن الخوف المحمود هو ماذا؟ الخوف المحمود هو أن يحمله الخوف على فعل الواجبات وترك المحرمات، وزاد إلى أن يفعل النوافل وأن يترك المكروهات فهذا حسن، فالمقصود أن الخوف ينضبط بترك ما أمر الله تعالى بتركه وبالذات المحرمات وأيضًا استطاع أن يحمله الخوف على ترك المكروهات فهذا أفضل وأتم وأكمل. هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

هل يصلح أن نقول إن الخوف يدفع إلى ترك المحرمات وأن الرجاء يدفع إلى فعل الطاعات؟

يعني هو نعم يمكن أن يقال هذا ويمكن يقال الأمرين؛ لأن الرجاء يحمل على هذا وهذا؛ لأن الرجاء يحمل على فعل الطاعات، وأيضًا يحمل على ترك المحرمات وكذا الخوف، الخوف أيها الإخوة يحمل على ترك ا لمحرمات ويحمل على فعل الطاعات، وإن كان البعض أحيانًا يغلب في الخوف الترك ويغلب في الرجاء العمل لكن بالخوف والرجاء يحصل أمرين، بالخوف يحصل ترك المحرمات وفعل المأمورات، وكذا بالنسبة للرجاء يحصل بهما هذا وذاك، وأيضًا نؤكد يا إخوان هنا بمناسبة هذا السؤال أن بعض الناس يظن الإفراط في الخوف يوجب مزيدًا من العمل وترك المحرمات؛ لا.. ليس الأمر كذلك، الإفراط في الخوف مجاوزة الحد في الخوف توقع على فعل العكس؛ ولهذا مثلًا لما تعرفون حديث الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا، هذا لما جاءه سأله ذاك العابد هل له من توبة قال ليس لك توبة، يعني الآن أوقعه في اليأس، أوقعه في مزيد من الخوف بسبب ذنوبه، فهذا اليأس جعله ماذا هل جعله يكف ولا يزيد؟

يزيد

زاد وأتم به المائة، فهذا الخوف إذا تجاوز الحد يوقع الإنسان في اليأس، وبعض الناس يقول أنا ذنوبي كثيرة ومعاصي كثيرة، ييأس أن الله تعالى يتوب عليه، فينبغي الحذر من ذلك الله تعالى رحمته وسعت كل شيء، إذا أشرك العبد وكفر وتاب تاب الله عليه الإسلام يجر ما قبله قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٥٣]؛ ومن لطيف ما يذكر في هذا المقام أن الخليفة عبد الملك بن مروان خطب يومًا فاستعبر –رحمه الله– وبكى جاءت عنده شيء من المناجاة، وقال على المنبر يا رب إن ذنوبي كثيرة، وإن قليل عفوك أعظم من كثير ذنبي فامح بقليل عفوك كثير ذنبي فبلغ ذلك الحسن البصري –رحمه الله– بلغ هذا الدعاء فبكى الحسن وقال: لو كان كلام يكتب بماء الذهب لكتب، هذا فالمقصود أن رحمة الله واسعة ما على العبد أن يقبل ربه –سبحانه وتعالى– وأن يكثر من الصالحات وأن يتوب إلى الله –سبحانه وتعالى– فهو كما قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾؛ –سبحانه وتعالى–.

يقول: السؤال الأول: ما هي أفضل الكتب التي ترد على الملحدين والمنكرين لوجد الله؟ وأفضل الكتب على المرجئة؟

والسؤال الثاني: ما هي الفرق التي تقول بتحريف القرآن؟.

ردا على الملاحدة المنكر لوجود الله: أذكر فيه كتاب عبد الرحمن حسن حبنكة في هذا وفي أيضا بعض كتابات الشيخ عبد المجيد الزنداني يمكن الإستفادة منها في تقرير أن الله -سبحانه وتعالى- موجود والرد على منكري الصانع. وفي الشق الثاني: عندنا غالبا الذين يبحثون في هذا الموضوع هم يعولون على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية فعندنا "كتاب الإيمان الكبير" وعندنا كتاب الإيمان الأوسط، وهذه من أفضل الكتب للرد على المرجئة وشيخ الإسلام في كتاب الإيمان هو رد على المرجئة، رد على الأشاعرة ويمكن الاستفادة من الرسائل العلمية الموجودة الآن في الساحة ومنها "كتاب ظاهرة الإرجاء" للدكتور سفر الحوالي وغيرها هذه من أهم الكتب التي تحضرني في هذا المقام.

فيه سؤال يا شيخ عن الفرق التي تحرف القرآن؟

تحرف القرآن يعني إن كان مقصود الطوائف الفرق التي تقول بتحريف القرآن فلا شك أن الرافضة هم معروفون بذلك، فالرافضة يقولون بتحريف القرآن، هم يقولون: إن القرآن محرف، وهناك طوائف أيضًا كذلك لا تعترف بالقرآن أصلًا كما أن الرافضة لا يعترفون بهذا المصحف الذي بين أيدينا، وإنما يسمون أن هناك مصحف يسمى مصحف فاطمة، وهناك بعض طوائف التي هي أشد ضلالًا من الرافضة، وهم وطائفة الدروز الذين عندهم مصحف يخصهم كتبوا كتابا من عند أنفسهم ويسمونه المصحف المنفرد بذاته فهؤلاء لهم كتابهم وهو مجرد دجل وإفك فالمقصود أن هذه الطوائف لها ما لها، ويبقى القرآن يبقى كلام الله هو المحفوظ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة).

قوله -رحمه الله- هو الأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام المقصود بالأمن: الأمن من مكر الله؛ والمقصود بالإياس: الإياس من رحمة الله ومن روح الله -سبحانه وتعالى- قال هنا ينقلان عن ملة الإسلام فقرر الطحاوي -رحمه الله- أن الأمن من مكر الله واليأس من رحمته ينقلان عن ملة الإسلام، وسبق أن قلنا قبل قليل: إنه جاءت أحاديث أنه -عليه الصلاة والسلام- سئل عن الكبائر: جاء في بعض الآثار أنه سئل عن الكبائر: فقال الكبائر: (الأمن من مكر الله واليأس من روح الله)؛ هي اليأس من رحمة الله لكن هنا الطحاوي هنا يقرر أن هذا وذاك يخرجان عن الملة، وقد بين شراح هذه العقيدة أنه متى يكون اليأس من روح الله كفرًا؟ ومتى يكون الأمن من مكر الله كفرًا؟ من ذلك يعني ما قاله بعضهم إذا كان اليأس من رحمة الله كان باعثه سوء الظن بالله وإنكار أن الله تعالى يرحم ويغر ويتجاوز ويغفو ويصفح إن كان باعثه سوء الظن بالله -سبحانه وتعالى- فهذا قد يخرج العبد من الملة باعتبار أن سوء الظن هو أعظم الذنوب، ويعني نستدل بالآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦].

فهذا الوعيد تلو الوعيد يبين لك شناعة سوء الظن بالله -سبحانه وتعالى- فإذن إذا كان اليأس من رحمة الله باعثه سوء الظن بالله -سبحانه وتعالى- أن الله تعالى لا يعفو ولا يرحم وينكر من أسماء الرحمن الرحيم البر فإذا كان الأمر كذلك فهذا سوء الظن هو من أعظم الذنوب بل إن ابن القيم لما ذكر الآية الكريمة في آية الفتح: ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ ﴾ [الفتح: ٦]؛ قال ابن القيم -رحمه الله- قال لم يجيء وعيد أشد من هذا الوعيد هكذا قال -رحمه الله- بمعنى أيضًا كذلك بالمقابل متى يكون الأمن من مكر الله ناقلا عن الملة يكون ناقلا إذا ظن أن الله تعالى يعجز عن أن يعاقب أو استخف بوعيد الله فإذا وصل

الأمن من مكر الله إلى حد الاستهزاء أو الاستخفاف بوعيد الله فهذه ردة لأن الله تعالى: ﴿ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥- ٦٦].

فإذا حمله الأمن من مكر الله على الاستهزاء والاستخفاف بوعيد الله فهذه ردة أو ظن أن الله تعالى لا يقدر على العقاب ولا على البطش بأعدائه، فهذا الظن كذلك يخرجه من الملة؛ هذا بعض كلام العلماء الذي استفدناه من كلام للحليمي في المنهاج في شعب الإيمان وأيضًا كذلك ما استفاد من كلام الحسن البسنوي وهو أحد شراح هذه العقيدة والله أعلم.

تقول: ما حكم من سب الصحابة -رضي الله عنهم-؟

مسألة الصحابة -رضي الله عنهم- سيمر بنا -إن شاء الله- ولكن بإيجاز شديد نقول من سب الصحابة إن سب الصحابة -رضي الله عنهم- سبًا يقدح في دينهم وعدالتهم كأن يقول عن الصحابة أو عن جمهور الصحابة أنهم ضلال أو فساق أو كفار فإن سبهم سبًا يقدح في دينهم وعدالتهم فلا شك في كفر من وقع في ذلك، لا شك فيه فكفر هؤلاء متعين بما في ذلك من التكذيب لنصوص القرآن والسنة التي تشهد بعدالتهم ونصوص القرآن والسنة تثبت عدالتهم، أما إن سب أحد الصحابة سبًا لا يقدح في دينه ولا في عدالته كأن يطعن في صفاته الخلقية ونحو ذلك فهذا يعذر صاحبه تعذيرًا بليغًا لكن لا يصل إلى حد الخروج من الملة هذا الذي حرره شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- لما عرض على هذه المسألة، فذكر أقوال العلماء ثم وصل إلى هذا التحقيق والتحريم الذي سمعناه والله أعلم.

يقول: ولا نشهد لأحد بجنة أو بنار؟ يقول بالنسبة لمن يقتل في المعركة هل يصح أن نقول عنه شهيد أو استشهد مثلًا؟

يعني هو الذي قتل في سبيل الله قتل يجاهد في سبيل الله، قتل يجاهد في سبيل الله يقاتل أعداء الله هل يقال عنه شهيد؟ الذي أفهمه من كلام للحافظ ابن حجر -رحمه الله- إن أريد بالشهادة أنه يعامل معاملة الشهيد بمعنى أنه لا يصلي عليه ولا يغسل ولا يكفن أن تجرى عليه أحكام الشهيد الظاهرة، فنعم هو شهيد بهذا المعنى، أما إن يريد بالشهيد أنه شهيد عند الله فهذا قطع له بأنه في الجنة فلا، فالمقصود أنه ينظر من جهتين أنه من جهة الظاهر بحيث تجرى عليه أحكام الشهيد شهيد المعركة نعم هو شهيد أما أنه شهيد حتى يظن ظان يقول إن فلان شهيد أنه شهيد عند الله ويقطع له بالجنة فلا يقطع بالجنة إلا بما جاء به النص عنه -عليه الصلاة والسلام-.

تقول: هل الإفراط في الندم مطلوب أم أنه يؤدي إلى اليأس؟

الندم -والله- نقول أن الندم لا داعي ولا فائدة منه، كون الإنسان يندم إلا إذا كان الإنسان هنا الندم على ذنب نعم فالندم توبة كما ورد في بعض الآثار فنقول كون الإنسان يندم أو يندب مثلا تفريطه أو تقصيره هذا مطلوب لكن لا يصل هذا الندب أو هذا الندم إلى حد اليأس؛ ولهذا نحن أهل السنة نوقن أن الشخص إذا تاب تاب الله عليه ويعني نجزم بقبول توبته؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ ﴾ [الزمر: ٥٣]؛ فرحمة الله واسعة، فالمقصود إذا كان يريد بالندم أو الندب أنه يعني يندب ما فعله من المعاصي ويكون هذا الندم موجبًا للعمل والإيقاع فنعم، لكن إذا كان هذا الندم أو الندب كما عبرت قد يوقع في اليأس فيتجنب هذا الندب والإفراط فيه.

هلا تفضلتم بطرح أسئلة هذه المحاضرة:

السؤال الأول: من أهل القبلة؟

والسؤال الثاني: ما ضابط الخوف المشروط؟ والله أعلم.

الدرس الثالث عشر

من قول «ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه »

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أما بعد فأهلًا ومرحبًا بكم وبالإخوة الحضور:

ونستأذن فضيلة الشيخ في عرض إجابات أسئلة الدرس الماضي:

وكان السؤال الأول: ما المراد بأهل القبلة؟

أجاب الأخ الكريم بقوله: إن أهل القبلة هم أهل الإسلام، أو أهل الصلاة، والمقصود منهم من ذكر في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-: (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم) ويقول: إنه يدخل فيهم أهل البدع والمحدثات ما لم تكن بدعًا مكفرة.

نعم إجابة الأخ إجابة تامة وصحيحة.

أيضًا الأخ الكريم أجاب عن السؤال الثاني وهو عن ضابط الخوف المشروع بقوله: أن ضابط الخوف المشروع هو كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: «ما حجزك عن محارم الله» وأيضًا ما قال الحافظ ابن حجر: «أن يحمله الخوف على فعل الواجبات وترك المحرمات».

إجابة الأخ الكريم طيبة؛ ولكن كلامه الذي عزاه للحافظ ابن حجر هو للحافظ ابن رجب، فشيخ الإسلام قال: «الخوف ما حجزك عن محارم الله وما زاد على ذلك فلا حاجة إليه» والحافظ ابن رجب -رحمه الله- في كتابه "التخويف من النار" زاد ذلك تفصيلًا وقال: إن الخوف المطلوب والمشروع والمحمود هو الذي يمنع العبد من الوقوع في المحرمات، ويمنعه أيضًا من الوقوع في المكروهات، إجابة طيبة ويشكر على حرصه أثابه الله.

يقول: هل هناك فرق بين الأمن وبين الرجاء؟.

الذي يمر بنا كلام ابن القيم في الفرق بين الرجاء وبين التمني، وعرفنا أن الرجاء لابد فيه من عمل، والتمني ليس فيه عمل، أما الفرق بين الرجاء والأمن فالفرق ظاهر؛ لأن الرجاء من العبادات المطلوبة شرعًا، قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا ﴾[الكهف: ١١٠]، وقال -عليه الصلاة والسلام- في الحديث القدسي قال الله -تعالى-: (أنا عند ظن عبدي بي..) الحديث، لكن الأمن هو من كبائر الذنوب، والله تعالى قال: ﴿ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩] ومر بنا في كلام الطحاوي من قبل أنه قال: (والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام وسبيل الحق بينهم) فالأمن هو: الأمن من مكر الله، وهو إما أن يكون من كبائر الذنوب وقد يصل إلى حد الخروج من الملة، أما الرجاء الذي يقترن به العمل ويقترن به الخوف هذا من أجل العبادات القلبية كما مر بنا في الدرس السابق والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: في كتابه "العقيدة الطحاوية": (ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه).

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه:

هذه العبارة التي سمعناها عندما قال: (ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه) هذه العبارة أو هذا الحصر فيه نظر، ووجه ذلك أن الإمام الطحاوي -رحمه الله- جعل الخروج من الإيمان إنما يكون بالجحود فقط، جعل الجحود هو فقط هو الذي يخرج من الملة، وليس الأمر كذلك، فالعبد قد يخرج من الإيمان بالجحود وبغير الجحود، المقصود أن عبارة الطحاوي محل نظر ومحل تعقيد فالشخص قد يخرج من الإيمان بالجحود وبغير الجحود، فالجحود نعم يخرج العبد من الإيمان إذا جحد وكذب، قال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ [يونس: ٣٩] وقد يخرج من الملة بالإعراض وهذا الذي يسميه العلماء: كفر الإعراض، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣]، وقد يكفر بالإباء والاستكبار، كما وقع في كفر إبليس أعاذنا الله منه، وكفر فرعون وكثير من أمم الكفر السابقة قال تعالى عن إبليس: ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ ﴾ [البقرة: ٣٤] وقد يكون الكفر بالنفاق وهو كفر النفاق أن يظهر الإيمان ويبطن الكفر، قال -عز وجل-: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨].

وأيضًا قد يقع الكفر بالشك أو الظن كما قال تعالى عن صاحب الجنتين كما في سورة الكهف قال تعالى عنه: ﴿ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ [الكهف: ٣٥، ٣٦].

المقصود أيها الإخوة الكرام ومن يشاهد هذه الحلقة: أن الكفر ليس جحودًا فقط كما يفهم من عبارة الطحاوي بل الكفر قد يكون جحودًا هذا أولًا، وقد يكون إعراضًا هذا ثانيًا، وقد يكون إباءً واستكبارًا، وقد يكون كفر نفاق وقد يكون كفر شك أو ظن، فالكفر الذي يخرج من الملة ليس مجرد التكذيب والجحود فقط، بل هو التكذيب والجحود وغيره، وما سمعناه من الأنواع الأربعة التي ذكرها أهل العلم ومنهم ابن القيم -رحمه الله- في "مدارج السالكين".

يبقى عندنا تعليق نحب أن نشير إليه في هذه المناسبة: الجحود قد يطلقه بعض الفقهاء كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: قد يطلق الجحود ويراد به الإباء والامتناع، فمن الفقهاء من يطلق الجحود على التكذيب بالإيجاب، يعني كأن يكذب بوجوب الصلاة أو بوجوب الزكاة، أو وجوب صوم رمضان، هذا ظاهر، وقد يطلب بعض الفقهاء الجحود على الامتناع عن الالتزام، فنجد بعض أهل العلم يعتبرون ترك الصلاة أن الترك هذا في حد ذاته يعد جحودًا، أن من ترك الصلاة يعد جاحدًا، وقد نقل ذلك عن أصبغ -رحمه الله- من المالكية أنه قال: "إن ترك الصلاة هو جحود" والله أعلم. هذا ما يتعلق بهذه العبارة والله أعلم.

يقول: أنت ذكرت أن الكفر على أنواع عدة، هل نقول: إنها تختلف في الحكم أم أنها متحدة في الحكم؟.

من جهة الحكم أنها تخرج من الملة المقصود؟

نعم.

إذا كان أنها تخرج من الملة فهذه الأنواع التي ذكرناها كلها تُخرج من الملة، هذه الأنواع التي ذُكرت على أنها من الكفر الأكبر الذي يُخرج من الملة، فكلها يعني إجماعها أنها تخرج العبد من الملة ومن تلبس بها فقد خرج من الملة، لكن يبقى الحكم على الشخص المعين -كما مر بنا- ونؤكد أن المعين لا يُكفر بعينه حتى تجتمع فيه الشروط، وتنتفي عنه الموانع والله أعلم.

يقول: يسأل عن الفرق بين الامتناع وبين الإعراض هل هناك فرق بينهما؟ وقد يحكم عليه بالكفر؟.

يعني هو الإعراض الذي يعتبر كفرًا وخروجًا عن الملة الذي أفهمه من كلام المحققين أن يعرض إعراضًا تامًا كليًا عن الدين، فإذا أعرض إعراضًا كليًا أو تامًا فهذا الذي يخرجه من الملة، أو يعرض عما هو شرط في صحة الإيمان، فإذا وجد هذا أو ذاك فهذا الإعراض يخرجه من الملة، أن يعرض إعراضًا تامًا كليًا عن الدين أو يعرض عما هو شرط في صحة الإيمان كما لو أعرض مثلًا عن التوحيد أو أعرض عن الصلاة باعتبار أن القول الراجح في هذه المسألة كما يراه جملة من المحققين أن من ترك الصلاة تهاونًا وكسلًا فهو كافر، فسواء أعرض عن الصلاة مثلًا أو أعرض عن التوحيد فهذا يخرجه من الملة أو يعرض عن الدين كله جملةً وتفصيلًا، هذا هو الإعراض، الإعراض لا يقيم لهذا الدين وزن ولا يلتفت مُعرض، أما الإباء لا.. الإباء يعني هو يسمع كلام الله ويسمع كلام النبي -عليه الصلاة والسلام- فيأبى ويمتنع استكبارًا فتجد أن المُعرض لا يرفع بذلك رأسًا، مثل ما قال أحد المشركين لنبينا -عليه الصلاة والسلام -أحد بني عبد يا ليل من أهل الطائف- لما دعاهم النبي -عليه الصلاة والسلام- للإسلام، قال: والله لا أقول لك كلمة، إن كنت صادقًا فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك، وإن كنت كاذبًا فأنت أحقر من أن أكلمك، هذا إعراض، لكن الإباء: هو يسمع كلام الله وله موقف، أو كما يعبر بلغة العصر: الرفض، فهو إباء وامتناع ينافي عمل القلب الذي يستوجب الانقياد والخضوع، هذا الذي يبدو لي في هذه المسألة والله تعالى أعلم.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان، وجميع ما صح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الشرع والبيان كله حق).

هذه مسألة الإيمان-أيها الإخوة الكرام أيها المشاهدون والمشاهدات- وهي من أجل -إن لم تكن أجل- المسائل في باب الاعتقاد فنحب أن نتحدث عنها بشيء من البسط والبيان، فنقول أولًا:

تعريف الإيمان عندنا أهل السنة والجماعة، الإيمان عند جمهور أهل السنة والجماعة هو: قول وعمل، نقول: الإيمان هو قول وعمل، هذه العبارة التي عرفت عند المتقدمين من أئمة السلف المحققين أنهم يقولون: قول وعمل، لما يقول العلماء الإيمان قول وعمل، هذا عند الإجمال.

وعند التفصيل نفصل نقول: الإيمان قول أي: قول القلب، ما قول القلب؟ قول القلب هو التصديق، أو الاعتقاد.

ثم نقول: قول اللسان هذا ثانيًا، قول اللسان وقول اللسان ظاهر وهو التلفظ والنطق بالشهادة أو بالشهادتين.

ثم نقول: وعمل. ما المراد بالعمل؟ العمل أيضًا هو عمل القلب وهو العبادات القلبية كمحبة الله، الخوف من الله، الرجاء، الخشية، التعظيم، ونحو ذلك من العبادات القلبية.

ثم نقول عمل الجوارح فالإيمان عمل الجوارح كالصلاة والزكاة والحج وغير ذلك من الأعمال الظاهرة.

إذن نخلص من هذا إلى أن الإيمان: قول وعمل، هذا عند الإجمال، عندما نفصل نقول: هو قول القلب وهو الاعتقاد والتصديق وقول اللسان وهو التلفظ بالنطق بشهادة أن لا إله إلا الله ثم نقول: وهو عمل القلب وهو العبادات القلبية كمحبة الله والخوف والرجاء وهو عمل الجوارح كالصلاة والحج وسائر الأعمال الظاهرة.

هذه العبارة التي عرفت عند المتقدمين، لكن الإمام الطحاوي -رحمه الله- جرى على مذهب أبي حنيفة -رحمه الله- على أن الإيمان هو إقرار باللسان وتصديق بالجنان، وليس الأمر كذلك، ليس الإيمان فقط هذا وذاك، بل الإيمان لابد فيه من عمل الجوارح، فمما أخذ على الطحاوي -رحمه الله- في هذه العقيدة أنه جرى على مذهب أبي حنيفة -رحمه الله- أنهم جعلوا مسمى الإيمان يطلق على الإقرار باللسان وعلى التصديق بالجنان، وأخرجوا عمل الجوارح عن مسمى الإيمان، فعمل الجوارح هو من الإيمان، وهذا واضح بيِّن، فلما تقول: ما

الدليل على أن عمل الجوارح من الإيمان؟ نقول: الأدلة على هذا كثيرة جدًا، منها قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾[البقرة: ١٤٣] والمراد بالإيمان ها هنا هو صلاتهم إلى بيت المقدس، فالصلاة -كما لا يخفى- عليكم، ولا يخفى على الجميع- أنها عمل ظاهر ركوع وسجود وقيام، فهذه الصلاة تعد عملًا من أعمال الجوارح، فسماها الشارع إيمانًا.

وهناك دليل آخر: عندنا حديث شُعَب الإيمان وكلكم يحفظ هذا الحديث، قال -عليه الصلاة والسلام-: (الإيمان بضع وستون شعبة) هكذا جاءت الرواية مجزوم بها، (بضع وستون، أعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) فيلاحظ الجميع أنه جعل إماطة الأذى جعله من شُعَبِ الإيمان، ولا شك أن إماطة الأذى هو عمل من أعمال الجوارح.

أيضًا عندنا حديث أبي سعيد الخدري في إنكار المنكر قال -عليه الصلاة والسلام-: (من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) فلاحظوا أنه قال: (وذلك أضعف الإيمان) فجعل إنكار المنكر باليد وباللسان وبالقلب كله جعله إيمانًا، فإنكار المنكر باليد هو عمل ظاهر وهو من أعمال الجوارح.

والأحاديث في هذا كثيرة، منها أيضًا حديث وفد عبد قيس وهو من أصرح الأدلة في الرد على من أخرج عمل الجوارح من الإيمان، لما قال -عليه الصلاة والسلام- لهذا الوفد -وفد عبد قيس- قال: (أتدرون ما الإيمان؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال -عليه الصلاة والسلام-: الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تؤدوا خمس ما غنمتم) أخرجه البخاري ومسلم.

إذن نخلص من هذا إلى أن عمل الجوارح هو من الإيمان، أن عمل الجوارح هو من الإيمان، وأن ما قرره الطحاوي هو محل تعقيب ومحل نظر.

وحتى يتبين لكم أيها الإخوة -ومن يتابع هذه الحلقة- مفارقة أهل السنة لمن انحرف في باب الإيمان نشير إشارة عابرة إلى الذين خالفوا في هذه المسألة فنقول مثلًا: لما نقول: إن الإيمان هو قول عمل، وأنه قول اللسان لابد من قول اللسان، في هذا يتضح لكم بطلان مذهب طائفة تسمى "الماتريدية"، إذا قلنا أن الإيمان لابد فيه من قول اللسان، يظهر بطلان مذهب "الماتريدية" هؤلاء الماتريدية نسبة إلى "أبي منصور الماتريدي" وهؤلاء قالوا: إن إقرار اللسان هذا ركن زائد ليس بأصلي، فلم يلتفتوا إلى قول اللسان، وإنما جعلوه مجرد من أجل إجراء الحكم الظاهر، وهذا غير صحيح، قول اللسان له اعتبار، والشارع اعتبره؛ ولهذا نجد مثلًا ابن حزم وشيخ الإسلام ابن تيمية كلهم ينصون على أهمية ذلك، حيث يقول شيخ الإسلام: من لم يتكلم بالإيمان بلسانه مع القدرة فليس بمؤمن، يعني شخص قال: أنا أعتقد الإيمان في قلبي، أعتقد الشهادتين بقلبي، لكن أنا لن أنطق، هل هذا يعد مؤمنًا؟ الجواب: لا..، يعني شخص نصراني مثلًا دعوناه إلى الإسلام، وقال: أنا أعتقد الشهادتين بقلبي، لكن أنا لن أنطق بلساني، فهذا الشخص الذي لا ينطق بالإيمان لا ينطق بالشهادتين مع القدرة فهذا لا يُعد مؤمنًا، لا ظاهرًا ولا باطنًا، فينبغي التنبه لهذه المسألة.

إذن إذا قلنا: إن الإيمان قول باللسان بهذا يتضح لكم بطلان مذهب "الماتريدية" الذين لا يقيمون لقول اللسان اعتبارًا، وإنما يجعلونه مجرد ركن زائد وليس بأصل؛ ولهذا لاحظ النصوص تأمر بالقول: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ﴾ [البقرة: ١٣٦] عندنا الحديث، حديث شعب الإيمان: (أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله) والشهادة لابد فيها من القلب واللسان معًا كما هو معلوم.

أيضًا حينما نقول: إن الإيمان لابد فيه من عمل الجوارح، إذا قلنا: لابد فيه من عمل الجوارح اتضح لنا مفارقة من؟ من الذي أخرج عمل الجوارح؟ الأحناف مرجئة الفقهاء، فإذا قلنا: إن الإيمان هو عمل الجوارح بهذا نكون فارقنا ما وقع فيه من الأحناف -رحمة الله عليهم- عندما أخرجوا أعمال الجوارح من تعريف الإيمان.

أيضًا لما نقول: إن الإيمان لابد فيه من عمل القلب، لابد من عمل القلب، لابد من محبة الله، لابد من الخوف، لابد من الخشية، لابد من الرجاء، إذا تقرر ذلك فنكون بذلك فارقنا أعظم الطوائف ضلالًا في الإيمان وهو طائفة "الجهمية" نسبة إلى شخص اسمه "جهم بن صفوان السمرقندي" فجهم هذا ضلاله مبين في مسائل كثيرة، والذي يعنينا ضلاله في هذه المسألة -مسألة الإيمان- إذ زعم الجهم أن الإيمان هو المعرفة فقط، فجعل الإيمان مجرد معرفة، وأخرج العبادات القلبية من تعريف الإيمان، وهذا كلام في غاية الفساد، كلام في غاية الفساد، إذا كان الإيمان مجرد المعرفة فعلى مذهب الجهم سيكون إبليس مؤمنًا؛ لأن إبليس يعرف أن الله -تعالى- ربه أليس كذلك؟ سيكون فرعون كذلك مؤمن على مذهب الجهم بن صفوان، فالإيمان لابد فيه من عمل القلب، وهذه قضية -أيها الإخوة- قضية هي محل اتفاق: أن الشخص إذا زال عنه عمل القلب زال عنه الإيمان بالكلية، يعني لاحظ الآن أهل النفاق هم يقولون: لا إله إلا الله بألسنتهم، يؤدون الأعمال الظاهرة، لكن انتفى عنهم عمل القلب، هم لا يحبون الله -سبحانه وتعالى-، يبغضون الله، يبغضون دين الله فكانوا كفارًا بل كانوا في الدرك الأسفل من النار، إذن لابد من عمل القلب وبهذا نكون فارقنا هذه الطائفة الطالة طائفة "الجهمية".

أيضًا لما نقول الإيمان لابد فيه من تصديق، ولابد فيه من عمل قلب أيضًا نكون فارقنا طائفة الكرامية الذين جعلوا الإيمان مجرد قول اللسان، الكرامية عكس الماتريدية، الماتريدية أهملوا قول اللسان وهؤلاء جعلوا الإيمان مجرد قول اللسان، فالكرامية جعلوا الإيمان هو قول اللسان نقول: لا.. هذا الكلام فاسد، إذا كان الإيمان مجرد قول اللسان فعلى هذا المنافق سيكون المنافق مؤمنًا، وهذا كلام ساقط كلام باطل، فالمنافق ليس مؤمنًا بنص الآية الكريمة التي سمعناها قبل قليل، قال -عز وجل-: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨].

إذن نخلص من هذا إلى أن الإيمان قول وعمل، فإذا قلنا: أن الإيمان هو عمل القلب بهذا نكون فارقنا الجهمية، وإذا قلنا الإيمان لابد فيه من قول لسان فارقنا من؟ من الذين أهملوا قول اللسان؟ الماتريدية، وإذا قلنا: أن الإيمان لابد فيه من قول القلب وعمل القلب فنكون فارقنا الكرامية الذين جعلوا الإيمان مجرد قول لسان، وإذا قلنا العمل لابد فيه من عمل الجوارح فيكون بهذا فارقنا مرجئة الفقهاء، طبعًا لا يظن ظان أن نجعلهم على حد سواء أليس كذلك؟ أعظم الناس ضلالًا -كما لا يخفى- هم الجهمية، أما الأحناف فهم لاشك أنهم أقرب إلى جمهور أهل السنة، وهم من أهل السنة، لكن حصل منهم هذه المخالفات؛ ولهذا نحن نقول: إن الإيمان قول وعمل عند جمهور العلماء؛ لأن الأحناف هم في الجملة من أهل السنة لكن وقع منهم هذه المخالفة التي أشرنا إلى الرد عليها في هذه العجالة.

يقول: بعض الشبه الذين يقولون بعدم زيادة الإيمان يقولون: إنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة لفظ نقص الإيمان، ويقولون: إن الذي يزيد وينقص هو ما يترتب على التصديق، أما التصديق فهو لا يزيد ولا ينقص، فما وجه الرد عليهم؟.

طيب... يعني هو سؤالك مهم، لكن تأتينا مسالة زيادة الإيمان، ويأتينا أيضًا قول الطحاوي: (وأهله في أصله سواء) وسيأتي الجواب عن هذا السؤال إن شاء الله، فنجعله في وقته -إن شاء الله-.

يقول: ظهر من خلال شرحكم قبل قليل انتقاض للإمام الطحاوي فيما ذهب إليه من قوله: إن عمل الجوارح لا يدخل في الإيمان، فمثل هذه الانتقادات هل لها أثر أم أنها تؤثر على هذه العقيدة؟.

عندنا قاعدة ما أظن أحد يخفى عليه أنه كما قال الإمام مالك: «كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر» يعني النبي -عليه الصلاة والسلام- والعلماء كلامهم يرد عليه الخطأ، يرد عليه التعقيب، لكن تبقى هذه الرسالة على ما فيها من بعض المآخذ تبقى هي فعلًا هي رسالة تلقاها علماء أهل السنة بالقبول واعتنوا بها؛ ولهذا هي شرحت في هذا البرنامج الطيب، فنقول: هذه المآخذ التي وقع فيها الطحاوي سواءً هذه المسألة أو المسائل التي مرت بنا في بعض استخدامه للألفاظ المجملة، أو كما سيأتي فيما بعد، كلها أشياء لا تخرج هذه الرسالة، ولا تخرج المؤلف -رحمه الله- من دائرة أهل السنة والجماعة، وهذا نؤكد في هذا المقام على أمر يحضرني الآن: إنه أحيانًا بعض الناس يحصل عندهم شيء من التعجل في التبديع والتضليل والعكس أحيانًا، تجد بعض الناس أحيانًا يميع دين الله ويتساهل في اتباع السنة ويدخل في أهل السنة من هب ودب من أهل الأهواء والبدع، ينبغي التوسط في هذا، والذي ينبغي أن نذكره في هذا المقام أن الشخص أو الطائفة متى تكون مفارقة لأهل السنة؟

حرر ذلك الإمام الشاطبي في كتابه "الاعتصام" وبين أن الطائفة أو الشخص يكون مفارقًا لأهل السنة والجماعة إذا فارق أهل السنة في معنى، أو قاعدة كلية، فإذا فارقهم في معنى كلي أو في قاعدة كلية، فيكون مفارقًا لأهل السنة، كأن يفارقهم مثلًا فينكر الصفات مثلًا أو ينكر القدر أو يفارق أهل السنة في جزئيات كثيرة، هذه الجزئيات الكثيرة تتكاثر إلى أن تصل وتعادل أمرًا كليًا، أما أن الشخص أو الطائفة تفارق أهل السنة أو تخالف أهل السنة في مسألة من المسائل الجزئية أو أحد أفراد المسائل فهذا لا يخرج هؤلاء من دائرة أهل السنة والجماعة، هذا الذي يمكن أن يقال في هذه العجالة.

يقول: ما الفرق بين الإيمان والإسلام في قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات: ١٤]؟

السؤال الثاني: هل يجوز الدعاء قول: اللهم إني لا أسالك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه؟

السؤال الثالث: البعض يردد بيت شعر يقول: "على كف القدر نمشي ولا ندري عن المكتوب" هل هذا جائز؟.

نكمل وبعد ذلك نجيب.

عندنا هنا من الأشياء التي يحتج بها الذين يخرجون العمل عن مسمى الإيمان من أبرز حججهم أنهم قالوا: إن الإيمان لغة هو التصديق، أن الإيمان يرادف التصديق، والتصديق لا يكون إلا بالقول والاعتقاد، لاحظ المقدمة، قال: الإيمان يرادف التصديق، والتصديق لا يكون إلا بالقول واللسان، إذن العمل خارج تعريف الإيمان، فالرد عليهم وأرد على هذه الشبهة من وجهين:

الوجه الأول: المنع يعني لا نسلم لكم أن التصديق يرادف الإيمان، فهم الآن يقولون: الإيمان يرادف التصدق فلا نسلم بهذا، ليس ثمة ترادف، وثمة فروق منها:

- من جهة اللغة: ففعل "صدق" يتعدى بنفسه يعني تقول مثلًا: صدقت فلانًا، هو الآن يتعدى بنفسه ما يحتاج إلى حرف جر، لكن "آمن" يحتاج إلى حرف جر، يتعدى بغيره، يعني تقول: مثل ما قال تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ ﴾ إذن الآن "آمن" يتعدى بنفسه ولا بحرف الجر؟ ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ ﴾ تعدى بغيره، تعدى بحرف الجر، أو مثلًا تقول: "آمنت لفلان" فهنا فعل "آمن" يتعدى بغيره، أما فعل "صدق" فيتعدى بنفسه، إذن هذا مما يرد به عليهم من جهة دعوى الترادف.

- أيضًا من جهة أخرى: أن كل من أخبر عن أمر مشاهد أو مغيب فيقال: صدقت، شخص يقول مثلًا: "غربت الشمس" فيقال مثلًا صدقت، أو يقول مثلًا: "الإسراء والمعراج حق" نقول: صدقت، فالتصديق يشمل التصديق

بالأمور المشاهدة والمغيبة، أما الإيمان فيختص بالأمور المغيبة، فلو شخص قال: "الشمس طلعت" أو: "الشمس غربت" ما يقال له: آمنت، وإنما يقال: صدقت أو كذبت. فإذن فيه فرق بين الإيمان والتصديق وليس الإيمان يرادف التصديق.

- ومما يرد عليهم في جواب المنع: الإيمان ما الذي يقابله؟ الكفر، الإيمان يقابله الكفر. أما التصديق فيقابله التكذيب، فلما نقول: الإيمان يقابله الكفر، والتصديق يقابله التكذيب، ومر بنا قبل قليل أن الكفر هل هو التكذيب والجحود فقط؟ الجواب: لا..، فإذن مما يرد به عليهم في دعوى الترادف: أن الإيمان يقابله الكفر، وإذا قلتم: إن الإيمان هو التصديق، فالتصديق يقابله التكذيب، فيُرد عليهم في دعوى الترادف، ويقال: إن الكفر لا يختص بالتكذيب، وإذا كان الكفر لا يختص بالتكذيب، فالإيمان أيضًا لا يختص بالتصديق، لابد من التصديق، ولابد أيضًا من العمل، هذه كلها أجوبة على سبيل المنع، يعني نقول: نحن لا نسلم لكم أن الإيمان يرادف التصديق.

الوجه الثاني: وهو على سبيل التسليم، لو سلمنا على سبيل الفرض سلمنا لكم جدلًا، وصار الإيمان يرادف التصديق، فنقول: هذا تصديق لكنه تصديق مخصوص، خصه الشارع، فليس كل تصديق يُعد إيمانًا، الشارع خصَّ هذا التصديق، ومن التخصيص أن جعل العمل منه، إذن الشارع خصَّ هذا التصديق، وجعل العمل منه، من أين أخذنا هذا؟ أخذناه من الأدلة:

- فعندنا في حديث النبي -عليه الصلاة والسلام- الذي جاء فيه قال -عليه الصلاة والسلام-: (كتب على ابن آدم حظه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، العينيان تزنيان وزناهما النظر...) إلى أن قال -عليه الصلاة والسلام-: (والفرج يصدق ذلك أو يكذبه) هذا عمل ولا ليس عمل؟ هذا عمل.

- عندنا أيضًا في القرآن قبل هذا، لاحظ هنا لما ذكر الله -سبحانه وتعالى- قصة إبراهيم -عليه السلام- مع إسماعيل عليه السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، لما جاء في الرؤية في قضية ذبح ابنه إسماعيل قال تعالى: ﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴾ [الصافات: ١٠٤، ١٠٥] صدقها بماذا؟ بالكلام ولا بالعمل؟ بالعمل، هو أسلم وتله للجبين كما في الآيات.

- أيضًا الله -تعالى- قال: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب: ٢٣] فهم صدقوا بالقول والعمل.

- والعرب تقول: كتيبة صادقة، يعني صادقة في القتال وهذا كله عمل، عمل ظاهر.

إذن نحن نقول: تصديق مخصوص، وهذا التصديق المخصوص الذي خصه الشارع يدخل فيه العمل كما جاءت بذلك الأدلة.

يبقى عندنا مسألة، وهي من أهم المسائل في موضوع الإيمان، ألا وهي مسألة أصل النزاع. لماذا حصل الضلال وحصل الغلط في مسألة الإيمان؟ أصل النزاع في هذه المسألة، وعندنا طرفان، عندنا خوارج ومعتزلة يمثلون الغلو، وعندنا الطرف الآخر الذين هم المرجئة بشتى طوائفهم، ويمثلون التضييع والتفريط، هؤلاء كلهم - لاحظوا أيها الإخوة- هؤلاء وإن كانوا على طرفي نقيض إلا أن أصل نزاعهم واحد، فهذه الطوائف كلها تتفق على أصل فاسد في الإيمان، ما هذا الأصل الفاسد؟ كلهم يتفقون على أن الإيمان شيء واحد لا يتبعض، لا يتجزأ، هم يتفقون على هذا، وقالوا: الإيمان لا يتبعض، فمثلًا عند الخوارج والمعتزلة، قالوا: الإيمان لا يتبعض ولا يتجزأ، الإيمان شيء واحد، فالشخص إذا فعل كبيرة انتفى عنه الإيمان؛ لأنهم قالوا: إذا ذهب بعض الإيمان ذهب كله، فما عندهم الإيمان يتجزأ، يمكن يبقى بعضه ويذهب بعضه لا...، فهم يقولون: إن الإنسان إذا فعل

معصية فإنه ينتفي عنه الإيمان؛ لأنه إذا ذهب بعض الإيمان يقولون: ذهب كله، هكذا يقول الوعيدية، والخوارج يخرجونه من الملة ويكفرونه، والمعتزلة يخرجونه من الإيمان.

المرجئة قالوا: لا..، الإيمان شيء واحد وهو التصديق، فالشخص إذا صدق فهو مؤمن، ولو فعل ما فعل من ترك الواجبات أو فعل المحرمات، فهو مؤمن تام الإيمان.

الحق في ذلك، والصواب –الذي دلت عليه الأدلة أيها الإخوة أيها المشاهدون والمشاهدات–: إن الإيمان شعب متعددة، هكذا قال أعلم الناس بتعريف الإيمان –عليه الصلاة والسلام–، ماذا قال –عليه الصلاة والسلام–: قال: (الإيمان بضع وستون شعبة) يعني أنتم يا معشر المعتزلة والمرجئة أنتم أعلم أم النبي عليه الصلاة والسلام؟ الرسول –صلى الله عليه وسلم– يقول: (بضع وستون) هو ليس شعبة واحدة، وليس شيئًا واحدًا، بل هو شعب متعددة، فكيف تقولون: إن الإيمان شيء واحد؟

الإيمان شعب متعددة، كما سمعنا الحديث (أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى من الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) وهذه الشعب –كما نلحظ أيها الإخوة– إنها شعب متفاوتة متفاضلة، فلاحظ هنا قال: (أعلاه)، (أدناه).

إذن يجب أن تعلموا أن أهل السنة يدينون الله –تعالى– أن الإيمان شعب متعددة، وليس شيئًا واحدًا لا يتبعض ولا يتجزأ، لا..، ليس الأمر كذلك، بل الشخص إذا فعل معصية مثلًا، مثلًا فعل كبيرة من كبائر الذنوب أو شيئًا من صغائر الذنوب، فإنه ينقص إيمانه، ويفوته من الإيمان بقدر هذه المعصية، كما سيأتي في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، وإذا ترك واجبًا فكذلك، ينقص إيمانه، لكن ما يذهب الإيمان كله، يذهب الإيمان بالكلية، فيجب أن يتنبه إلى هذا، وهذا الذي جاء به الحديث، قال –عليه الصلاة والسلام–: (يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)، إذن الإيمان يتبعض، يتجزأ، ليس شيئًا واحدًا، فهذا تبعض إيمانه، ذهب كثير من إيمانه، وبقي عنده شعبة من الإيمان، كانت ذلك –أو كانت هذه المثقال ذرة من الإيمان– سببًا في خروجه من نار جهنم.

نوضح لكم هذا الكلام بشيء من البسط في مسألة شعب الإيمان، قلنا قبل قليل: إن شعب الإيمان أنها متفاضلة ليست على حد سواء، إذن فهمتم أن الإيمان ليس شيء واحد بل شعب متعددة، هذه الشعب متفاوتة متفاضلة:

النوع الأول: فمن شعب الإيمان ما هو شرط، وما هو لو تركه العبد لخرج من الملة، عندك شعبة شهادة أن لا إله إلا الله لو نقضها العبد، استهزأ بالله، استهزأ برسول الله –عليه الصلاة والسلام– مثلًا ذبح لغير الله، دعا غير الله، فهنا بهذا ترك شعبة من شعب الإيمان التي تخرجه من الملة، هذا الترك، وهذا النقض يخرجه من الملة.

إذن نخلص من هذا إلى أن من شعب الإيمان ما لو تركه العبد خرج من الإيمان وانسلخ من الإسلام، هذا نوع.

النوع الثاني: من شعب الإيمان ما لو تركه العبد فإنه ينتفي عنه كمال الإيمان الواجب، يعني شخص مثلًا لا يؤدي الأمانة، فهذا الشخص الذي لا يؤدي الأمانة والنبي –عليه الصلاة والسلام– يقول: (لا إيمان لمن لا أمانة له) وقال –عليه الصلاة والسلام–: (أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك) فهذا الذي لا يؤدي الأمانة، فنقول: انتفى عنه كمال الإيمان الواجب، لكن لا يخرج من الملة، بل هذا من عصاة الموحدين، ومن أهل الكبائر.

النوع الثالث: من شعب الإيمان وهو المستحبات، بحيث أن العبد لو تركه فإنه يفوته كمال الإيمان المستحب، شخص ترك صلاة الضحى وهي من المستحبات، ترك إماطة الأذى عن الطريق فهذا يفوته كمال الإيمان المستحب، إذن شعب الإيمان متفاوتة منها ما لو تركه العبد خرج من الإيمان، ومنها ما لو تركه العبد فهو

متعرض للوعيد وينتفي عنه كمال الإيمان الواجب، ومن شعب الإيمان ما لو تركه العبد فاته كمال الإيمان المستحب كالمستحبات المتنوعة المعروفة.

هذا ما يتعلق بهذه المسألة. اعذروني على الإطالة لكن موضوع الإيمان يحتاج إلى شيء من هذا البيان والله أعلم.

نرجع إلى سؤال الأخ الكريم: ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا ﴾ مر بنا الكلام عن آية ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا ﴾ مر بنا أنه ما جاء في آية الحجرات أن هؤلاء الأعراب انتفى عنهم الإيمان وثبت لهم الإسلام؛ لأن الله –تعالى– قال: ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا ﴾ جاء الرد﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات: ١٤]، فالراجح أن هؤلاء القوم ليسوا بمنافقين، وإنما هم من أهل الإسلام، لكنهم لم يصلوا إلى درجة الإيمان المطلق، هذا الذي يظهر من هذه الآية والله أعلم.

يقول: ذكر أحد مشايخ الأكاديمية في هذا الأسبوع عن موضوع الحج فاستشهد –حفظه الله– بقول الله سبحانه: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥] وقال: أي أنهم محجوبون عن رحمة الله فما رأي فضيلتكم؟

السؤال الثاني: كلمة الكفر والشرك متى يشتركان ومتى يفترقان في المعنى؟.

يقول: دعاء "اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه" يسأل عن هذه المقولة أو هذا الدعاء؟.

بعض طلبة العلم يرى أن هذا الدعاء المتداول الذي يقوله بعض الناس: " اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه" فالبعض يقول: إن الدعاء يرد القدر، أليس كذلك؟ جاء في الحديث الذي مر بنا قال –عليه الصلاة والسلام–: (لا يرد القدر إلا الدعاء) وجاء في الحديث الآخر: (أن الدعاء والبلاء يعتلجان) يعني يتجنب ذلك الدعاء، والحمد لله عندنا من الأدعية المشروعة ما فيه غنية، فالمقصود أنه لما يقول: لا أسألك رد القضاء، فيجب أن يعمل الإخوة أن الدعاء يرد القدر، وظاهر الدعاء هذا أنهم هم يقولون: إني لا أسألك رد القضاء، ولكني أسألك اللطف فيه، فأنا أقول: نجيب بما أجاب به –عليه الصلاة والسلام–: (لا يرد القدر إلا الدعاء) و(أن الدعاء والبلاء يعتلجان) إلى آخر الحديث، فيتجنب هذا الدعاء والله أعلم.

أما العبارة التي يقولها "على كف القدر نمشي ولا نعلم عن المكتوب" يعني كوننا لا ندري عن المكتوب هذا أمر لا منازعة فيه، لكن نجري على كف القدر، يعني عبارة فيها شيء من التجوز، وإذا كان المقصود من ذلك: أن العباد تجري عليهم أحكام القدر أو كما يعبر ابن القيم: جريان أحكام القدر، فلا شك أن أحكام القدر تجري على الجميع، ونحن لا نعلم ما كتبه الله –تعالى– وقدره في اللوح المحفوظ.

يسأل عن قوله تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ ويقولون: إن أحد المشايخ أفتى بأنه المراد الحجب عن رحمة الله؟.

والله الذي مر بنا يعني تذكره وقتها، مر بنا كلام الإمام الشافعي –رحمه الله– وأيضًا هو جاء أيضًا عن سفيان الثوري فيما أذكر من قبل أن الإمام الشافعي لما جاءته رسالته من الصعيد عن هذه الآية قال –رحمه الله– عبارة مشهورة قال: «لما حُجِبَ هؤلاء أو حُجِبَ أعداؤه عنه في حال السخط دلَّ على أن أولياءه يرونه في حال الرضا» فقوله تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ استدل بها أهل السنة على أن أهل الإيمان يرون

الله –سبحانه وتعالى– هذا هو المنقول عن الإمام المطلبي الشافعي وأيضًا هو المنقول عن –فيما أذكر– عن سفيان الثوري واحتج به أهل السنة في كتب الاعتقاد في مسألة الرؤية.

أيضًا يسأل عن الكفر والشرك الفرق بينهما إذا اجتمعا وإذا تفرقا؟.

يعني الكفر والشرك إذا قلنا: الكفار بإطلاق فيدخل فيهم المشركون، وكذا إذا قلنا: المشركون يدخل فيهم الكفار، لكن إذا اقترن فبينهما فرق، فنقول: إن كلَّ مشرك كافر، وليس كل كافر مشركًا، فالذي يستهزئ بدين الله هذا كافر قال تعالى: ﴿ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦] لكن لا أعني بالضرورة أن يكون مشركًا، والعلماء كما يقول ابن حزم في "مراتب الإجماع" يقول: "أجمع العلماء على أن اليهود والنصارى كفار واختلفوا هل هم مشركون أم لا؟" فالذي يظهر أنهم عند اقترانهما يكون لكل واحد منهما معنى يخصه، ويكون الكفر أعم من الشرك، ويختص الشرك بمن صرف عبادة لغير الله أو أشرك في ربوبية الله أو إلهيته، وأما الكفر هو عدم الإيمان، سواءً كان تكذيبًا أو إباءً واستكبارًا أو إعراضًا أو شكًا أو نفاقًا كما مر بنا، هذا الذي أفهمه والله أعلم.

يقول: سئلت يا فضيلة الشيخ في الحلقة الماضية من أحد من الإخوة من يقول عن تحريف القرآن؟ فقلت: الروافض، هل كل فرق الروافض يزعمون أن القرآن محرف؟ وهل موقف علماء أهل السنة والجماعة ضد الروافض واحد؟ وما الفرق بين الروافض والشيعة؟.

نحن قلنا وقتها: إن الروافض يقولون بتحريف القرآن وهذا موجود في كتبهم، وهم ألفوا كتابًا يسمونه "فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب" فهم يقولون بهذا، يمكن الدهماء والعامة أتباع كل ناعق قد لا يدركون ذلك، لكن الموجود في كتبهم والمنقول عن جملة من أئمة الضلال عندهم هم يقولون هذا، نحن لا نتقول عليهم، بل هذا موجود في كتبهم.

والأمر الآخر: قضية موقف أهل السنة من ذلك الموقف المتعين، وهذا ليس عند أهل السنة بل هو عند أهل القبلة كلهم، لما يأتي شخص ويطعن في القرآن ويقول بتحريفه، هذا من أعظم الكفر، ومن أعظم الكفر بأن يقال بتحريف القرآن، الله –تعالى– قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] والطوائف التي ضلت قديمًا وقالوا: إن القرآن مخلوق، ما أحد تجرأ أن يقول: إن القرآن محرف، ما أحد قال هذا، حتى جاء هؤلاء الروافض، ومذهب الروافض كما ذكر المحققون من أهل السنة أن هذا المذهب أول من وضع بذرته عبد الله بن سبأ الذي أسلم نفاقًا، فالمذهب لا ينفك عن هذه الزندقة لما يأت شخص ويطعن في القرآن ويقول: القرآن محرف، ماذا بقي للأمة بعد قرآنهم، وماذا بقي للأمة بعد نبيها؛ لأن الروافض طعنوا في النبي –عليه الصلاة والسلام–، لما قالوا: إن أصحابه كلهم إلا عددًا قليلًا يعدون على أصابع اليد الواحدة أو أصابع اليدين، يقولون: جل هؤلاء الصحابة ارتدوا وكفروا، هذا طعن في النبي –عليه الصلاة والسلام– معناه: أن النبي –عليه الصلاة والسلام– الذي هو أكرم نبي أصحابه كلهم ارتدوا وكلهم كفروا، فالمقصود أن هذا أمر ظاهر في كتبهم ما نحتاج إلى أن نتردد في تقرير هذا المعنى، وهم يعترفون بهذا في كتبهم الموجودة بين أظهرهم.

يقول: ذكرتم في بداية الدرس أن هناك أنواعًا للكفر فهل نقول: إن من يترك مثلًا ترك الصلاة جحودًا وتهاونًا أليس هناك فرق بينهما يا فضيلة الشيخ؟.

لا شك أن ترك الصلاة إذا تركها جحودًا بالأمر في هذا واضح، يعني إذا تركها جحودًا فهو كافر بل من الفقهاء من قال: لو أنه جحد الصلاة وصلى فهو يُعد كافر؛ لأنه جحد وجوب الصلاة، لكن لما نقول: تركها تهاونًا وكسلًا هذا لا يتعلق بالجحود، وإنما يتعلق بعدم الإذعان عدم الانقياد، فالذي يترك الصلاة بالكلية ويقال له: صلِّ كما ذكر العلماء، يقال له صلِّ وإلا قتلناك مثلًا ويأبى، هذا لا يمكن أن يقع فيه مؤمن مُنقاد وخاضع لأمر الله –

سبحانه وتعالى-، فالمقصود أن موجب تكفير تارك الصلاة تهاونًا وكسلًا الموجب لذلك ما جاء في الأدلة حديث بريدة حديث جابر -رضي الله عنهما- قال -عليه الصلاة والسلام-: (بين الرجل وبين الكفر أو الشرك ترك الصلاة) وفي الحديث الآخر قال: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) وهذا الذي يظهر والله أعلم.

يقول: توفي أحد الأشخاص من الجالية الإسلامية فلم يود البعض الصلاة عليه أو تغسيله؛ لأنه تارك للصلاة مفارق للجماعة، وهذا شيء مضر بسمعة المركز الإسلامي، فيسأل عن صحة هذا العمل؟.

كون مثلًا شخص مات وهو تارك للصلاة بالكلية، وأنت ظهر لك وتعرف أن هذا الشخص لا يصلي بالكلية، فالذي يظهر أنك تحكم عليه بما ظهر منه، فإن ظهر لك أنه لا يصلي ومات على ذلك، وأنت تدين الله -تعالى- أن تارك الصلاة هو كافر، فسيأتي معنا في كلام الطحاوي -رحمه الله- أن من أظهر الكفر فنعامله بما أظهر أو بما ظهر منه، لكن عامة أهل الإسلام الذين لا يعرفون هذا الرجل، ويرون أنهم من أهل الإسلام وأنه مستور الحال، فهم يعاملونه بما ظهر لهم، فينبغي أن نفرق بين حال شخص عرف هذا الرجل بأنه تارك للصلاة أو أنه مثلًا مستهزئ بالدين أو تلبس بشيء من أنواع المكفرات، فهذا الرجل الحكم بالنسبة له أن لا يصلي عليه، لكن بالنسبة إلى عامة المسلمين، كونه تقدم لهم هذه الجنازة باعتبارهم من أهل الإسلام فيصلى على مستور الحال، هذا الذي يمكن أن يقال، أما قضية أنه يضر بسمعة المركز، الذي يضر بسمعة المسلمين عندنا نجد أهل الإسلام لا يلتزمون بدين الله، كيف تقول: أنا مسلم ثم أنت تكون تارك للصلاة بالكلية منقطع الصلة بالله -سبحانه وتعالى-، والذي ينقطع صلته بالله -سبحانه وتعالى- من خلال الصلاة ماذا سيظن فيه من جهة التعامل مع الناس؟ من جهة الأخلاق؟ ومن جهة الابتعاد عن المحرمات؟ فالذي أضر بالمسلمين هو تهاونهم في التمسك بدين الله، وإلا الكفار لو يجدوا عندما يجدون المسلم المتمسك بدينه المعتز بدينه الكفار هم أول من سيحترمونه، والله المستعان.

يقول: هل عمل الجوارح شرط صحة أم شرط كمال في الإيمان؟.

ما يتعلق بعمل الجوارح يعني الذي يمكن أن نقوله كما حرره شيخ الإسلام -رحمه الله- ابن تيمية في كتاب "الإيمان" الكبير والأوسط، نقول: من الممتنع أن يكون الرجل مؤمنًا ثم يكون تاركًا للعمل بالكلية، شخص يقول: أنا مؤمن، ثم بعد هذا تجده ما من معصية إلا وقد فعلها، وما من واجب إلا وقد تركه، من الممتنع أن يكون مؤمنًا بناءً على التلازم بين الظاهر والباطن، في حديث النعمان بن بشير قال -عليه الصلاة والسلام-: (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي: القلب) المقصود: أن الإيمان إذا استقر في القلب لابد أن يظهر على الجوارح، هذا هو مقتضى التلازم بين الظاهر والباطن، فعمل الجوارح هو شرط في صحة الإيمان، وليس شرط كمال وإذا كانت الصلاة وهي أحد أفراد عمل الجوارح هو شرط في صحة الإيمان كما سمعنا الحديث: (من تركها فقد كفر) فما بالك بجنس العمل، ولا نريد أن ندخل في جدال من كلمة "جنس العمل" لكن الذي يجب أن يكون واضحًا عند الجميع أن العمل هو شرط في صحة الإيمان، والمقصود به الجنس، أو كما سمعنا قضية كلام شيخ الإسلام -رحمه الله- لما قرر أنه من الممتنع أن يكون الشخص مؤمنًا يقول: أنا مؤمن ثم تجده قد ترك العمل بالكلية، هذا لا يمكن، لا يمكن أن يكون الشخص مؤمنًا ويكون تاركًا للعمل بالكلية والله أعلم.

يقول: تمر بنا الأعياد أعياد النصارى منها عيد الفصح وغيره، وكثير من المسلمين يهنئون النصارى أو غيرهم؟ فهل هذا مشروع فضيلة الشيخ أو يجوز؟.

لا.. لا.. ليس مشروعًا، لا يجوز أن يُهنأ الكفار ولا أن يُشارك في أعيادهم، الله -سبحانه وتعالى- ذكر عباد الرحمن وذكر من صفاته قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ [الفرقان: ٧٢] وذكر بعض المفسرين أن

الزور هنا هو أعياد المشركين، فليس للمسلمين أن يشاركوا ولا أن يحضروا، ولا أن يحيوهم، ولا أيضًا أن يردوا التحية في تلك الأعياد، بل على المسلمين أن يمتنعوا عن حضور هذه الأعياد، فالأعياد كما يجب أن يعلم الجميع هي عبادات، والأعياد من جملة المناسك، والله -سبحانه وتعالى- جعل لهذه الأمة عيدين لا ثالث لهما: عيد الفطر وعيد الأضحى، فلا يجوز للمسلمين أن يشاركوا في تلك الأعياد، والمشاركة في هذه الأعياد تفضي إلى أنواع من الفساد العريض، وقد ذكر شيخ الإسلام -رحمه الله- وقد عاش في الشام كيف أن جملة من المسلمين في القرن الثامن شاركوا في أعياد النصارى فوصل الأمر إلى أن يتلبسوا بشيء من عاداتهم الكفرية كالتعميد ونحو ذلك، وأيضًا حذر العلماء من ذلك، وأنذر الحافظ الذهبي في رسالة له، ونهى عن ذلك وزجر، فالمقصود الحذر من مشاركة الكفار في أعيادهم، سواء المشاركة أن تحضر، أو أن تهنئهم، لا تفعل ذلك كله. والله المستعان.

أسئلة الحلقة القادمة.

السؤال الأول: ما أصل النزاع في مسألة الإيمان؟

الدرس الرابع عشر

من قوله «وجميع ما صح عن رسول الله ... »

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أما بعد:

نستأذن فضيلتكم بعرض إجابات أسئلة الدرس الماضي:

بالنسبة لسؤال الدرس الماضي كان عن أصل النزاع في مسألة الإيمان، أجاب الأخ الكريم بقوله: إن الإيمان لا يتبعض ولا يتجزأ عند الخوارج والمعتزلة، فإذا فعل الشخص كبيرة ارتفع عنه الإيمان؛ لأنه إذا ذهب بعض الإيمان ذهب كله، والخوارج يخرجونه من الملة ويكفرونه، والمعتزلة يخرجونه من الإيمان، والحق في ذلك أن الإيمان شعب متعددة، قال -عليه الصلاة والسلام-: (الإيمان بضع وستون شعبة، أعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق... الحديث.

إجابة الأخ صحيحة لكنها قاصرة من جهة أنه قال: إن هذا الأصل الفاسد "أن الإيمان لا يتبعض ولا يتجزأ" أنه عند الخوارج والمعتزلة، هو نعم عند الخوارج والمعتزلة لكنه أيضًا عند المرجئة، هذان الفريقان المتقابلان اتفقوا على هذا الأصل الفاسد وهو أن الإيمان لا يتبعض ولا يتجزأ.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (وجميع ما صح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الشرع والبيان كله حق، والإيمان واحد وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى ومخالفة الهوى وملازمة الأولى).

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

نبدأ في هذه العبارة التي قالها الإمام الطحاوي -رحمه الله- لكن بقي عندنا مسألة لم نتعرض لها في الدرس الماضي، وهي مسألة: أن الإيمان يزيد وينقص، من المتقرر عند أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وهذا أمر ثابت في الكتاب والسنة، أما الزيادة: فقد قال -عز وجل- في محكم التنزيل: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ آل عمران: ١٧٣] وقال -عز وجل-: ﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ [المدثر: ٣١]، وقال سبحانه: ﴿ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٨] هذه جملة من الأدلة القرآنية الدالة على أن الإيمان يزيد. وأيضًا من الأدلة على أنه ينقص حديث النبي -عليه الصلاة والسلام- في شأن النساء إذ يقول -عليه الصلاة والسلام-: (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوي اللب من كن) فالإيمان يزيد وينقص والزيادة واضحة من خلال منطوق الآيات، وهو ينقص من خلال مفهوم هذه النصوص؛ لأن ما كان قابلًا للزيادة فهو قابل للنقص، وقد جاء التصريح بالنقص في حديث الذي سمعناه قبل قليل، هذا ما يتعلق بهذه الأدلة.

أيضًا عرف عن السلف هذا الأمر وأنهم حرصوا على تقريره، ومن ذلك ما جاء عن عمر الفارق -رضي الله عنه- أنه كان يقول: «هلموا نزدد إيمانًا» جاء عن معاذ بن جبل أنه كان يقول: «اجلس بنا نؤمن ساعة» وجاء عن عمار بن ياسر فيما أخرجه البخاري في صحيحه تعليقًا أن عمار -رضي الله عنه- قال: «ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان» وذكر هذه الخصال الثلاث: «بذل السلام للعالم، وإنفاق من إقتار، وإنصاف المرء نفسه».

أيضًا من الآثار التي نذكرها في هذا المقام، ما جاء عن عمير بن حبيب الأنصاري –رضي الله عنه– أنه قال: «الإيمان يزيد وينقص، فسئل عن ذلك، قال: إذا ذكرنا الله وسبحناه زادنا إيماننا، وإذا غفلنا ونسينا نقص الإيمان» أو كما جاء عنه –رضي الله عنه–.

فالمقصود أن الإيمان يزيد وينقص، وعلينا نحن معشر المسلمين والمسلمات أن نتفقد إيماننا، ورضي الله عن أبي الدرداء إذ يقول: «إن من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه أيزداد أم ينقص» فإذا كان الناس يتعاهدون أموالهم أو يتعاهدون أبدانهم، فلا شك أن الشخص يتعاهد إيمانه هذا آكد وأولى وأبقى، فعلى العبد أن يتفقد إيمانه ويحرص على أن يتزود من الصالحات، فالإيمان يزيد، وإذا زاد الإيمان وارتقى العبد في المقامات الرفيعة من مقامات الإيمان والإحسان فهذه الزيادة لا منتهى لها، وكذا أيضًا في المقابل أن الإيمان ينقص شيئًا فشيئًا حتى لا يبقى منه شيء؛ ولهذا كان سلفنا يقولون: المعاصي بريد الكفر، وسفيان بن عيينة كان يقول: الإيمان يزيد وينقص، فقال أخوه: ينقص؟ فقال سفيان –رحمه الله– قال: اسكت يا صبي الإيمان ينقص حتى لا يبقى منه شيء، فعلى المسلم وعلى المسلمة أن يحرص الجميع على التزود من الطاعات والإقلاع عن السيئات، فالسيئات تحبط وتنقص العمل، وعندما نقول: إنها تحبط العمل، فالمراد أنها تحبط شيئًا من الأعمال، لا.. أنها تحبط جميع الصالحات، فالذي يحبط جميع الصالحات هو الشرك بالله –سبحانه وتعالى– قال –عز وجل–: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [المدثر: ٦٥]، وإذا كان –سبحانه وتعالى– يقول: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [هود: ١١٤] فكذا في المقابل السيئات قد تبطل الأعمال الصالحة، والله تعالى قال: ﴿ لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى ﴾ [البقرة: ٢٦٤] وفي الحديث عنه –عليه الصلاة والسلام– أنه قال: (من فاتته صلاة العصر فقد حبط عمله) وهذا نعم حبوط مقيد ليس حبوطًا مطلقًا، فأهل السنة يقولون كما بين ذلك الحافظ ابن رجب في فتح الباري أن الحبوط المقيد يقع من خلال جملة من السيئات إذا فعلها العبد فقد تحبط شيئًا من حسناته، خلافًا للخوارج الذين يرون أن العبد إذا فعل سيئة فإن هذا يحبط جميع حسناته.

المقصود أن على العبد أن يحذر من السيئات فهذه السيئات تنقص الإيمان وتضعف إيمانه كما سمعنا من خلال هذه الآثار السابقة.

العبارة التي سمعناها قبل قليل من كلام الإمام الطحاوي –رحمه الله– لما قال: (وجميع ما صح عن رسول الله –عليه الصلاة والسلام– من الشرع والبيان كله حق) في هذا رد على أهل الكلام ونحوهم ممن لا يأخذون بخبر الآحاد، والأخبار التي جاءت عنه –عليه الصلاة والسلام– إما أن تكون متواترة رواها جمع كثير تستحيل العادة تواطؤهم على الكذب وإما أن يكون خبر آحاد، وخبر الآحاد هو ما لم يكن متواترًا، فخبر الآحاد علينا أن نقبله إذا صح عن رسول الله –عليه الصلاة والسلام– كما قال الطحاوي –رحمه الله–: (وجميع ما صح عن رسول الله –عليه الصلاة والسلام–) فإذا بلغنا وبلغكم الحديث علينا أن نتبع وأن نلتزم وأن نصدق فعلينا أن نعمل به، فالعمل بخبر الآحاد متعين سواءً كان ذلك في الأحكام أو كان ذلك في العقائد وأصول الدين، هذا أمر.

كون خبره آحاد يفيد العلم أم لا يفيد العلم هذه فيها كلام مبسوط في موضعه والذي نقوله في هذه العجالة أن خبر الآحاد يفيد العلم إذا تلقته الأمة بالقبول، خبر الآحاد يفيد العلم إذا تلقته الأمة بالقبول، كأن يكون الحديث مثلًا في الصحيحين أو نحو ذلك لكن سواء قلنا إنه يفيد العلم باعتبار القرائن التي احتفت به كأن تتلقاه الأمة بالقبول أو قلنا إنه يفيد الظن يبقى أن العمل متعين يجب أن نعمل به وأن نحتج به، فخبر الآحاد يُعمل به ويُحتج به ما دام أنه ثبت عن رسول الله –عليه الصلاة والسلام–.

بعدها قال عندكم: (وجميع ما صح عن رسول الله –عليه الصلاة والسلام– من الشرع والبيان كله حق) نعم، سواءً كان شرعًا أو كان بيانًا فكله حق؛ لأنه –عليه الصلاة والسلام– لا ينطق عن الهوى، قال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧] هنا في مسألة الشرع والبيان بين الشارح ابن أبي العز

-رحمة الله عليه- أن الشرع هنا الذي هو الشرع ابتداءً وأنتم تعرفون أنه -عليه الصلاة والسلام- في سننه وفي أقواله وأفعاله أحكامًا تزيد عما جاء في كتاب الله -عز وجل-، فهذا هو شرع ابتدائي، يعني يكون هذا الشرع ابتداؤه من عنده -عليه الصلاة والسلام- الذي لا ينطق عن الهوى، والبيان وهو أنه -عليه الصلاة والسلام- يبين ما أجمل في القرآن، فالسنة تبين القرآن وتفصل مجمله وتقيد مطلقه كما هو معلوم. هذا ما يتعلق بهذه العبارة.

يبقى معنا العبارة الأخيرة التي سمعناها لما قال: (والإيمان واحد وأهله في أصله سواء)، أما قوله -رحمه الله-: (والإيمان واحد) فقد مر بنا أن الإيمان ليس شيئًا واحدًا لا يتبعض ولا يتجزأ بل الإيمان شعب متعددة وشعب كثيرة كما في حديث شعب الإيمان قال -عليه الصلاة والسلام-: (الإيمان بضع وستون شعبة) فليس الإيمان شيئًا واحدًا كما سمعنا من عبارة الطحاوي بل الإيمان شعب متعددة.

أيضًا لما قال -رحمه الله-: (وأهله في أصله سواء) مراده -رحمه الله- أن أهله أي أهل الإيمان، أن أهل الإيمان في أصله سواء، سواء في أصل الإيمان الذي هو التصديق على حد سواء، فظاهر العبارة أن الطحاوي -رحمه الله- يجعل أهل الإيمان كلهم في أصل الإيمان الذي هو التصديق على حد سواء، فيجعلهم في التصديق على حد سواء، هكذا تفهم عبارة الطحاوي (وأهله في أصله سواء)هو الآن يقول: إن أهل الإيمان في التصديق على حد سواء، هل هذا الكلام صواب؟

ليس الأمر كذلك، ليس هذا صوابًا فالناس وأهل الإيمان ليسوا في التصديق على حد سواء، فعندنا نقول مثلًا: تصديق أبي بكر -رضي الله عنه- أو تصديق عمر -رضي الله عنه- أو تصديق عثمان أو علي -رضي الله عنهم أجمعين- تصديق هؤلاء ليس كتصديق سائر الصحابة، وتصديق سائر الصحابة ليس كتصديق التابعين وهكذا، وتصديق عباد الله الصالحين ليس كتصديق المقصرين المفرطين، فالمقصود أن الناس في التصديق يتفاوتون، وليسوا على حد سواء، ما الذي جعل بعض العلماء كالطحاوي -رحمه الله- يظنون أن الناس يتساوون في التصديق؟

سبب هذا الوهم، أو هذا الظن أنهم نظروا إلى التصديق مجردًا من كل قيد، فلما تقول: التصديق، هكذا فهذا التصديق إذا جاء هكذا مطلقًا دون إضافة إلى شخص نعم يبقى التصديق واحدًا ويبقى التصديق محل تساوي لكن إذا جئنا إلى الواقع وما هو خارج الذهن هذا التصديق لابد أن يضاف إلى شخص أليس كذلك؟ لما نقول: تصديق زيد تصديق عمرو تصديق أبي بكر -رضي الله عنه-، فعندئذ هذا التصديق إذا كان خارج الذهن، فالناس فيه ليسوا على حد سواء.

فباختصار شديد أن الطحاوي -رحمه الله- ظن أن ما في الذهن من جهة تساوي الناس في التصديق ظن ذلك الذي في ذهنه ظن أنه موجود أنه خارج الذهن، فهنا قد الإنسان في ذهنه يفترض أن الناس في التصديق على حد سواء، هذا قد يظنه في ذهنه، مثل ما نقول مثلًا: الناس كلهم يشتركون في الإنسانية، واضح الآن هذا إنسان وهذا إنسان لكن هذا الاشتراك أين يكون؟ الاشتراك هذا يا إخوان في الذهن، لأننا لما نقول: إنسانية هذه في الذهن، حتى تكون موجودة في الخارج خارج الذهن موجودة في الواقع لابد أن نضيفها، فنقول: إنسانيتك أنت يا أحمد، إنسانيتك أنت يا زيد، إنسانيتك أنت يا عبد العزيز، لما نقول: إنسانية عبد العزيز أو إنسانية زيد.

فإذن كل إنسان له إنسانية تخصه ولا تساوي غيره؟ نعم كل إنسان له إنسانية تخصه وهكذا، فالمقصود أن هذا التصديق الناس فيه على حد سواء إنما هو في الذهن، لكن خارج الذهن إذا أردنا أن يكون هذا التصديق خارج الذهن لابد أن نضيفه ولابد أن نقيده، فإذا أضفنا وقيدنا وقلنا: تصديق زيد تصديق عمرو فالناس ليسوا في التصديق على حد سواء وذكرنا لكم، هل أحد يقول: إن تصديق أبي بكر مثل تصديق مسلمة الفتح؟ ولا الذين

أسلموا متأخرين؟ لا..، أبدًا، أيضًا لما تأتي إلى عالم راسخ في العلم هل تصديق هذا العالم الراسخ مثل تصديق مثلًا الفجرة أو الفسقة أو المبتدعة؟ لا.. ليسوا على حد سواء، هذا الذي يمكن أن يقال في معنى هذه العبارة.

يقول: إن كثير من الفئات والفرق الضالة المبتدعة سبب وقوعها في الابتداع هي عرضها للأدلة على العقل، فإن وافق العقل أقروه وإن خالفه نفوه أو أولوه، هل نقول يا شيخ إن العقل ليس له أصل في ما يتعلق بالأمور العقدية وأن مرد الأمور العقدية إلى النص فقط؟.

يعني سبق أن مر بنا أن أهل السنة والجماعة يحتجون بالعقل لا كما يتوهمه البعض أن أهل السنة لا يحتجون بالعقل، لكن أهل السنة لا يقدمون عقولهم على النص، والأصل كما مر بنا أنه لا يمكن –أيها الإخوة الكرام– لا يمكن أن يتعارض النقل الصحيح مع العقل الصريح، إذا ثبت الحديث عن رسول الله –عليه الصلاة والسلام– فلا يمكن أن يعارض ما ثبت في صريح العقل، فهذا يتفق مع هذا، هذا يوافق ذاك.

هذا على الإطلاق فضيلة الشيخ.

أي نعم، على الإطلاق أبدًا على الإطلاق، إنه حصل من يتوهم التعارض فهنا نقول فيه إشكالية أن الشخص إما يكون عنده قصور، فعندما يتوهم التعارض فعندئذ لابد أن نقدم النص؛ لأن النص الدليل الذي في الكتاب والسنة هذا محفوظ ومعصوم والعقل ليس كذلك، العقل يعتريه ما يعتريه، والنقل ثابت أليس كذلك؟ والعقل يتغير، يعني ما قد تظنه معقول اليوم، قد لا يكون كذلك، فالمقصود أن النقل يتفق مع العقل النقل الصحيح يتفق مع العقل الصريح، والأمر الآخر: أن هؤلاء الذين ذكرتهم من أهل البدع ومن أهل الكلام على سبيل الخصوص، مصيبة القوم أنهم ظنوا التعارض، أن التعارض واقع لا محالة، فعندئذ قدموا عقولهم، ولا الأصل ما فيه تعارض، وإذا توهم التعارض فيقدم النقل، فهؤلاء مصيبتهم أنهم توهموا التعارض هذا أمر، والأمر الثاني: أنهم لم يعظموا النص، والله لو كانوا يعظمون النص لقدموا كلام الله وكلام النبي –عليه الصلاة والسلام– على عقولهم، فينبغي أن يتنبه إلى موطن الزلل عند هؤلاء أنهم توهموا التعارض هذا أولًا، وثانيًا: أنهم لم يعظموا النصوص الشرعية حق تعظيمها، ولم يقدروا النصوص الشرعية حق قدرها، هم يظنون أن النصوص الشرعية أنه ليس فيها براهين، وليس فيها أدلة عقلية، ليس الأمر كذلك، الآن لو جئت لنصوص القرآن والسنة فيها أدلة عقلية، فيها أدلة برهانية، لكن أهل الكلام أعرضوا عن القرآن فظنوا أن القرآن مجرد أخبار فقط وليس فيه براهين ولا أدلة عقلية.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن).

هذه العبارة (والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن) نتحدث عن موضوع الولاية من خلال المسائل التالية:

أولًا: تعريف الولاية، ما تعريف الولاية؟ طبعًا نحن نضبطها تعريفة الوَلاية بفتح الواو؛ لأننا إذا قلنا الوِلاية بالكسر فهذه هي الإمارة، وحديثنا عن الوَلاية بفتح الواو، الوَلاية هي المحبة والنصرة والقرب، هذه من معاني الوَلاية في لغة العرب، الوَلاية: المحبة النصرة القرب، فإذا قلنا: فلان ولي الله، أي: أنه يحب الله وأن الله –تعالى– يحبه، وهو ولي الله؛ لأنه قريب من الله –سبحانه وتعالى–، هذا ما يتعلق بمعنى الوَلاية.

ثانيًا: الأمر أيضًا في هذه المسألة الله –سبحانه وتعالى– كما قال عن نفسه، قال –عز وجل–: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة: ٥٤]، فإذا قلنا: فلان هو ولي الله، فمعناه: إن الله –تعالى– يحبه، وهذا المؤمن بطبيعة الحال أيضًا هو يحب الله –عز وجل–، فالوَلاية من الجهتين: إن الله –تعالى– يحب المؤمنين ويتولاهم، والمؤمنون أيضًا هم يحبون الله –تعالى– ويتولونه، قال –عز وجل–: ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [البقرة: ٢٧٥] فأيضًا جاء

في آية أخرى قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ ﴾ [محمد: ١١] فالمقصود أن الوَلاية والمحبة من الطرفين من الجهتين، فالله تعالى يحب المؤمنين ويحب أولياءه المتقين، وأيضًا أهل الإيمان وأهل الوَلاية يحبون الله -عز وجل- لما لهم من الأسماء الحسنى والصفات العلا ولما أنعم عليهم من نعم لا تُعد ولا تحصى، هذا أمر.

مما يُذكر في هذا المقام في موضوع الوَلاية وهو أصح حديث في الوَلاية وهو الحديث الذي أخرجه البخاري في قوله -عليه الصلاة والسلام-: (يقول الله -تعالى-: من عادا لي وليًا فقد آذنته بالحرب) أو في رواية: (فقد بارزني بالمحاربة) (من عادا لي وليًا فقد آذنته بالحرب) ثم قال تعالى: (وما تقرب عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه) ثم قال تعالى: (وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته، ولابد له منه) أخرجه البخاري أو كما قال -عليه الصلاة والسلام- فيما يرويه عن ربه -تبارك وتعالى-.

إذن انتهينا من المسألة الأولى وهي معنى الوَلاية، ننتقل إلى المسألة الثانية، وهي: شرط الوَلاية، ما شرط الوَلاية؟ شرطها ذكر في قوله تعالى: ﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، فشرط الوَلاية الإيمان والتقوى، فمن كان مؤمنًا تقيًا كان لله وليًا.

الأمر الثالث في موضوعنا هذا: نحب أن نشير إلى أن هناك ولاية منفية عن الله وهي: ولاية الحاجة والافتقار، فالله -سبحانه وتعالى- عندما يتولى المؤمنين ويحبهم ليس عن افتقار وليس عن حاجة تعالى الله عن ذلك بل هذا تكرم وإحسان وتفضل ومنة منه -عز وجل-، فولاية الحاجة والافتقار منفية عن الله، والدليل على هذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١١]، لاحظ هنا قال: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ﴾ فإذن هناك ولاية منفية وهي ولاية الذل والافتقار، والله -سبحانه وتعالى- عندما يتولى عباده ويحبهم إنما هو تكرم وتفضل وإحسان وليس عن حاجة ولا افتقار.

المسألة الرابعة وهي من المسائل المهمة: هل يجتمع في المسلم موجب الوَلاية وموجب العداوة؟ يعني هل هذا المسلم يمكن أن الله -تعالى- يحبه من جهة ويبغضه من جهة أخرى؟ نقول: نعم، فقد تجد ذاك المسلم الذي يصلي ويفعل جملة من شعائر الإسلام وآدابه لكن عنده شيء من المعاصي والذنوب، فإن الله -عز وجل- يحب هذا المسلم؛ لأنه يصلي ولأنه يصوم ولأنه يؤدي هذه الشعائر الإسلامية الظاهرة، وأيضًا هو -عز وجل- يبغضه على ما تلبس به من معصية فيجتمع فيه موجب أو سبب الولاية وسبب العداوة، كذلك أيضًا نحن في تعاملنا مع أهل الإسلام أيضًا نحن نحبهم ونواليهم على قدر طاعتهم وعلى قدر استقامتهم وأيضًا نبغضهم على قدر معصيتهم وتقصيرهم في حق الله -سبحانه وتعالى-.

أختم أن الأولياء الصالحون هذا شرطهم والأولياء الصالحون هم طبقات أو درجات: منهم أصحاب اليمين، ومنهم السابقون، فالسابقون أعلى مقامًا من أصحاب اليمين، وإن شئت نقول: كما في الآيات الأخرى السابقون هم المقربون، وأصحاب اليمين هم الأبرار، فهم ليسوا على درجة وحدة.

وأمر أخير أن الأولياء ليسوا في طبقة معينة في صنف معين من الناس فقد يكون الأولياء من العلماء وقد يكونون من الصناع، قد يكونون من أصحاب التجارات، قد يكونون من عامة الناس، فمن كان فيه هذا الشرط شرك الإيمان والتقوى فهو من أولياء الله والله أعلم.

تقول: ذكرت في محاضرة أمس أن من ترك صلاة الضحى انتفى عنه كمال الإيمان المستحب، فما هي المميزات والصفات التي يجب توافرها في الشخص حتى نحكم عليه أنه كامل الإيمان ولا ينتفي من إيمانه شيء؟ يعني هل إنه إذا قام بالنوافل والسنن أم أن هناك مميزات أخرى يجب أن يتصف بها؟

السؤال الثاني: ما الفرق بين الرافضي والشيعي؟.

هو لا شك مثل ما سمعنا أن الذي ترك صلاة الضحى ينتفي عنه ما نقول ينتفي نقول بعبارة أدق، نقول: يفوته كمال الإيمان المستحب، لكن الشخص لا يمكن أن يقطع لا في حق نفسه ولا في حق غيره أن يقول: إن فلان هو مؤمن بمعنى أنه حقق الإيمان المطلق أو الإيمان التام؛ ولهذا سلفنا الصالح عندما يراد الإيمان المطلق أو الإيمان الكامل كانوا يستثنون في إيمانهم، يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، فما أحد يجزم لا في حق نفسه ولا في حق غيره أنه مؤمن بإطلاق بمعنى الإيمان المطلق الإيمان الكامل، فنحن لو سألنا أي واحد منا الآن: هل أنت تؤمن بالله وملائكته؟ قال: نعم، لكن لو سألناه: هل أنت الآن أديت صلاة العصر على وجه التمام والكمال؟ هل أديت العمل كما يجب من إخلاص ومتابعة؟ يعني يقع التقصير، فالإنسان يقول: أرجو، فالمقصود أننا لا نجزم في حق أنفسنا ولا في حق غيرنا بالإيمان، لا نقول مثلًا فلان نقول: هذا مؤمن، إذا أريد الإيمان المطلق التام فلا نقول عن فلان هو مؤمن؛ لأن الإيمان المطلق لا يجزم الإنسان أن يصف نفسه به بل يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، فإذا قيل له: هل أنت من المؤمنين المذكورين في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[الأنفال: ٢]، فيقول: أرجو إن شاء الله منهم، لكن يقول: أنا منهم ويقطع فهذا القطع فيه تزكيه للنفس وفيه جزم بأنه حقق الإيمان المطلق، لكن الشيء العملي الذي يهمنا أن على الإنسان أن يستكثر من العمل الصالح، وأن يشتغل بما ينفع والله -سبحانه وتعالى- إذا علم من العبد الصدق أنه لجأ إليه فالله -سبحانه وتعالى- يوفقه للصالحات، والله أعلم.

أيضًا تسأل عن الفرق بين الرافضي وبين الشيعي؟.

يعني هو على كل يبدو أن الفرق بينهما يمكن أن نقول: بينهما عموم وخصوص، فالشيعة أعم من الرافضة هذا أمر، والأمر الآخر الذين يمكن يقال: إذا أطلق الشيعة فهو ينصرف إلى الرافضة من جهة أن الرافضة هم جمهور الشيعة غالبية الشيعة الموجودين في القديم والحديث هم من الرافضة، نعم الشيعة منهم الزيدية ومنهم الكيسانية، ومنهم رافضة، لكن الأعم الأغلب وجمهور الشيعة هم من الرافضة، فيمكن نقول: بينهما عموم وخصوص من جهة، لكن إذا أطلق الشيعي عند الإطلاق ينصرف إلى الرافضة باعتبار أنهم هم الجمهور والأعم الأغلب.

يقول: كيف ينمي المسلم جانب التسليم في شخصيه؟ وجانب الإيمان بالغيب وخاصة في هذا العصر المادي؟.

الحديث عن هذا يطول، وسبق أن مر بنا إشارة لكن إذا أردنا ذلك لابد من تعظيم النصوص الشرعية، لابد من الانقياد، الثقة بهذا الدين فنقول: تعظيم النصوص الشرعية ألا نستشكل النص، نستشكل أفهامنا، نستشكل أذهاننا، فالتصديق وإثبات قدسية النص وتعظيمه وإجلاله هذا الذي يحقق هذا التسليم، أيضًا كذلك لما يستصحب العبد أن هذا النص القرآني هو من عند الله العليم الحكيم الذي له الأسماء الحسنى وصفات الكمال والجلال عندما يستصحب العبد أن هذا هو كلام الله، وأن هذا كلام النبي -عليه الصلاة والسلام- الذي لا ينطق عن الهوى، إذا استصحب العبد ذلك زاد ذلك تعظيمًا وتسليمًا لهذه النصوص.

الأمر الآخر أننا لما ننظر إلى الذين يعارضون النصوص الشرعية ماذا جنوا؟ لم يحصلوا لا علمًا نافعًا ولا عملًا صالحًا بل هم في حيرة وشك، ذكرنا أمثلة أهل الكلام في القديم ومن شابههم من طوائف الضلال في هذا

العصر كيف أن الحيرة استحوذت عليهم؟ كيف أن الشك غلب عليهم؟ كل ذلك لأنهم عارضوا النص ولم يسلموا لهذا النص. هذا الذي يمكن أن يقال في هذه العجالة أعلم.

يقول: الوَلاية فيها عموم وخصوص، الحديث يقول: (من آذى لي وليًا فقد آذنته بالحرب) المؤمنون كلهم أولياء، فإذا آذى أحد منهم الآخر هل يدخل في الوعيد الذي في الحديث؟.

لا..، هو الكلام الذي تشير إليه فيه كلام لابن القيم في "بدائع الفوائد" أن ابن القيم يرى أن الوَلاية عندنا ولاية خاصة وعامة، الوَلاية العامة هذه يمكن أن تطلق على المؤمنين كلهم، فكل مؤمن مهما قَصَّرَ فله حق من حق الإسلام والله تعالى يحب هذا المسلم على قدر إيمانه وعلى قدر إسلامه، لكن الكلام هنا يبدو لي في المسألة التي عندنا هي فيما يتعلق بالوَلاية الخاصة، وهذا الذي يبدو من ظاهر الحديث: (من عادا لي وليًا) لأن هنا لاحظ الولي الذي ذكر ذكرت صفاته في الأخير لما قال: (كنت سمعه الذي يسمع به) ما معنى سمعه؟ يعني هذا الولي، هذا العبد الصالح، التقي النقي هو إن نظر فهو لا ينظر إلا إلى ما يرضي الله، هذا معنى (كنت سمعه) وأيضًا إذا سمع لا يسمع إلا ما يحبه الله، وإن مشى فهو لا يمشي إلا في طاعة الله، وإن ضرب فهو لا يضرب إلا في سبيل الله وفي ذات الله –عز وجل– فيبدو أن الوَلاية هنا تتعلق بالوَلاية الخاصة؛ ولهذا شيخ الإسلام تكلم عن مسألة: هل يقال عن فلان أنه ولي؟ وهي واضحة أنها الكلام عن قضية الوَلاية الخاصة، فذكر أنه مثل العشرة المبشرين بالجنة يقطع لهم بذلك، أو مثلًا جاء الكلام في قضية عالم إمام مثل الإمام ابن المبارك أو سفيان الثوري أو الإمام أحمد أو الشافعي ونحوهم، هؤلاء الذين أئمة كبار وصار لهم قبول ومحل ثناء هؤلاء يشهد لهم، فشيخ الإسلام قال: فيه نزاع، قال: والأشبه يعني لا حظ الآن قال: والأشبه أن يشهد لهم، فالمقصود أن الوَلاية الخاصة لا يمكن القطع بها، لأن الولاية الخاصة فيها معنى القرب، وما أحد يقطع لشخص بعينه أو لنفسه بأنه قريب من الله –سبحانه وتعالى–، لكن لما تقول: الإيمان، يعني الإنسان يقطع بأنه مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، هذا الذي يبدو لي والله أعلم، ويمكن أن ترجعوا لها في "بدائع الفوائد" تكلم عنها الوَلاية العامة والوَلاية الخاصة.

يقول: ما الفرق بين الوَلاية عند أهل السنة وعند غيرهم من الفرق؟ لأن بعض أهل الفرق يظنوا أن من تجري على يديه خوارق العادات أو الأشياء الغريبة أنه يكون وليًا لله هل هذا صحيح؟.

لو رجعنا إلى ما ذكره بعض المحققين ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "الفرقان بين أولياء الرحمن، وأولياء الشيطان" نجد فعلًا المفارقة بين معنى الوَلاية عند أهل السنة المحضة وبين معنى الوَلاية عند أرباب الطرق الصوفية، ويبدو أنك تشير إلى ذلك، فنحن نقول: الولي ليس معصومًا كما يقول البعض، الولي يرد عليه الخطأ يرد عليه العصيان، يرد عليه التفريط؛ ولهذا سئل بعضهم هل الولي يفعل كذا؟ الولي يقع مثلًا في الفاحشة؟ فقال بعض السلف كالجنيد لما سئل هذا السؤال أجاب هذا الجواب الحكيم: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨] فنحن لا ندعي العصمة أو أن الأولياء لهم عصمة سواء قيل بالعصمة أو قيل بأنهم محفوظين فالولي يرد عليه ما يرد من الخطأ والزلل والأمر الثاني: أن مقام الوَلاية لاشك أنه دون مقام النبوة، مصيبة بعض الغلاة أنهم غلو في الأولياء ومنهم من فَضَّلَ الأولياء على الأنبياء كحال ابن عربي الصوفي الضال، الأولياء هم متبعون الرسول –عليه الصلاة والسلام– هذا أمر، أما يدعي أن الأولياء لهم خوارق وأنهم يتصرفون في الكون، أبدًا الذي يتصرف في الكون هو الله –سبحانه وتعالى– وإن وقع على أيديهم شيء فهو شيء من كرامات الأولياء التي يجريها الله –تعالى– على أيديهم وموضوع كرامة الأولياء سيأتي الحديث عنه –إن شاء الله– فيما يستقبل.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (والإيمان: هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وحلوه ومره من الله تعالى، ونحن مؤمنون بذلك كله، لا نفرق بين أحد من رسله ونصدقهم كلهم على ما جاءوا به).

على كلٍ الكلام على هذا ليس مشكلًا واضح، الكلام هنا إشارة وتأكيد على قضية أركان الإيمان الستة التي ذكرها -رحمه الله- وسبق أن مر بنا الكلام فيها، مر بنا الكلام في القدر وجملة من مسائله، هنا قال بعد هذا: (ونحن مؤمنون بذلك كله، لا نفرق بين أحد من رسله) وهذا مر بنا أيضًا، أنه يجب علينا أن نؤمن بجميع الرسل كما قال تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] فيجب علينا أن نؤمن بالرسل جميعًا، ومن آمن ببعض وكفر ببعض فهذا هو الكافر حقًا كما قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ١١٥]. هذه المسائل سبق أن مر بها فنتجاوزها.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (وأهل الكبائر من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين، وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما ذكر -عز وجل- في كتابه: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَّشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، وإن شاء عذبهم في النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته، وذلك بأن الله -تعالى- مولى أهل معرفته ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته الذين خابوا من هدايته ولم ينالوا من وَلايته، اللهم يا ولي الإسلام وأهله مسكنًا بالإسلام حتى نلقاك به).

نسأل الله -تعالى- لنا ولكم الثبات، ﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ [آل عمران: ٨] هنا قال -رحمه الله-: (وأهل الكبائر من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- في النار لا يخلدون) هذه العبارة لما يقول: إن أهل الكبائر لا يخلدون هي رد على الخوارج والمعتزلة والزيدية ونحوهم ممن يقطع بتخليد العصاة، ويحكمون بأن العصاة عصاة الموحدين أهل الكبائر أنهم مخلدون في نار جهنم، الطحاوي -رحمه الله- يقرر مذهب أهل السنة أن أهل لا يخلدون في جهنم ويرد على أهل الوعيد الوعيدية من خوارج ومعتزلة وزيدية ونحوهم ممن يقولون بأن العصاة أو أهل الكبائر مخلدون في نار جهنم.

يبقى الفرق بين الخوارج والمعتزلة أشرنا إليه لكن نؤكد عليه: أن الخوارج يجعلون مرتكب الكبيرة كافرًا في الدنيا وهو مخلد في نار جهنم، أما المعتزلة فهم يقولون: إن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين وفي نفس الوقت يحكمون عليه بالتخليد في نار جهنم، هذا أمر.

تبقى هنا العبارة التي سمعناها أنه قال: (وأهل الكبائر من أمة محمد -عليه الصلاة والسلام-) تعقب الشارح هذه العبارة، وقال: إن الأحاديث عامة أن أهل الكبائر سواءً كانوا من أمة -عليه الصلاة والسلام- أو من سائر الأمم؛ لأن الحديث عام، فالحديث قال -عليه الصلاة والسلام-: (يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان) يعني هذا نقول قوله: (وأهل الكبائر من أمة محمد) هذه الجملة (من أمة محمد) هذا قيد لا مفهوم له، يعني لا يفهم من هذا أن هذا قيد معتبر قيد حقيقي لا.. هذا لا مفهوم له، ويشهد لذلك -كما ذكر أيضًا ابن أبي العز-: أن في جملة من النسخ أو بعض نسخ الطحاوية نفسها لم تذكر هذه العبارة، يعني في بعض نسخ العقيدة الطحاوية جاءت العبارة هكذا: (وأهل الكبائر لا يخلدون).

بعدها قال: (إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين) وإلا لما قال: (بعد أن لقوا الله عارفين) فيه تعقيب لطيف من ابن أبي العز من الشارح فقال: لو قال بعد أن لقوا الله مؤمنين؛ لأن الإيمان ليس هو المعرفة والذين قالوا: الإيمان هو المعرفة هم طائفة الجهمية كما مر بنا بالأمس، الجهم بن صفوان قال: الإيمان هو المعرفة، وعرفنا أن هذا قول في غاية الفساد فالحق والأدق والأليق أن يُقال: بعد أن لقوا الله مؤمنين.

ثم كعادة العلماء المحققين قال: (لعل) لعل الطحاوي –رحمه الله– لما قال: (بعد أن لقوا الله عارفين) أنه لم يرد مجرد المعرفة فقط بل المعرفة المستلزمة للاهتداء والعمل والاتباع، فإذا أراد المعرفة المستلزمة للعمل والاتباع والاهتداء نعم، يكون هذا المعنى له وجه، لكن الالتزام –أيها الإخوة– الالتزام بالعبارات الشرعية الدينية هو الأكمل والأدق والأليق، فنقول: (بعد أن لقوا الله مؤمنين) لأن الحديث هكذا: (يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان) وهنا قال: (من إيمان) ولم يقل: "من معرفة" هذا أمر.

الأمر الثاني: ذكر المؤلف آية النساء: قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨] هذه الآية الكريمة فيها رد على الوعيدية رد على الخوارج وعلى المعتزلة؛ لأنه هنا قال: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ لأنه هنا قال تعالى: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ ما دون ذلك، "ذلك" اسم إشارة يرجع إلى الشرك، ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ لما دون الشرك لمن يشاء، ففي هذا رد على هؤلاء الوعيدية؛ لأن أهل الكبائر هم تحت مشيئة الله، قد يعذبهم وقد يغفر لهم، وإذا عذبوا في النار فإنهم يخرجون منها بشفاعة الشافعين ورحمة أرحم الراحمين كما سمعنا في كلام الإمام الطحاوي، هذا أمر. إذن الآية فيها رد على الخوارج والمعتزلة.

أيضًا من اللطائف التي ذكرها بعض المحققين كشيخ الإسلام ابن تيمية: أن هذه الآية كما فيها رد على الوعيدية فيها رد على المرجئة أو بعض طوائف المرجئة، ما وجه ذلك؟ ذكر شيخ الإسلام –رحمه الله– أن في هذه الآية رد على المرجئة الواقفية، هذا صنف من المرجئة عندهم نوع من التوقف والتردد فهم يقولون: يجوز أن الله –سبحانه وتعالى– يعذب جميع العصاة، يقول: يجوز أن يعذب الله –تعالى– جميع العصاة، ويجوز أن يغفر لجميع العصاة، هكذا قال هؤلاء المرجئة الواقفية، قالوا: يجوز أن الله –سبحانه وتعالى– يعذب جميع العصاة ويجوز أن يغفر لجميع العصاة، نقول: هذا التجويز الذي قاله هؤلاء المرجئة الواقفية، هذا التجويز ترده الآية الكريمة، ما وجه ذلك؟ وجه ذلك أن الله –تعالى– قال: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ فمفهوم الآية ماذا؟ ما مفهوم الآية؟

إذا شاء الله غفر له.

أي.. لكن هذا منطوقها ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ لكن مفهومها؟

أنه إذا شاء...

يعني مفهوم ذلك: أن ثمة أقوام لم يشأ الله أن يغفر لهم، فمفهوم الآية: أن ثمة أقوام لم يشأ الله أن يغفر لهم، إذن هؤلاء يعذبون ولا ما يعذبون؟ يعذبون، فإذن هذه الآية كما أنها ترد على الوعيدية ترد على المرجئة الواقفية؛ لأنه قال تعالى: ﴿ لِمَن يَشَاءُ ﴾ فقوله تعالى: ﴿ لِمَن يَشَاءُ ﴾ معناه أن أقوام قد يعذبون وأقوام قد لا يعذبون، وهذا الذي دلت عليه أحاديث الشفاعة لما قال –عليه الصلاة والسلام–: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) معناها أنهم دخلوا النار ولا ما دخلوا؟ معناها أنهم دخلوا النار وخرجوا بشفاعة الشافعين ورحمة أرحم الراحمين –سبحانه وتعالى–. هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

يبقى عندنا المسألة الأخرى وهي: تعريف الكبيرة والصغيرة، هنا قال: (وأهل الكبائر) العلماء لهم أقوال كثيرة في تعريف الكبيرة لعل الراجح في ذلك –والله أعلم– أن الكبيرة هي: ما ترتب يعني ذنب الكبيرة هو ما ترتب عليه حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة، الكبيرة هو الذنب الذي يترتب عليه حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة، حد في الدنيا كالقذف، كون الشخص مثلًا يقذف فلانًا بالفاحشة هذا القذف يوجب الحد أن يُجلد ثمانين إذا قامت عليه البينة الزاني البكر يُجلد مائة فهذه من كبائر الذنوب، إذن الكبيرة هي ما ترتب عليه حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة، ما الوعيد في الآخرة؟ الوعيد في الآخرة: كغضب من الله –سبحانه وتعالى– أو لعنة أو نار أعاذنا الله

من ذلك كله، فعندما يقول الله –تعالى-: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ ﴾ [النساء: ٩٣] فهذا من كبائر الذنوب، من كبائر الذنوب قتل النفس المسلمة بل هذا من أشنع وأعظم الذنوب بعد الشرك بالله –عز وجل-، أو قلنا: اللعنة مثل ما جاء في قوله –عليه الصلاة والسلام-: (لعن الله الراشي) فالرشوة هي من كبائر الذنوب، أو: نار، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ [النساء: ١٠]، هذا هو تعريف الكبيرة على أرجح الأقوال وهو ما ترتب عليه حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة إما لعنة أو غضب أو نار.

وفي المقابل يتضح لك تعريف الصغيرة، وأن الصغيرة: هو الذنب الذي لا يترتب عليه حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة، هذا ما يتعلق بهذه المسألة، وعلى كل نؤكد ونذكر أنفسنا ونذكركم أيها الإخوة ومن يشاهد هذه الحلقة أن على العبد أن يحذر من الذنوب كلها دقيقها وجليلها، وأيضًا نؤكد على ما ذكره ابن القيم –رحمه الله- ما قد يقع من الاستخفاف بصغائر الذنوب، فقد يتلبس الشخص بهذه الصغيرة ويقترن بفعل هذه الصغيرة من قلة الحياء من الله والجرأة واللامبالاة ما يجعل هذه الصغيرة كبيرة، فهذه قد الشخص يفعل كبيرة لكن يقترن بها من الإصرار واللامبالاة والاستخفاف بها ما يلحقها بالكبيرة، والعكس، فقد العبد يتلبس بكبيرة من كبائر الذنوب ويقترن بفعله لهذه الكبيرة الحياء من الله والوجل والخوف منه –سبحانه وتعالى- ما يلحق هذه الكبيرة بالصغيرة، وهذا أمر يتعلق بالقلب؛ ولهذا علينا أن نحرص على إصلاح قلوبنا، وأن نحذر من الذنوب القلبية يعني مثل الكبر مثل الغرور مثل الحسد، هذه ذنوب، هذه الذنوب القلبية في الجملة هي أشنع من الذنوب الظاهرة التي تفعل بالجوارح.

يقول: هل يشترط للوَلاية العلم بمعنى أن يكون عالمًا أم أن الأمر في الإيمان والتقى فقط؟.

يعني هو لما يقول: يشترط العلم هناك قدر من العلم لابد منه، هناك قدر من العلم هو فرض عين، فإذا أريد بالعلم الذي هو نعتبره فرض عيني مثل ما مر بنا كونه يؤمن بأركان الإيمان الستة هذا الإيمان المجمل هذا جزمًا أنه شرط في الوَلاية أما ما زاد على ذلك من العلم ما زاد على الفرض العيني فليس من شرط الوَلاية؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- في "الفرقان" أن الوَلاية قد تكون في الصناع في الزراع أو في الفلاحين ونحو ذلك وهؤلاء ليسوا علماء أو جملة من هؤلاء ليسوا كذلك، المقصود أن هناك قدر من العلم هو فرض عين ولابد من تحقيقه وهو شرط في الوَلاية والله أعلم.

يقول: الآية ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾ هل يدخل في هذه الآية الشرك الأصغر من حلف بغير الله أو غير ذلك؟.

الذي أعرفه من كلام أهل العلم أنه وقع في هذا نزاع: هل الشرك الأصغر يُغفر أو لا يُغفر؟ من أهل العلم من يقول: إن الشرك الأصغر لا يُغفر؛ لأنه يدخل في عموم الآية، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾ قالوا: والتقدير؛ لأن هذا مصدر مؤول والتقدير: "إن الله لا يغفر إشراكًا" وأثر ابن مسعود يدل على ذلك، ابن مسعود –رضي الله عنه- يقول: «لئن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقًا» فالحلف بالله كاذبًا هي اليمين الغموس وهي من كبائر الذنوب، فجعل ذلك أعظم من الحلف بغير الله وإن كان صادقًا، ومن أهل العلم من يقول: إن الشرك الأصغر هو من جملة الذنوب التي تحت المشيئة، المسألة فيها خلاف ولا أذكر في ذلك ترجيحًا؛ لأن الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي ذكر القولين دون ترجيح المنقول عن بعض أئمة الدعوة السلفية في نجد يرون أن الشرك الأصغر لا يُغفر، والله أعلم بالقول الراجح.

يقول: الولي هل يُعرف أن فلانًا وليًا عند الناس أم أن أمره موكول إلى الله –عز وجل-؟.

والله إذا كنا نتكلم عن الوَلاية الخاصة التي هي فيها هذه الخصوصية فالجزم بأن فلان ولي والقطع ليس أمرًا سهلًا؛ لأنه هو أمر يتعلق بجانب قلبي وأمور القلوب هو أمر مرده إلى الله -سبحانه وتعالى-، يعني الإنسان لا يجوز هذا في نفسه فضلًا عن غيره؛ لأننا قلنا لكم: إن الوَلاية فيها معنى القرب، هل يستطيع الإنسان أنه قريب من الله وأن الله -تعالى- قريب منه؟ الجزم بهذا لا يستطيع الإنسان مهما بلغ من الصلاح والتقى فكيف يجزم بذلك في حق غيره؟ وشيخ الإسلام لما عرض الخلاف أشرنا إلى أنه قال: الذين تلقتهم الأمة بالقبول كذا كذا فيه نزاع يشهد ولا ما يشهد، ومع ذلك قال: الأشبه ما قال.. فعبارته ليست فيها جزم، وعلى كلٍ الشيء العملي أن يُشتغل بالإيمان والتقوى الذي هو شرط الوَلاية، والله المستعان.

يقول: بالنسبة لطلب الدعاء من الأولياء هل له أصل؟ رجاء مثل قبول إجابة دعوتهم هل لهذا أصل؟.

يعني هو طلب الدعاء من الصالحين هذا يذكره بعض أهل العلم فيما يتعلق بالتوسل إلى الله بدعاء الصالحين، لكن الذي ينبغي أن نؤكد عليه ما نبه عليه بعض المحققين أنك إذا طلبت الدعاء من رجل تظن فيه الصلاح والتقى عليك أن تلحظ أنك تريد بذلك الطلب الإحسان إليه، ليس الإحسان إلى نفسك فقط بل أيضًا أن تحسن إليه من جهة أنه إذا دعا لك مثلًا بالتوفيق والتسديد أن يحصل له الوعد الكريم في قوله -عليه الصلاة والسلام-: (ما من مسلم يدعو لأخيه المسلم بظهر الغير إلا وَكَلَّ الله له ملكًا وقال: ولك بمثله) فهذا الذي يمكن أن يقال وبعض أهل العلم يقول: إن أكابر الصحابة -رضي الله عنهم- أكابر الصحابة ما كانوا يسألون النبي -عليه الصلاة والسلام- الدعاء، وعلى كلٍ الذين ينبغي أن نؤكد عليه في هذا المقام ما سمعناه قبل قليل: إن الشخص إذا طلب الدعاء من الغير عليه أن يستصحب أنه يحسن إلى أخيه في الحديث الذي ذكرناه: (من دعا لأخيه بظهر الغيب) وأيضًا جانب حظ نفسه، لا ينظر فقط إلى حظ نفسه فقط؛ فإذا نظر إلى حظ نفسه فكونه هو يسأل الله ويرغب إليه أليق من أن يطلبه من الآخرين الدعاء؛ لأن الدعاء نوع من الجزاء والمكافئة والله أعلم.

أسئلة الحلقة.

السؤال الأول: ما جوابك عن من قال: إن الناس في أصل الإيمان على حد سواء؟

السؤال الثاني: ما معنى الوَلاية وما شرطها؟ والله أعلم.

الدرس الخامس عشر

من قوله: «ونرى الصلاة خلف...»

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، والحمد لله والصلاة والسلام على أسرف المرسلين سيدنا محمد وعلى إله وأصحابه أجمعين أما بعد:

أسئلة الحلقة الماضية: كان السؤال الأول: الجواب عن من قال: إن الناس في أصل الإيمان على حد سواء.

أجاب الأخ الكريم بقوله: إن من قال إن الناس في الإيمان على حد سواء هذا القول فيه نظر بل هو باطل كما قال الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالى-، فليس أهل الإيمان فيه سواء بل هم متفاوتون تفاوتًا عظيمًا، فليس إيمان الرسل كإيمان غيرهم، وكما أنه ليس إيمان الخلفاء الراشدين وبقية الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- كإيمان الفاسقين وإيمان غيرهم، وهذا قول أهل السنة وهو مخالف للمرجئة ومن قال بقولهم.

إجابة الأخ إجابة صحيحة، لكن ذكرنا في وقتها من باب زيادة البيان أن منشأ الالتباس بهذه العبارة لما قال الطحاوي -رحمه الله-: (وأهله فيه سواء) أنهم ظنوا أن التصديق الناس فيه على حد سواء، وهذا التصديق الذي ظنوا أن أهله فيه على حد سواء هذا التصديق إنما هو في الذهن، أما إذا كان خارج الذهن فهذا التصديق -كما قلنا- لابد أن يكون مضافًا مقيدًا، فعندنا نقول: تصديق أبي بكر وتصديق عمر، وتصديق كذا من الصحابة الأجلاء -رضي الله عنهم- فجزمًا أن تصديق أبي بكر ليس كتصديق سائر الناس، على كلٍ الإجابة صحيحة لكن ينبغي أن يُتنبه إلى هذا التنبيه الذي نبه عليه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمة الله عليه- وهو أن منشأ الشبهة هنا لما قال الطحاوي: (وأهله في أصله سواء) أنهم وقعوا في لبس وخلط بين ما في الأذهان وما في العيان، فظنوا أن هذا التصديق الذي في الذهن أنه يكون موجودًا خارج الذهن، لا يكون موجودًا خارج الذهن إلا إذا قيدنا وأضفنا، فإذا قلنا: تصديق أبي بكر، هل تصديق أبي بكر مثل تصديق مثلاً التابعين؟ الجواب: لا، على كلٍ نشكر لأخينا الإجابة وحرصه واهتمامه.

يقول: هل التصديق يؤثر في العمل؟ أو أن العمل هو الذي يؤثر في التصديق؟.

هو لا شك أن التأثير من الطرفين لكن الأصل أن ما في القلب هو الذي يؤثر على الجوارح، كما مر معنا في حديث النعمان بن بشير، قال -عليه الصلاة والسلام-: (إلا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب) فالتصديق الذي في القلب لا شك أنه يؤثر على الجوارح، وكذا أيضًا الجوارح حينما الإنسان يعمل عملًا فهذه الأعمال تؤثر على التصديق سلبًا أو إيجابًا؛ ولهذا كما ذكر أهل العلم في قوله -عليه الصلاة والسلام-: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) فالزنا من أعمال الجوارح -كما لا يخفى-، فهذا الزنا له تأثير من جهة تصديق العبد ومن جهة عمل القلب، فلو كان تصديقه راسخًا يقينيًا لما قارف هذه القاذورات ولو كان عمل القلب في قلبه تامًا صحيحًا فعمل القلب يوجب أن يحب ما يحبه الله، ويبغض ما يبغضه الله، فلما قارف الزنا أو السرقة دل ذلك على أن محبته لله فيها نقص وفيها تقصير، والله أعلم.

السؤال الثاني: عن معنى الوَلاية وما شرطها؟

أجابت الأخت الكريمة بقولها: إن الوَلاية هي المحبة والنصرة والقرب وهي من جهتين الله -تعالى- يحب عباده المؤمنين وهم يحبونهم ويرضى عنهم ويرضون عنه كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (من عادا لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة)، وتقول عن شروط الوَلاية:

أولها: التقوى لقوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧] وثانيها: الإيمان لقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٣].

نعم إجابة الأخت الكريمة إجابة صحيحة وتامة، وجزاها الله خيرًا على حرصها وعلى مشاركتها الدائمة.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم، ولا ننزل أحدًا منهم جنة ولا نارًا، ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ما لم يظهر شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله).

بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، هذه العبارة التي ساقها الإمام الطحاوي –رحمه الله– لما قال: (ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم) هذه المسألة –أيها الإخوة ومن يشاهدوا هذه الحلقة– هذه المسألة –كما لا يخفى– هي من مسائل الفقه والفروع، ونجد أن الذين يصنفون في كتب الاعتقاد وفي متون الاعتقاد قد يضمنون متون الاعتقاد جملة من مسائل الفروع، ومنها هذه المسألة، ومنها مسألة ستمر بنا وهي مسألة المسح على الخفين، ومنها مسألة أيضًا لما قال الطحاوي –رحمه الله–: (وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات) المقصود أننا نجد في متون الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة جملة من مسائل الفروع التي تكون ضمن هذا المتن، ووجه ذلك، وجه إيراد هذه المسائل التي هي أحق بكتب الفقه –كما لا يخفى– وجه إيرادها ضمن مصنفات الاعتقاد ومتون العقيدة لما في تقرير هذه المسائل من مخالفة أهل البدع والأهواء، فمثلًا نجد بعض الذين صنفوا في كتب الاعتقاد يقول مثلًا: (والرجم حق) يعني رجم الزاني المحصن، وهذه مسألة مبسوطة في كتب الفقه لكنهم يذكرونها في كتب الاعتقاد أو في متون الاعتقاد؛ لأن أهل الأهواء خالفوا في ذلك ومن هؤلاء الخوارج الذين أنكروا رجم الزاني المحصن مع أنه ثابت في القرآن الذي نسخ لفظه وبقي حكمه، وثابت في السنة عن رسول الله –عليه الصلاة والسلام– قولًا وعملًا.

هذا أمر ينبغي أن يكون واضحًا عند الجميع أن متون الاعتقاد قد تحوي جملة من مسائل الفروع، وجه إيرادها –كما قلنا لكم– من باب إظهار هذه السنة ومن باب أيضًا إظهار مخالفة أهل البدع والأهواء، هذا أمر.

الأمر الثاني: هنا لما قال الطحاوي –رحمه الله–: (ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر) هذه مسألة نجد أنها قررها جملة من الأئمة ومنهم ابن بطة –رحمه الله– من أئمة أهل السنة ومنهم البربهاري ومنهم قوام السنة الأصفهاني، نجد أن جملة من أئمة أهل السنة كلهم يقولون هذه العبارة، (ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة) فهنا علماء أهل السنة يقررون جواز الصلاة خلف الإمام ولو كان فاجرًا، ولو كان مبتدعًا وهذا الذي عليه كان الصحابة –رضي الله عنهم– فابن عمر الصحابي الجليل –رضي الله عنهما– صلى خلف الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان ظالمًا مستبدًا –كما لا يخفى– وأيضًا أنس بن مالك –رضي الله عنه– صلى خلف الحجاج أيضًا، وكذا أيضًا عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل –رضي الله عنه– صلى خلف الوليد بن عقبة وعليه ما عليه من التقصير والتفريط، فالمقصود أن هذا ما عليه سلف الأمة من الصحابة الأجلاء كما ذكرنا شيئًا من هذه الأمثلة.

وموجب الصلاة خلف هؤلاء الفجار أو خلف أهل البدع الذين ليست بدعتهم مكفرة، الموجب لذلك هو أننا بين أمرين: بين ترك الجمعة والجماعة وبين الصلاة خلف هذا الفاجر أو ذاك المبتدع، ومفسدة ترك الجمعة والجماعة أعظم وأشنع من مفسدة الصلاة خلف الفاجر أو المبتدع.

إذن أهل السنة والجماعة لما جوزوا الصلاة خلف الفاجر أو خلف الفاسد موجب ذلك هو ما سمعناه من جهة قاعدة المصالح والمفاسد، فإن الصلاة خلف هؤلاء الفسقة فيها مفسدة لكن هذه المفسدة هي أقل من مفسدة ترك الجمعة والجماعة. هذا أمر.

الأمر الآخر: العلماء لما يقررون هذه المسألة هو باعتبار أن الأمراء والأئمة أقصد أصحاب الولايات كانوا هم الذين يصلون بالناس، فلما نذكر مثلًا الحجاج أو الوليد بن عقبة ونحوهم هؤلاء كانت لهم ولاية، ولهم إمارة، فالشخص بين أمرين: إما أن يصلي خلفهم وإما أن يترك الجمعة والجماعة، فمفسدة ترك الجمعة والجماعة تربوا عن مفسدة الصلاة خلفهم، لكن -كما بين أهل العلم- لو صلى الإنسان الآن خلف فاسق من أئمة المساجد مثلًا، لو صلى خلف فاسق مثلًا وأمكنه أن يصلي خلف عدل، فالعلماء هم متفقون على كراهة الصلاة خلف الفاسق، ولو صلى خلف فاسق مع أنه يمكنه أن يصلي خلف عدل فالعلماء متنازعون: هل يعيد الصلاة أم لا؟ فينبغي مراعاة هذه المسألة وأن كلام العلماء الذي يقرره الطحاوي -رحمه الله- من هذه الجهة، من جهة أن العبد بين أمرين: إما أن يترك الجمعة والجماعة، وإما أن يصلي خلفهم، لكن عندما تتعدد المساجد وتكثر فيمكن للإنسان أن يتحرى ويصلي خلف الإمام العدل، ولا يصل خلف إمام فاسق أو متلبس ببدعة، هذا هو خلاصة الكلام في هذه المسألة.

يبقى معنا لما قال: (وعلى من مات منهم) أيضًا نصلي على من مات منهم، كل من مات من أهل القبلة سواءً كان فاسقًا فاجرًا أو كان مبتدعًا وليست بدعته مكفرة فيصلى عليه، ويصلى على مستور الحال إذا قدمت لنا جنازة في جوامع أهل الإسلام فيصلى عليه، هذا هو الأصل بالنسبة لهذه المسألة، لكن قد يمتنع ذوي الهيئات كالقاضي مثلًا أو عالم من العلماء قد يمتنع عن الصلاة على مبتدع أو يمتنع من الصلاة على فاسق من باب التنكيل والعقوبة، فهذا أمر سائغ شرعًا، والنبي -عليه الصلاة والسلام- لم يصلي على الغال من الغنيمة أو الذي قتل نفسه أو الذي ترك دينًا كما جاء ذلك في الأحاديث، فهذا له وجه لما فيه من مصلحة الزجر لمن تلبس بمثل هذه الذنوب، وبعض المحققين من أهل العلم قال: لو امتنع هذا العالم أو هذا الإمام الذي هو محل قدوة أو هذا القدوة لو امتنع عن الصلاة عليه من باب الزجر للآخرين ممن قد تلبسوا بهذه المعصية ودعا له سرًا فيجمع بين المصلحتين، مصلحة الدعاء له من جهة ومصلحة تحقيق التعزير لمن قد يتلبس بهذا الذنب الذي مات عليه ذاك الرجل، هذا هو الخلاصة في هذه المسألة والله أعلم.

نكمل المسال التي بعدها لما قال: (ولا ننزل أحدًا منهم جنة ولا نارً) يعني لا نقطع لأحد منهم أي: من أهل القبلة، فلا نقطع لأحد من أهل القبلة بجنة أو بنار، يعني شخص مات من أهل الإسلام من عباد الله الصالحين الأتقياء أو ممن غلب عليه الفجور والفسق والانحراف فلا يقطع لهذا الرجل الصالح بالجنة كما لا يقطع لهذا الفاسق بالنار؛ وجه ذلك بيِّن؛ لأن حقائق الأمور وما في القلوب لا يعلمه إلا الله -سبحانه وتعالى- فلا نقطع لأحد بجنة أو بنار.

يبقى خلاف في هذه المسألة بين أهل السنة فمن أهل السنة من يقول: لا نشهد بالجنة إلا للأنبياء -عليهم السلام- والقول الثاني وهو الذي عليه أكثر أهل السنة وأكثر أهل الحديث: أنه يشهد بالجنة لمن شهد له الرسول -عليه الصلاة والسلام-، كالعشرة المبشرين بالجنة، وكالحسن والحسين -رضي الله عنهما- وثابت بن قيس ونحوهم ممن جاءت النصوص الثابتة عنه -عليه الصلاة والسلام- بالشهادة لهم بالجنة، هذا الذي هو أظهر الأقوال.

هناك قول ثالث يتوسع في ذلك: وهو أن يُشهد بالجنة لمن صار له الثناء والقبول الحسن، وكذا العكس، يُشهد بالنار لمن أثنى عليه الناس ثناءً سيئًا وذكروه بشرط؛ واحتجوا بحديث -عليه الصلاة والسلام- أنه لما مرت جنازة فأثنوا عليها خيرًا فقال -عليه الصلاة والسلام-: (وجبت ثلاثًا) ثم جاءت جنازة أخرى فأثنوا عليها شرًا فقال: (وجبت) فسئل النبي -عليه الصلاة والسلام- عن ذلك عن قوله (وجبت)؟ فقال -عليه الصلاة والسلام-: (أثنيتم على الأولى خيرًا فوجبت لها الجنة، وأثنيتم على الأخرى شرًا فوجبت لها النار، أنتم شهداء الله في أرضه) وفي الحديث الآخر: قال -عليه الصلاة والسلام-: (توشك أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: بالثناء الحسن وبالثناء السيئ) والله أعلم.

لكن الذي اختاره بعض أهل العلم هو القول الثاني: وهو أن لا يُشهد بالجنة إلا لمن جاء به النص والله تعالى أعلم.

بعدها قال: (ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق) يعني هو لما فرغ –رحمه الله– عن الكلام عن الحكم الأخروي وهو الشهادة بالجنة والنار بعدها تكلم عن الحكم الدنيوي، يقول: لا نشهد عليهم، يعني لا نشهد على أحد من أهل القبلة لا بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، يعني إذا أظهر الشرك أو أظهر النفاق أو أظهر الكفر فما لنا إلا الظاهر، والله –سبحانه وتعالى– يتولى السرائر.

هنا لما قال: (الشرك) فالشرك هو الشرك في ربوبية الله وإلهيته، والشرك في الربوبية أن يجعل لهذا المخلوق شيئًا من خصائص الله –سبحانه وتعالى– كالخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة، هذا هو الشرك في الربوبية، والشرك في الإلهية أن يصرف نوعًا أو فردًا من العبادة لغير الله، فإذا صرف نوعًا كالذبح صرفه لغير الله فهذا مشرك، أو صرف فردًا ما معنى صرف فردًا؟ كأن يذبح لله –تعالى– دائمًا، لكنه في أحد المرات ذبح للجن متقربًا إليهم فهذا شرك أكبر؛ لأنه صرف العبادة لغير الله –سبحانه وتعالى–، هذا هو شرك العبادة أن يصرف نوعًا أو فردًا للعبادة لغير الله.

أما الكفر فقد مر بنا: أن الكفر هو عدم الإيمان، سواءً كان تكذيبًا أو جحودًا هذا أولًا، أو إعراضًا هذا ثانيًا، أو شكًا وظنًا هذا ثالثًا، أو نفاقًا هذا رابعًا، وخامسًا أو إباءً واستكبارًا فالكفر عدم الإيمان، ولما نقول: عدم الإيمان قد يكون هذا الكفر كفر تكذيب وجحود، قد يكون كفر شك وظن، قد يكون كفر إعراض، قد يكون كفر نفاق، قد يكون كفر إباء واستكبار، والنفاق لما ذكره –رحمه الله– فالنفاق أن يظهر الإيمان ويبطن الكفر، يظهر الإيمان بالله واليوم الآخر، ويبطن الكفر بذلك، هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

يقول: بالنسبة للقضية التي طرحتموها قبل قليل: وهي الإمامة والصلاة خلف البر والفاجر هل يجوز ابتداًء في الأحوال العامة أن نختبر الإنسان في فسقه وعدالته أو بره؟ أم أن الأصل في عامة الناس البراءة والسلامة؟.

الأصل الناس يؤاخذون بظواهرهم، والأصل عدم الامتحان، أن لا يمتحن الناس هذا الأصل، وقد عرف الامتحان عند الخوارج، الامتحان والاستعراض، فنحن أهل السنة ما لنا إلا الظاهر، هذا هو الحكم العام، الحكم العام أننا ما لنا إلا الظاهر، فعندما ندخل مساجد أهل الإسلام فنصلي خلف هذا الإمام باعتبار ما ظهر لنا منه، لكن إذا ظهر خلاف ذلك، ظهر أنه مثلًا متلبس ببدعة مكفرة فلا يُصلى خلفه كما قرر ذلك أهل العلم، والله أعلم.

يقول: بالنسبة لصاحب الكبيرة المجاهر، هل يُصلى عليه في حال وفاته؟.

سبق أن أشرنا إلى هذا أن العلماء ذكروا مثلًا أنه قد يكون صاحب فسق ولا صاحب فجور مجاهر ومات على ذلك فكون يمتنع ذوي الهيئات من عالمٍ أو قاضٍ يمتنع من الصلاة عليه هذا أمر دلت عليه السنة، وذكرنا أنه لو جمع بين الأمرين أنه لو امتنع من الصلاة عليه أمام الناس حتى يكون بذلك تأديبًا وردعًا لمن هو متلبس بذلك، يعني شخص مثلًا هو من كبار المرابين وهلك على ذلك فكون الإمام مثلًا يمتنع، يمتنع العالم أو القاضي أو نحوهم من الصلاة عليه حتى ينزجر الذين تلبسوا بهذا الجرم العظيم هذا فيه مصلحة شرعية، وإن دعا له سرًا فكما قال بعض المحققين يحصل من ذلك المصلحتين: مصلحة الزجر من جهة، ومصلحة الدعاء له؛ لأنه يبقى من أهل الإسلام له حق الدعاء والترحم عليه والله أعلم.

يقول: هل هناك علامات واضحة للفاجر؟ وما الفرق بين فاجر وفاسق؟.

أنا ما أعرف الفرق بين الفاجر والفاسق، العلماء أحدهم يقول لك: الفاسق الفاجر وعلى كلٍ الذي ينضبط هو مصطلح الفسق، والفسق كما بين أهل العلم، الفاسق: هو من تلبس بكبيرة أو أصر على صغيرة كما مر بنا في قضية أهل الكبائر، فالفسق يكون بهذا أو ذاك، أن يتلبس بكبيرة، يعني تلبس بهذه الكبيرة تكون ظاهرة عليه أو يكون مصرًا على هذه الصغيرة، فإذا ظهر منه ذلك فيستحق هذا الوصف. والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- إلا من وجب عليه السيف، ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله -عز وجل- فريضة، ما لم يأمروا بمعصية وندعو لهم بالصلاح والمعافاة).

عندنا المسألة الأولى لما قال الإمام الطحاوي -رحمه الله-: (ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- إلا من وجب عليه السيف) هذا التقرير هو مما ندين الله -تعالى- به أن الأصل في دماء المسلمين العصمة، كما قال عندك هنا: (ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- إلا من وجب عليه السيف) وهذا الأمر جاء مقررًا في قوله -عليه الصلاة والسلام-: (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة) فالأصل في دماء المسلمين العصمة، قال -عليه الصلاة والسلام-: (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) فهذا أمر يقرره أهل السنة خلافًا للخوارج الذين يكفرون عصاة المسلمين ويستحلون دماءهم، هذا المقصود من هذه العبارة.

العبارة التي قرأها أخونا: (ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورن) هذه المسألة جاءت متقررة عند أهل السنة والجماعة وهي عدم الخروج على أئمة الجور مهما بلغ بهم الجور والظلم ما بلغ، ما لم يصلوا إلى الكفر البواح، هذا أمر مقرر في عقائد أهل السنة، وهذا هو الذي استقر عليه مذهب أهل السنة، الذي استقر عليه مذهب أهل السنة عدم الخروج أئمة الجور، والأدلة على هذا بينة منها ما جاء في قوله -عليه الصلاة والسلام- في حديث عوف بن مالك، قال -عليه الصلاة والسلام-: (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون لهم ويصلون لكم) يعني تدعون لهم (وشرار أئمتكم الذين تلعنونهم ويلعنونكم وتبغضونهم ويبغضونكم) فقال الصحابة وقال بعضهم: (قلنا يا رسول الله: أفلا ننابذهم بالسيف عند ذلك؟ قال -عليه الصلاة والسلام-: لا... ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئًا من معصية الله فلا ينزعن يدًا من طاعة) أخرجه مسلم، وجاء في حديث عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- أنه قال: (بايعنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وفي يسرنا وعسرنا وألا ننازع الأمر أهله إلا أن نرى كفرًا بواحًا عندنا فيه من الله برهان) أخرجه البخاري ومسلم فمن خلال هذين الحديثين وغيرهما يتضح لنا أنه -عليه الصلاة والسلام- أمر صحابته بالصبر على جور الأئمة وعدم الخروج عليهم بالسيف، هذا أمر.

والأمر الثاني مما يؤكد هذا الأمر: قاعدة المصالح والمفاسد كما بسط ذلك جملة من المحققين ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في "المنهاج" "منهاج السنة النبوية" في الثالث والرابع وخلاصة كلامه -رحمه الله- أنه قرر وقال: «وقل من خرج على إمام ذي سلطان إلا تولد على خروجه من المفاسد ما يربوا على مصلحة هذا الخروج» فهذا الإمام الجائر، هذا الإمام الفاجر، الحاكم الفاجر ما دام أنه مسلم يعني إذا كان عنده ظلم وفجور وفسق وتعدي فهذه لا شك أنها مفاسد، لكن مفسدة الخروج من جهة ما يقع في ذلك من الفتنة والقتل والقتال هذه المفسدة أشد وأشنع كما جاء ذلك من خلال تجارب مرت بها الأمة، من ذلك مثلًا حركة ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك، أو صاحب النفس الذكية لما خرج على أبي جعفر، فإذا نظرنا إلى الأحاديث ونظرنا إلى قواعد المصالح والمفاسد ومن خلال التجارب التي حصلت هذا مما يؤكد ويقرر وجوب الصبر على جور الأئمة وعدم الخروج عليهم. هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

فأما إذا تلبس الحاكم بالكفر البواح، يعني الكفر الصريح الظاهر البين الذي عندنا فيه من الله برهان فيسوغ الخروج عليه إذا كان ثمة قدرة واستطاعة على إزالته وتعيين من هو أحق بذلك.

لكن يبقى عندنا جملة من الأمور التي نحب أن ننبه عليها ونؤكد عليها في مثل هذا الموضوع الذي يقع فيه لبس ويقع فيه إفراط وتفريط:

الأمر الأول: يجب أن يتنبه –الإخوة ومن يشاهد هذه الحلقة– إلى أن مقصود الولايات: إقامة دين الله –سبحانه وتعالى–، المقصود منها تحقيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالإمام الأعظم ومن دونه من أصحاب الولايات إنما نصبوا من أجل أن يقيموا دين الله، من أجل إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا أمر متقرر وواضح وبين في كتب السياسة الشرعية وهذا مما قرره الماوردي –رحمه الله– في "الأحكام السلطانية" وقرره القرطبي في تفسيره، وقرره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "السياسة الشرعية" وأيضًا ابن القيم في كتابه "الطرق الحكمية"، فيجب أن يعلم الجميع أن أصحاب الولايات هم إنما نُصبوا من أجل أن يقيموا دين الله، فهم وسائل لتحقيق هذه الأمور الشرعية، وليس تعيين الحاكم هو مقصود لذاته، كما يقوله الرافضة، الرافضة يقولون: الإمامة هي أهم المقاصد، لا.. الحاكم إنما نُصِّبَ من أجل أن يقوم بالمصالح الدينية والدنيوية، مصالح العباد في المعاش والمعاد، هذا أمر.

الأمر الثاني: أن العلماء هنا لما قال: (ولا نرى الخروج على أئمتن) المقصود من ذلك: الأئمة أصحاب الولايات الشرعية، وهذا واضح من خلال الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩] فهنا قال تعالى: ﴿ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ولهذا قال العلامة محمد بن علي الشوكاني –رحمه الله– في "فتح القدير" قال هذه العبارة قال: أولي الأمر هنا: هم الأئمة والسلاطين والقضاة وكل من له ولاية شرعية، لا.. ولاية طاغوتية.

فالمقصود أن الذين يتعين علينا طاعتهم، ويكون هذا من باب الديانة هم أصحاب الولايات الشرعية، لا من كان صاحب ولاية طاغوتية، وقد أشار بعض المعاصرين، ومنهم الشيخ ناصر الدين الألباني –رحمه الله– وقال: إن الله –تعالى– قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ قال: ﴿ مِنْكُمْ ﴾ يعني منكم يا أهل الإسلام، ولم يقل تعالى: "وأولي الأمر فيكم" كما حرف ذلك الطائفة القديانية الخارجة عن الإسلام، وجعلوا هذا التحريف مسوغًا ومبررًا لحكم المستعمر الإنجليزي أيام الاستعمار الإنجليز للقارة الهندية، فهذا أمر ينبغي أن يكون في الحسبان.

الأمر الآخر: الذي ذكره –رحمه الله– لما قال: (ولا ننزعن يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله، ما لم يأمروا بمعصية) أيضًا نؤكد على جانب مهم: أن الطاعة المطلقة إنما هي للرسل –عليهم السلام– وهذا واضح من خلال الآية الكريمة، تأملوا في الآية قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ لكن لما جاء إلى أولي الأمر قال: ﴿ وَأُولِي الأَمْرِ ﴾ ما قال: وأطيعوا أولي الأمر؛ لأن طاعتهم ليست طاعة مستقلة، وأما طاعة النبي –عليه الصلاة والسلام– فنعم، وهو –عليه الصلاة والسلام– طاعته من طاعة الله كما قال تعالى: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴾ [النساء: ٨٠] لكن أصحاب الولايات قد يأمرون بمعصية الله، فإذا أمروا بمعصية الله فلا يطاعون في معصية الله –سبحانه وتعالى–.

يقول شيخ الإسلام –رحمه الله– في هذا المقام يقول: (من نَصَّبَّ إمامًا فأوجب طاعته مطلقًا اعتقادًا أو حالًا) اعتقادًا: يعني يعتقد ذلك، حالاً: من خلال الممارسة والواقع، قال: (من نَصَّبَّ إمامًا فأوجب طاعته مطلقًا اعتقادًا أو حالًا فقد ضل في ذلك قال: كأئمة الضلال الرافضة الإمامية حيث جعلوا في كل وقت إمامًا معصومًا تجب طاعته، فإنه لا معصوم بعد الرسول –عليه الصلاة والسلام–، ولا تجب طاعة أحد بعده في كل شيء) انتهى كلامه –رحمه الله– في "مجموع الفتاوى" التاسع عشر صفحة تسعة وستين.

إذا تقرر أنه لا طاعة مطلقة إلا للرسل –عليهم السلام– عندئذ يتضح لكم –أيها الإخوة ومن يشاهد هذه الحلقة– إلى أن أهل السنة وسط في هذا الباب بين الإفراط والتفريط، فهم وسط في باب الطاعة بين الخوارج والمعتزلة الوعيدية هؤلاء الذين يسوغون الخروج على أئمة الجور بالسيف باسم الأمر والنهي عن المنكر، فهذا لا شك أنه إفراط، يقابل ذلك التفريط الذي وقع فيه طوائف من المرجئة والذين أوجبوا الطاعة المطلقة للأئمة بل أفضى الأمر ببعضهم إلى أن أسقطوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما نقل عن أبي منصور الماتريدي وهو ممن تلبس بالإرجاء، فهذه طاعة عمياء، وطاعة مطلقة يقابلها ذاك الإفراط والغلو الذي وقع فيه الوعيدية، فنحن وسط بين هؤلاء وأولئك، نعم أصحاب الولايات الشرعية يطاعون، لكن هذه الطاعة لا تكون طاعة عمياء، ولا طاعة مطلقة وإنما الطاعة في المعروف، هكذا قال –عليه الصلاة والسلام–. هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة).

يبقى عندنا مسألة هنا لما قال: (وندعو لهم بالصلاح والمعافاة)، نعم يُدعى لأئمة المسلمين كما كان يدعو الفضيل –رحمه الله– وكان يقول: اللهم أصلح الراعي والراعية، وأيضًا يراعى في هذا الجانب أن بيوت الله –سبحانه وتعالى– والمساجد ينبغي أن تُصان عن المديح والتملق، وإنما يدعى بالصلاح أو كما سمعنا دعوة الفضيل –رحمه الله– لما كان يقول: اللهم أصلح الراعي والرعية.

هنا لما قال –رحمه الله–: (ونتبع السنة والجماعة) السنة هي طريقة النبي –عليه الصلاة والسلام– وهي أقواله وأفعاله وتقريراته، فالمتعين علينا أن نتبع السنة ونلتزم بها، قال –عليه الصلاة والسلام–: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعدي)، وقال –عليه الصلاة والسلام–: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد).

ثم قال: (والجماعة) ما المراد بالجماعة؟ الجماعة المراد بها كما فسرها ابن مسعود –رضي الله عنه–: الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك، فهذه هي الجماعة، فهي موافقة الحق، وأيضًا من إطلاقات الجماعة كما بين ذلك الشاطبي –رحمه الله– في الاعتصام أن الجماعة المراد بهم هم الذين اجتمعوا على أمير على مقتضى الشرع، فأهل السنة هم أهل السنة والجماعة فهم جماعة ينتصرون الحق ويتبعون ولو كان صاحب الحق واحدًا وهم الجماعة الذين يلتزمون بطاعة الأمير الذي ثبتت بيعته على وفق مقتضى الشرع، فليسوا أصحاب بدع ومحدثات وليسوا ممن يخالفون ويشقون عصا الطاعة كما هو حال الخوارج ونحوهم.

هنا قال: (ونجتنب الشذوذ) الشذوذ أيها الإخوة هو يقابل الجماعة، والنبي –عليه الصلاة والسلام– لما يقول: (عليكم بالجماعة، فإن يد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ في النار) فالشذوذ يقابل الجماعة، فإذا كانت الجماعة هي اتباع الحق، فالشذوذ هو خلاف الحق، الشذوذ هو مجانبة الحق، مجانبة الدليل، ولو كان هؤلاء كثرة أو دهماء فالعبرة باتباع الدليل واتباع السنة التي جاءت عنه –عليه الصلاة والسلام–.

ثم قال: (والخلاف) أيضًا أهل السنة يتجنبون الخلاف، والمقصود بالخلاف هنا الخلاف المذموم، وهو أن يخالف في أمر معلوم من الدين بالضرورة، فالأمور المعلومة من الدين بالضرورة لا يسوغ الخلاف فيها، بل يجب أن يتلقاها بالقبول والتسليم، سواءً كانت أخبارًا أو أحكامًا، الأخبار بالتصديق والأحكام بالامتثال والالتزام، فالخلاف المراد به هنا هو الخلاف المذموم وهو أن يخالف في أمر معلوم من الدين بالضرورة.

ثم قال: (والفرقة) أيضًا علينا أن نتجنب الفرقة، فالفرقة هي من صفة أهل الأهواء، من صفة المشركين، وإذا أردنا أن نتجنب الفرقة أيها الإخوة فعلينا أن نأخذ الدين كله، أيها الإخوة الكرام، يا من يشاهدوا هذه الحلقة كثيرًا ما نسمع من يدعو إلى اجتماع المسلمين، لكن يريدون اجتماع المسلمين على ما هم عليه من انحرافات وخلل عقدي ومنهجي، إذا أردنا أن يجتمع الإسلام فعلينا أن نأخذ الدين كله، أما إذا أخذ بعض الدين وترك بعضه،

فالفرقة موجودة والخلاف متحقق، والله تعالى قرر هذا الأمر قال تعالى عن النصارى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ نسوا حظًا مما "من" تبعيضية، ﴿ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ ما النتيجة؟ قال تعالى: ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ﴾ [المائدة: ١٤] فالخلاف الذي وقع عند النصارى، وقع عند أهل الإسلام وقع عند أهل السنة أحيانًا هو سببه أنهم أخذوا بعض الدين وتركوا بعضه، فإذا أردنا أن نجتمع ويحصل الاجتماع ونجانب الفرقة علينا أن نأخذ الدين كله، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وهنا ذكر الشارح –رحمه الله– لما جاء الكلام عن الفرقة ذكر حديث الافتراق وهو قوله –عليه الصلاة والسلام–: (افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل من هي يا رسول الله؟ قال –عليه الصلاة والسلام–: ما أنا عليه وأصحابي) وفي رواية قال: (الجماعة) هذا الحديث الذي أخرجه أصحاب السنن والمسانيد، هذا الحديث من الأهمية بمكان، وهذا الحديث يقع فيه إفراط وتفريط، فبعض الذين يريدون أن يميعوا دين الله وأن يضيعوا الثوابت الشرعية تجدهم لا يلتفون إلى هذا الحديث ويطعنون في هذا الحديث ويقابلهم طرف آخر يحملون هذا الحديث ما لا يحتمل من جهة الإفراط والغلو، فنحب أن ننبه أيها الإخوة الكرام على مسائل مهمة في هذا الحديث حتى نتجنب هذا الإفراط أو ذاك التفريط.

أيها الإخوة الكرام هنا قال –عليه الصلاة والسلام– عن هذه الأمة: (وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) هنا ننبه إلى مسألة مهمة وهي: متى تكون هذه الطائفة أو الفرقة فعلًا فارقت وجانبت أهل السنة والجماعة؟ الذي يحصل في هذا الوقت أن بعض الناس مجرد أن شخصًا يخالف في جزئية أو في مسألة من المسائل الفروع في الحال يخرجونه من أهل السنة، لا.. ليس الأمر كذلك، وقد حرر هذه المسألة الإمام الشاطبي –رحمه الله– في كتابه "الاعتصام" وخلاصة كلامه –رحمه الله– أنه بيَّن وقرر أن هذه الفرق تصير مجانبة لأهل السنة متى؟ إذا فارقت أهل السنة في أمر أو قاعدة أو معنى كلي، إذا فارقت أهل السنة في معنى أو قاعدة كلية نعم نقول: هؤلاء ليسوا من أهل السنة، فإذا كان هذا أمر كلي قاعدة كلية كأن يعني هذه الطائفة تنكر الصفات أو تنكر القدر أو نحو ذلك من القواعد الكية نعم، نقول: هؤلاء فارقوا أهل السنة وجانبوا أهل السنة والجماعة، أو –والكلام لا يزال للشاطبي معناه– أو: أن مفارقتهم في جزئيات لكن هذه الجزئيات تكاثرت بما يعادل أمرًا كليًا، أما كون الشخص مثلًا قد يتلبس بأي بدعة من البدع ويكون ذلك مسوغًا لخروجه لا.. وقد نبه شيخ الإسلام –رحمه الله– ابن تيمية أنه قد تجد جملة من علماء السلف من يتلبس ببدعة لكن عن اجتهاد وتأول وهذا لا يخرجه عن دائرة أهل السنة بل هو مغفور له من جهة اجتهاده ومن جهة أنه معذور بتلك العوارض التي ترد عليه، هذه مسألة.

المسألة الثانية أيها الإخوة الكرام في هذا الحديث وهي: مسألة هذه الفِرَق كم عددها؟ كثير ما يقع الخلط في هذه المسألة وبعضهم يعدد لك هذه الفرقة فرقة فرقة، النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) هو –عليه الصلاة والسلام– لم يحددها لم يذكر هذه الفرق ولم يعددها فرقة فرقة، فلا يمكن أن نجزم ونقطع بهذا التعداد الذي نجده في كتب الفِرق والمقالات، هو –عليه الصلاة والسلام– ذكر هذا العدد لكنه لم يحدد هذه الفرق ولم يعددها فرقة فرقة، وهذا كما يقول الشاطبي أيضًا هو مقتضى الستر على هذه الأمة المرحومة.

أمر ثالث نشير إليه في هذا الحديث حديث الافتراق وهو أن قوله –عليه الصلاة والسلام–: (كلها في النار) لا يعني –كما يتوهم البعض– أن هذه محكوم عليها بالتخليد في نار جهنم –أعاذنا الله من ذلك– بل هذا وعيد مجمل، وكما قال بعض المحققين كشيخ الإسلام ابن تيمية –رحمة الله عليه– قال: إن هذا الوعيد في هذا الحديث ليس بأشد من الوعيد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ [النساء: ١٠]، ومن المعلوم أن آكل مال اليتيم هل هو مخلد في نار جهنم؟ الجواب: لا..، فالمقصود أن هذا وعيد

مجمل وهم يستحقون هذا الوعيد؛ لأنهم جانبوا السنة وتلبسوا ببدعة، لكن هذا لا يوجب تخليدًا إلا من وصلت البدعة به إلى الخروج من الملة والانسلاخ من دين الإسلام، فهذا إذا مات على هذه البدعة المكفرة فمآله إلى جهنم ومآله إلى الخلود –أعاذنا الله من ذلك المآل–. هذه جملة من المسائل المتعلقة بهذا الحديث.

يقول: لدي تساؤل الحقيقة أرى أنه مهم في هذه المسألة وهو ما يتعلق بعبارة الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (ونتبع أهل السنة والجماعة) لا شك أنها عبارة عظيمة، ولها دلائل كثيرة، نجد كثيرًا من الناس في هذا العصر وفي عصور سابقة يعني من باب إظهار البدع على الناس يجتهد في تبديع الناس وتفسيقهم والبحث عن أخطائهم وتقصيرهم دون أن يتبع المنهج النبوي السليم، وهو الدعوة إلى الله –جل وعلا–، أنا أسأل يا شيخ ما رأيكم فيمن يتبع تلك الطرق التي تعتمد اعتمادًا كليًا على تفسيق الناس وتبديعهم ومحاولة إظهار مثالبهم ومعايبهم والتقصير تقصيرًا واضحًا وكبيرًا في قضية الدعوة إلى الله –جل وعلا–؟.

على كلٍ الحكم على الأشخاص بتبديع أو تفسيق هذا الحكم ينبغي أن يكون عن علم وبينة وعدل فهذا أمر ينبغي أن يكون واضحًا في الحسبان، لا يحكم الإنسان إلا بعلم وعدل، فلما نقول بعلم لا يكون مجرد تخرص وظن؛ فالله –سبحانه وتعالى– يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ﴾ [الحجرات: ١٢] وقال تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء: ٣٦] فلابد من مراعاة هذا الجانب ألا يحكم إلا بعلم وعدل.

الأمر الثاني: ألا يكون هذا الاشتغال بهذه المسألة على حسب ما هو أنفع وأحوج ألا وهو نشر السنة، يعني تبليغ دين الله ونشر السنة هو أعظم وسيلة في مواجهة هذه البدع ومحاربتها، فلنحرص على أن ندعو إلى دين الله وندعو إلى الإسلام والسنة حسب الوسع والاستطاعة فنقول: يراعى هذا الجانب أنه لا يحكم على الشخص إلا بعلم وعدل، والأمر الثاني ألا وهو كما أشرنا، وينبغي أن نؤكد عليه ألا وهو أن نحرص على نشر السنة، نشر السنة هو الأجدى وهو الأنفع وهو أعظم وسيلة في محاربة البدع والقضاء عليها.

يقول: بالنسبة لتسمية الإنسان نفسه أنه سلفي هل يصح ذلك مع أن بعض الناس يقول: إذا قلت مسلم يدخل معك الرافضة ويدخل معك كذا وكذا، وإذا قلت مسلم سني قد يدخل معك الصوفية فلابد أن تقيد مسلم سني سلفي هذه التسمية صحيحة؟ وهل يصح سند الحديث الذي ذكر الآن (ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين...) ما صحة السند هذا؟.

المسألة الأولى: أنا أؤكد وأذكر نفسي وأذكر الإخوة الكرام ومن يشاهد هذه الحلقة أن نُعنى أيها الأحبة بالحقائق، يعني لا تُشغلنا الألقاب والشعارات عن الحقائق، فالعبرة أيها الإخوة بالحقائق، فالشخص إذا التزم بسنة النبي –عليه الصلاة والسلام– والتزم بدين الله وحرص على ذلك فهذا هو النجاة، سمي مسلمًا سنيًا سلفيًا لا تشغلنا هذه عن ما هو أنفع وأفقه، هذا أمر.

الأمر الآخر: أنه أحيانًا هذه المصطلحات يُساء فهمها من جهة التعصب أحيانًا، التعصب، يعني إذا استخدمت على التعصيب هذا مذموم، حتى لو كان هذا الاسم شرعيًا، وإذا كان في غزوة المريسيع لما حصل النزاع فقال أحدهم: يا للأنصار، والآخر قال: يا للمهاجرين، وأنت تعرف والجميع يعرف أن اسم المهاجرين والأنصار اسم شرعي أليس كذلك؟ لكن لما جاء على سبيل الحمية قال –عليه الصلاة والسلام–: (أبدعوة الجاهلية؟) فجعله –صلى الله عليه وسلم– من باب دعوة الجاهلية مع أنه اسم شرعي؛ لأنه استخدم في غير موضعه، فلا يكون أحيانًا مجرد أننا نشغل أنفسنا كما لو كانت شعارات وكما لو كانت شارات يضيفها الإنسان إلى نفسه نعم نحن نقول كما قال سلفنا الأوائل: نحرص على الإسلام والسنة، وكثيرًا ما كان السلف يؤكدون على هذا المعنى: الإسلام والسنة، الإسلام كما مر بنا الذين هم أهل القبلة، والسنة الذين هم أصحاب الإتباع، قيل عنهم السلف الصالح، قيل أهل الأثر الأحاديث، كلها أسماء ومعانيها متقاربة، فالقصد أنه لا تشغلنا المصطلحات لو جاءك مبتدع، وقال لك: أنا سلفي ماذا تفعل؟ تحتاج أنك تحضر لك مصطلح جديد، ونشغل أنفسنا بالمصطلحات، فالعبرة بالحقائق، وسلفنا

الصالح اتهموا بأنواع من التهم، يعني الإمام أحمد وهو في حياته قيل عنه: خارجي، وهل صار خارجيًا؟ طبعًا لا..، القدرية يتهمون أهل السنة بأنهم جبرية، والروافض يتهمون أهل السنة أنهم عامة، وأنهم نواصب، فالعبرة بالحقائق، العبرة يا إخوان بالحقائق، لا تشغلنا المصطلحات عن الحقائق، هذا الذي يمكن أن يقال في هذه العجالة.

أما الحديث فالحديث ثابت حديث الافتراق حديث ثابت عنه -عليه الصلاة والسلام- وصححه جمع من أهل العلم، ولو رجعتم إلى كلام الشاطبي -رحمه الله- في هذا الباب، والذين اعتنوا به كالصنعاني الذي له رسالة في حديث الافتراق أو من جمعهم من المعاصرين كالشيخ سلمان العودة في كتابه "صفة الغرباء والعزلة والخلطة" هؤلاء جمعوا طرق هذه الأحاديث، وهي طرق تثبت أن هذا الحديث ثابت عنه -عليه الصلاة والسلام-، فلا مجال للطعن في هذا الحديث أو التشكيك فيه -عليه الصلاة والسلام-.

يقول: هل يكون واليًا شرعيًا من استطاع تحكيم الشرع ورفضه. يعني رفض الشرع من نفسه، ما هو مجبور أو مكره على الأمر هذا هل يعتبر والي شرعي؟.

المتعين على من كان ولاية شرعية المتعين عليه: أن يحكم بشرع الله، وإلا أنه سبق أن قلنا: أصحاب الولايات سواءً كان الإمام الأعظم أو من دونه إنما نُصِّبَ من أجل أن يقيم دين الله من أجل أن يحكم بشرع الله -سبحانه وتعالى-، فكون الشخص يعرض عن شرع الله ولا يحكم شرع الله فهذا الإعراض واضح، قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤].

أما الأعيان والأشخاص بأعيانهم فكما مر بنا في موضوع التكفير أن الشخص المعين لا يحكم عليه إلا باجتماع الشروط وانتفاء الموانع، يعني الشخص إذا تلبس بالكفر ونوع من أنواع الكفر المخرج من الملة فالمعين لا يُكَفَّر إلا بهذا القيد إلا باجتماع الشروط وانتفاء الموانع، وهو ما يسميه أهل العلم قيام الحجة والله أعلم.

يقول: العقيدة غالية على المسلم وقد ذكر الإمام محمد عبد الوهاب -رحمه الله- نواقض الإسلام العشرة، يا شيخ الآن انتشر وعم وطم والقنوات الفضائية هذه -الله يهديهم- يعني الآن يبثون السموم، وكثير من الناس تعرف الآن هذا الزمان قليل العلم يا شيخ، فبعض الناس عنده هذه القنوات الفضائية السحرية، وإذا قلنا له: لا يجوز، قال: أنا فقط أنظر فضولية، فهل يجوز النظر بشكل عام ويعتبر داخل في الإثم، وأنه كمن سأل أو كمن صدق؟ وهكذا من أراد أن ينظر طالب العلم ليوصل الحقيقة لولي الأمر أو للعلماء فما حكم هاتين المسألتين؟.

نحن كنا نؤكد على الإخوة بودنا أن تكون الأسئلة دائمًا في موضوع الدرس لكن على كلٍ ما دام أن الأخ الكريم يرى أن هذه قضية ملحة فالذي يمكن أن يقال في هذه العجالة: ما ذكره الأخ نعم هو واقع مؤلم وموجع من جهة انتشار السحرة وزاد الأمر سوءًا لما ظهرت هذه الفضائيات والقنوات التي تختص بالسحر والشعوذة والدجل، والذي يمكن أن يقال في هذا المقام أن السحر من نواقض الإسلام والسحر يجمع جملة من الأمور التي تخرج العبد من دين الله وتجعله منسلخًا من دين الإسلام نحن نذكر هذه الأمور حتى يأخذ الإخوة الذين يشاهدون هذه الحلقة يأخذون هذه الأمور بجد وحزم وأن يسعوا إلى استصلاح أحوال مجتمعاتهم وبيوتهم، فالسحر لا ينفك عن اعتقاد النفع والضر في غير الله، هذا أولًا.

ثانيًا: السحر لا يخلو من شرك في توحيد العبادة من جهة الاستغاثة بغير الله، ومن جهة الذبح لغير الله.

الأمر الثالث: السحر لا يخلو من دعوة علم الغيب. فهم يدعون علم الأمور الغيبية، الساحر يدعي ذلك أو الكاهن أو العراف ونحوهم من هؤلاء الدجالين الأفاكين.

والأمر الرابع الذي نختم به: وهو أن السحر لا ينفك في بعض الأحوال من ارتكاب أعمال كفرية في غاية الكفر والانسلاخ من إهانة المصحف والسجود لغير الله، فكيف إذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة فالأمر أشد، فهذا أمر.

فهنا نحذر كل مسلم ومسلمة من مشاهدة هذه الفضائيات التي تعرض للسحر وهذه الكهانة، ولو كان على سبيل الفرجة كما يقول البعض: من باب الفرجة فهذا محرم، وقد أفتى جملة من العلماء في هذا البلد بتحريم ذلك، ولو كان لمجرد النظر والفرجة، بعض الناس من باب حب الفضول ومن باب كذا فيمنع ذلك، والنظر إلى هؤلاء قد يكون ذريعة إلى تصديقهم، قد يكون ذلك ذريعة إلى تصديقهم، وإذا كان النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: (من أتى كاهنًا أو عرافًا فسأله لم تقبل له صلاة أربعين يومً) أخرجه مسلم، فهذه مدعاة إلى أنه يصدقهم وينسلخ من الإسلام فيؤخذ الأمر بعين الحزم والجد فلا ينظر إلى هذه القنوات ويحذر منها ويبين أن هؤلاء هم في غاية الإفك وأنهم كذابون أفاكون، لو وجدوا عند الناس دينًا أو وجدوا عند الناس عقلًا لما انتشر دجلهم، لكن للأسف أن كثير أو أن عددًا غير قليل من المسلمين قل دينهم، ورق إيمانهم للأسف وأيضًا البعض أحيانًا حتى جانب العقل، كيف تصدق هذا الأفاك الدجال الذي مجرد أنه يكذب كما أخبر –عليه الصلاة والسلام–: يكذبون مائة كذبة ويصدون مرة واحدة، تنخدعون بهذه المرة الواحدة ولا ترتدعون ولا تنزجرون بهذه الكذبات المائة؟!!

وأمر أخير: ما ذكره السائل في قضية أنه لو نظر إلى ذلك طالب العلم فإن كان هذا طالب العلم صاحب علم ورسوخ في العلم ويريد من ذلك أن يقيم الحجة عليهم أو ينقل ذلك إلى من هو أعلم منه وعنده رسوخ في العلم فله ذلك والنبي –عليه الصلاة والسلام– لما لقي ابن صياد وهو أحد الكهان قال له –عليه الصلاة والسلام–: (اخسأ فلن تعدو قدرك) والله أعلم.

أسئلة الحلقة.

السؤال الأول : لم جَوَّزَ أهل السنة الصلاة خلف كل بر وفاجر؟

السؤال الثاني : لم لا نشهد على معين من أهل القبلة بجنة أو نار؟

الدرس السادس عشر

من قوله : «ونحب أهل العدل...»

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- أما بعد:

أسئلة الحلقة الماضية.

كان السؤال الأول: لم جوز أهل السنة والجماعة الصلاة خلف كل بر وفاجر؟

وكانت الإجابة: جوز أهل السنة والجماعة الصلاة خلف كل بر وفاجر؛ لأن المسلم بني أمرين إما أن يترك الجمعة والجماعة؛ لأجل عدم الصلاة وراء هذا الفاجر، وإما أن يصلي وراء كل بر وفاجر، ولاشك أن ترك الجماعة والجمعة أكثر وأعظم خطرًا من الصلاة وراء الفاجر والفاسق.

نعم.. إجابة الأخ صحيحة وإجابة موفقة.

السؤال الثاني: لم لا نشهد على معين من أهل القبلة بجنة أو نار؟

وكانت الإجابة: لأن حقائق الأمور وما في قلوب العباد لا يعلمه إلا الله -جل وعلا- قال تعالى: ﴿ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ [هود: ٣١]، ومن أهل السنة من قال: لا نشهد إلا للأنبياء، ومنهم من قال: نشهد لمن شهد له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كالصحابة العشرة -رضي الله عنهم- ومنهم من قال أيضًا: نشهد لمن شهد له الناس بالثناء الحسن أو بالثناء السيئ.

إجابة الأخ الكريم إجابة صحيحة ونشكره على حرصه.

يقول: من يشهد له الناس بالخير أو بفعل الخير والطاعة والتقرب إلى الله -جل وعلا- ألا يتعارض مع وجوب أن تكون الأعمال خالصة لوجه الله -تعالى- والبعد عن الرياء في التقرب إلى الله جل وعلا؟.

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، يبدو لي والله أعلم ما فيه تعارض، فالعبد إذا عمل العمل يبتغي بذلك وجه الله ويبتغي بذلك ما عند الله، فمن آثاره الحسنة ومن آثار العمل الصالح أن الله -تعالى- يجعل له القبول، ويجعل له الثناء الحسن ونحن أهل السنة والجماعة في هذا الباب -باب الإخلاص- وسط بين المرائين الذين يعملون العمل من أجل الناس ومن أجل مدح الناس وثنائهم، وبين من يقابل ذلك وهم طائفة يقال لها طائفة الملامية الذين يبحثون عن لوم الناس، فالمرائي يبحث عن مدح الناس، والملامية وهم طائفة من الصوفية كانوا يبحثون عن لوم الناس وذمهم، فالمسلك العدل في هذا أن العبد يعمل صالحًا يبتغي بذلك وجه الله، لا يبتغي بذلك مدح الناس، وأيضًا لا يقصد ذم الناس ولومهم، فالعبد المسلم يصلي الصلوات الخمس فيشهد له بالخير والصلاح، وإبراهيم -عليه السلام- كان من دعائه أنه كان يقول: ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٨٤] فالمقصود أن العبد إذا فعل الحسنة فإن الله -تعالى- يجعل له القبول والثناء الحسن ولا يضره ذلك ما دام أن هذا العمل أداه ابتغاء وجه الله -سبحانه وتعالى- وقد سئل النبي -عليه الصلاة والسلام- فقيل له: الرجل يعمل الخير ويحمده الناس؟ فقال -عليه الصلاة والسلام-: (تلك عاجل بشرى المؤمن) والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة).

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، هذه العبارة التي حررها الإمام الطحاوي -رحمه الله- لما قال: (ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة) هذه مسألة تتعلق بالحب في الله والبغض في الله، وما يتفرع عنهما من الولاء والبراء، وهذا الموضوع من الأهمية بمكان، ونوجز الكلام عنه على النحو التالي:

فنقول مستعينين بالله -سبحانه وتعالى- وحده: أولًا -أيها الإخوة ومن يشاهدوا هذه الحلقة-:

المسألة الأولى: إن الله -سبحانه وتعالى- هو المعبود، وهو -سبحانه وتعالى- هو المعبود وحده لا شريك له، وحقيقة التوحيد تقتضي إخلاص جميع العبادات لله -سبحانه وتعالى- وحده، وكل عبادة يجب أن تُصرف لله -تعالى- وحده لا شريك له، وأجَلّ العبادات القلبية، وآكدها وأعظمها عبادة الحب، والله -سبحانه وتعالى- هو المألوه أي: المعبود المحبوب -سبحانه وتعالى-، فيجب على كل مسلم ومسلمة أن يكون قلبه عامرًا بمحبة الله -سبحانه وتعالى- هذه المحبة التي يقترن بها الإجلال والخشية والتعظيم لله -سبحانه وتعالى- إذا تقرر أن الله -تعالى- هو المعبود وحده لا شريك له، فهذا يوجب أن نحب ما يحبه الله، فحب الله -تعالى- هو الأصل، هو رأس الأمر؛ ولهذا العبادات القلبية تدور على ثلاث عبادات: الحب والخوف والرجاء، وآكد هذه الأمور الثلاثة: الحب الذي هو من منزلة الرأس من الجسد، فهذا الحب إذا أحببنا الله -سبحانه وتعالى- فإن هذا يوجب أن نحب ما يحبه الله -سبحانه وتعالى- من الأعمال والأشخاص، فنحب الصلاة ونحب الطاعة ونحب الخير ونحب العفاف، وفي نفس الوقت أيضًا نبغض الكفر والفسق والفجور والعصيان والظلم والطغيان والاستبداد، وأيضًا نحب ما يحبه الله من الأشخاص فنحب المتقين ونحب المحسنين والصالحين والشهداء ونبغض الكفار والمشركين والفجار ونحو ذلك.

فإذن ينبغي أن تكون المسألة واضحة، ويتضح لكم أن ثمة صلة واضحة وبينة جلية بين توحيد العبادة وبين مسألة الحب في الله والبغض في الله، فالحب في الله والبغض في الله متفرع عن حب الله -سبحانه وتعالى- وللأسف أن البعض أحيانًا عندما يتحدث عن موضوع الحب في الله والبغض في الله يتحدث عنه دون أن يربطه أو أن يجعله وثيق الصلة بأصل هذا الدين وهو عبادة الله -تعالى- وحده لا شريك له، ومحبته -عز وجل-.

المقصود: أن الحب في الله والبغض في الله الذي يشير إليه الإمام الطحاوي -رحمه الله- هو متفرع عن حب الله -سبحانه وتعالى-، إذا تقرر ذلك فاعلم أن الشخص كلما زاد عبادة لله وزاد حبًا لله كلما زاد تحقيقًا لهذا الأصل الذي هو الحب في الله والبغض في الله، وانظروا إلى أعظم الناس عبادة هم الخليلان: إبراهيم -عليه السلام- ونبينا محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-، فهذان الخليلان وأكرمهما -كما لا يخفى- محمد -صلى الله عليه وسلم- هما أكمل الناس عبادة، وأتم الناس تعلقًا بالله -سبحانه وتعالى- ولهذا حققا هذا الأصل على أكمل وجه وأتم حال، فقال الله -سبحانه وتعالى- في حق إبراهيم الخليل -عليه السلام- قال -عز وجل-: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، ونبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- جاء وصفه في قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩] فينبغي التنبه لهذا الأمر.

الأمر الثاني في هذا الموضوع: إذن تقرر عندنا أن حب الله -تعالى- هو الأصل ويتفرع عنه الحب في الله والبغض في الله، هذه المسألة الأولى.

المسألة الثانية أيها الإخوة الكرام: أن الحب في الله والبغض في الله هذا الحب والبغض هما عملان قلبيان، هما أمور باطنة، أمور وجدانية، أمور قلبية، لكن هذا الحب لابد أن يظهر على الجوارح، وهذا البغض لابد أن يظهر أيضًا على الجوارح، والحب هنا لازمه الولاء، والبغض لازمه البراء، فإذا العبد حب أهل الإيمان، هذا

الحب القلبي الوجداني لابد أن يظهر على الجوارح، فإذا قلت لي: أنا أحب المؤمنين، هذه المحبة القلبية لابد أن تظهر على الجوارح، هذا الحب يتعلق بالباطن بالقلب، لابد أن يظهر على الجوارح، لابد أن يكون بينًا على الظاهر، فيظهر من خلال الأمور التي أمر بها الشارع من جهة مثلًا إفشاء السلام، من جهة عيادة المريض، من جهة نصرة المسلمين، سواءً كانوا مظلومين أو ظالمين، ظالمين بمعنى أن يردوا عن ظلمهم كما بين ذلك النبي -عليه الصلاة والسلام- من جهة الدعاء لهم من جهة الذب عنهم، ونحو ذلك من الحقوق الإيمانية وحقوق الإخوة الإسلامية.

أيضًا كذلك لما نأتي موضوع الكفار نحن نقول: نبغضهم؛ لأن الله -تعالى- أمرنا ببغضهم هذا البغض ينبغي أن يكون ظاهرًا على الجوارح من جهة ألا نتشبه بهم، من جهة أن نفارق ديارهم، من جهة جهادهم في سبيل الله إذا تيسر ذلك، هذه كلها أمور عملية هي نعتبرها من لوازم هذا البغض الذي محله القلب، وهذا الكلام -أيها الإخوة الكرام ومن يشاهدوا هذه الحلقة- هذا الكلام يتسق مع قواعد أهل السنة وعقائدهم، فكما مر بنا في موضوع الإيمان أن الإيمان له باطن وله ظاهر أليس كذلك؟ فهذا الباطن الذي هو الحب والبغض لابد أن يكون ظاهرًا على الجوارح، هذا أمر ينبغي أن نؤكد عليه.

المسألة الثالثة: كما قلنا أيها الإخوة في الإيمان أنه يتبعض، ويمكن أن يجتمع في الشخص إيمان ومعصية، أو إيمان وكفر، بمعنى أنه عنده شيء من المعاصي التي هي من شعب الكفر الذي لا يخرج من الملة، فكما يجتمع في الشخص طاعة ومعصية وإيمان وكفر فكذا أيضًا يجتمع في الشخص الواحد موجب الحب وموجب البغض، بمعنى أن هذا الشخص يكون فيه السبب لمحبته أو فيه أسباب توجب محبته دينًا، وأيضًا توجد فيه أسباب أو سبب يوجب بغضه دينًا، ومن ذلك مثلًا كما هو حال الكثير منا والكثير من المسلمين ممن خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا فهؤلاء نحبهم ونواليهم على قدر طاعتهم، وعلى قدر استقامتهم، وفي نفس الوقت أيضًا نبغضهم ونعاديهم على قدر معصيتهم وعلى قدر فجورهم، وهذا أمر لا إشكال فيه، والنبي -عليه الصلاة والسلام- أعطى لنا الأسوة في ذلك والقدوة -عليه الصلاة والسلام- فعبد الله الذي كان يشرب الخمر في عهد النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يُجلد في عهد النبي -عليه الصلاة والسلام- فلما قال بعضهم: (لعنه الله ما أكثر ما يُؤتى به؟ قال -عليه الصلاة والسلام-: لا تلعنه، أما علمت أنه يحب الله ورسوله) فهذا الرجل اجتمع فيه موجب الولاية وموجب العداوة، موجب الحب وموجب البغض، موجب الحب أنه مسلم، والنبي -صلى الله عليه وسلم- ذب عنه، وفي بعض الأحاديث قال لما قال بعضهم: (أخذاه الله) قال -عليه الصلاة والسلام-: (لا تعينوا الشيطان على أخيكم) هكذا قال -عليه الصلاة والسلام-، هذا مقتضى الحب، ومقتضى البغض أنه -عليه الصلاة والسلام- أقام عليه حد الجلد؛ لأنه شرب الخمر، فهذه قضية ينبغي أن تكون واضحة عندنا وبينة أنه يجتمع في الشخص موجب الحب وموجب البغض.

يقول: الكثير من المسلمين ابتلي بالمعاصي والذنوب الظاهرة والباطنة، لكن البغض هل هو بغض لذات الشخص أم لما التبس به من معاصي؟.

لا.. هو الكلام عن البغض والحب -أيها الإخوة- نحن نبغض هذا الشخص ونعاديه؛ لأنه تلبس بهذه المعصية، البعض يقول لك: نحن نبغض المعصية فقط، هذه المعصية سواءً كانت معصية من كبائر الذنوب أو كانت أشد من ذلك كالشرك بالله -سبحانه وتعالى- كما هو عند الكفار والمرتدين هذه المعصية قامت بهذا الشخص، فنحن نبغض هذا الشخص؛ لأنه تلبس بالمعصية، وإذا أخذنا مثلًا: عندنا أعظم المعاصي -كما لا يخفى عليكم- الشرك بالله -سبحانه وتعالى-، فنحن مثلًا لما نبغض النصارى ونبغض اليهود يجب أن تكون المسألة واضحة عندنا أن هذا البغض هو دين، دين وقربة، وليس مزاجًا ولا هوًى ولا مسألة يعني نوع من الهوى لا.. هذا دين، نحن نبغض النصارى؛ لأن الله أمرنا بذلك.

نتعبد به.

أي نعم، الله -تعالى- قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ﴾ [المائدة: ٥١] فالنصارى مثلًا سبوا الله -سبحانه وتعالى- ولهذا جاء عن عمر -رضي الله عنه- وجاء أيضًا عن معاذ بن جبل أنه قال: (أهينوهم ولا تظلموهم، فإنهم سبوا الله -تعالى- أعظم سبة، وأي مسبة أعظم أنهم زعموا أن لله ولدً)، هذا السب الشنيع والطعن في ربنا -سبحانه وتعالى- يوجب أن نبغضهم، ونحن عندما نبغضهم؛ لأن الله أمرنا بذلك، كما سمعنا الآية الكريمة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ﴾ فالمقصود أنه يتنبه لهذه المسألة، وسؤالك ذكرني بأمر مهم ينبغي أن نشير إليه: أن الحب والبغض -أيها الإخوة الكرام- أنه أمر فطري، كل إنسان تجد عنده مشاعر الحب والبغض، لا تكاد تجد شخص إلا وعنده حب وبغض، أو بعبارة أخرى: لا تكاد تجد شخص إلا عنده ولاء وبراء، لكن الله -سبحانه وتعالى- أكرمنا بهذا الدين الذي ضبط مشاعر الحب وضبط هذا الولاء فنحن في باب الحب نحب الله -سبحانه وتعالى- ونحب الرسول -عليه الصلاة والسلام- ونحب المؤمنين، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ ﴾ [المائدة: ٥٥]. القصد: أن هذا أمر فطري، فالحب ينبغي أن يضبط هذا الضابط الشرعي الذي سمعناه.

إذن نخلص من هذا أننا عندما نبغض أهل المعاصي أو أهل الكفر نبغضهم لأشخاصهم؛ لأنهم تلبسوا بهذه المعصية، لا نريد أن نفعل كما البعض يورد هذه المجرات، يقول: لا نحن نبغض المعصية، لكن لا نبغض صاحبها، لا.. هذا ليس الأمر كذلك، نحن نبغض هذا الشخص؛ لأنه تلبس بمعصية، نبغض هذا الشخص؛ لأنه تلبس ببدعة، نبغضه؛ لأنه تلبس بالكفر، وهذا البغض على حسب هذا الذنب، إن كان شركًا فذنبه أعظم من البدعة التي ليست مكفرة وصاحب البدعة ذنبه أعظم من مطلق المعاصي والله أعلم.

يقول: بالنسبة للحب، هذا للمؤمنين الذين يعملون عملًا صالحًا وآخر سيئًا تحبهم على حسب عملهم، أما إذا كان هناك كافر يعمل دائم عمل ترضاه أنت يعني عمل جيد فهل تظهر له محبة ما؟ وهل إذا أظهرت له يعتبر ذلك نفاقًا؟.

الذي نفهمه من كلام أهل العلم: أننا نحب أهل الإسلام وإن أساؤوا إلينا، نحن نحب المسلمين لماذا؟ نحب أهل السلف لماذا؟ لأنهم من أهل الإسلام، فأهل الإسلام نحبهم وإن أساؤوا والكفار نبغضهم وإن أحسنوا إلينا، لماذا نبغض الكفار؟ نبغضهم لأنهم تلبسوا بالكفر الذي هو أعظم ذنب، لكن هذا البغض لا يعني عدم العدل معهم، لا يعني عدم الإنصاف، فالعدل لابد منه، العدل واجب من كل أحد لكل أحد في كل حال، فهذا الكافر يجب أن نعدل معه، والله تعالى قال: ﴿ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا ﴾ [المائدة: ٨]، والقضية -يا إخوان- ما هي كما يقول البعض: أن هذه معادلة صعبة، لا.. أبدًا؛ ولهذا نحن لو جئنا مثلًا في المدينة في عهد النبي -عليه الصلاة والسلام- كان فيها يهود كما لا يخفى، ومع ذلك نجد أن النبي -عليه الصلاة والسلام- وصحبه الكرام قد حققوا هذا الأصل على أكمل وجه الذي هو البغض والبراءة للمشركين، ومع ذلك هناك معاملات، هناك بيع وشراء، هناك تعامل بالقسط والبر، وهذا واضح، لما يأتي عبد الله بن رواحة الذي كان يتعامل مع بعض اليهود في المدينة ويقول لهم بكل وضوح يقول لليهود يقول: والله إني لأبغضكم؛ ولكن لا يجملني هذا البغض على أن لا أعدل معكم، فهو يبغضهم ومع ذلك هذا البغض لا يحمله على أن يظلمهم، فاليهود لما سمعوا هذه المقالة، قالوا: بالعدل قامت السماوات والأرض، ومقالة عمر مرت بنا لما قال: «أهينوهم ولا تظلموهم» فينبغي أن نحرر هذه الأمور، وممن حرر هذه المسألة وبين الفرق بين البغض والبر والمعاملة بالعدل والقسط القرافي -رحمه الله- في كتاب "الفروق" فبغض الكفار شيء، والتعامل معهم بالعدل شيء آخر، وهذا واضح أنت الآن حتى الآن تجد بين بعض المسلمين أحيانًا خلافات وعداوات لكن هذه العداوات لا تجعل الإنسان يظلمهم، فالقصد أن العدل يجب أن يكون متحققًا مع الجميع، والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (ونقول: الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه).

هنا في قوله –رحمه الله–: (ونقول: الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه) نعم ما يجهله العبد عليه أن يكف عنه، وأن لا يقول على الله بلا علم، وقال –عز وجل– في هذا المقام: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقال –سبحانه وتعالى–: ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء: ٣٦] فالواجب علينا –أيها الإخوة الكرام– أن نروض أنفسنا، الشيء الذي لا نعلمه نقول: ما ندري، يقول الواحد: الله أعلم، لا أعرف، فهذا لا شك أن هذا هو مسلك الراسخين في العلم، وقد مر بنا من قبل عبارة الإمام الطحاوي لما قال: (فإنه ما سَلِمَ في دينه إلا من سَلَّمَ لله –تعالى– وسلم لرسوله –صلى الله عليه وسلم– ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه) فما قد يشتبه نرده إلى عالمه والصحابة –رضي الله عنهم– كان هذا حالهم كما ذكر ذلك الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، فابن مسعود –رضي الله عنه– يقول: «من كان مستنًا فليستن بمن مات» يعني من كان مقتديًا ثم قال –رضي الله عنه– قال: «أولئك أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم قدرهم فإنهم على الصراط المستقيم».

تأملوا أيها الإخوة الكرام هؤلاء الصحب الكرام –رضي الله عنهم– وصفوا بهذه الصفات: أنهم أبر هذه الأمة قلوبًا، إشارة إلى ما قام في قلوبهم من الإخلاص لله –سبحانه وتعالى– وسلامة القصد ثم قال: «أعمقها علمًا» إشارة إلى ما عندهم من اليقين والرسوخ، ثم مع هذا العلم والرسوخ هم أقل الناس تكلفًا، لا يتكلفون الشيء الذي لا يعرفونه، لا يتكلفون؛ ولهذا الشارح ذكر مثلًا مقالة الصديق –رضي الله عنه– وغيره من الصحابة الأجلاء الذين كانوا إذا مرت بهم مسألة لا يعرفونها توقفوا، مثل ما جاء عن الصديق –رضي الله عنه– لما قال: «أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم» فهذا أمر ينبغي أن نتنبه له ونوطن أنفسنا على أن الإنسان إذا ما عرف شيء يقول لا أدري، ولا يتردد في ذلك، والله المستعان.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر).

هذه المسألة لما يقول –رحمه الله–: (ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر) قد مر بنا بالأمس –أيها الإخوة– أنا نجد في متون الاعتقاد جملة من مسائل الفروع، ومنها هذه المسألة، مر بنا بالأمس مسألة الصلاة خلف كل بر وفاجر، وهذه هي المسألة الثانية من مسائل الفقه أو من مسائل الفروع التي نجدها موجودة في متون الاعتقاد، وهي مسألة المسح على الخفين، وموجب إيراد هذه المسألة الفقهية الفرعية في كتب الاعتقاد أو في متون الاعتقاد ما سمعناه بالأمس وهو أن هذه المسألة التي بين أيدينا مسألة المسح على الخفين هو أن الرافضة نجد أنهم تركوا المسح على الخفين، وصار شعارًا لهم، صار شعارًا للرافضة، وهو ترك المسح على الخفين، فأهل السنة جانبوا ذلك؛ ولهذا نجد أن الأئمة الكبار كسفيان الثوري يقررون هذه المسألة، سفيان الثوري له عقيدة نقلها اللالكائي في كتابه "أصول أهل السنة" فمما قرره الإمام سفيان الثوري في عقيدته هذه المسألة، مسألة المسح على الخفين وعلى كلٍ نجد أن جملة من متون الاعتقاد تُضمَّن فيها تلك المسألة، مسألة المسح على الخفين وأحاديث المسح على الخفين هي أحاديث متواترة عن رسول الله –عليه الصلاة والسلام– يجب علينا أن نأخذ بها ولا يُعتد بالرافضة ولا بخلافهم.

المقصود: أن هذه المسألة خالف فيها الروافض، وأيضًا قال الإمام أحمد خالف فيها أيضًا الإباضية من الخوارج، فالذين خالفوا في هذه المسألة الروافض والإباضية من الخوارج، والأحاديث في هذا متواترة عنه –عليه الصلاة والسلام–.

أشار الشارح بعدها إلى مسألة أخرى -الشارخ ابن أبي العز- حتى لا يقع خلط وهي مسألة المسح على الرجلين، الرافضة تركوا المسح على الخفين مع أن الأحاديث متواترة، فيشرع المسح على الخفين، وكما لا يخفى: وما يلحق بذلك من الجوارب.

عندنا مسألة أخرى أشار لها الشارح، فقد يحصل أحيانًا الخلط بين المسألتين، وهي مسألة المسح على الرجلين، فبين -رحمه الله- كما بين ذلك العلماء: أنه يتعين غسل الرجلين، هذه مسألة غير مسألة المسح على الخفين، فأنت الآن عندما تتوضأ الآن فيتعين عليك أن تغسل رجلين هذا واضح المسألة واضحة في هذا، الروافض هنا أيضًا حصل عندهم الزيغ والانحراف فهم لا يرون غسل الرجلين، وإنما يرون أن تمسح رجليك فقط، فخالفوا هنا وهناك، والمتعين هو أن تغسل الرجلين كما جاءت بذلك السنة عنه -عليه الصلاة والسلام- والسنة أيضًا في هذا متواترة، فالمقصود أن الرافضة خالفوا في هاتين المسألتين: مسألة المسح على الخفين فلم يلتفتوا إلى الأحاديث التي تقرر ذلك، ثم لما يأتي مثلًا قضية كيفية أو صفة الوضوء نجد أنهم يمسحون على الرجلين ولا يغسلون الرجلين، وهذا خلاف سنة النبي -عليه الصلاة والسلام-.

يقول: لما ذكرت يا شيخ عمل الرافضة بأنهم يمسحون الرجلين عندما يتوضئون، ما هو حكم وضوءهم؟.

الوضوء هذا باطل، يعني الرافضة هي مشكلتهم الآن غسل الرجلين؟!! هم دينهم منتقض من أصله أليس كذلك؟ الروافض عندهم من نواقض الإسلام ما لا يحصى في الواقع، فالمسألة ما هي غسل الرجلين عند القوم، وكما يمكن أشرنا أو نشير الآن أن كثير من مسائل الفروع التي تذكر في كتب الاعتقاد نجد أن الروافض هم الذين يخالفون فيها، يبدو أن فيه تلازم أن الشخص كلما زاد ضلالًا في الأصول والاعتقاد كلما زاد انحرافًا في مسائل الفروع؛ ولهذا مثلًا لاحظ هذه المسألة خالفوا فيها مسألة الجهاد مع كل إمام بر أو فاجر مسألة صلاة التراويح، فنجد بعض متون الاعتقاد يقول لك: وصلاة التراويح سنة؛ لأن الروافض يرون أنها بدعة، باعتبار أنهم يقولون أن صلاة التراويح أحدثها عمر -رضي الله عن عمر- مع أن صلاة التراويح أداها النبي -عليه الصلاة والسلام- كما لا يخفى، فالمقصود أن ضلالهم لا حد له، فالمسألة ما هي واقفة على غسل الرجلين والله المستعان، وإلا لا شك أن أقول أن هذا وضوء باطل؛ ولهذا العلماء لما يقولون: ومن يرى مسح الرجلين فهو مبتدع، وعندما يذكرون الرافضة يقولون: هذا خلافهم لا يُعتد به، والله المستعان.

يقول: الآن إذا قلنا ببطلان وضوء الرافضة هل نحكم بكفرهم؟.

لا.. هي ما مسألة نحن مترددين في المسألة هذه في قضية الوضوء، يعني أنا قلت قبل قليل: أن القوم عندهم من نواقض الإسلام ما هو أعظم وما هو أشد وأشنع، القوم يضللون جمهور الصحابة، الصحابة الأجلاء الذين هم خير القرون بعد الأنبياء نجد أن الرافضة يكفرونهم، هذه المسألة تكفي في إخراجهم عن الملة، فكيف إذا انضم إلى ذلك الأمر الثاني هو القول بتحريف القرآن؟!! فيكف إذا انضم إلى ذلك الأمر الثالث وهو: أنهم غلوا في أئمتهم فاستغاثوا بهم وذبحوا لهم وحجوا إلى قبورهم بل فضلوا الحج إلى قبور الأئمة على الحج إلى بيت الله الحرام وطافوا حول قبور أئمتهم واستلموها كما يستلم الركن اليماني أو الحجر الأسود، إضافة إلى العقائد الأخرى التي لا حد لها في ضلالهم كعقيدة الرجعة، عقيدة البداء، عقيدة الطينة، هذه العقائد نجد أنها عندهم جملة هذه العقائد فيها من الانسلاخ عن الملة والخروج عنه ما لا يحصى؛ ولهذا نجد أن جملة من العلماء المحققين في القديم والحديث لا يترددون في بيان كفر هذا المذهب، كفر مذهب الرافضة، وهذا أمر واضح يعني لو جئت كلام العلماء السابقين واللاحقين يقررون هذا الأمر، كلام الأئمة الكبار مثل البخاري، البخاري يقول: «ما أبالي صليت خلف يهودي أو نصراني أو خلف جهمي أو رافضي» هكذا يقول الإمام البخاري، وفي ذلك الوقت يبدو أن كثير من ضلال الرافضة لم يخرج بعد، وإذا جئت مثلًا للعلماء الذين عاشروا الروافض مثل محمد بن علي الشوكاني يعني الشوكاني يتعجب من الذين لا يكفرون الرافضة، يقول: هؤلاء عاندوا الله -سبحانه وتعالى-، وعاندوا

الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وعاندوا شرائع الإسلام، وطعنوا في الصحابة، فالمقصود الكلام في هذا يطول، وأنا أنصح دائمًا الإخوة والباحثين بأن يستفيدوا بما كتبه الدكتور ناصر الجفاري في رسالته القيمة "أصول الشيعة الاثني عشر" فقد عقد فصلًا مستقلًا في الحكم على الرافضة وتتبع أقوال العلماء الذين حكموا على الرافضة من خلال الكتب المطبوعة والمخطوطة.

تقول: بالنسبة لحديث الرسول -صلى الله عليه وسلم-: (أنتم شهداء الله في أرضه) إذا كان الشخص هذا له أعمال مخلصة لله في الخفاء، يعني هو يحب أن تكون في الخفاء ليعظم أجره، لا يظهر منها شيئًا إلا مصادفة، يعني سبحان الله يوجد ناس حاقدين على هذا الشخص لكرهه لهم، يعني هم يكرهوه، فإذا توفي هذا الشخص بدءوا بالكلام عليه لبث حقدهم وحسدهم وكرههم له، فكيف يكون مصير هذا الشخص؟.

يقول: سؤال حول المحبة: يعني إذا كان للشخص مثلًا هناك شخص كافر وكان له يد على مسلم فلا شعوري تجد أن قلب هذا المسلم يميل لهذا الكافر بسبب ما أسدى إليه من نعمة أو معروف، ونريد إجابة عن قول الله -تعالى-: ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص: ٥٦]؟.

يعني سؤال الأخت الكريمة: ما أظن فيه إشكال يعني على العبد المسلم أن ينظر فيما بينه وبين الله -سبحانه وتعالى- كون الناس تكلموا فيه أو لم يتكلموا سواءً كان حيًا أو ميتًا، هذا لا يلتفت إليه، ويجب أن يعلم العبد أنه إذا أصلح ما بينه وبين الله أصلح ما بينه وبين الناس، فعلى الإنسان دائمًا وأبدًا أن يلتفت إلى حق الله عليه، وكما مر بنا من قبل ومن بعد كلام السلف في هذا لما قال الفضيل -رحمه الله-: «من عرف الناس استراح» فالنفع والضر بيد الله، والمدح والذم المعتبر هو الذي يأتي من عند الله، لما قال الأعرابي للنبي -عليه الصلاة والسلام-: (إن مدحي زين وذمي شين، قال -عليه الصلاة والسلام-: ذاك الله) فلا نلتفت إلى مدح الناس وثنائهم، وإنما علينا أن نصلح ما بيننا وبين الله -سبحانه وتعالى-، والذي له عمل صالح يبتغي به وجه الله ويخفيه عن الناس، فهذا من دواعي القبول، لكن ليكن دائمًا وأبدًا هم المسلم في عمله الصالح أن يرضي الله، ليس من أجل أن يكون يلتفت لمدح الناس وثنائهم بل يبتغي بذلك ما عند الله، وكما مر بنا أن من عمل صالحًا وابتغى بذلك وجه الله فإن الله -تعالى- يجعل له القبول والثناء الحسن.

ما ذكره الأخ الكريم من جهة الكافر إذا أسدى إليك معروفًا فنحن نقول كما قال -عليه الصلاة والسلام-: (من أسدى إليكم معروفًا فكافئوه) فالواجب على العبد أن يرد المعروف يرد الجميل حتى لا يأسره حتى لو كان عن مسلم يعني المعروف يأسر الإنسان، فعلى المسلم أن يعود نفسه أن يحرر نفسه من أسر المخلوقين، فالمعروف يأسر، فإذا الإنسان أسدى إليك معروفًا عليك أن تكافئه، كما سمعنا هذا الحديث، فيتنبه إلى هذا الأمر سواء كان مسلمًا أو كافرًا.

أما كون هناك محبة جبلية لمن أحسن فهذه المحبة الجبلية الفطرية لا محظور فيها، المحبة الفطرية فكون الإنسان يحب مثلًا والده لو كان مشركًا أو يحب ولده لو كان كافرًا هذه المحبة الجبلية الفطرية لا محظور فيها، لكن كما يجب أن نتنبه إلى قضية أنه قد يجتمع الحب والبغض، كذلك أيضًا قد يكون ابنه مثلًا كافرًا فهذا الأب يحب هذا الابن محبة جبلية؛ لأن النفوس جبلت على حب البنين، وهذا الابن ما هو إلا بضعة منه، فيحبه لكن هذا الحب الجبلي لا يتعارض ولا يتناقض مع بغضه، فهذا الأب يحب هذا الابن محبة جبلية لكن في نفس الوقت يبغضه؛ لأنه متلبس بالكفر، يبغضه ويعاديه، فيجتمع هذا وذاك.

كذلك أيضًا لما يأتي الكلام عن قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ فسواء قلنا هنا ﴿ أَحْبَبْتَ ﴾ يعني أحببته محبة جبلية فلا إشكال، فأبو طالب عم النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يحوطه ويرعاه -كما هو معلوم- أو نقول كما قال بعض العلماء: ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ أي من أحببت هدايته، وعلى كلٍ سواءً قيل

هذا أو ذاك فلا محظور فالنبي -عليه الصلاة والسلام- كان يحب هداية عمه أبي طالب، لكن مات أبو طالب على الكفر كما جاء في ذلك الحديث الصحيح.

تقول: هل من رأى شخصًا على منكر وخشي منه أن يأمره بالمعروف أو يخبر من يأمره، هل يعتبر هذا الخوف شرك؟.

يقول: الكلمات الطيبة قوية لها أثر في نفوس الناس -إن شاء الله عز وجل-، بالنسبة لما يخص الرافضة لما تكلم أهل العلم عن الرافضة لا إشكال أن أهل العلم كفروا الرافضة بإطلاق، لكن هل هذا الإطلاق منه يلزم أن ننفي الكفر إلى كل عين من أعيانهم؟ هذه مسألة، الثانية: إذا قلنا أننا لا نكفر أعيان الرافضة إلا بعد إقامة الحجة، هل بالفعل الحجة قامت عليهم؟ ولا إشكال أننا نعرف أنهم قد ناظروا أهل السنة وأهل السنة ناظروهم وبينهم كتب مشتركة، وليس أدل على ذلك من المناظرة التي عُقدت بين شيخ الإسلام والحلي في الكتاب المعروف "المنهاج"؟.

تقول: من رأى شخص على منكر ولم ينكر عليه هل يعتبر هذا خوف شرك؟.

يعني هو الأصل أيها الإخوة الكرام أن الأصل في هذا عندنا حديث أبي سعيد الخدري قال -عليه الصلاة والسلام-: (من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) فعلى المسلم إذا رأى المنكر أن يغيره حسب الاستطاعة وحسب القدرة وأيضًا حسب ما تقتضيه المصلحة الشرعية، فإذا غلب على الظن أنه يزول هذا المنكر أو يقل فهذا مشروع متعين، أما إذا كان يغلب على الظن أنه يخلفه مثله فهذا محل اجتهاد، أما إذا غلب على الظن أن هذا المنكر إذا سعى إلى إنكاره أنه يترتب عليه ما هو أعظم وأشد فلا.

بالنسبة لما ذكرته الأخت نقول: على الإنسان أن يقدم على التغيير حسب استطاعته ولا يحمله خوف المخلوقين على أن يسكت، فكون الإنسان يحمله خوف المخلوق على أنه لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فهذا ينافي كمال التوحيد، وعلى الإنسان أن يقدم خوف الله -سبحانه وتعالى- على خوف المخلوقين، هذا هو الواجب علينا، الواجب علينا أن نقدم خوف الله -سبحانه وتعالى-، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، فعلينا أن نخشى الله ونخافه ولا نقدم خوف المخلوق الضعيف المسكين على الخوف من الله -سبحانه وتعالى- الخالق القدير -عز وجل-.

أخونا الكريم لما قال على قضية الحكم على الرافضة بأعيانهم نحن نتكلم نعطي حكمًا عامًا في هذه المسألة، ونعطي الحكم بناء على الظاهر، وقد مر بنا في كلام الطحاوي -رحمه الله- لما قال: (ولا نحكم عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ما لم يظهر منهم شيء من ذلك) فالقوم أظهروا ذلك، وهذا موجود في كتبهم المعتبرة والمعتمدة عندهم، ونحن نحب أن يهتدي هؤلاء القوم وأن يلتزموا صراط الله المستقيم، فهؤلاء مالنا إلا الظاهر، نحكم عليهم بما ظهر منهم فإن ماتوا فهم على هذا الحكم، كون هؤلاء منهم من هو جاهل من هو ملبس عليه هذا يرد على جملة منهم، فجملة منهم هم تبع لمشائخهم وأئمتهم وآياتهم -كما يقال عنهم- فهؤلاء إن كانوا معذورين بجهل هم عاجزون عن دفعه أو بشبهة أو نحو ذلك، فالله -سبحانه وتعالى- حكم عدل وأمرهم إلى الله -سبحانه وتعالى- بالنسبة إلى الآخرة، لكن كما يجب أن نهتم في هذا الباب أن ندعو هؤلاء القوم، ينبغي لنا أن ندعو هؤلاء القوم، نحن أهل السنة والجماعة المتعين علنيا أن ننشر هذا الخير وأن ننشر هذا الدين الذي أكرمنا الله به، وهؤلاء الذين هم في ضلال وفي انحراف نسعى إلى اجتثاثهم وإنقاذهم من عذاب الله ومن ناره، هذا هو المتعين، فلا يشغلنا الكلام عن الحكم عليهم عما هو آكد وأهم، ألا وهو دعوة القوم، فينبغي أن يحصل توازن، لا يعني أننا باسم الدعوة دعوة القوم، أن نهون قضية الرافضة ونميع المسألة ونقول هؤلاء دينهم صحيح، أو نقول المذهب الجعفري مذهب معتبر كالمذاهب الأربعة هذا تمييع وتضييع دين الله، وما يسمى بالتقريب مع الرافضة هذه من عقود من السنين، فُعلت وما جنت منه الأمة إلا الفشل والبوار، والأمر الآخر لا يحملنا الكلام عن الروافض بأنهم

كفار ضلال إلى آخره أن نقصي القوم ولا ندعهم، بل نحن نقول هذا حكم الله فيهم بناء على أدلة وبناء على كلام المحققين من أهل السنة، وبناء على معرفة بواقع هؤلاء القوم في القديم والحديث، لكن هذا الحكم عليهم لا يتنافى مع دعوتهم ومناصحتهم لعل الله –تعالى– أن يهديهم، والحمد لله ثبت في القديم والحديث والواقع المعاصر ولله الحمد أن الكثير من هؤلاء اهتدوا والتزموا بالسنة وهذا من فضل، هذا فضل محض من الله، فكيف لو التفت أهل السنة واجتهدوا في دعوة القوم، أنا أتصور لو بُذِلَ شيء من الجهد عن طريق المؤسسات الدعوية، وعن طريق الدعاة لو قُدِّمَ شيء من ذ لك أكثر مما هو عليه لحصل من ذلك الخير الكثير، فعلينا أن نتحرك وأن ندعو إلى الله –سبحانه وتعالى– والنبي –عليه الصلاة والسلام– يقول: (لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم) والله المستعان.

يقول: سؤالي في اجتماع الحب والبغض في الله من المسلم للمسلم الذي يعصي الله، لي جار لا يحرص على صلاة الجماعة وأشعر بمشقة في نفسي؛ لكوني أبغضه في هذا العمل وأحبه كونه مسلم، ولا أعرف كيف أغلب الحب والبغض والتعامل أشعر في نفسي بمشقة في كيفية التعامل مع هذا الأمر، أرجو أن توضحوا لي الطريق العملي في كيفية التمييز داخل النفس والتعامل مع المسلم الذي يعصي الله أو يترك حقه؟.

على كل ما ذكره الأخ الكريم الواحد منا فعلًا يشعر بشيء من المعاناة والإشكال إن كان جانبًا نفسيًا فهذا الجانب النفسي نقدره ونشعر به، لكن المهم هو المواقف العملية، ما دام أن هذا الجار المقصر في الصلاة، فنحن نبغضه على قدر هذا التقصير، لكن ما دام أنه من أهل الإسلام وله أعمال تدل على شيء من الخير والالتزام بشيء من شعائر الدين، فنحن نحبه، الذي يضبط هذه الأمور أن نسعى جادين وصادقين أن نضبط مشاعر الحب والبغض وفق الشرع، يعني كون هذا مسلم فله حق الإسلام، له حق النصرة، له حق أن نذب عنه، أيضًا له حق الجوار كما ذكر الأخ أنه جار له، يعني كونه يقصر في الصلاة أو عنده تفريط في الصلاة نبغضه على قدر معصيته، فهنا ينبغي التوسط، لا يحملنا البغض على الإفراط والبغي والعدوان، وأيضًا العكس، لا يحملها الحب إلى درجة أن يقع شيء من المداهنة في دين الله، نحاول أن نضبط هذا الأمر من خلال المواقف العملية، ما دام أن هذا الحب ضبط من خلال أنك تسلم عليه من خلال أنك تنصح له، من خلال أنك تجيب دعوته، وتحقق الأخوة الإيمانية فهذا مشروع، وكونك أيضًا هذا البغض في قلبك له يوجب أن تنصحه فنرجو أن الله –تعالى– يكون قد وفقك إلى هذا وذاك، هذا الذي يمكن أن يقال في هذه العجالة، ودائمًا نحن نذكر مثال في قضية اجتماع الأمرين مثل الأب مع ابنه، فقد الأب يحتاج أنه أحيانًا أن الابن مثلًا يسيء ولا يستصلح إلا بشيء من العقوبة كضرب ونحو فما أظن الأب أو المربي أو المعلم لما يضرب هذا الابن يكون من باب التشفي والانتقام والاستعداء، هو يبغضه وهو في نفس الوقت يحبه، والطبيب يعالج المريض ويسعى إلى حصول الشفاء، فربما اقتضى المقام أن هذا الطبيب يرى أن يقطع هذا العضو من هذا المريض، وعندما يعمل الطبيب إلى قطع هذا العضو المتآكل أو ما يرى أن الأصلح له في بقاء جسده هذا القطع العضو لا يتنافى مع أن هذا الطبيب يرحم هذا المريض أو يوده، والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين، برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة، لا يبطلهما شيء ولا ينقضهم).

هذه المسألة: (والحج والجهاد ماضيان) هذا يقرره أهل السنة والجماعة من خلال عقائدهم ومن خلال أيضًا مواقفهم العملية، وسبق أن مر بنا بالأمس في موضوع الصلاة، الصلاة خلف كل بر وفاجر، أن النبي –عليه الصلاة والسلام– والخلفاء الراشدين وكذا ما كان في عهد بني أمية وبني العباس أن الإمام كان يؤم الناس في هذا ويقود الناس في ذاك، فهو الذي يؤم الناس في الصلاة ويقود الناس في الغزو والجهاد في سبيل الله –سبحانه وتعالى– فالعلماء لما يقررون هذا الأمر بناءً على الأدلة على أن الحج والجهاد ماضيان مع كل إمام بر أو فاجر، فهنا لما يأتي قضية الجهاد في سبيل الله مع الأئمة ولو كانوا فجارًا هذا أمر ثبتت به الأدلة، ومما يستأنس به في

هذا المقام الحديث الذي أخرجه البخاري قال -عليه الصلاة والسلام-: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة المغنم والأجر) أخرجه البخاري، فهنا لما يقول -عليه الصلاة والسلام-: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم) معناه أن الجهاد مستمر إلى قيام الساعة؛ لأنه قال: (المغنم) والمغنم والغنيمة لا يكون إلا بالجهاد في سبيل الله -كما هو معلوم- فالجهاد قائم لا يبطله جور جائر إلى أن تقوم الساعة، هذا أمر.

وسلفنا الصالح كانوا يجاهدون في سبيل الله، ويقاتلون أعداء الله، وينشرون دين الله مع الأئمة، ولو كان عندهم شيء من الفجور كما نجده عن بني أمية أو بني العباس.

هذا التقرير هو رد على الرافضة الذين يرون أنه لا جهاد حتى يخرج إمام الزمان، حتى يخرج الإمام المهدي عندهم، فالرافضة في عقائدهم يرون أنه لا جهاد إلا مع الإمام الذي هو الإمام الغائب الآن، الذي هو الإمام الثاني عشر، هذا هو المتقرر عندهم في كتبهم، وقد جاء ذلك في "الكافي" في كتاب "الكافي" للكليني وهو بمنزلة صحيح البخاري عند أهل السنة أنهم قرروا هذا الأمر الفاسد وقالوا: إن الجهاد مع غير الإمام المفترض طاعته الذين هم الأئمة الإثنى عشر وآخرهم الإمام الثاني عشر عندهم المهدي محمد بن حسن العسكري يقولون: إن الجهاد مع غير هؤلاء الأئمة هو محرم مثل الميتة والدم ولحم الخنزير، هكذا قالوا: لكن يبدو أن هذا المذهب كما هي عادة هذا المذهب يحصل لهم من التبديل والتغيير ما حصل له فلما جاء الخميني أحدث من التبديل في هذا الدين المبدل أصلًا فجاء في كتابه "ولاية الفقيه" وغيره للخميني أن نواب الإمام الغائب أن لهم من الصلاحيات والأعمال ما يقومون مقام الإمام فكان يقول: إن نواب الإمام لهم أن يقوموا بكل ما يراه الإمام إلا الجهاد، ثم بعدها استثنى الجهاد، قال: أيضًا حتى النواب أيضًا لهم أن يقوموا بالجهاد ثم نجد أن من الرافضة في ذاك الوقت من يخالفه في ذلك.

تقول: ما حكم التودد للعمالة الغير مسلمين من باب ترغيبهم في الإسلام؟ وبعضهم يسأل أيضًا عن الجار الكافر أو المشرك كيف يتعامل معه؟ هل من المصلحة أن يحسن إليه حتى يدعوه إلى الإسلام؟

الآية الكريمة قال تعالى: ﴿ لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨]، فما دام أن هذا الكافر هو جارك أو عمالة ليست مسلمة، فنتعامل معهم بالعدل والبر والإقساط، نتعامل معهم بالرحمة، فالرحمة خلق محمود، وخلق مطلوب شرعًا، والنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول: (الراحمون يرحمهم الرحمن) والنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول: (في كل ذات كبدة رطبة أجر) فالرحمة وكون مثلًا هذا الكافر مثلًا من العمالة أو من هؤلاء المغلوب على أمرهم يعني يُقدم له شيء من البر والإحسان هذا أمر لا إشكال فيه، لكن ينبغي ألا يكون هناك تلك المحبة، فبعض الناس يقول لك: كيف تريدني أن أحسن إليه ولا أحبه؟!! نقول: ما فيه إشكال يعني مثل ما أنت الآن ترحم البهائم، وتحسن إليها من جهة الإطعام ومن جهة المال وما أحد يقول والله أنت الآن بينك وبين تلك المخلوقات مودة ومحبة، فالقصد أن الإحسان من جهة البر، من جهة الإطعام، من جهة كذا ما فيه إشكال، لكن هذا لا يتنافى مع قضية أن نبغضهم وأن نعاديهم، وكما قلت ونؤكد: البغض هنا دينك وما هو مزاج وهوى؛ لأنهم تلبسوا بالكفر، وهذا يوجب علينا أن نسعى إلى هدايتهم نسعى إلى دعوتهم وترغيبهم في الإسلام، والله المستعان.

أسئلة الحلقة.

السؤال الأول: هل يجتمع في الشخص موجب الحب وموجب البغض؟ طبعًا موجب يعني سبب، هل يجتمع في الشخص موجب الحب وموجب البغض؟ مع التعليل؟

السؤال الثاني: ما وجه إيراد مسألة المسح على الخفين في متون الاعتقاد؟

الدرس السابع عشر

من قوله: «ونؤمن بالكرام الكاتبين»

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (ونؤمن بالكرام الكاتبين فإن الله قد جعلهم علينا حافظين).

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

نبدأ حيث وقفنا كان بقي عندنا مسألة يسيرة تتعلق بالمسألة السابقة، وهي مسألة الحج والجهاد مع أولي الأمر سواءً كانوا أبرارًا أم فجارًا، نحب أن نشير إلى أن ما قرره علماء أهل السنة من الجهاد مع الأئمة وإن كانوا فجارًا من جهة قاعدة المصالح والمفاسد مثل ما مر بنا في مسألة الصلاة خلف كل بر وفاجر، وأن الشخص بين مفسدتين: بين مفسدة الصلاة خلف الفاسد، وبين مفسدة ترك الجمعة والجماعة، واتضح لنا ولكم -أيها الإخوة أيها المشاهدون والمشاهدات- أن مفسدة ترك الجمعة والجماعة تربوا وأشد من مفسدة الصلاة خلف الفاسق، كذلك أيضًا في هذه المسألة عندنا، مسألة الجهاد مع الإمام أو الإمام الفاسق فهما أمران، أن يجاهد مع هذا الفاسق، وهذا لا يخلو من مفسدة، لكن مفسدة ترك الجهاد في سبيل الله ومفسدة استيلاء العدو لاشك أنها تربو وتعظم على مفسدة الجهاد مع الإمام الفاجر؛ ولهذا عقد الإمام البخاري بابًا بهذا العنوان "باب الجهاد مع كل إمام سواءً كان برًا أو فاجرًا" وذكر الحديث الذي أورده في صحيحه قوله -عليه الصلاة والسلام-: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم).

المسألة التي سمعناها من أخينا الشيخ هذه العبارة لما قال -رحمه الله-: (ونؤمن بالكرام الكاتبين) المراد بالكرام الكاتبين هم الحفظة الذين يكتبون عمل العبد، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار: ١٠- ١٢].

فهؤلاء الملائكة الكرام الكتبة الحفظة يكتبون أعمال العبد سواءً كانت حسنة أو سيئة، وهذا أيضًا جاء في قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٧، ١٨] رقيب: يرقب العبد، وعتيد: أي حاضر مُعِد، فهما ملكان كريمان -عليهما السلام- قد وكلا بكتابة أعمال العباد، وهذا أيها الإخوة الكرام ومن يشاهد هذه الحلقة، هذا الإيمان بهؤلاء الكرام الكاتبين يوجب علينا أن نخشى الله -سبحانه وتعالى-، وأن نستحيي منه -سبحانه وتعالى- فإذا كان هؤلاء الكرام لا يفارقوننا، وكما ورد في بعض الآثار: «إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع فأكرموهم واستحيوهم» أو كما ورد في الأثر، فالمقصود أن الإيمان بالكرام الكاتبين هذا يوجب الحياء من الله -سبحانه وتعالى- والانزجار عن المعاصي والحرص على الطاعات، هؤلاء هم الحفظة.

يبقى عندنا مسألتان تتعلق بالحفظة وهو: هل هؤلاء الكرام يكتبون كل شيء حتى المباح؟ هذه مسألة فيها خلاف، وظاهر الآية الكريمة التي سمعناها في قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ظاهر الآية ماذا؟ أنهما يكتبان الحسنات والسيئات أو يكتبان كل شيء حتى المباح؟ ظاهر الآية نعم؛ لأن هنا في قوله تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ ﴾ "قول" كما تلحظون نكرة جاءت في سياق النفي فهي تفيد العموم، هذه مسألة.

المسألة الأخرى: وهي مسألة هل الكرام الكاتبون يكتبون النوايا وما في القلوب من أعمال؟ فأيضًا ظاهر الآية الكريمة التي سمعناها لما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ والنية هي فعل القلب فالله –سبحانه وتعالى– على كل شيء قدير، أقدر هؤلاء الكرام أقدرهم على الاطلاع على ما في قلب الشخص من نوايا حسنة ومن نوايا سيئة، فالمقصود أنهما يكتبان ما يعزم عليه العبد من الهم بحسنة أو الهم بسيئة، هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

يبقى عندنا حديث أورده الشارح لكن ننبه عليه بإيجاز، الحديث الذي أخرجه مسلم أنه –صلى الله عليه وآله وسلم– قال: (ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّلَ به قرينه من الجن وقرينه من الإنس) فقال الصحابة –رضي الله عنهم– قالوا: (وإياك يا رسول الله؟) قال –عليه الصلاة والسلام–: (وإياي) قوله –صلى الله عليه وسلم– (وإياي) يعني أنا لي قرين من الجن، (وإياي) ثم قال –عليه الصلاة والسلام–: (ولكن أعانني الله عليه فأسلم).

هنا وقع خلاف بين شراح الحديث من جهة ضبط الحديث، والذي يظهر –والله أعلم– أنه يضبط هكذا (فأسلم) الذين هما من الفاعل؟ (ولكن أعانني الله عليه فأسلم) الذي هو القرين، إذن الذي أسلم هو القرين.

أسلم يعني دخل في الإسلام؟.

قال بعضهم هذا، والبعض يرى خلاف ذلك ومنهم الشارح تبعًا لشيخ الإسلام ابن تيمية، فهم يرون أن معنى (أسلم) يعني خضع وانقاد، وإن لم يكن مؤمنًا، فإذن الذي يظهر والله أعلم من جهة الضبط أنه فأسلم والفاعل هو القرين، وأيضًا ما المعنى؟ هل معنى أنه صار مؤمنًا الذي رجحه شيخ الإسلام وكذا الشارح وجملة من الشراح أن المراد أنه استسلم وخضع، كما إذا استسلم الأسير وصار في قبضتك؛ ولهذا قال شارح الطحاوية –رحمه الله– قال: «من قال أسلم يعني سلم النبي –صلى الله عليه وسلم– فقد حرف لفظه، ومن قال: استسلم الشيطان وصار مؤمنًا فقد حرف معناه».

نخلص من هذا أن المسألة فيها كلام طويل لشراح الحديث، والذي رجحه الشارح وأيضًا من قبله شيخ الإسلام ابن تيمية وجملة من علماء الحديث أن الحديث يضبط هكذا (فأسلم) الذي هو القرين، طيب ما معنى أسلم؟ معناه أنه استسلم وخضع، هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

يبقى مسألة ذكرها أيضًا الشارح وهي: الحفظة الذين يحفظون العبد من الآفات وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ ﴾ [الرعد: ١١]، فالله –سبحانه وتعالى– بمنه وكرمه ورحمته جعل ثمة معقبات يحفظون العبد من الآفات، يحفظونه –كما سمعنا– من أمر الله، ما معنى ﴿ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ ﴾؟ يعني يحفظونه بأمر الله، والمعنى أيضًا ﴿ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ ﴾ أن هذا الحفظ صادر عن أمره –سبحانه وتعالى–، والله أعلم. هذا ما يتعلق بهذه المسألة والله أعلم.

يقول: ما الفائدة من كتابة الملكين للأمور المباحة؟ لا شك أن الأمور المستحبة يؤجر عليها المرء، وكذلك يعاقب على الأمور المعاقبة؟ لكن الأمور المباحة ما الفائدة من كتابتها؟.

على كلٍ أنا ذكرت أن في هذه المسألة خلاف بين أهل العلم، منهم من قال إنهم يكتبون كل شيء حتى المباح، ومنهم من قال: لا... يكتبان ما للعبد وما عليه ما له من الحسنات، وما عليه من السيئات، أما الحكمة في ذلك فنحن ما علينا إلا أن نسلم للنص، وكما قلنا لكم ظاهر الآية الكريمة أن الآية تدل على العموم أليس كذلك؟ لأن هنا نكرة في سياق النفي تفيد العموم ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ ﴾ فهذا الذي جعل البعض يرجح هذا القول؛ ولعل من الحكم أن في ذلك دلالة على ما هو –سبحانه وتعالى– موصوف من سعة علم –سبحانه وتعالى– وأن عمل العبد كله سواءً دق أو خفي سواءً كان محبوبًا أو مسخوطًا أو مباحًا كل ذلك مكتوب عنده، هذا لا شك أنه يستوجب

على العبد أن يضبط أموره حتى المباح، أن المباح أيضًا يضبطه؛ لأن التوسع في المباحات قد يؤول به إلى ما لا يُحمد من المحرم والمكروه، وإذا علم العبد أنه مكتوب عليه حتى المباح لاشك أن هذا يستوجب مزيدًا من الخشية والحياء منه -سبحانه وتعالى- والله أعلم.

يقول المؤلف -رحمه الله تعالى-: (ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين).

هنا قال -رحمه الله-: (ونؤمن بملك الموت) المقصود بملك الموت هو كما قال: (الموكل بقبض أرواح العباد) أرواح الناس، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [السجدة: ١١]، أما تسميته عزرائيل فقد سبق أن مر بنا في درس قديم أن هذا لا يثبت وإنما جاء ذلك في بعض الإسرائيليات، فنحن نلتزم بما جاء به القرآن في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ ﴾ فنسميه ملك الموت ولا نسميه عزرائيل، هذا أمر.

هنا في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ ﴾ وجاء في آية أخرى قال تعالى: ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢] وفي آية ثالثة قال: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ [الأنعام: ٦١] فهنا أضاف الموت إلى ملك الموت، ومرة أضافه إلى الرسل من الملائكة -عليهم السلام- ومرة أضافه إليه سبحانه قال: ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ ﴾ فهنا نقول: لا إشكال ولا تعارض، فالذي يتولى قبض الأرواح هو ملك الموت كما جاء ذلك في حديث البراء بن عازب أن ملك الموت هو الذي يتولى قبضها، فملك الموت هو الذي يتولى قبض الأرواح، فإذا قبضها كما جاء في حديث البراء في رواياته يعني لم يدعوها -أي الرسل- وهم ملائكة الرحمة وملائكة العذاب لم يدعوها معه طرفة عين، أليس كذلك؟ فمنذ يقبض ملك الموت الروح في الحال، يقبضها يعني تنتقل من ملك الموت إلى الرسل الذين هم ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب على حسب حال الشخص، إن كان مؤمنًا أخذها ملائكة الرحمة، وإن كان كافرًا أو منافقًا أخذها ملائكة العذاب، وكل ذلك قبض الأرواح وانتقالها إلى ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب كل هذا بأمره -سبحانه وتعالى- وتقديره، فصحت الإضافة إلى كلٍ من هذه الأمور الثلاثة المذكورة في الآيات الكريمات، هذه مسألة.

المسألة الثانية: جاء الكلام عن مسألة الروح، من المسائل التي نؤكد عليها في هذا المقام أن الروح لاشك أنها مخلوقة من جملة المخلوقات التي خلقها الله -سبحانه وتعالى- قال -عز وجل-: ﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦] فقوله تعالى: ﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ و"كل" من أبلغ صيغ العموم، فيدخل في ذلك الروح وسائر المخلوقات، فالروح مخلوقة، خلافًا لزنادقة الفلاسفة والصوفية الذين زعموا أن الروح قديمة، ومقصودهم لما يقولوا: الروح قديمة، أي أنها قديمة كقِدم الله -سبحانه وتعالى- تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

إذن نخلص من هذا أن الروح مخلوقة من جملة المخلوقات التي خلقها الله -سبحانه وتعالى-.

طبعًا بعض أصحاب الشبهات والذين في قلوبهم مرض يقولون: إن الروح ليست مخلوقة، وربما يتعللون ببعض الآيات القرآنية فيقولون أن الله -تعالى- قال: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [الحجر: ٢٩] فأضاف الروح إلى نفسه -سبحانه وتعالى-، فيحتجون بهذا فيقولون: الروح مضافة إلى الله كإضافة الصفات، واضح الشبهة عند القوم، فيقولون: كما يضاف مثلًا الكلام والسمع والبصر إلى الله فأيضًا إضافة الروح مثل إضافة السمع والبصر والكلام، وأنتم تعرفون أن السمع والبصر إذا أضيف إلى الله مثل ما قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ﴾ [التوبة: ٦] هذه إضافة صفة إلى الموصوف ولا إضافة مخلوق إلى الخالق؟ جزمًا إضافة صفة إلى الموصوف، فهؤلاء زعموا أن إضافة الروح إلى الله في قوله: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ من جنس إضافة الصفة إلى الموصوف، فنقول لهؤلاء: كلامكم هذا تلبيس، وكلام باطل بل إضافة الروح هنا هي من باب إضافة المخلوق إلى الخالق، وهي إضافة تقتضي التشريق والتكريم.

قد يقول قائل: ما الضابط؟ كيف نعرف أن هذه الإضافة من باب إضافة المخلوق إلى الخالق؟ أو من باب إضافة الصفة إلى الموصوف؟

عندنا الآن -أيها الإخوة الكرام ومن يشاهد هذه الحلقة- عندنا إفراط وتفريط، هناك من إذا رأى شيئًا أضيف إلى الله يحكم مطلقًا أنه من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، وهناك العكس، يرى أن كل ما يضاف إلى الله هو من باب إضافة المخلوق إلى الخالق، أهل السنة والجماعة يفرقون، ويقولون:

هناك أشياء تضاف إلى الله هي من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

وهناك أشياء تضاف إلى الله هي من باب إضافة المخلوق إلى الخالق.

فما الذي يضبط المسألة؟ كيف نعرف أن هذا إضافة صفة للموصوف أو أن هذا من باب إضافة المخلوق إلى الخالق؟

الجواب بإيجاز وينبغي أن تنتبهوا وأيضًا كذلك من يشاهد هذه الحلقة: أن المضاف إلى الله إن كان من الأعيان، أو بعبارة أخرى: إن كان قائمًا بذاته فهو من باب إضافة المخلوق إلى الخالق، لما تقول مثلًا عن الكعبة بيت الله، الكعبة الآن تراها قائمة بذاتها أليس كذلك؟ فلما نقول: الكعبة هي بيت الله فهذا من باب إضافة المخلوق إلى الخالق، لما نقول عن ناقة صالح -عليه السلام-: إنها ناقة الله، فهذه أيضًا من باب إضافة المخلوق إلى الخالق، الناقة قائمة بذاتها ويراها الناس آنذاك، كذلك أيضًا لما نقول مثلًا: إن عيسى -عليه السلام- قال: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ ﴾ [مريم: ٣٠] فعيسى الآن شخص قائم بذاته ولا لا؟ كذلك، وهكذا، لكن لما نأتي للكلام كما سمعنا الآية الكريمة، ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ﴾ الكلام هل هو قائم بذاته ولا قائم بالموصوف؟ هل الكلام قائم بذاته؟ هل أحد منكم رأى الكلام قائم بذاته مثل هذه الطاولة أو مثل هذا الآدمي الذي أمامكم؟ لا، الكلام هو من المعاني التي تقوم بالموصوف، فخذوها قاعدة: إن ما كان قائمًا بذاته فإنه إذا ضيف إلى الله يكون من باب إضافة المخلوق إلى الخالق، أما إذا كان معنى لا يقوم بذاته فإضافته إلى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

نرجع إلى مسألة الروح التي وقع فيها الاشتباه، الروح الآن هي في الحقيقة والواقع هي قائمة بذاتها، الروح الآن تذهب وتصعد وتجيء ولا لا؟ لاحظوا الآية التي سمعناها: ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ ﴾ [الزمر: ٤٢] إذن الروح تذهب، الروح تفارق البدن أليس كذلك؟ تفارقه عند الموت، وتفارقه أيضًا عند النوم أي نعم، وأيضًا هو -عليه الصلاة والسلام- قال: (إن الروح إذا قُبِضَ تبعه البصر) فالروح قائم بذاته وإن كنا لا نشاهده بأعيننا، إذن نقول: الروح إضافتها إلى الله هي من باب إضافة المخلوق إلى الخالق، وهكذا، إذا قلنا: إن عيسى روح الله حتى ما يقع لبس في مسألة عيسى -عليه السلام- فهذا أيضًا من باب إضافة المخلوق إلى الخالق باعتبار أن عيسى قائم بذاته وأيضًا اعتبار أن الروح قائمة تذهب وتصعد وتجيء. هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

ننتقل إلى مسألة أخرى: الروح كما لا يخفى عليكم حصل فيها خوض وحصل فيها قيل وقال: والله تعالى قال: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ٨٥] والله -سبحانه وتعالى- في كتابه والنبي -عليه الصلاة والسلام- كما جاء في السنة الصحيحة ذكر شيئًا من صفات الروح وأنها تذهب وتصعد وتجيء وأنها تُقبض وأنها كما في حديث البراء بن عازب الطويل وأنها تُنزع، روح الكافر تُنزع كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، وروح المؤمن أنها تخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيِّ السقاء فهذه كلها صفات جاءت بها نصوص الوحيين الواجب علينا أن نصدق بها وأن نؤمن.

المقصود أن علينا أن نؤمن بهذه الصفات التي جاءت في نصوص الوحيين، كما هي العادة في جملة من المسائل يقع الإفراط والتفريط، هنا في مسألة الروح وقع إفراط وتفريط، وقع إفراط وتفريط عند الفلاسفة وعند المتكلمين، فالفلاسفة جعلوا الروح كالعدم، قالوا: الروح لا داخل العالم ولا خارجه، لا داخل البدن ولا خارجه طيب إذا كانت الروح لا داخل البدن ولا خارجه أو لا داخل العالم ولا خارجه أين ستكون؟!! هل ستكون موجودة؟!! إذن ستكون معدومة، ما فيه شيء إلا أن يكون إما داخل العالم الذي نراه وإما خارج العالم، لكنك تقول: لا داخل العالم ولا خارجه ولا داخل البدن ولا خارجه صارت عدمًا، فالفلاسفة غلب عليهم تجريد الروح، أنهم جردوا الروح عن صفاتها، يعني جردوا أنهم نفوا الصفات عن هذه الروح فوقعوا في هذا التعطيل المحض فجعلوها عدمًا، قابلهم المتكلمون، المتكلمون العكس تمامًا، فالمتكلمون جعلوا الروح كالبدن، فبعضهم يقول لك مثلًا: الروح هي الحرارة الغريزية، يقول لك الآن الشخص إذا مات يكون بدنه باردًا أم حارًا؟ باردًا فيقول لك: الروح هي الحرارة الغريزية، وبعض يقول لك: الروح هي الدم الصافي، الشخص الآن إذا مثلًا ضربت عنقه وخرج هذا الدم فيقول لك: هذه هي الروح، القصد أننا نجد أن أهل الكلام لهم أقوال متعددة يجمعها أنهم جعلوا الروح كالبدن، نحن لسنا مع هؤلاء ولا مع أولئك، نحن نقول: الروح وصفت بصفات يجب أن نثبتها خلافًا لمن؟ للمتكلمين ولا الفلاسفة؟ خلافًا للفلاسفة، لكن هل نقول: إن الروح مثل البدن؟ أبدًا، الروح ليست مثل البدن، الروح لها شأن عجيب، أنت الآن نائم والروح أيضًا تفارق بدنك ولا ما تفارقه؟ تفارقه، لكن بإطلاق ولا تفارقه بوجه؟ بوجه، فشأن الروح كونها تذهب تصعد تجيء، النبي –عليه الصلاة والسلام– رأى موسى في حديث الإسراء والمعراج أين؟ في أي سماء؟ السماء السادسة، وفي حديث مسلم أنه –عليه الصلاة والسلام– رآه يصلي في قبره، طبعًا رأى من؟ رأى هذه الروح، فلما رآه في السماء قلنا: هذه الروح، هذه أرواح الأنبياء شكلت بأبدانهم فهذا شأن الأرواح تصعد تذهب وتجيء على وفق تقدي الله –سبحانه وتعالى– ومشيئته.

إذن نخلص من هذا أن نشير إلى هذا المسلك الضال والمنحرف عند الفلاسفة وعند المتكلمين.

تبقى عندنا مسألة وهي مسألة: هل تموت الروح؟

هذه وقع فيها نزاع وابن القيم حكى الخلاف، وبين تحرير المسألة، والجواب في هذا بإيجاز شديد: أن نقول: ماذا يراد بالموت؟ إن أردت بالموت مفارقة الروح للبدن أن هذه الروح تفارق البدن فإذا أريد بالموت مفارقة الروح البدن، فهل الروح تموت بهذا المعنى ولا لا؟

تموت.

نعم تموت إذا أريد ذلك، أما إن أريد بالموت العدم، أنها تُعدم، فليس الأمر كذلك، فالله –سبحانه وتعالى– خلق هذه الروح وكتب لها الخلود، واضح الكلام في المسألة هذه؟ نقول: مسألة هل تموت الروح؟ إن أريد بالموت مفارقة الروح للبدن فنعم، فهي تموت بهذا المعنى، أما إن أريد بالموت العدم أن الروح تُعدم كما البدن يُعدم، ما هو الآن الشخص إذا مات هذا البدن يبلى ولا ما يبلى؟ فإن أريد بالموت العدم والبلاء فالروح كتب الله لها الخلود والله أعلم.

يقول: إذا قلنا بأن الروح تعدم، عندما يموت الإنسان يكون عذاب وأيضًا يكون نعيم في القبر هذا العذاب وهذا النعيم يكون على البدن والروح؟ وإذا قلنا بأن الروح تعدم فمعناه أن العذاب أيضًا ينعدم بانعدام الروح؟.

لا.. بس إحنا يا أخي الكريم هل قلنا أن الروح تعدم؟ ما قلنا هذا، الروح تفارق الجسد، لكن إذا وضع إنسان في قبره كما سيأتي بعد قليل –إن شاء الله– الروح تتصل بالبدن في القبر، لكن الروح ليس لا يقال إنها معدومة، لا تعدم، نحن الآن نريد أن نفصل في المسألة فنقول: إذا أريد بالموت مفارقة روح البدن نعم، لكن إذا أريد بالموت العدم فالروح تموت ولا ما تموت بهذا المعنى؟ هل تموت الروح بمعنى أنها تُعدم؟

لا أبدً.

لا، إجماعًا إذا أريد بالموت العدم أنها تعدم فلان، وإن أريد به مفارقة البدن فنعم، يعني هذا هو الخلاصة في هذا الكلام في هذه المسألة.

يقول: أنتم ذكرتم أقوال الفلاسفة والمتكلمين في تفسيرهم لمعنى الروح، لكن ما أدري هل أشرتم إلى قول أهل السنة والجماعة؟.

نحن قلنا أهل السنة والجماعة وسط بين الفلاسفة وبين المتكلمين فنحن لا نقول إن الروح كالبدن، بل نقول: أن الروح لها من الصفات والأحوال ما لا يماثل البدن، لكن أيضًا لما نقول إنها لها من الصفات والأحوال ما يخالف البدن لا يعني أننا ننفي جميع الصفات، البدن الآن الشخص مثلًا أنت الآن مثلًا في الدور الأرضي تصعد أحيانًا للدور الثاني، والروح تصعد ولا ما تصعد؟ تصعد وتذهب وتجيء، لكن هل يلزم من ذلك المماثلة؟ هل صعود الروح يماثل تمامًا صعود البدن؟ الجواب، لا. فالمقصود أن أهل السنة وسط بين الفريقين، وأهل السنة يثبتون الصفات التي جاءت في نصوص الوحيين، هذا هو المسلك الوسط أننا نثبت الصفات ونقتصر على ما جاء به الدليل، والله أعلم.

تقول: ما الفرق بين الروح والنفس؟.

هذا ذكرها الشارح عرض لها والشارح من باب الفائدة كلام الشارح –رحمة الله عليه– هنا في كلام ابن أبي العز هو ملخص من كتاب "الروح" لابن القيم، وابن القيم عرض لهذه المسألة، فمنهم من قال: إن الروح شيء والنفس شيء، والذي عليه الجمهور أن الروح هي النفس، هذا الذي عليه الجمهور، وإن كان ابن القيم فصل وقال: إن الروح لها إطلاقات تختص بها والنفس لها إطلاقات تختص بها هذا بسطه ابن القيم، لكن الذي عليه جمهور أهل السنة أنها قد تسمى النفس وقد تسمى الروح.

يقول: الروح هل هي منتشرة في الجسم؟ أم الروح هي شيء معنوي في مكان ما؟ قال الله تعالى: ﴿ فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴾ [الواقعة: ٨٣] معنى ذلك أنها تتجمع حتى تبلغ في مكان ما، والإنسان إذا قطع عضو منه هل قطعت شيء من الروح؟.

على كلٍ نحن كما قلنا لكم في البداية: إن الروح أيها الإخوة الكرام هي من الغيب الذي يجب علينا أن نؤمن به سواءً عقلناه أو لم نعقله، أما القضية التي ذكرتها أن الروح هل هي تكون في موطن أم أنها منتشرة؟ يعني ابن القيم –رحمه الله– كلامه في تعريف الروح يدل على أنه ربما يميل إلى أنها في البدن كله فهو قال: إن الروح هي جسم لطيف نوراني علوي يسري في البدن سريان الماء في الورد، فلما تأتي مثل الورد ونحوه الماء يسري في بعضه أو في جميعه؟ في جميعه، هذا يمكن أن يقال.

البعض يقول لك مثلًا: كون شخص قطع منه عضو هذا العضو تعطلت منافعه فالروح التي تسري فيه ذهبت، يعني مثلًا شخص عنده شلل في يده وعلى كلٍ نحن لا نريد أن نخوض في أمر هو مُغيب، أين موطن الروح؟ أنا ما عندي جواب في هذا، ويكفينا ما جاء في الآية الكريمة التي سمعناها ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ لكن أيضًا لما نقول: إن الروح هي من أمر ربي كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٨٥] لا يفهم من هذا ما يقع فيه البعض أحيانًا أن البعض لا يريد أنك تذكر من صفات الروح بحجة أنها من أمر ربي، لا. هي لاشك أنها من مأمورات الله ومخلوقاته، لكن الله –سبحانه وتعالى– ذكر في كتابه وعلى لسانه نبيه –عليه الصلاة والسلام– جملة من هذه الصفات التي يجب علينا أن نؤمن بها وأن نصدق والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (وبعذاب القبر لمن كان له أهلًا، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعن الصحابة -رضوان الله عليهم- والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران).

هنا قال -رحمه الله-: (وبعذاب القبر) يعني نؤمن بعذاب القبر (لمن كان له أهلًا) عذاب القبر -أعاذنا الله منه- عذاب القبر ونعيمه مما يقرره أهل السنة في عقائدهم كما جاءت بذلك الأدلة، والأحاديث المتواترة عن رسول الله -عليه الصلاة والسلام- بل جاء ذكر عذاب القبر في كتاب الله -عز وجل-، هذا أمر قرره أهل السنة وأثبتوه في عقائدهم إتباعًا لنصوص الوحيين، أما الفلاسفة والزنادقة فقد أنكروا ذلك، فأنكر الزنادقة والفلاسفة عذاب القبر كما أنكره أيضًا الخوارج وبعض المعتزلة، فعندنا الزنادقة، وإذا قلنا: الزنادقة ينصرف للمنافقين ونحوهم، وعندنا الفلاسفة أنكروا عذاب القبر، وعندنا الخوارج وبعض المعتزلة، فالمعتزلة منهم ومنهم، منهم من يقر بعذاب القبر ومنهم من ينكر عذاب القبر، هؤلاء هم الذين أنكروا عذاب القبر.

أشرنا إلى أن عذاب القبر جاء ذكره في كتاب الله -عز وجل- ومنه ما جاء في قوله تعالى عن آل فرعون قال -عز وجل-: ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦]، فهنا في قوله تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا ﴾ المراد بالنار كما قال جملة من المفسرين المراد بالنار هنا -أعاذنا الله منها- عذاب القبر، قال: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ إذن الأولى هي القيامة الصغرى، ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا ﴾ ثم قال: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ﴾ التي هي القيامة الكبرى التي هي ما بعد البعث والنشور كما سيأتي -إن شاء الله-.

أيضًا جاء في سورة الطور إشارة إلى ذلك كما يقول بعض المفسرين قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الطور: ٤٧] فهنا أشار بعض المفسرين إلى أن المراد بذلك عذاب القبر.

أما الأحاديث: فالأحاديث في هذا متواترة -كما ذكرنا- منها حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- مرفوعًا قال -عليه الصلاة والسلام-: (إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيجلسانه فيقولانه له: ما تقول في هذا الرجل -يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم-؟ فيقول المؤمن: هو عبد الله ورسوله -عليه الصلاة والسلام- فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة) قال -عليه الصلاة والسلام-: (فينظر إليهما جميعً) ينظر إلى ماذا؟ إلى مقعد النار ومقعد الجنة، ثم قال -عليه الصلاة والسلام-: (وأما الكافر المنافق فيقول: سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، فيقال له: لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين) أخرجه البخاري ومسلم، هكذا جاء الحديث، وجاء حديث البراء بن عازب الطويل فيما هو أكثر بسطًا من ذلك.

أيضًا من الأحاديث التي ينبغي أن نذكرها في هذا المقام ونذكر أنفسنا ونذكر الإخوة ومن يشاهد هذه الحلقة أن نذكر بحديث ابن عباس -رضي الله عنهما-، لما مر النبي -عليه الصلاة والسلام- بقبرين فقال -عليه الصلاة والسلام-: (إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما الأول فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ثم أخذ -عليه الصلاة والسلام- جريدة رطبة فشقها نصفين وجعل على كل واحدة منهما شقًا؛ وقال: لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبس) أو كما قال -عليه الصلاة والسلام-، وهذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم وحديث أنس السابق أيضًا أخرجه البخاري ومسلم.

المقصود أيها الإخوة أن أحاديث عذاب القبر ونعيمه أحاديث متواترة يجب علينا أن نؤمن بها وأن نصدق وأن نستعد لهذا المآل، وهذا المصير، غلب على الناس -ونحن منهم- الغفلة والانهماك في الحياة الدنيا.

الله –تعالى– يقول عن حال كثير من الناس قال–عز وجل–: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم: ٧]، هذا غالب حال الناس، غالب حال المسلمين، الدنيا والملذات والقيل والقال، لكن تذكر الدار الآخرة، تذكر الموت وما بعده وهو حق اليقين وعين اليقين هناك غفلة، فيجب علينا نحن معشر المسلمين أن نتذكر الموت، وأن نستعد للقاء الله –سبحانه وتعالى–، فهذا الموت حتم لازم، وما من أحد منا إلا وله قريب أو صديق أو ابن أو كذا إلا وقد قربت منه المنية فهذه كلها نذر، كلها عبر لمن كان له قلب.

قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٨٨] الرسول –عليه الصلاة والسلام– في حديث ابن عمر أخذ بمنكبي ابن عمر أو بمنكبه، وقال –عليه الصلاة والسلام– لابن عمر: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) ثم كان ابن عمر يقول: «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وخذ من صحتك لمرضك ومن فراغك لشغلك» أو كما قال –رضي الله عنه–، فلابد من الاعتناء بهذا الأمر والاستعداد له.

كان أمير المؤمنين عثمان بن عفان –رضي الله عنه– إذا وقف عند القبر يبكي حتى تبتل لحيته بالدموع، فسئل عن ذلك فقال –رضي الله عنه– قال: إني سمعت رسول الله –عليه الصلاة والسلام– يقول: (القبر أول منازل الآخرة، من نجا منه فما بعده أيسر منه، ومن لم ينجو منه فما بعده أشد منه) ثم قال –عليه الصلاة والسلام–: (ما رأيت منظرًا قط أفظع من القبر) أو كما قال –عليه الصلاة والسلام–.

فيا أيها الإخوة ينبغي أن نتنبه لهذا الأمر، وأن نلتفت إلى هذا الموضوع، ما يتعلق بالموت وما يتعلق بعذاب القبر ونعيمه، هناك غفلة وهناك ركون للدنيا، وركون للملذات، والشهوات فينبغي للإنسان أن يحرك قلبه، وأن يتذكر هذا المصير الذي لا انفكاك عنه، وأن يتذكر أصحابه وأقرانه وآباءه وأجداده ممن اخترمتهم المنية، وصاروا الآن بين أطباق الثرى نسأل الله –تعالى– لنا ولكم العبرة ونسأله –سبحانه وتعالى– لنا ولكم حسن الختام.

تقول: بالنسبة لعلمكم بالكتاب والسنة هل ورد في الكتاب والسنة شيء بخصوص أيام القبر ولياليه هل هي كأيام الدنيا في طولها ولياليها؟ أم هي تعد من أيام الآخرة كما قال –سبحانه وتعالى–: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج: ٤٧]؟

الشق الثاني من السؤال: ورد حديث عن النبي –صلى الله عليه وسلم– في سورة "الملك" بأنها منجية من عذاب القبر إذا قرأت في كل ليلة، ما مدى صحة هذا الحديث؟ وهل يوجد شيء معروف في الكتاب والسنة إذا تمسك به المؤمن كان له منجيًا من عذاب القبر سواءً إذا تمسك مثلًا بصيام أو بصلاة أو بشيء من العبادات أكد عليه النبي أنه إذا تمسك به يكون منجيًا من عذاب القبر أو أنه لا يوجد؟.

أنا ما أدري عن السؤال الأول، ما أدري عن قضية هل أيامه كأيام الدنيا أو أيام الآخرة القيامة الكبرى ما أدري.

أما قضية ما الذي ينجي من عذاب القبر؟ نعم ما جاء في "تبارك" هذا ثابت، ويبقى هذا من نصوص الوعد، ونصوص الوعد يجب أن نثبتها كما نثبت نصوص الوعيد، لكن هذا الوعد أيضًا متحقق باجتماع الشروط وانتفاء الموانع، فلا يعني كون الشخص يحافظ عليها ويقصر فيما عداها، لا يعني أن يكون هذا منجيًا له، فالوعد والوعيد هو متحقق لكن باجتماع الشروط وانتفاء الموانع.

أما الذي ينجي من عذاب القبر فالعلماء تحدثوا منهم السفاريني –رحمه الله– أن الذي يمكن أن يقال على سبيل الإجمال والإطلاق أن فعل ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه هو الذي ينجي العبد من عذاب القبر هذا على

سبيل الإجمال، فالعبد المؤمن الذي يفعل ما أمر الله به من الواجبات، وينتهي عما حرم الله لاشك أن هذا هو الذي ستتحقق له النجاة من عذاب القبر، فهذا هو الجواب الذي يمكن أن يقال على سبيل الإجمال.

يقول: عذاب القبر يكون للروح أو للجسم أو كلاهما؟ وبعض الناس يسألون عن نوعية العذاب في القبر؟ يعني يختلف عذاب القبر للمنافق للكافر أو هما سواء في العذاب؟.

يعني هو العذاب عذاب القبر -أعاذنا الله منه- على الروح والبدن معًا، هذا الذي يظهر وهذا الذي أشار له ابن القيم -رحمه الله- في كتاب "الروح" أيضًا ما دام أنك ذكرت المسألة هذه نحن نؤكد أيها الإخوة أن ما يتعلق بالحياة البرزخية أو ما يتعلق بعذاب القبر ونعيمه أيها الإخوة هذا من الغيب الذي استأثر الله به فيجب علينا أن نؤمن بذلك وأن نوقن بما جاء في النصوص الشرعية وإن كنا لا نعقل كيفية هذا العذاب أو ذاك النعيم، الواجب علينا نؤمن بذلك وأن نصدق؛ لأن هذا كلام الله -سبحانه وتعالى- وكلام النبي -عليه الصلاة والسلام- الذي لا ينطق عن الهوى، أما العذاب فيقع عليهما.

يبقى أيضًا في مسائل يمكن نذكرها بمناسبة هذا السؤال أيضًا حتى السؤال. العبد يسأل عن من ربك؟ من نبيك؟ ما دينك؟ فأيضًا الذي يظهر أن هذا السؤال عام، يعني سؤال عام للمؤمن والكافر والمنافق، وحديث البراء يدل على ذلك، أنه قال في رواية قال: (أما الكافر) وفي رواية قال: (أما المنافق) وفي رواية قال: (أما المرتاب) فالذي يظهر أنه يسأل جميع هؤلاء سواء كانوا مؤمنين أو كفار أو منافقين.

أيضًا هناك مسألة: هل عذاب القبر أو السؤال وما يتبعه من العذاب هل السؤال من ربك؟ ومن نبيك؟ يختص بأمة محمد -عليه الصلاة والسلام- وما معها من منافقين وكافرين؟ أم يشمل الأمم كلها؟ فالذي استظهره ابن القيم ورجحه ابن القيم -رحمه الله- أن السؤال عام، يعني لهذه الأمة ولغيرها، وقال إنهم إذا كانوا يُسألون يوم القيامة ماذا كنتم تعبدون؟ ماذا أجبتم المرسلين؟ فأيضًا هم يسألون أيضًا في قبورهم، ومن أهل العلم من يرى أن هذا السؤال يختص بهذه الأمة بناءً على الأحاديث: (إن هذه الأمة تبتلى في قبوره) لكن الذي رجحه ابن القيم هو ما سمعناه من جهة أن السؤال لجميع الأمم ليس خاصًا بأمة محمد -عليه الصلاة والسلام-، والله أعلم.

الكلام الذي أنت أشرت إليه في قضية العذاب -أعاذنا الله من عذاب القبر- نعم هو العذاب يتفاوت فليس الناس في عذاب القبر على حد سواء ومر بنا ما ذكر عن آل فرعون، لما قال تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ فالذين في القبر يتفاوت عذابهم ليسوا على حد سواء، وهذا مقتضى حكمة الله -سبحانه وتعالى- وعدله، أنهم ليسوا على حد سواء.

انتهينا من مسألة أن العذاب للروح والبدن، وأيضًا كذلك السؤال للروح والبدن، طبعًا لا ننسى أنه جاء في حديث البراء بن عازب الطويل أنه جاء فيه أنه: (فترد روحه إلى بدنه) الميت فبعض الناس يفهم أنه ترد كما هو في الحياة الدنيا، لا ليس الأمر كذلك، هذا كما قال العلماء: هذا رد عارض ليس أمرًا مستقرًا ولا مضطردًا ترد له من أجل هذا السؤال، ومن أجل الامتحان.

أيضًا نحب أن نشير كما ذكر العلماء: أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ سواءً الشخص دُفِنَ أو لم يُدْفَن، يعني هذا الشخص مات غريقًا أو أكلته السباع أو إلى آخره كل من مات فله نصيب من هذا العذاب وذاك النعيم؛ لذلك قد تجد هذا الرجل مصلوب أمامك أو قد تجده مثلاً قد أكلته السباع هذا الشخص ندين الله -تعالى- أنه يعذب أو ينعم على حسب حاله، لكن هذا من الغيب الذي لا نطلع عليه ولا نعلم حقيقته ولا كيفيته، هذا ما يتعلق بأهم المسائل.

يبقى عذاب القبر هل يدوم؟ يعني أن الشخص يعذب في قبره حتى تقوم الساعة الكبرى حتى يأتي البعث والنشور حتى ينفخ إسرافيل –عليه السلام– نفخة البعث؟ أم أن العذاب أوقات وينقطع؟

الذي حرره أيضًا ابن القيم وبناءً على أدلة أن عذاب القبر على قسمين: منه ما هو دائم لا ينقطع كما هو في حال الكفار، ومنه ما هو ينقطع كما هو حال بعض عصاة الموحدين، فالعذاب الدائم كما هو حال الكفار كما سمعنا الآية الكريمة قال تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ فهذا العذاب مستمر –أعاذنا الله من ذلك– وهناك عذاب في القبر لكنه ينقطع يكون في حق بعض عصاة المسلمين، وعلى كلٍ لعل مما ينج من هذا العذاب أن المسلم يحافظ على هذا الدعاء الذي كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يعلمه الصحابة كما يعلمهم سورة من القرآن، أن يقول الشخص في دبر كل صلاة قبل أن ينصرف وقبل أن يسلم من صلاته أن يقول: (اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيى والممات، ومن فتنة المسيح الدجال).

أختم بمسألة فيما يتعلق بمسألة الأرواح وهي مستقر الأرواح، أين تكون الأرواح في البرزخ؟ في هذه الفترة التي هي بين الحياة الدنيا والقيامة الكبرى؟ الناس لهم في هذا أقوال متعددة، والذي حرره ابن القيم ولخصه ابن القيم أن هذه الأرواح متفاوتة ليس مستقرها واحد، فمن الأرواح ما هو في أعلى عليين، كأرواح الأنبياء –عليهم السلام– ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت كما جاءت في ذلك الأحاديث، وهي أرواح الشهداء الذين ماتوا في سبيل الله قتلوا في سبيل الله ومنها أرواح محبوسة على باب الجنة ومنها أرواح محبوسة عند القبر ومنها أرواح في تنور من نار، وهي أرواح الزناة أعاذنا الله من هذا الحال ومن هذا المآل، فالمقصود أن هذه أرواح متفاوتة بحسب أحوال هؤلاء الأشخاص من العمل والسعي والله أعلم. هذا تقريبًا أهم المسائل الواردة في هذا الموضوع.

تقول: هل صحيح أن أجساد الصالحين لا تبلى؟ وهل هذا خاص بالصالحين دون غيرهم؟.

والله ما أدري عن هذا، هو الأصل الحديث الذي يجب أن نستصحبه: أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (كل شيء في ابن آدم يبلى إلا عجو الذنب) هذا الأصل في بني آدم أن هذا الجسم يبلى، لكن جاء من الوقائع والأحداث أن جملة من عباد الله الصالحين أو الشهداء أو قبل هذا كله الصحابة –رضي الله عنهم– أن بعض قبورهم حصل لها أنها انكشفت فكما لو كانوا قد ماتوا في هذا الوقت، نعم جاء الحديث ورد: (أن الله حرم الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) فالمقصود أن هذا وارد، وارد أن يحصل هذا الأمر لكن ليس هذا أمرًا مقطوعًا به، نعم عندنا نصوص عندنا وقائع تدل على هذا، لكن هل هو أمر مضطرد؟ أنا ما أستطيع أن أجزم بشيء من هذا.

تقول: هل ورد أن أرواح المؤمنين تتزاور في القبور؟ وهل ورد أن العبد يخبر بما يفعل أهله من بعده؟.

والله ما ذكرته الأخت يعني ابن القيم أورده، قضية أن الأرواح تتزاور، وقضية أنهم يسألون عن أحوال من هم في الدنيا أو يعرفون شيئًا من ذلك، ذكر ذلك ابن القيم، وذكر جملة من الآثار لكن هذا أيضًا موقوف على ثبوت هذه الأشياء، فلا نستطيع أن نجزم بهذا إلا إذا ثبتت هذه بالآثار، ابن القيم أورد جملة من ذلك وعقد لها فصلًا مستقلًا أن الأرواح تتزاور لكن هذا مداره على الثبوت، هل ثبتت هذه الآثار صحت؟ إن صحت فما لنا إلا أن نسلم، إذا ما صحت فلا نستطيع أن نجزم بأنها تتزاور أو أنها مثلًا يعرفون ما يقع من أحوال الناس، والأصل في الميت أنه قد انقطع عمله وأنه لا يدري ما يحصل، والنبي –عليه الصلاة والسلام– لما يذاد من يذاد عن الحوض فيقول: (أصيحابي) فيقال: (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) –عليه الصلاة والسلام–، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– لا يعلم فغيره من باب أولى، والله أعلم.

يقول: إن كثير من الناس يخافون من الموت ومن الدخول في القبر؟ فيسأل أولًا: هل هذا الخوف مشروع؟ وأيضًا كيف يمكن التخلص من هذا الخوف؟.

يعني كون الواحد يخاف الموت هذا أمر جبلت النفوس عليه أنت رأيت أحدنا الآن يحب الموت، إلا من بلغ به الإيمان ما بلغ وأحب لقاء الله، وإلا النفوس كلها تكره الموت النفوس جبلت على حب الدنيا، والنبي –صلى الله عليه وسلم– لما يعني الحديث قالت عائشة: (كلنا يكره الموت) فالنبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه)، فأقصد كون الإنسان يكره الموت حتى المؤمن يكره؛ لأن هذا الموت يجعله مفارقًا لأهله وولده وأصحابه وهذا الموت يقطعه عن العمل الصالح فكون الإنسان يخاف الموت لا إشكال فيه، لكن هذا الخوف ينبغي أن يستثمر، لا يكون هذا الخوف يؤدي بالإنسان إلى الهلع، وأن تتفرق مشاعره ويستحوذ عليه هذا الخوف الذي يفرق عليه جهده فلا ينام ولا ينتفع بوقت ولا بحياة، لا..، هذا ليس محمودًا، وإنما الخوف هو الذي يحملك على طاعة الله، هذا الخوف من الموت هو الذي يحمل على طاعة الله على ترك المحرمات مثل ما مر بنا فقي الخوف، الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله، فإذا خفت الموت أو خفت من عقاب الله، أو خفت من الله –سبحانه وتعالى– إن حملك الخوف على فعل المأمور وترك المحذور هذا هو المحمود والله أعلم.

أسئلة الحلقة.

السؤال الأول: هل الكرام الحافظون يكتبون نوايا العبد أو نوايا القلب؟ مع الدليل؟

السؤال الثاني: هل تموت الروح؟ مع التعليل؟

الدرس الثامن عشر

البعث والنشور ومنازل الآخرة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مالك يوم الدين، وأصلي وأسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فضيلة الشيخ طرحتم سؤالين في الحلقة الماضية، وقد كان السؤال الأول عن الكرام الكاتبين، هل يكتبون نيات القلوب مع الدليل؟

وكانت الإجابة: نعم الحفظة تكتب نيات القلوب، وأن الله -تعالى- أطلعهم على قلوب العباد، ويستدل بقوله تعالى: ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار: ١١] وهذا هو ظاهر مفهوم الآية.

نعم إجابة الأخ إجابة صحيحة، والآية الكريمة هي ما ذكره، لكن وجه الاستدلال -كما مر بنا- أن الله -تعالى- قال: ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ وقلنا "ما" اسم موصول يفيد العموم، والنية هي فعل القلب.

السؤال الثاني: هل تموت الروح؟ مع التعليل؟

وكانت الإجابة: حكت عن ابن القيم أنه حكى الخلاف في هذه المسألة وقالت: أن الموت إذا أراد مفارقة الروح للبدن فهي بمعنى أنها تموت، أما إذا أريد بالمعنى العدم أي أنها تعدم كما يعدم البدن فليس الأمر كذلك، والله تعالى كتب الخلود للروح.

إجابة الأخت إجابة صحيحة.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى- في عقيدته: (والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران، ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مالك يوم الدين، وأصلي وأسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

قوله -رحمه الله-: (القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار) قد مر بنا في الدرس الماضي الحديث عن عذاب القبر ونعيمه، وهذه العبارة التي قالها الإمام الطحاوي -رحمه الله- جاء منصوصًا عليها في حديث أخرجه الترمذي وغيره، لكن ذكر الشيخ الألباني -رحمه الله- وأيضًا ذكر غيره أن هذا الحديث بهذا اللفظ لا يثبت عن النبي -عليه الصلاة والسلام-، وعلى كلٍ المعنى صحيح، فلا شك أن القبر إما نعيم وإما عذاب -كما مر بنا- وكما جاء في حديث البراء بن عازب وحديث ابن عباس وغيرهما، فالمقصود أن القبر إما أن يكون نعيمًا وإما أن يكون عذابًا كما جاءت بذلك الأحاديث المتواترة عن رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

لما انتهى الإمام الطحاوي -رحمه الله- من الحديث عن القيامة الصغرى وعن حياة البرزخ انتقل إلى الحديث عن القيامة الكبرى، والتي تبدأ بالبعث وتنتهي بدخول الجنة أو دخول النار أعاذنا الله من النار وأهلها.

هنا قبل أن نبدأ في الحديث عن شيء من أحوال اليوم الآخر التي ذكرها الطحاوي -رحمه الله- نحب أن نذكر أنفسنا وأن نذكر الإخوة ومن يشاهدوا هذه الحلقة على ضرورة العناية وتحقيق الإيمان باليوم الآخر، فلا يخفى عليكم أن الإيمان باليوم الآخر هو ركن من أركان الإيمان، لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن بهذا الركن العظيم، وكثيرًا ما يقترن هذا الركن بالإيمان بالله -سبحانه وتعالى- في آيات كثيرة مثل ما قال تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وأمر آخر: أن الإيمان باليوم الآخر له من الآثار وله من الثمرات الشيء الكثير في سلوك العبد وفي استقامته وصلاحه.

إن من أعظم آثار الإيمان بالقدر ألا وهو ما ذكره العلامة عبد الرحمن السعدي -رحمة الله عليه-: أن الإيمان باليوم الآخر يفتح للعبد باب الرجاء وباب الخوف، وإذا خرب القلب وخلا من الخوف والرجاء حصل له من الخراب والفساد ما لا يوصف.

ما وجه ذلك؟ وجه ذلك أن العبد إذا استصحب ما في اليوم الآخر من العذاب والنكال وما فيه من الخزي في حق من عصى وكفر عندئذ هذا يوجب الخوف والخشية، وهذا الخوف يزجره عن الوقوع في المحرمات والمنهيات، وكذا العكس إذا تذكر العبد ما في الجنة من النعيم المقيم وتذكر ما جاء في قوله -عليه الصلاة والسلام- فيما يرويه عن ربه -تبارك وتعالى-: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأيت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) عندما يستصحب نعيم الجنة، هذا النعيم المقيم، هذا النعيم الدائم الذي لا ينقطع، هذا يبعثه على العمل، يبعثه على الرجاء وحسن الظن بالله -سبحانه وتعالى- وهذا الرجاء يسهل له الطاعة، وييسر له فعل المأمورات.

أيضًا من ثمرات الإيمان باليوم الآخر -أيها الإخوة-: ألا وهو أن الإيمان باليوم الآخر يحقق جملة من الأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة، ومن ذلك مثلًا خلق البذل والإنفاق في سبيل الله، فالذي يوقن في هذا اليوم، وأن الله -سبحانه وتعالى- سيخلف له ما أنفقه في سبيل الله، ويعوضه ما هو خير وأنفع وأبقى وأدوم، عندئذ هذا يبعثه على الإنفاق في سبيل الله، ولا يبخل كما يقع عند أصحاب الإيمان الضعيف، أو من عدم الإيمان باليوم الآخر.

أيضًا الإيمان باليوم الآخر يبعث على خلق التواضع ولين الجانب؛ لأن المؤمن إذا استصحب حال المتكبرين يوم القيامة هذا يزجره عن الكبر، فالنبي -عليه الصلاة والسلام- أخبر أن المتكبرين يحشرون يوم القيامة على هيئة الذر -نسأل الله العافية- ويطأهم الناس، وقد قال -عليه الصلاة والسلام-: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) وقال الله في الحديث القدسي: (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما عذبته) أو كما جاء في الحديث، المقصود أن الإيمان باليوم الآخر يبعث على هذه الأخلاق الطيبة سواءً من جهة البذل أو من جهة التواضع ونحوها.

أيضًا كذلك من آثار الإيمان باليوم الآخر: عدم الركون للدنيا، لا نركن إلى الدنيا، فهذه الدنيا زائلة.

ألا كل شيء ما خلا الله باطل** وكل نعيم لا محالة زائل

فكل نعيم زائل إلا نعيم الجنة الذي لا يفنى ولا يبيد، فعندما يستصحب العبد اليوم الآخر يعلم أن هذه الدنيا متاع، وأنها ما هي إلا أيام معدودة وتنقضي، فالقصد أن اليوم الآخر يورث تعلقًا بالدار الآخرة، فلا يتعلق العبد بهذه الدنيا ولا بحطامها الزائل.

هذه جملة من الآثار، والآثار في هذا كثيرة، والحديث عن اليوم الآخر مبسوط في موضعه عن أحواله، وقد أفرد له العلماء بكتب مستقلة، كما فعل عبد الحق الإشبيلي في كتاب "العاقبة" أو القرطبي في كتابه "التذكرة" أو ابن كثير -رحمه الله- في "النهاية" أو السفاريني في "البحور الزاخرة" وغيرها من الكتب والمصنفات.

نبدأ بالحديث عن الموضوع الأول: وهو البعث. البعث -أيها الإخوة- المراد به هنا: البعث طبعًا في اللغة: هو الإثارة والتحريك، والمراد به هنا: هو إخراج الموتى من قبورهم وإعادة أرواحهم إلى أجسادهم من أجل الحساب والجزاء. هذا ما يتعلق بتعريف البعث.

وعلى كلٍ تقرير البعث جاءت له أدلة كثيرة يمكن أن نقف عندها فنقول:

أولًا: البعث إنما يكون بعد أن ينفخ إسرافيل -عليه السلام- في الصور النفخة الثانية، أو النفخة الثالثة على قول وهي نفخة البعث، قال -عز وجل-: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨] فإذا نفخ إسرافيل -عليه السلام- هذه النفخة نفخة البعث عندئذ يقوم الناس من قبورهم لرب العالمين.

هذا البعث أثبته أهل الإسلام بعث الأجساد وعود الأرواح إلى أبدانها أثبته أهل الإسلام، وأنكره مشركو العرب -كما لا يخفى عليكم- وأيضًا ممن أنكره الفلاسفة فالفلاسفة أنكروا معاد الأجساد، لما نأت إلى الفلاسفة الذين يسمون بفلاسفة الإسلام كابن سينا والفارابي ونحوهم، نجد أن هؤلاء ينكرون بعث الأجساد، يقولون: بمعاد الأرواح، لكنهم ينكرون بعث الأجساد، ولا شك أن هذا يعد كفرًا وإنكارًا لليوم الآخر، وإنكارًا للبعث والنشور.

أيضًا من صور الإنكار: إنكار المعاد والبعث، ما يقوله بعضهم من عقيدة التناسخ، كما هو موجود عند الهندوس، ومن تأثر بهم، فهؤلاء الذين يقولون بتناسخ الأرواح، وأن الشخص إذا مات انتقلت روحه إلى كائن آخر، وليست ثم قيامة كبرى ولا بعث ولا نشور، فالقول بالتناسخ يعد إنكارًا للبعث والنشور.

المقصود -أيها الإخوة-: أن إنكار المعاد له صور متعددة، ذكرنا أهمها وهي: إنكار بعث الأجساد والأرواح كما هو عند مشركي العرب، أو إنكار معاد الأجساد وإثبات معاد الأرواح كما هو عند الفلاسفة، طبعًا لاحظ هذا عند الفلاسفة أو ملاحدة الفلاسفة سواء الذين ينتسبون إلى الإسلام أو حتى بعض الملاحدة الذين هم عند اليهود والنصارى، فذكر عند اليهود شخص اسمه موسى بن ميمون كان ممن على هذا المذهب الفاسد، وأيضًا أحد النصارى اسمه متى ويوحنا ممكن كانوا في العصور الأولى من الإسلام هؤلاء النصارى، وكانوا على هذا المذهب الفاسد من إنكار معاد الأجساد، والصنف الثالث: الذين قالوا بعقيدة التناسخ، هذه تقريبًا أهم صور إنكار المعاد.

نقف عند الحديث عن الأدلة على المعاد، نؤكد أيها الإخوة الكرام ومن يشاهد هذه الحلقة أن القرآن حافل بالأدلة العقلية السمعية على إثبات البعث والنشور، وسبق أن مر بنا مرارًا التأكيد على هذه المسألة، أن القرآن حافل بالأدلة العقلية لا كما يقوله المتكلمون ومن شابههم: إن القرآن مجرد أدلة خبرية، لا ليس الأمر كذلك، فالقرآن فيه من الأدلة العقلية والبراهين ما هو أبلغ وأكمل تقريرًا وأبلغ حجة.

من هذه الأدلة العقلية السمعية في تقرير المعاد ما يلي:

الدليل الأول: أن من قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر، جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [يس: ٧٨] جاء الرد: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ ﴾ [يس: ٧٩] فالذي قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر والله على كل شيء قدير، فإذن هذا الدليل العقلي وهو دليل عقلي سمعي.

الدليل الثاني من الأدلة العقلية السمعية: وهو من قدر على خلق العظيم فهو على ما دونه أقدر، وهذا جاء في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧] فلاحظ هنا الذي يقدر على خلق السماوات والأرض على عظمها وعلى سعتها وعلى بديع صنعها على ما دونه أقدر من البعث والنشور.

الدليل الثالث: أيضًا من الأدلة العقلية السمعية: ألا وهو إحياء الأرض بعد موتها، فأنت تأتي إلى المكان تجد هذا المكان عبارة عن صحراء قاحلة ذات جدب لا ترى فيها لا خضرة ولا نباتًا فإذا نزل عليها المطر اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، فهذا لا شك أنه دليل من الأدلة على البعث والنشور، وهذا جاء في آيات كثيرة منها في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ [فصلت: ٣٩].

هذه ثلاثة أدلة يمكن أن نضيف دليلًا رابعًا وهو دليل عقلي وهو أن وقوع الشيء يدل على وقوع نظيره، طيب: وقع بعث في الدنيا ولا ما وقع؟ وقع. مثل ماذا؟ مثل طيور إبراهيم -عليه السلام- أليس كذلك، أو كما جاء في قصة عزير أليس كذلك؟ أو ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٣] فالمقصود لما تأتي إلى قضية طيور إبراهيم -عليه السلام- وقضية عزير أو قضية مثلًا هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فأماتهم الله ثم بعثهم، هذا وقع في هذه الدنيا، فوقوعه في الدنيا يدل على وقوع نظيره. هذه بعض الأدلة العقلية السمعية الدالة على البعث والنشور.

يبقى أن نضيف أمرًا مهمًا وهو أمر ينبغي أن نهتم به وسبق الإشارة إليه: ألا وهو الاستدلال بصفات الله على إثبات المعاد، سبق أن مر بنا في موضوع النبوات أنه يمكن إثبات النبوة من خلال الاستدلال بصفات الله، فمثلًا من صفات الله -تعالى- الحكمة -كما لا يخفى عليكم- ولهذا استدلت خديجة أم المؤمنين بهذه الصفة من صفات الله على أن الله -تعالى- لا يخزي نبيه أليس كذلك؟ لما قالت -رضي الله عنها-: (كلا والله لا يخزيك الله أبدًا...) الحديث.

كذلك أيضًا قرر العلماء المحققون أنه يمكن والقرآن أيضًا حافل بالاستدلال بصفات الله على البعث والنشور، من هذه الأدلة مثلًا:

الدليل الأول: الاستدلال بصفة العلم على البعث، هذا جاء في مثل قوله تعالى: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ [ق: ٤].

الدليل الثاني من الاستدلال بصفات الله على المعاد: الاستدلال بصفة القدرة، قال تعالى: ﴿ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ [القيامة: ٤].

الدليل الثالث: الاستدلال بصفة الحكمة، قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

فلاحظ كيف العلماء كابن القيم وغيره كيف استدل بهذه الصفات من صفات الله -سبحانه وتعالى- على وقوع البعث والنشور؛ ولهذا قال العلماء: إن إثبات المعاد هو مقتضى الحكمة، وهذا دليل عقلي أيضًا؛ لأننا نلحظ الآن في الدنيا كثير من الناس ظُلموا أليس كذلك؟ وكثير من الناس ظَلموا أليس كذلك؟

نجد أن هؤلاء الذين ظُلموا قد فارقوا الدنيا ولم ترد لهم مظالمهم، ونجد أن هؤلاء الظلمة أو هؤلاء المستبدون ظلموا وطغوا ولم ينالوا عقاب ظلمهم وطغيانهم، فالحكمة الإلهية ومقتضى العقل والقياس يقتضي أن يكون ثمة يوم يجازى فيه المظلوم وترد للمظلوم مظلمته، ويعاقب الظالم والمسيء على ظلمه وإساءته.

هذه جملة -أيها الإخوة- من الأدلة التي جاء بها القرآن في تقرير البعث والنشور، وأيضًا نجد أن الله - سبحانه وتعالى- أمر نبيه الكريم -عليه الصلاة والسلام- بالإقسام على وقوع المعاد في ثلاث آيات:

قال تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ [التغابن: ٧].

وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي ﴾ [يونس: ٥٣].

بقي الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَأْتِينَا السَّاعَةُ ﴾ جاء الرد ماذا؟ ﴿ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ [سبأ: ٣].

فهذه ثلاث آيات كما قال الحافظ ابن كثير: «ثلاث آيات لا رابع لها في أن الله -تعالى- أمر نبيه الكريم -عليه الصلاة والسلام- أمره بالإقسام على وقوع المعاد وتحققه ووقوعه».

يقول: سبب الضلال في إنكار البعث، لا شك أن بعض المسائل العقدية تحتاج إلى نقاش وحوار مع من ينكر بعض المسائل، هل هناك مجال للحوار مع تلك الفرق؟ ثم أيضًا ما سبب ضلالهم؟ مثل هذه المسألة الظاهرة عند أهل السنة وغيرهم من يؤمن بهذا الشيء؟ هل هناك سبب مقنع أو حجة أو شبهة تحتاج إلى المناقشة؟.

يعني هو لاحظ الذين أنكروا البعث والنشور كمشركي العرب أو حتى الذين يسمون بالفلاسفة أو فلاسفة الإسلام هم مثلما قال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾ [يونس: ٣٩] فهم بعقولهم القاصرة قاسوا قدرة الله بقدرة المخلوق، فقالوا: كيف هذا الشخص إذا مات وصار رميمًا واستحال جسمه وقد بلي هذا الجسم فكيف يبعث؟!! لكن الذي يوقن بأن الله -تعالى- على كل شيء قدير، وينظر كما سمعنا في هذه الأمور المذكورة يعني كيف أن الأرض الآن تأتي إليها وهي في غاية الجدب والقحط، ثم تصبح هذه الأرض في غاية الخضرة ﴿ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى ﴾، قضية الخلق الابتداء الاستدلال بالابتداء على الإعادة، الآن لو جئت إلى أي شخص مثلًا -ولله المثل الأعلى- لما مثلًا يصنع هذا الجهاز الذي بين يديك هذا الجهاز جهاز الحاسب الآلي لا شك أن ابتداءه وصنعه يدل على أن صاحبه عنده علم وعنده قدرة، لكن أيهما أسهل بالنسبة للذي صنعه؟ أن يبتدئه أم أن يعيده؟ الأسهل هو الإعادة ولا الابتداء؟ أيهما أسهل؟ الإعادة أسهل، فنقول: مشكلة هؤلاء القوم أنهم -كما سمعنا-: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾ هذه مشكلة القوم، أنهم قاسوا قدرة الله -سبحانه وتعالى- بقدرة المخلوق مع أن الله على كل شيء قدير، وعندهم هذه الأدلة.

وهذا الكلام الذي عند مشركي العرب هو نفس كلام الفلاسفة، يقولون: كيف الشخص مثلًا الآن هذا الشخص الذي مات أو شخص ابتلعه الحوت، وهذا الشخص الذي التقمه الحوت جسده يتحلل في بطن هذا الحوت، ثم نحن إذا أخذنا هذا الحوت وأكلناه وتحلل في أبداننا ما الذي يعود؟ يعود الحوت ولا يعود الشخص الذي ابتلع من قبل؟ نحن نقول: إن الله على كل شيء قدير، والبعث وقع في الدنيا، له نظائر -كما ذكرنا لكم- طيور إبراهيم -عليه السلام- كذا وكذا، فالخلاصة الذي حمل هؤلاء ما سمعناه، قال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾ ولم يلتفتوا إلى هذه الأدلة العقلية نسأل الله العافية، هذا الذي يمكن أن يقال، ولا شك أن هؤلاء لو نوقشوا بالعقل من خلال الأدلة، وكانوا منصفين لآمنوا كما آمن غيرهم من المشركين في القديم والحديث.

يقول: السؤال الأول: هل الموتى يسمعون بعدما يتوفاهم الله -سبحانه وتعالى-؟

السؤال الثاني: ما صحة عقيدة من يقول: "إن عذاب البرزخ يكون على الروح والروح إما تكون في أعلى عليين أو تكون أسفل سافلين أما هذا الجسم فهو دفنه في القبر مجرد حفظًا لهذا الجسم" فما صحة هذا الاعتقاد؟.

هو الذي أعرف في مسألة أن الأموات يسمعون أم لا، ظاهر النصوص أن الأموات لا يسمعون، قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ [النمل: ٨٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر: ٢٢]، فالأصل أن الأموات لا يسمعون، أم أما جاء مثلًا في حديث البراء بن عازب -رضي الله عنه- وما جاء في معناه أنه يسمع قرع نعالهم، فهذا سماع مخصوص، الأصل أن الميت لا يسمع وما جاء في مثل هذا الحديث ونظائره هذا يكون سماع مخصوص، وإلا فالأصل أن الميت لا يسمع كما هو ظاهر الآيات.

أما الكلام عن مسألة عذاب القبر ونعيمه وأن العذاب والنعيم على الأرواح دون الأجساد لا.. ليس الأمر كذلك، فقد مر بنا بالأمس أن ظاهر النصوص أنه يقع على هذا وذاك، مر مثلًا يمكن نسينا إلى أن نشير إلى هذا أنه جاء مثلًا في حديث البراء بن عازب في بعض رواياته أن الكافر والمنافق من العذاب الذي يصيبه أنه يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، فإذن الأضلاع تتعلق بالروح ولا بالبدن؟ بالبدن، نعم، فهذا العذاب يقع على البدن ويقع على الروح، لكن الحقيقة والكيفية لا نعلمها، لا يأت شخص ويقول: الآن القبور لو نبشناها لا نرى شيئًا بأعيننا، قلنا هذا من الغيب الذي استأثر الله به، لكن نحن نؤمن بما جاءت به النصوص والأحاديث المتواترة والتي ظاهرها أن العذاب يقع على هذا وذاك، يقع على الروح وعلى البدن والله أعلم.

لعلنا ننتقل إلى الموضوع الثاني أو نأخذ شيئًا مما يتعلق بمسائل اليوم الآخر وهو مسألة الحساب.

المراد بالحساب هو إطلاع الله -تعالى- عباده على أعمالهم، إطلاع الله -تعالى-، أن الله -تعالى- يطلع عباده على أعمالهم من خير وشر، هذا الحساب قد يكون حسابًا يسيرًا أو قد يكون حسابًا يسيرًا كما جاءت في ذلك الأدلة، قال -عليه الصلاة والسلام- كما جاء في حديث عائشة -رضي الله عنها- أم المؤمنين، قال -عليه الصلاة والسلام-: (ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقالت عائشة -رضي الله عنها-: أليس الله -تعالى- يقول: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٧، ٨] فقال -عليه الصلاة والسلام-: إنما ذلك العرض) ثم قال -عليه الصلاة والسلام-: (ليس أحد يناقش الحساب إلا هلك) لاحظ هنا مرة قال: (هلك) ومرة قال: (إلا عُذِّبَ) وكما قال العلماء: المعنى متقارب سواءً قلنا: (ليس أحد يناقش الحساب إلا هلك) أو قلنا: (ليس أحد يناقش الحساب إلا عُذِّبَ) فالمعنى متقارب، فالهلاك والعذاب معناهم متقارب.

الأمر الآخر: دل هذا الحديث على أن الحساب حساب يسير وحساب عسير، فإذا قلنا: ما الحساب اليسير؟ فالحساب اليسير هو العرض، وهو أن الله -تعالى- يدني عبده المؤمن ويقرره بذنوبه والمؤمن يقر بهذه الذنوب ثم يقول الله -سبحانه وتعالى- وهو أرحم الراحمين يقول: (فإني قد سترتها عنك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم) هذا هو الحساب اليسير، العرض، أما الحساب العسير -نسأل الله السلامة والعافية- ألا وهو: المناقشة، (من نوقش الحساب هلك) فالحساب العسير هو المناقشة، أو كما عرفها بعض العلماء: هو الاستقصاء في المحاسبة، والمطالبة بالجليل والحقير، وترك المسامحة، هذا هو الحساب العسير، إذن اتضح لنا ولكم أن الحساب على قسمين.

يبقى مسألة ذكرها أهل العلم وهي: هل الكافر يحاسب؟ فحرر شيخ الإسلام ابن تيمية هذه المسألة في العقيدة الواسطية وغيرها وقال: إن كان المراد بالحساب وزن الحسنات والسيئات فالكافر ليس له ماذا؟ هل له حسنات يوم القيامة؟ لا...، ليس له حسنات، قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]، فإن أريد بالحساب الذي هو أن توزن حسناته وسيئاته فلا، أما إن أريد بالحساب أن الله -تعالى- يقرره بذنوبه ويوقفه عليها ثم يعاقبه، فالحساب يقع عليه ولا ما يقع؟ يقع عليه، فإذا أريد بالحساب وزن الحسنات

والسيئات فالكافر ليس له حسنات فلا يحاسب بهذا المعنى، أما إن أريد بالحساب أن الله –تعالى– يوقفه على أعماله ويقرره بها ويحصيها عليه ثم يجازيه ويعاقبه على ذلك فنعم، هذا ما يتعلق بمسألة الحساب.

يقول: بالنسبة لعذاب أهل القبر، هل الأحياء يسمعون عذاب أهل القبر؟.

نحن سبق أن قلنا بالأمس، ونؤكد ونذكر أنفسنا ونذكركم أيضًا ومن يشاهد هذه الحلقة، أيها الإخوة الكرام علينا أن نؤمن بالغيب ونوقن بذلك، والله –سبحانه وتعالى– أثنى على عباده المؤمنين بأنهم يؤمنون بالغيب، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ [البقرة: ١، ٢] فالواجب علينا أن نؤمن بالغيب عقلناه أو لم نعقله، وعذاب القبر ونعيمه كذلك هو من الغيب، لكن هل يشاهد هذا أو يسمع هذا العذاب أو ذاك النعيم؟ نعم ذكر جملة من العلماء منهم شيخ الإسلام، ومنهم ابن القيم في كتاب "الروح" وذكروا آثار حسنها بعض أهل العلم أن هذا العذاب قد يظهر وقد يراه الناس بأعينهم –نسأل الله العافية– فهذا العذاب قد يظهر ويشاهد كما وقع ذلك في عدة وقائع فقد يظهر هذا العذاب أو ذاك النعيم، لكن يبقى الأصل أنه غيب.

يقول: فضيلة الشيخ مثل هذه القصص التي ترد وتنتشر بين الناس هل من المشروع سردها وطرحها على الناس بشكل موسع أم أنه يقتصر على الموعظة بالموت دون الدخول في بعض التفصيلات؛ لأنه انتشر بعض الكتب للمشايخ وكذلك وبعض الصور؟.

هو نعم انتشر هذا والشريط الذي خرج قبل مدة ظهر وتداولته الأسماع والأيدي، يعني أنا أقول هنا ينبغي أن يكون فيه شيء من التوسط في هذا الباب عدم الإفراط والتفريط، الأصل بالنسبة لنا نحن معشر أهل الإسلام ونحن معشر أهل السنة على سبيل الخصوص أن نؤمن بالغيب، المسألة ما هي نحن متوقفين على قضية قصة وقعت ولا عذاب سمع أو شوهد، نحن نؤمن بذلك ونوقن، فالمدار في هذه القصص يعني لا نغرق في ذلك، أولًا أن بعض هذه القصص التي تتداول من جهة ثبوتها ومن جهة سندها فأحيانًا تجد هذه القصص فيها مبالغات وأحيانًا القصة في حد ذاتها لم تثبت، يعني قد يكون فيها شيء من اختلاق أو فيها شيء من المبالغة أو نحو ذلك، فهذا أيضًا مسألة مهمة؛ لأنه أحيانًا لما يتأثر بعض الناس ببعض هذا القصص، ثم يتبين أن هذه القصة مختلقة هذا قد يؤدي إلى اضطراب بعض الناس، فالأصل علينا أن نؤمن بالنصوص الشرعية، وهذا حق وهذه القصص يمكن ترد على سبيل الاستئناس على سبيل الاعتضاد لكن لا نعول عليها؛ لأننا أمة مأمورة بأن نؤمن بالغيب سواءً عقلناه أو لم نعقله، لاسيما ما يتعلق بالحياة البرزخية فهي من الغيب، لكن قد يظهر ذلك، في أوقات، فينبغي أن لا نغرق في مثل هذه القصص ويكفينا هذه النصوص التي هي أبلغ وأوضح وأظهر في الدلالة فهي نصوص صحيحة صريحة، نصوص قطعية الثبوت وأيضًا صريحة الدلالة والله أعلم.

يقول: الرؤى التي ترى في الميت بعد موته بأنه مثلًا سواءً يعذب أو أنه في نعيم هل يستند عليها أيضًا؟.

الرؤى أيضًا نحن لا نغرق في موضوع الرؤى، لكن على كلٍ هذه رؤيا الشخص مثلًا بعد وفاته في صورة حسنة هذه نعتبرها من المبشرات ويستأنس بها، لكن أيضًا لا يعول عليها، وكما مر بنا من قبل نحن نرجو للمحسنين لكن لا نؤمنهم، ونخاف على المسيئين ولا نقنطهم، فهذه قد تكون من الأشياء التي يعني الرؤى الحسنة يستبشر بها مثل ما كان العلماء عندما يترجمون للعالم أو للإمام فيقول: توفي كذا ورأيت له رؤى حسنة، فهذه مما يستأنس بها والله أعلم.

بقي عندنا الصراط والميزان.

نبدأ بموضوع الصراط، طبعًا معناه في اللغة واضح: هو الطريق الواضح هذا في اللغة، الصراط لغة: هو الطريق، أو الطريق الواضح والمراد بالصراط هنا هو الجسر المنصوب على متن جهنم –أعاذنا الله من جهنم–.

هذا الصراط يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، ومن ثبت على صراط الله المستقيم في الدنيا سهل عليه المرور على هذا الصراط، أما من تنكب صراط الله المستقيم في الدنيا فهو عرضة للزلل وعرضة للسقوط من خلال هذا الصراط.

هذا الصراط أثبته أهل السنة والجماعة وأنكره بعض المعتزلة، وهذا الصراط يمكن نقول أنه هو جاء في مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١] وأن المراد بالورود هنا ﴿ وَإِن مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ المراد به على أظهر الأقوال هو المرور على الصراط، وجاء في حديث مسلم حديث طويل والشاهد فيه أنه –عليه الصلاة والسلام– سئل ما الجسر؟ الذي هو الصراط؟ قال –عليه الصلاة والسلام–: (دحض مزلة) فهو وصفه –عليه الصلاة والسلام– بأنه: (دحض مزلة) يعني أن الشخص عرضة لأن تزل قدمه على هذا الصراط، قال: (دحض مزلة عليه كلاليب) والكلاليب: جمع كلوب وهي الحديدة المعكوفة، فهذه الكلاليب، قد أذن الله –تعالى– لها أن تأخذ من شاء من العصاة، والناس على هذا الصراط يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كطرف العين، ومنهم من يمر كالطير، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، أو كالركاب أي الإبل، ومنهم من يمشي وهكذا.

قال –عليه الصلاة والسلام–: بعدها قال: (فناجٍ مُسَلَّم) هذا الصنف الأول (وناج مخدوش) والثالث: (ومكدوس في نار جهنم) هكذا جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم، فالأول (ناجٍ مسلم) يعني لا يصيبه شيء من هذه النار أعاذنا الله منها ولا شيء من لهيبها، أما الثاني وهو: المخدوش المرسل، فهذا يصيبه شيء من هذه النار لكنه يرسل ويتجاوز الصراط أما الثالث فهو مكدوس في نار جنهم، أي أنه يسقط في هذه النار.

هؤلاء هم الذين يمرون على الصراط الذي حرره الحافظ ابن رجب –رحمة الله عليه– في كتاب "التخويف من النار": أن الذي يمر على هذا الصراط هم أهل الإسلام بما فيهم أهل النفاق؛ لأن أهل النفاق في الظاهر أنهم من الإسلام ثم يسقطون في هذا عبر هذا الصراط، أما الكفار فظاهر حديث أبي سعيد كما احتج به الحافظ ابن رجب حديث أبي سعيد الخدري الطويل: أن الكفار يلقون في جنهم ابتداءً، كما جاء في الحديث أنه قال: (من كان يعبد شيئًا فليتبعه) فالذين يعبدون الأصنام يتبعون أصنامهم ثم يلقون فيها مع أصنامهم، هذا الصراط يمر عليه أهل الإسلام كما حققه الحافظ ابن رجب في كتابه "التخويف من النار".

انتهينا من الكلام عن الصراط بإيجاز شديد، ننتقل إلى الحديث عن الميزان، الميزان المراد به هو الميزان الذي ينصبه الله –تعالى– يوم القيامة من أجل وزن أعمال العباد؛ إظهارًا لكمال عدله سبحانه، والأحاديث فيه ثابتة ومتواترة عن رسول الله –عليه الصلاة والسلام– وهو ميزان حقيقي لا يعلم قدره وكيفيته إلا الله –سبحانه وتعالى– هذا الميزان أثبته أهل السنة وأنكره بعض المعتزلة أيضًا، وتأولوا الميزان بأنه العدل، قالوا: الميزان المراد به العدل، لا.. ليس الأمر كذلك، فالميزان واضح من خلال النصوص الشرعية أنه ميزان حقيقي له كفتان كما جاءت في ذلك الأدلة كحديث البطاقة وغيرها، قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

عندنا حديث البطاقة الذي أخرجه أحمد وغيره وهذا واضح أن الميزان له كفتان كفتة توضع فيها الحسنات، وكفة توضع فيها السيئات، ما الذي يوزن في هذا الميزان؟

العلماء لهم في هذا أقوال: منهم من قال:

القول الأول: أن الذي يوزن هو العمل، وهذا عليه جمهور العلماء، أن العمل هو الذي يوزن، يعني هذا العمل ليس جسمًا ليس جرمًا، لكنه يوم القيامة يكون جرم، ولهذا قال –عليه الصلاة والسلام–: (ليس شيء أثقل في ميزان العبد من تقوى الله وحسن الخلق) وفي الحديث الآخر قال –عليه الصلاة والسلام–: (كلمتان خفيفتان على

اللسان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) فهذا نجد أن جملة من العلماء الذين كتبوا في اليوم الآخر من السابقين ومن المعاصرين يميلون إلى هذا الرأي إلى أن الذي يوزن هو العمل نفسه.

القول الثاني: أن الذي يوزن هو السجلات التي تكتب فيها الأعمال، ويدل على هذا حديث البطاقة الذي ليس معه إلا بطاقة فيها لا إله إلا الله له تسعة وتسعين سجل كل سجل مد البصر من السيئات فتوضع هذه السجلات في كفة وتوضع بطاقة لا إله إلا الله في كفة فترجح هذه البطاقة وتطيش تلك السجلات، فدل هذا الحديث على أن الذي يوزن هي السجلات أو تلك الكتب التي فيها ما كُتِبَ من حسنات أو سيئات.

القول الثالث: أن الذي يوزن هو الشخص نفسه، ويمكن الاستدلال بالحديث الذي أخرجه البخاري، قال –عليه الصلاة والسلام–: (إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، واقرءوا إن شئتم ﴿ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: ١٠٥]) وأيضًا استدل بأن ابن مسعود –رضي الله عنه– كان يجني سواكًا فهبت الرياح فكشفت عن دقة ساقيه فضحك من ضحك من حاله فقال –عليه الصلاة والسلام–: (أتعجبون من دقة ساقيه إنهما لأثقل في الميزان من جبل أحد) هكذا جاء في الحديث الصحيح.

على كلٍ من أهل العلم من يرى أنه يجمع هذا وهذا، يعني يجمع بين هذه الأمور أن الوزن يكون للعمل وللعامل والسجلات، والواجب علينا أن نشتغل بما ينفع وأن نسعى إلى تثقيل موازين أعمالنا بالحسنات فهذا هو الأنفع، وفي هذا حصل قصة طريفة وهو أن أحد الملوك سأل أحد علماء المالكية عن الميزان أهو من ذهب أو ورق؟ يقول: من ذهب ولا من فضة؟ فكتب هذا الإمام من أئمة المالكية وقال: حدثنا مالك ثم ساق بسنده أن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)، وستقدم عليه وتعرف، فنقول: أحيانًا يمكن المشكلة التي قد نقع فيها ويقع البعض فيها أن الاستغراق في بعض جزئيات الحديث عن اليوم الآخر وبعض مسائله العلمية قد يشغل عما يجب أن نشتغل به من قضية الاستعداد لهذا اليوم وأن نحاسب أنفسنا، ورضي الله عن الفاروق إذ يقول: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٨]».

يقول: بالنسبة لفلاسفة الإسلام فهم مع إنكارهم للباطل لا زالوا في دائرة الإسلام وكفرهم –إذا كانوا كفار– كفرهم هل دون كفر اليهود والنصارى يوم القيامة يكون عندهم مثقال ذرة من إيمان أو أنهم يخلدون في النار؟.

لا.. هو يا إخواني حتى لا يصير فيه لبس حتى لما نقول: فلاسفة الإسلام، يعني هذا مصطلح وإلا هذه الفلسفة التي وقعوا فيها التي هي تسمى... يعني لما نقول مثلًا ابن سينا الفارابي هؤلاء وقعوا في هذه الفلسفة، اتبعوا أرسطو وأرسطو الفيلسوف اليوناني كان وثنيًا يقول بقِدِم العالم وعنده من الوثنيات ما عنده، فنحن لما نقول: فلاسفة الإسلام المقصود الفلاسفة الذين عاشوا في بيئة المسلمين، ولا الإسلام ما فيه هذه الفلسفة التي هي الزندقة؛ لأن فلسفة ابن سينا قائمة على إنكار بعث الأجساد –كما سمعنا– إنكار أن الله –تعالى– يعلم الجزئيات – كما مر بنا في مسألة العلم الإلهي– على أنه يقول: أن العالم قديم كقِدم الله –سبحانه وتعالى– فلما نقول: فلاسفة الإسلام المقصود بأنهم فلاسفة عاشوا في بيئات المسلمين، فالعلماء يقولوا فلاسفة الإسلام مرة يقول زنادقة الإسلام، الإسلام ما فيه زندقة، لكنه يقول: هؤلاء الزنادقة عاشوا في مجتمع المسلمين لما نقول: زنادقة الإسلام "المعري ولا الراوندي ولا أبو حيان التوحيدي" هذا المراد، فهذا المقصود وإلا هؤلاء الفلاسفة مثل ابن سينا وغيره، نجد أبو حامد الغزالي وهو أبو حامد الغزالي كفر ابن سينا، كفر لمقالاته الثلاثة، فهؤلاء مذهبهم مشركو العرب يعني مذهب المشركين أقل سوءًا وانحرافًا من مذهب هؤلاء. يعني لما عندهم مثلًا من قضية إنكار الصفات والأسماء؛ لأنهم حتى قضية إثبات توحيد الربوبية لا يثبتونها، يجعلون العالم قديم كقدم الله.

يقول: بالنسبة للحساب والعرض والميزان هل يكون هنا في الأرض على العالم الأرضي أو يكون في السماء؟.

لا.. ما يخفى عليك أن الله -تعالى- قال: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ﴾ [الرعد: ٤٨]، وأن الحساب كما ورد في بعض الأحاديث والآثار: أنه في أرض بيضاء كالفضة، فالأرض تتبدل، لكن هل تتبدل عينها أم تتبدل صفاتها؟ هذا محل خلاف بين أهل العلم، المقصود أنه لا يظن ظان أنها نفس الأرض هذه تمامًا، وعلى كلٍ يجب أن ننبه إلى مسألة مهمة أشار لها أو نستأنس بأثر ابن عباس -رضي الله عنهما- لما قال: «ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء» وفي رواية أنه قال: «ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء» فكون هناك مثلًا تذكر أسماء في الدنيا وأسماء في الآخرة لا يعني التماثل من كل وجه، وإنما هو اتفاق في القدر المشترك وإلا الحقائق والكيفيات بينها من التباين ما لا يعلمه إلا الله -سبحانه وتعالى-.

يقول: يقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ [الحاقة: ١٩]، ويقول: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ﴾ [الحاقة: ٢٥]، ويقول في مقام آخر: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ [الانشقاق: ١٠]، السؤال يا شيخ: من هم الذين يأخذون الكتاب وراء ظهورهم؟ والسؤال الثاني: ممكن توضح لنا القنطرة أو قِنطرة نسمع من بعض الشيوخ؟.

الناس على قسمين: إما أن يأخذ كتابه بيمينه أو يأخذ كتابه بشماله، أما ما ذكرت من الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ فالذي استظهره بعض العلماء أنهم يجمعون بالأمرين أن الكفار يأخذون كتبهم بشمالهم من وراء ظهورهم، يعني يجتمع فيهم الوصفين، بعض العلماء شذوا وقال: إن الكافر يأخذ كتابه بشماله، والمؤمن يأخذ كتابه بيمينه نعم هذا لا إشكال فيه، قال: والعاصي يأخذ كتابه وراء ظهره، هذا قاله ابن حزم، ولكنه قول مردود؛ لأنه أيهما أشد في العذاب؟ أن يأخذ بشماله فحسب، ولا يأخذه من وراء ظهره، فكيف يكون؟ فالذي أذكره من كلام أهل العلم أن الكفار يجمعون بين الأمرين -نسأل الله العافية- فهم يأخذون كتابهم بشمالهم ومن وراء ظهرهم، كيف يكون هذا؟ العلماء لهم أقوال في هذا، لكن المقصود أنه يجتمع فيهم الوصفين.

أما قضية القنطرة: نعم هذا الحديث ثابت، أن أهل الإيمان إذا عبروا الصراط أنهم يحبسون في قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فبعض العلماء يرى أن هذا صراط آخر، يعني هذا صراط ثاني والبعض يقول: لا.. أن هذه قنطرة كما هو ظاهر الحديث، المقصود أنهم إذا تجاوزوا هذا الصراط عندئذ يمكثون في هذه القنطرة ويقتص حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، نعم هذا ثابت في الحديث عنه -عليه الصلاة والسلام-.

يقول: يسأل عن أحداث يوم القيامة لا شك أن الجدل يكثر فيها ما هو الحدث الذي يبتدئ به العباد؟ هل يحاسبون أو... إلى آخره، فبودنا يا فضيلة الشيخ أن تذكر لنا ترتيبًا يسيرًا لأحداث يوم القيامة؟.

والله أنا ما أجزم أني أعرف شيء في هذا، لكن فيه أحوال نقول يمكن دلت عليها الأدلة، يعني مثلًا الأحوال التي مرت بنا الآن يمكن أن يكون الترتيب ظاهرًا، فلاشك أن البعث هو أسبق فعندنا البعث يليه مثلًا لما نأتي المسألة التي عندنا نقول: يأتي بعده الحساب، ثم يأتي بعده الميزان، ثم إذا حوسبوا الميزان من أجل معرفة مقادير الأعمال، ثم يأتي الصراط، فهذه واضحة من خلال النصوص تدل على شيء من ذلك، فنقول مثلًا: البعث والنشور ثم الحساب ثم الميزان ثم الصراط ثم الجنة والنار، هذا الذي يبدو، هناك تبقى جملة من أحوال اليوم الآخر كما مر بنا فيها خلاف بين أهل العلم أيهما أسبق؟ مثل ما مر بنا في الحوض، فبعضهم يقول لك مثلًا: إن حوض النبي -عليه الصلاة والسلام- قبل الصراط، وبعضهم يقول: بعد الصراط، والذي يظهر -كما مر بنا- أن الحوض هو قبل الصراط، فالناس عندما يخرجون من قبورهم عطشى يكون هذا الحوض، فيمكن نقول هنا:

عندنا البعث والنشور ثم الحوض؛ لأن الحوض يكون؟ في عرصات القيامة، فالمقصود أننا عندنا جملة من أحوال يوم القيامة هي محل اتفاق بين العلماء، الجنة والنار آخر مطاف ما أحد ينازع في هذا، ما بعد الجنة والنار شيء، وهناك أحوال يعني يمكن يظهر الترجيح فيها مثل ما ذكرنا، وهناك أحوال تبقى محل نزاع والله أعلم بالقول الراجح في مثل هذه المسائل التي يقع فيها اختلاف.

يقول: يسأل عن حديث البطاقة يقول: هل يلزم أن تتحقق لا إله إلا الله بشروطها؟ وما رأيكم في من يقول أن هذا العدد ليس له دليل؟.

العدد؟

عدد الشروط وحصرها ليس له دليل.

لا.. ليس كذلك يعني هو صاحب البطاقة هذا كما ذكر أهل العلم، هذا الرجل صاحب البطاقة الذي عنده لا إله إلا الله الذي جعل هذه البطاقة ترجح؛ لأنه قال هذه الكلمة وعنده من اليقين والإخلاص وتحقيق شروطها ما جعلها تثقل بهذه التسع وتسعين سجل، وإلا كل شخص عنده بطاقة من أهل الإسلام، هناك أهل الإسلام عندهم هذه البطاقة، عندهم بطاقة لا إله إلا الله ومع ذلك ترجح سيئاتهم على تلك البطاقة، فما كل صاحب بطاقة لا إله إلا الله ترجح حسنته بسيئاته، فالمقصود أنه كما ذكر ابن القيم وذكر ذلك أيضًا من قبل شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمة الله عليهم–: أن صاحب البطاقة قد قام في قلبه من الإخلاص واليقين ما جعل هذه الحسنة ترجح، وعلى كلٍ الواجب علينا أن نجمع بين النصوص فنقول: ما جاء من الأحاديث مطلق ولم يذكر فيه شروط لا إله إلا الله يضم إلى المقيد، مثلاً حديث: (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) نقول: هذا الحديث جاء ما يقيده من جهة الإخلاص، مثل ما قال –عليه الصلاة والسلام–: (إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله) فمسلك أهل العلم ومسلك أهل السنة على سبيل الخصوص أن يؤخذ بالنصوص كلها، ما يؤخذ بنص وتترك سائر النصوص. هذا الذي يمكن أن يقال.

والأمر الآخر الذي قال بعض أهل العلم بالنسبة لحديث البطاقة: أن هذا الرجل وفق لقولها عند موته، وقد ورد في الحديث: (من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة) فهذه بعض الأقوال التي ذكره بعض أهل العلم في شأن حديث البطاقة والله أعلم.

أسئلة الحلقة.

السؤال الأول: اذكر دليلين عقليين سمعيين في القرآن على إثبات المعاد؟ يعني أريد أن تذكر دليل يجمع بين الوصفين أنه دليل عقلي وسمعي في نفس الوقت على إثبات المعاد. هذا ما يتعلق بالمسألة الأولى.

السؤال الثاني: ما الحساب اليسير؟ وما الحساب العسير؟ مع الدليل؟

الدرس التاسع عشر

من قوله"والجنة والنار مخلوقتان"

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين وأصلي وأسلم على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

أسئلة الحلقة الماضية:

السؤال الأول: اذكر دليلين عقليين سمعيين على إثبات المعاد؟

فقال: أولًا: من قدر على الابتداء مرة فهو على الإعادة أقدر، قال تعالى: ﴿ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩].

ثانيًا: من قدر على الخلق الأعظم فهو على ما دونه أقدر، قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧].

إجابة الأخ صحيحة وموفقة، فزاده الله توفيقًا.

السؤال الثاني: ما الحساب اليسير؟ ما الحساب العسير؟ مع الدليل؟

وكانت الإجابة: الحساب اليسير هو العرض وهو أن الله -تعالى- يقرر عبده المؤمن بذنوبه فيقر المؤمن بها، فيقول الله -تعالى-: (إني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم) وتستدل بقول عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك) قال عائشة -رضي الله عنها-: (أليس الله -تعالى- يقول: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٧، ٨]؟ فقال -عليه الصلاة والسلام-: إنها هو العرض).

نعم.. إجابة صحيحة موفقة.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان، فإن الله -تعالى- خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما أهلًا فمن شاء منهم إلى الجنة فضلًا منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلًا منه، وكل يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خلق له، والخير والشر مقدران على العباد).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

في هذه العبارة يقرر الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى- أن الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان ولا تبيدان.

نبدأ بالمسألة الأولى وهي مسألة أن الجنة والنار مخلوقتان: نعم الجنة موجودة الآن، والنار -أعاذنا الله منها- كذلك، والأدلة على هذا كثيرة جدًا من الكتاب والسنة، وهذا محل إجماع عند سلف الأمة.

من الآيات الدالة على أن الجنة موجودة والنار موجودة: قوله تعالى عن الجنة: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وقوله تعالى عن النار: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤]، أيضًا قال -عز وجل- عن النار -

أعاذنا الله منها-: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴾ [النبأ: ٢١، ٢٢] وأيضًا مما يدل على أن الجنة موجودة ما جاء في سورة النجم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ [النجم: ١٣- ١٥] هذه بعض الأدلة القرآنية الدالة على أن النار والجنة موجودتان.

أما الأدلة من السنة: فمن الأدلة من السنة قوله -عليه الصلاة والسلام-: (الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك) هكذا جاء الحديث حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- مرفوعًا للنبي -عليه الصلاة والسلام-، هذا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم: أن (الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك) في هذا الحديث أشار الحافظ ابن حجر -رحمه الله- إلى لفتة مهمة فقال: «ينبغي للمرء ألا يزهد في قليل من الخير أن يفعله، وألا يحقر شيئًا من الشر أن يجتنبه، فإنه لا يدري ما الحسنة التي يرحمه الله بها، ولا يدري ما السيئة التي يسخط الله عليه بها» أو كما قال -رحمه الله-.

أيضًا من الأدلة على أن الجنة والنار موجودتان: ما جاء في حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- مرفوعًا أنه -عليه الصلاة والسلام- قال: (إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار) أخرجه البخاري ومسلم.

وقد مر بنا في حديث سابق لما جاء الكلام عن عذاب القبر ونعيمه أن المؤمن إذا أجاب يقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، قال -عليه الصلاة والسلام-: (فينظر إليهما جميعً).

من الأدلة أيضًا الدالة على أن الجنة والنار موجودتان: حديث عائشة -رضي الله عنها- أم المؤمنين لما ذكرت خسوف الشمس في عهد النبي -عليه الصلاة والسلام- والشاهد فيه قوله -عليه الصلاة والسلام- قال: (رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم به) قال: (حتى لقد رأيتني آخذ قطفًا من الجنة حين رأيتموني أقدم، ولقد رأيت جهنم -أعاذنا الله منها- يحطم بعضها بعضًا حين رأيتموني تأخرت) هذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم.

فكل هذه الأدلة تدل على أن الجنة والنار مخلوقتان، وهذا محل إجماع عند السلف حتى جاء القدرية والمعتزلة فأنكروا ذلك، فأنكر المعتزلة والقدرية وجود الجنة والنار الآن.

هؤلاء احتجوا بجملة من النصوص، النصوص التي احتجوا بها لا تدل على أن الجنة والنار ليستا موجودتين، وإنما النصوص التي استدلوا بها إنما تدل على أن الله -تعالى- يحدث من أنواع النعيم، يحدث منها شيئًا بعد شيء عندما يدخل أهل الإيمان الجنة، فالجنة موجودة الآن، لكن هذا النعيم يحصل له تمام الكمال وتمام الإنعام عندما يدخل أهل الإيمان الجنة، هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

فمثلًا لما يقول -عليه الصلاة والسلام-: (من بنى لله مسجدًا بنى الله له بيتًا في الجنة) نقول: هذا الحديث لا يدل على الجنة ليست موجودة، وإنما يدل على أن الشخص إذا دخل الجنة وقد فعل هذا الأمر العظيم -وهو بناء مسجد- أن الله -تعالى- يحدث له من النعيم ما لم يكن من قبل، هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

ننتقل للمسألة الثانية وهي قضية أن الجنة لا تفنى ولا تبيد: نعم الجنة لا تفنى ولا تبيد والدليل على هذا ظاهر في كتاب الله -عز وجل- قال تعالى عن الجنة: ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود: ١٠٨] وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾ [ص: ٥٤] وقال -عز وجل- ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ وِظِلُّهَا ﴾ [الرعد: ٣٥] وقال تعالى عن فاكهة الجنة: ﴿ لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ ﴾ [الواقعة: ٣٣].

إذن أيها الإخوة أيها الأخوات: الجنة لا تفنى ولا تبيد كما سمعنا هذه الآيات القرآنية.

من أنكر ذلك؟ من قال إن الجنة تفنى؟ أنكر ذلك الجهم بن صفوان السمرقندي، ومعه أبو الهذيل العلاف من رؤوس المعتزلة، وقال بفناء حركات أهل الجنة، إذن نخلص من هذا: إلى أن الجنة لا تفنى ولا تبيد، والجهم بن صفوان هذا الرجل الذي له من الضلالات ما له زعم أن الجنة تفنى، وبهذا نكون انتهينا من الحديث عن هذه المسألة.

يبقى عندنا إشكال قد يورده البعض وهو: أن الله -سبحانه وتعالى- قال عن نعيم الجنة وعن أهل الجنة: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود: ١٠٨] الشاهد هنا قال: ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ فهذا استثناء فوقع شيء من الاشتباه، فالجواب عن هذا الاشتباه أن يقال: إن كون الجنة لا تفنى ولا تبيد وأن أهل الجنة فيها مخلدون هذا أمر محكم مقطوع به، فأهل الجنة في الجنة مخلدون، وهذا الاستثناء في قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ هذا مما يقع فيه الاشتباه ويحمل قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ كما قال جملة من المفسرين: إلا مدة بقائهم في الدنيا أو في البرزخ أو في عرصات القيامة، فلا شك أن الناس في الدنيا أهل الإيمان في الدنيا ليسوا في الجنة، وكذلك أيضًا في البرزخ هم أيضًا كذلك ليسوا في الجنة -جنة المأوى- وأيضًا كذلك هم في عرصات القيامة أيضًا هم ليسوا في الجنة. هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

ننتقل إلى المسألة الثانية: وهي قضية الكلام عن مسألة فناء النار -أعاذنا الله منها-: هذه المسألة فيها قولان لأهل السنة، القول الراجح والذي دلت عليه الأدلة ويكاد أن يكون محل إجماع ألا وهو: أن النار -أعاذنا الله منها- لا تفنى ولا تبيد، من ذلك مثلًا قوله تعالى عن هذه النار -أعاذنا الله منها- قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ [الجن: ٢٣]، وقال -عز وجل- عن هذه النار قال تعالى: ﴿ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر: ٣٦] فدلت الآية على أن هذا العذاب دائم لا ينقطع -أعاذنا الله من ذلك- وأيضًا هذا هو المتقرر في كثير من كتب عقائد السلف، وأيضًا هذا مما يقتضيه العقل، فقد يقول قائل: هذا الكافر الذي عاش ستين عامًا وهو كافر كيف يعذب أبد الآباد، ونقول هو -سبحانه وتعالى- هو الحكيم له حكمة البالغة فيما يقدر وهو -سبحانه وتعالى- بعلمه المحيط بكل شيء، يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، هو -سبحانه وتعالى- يعلم أن هذا الكافر لو رد إلى الحياة الدنيا لعاد إلى ما كان عليه من الكفر والشرك بالله، قال -عز وجل-: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ [الأنعام: ٢٨].

هذا الذي يظهر من أقوال أهل العلم، أن القول الراجح في هذه المسألة أن النار لا تفنى ولا تبيد، ومع ذلك فإن القول بفناء النار هو قول قال به بعض الصحابة ونسب إلى بعض الصحابة -رضي الله عنهم- وهذا القول -أعني القول بفناء النار قول له حظ من الأثر ومن النظر-.

من الأدلة على أن له حظ من الأثر والنظر: ما جاء في قوله تعالى: ﴿ لاَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾ [النبأ: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿ أَحْقَابًا ﴾ جمع حقب، والحقب هو المدة الزمنية، فدل ذلك على أن من خلال هذه الآية أن دخولهم النار له مدة معينة، ثم بعدها هذه النار تفنى بمن فيها من أهل الكفار وأهل الشرك.

أيضًا جاء ذلك في آثار عن الصحابة -رضي الله عنهم- من الأدلة التي استدل بها القائلون على أن النار تفنى قوله تعالى: ﴿ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٨] فجاء ذلك مقيدًا.

وعلى كلٍ البعض يرى البعض في مسألة فناء النار أن ينتهي إلى ما جاء عن بعض الصحابة كما جاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أنه قال في هذه المسألة قال: «ويفعل الله بعد ذلك في خلقه ما يشاء» أو ما جاء أيضًا عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أنه قال: «انتهى الأمر إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: ١٠٧].

وعلى كلٍ لا نريد أن يشتغل البعض وينهمكوا في الحديث عن هذه المسألة التي وقع فيها خلاف بين أهل السنة، أقول: ننشغل بالخلاف عما هو أهم وأولى، ألا وهو: أن نستعيذ بالله -تعالى- من النار، والنبي -عليه الصلاة والسلام- لما قال للصحابة -رضي الله عنهم- قال: (ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من جهنم) هذه النار التي في الدنيا هي جزء من سبعين جزءًا، فقال الصحابة -رضي الله عنهم- قالوا: (يا رسول الله: إن كانت لكافية) لو كانت نار جهنم -أعاذنا الله منها- مثل نار الدنيا لكانت كافية، ثم قال -عليه الصلاة والسلام- قال: (فضلت عليهن -أي نار جهنم- بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حره) هكذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم.

المقصود أن يشتغل بهذه المسألة فيما يتعلق بالتعوذ بالله من النار والحرص على كل سبب من الأسباب التي شرعها الله التي تمنعنا من الوقوع في هذه النار وعذابه وسخطه -أعاذنا الله من ذلك-.

يبقى عندنا أن نشير ونذكر أنفسنا أن ثمة غفلة عن اليوم الآخر، وتحضرني في هذا المقام عبارة قالها الحسن البصري -رحمه الله- يقول الحسن: لقد أدركت أقوامًا لو رأيتموهم لقلتم هؤلاء مجانين -ولعله يشير إلى ما عندهم من شدة الخوف من الله سبحانه وتعالى- والخوف من عقابه، ثم قال: ولو أدركوكم لقالوا: هؤلاء شياطين، ثم قال -رحمه الله- بعد هذا قال: ولو أدركوا خياركم لقالوا: هؤلاء لا خلاق لهم - لا نصيب لهم، لا حظ لهم- ولو أدركوا شراركم لقالوا: هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب، والله المستعان.

يبقى عندنا في العبارة التي بين أيدينا لما قال -رحمه الله-: (وخلق لهما أهلاً) نعم الله -سبحانه وتعالى- خلق للجنة أهلًا وخلق للنار أهلًا، والدليل على ذلك ما جاء في مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا ﴾ يعني: هيأنا وخلقنا، وجاء في الحديث الذي أخرجه مسلم قال -عليه الصلاة والسلام-: (إن الله خلق للجنة أهلًا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلًا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم) أخرجه مسلم، وجاء في حديث علي -رضي الله عنه- أنه -عليه الصلاة والسلام- قال: (ما من نفس منفوسة إلا قد كتب الله مكانها من الجنة والنار) أخرجه البخاري ومسلم.

المقصود أن هذا أمر قد فُرِغَ منه، وقد عُلِمَ أهل الجنة من أهل النار كما مر بنا في موضوع القدر.

بعد قال الطحاوي -رحمه الله- قال: (وكل يعمل لما قد فُرِغَ له) هذه العبارة قد مرت بنا في قوله في القدر لما قال: (وكل ميسر لما خُلِقَ له) وقوله: (وكل ميسر لما خُلِقَ له) وقوله هنا: (وكل يعمل لما قد فُرِغَ له) كل هذا جاءت به السنة في قوله -عليه الصلاة والسلام-: (كل ميسر لما خُلِقَ له).

ثم قال بعدها: (والخير والشر مقدران على العباد) نعم الخير والشر قد قدره الله -تعالى-، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨] وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩] فلا يقع شيء في هذا الكون من خير أو شر إلا بتقديره -سبحانه وتعالى- ومشيئته، لكن سبق أن مر بنا أن الشر لا يضاف إلى الله -سبحانه وتعالى- استقلالًا باعتبار أنه -سبحانه وتعالى- لا يخلق شرًا محضًا كما قال -عليه الصلاة والسلام- في دعاء الاستفتاح: (والشر ليس إليك) فما يخلقه الله -سبحانه وتعالى- من شر أو مرض أو ألم أو وجع كل ذلك فيه من الحكمة والأسرار الشيء الكثير، نعلم شيئًا ويفوت علينا الشيء الكثير والله أعلم، هذا ما يتعلق بهذا المقطع وننتقل للمقطع الذي يليه.

يقول: إن بعض الناس عندما تخبره بأن الجنة والنار موجودتان الآن يسألك أين توجدان؟ لأننا نعلم بأن الجنة عرضها كعرض السماوات والأرض فنريد من فضيلتكم جوابًا كافيًا لهؤلاء؟.

نحن نجزم ونوقن يقينًا أن الجنة والنار موجودتان الآن، قضية المكان من أهل العلم من تحدث عن هذه المسألة فقال بعضهم: إن الجنة في أعلى عليين، وبعضهم قال: إن الجنة كما سمعنا الآية الكريمة في سورة النجم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ فالجنة الذي يظهر أنها بعد السماء السابعة وهي دون العرش؛ لأنه في الحديث قال -عليه الصلاة والسلام-: (إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلاها وفوقه عرش الرحمن) فأعلى المخلوقات هو العرش، العرش هو سقف المخلوقات، فالجنة في أعلى عليين وهي فوق السماء السابعة ودون العرش، هذا الذي يظهر والله أعلم.

أما النار -أعاذنا الله منها- فمن أهل العلم من يقرر -كما جاء في بعض الآيات- أنها في سجين والله تعالى أعلم هذا الذي يمكن يقال في هذه المسألة، وعلى كلٍ إذا ما تقرر أو ما حصل جواب جازم محرر في هذه المسألة فيجب على أهل الإيمان أن يؤمنوا بذلك؛ لأن الأحاديث في هذا متواترة، والنصوص القرآنية كذلك من قبل فالواجب علينا أن نؤمن بذلك سواءً عرفنا المكان أو لم نعرفه.

يقول: بالنسبة لمعرفة هذه التفاصيل وجود الجنة وكيفية خلقها وكذلك النار هل نقول: إنه من الواجب على المسلم أن يعرف ذلك؟ أم أنه يكتف بمعرفة ثواب المؤمن وعقاب الكافر دون التفاصيل الدقيقة؟.

لا شك أن على المؤمن أن يؤمن بالجنة والنار -كما مر بنا- الإيمان بالجنة والنار الإيمان باليوم الآخر عمومًا، هذا فرض عين على كل مسلم ومسلمة، هذه من المعرفة الإجمالية التي يعين على كل مسلم ومسلمة، لا شك أن معرفة تفاصيل النعيم أو تفاصيل العذاب والجحيم لا شك أنه إذا عرف الإنسان ذلك -عرف شيئًا من هذه التفاصيل- يكون باعثًا للعمل الصالح وأن يكف عن السيئات باعثًا للخوف والرجاء كما قد مر بنا في درس سابق، فنقول: كون الإنسان يعرف صفة الجنة ويعرف صفة النار لا شك أن من تعرف على ذلك من خلال نصوص الوحيين زاده ذلك إيمانًا، فهذا الذي ينبغي أن يشتغل به، أما قضية الكيفية كيفية نعيم الجنة كيفية العذاب، هذه الكيفية قد استأثر الله بها، وقد مر بنا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧] وما جاء في الحديث القدسي أن الله -تعالى- يقول: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قال واقرؤوا إن شئتم الآية: ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾).

وكما قال حبر هذه الأمة ابن عباس -رضي الله عنهما- قال -رضي الله عنه-: (ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء) فلا يظن ظان أن نعيم الجنة هذا النعيم المقيم أنه يماثل نعيم الدنيا أو ما في الدنيا من كل وجه، لا.. أبدًا، الله -تعالى- قال عن خمر الآخرة ﴿ لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ ﴾ [الواقعة: ١٩] أما خمر الدنيا فهي لا تنفك عن هذا الأذى وعن هذا الوجع، فالقصد من هذا أن على المسلم أن يتعرف على صفة الجنة والنار؛ لأنه كما نلحظ في أنفسنا والكثير من الناس أنهم ركنوا إلى الدنيا، والواجب على العبد أن يعلق قلبه بهذه الجنة التي هي النعيم المقيم مثل ما قال لبيد لما قال:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ** وكل نعيم لا محالة زائل

فنعم كل نعيم زائل إلا نعيم الجنة، والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة) فينبغي أن نحرك قلوبنا ونحرك مشاعرنا نحو هذه الدار المقيمة، فواقع الناس ونحن منهم في غفلة، هذه غفلة يجب أن نخفف منها وأن تزول عندما نتعرف ونحرك قلوبنا عندما نسمع هذه النصوص، هذا كلام الله، كلام النبي -صلى الله عليه وسلم- وحي ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢] ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧]، هذه النصوص إذا حركنا بها قلوبنا لاشك أن هذا توجب الإقبال على الله، والتجافي عن هذه الدار -عن هذه الدنيا- التي هي فعلًا دنيا وهي زائلة، ونعيمها مهما استمر فهو زائل وإلى انتهاء والله المستعان.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نوع التوفيق الذي لا يوصف المخلوق به تكون مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكين وسلامة الآلات فهي قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب، وهو كما قال الله -تعالى-: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]).

عندنا الآن موضوع الاستطاعة، وهو الاستطاعة هذا هو جزء من موضوع القدر، ونلحظ أن الطحاوي -رحمه الله- في عقيدته أن المسائل يوردها كذا متناثرة لم يجمعها في موضوع واحد، وموضوع القدر يتكرر معنا في مواطن متعددة، ولعله في هذا من التأكيد ما فيه، نبدأ هنا بموضوع الاستطاعة، إذا تأملنا في قول الطحاوي -رحمه الله- نجد أن الاستطاعة تنقسم إلى قسمين:

تأملوا معنا قال هنا: (والاستطاعة التي يجب بها الفعل) يجب يعني يتحقق بها الفعل، ويكون متحققًا واقعًا، قال: (من نحو التوفيق) أي: إلى هداية التوفيق التي تختص الله -سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦] من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق بها، نعم هداية التوفيق هي لله -سبحانه وتعالى- وحده لا شريك له، قال: (فهي مع الفعل) نعم هذه الاستطاعة هي مع الفعل، يعني مقترنة معه.

قال: (أما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات) سلامة الآلات يعني أن يكون الشخص يستطيع أن يصلي قائمًا، كون الشخص يستطيع أن يحج فهذه هي الاستطاعة التي تكون قبل الفعل.

قال: (وبها يتعلق الخطاب) المقصود بالخطاب أي التكليف، قال تعالى: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾.

من باب توضيح هذه المسألة يمكن أن نقول لكم: إن الاستطاعة تنقسم إلى قسمين:

- الاستطاعة التي يجب بها الفعل، هذه نسميها الاستطاعة الكونية.

- أما الاستطاعة التي هي من جهة الصحة والوسع فهي الاستطاعة الشرعية.

إذن عندنا:

- استطاعة كونية.

- استطاعة شرعية.

يمكن أن نعرف الاستطاعة الكونية أو نوضح معناها كما قال الطحاوي: (هي التوفيق الذي لا يوصف به المخلوق) أو التوفيق الذي يختص بالله -سبحانه وتعالى-، يعني هذا الشخص متى يتحقق منه الفعل ومتى يصلي فعلًا، إذا الله -سبحانه وتعالى- وفقه، فإذا خذل العبد فإنه لا يصلي، هذه هي الاستطاعة الكونية، وهي التوفيق الذي يختص بالله -سبحانه وتعالى-.

أما الاستطاعة الشرعية، فيكون معناها: الصحة والوسع وسلامة الآلات. ما معنى الصحة والوسع وسلامة الآلات؟ يعني شخص الآن مريض ما يستطيع الصيام فهنا رخص له الشارع في الفطر ثم بعدها يقضي هذا الصيام إذا كان هذا المرض من المرض الذي يرجى برؤه.

لاحظ هنا قلنا:

الفرق الأول: الاستطاعة الشرعية هي: سلامة الصحة والوسع وسلامة الآلات. والاستطاعة الكونية هي: التوفيق الذي لا يوصف به المخلوق، وإنما يختص بالله.

الفرق الثاني: هو أن الاستطاعة الكونية يتحقق معها الفعل فهي موجبة له بمعنى أنه يتحقق معها الفعل، إذا الله –تعالى– وفق فلان للصلاة فإنه حتمًا سيصلي، إذا وفقه لقيام الليل نعم فسيقوم الليل.

أما الاستطاعة الشرعية فهذه ليست موجبة، وإنما مجوزة للفعل. ما معنى مجوزة للفعل؟ يعني صالحة للضدين، يعني نوضح هذا بمثال: يعني شخص الآن عنده زاد وراحلة يعني عنده شرط استطاعة الحج، عنده الزاد وعنده الراحلة، عنده شرط الاستطاعة عمومًا، لكنه ما حج، فهنا الآن هذا الشخص الذي عنده زاد وراحلة يمكن يحج ويمكن ألا يحج أليس كذلك؟ كذلك مثلًا شخص عنده الآن مال بلغ النصاب وحال عليه الحول فهذا الشخص يمكن أن يزكي ويمكن ألا يزكي، عنده استطاعة، فهنا هذه الاستطاعة الشرعية هي صالحة للضدين، يعني يمكن أن يفعل ويمكن ألا يفعل؛ فلهذا قال العلماء: إنها مجوزة أو قالوا: صالحة للضدين، صالحة أنه يفعل وصالحة ألا يفعل.

الفرق الثالث: أن الاستطاعة الكونية هي مع الفعل مقترنة معه، أما الاستطاعة الشرعية فهي قبل الفعل، يعني نلاحظ مثلًا في الحج كون الشخص معه زاد ولا راحلة أو عنده نفقة الحج، هذه تكون كلها قبل الحج.

فإذن الاستطاعة الشرعية التي هي مناط التكليف هي تكون قبل الفعل، أما الاستطاعة الكونية الذي هو التوفيق فتكون مع الفعل، هذه هي الفروق الثلاثة.

طبعًا من باب تتمة الجواب نقول: إن الاستطاعة الكونية هي التي أثبتها الجبرية، الجبرية يثبتون الاستطاعة الكونية، والاستطاعة الشرعية يثبتها القدرية النفاة، ولو تذكرتم موضوع القدر نجد أن هؤلاء القوم إنما يثبتون من الاستطاعة ما يتفق مع مذهبهم فلاحظ مثلًا هؤلاء الجبرية الذين لا يثبتون للعبد فعلًا ولا اختيارًا بطبيعة الحال سيثبت الاستطاعة الكونية، الاستطاعة الكونية التي هي تختص بالله –سبحانه وتعالى– التي هو التوفيق، القدرية النفاة لما كانوا يقولون: إن الإنسان يخلق فعل نفسه سيروق لهم أن يثبتوا الاستطاعة الشرعية؛ لأنها تتعلق بوسع العبد وصحته وسلامة آلاته، لكن أهل السنة والجماعة أثبتوا هذا وذاك، أثبتوا الاستطاعة الكونية، وأثبتوا الاستطاعة الشرعية.

ربما يكون الموضوع فيه شيء من الدقة والخفاء فلعلي أعيد هذه الفروق بإيجاز فنقول: عندنا الاستطاعة تنقسم إلى قسمين:

- استطاعة كونية.

- استطاعة شرعية.

ما الاستطاعة الكونية؟

الاستطاعة الكونية كهداية التوفيق التي تختص بالله –سبحانه وتعالى– وحده لا شريك له.

ما الاستطاعة الشرعية؟

هي الصحة والوسع وسلامة الآلات والحواس، هذا الفرق الأول.

الفرق الثاني: أن الاستطاعة الكونية موجبة ومحققة للفعل، يتحقق معها الفعل، الاستطاعة الشرعية ليست كذلك بل هي مجوزة للفعل، بمعنى أنها صالحة للضدين قد يفعل وقد لا يفعل.

الفرق الثالث: أن الاستطاعة الكونية هي مع الفعل مقترنة مع الفعل، والاستطاعة الشرعية هي قبل الفعل.

الفرق الرابع: أن الاستطاعة الكونية أثبتها الجبرية والاستطاعة الشرعية أثبتها القدرية النفاة، وأهل السنة أثبتوا الجميع.

لعلي أذكر وأختم بمثال وهو يوضح المقصود: الاستطاعة الشرعية هي الاستطاعة التي يستخدمها الفقهاء، يعني لما نأتي مثلًا كتب الفقه أو تقرءون كتب الفقه أو عندما يتكلم أهل العلم والفقه، يقول: هذا الشخص مستطيع ولا لا؟ هم يتحدثون عن الاستطاعة الشرعية التي هي مناط التكليف، ومن ذلك كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران: ٩٧]، قال –عليه الصلاة والسلام–: (صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فصلِّ قاعدًا، فإن لم تستطع فصلِّ على جنب) لكن الاستطاعة الكونية هي التي جاءت في مثل قوله تعالى عن الكفار لما قال تعالى: ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٠، ١٠١] فقوله: ﴿ وَكَانُوا لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ "لا يستطيعون" لأنهم حرموا من التوفيق بسبب ذنوبهم، وبسبب إعراضهم، هذا ما يتعلق بموضوع الاستطاعة والله أعلم.

تقول: بالنسبة لتارك الصلاة كسلًا وليس جحودًا البعض يحكمون عليه –وإن كان كسلًا– بالكفر، وأنه إن مات لا يُغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين؟ هل هذا الحكم صحيح أم نحكم عليه بأنه من أهل الكبائر، وأن الله يعاقبه ثم يدخله الجنة؟.

يقول: كيف نوفق بين قول أهل السنة والجماعة أن أصحاب المعاصي لا يخلدون في النار، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ [الجن: ٢٣] كيف نوفق بين قول أهل العلم وبين قوله تعالى؟.

الأخت الكريمة تسأل عن تارك الصلاة كسلًا وليس جحودً.

سبق أن مر بنا إشارة إلى ذلك، بالنسبة لتارك الصلاة إذا تركها تهاونًا وكسلًا فالذي دل عليه السنة وهو القول الراجح الذي اختاره جمع المحققين، أن تارك الصلاة يُعد كافرًا كما جاء ذلك في قوله –عليه الصلاة والسلام–: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)، وقال –عليه الصلاة والسلام–: (بين الرجل وبين الكفر أو الشرك ترك الصلاة) فمن ترك الصلاة فهو كافر خارج عن الملة، ولو كان هذا تهاونًا وكسلًا.

أما إذا جحدها، هو إذا جحد الصلاة أو جحد غيرها من شعائر الإسلام أو ما كان معلومًا من الدين بالضرورة، ما يجحده يكون بذلك كافرًا، لكن الصلاة لها من الخصوصية ما لها، وهي العمل الوحيد الذي اختص بذلك؛ ولهذا قال عبد الله بن شقيق –رحمه الله–: «كانوا –أي الصحابة– لا يرون من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة»؛ ولهذا العلماء يقولون: أهل الإسلام ثم يقولون: أهل الصلاة، أهل القبلة لما نأتي مثلًا هنا في كتب الاعتقاد، ويقال: أهل الإسلام أهل الصلاة أهل القبلة، شخص ما يصلي هو معناه أنه لم يتجه لقبله أهل الإسلام فمعنى أنه ليس من أهل الإسلام لما يقول العلماء: أهل الإسلام أهل الصلاة أهل القبلة النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم) فالمقصود أن تارك الصلاة أنه كافر كما سمعنا من خلال حديث بريدة وجابر وغيرهما والله أعلم.

يقول: هل هناك فرق بين من يتركها جحودًا وعدم إيمانًا بوجوبها ومن يتركها تهاونًا وكسلًا؟.

الفرق من الناحية العلمية ظاهر، يعني شخص مثلًا يجحد الشيء فهو بمجرد هذا الجحود يكفر، لكن هنا الآن عندنا الصلاة لها مزية لها خصوصية وإلا لو جحد وجوب الزكاة وجحد وجوب الصيام والحج جحد شعائر الإسلام الظاهرة لو جحد ذلك لكفر، بل الفقهاء يقولون: لو جحده وفعل فإنه يكفر، لو أن شخص مثلًا جحد الحج وحج أو مثلًا جحد الزكاة وأدى الزكاة فهو يكفر بمجرد جحوده، لكن الصلاة هنا لها من المزية والنصوص علقت الكفر بالترك، قال: (من تركه) فهنا الآن هو استحق وصف الكفر لأجل تركها، وليس لأجل الجحود كما هو صريح هذا الحديث.

يسأل عن أهل الكبائر هل يخلدون في النار ويستدل بقوله تعالى: ﴿ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا ﴾؟.

هو سؤال أخينا الكريم لما يأتي الكلام في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ يعني هذه الآية جاءت في الحديث عن الكفار هذا أمر، وينبغي أن يُنظر إلى سياق الآية كما جاء ذلك في سورة الجن.

الأمر الثاني -الذي ذكرناه من قبل-: أن العصيان في القرآن قد يطلق مرة على الشرك، وقد يطلق على ما دون الشرك من كبائر الذنوب، وقد يطلق على الصغائر، فينبغي أن يعرف هذا الأمر، فالله -سبحانه وتعالى- لما قال عن فرعون: ﴿ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ [المزمل: ١٦] جزمًا أن معصية فرعون لموسى -عليه السلام- ليست كسائر المعاصي أو مطلق الذنوب، وإنما هو كفر وأشرك بالله -سبحانه وتعالى- وقال: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾ [النازعات: ٢٤] ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨]، وقد يطلق العصيان على الكبائر، ومنه ما جاء في بيعة النساء: ﴿ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾ [الممتحنة: ١٢] ومن ذلك ذكر العلماء قضية النياحة، فالنياحة من كبائر الذنوب، النياح على الميت، وقد يطلق العصيان على الصغائر، ومنه ما جاء في سورة الحجرات في قوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ [الحجرات: ٧]، فينبغي أن يتنبه لهذا أنه قد يطلق العصيان ويراد به الكفر كما في قوله تعالى: ﴿ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ وأن المراد بالعصيان في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ المراد بالعصيان هنا ما هو كفر مخرج من الملة والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد).

هذه العبارة المحررة التي ساقها الإمام أبو جعفر الطحاوي -رحمه الله- تبين ما عليه أهل السنة والجماعة من توسط في باب القدر، فهنا قال: (وأفعال العباد خلق الله) لما يقول: (أفعال العباد خلق الله) المقصود هنا كلمة "خلق" هذه مصدر بمعنى اسم المفعول، والمعنى: وأفعال العباد هي من مخلوقات الله، خلق بمعنى مخلوق، وقد مر بنا أنه قد يطلق المصدر ويراد به اسم المفعول مثل ما قال تعالى: ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ٨٥] ﴿ مِنْ أَمْرِ ﴾ هذا أمر مصدر بمعنى اسم مفعول أي: من مأموراته -سبحانه وتعالى-، وهذا يرد في لغة العرب، هم يقولون مثلًا: هذا درهم من ضَرْبُ الأمير أي من مضروباته، المقصود أن أفعال العباد هي من مخلوقات الله، لما نقول: ما الدليل؟ نقول: الدليل واضح في قوله تعالى: ﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦].

ثم قال -رحمه الله-: (وكسب من العباد) لما يقول: (وكسب من العباد) نعم، فالعبد هو الكاسب يعني هو الفاعل حقيقة، فهو المصلي الصائم، هو السارق هو شارب الخمر على حسب فعله، ينسب إليه الفعل حقيقة، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى: ٣٠] وقال -عز وجل-: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾ [البقرة: ١٣٤] إذن يوصف العبد بأنه فاعل حقيقة، فإذا تقرر ذلك فقوله -رحمه الله-: (وأفعال العباد خلق الله) في هذا رد على القدرية النفاة، الذين يزعمون أن الإنسان يخلق فعل نفسه، وإذا قلنا: (كسب من العباد)

أن العبد هو الكاسب هو الفاعل حقيقة، في هذا رد على الجبرية الذين يقولون: إن الإنسان مجبور على فعله وليس له اختيار ولا مشيئة. هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

إذن الكسب المراد به هنا (وكسب من العباد) أي العمل حتى لا يقع الخلط؛ لأن الكسب قد يطلق على المال –كسب المال– وقد يطلق على ما في القلب كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٥] لكن الكسب عندنا هنا المراد به السعي والعمل، فالعبد هو العامل أي الكاسب الفاعل حقيقة.

الكسب هنا يمكن أن نقول معناه بإيجاز: هو الفعل الذي يعود على فاعله بنفع أو ضر، من اللفتات الجميلة التي نبه عليها شيخ الإسلام وهي لفتة إيمانية لطيفة: أن الله –تعالى– قال: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ الفرق لما جاء في الكسب قال: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ لما كان الشيء الذي على العبد قال: ﴿ مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ فما موجب التفريق؟ قال –رحمه الله– قال: تأمل كيف أتى في ما لها في الكسب، الحاصل ولو بأدنى ملابسة، قال: وفيما عليها بالاكتساب الدال على الاهتمام والحرص، فنلاحظ الآن لما نأتي أيهما أبلغ: اكتسب أم كسب؟ لا شك أن اكتسب أبلغ؛ لأن زيادة المبنى تفيد زيادة المعنى، والاكتساب فيه معنى الحرص والاهتمام، فالعبد إنما يؤاخذ بالعمل الذي يؤاخذ ويحاسب ويجازى على ما كان هذا العمل أداه عن حرص واهتمام، لكن فيما يثاب عليه، قال تعالى: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ فأدنى ملابسة وأدنى سعي ولو لم يكن مباشرًا فإن العبد يثاب على ذلك، هذا مما يبين أن رحمة الله سبقت غضبه، وأن رحمته غلبت غضبه (إن رحمتي سبقت غضبي)، هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

يبقى عندما من باب التأكيد على كلام سابق وذكره الشارح ابن أبي العز: إن أهل البدع قد يحتجون بنصوص لبدعتهم؛ ولذلك أن الجبرية مثلًا احتجوا بقوله تعالى: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى ﴾ [الأنفال: ١٧] فالجبرية قالوا: العبد ما له فعل؛ لأن الله –تعالى– قال: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ ﴾ نفى الرمي، قال: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى ﴾ فنحن نجيب عن هذا كما مر بنا في قاعدة سابقة قررها شيخ الإسلام وأشار لها ابن القيم:

إن صاحب الباطل إذا احتج بدليل صحيح فإن هذا الدليل صحيح إنما ينقض كلامه ويبطل شبهته، فهنا نقول: هذه الآية الكريمة التي احتج بها الجبري على أن اللسان ليس له فعل نقول: هذه الآية الكريمة هي رد عليك، ما وجه الرد على الجبرية؟

وجه الرد على الجبرية أنه تعالى قال: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾ إذن أثبت للعبد رميًا أليس كذلك؟ قال: ﴿ إِذْ رَمَيْتَ ﴾ فالعبد هنا أضيف إليه الرمي، لكن هنا رمي أضيف للعبد، وأثبت له وهناك رمي نفي عن العبد، فما الذي ثبت للعبد؟ وما الذي ينفى عن العبد؟

الرمي الذي يثبت للعبد الذي هو (الحدف)، كونه (يحدف) هذا السهم أو هذا الحجر لكن الإصابة هي تختص بالله –سبحانه وتعالى–، فقوله تعالى: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى ﴾ يعني العبد ما عليه إلا أن (يحدف) لكن الإصابة بيد الله –سبحانه وتعالى–، هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

يقول: بالنسبة للاستدلال المخالف بأدلة صحيحة من الكتاب أو السنة كيف تتعامل معه؟ بعض الناس يقول: لابد أن أرد عليه بدليل غير مستدل به؟.

هو سبق أن قلنا: الأدلة بنصوص الوحيين هي حق، والحق لا يدل إلا على حق، ولما نؤكد على هذه القاعدة التي كان شيخ الإسلام يقولها: أنا ألتزم بأن أي دليل يحتج به الخصم أو صاحب البدعة لبدعته، فإن هي هذا الدليل ما ينقض كلامه، فهذا يعطينا ثقة بهذا المنهج الذي أكرمنا الله به هو منهج أهل السنة والجماعة؛ لأن أهل السنة آمنوا بجميع النصوص، ودائمًا الذي يؤمن بجميع النصوص لا يتناقض، الذي يتناقض هو الذي يأخذ ببعض النصوص ويترك بعضها، هذا الذي يتناقض، أو مثلًا يؤمن ببعض النصوص ويتأول نصوص أخرى على وفق

هواه، فنقول: يمكن الرد يكون من جهتين: من جهة أننا ننقض هذا الاستدلال ما دام هذا الدليل صحيح، فنقول: هذا الدليل جزمًا أن في هذا الدليل ما ينقض كلامه، لكن المشكلة التي نقع فيها: المشكلة أن عندنا من قصور العلم وعندنا من الذنوب ما تجعل الإنسان لا يستصحب الدليل، ولا يستصحب الرد على المخالف، وإلا الله –سبحانه وتعالى– قال عن هذا القرآن قال: ﴿ وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٣]، وجاء عن مسروق وجاء عن الإمام أحمد وعن الشعبي هؤلاء الأئمة الكبار الثلاثة، كلهم نجد أن لهم عبارة يتفقون فيها على "أن ما من صاحب باطل أو صاحب بدعة إلا وفي القرآن ما يرد عليه، لكننا لا نهتدي له"، لماذا لا نهتدي له؟ إما لقلة علمنا أو لكثرة ذنوبنا، فالإنسان قد لا ينتفع بالقرآن؛ ولهذا نجد العالم الرباني الذي عنده رسوخ في العلم، وعنده مثلًا خوف من الله تجد أنه ينتفع بالقرآن ويتوصل إلى أدلة لا يتوصل إليها غيره والله المستعان.

يسأل عن: الفرق بين حقيقة القدرة وبين حقيقة الاستطاعة؟.

ما فيه فرق، يعني هو كان علينا أن ننبه، يعني سواءً عبرنا عنها القدرة عبرنا عنها الاستطاعة عبرنا عنها الوسع، كلها معاني متقاربة، لما نقول: القدرة فكذلك، لاحظ هنا الطحاوي تكلم عن الاستطاعة واستدل بقوله تعالى: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ فسواءً سمينا استطاعة أو قدرة المعنى متقارب.

أسئلة الحلقة.

السؤال الأول: أكمل لما يلي: الجنة والنار مخلوقتان خلافًا......، والجنة لا تفنى خلافًا.......؟ نريد أن يحدد الفرقة أو الطائفة التي غلت في المسألة.

السؤال الثاني: اذكر ثلاثة فروق بين الاستطاعة الشرعية وبين الاستطاعة الكونية؟

يقول: كيف نوفق بين الأحاديث الدالة على قبول التوبة من صاحبها إذا كانت قبل الموت أو قبل قيام الساعة، وبين قول النبي –صلى الله عليه وسلم– في الحديث.. ويسوق الحديث الطويل ثم يقول عن صاحب الخمر إذا لم يتب للمرة الرابعة فإن تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال؟.

لو تعيد الحديث الأخير؟

يستدل بحديث: (من شرب الخمر لم يقبل له صلاة أربعين صباحًا فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صلاة، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال).

وأنا ما أدري عن هذا الحديث، لكن الأصل المحكم الذي دلت عليه الآيات والأحاديث مثل ما ذكر السائل وكما هو معلوم أنه الرسول –صلى الله عليه وسلم– قال: (يقبل الله توبة العبد ما لم يغرغر) فالعبد توبته مقبولة ما لم تصل الروح إلى حد الغرغرة أو حد النزع، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٥٣] هكذا في آية الزمر، وهذه هي كما مر بنا هي في حق التائبين، فمن تاب تاب الله عليه والإسلام يجب ما قبله، لكن هذا الحديث أنا ما أدري عن معناه، وعلى كلٍ نصوص الوعيد إن ثبتت فينبغي أن تُمر كما جاءت فهذا أبلغ في الزجر.

وأمر آخر أنه في أحيانًا في بعض الأحاديث يعني أنا أذكر كلام لأهل العلم في حديث قريب من هذا أنه ورد في حديث حسنه بعض أهل العلم أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: (إن الله احتجز التوبة عن كل مبتدع) فقد

يشكل، الذي يعرف في هذا الحديث الذي ذكرته لكم؛ ولعله يفيد في بيان الإشكال الذي عرضه السائل، أن قوله -عليه الصلاة والسلام-: (إن الله احتجز التوبة عن كل مبتدع) المراد من ذلك أنه لا يوفق لها، والله أعلم.

لكن الصحيح يا فضيلة الشيخ هو قبول التوبة من الإنسان؟.

هذا الأصل، لكن الحديث الذي ذكره السائل يحتاج إلى أن يُسأل عنه، وإلا الأصل أن التوبة مقبولة ما دام الشخص ما لم تبلغ الروح الحلقوم وما لم تطلع الشمس من مغربها.

الدرس العشرون

من قوله: (ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مالك يوم الدين، وأصلي وأسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

أسئلة الحلقة الماضية:

السؤال الأول: أكمل ما يلي: الجنة والنار مخلوقتان... والجنة لا تفنى خلافًا...؟

وكانت الإجابة:

الجنة والنار مخلوقتان خلافًا للمعتزلة والقدرية، فإنهم أنكروا أنها مخلوقة الآن، والجنة لا تفنى خلافًا للجهم بن صفوان إمام المعطلة فإنه قال بفناء الجنة والنار.

الإجابة صحيحة.

السؤال الثاني: الفروق بين الاستطاعة الكونية والاستطاعة الشرعية؟

وكانت الإجابة:

الاستطاعة الكونية هي من التوفيق التي يختص بها الله دون الخلق، وأما الشرعية فهي سلامة الصحة والوسع وسلامة الآلات، وكذلك الكونية موجبة يتحقق بها الفعل، والشرعية مجوزة للفعل، فقد يفعل وقد لا يفعل، وكذلك الكونية مقترنة مع الفعل، والشرعية تكون قبل الفعل.

إجابة سديدة وموفقة.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى- في عقيدته: (ولم يكلفهم الله -تعالى- إلا ما يطيقون، ولا يطيقون ما كلفهم، وهو تفسير: لا حول ولا قوة إلا بالله، نقول: لا حيلة لأحد ولا تحول لأحد ولا حركة لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله تعالى، وكل شيء يجري بمشيئة الله -تعالى- وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئته المشيئات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها، يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبدًا، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون).

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي -عليه رحمة الله-: (ولم يكلفهم الله -تعالى- إلا ما يطيقون) هذه العبارة فيها أمور:

الأمر الأول: دل عليها قوله تعالى: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقوله -سبحانه وتعالى-: ﴿ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [الأنعام: ١٥٢] فقال -عز وجل-: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ في هذه الآية قال الإمام سفيان بن عيينة في قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ إلا يسرها، فالله -سبحانه وتعالى- من رحمته أنه -

سبحانه وتعالى– لم يكلف عباده إلا ما فيه اليسر، كما قال –عز وجل–: ﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، هذا أمر.

الأمر الآخر: ينبغي أن ننبه الإخوة وننبه من يشاهد هذه الحلقة: أن الشرائع ليس كما يظن البعض أن فيها معنى الكلفة والمشقة لا.. ليس الأمر كذلك، فهذه الشرائع من صلاة وحج وزكاة وسائر هذه الأمور هي قرة العيون، وبهجة النفوس، فلا نجد الراحة والطمأنينة إلا بالالتزام بشرع الله؛ ولهذا كان المصطفى –صلى الله عليه وسلم– يقول: (وجعلت قرة عيني في الصلاة) فالمقصود أن هذه لا يقال عنها تكاليف، نعم هي فيها ما تكرهه النفوس وحظوظ النفوس كما قال –عليه الصلاة والسلام–: (حفت الجنة بالمكاره وحفت النار الشهوات) لكن هذا الشيء الذي تكرهه النفوس من جهة الشهوات هذا الأمر الذي تفعله ويفعله المؤمن من صلاة، وإن خالف هواه سيجد من انشراح الصدر وقرة العين وبهجة النفس ما لا يوصف؛ ولهذا قال –عليه الصلاة والسلام– كما سمعنا: (وجعلت قرة عيني في الصلاة).

فهنا بعدها قال –رحمه الله–: (ولا يطيقون إلا ما كلفهم) يقول الطحاوي: لا يطيق العباد إلا ما كلفهم، هذه العبارة كما أشار ابن أبي العز –رحمة الله عليه– هذه العبارة فيها قلق، بمعنى أن الطحاوي لم تكن عبارته دقيقة في هذه الجملة وهو الآن يقول: (ولا يطيقون إلا ما كلفهم) وليس الأمر كذلك، فالله –سبحانه وتعالى– لو فرض علينا صلاة سادسة نطيق أم لا نطيق؟ نطيق، ولو فرض الله علينا صيام شهر غير رمضان لأطقنا ذلك، لكنه – سبحانه وتعالى– من رحمته وكرمه –عز وجل– أنه –سبحانه وتعالى– لم يكلفنا إلا ما فيه اليسر كما سمعنا في قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال –عليه الصلاة والسلام–: (بعثت بالحنفية السمحة) فهذه الشريعة فيها السماحة واليسر ولله الحمد والمنة، هذا ما ينبغي أن ينبه عليه في هذه العبارة.

يقول: ما الأفضل في مثل هذه العبارة؟

يعني هذه العبارة ليست دقيقة؛ ولهذا ابن أبي العز تعقبها، هو لو قال: ولم يكلفهم الله –تعالى– إلا ما يطيقون، ثم استمر دون هذه العبارة استغني عنها لكان أليق؛ لأنه لما يقول: (ولا يطيقون إلا ما كلفهم) –كما ذكرنا– أن الله –تعالى– لو كلفنا بصلاة سادسة، لو فرض الله علينا مثلًا الزكاة أكثر من مرة في العام لكان هذا في مقدور الناس، لكن الله –سبحانه وتعالى– لم يكلفنا ما فيه طاقتنا، وإنما كلفنا ما فيه اليسر والسهولة علينا ولله الحمد.

يبقى عندنا هنا في تفسير الحوقلة (ولا حول ولا قوة إلا بالله) ذكر عندكم الطحاوي –رحمه الله– التفسير الذي سمعناه قال: (لا حيلة لأحد ولا حركة لأحد ولا تحول لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله) هذا المعنى الذي ذكره الإمام الطحاوي جاء بمعناه عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– فابن مسعود الصحابي الجليل فسر هذه العبارة بما يلي:

يقول ابن مسعود –رضي الله عنه– في تفسير الحوقلة قال: «لا تحول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله تعالى» وهذا الكلام الذي قاله الصحابي الجليل ابن مسعود، قال عنه الخطابي في شأن الدعاء قال: هذا أحسن ما فسرت به الحوقلة، وكلام الطحاوي هنا فيما سمعناه قريب من كلام ابن مسعود – رضي الله عنه–.

لكن الذي يبدو –والله أعلم– الذي عليه الجمهور أن الحوقلة أعم من ذلك كله، تلحظون في تعريف الطحاوي ومن قبل الصحابي الجليل ابن مسعود أنهم جعلوا التحول عن المعصية والقوة على الطاعة، لكن الذي يبدو من خلال لفظ الحوقلة أن الأمر أعم من ذلك كله، فأنت الآن تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فهنا لما تنظر إلى "لا" وهذه نافية للجنس، و"حول" هنا نكرة جاءت في سياق النفي فتفيد العموم، إذن هنا الحوقلة لما نقول: "لا حول" أي

لا تحول من أي حال إلى حال، لا تحول مثلًا من المرض إلى الصحة إلا بالله، ولا تحول من المعصية إلى الطاعة إلا بالله، ولا تحول من الفقر إلى الغنى إلا بالله.. وهكذا، فلا تحول من أي حال من الأحوال سواءً الدينية أو الدنيوية إلا به -سبحانه وتعالى- فهو المستعان وعليه التكلان.

ثم نأتي إلى كلمة "ولا قوة" "لا حول ولا قوة إلا بالله" فالمعنى بالقوة هنا: القدرة على ذلك، يعني القدرة على ذلك التحول، القدرة على التحول من الفقر إلى الغنى، القدرة على التحول من الجهل إلى العلم، القدرة على التحول من المرض إلى الصحة، فكل ذلك به -سبحانه وتعالى- فهو المستعان، المقصود أن الذي نقل عن الجمهور واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذه الكلمة كلمة عامة أم تختص بما جاء عن الصحابي الجليل أو ما قاله الطحاوي؟ أنها عامة، لا تحول من أي حال إلى حال، ولا قوة على هذا التحول إلا به -سبحانه وتعالى-، وهنا في ختام الكلام عن الحوقلة نذكر بكلام مهم ذكره ابن القيم -رحمة الله عليه- في كتابه "الوابل الصيب" لما تكلم عن الحوقلة، قال -رحمه الله- كلامًا ما معناه أن هذه الكلمة كلمة "لا حول ولا قوة إلا بالله" لها تأثير عجيب في ركوب الأهوال واقتحام الأمور، فالإنسان إذا كان عنه أمور عظيمة يريد أن يؤدي عملًا عظيمًا ومشروعًا كبيرًا وعملًا جسيمًا فعليه بالحوقلة، للأسف أن كثير من الناس أو الكثير من المسلمين لا يقولون الحوقلة إلا في حال المصائب، لا.. ليس الأمر كذلك، هذه الحوقلة تقال عندما يريد الإنسان أن يعزم على عمل، أو يعزم على أمر عليه أن يستعين بالله -سبحانه وتعالى-، وكما كان -عليه الصلاة والسلام- يقول:(اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين) هذا ما يتعلق بهذه الحوقلة.

الكلام الذي بعده ظاهر وبيِّن، ومر بنا في موضوع القدر، لما قال الطحاوي -رحمه الله-: (وكل شيء يجري بمشيئة الله وعلمه وقضائه) قضائه طبعًا الكوني (وقدره) نعم، قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ ﴾ [الإنسان: ٣٠] ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨] قال بعدها: (وغلب قضاؤه الحيل كلها، يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبدًا، لا يسأل عما يفعل وهو يسألون) هنا تحدث -رحمه الله- عن أنه -سبحانه وتعالى- منزه عن الظلم، وهذا الموضوع -كما قلنا- هو من موضوعات القدر، ونتحدث الآن في هذه المسألة عن معنى الظلم، ما معنى الظلم الذي ينزه الله -تعالى- عنه؟

بإيجاز شديد: الظلم معناه في لغة العرب ومعناه عند أهل السنة أيضًا: الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، والله -سبحانه وتعالى- منزه عن الظلم، قال تعالى: ﴿ وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا ﴾ [يونس: ٤٤]، وجاء في حديث أبي ذر الحديث القدسي، قال -عليه الصلاة والسلام-: قال الله -تعالى-: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالمو) فإذن الله -سبحانه وتعالى- منزه عن الظلم وموصوف بأنه -سبحانه وتعالى- أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين -سبحانه وتعالى-.

إذن اتضح لنا ولكم أن الظلم معناه الصحيح الذي جاء في كتب اللغة والذي قرره أهل السنة هو وضع الشيء في غير موضعه؛ ولهذا الذي أشرك بالله هذا يعد ظالمًا، ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]؛ لأنه وضع العبادة في غير موضعها وهكذا، هذا ما يتعلق بالظلم عند أهل السنة.

أما الجبرية بما فيهم الأشاعرة، فقالوا: إن الظلم هو التصرف في ملك الغير. وقالوا: إن الظلم ممتنع عن الله، يقولون: يستحيل، ممتنع عن الله -سبحانه وتعالى-، فنأتي نناقش هذا الكلام، وهو لما نقول: إن الظلم هو التصرف في ملك الغير، ويقولون: هذا الظلم ممتنع مستحيل، فقولهم: إن الظلم ممتنع مستحيل، نحن نسألكم أيها الطلاب: أيهما أحق بالكمال، لما يكون هناك أمير أو ملك لا يظلم أو شخص صعلوك لا قدرة له ولا قوة ولا يستطيع أن يظلم لضعفه ومهانته؟! أيهما أكمل؟!

صاحب القدرة.

نعم لا شك؛ لأن صاحب هذا الملك أو هذا السلطان الذي لا يظلم عنده قدرة أن يظلم ولا ما عنده قدرة؟

نعم.

وأيهما أكمل؟ الذي يقدر أن يظلم فلا يظلم؟ أما الذي لا يظلم لعجزة؟ فهنا كذلك لما يقولون: الظلم ممتنع عن الله ليس كمالًا، لكن نحن نقول: الله -سبحانه وتعالى- يقدر على ذلك، لكنه -سبحانه وتعالى- حرم ذلك على نفسه -سبحانه وتعالى-، هذا أمر.

والله -سبحانه وتعالى- له الكمال، فإذا كان المخلوق مثلًا عندما يقال مثلًا في الحديث الصحيح: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله) قال -عليه الصلاة والسلام-: (إمام عادل) لما يأتيك إمام صاحب ولاية وصاحب سلطة ولا يظلم، هذا يعد مدحًا.

والنبي -صلى الله عليه وسلم- أثنى على النجاشي وقال: (إن فيها ملك لا يظلم)، المقصود أن الظلم ليس ممتنعًا عن الله ولا مستحيلًا فهذا لا يعد كمالًا ولا مدحًا، وإنما هو -سبحانه وتعالى- يقدر على ذلك، لكنه -سبحانه وتعالى- حرم ذلك على نفسه تكرمًا وتفضلًا وتحقيقًا لهذا الكمال المطلق له -سبحانه وتعالى-.

أمر آخر لما يقولون الظلم هو التصرف في ملك الغير، التصرف في ملك الغير ليس أمرًا دقيقًا، ليس أمرًا صائبًا، ما وجه ذلك؟ وجه ذلك لما يأتي شخص مثلًا الآن ويأخذ المال من جيبه، يخرج المال من جيبه، ماله الذي في جيبه يخرجه ثم يحرقه، هل هذا يعد عدلًا أم يعد سفهًا؟ سفهًا، طيب الآن هذا تصرف في ملكه ولا تصرف في ملك غيره؟ تصرف في ملكه، فهذا لا يعد عدلًا هذا يعد سفهًا، فليس كل تصرف في ملك الإنسان يعد عدلًا.

في المقابل أيضًا في الرد على من يقول: إن الظلم هو التصرف في ملك الغير، نرد على هؤلاء: لما القاضي مثلًا القاضي الشرعي لما يحجر على السفيه أليس كذلك؟ هذا رجل سفيه ليس عنده رشد في تصريف ماله، فيرى القاضي من باب المصلحة الشرعية أن يحجر على ماله، فالآن القاضي تصرف في ملك غيره ولا ما تصرف؟ هل يعد ظالمًا؟ لا..لا.. يعد ظالمًا بل هذا هو عين الحكمة أن يحجر على السفيه، فالمقصود أن تعريف الظلم التصرف في ملك الغير ليس تعريفًا دقيقًا ولا صائبًا، هذا تعريف الظلم عند الجبرية بما فيهم الأشاعرة.

ننتقل إلى الطرف المقابل: فإذا قلنا الظلم عند الجبرية ننتقل إلى الظلم عند القدرية، الذين هم المعتزلة ونحوهم، فهؤلاء ماذا يقولون؟ يقولون: الله -تعالى- منزه عن الظلم، لكن الظلم عندهم ماذا؟ يفسرون الظلم ويقيسون الخالق بالمخلوق قياس تمثيل، ما معنى هذا؟ يقولون: إن الله -سبحانه وتعالى- لو قدر المعصية على العبد وعاقبه لكان ظلمًا؛ ولهذا قالوا: العدل عند المعتزلة أن الإنسان يخلق فعل نفسه، وهل هذا مدح لله -سبحانه وتعالى-؟ لاحظوا الآن هم يقولون: الظلم، الظلم عندهم ماذا؟ إن الله -تعالى- يقدر على العبد المعصية ثم يعاقبه عليها، العدل عندهم ماذا؟ أن الإنسان يخلق فعل نفسه، فهم أرادوا أن ينزهوا الله -تعالى- عن الظلم لكن وقعوا في شر من ذلك، وهم أنهم أخرجوا أفعال العباد عن ملك الله -سبحانه وتعالى-، فجعلوا مشيئة العبد تغلب مشيئة الله -تعالى- تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

ونختم هذا الموضوع بحديث ذكره الشارح، وأورد كلام ابن القيم في معناه وهو حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه -عليه الصلاة والسلام- قال: (لو أن الله عَذَّبَ أهل سماواته وأهل أرضه لعذبه وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم) أخرجه أحمد وأبو داود.

نترك هذه المسألة وننتقل إلى ما بعدها.

يقول: كلمة "لا حول ولا قوة إلا بالله" هل هي ذكر أم دعاء؟.

هي لا شك أنها لو قلت دعاء، هي دعاء عبادة، فهي ذكر، قال -عليه الصلاة والسلام- لأبي موسى الأشعري قال: (ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله) فهي يجتمع أنها هي ذكر وهي دعاء، نعم هي ذكر لله -سبحانه وتعالى- لما فيها من الثناء على الله وأن الله -تعالى- هو المستعان وعليه التكلان، فهي ذكر وهي أيضًا دعاء، نعم هي دعاء عبادة، ودعاء العبادة هو الذكر، أنت الآن إذا قلت سبحان الله هو يجتمع فيه الأمران: أنه ذكر وأنه دعاء عبادة، وإذا قلنا إنه دعاء عبادة فدعاء العبادة يستلزم دعاء المسألة، أنت الآن لما تقول: "لا حول ولا قوة إلا بالله" أنت الآن تثني على الله -سبحانه وتعالى- هذا الثناء وهذا الدعاء الذي هو دعاء عبادة يستلزم المسألة، يستلزم الافتقار والتضرع والانكسار بين يديه -سبحانه وتعالى-، فيجتمع فيه الأمران.

يقول: الطحاوي قال: (ولا تحول لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله إلا بتوفيق الله) فهل هناك فرق بين معونة الله وتوفيق الله؟.

إذا لم يكن عون من الله للفتى

فأول ما يجني عليه اجتهاده

لا..، هو يبدو لما قال هنا: (لا حيلة لأحد ولا حركة لأحد ولا تحول لأحد إلا بمعونة الله) فهنا لما جاء التحول من حال إلى حال، لابد فيه من عون الله سبحانه وتعالى.

ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليه إلا بتوفيق الله، التوفيق هنا بمعنى هو بمعنى الإعانة؛ لأننا نجد العلماء يفسرون التوفيق بالإعانة، والتوفيق يقابله الخذلان، الخذلان أن يكل الله -تعالى- العبد إلى نفسه، فإذا وُكِلَ إلى نفسه لا تتحقق له الإعانة، فيبدو أن المعنى متقارب، لكن نحن كلامنا في هذا يا أخي الكريم أن الطحاوي -رحمه الله- كأنه الآن جعل التحول فيما يتعلق بالمعصية والقوة على الطاعة قريب من كلام ابن مسعود -رضي الله عنه- والصواب العموم أنه يتناول التحول من أي حال إلى حال كما سمعنا كلام شيخ الإسلام، ونسبه إلى الجمهور والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات).

هذه المسألة هي كما تلحظون هي من مسائل الفروع، وسبق أن قلنا أو مر بنا أكثر من مرة: إن أهل السنة يضمنون متون الاعتقاد جملة من مسائل الفروع التي يخالف فيها البدع وتكون شعارًا لهم، وهنا لما يقول: (وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات) هذه المسألة تبحث في كتب الجنائز -كما لا يخفى- وفيها يهدى للميت من القرب والطاعات، فالطحاوي -رحمه الله- أوردها في كتابه مخالفة لأهل الكلام، والشوكاني -رحمه الله- في "نيل الأوطار" نص على أنهم المعتزلة، فالمعتزلة أو أهل الكلام عمومًا يرون أن الميت لا ينتفع بأي شيء، لا ينتفع لا بدعاء ولا بشيء مما يهدى إليه، لا ينتفع بالدعاء ولا بالصدقة ولا غير ذلك، فهذا فيه رد على أهل الكلام القائلين بأن الميت لا ينتفع بشيء من سعي الأحياء.

فهنا لاحظ الطحاوي قال: (وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات) فهذا أمر محل اتفاق، أننا إذا دعونا لهذا الميت أنه ينتفع بهذا الدعاء، وأيضًا إذا تصدقنا عنه ينتفع، وهذا محل اتفاق بين أهل السنة والجماعة أن الميت ينتفع بهذه الأمور، ينتفع بدعاء المسلمين، ينتفع بالصدقة، كما في الحديث في مسلم قال -عليه الصلاة والسلام-: (ما من مسلم يموت ويصلي عليه أربعون شخصًا لا يشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه) أيضًا عندك الصدقة في حديث سعد بن عبادة لما ماتت أمه قال: (أن أمي أُفتتلت نفسها أفأتصدق عنها؟) فتصدق عنها، والنبي

-صلى الله عليه وسلم- أقر ذلك، فالميت ينتفع بما يهدى إليه من الصدقات، فهذا محل اتفاق، أيضًا الحج كما جاء في قصة الخثعمية الجهنية، لما غسلها قال: (حج عن أبيكِ واعتمري) فهذا محل اتفاق.

أيضًا من الأمور التي هي محل اتفاق بين أهل السنة والجماعة ما تسبب فيه الميت، يعني كون الميت أوقف وقفًا صدقة جارية ينتفع بهذا، قال -عليه الصلاة والسلام- كما في حديث أبي هريرة: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له).

يبقى الخلاف الذي أطال فيه الشارح ونقله عن كلام ابن القيم في كتاب "الروح" قضية العبادات البدنية هل ينتفع بها؟ يعني هل يسوغ أن يصلي على الميت أو أن يقرأ القرآن ويهدى ثوابه إلى الميت، فنجد أن مثلًا مذهب أبي حنيفة وأحمد أنهم يتوسعون في ذلك من جهة إهداء ثواب العبادات البدنية ويلحقونها بالعبادات المالية، يعني العبادات المالية مثل الصدقة، الصدقة مشروعة ولا ما مشروعة؟ مشروعة يعني الدليل واضح في هذا، وبعض العلماء يمنعون ذلك، ومنهم مذهب مالك والشافعي، فيقتصرون على العبادات المالية، واضح الخلاف الآن؟ والذي يختاره بعض المحققين ويفتي به المشايخ عندنا هنا -مشايخ اللجنة الدائمة هنا في السعودية-: أن فعل القرب وإهداؤه للميت يقتصر فيه على ما جاء به الدليل، يقتصر فيه على ما ورد به الدليل، الصدقة جاء بها الدليل، الصيام قال -عليه الصلاة والسلام-: (من مات وعليه صيام صام عنه وليه) الحج كما سمعنا، الذي اختاره مشايخ اللجنة الدائمة هنا في السعودية، أن يختصر على ما جاء به الدليل، هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

يبقى عندنا مسألة نختم بهذا المسألة الجزئية، وهي قضية أن الذين منعوا أن الميت ينتفع بسعي غيره، احتجوا بآية النجم في قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى ﴾ [النجم: ٣٩] فاحتجوا بهذه الآية على أن الميت لا ينتفع بسعي الأحياء، فالعلماء لهم عدة أجوبة في الرد على هذا الاستدلال، فلعل أظهر وأقوى الردود في هذه المسألة: أن نقول هذه الآية ليس لهم أن يحتجوا بها على أن الميت لا ينتفع بسعي الأحياء، ما وجه ذلك؟ وجه ذلك تأملوا في الآية الله -تعالى- قال: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى ﴾ ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنْسَانِ ﴾ فهنا اللام لام الملك، فالإنسان إنما يملك سعيه، والملك شيء والانتفاع شيء آخر، فهذا الانتفاع ينتفع به الغير، وإن كنت مالكًا له، ومثال ذلك مثلًا لو أن شخص عليه دين ألف ريال، وأنت قضيت هذا الدين عنه، تبرأ ذمته ولا ما تبرأ؟ تبرأ ذمته، لكن من الذي يملك المال؟ أنت ولا هو؟ نعم الذي يملك المال هو الذي قضاه، وانتفع به هذا المدين، واضح الآن؟ إذن نحن نقول: الآية الكريمة هل نفت انتفاع الرجل بسعي غيره؟ أم نفت ملكه لسعي غيره؟ ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى ﴾ نفت ماذا؟

نفت انتفاعه من سعي غيره.

لا.. ﴿ وَأَن لَّيْسَ ﴾ قلنا اللام لام الملك، إذن نفت أن يملك سعي غيره أو أن ينتفع بسعي غيره؟ ما الذي نفته الآية؟ نفت الآية الكريمة أن الشخص لا يملك سعي غيره، ولم تنف الآية الانتفاع، هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

تقول: بالنسبة للحديث الذي ذكرته إن الله -سبحانه وتعالى- لو عذب أهل سمائه وأهل أرضه بعدله -سبحانه وتعالى- لما كان في ذلك شيء، يعني يا شيخ أنا حصل عندي نوع من التعارض كيف ذلك؟ في الآية الكريمة ذكر الله -سبحانه وتعالى- إن في السماء يسبحون له ولا يسئمون ولا يعصون الله ما أمرهم بخلاف أهل الأرض، يعني أهل الأرض ممكن ينطبق عليهم.. إنما أهل السماء هم لا يعصون الله ويسبحون لله، وهم دائمون العبادة، حتى إن النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكر: أن في السماء ما فيه موضع أربع أصابع إلا وملك راكع وملك ساجد نرجو من الشيخ توضيح ذلك؟.

الكلام الذي ذكرته السائلة ابن القيم -رحمه الله- ونقل ذلك الشارح شرح هذا الحديث بما يزيل هذا اللبس أو هذا الإشكال، وهو أن قوله -عليه الصلاة والسلام-: (أن الله -تعالى- لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم

وهو غير ظالم لهم) هنا "لو" حرف امتناع، فالمقصود أن أهل السماء وأهل الأرض مهما عبدوا الله ومهما قاموا بحقه -سبحانه وتعالى- فيبقى أنهم قصروا ولا ما قصروا؟ ولهذا النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول لأبي بكر الصديق -أفضل شخص بعد الأنبياء- علمه ماذا أن يقول في صلاته: (اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم)، فالمقصود أن العبد أو الشخص سواءً كان من أهل السماء أو من أهل الأرض إذا نظر إذا نعم الله وإلى فضله وعظيم عطائه -سبحانه وتعالى- ونظر إلى أنه مهما أدى من الطاعة ومهما فعل من الطاعات والصالحات ولو كان صالحًا تقيًا فإنه يبقى مقصرًا ومفرطًا، وصالح البشر هم أفضل من الملائكة على المذهب الذي قرره جمهور أهل السنة والجماعة، ومع ذلك هؤلاء الصالحون لو فعلوا ما فعلوا من الحسنات فيبقى الشخص في مقام التقصير، لكن متى يشعر الشخص بالتقصير؟

أولًا: إذا تذكر ما لله -سبحانه وتعالى- من الأسماء والصفات وما له من الفضل والعطاء قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾ [النحل: ١٨].

أمر آخر يتعلق بموضوعنا: أن العبد إذا صلى وصام وتصدق ودعا إلى الله وجاهد في سبيل الله هذا كله عمل الله -تعالى- هو الذي وفقه أليس كذلك؟ فالله -سبحانه وتعالى- هو الذي وفقه وأثابه، وكون العبد مثلًا ترك المعاصي من الذي أعانه على ترك المعاصي ويسر له ذلك وجنبه ذلك؟ هو -سبحانه وتعالى-، فالفضل منه -سبحانه وتعالى- أولًا وانتهاءً فأقول: إذا استصحب الشخص هذه الأمور عرف أنه مقصر ومفرط سواءً كان من أهل السماء أو من أهل الأرض والله أعلم.

يقول: بالنسبة لحلقة الأمس: تحدثتم فيها بالقول بفناء النار، وأن هذا القول له حظ من النظر وكذلك الأثر، وأنه منسوب إلى بعض الصحابة، من خلال المراجع في النسخة التي حققها جماعة من العلماء على شرح الطحاوية وكذلك تخريج الشيخ الألباني -رحمه الله- أن يذكر لنا هذه الآثار كلها غير صحيحة في تعليق خمسمائة واحد وتسعين وكذلك في خمسمائة اثنين وتسعين؛ لأنه ليس كذلك الجهم بن صفوان في موضوع الجنة وكذلك النار ليس له سند، وكذلك تضعيف الآثار جميعً.

تقول: ما الحكمة من معرفة كلام المعتزلة والأشاعرة والمذاهب الأخرى؟.

على كلٍ هو ما ذكره السائل قضية الآثار، نعم الآثار فيها كلام، والشيخ الألباني -رحمه الله- وغير الألباني منهم من يطعن في هذه الآثار ومنهم من يثبتها، ابن القيم يثبت شيئًا من هذه الآثار، وعلى كلٍ لا نزيد عما قلناه بالأمس: إن هذا القول -القول بفناء النار- هو قول له حظه من الأثر والنظر، والمسألة ما هي آثار صحابة فقط، بل عندنا أدلة من القرآن وعندنا أدلة مثلًا قضية النظر أن رحمة الله سبقت غضبه، وذكرنا أن القول الراجح في هذا: إن النار لا تفنى ولا تبيد، فالقصد أن هذا القول له حظ، وقال به أئمة، ونجد أن ابن القيم مثلًا في "شفاء العليل" ونجد أن ابن القيم في "حادي الأرواح" يذكرون أدلة ظاهرة لهذا القول وأدلة قوية كاد أيضًا شيخ الإسلام في الرسالة التي طبعت أخيرًا بعنوان "الرد على من قال بفناء الجنة والنار" ذكر أقوالًا وحججًا قوية في هذا، ومع هذا كله يبقى القول الراجح في هذه المسألة إن النار لا تفنى ولا تبيد، أقصد لو قلنا بأن الآثار ما ثبتت عن الصحابة هذا لا يعكر في قوة هذا القول، يبقى هذا القول أيضًا له أدلة من القرآن ذكرنا شيئًا منها، له أدلة من النظر قضية من جهة ما يتعلق بحكمة الله ورحمته، وأن رحمته سبقت غضبه، هذا كله مما يعزز هذا القول، وعلى كلٍ يبقى الراجح أن النار -أعاذنا الله منها- لا تفنى ولا تبيد.

تسأل عن الحكمة من معرفة كلام المعتزلة والقدرية؟.

هو لا شك التعرف على أقوال هؤلاء هو جزء من معرفة سبيل المجرمين، والله –سبحانه وتعالى– يقول: ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٥] وحذيفة –رضي الله عنه– كان يقول: (كان الناس يسألون رسول الله –عليه الصلاة والسلام– عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني) فمذهب الأشاعرة هذا مجود وقائم وله مؤسساته وله جامعاته وهو يقرر هذا المذهب الفاسد، وأيضًا كذلك هناك من تلوث بآراء المعتزلة قديمًا وحديثًا فكون طالب العلم يعرف هذه الأقوال مثل ما مر بنا –يعرفها عرضًا– هذا من معرفة الشر الذي يعينه على أن يعرف الحق، وكما قال الفاروق –رضي الله عنه– عمر قال: (إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية) فمعرفة هذه الجاهلية مما يجعل الإنسان يزداد انشراحًا لهذا الحق وتمسكًا به والله أعلم.

يقول: هل يجوز ختم القرآن عن الميت مثل ما يجوز الحج عن الميت أو العمرة؟.

نحن ذكرنا يعني مثلًا هنا عند الحنابلة يرون أن يقرئ القرآن ويهدى ثوابه إلى الميت، لكن ذكرنا لكم في كلام اللجنة الدائمة وهو كلام قوي في هذا أن يقتصر على ما جاء به الدليل، وهذا لم ينقل عنه –عليه الصلاة والسلام– ولا عن الصحابة الكبار أنهم فعلوا ذلك، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، وهذا لو كان مشروعًا فهذا مما تتوفر الدواعي لنقله، كونه ما نقل مع توفر الدواعي دل ذلك على أن تركه سنة فيقتصر على ما جاء به الدليل.

يقول: بالمناسبة يا فضيلة الشيخ كثير من الإخوة طرح تساؤل عن هذا الموضوع بالتحديد: ثواب الأعمال للميت وكذا؟.

والله الذي سمعناه أنه يقتصر على ما جاء به الدليل، ويمكن يسأل أهل الفقه في هذا، لكن في هذه المسألة علينا أن نتمسك بما جاء به الدليل، الصدقة جاء بها دليل، الحج جاء به دليل، مات شخص وعليه صيام فرض أو صيام نذر عندنا الحديث: (من مات وعليه صيام صام عنه وليه) فهذه عبادات وقربات والعبادات والقربات مبنية على التوقيف، فليس لنا أن نهدي شيئًا إلا بدليل، والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات، و يملك كل شيء ولا يملكه شيء، ولا غنى عن الله –تعالى– طرفة عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر، وصار من أهل الحين، والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى).

في قوله –رحمه الله–: (والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات) هذا أمر معلوم وأمر ثابت شرعًا ومعلوم فطرة ومعلوم عقلًا أن الدعاء سبب في حصول الاستجابة، وهذا أمر متقرر، والشخص بفطرته إذا اضطربت عليه الأمور تجده يدعو الله –تعالى– ويسأله، بل هذا معروف عند الفلاسفة من قبل، الفلاسفة الوثنيون مثلًا بطليموس كان يقول عن الدعوات يقول: هذه الدعوات في هياكل العبادات تحلل ما عقدته الأفلاك المؤثرات، هكذا يقول بطليموس وهو وثني من فلاسفة اليونان، يقول: "ضجيج الأصوات بالدعوات يحلل ما عقدته الأفلاك المؤثرات"، هكذا قال هذا المشرك، المقصود أن الدعاء سبب في حصول الاستجابة قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠] وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

الدعاء أيها الإخوة هو من أقوى الأسباب في حصول المطلوب، سواءً من جلب المنافع أو دفع المضار، من الذي أنكر ذلك؟

الذي أنكر أن الدعاء سبب وأبطل الدعاء هم قوم من زنادقة الفلاسفة وغلاة الصوفية، فعندنا قوم من المتفلسفة والصوفية أبطلوا الدعاء، بل إن بعضهم ألف كتابًا في إبطال الدعاء، انظروا إلى الخذلان –نسأل الله العافية–

ألف كتاب في إبطال الدعاء، يقول: الدعاء ما فيه فائدة، إذا كان الله -تعالى- مقدر أنه يعطيك مال سيأتيك المال، ولا حاجة للدعاء، وإذا كان الله -تعالى- مقدر أنه لن يعطيك مال فلن يعطيك مال ولو دعوت، فنحن نقول: لا.. هذا كلام فاسد، هناك أمورًا الله -تعالى- قدرها بسبب أو بشرط، فالله -تعالى- قدر أن فلان يرزقه مالًا إن دعا، فإن دعا جاء المال، وإن لم يدعو لم يأتي المال، فلان قدر الله له العلم إذا دعا، فإذا دعا الله -تعالى- أن يرزقه العلم النافع حصل له ذلك، وإذا لم يدعو الله انتفى عنه هذا الأمر، المقصود أن الدعاء سبب في حصول الإجابة، وهذا أمر دلت عليه الأدلة وأمر ثابت فطرة وعقلًا.

الأمر الآخر الذي نذكره في هذا الباب: إن الله -تعالى- هو الذي له المنة والكرم عندما يوفق العبد للدعاء، فالله -سبحانه وتعالى- عندما يحرك العبد إلى الدعاء ويجعل عنده شعور بالفقر والاحتياج هذه نعمة عظيمة؛ ولهذا كان عمر -رضي الله عنه- عمر الفاروق يقول: (إني لا أحمل هم الإجابة، ولكني أحمل هم الدعاء)؛ لأن عمر يعلم أنه إذا وفق للدعاء ستأتي الإجابة، هذا أمر، وفي هذا المقام نذكر أنفسنا ونذكر الإخوة بالحرص على الدعاء.

مطرف بن عبد الله بن الشخير -رحمه الله- من كبار التابعين يقول: تذاكرت ما جماع الخير، فإذا الخير كثير، الصلاة الصيام الصدقة.. كل هذا خير فإذا هذا الخير بيد الله -سبحانه وتعالى-، وما بيده -سبحانه وتعالى- لا ينال إلا بالدعاء، فإذا جماع الخير الدعاء، هكذا جاء عن مطرف -رحمه الله تعالى-.

هنا نؤكد على مسألة سبق أن مر بنا وهي قضية التلازم بين توحيد العبادة والصفات، فالدعاء -كما لا يخفى- عبادة، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨] هذا الدعاء أيها الإخوة يقترب بالصفات؛ ولهذا قال ابن عقيل الحنبلي -رحمه الله- قال: الدعاء فيه معانٍ منها الرحمة، فالقاسي لا يدعى، منها الكرم، فالبخيل لا يدعى، منها الغنى فالفقير لا يدعى؛ ولهذا أنت الآن لما تدعو الله -تعالى- هذا الدعاء لا ينفك عن إثبات هذه الأسماء، أنت تدعو الغني تدعو الكريم الذي قال -عليه الصلاة والسلام-: (يمين الله ملأى سحاء الليل والنهار) فالمقصود أن جملة من المعاني الأسماء والصفات تتدرج في هذه العبادة الجليلة ألا وهي عبادة: الدعاء.

يبقى عندنا: (ويملك كل شيء) نعم الله -سبحانه وتعالى- هو يملك كل شيء هذا أمر معلوم، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [المؤمنون: ٨٨]، هو -سبحانه وتعالى- هو المالك وهو الغني ونحن الفقراء، والغنى وصف ذاتي له -سبحانه وتعالى-، والفقر وصف ذاتي لنا نحن معشر البشر، ولا يمكن أن نستغني عن الله -تعالى- طرفة عين.

وكما قال شيخ الإسلام -رحمة الله عليه-: فقر العبد إلى الله ليس له نظير، لكن يشبه -من باب التقريب- فقر العبد إلى الطعام والماء، ما أحد يستغني عن الماء، لكن فقر العبد إلى الله أعظم من فقره إلى الماء؛ لأن الشخص إذا فقد الماء يهلك هذا البدن، لكنه إذا لم يفتقر إلى الله يفقد روحه وبدنه، يفقد روحه، والروح هي الأصل؛ فلهذا تجد الذين أعرضوا عن الله تجد أن عندهم من الشقاء والنكد والقلق ما لا يوصف، فصدق الله -سبحانه وتعالى- لما قال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥] نحن فقراء إلى الله، والفقر إلى الله على قسمين: فقر إلى ربوبيته، وفقر إلى إلهيته، الفقر إلى الربوبية هذا يشترك فيه المؤمن والكافر والبر والفاجر، ما أحد من الناس يستغني عن الهواء الذي خلقه الله ولا أحد يستغني عن الماء الذي أنزله الله، فالجميع فقراء إلى أنه -سبحانه وتعالى- هو الرب المالك المصرف، والفقر إلى عبادته هذا يختص به أهل الإيمان، فأهل الإيمان يفتقرون إلى الله ويعبدون الله ويتضرعون إليه، ويصرفون جميع أنواع العبادة له -سبحانه وتعالى- وحده لا شريك له.

يقول: ذكرتم أن الله -عز وجل- لو عذب أهل الأرض وأهل السماء لم يكن ظالمًا لهم، وذكرتم في معنى هذا النص، أن الإنسان إذا قام بطاعة الله -عز وجل- فإنه لا يمكن أن يضع هذه الطاعة في الموضع الذي يليق بالله -عز وجل- ومن ثم جاء الحديث، هل نقول: إن الله -عز وجل- يجوز له أن يعذب الورى من غير ما ذنب ولا جرم جرى كما ذكر ذلك السفاريني في عقيدته وهذا البيت، يعني سوى إشكالًا وأنتم على علم بذلك عند كثير من العلماء فهم ردوه، لكن الكلام الذي ذكرتموه قد أوقع في نفسي نوعًا من المشابهة بين هذا البيت وبين ما قلتم؟ أو أن البيت يختلف عن المعنى الذي قلتموه؟.

لو تعيد البيت؟

وجاز للمولى يعذب الورى

من غير ما ذنب ولا جرم جرى

هذا البيت للسفارينية أحدث إشكالًا عند العلماء، والمعنى الذي ذكره فضيلة شيخنا، ونحن لا إشكال أننا نعرف مقدار علم الشيخ، هذا البيت أحدث إشكالًا عند العلماء، فهل معنى هذا البيت هو نفس المعنى الذي ذكر في النص أن الله -عز وجل- لو عذب أهل السماوات وأهل الأرض لم يكن ظالمًا لهم؟ وهذا بمعنى الذي فسره شيخنا قلنا: العبد الصالح إذا قام بالطاعة فمهما قام بالطاعة فإنه لا يمكن أن يضع هذه الطاعة في الموضع الذي يليق بالله -عز وجل-، ومن ثم فهو مفرط ومقصر، وهذا المعنى فعلًا أنا قرأته عن شيخ الإسلام ابن القيم، لكن نريد البيان من شيخنا؟.

يقول: عن ابن عباس -رضي الله عنه- قال: كنت عند النبي -صلى الله عليه وسلم- وعنده علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (يا علي: سيكون في أمتي قوم ينتحلون حبنا آل البيت لهم.. يسمون الرافضة فاقتلوهم فإنهم مشركون) رواه الطبراني، أريد أعرف ما صحة هذا الحديث؟.

مسألة أخينا الكريم هي مسألة دقيقة، وينبغي ألا نخلط بين ما سمعناه من كلام ابن القيم -رحمه الله- في الحديث الذي مر: (لو أن الله -تعالى- عذب أهل السماوات وأهل الأرض لكان غير ظالم لهم) عرفنا أن هذا معناه بإيجاز أن العبد مهما فعل من النعم، مهما أدى من الطاعات، ومهما أدى من القربات فهو لا ينفك عن التقصير، وعرفنا أن الطاعة التي يوفق لها العبد هي من الله -سبحانه وتعالى-، فالله -تعالى- هو الذي يوفق العبد وفقه وأثابه، وهو -سبحانه وتعالى- هو الذي ألهمه الدعاء واستجاب له، إذا تقرر ذلك ما قاله السفاريني في البيت الذي سمعناه قبل قليل لا يتفق مع ما سمعناه، ما قاله السفاريني هو قريب من مذهب الجبرية ونفس الجبرية، هم ينطلقون من جهة أن الظلم هو التصرف في ملك الغير، فهو الآن يقول لك: الكون كله ملك لله -سبحانه وتعالى-، كله ملك لله -سبحانه وتعالى-، يبقى ما دام أنه ملك لله -سبحانه وتعالى- فكونه مثلًا يدخل هؤلاء كلهم النار بغير جرم يقول هذا يعد عدلًا، لا.. ليس كذلك، فالله -سبحانه وتعالى- منزه عن الظلم، فالمقصود أن ما قاله السفاريني فيما أفهمه والله أعلم أن ما قاله قائم على مذهب من يفسر الظلم بالتصرف في ملك الغير؛ ولهذا يقول لك: إنه لو عذبهم من غير جرم، حكمة الله -تعالى- تأبى ذلك، يعني كيف الله -تعالى- يعذب الخلائق من غير جرم؟!! حكمة الله -تعالى- تأبى ذلك ولا يمكن، وحديث أبي ذر مر بنا: (يا عبادي: إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا)، وإذا كان صاحب البطاقة ما معه إلا بطاقة فقط وعنده تسعة وتسعين سجل، كل سجل مد البصر ومع ذلك يقال: (لا تُظلم) ويؤتى بهذه البطاقة وتطيش بتلك السجلات ويغفر له.

المقصود أن كلام السفاريني بإيجاز: أنه مبني على أن الظلم التصرف في ملك الغير، وكونه يقول: إنه -سبحانه وتعالى- له أن يعذب الورى يعذبهم جميعًا من غير جرم فهذا ليس كذلك وحكمة الله -تعالى- تأبى ذلك.

الحديث الذي ذكرته السائلة أنا لا أعرفه.. الحديث الذي جاء في الكلام عن الرافضة، الذي أعرفه أن الأحاديث في ذم الرافضة لا تثبت يعني بهذا الاسم، نعم الأحاديث جاءت في ذم الخوارج، الأحاديث الصحيحة في قوله -عليه الصلاة والسلام-: (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) لكن كما ذكر شيخ الإسلام: هذه الأحاديث التي جاءت في الخوارج وهي أحاديث في الصحيحين يدخل فيها من هو أسوأ منهم ومن هو أشد انحرافًا كالرافضة، لكن حديث جاء في الرافضة بأنفسهم لا يثبت في ذلك حديث فيما أعلم والله أعلم.

أسئلة الحلقة.

السؤال الأول: ما تفسير الحوقلة؟

السؤال الثاني: من أنكر تأثير الدعاء؟

الدرس الواحد والعشرون

من قوله: (ونحب أصحاب رسول الله)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأصلي وأسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فضيلة الشيخ طرحتم سؤالين في الحلقة الماضية، أجاب الأخ الكريم عن السؤال الأول وهو عن تفسير الحوقلة؟

يقول في جوابه: يقول ابن مسعود –رضي الله عنه– في تفسير الحوقلة قال: لا تحول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله تعالى، وهذا الكلام الذي قاله الصحابي الجليل ابن مسعود قال عنه الخطابي في شأن الدعاء: هذا أحسن ما فسرت به الحوقلة.

نقول: بعد بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، نعم هو كما قال، لكن التحقيق في هذا أن الحوقلة –كما ذكرنا في وقت الدرس– أن الحوقلة أعم من ذلك، وهذا الذي نقلناه عن شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمة الله عليه– وهذا الذي عليه الجمهور أن الحوقلة أعم من ذلك، وأن المعنى أنه لا تحول من أي حال إلى حال إلا به –سبحانه وتعالى– ولا قدرة على ذلك التحول ولا قوة ولا قدرة على ذلك التحول إلا به، فالمقصود أن الحوقلة هي أعم مما جاء عن ابن مسعود –رضي الله عنه–، وأعم مما ذكره الطحاوي، فإجابة الأخ ليست وافية.

السؤال الثاني: وهو عن الذين أنكروا تأثير الدعاء؟

أجاب الأخ الكريم يقول: الذين أنكروا الدعاء هم الفلاسفة وبعض المتصوفة ويرد عليهم أن الله –تعالى– قدر أن يرزق فلانًا إذا دعا فإن لم يدعو انتفى عنه ذلك.

نعم.. إجابة الأخ إجابة صحيحة، فالذين نفوا ذلك هم طائفة من المتفلسفة والصوفية كما ذكر الأخ جزاه الله كل خير.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (ونحب أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان).

لعل العبارة (ونحب أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ولا نُفْرِطُ) من الإفراط وليس من التفريط.

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه ومن والاه، قبل أن نبدأ عندنا مسألتان تتعلقان بالدرس السابق، أحد الإخوة الكرام سأل سؤالًا مهمًا عن قضية ما جاء في الحديث في قوله –عليه الصلاة والسلام–: (لو أن الله –تعالى– عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا من أعمالهم) أخرجه أبو داود وأحمد وغيرهما، فجاء الإشكال الذي أبداه الأخ الكريم من جهة أن هذا قد يكون قريبًا، أو قال: قد يظن أن هذا الحديث قريب مما قاله السفاريني –رحمه الله– في الدرة المضيئة لما قال: «وجاز للمولى أن يعذب الورى من غير ذنب أو جرم جرى» أو كما قال

السفاريني، فأجبنا في وقتها ونبين هذا بصورة أكثر وضوحًا، فنقول: ما قاله السفاريني –رحمه الله– في بيته الذي سمعناه:

«وجاز للمولى أن يعذب الورى من غير ذنب أو جرم جرى» قال هذا البيت وهذا البيت ظاهر فيه نفي الحكمة والتعليل، وأن الظلم هو التصرف في ملك الغير، وهذا هو مذهب الجبرية بما فيهم الأشاعرة، نفي الحكمة والتعليل، وأن الظلم هو التصرف في ملك الغير، هذا هو مذهب الأشاعرة والجبرية، والسفاريني تأثر بهذه المسألة في هذا المقام، فهنا البيت حتى تكون المسألة واضحة، السفاريني يقرر أن الله –سبحانه وتعالى– لو عذب شخص بلا ذنب وبلا معصية فله ذلك؛ لأنه يتصرف في ملكه وهذا عدل، والظلم هو التصرف في ملك الغير، هذا كلام السفاريني.

وليس الأمر كذلك؛ لأنه يجب عليه أن يثبت الحكمة والتعليل، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] اللام هنا لام التعليل، والظلم –كما مر بنا– أنه هو وضع الشيء في غير موضعه، هذا معناه الصحيح في لغة العرب، وهذا الذي جاء به التنزيل، وهذا الذي عليه أهل السنة والجماعة، فلما نأت للحديث الذي مر بنا لما قال –عليه الصلاة والسلام–: (لو أن الله –تعالى– عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم) فالظلم هنا هو معناه: وضع الشيء في غير موضعه، يعني الله –سبحانه وتعالى– عندما يعذب فلانًا من أهل السماء أو من أهل الأرض، عندما يعذبه لو أنه عذبه هو غير ظالم، فهو –سبحانه وتعالى– لا يعذب إلا من يستحق العذاب، وسبق أن قلنا: إن العبد مهما عمل صالحًا ومهما قدم، فالعبد لا ينفك عن التفريط والتقصير، فينبغي أن يفهم الظلم الذي جاء في الحديث، والظلم الذي ذكره السفاريني في قصيدته "الدرة المضيئة"، هذه مسألة.

المسألة الأخرى: نسينا أن نعلق على عبارة في آخر المطاف، وهي قول الطحاوي –رحمه الله–: (والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى) هذه آخر عبارة نسينا أن نعلق عليها في الدرس الماضي، نقول بإيجاز شديد:

هذه العبارة التي ذكرها الطحاوي –رحمه الله– لما قال: (والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى) في هذه العبارة كما تلحظون مسلك أهل السنة والجماعة في باب الصفات فهو إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل، هو الآن يقول: (والله يغضب ويرضى) هذا إثبات، ولما يقول: (لا كأحد من الورى) أي بلا تمثيل، وأهل السنة –كما لا يخفى عليكم وقد مر بنا مرارًا– أن أهل السنة والجماعة وسط في باب الصفات بين المشبهة الممثلة وبين المعطلة النفاة.

نعم هو –سبحانه وتعالى– يغضب غضب يليق بجلاله وعظمته كما قال –سبحانه وتعالى– عن نفسه قال –عز وجل–: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ ﴾ [النساء: ٩٣] وأيضًا جاء في الرضا قال تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: ١٨] وقال –عز وجل–: ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [المجادلة: ٢٢]، فالمقصود أن الرضا والغضب هي من صفاته –سبحانه وتعالى– وهي من صفاته الفعلية المتعلقة بمشيئته واختياره، ونحب أن نذكر بأن سلفنا الصالح يثبتون جميع الصفات ويقابلهم المعتزلة ينفون جميع الصفات، ثم جاء ابن كلاب فسلك مسلكًا بين الفريقين عندما أثبت الصفات الذاتية وأنكر الصفات الفعلية، فابن كلاب هو أول من أنكر الصفات الفعلية الاختيارية، والحق في ذلك أن نثبت جميع الصفات، فكما أثبتنا الصفات الذاتية الملازمة لله –تعالى– أزلًا وأبدًا علينا أن نثبت أيضًا الصفات الفعلية الاختيارية فالقول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، إذا أثبتنا شيئًا من الصفات لله علينا أن نثبت سائرها، فالباب واحد والمتعين علينا أن نثبتها على الوجه اللائق بالله إثباتًا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل.

العبارة التي سمعناها من أخينا لما قال الطحاوي -رحمه الله-: (ونحب أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا نفرط في حب أحد منهم) (لا نفرط) يعني لا يصل الأمر إلى حد الإفراط والغلو، (ولا نتبرأ من أحد منهم...) إلى آخر كلامه -رحمه الله-.

في هذا تقرير لمذهب أهل السنة والجماعة تجاه الصحابة -رضي الله عنهم- وهو أن أهل السنة يحبون الصحابة ويترضون عنهم، ويذكرون فضائلهم ومناقبهم وما هم عليه من المحاسن والمحامد وحالهم كحال أهل الإيمان الذين يقولون -كما حكى الله عنهم-: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

إذن هذا الواجب علينا نحو هؤلاء الصحب الكرام، يجب علينا أن نحبهم وأن نترضى عنهم، وأن نذكر محاسنهم، وأن ننشر فضائلهم فإن من نظر في سيرة الصحابة -رضي الله عنهم- من نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة علم أنهم خير الناس، وأفضل الأمم، لا كان ولا يكون مثلهم، هذا الذي قرره العلماء وحكاه شيخ الإسلام -رحمة الله عليه- ابن تيمية في "العقيدة الواسطية" عن أهل السنة والجماعة، هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

نحن عندما نحب الصحابة ونترضى عنهم في هذا رد على طائفتين:

الطائفة الأولى: الروافض الذين يبغضون الصحابة أو يبغضون جمهور الصحابة ويتبرؤون من الصحابة ويتهمون الصحابة بأنواع من الأكاذيب والإفك.

الطائفة الثانية: رد على النواصب الذين ناصبوا علي بن أبي طالب العداء كالخوارج وبعض المعتزلة.

نحن نترضى عن الجميع، نترضى عن الصحابة نترضى عن الخلفاء الراشدين، وسيأتي معنا أيضًا: نحن نرعى وصية النبي -عليه الصلاة والسلام- في أهل بيته.

قال: (ولا نفرط في حب أحد منهم) لا يصل هذا الأمر إلى حد الإفراط، نترضى عنهم؛ لأن الله -تعالى- رضي عنهم، قال -عز وجل-: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: ١٨] وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨] هذا وصف المهاجرين، ثم جاء وصف الأنصار، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ ﴾ ما المراد بالدار؟ المدينة ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من قبل من؟ من قبل قدوم المهاجرين إليهم ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[الحشر: ٩] هذا الذي يجب علينا في شأن الصحابة، وأيضًا علينا أن نتذكر الأحاديث الكثيرة الثابتة المتواترة عن رسول الله -عليه الصلاة والسلام- في شأن فضل القوم، قال -عليه الصلاة والسلام-: (خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم) هكذا جاء في حديث عمران بن حصين -رضي الله عنهما- وفي الحديث الآخر قال -عليه الصلاة والسلام-: (لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) هذه جملة من الأحاديث التي جاءت في فضل الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين.

هنا قال بعدها: (ولا نتبرأ من أحد منهم) لما يقول: (ولا نتبر) فيها رد على الروافض الذين يتبرءون من جملة من الصحابة رضي الله عن الصحابة، فلهذا نجد أن سلفنا الصالح ينصون ويقولون: البراءة بدعة، والوَلاية بدعة، فمقصودهم بقولهم: البراءة بدعة، أن يتبرأ من بعض الصحابة، ومقصودهم من قولهم: الولاية بدعة: أن يتولى بعض الصحابة دون بعض.

إذن لما يقول الإمام أحمد وغيره من الأئمة المتقدمين: البراءة بدعة والولاية بدعة، المقصود بالبراءة: أن يتبرأ من بعض الصحابة كما نجده عند الروافض على سبيل الخصوص، وأيضًا لما يقول: الولاية بدعة، فمقصودهم بالولاية بدعة: وهو أن يتولى بعض الصحابة يعني يحبهم وينصرهم، ويترك ويبغض بعض الصحابة، هذا معنى: هذه العبارة.

أيضًا مما يذكر في هذا المقام ألا وهو الموقف من ما وقع من الصحابة أو من بعض الصحابة –رضي الله عنهم– من النزاع والشجار لا يخفى أنه قد وقع شيء من النزاع والخلاف بين علي –رضي الله عنه– وبين معاوية بن أبي سفيان –رضي الله عنه– وما وقع في معركة الجبل وصفين ونحو ذلك، ما الواجب علينا أيها الإخوة؟ الذي قرره علماؤنا قرره سلفه الصالح في مصنفاتهم وما أكثرها ألا وهو: الإمساك عما شجر بين الصحابة.

يجب علينا –أيها الإخوة– أن نكف ألسنتنا وأن نكف أقلامنا عن الخوض في هذه الأمور، ما وقع بين الصحابة من شجار ونزاع علينا أن نكف ألسنتنا، وأن نقول كما قال أهل الإيمان، ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ فإن الدخول في مثل هذه المعارك وفي مثل هذا الشجار قد يوقع في نفس العبد غلًا نحو أحدًا من الصحابة، وقد يؤدي ذلك إلى فتنته وإلى زيغه –أعاذنا الله من ذلك–؛ ولهذا نجد أن ابن بطة –رحمه الله– من علماء السنة يقول: "لا تنظر إلى كتاب الجمل ولا كتاب صفين، ولا تكتبه لنفسك ولا لغيرك" لاسيما أن الكثير من تلك الأخبار التي جاءت في حكاية الشجار الذي وقع بين علي ومعاوية، جملة من هذه الأخبار منها ما هو كذب، منها ما هو موضوع، ومنها ما قد زيد فيه ونقص، يعني ربما يكون أصله ثابت لكن حصل فيه زيادات ومبالغات، والقليل من هذه الأخبار –إن ثبت– فهم –رضي الله عنهم– هم مجتهدون إما مصيبون وإما مخطئون، فينبغي التنبه لهذا، لاسيما وأن جملة ممن يؤرخون لا يخلون من شيء من التشيع كالمسعودي وابن عبد ربه، كالمسعودي صاحب "مروج الذهب" وابن عبد ربه صاحب "العقد الفريد" والإمام ابن عبد البر من أئمة أهل السنة، فإذا جئنا إلى هؤلاء من أمثال المسعودي صاحب "مروج الذهب" أو "العقد الفريد" لابن عبد ربه، أو اليعقوبي تجد أن هؤلاء لا يخلون من التشيع، فلهذا قد يحصل شيء من التحامل نحو الصحابة –رضي الله عنهم–.

وأيضًا يجب أن نتنبه أن تلك المآخذ اليسيرة في حق بعض الصحابة هذه إن نظرنا إليها فهذا القدر من ما قد يؤخذ عليهم أو يؤخذ على بعضهم، هذا قليل جدًا، هذا قليل نذر مغفور في جنب فضائل القوم، فأنت إذا نظرت إلى فضائل القوم في فضائل الصحابة من الإيمان والعلم النافع والعمل الصالح والجهاد في سبيل الله والهجرة وجدت أن هذه المآخذ اليسيرة تغتفر في بحر حسناتهم، والماء إذا بلغ حلتين لم يحمل خبث، فينبغي أن نتنبه لهذا وأن نترضى عن الصحابة، وأن نحذر كل الحذر من التطاول على أحد من الصحابة –رضي الله عنهم– وقد مر بنا حديث الولي: إن الله –تعالى– يقول في الحديث القدسي: (من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب).

يقول: تحدثتم عن عدم الخوض فيما حدث بين الصحابة –رضوان الله عليهم أجمعين–، ولكن حينما يتحدث طالب العلم بشكل عام عما حدث، ويبين أن الحق كان مع علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– ويبين بعض الأمور بشكل عام، هل نقول: إن هذا فيه محظور أو فيه إشكال؟.

هو ما عندنا إشكال في أن عليًا –رضي الله عنه– أن عليًا أقرب إلى الحق من معاوية؛ لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال في شأن الخوارج، قال: (تقتلهم أولى الطائفتين بالحق) والذي قاتل الخوارج هو علي –رضي الله عنه– فما فيه إشكال كون نقول: إن عليًا أقرب إلى الحق، لكن كوننا نقول: أقرب، هذه مسألة غير مسألة أن الإنسان يتطاول على معاوية –رضي الله عنه– أو يتطاول على عمرو بن العاص أو يتطاول على طلحة أو الزبير ونحوهم من الصحابة الأجلاء، فهنا انفكاك، هذه مسألة وتلك مسألة، كوننا نقول: إن عليًا أقرب إلى الحق،

هذه مسألة دل عليها الدليل، لكن كون الأمر يصل إلى حد أن الإنسان يطعن في معاوية -رضي الله عنه- وهو خير ملوك الإسلام، وكاتب الوحي، وله من المناقب ما له -رضي الله عنه-، هذا المأخذ وكما قلنا لكم يعني هنا يجب أن نتنبه أن الصحابة لهم هذه المزية هذه الخصيصة وهي الصحبة، وهذه الميزة لا يعدلها شيء، فينبغي التنبه لهذا؛ ولهذا قال العلماء: إن الصحابة كلهم عدول، قرر هذا العلماء ومنهم ابن الصلاح في "المقدمة"، تأتي مثلًا ابن كثير في "الباعث الحثيث" وغيرهم، والأحاديث والنصوص القرآنية في هذا كثيرة، في الثناء عليهم وأن الله -تعالى- رضي عنهم، فالمقصود أن نفرق بين هذه وبين تلك.

يقول: بالنسبة للنواصب الذين يدَّعون الروافض على أهل السنة ما المراد به؟.

ما المراد بالنواصب؟

نعم.

المقصود بالنواصب المعنى الصحيح: هم الذين ناصبوا عليًا العداء، ومنهم الخوارج، ومنهم بعض بني أمية، لكن نقول كما قال الذهبي -رحمه الله-: كل من أبغض عليًا فهو ناصبي، وكل من كفر عليًا فهو خارجي، فنقول: إن الخوارج هم جزء من النواصب، فالذين يناصبون عليًا العداء يقال عنهم نواصب، سواء كانوا من الخوارج، أو ليسوا من الخوارج، مثلًا بعض بني أمية الذين وقعوا في الطعن في علي، وإن كان فرق بين هؤلاء الذين بين بني أمية وبين الخوارج، الخوارج وصل الحد إلى أنهم كفروا عليًا -كما لا يخفى-، أيضًا ممن يدخل في النواصب الذين فسقوا عليًا -رضي الله عنه-، وهذا موجود عند بعض المعتزلة الأوائل الذين كانوا يطعنون في علي-رضي الله عنه-، نحن نقول: المعتزلة الأوائل؛ لأن المعتزلة المتأخرين ظهر فيهم التشيع، فالمعتزلة الأوائل كعمرو بن عبيد عندهم شيء من النصب هذا أمر.

الأمر الأخير نختم به هذه الكلمة: إن الروافض عليهم من الله ما يستحقون يتهمون أهل السنة أنهم نواصب، وعلى كلٍ هذه التهم تتكرر، والعبرة بالحقائق كما قلنا غير مرة فهم يزعمون أن من أحب أبا بكر وعمر فهما نواصب، هم يقولون: لا يمكن أن تحب علي إلا إذا أبغضت الشيخين، يقولون: لا ولاء إلا البراء، لا ولاء لعلي إلا أن تتبرأ من أبي بكر وعمر، ولاشك أن هذا كلام مردود، نحن نحب عليًا وقبل هذا نحب أبا بكر وعمر، فكون الروافض يسمون أهل السنة نواصب كما نسمعه الآن فالعبرة بالحقائق نحن نحب جميع الصحابة وننزلهم منازلهم اللائقة بهم، أما هؤلاء القوم فنجد أن الرافضة يبغضون خيار الصحابة أبو بكر، عمر، عثمان، أم المؤمنين عائشة، حفصة.. ونحو ذلك من الصحابة، وجُل الصحابة عند هؤلاء القوم جلهم مرتدون، هذا الموجود في كتبهم المعتمدة، لا يكاد يسلم من هذه الردة على حد زعمهم إلا قلة قليلة، أما ألوف الصحابة، وكما لا يخفى عليكم حج مع النبي -عليه الصلاة والسلام- مائة ألف في حجة الوداع، يعني هذا العدد الكبير كلهم مرتدون، هكذا يقولون، إلا عدد قليل، البعض يقولون: هذا العدد يصل إلى السبعة، وبعضهم يقول: إلى بضعة عشر، لكن لاحظ الآن، أما هذه الألوف المؤلفة من الصحابة فكلهم عند القوم مرتدون -نسأل الله العافية.

بقي عندنا مسألة نحب أن نشير إليها ما دمنا أشرنا إلى قول الطحاوي: (ونبغض من يبغضهم) نعم نحن نبغض من يبغض الصحابة، نشير إلى مسألة يقع فيها إشكال، وهي مسألة سب الصحابة -رضي الله عنهم- ما حكم من سب الصحابة -رضي الله عنهم-؟ فالمسألة فيها كلام طويل، لكن لعلنا أن نوجزه في جملة مسائل، فنقول:

أولًا: إن استحل سب الصحابة وجوزه، فهذه ردة اتفاقًا. فإذا استحل سب الصحابة وجعل سبهم حلالًا جائزًا فهذه ردة.

ثانيًا: أن يسب الصحابة أو جمهور الصحابة سبًا يقدح في دينهم وعدالتهم، كأن يقول: إنهم ضُلال، إنهم فساق، إنهم كفار مرتدين، من سب الصحابة سبًا يقدح في دينهم وعدالتهم، كأن يقول: إنهم ضلوا ولا فسقوا ولا كفروا، فكفره متعين، من قال هذا فكفره متعين، ولا شك في كفره.

ثالثًا: أن يسب واحدًا من الصحابة ممن تواترت النصوص بفضله، يعني مثلًا أبو بكر وعمر.. ونحوهما من الصحابة الذين جاءت نصوص متواترة في فضائل هذين الشيخين على سبيل المثال، فإذا سب صحابيًا تواترت النصوص بفضله فهذا السب يخرجه عن الملة.

رابعًا: مما يتعلق بأمهات المؤمنين: لو قذف أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق المبرأة –رضي الله عنها– إذا قذفها بما برأت منه فهذا كافر بالاتفاق من جهتين:

الأمر الأول: من جهة أنه مكذب لعشر آيات من القرآن، آيات الإفك أليس كذلك؟

الأمر الثاني: أن الطعن في أم المؤمنين والوقوع في عرضها –رضي الله عنها– وقذفها هذا طعن في النبي –عليه الصلاة والسلام– وكذا بناء على هذا لو قذف بقية أمهات المؤمنين لو قذف مثلًا حفصة أو أم سلمة أو غيرهما من أمهات المؤمنين –رضي الله عنهن– لو رماهن بالفاحشة فكذلك نعوذ بالله أن هذا الجرم يخرجه من الملة، من هذه الحيثية، من حيثية أن طعن وقذف إحدى أمهات المؤمنين إن ذلك طعن في النبي –عليه الصلاة والسلام–، والطعن في النبي –صلى الله عليه وسلم– وسبه من أعظم أنواع الردة وأعظم أنواع الخروج من الملة، هذا ما يتعلق بهذه المسألة، وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الطبراني في "الكبير" وحسنه الألباني قال –عليه الصلاة والسلام–: (من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) هذا ما يتعلق بمسألة حكم سب الصحابة –رضي الله عن الصحابة أجمعين–.

هنا نختم لما قال: (وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان) نعم لا شك أن حب الصحابة دين، هذا مما نتقرب إلى الله –تعالى– به، ومما ندين به، أيضًا هو إيمان، فأوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله، ولا شك أن أعظم الناس تحقيقًا للإيمان هم الصحابة، فكوننا نحبهم هذا من مقتضيات الحب في الله والبغض في الله الذي هو أوثق عرى الإيمان، وأيضًا هو إحسان، والعكس بغضهم إذا أبغض الصحابة فهذا كفر ونفاق وطغيان، هو كفر –كما مر بنا– أنه مثلًا هذا البغض عن اعتقاد أنهم مثلًا كفار مرتدون هذا لاشك أنه كفر يخرج من الملة، وقد جاء في الحديث أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: (آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار) فإذا كان ذلك في حق الأنصار فالمهاجرين أحق وأولى أليس كذلك؟ لأن المهاجرين –جنس المهاجرين– لاشك أنهم هم خير وأفضل من الأنصار رضي الله عن الصحابة أجمعين.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (ونثبت الخلافة بعد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أولًا لأبي بكر الصديق –رضي الله عنه– تفضيلًا له وتقديمًا على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب –رضي الله عنه–، ثم لعثمان –رضي الله عنه–، ثم لعلي بن أبي طالب –رضي الله عنه–).

الآن عندنا مسألة خلافة هؤلاء الأربعة –رضي الله عنه– بما ثبتت؟ خلافة الصديق، خلافة عمر، خلافة عثمان، خلافة علي –رضي الله عن الصحابة أجمعين– فبدأ بالصديق، بم ثبتت خلافته؟ عندنا قولان أو عندنا ثلاثة أقوال لأهل السنة:

القول الأول: إن خلافة الصديق ثبتت بالنص. يعني بالنص الصريح بالنص الجلي، كما يرى ذلك ابن حزم وغيره.

القول الثاني: إنها ثبتت بالنص الخفي. أو كما يعبرون بالإشارة والإيماء والدلالة

القوال الثالث: إنها ثبتت بالإجماع. كيف بالإجماع؟ يعني أن الصحابة اجتمعوا في سقيفة بني ساعده، وبايعوا الصديق -رضي الله عنه-.

نذكر بعض النصوص التي جاءت في ذلك: من ذلك أن امرأة جاءت للنبي -عليه الصلاة والسلام- فأمرها أن تأت في العام القابل، فقالت هذه المرأة؟ فإن لم أجدك؟ فقال -عليه الصلاة والسلام-: (إن لم تجدين ستجدين أبا بكر) أخرجه البخاري ومسلم، فابن حزم قال: هذا نص جلي في أن الخليفة هو أبو بكر، أن الخليفة بعد النبي -صلى الله عليه وسلم- أبو بكر.

عندنا من الأحاديث أيضًا التي جاءت ما أخرجه البخاري ومسلم عن أم المؤمنين -رضي الله عنها- أنه -عليه الصلاة والسلام- في مرضه الذي مات فيه قال لعائشة: (ادع أباك وأخاك) يعني عبد الرحمن (حتى أكتب كتابًا لأبي بكر) ثم قال -عليه الصلاة والسلام-: (يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر).

الحديث الثالث: الذي أخرجه البخاري أنه -عليه الصلاة والسلام- في مرضه الذي مات فيه قال: (مروا أبا بكر فليصل بالناس).

أيضًا عندنا من الأحاديث التي فهم من الصحابة وسلف الأمة أنه هو الأحق، ما جاء في قوله -عليه الصلاة والسلام-: (لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليًا ولكن صاحبكم خليل الرحمن) كما قال -عليه الصلاة والسلام-: (لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبا بكر) والخوخة هي الباب الصغير.

فعندنا أقوال تقول: إن الخلافة ثبتت بالنص سواءً كان جليًا أو خفيًا وعندنا قول بأنها ثبتت بالإجماع.

الذي حققه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمة الله عليه- في هذه المسألة: أنه جمع بين الأمرين، فيقول: إن خلافة الصديق ثبتت بالنص والإجماع، أما الثبوت فبالنص، ثبوت الخلافة بالنص، كونه -صلى الله عليه وسلم- قال: (مروا أبا بكر فليصلي بالناس) هذه إشارة؛ ولهذا الصحابة قالوا: (رضيه النبي -صلى الله عليه وسلم- لديننا أفلا نرضاه لدنيان) فالشاهد أن النصوص ظاهرة بينة جلية في أنه -رضي الله عنه- هو الخليفة بعد النبي -عليه الصلاة والسلام-.

أما انعقادها، يعني كيف انعقدت؟ كيف تمت؟ فذلك بالإجماع، اجتمعوا في السقيفة حصل مداولة ثم اختاروا الصديق -رضي الله عنه-، فالذي يمكن أن يقال في هذا المقام: إن خلافة الصديق ثبتت بالنص وبالإجماع -رضي الله عن الصديق-.

بعدها ننتقل إلى مسألة خلافة عمر: بم ثبتت خلافة عمر؟ ذكر عندك المؤلف قال: (ثم لعمر) خلافة عمر -كما لا يخفى- ثبت بالاستخلاف، أن الصديق استخلف عمر، وهذا أمر ظاهر أن الصديق فوض الخلافة لأبـــــي بكر والأمة اتفقت عليه بعد وفاة الصديق -رضي الله عنه-.

وعلى كلٍ الشيخان -رضي الله عنهما- أبو بكر وعمر لهما من الفضائل والمزايا ولا أحد ينازع أنهما أفضل الصحابة، بل تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- تواتر أنه كان يقول: «خير هذه الأمة بعد نبيها -عليه الصلاة والسلام- أبو بكر ثم عمر، ولما سأله ابنه محمد بن الحنفية كما في البخاري فقال له: «من خير هذه الأمة بعد نبيها -صلى الله عليه وسلم-؟ فقال علي -رضي الله عنه-: أو ما تعرف يا بني؟ خير هذه الأمة أبو بكر، قال: ثم من؟ قال: ثم عمر، قال محمد بن الحنفية قال: فخشيت أن يقول: عثمان بعد

عمر، فقلت: ثم أنت؟ فقال علي -رضي الله عنه-: ما أنا إلا رجل من المسلمين» فرضي الله عن الصحابة ورضي الله عن علي في هذا الأثر الذي سمعناه.

ومما يذكر في هذا المقام: أن -الخليفة العباسي- هارون الرشيد سأل مالكًا وقال: يا أبا عبد الله أخبرني عن منزلة أبي بكر وعمر من رسول الله -عليه الصلاة والسلام-؟ فقال إمام دار الهجرة مالك -رحمه الله- قال: «منزلتهما منه في حياته كمنزلتهما منه بعد وفاته» منزلة أبي بكر وعمر في حياته -صلى الله عليه وسلم- كمنزلتهما منه بعد وفاته، أين منزلتهم بعد وفاته؟ دفنا معه -عليه الصلاة والسلام-، أليس كذلك؟ دفن أبا بكر وعمر بجانبه، عندنا النبي -صلى الله عليه وسلم- قبره ثم الصديق ثم عمر، فلما قال مالك هذه العبارة، لما قال: «منزلتهما منه في حياته كمنزلتهما منه بعد وفاته» قال هارون الرشيد قال: شفيتني يا مالك.

ومن فضائل عمر -كما لا يخفى عليكم- أنه -عليه الصلاة والسلام- قال: (إنه ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا إلا سلك الشيطان فجًا غيره) أخرجه البخاري ومسلم.

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم، قال -عليه الصلاة والسلام-: (قد كان في الأمم قبلكم مُحدَّثون) أي: ملهمون (فإن يكن في أمتي فعمر) -رضي الله عن عمر- هذه بعض فضائل عمر -رضي الله عنه-.

الذي يهمنا أن خلافته ثبتت بالاستخلاف -كما مر بنا-.

خلافة عثمان بم ثبتت؟ خلافة عثمان -رضي الله عن الصحابة وعن عثمان- أن عمر لما طعن سنة ثلاثة وعشرين، فعندئذ أوصى أن يكون الأمر لهؤلاء الستة، وهم: عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، فالخليفة الراشد الملهم الفاروق عمر رأى أن أمر هؤلاء الستة متقارب، وخشي أنه إذا حدد واحدًا بعينه وأمرهم متقارب وأحدهما له من الفضائل ما ليس من الآخر، خشي عمر -وهذا من تمام خوفه وخشيته من الله- خشي أنه إذا عين شخصًا أنه قد يحصل بولايته شيء من الخلل فيلحقه شيء من ذلك، فجعل الأمر لهؤلاء الستة يتشاورون فيما بينهم، هذا أمر.

والأمر الآخر أنه أراد أن يجمع بين طريقة النبي -صلى الله عليه وسلم- وطريقة الصديق، عمر أراد أن يجمع بين الأمرين، أنتم تعرفون أن الصديق عين عمر، والنبي -صلى الله عليه وسلم- لم يعين شخصًا بعينه، فهو أراد أن يجمع بين الأمرين، وبين المصلحتين بين مصلحة التعيين وعدمه، فجعل الأمر في هؤلاء الستة، فهو لم يترك الأمر هكذا مطلقًا، ولم يحدد شخصًا بعينه؛ لأن أمر هؤلاء الستة وهم بقية العشرة المبشرين بالجنة أمرهم متقارب، فجعل الأمر في هؤلاء الستة طبعًا عندنا أبو عبيدة بن الجراح هذا توفي قبل ذلك في طاعون عمواس، وعندنا سعيد بن زيد عمر استبعده مع أنه من العشرة لماذا؟ لأنه من بني عدي؛ لأنه من قرابة عمر، فعمر من تمام خوفه من الله استبعد سعيد بن زيد وهو من بني عدي من قرابته مع أنه من العشرة، هذا من تمام خوفه وخشيته من الله -سبحانه وتعالى- فاجتمع هؤلاء الستة وتولى الأمر عبد الرحمن بن عوف واختاروا هؤلاء الستة اختاروا عثمان -رضي الله عنه- فبايعه الستة، بقية الستة من العشرة، ثم بايعه أمراء الأجناد الذين كانوا قد حضروا في الحج وقت مقتل عمر واستشهاده -رضي الله عنه-، ثم بايعه سائر أهل الأمصار، هذا بالنسبة لخلافة عثمان.

إذن ثبتت باجتماع هؤلاء الستة الذين اختارهم، لما استشهد عثمان -رضي الله عنه- سنة خمسة وثلاثين في شهر ذي الحجة، عندئذ جاء الصحابة إلى علي وطلبوا منه أن يكون خليفة فأبى فألحوا عليه، فتم ذلك وبايعه الصحابة -رضي الله عنه- فخلافة علي خلافة نبوة كسائر الخلفاء الذين من قبله كما جاء ذلك في حديث "سفينة" مولى النبي -عليه الصلاة والسلام-: (الخلافة بعدي ثلاثون سنة)، وآخرها خلافة علي -رضي الله عنه-.

وقد قال الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-: «من طعن في خلافة علي -رضي الله عنه- فهو أضل من حمار أهله» هذا ما يتعلق بقضية فضائل الصحابة -رضي الله عنهم- ويتعلق بخلافتهم.

يقول: بعض الرافضة يقولون بطلب النبي -صلى الله عليه وسلم- في آخر حياته لما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (آتوني بكتاب أكتب لكم) فقال عمر: حسبنا كتاب الله) فقالوا: إن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يريد أن يكتب خلافة من بعده لعلي -رضي الله عنه-، فعمر امتنع عن هذا فكيف يكون الرد عليها؟.

على كلٍ الكلام الذي ذكرته يجب أن نعظم الصحابة وأن نترضى عنهم، وما جاء في هذه الحادثة نحن نجزم وندين الله -تعالى- أنه -عليه الصلاة والسلام- لم يقبضه الله وقد أدى الرسالة ونصح الأمة وبلغ الرسالة فقضية هذا الكتاب، هل نقول: والله أنه لو أنه كتب أو ما كتب، هل هذا يتعلق بشيء من دين الله يفوت؟ لا ليس الأمر كذلك؛ لأن الله -تعالى- قال: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] فهذا الكتاب جاء مفسرًا، النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لعائشة قال: (ادع أباكِ وأخاكِ حتى أكتب كتابً) فالنبي -صلى الله عليه وسلم- عزم أن يكتب هذا الكتاب، ثم قال: (يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر) ظهر له -عليه الصلاة والسلام- أن هؤلاء الصحابة لا يمكن أن يختلفوا في شأن الصديق، وفعلًا ما اختلفوا حصل تداول في السقيفة وحصل نقاش ثم استقر الأمر، يعني ما وقع من خلاف أو من اختلاف الذي يسوغ؛ ولهذا اجتمعوا عليه ولم يقع شيء من الخلاف الذي يوجب فرقة، الصحابة والأمة لم تختلف اختلاف فيه تفرق وفيه تشرذم إلا بعدما خرج الخوارج ثم جاء بعدهم الروافض وهكذا، هذا الذي يمكن يقال في هذه العجالة والله أعلم.

يقول: بعض الناس يثبتون الخلافة لمعاوية -رضي الله عنه- بعد خلافة علي -رضي الله عنه- فيقولون: خليفة، وبعضهم يقولون: ملك من ملوك المسلمين، ما الفرق بين ملك وخليفة؟

السؤال الثاني: أكثر الناس يسألون: هل معاوية -رضي الله عنه- بايع عليًا -رضي الله عنه-؟.

على كلٍ إن أردت بالخلافة خلافة نبوة التي جاءت في حديث "سفينة" فخلافة النبوة تشمل أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، والستة الأشهر التي تولاها الحسن -رضي الله عنه-، فهذه ثلاثين سنة تبدأ من السنة الحادية عشر إلى سنة أربعين، لما تنازل الحسن -رضي الله عنه- لمعاوية عام الجماعة، فإن أردت خلافة النبوة نعم.. فخلافة معاوية ليست خلافة نبوة، واضحة الآن، أما إن أردت بأنه خليفة المسلمين فمصطلح خليفة المسلمين يطلق على معاوية ويطلق على سائر بني أمية، ويطلق على بني العباس، بمعنى خليفة أنه هو الإمام الأعظم ما فيه إشكال في هذا، لكن العلماء لما يذكرون معاوية يقولون: هو أول ملوك أهل الإسلام، ولا شك أنه حصل في عهد معاوية من العدل والرخاء ما حصل، حتى قال بعض التابعين: لو أدركتم معاوية لقلتم: هذا هو المهدي، وهو أوتر بركعة ووصفه ابن عباس بأنه فقيه -رضي الله عن الصحابة أجمعين-.

أما قضية: هل بايع عليًا؟ يعني هذه ينبغي أن تفهم في وقتها، أن معاوية ومعه أهل الشام هو امتنع بادئ الأمر، وأنه لا يمكن أن يبايع عليًا حتى يقتص من قتلة عثمان، فمعاوية كان يطالب بالقصاص من قتلة عثمان، باعتبار أن عثمان من قرابته، وعلي -رضي الله عنه- الأمر لم يستقر له، والقتلة كانوا في معسكره، لكنهم لهم شوكة وشأن، ولا يمكن أن يقتص منهم، وعلي يصر على أهل الشام أن ينقادوا، وأن يدخلوا تحت ولايته فهو خليفة المسلمين، ومعاوية باعثه الغيرة على هذا الخليفة الراشد كيف أن عثمان يقتل دون أن يؤخذ ويقتص من القتلة؟ فهذا يعني الباعث على هذا هو ما سمعناه: أن معاوية يريد الانتصار لأمير المؤمنين، وعلي -رضي الله عنه- ما عنده، علي لا يستطيع أن يقتص من هؤلاء القتلة؛ لأن لهم شوكة ولهم قبائل، وهذا الأمر استمر بدليل أن معاوية -رضي الله عنه- لما استقر له الأمر لم يستطع أيضًا أن يقتص من قتلة عثمان، لكن لله الأمر من قبل ومن بعد، وما لنا في هذه الحالة إلا أن نقول كما قلنا ونقول ونؤكد ونذكر لا نقول إلا كما قال تعالى عن أهل الإيمان: ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ فهذه الأشياء التي وقعت من علي أو

معاوية -رضي الله عنهم- كما قلنا هم مجتهدون إما مصيبون وإما مخطئون، وإن كانوا مصيبون فلهم أجران، وإن كانوا مخطئين فلهم أجر واحد، وفضائل القوم ومحاسنهم هذه الأشياء اليسيرة تغتفر في جنب محاسن القوم وفضائلهم -رضي الله عنهم-.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون، وأن العشرة الذين سماهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقوله الحق وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح وهو أمين هذه الأمة -رضي الله عنهم أجمعين-).

قوله -رحمه الله-: (وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون) هذه العبارة جاءت في حديث العرباض بن سارية -رضي الله عنه- لما قال: (وعظنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- موعظة زرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقلنا يا رسول الله: كأنها موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال -عليه الصلاة والسلام-: أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم فسيرى من بعدي اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور..) الحديث.

المقصود هنا: أن المراد بالخلفاء الراشدين هم الذين ذكروا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي -رضي الله عنهم أجمعين-، وهنا لما قال -عليه الصلاة والسلام- وصفهم بأنهم: (الراشدون المهديون) الرشد هو العمل بالحق، وضده الغي، قال تعالى: ﴿ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] فالرشد هو العمل بالحق، وأما الهدى لما قال: (الأئمة المهديون، فالهدى هو العلم بالحق، فهم -رضي الله عنهم- جمعوا بين العلم والعمل، علموا الحق والهدى وعملوا به، هذا الرشد العمل بالحق، والهدى هو العلم بالحق هذا ما يتعلق بشأنهم -رضي الله عنهم-.

ثم ذكر العشرة، ولا شك أن للعشرة من الفضائل ما ليس لغيرهم، وحسبنا أنهم قد بشروا بالجنة، هؤلاء العشرة الذين ذكروا لما قال عندنا:

طلحة: الذي هو طلحة بن عبيد الله.

الزبير بن العوام: حواري النبي -عليه الصلاة والسلام-.

وسعد: الذي هو ابن أبي وقاص خال النبي -عليه الصلاة والسلام-، والذي قال فيه -صلى الله عليه وآله وسلم-: «ارم فداك أبي وأمي».

وسعيد: الذي هو سعيد بن زيد أيضًا من العشرة.

وعبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه-.

وأبو عبيدة قال: هو أمين هذه الأمة، قال -عليه الصلاة والسلام-: (لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة) -رضي الله عن الصحابة أجمعين-، هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

لكن نلحظ لما نأت لواقع هذه الأمة كيف أن هؤلاء العشرة الذين ينبغي أن نحبهم ونترضى عنهم وأن نجلهم نجد الروافض في القديم والحديث يبغضون هؤلاء العشرة، حتى وصل الحمق إلى أنهم يبغضون رقم عشرة حتى كما يقول شيخ الإسلام في "المنهاج" منهاج السنة، إذا أراد أحدهم أن يبني بيتًا واحتاج إلى أن يتخذ مثلًا عشرة من الأعمدة إما أن يجعلها تسعة وإما أن يجعلنا أحد عشر، يكرهون رقم عشرة، وكما قال: يكرهون رقم عشرة

ويحبون التسعة، والتسعة هي عبارة عن عشرة ناقص واحد كما لا يخفى على أي عاقل، وهذا من الحمق يعني رقم عشرة لا يقدم ولا يؤخر، أليس كذلك؟ قد يكون هؤلاء العشرة مؤمنين، قد يكون هؤلاء العشرة كافرين، فهذا عدد، لكن هذا من الحمق والبغض الدفين، مجرد أن العشرة يقال العشرة المبشرين صاروا يبغضون الرقم في حد ذاته، يعني هذا يذكرك بحماقة العرب في الجاهلية، أنهم يبغضون أيام ويتشاءمون من أيام ويتطيرون، ومثل ما هو عندنا الآن التطير في الوقت الحاضر -كما هو عند الغرب- يتطيرون من رقم ثلاثة عشر، على كلٍ المقصود أنه علينا أن نترضى عن الصحابة ونخص منهم هؤلاء العشرة، فهؤلاء العشرة هم خير الصحابة - رضي الله عنهم-، والصحابة هم خير الناس بعد الأنبياء (خير الناس قرني) هكذا قال -عليه الصلاة والسلام- ومما جرت به الأقدار أن هؤلاء الذين يبغضون الصحابة يحصل لهم في الدنيا قبل الآخرة من العقوبات والمثلات الشيء الكثير، وقد ذكر أحد المقادسة، الضياء المقدسي في كتاب "النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب" ذكر حكايات مسندة بأسانيده وأشار إليها شيخ الإسلام في "الصارم المسلول" أن هؤلاء الذين يتطاولون على الصحابة بالسب والشتم والوقيعة أن هؤلاء تقع عليهم العقوبات والمثلات وربما بعضهم مُسِخَ إلى قردة وخنازير نسأل الله العافية.

يقول: هناك بعض العلماء المهتمين بالتاريخ وما يسمى بنقد التاريخ الإسلامي وغيره، ويتعرضون لبعض المواقف التي اتخذها بعض الخلفاء الراشدين مثل عثمان -رضي الله عنه- وعلي أيضًا سواءً أن يوافقوهم أو يخالفوهم فيما اتخذوا، هل هذا يدخل في الخوض فيما شجر بني الصحابة أو في نقد الصحابة أو في الحديث عنهم؟.

والله أنا يبدو لي بادئ الرأي إذا كان الشخص الذي يبحث هذه المرويات التاريخية باعثه في هذا ألا وهو تمحيص هذه الروايات والذب عن الصحابة لا شك أن هذا من أعظم القربات، أن الشخص يمحص هذه الروايات إن كان عنده أهلية في هذا، ويبين ما في هذه المرويات من الزيف مثل ما فعل عندما مثلًا من السابقين ابن العربي المالكي -رحمه الله- لما ألف كتاب "العواصم من القواصم" وأورد بعض المثالب التي تنسب للصحابة وذب عن الصحابة -رضي الله عنهم-، فنقول: إذا كان الباعث هو تقويم هذه الروايات التي تداولها المؤرخون دون نكير، نقول: هذا لاشك أنه مما يحمد، أما إذا كان الشخص مجرد ولوغ في هذه الأخبار، وإبراز لهذه الفتن فينبغي للإنسان أن يكف عن ذلك، ونحن نُحذر عمومًا ممن يشتغل بالبحث ألا ينخدع البعض بما يسمى البحث العلمي، أو ما يسمونه بالموضوعية، فتجد أحيانًا البعض ينتقد الصحابة ويقوم ويعدل كما لو كان الصحابة كسائر الناس، لا ليس الأمر كذلك، فلا يتعلل بعض المتعللين بهذه العلة العليلة في حق الصحابة لما يقول: باسم الموضوعية أو باسم البحث العلمي فنجده مثلًا ينتقد معاوية ولا ينتقد عمرو بن العاص ولا ينتقص عثمان -رضي الله عنه- ويورد بعض المثالب هنا وهناك باسم البحث العلمي، لا.. الصحابة لهم شأن، وينبغي أن تكون نظرتنا موقفنا العلمي مبني على عقائدنا الثابتة، النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا تسبوا أصحابي) وقال: (الله الله في أصحابي)، وقال في الحديث الآخر قال: (فمن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن أبحهم فبحبي أحبهم) فنحن ينبغي أن ننطلق في دراساتنا لتاريخهم من خلال هذا النفس العقيد السني السلفي، والله أعلم.

يقول: بعض العلماء قاموا بترتيب الصحابة من ناحية الأفضلية، هل يذكر شيء من ذلك مثلًا بعض الكتب التي اختصت بهذا الجانب؟ مسألة ترتيب الصحابة أفضلهم وهكذ.

والله أنا ما أذكر شيء، لكن فيه بعض الرسائل العلمية يمكن أن يستفاد منها، فيه رسالة دكتوراه في الجامعة الإسلامية أو في جامعة أم القرى لست متأكدًا هنا عندنا في السعودية بعنوان "عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام" للباحث ناصر الشيخ، أذكر أنه عقد فصلًا في قضية فضائل الصحابة وترتيبهم، هذا ما يتعلق بهذا الموضوع.

لكن نحن نؤكد أن موضع الفضل بالنسبة للأربعة، هكذا التفضيل، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، يبقى نزاع ثم عثمان ثم علي أو مسألة اجتهادية يسعى فيها الخلاف من جهة الفضل، أم مسألة يضلل فيها المخالف؟ فيها قولان لأهل السنة:

– من أهل العلم من يرى أن هذه ليست مسألة اجتهادية أنه لا يجوز أن يقال: إن عليًا أفضل من عثمان، وهذا الذي جاء عن الإمام أحمد عن أيوب السختياني عن الدارقطني وقالوا: من قدم عليًا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار.

أسئلة الحلقة.

السؤال الأول: ما الواجب علينا تجاه الشجار أو النزاع الذي وقع بين بعض الصحابة؟

السؤال الثاني: ما التحقيق في ثبوت خلافة أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– يعني بم ثبتت؟ بالنص ولا بالإجماع؟

الدرس الثاني والعشرون

من قوله: «ومن أحسن القول في...»

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأصلي وأسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

شيخنا الكريم طرحتم سؤالين في الحلقة الماضية السؤال الأول: ما الواجب تجاه النزاع الواقع بين الصحابة رضوان الله عليهم؟

وكانت الإجابة: الجواب الذي قرره أهل العلم هو الإمساك عن الخوض فيما شجر بين الصحابة -رضوان الله عليهم- وأن نقول: ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الحشر: ١٠] والدخول في الشجار يؤدي إلى الفتنة والزيغ والغل لاسيما وأن جملة من الأخبار التي وردت بهذا الصدد هي أخبار أغلبها كذب وموضوع.. إلى آخر كلامه.

إجابة الأخت إجابة صحيحة وموفقة ومسددة.

السؤال الثاني: تحقيق الخلافة في أبي بكر رضي الله عنه؟

وكانت الإجابة تقول: الجواب فيها ذكره ابن تيمية -رحمه الله تعالى- أن يقال هذا قول جميع أهل السنة، بل ذهبت طوائف من أهل السنة إلى أن إمامة أبي بكر ثبتت بالنص، والنزاع في ذلك معروف، في مذهب أحمد وغيره، وقد تقول إن أحمد عنده روايتان أحدها أنها ثبتت بالاختيار والرواية الثانية أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة.

أي.. لكن التحقيق في هذا أننا ذكرنا الخلاف الذي وقع بين أهل السنة هو خلاف سائغ، هل ثبت بالنص ولا ثبت بالإجماع، ثم ذكرنا كلام شيخ الإسلام أنه ثبت بهذا وذاك، أن خلافة الصديق ثبتت بالنص والإجماع، من جهة صحتها فالبنص، ومن جهة انعقادها فبالإجماع.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس فقد برئ من النفاق).

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

ما ذكره الإمام أبو جعفر الطحاوي -رحمه الله- في شأن أصحاب النبي -عليه الصلاة والسلام- وزوجاته وآله، هذه العبارة التي سمعناها عندما قال: (ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله..) إلى أن قال: (..فقد برئ من النفاق) هذه العبارة التي قالها الإمام الطحاوي قد قررها بعض المتقدمين من أمثال أيوب السختياني، فأيوب السختياني -رحمه الله- يقول: «من أحسن الثناء في أصحاب رسول الله -عليه الصلاة والسلام- فقد برئ من النفاق» هنا قال: في أصحاب رسول الله، والصحابة -لا يخفى عليكم- تعريف الصحابي، هو أن الصحابي من لقي النبي -صلى الله عليه وسلم- مؤمنًا به ومات على ذلك.

ثم قال: (وأزواجه) نعم أزواج النبي -عليه الصلاة والسلام- هن أمهات المؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦] فزوجات النبي -عليه الصلاة والسلام- هن أمهات المؤمنين، وهن -رضي الله عنهن- أمهات المؤمنين من جهة التحريم لا من جهة المحرمية، يعني هن أمهات المؤمنين من جهة التحريم فلا يجوز

التزوج عليهن بعد النبي -عليه الصلاة والسلام- كما هو معلوم، فهن أمهات المؤمنين من هذه الحيثية، من جهة التحريم، لا من جهة المحرمية، يعني لا يكون كل مسلم محرمًا لتلك الأمهات. هذه المسألة.

ثم قال: (وذريَّاته) يبقى الكلام عندنا هنا في الحديث عن المراد بآله -عليه الصلاة والسلام- من آل النبي عليه الصلاة والسلام؟ التحقيق في ذلك والذي يختاره بعض المحققين: أن آل محمد -صلى الله عليه وسلم- يشمل زوجاته -رضي الله عنهن- ويشمل الذين تحرم عليهم الصدقة من آل محمد -عليه الصلاة والسلام-، فزوجاته من آل بيته وكذا أيضًا من تحرم عليهم الصدقة وهم المذكورون في حديث زيد بن أرقم -رضي الله عنه- حديث لما خطب النبي -عليه الصلاة والسلام- في غدير يدعى "خمًا" فقال -عليه الصلاة والسلام-: في هذا الحديث: (أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، فقال السائل – قال الراوي عن زيد- قال يا زيد: أليس نساؤه من أهل بيته؟ فقال زيد رضي الله عنه: بلى نساؤه من أهل بيته، لكن أهل بيته من تحرم عليهم الصدقة، فقال الراوي: من هم؟ فقال زيد -رضي الله عنه- قال: هم آل علي وآل جعفر وآل عباس وآل عقيل) هذه البيوت الأربعة هم الذين تحرم عليهم الصدقة، تحرم عليهم الزكاة الواجبة، آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس.

إذن نخلص من هذا أن آل محمد -عليه الصلاة والسلام- يشمل زوجاته ويشمل الذين تحرم عليهم الصدقة وهم البيوت الأربعة: آل علي وآل العباس وآل جعفر وآل عقيل.

هؤلاء هم الذين ذُكروا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣] قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ ﴾ وقد مر بنا أن الإرادة قد تكون كونية وقد تكون شرعية دينية، فهنا الإرادة على ماذا تحمل؟ أهي الإرادة الكونية القدرية بمعنى المشيئة؟ أم الإرادة الشرعية الدينية بمعنى المحبة؟

هي الإرادة الشرعية الدينية، فيكون المعنى بالنسبة للآية الكريمة أن قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ ﴾ أي يحب ذلك، ويأمركم بذلك، إذن هذا أمر ومحبة مثل ما قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] يعني أنه يحب ذلك، فلا يتوهم متوهم أن ذلك خبر، ويظن ظان أن كل شخص من آل البيت أنه يحصل فيه هذا الطهر، ليس الأمر كذلك؛ لأن آل البيت منهم من المطيع ومنهم من ليس كذلك، منهم الصديق ومنهم من ليس كذلك، وكما قال سيد الخلق -عليه الصلاة والسلام-: (من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه) هكذا قال -عليه الصلاة والسلام-.

إذن نخلص من هذا أنها إرادة شرعية دينية، وأن المراد من ذلك أن الله -تعالى- يأمرهم بما يوجب الطهارة، هذا أمر بما يوجب الطهارة. انتهينا من هذه المسألة.

بعدها قال: (فقد برئ من النفاق) يقول: (من أحسن القول في أصحاب رسول الله وأزواجه وذرياته المقدسين من كل رجس فقد برئ من النفاق) قبل أن نتحدث عن كلمة (فقد برئ من النفاق) طبعًا قولهم: (من كل دنس) الدنس هو الوسخ، (وذرياته المقدسين) أي المطهرين (من كل رجس) والرجس كذلك هو بمعنى القذر.

نشير قبل هذا إلى زوجات النبي -عليه الصلاة والسلام- وأنهن تسعة من النساء -رضي الله عنهن- أفضلهن خديجة بنت خويلد وعائشة بنت الصديق -رضي الله عنهن- جميعًا لكن أيهما أفضل؟ خديجة -رضي الله عنها- أم عائشة رضي الله عنها؟

في هذا خلاف، والذي يراه بعض المحققين أن لخديجة -رضي الله عنه- من الفضل في أول الإسلام ما ليس لعائشة، ولعائشة -رضي الله عنها- من إظهار السنة بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- ونشرها ما ليس لخديجة، فهذه فضلها في الأول وتلك فضلها في الآخر، فضل خديجة واضح، لما قالت للنبي -صلى الله عليه وسلم- في أول البعثة: (كلا والله لا يخزيك الله أبدًا..) إلى آخر الحديث، وأيضًا هي من أوائل من أسلم كما هو

معلوم، وأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- لها جهدها الظاهر البيِّن من خلال أنها روت الكثير من الأحاديث ونشرتها وبلغت سنن النبي عليه الصلاة والسلام.

هنا لما قال: (فقد برئ من النفاق) إذن الذي يحسن في حق الصحابة ويترضى عنهم قد سلم من النفاق، بين العلماء وجه ذلك فقالوا:

الأمر الأول: الذين يطعنون في الصحابة -رضي الله عنهم- هذا الطعن وهذا التطاول على الصحابة إنما نشأ من عبد الله بن سبأ اليهودي الذي أسلم نفاقًا، وهو الذي وضع بذرة مذهب الرفض والتشيع، هذا وجه كونه قد سلم من النفاق، من جهة أن الطعن في الصحابة ابتدأه عبد الله بن سبأ، فأصل الرفض هو إنما أحدثه هذا المنافق الذي أسلم نفاقًا وطعن في الصحابة -رضي الله عنهم- وهذا الطعن استمر للأسف عند الرافضة إلى هذه الساعة. هذا أمر.

الأمر الثاني: أن الطعن في الصحابة هو نوع من النفاق كما بينه الإمام أبو زرعة الرازي -رحمه الله- في عبارته المشهورة لما قال: إذا رأيت الرجل ينتقص أحد أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فاعلم أنه زنديق، ما وجه ذلك؟ وجه ذلك بيِّن كما بينه أيضًا أبو زرعة؛ لأن القرآن حق، وسنن النبي -عليه الصلاة والسلام- وما جاء به الرسول الكريم حق، فإذا طعنوا في الصحابة -وهم النقلة- الطعن في النقلة يؤدي إلى الطعن في المنقول، فإذا طعنوا في الصحابة وهم الشهود وهم الرواة هذا يترتب عليه الطعن في صحة القرآن، والطعن في صحة أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام، وعلى كلٍ الطعن في الصحابة هو طعن في القرآن وطعن في سنة النبي -عليه الصلاة والسلام- وطعن في هذه الرسالة التي جاء بها نبينا الكريم -عليه الصلاة والسلام- هذا أمر.

الأمر الثالث: أيضًا نحب أن نشير أيضًا إلى أن الذين يطعنون في الصحابة من أمثال الروافض -كما جاء ذلك في التاريخ القديم والحديث- أن عندهم من المشابهة لأهل النفاق الشيء الكثير، فإذا جئت مثلًا حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- لما قال -عليه الصلاة والسلام-: (أربع من كن فيه كان منافقًا أو كانت فيه خصلة من أربعة كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر) فهذه الخصال التي جاءت في حديث عبد الله بن عمرو وجاءت في حديث أبي هريرة: (آيات المنافق ثلاث) نجد أن للرافضة من هذه الصفات أوفر الحظ والنصيب، لا من جهة الكذب ولا من جهة الخيانة ولا من جهة الخصومة، هذا ظاهر لمن قرأ تاريخ الرافضة في القديم والحديث، بل الأمر أشد من ذلك الرافضة الآن يدَّعون أنهم يحبون آل البيت أليس كذلك؟ يدعون ذلك، وهذه في الواقع هي مجرد دعوة، لكن إذا نظرنا إلى كتبهم نجد أنهم حتى آل البيت لم يسلموا منهم، فسبق أن مر في الدرس الماضي أن القوم يحكمون على جمهور الصحابة بالتضليل والتفسيق والتكفير ويدخل في ذلك جملة من آل البيت؛ ولهذا نجدهم أنهم يطعنون في العباس عم النبي عليه الصلاة والسلام، يطعنون في العباس على سبيل الخصوص، يطعنون في ابنه حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس -رضي الله عنه- هذا موجود في كتبهم المعتبرة، بل وصل الأمر هذا النفاق إلى أن طعنوا في بنات النبي -عليه الصلاة والسلام- ما عدا فاطمة، يعني طعنوا مثلًا في زينت في أم كلثوم ولا يخفى أنهن زوجات عثمان -رضي الله عن عثمان ورضي الله عنهن- فطعنوا في بنات النبي -عليه الصلاة والسلام- ما عدا فاطمة، بل وصل الحمق في الواقع إلى أن ينكروا ويقولون: النبي -عليه الصلاة والسلام- لم يكن له إلا فاطمة، يعني لاحظ المكابرة إنكار البديهيات، وهذا أمر ظاهر عند القوم، قضية إنكار البديهيات إنكار ما كان ظاهرًا بينًا تجده عند القوم، يعني عامة المسلمين يعرف أن من بنات النبي -صلى الله عليه وسلم- زينب وأم كلثوم، من إنكار البديهيات عندهم مثلًا ينكرون أن الصديق -رضي الله عنه- ولا عمر -رضي الله عنه- أنهما دفنا عند النبي -عليه الصلاة والسلام-، ينكرون ذلك، هذه من حماقات القوم أن ينكروا مثل هذه البديهيات المعلومة عند كل مسلم. هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

يبقى عندنا في قضية الكلام عن الطعن في عائشة وسبق أن مر بنا الكلام في هذا أن من قذف عائشة وهي الطاهرة المبرأة بنص القرآن في عشر آيات أن من قذفها فقد كفر؛ لأن الله -تعالى- قال: ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ١٧] والإمام مالك -رحمه الله- إمام دار الهجرة يقول: من سب عائشة -رضي الله عنها- قُتل، فسئل لم؟ قال: من رماها فقد خالف القرآن، من رماها -يعني رماها بما برئت منه فقد القرآن- قال الإمام ابن حزم معلقًا على كلام الإمام مالك، قال: وقول مالك هاهنا صحيح، قال: وهي ردة تامة وتكذيب لله -تعالى- في قطعه ببراءتها.

فالمقصود أن آل بيت النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يسلموا من الرافضة، وحسبك أن تعلم أيضًا أن سقوط بغداد سنة ستة وخمسين وستمائة من الهجرة على يد التتار كان بتواطؤ من الرافضة، وكان الرافضة لهم دور وكانوا لهم سبب رئيس في تسلط التتار على قتل بني هاشم، فالتتار لما أسقطوا بغداد قتل الكثير من بني هاشم، والسبب في ذلك الرافضة؛ لأن ابن العلقمي الرافضي هو الذي حرض التتار على دخول بغداد وإسقاطها، هذه جملة مما يبين أن القوم أن عندهم من النفاق ما عندهم.

يبقى عندنا مسألة نحب أن نشير إليها في ختام هذا الأمر: أن علينا أن نبين دين الله، وأن ننشر الدين الصحيح ونبلغ سنة سيد المرسلين -عليه الصلاة والسلام- فهذه السنة إذا ظهرت وانتشرت فسرعان ما تزيل هذه البدع تلقائيًا، هذه البدع التي هي بدع الرفض ونحوها لا تظهر إلا في الأماكن التي يغلب فيها الجهل، وتختفي فيها الحجج الرسالية، لكن إذا ظهرت السنن وبلغنا دين الله -سبحانه وتعالى- وبلغنا سنة النبي -عليه الصلاة والسلام- سرعان ما تزول هذه البدع وتتقشع.

يقولون: "لا تتحدثي في مكان فيه سراج" يشير إلى العالم وطالب العلم، فمذهب القوم لا يكون في الأماكن التي فيها نور النبوة، وإنما في أماكن الضلال ومستنقعات الجهل، فهذا يؤكد علينا نحن معشر المنتسبين للسنة أن نبذل قصار جهدنا في تبليغ دين الله، وفي هذا إقامة الحجة وفي ذلك إنقاذ لهؤلاء القوم ولغيرهم من هذه البدعة، ونحن نخاطب هؤلاء الذين تلبسوا وتلوثوا بهذا الرفض وبهذا التطاول، نقول لهم: أين تذهب عقولكم؟ نقول: فكروا بعقولكم حرروا عقولكم من رق واستعباد هؤلاء الذين يسمون "آيات" أو يسمى أحدهم "مُلا" أو نحو ذلك، فكروا بعقولكم نقول: انظروا إلى القرآن إن كنتم تحتجون به، تأملوا في سيرة النبي -عليه الصلاة والسلام- فمن فكر بعقله عرف ما في هذا المذهب أي مذهب الرافضة من التناقض والاضطراب، وأنه لا يقبله لا صاحب عقل ولا صاحب دين، هذا أمر.

الأمر الأخير: أن هؤلاء الذين ينصرون البدع ويفترون على الله أن هؤلاء يُخشى عليهم من غضب الله وعذابه في الدنيا والآخرة، وهذا أمر ظاهر، وأيضًا قضية الذل والمهانة، دائمًا -أيها الإخوة الكرام- الذين يتطاولون على دين الله ويفترون على الله ويفترون على نبيه -عليه الصلاة والسلام- نجد أن هذا الوعيد ينالهم غضب الله وعذابه، وأيضًا كذلك الذل، وكل ذلك ذكره العلماء وأشاروا إليه عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٢] قال بعض السلف ومنهم أبو قلابة -رحمه الله- قال: "هذه الآية في كل مفترٍ"، كل من افترى على الله تجد أن له نصيب من هذا الوعيد، ومن هذا الخزي والمهانة، و لهذا لما ظهر العبيديون في مصر وكانت لهم في مصر وفي بلاد المغرب والذين سموا بالفاطميين كذبًا وزورًا مع أنه كانت لهم دولة وشوكة وقوة ومع ذلك كانوا أذلاء، وسبب هذا هذه البدع التي تلبسوا بها، هذه تذل صاحبها وإذا كانت المعصية -كما لا يخفى عليكم- توقع العبد في الذل، المعصية تذل مثل ما قال الحسن البصري -رحمه الله-: "إنهم وإن طغت بهم البغال وهملجت بهم البراذين، فإن ذل المعصية في أعناقهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه" -عافانا الله وإياكم- فإذا كان المعصية تفعل ذلك فما بالك بالبدعة، وجنس البدعة أشنع وأشد من المعصية، والله أعلم.

يقول: بالنسبة للتقية معنى التُّقْيَة أو التَقِيَة هل في الإسلام هذا الشيء؟ مع أن الرافضة يعتقدون هذه المسألة؟.

يعني هو التَقِيَة والتُّقْيَة هي تعتبر دين عند الرافضة، يعني يتدينون بالكذب -نسأل الله العافية- فإذا كان أهل الإسلام لاسيما أهل السنة على سبيل الخصوص يدينون الله -تعالى- بصدق ويلتزمون بالوصية التي مرت بنا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩] أو ما جاء في وصف المهاجرين: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥] فالقوم يتدينون بالكذب الذي يسمونه التقية، وهم يقولون: التقية تسعة أعشار الدين، وهذه التَقِيَة أو التُّقْيَة تجد أنهم يستخدمونها في كل حال، فلا يعاشرون أحدًا إلا استعملوا معه هذا النفاق، بل تجدهم ينافقون مع الضعفاء ومن لا حاجة لهم إليه، هذا أمر.

أما أحيانًا البعض منهم بعض الناس يعني قد يشكل عليه ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ [آل عمران: ٢٨] فالأمر ليس كما يزعم هؤلاء؛ لأن هنا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ أن على الإنسان أن يظهر دين الله على حسب استطاعته، وما لا يقدر على إظهاره فنحن نقول: ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦] ونقول: ﴿ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ ففرق بين أن الشخص شيء من دين الله قد لا يستطيع إظهاره وبين أن يكذب، فالقوم يكذبون في السراء والضراء وفي كل حال، ويتدينون بالكذب، فهذا مما يذكر عن هؤلاء القوم وهذا موجود في كتبهم، لا نتقول عليهم بل في كتبهم المعتمدة المعتبرة تجد هذا النفاق الذي يسمونه التَقِيَة أو التُّقْيَة.

يقول: نسمع كثيرًا في كلام العلماء: "الزنديق والزنادقة" فما معنى "الزندقة" ومن هم الزنادقة؟.

يعني الذي أنا أعرفه في الزنديق هي طبعًا الكلمة -كما لا يخفى عليكم- الكلمة ليست عربية، لكن الزنديق عندما تطلق هنا- في كلامنا هنا- المراد بها المنافق، الزنديق عند الفقهاء هو المنافق، هذا معناها عند الفقهاء، وقد تطلق الزنديق على الثانوية الملاحدة الذين يقولون: بإله النور وإله الظلمة، وقد تطلق على ما هو أوسع من ذلك، فقد تطلق أحيانًا على من يكون صاحب فجور وانحلال، لكن المعروف عند الفقهاء إذا قيل: الزنديق أراد به المنافق.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل).

هنا قال الإمام الطحاوي: (وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير) مكتوب عندكم (أهل الخير) لكن في بعض النسخ (أهل الخبر) هذه العبارة (أهل الخبر) جاءت في كتاب "نور اليقين في أصول الدين" لحسن البسنوي وهو من العلماء المتأخرين الذين شرحوا هذه العقيدة المباركة، وأيضًا ممن نقلها على أن المقصود (أهل الخبر) أيضًا ابن العطار -رحمه الله- من تلاميذ النووي -رحمه الله- فابن العطاء في كتابه في الاعتقاد نقل عبارة الطحاوي وأثبتها على أنها (أهل الخبر) ولعل الذي يبدو -والله أعلم- أنها كذلك، أن المراد والأدق أن يقال: (أهل الخبر) بقرينة أنه قال: (الأثر) أما أنهم (أهل الخير) فهذا تحصيل حاصل أليس كذلك؟ أهل الخير هذه تطلق على من دونهم بمراحل، فلعل الأقرب والذي يتفق مع السياق أن يقال: (أهل الخبر) باعتبار أن العلماء اعتنوا بالأخبار والآثار كما هو معلوم في مذهب أهل الحديث.

الواجب عليهم تجاه العلماء كما أشار الطحاوي -رحمه الله- أن نجلهم ونحن تجاه العلماء وسط بين الإفراط والتفريط بين الذين ينتقصون العلماء ويحصل منهم الجفاء وبين الذين غلوا في العلماء فجعلوهم مشرعين يحللون ويحرمون، فالمسلك هو الوسط بين الغلو والجفاء.

يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: (العلماء ورثة الأنبياء) أخرجه أحمد، وجاء في الحديث قال -عليه الصلاة والسلام-: (ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا قدره أو حقه) هكذا أخرجه الحاكم وحسنه الألباني.

يبقى عندنا مسألة أشار لها الشارح وهي: أنه قد نجد من العلماء الأكابر والأئمة الأفاضل من يخالف الدليل فبين العلماء ومنهم شيخ الإسلام في رسالته الرائعة "رفع الملام عن الأئمة الأعلام" أننا إذا رأينا عالمًا من هؤلاء العلماء قد خالف الدليل فهؤلاء لهم عذر، وجماع أعذارهم تنحصر في ثلاثة أمور، يعني لما نأتي إلى عالم ويستغرب البعض كيف هذا العالم ما أخذ بهذا الدليل؟ فنقول: هذا العالم له عذر، وجماع هذه الأعذار تنحصر في هذه الثلاثة:

أولًا: إما أن هذا الدليل لم يبلغه.

والثاني: أنه ربما أنه بلغه لكنه ظن أن هذا الدليل لا يراد به تلك المسألة بعينها.

والثالث: أنه ربما ظن أن هذا الحديث أو هذا النص منسوخ.

وهذا مما ذكر في هذا المقام.

لما قال عندك هنا: (ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل) نعم هو على غير سبيل المؤمنين، فسبيل المؤمنين هو محبة العلماء وإجلالهم وتقديرهم وأن يعرف لهم حقهم وفضلهم والله أعلم.

قال -رحمه الله تعالى-: (ولا نفضل أحدًا من الأولياء على أحد من الأنبياء -عليهم السلام- ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء).

هنا قال: (ولا نفضل أحدًا من الأولياء على أحد من الأنبياء -عليهم السلام- ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء) هذه العبارة هي رد على الاتحادية، ورد على جهلة الصوفية، والمقصود بالاتحادية هذه الطائفة الغالية التي وقعت في الزندقة والكفر البواح وهم الذين يزعمون أن الخالق -سبحانه- اتحد مع المخلوق تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، فهؤلاء اتحادية أرباب وحدة الوجود يزعمون أن الأولياء أفضل من الأنبياء، ومن أشهر من أظهر هذه الزندقة ابن عربي الطائي، الذي فضل نفسه على خاتم الأنبياء نبينا محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-.

فهنا لما يقول لك: (نبي واحد أفضل من جميع الأولياء) نعم لا شك، فالأنبياء هم أفضل الناس والأولياء إنما صارت لهم الولاية، وصارت لهم المنزلة بسبب اتباعهم للأنبياء -عليهم السلام- فإذن نقول: هذه العبارة رد على هؤلاء الصوفية الزنادقة الذين هم الاتحادية أتباع ابن العربي ومن سلك سبيله.

نحب أن نشير في هذه العجالة أن هؤلاء فضلوا الولي على النبي، وعندنا الفلاسفة فضلوا الفيلسوف على النبي، لو جئت مثلًا إلى الفارابي الذي يلقب بالمعلم الثاني نجد أن الفارابي -نسأل الله العافية- فضل الفيلسوف على النبي، وعندنا الطائفة المخذولة طائفة الرافضة هؤلاء فضلوا أئمتهم على الأنبياء -عليهم السلام- وقالوا في كتبهم لاسيما عند المتأخرين منهم مثل ما جاء عند الخميني وغيره لما قالوا: إن لأئمتنا مقامًا لا يصل إليه نبي مرسل ولا ملك مقرب.

فعندنا كم طائفة الآن؟ عندنا ثلاث طوائف:

- الاتحادية ونحوهم من زنادقة الصوفية فضلوا الولي على النبي.

- والفلاسفة فضلوا الفيلسوف على النبي.

- والرافضة فضلوا الأئمة على النبي، والمقصود بالأئمة الأئمة الإثنى عشر عندهم الذي يبدأ بعلي -رضي الله عنه- وينتهون بإمامهم الغائب المعدوم محمد بن الحسن العسكري، هؤلاء هم فضلوا أولئك على الأنبياء -عليهم السلام-.

ابن عربي مثلًا ونحن في هذا المقام قال بيتًا من الشعر -نسأل الله العافية- يقول:

مقام النبوة في برزخ ** فوق الرسول ودون الولي

هو الآن يجعل مرتبة الولي أو مرتبة الولاية هي أعلى شيء، ثم تأتي مرتبة النبوة؛ لأنه يقول: في برزخ، ثم تأتي مرتبة الرسالة، هذا الانتكاس، يعني عكس ما جاء به الشرع، نحن نعلم أيهما أفضل النبي ولا الرسول؟

الرسول -كما لا يخفى- فالترتيب الصحيح الذي جاءت به الأدلة عندنا: الرسول ثم النبي ثم الولي، لكن هذا الرجل وقع في هذه الزندقة التي ما سبقه إليها أحد، بل بلغت به الزندقة أنه فضل نفسه على النبي -صلى الله عليه وسلم-، زعم أنه خاتم الأولياء، يقول محمد -عليه الصلاة والسلام- خاتم الأنبياء، وأنا ابن عربي يتحدث عن نفسه يقول: إنه خاتم الأولياء، وقال: إن هذا النبي -عليه الصلاة والسلام- هو عبارة عن لبنة مثل ما جاء في حديث اللبنة لما قال: (مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فجمله وحسنه إلا موضع لبنة فجعل الناس يطوفون بهذا البناء ويقولون: ما أجمله ما أحسنه لولا وضعت هذه اللبنة قال -عليه الصلاة والسلام-: فأنا هذه اللبنة وبي ختم النبيون) هكذا جاء الحديث بمعناه، فهنا يأتي ابن عربي وماذا يقول عن هذا الحديث؟ يقول: هذه اللبنة لها ظاهر وباطن، الظاهر هو النبي خاتم الأنبياء والباطن هو خاتم الأولياء، والظاهر فضة والباطن ذهب، كل هذا من أجل أن يفضل نفسه على النبي -صلى الله عليه وسلم-، بل بلغ الحمق الذي لا يقبله عقل أنه يقول: إن خاتم الأنبياء يستفيد من خاتم الأولياء، يعني لاحظ الحمق هذا ما يقوله أي إنسان عنده ذرة عقل، يعني هل بالله عليك أيهما الذي يستفيد من الآخر المتقدم يستفيد من المتأخر ولا المتأخر يستفيد من المتقدم؟!! أكيد المتأخر، فهو الآن جعل المتقدم النبي -عليه الصلاة والسلام- يستفيد من هذا المتأخر، مثل ما قالوا: لا عقل ولا قرآن -نسأل الله العافية-.

هذا بعض ما وقع فيه ابن عربي الطائي، ومع ذلك ومع هذا كله للأسف لا يزال أهل الإسلام ينخدعون بابن عربي الطائي وهناك من يعظمونه ويصفونه بأنه الإمام الأكبر وصاحب السر وإلى ذلك ونحو ذلك، ورحم الله الحافظ الذهبي لما قال عن كتاب ابن عربي كتاب "الفصوص" قال: إن لم يكن الفصوص فيه كفر وزندقة فما على وجه الأرض كفر، يقول: إن لم يكن هذا الكتاب فيه كفر وزندقة فما على وجه الأرض كفر، وهذا كلام واضح أن الكتاب طافح بالزندقة البينة الجلية الظاهرة والله المستعان.

يقول: كيف نعرف أن هذا المرء من الأولياء؟ وكيف نرد على بعض أهل البدع ممن يغالي في الأولياء ويعتقد بالكرامات الخرافية؟.

على كلٍ كيف نعرف أن هذا ولي؟ يعني عندنا المقياس الشرعي الذي هو الإيمان والتقوى، قال تعالى: ﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣] من كان مؤمنًا تقيًا كان لله وليًا ومن لا فلا، فهذا هو السبب وهو شرط الولاية، شرط الولاية الإيمان والتقوى؛ ولهذا قال إمام مصر الليث بن سعد -رحمة الله عليه- فقيه مصر الليث بن سعد من الأئمة المتقدمين قال: لو رأيتم الرجل

يمشي على الماء فلا تغتروا به، حتى تنظروا مدى اتباعه للكتاب والسنة، يقول: لو رأيتم الرجل يمشي على الماء، فبلغ ذلك الإمام الشافعي، بلغ الإمام الشافعي مقالة الليث فماذا قال: قال: قَصَّرَ الليث، ثم قال الشافعي قال: لو رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء أيهما أشد استحالة وأشد خرقًا للعادة؟ الطيران، يقول: لو صار الأمر أعظم من ذلك لو رأيتموه يطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة، إذن هذا هو شرط الولاية عندنا، شرط الولي كما جاء في نصوص الكتاب والسنة ألا وهو الإيمان والتقوى.

أما قضية الكرامات سيأتي معنا في العبارة.

يقول: بعض الناس يَرد عليهم مثلًا بعض الأشياء المعجزة مثلًا يتنبأ بشيء فيحدث أو يؤول رؤية فتقع، هل يدخل هذا فيما نتطرق إليه الآن؟ أو أنه من توفيق الله؟.

يعني كيف أنه يحصل ماذا؟ أنه يرى رؤية ثم..؟

مثلاً يخبر بشيء في المستقبل يتنبأ بشيء في المستقبل قد يحدث كذا في وقت كذا...

إذا كانت المسألة قد تكون أحيانًا من باب الفراسة، يتفرس أنه سيحصل في المستقبل كذا سيحصل كذا، الفراسة العلماء تحدثوا عنها، وبينوا أن الفراسة قد تكون فراسة إيمانية سببها الإيمان والتقوى والصلاح وأكل الحلال والبعد عن الحرام والمشتبهات، فهذه فراسة إيمانية تقع لجملة من الصالحين وجملة من الأولياء، وقد تكون الفراسة النوع الثاني كما يقولون: فراسة رياضية، ما هي الرياضة المعهودة، وإنما المقصود أنه يروض بدنه، فبعض الناس مثلًا يروض بدنه لا يكثر من الأكل لا يكثر من النوم يتخفف من هذه الأمور الجسمانية الجسدية فيحصل عنده صفاء روح، فهذا يكون عنده فراسة، لكن هذه الفراسة التي يسميها العلماء الفراسة الرياضية هذه قد تكون للمؤمن والكافر والبر والفاجر، وهناك فراسة كما يقولون خلقية، يعني أنه من خلال الخلق يعرف الخُلق، مثلًا يقول لك: والله مثلًا هذا فلان رأسه كبير إذن هذا عقله كبير، يستنبطون من خلال توقد العينين على صفات تتعلق بأخلاقه وآدابه، العلماء يتحدثون عنه في موضوع الفراسة.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم).

(قد نؤمن بما جاء من كراماتهم) يعني كرامات الأولياء (وصح عن الثقات من رواياتهم) يعني هذه العبارة (صح عن الثقات) كما نبه بعض العلماء هذه العبارة جميلة من الطحاوي من جهة أن الكرامات يقع فيها مبالغات، وأخبار لا تثبت، وأخبار لا تصح، فالعبرة بالكرامات بما ثبت وصح.

نبدأ بالحديث عن الكرامة من جهة التعريف: الكرامة هي أمر خارق للعادة، يظهره الله –تعالى– على يد عبد صالح إكرامًا له، إكرامًا لمن؟ إكرامًا لهذا العبد، الصالح.

الأمر الأول: كرامات الأولياء هي من آيات الأنبياء؛ ولهذا كما قال ابن القيم وغيره: لا حاجة إلى أن نشغل أنفسنا بالحديث عن الفرق بينهما؛ لأن هذه الكرامة التي تحصل للولي تعتبر معجزة للنبي، أليس كذلك؟ من جهة أن هذا الولي الصالح ما حصلت له هذه الكرامة إلا بسبب اتباعه لهذا النبي، بسبب إيمانه وتقواه والتزامه بسنة النبي –عليه الصلاة والسلام– هذا أمر.

الأمر الآخر الذي نؤكد عليه: أن علينا وعليكم أن نحرص على الإيمان والتقوى، هذا هو المطلوب، الاستقامة على طاعة الله، لا يكون الإنسان يستشرف ويتشوف للكرامة، إنما عليه أن يحرص على ما طُلِبَ منه شرعًا، المطلوب منا الإيمان، المطلوب منها أن نتقي الله، ليس المطلوب منا أن تحصل لنا كرامات؛ ولهذا قال أبو علي

الجوزجاني –رحمه الله– قال: كن طالبًا للاستقامة، لا طالبًا للكرامة، لماذا؟ لأن الله –سبحانه وتعالى– فرض عليك الاستقامة، وأما النفس فهي التي تميل وتستشرف إلى الكرامة.

هذه الكرامات أثبتها أهل السنة، وأنكرها المعتزلة ونحوهم، فهؤلاء أنكروا كرامات الأولياء وإنكارهم لكرامات الأولياء هو في الواقع إنكار لأمر محسوس؛ لأن هذا أمر ظاهر بين.

يقول: بالنسبة كنا قرأنا في كتب للأستاذ محب الدين الخطيب أنه قال عن الرافضة: إنهم يقولون: إنهم عندهم مصحف مثل مصحفكم ليس فيه آية من آياتكم، هذا كنا قرأناه من فترة، فهل لكل ما يعتقده الرافضة من أن الولي –كما ذكرت حضرتك في الحلقة الماضية– أعلى من النبي، أو لما يقولونه من سب الصحابة أو للمعتقدات الفاسدة كلها عندهم، هل هم على هذا الوضع يعتبرون ليسوا من ضمن طوائف المسلمين؟.

سؤال الأخ في قضية ما ذكره محب الدين الخطيب، يعني محب الدين الخطيب له جهده المشكور في الرد على الرافضة سواء من خلال رسالته "الخطوط العريضة" والرسائل المباركة الموجزة أو من خلال تعليقاته –رحمه الله– على كتاب "العواصم من القواصم" لابن العربي المالكي، نعم هذا المعروف في كتبهم، وأنا أنصح الإخوة في هذا الدرس بأن يرجعوا إلى رسالة الأصول أصول الشيعة الإثنى عشرية للدكتور ناصر القفاري، رسالة في ثلاث مجلدات عرض للمسألة التي ذكرها السائل في قضية معتقدهم في المصحف، فالموجود في جملة من كتبهم أنهم يرون أن هذا المصحف الذي بين أ يدينا هذا القرآن العظيم الذي يبدأ من الفاتحة وينتهي بسورة النساء، يرون أنه محرف ومبدل، وأن عندهم مصحف يسمى مصحف فاطمة، طبعًا هذا موجود عند جملة من أئمة الضلال منهم وإلا عوامهم وهؤلاء الهمج الرعاع لا يعلمون شيئًا، وربما أنك تجد عوام الرافضة بما عند بعضهم من بقايا الفطرة وبقايا الإسلام تجد أنهم يقرءون القرآن كما يقرأه سائر الإسلام فلا يظن البعض أن فيه تعارض من جهة أن هذا هو الموجود في كتبهم، وهذا المتقرر عند هؤلاء الروافض؛ ولهذا يندر في الروافض من يكون حافظًا للقرآن؛ لأنهم لا يعتبرون هذا القرآن له منزلة ولا قيمة، وبناءً على هذا نجد أن جملة من العلماء المحققين يحكمون على الروافض بخروجهم عن الملة، يعني هذه القضية يا إخوان دين نحن لا نريد أن نجامل أحدًا، والذي يقرأ كلام العلماء المتقدمين من أمثال الإمام البخاري –رحمة الله عليه– الذي كان يقول: «ما أبالي صليت خلف يهودي أو نصراني أو خلف جهمي أو رافضي» هذا الإمام البخاري ما أحد يقول: إنه وهابي، ولا يقول أحد: إنه كذا، هذا الإمام البخاري الذي توفي في زمن متقدم سنة ستة وخمسين ومائتين، وكلامه هكذا، فما بالك بما ظهر من عقائد الرفض التي فيها من الزندقة ما لم يظهر في العصور السابقة، جملة من عقائد الرافضة المضللة والزندقة المكشوفة لم تظهر إلا في عصور متأخرة، فكيف إذا انضم إلى ذلك قضية الطعن في الصحابة وتضليل الصحابة والاستغاثة بالأئمة وعبادة الأئمة كيف إذا انضم إلى ذلك عقيدة التقية وعقيدة البداء؛ ولهذا لو رجعتم إلى هذا الكتاب الذي ذكرته فقد عقد المؤلف فصلًا مستقلًا وتتبع كلام العلماء من المتقدمين والمتأخرين في مسألة الحكم على الرافضة وبيَّن أن القوم بعقائدهم هذه قد خرجوا من ملة الإسلام، والله المستعان.

نرجع إلى موضوع كرامات الأولياء، نحب أن نشير إلى أن بعض كرامات الأولياء، يعني الكرامة التي حصلت: مثلًا أسيد بن حضير –رضي الله عنه– أنه لما كان يقرأ سورة الكهف تنزلت السكينة أو تنزلت الملائكة لقراءته –رضي الله عنه– ومن ذلك مثلًا أن عمران بن حصين –رضي الله عنهما– كانت الملائكة تسلم عليه، هذا من كرامات بعض الصحابة، أيضًا كان سلمان الفارسي –رضي الله عنه– وأبو الدرداء –رضي الله عنه– كان متآخين كانا يأكلان في صحفة طعام –في وعاء طعام– فسبح هذا الوعاء أو سبح ما فيه.

أيضًا نجد مثلًا خبيب بن عدي –رضي الله عنه– لما كان أسيرًا عند المشركين في مكة كان يأكل العنب ولم يكن في مكة ولا عنبة واحدة.

أيضًا نجد مثلًا أم أيمن –رضي الله عنها– خرجت مهاجرة فأدركها العطش وكادت أن تهلك فإذا بها بدلو من ماء ينزل فتشرب منه وبعد هذا الشرب لم تظمأ بعد ذلك أبدًا.

هذه جملة من كرامات هؤلاء الصحابة الكرام، والكرامات في التابعين أكثر منها في الصحابة، وهذا يؤكد أن الكرامة ليست شرطًا في الوَلاية، لاحظ أن الكرامة في التابعين أكثر منها في الصحابة، ولا أحد يشك أن الصحابة أفضل، وكما قال بعض العلماء –رحمة الله عليهم– قال: مشى أقوام على الماء من باب الكرامة، وهلك بالعطش من هو أفضل منهم، فالكرامة ليست هي علامة وليست شرطًا، وإنما الشرط هو الإيمان والتقوى، وإن حصلت الكرامة فهذا من عاجل بشرى المؤمن، وإلا على المؤمن أن لا يستشرف لها، هذا أمر.

الأمر الآخر الذي نحب أن نؤكد عليه أنه أحيانًا في بعض كتب العقائد يفرقون بين الكرامة وبين المعجزة بتفريق ينبغي أن نقف عنده، فيقولون: المعجزة شرطها التحدي والكرامة ليس من شرطها ذلك، وهذا كلام غير صحيح، أولًا من جهة المعجزة، معجزات الأنبياء، أو بالأحرى آيات الأنبياء قد تقع بدون تحدي، أليس كذلك؟ يعني كونه –عليه الصلاة والسلام– في حضرة الصحابة –رضي الله عنهم– والطعام يسبح في يده الشريفة في يده الكريمة –عليه الصلاة والسلام–، هذا ما فيه تحدي، أيضًا العكس لما يقولون: إن الكرامة يجعلونها من شرطها عدم التحدي، ليس الأمر كذلك فقد يقع في الكرامة يقع التحدي، ومن ذلك قصة خالد بن الوليد لما حاصر قوم من الكافرين وطلبوا من أجل أن يتأكدوا من صدقه أن يتعاطى السم فتعاطاه –رضي الله عنه– ولم يضره، هذا تحدي، أيضًا مثلًا أبو مسلم الخولاني في قضية النار التي أوقدت له من الأسود العنسي، وغلام الأخدود هذه من قبل، غلام الأخدود تحداهم ولا ما تحداهم؟

كذلك أيضًا البعض يقول لك: إن الكرامة ليس فيها إظهار، يعني ويقول لك: إن المعجزة فيها إظهار، نقول أيضًا هذا غير دقيق، بل أيضًا يحصل في الكرامة إظهار، يعني عندك العلاء بن الحضرمي لما مر بهم هذا البحر وهو يغزو في سبيل الله أظهر كرامته، أليس كذلك؟ واستطاع أن يتجاوز هذا البحر دون أن يصيبهم غرق.

أيضًا مثلًا قضية عمر لما قال الفاروق: يا سارية الجبل، هذا أمر ظاهر ولا خفي؟ أمر ظاهر بدليل أن سارية وهو بينه وبين عمر مسافات شاسعة، سمع قول عمر وهذا كرامة لعمر، سمعه وفعلًا لزم الجبل وحصل له الخير والنصر.

يقول: هناك ما يعرف بتصنيف "ديوي" للكتب، ونجد في تصنيفه تقديم كتب الفلسفة وعلم النفس على كتب الدين الإسلامي، فما واجب المسلمين تجاه ذلك؟.

يعني هذا التصنيف معروف تصنيف عالمي الذي يسمونه تصنيف "ديوي" في الكتب، على كلٍ أقول هذا التصنيف ليس توقيفيًا وليس له قداسة كما يقال يعني يمكن يعدل ويوظف فتجده مثلًا هو يجعل الدين يجعل له رقم معين، فنحن مثلًا بالنسبة لنا أصحاب العلوم الشرعية أصحاب العقائد أصحاب الحديث نجد أن ما يتعلق بالتراث الشرعي الديني هو أهم شيء عندنا، لكن هو مثلًا يضع لك الفلسفة يضع لك ما يسمونه مثلًا الفنون الجميلة، فيمكن يعدل أقول يعدل وما كان حقه التقديم يقدم وما كان حقه التأخير يؤخر.

أسئلة الحلقة القادمة.

السؤال الأول: من آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام؟

السؤال الثاني: ما تعريف الكرامة؟

الدرس الثالث والعشرون

من قوله: (ونؤمن بأشراط الساعة...)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأصلي وأسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

شيخنا الكريم طرحتم في الدرس الماضي سؤالين:

السؤال الأول: كان عن ال بيت النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد أجابت الأخت الكريمة بقولها: ال بيت النبي صلوات ربي وسلامه عليه هن زوجاته أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن- ويشمل كذلك الذين تحرم عليهم الصدقات، وهم: ال علي، وآل عباس، وآل جعفر، وآل عقيل، وذُكروا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

إجابة الأخت الكريمة إجابة صحيحة وإجابة وافية.

كذلك يا شيخنا الكريم السؤال الثاني: كان عن معنى الكرامة وقد أجاب الأخ الكريم بقوله: إن الكرامة هي أمر خارق للعادة يظهره الله -تعالى- على يد عبد صالح إكرامًا له.

أيضًا إجابة الأخ الكريم إجابة صحيحة ووافية.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم -عليه السلام- من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعه).

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أما بعد:

فنبدأ بهذه العبارة التي قررها الإمام أبو جعفر الطحاوي وذكر شيئًا من أشراط الساعة.

مما أخذه ابن أبي العز الشارح على الإمام الطحاوي -رحمة الله عليهم جميعًا- أن الطحاوي -رحمه الله- في تقريره لهذه العقيدة يورد جملة من مسائل العقيدة بشيء من التفرق والتبديد، فهذا الموضوع له صلة -كما لا يخفى- باليوم الآخر، واليوم الآخر قد مر بنا في دروس سابقة، وعلى كلٍ نتحدث عن هذه العبارة كما جاءت، قال الإمام الطحاوي -رحمه الله-: (ونؤمن بأشراط الساعة) المراد بأشراط الساعة: هي علامات الساعة، يقال عنها: علامات، يقال عنها: أمارات، كما جاء ذلك في حديث جبريل المشهور لما قال جبريل -عليه السلام- لنبينا محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: (فأخبرني عن أماراته) فقال -عليه الصلاة والسلام-: (أن تلد الأمة ربته) وفي لفظ للبخاري: (أن تلد الأمة ربها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاع الشاء يتطاولون في البنيان) سواءً سميت علامات أو سميت أمارات أو أشراط المعنى متقارب.

وهنا لما يقول: (نؤمن بأشراط الساعة) المراد بأشراط الساعة علامات القيامة التي تدل على قربها، فعلامات القيامة هي تسبق اليوم، تسبق القيامة، وتدل على قربها وعلى حصولها.

علامات الساعة أو أشراط الساعة نجد أن بعض أهل العلم يقسمونها إلى قسمين: علامات صغرى وعلامات كبرى، والبعض أحيانًا يقسمها إلى ثلاثة أقسام باعتبار آخر فيقول: هناك علامات وقعت ومضت وهناك علامات وقعت واستمرت، وهناك علامات لم تقع بعد وإنما تقع مستقبلًا.

فمن العلامات التي وقعت ومضت: كانشقاق القمر، كما قال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر: ١].

ومنها: النار التي خرجت من أرض الحجاز فأضاءت لها قصور الشام في بصرى، فهذا الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم وغيره أنه -عليه الصلاة والسلام- أخبر وقال: (لن تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى) بصرى في الشام، فهذه العلامة وقعت كما ذكر النووي -رحمه الله- وغيره، وقعت سنة أربعة وخمسين وستمائة من الهجرة. والمقصود أن هناك علامات وقعت ومضت.

القسم الثاني: علامات وقعت واستمرت، كما هو في قضية كثرة شرب الخمر، وظهور الجهل، وكثرة الهرج الذي هو القتل، هذه علامات وقعت في السابق، ولا تزال واقعة في العصر الحاضر.

القسم الثالث: هي العلامات التي تقع مستقبلًا، ومنها علامات الساعة الكبرى العشر، هذا تقسيم.

التقسيم الآخر: أن يقال: هناك علامات صغرى وهناك علامات كبرى، والفرق بين العلامات الصغرى والعلامات الكبرى: أن الصغرى قد لا تكون خارقة للعادة كما هو في العلامات الكبرى، العلامات الكبرى تلحظون لما سمعنا هنا طلوع الشمس من مغربها، هذا أمر خارق للعادة، قضية الدجال وما عنده من الخوارق ونحو ذلك، كذلك أيضًا الدابة التي تخرج، كل ذلك علامات فيها عجائب وفيها خرق للعادة، فعلامات الساعة الصغرى ليس فيها كما في العلامات الكبرى، بل ربما البعض منها قد يكون أقرب للمعتاد كما هو في جملة منها كتطاول الحفاة العراة العالة يتطاولون في البنيان، هذا صار أمرًا معتادًا.

الفرق الآخر: أن علامات الساعة الصغرى نجد أن جملة منها وقع منذ سنين عديدة، أليس كذلك؟ فمثلًا عندك بعثة محمد -عليه الصلاة والسلام- لها مئات السنين -كما لا يخفى- وهي من علامات الساعة، قال -عليه الصلاة والسلام-: (بعثت أنا والساعة كهاتين) أما العلامات الكبرى فهي إنما تقع عندما تقرب الساعة، فالعلامات العشر، العلامات الكبرى، هذه إنما تقع عند قرب الساعة أو عند حصولها، هذه بعض الفروق بين العلامات الصغرى والعلامات الكبرى.

نستعرض بعض العلامات التي ذكرها الإمام الطحاوي -رحمه الله- قال: (خروج الدجال) الدجال: جاءت الأحاديث فيه متواترة عنه -عليه الصلاة والسلام-، وأثبته أهل السنة كما جاء ذلك في الأحاديث المتواترة، وأنكره الخوارج وبعض المعتزلة، أنكره الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة، فالجهمية كانوا يزعمون أن الدجال هو كل رجل خبيث، وهذا كلام فاسد ومردود ترده الأحاديث الصريحة فالأحاديث المتواترة نصت على أن الدجال رجل وأنه شاب أعور العين اليمنى، وجاء وصفه وذكر صفاته الخَلقية والخُلقية، فلا مجال أن يقال أن الدجال هو كل رجل خبيث.

النبي -عليه الصلاة والسلام- ذكر من الأحاديث التي وردت في ذلك قال -عليه الصلاة والسلام-: (إن ربكم ليس بأعور، وإن الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية) والمراد بقوله -عليه الصلاة والسلام-: (طافية) أي أنها ليست بارزة ظاهرة وليست أيضًا غائرة، وإنما هي بين ذلك. هذا ما يتعلق بشيء مما جاء فيه الحديث.

قلنا: جاء الحديث بوصفه بأنه شاب، وأنه قصير، وأنه جعد الرأس، وأنه ممسوح العين، وهو سمي المسيح؛ لأنه ممسوح العين، أعور عين اليمنى، وقال بعضهم: أنه سمي المسيح؛ لأنه يمسح الأرض، يعني يسير في الأرض، وعلى كلٍ سواءً قلنا هذا أو ذاك، فالمعنى صحيح، لكن كونه ممسوح العين هذا جاء فيه النص في صحيح مسلم: أنه سمي المسيح؛ لأنه ممسوح العين.

أيضًا من الصفات التي ذكرها النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- محذرًا أمته -عليه الصلاة والسلام- ذكر من علاماته: (أنه مكتوب بين عينيه ك ف ر) هكذا في حروف الهجاء، وفي رواية: (مكتوب بين عينيه كافر) ثم قال -عليه الصلاة والسلام-: (يقرأه كل مؤمن قارئ وغير قارئ) فالمؤمن يقرأ ذلك سواءً كان قارئًا أو ليس قارئ، يقرؤه بعين البصيرة التي يمن الله -تعالى- بها على من يشاء من عباده ويثبتهم أمام هذه الفتنة العظيمة الشديدة، هذه جملة من صفات المسيح الدجال.

أيضًا مما يذكر في صفاته: أن الدجال يخرج من المشرق من جهة خراسان، وجاء في بعض الروايات تحديد ذلك من أصفهان، من حي أو من مكان يقال له يهودية، فهو مكان في أصفهان يقال له يهودية، يخرج الدجال من جهة المشرق، ومعه سبعون ألف من يهود أصفهان كما أخبر بذلك الصادق المصدوق -عليه الصلاة والسلام-، هذه جملة من صفاته التي ذكرها النبي -عليه الصلاة والسلام-، وقد بين -عليه الصلاة والسلام- أنه ما من نبي إلا وقد حذر وأنذر أمته المسيح الدجال.

لا شك أن فتنة المسيح الدجال فتنة عظيمة، فهو معه جنة ونار، وإن كانت جنته نار، وناره جنة، لكن عنده من الخوارق الحقيقية ما يوجب فتنة كثير من الناس؛ ولهذا جاء التحذير والإنذار والتذكير بخطر المسيح الدجال وسلوك سبل السلامة منه.

وإذا أردنا السلامة من فتنة المسيح الدجال فأعظم الأسباب: هو اللجوء إلى الله، أن نستعيذ بالله -تعالى- من فتنة المسيح الدجال، قال -عليه الصلاة والسلام-: (إذا جلس أحدكم في التشهد الأخير فليقل:- يعني قبل أن ينصرف من الصلاة بالسلام، عليه أن يقول في دبر كل صلاة-: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال) هذا الحديث من السنن المؤكدة، بل إن من أهل العلم أوجبه كطاووس -رحمه الله- تلميذ ابن عباس، فكان طاووس يقول لابنه: هل قلت هذا الدعاء في صلاتك؟ فإن قال الابن: لا، قال: أعد صلاتك، والمقصود أنه من السنن المؤكدة التي ينبغي أن نحرص عليها، إذن إذا أردنا السلامة من هذا الدجال فعلينا أن نستعيذ بالله منه في دبر كل صلاة قبل أن نسلم من صلاة مفروضة أو نافلة.

الأمر الثاني مما يحفظنا نحن وإياكم من فتنة هذا المسيح الدجال ألا وهو: أن يحفظ العبد عشر آيات من أول سورة الكهف أو من أواخرها، قد جاء بهذا الحديث وثبت هذا وذاك، فمن حفظ عشر آيات من أول الكهف أو من آخرها كما في الحديث الآخر فهذا يحفظه من فتنة المسيح الدجال أيضًا.

أمر ثالث مما تتحقق به السلامة من هذا المسيح الدجال ألا وهو: أن الدجال إذا ظهر، على المسلم أن يبتعد وأن ينأى عنه، كما جاء ذلك في الأحاديث منها قوله -عليه الصلاة والسلام-: (من سمع بالدجال فلينأى عنه) ثم قال -عليه الصلاة والسلام-: (فو الله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات) أخرجه أحمد وأبو داود وصححه الألباني.

فتلحظ أن الدجال عنده من الخوارق والأحوال ما أن الرجل قد يكون مؤمنًا فهو يأتي ويظن أنه سيثبت عندئذ تجده ينساق مع هذا الدجال.

فالمتعين علينا أن نبتعد عن الدجال، وهذا متعين في كل الفتن: (من سمع بالدجال فلينأى عنه)، هذه ثلاثة أمور مما يحصل بها السلامة.

أيضًا مما ذكر أهل العلم: سكنى مكة والمدينة، أيضًا يحفظ العبد من هذا الدجال، فالدجال لا يمكن أن يصل إلى مكة والمدينة، فهاتان المدينتان، هذان الحرمان عليهما ملائكة معهم سيوف، لا يستطيع الدجال أن يصل إلى تلك البلد، مكة أو المدينة. هذه جملة مما جاءت به الأدلة والله أعلم.

وعلى كلٍ نؤكد على أن الواجب علينا أن نسلم لهذه النصوص الشرعية، وأن نؤمن بالغيب، وألا نتكلف في فهم هذه النصوص كما وقع عند بعض العصرانيين مما ردوا هذا الحديث، أو تأولوه تأويلات فاسدة، فبعض العصرانيين من أصحاب المدرسة الذين يسمون بالعقلانيين وهم في الواقع امتداد لمدرسة أهل الأهواء في القديم، هؤلاء يزعمون أن الدجال هو رمز الخرافة، رمز الدجل، وربما بعضهم قال: إنه هو الحضارة الغربية، لا... ليس الأمر كذلك، وإن كانت الحضارة الغربية فيها من الدجل ما فيها، لكن المقصود أن الدجال الذي أخبر به النبي –عليه الصلاة والسلام– قد جاء تحديد صفاته، أنه شاب وأنه أعور العين اليمنى وأنه قصير وأنه أجعد الرأس، فعلينا أن نسلم بهذه النصوص، وهو –عليه الصلاة والسلام– هو أفصح الناس وأنصح الناس وأعلم الناس فقد بلغ البلاغ المبين –عليه الصلاة والسلام–.

هذا ما يتعلق بفتنة المسيح الدجال –أعاذنا الله من ذلك–.

يقول: سبب ورود مثل علامات الساعة في دروس العقيدة، مع أنها قد لا تحسب أنها من العقيدة؟.

لا.. هي من العقيدة ولا شك؛ لأنها هي من اليوم الآخر، سبق أن مر بنا أن اليوم الآخر يبدأ من موت الإنسان (فإذا مات الإنسان قامت قيامته) فاليوم الآخر يشمل ما في الموت، ويشمل ما في البرزخ من قضية الفتنة وسؤال منكر ونكير ونعيم القبر وعذابه، وأيضًا يشمل كذلك علامات الساعة، فعلامات الساعة الصغرى والكبرى أو التي مضت وستقع، أو التي مضت واستمرت كل ذلك داخل في موضوع اليوم الآخر؛ ولذلك نجد أن الذين يكتبون في اليوم الآخر يوردون هذه العلامات، مثلًا القرطبي –رحمه الله– في "التذكرة" يورد ذلك، الحافظ ابن كثير –رحمه الله– في "النهاية" يذكر ذلك، وهكذا، فنجد أن الذين صنفوا في هذا يذكرون ذلك، السفاريني مثلًا في "البحور الزاخرة" وغيرهم كثير، نجد أنهم عندما يتحدثون عن اليوم الآخر يجعلون هذه العلامات تسبق هذا اليوم باعتبار أن هذه مقدمات لهذا اليوم والله أعلم.

إذن هي من الأمور التي يجب الإيمان بها ومن الغيبيات التي يجب الإيمان به.

أي والله.. من الغيبيات التي يجب علينا أن نؤمن بها وأن نصدق بها.

يقول: بالنسبة للساعة جاء في بعض الروايات –لا أدري أنه حديث–: (كالعقد الذي ينفرط) هل هذه العلامات الكبرى أم الصغرى؟ إذا كانت الكبرى إذا تأتي متتالية، العقد الذي ينفرط يأتي متتاليًا بسرعة يعني؟ الكبرى أم الصغرى؟.

لا.. هو الحديث الذي أشرت إليه، حديث أخرجه أحمد أن هذا الوصف الذي جاء في الحديث هو في علامات الساعة الكبرى، العلامات العشر، وأنها كنظم عقد انقطع فيتتابع هذا العقد، فالمراد به علامات الساعة الكبرى، هذا الذي يمكن أن نجزم به، وعندنا من الأحاديث ما يدل على ذلك، عندنا حديث في مسلم يشير إلى ذلك حديث عبد الله بن عمرو قال –عليه الصلاة والسلام–: (أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربه) ثم قال: (وخروج

الدابة على الناس ضحى قال: أيهما وقعت فالأخرى على إثرها قريبة) فدل هذا الحديث على أنها علامات متتابعة، فالذي يظهر -والله أعلم- أن المراد بذلك علامات الساعة الكبرى والله أعلم.

يقول: بالنسبة لخروج الدجال تكون أيامه اليوم الأول كسنة ثم كشهر فسؤالي يا شيخ: إذا كان يومه كسنة كيف تكون الصلوات الخمس؟.

هو الحديث يمكن الإخوان يعرفونه: وهو أنه يمكث في الأرض أربعين، يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة أي كأسبوع، وسائر أيامه كسائر أيامكم، فالصحابة سألوا النبي -صلى الله عليه وسلم- في ذلك، وهذا من تمام حرص الصحابة على ما ينفع فسألوا عن الصلاة في ذاك اليوم الذي يعدل سنة، فهل تكفي الصلاة في ذاك اليوم الذي يعدل سنة كالصلاة في يوم واحد؟ فالنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا.. اقدروا له قدره) فهذا اليوم الذي هو كسنة لا يعني أن الشخص في هذا اليوم الذي يعدل سنة تكفيه خمس صلوات، وإنما (اقدروا له قدره) كما قال -عليه الصلاة والسلام-، هكذا جاء الحديث والله أعلم.

يقول: ما هو ترتيب علامات الساعة؟ هل أول علامة من علامات الساعة الدجال أو طلوع الشمس من مغربها؟ وهل هناك ترتيب ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم؟.

يعني هذه المسألة يمكن أن نجيب عنها بكلام للإمام الطيبي عند في هذه البطاقة: أن علامات الساعة الكبرى منها ما نعتبره علامة على قربها، ومنها ما هو علامات على حصولها، فالذي على القرب يكون متقدمًا، وعلى الحصول يكون متأخرًا، فعندنا مثلًا في قضية مثلًا: الدجال، نزول عيسى، يأجوج ومأجوج، والخسف -خسف في المشرق وفي المغرب وفي جزيرة العرب- هذه كلها علامات تدل على القرب.

لكن علامات الحصول أنها أوشكت تمامًا: عندك طلوع الشمس من مغربها، فإذا طلعت الشمس من مغربها انقطع باب التوبة، وكذلك أيضًا خروج الدابة، خروج الدابة يعني كما يرجح الحافظ ابن حجر أنهما في يوم واحد، فإذا طلعت الشمس من مغربها تخرج هذه الدابة التي تَسم هذا بالإيمان وذاك بالكفر إيذانًا بانتهاء الأمر، وكذا أيضًا النار، النار التي تخرج من قعر عدن، وتسوق الناس إلى أرض المحشر.

إذن يبدو -والله أعلم- نستطيع أن نقول: عندنا علامات الساعة الكبرى منها علامات تؤذن بقربها، وعندنا علامات تؤذن بحصولها:

فالعلامات التي تؤذن بالقرب التي ذكرناها: الدجال، نزول عيسى -عليه السلام-، يأجوج ومأجوج، ولاحظ العلامات الثلاثة كلها متقاربة كما جاءت بذلك الأحاديث، ثم عندنا الخسوف الثلاثة، هذه الست علامات، العلامة الثلاثة والخسوف الثلاثة، خسف في المغرب في المشرق في جزيرة العرب.

يبقى عندنا العلامات الأربع كما يرى الطيبي -رحمه الله- التي هي: طلوع الشمس من مغربها، الدابة، النار التي تخرج من قعر عدن، وأضاف الدخان، هذه كلها علامات تدل على حصولها والله أعلم.

يقول: هل هذا حديث صحيح أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال: (يخرج من أمتي أربعون دجالًا كلهم سيدعون النبوة)؟.

يعني هو جاء في موضوع أدعياء النبوة لكن هل يقال أربعون ولا قال ثلاثون، النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر أنه سيكون في هذه الأمة ثلاثون كذابًا كلهم يزعم أنه نبي، فلما قال -صلى الله عليه وسلم-: (وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي) فجاء هذا في أدعياء النبوة، ولا شك أن الذين يدعون النبوة هم من الدجالين، لكن العلماء

يقولون عن الدجال الذي نتحدث عنه يقولون عنه: الدجال الأكبر، فالدجال يدعي الإلهية، فالذي يذكر في هذا الحديث الذي أشرت إليه في أدعياء النبوة، وبين العلماء أن أدعياء النبوة كثر –لا كثرهم الله– لكن الذين ذكروا في هذا الحديث أنهم ثلاثون المراد بهم –كما يرى بعض الشراح–: يحمل الحديث على من كان لهم شوكة ولهم اتباع مثل مسيلمة الكذاب ونحوه.

نبدأ بالعلامة الثانية: نزول عيسى –عليه السلام–:

نزول عيسى –عليه السلام– الأحاديث فيه متواترة عن رسول الله –عليه الصلاة والسلام– وجاء وصف عيسى –عليه السلام– عندما ينزل أنه ربعة من الرجال يعني ليس بالطويل ولا بالقصير، وأنه ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، وجاء وصفه وكيفية نزوله أنه واضع كفيه على أجنحة ملكين، هذا نزول عيسى –عليه السلام– عندما ينزل كما أخبر –عليه الصلاة والسلام– ينزل ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية كما جاءت بذلك الأحاديث المتواترة عنه –عليه الصلاة والسلام–.

من أهل العلم من يرى أن نزول عيسى –عليه السلام– جاء ذكره في القرآن في قوله تعالى:﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ [الزخرف: ٦١] وقرأ بعضهم: ﴿ وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾.

أيضًا مما يحصل في عهد عيسى –عليه السلام– أنه يكثر الخير والرخاء حتى أن اللقحة من الإبل تكفي الفئام من الناس، وأيضًا يتحقق الأمن بصورة خارقة للعادة حتى أن الصبيان والأطفال يلعبون بالحيات، كل ذلك جاءت به الأحاديث عنه –عليه الصلاة والسلام–، ويمكث سبع سنين –عليه السلام– ثم تأتي الريح الطيبة فتقبض روح كل مؤمن ومؤمنة ومنهم عيسى –عليه السلام–. هذا ما يتعلق بنزول عيسى عليه السلام.

أيضًا من العلامات التي ذكرها المؤلف: (طلوع الشمس من مغربها) وهذا جاء في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام: ١٨٥] فجملة من المفسرين قالوا: إن المراد بذلك طلوع الشمس من مغربها، وقد جاء ذلك في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– قال –عليه الصلاة والسلام–: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون) ثم قال –عليه الصلاة والسلام–: (فذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرً) أخرجه البخاري ومسلم.

وجاء في الحديث الذي أخرجه مسلم أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها) هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

يبقى عندنا ما ذكره الطحاوي لما قال: (وخروج دابة الأرض من موضعه) فهذه الدابة تخرج، وهذا جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: ٨٢].

قال –عليه الصلاة والسلام–: (ثلاث إذا خرجنَّ لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل) وهي ماذا؟ (طلوع الشمس من مغربها)، ثم قال: (والدجال، ودابة الأرض) أخرجه مسلم.

ماذا تكون هذه الدابة؟

اختلف العلماء في ذلك على أقوال الله أعلم بها، لكن ماذا تعمل هذه الدابة؟ جاء الوصف أنها تَسم المؤمن بالإيمان والكافر بالكفر، هذا ما يتعلق بهذه العلامة والله أعلم.

ولازلنا نؤكد ونذكر أنفسنا أن مثل هذه الأمور ينبغي أن تكون حافزًا لنا لتذكر اليوم الآخر، وأيضًا علينا أن نؤمن بهذه النصوص دون إفراط أو تفريط، فلا نحمل هذه النصوص مالًا تحتمل، ولا نردها فعلينا أن نتلقاها بالقبول والتسليم، ونبتعد عن التأويلات المكلفة والمستكرهة والله أعلم.

يقول: من أين تخرج الدابة؟.

جاءت آثار وأحاديث أنها تخرج من مكة -حرسها الله- وقيل تخرج من الحرم والله أعلم بالتحقيق في ذلك، لكن جاء ذلك في بعض الأحاديث.

هل يعني أنها موجودة حاليًا يا فضيلة الشيخ؟ بعض الناس يقول: إنها موجودة ولها مكان؟.

ما أدري والله، هم اختلفوا ماذا تكون هذه الدابة؟ أهي فصيل ناقة صالح على المشهور، لكن أقوال: أنا ما أدري ما التحقيق في ذلك، نحن نقول: إنها دابة كما جاء بذلك القرآن، ولا نتكلف؛ لأن بعض المتحذلقين من العصرانيين يقول لك: إن الدابة هذه جراثيم وما أدري... ، هذا كله كلام ترده النصوص، الحديث واضح والآية واضحة أنها دابة، والله أعلم.

يقول: بالنسبة لعلامات الساعة: هل هناك ضابط للتوسل -مثل ما تفضلتم قبل قليل- وصف بعض الأشياء التي وردت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- اعتقادات معينة توقعات أن مثلًا يأجوج ومأجوج هم شعب الصين مثلًا وأن الدجال يقع في مكان كذا وكذا؟ هل هناك ضوابط معينة فضيلة الشيخ في فهم تلك العلامات والإيمان بها؟.

يعني هو دائمًا الآن فيه خاصة في السنوات الأخيرة في موضوع أحاديث الفتن والملاحم، وأيضًا كذلك ما يتعلق بحديث أشراط الساعة هو الذي يحصل أنه أحيانًا بعض الكُتَّاب والمعاصرين خاضوا فيه هذه المسائل وحملوا النصوص ما لا تحتمل، فينظرون إلى وقائع معينة وأحداث واقعة فيقولون: هذا هو تفسير كلام النبي -عليه الصلاة والسلام- وتجد أن هذا التفسير لا يخلو من تكلف وتصنع، فنحن نؤكد إنه علينا أن نحذر من هذا المسلك، مسلك هذا التكلف وهذا التصنع، نحن نثبت الحديث ونصدق به، قاله الصادق المصدوق -عليه الصلاة والسلام-، أما أن الحديث يحمل ويتكلف كما وقع عند بعض العصرانيين والعقلانيين أو كما وقع عند بعض الكُتَّاب في هذا الوقت فهذا مسلك مردود، والعبرة بظاهر الحديث، أما أن يُقال مثلًا أن الدابة هي كذا، أو يقول لك الدجال هو كذا، مثل ما بعضهم يقول لك: الدجال هو الشخص الفلاني، حد يقول مثلًا أحد الطواغيت أو أحد الموجودين المعاصرين أو الهالكين هذا كله من التكلف ومن التصنع.

النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكر صفاته وذكر شيئًا من علاماته وأبلغ وأنذر، أما كونه يحمل هذا على شخص بعينه دون دليل ودون قرائن معتبرة فهذا من التكلف والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (ولا نصدق كاهنًا ولا عرافًا ولا من يدعي شيئًا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة).

هنا لما يقول -رحمه الله-: (ولا نصدق كاهنًا ولا عرافً) الكاهن والعراف هما متقاربان؛ ولهذا الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- يقول: الكاهن نحو العراف، الإمام البغوي كذلك، يعني مرة يقول لك: إن الكاهن هو الذي يدعي علم المستقبل والعراف هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على معرفة المسروق ومكان الضالة، ثم تجد البغوي يقول: إن الكاهن بمعنى العراف، كذلك أيضًا نجد شيخ الإسلام ابن تيمية كذلك يقول: العراف اسم للكاهن والمنجم والرَّمال.

نخلص من كلام هؤلاء العلماء: أن هذه الكلمات متقاربة، فسواءً قلنا: كاهن أو قلنا: عراف، أو قلنا: منجم، أو قلنا: رمَّال؛ فالمعنى متقارب يجمعهم دعوى علم الغيب، فالكاهن والعراف كلاهما يدعي علم الغيب، والمنجم يتعاطى التنجيم ويدعي علم الغيب عن طريق النجوم، والتنجيم هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، بمعنى يقول: والله إذا اجتمع الكوكب الفلاني مع الكوكب الفلاني أو ظهر الكوكب الفلاني فيقول لك: طالع هذا الكوكب أنه يحصل كذا ترتفع الأسعار، تحصل حرب إلى آخر هذه الدعاوى، وأيضًا الرمَّال، الرمَّال شخص يخط في الرمل ويدعي من خلال ذلك علم الغيب، وأيضًا يلحق بذلك ما هو في الوقت الحاضر ممن يسمون ويقرءون في الكف، يعني يأتي بعضهم عند هؤلاء الأفاكين الدجالين فينظر في كفك وفي تلك الخطوط الموجودة في هذا الكف فيقولون: يقرأ مستقبلك أو حظك على حد زعمهم أو ما يسمى بالقارئ أو القارئة في الفنجان، كل ذلك دعوى علم الغيب، أو من خلال ما يسمى بحروف أبي جاد، يتوصلون من خلال حروف أبي جاد إلى ادعاء المستقبل؛ ولهذا قيل لابن عباس عن قوم يكتبون أبا جاد، فقال ابن عباس -رضي الله عنهما- قال ابن عباس: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق.

نرجع إلى موضوعنا ونتحدث ونشير إلى حكم إتيان الكهان والعرافين ونحوهم، نقول: هذه المسألة جاءت واضحة جلية محسومة في كلام الذي لا ينطق عن الهوى -عليه الصلاة والسلام-، لما قال كما في الحديث الذي أخرجه مسلم عن بعض أزواج النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: (من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يومً) أخرجه مسلم.

إذن هذا الحديث يبين لنا ولكم أن مجرد إتيان العراف ويدخل في ذلك الكاهن ونحوه أن مجرد الإتيان والسؤال هذا يوجب هذا الوعيد الشديد ألا وهو أنه لا تقبل صلاة هذا العبد أربعين يومًا.

الحالة الأخرى: إذا أتاه مصدقًا فقد جاء ذلك في حديث أبي هريرة قال -عليه الصلاة والسلام-: (من أتى كاهنًا أو عرافًا فسأله عن شيء فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) وفي رواية: (فقد برئ مما أنزل الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم) فتلحظ الحديث قال: (من أتى كاهنًا أو عرافًا فسأله عن شيء فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم).

إذن هؤلاء الذين يأتون الكهان والعرافين ويصدقونهم في دعوى علم الغيب هؤلاء قد كفروا وخرجوا عن الملة، ما وجه ذلك؟ وجه ذلك:

الأمر الأول: أن علم الغيب قد استأثر الله به، فكما أنه لا خالق إلا الله، فأيضًا كذلك لا يعلم الغيب إلا هو، قال -عز وجل-: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن: ٢٦، ٣٧] وقال عز وجل: ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ ﴾ [النمل: ٦٥]، هذه مسألة ينبغي أن تكون واضحة ومحكمة وبينة، هذا أمر.

الأمر الثاني: نؤكد أن هؤلاء الكهان يعني كما قال -عليه الصلاة والسلام- لما سئل عنهم سئل عن الكهان فقال -عليه الصلاة والسلام-: (ليسوا بشيء) هؤلاء حقهم التحقير، ليسوا بشيء، وليس عندهم حق ولا عندهم علم ولا عندهم بينة ولا براهين، وإنما هم أفَّاكون كذابون، يعني يكذبون مائة كذبة، وربما صدق مرة واحدة، يعني هذا أيضًا مما ينبغي أن يكون نصيب هؤلاء الكهان وأولئك العرافين.

الأمر الثالث: ينبغي ألا ننخدع بتلك القنوات الفضائية التي بدأت تبث هؤلاء الأفاكين الدجالين، ولا ننخدع بالأسماء، يعني ينبغي أن ننظر إلى حقائق الأمور، العبرة بالحقائق ليست بالألفاظ والمباني، هؤلاء يخرجون الآن في الفضائيات أو في المجلات ويسمي نفسه المعالج، ويسمي نفسه الحكيم، وربما سمى نفسه الشيخ، ونحو ذلك، فلا ننخدع بهذه الأسماء، لا يمكن أن يأتي راعي الباطل بكل صفاقة وبكل بلاهة يقول: أنا كاهن أو يقول: أنا

دجال يعني هو يصف نفسه بأنه المعالج والحكيم إلى آخره فالعبرة بالحقائق، شخص ادعى علم الغيب فهو أفَّاك ودجال من إخوان الشياطين. هذا مما ينبغي أن يذكر في هذا المقام.

تقول: "عمر أعسر أيسر" لماذا قال "أعسر"؟ والأعسر صفة لليسرى وأيضًا ليست صفة لليد اليسرى؟.

هذه صفة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه؟.

نعم.

هي تقول صفة لعمر بن الخطاب "أنه أعسر أيسر" كيف يجمع بين هذه الصفتين؟.

والله ما أدري عن عمر –رضي الله عنه– كونه يقال عنه أعسر أيسر أنا ما أدري، لكن إن ثبت أنه أعسر، والأعسر معروف أنه ممن يتعاطى الكتاب بشماله، فربما لما يقال: أعسر الكرم والجود توصف بها اليمين، فربما حتى لا يتوهم أن عمر أعسر أنه ليس كريمًا فهو أعسر لكنه أيضًا أيسر من باب الثناء على عمر، فهو من باب المشاكلة، فهو أعسر يعني إذا صار يتعاطى وعمله بشماله لكنه ليس فيه معنى العسر الذي هو ضد اليسر، بل هو أعسر أيسر، يعني أقصد ربما يكون هذا من باب التأدب من عمر الفاروق –رضي الله عنه– والله أعلم.

يقول: سبق أن ذهب إلى هؤلاء الكهان وسمع منهم، كيف الطريقة إلى التوبة من هذا؟.

إذا تاب تاب الله عليه، كما قال –عليه الصلاة والسلام–: (الإسلام يجب ما قبله) والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٥٣] فمن تاب تاب الله عليه، هذا الذي يمكن أن يقال في هذا.

هل هناك كفارة معينة يفعلها أو شيء؟.

لا ليس هناك كفارات على هذه الفعلة، هو ما دام أنه تاب، والتوبة هنا بشروطها الثلاثة المعروفة: الندم عما سلف، والإقلاع عن ذلك، والعزم على ألا يعود، فإذا حقق هذه الأمور الثلاثة فتوبته مقبولة –إن شاء الله–.

يقول: ما هي العلامات التي يمكن للمسلم أن يعرف بها هذا الشخص المعالج إذا كان كاهنًا أو عرافًا أو غير ذلك؟.

يعني هو كما قال عثمان بن عفان أمير المؤمنين –رضي الله عنه– قال: «ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله –عز وجل– على وجهه وفلتات لسانه» هي ستظهر هذه الأمارة حتمًا، يعني لا ينظر إلى حاله، لما يكون مثلًا هذا الساحر أو الكاهن أو العراف عنده شيء مثلًا من الخوارق، فقد مر بنا في موضوع الولاية أنه ينظر هل الرجل ملتزم بالسنة؟ هل هو مؤمن؟ هل هو تقي؟ هذا مما يظهر.

الأمر الآخر دعوى علم الغيب بينة فلما يدعي علم الغيب بأي صورة من الصور فهذا نجزم بأنه من أولياء الشيطان.

أيضًا كذلك إذا ادعى لنفسه النفع والضر إذا مثلًا طلب مثلًا من الشخص الذي يأتيه طلب منه أن يشرك بالله، يذبح لغير الله، يستغيث بالجن، إذا طلب هذا مثلًا عملًا كفريًا إهانة المصحف، وكما قلنا في السحر نقول هنا بالنسبة للكهان العرافين: هؤلاء لا ينفكون عن أربعة أمور: إحداها يكفي في إخراجهم عن الملة، فكيف إذا اجتمعت؟!!

الأول: أنهم ربما اعتقدوا لأنفسهم أو ظن الناس فيهم، ظنوا أن بيدهم النفع والضر.

الأمر الثاني: ألا وهو: أن هؤلاء ربما طلبوا ممن يأتيهم أو هم يقارفوهم الشرك في العبادة، فربما استغاثوا بغير الله، ربما ذبحوا لغير الله، وربما أمروا من يأتيهم بهذا الصنيع.

الأمر الثالث: ألا وهو: دعوى علم الغيب، يدعون ذلك لأنفسهم، وبعض السذج والدهماء يظنون أن هذا المعالج أو هذا الذي يسمونه الحكيم أنه يعلم الغيب.

الأمر الرابع: أن هؤلاء الأفّاكون تجد أنهم لا يترددون في عمل الكفر، فربما أهان المصحف -نسأل الله العافية- من أجل التقرب لشياطين الجن، وكذلك بعض الذين يذهبون إلى هؤلاء السحرة أو أولئك الكهان لو طلب من الساحر أن يفعل هذا العمل الكفري البعض تجده يفعل ذلك ولا يتردد -عافانا الله وإياكم من ذلك-.

لكن أيضًا أحب أن أشير أن هؤلاء الذين الآن بدءوا يبرزون في الإعلام ويبرزون في الفضائيات ويظهرون على أنهم لهم شأن، هؤلاء ينبغي أن ننزلهم المنزلة اللائقة بهم، هؤلاء -كما قلنا- أفاكون في غاية الخسة في غاية الدناءة في غاية الاحتقار، هؤلاء في غاية الخذلان والخسران، ألم يقل الله -تعالى- في حق الساحر: ﴿ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [طه: ٦٩].

الله -سبحانه وتعالى- نفى الفلاح عن الساحر نفيًا عامًا كليًا، فهؤلاء الذين نفى الله -تعالى- عنهم الفلاح لن يجدوا في الدنيا قبل الآخرة إلا الخذلان والحرمان، فهذا أمر ينبغي أن نتنبه له، وأيضًا كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره أن هؤلاء تجد أنه عنده من الإثم والحرمان والخزي والخذلان والذل والصغار ما لا يوصف، وسبق أن قلنا لكم وذكرنا قول الله -تعالى- عن اليهود في قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٢]. قال أبو قلابة -رحمه الله- قال: هذه الآية في كل مفترٍ، فهؤلاء يفترون على الله ويكذبون يدعون لأنفسهم علم الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله -سبحانه وتعالى- هذا أعظم الإفك والافتراء؛ ولهذا تجد أن عليه من الذل والصغار ما لا يوصف، لكن المصيبة عندنا ضعاف الإيمان عندنا المسلمين الذين عندهم شيء من السجاذة والجهل الكبير هم الذين يبرزون هؤلاء لما يأتون إليهم ويحتفون بهم، والمصيبة أنك عندما تجد الحكومات لا تقيم عليهم لا حكم الله، وإلا لو أقيم حكم الله -تعالى- على هؤلاء الأفّاكون لاندفع الكثير من هذا الشر، وكما قال عثمان -رضي الله عنه- أمير المؤمنين: «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» والله المستعان.

يقول: الآن كما تعلمون انتشرت القنوات والبرامج الإذاعية والتلفزيونية وغيرها الذي يتصل بهم ويسأل هل يدخل في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-: (من أتى عرافًا...) أو من يسمع كلامهم ويصدق بعض كلامهم كذلك؟.

الذي أعرف من كلام بعض فتاوى المشايخ المعاصرين الشيخ عبد الله بن جبرين والشيخ عبد الرحمن البراك والشيخ عبد العزيز الراجحي وهم من أهل العلم في هذا البلد، أنهم أصدروا فتيا مشتركة بأن مجرد النظر إلى تلك القنوات التي تبث هذه البرامج -هذه القنوات السحر والدجل والإفك والشعوذة مجرد النظر إليها بقصد الفرجة فقط أن هذا محرم، وعلى كلٍ الذي يمكن يقال وبلا تردد أن مجرد سؤالهم في هذه القنوات حتى لو لم يصدق أن ذلك أقل ما يقال أنه ذريعة إلى الكفر والشرك بالله -سبحانه وتعالى- والشريعة جاءت بسد الذرائع، لو قال: والله أنا أسأل وأنا عندي يقين بأني لن أصدقه وأنهم أفاكون، هذا السؤال قد يؤول بهم إلى تصديقهم، فالسؤال في حد ذاته ممنوع، وعندنا الحديث الذي مر بنا، حديث أم المؤمنين لما قالت: قال -عليه الصلاة والسلام-: (من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يومً) فهذا الإتيان مجرد أنه يأتيهم أو مجرد أنه والله يجلس يقلب على الفضائيات وتستوقفه هذه القناة التي عندها هذا الدجل والإفك ويتابعها يقول: يا جماعة أنا ما أصدقهم

مجرد هذا المتابعة هي نوع من الإتيان لهم، وقد يكون ذلك ذريعة إلى تصديقهم في دعوى علم الغيب، فهنا نقول لهؤلاء: لما قال معاوية بن الحكم السلمي للنبي -صلى الله عليه وسلم-: "ومنا رجال يتكهنون" قال: (فلا تأتهم).

ليسوا بشيء، هؤلاء في غاية الحقارة، فمن احتقارهم ألا ننظر إليهم، نعم إذا جاء عالم أو طالب علم راسخ، أو داعية صاحب علم، وصاحب حجة، واتصل بهؤلاء الأفَّاكون من أجل أن يكشف عوراتهم فنقول: أحسنت كما فعل النبي -عليه الصلاة والسلام- عندما قال لابن صياد -وهو أحد الدجالين- لما قال -عليه الصلاة والسلام- له: (اخسأ فلن تعدو قدرك).

يقول: هل قطع الأرحام وسوء الجوار وظهور الفساد من أشراط الساعة الصغرى؟.. مع ذكر الدليل إذا وجد؟.

من هو ذي القرنين؟ وهل يعرف مكان يأجوج ومأجوج أم لا؟

ي قول: ظهور قطع الأرحام والحسد وانتشار بعض الذنوب والمعاصي هل هي دليل على قرب الساعة؟.

يعني هو عمومًا كثرة المعاصي وجنسها نعم، جاء ذلك في الأحاديث يعني قضية مثلًا عقوق الوالدين هذه من العلامات مثلًا أشرنا إلى قضية شرب الخمر كثرة القتل، هذه كلها من الذنوب، فالعقوق هذا ظاهر في حديث: (أن تلد الأمة ربه) فمن ضمن كلام شرح الحديث في معنى هذا الحديث: (أن تلد الأمة ربه) وهو أن الرجل الذي هو الابن أو البنت يعامل أمه معاملة السيد لتلك الجارية -نسأل الله العافية- هذا كله وارد، وأنا أنصح الإخوة بكتاب سهل العبارة وسهل التناول وهو كتاب "علامات الساعة" للدكتور يوسف..، رسالة علمية من جامعة أم القرى مطبوعة متداولة، هذه الرسالة جيدة تتميز بالإيجاز والوضوح وحسن الترتيب.

بقي عندنا لما قال: (ولا من يدعي شيئًا يخالف الكتاب والسنة) يقول: لا نصدق من يدعي شيئًا يخالف الكتاب والسنة بإجماع الأمة، يعني أيضًا ممن لا نصدقهم ولا ننخدع بهم الذين يدعون أشياء تخالف نصوص الوحيين، الشارح ابن أبي العز ذكر جملة من هؤلاء منهم أصحاب الأحوال الشيطانية كالسحرة والمشعوذين، وهذا مر الإشارة إلى هذا، أيضًا كذلك أشار إلى ما عند الصوفية مما يسمى بتسليم الحال، فمن الصوفية من يقول: "الفقراء يسلم إليهم حالهم" الفقراء: الذين هم الصوفية، يعني يسلم إليهم حالهم: يعني لا يعترض عليهم، إذا فعلوا أفاعيل لا تقول: لم فعلتم ذلك؟ لم صنعتم ذلك؟ يعني يقال: يسلم إليهم حالهم، فهذا الكلام مردود، يعني كلمة أنه يسلم لهم حالهم ولا يعترض عليهم لا...، وكما قال ابن عقيل الحنبلي -رحمه الله- كلمة جميلة قال: "وليس لنا شيخ يسلم له حاله، ولو كان لنا شيخ يُسلم له حاله لكان الصديق الأكبر -رضي الله عنه- أبو بكر" والصديق ماذا قال لما خطب؟ قال: "وإن اعوججت فقوموني" ما قال: "إذا اعوججت فسلموا لي" فالشخص إذا فعل فعلًا أو قال قولًا لا يقال أنه يترك ويسلم له ذلك يعني يسلم له أنه لا يعترض عليه بل يعرض فعله على الكتاب والسنة. هذا ما يمكن أن يقال في هذا المقام.

أسئلة الدرس.

السؤال الأول: اذكر أمرين يتحقق بهما السلامة من فتنة المسيح الدجال؟

السؤال الثاني: ما حكم إتيان الكهان والعرافين مع الدليل؟

الدرس الرابع والعشرون والأخير

من قــوله (ونرى الجماعة حقًا وصوابً)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين وأصلي وأسلم على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

أسئلة الحلقة الماضية:

السؤال الأول: اذكر أمرين يتحقق بهما السلامة من فتنة المسيح الدجال.

وكانت الإجابة: أولًا: الاستعاذة بالله –تعالى– من فتنة المسيح الدجال، قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (إذا جلس أحدكم في دبر كل صلاة عليه أن يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال..) الحديث.

ثانيًا: أن يحفظ العبد عشر آيات من أول سورة الكهف، أو عشر آيات من آخره.

نعم، إجابة الأخت صحيحة ووافية.

بالنسبة للسؤال الثاني وهو: عن حكم إتيان العرافين والكهنة مع الدليل؟

وكانت الإجابة: إن إتيان العرافين والكهنة فيه خسارة العبد صلاته أربعين يومًا لقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (من أتى عرافًا فسأله لم تقبل له صلاة أربعين يومًا، ومن أتاهم فصدقهم فقد كفر بما أنزل على محمد) –صلى الله عليه وسلم– للحديث: (من أتى كاهنًا أو عرافًا فسأله عن شيء فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد).

وأيضًا إجابة الأخت إجابة صحيحة ووافية وموفقة.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (ونرى الجماعة حقًا وصوابًا والفرقة زيغًا وعذابً).

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

قول الإمام أبي جعفر الطحاوي في هذه العبارة: (ونرى الجماعة حقًا وصوابًا والفرقة زيغًا وعذابً) الحق قد مر بنا معناه: أن الحق يراد به الثابت الموجود وقد يطلق الحق ويراد به النافع المقصود، ولا شك أن الجماعة هي حق وصواب، والفرقة هي زيغ وعذاب، والمراد بالعذاب أي أنها سبب في استحقاق العذاب.

أهل السنة والجماعة يطلق عليهم هذا الاسم أهل السنة والجماعة، ويقابلهم في ذلك أهل البدعة فيقال: أهل البدعة والفرقة، فهم أهل سنة؛ لأنهم التزموا بسنة النبي –عليه الصلاة والسلام– قولًا وعملًا، وهم الجماعة الذين يلتزمون باتباع الحق ويجتمعون على الإمام الشرعي على وفق مقتضى الشرع، هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

وقد جاءت النصوص التي تأمر بالاجتماع كما في قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران: ١٠٣] وجاء ذلك أيضًا في قوله تعالى: ﴿ وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] فدل ذلك على أن الخلاف عذاب، وأن الرحمة في الاجتماع والاتفاق، هذا أمر.

الأمر الثاني الذي نحب أن نشير إليه ونؤكد عليه: أنه لا يتحقق الاجتماع ولا الائتلاف إلا باتباع ما جاء عن الله وما صح عن رسول الله –عليه الصلاة والسلام–، هذه مسألة ينبغي أن تكون في الحسبان.

إذا أردنا لأهل الإسلام وأردنا قبل هذا لأهل السنة اجتماعًا وائتلافًا واتفاقًا فإن ذلك لا يتحقق إلا بأن نأخذ الدين كله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨] وقد قال الله –سبحانه وتعالى– عن النصارى قال –عز وجل–: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ﴾ [المائدة: ١٤] فدلت الآية الكريمة على أن سبب العداوة والبغضاء الذي وقع بين النصارى أنفسهم أنهم أخذوا شيئًا من كتاب الله وتركوا بعضه، وما وقع عند النصارى وقع في هذه الأمة كما في حديث: (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة في القذة..) الحديث، فوجد في أهل الإسلام –بل للأسف– وجد عند بعض المنتسبين لأهل السنة من يأخذ بعض الدين ويفرط في البعض الآخر، فالمقصود إذا أردنا الاجتماع والائتلاف عليها بأن نأخذ الدين كله، ورضي الله عن الصديق الأكبر أبي بكر –رضي الله عنه– لما ارتد من ارتد فقال بعض الصحابة للصديق قالوا له: تألف الناس وهم أرادوا بذلك ألا يقاتل بعض المرتدين قالوا للصديق: تألف الناس، فما كان من الصديق –رضي الله عنه– بكل علم ورسوخ وشجاعة إلا أن قال: أعلى ما أتألفهم؟ أتألفهم على شعر مفتعل أم حديث مفترى؟ فلا يمكن أن يتألف الناس على الباطل وعلى خلاف الكتاب والسنة، والصديق قال: أعلى ما أتألفهم؟ على شعر مفتعل أم حديث مفترى؟ هذا ما يتعلق بهذه المسألة والله أعلم.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (ودين الله في الأرض والسماء واحد وهو دين الإسلام قال الله –تعالى–: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال الله –تعالى–: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، وهو بين الغلو والتقصير وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن والإياس).

قوله –رحمه الله–: (ودين الله في الأرض والسماء واحد) لعل مقصوده –رحمه الله– بهذه العبارة أن يبين لنا ولكم أن دين الله في الأرض وفي السماء أي عنده هو الإسلام، فهنا لما يقول: (في السماء) جاءت الآية الكريمة ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ ﴾ فدين الله واحد سواءً كان في الأرض أو في السماء وهو الإسلام كما سمعنا الآية الكريمة: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ ﴾ قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥] فهذا الدين –دين الإسلام– الذي جاء به نبينا محمد –صلى الله عليه وآله وسلم– هو الدين الناسخ، ويجب على البشر جميعًا أن يؤمنوا به وأن يأخذوا بهذا الدين، قال –عليه الصلاة والسلام–: (ما من أحد من هذه الأمة من يهودي ولا نصراني يسمع بي ثم لا يؤمن بي إلا أدخله الله النار) هذا ما يتعلق بهذه المسألة.

والإسلام –كما مر بنا ونؤكد– أن الإسلام معناه: الاستسلام لله –تعالى– وحده، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك وأهله، فلابد من الاستسلام لله وحده، فمن استسلم لله ولغيره فهذا مشرك، ومن لم يستسلم لله فهذا مستكبر عن عبادة الله.

إذن: الإسلام يقابله أمران: يقابله الشرك والكبر، فمن استسلم لله ولغيره فهذا مشرك، ومن لم يستسلم لله ولم يخضع لعبادة الله فهذا مستكبر، والمشرك والمستكبر كلاهما كافر، المشرك والمستكبر عن عبادة الله كلاهما كافر خارج عن الملة، هذا أمر.

وبهذه المسألة إذا تقرر أن الإسلام هو الدين الناسخ وسمعنا قول الله –تعالى– ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ يتضح لكم –أيها الإخوة– أمرًا ينبغي أن يذكر في هذا المقام ألا وهو: هذه الدعوة الخبيثة القديمة الجديدة وهي الدعوة إلى ما يسمى بوحدة الأديان، هذه الدعوة إلى ما يسمى بوحدة الأديان والتي تريد أن تسقط الفوارق الأساسية بين الإسلام وبين النصرانية واليهودية، وتسوغ اليهودية والنصرانية، وتجعل اليهودية والنصرانية دينًا سائغًا جائزًا هذه دعوة خبيثة، تردها الأدلة الصريحة الصحيحة في أن الإسلام الذي جاء به محمد –عليه الصلاة والسلام– هو الدين الناسخ، وأن ما عدا ذلك فهو منسوخ مبدل وفيه من الباطل ومن التغيير

ما فيه، فمن أراد أن يجمع بين الإسلام الذي جاء به محمد –عليه الصلاة والسلام– وبين اليهودية والنصرانية الموجودة الآن فهو كحال الذي يجمع بين النقيضين، كحال من يجمع بين الحق والباطل وكحال من يجمع بين التوحيد والشرك الأكبر –والعياذ بالله من ذلك– فينبغي التنبه لهذه الدعوة والتحذير منها، وكما قلنا: إنها دعوة قديمة دعا إليها جملة من الزنادقة من زنادقة الصوفية كابن فود وابن سبعين والتلمساني ونحوهم من الصوفية السابقين الذين جعلوا اليهودية والنصرانية والإسلام أيضًا جعلوا ذلك كالمذاهب الأربعة، فكما أن الإنسان يسوغ أن يكون حنبليًا أو شافعيًا أو مالكيًا أو حنفيًا فكذا قالوا: يسوغ له أن يكون يهوديًا أو نصرانيًا، فسوغوا ذلك وجوزوه، فهذا أمر ينبغي الحذر منه من هذه الدعوة التي دعا إليها هؤلاء، ومن دعا إليها في هذا العصر والله أعلم.

فالمقصود: أن هذه الدعوة –الدعوة إلى وحدة الأديان– هي تكذيب لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ يقول القاضي عياض –رحمه الله– في كتاب "الشفاء" يقول: ولهذا نكفر من دان بغير ملة الإسلام، ثم قال: ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين أو وقف فيهم، يعني توقف في هؤلاء الكفار، أو شك، أو صحَّح مذهبهم.

فنلحظ أن القاضي عياض يقرر في هذه المسألة تكفير من دان بغير ملة المسلمين، ويكفر أيضًا من توقف في تكفيرهم أو شك فيهم أو صحَّح مذهبهم، هذا الكلام الذي قاله القاضي عياض هو الذي ذكره أيضًا الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله– لما ذكر من النواقض العشر، من نواقض الإسلام ما ذكره عندما قال: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم فقد كفر إجماعًا.

قال بعدها: (وهو بين الغلو والتقصير) نعم هذا الدين الذي أكرمنا الله وإياكم به –ولله الحمد والمنة– هو وسط بين الغلو والتقصير، والغلو هو مجاوزة الحد، والمبالغة في الشيء، والتشديد فيه. أو يمكن يقال: أن الغلو هو مجاوزة الحد المشروع، هذا هو الغلو. ويقابله التقصير، والتقصير هو الإضاعة والتفريط والجفاء، فدين الله وسط بين الغلو والتقصير، وهذا واضح لما نأتي مثلًا للنصارى نجد أن النصارى غلو في الصالحين، غلو في علمائهم، أو في أحبارهم ورهبانهم، عندهم هذا الغلو، ويقابل أولئك اليهود الذين حصل عندهم الجفاء في حق الأنبياء فهم قتلة الأنبياء –كما هو معلوم– نحن لسنا كحال النصارى الذين غلوا في المخلوقين وغلوا في الصالحين ولسنا كحال اليهود الذين جفوا الأنبياء فوصل الأمر إلى أن صاروا قتلة للأنبياء.

نحن وسط بين هذا وذاك، نحن نؤمن بالأنبياء ونجلهم وننزلهم المنزلة اللائقة بهم دون أن يصل ذلك إلى حد غلو النصارى.

كذلك اليهود مثلًا غلو في قضية مثل قضية إزالة النجاسة لدرجة أن بعضهم إذا أصابته النجاسة في ثوبه يقطع هذا الثوب الذي أصابته النجاسة فعندهم هذا الغلو.

الحائض عندهم لا يؤاكلونها ولا يشاربونها ولا يقتربون منها، النصارى العكس نجد النصارى في باب النجاسة نجد أنهم ربما يؤدي أحدهم الصلاة وهو على نجاسة أو على جنابة لسنا مع هؤلاء المتنطعين المتشددين الذين هم اليهود، ولسنا مع هؤلاء المفرطين المقصرين وهو النصارى.

المقصود: أنك إذا تأملت أن هذا الدين أن الإسلام وكذا مذهب أهل السنة هو وسط بين الإفراط والتفريط أو بين الغلو والتقصير.

قال: (وبين التشبيه والتعطيل) هذا قد مر بنا مرارًا فالمذهب الحق هو وسط بين التشبيه وبين التعطيل، التشبيه الذين يشبهون الله –تعالى– بخصائص المخلوقين فيقولون: سمع الله كسمعنا، ويد الله كأيدينا، هذا تشبيه وتمثيل،

والله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٤] .

التعطيل: هؤلاء الذين عطلوا يعني نفوا الصفات، والتعطيل في لغة العرب معناه: الخلو والفراغ، هذا معناه في اللغة الخلو والفراغ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ ﴾ [الحج: ٤٥]، هذا معناه في اللغة، والمراد بالتعطيل هنا: الإنكار والجحود، إنكار الصفات ونفيها، فنحن نثبت الصفات لكنه إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل على حد قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾.

ثم قال: (وبين الجبر والقدر) فنحن وسط بين الجبر والقدر، الجبر: الذين يقولون: إن الإنسان مجبور على فعله، ليس له اختيار ولا مشيئة وإنما هو كالريشة في مهب الريح، لسنا مع هؤلاء الجبرية، ولسنا مع القدرية الذين يقولون: إن الإنسان يخلق فعل نفسه، وإنما نحن وسط، نحن نثبت أن الله -تعالى- خالق أفعال العباد، ﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦] ردًا على القدرية النفاة، لكن نثبت أن للعبد فعلًا وكسبًا كما قال تعالى: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠].

(وبين الأمن والإياس) وهذا قد مر بنا لما قال الإمام الطحاوي -رحمه الله-: (والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام وسبيل الحق بينهم) فالأمن: أي الأمن من مكر الله، واليأس: أي اليأس من رحمة الله، قال تعالى: ﴿ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩] وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧] قال -عز وجل-: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦]، فنحن وسط بين هذين الانحرافين: الأمن من مكر الله، واليأس من روح الله؛ ولهذا مر بنا يعني الموقف من الذين يموتون من أهل الإسلام: أن من كان منهم محسنًا فنرجو له، لكن لا يصل حد الرجاء، إلى حد الأمن من مكر الله، ومن مات مسيئًا مقصرًا مفرطًا فهذا لا نخاف عليه، لكن لا يصل حد الخوف إلى اليأس من روح الله، فنحن نرجو للمحسنين ولا نؤمنهم، ونخاف على المسيئين ولا نقنطهم.

هذه جملة من وسطية هذا الدين الذي أكرمنا الله نحن وإياكم به.

يقول: أنتم تطرقتم قبل قليل إلى مسألة ما يطلق عليه "التقريب بين الأديان" والدعوة إلى جعل الدين دين واحد، فيه أيضًا فضيلة الشيخ التقريب بين الطوائف والملل، مثل التقريب بين أهل السنة والرافضة مثلًا أو غيرها من الفرق، هل لهذا وجه يا فضيلة الشيخ؟.

هو أنت لما تذكر مثال على قضية التقريب بين أهل السنة والرافضة فسبق أن مر بنا إشارة إلى ذلك، أن هذه الدعوة كانت قديمة في العصر الحاضر، يعني هذه الدعوة قد مر عليها أكثر من خمسين سنة، وتبناها بعض أهل السنة -للأسف- ربما هؤلاء الذين تبنوا هذه الدعوة كان ذلك بسبب جهلهم بمذهب أهل السنة، فالواقع هذه التجربة تجربة التقريب بين أهل السنة والرافضة هي تجربة متعثرة، تجربة فاشلة، وقد حكا الدكتور ناصر الجفاري في رسالة علمية متميزة هذه التجربة في كتابه "التقريب بين أهل السنة والشيعة" فهذه التجربة متعثرة، وكما قال أبو يعلى -رحمه الله- من قبل وهو من الحنابلة المتقدمين يقول: ولو قال قائل: إنه لا مجال لمناظرة هؤلاء والاقتراب منهم لما أبعد عن الصواب؛ لأنك عندما تريد أن تحاور شخصًا وأن تناقشه فلابد أن ترجع أنت وإياه إلى مرجع، تتفق أنت وإياه، فهؤلاء الروافض تقول: نرجع إلى القرآن، هم يرون أن القرآن محرف.....

أحب إليهم من أن يتحدث بذلك، فقال -عليه الصلاة والسلام-: (أو قد وجدتموه؟ ذاك محض الإيمان) وفي رواية قال: (الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة) فكون الوسوسة تعرض لنا هذا أمر واقع وارد، لكن المتعين علينا أن نكره تلك الوساوس ولا أن نسترسل ولا نستسلم لها، ولاسيما أن الشخص كلما زاد إيمانًا ورسوخًا وعلمًا

كلما حرص الشيطان على الوسوسة له فعليه أن يدفع ذلك باللجوء إلى الله والاستعاذة والاشتغال بالعلم النافع والعمل والصالح.

يقول: من يقول: إن الأمة قد هلكت، ولن تنتصر فقد أصابها ما أصابها، فهل هذا يدخل في اليأس من رحمة الله؟.

يعني لا شك أن هذا نوع من اليأس، النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: (من قال: هل الناس فهو أهْلَكَهُم) أو: (فهو أهْلَكُهُم) جاء هذا وهذا، والله تعالى قال: ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣] ومن أشراط الساعة التي ذكرها العلماء: أنه لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، حتى يتكلم الشجر والحجر ويقول: ورائي يهودي فاقتله، إلا شجر الغرقد فإنه من شجر اليهود.. المقصود أن العاقبة للمتقين، وهذا وعد الله -سبحانه وتعالى- ووعده متحقق، فعلى الإنسان أن يحسن الظن بالله -سبحانه وتعالى- ويعلم أن الأمر له -سبحانه وتعالى- فلا ييأس؛ لأن اليأس كما مر بنا إما أن يكون من كبائر الذنوب، وربما وصل إلى ما هو أشد من ذلك، والله المستعان.

تقول: بالنسبة لمسائل العقيدة وأهميتها هل هي واجب على كل مسلم تعلمها؟ أم أن هناك مسائل خاصة لا يُعذر المسلم بجهلها؟ وهل هناك كتاب مبسط لعامة الناس على المسائل التي لا يُعذر المسلم بجهلها؟.

هذا السؤال مر بنا في أول درس من هذا الكتاب المبارك "العقيدة الطحاوية" وهو أن المعرفة الإجمالية الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، الإيمان المجمل، المعرفة الإجمالية الإيمان بأركان الإيمان الستة هذا فرض عين على كل مسلم ومسلمة، فهذا هو الذي يجب على كل مسلم ومسلمة، أما ما زاد على ذلك فهو من فروض الكفاية، هذا أمر، وقلنا في وقتها: إن من سمع علمًا من هذه الأركان وغيرها من الدين، من سمع علمًا فيجب عليه ما لا يجب على غيره، أليس كذلك؟ فهذا الذي يمكن أن يقال.

أما قضية كتاب ميسر في هذا، فالكتب في هذا كثيرة جدًا، يمكن الاستفادة من كتاب مثلًا "الأصول الثلاثة" للشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، ويمكن الاستفادة مما كتبه الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمة الله عليه- "الدروس المهمة لعامة الأمة" هذا وذاك وما جاء في معناه، يمكن الاستفادة منه وهي نافعة للعامة وغير العامة.

يقول: بالنسبة لحديث: (لا تجتمع أمتي على ضلالة) هل هذا حديث صحيح؟ وأنتم ربما تكون في بلد ما أغلب أهل البلدة أنت تعتقد بمنهجهم أنه خاطئ، فهل أنت تكون خارج عن الجماعة؟ تكون شاذ أنت؟ يعني مثلًا هم صوفية وأنت تعتقد أن هذا المنهج غير صحيح؟ وهم كلهم مسلمون؟.

لكن قصدك أنهم اجتمعوا على بدعة؟

نعم، مبتدعة. فأنت تكون خرج عن الجماعة؟.

لا.. الجواب عن هذا نحن ينبغي أن نفهم الجماعة، الجماعة كما قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك، لا نفهم الجماعة هي الدهماء والغوغاء والكثرة والغالبية، لا...، الكثرة جاءت في القرآن على سبيل الذم، ولهذا العلماء قالوا مثلًا: الإمام أحمد هو الذي ثبت في زمن المحنة، أليس كذلك؟ فالإمام أحمد ومن تبعه وإن كان شخصًا واحدًا أو أفرادًا هم الجماعة، وما عدا هؤلاء هم الشاذون، فالمقصود أن الجماعة هي ما وافقت الحق ولو كان الشخص وحده، كما بين ذلك ابن مسعود، الله -تعالى- قال: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦]، هذا أمر.

فأنت لما تقول في بلد يغلب فيها البدع ويكون أهل الحق قلة هذا مما يؤكد صحة معنى الحديث، (لا تجتمع أمتي على ضلالة) أنه لا يمكن أن يجتمع أهل الإسلام كلهم على الضلال، يعني الله -تعالى- جعل هذه الأمة مرحومة، أنها لا يمكن أن تجتمع على ضلالة، نعم يقع الضلال، يكثر يقوى يغلب، لكن أن تجتمع على ذلك لا...، ليس كذلك.

يقول: بالنسبة للغيب النسبي في تصديق الساحر، الغيب النسبي كسرقة أو مال. تصديقها هل يبطل العقيدة؟ وما رأيكم بقول: إن الشياطين بعد البعثة.. يسترقون السمع، ويحتمل معرفة بعض الغيب هل هذا القول راجح؟.

على كلٍ الغيب -كما مر بنا- الغيب لا يعلمه إلا الله -سبحانه وتعالى-، ولا نريد أن نجعل من كلمة ما يسمى "الغيب النسبي" ذريعة في تهوين الذهاب إلى هؤلاء، هم أولًا لا يدعون الغيب النسبي، هم يدعون شيئًا مما هو من خصائص الله، يدعي أمرًا خارقًا للعادة، يدعي أمرًا مستقبليًا، فلا نريد أن نجعل من كلمة الغيب النسبي ذريعة أن يفهم من هذا التهوين من الذهاب إلى هؤلاء، نعم البعض ربما يقول لك مثلًا: هذا الشيء الذي أنت فقدته ويعرفه فلان هو بالنسبة لك غيب وبالنسبة لمن يعرف هذا ليس غيبًا، فيقول: هذا غيب نسبي، لكن إذا كان الكلام عن هؤلاء السحرة، هؤلاء الكهان، هؤلاء العرافين. هؤلاء ينازعون الله -سبحانه وتعالى- في شيء من خصائصه - سبحانه وتعالى- وقد عرفنا أن من قال ذلك أو فعل ذلك فقد خرج عن الملة، وكان مكذبًا لقوله تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾.. الآية [الجن: ٢٦].

أما ما ذكره الأخ في السؤال الثاني: الاستراق هل الشياطين يذهبون.. في هذه المسألة هذه الذي يظهر والله أعلم: أنهم كانوا يسترقون السمع قبل بعثة النبي -عليه الصلاة والسلام- لكن زمن البعثة شدد كما في الآية الكريمة: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ [الجن: ٨] لكن بعد وفاته -عليه الصلاة والسلام- نعم وجد، فاستراق السمع لا يزال موجودًا، هذا الذي قرره شيخ الإسلام ابن تيمية، وأيضًا كذلك أيضًا الحافظ ابن حجر وغيرهم، فالاستراق موجود لكن -كما قلنا لكم وكما جاءت بذلك الأدلة- أنه ربما أخذ كلمة من الحق وخلط بها مائة كذبة كما جاء ذلك في الأحاديث وكما أيضًا اعترفوا بذلك، رئيس المنجمين في دمشق يعترف أمام ابن تيمية يقول: والله إنا نكذب مائة كذبة ونصدق مرة واحدة، فهذا جاءت به الأدلة وجاء به واقع هؤلاء الكذابين الأفاكين.

يقول: السؤال الأول: ما موقفنا من التعامل مع من يختلف معنا في العقيدة وهل هل علينا حقوق عامة؟

السؤال الثاني: عندما يسب بعض الصوفية بعض العلماء بسبب اختلافهم معهم كيف نرد عليهم؟.

يقول: بالنسبة للرافضة لا إشكال -إن شاء الله تعالى- في أن دين الرافضة وضع أساسه اليهودي عبد الله بن سبأ وهو دين قائم على الفلسفة والمنطق اليوناني والحس والعاطفة المنحرفة وخليط من ديانات المجوس كما بين ذلك علماؤنا رحم الله -عز وجل- الجميع، والفوارق بين الرافضة وأهل السنة في الأصول والفروع لا يخفى كما بين ذلك صراحة الإمام محب الدين الخطيب في مقدمته " منهاج السنة"، وهم كما قال لنا الإمام الذهبي: هم أكذب الناس في النقليات وأسفه وأجهل الناس في العقليات، ورغم ذلك اغتر بهم جهلاء أهل السنة، وتعاطفوا معهم، ووقفوا بجوارهم ودافعوا عنهم، وحجتهم أنهم يقولون: أن هؤلاء يقولون "لا إله إلا الله" أليسوا مسلمين؟ فلما لم ندعو لهم ونقف معهم؟ وخصوصًا الحادثة المشهورة عندما قام الحزب الشيطاني اللبناني بمحاربة إسرائيل، فهل لشيخنا حفظه الله -عز وجل- أن ينصح الناس وأن يبين أصل هؤلاء، وأنه لا يمكن أن يجتمعوا من أهل السنة

بحال من الأحوال، وهم نصوا على ذلك، قالوا: لا نجتمع معهم لا على دين ولا على نبي ولا على قول، فكثير ما تعاطفوا معهم.

يسأل عن: التعاون مع من يختلف معنا في العقيدة؟.

على كلٍ الذي يختلف معنا في العقيدة هذا سؤال واسع جدًا، لكن نجيب بإيجاز نقول: هؤلاء الذين يخالفوننا نحن علينا أن نتعامل معهم بعلم وعدل، وينظر إلى حجم المخالفة، فإن كانت البدعة مكفرة فينبغي أن يدعو إلى الإسلام والسنة، وإن كانت البدعة ليست مكفرة فهم لا يزالون من أهل القبلة، لهم حقوق أهل الإسلام لهم ما لنا وعليهم ما علينا كما مر بنا في حديث قوله –عليه الصلاة والسلام–: (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم) المقصود أنه ينظر إلى حجم المخالفة، إن كانت تخرج من الملة أم لا تخرج، إن كانت تخرج من الملة فهؤلاء يدعون إلى الإسلام والسنة، وإن كانت المخالفة لا تخرج فهم من أهل الإسلام لهم حقوق، وأيضًا يبغضون على قدر بدعتهم، ويدعون إلى السنة التي خالفوا فيها أهل السنة المحضة.

السؤال الثاني: يسأل عن الصوفية في سبهم للعلماء كيف يرد عليهم؟.

يعني الصوفية أو غير الصوفية إذا سبوا العلماء فالواجب علينا أن نذب عن العلماء وأن ندافع عنهم بما نستطيع من علم وحجة، هذا هو مقتضى النصرة لأهل الإيمان، ولأهل العلم على سبيل الخصوص.

يسأل عن: من أراد أن يتوسع في علم العقيدة بعد هذا الكتاب المبارك، هل هناك بعض الكتب المعنية بهذا العلم؟.

طيب، حتى أخونا الكريم. بإيجاز نقول: كلامك أنت ذكرت بما فيه الكفاية ونحن أشرنا إلى شيء من ذلك فالذي يهمنا كجانب عملي تجاه الرافضة ألا وهو كما قلت ونؤكد ألا وهو: أن جملة من مواقف أهل السنة التي فيها شيء من الخور وفيها شيء من الضعف، جملة منها سببه الجهل بمذهب الرافضة، وللأسف أحيانًا بعض أهل السنة جاهل بمذهب أهل السنة أنفسهم، فنحن بحاجة إلى أن نبدأ بأهل السنة ونفقههم في دينهم، وهذه النعمة التي قَصَّرَوا فيها، ونبين لهم عقائد الروافض، هذه عقائد القوم، هذه كتبهم المعتمدة، هكذا يقولون، هذه مواقفهم من أهل السنة في القديم والحديث، أنا أتصور مهما كان إذا كان الإنسان منصفًا سيكون له موقف يتميز بالعلم والعدل لما يرى عقائد الرافضة ومناقضتها لبديهيات الإسلام، ويرى أيضًا مواقفهم القديمة والحديثة والمشينة ضد أهل السنة على سبيل الخصوص، هذا أمر.

والأمر الثاني الذي نؤكد عليه: أن الواجب علينا تجاه هؤلاء القوم ألا وهو نشر السنة، هؤلاء الذين تلبسوا بشيء من الرفض أو التشيع دعوتهم هي من السهولة بمكان، دعك من هؤلاء المتعصبين أئمة الضلال، لكن العامة منهم وأشباه العامة وما أكثرهم وهم الأكثرية والأغلبية هؤلاء دعوتهم سهلة جدًا، لكن تحتاج منا إلى عزيمة وثقة واعتزاز بهذا المنهج الذي انتهجناه، ولا نكون عندنا تلك الانهزامية، بل يكون عندنا قوة ورسوخ فتجارب الدعاة على قلتها وعلى محدوديتها وعلى ضعفها مع ذلك أثبتت نجاحًا كبيرًا، وجملة من هؤلاء –ولله الحمد والمنة والفضل– تحولوا وصاروا من أهل السنة، فهذه تجارب موجودة وواقعة، هذا مما يشجعنا على أن نخوض هذا الباب من أبواب الخير.

أما ما ذكره الأخ الكريم في قضية ما بعد هذا الكتاب؟ هو لا شك أن تلقي العقيدة كغيرها من العلوم الشرعية ينبغي أن يكون وفق سلّم يتدرج فيه الشخص من الكتب المختصرة إلى الكتب المتوسطة إلى الكتب المطولة، هذا لا شك أنه أمر علمي لابد منه، فالبعض يرى أن بعد الطحاوية وبعد شرح ابن أبي العز لها، يمكن ينتقل مثلًا إلى

"الرسالة التدمرية" لابن تيمية لما فيها من القواعد المهمة في باب الأسماء والصفات، وأيضًا من القواعد المهمة في باب الشرع والقدر، يمكن ينتقل بعد هذا إلى الكتب المطولة في كتب العقائد التي تروي بالسند كـ"اللالكائي" مثلًا أو "السنة" لعبد الله أو "الشريعة الآجري".

وعلى كلٍ المقصود أن العبد أو أن طالب العلم يتنقل، ينتقل من الكتب المختصرة إلى الكتب المتوسطة إلى الكتب المطولة والله أعلم.

أيها الأحبة الكرام في ختام هذه الدورة المباركة لدرس العقيدة الطحاوية لا يسعني بعد شكر الله -جل وعلا- أن أتقدم بالشكر الجزيل لصاحب الفضيلة الشيخ الدكتور عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف أستاذ العقيدة بكلية أصول الدين بالرياض على ما بذله في هذه الدورة المباركة من جهد نسأل الله أن لا يحرمه الأجر والمثوبة وأن يجزيه عنا خير الجزاء، شكر الله لكم فضيلة الشيخ وبارك الله فيكم.

وأنا أشكركم وقبل هذا نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه على هذا التيسير وعلى هذا التسهيل، ونسأله -سبحانه وتعالى- لنا ولكم القبول، كما نشكر أيضًا لأخينا عبد الرحمن الريس جهده وحسن تعامله معنا في هذا البرنامج، ونشكر الإخوة الكرام الذين حضروا معنا، ونشكر أيضًا كذلك الذين معنا في هذا المكان ممن هم من وراء الكواليس، فنسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يثيب الجميع، ونشكر الإخوة الذين تابعونا من خلال هذه الدورة ونسأله -سبحانه وتعالى- أن يجعل عملنا وعملكم خالصًا لوجهه الكريم، وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الإطْلالاتُ السَّنِيَّةُ على سِيْرَةِ شَيْخِ الإِسْلامِ ابن تَيْمِيَّة وَفَتْوَاه الحمويَّة

الشيخ / د. حمد بن عبد المحسن التويجري

الدرس الأول

"الإطْلالاتُ السَّنِيَّةُ على سِيْرَةِ شَيْخِ الإِسْلامِ ابن تَيْمِيَّة وَفَتْوَاه الحمويَّة"

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله؛ فلا مُضلَّ له، ومن يضلل؛ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله –صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا–، وبعد...

نسأل الله –سبحانه وتعالى– في بداية هذه الدروس أن يُعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا إنه سميع عليم، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، والإصابة فيهما!

مُؤلفُ هذه الرسالةِ –كما يُقال– عَلَمٌ على رأسه نارٌ، وأشهر من أن يُعَرَّف في نطاق البشر. فشهرته واسمه طَبَّقا الدنيا، وقلما تجد شخصًا –وإن كان متوسطَ التعليم– يجهل هذا الإمام، ولكن لا مانعَ أن نُعطي نُبذةً مُوجَزةً كمدخل للكتاب عن هذا المؤلف؛ فنقول:

هو: أبو العباس تقيُّ الدين شيخُ الإسلام أحمد بنُ عبد الحليم بنِ عبد السلام بنِ عبد الله بنِ محمد بن عليّ بنِ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ ثم الدمشقيُّ.

"تَيْمِيَّة" هذه قيل: إنها والدةُ جدِّه محمد، وكانت طالبة علمٍ؛ فنسبت هذه الأسرة إليها.

وُلد –رحمه الله– بحرَّان في العراق سنة ٦٦١هـ، ثم سافر به والده سنة ٦٦٧هـ إلى دمشق بعد أن هجم التتار على بلاد العراق.

نشأ في دمشق، وشَبَّ وترعرع وعاش في هذه المدينة، ونهل من علمائها إلى أن توفي سنة ٧٢٨ هـ، وكان سجينًا بقلعة حلب.

وصفه تلاميذه ومعاصروه فأبانوا وجَلَّوْا حقيقة هذا الرجل. يقول عنه تقيُّ الدين ابنُ دقيقِ العيدِ لَمَّا قابله وسُئل عنه؛ كيف رأيت هذا الرجل؟! قال: رأيت رجلا سائرُ العلوم بين يديه يأخذ منها ما شاء ويَذَر.

الإمام الذهبي وهو يُعتبر من الصيارفةِ النُّقاد في باب الرجال، وهو من تلامذة الشيخ، وإن كان البعض يَعُدُّه من أقرانه لكنه –في الواقع– من تلامذة الشيخ.

ذكر الذهبي أن الشيخ بَرَّزَ في سائرِ العلومِ، حتى قال في مجال الحديث: "كل حديث لا يعرفه ابن تَيْمِيَّة؛ فليس بحديث"، وقال: "لو حُلِّفْتُ بين الرُّكنِ والمقام أني ما رأيت مثله ولا هو رأى مثل نفسه؛ ما حنثتُ".

ويكفيه شرفا وفخرا أنه تَخَرَّجَ على يديه وتتلمذ على يديه كبارُ الأئمةِ؛ كالإمام ابن القيم، والإمام ابــن كثيــر صاحب التفسير، والإمام الذهبي، والإمام ابن مُفلح. فهؤلاء أعلام وأئمة، وهم ثمرة من ثمرات هذا الإمام العظيم.

لا يستطيع الإنسان أن يُجَلِّيَ هذه الشخصية في درسٍ أو درسين، ولهذا كُتِبَ عنه مؤلفاتٌ في حياته، وفي طلبه للعلم، وفي جهاده، وفي صبره. كان مدرسة -رحمه الله- في كل شيء؛ مدرسة في العبادة، مدرسة في السلوك، مدرسة في طلب العلم، مدرسة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مدرسة في التعامل مع الآخــرين، فــي التعامل مع الحكام. فقلما تجد مجالا إلا وله اليدُ الطُّولى فيه. هذه لمحة موجزة عنه -رحمه الله-.

يقول عنه ابنُ عبد الهادي وابنُ كثيرٍ: إنه جَلَسَ للفتيا والتدريس وعمره سبع عشرة سنة، وَخَلَفَ والــده فــي "المدرسة الظاهرية" وعمره تسع عشرة سنة.

يقول ابن كثير: وأول درس ألقاه حضره كبار العلماء والقضاء وعلى رأسهم قاضي القضاة، وتعجبــوا مــن العِلْمِيَّة الفَذَّة لدى هذا الشخص، ولهذا يقول ابنُ كثير: دَوَّنْتُ الفوائد التي سمعتها آنذاك، أو دُوِّنَتْ هذه الفوائدُ.

حَفِظَ القرآن وعمره تسع سنوات، يقول ابن عبد الهادي في ترجمته: سمع به رجلٌ من أهل حلب، وجاء يسأل عنه وكان لا يزال صغيرا عمره أحد عشر سنة.

في حياته؟

نعم، سمع بابن تَيْمِيَّة، وأنه صاحبُ ذكاءٍ مُتَّقِدٍ، فسأل شخصا في المنطقة الذي هو فيها أين ابن تَيْمِيَّة؟ قــال: الآن يخرج إلى الكتاتيب. فخرج ذاك الطفل الصغير، ومعه لوح يحمله، فقال: هذا ابنُ تَيْمِيَّة، فناداه وكتــب لــه مجموعة من الأحاديث، قال: انظر فيها، فنظر فيها وقرأها، ثم أخذها منه، فقال: اعرضها عليَّ؛ فعرضها كمــا كتبها فقال: إن بقي هذا الفتى؛ لَيَكُونَنَّ له شأنٌ.

فكان له شأن

فكان له شأن.

في الحقيقة دعوة في هذه العجالة وفي هذه الحلقة في مقدمتها منكم يا شيخ حمد للاستزادة من سيرة هذا العالم الفذ، والقراءة المتوسعة فيها لعلها تَشْحَذُ الهممَ -أيضا- للإخوة الذين يُتابعون فيها هذه الدروس وهذه الأكاديميــة المباركة لأن تَتَّقِد همتهم نحو طلب العلم

لا شك، ولهذا محمد فؤاد عبد الباقي -رحمه الله- لما تكلم على بعضِ أهلِ العلمِ وجاء الكلام على ابن تَيْمِيَّة؛ قال: أمَّا ابن تَيْمِيَّة؛ فليس بعالمٍ، وإنما آيةٌ من آيات الله -عز وجل-.

فأنت مهما قَلَّبْتَ النظر في حياة هذا الإمام؛ وجدته مدرسة في كل شيء، ولهذا أدعو نفسي، وأدعو إخــواني من المشاهدين والمشاهدات للاستزادة من قراءة سيرة هذا الإمام.

أحسن الله إليكم، وبارك فيكم! لعلنا -أيضا- في هذه المقدمة وفي هذه المداخل يا شيخ حمد ندلف للكتاب الذي بين أيدينا في هذا المقام في هذا الدرس، وهو «شرح الفتوى الحمويَّة الكبرى»، نريد إيضاح قضية الكبرى، وهل هناك "حموية صغرى"؟

نعم، لمَّا ذكَرَ ابن عبد الهادي وابن القيم –رحمهما الله– مؤلفات الشيخ وأجدها مناسبة أن أذكر أن ابن القيم نَصَّ على أكثرَ من ثلاثمائة وثلاثين مؤلَّفا للشيخ ذكرها بأسمائها، أكثر من ثلاثمائة وثلاثين ألفها وكتبها بيديه؛ منها بالطبع الذي يعتبر موسوعة مثل: «درء تعارض العقل والنقل» عشرة مجلدات، و"نقض التأسيس"، و"منهاج السنة"، ومنها الرسالة الصغيرة. فلما ذكر مؤلفاته؛ ذكر منها «الحمويَّة الكبرى» و«الحمويَّة الصُّغرى»، وكذلك ابن عبد الهادي –وهو من تلامذته– ذكر الحمويَّة الكبرى والحمويَّة الصغرى.

التي بين أيدينا، والتي انتشرت في أيدي الناس هي «الحمويَّة الكبرى»، هل هناك وجود الحمويَّة الصغرى؟ ذكَرَ محبُّ الدين الخطيب، وقبله محمد فؤاد عبد الباقي –رحمهم الله– أن الحمويَّة الصغرى هي عبارة عن إجابة الشيخ لأصل هذا الكتاب، يقولون: ثم انتشرت هذه الفتوى بين أيدي الناس فأعاد الشيخ النظر فيها، وزاد فيها بعض الأشياء فهي الحمويَّة الكبرى.

الحمويَّة الكبرى أشمل من الصغرى؟

نعم، لكن لا وجودَ –الآن– للفتوى الحمويَّة الصُّغرى، إنما الموجودُ هي الفتوى الحمويَّة الكبرى.

بالرجوع إلى هذا الكتاب يا شيخ يُلاحظ التَّعَدُّدُ في عناوينه. هناك في مؤلفات شيخ الإسلام من حصرها أطلق على هذا الكتاب أكثرَ من عنوان؛ فما السبب في هذا الاختلاف فيما يتعلق بهذا الكتاب في العقيدة؟

لعلي أعلق –قبل الإجابة على هذا السؤال– على مسألة معنى هذا الاسم أو ما معنى الفتوى الحمويَّة الكبرى؟ ولعلها امتدادٌ للسؤال السابق.

أما تسميتُها بالفتوى؛ فلأن أصلَ الكتاب فتوى وردت إلى الشيخ من أهل "حماة" فكتب لهم الجواب، ولهذا أُطلق عليها الفتوى الحمويَّة لأن أصل الكتاب سؤال ورد من أهل "حماة".

وهذا له نظائر في مؤلفات؛ أنْ يُسمى الكتاب باسم مدينة السائل، أو المكان الذي ورد منه السائل؛ مثل "التدمرية". أصل "التدمرية" أن بعض أهل "تدمر" سألوا الشيخَ أن يكتب لهم في التوحيد، والشرع، والصفات؛ فكتب لهم هذه الرسالة. ومثل "الواسطية"؛ لأن السؤال جاء من رجل من أهل "واسط"، وكذلك "الأصفهانية"، وهَلُمَّ جَرًّا.

فكذلك "الحمويَّة" سُمَّيت "الحمويَّة"؛ لأن السؤال ورد من أهل "حماة"، و"الكبرى"؛ تَمْييزًا لها عن الصغرى.

بالطبع لما نأتي ونُقلب فيمن كتب عن الشيخ ومؤلفات الشيخ؛ نجد هذا الكتاب وَرَدَ بِعِدَّةِ أسماء، وليس هذا خاصًّا بالحمويَّة فقط، بل جُلُّ مؤلفات الشيخ خاصَّةً في باب العقائد يغلب عليها سمة كثرة العناوين، فما تجدُ هناك عنوانا متفقا عليه. فتجد ابن عبد الهادي يُطلق عليه اسما، وتجد ابن القيم يطلق عليه اسما آخر، وتجد ابن كثير يُطلق عليه اسما آخر، وكذلك ابن الزَّمْلَكَانِيّ والمتأخرون، وتأخذ النسخ الخطية؛ تجد النسخة هذه عليها اسم.

عندنا "الفتوى الحمويَّة" سُمِّيَتْ "الفتوى الحمويَّة" وسميت "القاعدة الحمويَّة"، وسميت "جواب الحمويَّة"، وسميت "الحمويَّة" حتى الشيخ أحيانا يطلق عليها هذا الاسم وهذا الاسم.

فما السبب في ذلك؟!

لماذا كثرت عناوين مؤلفات شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة؟!

هو بنفسه تولى الإجابة، حيث قال في مناظرة "الواسطية": «وأنا لم أكتب حرفا واحدا في هذا الباب».

لماذا؟!

لأنه يرى أن هذا الباب أُحْكِمَ، وكتب فيه المتقدمون من السلف، ولا يوجد -فيه- عندنا مزيد. ولهذا يقول: ما كتبتُ لأحدٍ حرفًا ابتداءً في باب العقائد.

إذن ما الذي كتبه لنا هذا؟!

هذا التراث.

قال: «وكل ما كتبتُه في هذا الباب إما إجابة لسؤالٍ، أو رد على مُبتدِع. ولذا؛ إجابة السؤال، والردّ على المخالف لا يضع له الكاتب عنوانا. فالسائل يأتي يسأل عن مسألة فيكتب له الجواب ويعطيه الجواب.

ليست مقصودة في ذات المؤلف

فالذي يضع العنوان هو الذي يُؤلف ابتداءً، ولهذا؛ فالذي يضع العنوان هو من أتى بعد الشيخ. فيقرؤون ويتقمصون ما في الكتاب فيجتهدون في وضع العنوان؛ فحصل الاختلاف في عناوين كتب الشيخ.

فضيلة الشيخ! لعلنا نعرض للإخوة المشاهدين هذا الكتاب الذي سيُشرح، وهو "الفتوى الحمويَّة الكبرى" وهو من دراستكم وتحقيقكم يا شيخ حمد. كما أشرتم إلى أن تحقيق هذا الكتاب من تسع نسخ خطية، وهذا أيضا النسخ كان لها عناوين مختلفة أيضا أم لا؟

نعم، ولكن تم الاختيار إلى أقرب العناوين التي اتفق عليها من كَتَبَ عن مؤلفات الشيخ.

وهي أيضا دعوة للإخوة لمن استطاع أن يتابع هذا الدرس المبارك مع حصوله على هذا الكتاب من دراسة وتحقيق فضيلة الشيخ/ الدكتور حَمَد التُّوَيْجِريِّ بأن يتابع معنا، وإلا؛ فهناك أيضا نسخ أخرى

أنا أقول: لا يُلتزم بهذا؛ لأنَّ المهمَّ هو المتنُ، والمتن طُبِعَ عدة طبعات؛ فيحسن دائما في مجال طلب العلم أن يكون بين يدي طالب العلم كتاب، وأن لا يحضر خاليَ اليدين؛ لأن الفائدة ستكون محدودةً، لكن عندما يكون بين يديه كتاب أنا أقول: يأخذ أيَّ متنٍ من المتونِ الحمويَّة وهي كثيرة جدًّا ولا يلزم تحقيق محدد.

هل هناك اختلافٌ كبيرٌ بين نسخ المتن؟

لا، ليس هناك اختلافٌ كبيرٌ، وسيمر علنيا بعض الاختلافات الجوهرية ولكنْ هذه نُبِّهَ عليها. لكن في الجملة ليس هناك اختلاف كبير، ولهذا نقول: أي نسخة تكون بين يديْ المتابع والمشاهد تكفي.

لعلنا -إن شاء الله- في الدرس القادم يتسنى للإخوة المتابعين لنا في هذا الدرس المبارك أن يَقْتَنُوا نسخةً فيها متنُ هذه الفتوى المباركة، ويتابعوا معنا.

نعود للكتاب يا شيخ حمد في قضية سبب التأليف بالشكل الخاص. أشرتم إلى سبب التأليف بشكل عامٍّ لشيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة في مجال العقيدة. لكنَّ سبب تعريف هذه الفتوى أو الكتابة فيها وتاريخها والمدة أيضا التي مكث فيها شيخ الإسلام في تأليفها وكتابتها؟

سبب التأليف أشار إليه الشيخُ، ونَصَّ عليه؛ فلا مجال فيه للاجتهاد. قال: "فقد وردني سؤالٌ من أهل "حماة" يطلبون أن أكتبَ لهم عقيدة أهل السنة والجماعة في موضع الكتاب كما سيأتي، فأصل الكتاب هو سؤالٌ وَرَدَ على الشيخ فأجابهم الشيخ.

اعتذر أوَّلَ الأمرِ فألحوا عليه؛ فكتب لهم الجواب، وهذه عادته في طلب كتابة عقيدة مُجملة؛ لأنه يُحيلهم على مَنْ قبله، فيقول: الأئمة والعلماء قبلي قد كتبوا وأحكموا هذا الباب. لكن أحيانا -كحالنا- يُلِحُّ بعضُ الناس يُريدُ أن يعرف رأيك، أو يريد أن يأخذ هذه المسألة بأسلوبك. تُلاحظ -مثلا- قد يأتي بعض السائلين إلى الشيخ عبد العزيز آل الشيخ مُفتي المملكة فيحيله إلى كتاب، أو إلى فتوى سابقة، فيُلح على الشيخ؛ يقول: لا يا شيخ، أنا أريد أجابتك بقلمك أنت، فكتب لهم شيخ الإسلام -رحمه الله- هذا الفتوى.

هل كانت كتب العقيدة منتشرةً وموجودةً في زمن شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة لمن ألفها من قبل؟

نعم، هذا الذي يظهر، ولهذا سنلاحظ أن الشيخ نَقَلَ في هذه الرسالةِ اللطيفةِ عَشَرَات النُّقُولِ عَنِ الأئمةِ والعلماءِ، وعن كُتُبٍ لا زال جزءٌ كبيرٌ منها مفقودا، ومُعَوَّلنا فيها على ذكر الشيخ وذكر غيره من العلماء، ونقل منها الشيخُ في هذا الكتاب. فكانت موجودة، ولكن يبقى هل هي منتشرة؟ نعم، أكثرها كان منتشرا لكنَّ الإشكالَ فهمُ هذه النصوصِ التي جاءت في هذه الكتب، فَهِمَهَا كثيرٌ من الناسِ -بِتَلْبِيْسِ أهلِ البدعِ- على غير مُراد أهلها، وعلى غير مراد السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

عفوا! سؤالا أيضا يرتبط بإجابتكم قبل قليل: هل كانت حجم البدع والإشكاليات العقدية الموجودة في ذلك الزمان الذي يَسْتَدْعِي أنْ يُرسِلَ أهلَ حماة مثل هذه الرسالة لشيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة يريدون التَّجْلِيَة في قضية العقيدة، هل كانت منتشرة؟

لا شك، نقول بلا تحفظ: إن منهج المتكلمين أو الأشاعرة كان السائدَ آنذاك خاصَّةً في الأوساط العلمية، وحاولوا أن يَنْشُرُوا هذا المذهب على أنه هو مذهب أهل السنة والجماعة، وهنا تكمنُ الخطورة، فكون هذا المذهب ينتشر باسمه الأصليِّ ليس فيه إشكال.

لكنْ كون هذا المذهب ينتشر باسمٍ آخرَ، ولهذا الشيخ ما قَرَّ له قرارٌ حتى بَيَّنَ أنما هو منتشرٌ في أوساطِ بعضِ الناس بما يُسمى بمذهب أهل السنة والجماعة ليس هو مذهبَ أهل السنة والجماعة، وليس هذا هو عقيدة أهل السنة والجماعة.

في ذلك الزمان؟

نعم، بل أكثرُها على قواعدِ المعتزلة اللذِينَ يُعَدّون أعدى عدوٍّ للمتكلمين. ولهذا أَلَحَّ أهل حماة وأهل واسط أن يكتب لهم في عقيدة أهل السنة والجماعة، وأوجدت هذه المؤلفات رَدَّةَ فعلٍ قويةٍ ربما سنأتي على ذكر شيءٍ منها.

متى ألفها؟

ذكر -رحمه الله- في "نقض التأسيس" أنه أَلَّفَ هذه الرسالة بعد التسعين وستمائة، وذكر ابنُ عبد الهادي -رحمه الله- تلميذه أنه ألفها بالضبط في العاشر من ربيع الأول سنة ٦٩٨هـ.

أما المدةُ التي قَضَى في تأليفِها؛ ففي جلسةٍ ما بين الظهر إلى العصر، هذه الرسالة التي سنجلس نَتَدَارَس في إلقاء الضوء على شيءٍ مما فيها لمدةِ فصلٍ كاملٍ، وربما لو شُرِحَتْ بتفصيل؛ لأخذت مجلداتٍ ألفها -رحمه الله- في قَعْدَةٍ -كما ذَكَرَ هو وَذَكَرَ تلامذتُه- ما بين الظهر إلى العصر.

ربما البعض يذهب هذه الساعة في قيلولةٍ في نومةٍ

لا شك، أو في تفكيرٍ أو في قضاء بعض الأمور، ولعلِّي أَجِدُها -هنا- فرصةً سانحةً لأُوضِحَ وأبين مكانة هذا الإمام وهذا العالم. لاحظْ معي ويلاحظ معي المشاهدُ الكريم هذا الكتاب المليءَ بالنقول، وكلام الأئمة، والنقل من مؤلفات أَلَّفَهَا في جلسة بين الظهر والعصر بمعنى أنه كتبها من حافظته وما رجع إلى مَرَاجِعَ حتى إنه أحيانا -كما سيتضح- يبين لنا فروق النسخ؛ يقولُ: جاء في نسخةٍ كذا، وجاء في النسخة الأخرى بلفظ آخر، وهذا مما يُبَيِّنُ ويُجَلِّي مكانة هذا الإمام وهذا العالم.

أيضا الرسالة هذه الذي أعرفه أنا سابقا أن طلاب المعاهد العلمية يدرسونها بشكلٍ مُجملٍ في مدةِ سنةٍ كاملةٍ، بشكل مجمل وليس بشكل مُفَصَّلٍ، والشيخ أَلَّفَهَا في مثل ما ذكرت ربما في ساعة، أساعة ونصف في جلسة ما بين الظهر والعصر. كما أنه ألف الواسطية بعد العصر إلى المغرب.

لعلنا أيضا ندخل في قضية الكتاب بشكلٍ من التفصيل، والموضوعات التي تطرقت إليها شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة في مادة الكتاب وموضوعها كما ورد؟

بالطبع الكتاب يعتبر من متون العقيدة، والشيخ ألف هذه المتون المختصرة إما في عقيدة أهل السنة والجماعة على وجه الإجمال؛ مثل الواسطية، ومثل الوصيَّة الكُبرى، وهناك متونٌ أَلَّفَهَا في بعض مسائلِ الاعتقادِ؛ كالمتن الذي بين أيدينا فهو متوسط الحجم، ألفه للكلام فيما يُسمى بالصفات الخبرية، وهي من المسائل التي جَرَى الخلافُ فيها بين أهل السنة وبين المخالفين، وعلى رأس هؤلاء الأشاعرة.

ويتبين من موضوع الرسالة أصلُ السؤال في أول الكتاب سئل عن حديث: (إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ -كُلَّهَا- بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ)، وحديث: (لا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ)، وآية: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فإذا أخذنا هذا السؤال؛ وجدنا أنه يدور في مسألة الصفات الخبرية، ولهذا تَرَكَّزَ كلام الشيخ حول هذه المسألة، وعلى صفة العلو على وجه الخصوص. وبالطبع -كما هي عادة الشيخ- تَطَرَّقَ لبعض المسائلِ المتعلقة بهذه المسائل؛ كقواعد عامة مثل التأويل، مثل موقف الناس من الصفات على وجه العموم، مسألة الْمَعِيَّة، منهج المتقدمين في توحيد الأسماء والصفات على وجه الإجماع.

هَل انْتَشَرَ الكتابُ في زَمَن شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة أم أنه انتشر بعد وفاته؟

بالطبع لما نقرأ التاريخ؛ نعرف أن الشيخ -كما أشرتُ في مقدمة اللقاء- وُوجِه بِرَدَّةِ فعلٍ لما أَلَّفَ هذا الكتابَ، وكانت هذه من أوائلِ الْمِحَنِ التي حصلت له ثُمَّ تَلَتْهَا المحنُ.

هذا الذي كنتُ أُريد أنْ أَصِلَ إليه؛ هل كانت هناك ردة فعل لهذا الكتاب ولشيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة من تأليفه في زمن حياته وحتى بعد وفاته؟

نعم، حصلت رَدَّةُ فعلٍ في حياته لَمَّا ألف هذا الكتاب؛ قامت قيامة بعض مُعاصريه ممن تَأَثَّرُوا بمذهبِ المتكلمين. والسبب أنه رَجَّحَ مذهبَ السلفِ على مذهب المتكلمين المنتشر آنذاك.

لماذا ضَعُفوا من تأليفه هذا الكتابَ؟

بالطبع واجه هذا الكتاب نوعيْن من رَدَّةِ الفعل: محاولة الإيذاء الجسدي المباشر للشيخ، وذلك في السعي للحكام، والتأليب عليه، ونشر الدّعاية الفاسدة في أوساط عامَّة الناس تُجاه الشيخ، والجانب الآخر من ردة الفعل التأليفُ في الرَّدِّ على الشيخ في رسالته هذه.

والسببُ في ذلك أن الشيخَ جاءَ إلى ماءٍ راكدٍ وحاولَ أن يحرك هذا الماءَ وَرَمَى فيه بحجرٍ كأنه قال للناس: أنتم نِيَامٌ، فالمذهبُ المنتشرُ بين أيدي الناسِ المسمى بمذهب أهل السنة ليس هو مذهبَ أهلِ السنةِ، وألف هذه الرسالة وَمَلأَهَا بالنقولِ التي احتار أمامها هؤلاء.

لماذا؟

لأنه يقول:

إن كنتَ حنفيًّا في الفروع؛ فهذا كلامُ إمامِكَ الإمامِ أبي حنيفة ومحمد بن الحسن في الأصول، لماذا اتبعتَه في الفروع وتركت كلامه في الأصول؟!

إن كنت شافعيا؛ فهذا كلامُ أئمةِ الشافعية المتقدمين.

إن كنت حنبليا؛ فهذا كلام الحنابلة.

إن كنت مالكيا ... وهكذا.

إن كنت صوفيًّا؛ فهذا كلام أئمة الصوفية المتقدمين.

إن كنت أشعريًّا؛ فهذا كلام الأئمة المتقدمين من الأشاعرة.

فجميعُهم يُخالف ما أنت عليه، ولهذا أُصيبوا بردة قوية، فامتُحِنَ الشيخُ بسبب هذه الرسالة، وأُوذِيَ بسببها، وتوالتْ عليْه المحنُ إلى أن انتهى الأمرُ بأنْ مُنِعَتْ كتبُه، وأصبحت محظورةَ التداولِ، بل اعتُبِرَ وجودُ شيءٍ منها جريمةً، وأُودِعَ السجنَ. وسُمِحَ له –أولَ الأمر–بالكتابةِ والتقاء الطلاب، ثم أُبْعد عنه هذا كلُّه.

وآخر محنة امتُحِنَ الشيخُ بسببها وأودع السجن بسبب فتوى له في مسألة شدِّ الرِّحَال إلى القبور فَحَرَّفُوا فيها، وزادوا ونقصوا، وأَلَّبُوا عليه الحكام.

لكنَّ أحدَ تلامذةِ الشيخ والمعاصرين له ويقال له أحمد بن مرِّي الحنبليّ كَتَبَ كتابا يُكتب بمِدَادِ الذَّهَبِ رسالةً يوصي فيها تلامذة الشيخ بأن يَحْرِصُوا على جَمْعِ مؤلفاتِ الشيخِ، ويقول: أنا أعرف أنها –الآن– متفرقة، ولا أَحَدَ يستطيع أن يُخرجها، ولكن حَاوِلوا قَدْرَ الإمكان جَمْعَها والمحافظة عليها. والشاهد قوله: وواللهِ –إن شاء الله– لَيُخْرِجَنَّ الله مَنْ يَسْعَى لإخراجِ هذا الكلامِ وشرحِه، وبيانِه، ونشره بين الناس، واستخراج محاسنِه رجالاً هُمُ الآن في أصلاب آبائهم.

وَوَقَعَ ولم يَحْنَثْ في يمينه، وقع ما توقعه بفراسته؛ لأنه قال: هذه سنة الله –تعالى–، فالحق لا بد أن يخرج، ولم يمضِ على وفاته إلا مدةٌ يسيرةٌ وَتَسَابَقَ الناسُ في مشارقِ الأرضِ ومغاربها لإخراج هذا الكلام، حتى أصبح مَدْعَاةً للشَّرَفِ، وأيضا الجانب التِّجاري فالآن المراكز التِّجارية والمكاتب التِّجارية تتسابق لطباعةِ هذا الكتابِ،

وبعض دور النشر نَصْرَانِيَّة ليست مسلمة. وقلما الآن تجد يكتب في أيِّ مسألةِ من المسائلِ مسائل الاعتقاد على وجه الخصوص وبقيَّة المسائل إلا ويُذكر رأيُ شيخ الإسلام، وَيَتَسَابَقُ الناسُ للبحثِ عن رأي شيخ الإسلام.

تجد إذا قرأتَ في مسألةٍ يسألك فيها سائلٌ: ما رأيُ شيخ الإسلام في هذه المسألة؟ ماذا قال شيخ الإسلام؟

وإن كانت هذه الصفة قد لازمت شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة؟

إذا قيل شيخ الإسلام؛ أُشير إليه

يقول: هل شيخ الإسلام هو أول من سَمَّى مصطلح "السلف" على أهل السنة والجماعة؟

لا، ليس هو أولَ من أطلق هذا الاسم على أهل السنة الجماعة، بل هذا الاسم أولا سيأتي لنا -إن شاء الله- في أوَّلِ المتن له جانبٌ لُغَوِيٌّ وله جانبٌ اصطلاحيٌّ: الجانب اللغوي: السَّلَفُ في اللغة: المتقدِّم في الزَّمان، فسلف الرجل آباؤه وأجداده، أما في الاصطلاح؛ فسيأتينا في المسألة خلافٌ على ثلاثة أقوال.

فعلى كُلِّ حالٍ سَبَقَه إلى هذا بعضُ الأئمة ممن أطلقوا هذا الوصف على أهل السنة والجماعة.

يقول: هل طُبِعَ شرحُ الشيخ حمد التويجري -حفظه الله- على هذا المتن؟

لا أعرف، أنا سَبَقَ أن شرحتُه في دورة "شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة" وأنزلوه على موقعهم ووعدوا -هُمْ- أنهم سيخرجونه لكن ما أخرجوه.

وكما أشرنا قبل قليل بأن الكتاب هو من تحقيق ودراسة الشيخ حَمَد، وهو موجود من إصدار دار الصُّميعي، ويبدو أنَّ نُسَخَه قد نَفِدَت

نعم، لكنني أُكرر بأنَّ المتونَ الموجودةَ -جميعها- كافية، ولا يَلزم أن يكون الكتاب بتحقيق معين؛ لأنَّ الآن -والحمد لله- المتن في الجملة ليس هناك -فيه- فارقُ اختلافٍ.

لعلنا نستعرض معكم يا شيخ قضية الجهد الذي بُذل في إخراج هذا المتن، ودراسته، وتحقيقه، وقبل ذلك هناك تساؤلٌ من أخ يقول: هل هناك شروحٌ مُحَرَّرَة على "الفتوى الحمويَّة" موجودة ومطبوعة؟

لا أعرف أن هناك شرحا -الآن- محررًا ومطبوعا، والموجود -غالبا- تعليقاتٌ وتحقيقاتٌ كُلٌّ بحَسَبِ اجتهاده.

والمهم في مثل هذه الرسائل أن نحرص على المتن الذي نَعتقد أنه أقرب المتون للنسخة التي كتبها الشيخ. بالطبع هناك نُسَخٌ كثيرة كانت مطبوعةً ومُنتشرةً بين أيدي الناس كان فيها عبارة أُقْحِمَتْ في كلام الشيخ وهي ليست من كلام الشيخ عبارة تحمل معنى باطلاً، ولهذا نَبَّهَ عليها بعضُ المشائخ المعاصرين مثل: الشيخ حَمَّاد الأنصاريّ -رحمه الله-، والشيخ عبد الله بن جبرين، وبعض المشايخ لما مَرَّت عليهم العبارة؛ قالوا: أبدًا يَستحيل أن يكون هذا من كلام الشيخ.

لكن يَسَّرَ الله -عز وجل- بعد جَمْع النسخ تَبَيَّنَ فعلاً أنها مُقْحَمَة، وأنها وردت تعليقًا على نسخةٍ مطبوعةٍ حجريَّةٍ قبل أكثر من مائة سنة في الهامش.

ولَعَلَّ النساخَ جاؤوا وأدخلوها في كلام الشيخ، وهي قوله: "إن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم واحكم". وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت من بعض العلماء قد يُراد بها معنًى صحيحٌ هذا الكلام ليس من كلام شيخ الإسلام ولا يمكن أن يكون من كلام شيخ الإسلام؛ لأن هذه العبارة كما سيأتي باطلةٌ جُملةً وتفصيلاً، في اللفظ والمعنى.

وتكررت في بعض النسخ

بل هي في جُل النُّسَخ المطبوعة، وأذكر في سنةٍ من السنوات كنا نقرأ على الشيخ ابن جبرين؛ فقال: لا يمكن أن تكون هذه العبارة من كلام شيخ الإسلام. ولهذا قال لَزِمَ الرجوعُ والبحثُ في نُسَخ الكتاب؛ فالحمد تبين أنها ليست من كلام شيخ الإسلام.

لعلنا نأخذ معكم يا شيخ في عُجالةٍ قضية الجهد الذي بُذل وأبرز الصعوبات التي واجهتكم في دراسة وتحقيق هذا الكتاب؟

أولا: تشرفت أيّما تَشَرُّفٍ بخدمة هذا الكتاب؛ لأن هذا دينٌ أدين الله -عز وجل- به، وأن نَرُدَّ شيئا يسيرا جِدًّا من جميلِ هذا الإمام على الأمة.

هذا الإمامُ له فضلٌ على الأمة بعد فضل الله -عز وجل- لا يُقَدِّرُه قَدْرَه إلا مَنْ عَرَفَ الجهد الذي بذله، وحُقَّ له أن يقال عنه: إنه مُنَظِّرُ أهلِ السنةِ والجماعةِ، وهو الذي تَصَدَّى لأهل البدع على أصنافهم: الجهمية، والمعتزلة، الأشاعرة، والصوفية، فتصدى لهم بقلمه وبَيَّنَ حقيقة ما ذهبوا إليه بالشرع والعقل، واستخدم السلاح الذي استخدموه.

فغالبُ الأئمةِ المتقدمين رَدُّوا عليهم بالنقل، وهذا فيه كفاية ولله الحمد. لكنَّ الشيخَ أخذ نَفْسَ السلاح الذي تَسَلَّحُوا به واستخدمه في مقابل الشُّبَهِ التي عارضوا بها النصوصَ.

فأقول: أنا أَتَشَرَّفُ بخدمة هذا الإمامِ وهذا العالم، وليس هناك -ولله الحمد والمنة- صعوباتٌ تُذكر سوى الحصول على النسخ الخطية؛ فقد حَرِصْتُ كُلَّ الحرصِ أن أجدَ أقرب نسخةٍ للمؤلف لأجل أن تطمئنَّ النفسُ أن هذه العبارة هي عبارةُ المؤلف خاصَّةً في المواضع المشكلة عندما تتعارض النسخ. فَيَسَّرَ الله -عز وجل- نسخةً قديمةً وكاملةً، وجعلتها هي الأصل.

وأيضا من الصعوبات كثرةُ نقولِ الشيخ وجزء من هذه النقول من كتبٍ مفقودة، فيذكر الشيخُ الكتابَ وعندما نبحث عن هذا الكتاب؛ لا نجد له إلا ذكرا في فهارسَ فقط كعنوان. وأحيانا لا نجد له مخطوطا، ويكن مفقودًا. ولهذا تُعتبر مؤلفاتُ شيخ الإسلام خزينةً لمعرفة بعضِ المؤلفاتِ.

منها -أيضا- والتي لا أعدها من الصعوبات، لكن أعتبرها -ولله الحمد- من الأمور التي أراحتني كثيرًا؛ أنَّ شيخ الإسلام تَمَيَّزَ عن غيره مِنَ المحققين أنه خَدَمَ نفسَه بنفسِه. فما أجمله هنا فَصَّلَه في موضعٍ آخَرَ، ولهذا أحرص دائما على أنْ أربطَ كلامه المجملَ والمختصرَ هنا بما وَضَّحَه وشَرَحَه في المواضع الأخرى.

تقول: تريد تعليقا منكم يا شيخ حمد تقول: فضيلة الشيخ الفاضل! نُلاحِظُ دائما أنَّ أهلَ الضلالِ في عصرنا الحاضر يكرهون شيخَ الإسلام ابن تَيْمِيَّة، ويبادرون إلى تكفيره، ويظهر جليًّا حقدهم العظيمَ عليه، مثل الرافضة والأحباش، وغيرهم، فلعل هذا يكون بسبب انتهاج الشيخ نهجًا ربانيًّا يفضح المبطلين والضالين في كُلِّ عصرٍ

لا شك ما ذكرته الأخت هذا هو الواقع وربما سمعنا هذه الحرب الشعواء في هذه السنوات الأخيرة على هـذا الإمام، والسبب في ذلك كما قال –رحمه الله– في مقدمة ردِّه على البكريِّ قال: "إن من سُنَّةِ اللهِ –عز وجل– أن الله إذا أراد إظهارَ الحقِّ؛ هَيَّأ له من يُعارِضُه".

النبي –صلى الله عليه وسلم– لما ظهر وجاء بهذه الدعوة؛ هَيَّأ له من يُعارِضُه فكان هذا سببا في لظهور رسالته –عليه الصلاة والسلام–. هذه سنة الله –عز وجل– في الحياة، فكونهم وجهوا سهامهم تُجاهَ هذا الإمامِ لأنه أَقَضَّ مضاجعهم، ورَدَّ عليهم رَدًّا شافيًا كافيًا بالعقل والنقل.

وكما سيأتي في بعض المسائل، وعلى كل حال هذه سنة الله –عز وجل– قَبْلَه الأئمةُ الإمام أحمد والإمام الشافعي والإمام مالك، وبعده الأئمة أيضا وُجِهُوا بمثلِ هذا الإيذاء وهذا التشويه ولكنْ هذه سنة الله –عز وجل–.

وهذا أيضا فيه تسلية لأهل الحق في عصرنا، وعلى مدار التاريخ كما ذكرتم بأنهم سيُوَاجهون بمثل هذا الإيذاء، وهذا يزيدهم أيضا صلابةً وتمسكًا بالحقِّ

تقول:

السؤال الأول: هل في الاستطاعة أن تقولوا لنا كيف نحصل على الكتاب في أيِّ المكتبات؛ لأن خروجنا من المنزل للأشياء الضرورية أو للاستجمام الشرعي. فالمرأة المسلمة قليلٌ خروجها من المنزل إلا للحاجات الضرورية، أو للتعليم أو شيء مثل هذا؟

السؤال الثاني: أنا أقول –سبحانه وتعالى– على ما تقدم من كلام الشيخ حمد عن مؤلف هذا الكتاب الفاضل أسأل الله أن يرضى عليه ويرحمه! فسبحانه وتعالى أنا أقول: هذا دليل على أن الإسلام يَعلو ولا يُعلى عليه، إن هذا الشخص الذي استجاب له أن ينشر ربي هذا الكتاب في هذا الزمن وفي الزمن الماضي دليلٌ على أن مثلا الآن رواج الروايات الدنيئة، أو الغير مهذبة، والغير منقحة، والتي تروج في بلاد الحرمين هذا دليل على أن الإسلام سيَعلو مهما كانت الروايات أو الكتب الغير أخلاقية أو التي تُرَوِّجُ لها وسائلُ الإعلام للأسف المحلية أو وَزَارَات الإعلام عندنا في المملكة، نقول لها: الحق يَعلو ولا يُعلى عليه، فأرجو من وزارة الأعلام أن تكون في صف الصالحين والصالحات لا أن تكون في صف العلمانين والعلمانيات، أو المخالفين لنهج هذا البلد الذي قام على شريعة الله على كتاب الله

سبق أن قلتَ للحصول على نسخة من هذا الكتاب؟

النسخة ما في طريق إلا عن طريق المكتبة مباشرة.

ممكن الاتصال مُسْبَقً

نعم تتصل بالمكتبة ولعلهم يهيؤون، لا يرسلون عن طريق البريد.

أو تتأكد أنها موجودة؛ فتذهب، هي ما تريد أن تضيع وقتها في البحث عن الكتب وأشارت كما أشرتم إلى قضية علو الإسلام

ولعلي أيضا ما أنسى أن أُنَوِّهَ على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب الإمام المجدد الذي جَدَّدَ الدعوة السلفية في هذه القرون المتأخرة ما هي إلا امتدادٌ لدعوةِ شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة، ولهذا نلاحظ أن كتبه وكتب تلاميذه وأبنائه من بعده مليئةٌ بالنُّقول عن شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم -رحم الله الجميع-.

يشير ويعتذر يقول: لستُ طالب علم، ولكني قد وجدت سهولة في قرءاه وفهم قرأت لشيخ الإسلام أكثر من فهمي لمؤلفات المعاصرين. التعليق؟!

لعل الأفهام تختلف، وحتى مؤلفات الشيخ تختلف فالرسالة التي بين أيدينا تعتبر من الرسائل -ولله الحمد- سهلة العبارة، واضحة، غالبها نقولٌ عن الأئمة والعلماء، لكن مثلا لو أَخَذَ الشخص "نقض التأسيس" أو "درء تعارض العقل والنقل"؛ أحيانا تُشكِل؛ لأنه يَستخدم مصطلحاتٍ لا يَفهمها إلا من تَبَحَّرَ في هذا المجال.

وهذا يقودنا إلى أن الإنسان يسأل ويقترب من أهل العلم والمشايخ بمثل هذه القراءات حتى لا يلتبس عليه شيء، ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين.

الدرس الثاني

شرح وتعليق على كتاب الفتوى الحموية الكبرى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

كنا يا شيخ حمد -بارك الله فيكم- في الدرس الماضي ونحن -الآن- في الدرس الثاني من دروس هذا الكتاب المبارك تناولنا معكم مقدمة ومدخلَ هذا الكتاب؛ تناولنا مؤلفه، وجانبا من قضيةِ أسبابِ التأليفِ، واختلاف النسخ، وأيضا تغير المسميات المتعلقة بهذا الدَّرس فهل ترون أن نبدأ في هذا الدرس والدخول في الكتاب؟.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أشرنا في الدرس السابق كمدخل للمتن، وأعطينا ترجمةً مُوجزةً للمؤلف، واسم الكتاب، وسبب التسمية، وقلنا إن الاسم "الفتوى الحموية الكبرى" سُمِّيَتْ بـ: "الفتوى"؛ لأنها عبارة عن إجابةِ سؤالٍ وَرَدَ للشيخ من حماة. أما "الحموية"؛ فنسبةً للمكان الذي ورد منه السؤال وهو مدينة حماة. أما "الكبرى" تمييزًا لها عن "الفتوى الحموية الصغرى"، وذكرنا أن بعضًا ممن تَرْجَمَ للشيخ؛ كالإمام ابن القيم وابن عبد الهادي ذكروا أن لابن تَيْمِيَّة "الفتوى الحموية الكبرى" و"الفتوى الحموية الصغرى".

وذكرنا أيضا سنة تأليفها وأنها سنة ستمائة وثمانية وتسعين للهجرة، وقلنا -أيضا- إن تأليفَها أَحْدَثَ ردَّة فعلٍ قوية لدى بعض مُعاصِري الشيخ، ولعلنا اليوم نبدأ في المتن؛ فَسَمِّ الله.

قال المصنف -رحمه الله-: (سُئِلَ شيخُ الإسلامِ أبو العباسِ أحمدُ بن تَيْمِيَّة -وذلك في سَنَةِ ثمانٍ وتسعين وستمائة، وجرى بسببِ هذا الجوابِ أمورٌ ومحنٌ، وهو جوابٌ عظيمُ النفع جدًّا- فقال السائل: ما قولكم في آيات الصفات؛ كقوله -تعالى-: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥]، وقوله -تعالى-: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١]، إلى غيرِ ذلك من الآيات وأحاديثِ الصفات؛ كقوله -صلى الله عليه وسلم-: (إن قلوبَ بين آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن)، وقوله: (يضع الجبار قدمه في النار)، إلى غير ذلك من الأحاديث؟ وما قالت العلماء؟ وابسُطُوا القولَ في ذلك مأجورين في ذلك -إن شاء الله تعالى-.)

يُلاحظ أن الكتاب بُدِئَ بالسؤالِ الذي وَرَدَ على الشيخ فقال الناسخ: سئل شيخ الإسلام أبو العباس أحمد ابن تَيْمِيَّة، وتقدم الكلام على نسبه ولقبه وذلك في سَنَةِ ثمانٍ وتسعين وستمائة، وجرى بسبب هذا الجواب أمور ومحن، وذكرنا أيضا في اللقاء السابق أن تأليف هذه الرسالة، وانتشارها بين الناس أَحْدَثَ رَدَّةَ فعلٍ قويةً لدى بعض معاصري الشيخ، ولهذا امتحن بسببها، وتصدى بعض العلماء في ذلك الوقت أو ممن تَسَنَّمُوا منصبَ القضاء للردِّ على هذه الفتوى؛ فَرَدَّ عليهم شيخُ الإسلامِ -رحمه الله-. ولهذا قال الناسخُ: "وَجَرَى بسببِ هذا الجواب أمورٌ ومحن"، وهي من أوائل المحن التي تعرض لها الشيخ -رحمه الله-، وهو جواب عظيم النفع جدًّا، فقال السائل: هذا نصُّ السؤال الذي وَرَدَ على الشيخ، وذكرْنا أن الشيخ كتب الجواب في جلسةٍ ما بين الظُّهر والعصر.

يقول: ما قولكم في آياتِ الصفات كقوله -تعالى-: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾؟ سيأتي الكلام -إن شاء الله- على صفة الاستواء على وجه الخصوص، لكن نريد أن نُلاحظَ أن السؤال جاء مُحدَّدًا ومتعلقًا بآيات وأحاديث الصفات، وليس عموم الصفات، وإنما الصفات المسماة عند المتأخرين بالصفات الخبرية.

ما الصفات الخبرية؟

الصفات التي ثبتت فقط عن طريق الخبر، عن طريق الكتاب والسنة، ولا مجالَ للعقلِ أو الاجتهاد فيها بخلاف بعض الصفات؛ فيُلاحظ أنها ثَبَتَتْ بالشرع والعقل؛ مثل: العلم، والحياة، والقدرة، والإرادة .. إلى غير ذلك.

لكن هذه الصفات يُسميها المتأخرون –وإن كان مصطلحا ولا مُشَاحَّة في المصطلحات– الصفات الخبرية، فذكر صفة الاستواء في قوله: ؟ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ؟، وقوله –تعالى–: ؟ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ؟، وهنا إشارةٌ إلى صفة العلو؛ لأن ابن القيم –رحمه الله– يقول: "استوى إلى كذا" هذا بإجماعِ أهلِ اللغةِ أن المراد منه هو العلو. فقول الله –عز وجل– ؟ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ؟؛ أي علا وارتفع على السماء .. إلى غير ذلك من الآيات.

إذن الصفات الخبرية منها ما ورد في القرآن والسنة، ومنها ما ورد في السنة فقط دون القرآن. ولهذا سأل السائل عن النوع الثاني، وأما النوع الأول من الصفات الخبرية؛ فقد ذكر عليها أمثلة، ومنها: الاستواء ؟ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ؟.

النوع الثاني: قال: كقوله –صلى الله عليه وسلم–: (إن قلوبَ بني آدمَ بين أصبعين من أصابع الرحمن) والحديثُ ثابتٌ في صحيح مسلم. ففي هذا الحديث أخذ أهل السنة منه إثبات الأصابع لله –عز وجل–، لكنَّ المتأخرين من أهل الكلام، ومن أهلِ البدع أوَّلوا هذه النصوص، وقالوا: لا يمكن أن نُثبت لله صفة الأصابع. وسيأتي –إن شاء الله– الردُّ على ذلك والتفصيل فيه.

ثم قال: وقوله: (يضعُ الجبار قدمه في النار) والحديث ثابتٌ في الصَّحيحيْن: (يُلقى في النار حتى تقول: هل من مزيد حتى يضع فيها الجبار قدمه) وفي رواية (رجله)، فمن هذا الحديث أَخَذَ أهلُ السنةِ إثباتَ صفةِ القدمِ لله. لكنَّ أهلَ البدعِ اللذِين حَرَّفوا الكَلِمَ عن مواضعه قالوا: يستحيل أن نثبت لله القدمَ، وحَرَّفوا هذا الحديث الذي سَمَّوْه تأويلا، وسيأتي الكلام عليه لاحقًا .. إلى غير ذلك من الأحاديث.

وهذا نموذج فقط، فالسائل ما أراد الحصر، فهو أعطى الشيخ أمثلةً: قال: ما قول أهل السنة؟ ما العقيدة الصحيحة؟ ما المعتقد السليم في مثل هذه النصوص؟ وضرب للشيخ أمثلة على ذلك.

لكن عفوا يا شيخ حمد هل يُفهم أن هذه الآيات وهذه النصوص التي أوردها السائل كانت هي الأكثر في محلٍّ النقاش والخلاف في ذلك الوقت؟

لا، إنما أوردها كنماذجَ، وإلا؛ فجميع نصوص الصفات التي ثَبَتَتْ من طريق الخبر فقط هي محلُّ خلافٍ ومُعْتَرَكُ نقاشٍ بين أهل السنة ومخالفيهم، وإنما السائل أراد التمثيل فقط، ولهذا الشيخ لم يقتصرْ على هذه الصفات بل ذَكَرَ غيرَها، علما أنه تَرَكَّزَ كلامه في الفتوى على صفة العلو؛ لأنها من الصفاتِ الثابتةِ بالكتابِ، والسنةِ، والإجماع، والعقلِ، والفطرةِ، ومع ذلك أَجْمَعَ أهلُ البدع –بفِرَقِهم المختلفةِ– على تأويلِ وإنكارِ هذه الصفةِ. ولهذا رَكَّزَ الشيخُ على هذه الصفةِ كثيرًا، وحشد فيها الأدلة والأقوال .. إلى غير من الأحاديث وما قالت العلماء وأبسطوا القول في ذلك مأجورين –إن شاء الله–.

(فأجاب –رحمه الله–:

الحمد لله رب العالمين، قولنا فيها ما قاله الله، ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَاللذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ، وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتِهم ودِرَايتِهم، وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وغيره).

من هنا بدأت إجابةُ الشيخ -رحمه الله-. قوله: "الحمد لله رب العالمين": وَعَادَةً ما يبتدئ أجوبته بالحمد، وذلك لحديث: (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله؛ فهو أبتر)، ولأن النبي -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- كان يبتدئ خطبه بـ: "إن الحمد لله"، ولهذا سمة عامة لكتابات الشيخ أنه يبدأ بالحمد لله.

"قولنا فيها ما قاله الله، ورسوله، وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ": هذه قاعدة عامة في باب الاعتقاد على وجه الخصوص، وفي مسائلِ الشرع على وجه العموم أن القول في هذه المسائل مُتَوَقِّفٌ على ماذا؟! لا على رأيي، ولا على رأي ابن تَيْمِيَّة، وعلى رأي الإمام أحمد، ولا على رأي فلان ولا عَلاَّن، وإنما متوقفٌ على ما قاله الله، ورسوله، وما قاله السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار.

هذه هي القاعدة العامة، ولهذا عندنا من قواعدِ أهلِ السنةِ والجماعةِ في بابِ الأسماءِ والصفاتِ على وجهِ الخصوصِ أنَّ الأسماءَ والصفات توقيفيَّة.

ما معنى توقيفية؟

أي متوقفة على ورود النص، ندور مع النص حيث دَارَ.

"ما قاله الله، ورسوله، والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار واللذين اتبعوهم بإحسان، وما قاله أئمةُ الهدى بعد هؤلاء": أي القرون المتأخرة اللذين شهدت لهم الأمة، واستفاضت إمامتُهم بين العامَّة والخاصَّة؛ كالأئمة الأربعة، والسُّفْيَانيْن، والحمَّادَيْن، وغيرهم كثير.

فهؤلاء هم أئمةُ الهدى الذين تلقفوا هذا الدينَ، وتلقفوا هذا العلمَ وتلقفوا هذه الأصولَ عن التابعِين، وتلقفها التابعون عن أصحابِ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم-، وتلقفها أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- عن إمام هذه الأمة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي لا ينطق عن الهوى.

لديَّ هنا سؤالٌ: قلتُ إن من قواعدِ أهل السنةِ والجماعةِ أن بابَ الأسماءِ والصفاتِ توقيفيٌّ يدور مع النص حيث دار. والشيخ هنا يقول: "قولنا فيها ما قاله الله ورسوله" فهل توقف على هذا؟! "وما قاله السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار"؛ فكيف تقولون إن مسألة الصفات مسألة توقيفية ثم تذكرون قول السلف وقول الأئمة السابقين؟!

يُلاحظ أن الأدلة عند أهل السنة والجماعة في باب الاعتقاد يقولون: الكتاب والسنة والإجماع، وأحيانا يقولون: العقل، والفطرة. فتقولون: مسائل الأسماء والصفات توقيفية، ثم تُدخلون الإجماعَ، والعقلَ، والفطرة؛ فكيف يكون هذا؟!

أُحَوِّلُ السؤال بأسلوب آخر: ما فائدة الإجماع في باب العقائد؟ باب العقائد متوقفٌ على ورود النص؛ فما فائدة الإجماع؟

الإجماع نحتاج له أحيانا في مسائل الفروع، وفقه المسائل العملية، فقد لا يكون هناك دليل من الكتاب أو السنة على المسألة، والمسائل التي جَدَّتْ. لكنَّ مسائلَ العقائد مسائلُ ثابتةٌ؛ فما فائدة الإجماع؟

الجواب: الإجماع في باب العقائد وفي باب الأسماء والصفات على وجه الخصوص له فائدتان:

الفائدة الأولى: أننا كيف نفهم نصوص الكتاب والسنة؟! نفهمها بفهم السلف، وإلا؛ فجُلُّ أهل البدع يستدلون بنصوص الكتاب والسنة خاصة نصوص القرآن.

يستدلون بما يوافق هواهم وَفْقَ فهمهم الخاطئ

نعم، وَفْقَ فهمهم الخاطئ، ولهذا نحتاجُ إلى الإجماع، نحتاج إلى فهم السلفِ. ولهذا سيذكر الشيخ -رحمه الله- أن نصوص الكتاب والسنة مضبوطةٌ بفهم السلفِ، وليس كل من نظر في الكتاب والسنة استدل فيها على ما أدَّاه إليه اجتهاده. لا، فالمسألةُ مضبوطةٌ؛ كيف فَهِمَ السلف؟ كيف فهم الصحابة -رضي الله عنهم- أن هذا النصَّ دليلٌ على هذه المسألة؟

ولهذا قوله -سبحانه-: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥]، أهل السنة قالوا: هذه الآية دليلٌ على إثبات صفة اليدين لله وإلا؛ فكيف عرفنا أن هذه الآية دليلٌ على إثبات صفة اليدين؟! نرجع إلى أقوال السلف استدلوا بهذه الآية على إثبات صفة اليدين، وليس على كما يزعم أهلُ التأويل أو أهل التحريف أنها إثبات صفة القدرة لله -عز وجل-.

إذن الفائدة الأولى نستفيد من الإجماع أنه يُجَلِّي لنا المفهوم، والدلالة الصحيحة من هذا النص.

فهم النص

نعم، فهم النص لا بد فيه من أقوال السلف، لا بد من أقوال الصحابة، لا بد من أقوال الأئمة.

الفائدة الثانية: أن الإجماع زيادةٌ في التأكيدِ والحجة.

أضرب لكم مثالا: عندنا حادثة وقعت. تثبت بشهادة كم شرعا؟ بشهادة رجليْن عدليْن. حسنٌ، فلو جاءنا وأثبت هذه المسألة أربعةٌ أو خمسةٌ؛ أليس هذا فيه زيادة تأكيد؟!

بلى

لو كان هناك وسائل ما يُسمى بقرائن كتصويرٍ أو تسجيلٍ؛ أليس هذا من باب زيادة التأكيد والحجة؟! لكنَّ أصلَ الحادثةِ ليست مُتوقفةً على ورود هؤلاء الأربعة والخمسة. فالإجماع نستفيد منه أيضا زيادة التأكيد في ثبوت هذه المسألة.

وهو أيضا يُغلق البابَ للمجتهدين؛ لأنه لا يوجد رأي آخر يعارض رأي الجمهور

لا شك، وإلا؛ فبابُ الاعتقادِ بابٌ أُحكم، وبابٌ لا مجالَ فيه للاجتهاد والقياس؛ لأننا نحتاج إلى الاجتهاد والقياس متى؟ في الأمور التي تَجِدُّ وتحدث، فإذا جَدَّتْ هذه المسألة ونظرنا؛ فما وجدنا عليها دليل بخصوصها في الكتاب ولا في السنة؛ لأنها من المسائل التي جَدَّتْ بعد عهدِ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- أضرب لكم مثالا سهلاً:

ذكَرَ بعضُ الفقهاءِ في الكتب المتقدمة: ما حكم من وقف في عرفة بين السماء والأرض؟!

كان بعض العلماء يقول: هذا من تَرَفِ المسائل، ولا يمكن -سابقا- أن يُتَصَوَّرَ إنسانٌ يقف في عرفة بين السماء والأرض، وهل يُعد له وقوفا أم لا؟!

الآن وُجِدَ مَنْ يَسْأل لأمرٍ قد وَقَعَ: بعضُ الحجاج المسؤولين قد يكون حاجًّا ومسؤولا، لكن في يوم عرفة طَوَالَ اليوم على ظهر الطائرة الهليكوبتر؛ فهل يُعَدُّ له وقوفا أم لا؟

هنا نحتاج إلى ماذا؟ إلى الاجتهاد، نحتاج إلى القياس. فالمسائل جَدَّتْ، والمسائلُ كثيرةٌ في المسائل العملية، ومسائل فروع المعاملات، وأحكام البيوع، وأحكام النكاح، الأرُزّ هل كان في عهدِ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- ؟!

لا، الآن يُسأل: هل يجري فيه الربا أم لا يجري فيه الربا؟!

تأتي مسألة القياس، ومسألة الاجتهاد، لكنَّ أمورَ العقائد لا جديدَ فيها، أمورُ العقائدِ أمورٌ مُحكمة، أمورٌ ثابتة لا تتغير، ولهذا لا مجالَ للاجتهاد والقياس.

أيضا أمور العقائد مبناها على ماذا؟

على الخبر، على الغيب، وأمور الغيب لا مجال للاجتهاد والقياس فيها، لكنَّنا نحتاج إلى الإجماع في زيادة التأكيد والحجة، وأيضا لبيان وإيضاح الدلالة.

(فإن الله بَعَثَ محمدًا -صلى الله عليه وسلم- بالهدى ودين الحق؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، وشهد له بأنه بعثه داعيا إليه بإذنه وسراجا منيرا، وأمره أن يقول: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨]).

الشيخ يقول: وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب، في باب الاعتقاد، في باب الأسماء والصفات، وغيره من أبواب الدين كما سيأتي. فالواجب أن نُسلِّمَ لنصوصِ الوحْيَيْن، ثم ذكر الشيخ جملة اعتراضية ليبين مكانة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأن مناطَ النجاةِ، ومناطَ الهدايةِ، ومدارَ السلامة في الدنيا والآخرة هو باتباعه -عليه الصلاة والسلام-.

لماذا؟

يقول: "فإن الله بعث محمدا بالهدى".

الهدى لا يُلتمس إلا من طريقه -عليه الصلاة والسلام-، لا بابَ للهدى، ولا وسيلة يُبتغى بها الهدى إلا عن طريق النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ "فإن الله بعث محمدا بالهدى ودين الحق ليخرج النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ، وشَهِدَ له بأنه بعثه داعيًا إليه بإذنه وَسِرَاجًا منِيرًا. إذن بعثه بالهدى، بعثه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، بعثه داعيا إليه بإذنه وسراجا مُنِيرًا يُستضاء به في ظلماتِ الجهلِ، فهو سراجٌ منيرٌ يستنير به الناس فيما يتعلق بأمور دينهم، وَأَمَرَه أن يقول: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾.

ولهذا من حَادَ عن سبيله والتمس الحقَّ مِنْ غيره؛ أَضلَّه الله؛ لأن سبيلَ اللهِ سبيلٌ واحدٌ، وطريقَ الحقِّ طريقٌ واحدٌ. ولهذا كما ثبت عنه -صلى الله عليه وسلم- في الصحيح أنه خَطَّ خطًّا، وخَطَّ على جانبه خطوطًا، ثم تلا

قولَ الله –عز وجل–: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فطريق الحقِّ طريقٌ واحدٌ.

أنا أريد من الإخوة المشاهدين أن يُركزوا معنا في هذه الأسطر؛ لأن الشيخ –الآن– يضع قواعدَ عامَّةً، وهذه القواعدُ نَستفيدُ منها في بابِ الاعتقادِ على وجهِ العمومِ، وفي باب الأسماء والصفات على وجه الخصوص، وما سيأتي من أمثلةٍ هي أمثلةٌ تطبيقيَّة على هذه القواعد.

فالشيخ يُقعِّد لنا في مسألة تعظيم الوحييْن فيما يتعلق في باب الأسماء والصفات، وأن الحقَّ منوطٌ بهذيْن المصدريْن.

يلاحظ أن شيخ الإسلام في هذه المقدمة أورد جملةً من الآيات سواء ضمنا أو نصا –كما ورد– وهي أشياء اتفق معه –فيها– المخالفُ وواضحة؛ فهل يعتبر هذا منهجا مذهب في قضية...؟

لا؛ لأنه لم يأتِ الشاهدُ من إيرادِ هذه الأمور.

هو –الآن– يريد أن يقعد في ذهن القارئ والمستمع هذه الأمور. أنت تُسَلِّمُ لي بهذه الأمور؟! لا شك أنَّ المخالفَ يُسلم لنا أن النبي –صلى الله عليه وسلم– بعثه الله بالهدى ودين الحق، بعثه داعيا إليه بإذنه وسراجا منيرا، هذا ليس محلَّ خلافٍ، وهذه هي الوسيلة والطريقة المثلى في مناظرة الخصم.

تبدأ معه في قاعدة مشتركة

بالأشياء المُسَلَّمَةِ بينك وبينه.

(فمن المحالِ في العقلِ والدينِ أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، وأنزل معه الكتابَ بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من دينهم إلى ما بُعث به من الكتاب والحكمة، وهو يدعو إلى الله، وإلى سبيله بإذنه على بصيرةٍ، وقد أخبر أنه أكْمَلَ له ولأمته دينَهم، وأتم عليهم نعمتَه، محالٌ مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به مُلْتَبِسًا مُشْتَبِهًا فلم يُمَيِّزْ بين ما يجب لله من الأسماءِ والصفاتِ العُليا وما يجوز عليه وما يمتنع عليه)

لاحظتَ معي الآن بدأ يدخل في صلب الموضوع، يقول: (فمن المحال في العقل والدين) مستحيل عقلاً وشرعا أن يكون السراج المنير. من السراج المنير؟ النبي –صلى الله عليه وسلم– الذي: هذه الصفة الأولى أنه سراج منير. الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، هذه الصفة الثانية. وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه هذه الصفة الثالثة.

١– سراج.

٢– أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور.

٣– أنزل معه هذا الكتاب الذي هو نورٌ، وروحٌ؛ فالحياة الحقيقة متوقفة عليه؛ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.

٤– أَمَرَ الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه –من دينهم– إلى ما بُعِثَ به مِنَ الكتاب والحكمة في قوله: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ

ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ؟ [النساء: ٦٥]، والنصوصُ التي فيها الأمر بالرجوع إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- عند التنازع والاختلاف كثيرةٌ.

أن يردوا ما تنازعوا فيه من دينهم إلى ما بُعِث به من الكتاب والحكمة؛ كقوله -سبحانه-: ؟ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ؟ [البقرة: ١٢٩]، وَثَبَتَ أنَّ الحكمة -كما في حديث عائشة- هي السنة.

٥- وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله -بإذنه- على بصيرة. النبي -صلى الله عليه وسلم- يدعو أمته إلى الحقِّ على بصيرة.

٦- وقد أخبر أنه أَكْمَلَ للنبي -صلى الله عليه وسلم- ولأمته دينهم، وأتم عليهم نعمته، وذلك في قوله في سورةِ المائدةِ: ؟ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ؟ [المائدة: ٣].

نزلت عليه هذه الآية في أعظم مجمع اجتمع له. متى؟ يومَ عرفة، عندما اجتمع له من أصحابه أكثر من مائة ألف، فَأَتَمَّ الله -عز وجل- في هذا الموقفِ للأمة دينها، ولهذا قال وخاطب هذا الجمع العظيم (إنكم مسئولون عني؛ فماذا أنتم قائلون؟) هل هناك تقصير؟! فقالوا بصوت واحد: نشهد أنك بلَّغتَ، وأدَّيْتَ، ونَصَحْتَ، فرفع إصبعه الكريمة إلى السماء مستشهدا الله -عز وجل- عليهم فقال: (اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد)؛ لأنه يقول لهم: إن كان هناك تقصير، إن كان هناك بقي مسائل من مسائل الدين، من مسائل الشرع لم تُبينْ لكم؛ فأنا اليومَ حيٌّ بين أظْهُرِكُم فسلوني؛ أُجَلِّ لكم الحقيقة.

يقول: "محال مع هذا"، لاحظْ هذه الصفات التي ليست محل خلاف أنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- يتصف بهذه الصفات محالٌ مع هذا وغيره أن يكون قد تَرَكَ بابَ الإيمان بالله والعلم به مُلْتَبِسًا مُشْتَبِهًا. هذه هي النتيجة بمعنى الإيمان بالله، أنَّ العلمَ بصفاته، أن أمور الغيب قد أَوْضَحَهَا النبيُّ -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- غاية الإيضاح، ولم يجعلْ فيها مجالاً لمتكلمٍ، ولم يجعلِ الأمرَ مُحتَمَلاً لأجل أن يأتي المتأخرون من أفْرَاخِ الفلاسفةِ، وأنباط الروم فيُبينوا للناس دينَهم. لا، فالدين قد أُكْمِلَ. فإذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- بَيَّنَ للأمةِ دَقَائِقَ الأمور، بَيَّنَ للأمةِ بعضَ الآدابِ؛ آداب الأكل، آداب الشرب، آداب النوم، عَلَّمَ الأمة كيف تَتَسَوَّك، آداب قضاء الحاجة كما سيأتي، أمورًا دقيقة جدًّا قد لا تُعَدُّ عند عامَّةِ الناس شيئًا، ثم يترك أعظم أبواب الدين = أمور الاعتقاد يَتْرُكُه مُلتبسًا مُشتبهًا على الناس لم يُوَضِّحْ ولم يُبَيِّنْ؟! والله -عز وجل- يقول له: ؟ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ؟، وأيُّ نعمةٍ أعظمُ منْ كونِه -عليه الصلاة والسلام- جَلَّى للأمةِ حقيقةَ الإيمان بالله، فلم يُمَيِّزْ بين ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العليا، وما يجوز عليه وما يمتنع عليه؟!

هذه أنواع الصفات: ما يجب لله من الصفات؛ كصفات الكمال، هذه واجبة لله -عزَّ وجلَّ-؛ كالعلم، والقدرة، والحياة، والسمع، والعلو، هذه صِفات كمال يجب أن يتصف الله بها -سبحانه وتعالى-. وما يجوز عليه مثل صفات الأفعال؛ كالمجيء، والنزول، والاستواء هذه يجوز أن يتصف بها الله -عز وجل- ويجوز أن لا يتصف بها، ولهذا لو لم يرد النص بإثباتها؛ ما أثبتناها لله -عز وجل-، وما يمتنع عليه من صفات النَّقْص؛ مثل: صفة الظُّلم، وصفة النوم، والسِّنَة، والعجز، جميع صفات النقص هي من الصفات التي تمتنع على الله -سبحانه وتعالى-.

(فإنَّ معرفة هذا أصلُ الدِّين، وأساسُ الهدايةِ، وأفضل ما اكتسبته القلوبُ، وَحَصَّلَتْه النفوس، وأدركته العقول؛ فكيف يكون ذلك الكتاب، وذلك الرسول، وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يُحْكِمُوا هذا الباب اعتقادا وقولا؟!).

"فإن معرفة هذا أصل الدين" الإشارة هنا إلى ماذا؟ فإن معرفة "هذا" معرفة ما يجب لله، باب الاعتقاد، وما يجب لله، وما يجوز، وما يمتنع عليه. يقول: هذا أصل الدين. نعم، كما ثبت في الصحيحين من حديث جبريل المشهور لمَّا دخل على النبي -صلى الله عليه وسلم- وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، ذكَرَ أرْكَانَ الإسلام الظاهرةَ: الصلاة، الزكاة، الحج الصوم، ثم سأله عن الإيمان؛ فذكر أركانَ الإيمانِ وهي أصول الاعتقاد الستة، وهذا هو أصل الدين، ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في آخر الحديث: (هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم).

الدينُ مجتمِع في هذا الحديث، فالمسائل العملية هي التي أشار إليها بأركانِ الإسلام، وأصول الاعتقاد هي التي أشار إليها بأركان الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، هذه الأصول هي التي يدور عليها عقيدةُ المسلم، ولهذا إذا سَلِمَتْ هذه الأصول؛ سَلِمَتْ عقيدةُ المسلم، وإذا اخْتَلَّ شيءٌ منها؛ اخْتَلَّتْ عقيدةُ المسلم.

يَقُولُ: "فإن معرفة هذا أصلُ الدينِ وأساسُ الهداية": لا شك أن أصول الاعتقاد هي أساس الهداية، ولهذا هل ينتفع الإنسان من صلاته، وزكاته، وصيامه، وحجه إذا كانت عقيدتُه فاسدةً؟ لو جاءنا إنسان مُصلٍّ ومُزَكٍّ ولكنه يَسُبُّ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم-، أو لا يؤمن برسالة موسى، أو لا يؤمن باليوم الآخر، أو لا يؤمن بالقدر هل تنفعه أعماله هذه؟ لا؛ لأن الأساس عنده فاسدٌ.

ولهذا أصول الاعتقاد ينبني عليها صحةُ العملِ، فلا يمكن أن تُقبل هذه الأعمالُ ما لم تكنْ مُؤَسَّسَةً على قواعدَ ثابتةٍ وأصولٍ صحيحةٍ.

"وأفضلُ ما اكتسبته القلوبُ، وحصلته النفوس، وأدركته العقول": لا شك أن الإيمانَ بالله -عز وجل- أعظمُ ما اكتسبته القلوبُ وَحَصَّلَتْه النفوسُ؛ ذلك أنَّ الإيمانَ باللهِ هو نورُ القلبِ، وإذا خلا هذا القلب من الإيمان بالله؛ فما مصيره؟! ماذا يُسَمَّى؟ ميتًا، ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وَصَفَ اللهُ -عز وجل- هذا القلبَ الخاويَ من الإيمان بالله بأنه قلبٌ ميت، ولهذا يقول ابن القيم: "الناس يولدون ولادةً واحدةً، والمؤمن يُولد ولادتيْن"، الناس عموما، حتى الحيوانات، الكافر، والحيوان، وسائر الناس يشتركون في هذه الولادةِ يومَ أن يخرجَ الإنسانُ من بَطْنِ أمِّه حيًّا. لكن هل هذه هي الحياة؟!

لا، الله -عز وجل- وَصَفَ أنَّ الحياة الحقيقة هي الولادة الثانية يومَ أنْ يُوَفَّقَ الإنسانُ للإيمان بالله، يومَ أنْ يُوَفَّقَ للهداية، ولهذا صار الإيمانُ باللهِ نورًا في القلبِ، وأعظم ما اكتسبته النفوس؛ لأن النفوس بغير هذا الإيمان تَنْحَطُّ إلى درجة الحيوانات؛ ﴿ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [الفرقان: ٤٤]، ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد: ١٢]، هم كهذه الكلاب، بل أحيانا تكون هذه الحيواناتُ أفضلَ؛ لأنَّ الله -عز وجل- قال: ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾، هذه الحيوانات أحيانا تُسَبِّحُ لله -عز وجل-، تعرف الله -عز وجل-.

ولهذا صار الإيمانُ بالله أعظمَ ما اكتسبته القلوبُ، وأدركته العقول، وحصلته النفوس؛ لأن الإيمان ينقل الإنسان من أحطِّ الدرجاتِ إلى أعلى الدرجات حتى يصل إلى مَصَافِّ الملإ الأعلى، حتى حَصَلَ الخلافُ بين أهلِ العلمِ: أيهما أفضلُ صالح الملائكة أم المؤمنُ؟

أصبح عند الله بهذه المنزلة العظيمة، بأي شيء؟ بنسبه؟ لا، بلونه؟ لا، بعلمه؟ لا، بالإيمان بالله، وبمعرفة الله -عز وجل.

"فكيف يكون ذلك الكتابُ وذلك الرسولُ أفضل خلقِ الله بعد النبيين لم يُحكموا هذا البابَ".

أفضل خلق الله بعد النبيين هُم الصحابة؟

نعم.

كيف يكون هؤلاء لم يُبَيِّنُوا ولم يوضحوا للناس هذا الباب العظيم الذي هو أساس الدين وأعظم ما اكتسبته القلوب تركوا هذا الباب، واشتغلوا بتعليم الناس بآداب الأكل، وبأحكام البيع والشراء، والنكاح؟! هل يُعقل هذا؟! ولهذا الشيخ سيعرج بعد ذلك، ويذكر أن هذا مستحيل عقلا، ومستحيل شرعا.

(ومِنَ المحال -أيضا- أن يكون النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- قد علَّمَ أمته كلَّ شيءٍ حتى الخراءة، وقال: (تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك)، وقال -فيما صح عنه أيضا- (ما بعث الله من نبيٍّ إلا كان حقًّا عليه أن يَدُلَّ أُمَّتَه على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم))

يقول: وَمِنَ المحالِ أيضًا أن يكون النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- كما أشرنا سابقا عَلَّمَ أمته كلَّ شيءٍ حتى الخراءة -كما في حديث سلمان في صحيح مسلم- قيل له: "علمكم نبيكم" وفي رواية أن اليهود قالوا له: "علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة" قال: "نعم، عَلَّمَنَا آداب قضاء الحاجة؛ أن لا نستقبلَ القبلة ببَوْلٍ أو غائطٍ، وأن لا نستنجي باليمين، و أن لا نستنجي بأقلَّ من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيعٍ أو عظْمٍ".

فإذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- عَلَّمَ أمته آداب قضاء الحاجة؛ فهل يُعقل أن يترك باب الإيمان بالله ملتبسا مشتبها، حتى يأتي المتأخرون فيوضحون للناس دينهم وعقيدتهم؟!

ثم قال: وقال: (تركتم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها -بعدي- إلا هالكٌ) كما في حديث العرباض بن سارية كما عند ابن ماجه والإمام أحمد بسند صحيح. أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (تركتم على البيضاء)؛ أي على المحجة البيضاء الواضحة البينة غير الملتبسة، (ليلها كنهارها لا يزيغ عنها -بعدي- إلا هالك)، ثم قال: وقال -فيما صح عنه أيضا-: (ما بعث من نبي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على كلِّ خيرٍ ما يعلمه لهم وينهاهم عن شرٍّ ما يعلمه لهم)، ولهذا قالت عائشة -رضي الله عنها-: "من زَعَمَ أنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- كَتَمَ شيئًا مِنَ الرسالة؛ فقد زعم أن رسول الله خان الرسالة". فالنبي -صلى الله عليه وسلم- ما توفي إلا وَبَيَّنَ للأمة كلَّ شيءٍ مما يحتاجونه من أمور دنياهم، ولم يدعْ مجالاً للاجتهادِ وخاصة في باب الاعتقاد.

يقول: نريد بعض المؤلفات التي تعيننا على فهم "الفتوى الحموية الكبرى"؟.

كما ذكرت في اللقاء السابق وقلت إن شيخ الإسلام -رحمه الله- لم يُتْعِبْ مَنْ بَعْدَه؛ فقد خَدَمَ نفسَه بنفسِه، فما أجْمَلَه هنا؛ فَصَّلَه هناك. ولهذا سنلاحظ هنا أن بعضَ الشبه التي ذكرها للمخالفين مُختصرةٌ، لكن لو رَجَعْنَا إلى كتبِه المطولاتِ؛ لوجدْنا أنه فَصَّلَ تفصيلا. هنا يذكر وجها وهناك ربما يذكر عشرين وجها في الرد على هذه الشُّبَهِ، فخَيْرُ مُعِيْنٍ على فَهْمِ الفتوى الحموية أن يُرجعَ إلى كلامِ شيخ الإسلامِ.

وهذا السبب جَعَلَ الشروحات لكتب العقيدة للشيخ قليلة؟

لا شك؛ لأن -أيضا- كلامه في الجملة كلام واضح، نعم هناك -غالبا- ما يلتبس كلام الشيخ في الحموية وغير الحموية، وهذا الكلام دائما نقوله للإخوة في الله. الشيخ -كما ذكرنا سابقا- موسوعةٌ وحافظٌ، لاحظ في جلسةٍ بين الظهر والعصر كتب رسَالةً مليئةً بالنقول، وَسَعَةَ الحفظ جعلته -أحيانا- يستطرد في الكلام، ثم يحاول أن يربطَ بيْن أوَّلِ الكلامِ وآخره بضمائرَ.

فمفتاح معرفة كلام الشيخ خاصّة في أمور الاعتقاد وحتى في مسائل الفقه أن تعرف مَرْجِعَ الضمائر، وأسماء الإشارة، إذا قال: "وهذه"، و:"تلك". افهمها؛ يَسْهُلْ عليك فهم كلامه.

أيضا هناك بعض القواعد هي بالطبع يعتبرها مسلمات عنده. أيضا ينبغي لطالب العلم أن يَتَسلَّحَ بمعرفتِها، ورُبما مَرَّتْ علينا بعض المصطلحات وذكَرْنا تعريفها؛ فيسهل -إن شاء الله- معرفة كلام الشيخ في الحموية وغير الحموية.

يقول: يحدث نقاشٌ بيننا وبين الذين يؤولون بعضَ الصفاتِ، ويحتجون علينا بأن التأويل موجود عند أهل السنة أيضا، ويذكرون أمثلةً لذلك أن أهل السنة يؤولون ظِلَّ الله بظِلِّ عرشِه ويذكرون أمثلة أخرى معروفةً، ويقولون إنهم يؤولون تحت قاعدة عامة وهي التنـزيه، وهي نفس القاعدة التي لجأ إليها أهل السنة في تأويل مثل هذه الصفات؛ فكيف نرد عليهم، وجزاكم الله خيرا؟

نقول: هذا الكلام ليس بصحيحٍ، ولا يُسَلَّمُ لهم. في مناظرة "الواسطية" الشيخ -رحمه الله- لما كتب "الواسطية"؛ اسْتُدْعِيَ الشيخُ وحُوكِمَ مُحاكمةً عَلَنِيَّةً، اجتمع القضاةُ والعلماءُ عند السلطانِ، وقرئتِ الرسالةُ؛ لأن الشيخ طَلَبَ أن تُقرأ بحضورِ الجميعِ ويناقشونه فيها، قال: كلمةً كلمةً، ثم قال: وَأَمْهَلْتُ من خالفني ثلاثَ سنوات، اقرؤوا وابحثوا، فإن وجدتم فيها كلمةً واحدة تخالف ما عليه السلف؛ فأنا ألتزم بها.

أوردوا عليه قالوا: أنت قلت: إن التأويل مما أحدثه المتأخرون -التأويل بالمفهوم الخاطئ كما سيأتينا التأويل له أكثر من معنى الذي هو صرف نصوصِ الصفاتِ عن ظاهرها إلى معنًى آخرَ بعيد- قالوا: أنت تقول: إن السلف ما يؤولون، ونحن قَرَأْنَا في كتب التفسير أن ابن عباس: ؟ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ؟ قال: "فثَمَّ قبلةُ اللهِ"، وهذا تأويل نقله، وقبل أن يذكر المثال قالوا: السلف نُقِلَ عنهم التأويل الذي أبطلته أنت، قال: لعلكم أردتم ما نقله البيهقي عن ابن عباس أنه قال: ؟ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ؟: فثم قبلة الله؛ قالوا: نعم، قال هذا ليس بتأويل، مَنْ قال لكم إن هذا تأويل؟ وأيضا ما ذكره أخونا أبو حفص ليس هذا بتأويل اللغة العربية مما تَمَيَّزَتْ به أن الكلمة لا تُفهم مُجردةً يستحيل أن تَفهم الكلمة مُجردة عما قبلها وما بعدها. لو قلتُ لك: "عَيْن" هل تفهم من هذه الكلمة معنى؟! لها عدة احتمالات: قد يراد بها العينُ الباصرةُ، وقد يراد بها العينُ الجاريةُ، وقد يُراد بها الجاسوس. إذا قلت لكم: "المشتري" هل يمكن أن يُفهم منها أكثر من معنى؟ "سهيل": أكثر من معنى.

ولهذا يقول شيخ الإسلام: إنَّ الكلامَ لا يُفهمُ إلا بسياقِهِ بما قَبْلَه وما بعده. نحن ننظرُ سياقَ الكلام، هل الكلام في الصفات؟! فتكون الآية أو هذا اللفظ في صفات، ويكون -فعلاً- مَنْ صَرَفَهَا عن ظاهرها نقول" مُؤوِّل. لكن الكلامُ إذا كان في غير صفات، وهذا المعنى الذي ذُكِرَ يُحتمل في اللغة العربية؛ فيسمى تأويلا.

تقول: لماذا تم التركيزُ مؤخرا على كتب ابن تَيْمِيَّة -رحمه الله- لدراسة عقيدة أهل السنة؟

لا شك أنَّ العقيدة لا تُؤخذ من ابن تَيْمِيَّة، نقولها بملء أفواهنا مع محبتنا لهذا الرجل، وأننا ندين الله -عز وجل- بالولاءِ له وبالدعاءِ له في ظهر الغيب، ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أي يحشرنا معه ومع النبيين والصديقين والشهداء. لكن نقول: عقيدتنا تُؤخذ من النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- ومن أصحابه ومِنَ السلفِ الصالح، وابن تَيْمِيَّة ما جاءنا بجديدٍ لكن رُكِّزَ على كلام شيخ الإسلام، وكتب شيخ الإسلام؛ لأنه بَسَّطَ لنا هذه النصوصَ وَشَرَحَ لنا هذه النصوص، ويُعَدُّ مِنْ أعظم من تَصَدَّى -رحمه الله- للردِّ على المخالفين. وقَبْلَ شيخ الإسلامِ غالبا تُعرض عقيدةُ أهل السنة والجماعة دون التَّعَرُّض -مثلا- لمناقشةِ شُبَهِ المخالفين، لكن في هذا الزمن كَثُرَتْ الشُّبَهُ التي أَثَارَهَا أَسْلافُهم في عهدِ شيخ الإسلام وقَبْلَ شيخ الإسلامِ؛ فاحتجنا أنْ نرجعَ إلى كلام شيخ الإسلام ليُجَلِّيَ لنا الحقيقة.

الدرس الثالث

شرح وتعليق على كتاب الفتوى الحموية الكبرى

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قبل أن نمضي معكم يا شيخنا في الشرح والتعليق على هذا الكتاب المبارك، كان أحد الإخوة المشاهدين طَرَحَ في ختام الدرس الماضي تساؤلاً، مَفَادُه أنه يَتَنَاقَشُ في مناقشةِ أهل السنة مع أهل البدعة في تأويل بعض الصفات، بأن هؤلاء المبتدعة يردون بأن أهل السنة -أيضا- يُؤولون بعض الصفات، ويقولون: حجتنا وحجتكم واحدة، حجتنا في تأويل بعض الصفات التنزيهُ، وهي نفس القاعدة التي يستخدمها أهلُ السنة أَمَامَ هذه الأمور.

ذكَرْتم طَرَفًا من الإجابة، وأحببتم أنْ نُرجئَ الإجابة بشرحٍ مُوَسَّعٍ في هذا الدرس.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

ما ذكره الأخ صَحِيْحٌ، ويُورِدُه بعضُ أهلِ البدع ممن سلكوا مَسْلَكَ ما يُسَمَّى بتأويل الصفات، ولَعَلَّ من أوائل من أورد مثل هذا الإمامَ الجوينيَّ -رحمه الله- في مسألة المعية، وَسَتَرِدُنا في نهايةِ الكتابِ.

لكن يقال لهم: أهلُ السنة عندما يُفسِّرون بعضَ هذا الصفاتِ بهذه المعاني التي تسمونها - أنتم- تأويلا في اصطلاحكم؛ يقال لهم: ليس هذا هو التأويلَ الذي هو صَرْفُ اللفظِ عن الاحتمالِ الراجح إلى احتمالٍ مرجوح. ولَعَلَّ الأخ قد أَوْرَدَ مثالاً هو: (سبعة يظلهم الله في ظله)، قال: إنهم يقولون: أنتم -يا أهل السنة- تقولون: في ظلِّ العرش؛ إذن أوَّلْتُم، وَأَوْرَدْتُ -في الحلقة السابقة- أنَّ مثلَ ذلك أُورِدَ على شيخِ الإسلامِ في "مناظرةِ الواسطية"، قال له بعض الحضور: وأنتم تؤولون يا أهل السنة، قال شيخُ الإسلام: لَعَلَّكُم تُريدون ما نُقِلَ عَنِ ابنِ عباسٍ وغيره: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾ [البقرة: ١١٥]؛ أي: فَثَمَّ قِبْلَةُ الله، قالوا: نعم، قال: ليس هذا هو التأويلَ؛ لأنَّ الكلامَ لا يُفهم إلا في سياقِه. لا تَأْتِ بالكلمةِ الْمُجَرَّدَةِ، وتقول: ما معناها؟ لا يمكن أن يظهر معناها، فالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة يَتَبَيَّنُ ..

ضمن السياق

ضِمْنَ السياقِ. فأهل السنة يُنكرون على أهلِ البدعِ التأويلَ الذي ليس له مُسْتَنَدٌ في اللغةِ أو في الشرعِ. أمَّا أهلُ السنةِ عندما يُفَسِّرُون هذا اللفظَ بهذا المعنى؛ فَلَهم مُسْتَنَدٌ في هذا؛ اللغةُ والشرعُ.

فالمثال الذي ذكره الأخ:

أولاً: سياق الكلام ليس في الصفات، سياق الكلام في الْجَزَاءِ، ولهذا يكون المعنى في الجزاء.

ثانيًا: كما ذكر الإمام الحافظ ابنُ حجرٍ: أنه جاء في بعضِ الرواياتِ تَقْيِيدُ الظلِّ -هنا- بالعرش؛ فليس فيه تأويل.

والمثال الآخر الذي ذكَرْته، وَأُوردَ على شيخ الإسلام: ؟ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ؟، لما قال ابن عباس: فثم قبلة الله؛ لأنَّ الوجهَ، والوجهة والجهة كُلَّها تَأتي بمعنًى واحدٍ عند العرب.

وسياق الآيات –الآن– في ماذا؟ في صفات الله أم في القبلة؟

في القبلة

ولهذا لَمَّا فَسَّرَها ابنُ عباسٍ بأنَّ المرادَ بهذا اللفظِ القبلةُ؛ لا يُقال: هذا تأويلٌ بالمعنى الذي أَرَادَه المتكلمــون = أنَّه صرفُ اللفظِ عَنِ الاحتمالِ الراجح إلى الاحتمالِ المرجوح.

هذا فَسَّرَ اللفظَ بمعناه الحقيقيِّ، وسيأتينا أيضا في "المعية" بشكلٍ مُوَسَّعٍ.

وَذَكَرَ قضية شُبهة التنزيهِ، هو قال: أنتم تنزهون، ونحن نُنَزِّهُ؟

نعم، لكنَّ التنزيهَ ليس على إطلاقِه، التنزيهُ الصحيحُ هو المبنيُّ على نصوصِ الكتابِ والسُّنةِ. الله –عز وجل– نَزَّهَ نفسَه في قوله: ؟ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ؟ [الشورى:١١]، لكن في المقابل أَثْبَتَ لنفسِه الصفات: ؟ وَهُــوَ الــسَّمِيعُ الْبَصِيرُ ؟، فَتَبَيَّنَ أنَّ التنزيهَ لا يعني النفيَ والتعطيلَ كما أراده هؤلاء، يُعَطِّلُون الربَّ –سبحانه وتعــالى– عــنْ صفاتِه بِحُجَّةِ التنزيهِ، هذا تنزيهٌ فاسدٌ.

التنزيهُ أنْ تُثبتَ الصفة وتُنَزِّهَ الله –عز وجل– عنْ مُشابهةِ صفةِ المخلوقِ، فأُثبِتُ للهِ الوجهَ، لكنْ أقول له: وَجْهٌ يَلِيقُ به –سبحانه وتعالى–، كما أن الله –عز وجل– أَثْبَتَ لنفسِه الصفات، وَنَزَّهَ نَفْسَه عنْ مُشَابهة المخلوقات، هذا هو التنزيهُ الشرعيُّ الصحيحُ.

قال المصنف –رحمه الله تعالى–: (وَقَالَ أبو ذَرٍّ –رضي الله عنه– «لقد تُوفِّيَ رسول الله –صــلى الله عليــه وسلم– وما مِنْ طائرٍ يُقلِّبُ جَنَاحَيْه في السماءِ إلا ذَكَرَ لَنَا منه عِلْمًا، وقَالَ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ –رضي الله عنــه–: قَامَ فينا رسولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– مَقَامًا فَذَكَرَ بَدْءَ الخلق حتى دَخَلَ أهلُ الجنةِ مَنَــازِلَهُم، وأهــلُ النــارِ مَنَازِلَهُم، حَفِظَ ذلك مَنْ حَفِظَه، وَنَسِيَه مَنْ نَسِيَه» رواه البخاري)

لا زال المؤلفُ –رحمه الله– يُبَيِّنُ أنَّ النبيَّ –صلى الله عليه وسلم– أَحْكَمَ أمورَ هذا الدِّينِ أُصُــولاً وَفُرُوعًــا، عِلْمًا وَعَمَلاً، وَأَوْرَدَ شيئًا مِنَ الأدلةِ، وَاسْتَكْمَلَهَا –هنا– بِحَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ الــذي رَوَاه الإمــامُ أحمــد والطبرانــيُّ، والحديثُ صحيحٌ، كَمَا صَحَّحَه الهيثميُّ –رحمه الله–.

قال: "لقد توفي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وما من طائرٍ يقلب جناحيه في السماء إلا ذَكَرَ لنــا منــه عِلمًا". وَذَكَرَ –أيضًا– حديث عمرَ بنِ الخطابِ –رضي الله عنه–: "قام فينا رسول الله –صلى الله عليه وســلم– مَقَامًا فَذَكَرَ بَدْءَ الخلقِ حتى دَخَلَ أهلُ الجنةِ مَنَازِلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نــسيه" رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

فهذا يَدُلُّ على أنَّ النبيَّ –صلى الله عليه وسلم– بَيَّنَ للأمةِ كُلَّ شيءٍ حَتَّى دقائق الأمور فلم يدع لقائلٍ مقالاً.

(مُحَالٌ –مَعَ تَعْلِيمِهِم كُلَّ شيءٍ لهم فيه مَنْفَعَةٌ في الدِّينِ وإنْ دَقَّتْ– أنْ يَتْرُكَ تَعْلِيمَهم مــا يَقُولُونَــه بألــسنتِهم ويعتقدونه بقلوبِهم في ربِّهم وَمَعْبُودِهم رَبِّ العالمين، الذي معرفتُه غايةُ المعارفِ، وَعِبَادتُه أَشْــرَفُ المقاصــدِ، والوصولُ إليه غَايَةُ المطالبِ، بل هذا خلاصةُ الدَّعْوَةِ النبويَّة، وَزُبْدَةُ الرِّسَالَةِ الإلهيةِ؛ فَكَيْفَ يَتَوَهَّمُ مَنْ في قَلْبِــه أَدْنَى مُسْكَةٍ مِنْ إيمانٍ وحكمةٍ أن لا يكونَ بيانُ هذا البابِ قَد وَقَعَ مِنَ الرَّسولِ –صلى الله عليه وسلم– على غايةِ

التمام؟! إِذَا كَانَ قَدْ وَقَعَ ذلك منه؛ فَمِنَ المحالِ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ أُمَّةٍ وَأَفْضَلُ قُرونِها قَصَّروا في هذا الباب، زَائِدِين فيه، أو ناقِصين منه)

يقول، وهذا هو المقصود يا شيخ ياسر، لَمَّا سألتَ، الكلام السابق هذا محل اتفاق، كَوْنُ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- أَحْكَمَ هذا الدين، هذا ليس فيه خلاف ولا شكَّ.

الآن الشيخ يُقَرِّرُهم هذه المقدمة ليأتيَ إلى هذا المعنى، "محال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين وإن دقت"، ما دام هذا الأمرُ متعلقًا بالدين؛ فالنبي -صلى الله عليه وسلم- يَسْتَحِيل أَنْ يَكونَ تَرَكَ هذا الأمر أو قَصَّرَ فيه.

"ما يقولونه بألسنتهم، ويعتقدونه بقلوبهم في ردهم": يعني إذا كان بَيَّنَ هذه الأمورَ الدقيقة كَمَا ذَكَرْنَا في الحلقةِ السابقةِ بَيَّنَ لنا آدابَ قضاءِ الحاجةِ، وَبَيَّنَ آدابَ النوم، وآدابَ دخولِ المنزلِ، وآدابَ رُكوبِ الدابةِ، هذه الأمورَ اليسيرة، هذه السنن، هذه الآداب، يُحْكِمُها النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- ثم يترك أَهَمَّ شيءٍ في هذا الدين؟! الذي هو ما يعتقده الإنسان بقلبه، الذي هو العلمُ به أشرفُ العلوم.

ولِهذا قال الشيخُ: "الذي معرفته غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد -أي عبادة الله عز وجل-، والوصول إليه غاية المطالب"، وهذا لا يمكن أن يَتَأَتَّى إلا عنْ طريقِ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم-.

ثم قال: "بل هذا"؛ أي الذي هو اعتقاد الإنسان في الله -عز وجل- في ربه، هذا خلاصة الدعوة النبوية. لا شَكَّ أنَّ مَدَارَ دَعْوَةِ -ليست دعوةَ نبينا فحسب بل دعوة الأنبياء- مدارها على القاعدة العظيمة، التي هي ماذا؟ مسائل الاعتقاد، وما يَعْتَقِدُه الإنسانُ في ربه.

"فيكف يتوهم من في قلبه أدنى مُسْكَةٍ": أدنى شيءٍ من إيمانٍ، كيف يُمكن أنْ يَتَبَادَرَ إلى ذهنه، إلى قلبه أنَّ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- تَرَكَ هذا البابَ؟! تركه لأجل أن يَأْتِيَ المتأخرون فيبينون للناسِ عقيدتَهم؛ هل يمكن هذا؟!

النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- يُعَلِّمُ الناسَ الأمورَ الدقيقة، وَيَتْرُكُ أعْظَمَ مقاصدِ الرسالةِ -التي هي مسائلُ الاعتقاد- يَتركها للمتأخرين لأجلِ أنْ يأتوا ويُبَيِّنُوا للناسِ عقيدتهم؟!

يَستحيل هذا، ولا يمكن عقلاً ولا شَرْعًا.

"لا يكون بيانُ هذا قد وَقَعَ مِنَ الرسولِ -صلى الله عليه وسلم- على غايةِ التمام، إذا كان قد وقع ذلك منه": بمعنى أنه -فعلاً- بَيَّنَ للأمةِ عقيدتَها، بَيَّنَ للأمةِ ما يجب للهِ، وَمَا يَجوز عليه وما يُنَزَّهُ عنه، وَأَوْضَحَه غَايَةَ الإيضاحِ، وَبَيَّنَه غَايَةَ البيانِ.

إذا كان الأمرُ كذلك، وهذا لا يُجَادِلُ فيه مُسْلِمٌ، ولا يَخْتَلِفُ فيه اثنان.

يقول: "فَمِنَ المحالِ أن يكونَ خيرُ أُمَّتِه". من خير الأمة؟

أصحابه

أصحابه -رضي الله عنهم وأرضاهم- وسلف هذه الأمةِ من أصحابِ القرونِ المُفَضَّلَةِ.

"خير أمته، وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب": أيُّ بابٍ؟

باب الاعتقاد

باب ما يَجِبُ للهِ، وما يَجوز عليه، وما يَمتنع عليه، الذي هو مَدَارُ الخلافِ بَيْنَ أهلِ السُّنةِ وبين مخـــالفيهم. لا يمكن أن يكون الصحابةُ –رضي الله عنهم– وأصحابُ القرون المفضلة قَصَّرُوا –أيضا– في هذا الباب، زائـــدين فيه أو ناقصين منه، بمعنى أَنَّهم تَلَقَّوْا هذا العلمَ عَنِ النبيِّ –صلى الله عليه وسلم– مُبَاشَرَةً، وَأَدَّوْه للأُمَّةِ كما تَلَقَوْه مِنْ غيرِ زيادةٍ ولا نُقصانٍ؛ لأنهم لو زادوا فيه أو نقصوا؛ لكانوا خائنين لنَبِيِّهم –عليه الصلاة والسلام– وحاشاهم ذلك، وقد امتدحهم النبيُّ –صلى الله عليه وسلم– كما سيأتي ذكرُ شيءٍ من النصوصِ في ذلك.

هل أهل البدعة يوافقون شيخ الإسلام في هذا الكلام وهذه التقديرات؟

في الجملة نعم، لكنهم سيخالفون فيما سيأتي، هم يقولون إن الصحابة ما فَسَّروا هذه الألفاظَ كما فَسَّرْنَاهَا نحن، وإنَّما سَلَكُوا مَسْلَكَ التفويض، وسيأتي بيانُ أَنَّ هَذَا اتهامٌ لأصحابِ النبيِّ –صلى الله عليه وسلم– بالجهــلِ، بــل واتهامٌ لهم بالتقصير.

(ثُمَّ مِنَ الْمُحَالِ –أيضا– أَنْ تَكُونَ الْقُرُونُ الْمُفَضَّلَةُ القرنُ الذي بُعث فيه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم كانوا غَيْرَ عالِمين، وغير قائِلِين في هذا الباب بالحق المبين، لأَنَّ ضِدَّ ذلك إمَّا عَدَمُ العلم والقولِ، وإما اعتقادُ نَقِيضِ الحقِّ وقول خلاف الصدق، وكلاهما مُمْتَنِعٌ)

الشيخُ ذَكَرَ أَنَّه يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ النبيُّ –صلى الله عليه وسلم– قَصَّرَ في هذا الأمر، ثم انْتَقَلَ إلـــى الـــصَّحَابَةِ خير قرونها، الذين هم أصحابُ النبيِّ –صلى الله عليه وسلم–، ثم بعد ذلك القرون المفضلة، ثم مـــن المحـــال – أيضا– أن تكونَ القرونُ الفاضلةِ.

القرون الفاضلة ما هي؟ القرون عندما يُقَالُ لكَ: "القرون المفضلة"؛ فما المقصود بهذا؟!

"القرن" اختلف العلماء في ضابطه؛ منهم من عَدَّه عشرين سنةً، ومنهم من ذكر ثلاثين سنة، ومنهم أربعـــين، ومنهم خمسين، ومنهم من قال: أهل طبقةٍ مُعينة يجمعهم ...

الأخ ذَكَرَ أَنَّ القرون المفضلة هي الصحابة والتابعون وتابعوهم، نقول: هذا هو القول الـــراجح فـــي ضـــابطِ القرونِ المفضلة أنهم جمهورُ الصحابةِ، وجمهور التابعين، وجمهور تابعيهم، هذا هو القول الراجح الذي رَجَّحَـــه الحافظُ ابنُ حجرٍ وغيره، وإليه ذَهَبَ سماحة شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز –رحمه الله–.

يقول: "القرن الذي بعث فيهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– هم الذين يلوونهم ثم الذين يلوونهم ثم الـــذين يلوونهم"، وَنُلاحِظُ أَنَّ شيخَ الإسلامِ أيضا ذَهَبَ إلى هذا القولِ.

وَجَاءَ فضلُهم فيما ثَبَتَ في الصحيحيْن من حديث عمران بن حصين أَنَّ النبيَّ –صلى الله عليه وسلم– قـــال: (خيرُ أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم).

الشيخ يقول: يستحيل إذا كان الصحابة ما قَصَّروا، النبيُّ –صلى الله عليه وسلم– بَيَّنَ هذا البابَ غَايةَ البيـــان، فالصحابة ما قَصَّروا في نَقْلِ هذا مِنْ غيرِ زيادةٍ ولا نُقصانٍ، وأيضًا أصحاب القرون المفـــضلة يـــستحيل أنهـــم قصروا في هذا الباب.

لماذا؟

يقول: "ثم من المحال -أيضا- أن تكون القرون الفاضلة" جملة اعتراضية ذَكَرَ الشيخُ كأنَّ سائلاً يَسْأَلُ: ما هي القرون الفاضلة؟

قال: القرنُ الذي بُعِثَ فيهم النبيُّ -صلى الله عليه وسلم-، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم.

"... كانوا غيرَ عالمين، وغيرَ قائلين في هذا البابِ"

أيُّ بابٍ؟

باب الاعتقاد

باب الاعتقادِ غير عالمين أو غير قائلين في هذا الباب بالحق المبين. لماذا هذا مستحيل؟

الشيخ بَيَّنَ؛ لأن ضد ذلك، ضد هذا الأمر إما عدم العلم والقول، لأنهم كانوا غير عالمين بما يجب لله وما ينزه عنه الله -عز وجل-.

فلهذا لم يقولوه

فلهذا لم يقولوها أو كانوا عالمين، لكن لم يقولوا. نقول: هذا مستحيل، وإما أنهم كانوا يَعتقدون نَقِيضَ الحقِّ، وهذا أعظم استحالة.

إذا كان هؤلاء يعتقدون خلاف الحق؛ فمن الذي يعتقد الحق؟! فالدين أُخِذَ عن طريق هؤلاء، الشرع تُلُقِّيَ عن طريق هؤلاء. ولهذا قال: "وإما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق" يعني كانوا يقولون خلاف الصدق الذي يجب اعتقاده في الله -عز وجل- وكلاهما أيضا ممتنع.

مسألة القرن يا شيخ إن كنتم تريدون التفسير فيها القرن هو المقصود به مائة عام أم أن هناك مصطلحا؟

لا، -كما ذكرت لك- اختلفت عبارات العلماء في ضابط القرن؛ منهم من جعل القرن عشرين سنة، ومنهم قال: ثلاثين، ومنهم من قال: أربعين، ومنهم من قال: متوسط أعمار جيل، فيقول: قرن الصحابة انقضى بموت كبار الصحابة، وقرن التابعين انقضى بموت كبار التابعين، وقرن تابعي التابعين انقضى بموت كبار التابعين، وهذا هو أرجح الأقوال؛ لأنه يجمع بين الأقوال جميعا، وإلا؛ فالأقوال في ضابط القرن كثيرة.

أشرتم يا شيخ إلى أن هناك فِرَقًا تَسلك هذا المسلك في قضية الطعن في الصحابة، هل ثمة إشارة لمثل هذه الفِرَق أم أنها تأتي معنا؟

لا، لا مانع، هناك فرق أجمعت الأمة على ضلالها في ذلك، هؤلاء جمهور الرافضة طعنوا في أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، وزعم بعضهم أن أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- كفروا وارتدوا بعده إلا بضعة عشر، ولهذا شَنَّعَ عليهم أهل العلم في هذه المقولة الفاسدة وألزموا ..، لاحظْ، جمهور المتكلمين لا يقولون بهذا القول، ولا يطعنون في أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، لكن ألزموهم بهذه المقولة الفاسدة أنهم يشاركون هؤلاء بهذا الاعتقادِ الفاسقِ في أصحابِ النبي -صلى الله عليه وسلم-، فإذا كان أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ارتدوا بعد النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ فمعنى هذا أنَّه لا يَصِحُّ للأمةِ دينٌ، لماذا؟ لأن الدين مُتَلَقًّى عنْ

طريقِ هؤلاء، نحن لم نعرف الشرع إلا عن طريقِ هذه العُصْبَةِ المباركة، هذا الجيل المبارك، هم الذين عَاصَروا النبيَّ -صلى الله عليه وسلم-، هم الذين عاصروا نزول الوحي، وسمعوه من النبي -صلى الله عليه وسلم- غضًّا طريًّا كما جاء به، وَأَدَّوْه للأمةِ من غير زيادة أو نقصان.

(أما الأول؛ فلأن من في قلبه أدنى حياةٍ وطلبٍ للعلم، أو نَهْمَةٍ في العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه، ومعرفة الحقِّ فيه أكبرَ مقاصدِه وأعظمَ مطالبه؛ أعني بيان ما ينبغي اعتقادُه لا معرفة كيفية الرب وصفاته، وليست النفوسُ الصحيحة إلى شيءٍ أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر)

"أما الأول" ما المقصود بالأول هنا؟

كون عدم علمهم

أحسنت، عدم العلم وعدم القول، يعني اتهام الصحابة وأصحاب القرون المفضلة أنهم لم يقولوا، ولم يعلموا هذا الباب، هذا مستحيل، لماذا؟ يقول الشيخ هذا التعليق: "فلأن من في قلبه أدنى حياةٍ وطلبٍ للعلم أو نَهْمَةٍ في العبادة"، نعم النَّهمة هنا: الحاجة والرغبة، يكون البحثُ عن هذا الباب الذي هو باب الاعتقاد، باب الإيمان بالله -عز وجل-، والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وأعظم مطالبه.

سألوا النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- عن أشياءَ أقلَّ من هذا بكثير؛ فكيف يتركون هذا الباب؟! لا يمكن، يستحيل، ولهذا علموا الحق، وقالوا الحق في هذا الباب، لا يمكن أن يعتقد مسلمٌ أنهم لم يعلموا أو لم يقولوا.

يقول الشيخ:

ما هو الشيء الذي كان الصحابةُ حريصين عليه، وسألوا عنه، وأدَّوْه للأمة؟ ما ينبغي اعتقاده، لا معرفة كيفية الرب وصفاته، فهذه الأمور أمسكوا عنها.

لماذا؟

لماذا لم يَتَطَرَّقُوا لكيفيةِ الله -عز وجل- أو لكيفية صفاته؟

يعني لو لاحظنا، أبو رزين -رضي الله عنه- سأل النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أَوَيَضْحَكُ ربُّنا" وَسَأَلَ الصحابةُ: "يا رسول الله! هل نرى ربنا؟!"

نعم، لكن ما سألوا عن كيفية هذه الصفات، عن كيفية الرؤيا، عن كيفية الضحك، عن كيفية الاستواء، سمعوا النبي -صلى الله عليه وسلم- يتلو عليهم ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾، وما وَرَدَ عن صغيرٍ منهم ولا كبيرٍ في جميع دواوين السنة أن أحد الصحابة سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن كيفية صفة من الصفات، وهذا ليس هو المطلوب، ولهذا الشيخ قال: "أعني بيان ما ينبغي اعتقاده لا معرفة كيفية الصفة"؛ لأن معرفة كيفية الصفة ليس مما يجب على المسلم اعتقادُه.

لماذا لم يسأل الصحابةُ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- عن ذلك؟

لأن إدراك الصفات يكون بالعقل، والحديث في الصفات يكون بالكتاب والسنة وما قاله الرسول -صلى الله عليه وسلم-

أحسنت، هل هناك إجابة أخرى؟

طيب، سيأتينا استحالةُ معرفةِ كيفية الصفات عقلاً، هذا سيأتي ولا نستبق؛ لأننا نخشى أنَّا نُطيل في هذا، لكن نقول: الصحابة لم يسألوا؛ لأن هذا لم يردْ به الشرعُ، ولا يمكن إدراكه بالعقل، ولهذا سكتوا كما سكت الشرع، وما كان ينبغي لهم أن يسألوا عن هذا الأمر، وما سألوا النبي -صلى الله عليه وسلم- عن هذا الأمر.

لم يرد في الشرع؟

نعم، لم يرد في الشرع، ولا يمكن إدراك كيفية الصفة بالعقل، ولهذا أَحْجَمُوا فسكتوا، ولهذا إذا جاء مجالُ كيفيةِ الصفاتِ نحن نسكت كما سكتوا؛ لأن هذا ما يمكن إدراكُه بالعقل، ولم يرد به الشرع.

أما إثبات ذات الصفة؛ فلا، سألوا النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- سؤال مستزيد، سألوه سؤال مستبشر؛ "يا رسول الله! هل نرى ربنا؟!" في غير مناسبة، "يا رسول الله! هل نرى ربنا؟" فيبشرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بذلك.

(وهذا أمر معلومٌ بالفطرةِ الوجدية؛ فكيف يُتصور مع قيام هذا المقتضى الذي هو من أقوى المقتضيات أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم، هذا لا يكاد يقع من أبلد الخلق، وأشدهم إعراضا عن الله، وأعظمهم إكبابا على طلب الدنيا، والغفلة عن ذكر الله، فكيف يقع من أولئك؟!)

نعم، يقول هذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية؛ أي الفطرة المغروسة في النفوس، أنه يستحيل أن يكون الصحابة -رضي الله عنهم- تَرَكُوا هذا البابَ، أهملوا هذا الباب، ما رفعوا به رأسا، ما سألوا النبي -صلى الله عليه وسلم- أصلاً، ما عَلِمُوه، ولا قالوا فيه، هذا يستحيل ولا يمكن، لماذا؟

لأنه يقول: فكيف يُتصور مع قيام هذا المقتضى، أيُّ مُقْتَضى؟ قلت لكم أنا مرارا: إن حَلَّ كلام شيخ الإسلام بمعرفة أسماء الإشارة، قيام هذا المقتضى أن البحث عن هذا الباب، والسؤال عنه ومعرفته أكبر المقاصد، وأعظم المطالب، إذا كان معرفة الله -عز وجل- أعظم المقاصد وأسمى المطالب؛ فلا يمكن أن يتخلف عن مقتضاه الذي هو وقوع ذلك فعلاً منه، أنهم قالوا، واعتقدوا، وسألوا النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعلموا هذا الباب كما أراد النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يَتَخَلَّفَ عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم؛ أي عصر الصحابة، وعصر التابعين، وعصر تابعي التابعين، كل هؤلاء تركوا هذا الباب حتى جاء الخلف بعد القرن الثالث بعد القرون المفضلة جاؤوا يُبَيِّنُون للناسِ الحقَّ، يُبَيِّنُون للناس ما يعتقدونه في ربهم، إذن القرون السابقة ما كانت تعتقد في الله -عز وجل- الاعتقادَ الصحيحَ، هل يمكن هذا؟! لا يمكن، مستحيل.

من يقصد يا شيخ أبلد الخلق وأشدهم إعراضا لله؟ يقصد بصفة عامة؟

بصفة عامة، أهل الدنيا، إذا كان أصحابُ الدنيا الذين انغمسوا في الدنيا لم يُقيموا للآخرة وَزْنًا، نعم لا يمكن يعني يُستبعد منهم أن يهملوا هذا الجانب = جانب الاعتقاد؛ فكيف يُتوقع من هذا الجيلِ المبارك الذي الآخرةُ غايةُ مطالبه، تركوا أموالهم وأولادهم، تركوا الأرض التي عاشوا عليها، ونشؤوا فيها، ضَحَّوْا بكلِّ ما يملكون في سبيل هذا الدين، في سبيل هذه العقيدة، ثم يأتي من يقول: لا، هم لم يعلموا مسائل الاعتقاد، والعلم الذي أراد الله، أو أراد الرسول، تركوا هذا الأمر. هذا لا يمكن، وَصَرَّحَ بهذا الشيء -كما سيأتي- بعضُ المتأخرين من أهل الكلام، قالوا: الصحابة اشتغلوا عن هذه الأمور بالجهاد، يشتغلون بالجهاد عن أعظم شيءٍ، ويُعَدُّ أعظمَ المطالبِ، وأعظمَ المقاصدِ، يُهملون هذا الجانب في سبيل الجهاد، إذن على ماذا يجاهدون؟!

(وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غيرَ الحق أو قائليه؛ فهذا لا يعتقده مسلمٌ ولا عاقل عَرَفَ حالَ القومِ، ثم كلامه عنهم في هذا الباب أكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوى، أو أضعافها، يَعْرِفُ ذلك مَنْ طَلَبَه وَتَتَبَّعَه)

الشيخ ذكر الاحتمالين السَّابقين: "إما عدم العلم والقول، وإما اعتقاد نقيض الحق". أجاب عنِ الاحتمالِ الأول، ثم الآن يُجيب عن الاحتمال الثاني، أنه احتمال أن يقال: إنهم كانوا يعتقدون في اللهِ -عز وجل- غيرَ الحق، وهذا أعظم استحالة من الأمر.

إذا كان هؤلاء يعتقدون في الله -عز وجل- غير الحق؛ فَمَنِ الذي اعتقد في الله الحق؟! هؤلاء الذين زَكَّاهم الله -عز وجل- من فوق سماواته، وزَكَّاهم النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- وَبَيَّنَ أَنَّ الخيريَّة في هذه القرون، إذا كانوا على غيرِ منهجٍ صحيحٍ؛ فمنِ الذي على المنهج الصحيح، ولهذا هذه القاعدة يا إخوان يمكن استخدامُها مع أيِّ صاحبِ بدعةٍ سواء أكانت هذه البدعة عمليةً أو علمية، يعني احفظوا هذا القاعدة يمكن أن تَرُدَّ بها على أيِّ مُبتدعٍ كائنا من كان، أكبر عالم عندهم أو أدنى عابد، فإذا جاء ببدعة علمية أو عملية؛ فاطرحْ عليه هذا السؤال، قل له: هذه البدعة تعتقد أنها من الدين أم ليست من الدين؟

بالطبع سيقول لك: من الدين؛ لأنه يَتَعَبَّدُ الله -عز وجل- بها.

طيب، هل عَلِمَهَا النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- أم جهلها؟

الجواب:

علمه

لا يمكن أن يقول لك: جهلها، كيف يجهلها النبيُّ -صلى الله عليه وسلم-، كيف يجهلها وأنت تعلمها؟!

إذا كان النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- عَلِمَها؛ فهل بلغها للأمة أم لم يبلغها؟

الجواب:

لا يمكن أن يقول لك: لم يبلغها؛ لأنه إذا قالَ لك: النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يبلغها؛ فقد اعتقد أنَّ الرسول خان الرسالة.

طيب، إذا كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- بَلَّغَها؛ فهل بَلَّغَهَا لَنَا الصَّحابةُ أم لم يبلغوها؟

الجواب:

إن قال: بلغوها، الصحابة سمعوها من النبي -صلى الله عليه وسلم-، ويستحيل القول بأنهم كتموها، فإذا كان بلغوها؛ فأين الدليلُ؟ وإذا لم يكن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال بها؛ فيسعك ما وسع النبي -صلى الله عليه وسلم- وَوَسِعَ أصحابَه.

فقولك بدعة

فقولك بدعة، هذه يمكن أن تستخدمها مع أيِّ مبتدع سواء أكانت بدعته علمية كبدع المتكلمين التي الآن الشيخ يُناظر فيها، أو بدعة عملية فيأتيك بعملٍ جديدٍ، بتسبيحٍ جديدٍ، أي عملٍ ليس على هَدْي النبي -صلى الله عليه وسلم- اطرح عليه هذه الأسئلة؟

يعتبر المتكلمين أيضا هؤلاء أم من البدع؟

العملية لا، لكن مِنَ المتكلمين مَنْ يَجمع بين البدعةِ العمليةِ والبدعة العلمية كما ذكر الشيخ مثلا عن غُلاة الحلوليةِ، قال: في جانب العبادة يسلكون مسالك الصوفية، وما الصوفية، وفي جانب التنظير يَسلكون مسلك الجهمية.

يقول: أنا عندي سؤال هو من شُبَهِ المتكلمين أنه لا يَجوز التقليد في مسائل الاعتقاد؛ لأنَّ مجرد التقليد ليس علما يقطع الشكَّ باليقين؛ فكيف نرد على هذه الشبهة؟

نعم، نحن نقول ونوافقهم على هذا القَدْرِ، أنَّ التقليدَ في بابِ الاعتقادِ لا يجوز، وباب الاعتقاد يُتَلَقَّى عن اللهِ وعنْ رسولِه -صلى الله عليه وسلم- عن الوحيين، لكن كما كَرَّرْنَا مِرَارًا أنَّ نصوصَ الكتابِ والسنةِ مضبوطة بفهم من؟ بفهم السلف، ولهذا نحن لما نأخذ هذه المسألة في الاعتقاد لا نقلد الإمام أحمد، أو نقلد الشافعي، وإنما نفهم هذا النصَّ على وَفْقِ ما فهموه -رضي الله عنهم وأرضاهم-.

(ولا يجوز -أيضا- أنْ يكونَ الخالفون أعلمَ مِنَ السلف كما يقوله بعض الأغبياء ممن لم يَقْدِرْ قَدْرَ السَّلَفِ، بل ولا عَرَفَ الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفةِ المأمور بها منْ أنَّ طريقة السلف أسلمُ، وطريقة الخلفِ أعلمُ وأحكمُ)

هذه المقولة لنا معها عدة وقفات، هذه مقولةٌ اشتهرت عن المتأخرين من المتكلمين، وأصبحت عندهم من الْمُسَلَّمَاتِ، وشعارًا يرددونه، وهي: "طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم".

أولا قبل الخوضِ في الرد على هذه المقولة ومناقشة قائلها، بالطبع هي قاعدة اتكؤوا عليها، أقول: قبل أن ندخل في مناقشة هذه المقولة، وإن أطلنا فيها قليلا فهذا لا يَمنع؛ لأنها ستُسَهِّلُ علينا فهمَ كثيرٍ مِنَ المسائلِ الآتية:

أولا: ما المراد بالسلفِ، وما المراد بالخلف؟

هنا قال: "طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم".

ما مرادهم بالسلف، وما مرادهم بالخلف؟

السلف في اللغة: المتقدمُ في الزمن، ولهذا سَلَفُ الرجلِ: آباؤه وأجداده.

أما في الاصطلاح؛ فاخْتُلِفَ في ذلك ما ضابط السلف، وأنتم ستسمعون كثيرًا: هذا مذهب السلف، هذا قول السلف، هذا خلاف ما ذهب إليه السلف.

من هؤلاء السلف؟

ما المراد بالسلف؟

المتقدمون من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- والتابعين الذين لابسوا النبوة، أو عصر النبوة أو قاربوه

أحسنت، هل هناك إجابة أخرى؟

هو ما كان عليه النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، وسلف الأمة

يعني عندنا الآن إجابتان: أخٌ يقول: ما كان عليه كبار الصحابة والأئمة والتابعون، أخونا الثاني يقول: إنَّه ما كان عليه النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، طبعا المسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: إن السلف هو ما ذَكَرَ زميلكم إنه ما كان عليه النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، بدليل حديث الافتراق، لما سُئِلَ -عليه الصلاة والسلام- كما في السنن من الفرقة الناجية قال: (هي من كان على مثل ما كنت عليه أنا وأصحابي).

القول الثاني: من أهل العلم من قال لا السلف هم أصحاب القرون المفضلة، واستدل بحديث تفضيل هذه القرون.

القول الثالث: مَنْ ذَهَبَ إلى أن السلف المراد به الصحابةُ -رضي الله عنهم- فقط، ولعل أرجح الأقوال، والذي يمكن أن تجتمع به هذه الأقوال أن السلف جمهور أصحاب القرون المفضلة، هو القول الوسط، هؤلاء هم السلف.

أما الخلفُ؛ فهذه العبارة من العبارات التي ما عُرِفَتْ إلا متأخرًا، والمقصود بها في اللغة هو المتأخر في الظهور، ولهذا خَلَفُ الرجلِ: أبناؤه وأحفاده. وَجَاءَ ذِكْرُها في القرآن بإسكان اللام في مَعْرِضِ الذم: ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ ﴾ [مريم: ٥٩]، ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، ولهذا قال لبيد:

ذَهَبَ الذينَ يُعَاشُ في أَكْنَافِهِمْ *** وَبَقِيتُ في خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ

أما المراد بهم في الاصطلاح؛ فأشار الشيخ أو سيشير الشيخ إليهم أن المقصود بالخلف هم ضربٌ من المتكلمين الذين عَظُمَ عن الله حجابُهم، وإلى آخر ما سبق.

طيب، لماذا سُمُّوا بالخلف؟

لأن هذه الفرق لم يكن لها لم يكن لها من الانتشار، والظهور، والتنظير، وَوُجِدَ لها الكتب إلا بعد انقضاء القرونِ المفضلة، صحيحٌ أنَّ بوادرها وأصولها ظَهَرَتْ في القرون المفضلة، فالخوارجُ ظَهَرُوا في عصر الصحابةِ، كذلك مذهب التشيع، كذلك مذهب الإرجاء، مذهب القدر ظهر في أواخر زمن الصحابة -رضي الله عنهم-، لكن هذه المذاهب لم تنتشر، ولم يكن لها كِيانٌ مُستقل إلا بعد انقضاءِ القرونِ المفضلةِ، ولهذا صاروا خَلَفًا بالنسبة لأولئك السلف.

وَغَالِبًا ما يُطلق هذا الاسمُ في معرض الذم على هؤلاء الذين سلكوا مسلك المناهج المخالفة لمنهج السلف -رضوان الله عليهم-.

هل هذه اللفظة في الخلف تحتوي جميعَ هؤلاء أهل البدع على اختلاف أصولهم، وعلى اختلاف مشاربهم، واختلاف أقوالهم؟

نعم، كأن السلف -رحمهم الله- أو العلماء أطلقوا على جمهور هؤلاء أنهم من الخلف، ولهذا قلت لكم: إنها غالبا ما تُطلق في معرض الذم.

والخلْف أفصح من الخلف؟

لا، كلاهما لغة، لكنها جاءت في القرآن بإسكان اللام في معرض الذم، لكن قالوا بالتحريك قد تأتي في معرض الذم وقد تأتي في معرض المدح، لكن بإسكان اللام لا تأتي إلا في معرض الذم.

يقول: أسأل عن من هم شيوخ ابن تيمية، أو سلسلة شيوخه.

نعم، لو رجعْنا إلى الوراء قليلا، نقول: شيوخه -رحمه الله- ذُكِروا في ترجمته، لكن من أبرز شيوخه: والده -رحمه الله-، فإنه كان من أئمة الحنابلة، وبيته بيت علم، كجده أبي البركات صاحب "المنتقى"، كما قال عنها الشيخ -رحمه الله- ألين لجدنا الفقه كما ألين لداود الحديد.

هناك ملحظ عند المتحدث عن كتاب العقيدة في هذا الدرس، وأيضا من خلالِ مشاركةِ الإخوان سواء عبر الإنترنت أو الاتصالات الهاتفية هناك إحجام أو مخاوف أو خوف أو السؤال أو المشاركة أو الكلام في هذا الأمر، هذا مسوغ أم أنه مثل ما ذكر إخواننا قضية..؟

لا، الإمام مالك يقول: "لا يطلب هذا العلم مُسْتَحٍ ولا مُستكبر"، فينبغي على طالب العلم أن لا يستنكف من السؤال أو يحجم عن السؤال، نعم إذا كان السؤال ليس في محله حتى في باب الاعتقاد لا مانع يُعلم ويُبيَّنُ له.

قد يعنف يا شيخ يعني يخاف من الزلل أو الوقوع في الخطإ فيُعَنَّفُ أو يُصنف فيحجم البعض

هذا الخوف أنا أقول: ليس في مكانه، ولا يمكن أن يتعلم الإنسان وهو بهذا الشعور، وأقول: الحمد لله الصحابة -رضي الله عنهم- سألوا النبي -صلى الله عليه وسلم- عن مسائل كثيرة، بل سألوه في مسائل دقيقة فيما يتعلق بالقدر، الذي هو سر الله في عباده، سألوا النبي -صلى الله عليه وسلم-، سألوه: "ففيما نعمل؟ أفي أمر قد اسْتُؤنفَ وانتهى أم أمر مضى أو أمر مستأنف"، سألوه عن أشياء سألها أبو رزين في مَجْمَعٍ من الصحابةِ: "يا رسول الله! أويضحك ربنا"، يسأل عن صفة من الصفات، "يا رسول الله! هل نرى ربنا؟!" ما في إشكال، الإشكال أن تسأل عن أمرٍ لا يمكن الإجابة عليه؛ لأنه لا يمكن أن يُدركَ بالعقلِ ولا في الشرح مثل الذي سأل الإمام مالك عن كيفية الاستواء وسيأتي الكلام عنه.

لعلك تذكرنا أن لا ننسى الكلام عن بقية فقرات هذه المقولة المهمة.

جيد، مثل طريقة السلف أسلم من طريقة الخلف

لماذا أطلقها الخلف؟ الخلف لماذا أطلقوا هذه العبارة؟ ثم الرد عليها هي العبارة الفاسدة لفظا معنى.

تقول: ما الفرقُ بين البدعة العملية والعلمية؟ أليس كل علم ينبني عليه عمل؟

البدع العلمية المقصود بها المقدمات النظرية، أما البدعُ العملية؛ فهي المتعلقة بالعبادات العملية؛ كالصلاة، والذكر، لكن هذه لا، هي متعلقة بجانبِ العلم، ولهذا غالبا البدع العلمية تأتي في مسائلِ البحثِ والمناظرة، وكما ذَكَرَ لكم شيخ الإسلام يقول: هؤلاء غلاة الحلولية يجمعون بين الجانبين فمثلا بدعة الجهمية في مسألة الأسماء

والصفات بدعةٌ علمية وليست عملية، وقولهم بأن الله حالٌّ في كل مكان هذه بدعةٌ عملية، ولهذا يترتب على هذا قضيةٌ عندهم أن عبادة كل شيء يُعتبر عبادة لله -عز وجل- تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

أسئلة الحلقة:

لماذا يَستحيلُ أن يكونَ أصحابُ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَصَّرُوا في باب الاعتقاد؟ يعني تقصير أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- من الأمور المستحيلة، علل ذلك.

يقول: هل صحيح أن من قال: إن الله في كل مكان كافر؟ وهل يمكن تعيين شخص بعينه يقول بهذه الكلمة بأنه كافر؟ وهل هي نفسها عقيدة الحلول؟

نعم الحلول عقيدتها اعتقاد أن الله حالٌّ في كل مكان، أما الاتحاد اعتقاد أن الله متحد بكل شيء.

الحال يعني فصل بين الخالق والمخلوق رب وعبد، لكن اعتقد أن هذا الرب في كل مكان تعالى الله عن ذلك، معنا هنا في السيارة، في السوق، في أي مكان تدخله الله حالٌّ فيه، أما الاتحاد الامتزاج مثل -تعالى الله عن ذلك- عندما يختلط الماء مع اللبن فعقيدة الحلول لا شك أنها عقيدة فاسدة، وكَفَّرَ أهل العلم من قال بهذه العقيدة، بل عَدَّ ذلك شيخ الإسلام أشد كفرا من كفر اليهود والنصارى، لكن هل يقال: فلان كافر؟

لا؛ لأنه احتمال أن يكون متأولاً، احتمال أن يكون جاهلاً، احتمال كذا، احتمال كذا، لما وردت هذه الاحتمالات؛ كان لا بد قبل أن يُكفر بعينها أن تقام عليه الحجة إزالة المانع؛ لأنه ربما يكون هناك مانع، فلا نتسرع في قضية الأحكام على الأشخاص، لكن ما في مانع أن يقال: إن من اعتقد هذه العقيدة؛ فهو كافر، كما كان الإمام أحمد وغيره يقولون: من قال: القرآن مخلوق؛ فهو كافر، ومع ذلك يُصلون خلف من يقول القرآن مخلوق؛ لأنه متأول.

تقول: هل يجوز التسمي بفلان السلفي؟ ما تقول بعض الملتزمين إذا أثنيت أمامهم على شيخ؛ سألوك هل هو سلفي أم لا؟ وإذا قلت: كل شيوخنا إن شاء الله سلفيين؟ قالوا إن هذا دين وعلينا أن نعرف عمَّن نأخذ ديننا، فهم يا فضيلة الشيخ لا يعترفون إلا بعدد قليل من الشيوخ الربانيين المشهورين جدًّا من الموتى والأحياء، ويقولون: إن هؤلاء طلابهم قالوا وما أدراكم ما أحدثوا من بعدهم؟ قضية السلفية

على كل حال قضية الانتساب للسلفي هذا اصطلاح ولا مُشاحَّة في الاصطلاح، وكان بعض العلماء يَنتسب هذه النسبة، ولكن إذا كانت هذه النسبة ستُحدث فُرقةً بين الناس، وبين أصحابِ المنهج الصحيح، واختلاف؛ فينبغي تجنبها لأنها ليست شرعية، نعم، أما قضية العلماء والأئمة؛ فالصحيح أن جمهور أهل العلم، وجمهور الأئمة كلهم على مذهب السلف الصالح، فلا ينبغي أن نأتي ونجعل مشرحة فلان سلفي من السلف، فلان ليس من السلف، فكل من التزم الكتاب والسنة على وَفْق منهجِ أصحابِ النبي -صلى الله عليه وسلم- وكبار الأئمة؛ فهو من السلف، وعلى منهج السلف، ومن خالفهم خاصة في أمور الاعتقاد ومن خالفهم؛ فيقال: خالف السلف، ولكن مستقلٌّ ومستكثر.

الأشاعرة هؤلاء الذين يُناظرهم شيخ الإسلام في هذه الرسالة وفي غيرها رد عليهم في "نقض التأسيس" ثمانية مجلدات هم أقرب لأهل السنة من الجهمية، وأقرب لأهل السنة من الرافضة، وأقرب لأهل السنة من الفلاسفة، أقرب لأهل السنة من المعتزلة ليسوا سواء.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

ذكرنا سؤالاً في الدرسِ الماضي أنَّه يَستحيل أن يكونَ أصحابُ القرونِ الفاضلةِ كانوا غيرَ عالمين أو غير قائلين بالحق؛ فما سبب ذلك؟ في هذا الباب؛ أي باب الأسماء والصفات.

لأن ضد ذلك إما عدم العلم، وإما عدم اعتقاد أو اعتقاد نقيض الحق، وهذا يستحيل

أحسنت، بارك الله فيك! نعم.. لأن ضد هذا الأمر إما عدم العلم أو عدم القول، أو اعتقاد نقيض الحق وكلاهما ممتنع على أصحاب القرون المفضلة.

كنا قد توقفنا أيضًا عند المقولة التي أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية، وَنَقَلَها عن المبتدعة الذين يقولون: "إن طريقة السَّلَف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم"، تطرقتم إلى هذه المقولة وأحببتم التوسع في شرحها، وفي الردِّ عليها، ولكن ضاق بنا الوقت الدرس الماضي

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

نعم، مثلما ذَكَرَ أخونا الكريم أنه لا زال الكلامُ حول هذه المقولة التي اشتهرت عن المتأخرين، من أن طريقة السَّلَف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم. وبدأنا في الدرس الماضي بتعريفٍ، أو ما المقصود بالسَّلَف والخلف، نعرف كيف صارت طريقة هؤلاء أسلم، وطريقة أولئك أعلم وأحكم، ثم بعد ذلك السؤال الثاني: ما مرادهم، أو ما الذي حَمَلَهم على إطلاق مثل هذه المقولة؟ لماذا جاؤوا بهذه المقولة في مَعْرِضِ موازنتهم بين طريقة السَّلَف والخلف؟ لماذا وَصَفُوا طريقة السَّلَف بالسلامة، ووصفوا طريقة الخلف بالعلم والحكمة؟

الجواب:

أن المتأخرين أطلقوا هذه العبارة؛ لأن هذه الأصول والقواعد التي ابتدعوها، وزعموا أنها من أصول الدين قد علموا أن الصحابة لم يتكلموا بها، تأويل نصوص الصفات لم يُؤْثَرْ عن أحدٍ من الصحابةِ أنه أَوَّلَ شيئًا مِنَ الصفاتِ كما صَنَعَ المتأخرون، هذه المقدمات العقلية أو التي يُسمونها مقدمات عقلية، وقواعد بَنَوْا عليها هذه النتائج لم يتكلم بها الصحابة.

والصحابة لهم من المنزلة والمكانة في نفوس الناس ما هو معلوم، فما المخرج من ذلك؟ طريقتكم جديدة لم يتكلم بها الصحابة فقالوا: طريقة الصحابة طريقة السَّلَف أسلم، وطريقة المتأخرين أعلم وأحكم، هذا هو الذي حملهم على إطلاق هذه العبارة المشهورة.

ما معنى هذه العبارة؟ وهل هي على إطلاقها؟ هل هي صحيحة؟

الجواب: أما قولهم: "طريقة السَّلَف أسلم"؛ فمقصودهم أن عَدَمَ النظر في فَهْمِ النصوص لتعارضِ الاحتمالاتِ، يعني عندهم النصُّ، أعطني أيَّ نصٍّ يا أخي الكريم في الصفات، أعطني أيَّ نصٍّ.

أعفني يا شيخ، الإخوة يشيرون إلى اتصالٍ هاتفيٍّ..

تقول: لو سمحتَ يا فضيلة الشيخ: هل قول العامة إذا سُئلوا معكم أحدٌ، أو هناك أحدٌ؟ أن يقولوا: "الله معنـــا"، "ما معنا إلا الله" هل هذا يعتبر من الحلولية؟

وقول الله –سبحانه وتعالى–: ؟ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ؟ [التوبة: ٤٠]

الآية أيضًا؟

نعم.

سؤال آخر: بالنسبة للأسئلة التي تكون في العقيدة –أسئلة الاختبارات– إذا أخطأ الطلاب في الأجوبة وكانـــت بعضُها شركيةً، يعني تَؤُول إلى الشركِ، إذا سُئلوا أسئلةً عَقَدِيَّةً وأجابوا أجوبةً خاطئةً تكون شركيَّةً، ما هو الفعلُ الصحيحُ لهم؟ هل يُصَوَّبُون أم يُخَطَّؤون أم يُسْتَدْعَوْن لتصويب أخطائِهم؟

نُرجئ إلى أن ننتهي، ثم نعود لإجابة سؤال الأخت.

أقول: أعطني أيَّ نصٍّ من النصوص المثبتة لأيِّ صفةٍ من الصفاتِ.

؟ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ؟ [الأعراف: ٥٤]

هم يقولون: إن السَّلَف تعارضت عندهم الذين هُم الصحابة وأصحاب القرون المفضلة معنى الاستواء، له عدة احتمالات، احتمال أن يكون العرشُ الْمُلْكَ، احتمال أن يكون الاستواءُ الاستيلاءَ، احتمال كذا، احتمال كذا، عـــدة احتمالات، فكان من الأسلم –على حدِّ زعمهم– أن الصَّحابة سكتوا، وَفَوَّضُوا المعنى إلى الله –عز وجل–، قالوا: "الله أعلمُ بمراد هذا النصِّ" يقولون: هذا أسلم؛ لأنه ربما تختار هذا المعنى ولا يكون هو المعنى الصحيحَ، قالوا: هذه الطريقة أسلم، طيب طريقة الخلف، قالوا: لا.. طريقة الخلف: معرفة النفي الذي هو –عندهم– الحقُّ الله ليس بكذا، وليس بكذا، وليس بكذا، هذا هو الأصلُ عندهم، النفي. اعتمدوا على النفي لماذا؟ لأجلِ التنزيه، يُنَزِّهون الله –عز وجل– عن مشابهةِ الخلق، وأما النصوصُ المثبتة للصفاتِ، فَحَاوَلُوا أن يجدوا لها تأويلاً = مَعْنًى يَتَنَاسَــقُ وَيَتَنَاسَبُ مع القاعدةِ الأصليَّةِ عندهم التي هي النفي، قالوا: "هذا ليس فيه السلامةُ بِقَدْرِ ما فيه مِنَ العلم والحكمةِ"، هذا معنى هذه المقولة، وما الذي ينبني على هذا الكلام؟ قول المؤلف.

قال المؤلف –رحمه الله–: (فإن هؤلاء المبتدعة الذين يُفَضِّلُون طريقة الخلفِ على طريقةِ السَّلَفِ، إنما أُتُوْا من حيث ظَنُّوا أنَّ طريقةَ السَّلَفِ هي مُجَرَّدُ الإيمانِ بألفاظِ القرآنِ والحديثِ، من غير فقهٍ لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال فيهم: ؟ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ ؟ [البقرة: ٧٨]، وَأَنَّ طريقةَ الخلفِ هي استخراجُ معـــاني النصوصِ المصروفةِ عن حَقَائِقِهَا بأنواعِ المجازاتِ وَغَرَائِبِ اللغَاتِ)

الشيخ هنا بَيَّنَ بُطْلانَ هذه المقولةِ مِنْ جِهَةِ المعنى، لكن نحن سنذكر أولاً فساد هذه المقولة من جِهَةِ اللفْظِ، ثم نأتي إليها من جهة المعنى، ونُبَيِّنُ فسادها كما ذكر الشيخ.

فالعبارة من ظاهرها يدل على أنها فاسدة، من يبين لي ذلك؟ عبارة "طريقة السَّلَف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم". سياق اللفظِ يُبَيِّنُ فَسَادَ هذه الطريقةِ قَبْلَ الدُّخُولِ في بَيَانِ المعاني الفاسِدةِ.

يقول: المتأخرون هم أعلم من الصحابة

لا.. هذه من جِهَةِ المعنى، دَعْهَا. لكنْ من جِهَةِ اللفظِ الآن؟

الموازنة عطف وطريقة للمساواة

لا.. أليستِ السلامةُ مُسْتَلْزِمَةً للعلمِ والحكمةِ، والعلمُ والحكمةُ مُسْتَلْزِمَيْنِ للسلامة؟! فإذا كانت طريقةُ السَّلَف أسلمَ؛ فهي من باب أولى أعلم وأحكم، فلا يُمكن أن نَفْصِلَ السلامةَ عَنِ العلمِ والحكمةِ، فالسلامة مستلزمة للعلم والحكمةِ، والعلمُ والحكمةُ مستلزمان للسلامة.

هذه العبارة ظاهرها فاسد، كونكم فَرَّقْتُم بَيْنَ السلامةِ وَبَيْنَ العلمِ والحكمةِ هذا فَسَادٌ في اللفظِ، أَمَّا مِنْ جهةِ المعنى...

تقول: أنا أحب علم العقيدة، ولكن لا أدري من أين أبدأ؟ في الجامعة أخذنا علم العقيدة فأحببت هذا الكتاب... من أين أبدأ بحيث إني ما أحب أني أقرأه أحب أحد يقرأه عليَّ وأسمع فقط وأنصت ولا أحب أن أقرأ، ما أدري ما الطريقة الصحيحة في اتباع هذا الشيء؟

أقول: فساد هذه العبارة أو هذه القاعدة التي اعتبرها المتأخرون قاعدةً عندهم يُواجهون بها كُلَّ مَن اعْتَرَضَ عليهم، وقالوا: أنتم ليس لكم سَلَفٌ في تَأْوِيلاتِكم هذه، السَّلَفُ لم يَلجؤوا إلى هذا، قالوا: هذه طريقتهم أسلم، لكن طريقتنا أعلمُ وأحكمُ، فسادها من جهة المعنى قول المؤلف: (فإن هؤلاء المبتدعة الذين يُفضلون طريقة الخلف -أي المتأخرين- على طريقة السَّلَف إنما أتوا من حيث ظَنُّوا أن طريقة السَّلَف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث).

أَصلُ الخطإ عندهم مبنيٌّ على خطإٍ آخرَ، كونهم -أولاً- فهموا أن طريقة السَّلَفِ هي ما يُسَمَّى عندهم بالتفويض، وهذا سيأتينا -إن شاء الله- في بحثٍ مستقلٍّ، وَهَذَا خَطَأٌ فَاحِشٌ على السَّلَفِ، واتهامٌ لهم كما قال الشيخ: إن مضمونها استجهال السابقين الأولين، واعتقاد أَنَّهم قومٌ بُلْهٌ، يعني لا عقولَ لهم، أميون؛ لأنه ما معنى التفويض؟ معنى التفويض: أن تَكِلَ فهم المعنى = معنى هذا اللفظ إلى الله -عز وجل- وَتَقْرَأَ مُجَرَّدَ لفظٍ، يعني الآن لو أقف أمامك يا أخي، وأبدأ أَرْطِنُ عليك باللغةِ الأعجميَّةِ؛ فهل تفهم مني حرفًا؟ لا.. قالوا: "السَّلَف كانوا يتعاملون مع نُصوصِ الصفاتِ كما يقرأ الإنسان أو يسمع كلامًا أعجميًّا لا يَفْقَهُ منه حَرْفًا"، وهل هذا فيه ميزة؟! هذا فيه اتهامٌ لهؤلاءِ وَمَنْقَصَةٌ، الآن إذا أَعْطَيْتَ لإنسانٍ كِتَابًا، إذا أردت أن تُقَلِّلَ مِنْ شأنه؛ تقول له: أنت تقرأ ولا تفهم، ما قيمة القراءة بلا فهمٍ؟! ولهذا الشيخ قال: (فإن هؤلاء المبتدعة الذين يفضلون طريقة الخلف على طريقة السَّلَف إنما أُتُو) من أين جاءهم هذا الخطأ؟ (حيث ظنوا أن طريقة السَّلَفِ هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث) الذي يسمونه التفويض، يُفَوِّضُون المعنى إلى اللهِ مِنْ غيرِ فقهٍ لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم: ؟ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ ؟ [البقرة: ٧٨]>

وهذا الكلام فاسد لوجوهٍ متعددةٍ:

الأمر الأول: أن من قرأ كتابًا في النحو، أو الفقه، أو الطب، أو الحساب كان عنايته بالألفاظ أم عنايته بتصور المعاني وفهم المعاني؟! لا شك الألفاظ ما فيها زيادة مزية، طيب إذا كان هذا مع هذه الكتب، فما الظَّنُّ بأصحابِ النبيِّ –صلى الله عليه وسلم– مَعَ كلامِ اللهِ وكلامِ رسولِه؟! هذا أمر.

الأمر الثاني: أنه إذا سمع الْمُتَعَلِّمُ مِنَ الْمُعَلِّمِ كَلامًا أو حَديثًا فإنه يَرْغَبُ أن يَتَعَلَّمَ المعنى قبل أنْ يَتَعَلَّمَ اللفظ، وَحِرْصُه على المعنى أكثر من حرصه على اللفظ.

الأمر الثالث: أن الله أَمَرَهم بِتَدَبُّرِ القرآنِ، في قوله: ؟ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ؟ [النساء: ٨٢]، ؟ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ؟ [المؤمنون: ٦٨]، ؟ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ؟ [ص: ٢٩]، هل استثنى الله –عز وجل– من هذا العموم شيئًا؟ استثنى نصوص الصفات؟ لا.. طيب التدبر فَرْعٌ عن ماذا؟ عن فَهْمِ المعنى، هل يمكن أن يَتَدَبَّرَ الإنسانُ كلاما لا يفهم معناه؟

أُعِيدُ المثالَ السَّابِقَ: لو أني الآن رَطَنْتُ عليك باللغة الأعجمية، وقُلْتُ لك: يا أخي الكريم تَدَبَّرْ هذا الكلامَ؛ قُلْتَ مباشرة: كيف أَتَدَبَّرُ كَلامًا لا أفهم معناه؟!

فالله –عز وجل– أَمَرَهم بالتدبر، فلو كان في القرآنِ شيءٌ لا يُفهمُ معناه؛ لَكَانَ هذا من بابِ تكليفِ ما لا يُطاق، كيف تأمرني بِتَدَبُّرِ كلامٍ لا أفهم معناه؟!

الأمر الرابع: أنَّ الصَّحَابَةَ –رضي الله عنهم– تَلَقَّوا الوَحْيَ عَنِ النبيِّ –صلى الله عليه وسلم– لفظًا ومعنًى، بل كما قال شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم –رحمه الله– قال: "كانوا يعتنون بالمعاني أكثر من عنايتهم بالألفاظ"، ولهذا روى الإمام أحمد والطبريُّ عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: "حدثنا الذين كانوا يُقرِؤوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود أنهم كانوا يَتَعَلَّمُون من النبي –صلى الله عليه وسلم– عشر آيات، ولا يتجاوزونها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا العلم والعمل"، وابنُ عُمَرَ مَكَثَ –كما روى مالكٌ في "الموطإ"– ثمانِ سنين يَتَعَلَّمُ سُورةَ البقرةِ، فهل يُقال: إن هؤلاءِ كانوا يَتَعَلَّمُون الألفاظَ ولا يَرْفَعُون بالمعاني رَأسًا؟! هل يقول بهذا عاقلٌ؟

أيضًا التابعون تَلَقَّوا عَنِ الصَّحَابَةِ –رضي الله عنهم– هذا الوَحْيَ لفظًا ومعنًى، كما ثَبَتَ عند الطبرانيِّ وغيره عن مجاهد، ومن مجاهد؟ هو كما قال سفيان الثوري: "إذا جاءك التفسير عن مجاهد؛ فَحَسْبُكَ به" يقول: "عرضت المصحف على .." من شيخه؟ حَبْرُ الأمةِ وَتَرْجُمَانُ القرآن ابن عباس، من أعظم تلامذة ابن عباس مجاهد، "عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عَرضَاتٍ، أُوقفه عند كل آية وأسأله عنها" ما استثنى من هذا شيئا، هذا دليل أنَّهم كانوا يفهمون المعاني ويُفسرون المعاني، ونُقِلَ عنهم الشيءُ الكثيرُ في تفسيرِ معاني القرآن، فكيف يقول قائل: إن طريقتهم هي التفويض؟

أيضًا الله –عز وجل– ذَمَّ الذين لا يَفهمون كلامَ اللهِ –عز وجل– في قوله: ؟ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ؟٤٥؟ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ؟ [الإسراء: ٤٥، ٤٦]، فلو كان السَّلَف مِنَ الصحابةِ وأصحابِ القُرُونِ المفضلة لا يَفهمون معاني الوَحْيِ؛ لَشَارَكوا هؤلاء في الذَّمِّ وَحَاشَاهُم ذلك.

هذه طريقةُ السَّلَفِ، إذن ليست كما زَعَمَ هؤلاء، وبهذا يَتَبَيَّنُ أنَّ طَرِيقَةَ السَّلَفِ هي الأَسْلَمُ، والأَعْلَمُ، والأَحْكَمُ، والأَقْوَمُ، وأن طريقة الخلفِ ليس فيها إلا الجهلُ والضَّلالُ، كما اعترفوا على أنفسهم.

يقول: (وأنَّ طَريقة الخلفِ هي استخراجُ معاني النصوصِ المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات)، ولهـذا قالوا: "هذه هي الطريقة الأعلم والأحكم" وهذا هو التأويل، المجازات جمع مجاز، والمجاز استخدام اللفظ في غير ما وُضِعَ له ابتداءً، وهذا موجود عند بعض الإخوة المتخصصين في اللغة وغرائبِ اللغاتِ، فكون هؤلاء الخلف يَصرفون النص عن ظاهره المعنى القريب إلى معنًى بعيد إلى معنًى مجازي ينقلونه من المعنى الحقيقـيِّ إلـى المعنى المجازيِّ ويسمونه تأويلاً يقولون: هذه هي الطريقة الأعلم والأحكم.

ويقرون بذلك ويُعلنونه

نعم يفتخرون بهذا الأمر.

(فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نَبْذُ الإسلام وراء الظهر، وقد كذبوا على طريقة الـسَّلَف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السَّلَف في الكذب عليهم، وَبَيْنَ الجهل والـضلال بتصويب طريقة الخلف)

فهذا الظَنُّ الفاسدُ ظَنُّهم أنَّ طريقة السَّلَف هي التفويض، وأنهم لا يفهمون معاني نصوصِ الـصفاتِ، يقـول: (أوجب تلك المقالة التي ..) المقالة ما هي؟ "طريقة السَّلَف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم" يعني هـذا الفـسادُ مبنيٌّ على هذا الفساد، هذا الخطأ مبنيٌّ على هذا الخطإ.

(مضمونها بنبذ الإسلام وراء الظهر) إذا كان الصحابة –رضي الله عنهم– لا يفهمون معاني القرآن؛ إذن كيف نفهم نحن نصوص الشرع لكي نُطَبِّقَ هذا الشرعَ؟! وقلنا دائمًا: إن فَهْمَ النَّصِّ متوقفٌ على مفهومِ الـسَّلَف لهـذا النصِّ؛ لأنهم أدرى الناس بمعاني الوحي الذي جَاءَ به النبيُّ –صلى الله عليه وسلم–، وقد كَذَبُوا علـى طريقـة السَّلَف حيث زَعَمُوا أنَّ طَرِيقَتَهم هي التَّفْويضُ، وَضَلُّوا في تصويب طريقةِ الخلفِ، فطريقةُ الخلفِ الصحيحُ أنها طريقةٌ فاسدةٌ، صَرْفُ اللفظِ عن احتماله الراجح عن المعنى القريب إلى معنًى بعيد بغير دليـلٍ، وإنمـا بِـسَبَبِ القواعدِ التي قَعَّدُوها لأنفسِهم، جاؤوا وَحَمَلوا نصوصَ الصِّفَاتِ على هذه المعاني الفاسدةِ. هذا ضـلال وليـست بطريقةٍ صائبةٍ، فَجَمَعُوا بَيْنَ الجهْلِ بطريقةِ السَّلَفِ في الكَذِبِ عليهم، وبين الجهلِ والضَّلالِ بتـصويب طريقـةِ الخلفِ.

(وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفةٌ دَلَّتْ عليها هذه النصوصُ للشبهاتِ الفاسدةِ التي شَـاركوا فيها إخوانهم من الكافرين، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر، وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى؛ بَقَوْا مُتَرَدِّدين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى، وهي التي يُسمونها طريقة السَّلَف، وَبَيْنَ صرفِ اللفـظِ إلـى معانٍ بنوع تَكَلُّفٍ، وهي التي يسمونها طريقة الخلف، فصار هذا الباطل مُرَكَّبًا من فسادِ العقل والكفر بالسمع، فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمورٍ عقليَّةٍ ظَنُّوها بَيِّنَاتٍ وهي شُبُهَاتٌ، والسمعَ حَرَّفُوا فيه الكلام عن مواضعه)

يقول: (وسببُ ذلك) سبب هذه المقولة (اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هـذه النـصوص)، نصوص الصفات: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿ سَـبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ [الأعلى: ١]، ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥]، ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢]، هم أولاً جَعَلُوا عندهم نتيجةً مُسْبَقةً = أنَّ هذه النصوصَ لا تدل على هذه الصفات، الله لا يتصف بهذه الـصفات، لا يتصف بالغضبِ ﴿ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفتح: ٦]، لا يتصف بالرحمة ﴿ وَرَحْمَتِـي وَسِـعَتْ كُـلَّ شَـيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، طيب عندهم إذن القاعدة الأساسية أنه: "لا يمكن أن يكون الله مُتَّصِفًا بهذه الصفات"، لمـاذا؟ للشبهاتِ الفاسدةِ التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين، من الفلاسفة، والباطنية، ومن القرامطة، وغيرهم الذين حَرَّفُوا نصوصَ الوَحْيَيْن.

الشبهات ستأتي، يعني نَفَوْا هذه الصفات، ما الذي حَمَلَهم على نَفْيِ هذه الصفاتِ؟ دَعِ النصوصَ الشرعيَّة التي جاءت بإثباتِ هذه الصفات، هم الآن عندهم قاعدةٌ انطلقوا منها: "أن الله ليس بمتصفٍ بهذه الصفاتِ" القاعدة عندهم بَنَوْهَا على شُبُهَاتٍ، والشبهاتُ كثيرةٌ، منها مثلاً: "إثباتُ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ"، "إثبات الصفات يستلزم التشبيه" هذه قواعد أصَّلُوها لأنفسهم، بَنَوْا عليها نفيَ الصفات، ولهذا قال الشيخ: (للشبهات الفاسدة) وهم يُسَمُّونها أدِلَّةً عَقْلِيَّةً، أُصُولاً عَقَدِيَّةً لا تَقْبَلُ النقاشَ عندهم، الشيخ يُسميها "شبهات" وليست أدلة "شبهات" (التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات) في نفس الأمر قالوا: "الله ليس بمتصف بهذه الصفات"، (وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى) هذه النصوص التي أثبتت هذه الصفات كيف يعملون معها؟ تأتيهم تقول لهم: يقول الله -عز وجل-: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥]، كيف تصنع بهذا النص؟ جاؤوا الآن.

أصبح النص غصَّةً

نعم.. كيف يتعاملون معه؟ قال: (وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى؛ بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ) قالوا: نُؤْمِنُ بهذه الآيةِ، لكن المعنى؟! نَكِلُ معناها إلى الله -عز وجل- ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، محتمل أن الله -عز وجل- يريد بهذه الآية خلق السماوات والأرض، يمكن أنه يريد بهذه الآيةِ إرسالَ الرسلِ، يمكن أن يريد بهذه الآية إيجابَ الصلاةِ، طيب كيف نعرف معناها؟ قالوا: الله أعلم، اقرإِ اللفظَ ولا تُمْعِنْ عقلك في فهمِ معنى هذا النَّصِّ، هذا يُسَمُّونَه التفويضَ، وهذا هو الذي وَصَفُوا به السَّلَفَ، قالوا: السَّلَف كانوا يتعاملون مع نصوص الصفاتِ بهذا الشكل.

(بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى) يسمونه، ولهذا يسمى عند السَّلَف هذه الطائفة وهي شَرٌّ مِنَ الْمُؤَوِّلَةِ، يسميهم السَّلَف الْمُفَوِّضَة، (وهي التي يسموها طريقة السَّلَف) يقولون: هذه هي طريقة السَّلَف، أنهم يَقْرؤون هذا النَّصَّ ويَكِلُون معناه إلى اللهِ -عز وجل- (وبين صَرْفِ اللفظِ إلى مَعَانٍ بِنَوْعِ تَكَلُّفٍ) ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، قالوا: ماشي الحال، ليس معناه علا وارتفع كما نُقِلَ عن السَّلَف -رحمهم الله- لا، معناه "ثم استولى"، مَعْنًى مُتَكَلَّفٌ ليس له مُسْتَنَدٌ في اللغةِ ولا في الشرعِ، وهي التي يُسَمُّونها طريقة الخلفِ، يسمونها تأويلَ النصوصِ، والسَّلَف يسمونها تحريفًا للنصوص، ليس بتأويلٍ، هذا تحريف.

(فصار هذا الباطلُ مُركبًا من فسادِ العقلِ) كونهم جعلوا هذه أصولاً عقليَّةً وهي شُبُهَاتٌ، هذا فسادٌ في العقلِ، وإلا لو كانتِ العقولُ صحيحةً؛ لأدركتْ أنَّ هذه شبهاتٌ وليست أُصُولاً عقليةً؛ لأنَّ الأصولَ العقلية لا يُمكن أن تَتَغَيَّرَ، الأصول العقلية أو الأدلة العقلية لا يمكن أن تَتَعَارَضَ مع السَّمْعِ، فلما تعارض هذا العقلُ الذي جاؤوا به مع السمع؛ عَلِمْنَا أنَّها شُبْهَةٌ، وأنَّ العقولَ فَاسِدَةٌ.

(فَصَارَ هذا الباطلُ مركبًا من فسادِ العقلِ والكفر بالسمع):

والكفر بالسمع كونهم ما آمنوا بالسمع كما أَرَادَ الله -عز وجل-، الله أَمَرَهم أن يُؤمنوا بهذا السَّمْعِ، ويَعملوا بما فيه، ويَفهموا معناه، وَهُم ما فَعَلُوا ذلك.

(فإنَّ النَّفْيَ إنما اعتمدوا فيه عَلى أُمُورٍ عقلية): أيُّ نفيٍ؟

الصفات

أحسنت، نفي الصفات اعتمدوا فيه على أمورٍ عقليةٍ مبناها على الاجتهادِ العقليِّ، ظَنُّوها بَيِّنَاتٍ، وهل هي بَيِّنَاتٌ؟ لا.. هي شُبُهَاتٌ، ولهذا نَقَضَهَا شيخُ الإسلام -رحمه الله- شُبْهَةً شُبْهَةً، نقضها بِأَيْشٍ؟ بالعقلِ والسمع، فَبَيَّنَ أنَّها ليست بأدلةٍ عَقْلِيَّةٍ كَمَا زَعَمَ هؤلاء.

(والسمعَ حَرَّفوا فيه الكلام عن مواضعه)؛ لأنهم صرفوه عن معناه القريب = المعنى الذي أراد الله إلى معانٍ بعيدةٍ.

هم أحيانًا عندما يَقعُونَ في حَيْرَةٍ في مِثْلِ هذه الأمورِ عندما يَنْفُونَ صِفَةً قد يُثْبِتُون شيئًا غيرَ مُتَصَوَّرٍ، يعني عقلاً، أو مثلاً ينفون اليد يثبتون مثلاً ويشبهونها...

يقولون –مثلاً–: القدرة أو النعمة، نعم.. لا شَكَّ وهذا ينفيه العقل.

يخرجون من..

يخرجون من شيءٍ وَهُمْ –في واقع الأمر– خَرَجُوا مِنْ تشبيهٍ فوقعوا في تشبيهٍ شَرٍّ مِنَ التَّشْبِيهِ الذي أَقَرُّوه.

ولا يُتَصَوَّرُ

الآن لما نَفَوْا عن اللهِ الصفات فرارًا من ماذا؟

من التشبيه

من التشبيه بماذا؟

بالمخلوقات

بالمخلوقاتِ، بالكائناتِ الحيَّةِ، بالمخلوقِ، ببني آدمَ، طيب، لكنهم الآن شَبَّهُوه بماذا؟ بالجماداتِ، ما الشيءُ الذي لا يَتَكَلَّمُ؟ ولا يَسْمَعُ؟ ولا يُبْصِرُ؟ ولا يَتَحَرَّكُ؟ أو لا يأتي ولا ينزل؟ الجماد، وأحيانًا يشبهونه بالمعدومات، ولهذا قال محمود بن سبكتين –رحمه الله– لَمَّا سَمِعَ الجهميَّ وهو يصف الله –عز وجل– عنده: "الله ليس بسميع، ولا بصير، ولا متكلم، وليس له قدرة، ولا.. ولا..." يأتي بأي صفة ويضع أمامها أداة نفي، قال له: "سألتك بالله! مَيِّزْ لي بين هذا الربِّ الذي تَعبُدُه وبين العَدَم" لو قلت لك: صِفْ لِيَ الْعَدَمَ؛ ما وَجَدْتَ أَحْسَنَ منْ هذا الوَصْفِ الذي وَصَفْتَه، فَهُمْ فَرُّوا من تشبيهِ اللهِ بالموجوداتِ فوقعوا في شَرٍّ مما فَرُّوا منه.

ولهذا شيخ الإسلام يقول في "الواسطية" ولعلها مَرَّتْ على الإخوة المتابعين في الأكاديمية أن: "كُلّ معطل يجمع بين التشبيه والتعطيل"؛ لأنه لا يمكن أنْ يَقَعَ في التعطيل إلا وقد مَرَّ بمرحلةِ التشبيهِ، انقدح في ذهنه التشبيه؛ فَعَطَّلَ، ولهذا يجمع في تعطيله بين التشبيه والتعطيل.

ثم قال –رحمه الله–: (فلما انْبَنَى أمرُهم على هاتيْن المقدمتيْن الكفريتيْن؛ كانت النتيجةُ استجهالَ السابقين الأوَّلين واستبلاهَهم، واعتقادَ أنهم كانوا قومًا أميين، بمنزلةِ الصالحين من العامَّة، لم يَتَبَحَّرُوا في حقائقِ العلم باللهِ، ولم يَتَفَطَّنُوا لدقائقِ العلم الإلهيِّ، وأنَّ الخلفَ الفضلاءَ حازوا قَصَبَ السَّبْقِ في هذا كلِّه)

يقول: (فلما انبنى أمرهم) من؟ المتكلمون، (على هاتين المقدمتين) ما المقدمتان هنا؟ الشيخ يُحيل إلى مقدمتيْن سابقتيْن.

المقدمة الأولى: أن طريقة السَّلَف هي مجردُ الإيمانِ بالألفاظِ من غير فهمٍ للمعاني، هذه المقدمة الأولى.

المقدمة الثانية: طريقة الخلف أنها استخراجُ معاني النصوصِ المصروفةِ عن حقائقِها لأنواعِ المجازاتِ إلى آخرِ ما ذكَرَ.

النتيجة: إذا كان السَّلف فقط مجرد الإيمان بألفاظِ النصوص، والخلف لا.. فهم النصوص، وفهم المعاني، وتَعَقُّل هذه المعاني؛ فالنتيجة هي استجهال السابقين، كون السابقين أجهلَ من المتأخرين = من المتكلمين.

مَن السابقون؟

الصحابة، والتابعون، وتابعوهم، وكبار الأئمة.

نتيجة لهاتين المقدمتين قال الشيخ: (النتيجة: استجهال السابقين الأولين واستبلاههم) بمعنى أنهم قوم بُلْهٌ ناقصو العقل.

(واعتقاد أنهم كانوا قومًا أُمِّيين بمنزلةِ الصالحين من العامة لم يتبحروا في حقائق العلم)؛ لأن المتبحر في حقائقِ العلم هو الذي يفهم المعنى، ويفسر المعنى، ويذكر معاني هذه الألفاظ. أما أولئك كانوا "دراويش" يَقرأ ويتكلم فقط، ولا يفهم معاني هذه النصوص، وحاشاهم، ويُنَزَّهُون عن ذلك، ولا يمكن أن يقول هذا الكلام عاقلٌ أو مُسْلِمٌ.

(ولم يَتَفَطَّنُوا لدقائقِ العلم الإلهيِّ، وأن الخلف الفضلاء الذين هم المتكلمون -كما سيأتي- حازوا قصب السبق في هذا كلِّه) بمعنى تقدموا على هؤلاء السابقين. و(حازوا قصب السبق): هذا مثالٌ يُضرب للسابق، سابقًا إذا اجتمع الناسُ في ميدانِ السِّباقِ وضع في الْحَلَبَةِ عند خطِّ النهاية قصبةٌ؛ لأنه لم يكن هناك حكامٌ هنا وحكام هناك وضبط الأمور، فالأول الذي يَقْتَلِعُ هذه القصبة يُعرف أنه هو الذي وَصَلَ أولاً، فيُقال: "حاز قصب السبق".

تقول: هل الذين يؤولون الصفات يُعَاقَبُون في الآخرة إذا كانوا يَتَعَبَّدُون الله بذلك، ويظنون أن ذلك أصوب؟

ثم قال المؤلف -رحمه الله-: (ثم هذا القول إذا تَدَبَّرَه الإنسان؛ وَجَدَه في غايةِ الجهالةِ، بل في غايةِ الضلالةِ، كيف يكون هؤلاء المتأخرون لا سِيَّما والإشارة بالخلف إلى ضربٍ من المتكلمين الذين كَثُرَ في بابِ الدِّين اضطرابُهم وَغَلُظَ عن معرفةِ الله حجابُهم، وأخبر الواقف على نهايات إقدامهم بما انتهى إليه من مرامهم حيث يقول:

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ الْمَعَاهِدَ كُلَّهَا ** وَسَيَّرْت طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ

فَلَمْ أَرَ إلاَّ وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ ** عَلَى ذَقَنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ

وأقروا على نفوسهم بما قالوه متمثلين به، أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم كقول بعض رؤسائهم:

نِهَايَةُ إقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالُ ** وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالُ

وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مَنْ جُسُومِنَا ** وَغَايَةُ دُنْيَانَا أَذًى وَوَبَالُ

وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمرنَا ** سِوَى أَنَّا جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُو

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتُها تَشفي عليلاً، ولا تَروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥]، وقوله: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠]، واقرأ في النفي: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠]، ومَنْ جَرَّبَ مثل تجربتي، عَرَفَ مثل معرفتي)

)
)

يقول الشيخ: (ثم هذا القول إذا تَدَبَّرَه الإنسانُ؛ وَجَدَه في غايةِ الجهالةِ)؛ أي من فَضَّلَ طريقة الخلف على طريقة السَّلَف، بل في غاية الضلال كيف يكون هؤلاءِ المتأخرون الذين هم الخلف، الشيخ الآن يُعَرِّف الخلفَ، وأشرْنا إلى هذا سابقًا، قلنا: سيأتي تعريفُ الشيخ للخلفِ، قال: (لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضَرْبٍ من المتكلمين) أهل الكلام، سُمُّوا بهذا الاسم، اخْتُلِفَ في ذلك، ولكن لَعَلَّ أَرْجَحَ الأقوالِ في هذا أَنَّ أول مسألةٍ حَصَلَ الخلافُ والنقاشُ فيها، أو التوسعُ فيها بالعقل مسألةُ الكلامِ هل هو مخلوق أم غير مخلوق؟ وهناك قول آخر: أنهم سموا بالمتكلمين؛ لأن أكثر ما عندهم الكلام، وَمَلَؤُوا بُطُونَ كتبهم بالكلامِ، المسألة التي يُمكن أن تُقَرِّرَها بأسطرٍ هم يكتبون فيها مجلداتٍ، الدليل الذي أحيانًا في القرآن في كلماتٍ ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ [الطور: ٣٥]، هذا دليلٌ مُتكاملٌ بمقدماته ونتيجته، هم يأتون يُقررون هذه الحقيقة أحيانًا في صَفَحَاتٍ، فَسُمُّوا أهلَ الكلامِ لكثرةِ الكلامِ عندهم.

(كيف يكون هؤلاءِ المتأخرون لا سيَّما والإشارةُ بالخلفِ إلى ضربٍ مِنَ المتكلمين الذين ..) الشيخ الآن يصف هؤلاءِ الخلفَ، هؤلاء المتكلمين (الذين كَثُرَ -في باب الدين- اضطرابهم)، وسيأتي الدليلُ على ذلك، أنَّهم من أكثرِ الناسِ شَكًّا، ومن أكثرِ الناسِ اضطرابًا، ومن أكثرِ الناسِ اختلافًا، وهذا هو الذي مَيَّزَ منهجَ السَّلَفِ عَنْ منهجِ الخلفِ.

الاستقرار

الاستقرار، الثبات، الاتفاق، المسائل التي يقول بها أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما- وكبارُ الصحابة هي المسائل التي قال بها الشافعي، ومالك، وأبو حنيفة، والإمام مالك هي المسائل التي قال بها شيخ الإسلام، وابن القيم، وهي المسائل التي قال بها محمد بن عبد الوهَّاب، وهي المسائل التي قال بها الشيخ ابن عُثَيْمِين والشيخ ابن باز -رحمهما الله-؛ لأنهم يَنهلون من معينٍ واحدٍ، لا يوجد خلافٌ، هم متفقون، أما هؤلاء؛ فَكَثُرَ -في باب الدين- اضطرابهم.

الخوارج كم بدؤوا من فرقة؟ بدؤوا فرقةً واحدةً، ثم تَشَعَّبُوا إلى فِرَقٍ، كل فِرْقَةٍ تَلعنُ أختَها، وتُكَفِّرُ أختَها، المعتزلة بَدَؤُوا فِرْقَةً واحدةً، ثم تَشَعَّبُوا على أنفسِهم وَتَفَرَّقُوا فِرَقًا وَأَحْزَابًا، كل فرقة تُضلل وتُكفر الفرقة الأخرى، وَهَلُمَّ جَرًّا، الجهمية، وكل من حَادَ عن هذه السبيلِ.

(وغلظ عن معرفة الله)

إذن نتوقف على هذا المقطع، ولعلنا نكمله إن شاء الله تعالى.

السؤال الأول: الأخت تسأل عن قول العامة إذا سئلوا "هل معكم أحد؟" أو "هل هناك أحد؟" يقولون: "ما معنا إلا الله" هل هذا من باب الحلولية؟

هذا الكلام صحيح وكلام حقٌّ، وَدَلَّ عليه الكتاب والسنة، الله -عز وجل- يقول: ؟ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ؟ [المجادلة: ٧]، وقال في الآية الأخرى: ؟ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ؟ [الحديد: ٤]، نعم.. لكنَّ المعية -هنا- ليست المعية التي يَظنُّها أهلُ الحلولِ أن الله معنا بذاته، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وإنما كما فَسَّرَها السَّلَف وكما فُسِّرَت في النصوص، أنَّ الله مَعَنَا بعلمه، فإذا قال العوام: "الله معنا" فالمقصود بعلمه، وبإحاطته، وأحيانًا بنصرته، وبتأييده.. إلى آخره.

كذلك قوله سبحانه: ؟ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ؟ [التوبة: ٤٠]، هذه أيضًا من المعية، والسَّلَف أو العلماء قَسَّمُوا المعية إلى قسميْنِ:

معية عامة: يَدل عليها قوله سبحانه: ؟ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ؟ [الحديد: ٤]، ومقتضى هذه المعيةِ العلمُ والإحاطةُ، أن الله مع جميع الخلقِ الكافرِ والمؤمنِ، معهم بماذا؟ بعلمه، بإحاطتِه.

ومعية خاصة: مع بعض الناس مثل: ؟ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ؟ [التوبة: ٤٠]: بالنصر، بالتأييد، بالحفظ، وقوله -سبحانه- لموسى وهارون: ؟ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ؟ [طه: ٤٦]، ؟ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ؟ [النحل: ١٢٨]، هذه معية خاصة.

تسأل تقول: الأسئلة تكون في باب العقيدة ويُخطئ فيها الطالب، هل يُراجع في خَطَئِه وقد تكون الإجابةُ شركية أو إجابتُه تُفضي إلى شركٍ؟

نعم.. الأسئلة التي تأتي لمجردِ الامتحان، هذه ولو أخطأ الإنسان فيها ما يُؤاخذ -إن شاء الله-، إنما يؤاخذ على الشيء الذي عَقَدَ عليه قلبه، كون الطالب يختبر فيخطئ حتى ولو كان الخطأ، لكن يحسن أن يُنَبَّهَ لهذا الخطإ.

تريد نتوقف مع الآية ؟ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ؟ [طه: ٥]

ما معناها؟

أشارت إلى السؤال عن معناها وكذا؟

هذه طبعًا الكلام فيها يطول، معناها على ظاهرها كما قال ابن عباس: "علا وارتفع"، وكما فَسَّرَها السَّلَف -رحمهم الله- وهذا معنى الاستواء في لغة العرب، والقرآن يُفَسَّر بماذا؟ بلغة جهم بن صفوان أو بلغة الرازيِّ؟! لا.. يُفَسَّر باللغة التي نَزَلَ بها، بلغةِ العربِ، فالعربُ فَسَّرُوا الاستواءَ بالعلوِّ والارتفاع، فمعنى قوله سبحانه: ؟ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ؟ [الأعراف: ٥٤]: علا وارتفع على العرش، وسيأتي -إن شاء الله- الكلام تفصيلاً على هذه الصفة.

أسئلة الحلقة

السؤال: المقولة التي اشتهرت عند المتأخرين: "طريقة السَّلَف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم" بينا أن هذه العبارة فاسدة لفظًا ومعنًى، السؤال: بيِّنْ فسادَ هذه العبارة من جهة اللفظِ؟

تقول: إنها تهتم بعلم العقيدة ولكن لا تعلم أين تبدأ في دراسة هذا العلم، وتقول: أحب أن أقرأ أو يُقرأ عليَّ في هذا وأن أستمع فما نصيحتكم لها؟

أولاً نقول: زادها الله حرصًا وعلمًا، ورزقنا وإياها الإخلاصَ في القول والعمل!

وهذا بابٌ إذا وُفِّقَ الإنسانُ له؛ فقد وُفِّقَ -بإذن الله- إلى خيرٍ كثيرٍ؛ لأنَّ -كما ذكر المؤلف في أول الكتاب- أنَّ أشرفَ ما اكتسبته النفوس وحصلته العقول هذا العلم؛ لأنه العلمُ بالله -عز وجل- وكلما ازداد الإنسان علمًا بالله؛ ازدادَ خشيةً وخوفًا وعبادة. فالعبادة فرعٌ عنِ العلم به سبحانه، ولهذا فإنَّ المعصية فرعٌ عنِ الجهلِ بالله -عز وجل-؛ إذْ لو تَصَوَّرَ هذا العاصي منزلة اللهِ -عز وجل- ومكانة اللهِ -عز وجل-؛ ما أقدم على معصيته، فكان أعظم الناس تقوى وخشيةً لله -عز وجل- هم الأنبياء، والسبب أنَّهم أعلمُ الناس بالله -سبحانه وتعالى-.

كيف يبدأ طالب العلم؟

بالطبع عليه أن يبدأ -كما ذكر العلماء- يبدأ بالمتونِ المختصرة، يبدأ بالمختصراتِ يُؤسِّسُ بها، تقول: أنا ما أستطيع أن أقرأ ابتداءً، وأحب أن أستمع، نقول: وهذه هي طريقة طالب العلم، خاصة في مثل هذا العلم الذي الأصل أنه يُتَلَقَّى عنِ العلماء، تقول: ما يتيسر لي الوصول إلى العالم، أو الذهاب إلى العالم؛ نقول: الحمد لله الأمر الآن يسير، دروس العلماء مسجلة، وموجودة.

أقراص وكاست

نعم.. في المواقع، الآن ولله الحمد يعني نقول من غير استثناء جميع الدروس الآن مفرغة، فعلى طالبِ العلم إذا لم يَتَيَسَّرْ له حضورُ هذا الدرسِ أو عند العالم مباشرة وهذا أفضل وأحسن؛ فينتقل إلى المرحلةِ الأخرى أنه يتابع هذا الدرس من خلال هذه الأشرطة، لكن لا بد أكرر وحتى في درسنا هذا لا بد أن يكون الكتابُ بين يديْ الطالبِ، وإلا؛ فلن يستفيد الفائدة المطلوبة.

فتبدأ بالمختصرات، ويكون المتن بين يديها، إذا لم يَتَيَسَّرْ لها حضورُ الدروس؛ فعنْ طريقِ الأشرطةِ، تُتابع، تُعلق، تَكتب، والحمد لله سيكون الشيخ معها في البيتِ في غرفة النوم، يكون معها الشيخ في السيارة، وهذه نعمةٌ منَ اللهِ -عز وجل- أن هذه الدروس الآن موجودة معنا، وهؤلاء العلماء معنا، نحن لسنا بحاجة لذواتهم، لكن بحاجة إلى علمهم وعلمهم ولله الحمد موجود.

تسأل عن الذين يؤولون الصفات تقول: هل يعاقبون في الآخرة؟

مسألة العقاب وعدم العقاب، هل يحاسبون أم لا يحاسبون؟ هذا ليس لنا، هذا أمْرُه إلى الله -عز وجل-، وَقَدِمُوا على حَكَمٍ عَدْلٍ يَتَصَرَّفُ في عبادِه كيفَ يشاء، لكن نحن الذي يهمنا هنا هل هذا المنهج صحيح أم فاسدٌ؟ هل هذه المقولةُ صحيحةٌ أم خاطئةٌ؟ ولهذا الشيخ -رحمه الله- وهذا منهج يحتاج له كل طالب علم، لاحظوا الآن، في ردوده على هؤلاء، وستجدون أحيانًا تقولون يشدد عليهم، لكن لما جاء الكلام على ذَوَاتِهِم؛ قال كلمة جميلة تُكتب بمداد الذهب، قال: "وإني لأرجو الله أن يَغْفِرَ لهم على حَسَبِ نياتهم، فإنهم ما أرادوا إلا الخير" ما أرادوا إلا تنزيهَ اللهِ -عز وجل- يقول: "أرجو أن يحاسبهم الله على قدر نياتهم لا على قدر أعمالهم" لكن أقوالهم وأعمالهم إذا كانت خطأً يجب أن نبين أنها خطأٌ، يُعاقبون أو لا يُعاقبون، يُحاسبون أو لا يُحاسبون أمرهم إلى الله -عز وجل-.

أو الحكم عليهم أنهم من أهل النار أو كذا جنة أو نار

لا يجوز.. نعم.. لكن نحن نقول: أخطؤوا في هذا، ولكن نرجو إذا كان خطؤهم هذا لا يخرجهم عـــن دائـــرة الإسلام؛ فنرجو أن يغفر الله -عز وجل- لهم ذلك.

الدرس الخامس

شرح وتعليق على كتاب الفتوى الحموية الكبرى

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

كنا في اللقاء الماضي تناولنا طرقًا مما أورده شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في جملةٍ من المقولات التي ذكرها هؤلاء المتكلمون، وبينتْ ما هم فيه من خطإ، وضاق بنا الوقت أن نستعرض هذه المقولات، وأن تُعلقوا عليها، ولكن قبل ذلك لو طرحتم السؤال الذي طُرح في نهاية الدرس الماضي، ونتلقى إجابات من الإخوة معنا في الأستديو....

السؤال الذي سبق أن طرحناه بيان فساد مقولة المتأخرين من المتكلمين أنَّ طريقة السلفِ أسلمُ، وطريقة الخلف أعلمُ وأحكم، قلنا إن هذه المقولة فاسدة من جهة اللفظ ومن جهةِ المعنى، نحن نريد الآن فساد هذه المقولة من جهة اللفظ.

يا شيخ بما أنَّ طريقة السلف أسلم، فهي من باب أولى تكون أعلم وأحكم.

أحسنت، نقول: هناك تلازم بين السلامة، والعلم، والحكمة، فإذا كانت طريقة السلف اعترفوا وأقروا أن طريقتهم أسلم؛ فمن باب أولى أن تكون أعلم وأحكم، يستحيل أن تكون الطريقة أسلم وليست بأعلم وأحكم، كما أن من كانت طريقته أعلم وأحكم؛ فطريقته أسلم.

لعلنا نقرأ العبارة التي ذكرها المؤلف -رحمه الله-: قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في كتابه، أو في جوابه: (ثم هذا القول إذا تدبره الإنسان؛ وجده في غاية الجهالة بل في غاية الضلالة، كيف يكون هؤلاء المتأخرون لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضربٍ من المتكلمين الذين كَثُر في باب الدين اضطرابهم، وغلظ عن معرفة الله حجابهم، وأخبر الواقف على نهاية إقدامِهم بما انتهى إليه من مرامهم، حيث يقول:

لعمري لقد طفتُ المعاهدَ كلها *** وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أرَ إلا واضعا كف حائر *** على ذقن أو قارعا سن نادم

وأقرُّوا على نفوسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم؛ كقول بعض رؤسائهم:

نهاية إقدام العقول عقال *** وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا *** وغاية دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا *** سوى أن جمعنا فيه قيل وقالو)

)

ثم يقول: (لقد تأملتُ الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن؛ اقرأ في الإثبات: ؟ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ؟، ؟ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ؟، واقرأ في النفي ؟ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ؟ وقوله: ؟ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ؟، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي).

)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لا زال كلام الشيخ في مقدمته عن هذا الكتاب في الردِّ على مقولة المتكلمين: "طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم"، والآن سيَسرد وسيذكر بعض مقولاتِ هؤلاء، بل أئمة هؤلاء التي اعترفوا من خلالها أنهم لم يَصلوا إلى اليقينِ المنشودِ، ولم يُوصِلْهم هذا المسلك إلى الحقِّ الذي كانوا يُريدونه.

يقول –رحمه الله– (وأخبر الواقف على نهاية إقدامهم بما انتهى إليه من مرامهم): المرام: نهاية النبت، آخر النبت، يعني بما انتهى إليه آخر أمرهم، وهذا الشّهرستانيّ –رحمه الله– نُسبت هذه الأبيات له، وقيل إنه نقلها في كتابه "نهاية الإقدام". فهناك من نَسَبَهَا لأبي بكر محمد بن باجه. يقول في هذه الأبيات:

لعمري لقد طفتُ المعاهدَ كلها *** وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أرَ إلا واضعا كف حائر *** على ذقن أو قارعا سن نادم

يقول الشيخ تعليقا على كلامه: (فأخبر أنه لم يجد إلا حائرا شاكًّا مرتابا، أو من اعتقد ثم ندم لما تبين له خطؤه). فالشهرستاني من مُنَظِّري المتكلمين، وقوله معتبر عندهم، ومع ذلك يقول: لقد سرت بين تلك المعاهد والمعالم؛ فلم أر إلا شاكا أو حائرا، وهذه هي نهاية هذا العلم الذي هو علم الكلام، أنه ينتهي بصاحبه إلى الشكِّ والحيرة هذا إذا سلم من الضلال والانحراف.

ثم نقل الشيخ –رحمه الله– عن الإمام الفخر الرازيِّ صاحب التفسير الكبير، وصاحب المؤلفات المتوفَّى في القرن السادس الهجريِّ، هذا الإمام الذي يعتبر مرجعًا للمتكلمين، وصاحب عقلية فذَّة، وممن كَتَبَ في هذا العلم، وتَبَحَّرَ فيه، نقل عنه الشيخُ هذه المقولة التي تُجَلِّي حقيقة علم الكلام، وفي هذا ردٌّ على أولئك الذين فَضَّلوا طريقة الخلف على طريقة السلف، هؤلاء هم أئمة الخلف.

أئمتهم

نعم، ومع ذلك اعترفوا أنهم لم يستفيدوا من هذه المناهج شيئا، يقول: (وأقروا على نفوسهم بما قالو)؛ يعني الفخر الرازيّ،(متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم، كقول بعض رؤسائهم) وهو الإمام الفخر الرازي:

نهاية إقدام العقول عقال *** وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا *** وغاية دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا *** سوى أن جمعنا فيه قيل وقالو

وكم قدر رأينا من رجال ودولة *** فبادوا جميعا مسرعين وزالو

وكم من جبال قد علت شرفاتها *** رجالٌ فزالـــوا والجبال جبال

الشاهد من كلامه "ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا: قيل: كذا، وقلنـــا: كـــذا، والنتيجة "أرواحا في وحشة من جسومنا": يعيشون وحشة بدلاً من أن يستأنسَ الإنسان، ويطمئن قلبه بمثلِ هـــذا العلم الذي يُرسخ قَدَمَ الإنسان في الإيمان بالله -عز وجل-، لا، هم أصبحوا في وحشةٍ، في اضطرابٍ، في شك، ثم قال: "لقد تأملت الطرق الكلامية".

هذا الكلام لمن؟

للرازي، لا زال، "لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتُها تشفي عليلا، تشفي مريـــضا، ولا تروي غليلا -الغليل: الظمآن-، ورأيت أقرب الطرق، طريقة القربى"، يعني إياك أن تَحيدَ عن منهج السلف، عن طريقة القرآن، أقرب الطرق التي توصل إلى الإيمان بالله -عز وجل- طريقة القرآن، ليـــست هـــذه المنـــاهج، وليست هذه الفلسفات، ورأيت أقربَ الطرق طريقة القرآن، كيف سارت أقرب الطرق؟ اقرأ في الإثبات: ؟ إِلَيْـــهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ؟، و؟ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ؟، لاحظْ، كلامٌ مختصرٌ، لو نظرت فـــي المقابـــل كـــلام هؤلاء في النفي؛ لَشَابَ رأسك من وُعُورة اللفظ، وصعوبة المعنى، وطول العبارة، ومع ذلك تُبقي الإنسان فـــي شكٍّ وحيرة، لكن القرآن: ؟ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ؟، ؟ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ؟، واقرأ في النفـــي: ؟ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ؟ ؟ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ؟، ثم خَتَمَ مقولته: "ومن جرب مثل تجربتي؛ عرف مثل معرفتي".

إذا كان هذا كلام الرازي؛ فما الظنُّ بغيره ممن يعتبر متوسطًا في هذا العلم أو مبتدئًا في هذا العلـــم، ولهـــذا يقول هو للناس: قد سلكت هذا الطريق، ووصلت إلى نهايته، وكفيتكم المؤونة، إن كنتم تَنشدون الحق، تنـــشدون الإيمان بالله حقيقةً؛ فإني أحذركم غاية التحذير؛ لأنه ليس هذا هو طريقَ الإيمـــان، طريـــق الإيمـــان والمـــسلكُ الشرعيُّ هو الكتاب والسنة، ولهذا يُروى عنه أيضا أنه جاء في وصيته، كما نَقَلَ ذلك صاحب "عيون الأخبار"[1]، والسبكي في "طبقات الشافعية"، يقول: "ولقد اختبرتُ الطرق الكلاميّة، والمناهج الفلسفية؛ فما رأيت فيهـــا فائـــدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن؛ لأنه يسعى في تسليم العظمة لجلالِ اللهِ، ويمنع عن التعمـــق فـــي إيـــراد المعارضات". وهذه من أبرز صفات علم الكلام؛ أنه يدعو إلى التعمق في هذه المضائق، القرآن لا، يقول: "ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذلك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك المـــضائق العميقة والمناهج الخفية" يعني بمعنى لا مجال للعقل في ذلك، العقل يتلاشى ينتهي يبقى المعول على الخبر، على النص...

تسليم

نعم، "فلهذا أقول: كلُّ ما ثَبَتَ بالدلائل الظاهرة؛ من وجوب وجوده، ووحدته، وبراءته عن الشركاء، كما فـــي القِدَم، والأزلية، والتدبير، والفاعلية؛ فذلك هو الذي أقولُ به، وألقى الله به، وأقول: ديني مُتابعة الرسول -صـــلى الله عليه وسلم-، وكتابي هو القرآن العظيم، وتعويلي في طلب الدين عليْهما" انتهى كلامه.

هذا هو الإمام الرازي الذي يعتبر من أجلِّ علماء هذا الفن.

---

[1] لعل الأصوب هو: عيون الأنباء

القول الذي أورده شيخ الإسلام ابن تيمية الذي سُقْتَه قبل قليل مشهور عن الرازي في ذلك الزمان؟

لا شكَّ مشهور، ومن تَرْجَمَ له حتى من الأشاعرةِ، يذكرون هذا الكلام له، يسلمون به، وهذا من أقوى الحجج عليهم أن هؤلاء هم أئمتكم.

الخلف الذين...

فما بال الصغار، ولهذا سيختم الشيخ بأنَّ الخوف أكثر على الصغار أكثر من الذي تَعَمَّقَ في هذا العلـم؛ لأن الذي تعمق في هذا العلم تبين لها الحق، وأن الحق لا يُلتمس من هذا الطريق، لكن المشكلة من هؤلاء المتوسطين من هؤلاء الصغار.

المبتدئة

نعم، الذين يغترون ببهرجة القول، وبهذه الألفاظ المزركشة عند هؤلاء فيسيرون في ركبهم.

لماذا لم يورد شيخ الإسلام ابن تيمية هذه أو ينسب هذه النصوص لقائليها، لماذا لم يقل كما قال الرازي كذا؟

هو ذَكَرَهَا في مواضع أُخرى، لكن ربما هنا كان له ملحظٌ آخرُ، لكن في مواضع أخرى صَرَّحَ بأن القائل هذا هو الرازي؛ لأنه سيذكر بعد قليل أنه ليس مقصوده الأشخاص بعينهم، وإنما مقصوده نوع هؤلاء، ولهـذا لـيس بحاجة أني أنص أنه فلان أو فلان، أنا لا أقصد على الرازي، وإلا لما جاء معرض الرد عليه مثلا فـي "نقـض التأسيس" صَرَّحَ باسمه؛ لأنه كان يرد عليه في "نقض التأسيس" في كتاب الرازي "أساس التقديس" رَدَّ عليه الشيخ في "نقض التأسيس" صرح باسمه، لكن هنا كما سيذكر يقول: أنا لا اقصد هؤلاء بأعيانهم.

بشخوصهم

نعم إنما أنا أقصد نوع المتكلمين...

المنهج

نعم، وهؤلاء من أئمةِ المتكلمين، وأذكر لكم كلامهم، ولهذا هناك زيادة لهذه العبارة التي ذَكَرَهَا الشيخُ يقـول: "ثم قال: وأقول من صميم القلب من داخل الروح أني مقر بأن كل ما هو الأكمل، والأفضل، والأعظم، والأجل، فهو لك، وكل ما هو عيب ونقص فأنت منزه عنه".

(ويقول الآخر منهم: لقد خضت البحر الخضم، وتركت أهل الإسلام وعلومهم، وخضت في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمة منه؛ فالويل لفلان، وها أنذا أموت على عقيدة أمي، ويقول الآخر منهم: أكثر الناس شكًّا عند الموت أصحابُ الكلام، ثم هؤلاء...)

نعم، بالطبع كلام الرازي السابق "فما رأيت تَشفي عليلا، ولا تروي غليلا فيها ملحظ جيد"، يقول: هذه الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية لا يستشفي بها المريض، بمعنى الذي غرق في لُجَج الضلال والانحراف لا يهتدي من خلال هذه الطرق، "ولا تروي غليلا": الظمآن الذي يَبحث عن الحق ابتداءً هو ليس بضالٍّ ولا منحـرف، لكنـه يبحث عن الحق، ليست هذه الطرق من الطرق التي يُتوصل بها إلى الحق، فهي لا تَشفي المـريض ولا تـروي الغليل، ثم يقول الشيخ: (ويقول الآخر منهم: ..) وهو أبو المعالي الجويني صاحب كتاب "الإرشاد" -رحمه الله-:

"لقد خضت البحر الخضم -أي البحر الواسع-، وتركت أهل الإسلام وعلومهم وخضت في الذي نهوني عنه". ما الذي نهوا عنه؟

الخوض في علم الكلام

أحسنت، الخوض في هذا العلم والتبحر في هذا العلم، ودخول هذا المجال، يقول: خالفتهم ولم أمتثل لنصيحتهم. فما النتيجة؟ "والآن إن لم يتداركني ربي برحمة منه؛ فالويل لفلان وها أنذا أموت على عقيدة أمي.

من يقصد ذلك؟ شيخه مثلا أم لنفسه؟

لنفسه، الويل لأبي المعالي الجويني، يقول الويل لي، نعم، هذا الكلام يقوله وهو يلفظ أنفاسَه الأخيرة، وها أنذا أموت على عقيدة العوام، ولا شك أن عقيدة العوام هي العقيدة الصحيحة، لكن شيخ الإسلام وَقَفَ عند هذه وَقَفَاتٍ، ولعلنا نتأمل الموضوع بعد قول الشيخ: ويقول الآخر منهم وهو الغزالي أبو حامد، صاحب المؤلفات، وأيضا يعتبر من المنظِّرين ومن الأئمة في هذا الشأن، وهو شخص له تجارب، دخل الفلسفة وخرج منها، دخل التصوف وخرج منه، دخل علم الكلام وَتَبَحَّرَ فيه، وصار إمامًا فيه، ولعله إن شاء الله رجع عنه؛ لأنه كما نَقَلَ عنه من ترجم له، وذكر عنه أيضا شيخ الإسلام أنه تُوفِّي وصحيح البخاري على صدره، يقول: "أكثر الناس شكًّا عند الموت أصحاب الكلام"، دائما الإنسان عند الموت يحتاج إلى ماذا؟

اليقين

إلى اليقين، أعظم ما يَحتاج إلى اليقين إذا حَضَرَه أجلُه، وأكثر الناس يقينًا عند الموت العلماءُ؛ لأن الله -عز وجل- أنَارَ بصائرهم حالَ الحياةِ وحالَ الصحة بهذا العلم فيكون سببا لأن يَلقوا الله -عز وجل- بأعظم أنواع اليقين.

المتكلمون كما حكى عنهم الغزالي، في هذا الوقت الذي أشد ما يكون الإنسان محتاجا فيه إلى اليقين هم أكثرُ الناس شكًّا، ولهذا لاحظْ ما يقوله أبو المعالي: "وها أنذا أموت على عقيدة أمي"، يقول الشيخ (فإن صَحَّتْ توبتُهم) ما النتيجة؟ أنهم يموتون كما يموت العوام، وأيُّ خسارة أعظم من هذه الخسارة؟! قَضَوْا حياتَهم، وَأَفْنَوْا أعمارَهم، وتابعوا الليل والنهار في القراءة والكتابة، ومع ذلك ما النهاية؟!

لاحظْ لو أنهم أَفْنَوْا هذه الأعمارَ في "قال الله"، "قال الرسول"؛ يموتون كما يموت العلماء، وَشَتَّانَ بين موت العامِّيّ وموت العالم، والنبي -صلى الله عليه وآله وسلم- فَرَّقَ بينهما فقال: (فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب)، وفي رواية: (كفضلي على أدناكم).

لو لم يكن في هذا العلم من الخسارة إلا أن الإنسان إذا وُفِّقَ للتوبة ولا يُدرى؛ لأنه أحيانا -نسأل الله السلامة- يَغلب عليه الشكُّ والاضطراب فيموت على بدعة. ولهذا دخل أحد عوام المسلمين على شمس الدين خُسْرُو شاهي -وهو من أجلِّ تلامذة الرازي-، دخل عليه قال له لشمس الدين: ما تعتقد؟ سأل هذا العامي، قال: ما أعتقد؟! أعتقد ما يعتقده المسلمون، قال له: وأنت مطمئن القلب، مرتاحٌ لهذا، قال: إي وربي، ما عندي أدنى شك، ما عندي أدنى تردد، يقول العامِّيُّ هذا.

ماذا قال شمس الدين؟ وهو إمام عالم، قال: احمد الله على هذه النعمة، أما أنا؛ فوالله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، ثم بكى.

لماذا لا يدري ما يعتقد؟! واصلٌ الحمويُّ يقول: أنام وأضع الملحفة على وجهي، واصل الحموي هذا أيضا من أئمة المتكلمين، يقول: فيتبادر إلى ذهني المسألةُ من مسائلهم من مسائل علم الكلام، فأُوردُ عليها هذه الشبه، ثم أنقضها بالشبهة الأخرى، ثم هكذا إلى أن يَطلعَ علي الفجر، لا أنا نمتُ كما نَامَ الناسُ وارتحتُ ولا أنا تَوَصَّلْتُ إلى الحقّ واليقينِ الذي أنشده، فهم في اضطراب وشكٍّ دائمٍ.

لما يكون الوسواس أو التخبط

نعم، عندما يَدخل الإنسانُ في مضايقِ هذا العلم؛ يكون في حالة من الاضطراب والحيرة، ولهذا جَلَّى الأمرَ الغزاليُّ؛ قال: أكثر الناس شكًّا، إذا كان هذا العلم لم أتَوَصَّلْ من خلاله إلى اليقين عند الموت؛ فما فائدته؟

طالب العلم لما أفنى عمره في "قال الله" "قال الرسول" يَنشدُ هذه النتيجة، أن يلقى الله -عز وجل- بيقينٍ تامٍّ؛ لأن أمور العقائد لا يصلح فيها الشكُّ والترددُ، نعم يمكن أن أشك وأتردد في مسألةٍ فقهيَّة في مسألةٍ منْ مسائلِ المعاملاتِ، هل هذه مسألة من الأمور التي يَجري فيها الربا أم لا، في مسألة من مسائل النكاح، لكن لا يجوز بحال من الأحوال أن يتبادر إلى ذهني أدنى شكٍّ في مسألة عَقَدِيَّةٍ من المسائل، هنا خطورة، ؟ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ؟ [الحجرات: ١٥]، لم يَشُكُّوا ولم يَتَرَدَّدُوا، لا بد من هذا اليقين.

يا شيخ! هل عقيدة العوام صحيحة وصافية على إطلاق؟

نعم، لا شكَّ، وهذا صَرَّحَ به ابن تيمية، وصرح به غيرُ ابن تيمية -رحمه الله-؛ أنَّ الأصلَ في عقيدةِ العوامِّ السلامة، وأنها لم تتلوثْ بهذه المضائق، وأنت لما تقرأ في هذا العلم يكون عندك يقين تام أن هذا مما لا يتبادر إلى أذهان العامَّة؛ لأنه صعب على الْحُذَّاقِ من العلماءِ، فما الظن بعامة الناس؟!

يقول الغزالي ما معنى كلامه في كتابه "المنقذ من الضلال"، يقول: ولو سمعت هذا الكلام في التحذير من علم الكلام، لأنه حذر منه.. .

بعد توبته؟

نعم بعد رجوعه، يقول: ولو سمعت هذا الكلام من جاهلٍ، ويقصد مثلا من يجهل هذا العلم؛ لقلتَ: الإنسان عدوٌّ ما يَجهل، لكن اسمع كلامَ مَنْ قَلاه وَعَرَفَ أوَّلَه ومُنتهاه، عرف هذا العلم، يقول: وَغَاصَ في غماره، وَعَرَفَ دقائقَه، ثم ذَكَرَ، ومَثَّلَ أنه كمثلِ لحمِ جملٍ غثٍّ على جبلٍ وعرٍ، لا سمينٌ فيُنْتَقَلُ ولا سهلٌ فيُرتقى، قال: هذا هو علم الكلام، إن كان فيه من حقٍّ؛ فالحق فيه صعبُ المنالِ، هذا إذا كان فيه حقٌّ، يعني الوصول إليه صعب، ولهذا أَوْصَى بلزوم الكتاب والسنة، وقال: الشفاء والغناء فيهما.

(ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف، إذا حُقِّقَ عليهم الأمر؛ لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبرٌ، ولم يقفوا من ذلك على عينٍ وأثرٍ، كيف يكون هؤلاء المحجوبون المنقوصون المسبوقون الحيارى المتهوكون أعلمَ بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب آياته وذاته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان من وَرَثَةِ الأنبياءِ وخلفاءِ الرسل، وأعلام الهدى ومصابيح الدجى، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نَطَقَ الكتاب وبه نطقوا، الذين وَهَبَهَم الله من العلم والحكمة ما بَرَّزَوُا به على سائرِ أتباعِ الأنبياءِ فضلاً على سائرِ الأممِ الذين لا كتابَ لهم، وأحاطوا من حقائقِ المعارفِ وبواطنِ الحقائقِ بما لو جُمعت حكمةُ غيرهم إليها؛ لاستحيى من يَطلب المقابلة).

الشيخ لمَّا أورد الأمثلة السابقة عن أئمةِ المتكلمين خَتَمَ أو أَرَادَ أن يختم هذه المقدمة بقوله: (ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حُقِّقَ عليهم الأمر؛ لم يوجد من حقيقة العلم بالله): يعني إذا أمعنت النظر في كلامهم، وفي كتبهم، وفي مناظراتهم؛ لن تجد عندهم شيئا يُذكر (من العلم بالله وخالص المعرفة به خبر، ولم يقفوا من ذلك على عين ولا أثر).

العرب تقول: لا تطلبوا أثرا بعد عين: يُضرب لمن ترك شيئا ثم تَبِعَ أثره بعد فواتِه، لا تطلب أثرا بعين عين.

الشيخ يقول: هؤلاء ليس عندهم لا عين العلم ولا أثر هذا العلم؛ فكيف يُطلب الحقُّ عن طريقهم؟! ثم جاء في مسألة الموازنة بينهم وبين السلف؛ لأن هذه هي القاعدة الشيخ يريد أن يُقَعِّدَ هذا الأصل أن السلفَ خيرٌ من الخلف، وأن كلامَ السلفِ هو الذي فيه الشفاءُ وأنه هو المرجعُ يقول: (ثم كيف يكون هؤلاء) ما مقصوده؟

المتكلمون

المتكلمون، كيف يكون هؤلاء المحجوبون المنقوصون بمعنى الذين حُجِبُوا عن الحقيقة، حُجِبُوا عن العلم باللهِ -سبحانه وتعالى-، المسبوقون الذين سَبَقَهُم السلفُ إلى حقيقةِ العلم الحيارى المتهوِّكون.

الحيارى: الحيرة: هي التردد، أما التهوك؛ فهو الذي يقع في كلِّ أمرٍ، بمعنى ليس عنده بينة، وهذا الأمر ليس اتهامًا من الشيخ لهم، بل باعتراف أساطينهم وعلمائهم كما سبق ذِكْرُ شيءٍ من هذه الأمثلةِ، كيف يكون هؤلاء الحيارى المتهوكون أعلمَ بالله، وأسمائه وصفاته، وأحكمَ في باب آياته وذاته مِنَ السابقين الأوَّلين، يَرُدُّ على المقولة: إن طريقة الخلف أعلم وأحكم، كيف يكون هؤلاء الحيارى الذين هم ما استطاعوا الوصول إلى اليقين والحقيقة، واعترفوا على أنفسهم؟! كيف يكونون أعلمَ وأحكمَ من السابقين؟! من هم هؤلاء السابقون؟ يقول: منَ السابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، كلُّ هذه الصفات لهؤلاء الذين فُضِّلَ عليهم الخلف على حد قول هؤلاء، من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل؛ لأن الذي ورث الأنبياء هؤلاء، وهم خلفاء الرسل، وأعلام الهدى ومصابيح الدجى الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا؛ أي كتاب الله -عز وجل-، وبهم نَطَقَ الكتاب وبه نطقوا.

ولا شك أن القرآن مليء بذكر هؤلاء السابقين، والثناء عليهم، والرضا عنهم، والأمر بسلوكِ منهجِهم الذين وَهَبَهُم الله من العلم والحكمة ما بَرَّزُوا به على سائرِ أتباعِ الأنبياءِ، فلا شكَّ أنَّ أصحابَ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- ومن بعدهم أصحاب القرون المُفَضَّلَةِ، لا مُقارنة بينهم وبين أصحابِ الأممِ التي لها كتابٌ، فما الظنُّ بالأمم التي لا كتاب لها؟! ولهذا ذَكَرَ المؤرخون وَرَوَاه الإمامُ مالكٌ أنَّ الصحابة لمَّا فتحوا بلاد الروم ورآهم النصارى، وجلسوا معهم، وسمعوا كلامهم، وعرفوا سلوكهم وآدابهم؛ قالوا: والله لَهؤلاء خيرٌ من حواريِّ عيسى.

(فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جُمعت حكمة غيرهم إليهم) يعني لو جمعنا ما نقل عنهم، وما نقل عن غيرهم من الحكمة والعلم؛ لاستحيى من يَطلبُ المقارنة، فضلا أن تأتيَ وَتُفَضِّلَ هؤلاء على هؤلاء، فكيف يأتي إنسانٌ ويقول: طريقة هؤلاء ومنهجهم أقل من طريقة المتأخرين من الخلف؟

لا مقارنة

ولهذا الشيخ ترك حتى الجواب.

هناك مقولة قالها شيخ الإسلام والذين اتبعوهم بإحسان يا شيخ، كل من اتَّبع السلف يكون على منهجهم ويكون سلفيًّا؟

نعم، وهذا ذكَرْنَاه في تعريفِ السَّلفِ أنَّ الصحيحَ أنَّ مَنْ سَلَكَ وَتَبِعَ منهجَ السلفِ في هذا البابِ إلى قيامِ الساعةِ يُعتبر من السلفِ، وهذا من رحمة الله -عز وجل- لهذه الأمة، ولهذا لَمَّا ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- الفرقة الناجية من بين الثلاث وسبعين؛ قال: (كلها في النار إلا واحدة)، قال الصحابة مباشرةً: يا رسول الله! من هي؟! ما الجواب: هل قال: أنا وأصحابي؟ ماذا قال؟ قال: (من كان على مثل ما أنا عليه اليومَ أصحابي)، هذا طريقٌ مَنْ سَلَكَه إلى قيام الساعة؛ نجا، ومن حاد عنه؛ هلك.

ثم يقول: (ثم كيف يكون خيرُ قرونِ الأمة أنقصَ في العلم والحكمة، لا سيما العلم بالله وأحكام آياته وأسمائه من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟! أم كيف يكون أفراخُ المتفلسفة، وأتباعُ الهند واليونان، وَوَرَثَةُ المجوس والمشركين، وضُلاَّلُ اليهودِ والنصارى والصابئين وأشكالهم وأشباههم أعلمَ بالله من وَرَثَةِ الأنبياءِ وأهلِ القرآنِ والإيمان).

نعم، الشيخ لا زال يريد أيضا أن يختم في بيان حقيقة هؤلاء وطريقتهم، وأنه لا يمكن المقارنة بينهم وبين السلف، كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة لا سيما العلم بالله وأحكام آياته وأسمائه من هؤلاء الأصاغر، أصاغر بالنسبة للسلف وإلا؛ فلا شكَّ هم أكابر بالنسبة لمن دونهم.

كيف يكون أفراخ المتفلسفة؟ لأن علمهم غالبه مأخوذ عن الفلسفة وعن الفلاسفة، فشيوخهم في ذلك الفلاسفة، وهذه المقدمات الكلامية وهذه القواعد الكلامية ما عَرَفَهَا المسلمون إلا بعد تَرْجَمَةِ كتبِ الفلسفة، وترجمة كتب اليونان ومنطق اليونان، وكتب الفلسفة ومنطق اليونان غالبها مأخوذٌ من فلسفاتِ هنديَّة الديانات الهندية السابقة، وديانات يهودية ونصرانية، فهي خليطٌ، وديانات مشركين، ولهذا الشيخ يقول: نشأت هذه في بلاد حَرَّان التي هي موطنُ الفلسفاتِ، وبقايا الديانات، كيف يكون أفراخُ هؤلاء خيرًا وأحسنَ وأعلمَ وأحكمَ من وَرَثَةِ الأنبياء وأتباع الرسل؟!

(وإنما قدمت هذه المقدمة؛ لأن من استقرت هذه المقدمة عنده؛ عَلِمَ طريق الهدى أين هو في هذا الباب وغيره، وعلم أن الضلال والتهوك إنما استولى على كثير من المتأخرين بِنَبْذِهم كتابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهورهم وإعراضهم عَمَّا بَعَثَ الله به محمدًا -صلى الله عليه وسلم- منَ البينات والهدى، وتركهم البحثَ عن طريقِ السابقين والتابعين والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره على نفسه، ولشهادة الأمة على ذلك، وبدلالات كثيرة وليس غرضي واحدا وإنما أصف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء.)

يقول: (وإنما هذه المقدمة): السابقة في قضية تفضيل طريقة السلف على طريقة الخلف كقاعدةٍ، يقول: (تنطلق منها لمعرفة بقية مسائل أصول الاعتقاد؛ لأن من استقرت هذه المقدمة عنده؛ علم طريق الهدى أين هو في هذا الباب وغيره): سواء في باب العقائدِ فيما يتعلق بالله -عز وجل-، ما يجب لله، ما يجوز على الله، ما يمتنع عن الله، وفي غيره حتى في باب المسائل العملية، حتى في العباداتِ، في المعاملات، إذا عَلِمْتَ أنَّ العلم والحكمة والسلامة في طريقةِ السلفِ؛ فلا شك أن المعول سيكون عليهم، وأن الحقَّ سيكون من خلالِ ما قالوه وذكروه، يقول: (وعلم أن الضلال والتهوك): قلنا التهوك: هو الوقوع في كل أمر، الشخص الذي لا بينة عنده، ولهذا يقع هنا ويقع هنا.

(.. إنما استولى على كثير من المتأخرين، ما السبب؟ لماذا الحيرة والتهوك والضلال والانحراف؟ بنبذهم؛ لأنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، تركوا كتاب الله ولهذا لاحظ الرازي إذا أردت الشفاء، وأردت الرِّيَّ، وأردت الهدى؛ فعليك بطريقة القرآن، فلا شفاء إلا في القرآن.

هؤلاء نبذوا القرآن، والتمسوا الحقَّ من هذه المقدمات التي نَحَتَتْهَا أفكارُهم واستفادوا من شيوخهم من الفلاسفة والمناطقة (بنبذهم كتابَ الله وراء ظهورهم، وإعراضهم عما بعث الله به محمدًا -صلى الله عليه وسلم- من البينات والهدى)، والله -عز وجل- يقول: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى ﴾ [طه: ١٢٣]، هذا وعدٌ مِنَ اللهِ -عز وجل-؛ أنَّ من تَمَسَّكَ بكتاب الله لن يضلَّ في الدنيا، ولن يشقى في الآخرة، والنبيُّ -صلى الله عليه وسلم- قال -كما ذكر المؤلف في أول كتابه-: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم بهما؛ لن تضلوا بعدي أبد)، ما أحالنا إلى طرق هؤلاء وفلسفات هؤلاء، أحالنا إلى أمرين لا ثالثَ لهما: كتاب الله وسنته.

ولما قال العرباض، بل قال الصحابة: يا رسول الله! كأنها موعظة مُودِّع؛ فأوصنا، قال: (إنه منْ يَعِشْ منكم؛ فسيرى اختلافا كثيرً)، إذن ما المخرج؟ (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنواجذ)، هذا هو المخرج وهذا هو المنقذ. أما التماسُ الحقِّ من خلالِ هذه الأمورِ المبتدَعة؛ فنهايته كما انتهى المطاف بهؤلاء وأمثالهم، إلى الشك، إلى الحيرة، وإلى التهوك، إلى الضلال.

يقول: (من البينات والهدى وتركهم البحث عن طريق السابقين والتابعين، والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره على نفسه).

من يقصد؟ يقصد أناسًا بعينهم؟

نعم، جملةُ أئمةِ علماءِ الكلامِ الذين عَرَفُوا هذا العلم، وذكر أمثلةً من ذلك، ذَكَرَ كلامَ الشهرستاني وهو من أعظم المُقَدَّمِين عندهم، والجويني، والغزالي، والرازي، هؤلاء أئمتهم، هم ينقلون ويُعَوِّلُون ويَرجعون إلى أقوالِهم، هم الذين قَعَّدُوا لهم هذا العلم، فإذا كانوا أقَرُّوا على أنفسهم، واعترفوا بهذه الحقيقة؛ فمن باب أولى أن يأخذَ الإنسانُ العبرةَ من ذلك، ويبحث الحق من معينه الصافي.

ثم قال: (وليس غرضي واحدا بعينه): يقول: أنا لا أقصد في هذه الرسالة وفي هذا الكلام شخصًا بعينه، لا أقصد الرازي، ولا أقصد الغزالي، ولا أقصد فلانًا ولا علانَ، وأيضا لا أقصد الإمامَ أحمد، ولا أقصد الشافعيَّ، لما أُفَضِّلُ طريقة السلف على الخلفِ إنما أصِفُ نوع هؤلاء نوع المتكلمين نوع الخلف، ونوع السلف، وأُبَيِّنُ أنَّ السلف -في الجملة- خيرٌ منَ الخلفِ.

الأمثلة التي ذَكَرَهَا شيخُ الإسلام ابن تيمية، وَأَوْرَدَهَا وإن لم يصرح بها أصحابها، لكن ذكرتم أنتم أصحابها، يلحظ أنهم من الأشاعرة؛ فهل ممن رَجَعَ من الفلاسفة أو من المعتزلة أحدٌ في ذلك الزمان؟

الإمام الذي ينتسب إليه الأشاعرة من؟ من الذي ينتسب إليه الأشاعرة؟

أبو الحسن الأشعري

نعم، أحسنت، أبو الحسن الأشعري، أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- نَشَأَ على مذهبِ الاعتزال، وَتَرَبَّى على يدِ زوج والدتِه في اليمن على يد أبي عليٍّ الْجُبَّائي من كبار المعتزلة، وبعد أن قَطَعَ في هذا نحو أربعين سنة؛ وَفَّقَه الله -عز وجل- للحقِّ وَأَرَادَ الله به خيرًا فاستنقذه من هذا المذهب، ولهذا خَرَجَ أَمَامَ الناس، وَقَالَ: أخلعُ مذهبَ الاعتزالِ كما أخلع ردائي هذا، وصرح في كتابه "الإبانة" أنه على مذهب الإمام أحمد.

تقول: لا يرى وجه الله -سبحانه وتعالى- في الجنة إلا بعض المؤمنين، وضحت الآن، كتاب "الواسطية" ولكن مع هذا ما رضيت أعترف أن الله -سبحانه وتعالى- يرون الله كما ترون هذا القمر أعرض الرسول في الحديث -صلى الله عليه وسلم-.

يقول: بالنسبة لمنهج السلف في إثبات الأسماء والصفات مع التفويض لله -سبحانه وتعالى- لكن قبل التفويض لا بد أنهم يفهمون المعنى للصفة، يعني بعض الشروحات يُذكر فيها أنهم يُثبتون الأسماء ويُفوضون الكيفية لله -سبحانه وتعالى-، يقصدون الكيفية، فبعض الناس من أهل السنة يَفهم أنهم يفوضون المعنى والكيفية وَأَتَمَنَّى أن تُدقق في الموضوع هذا لأنه مهم جدًّا لأن بعض الناس وقع في هذا الإشكال.

الشيء الثاني عندي: بالنسبة لمنهج المتكلمين، أنا سميته يا شيخ ومعذرة "علم المجانين" صراحة بعد الدرس هذا، بدليل أن أهل الحق يتمنون موت العلماء، وهؤلاء علماؤهم زعموا يتمنون موت العجائز فلا أقل عقلا من العجائز إلا المجانين، فما رأيك في هذه المقولة؟

أسئلة المراجعة

السؤال الأول:

يمكن أن نقول: ما السبب في أنَّ الشيخ قَدَّمَ في هذه المقدمة في أول كتابه "الحموية" في مسألة تقعيد تفضيل طريقة السلف على طريقة الخلف؟

الأخت سألت تريد أن تكمل إجابتك يا شيخ قبل الأسئلة في قضية الفلاسفة والمعتزلة ونريدهم.

الشيخ بالطبع حرص هنا على ذِكْرِ الأشاعرة على وجهِ الخصوص؛ لأن الرسالة ردٌّ على الأشاعرةِ فهو يريد أن يقولَ من اغترَّ بكلامِ هؤلاءِ؛ انظر إلى كلامِ أئمتهم، فلا تغتر بما نُقل عنهم، فهم اعترفوا، وبينوا لكم أن طريقتنا طريقة خاطئة.

تقول: إن هناك معلمة في المعهد الثانوي تقول بأن أهل الجنة بعضهم يرى وجه الله في الجنة والبعض لا يراه.

الثابت أنه من دَخَلَ الجنة سيرى الله -عز وجل-، لكن كما جاء في الأحاديث على درجات متفاوتة منهم من يراه بُكرة وعشيَّة، ولهذا قال الرسول -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الآخر: (فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس وقبل غروبه)، ومنهم من يراه كل جمعة، وجاءت الأحاديث في هذا، فهم يتفاوتون في رؤيته على قدر درجاتهم في الجنة.

الأسلم أن تناقش الأستاذة في هذا الجانب.

يحسن أنها تبين للأستاذة إذا كان عندها لَبْسٌ من خلال أن تُعطيها بعض الكتيبات التي مثل شرح الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- للواسطية، تأتي إلى هذا الموضع وتُعطيها كلامَ الشيخ، ولعل الله -عز وجل- أن يفتح على قلبها.

يقول: إن البعض يصف منهج السلف في باب الأسماء والصفات بأنها تفويض ويقول بأنه لا يفهمون المعنى ويفوضون هذا الأمر يعني يريد أن تَضَعَ النقاط على الحروف.

نعم هذا تقدم الكلام عليه لما جاء في مسألة السلف من قال: طريقة السلف أسلم، المتكلمون اعتقدوا أن طريقة السلف هي التفويضُ، وتقدم الكلام أن هذا قول باطل، وأن التفويض بالمعنى الذي فهمه المتكلمون هذا شر من

التأويل، ولا يقول به السلف، وننزه السلف على القول به؛ لأن نتيجته استجهالُ السابقين الأولين بمنزلة أتباع الرسل من الأميين والذين لا يفهمون، والصحيح أن السلف -كما سيأتي في بعض النقول- أنهم يفضون المعنى؛ لأن المعنى لم يرد به نصٌّ؛ لكن إثبات حقيقة الصفة يثبتونها، فالتفويض في الكيفية لا في إثبات حقيقة الصفة، وهذا الاتهام بالنسبة للسلف أنهم أهل التفويض هذا اتهام باطل.

حقيقة ذكر لا نقول السؤال الثاني لكنها خاطرة ذكَرَهَا عندما علم الكلام وصمه بأنه علم مجانين فيما ذكر.

لا، ينبغي أن نكون عادلين، هذا العلم علم، وأفنى هؤلاء حياتهم فيه، ويا إخوان! كما قال الشيخ عنهم: أوتوا ذكاءً ما ينقصهم ذكاءٌ ولم يؤتوا زكاءً، وأعطوا علوما ولم يعطوا فهوما، أعطاهم الله علما، لكن ما وُفِّقُوا إلى الفهم الصحيح، وأعطاهم الله -عز وجل- سمعا وأبصارا وأفئدة ؟ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلاَ أَبْصَارُهُمْ وَلاَ أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ ؟، فالعلم علمٌ، لكنه علمٌ الحقُّ الذي فيه محدودٌ والوصول إليه صعب المنال.

من دخل في هذا العلم وفي هذا الجانب يا شيخ هل يستوعب جميع فهمه بمعنى أنه ينقطع عن بقية العلوم الأخرى ويكون هذا همه ليل نهار، قضية الخوف هذا من مسائل التفكير فيها رغم أنه بإمكانه أن يأخذ بهذا الشيء أن يبقى على عبادته وخيره وصلاحه وعلمه؟

لا، قد يكون عنده جانب العبادة، وما جانب العبادة، لا نجرد هؤلاء، لكن يبقى أن له أثرًا على حياتهم، وأنه كلما توغل فيه الإنسان؛ ازداد حيرةً وشكًّا، ولهذا يقول شيخ الإسلام عن الرازي: "وهذا نتيجة الدخول في مثل هذه المضائق"، أحيانا يذكر الأقوال كلها في المسألة، أحيانا تصل إلى عشرة أقوال في المسألة الواحدة والقول الحق لا يذكره، لماذا؟ لأنه لا يَعرفه، كونه يذكره ويُرجحه غيره عليه أمرٌ سهل، لكن كونه لا يعرف الحق، يعني عَرَفَ كل الأقوال لكنه لم يَعرفْ الحقَّ في هذه المسألة هذه مصيبة.

الشهرستاني يذكر أحيانا الأقوال ولا يستطيع الترجيح بينها، هذه من نتائج هذا الأمر، وإلا هم لا يَنقصهم ذكاء، لا ينقصهم علم، ولكن لم يُوَفَّقُوا للطريق الصحيح، وهكذا كل من أراد الحقَّ من غير طريقه ومن غير مسلكه الشرعيِّ ستكون النتيجة وستكون العاقبة وخيمةً، ولهذا قال الله -عز وجل-: ؟ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ ؟ ؟ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ؟ وكما أسلف: ؟ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ ؟ وعدٌ من الله جاءكم القرآن، جاءكم كتاب الله -عز وجل- فمن تمسك بهذا الكتاب فلن يضل ولن يشقى.

الدرس السادس

شرح وتعليق على كتاب الفتوى الحموية الكبرى

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

نبدأ باستعراض إجابة الدرس الماضي.

كان السؤال الذي طرحتموه يا شيخَنا -أحسن الله إليكم- يقول: ما السبب في أن شيخ الإسلام ابن تيمية قَدَّمَ بهذه المقدمةِ في أولِ كتابِ "الفتوى الحموية" في مسألة تقعيد تفضيل طريقة السلف على طريقة الخلف؟

وكانت الإجابة:

السبب في أن الشيخ قَدَّمَ بهذه المقدمة في أول كتاب الحموية في مسألة تقعيد تفضيل طريقة السلف على طريقة الخلف؛ لأن من استقرت عنده هذه المقدمة واتخذها كقاعدة؛ علم أين الهدى في باب العقائد وغيره من المسائل العملية كالعبادات والمعاملات وسائر أمور الدين، ولأنك إذا علمت أن العلم والحكمة والسلامة في طريقة السلف؛ فلا شك أن المعول سيكون عليك، وعلمْتَ أن الضلال قد استولى على كثير من هؤلاء المتأخرين؛ لأنهم نبذوا كلام الله -عز وجل- وما بعث به نبيهم محمد -صلى الله عليه وسلم- وراء ظهورهم، وأن الشفاء والهدى لا يكون في غيرهم

جيد.. الإجابة الأخرى.

الجواب: السبب في ذلك لمعرفةِ بقية مسائل أصول الاعتقاد، فالشيخ -رحمه الله- جعل هذه المقدمة كقاعدة عامة في المسائل العقدية، فمن استقرت عنده؛ يكون قد سَلِمَ من الضلال والانحراف والتهوك ومن علم الكلام، فيعلم ويتبع طريق الهدى في جميع أبواب الدين من عقائدَ وعباداتٍ ومعاملاتٍ، وفي كل ما يجب عليه تجاه الله -عز وجل- من أوامرَ ونواهٍ، فمن ثَبَتَ عنده أنَّ العلمَ والحكمة والكمالَ هو السلامةُ عند طريقة السلف قد يُعَوِّل عليهم في كلِّ ما يذكرونه من حق

جميل.. بارك الله في الجميع، نعم ومُلَخَّصُ ما ذكَرَه الأخُ والأخت أنَّ الشيخَ قَعَّدَ بهذه القاعدةِ لأجل أنْ يعرفَ الإنسان أن الأصل في باب الأسماء والصفات، وباب العقائد هو الرجوعُ إلى الكتاب والسنة، وإلى فهم السلف الصالح، وأن طريقتَهم هي الطريقةُ الأسلمُ والأعلمُ والأحكمُ.

توقفنا يا شيخنا بعدما أوْرَدَ المؤلفُ سببَ ضلالِ كثيرٍ من المتأخرين، ولعلنا توقفْنا عند قول المؤلف: (وإذا كان كذلك).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في جوابه: (وإذا كان كذلك؛ فهذا كتابُ الله من أوله إلى آخره، وسنةُ رسوله -صلى الله عليه وسلم- من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة مملوءٌ بما هو إما نصٌّ وإما ظاهرٌ في أن الله -سبحانه- فوق كلِّ شيءٍ، وعليٌّ على كلِّ شيءٍ، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء، مثل قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقوله: ﴿إِنِّي

مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ؟ [آل عمران: ٥٥]، وقوله: ؟أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ؟١٦؟ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا؟ [الملك: ١٥، ١٦]، وقوله: ؟بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ؟ [النساء: ١٨٥]، وقوله: ؟تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ؟ [المعارج: ٤]، وقوله: ؟يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ؟ [السجدة: ٥]، وقوله: ؟يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ؟ [النحل: ٥٠]، وقوله: ؟ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ؟ [الأعراف: ٥٤]، [يونس: ٣]، [الرعد: ٢]، [السجدة: ٤]، [الحديد: ٤]، [الفرقان: ٥٩]، في ستة مواضع، وقوله: ؟الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى؟ [طه: ٥]، وقوله: ؟يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ؟٣٦؟ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا؟ [غافر: ٣٧]، وقوله: ؟تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ؟ [فصلت: ٤٢]، وقوله: ؟مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ؟ [الأنعام: ١١٤]، إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يُحصى إلا بكلفة)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

انتهى الشيخ من المقدمة التي قَدَّمَ بها بين يديْ السؤال الذي وَرَدَ عليه الذي هو أصلُ هذه الفتوى، فقد ذُكِرَ في مطلع هذه الفتوى: ما قولكم في آيات الصفات كقوله سبحانه: ؟الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى؟، و؟ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ؟ [فصلت: ١١]، ثم ذكر السائل حديث: (إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن)، وحديث: (يضع الجبار قدمه في النار)، وقلنا: إن هذا السؤال متعلق بالصفات التي يُخالف فيها أهلُ التعطيل، ومن هؤلاء الأشاعرة.

قبل بداية الجواب على هذا السؤال، الشيخ وَضَعَ القاعدة التي كتب فيها عدة صفحات، وانتهى المقامُ به إلى الإجابةِ على السؤال الآن، يقول: (وإذا كان كذلك) بمعنى: أن طريقة السلف فيها السلامة والعلم والحكمة، وأن النجاة منوطة بالتمسك بالكتاب والسنة في هذا الباب وغيره.

(فهذا كتاب الله): بَدَأَ في الإجابة على السؤال، وبدأ أولاً بالإجابة على إثبات صفة العلوِّ للهِ –عز وجل–؛ لأن السائل أولاً سأل: (ما قولكم في قوله: ؟الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى؟؟).

فجاءت الإجابة الآن منه

بدأ الآن بالإجابة.

تقول: ما الفائدة من مناقشة باب صفة العلو، مع أن النفوس قاطبة بما فيه من المشركون واليهود والنصارى فضلاً عن المسلمين يُثبتون العلو؟ ألا تُحدِثُ مناقشةُ المسألة مع هذا تشويشًا على عوامِّ المسلمين الذين لا يحتاجون إلى مناقشتها؟

مناقشتها الآن أم في عهد شيخ الإسلام ابن تيمية؟

لا.. مناقشتها الآن

نُرجِئ الإجابة، إلى أن نذكر شيئًا من كلام الشيخ.

يقول الشيخ: (فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- من أولها إلى آخرها، ثم عامَّة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأمة مملوءٌ بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله -سبحانه- فوق كل شيء، وعليٌّ على كل شيء).

دلالة النصوص كما هو معلوم في أصول الفقه، إما أن تكونَ الدلالةُ بالنصِّ أو الدلالة بالظاهر، ودلالة النص هي ما كانت دلالته قطعيَّة، ولا يحتمل النقيضَ، أو قالوا: ما يُفيد بنفسه من غير احتمالٍ، مثل قوله تعالى: ﴿تِلْـكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦]، هل هذا النص يحتمل معنًى آخرَ؟ لا يمكن، ما يحتمل إلا عشرة كاملة، فهو نــصٌّ في المسألة، قوله سبحانه: ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ [النساء: ٩٢]، الدلالة هنا بالنصِّ، ما تحتمل معنًى آخر.

أما الدلالةُ بالظاهر؛ فهي: ما احتمل أكثر من معنى هو في أحدها أظهر من غيره، يأتي النص يكون له أكثر من معنى؛ معنيان، ثلاثة، أربعة، ويمثل لها أهل العلم بـــ"القرء" جاء في القرآن فيُحتمل أن يُــراد بــه الطهــر ويحتمل أن يكون الحيض.

﴿فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٦]، طيب، هل هي متتابعة أم غير متتابعة؟ هذه دلالتها يقال بالظاهر؛ لأنها تحتمل هذا وتحتمل ذاك، والأمثلة كثيرة.

الشيخ يقول: جميعُ النصوص التي في الكتاب أو في السنة ثابتة بدلالة النصِّ والظاهرِ في أن الله هو العلــيُّ الأعلى، وأنه فوق كلِّ شيءٍ -سبحانه وتعالى- ثم بدأ يَذْكر الأدلة، سيذكر الأدلة أولاً من الكتاب، ثم من السنة، ثم من الإجماع، ثم بالفطرة على هذه الصفة.

أعود قبل أن أبدأ في ذكرِ الأدلةِ التي ذَكَرَهَا الشيخُ إلى سؤال الأخت في بحث مسألةِ العلو لله -عز وجل-.

أقول: هذه الصفة من الصفات التي ثَبَتَتْ أو اجتمعَ في حقِّها جميعُ أنواع الأدلـــةِ، ثبتــت بالكتــاب والــسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة، بل -كما ذكرت الأخت- أجمع عليها اليهود والنصارى، بل ذَهَبَ بعضُ أهل الشرك المشركون الذين بُعث فيهم النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- كانوا يثبتون هذه الصفة، وسيذكر الشيخ أمثلــة علــى ذلك، وَذَكَرَ ابن القيم أبعد من هذا في كتابه "اجتماع الجيوش الإسلامية"، ذكر حتى الحيوانات فُطرت على ذلــك، وذكر أمثلة على ذلك، وَذَكَرَ أن الجنَّ أثبتوا هذه الصفة وذكر أمثلة على ذلك، طيب ما فائدة بحثها؟ أقول: هــذه الصفة التي اجتمعت فيها هذه الأدلةُ من الصفات التي أجمع المعطلة قاطبة؛ الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة على نَفْيها عن الله -عز وجل- وهذا المذهبُ ينتشر كثيرًا بين المسلمين.

في هذا الزمان؟

في هذا الزمن، ولَعَلَّ من خَالَطَ بَعْضَ المجتمعات رأى وللأسف من تَرَسَّخَتْ عنده عقيدة الحلول، أو نفي صفة العلو عن الله -عز وجل- بإطلاقٍ، ولا يَلزمُ أن يكون حالاً في كل مكان كما يقوله الحلولية، كما ذهب إلى هــذا الأشاعرة.

ولهذا كان من الأجدرِ أن نُدرسَ هذه الصفةُ ويُبين الحقُّ فيها، وليس في ذلك -إن شاء الله- تــشويشٌ علــى الأذهان، بل هذا مما فُطِرَ الخلقُ عليه، وإنما في هذا تأكيدٌ وتأصيلٌ وتقعيدٌ، ولهذا كَتَبَ فيها أهلُ العلــم مؤلفــاتٍ مستقلةً، كتب فيها الذهبي -رحمه الله- كتابا سماه "العلو للعليِّ الغفارِ" وَسَاقَ فيه عَشَرَاتِ الأدلةِ، ومئات النُّقــولِ عن الأئمة قديمًا وحديثًا عن الصحابة والتابعين، كل طبقة يَذْكر منها نماذجَ أنهم كانوا يَنُصُّون على إثباتِ هــذه الصفةِ جيلاً بعد جيل.

وابن قدامة ألف مؤلفًا مستقلاً في إثباتِ العلو لله -عز وجل-، وابن القيم كتب مجلدًا كبيرًا في إثبات العلو لله -عز وجل-، وهكذا العلماء قديمًا وحديثًا، وما ذاك إلا أنه يوجد من ينفي هذه الصفة عن الله -سبحانه وتعالى-.

نَعود إلى الأدلةِ التي ذَكَرَهَا الشيخ، الشيخ هنا ما ذكر إلا نماذجَ، ذَكَرَ منها قوله -سبحانه-: ؟إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ؟ [فاطر: ١٠]، ما وجه الدلالة من هذه الآية؟

يصعد أنه في الأعلى

أحسنت، وجه الدلالة من هذه الآية على إثبات صفة العلو أن الله -عز وجل- قال: ؟إِلَيْهِ؟ إلى من؟ إلى جبريل أم إلى محمد؟ إلى الله ؟إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ؟، والصعودُ والرفعُ في لغةِ العربِ من أسفل إلى أعلى، فهذا نصٌّ صريح في إثبات صفة العلو.

الآية الثانية: ؟إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ؟ هذا في حق من؟ عيسى -عليه الصلاة والسلام- ؟وَرَافِعُكَ إِلَيَّ؟ والرفعُ يكون من أسفل إلى أعلى، فهذا أيضًا دليلٌ صريحٌ في إثبات صفة العلو لله -عز وجل-.

أيضًا قوله: ؟أَأَمِنْتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ؟١٦؟ أَمْ أَمِنْتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا؟ ما وجه الدلالة؟

؟أَأَمِنْتُم مَّن فِي السَّمَاءِ؟ يعني العلو لله -عز وجل-.

أن الله في السماء؛ أي في العلو.

بالطبع لعلنا أن نقفَ عند هذه الآية وقفة لطيفة، هذه الآية اعترض بها النفاةُ على أهلِ السنةِ، وقالوا لأهل السنة: أنتم تقولون إن نصوصَ الصفاتِ تُؤخذ على ظاهرِها، وإذا أخذنا هذا النصَّ على ظاهره؛ لم يدل على المعنى الذي استدللتم بها بهذه الآية عليه، الذي هو العلو، هذه الآية ظاهرها أن الله في السماء، بمعنى أن السماءَ تُحيط به -تعالى الله عن ذلك!-، أين العلو؟ إذن هناك شيءٌ أعلى منه السماء، فالآية تحتاج إلى تأويلٍ، وأنتم لا تقولون بالتأويل، والآيةُ ليست دليلاً على إثباتِ صفة العلو، وأنتم تستدلون بالآية على إثبات صفة العلو، والآية دليلٌ على أنَّ نصوص الصفات لا يلزم منها إجراؤها على الظاهرِ كما زعمتم، فالرد؟

تقول: لماذا يقال علو الله على خلقه ولا يُكتفى بقول: علو الله فقط؟

واضحٌ الإشكالُ الذي أورده هؤلاء؟

في كلمة "في السماء" تعني داخلها داخل السماء.

نعم، داخل السماء، نعم، ما نَتَحَرَّجُ نطرح؛ لأنهم طرحوا علينا هذا الإشكال، يقولون: ظاهر هذا النص أنَّ الله في السماء، ؟أَأَمِنْتُم مَّن فِي السَّمَاءِ؟، وفي الحديث كما سيأتينا: (ربنا الله الذي في السماء) قالوا: ظاهر هذا النص أن الله داخل السماء، إذن ما فيه علو، السماء أعلى منه، وأنتم تقولون: إن الله عالٍ على جميع الخلق بما فيها السماوات، فالجواب؟ الاجتهاد هنا بابه مفتوح.

توجد آيات كثيرة تثبت العلو لله -عز وجل- ربما الآية هذه طبعًا بلا شك الآية الثانية تقوي الآية هذه، وكذلك ربما عند العرب أن الله -عز وجل- أو جرت العادة أن هذا مما تسلم له...

يعني كأنك تقول: إن هذه الآية مُجملة يُفصِّلُ ويُفسِّرُ هذا الإجمالَ الآيات والنصوص الأخرى التي أثبتت العلو المطلق لله؟

نعم

الإجابة: نقول: الآية على ظاهرها، ولا تدل إلا على الحقِّ الذي دَلَّ عليه الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وليس هناك ثَمَّة -ولله الحمد- أيُّ معنًى باطلٍ يدل عليه ظاهرُ هذه الآية، ومن اعتقد في ربه أنه داخل السماوات بنصِّ هذه الآية؛ فهو ضالٌّ، ومن نَقَلَه عن أحد من السلف؛ فهو كاذب كما قال شيخ الإسلام، وظاهر الآية يدل نصًّا صريحًا على أن الله على السماء وليس في السماء.

طيب الجواب عن هذا الإشكال الذي أوردوه، نقول لمن أورد هذا الإشكال: لك جوابان:

الجواب الأول: أنَّ لفظَ السماء هنا عند العرب، ودائمًا نقول: القرآن نَزَلَ بلغة من؟ بلغة جهم بن صفوان؟! بلغة العرب، ولهذا لا بد من الرجوع إلى كلام العرب في معرفة معنى هذه الألفاظ.

السماء عند العرب يطلقونها ويريدون منها أحد أمرين: إما هذه السماء المبنية المخلوقة المعروفة، وإما أن تُطلقَ ويُرادَ بها العلو، فيكون معنى الآية "أأمنتم مَن في العلو" السماء يراد بها العلو، قد يقول لنا قائل: ما دليلكم؟ نقول: الدليل قول الله -عز وجل-: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [النور: ٤٣]: من العلو، ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الحج: ١٥]؛ أي إلى العلو، والعرب تطلق كل ما علاك تُسميه سماء، فيكون معنى الآية "أأمنتم من في العلو" فإنْ أصَرَّ المعترضُ وقال: لا، أنا لا يمكن أحمل السماء هنا إلا على السماء المعهودة المبنية هذه، نقول: الأمر يسير، نرجع إلى "في"، الإشكال الذي وَقَعَ عندك متعلقٌ بحرف الجر "في"؛ لأنهم قالوا: "في" تُفيد الظرفية، وبناءً عليه؛ فالسماء إما تُظله أو تُقله -تعالى الله عن ذلك!-، فيقال له: "في" عند العرب، حروف الجر ينوب بعضها عن بعضٍ في المعنى، فتُطلق "في" ويُراد بها في المعنى الظرفية لَمَّا أقول: "ياسر في الأستوديو" يعني داخل الأستوديو، وتُطلق "في" ويُراد بها بمعنى "على"، فيكون معنى الآية "أأمنتم من على السماوات" طيب سيقول لنا المعترض: ما دليلُكم على أن "في" تأتي بمعنى "على"؟ نقول: جميل.. في هذه الآية، ما دليلكم أن "في" هنا بمعنى "على"؟ لماذا لا تحملونها على معنى الظرفية؟ فيقال له: يقول الله -عز وجل-: ﴿فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، ما معناها؟ جوف الأرض؟ على الأرض بإجماع المفسرين، ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]؛ أي على جذوع النخل، تقول العرب: "فلان في الجبل" ما معناه؟ على الجبل، "فلان في السطح" على السطح.

إذن تأتي "في" بمعنى "على" وبهذا يزولُ الإشكالُ، ويكون معنى الآية: "أأمنتم من على السماء أن يَخسف بكم الأرض" أو: "أأمنتم من في العلو أن يخسف بكم الأرض" وتكون الآية دليل صريح على إثباتِ صفةِ العلو لله -عز وجل-.

ثم انتقلَ المؤلفُ إلى الدليلِ الذي بعد ذلك: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٨٥]، في عيسى أيضًا، والرفع -كما قلنا- يكون من أسفل إلى أعلى.

﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، أيضًا العروجُ من أسفل إلى أعلى.

﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]، كلُّ هذه الضمائر تعود إلى الله -سبحانه وتعالى- والعُرُوجُ يكون من أسفل إلى أعلى.

؟يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ؟ [النحل: ٥٠]، صريحةٌ في أنَّ الله فوق العباد.

؟ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ؟ قال الشيخ: (في ستة مواضع) في سورة الأعراف، وفي سورة الرعد، وفي سورة السجدة، وفي سورة يونس، وفي الفرقان، وفي الحديد.

؟الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى؟ نصوصُ الاستواءِ -كما ذكر ابن القيم- نوعٌ من أنواع الأدلة على إثباتِ صفةِ العلو، وذلك أنَّ الاستواءَ والعلوَّ بينهما خصوصٌ وعمومٌ، فالْمُسْتَوِي على الشيءِ عالٍ عليه، لكن لا يَلزمُ من العلوِّ الاستواءُ، فقد يكون الشيءُ عالٍ على شيءٍ ولا يكون مُستويًا عليه.

ذكَرَ أهلُ العلمِ أنَّ هناك فروقًا بين صفةِ الاستواءِ وصفة العلوِّ، مع أنَّ بينهما عمومًا وخصوصًا، ولا مانع أنْ نَذكرَها هنا لَمَّا ذَكَرَهَا الشيخُ.

لو بمثالٍ حتى نُقَرِّبَ الصورة مثلاً، أم أن فيها صعوبةٌ؟

في أي شيء؟

يعني أنه لا يلزم أن الشخص إذا كان عاليًا على شيء يكون مستويا عليه

جميل، ليس الإنسان فحسب، بل أيُّ شيءٍ، الآن السماوات عاليةٌ على الأرض، هل هي مستويةٌ على الأرض؟ أنت الآن مُسْتَوٍ على الكرسي عالٍ على الكرسي، لا يلزم من العلوِّ الاستواءُ، ويلزم من الاستواءِ العلوُّ، فكلُّ مُستوٍ على الشيءِ؛ فهو عالٍ عليه، ولهذا تفسيرُ الاستواءِ في لغةِ العربِ هو العلوُّ والارتفاع، فمعنى ؟اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ؟ [الفرقان: ٥٩]: علا وارتفع على العرش.

الفرقُ بينَ صفةِ الاستواءِ وصفةِ العلوِّ أنَّ صفة العلوِّ منَ الصفاتِ الذاتيَّةِ، ما معنى الصفات الذاتية؟

في ذات الله -سبحانه وتعالى-

هل هناك إجابة أخرى؟

الصفاتُ الذاتية هي الملازمة لله التي لا يمكن أنْ يُتصورَ أن تَنْفَكَّ عنِ اللهِ بحالٍ من الأحوالِ؛ مثل: العلو، هل يمكن أن يكون الله -سبحانه وتعالى- متجردًا عن هذه الصفة في وقت من الأوقات؟ هل يمكن أن يتصور؟ لا يمكن، مثل صفة العلم، صفة القُدرة، صفة الحياة، صفة الوجه، لازمة لله -عز وجل- أزلاً وأبدًا.

ويقابلها الصفات الفعلية، وهي المتعلقة بالمشيئة والإرادة؛ مثل: الغضب، إذا شاء الله؛ غَضِبَ، وفي أوقاتٍ لا يَغضب، ولهذا في حديث الشفاعةِ الطويل: (إنَّ ربي قد غَضِبَ اليومَ غضبًا لم يغضب قبله ولن يغضب بعده)، مثل الرحمة، مثل الاستواء ؟ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ؟ فالاستواء صفة فعلية، والعلوُّ صفة ذاتيَّة، الاستواء صفة خبريَّة ثبتت بالخبر فقط، ثبتت بالكتاب والسنة، أما صفة العلو؛ فَثَبَتَتْ بالكتاب، والسنة، والعقل، والفطرة، هذه من الفروق التي بيْن صفة العلو وصفة الاستواء.

واستشهدَ شيخ الإسلام في هذا الموضع بالاستواء ليُثبت العلو

نعم، للدلالةِ على العلو، على أنَّ الاستواء نوعٌ من أنواع الأدلةِ على إثباتِ علوِّ اللهِ -عز وجل- على خَلْقِه.

واستدل -أيضًا- بقوله: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾. وجه الدلالة من هذه الآية، لو قال لنا المعطلة كما قالوا فعلاً واعترضوا؛ كيف تستدلون علينا بقول فرعون الذي ادَّعى الرُّبوبية؟ تستدلون بقوله على إثبات صفة العلو لله -عز وجل- وهو كافر مُدَّعٍ للربوبية؟ فما وجه الدلالة من هذه الآية على إثبات صفة العلو؟ وما الردُّ على هذا الاعتراض؟

الدلالة في الآية على قول: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ فأقَرَّ بأن إله موسى الله فوق السماوات

نعم، لكن هم يقولون لنا: هذا قول فرعون تستدلون علينا بقول فرعون الكافر؟

فطرته أقرت بذلك

طيب جميل، هل هناك إجابة أخرى؟

الإجابة: الآيةُ لها دلالةٌ بالمنطوق ودلالة بالمفهوم، فمفهومُ الآيةِ أنَّ موسى أَخْبَرَ فرعونَ أنَّ ربَّه في العلوِّ، ولهذا رَامَ فرعون أن يُثْبِتَ صِدْقَ أو كَذِبَ موسى، وقال له موسى لما سأله أين ربك؟ قال له: في العلو، فَأَمَرَ وزيرَه هامانَ أَنْ يَبنيَ له صرحًا، والصَّرْحُ البناءُ الممتدُّ للسماءِ، لماذا؟ قال: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾، كاذبًا في ماذا؟ في ادعائه أن ربه في العلو، هذا هو الدلالة بالمفهوم، وهذا هو وجه الدلالة من هذه الآية، وفيها رَدٌّ على هؤلاء نحن لا نستدل عليكم بقول فرعون، وإنما نستدل عليكم بقولِ موسى؛ لأن فرعونَ لماذا ذهب إلى جهة العلو؟ لأجلِ أنْ يُثْبِت أن موسى كاذبٌ فيما ادَّعاه.

ثم ذَكَرَ الآية ما قبل الأخيرة: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، وأيضًا ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾، والتنزيل يكون من أعلى إلى أسفل، والله -عز وجل- نَصَّ هنا: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، هذا القرآن نزل من الله ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾.

يقول: (إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يُحصى إلا بكُلْفَةٍ، ولهذا ذَكَرَ بعضُ أصحابِ الشافعيِّ أنَّ في القرآنِ أكثرَ من ألفِ دليلٍ على إثباتِ صفةِ العلوِّ، والشيخ قال في موضع آخر: (وفي القرآن أكثر من ثلاثمائة دليلٍ على إثباتِ صفة العلو لله -عز وجل-).

يقول: بما أن القول بأن الله في كل مكان ينافي صفة العلو الحقيقي لذات الله -عز وجل- نرجو بيان وجه تلك المنافاة؟ وبماذا يرد عليهم في ذلك؟ وما حكم من قال ذلك بعد أن سمع الخبر وقامت عليه الحجة والاستدلال ممن ينتمي إلى هذه القبلة؟

نجيب على سؤال الأخ ثم نَرجع إلى سؤال الأخت، يذكر الأخ يقول: هؤلاء الذين يقولون: إن الله -سبحانه وتعالى- في كلِّ مكان وأن هذا يُنافي صفة العلو الحقيقي، يُريد إيضاحًا لقضيَّة الحلوليَّة وكذا وأنَّ هذا قولُهم هو يُنافي هذه الصفة للهِ -سبحانه وتعالى- تأكيدًا على هذا الأمر، ثم يقول: ما الحكم فيمن قال هذا الأمر بعدما قامت عليه الحجة وهو متمسك بهذا القول، يعني لم يرعوِ ويرجع في قوله، وهو من أهل القبلة من المسلمين؟

أما كَوْنُ العلوِّ يُنافي القولَ بالحلولِ؛ فلأنَّ العلوَّ عندنا ثلاثة أنواع: علو القدرة، وعلو القهر، وعلو الذاتِ، والمعطلة لا يُخالفون أهلَ السنةِ في علوِّ القدرة، وعلوِّ القهر، ولهذا تحريرُ محلِّ النزاع بيْن أهلِ السنةِ وبيْن مُخالفيهم في مسألةِ علوِّ الذاتِ. فالأدلةُ جميعُها بلا استثناءٍ دَالَّةٌ على أنَّ الله عالٍ على الخلق، ولا يجوز أن يكون بذاته حَالٌّ مع الخلقِ؛ لأنه ليس هناك دليلٌ لا من الكتاب ولا من السنة، وهذا مما يُنافيه العقل، ومما يُنَـزَّهُ الله -عز وجل- عنه؛ لأن الله لا يُمكن أن يكون مخالطًا لهذه الحوادث، نعم معنا كما قال السلف بعلمه.

وحُكْمُ من قال بعقيدة الحلول لا شكَّ أنه ضالٌّ ومبتدعٌ، لكن هل يكفر أم لا يكفر؟ لعله إما أن يكون مُتَأَوِّلاً أو جاهلاً، لكن إذا بُيِّنَتْ له الأدلةُ واتضح له الحقُّ ثم أَصَرَّ وَعَانَدَ؛ فأهل العلم يكفرونه بذلك، لكن غالبًا المتمسك بهذه العقيدة يكون مُتأوِّلاً، ولهذا يقول الشيخ عن هؤلاء يقول: (في جانب التعبد يَغلب عليهم عقيدةُ أهلِ الحلولِ، وفي جانب التنظير والتقعيد يَغلب عليهم جانبُ الغلوِّ في النفي، حتى أحيانًا يرفعون عن الله -عز وجل- النقيضين) يقول لا هو داخل العالم ولا خارجه، من باب التنزيه، فليس لهم قاعدةٌ بينة.

تقول: لماذا يُقال دائمًا علو الله على خلقه ولا يكتفى بقول العلو فقط؟

هذا يُقال علو الله -عز وجل- على خلقه من باب التأكيد لَمَّا وُجِدَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الله مُخالطٌ للخلق مُمازجٌ لهم؛ بَدَأَ أهلُ العلمِ يَنُصُّون أنَّ الله عالٍ على خلقِه للتأكيدِ على إثباتِ هذه الصفةِ.

العلو في ذاته؟

نعم.

طيب يا شيخنا الآيات التي أوردها شيخ الإسلام في هذه الإجابة لعلنا من باب التأكيد في قضية الاستواء ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، ذكرتم أمثلة حسية تقرب معنى الاستواء والعلو والفرق بينهما، لكن السؤال: هل الاستواء يعني الملاصقة والملامسة؟ حتى لا يصير إشكال عند الإخوة

بالطبع سيأتينا الكلامُ -إن شاء الله- على صفةِ الاستواءِ على وجه الخصوص عند ذِكْرِ الأثر عنِ الإمام مالكٍ، الاستواء معلوم لكن لا مَانِعَ أن نَسْتَبِقَ الإجابة.

الذي حَمَلَ أهلَ الكلامِ والمعطلة على نفي الاستواء عن الله أنه تَبَادَرَ إلى أَذْهَانِهِم أنهم إذا أثبتوا لله الاستواءَ؛ فمعناه أن الله مُحتاجٌ إلى العرش، حاجة المخلوق إذا استوى على المخلوق. فَعَلَى حَدِّ زعمِهم أنه لو سَقَطَ العرش -تعالى الله عن ذلك!-؛ لسَقَطَ الله، ولكن لا يلزم من الاستواءِ الحاجةُ إلى الشيءِ المستوى، هذا بالنسبة للمخلوق، هذا لو أثبتنا استواء للهِ كاستواءِ المخلوقِ، لكن إذا قلنا: إن للهِ استواء يَلِيقُ بجلاله وبعظمته؛ لم يتبادرْ إلى أذهاننا هذا الاحتمالُ الباطلُ. لو أثبتنا إلى الله استواءً مُطلقًا؛ فلربما تَبَادَرَ إلى الذهنِ هذا المعنى الفاسدُ، لكن نحن أثبتنا استواءً وَقَيَّدْنَاه باللهِ -عز وجل-، كما أننا أثبتنا لله العلم، وخصصنا هذا العلمَ باللهِ، ليس كعلم المخلوق، أثبتنا لله الوجهَ لكنَّه خَاصٌّ باللهِ -عز وجل- ليس كوجه المخلوق، فالله -عز وجل- استوى على العرش، علا وارتفع على العرش لكنه مُستغنٍ عن العرش وما دون العرش، بل هو -سبحانه- الممسك للعرش وما دون العرش.

يقول: بعض الناس يقولون كلمة عن أن الله -عز وجل- موجود، في حين أنَّ البعضَ يُحذر من هذه الكلمة ويقول: لا يجوز أن يقال على الله -عز وجل-: موجود؛ لأن لكلِّ موجود واجدًا، والله -عز وجل- ليس له واجدٌ، فما صحة هذه العبارة سواءً من قائلها أو المعترضين عليها؟

كلمة "موجود" بالدال؟

نعم، الله موجود نعم بالدال

المنسوبُ للهِ -عز وجل- ثلاثة أنواع: أسماء، وصفات، ويُنسب لله من بابِ الإخبارِ عن اللهِ، أضيقها بابُ الأسماءِ، ثم باب الصفات، ولهذا نَأخذ منَ الاسم صفةً، ولا نأخذ من الصفةِ اسما، فباب الصفاتِ أوسع، وأوسع من باب الأسماء والصفات بابُ الإخبارِ عنِ اللهِ -عز وجل- فيُخبر عنِ اللهِ -عز وجل- بما هو صحيحٌ ولا يَلزمُ

عليه معانٍ فاسدةٌ، وإنْ لم يَرِدْ في الكتابِ والسنة إثباتٌ لذلك، مثاله: وَاجِبُ الوجودِ، المتكلمون يُطلقون على اللهِ واجب الوجود، أطلقها أهل السنة من باب الإخبار عن الله -عز وجل-، كذلك الموجود من بابِ الإخبارِ عن الله لا مانع أنه موجود أي ليس بمعدومٍ، لكنْ مَنْ تَبَادَرَ إلى ذهنِه أنَّ الموجودَ لا بدَّ له منْ مُوجِدٍ؛ نقول لا ما يجوز أن تطلقها على الله، لكن نحن نُطلقها على اللهِ منْ بابِ الإخبارِ عنِ الله أنه موجودٌ؛ أي ليس بمعدومٍ.

هناك سؤال يتبادر إلى الذهن في المسألة التي ناقشتموها في قضية قول الله -تعالى-: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ "من" يعني ذكرتم أن هؤلاء المعطلة يستشهدون بهذه الآية لهم، ونحن نستشهد بها عليهم، البعض وهم أحيانًا يُوردون إشكالاً في قضيةِ نزولِ اللهِ -سبحانه وتعالى- إلى السماءِ الدنيا، وهي تَستشهد بهم ولهم أيضًا لهم وهي عليهم، هل هذا يُقاس على..؟

جميل، أنت تقول: إنهم ربما يقولون: إذا أوردتم النزول إلى السماء الدنيا بمعنى هذا يَتَنَافى مع صفة العلو، وأهل السنة يُثبتون صفة النزولِ للهِ -عز وجل-، وهي منَ الصفاتِ الفعليَّةِ المتواترةِ عنِ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- كما في الصحيحين وغيرهما: (ينزل ربنا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: هل من داعٍ ...) إلخ، وجاء عند البيهقي: (ينزل ربنا عَشِيَّةَ عرفة)، وفي رواية والرواية المشهورة: (يَطَّلِعُ الله)، (يَدنو الله) وفي رواية أخرى: (يَنزل)، فهذه النصوصُ تُثبتُ للهِ صفة النزولِ، لكن هل يَلزمُ من إثباتِ هذه الصفةِ أنْ يَكونَ شيءٌ منَ الخلقِ أعلى من اللهِ فيتنافى هذا مع صفة العلو؟ الجواب: لا، يكون هذا لو أثبتنا لله نزولاً كنزولِ المخلوقِ، لكنْ عندنا القاعدةُ العامة، أنَّ صفات الله لا تُماثلُ شيئًا منْ صفاتِ المخلوقين، ولهذا لاحظْ كيف قَرَنَ الله -عز وجل- بين التَّنْزِيهِ والإثباتِ لأجل أن يقولَ للناس: لا يلزم من إثباتِ هذه الصفة أن تكون مماثلةً لصفة المخلوق: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، أثبَتَ السمعَ والبصرَ وَنَفَى المماثلة، ﴿فَلاَ تَضْرِبُوا للهِ الأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، كل هذا يُنزِّه الله -عز وجل- عنْ مماثلةِ المخلوقِ، فالنزول أيضًا هو من الصفات التي ستأتينا -إن شاء الله- ولهذا أَلَّفَ فيها شيخ الإسلام رسالةً مستقلة في الكلام على صفةِ النزولِ، وعلى هذا الاعتراضِ الذي اعْتَرَضَ به أهلُ البدع على أهلِ السُّنةِ، وَسَمَّى الكتابَ "شرح حديث النزول".

أسئلة الدرس

سؤالُ الحلقة على آخرِ ما أشرتم إليه: آية ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾، اعْتَرَضَ بها أهلُ البدع على أهل السنة منْ أنَّ ظاهرَ الآيةِ يدل على أن السماءَ تُحيطُ باللهِ -عز وجل- وَتَتَنَافَى مع علوِّه -سبحانه-؛ فما الجواب عن ذلك؟

أكمل..

ثم قال شيخ الإسلام: (وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى، مثل قصة معراج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى ربه، ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه، وقول الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم)

جميل، الشيخُ انتهى من ذكر جزء من الأدلة ، ونموذج من الأدلة من القرآن، انتقل إلى النوع الثاني: "دلالة السنة على إثباتِ صفةِ العلو لله -سبحانه وتعالى-" قال: (وفي الأحاديثِ الصحاح والحسان) الحديث المقبول ينقسم عند أهل المصطلح إلى قسمين: صحيح وحسن، الصحيح ما هو؟

ما رأيك يا شيخ أن يحضر الإخوان ونتوقف عند هذا الحد؛ لأن الإخوة يشيرون بانتهاء هذا الدرس

إذن سنسأل عن هذا -إن شاء الله- في بداية الحلقة القادمة.

الدرس السابع

شرح وتعليق على كتاب الفتوى الحموية الكبرى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

يا شيخ طَرَحتم في نهايةِ الدرسِ الماضي سؤالاً كمراجعةٍ لما مَرَّ، وفي جزئيةٍ مهمة فلعلكم تذكرون الإخـــوة المستمعين والمشاهدين بهذا السؤال...

نعم، سَبَقَ أنَّ المؤلفَ ذَكَرَ الآياتِ الدالّة على إثباتِ علوِّ اللهِ –عزّ وجلّ– على خلقِه، وكان مما ذَكَرَ قولُـــه –سبحانه–: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦]، السؤال الذي سَبَقَ طَرْحُه: اعترض على هذه الآية بأن ظاهرها يدل على أن الله في السماء؛ أي داخل السماء، أن السماء تُقِلُّه أو تُظِلُّه، وهذا يَتَنَافَى مـــع إثباتِ العلوِّ المطلقِ للهِ –عزّ وجلّ– وَذَكَرْنَا الجوابَ عنْ هذا الاعتراض، فما جواب ذلك؟

تقول: الجواب على السؤال الذي طرحه الشيخ –حفظه الله–:

من ظاهرِ الآيةِ أنها لا تدل إلا على الحقِّ الذي دَلَّ عليه كتابُ اللهِ –عزّ وجلّ– والسنةُ الـــصحيحةُ، وإجمـــاعُ سلفِ الأمةِ، ولكنَّ أهلَ الضلالِ قالوا: إن ظاهرَ الآيةِ يدلُّ على أنَّ الله –عزّ وجلّ– في السماء، فاعتقادهم هذا –في الله– اعتقادٌ باطلٌ، وظاهرُ الآيةِ نَصٌّ صريحٌ على أنَّ الله –عزّ وجلّ– على السماء، وليس في السماء، وبهذا يَثْبتُ العلوُّ للهِ –سبحانه وتعالى– والأدلةُ في ذلك كثيرة، منها قول الله –تعالى–: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾، وقال عز شأنه: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾، وقوله: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾، والعروج يكون مـــن أسفل إلى أعلى.

وأدلة أخرى في شأن ذلك كثيرة، ومن السنة حديث الجارية التي سألها رسول الله –صلى الله عليـــه وســـلم– فقال لها: (أين الله؟)، فقالت: "في السماء"، فأمر بعتقها لأنها مؤمنة، وهذا نص صـــريح باعتقـــاد أن الله فـــوق السماء. والله أعلم.

الإجابة إجابة جيدة، لكن فيها شيء من العموم.

تقول: هذه الآية اعترض بها أهلُ البدع على أهل السنة، والجواب:

هذه الآيةُ مجملةٌ يُفصل ويُفسر هذا الإجمالَ الآياتُ والنصوصُ الأخرى التي أَثْبَتَتْ العلوَّ المطلقَ للهِ.

الشيء الثاني: إن لفظَ السماءِ عند العربِ يُطلقونها ويُريدون منها أحد أمرين: إما هذا السماء المبنية المخلوقة المعروفة، وإما أن تطلق ويراد بها العلوُّ، فيكون معنى الآيةِ: أأمنتمْ مَنْ في العلوِّ، السماءُ يُراد بها العلـــوُّ، وقـــد يقول قائل: ما دليلكم؟ نقول الدليل قول الله –عزّ وجلّ– ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾؛ أي: من العلو، ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَـــى السَّمَاءِ﴾؛ أي: من العلوِّ، والعرب تطلق على كل ما علاك تُسمِّيه سماءً، فيكون معنى الآية: "أأمنتم من في العلو".

واعترضوا وقالوا: "في" تفيد الظرفية، وبناء عليه "في السماء" إمَّا تُظله أو تُقله تعالى الله عن ذلك، فيقال لـه: "في" عند العرب حروف الجر ينوب بعضها عن بعض في المعنى، تطلق "في" ويراد بها "في" المعنى الظرفية، وتطلق "في" ويراد بها بمعنى على فيكون معنى الآية "أأمنتم من على السماء"، والدليل قوله تعالى: ﴿فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾؛ أي: على الأرض، فإذن تأتي في معنى على، وبهذا يَزول الإشكالُ ويكونُ معنى الآية: ﴿أَأَمِنْتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾، أو "أأمنتم من في العلو أن يخسف بكم الأرض"، وتكون الآية دليلاً صريحًا على إثباتِ صفةِ العلوِّ للهِ -عزّ وجلّ-. هذا والله أعلم

إجابة كاملة واضحة ومفصلة.

توقفنا في الدرس الماضي يا شيخ حمد عند الأدلة التي أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية من القرآن الكريم في إثبات علو الله -عزّ وجلّ-...

واليوم سنبدأ أو سيذكر المؤلف الأدلة من السنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في الفتوى الحموية الكبرى: (وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يُحصى؛ مثل قصة معراج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى ربه، ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه، وقول الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار فيعرجُ الذين بَاتُوا فيكم إلى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم، وفي الصحيح في حديث الخوارج: (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؛ يأتيني خبر السماء صباحا ومساء)، وفي حديث الرُّقية الذي رواه أبو داود وغيره: (ربنا الله الذي في السماءِ تَقَدَّسَ اسمه، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزلْ رحمةً من رحمتك، وشفاءً من شفائك على هذا الوجع)، قال -صلى الله عليه وسلم-: (إذا اشتكى أحد منكم أو اشتكى أخٌ له؛ فليقل: ربنا الله الذي في السماء ..) وذكره. وقوله في حديث الأوعال: (والعرش فوق ذلك، والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه) رواه أبو داود.

وهذا الحديث مع أنه قد رواه أهل السنن، كأبي داود وابن ماجه والترمذيِّ وغيرهم، فهو مَرْوِيٌّ من طريقيْن مشهوريْن، فالقدحُ في أحدِهما لا يَقْدَحُ في الآخر، وقد رواه إمام الأئمة ابن خُزَيْمَةَ في كتابِ "التوحيدِ" الذي اشترط فيه أنه لا يَحتجُّ فيه إلا بما نَقَلَه العدل عن العدل موصولا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقوله في الحديث الصحيح للجارية: (أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: رسول الله، قال: أعتقْها؛ فإنها مؤمنة)، قوله في الحديث الصحيح: (إن الله لَمَّا خلق الخلق؛ كَتَبَ في كتابٍ موضوع عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي) وقوله في حديثِ قبضِ الروح: (حتى يُعرجَ بها إلى السماء التي فيها الله) إسناده على شرط الصحيحين)..

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة أتم التسليم.

النوع الثاني من أنواع الأدلة الدالة على إثبات علو الله -عزّ وجلّ- على خلقه ما ثبت في صحيح السنة، ولهذا قال المؤلف: (وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يُحصى)

الحديث الصحيح -كما عند أهل المصطلح-: ما اتصل سنده برواية العدل التام الضبط، من أول السند إلى منتهاه، وسَلِمَ من الشذوذ والعلة القادحة.

والحديث الحسن مثله إلا في شرط واحد وهو، تمام الضبط يكون خفيفَ الضبط.

والحسن من قسيم الصحيح. الشيخ يقول: (في الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى)؛ أي ثبت لله -عزّ وجلّ- هذه الصفة في الأحاديث الصحيحة والحسنة، ثم ذكر أمثلة على ذلك، وبالطبع هو لا يُمكنُ أن يَستقصيَها في هذه الرسالةِ أو هذا الجواب كما ذكر هو -رحمه الله- الكتاب عبارة عن جواب، وإلا فالنصوص الْمُثبِتَةُ للعلوِّ في صحيح السنةِ كثيرةٌ جدًّا، وبلغتْ حَدَّ التواترِ كما سيذكرُ المؤلفُ التواتر المعنوي واللفظي.

من أمثلة الأحاديث المثبتة لصفة العلو قصةُ معراج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما في حديث أبي ذرٍّ الطويلِ كما في الصحيحين، فقصةُ المعراج صريحةٌ في أنَّ الله في العلوِّ؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- عرج -أي صعد- مع جبريل من سماء إلى سماء، ومن سماء إلى سماء، إلى أن جاوز السماء السابعة، إلى أن وصل إلى سدرة المنتهى.

كذلك من الأدلة قال الشيخ: (ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه) أيضا كما ثَبَتَ في الصحيحين من حديث أبي هريرة: (إنَّ للهِ ملائكةً سيارة) ثم ذكر في آخر الحديث (أن الملائكة تصعَد إلى ربها فيسألهم)، الشاهد من الحديث: الصعود، والصعود يكون من أسفل إلى أعلى، (يصعدون إلى الله فيسألهم وهو أعلم)، فصريحٌ في إثباتِ العلوِّ للهِ -عزّ وجلّ-، وقوله: (الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم)، أيضا الحديث ثابتٌ في الصحيحيْن أنهم يَجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، (ثم يعرج إليه الذين كانوا فيكم فيسألهم وهو أعلم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون)، الشاهد من الحديث (فيعرجون) العروج الصعود من أسفل إلى أعلى.

كذلك حديثُ الخوارج، والخوارج هم الذين خَرَجُوا على عليٍّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- بعد قصةِ التحكيم، يجمعهم فرق شتى انتهى بهم الأمر إلى أن تفرقوا على أنفسهم، يجمعهم القول بتكفير عليٍّ وعثمانَ والحكميْن وأصحابِ الجمل، وتكفير مرتكبِ الكبيرةِ، وأنه مُخلدٌ في النار والخروج على الأئمة إذا ظلموا أو جاروا.

طلائع وبوادر هذه الفئة الضالَّة خَرَجَتْ زَمَنَ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم-، وذلك بعد غزوة حُنَيْنٍ لَمَّا قَسَمَ النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- الغنائمَ وأعطى بعضَ سادةِ قريشٍ مالاً فَأَجْزَلَ لهم، أعطى بعضهم مائةً من الإبل، كصفوان بن أمية وأمثاله، فاعترض ذو الخويصرة على النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- وقال: "اعدل يا محمد"، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء)، تخشون أن أجور عليكم، أو أن أجور في العدل بينكم، يأتيني خبر السماء صباحا ومساءً)، خبر السماء: الوحي، فالشاهد: (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء) من الذي في السماءِ؟ الله -عزّ وجلّ-.

أيضا الحديث في صحيح مسلم، وفي حديث الرقية، والرقية هي: الْعَوْذَةُ التي يُرقى بها صاحب الآفة، الذي رواه أبو داود وغيره: (ربنا الله الذي في السماء تَقَدَّسَ اسمُه)، الشاهد: (في السماء)، وتَقَدَّمَ الكلامُ على الألفاظِ التي تأتي بصيغة: "في السماء"، معناها: "على السماء"، أو "في العلو". ولاحظ أن المؤلف لما أورد حديث الرقية هنا؛ أراد أن يُبَيِّنَ الردَّ على المؤولة؛ لأنهم يزعمون أنَّ الله في السماء؛ أي أمره، والرسول -صلى الله عليه

وسلم- فَرَّقَ هنا بين الله وبين أمره، ولهذا قال: (أمرك في السماء والأرض)، أمـرُ اللهِ -عـزّ وجـلّ- لـيس مخصوصًا في السماء، لكن الله في السماء، هذا رد على تأويلهم هذا الباطل.

ثم قال في حديث الأوعال، والأوعال جمع وعل وهو تيسُ الجبلِ ويُعبَّرُ به عن الأشراف الرؤوس، كما فـي قول أبي هريرة -رضي الله عنه-: "لا تقوم الساعة حتى تعلوَ التحوت، وتهلك الوعول"، قيل وما التحوتُ؟ قال: وجوه الرجال، وأهل البيوت الغامضة، والوعول أهل البيوت الصالحة".

في حديث الأوعال، وحديث الأوعال طويل، وهو حديث العباس بن عبد المطلب -رضي الله عنه- كما رواه عنه الأحنف بن قيس: "كنا في البطحاء في عصابةٍ فيهم رسولُ -صلى الله عليه وسلم-، فمرت سحابة فسألهم: ما تسمون هذه؟ قالوا: السحاب، قال: والمزن؟ قالوا: والمزن، قال: والعنان؟ قالوا: والعنان .." إلى آخر الحديث، ثم ذكر في آخر الحديث، حديث طويل؛ لأنه ذكر في هذا الحديث المسافات التي بين السماءِ والسماءِ، ثم ذَكَرَ فـي آخرِ الحديثِ: (والعرشُ فوق ذلك، والله فوق العرش، وهو يَعْلَمُ ما أنتم عليه).

بالطبع هناك من قَدَحَ في الحديثِ، والشيخ أجاب عن هذا القدح، قال: وهذا الحديث مع أنـه قـد رواه أهـل السنن؛ أي أبو داود، الترمذي، ابن ماجه، وغيرهم، فهو مرويٌّ من طريقيْن مشهورين، فإذا كان هنـاك طريـق مقدوح فيه؛ فالطريق الآخر سالم من القدح. إذن فالحديث ثابت، وذكر من قرائنِ الصحةِ أن ابن خزيمة -رحمه الله- أخرجه في كتابه "التوحيد" الذي اشترط فيه أنه لا يَحتجُّ فيه إلا بما نقله العدل موصولا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهذا الحديث رواه الأئمة في دواوينهم؛ كالإمام أحمد، وابن أبي عاصم، وابن أبي شـيبة، وابـن خزيمة، والدارمي، والآجري، اللالكائي، وجمع كثير.

ولهذا قال شيخ الإسلام في الرد على من يطعن في صحة هذا الحديث، قال: عبد الله بن عميرة ذَكَرَ البخاريُّ أنه لا يُعْرَفُ له سماعٌ عن الأحنفِ، هذا مَلْحَظٌ من طَعَنَ في صحةِ الحديثِ.

عبد الله بن عُمَيْرَةَ أحد رجال السند لا يعرف أنه سمع من الأحنف، وابن خزيمة أَثْبَتَ له الـسماع، والمُثْبِـتُ مُقَدَّمٌ على النافي، فالبخاري نفى علمَه بسماع عبد الله بن عُميرة من الأحنفِ، لكنَّ ابنَ خزيمة وغيره أَثْبَتُـوا أنَّ عبدَ الله بن عُمَيْرَةَ قد سَمِعَ من الأحنفِ، ولهذا فإنَّ الحديث لا مَطْعَنَ فيه صحته.

يا شيخ صحيح لغيره، أم صحيح لذاته

صحيح، وأما الصحيح لغيره؛ فهو الحديثُ الضعيفُ الذي ليس بشديدِ الضعفِ إذا تعددت طرقـه، أمـا هـذا الحديث؛ فثابتٌ وإنما أُخِذَ في قولِ الإمامِ البخاريِّ: إن عبد الله بن عميرة لم يسمع من الأحنف الذي روى عـن العباس، لكنَّ غيره من الأئمة أثبتوا له السماع، ولهذا يكون الحديث صحيحًا، وعلى كلِّ حالٍ كما في هذا الحديث وفي الحديث الآخر -كما سيأتينا- لو افترضنا أنه لم يثبت؛ فالحمد لله عندنا من الأحاديث الصحيحة ما فيه الغِنَى والشفاء.

ذكر بعد ذلك حديثَ الجاريةِ -كما في صحيح مسلم- لَمَّا سَأَلَهَا النبيُّ -صلى الله عليه وسـلم- (أيـن الله؟)، فأشارت إلى السماء، وفي رواية أنها قالت: "في السماء"، فقال النبي -صلى الله عليه وسـلم-: (أعتقهـا؛ فإنهـا مؤمنة). هذا الحديث صريحٌ في إثباتِ صفةِ العلوِّ للهِ -عزّ وجلّ-.

لا شك أن هذا الحديث شَرِقَ به أهلُ البِدَعِ؛ لأنه صريحٌ، وعندهم مبدأٌ هو أنه لا يجوز أن تسألَ عن الله بـ: "أين"، فأنت إذا سألت عن الله بـ: "أين" فمعناه أنك تحدد له مكانًا. فوُجِهوا بمثل هذا الحديث، والحديث ثابتٌ في صحيح مسلم بسند متصلٍ برواية عدول ثقات.

فكعادةِ أهلِ البدعِ اخْتَلَفُوا في الموقف من هذا الحديث؛ فمنهم من طعن في صحته، ومنهم من زعم أنه خبرُ آحادٍ ولا يؤخذ به في باب العقائد، ومنهم من قال: لا، النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- سَأَلَ الجارية يَمتحنها ما قَدْرُ ومنزلةُ الله -عزّ وجلّ- في نفسِكِ؟ فقالت: في السماء؛ أي في درجة عالية، لاحظْ هذا التأويلَ البعيدَ، ومنهم من فَوَّضَ معناه إلى الله.

هناك اتفاقٌ بين أصحاب هذه المذاهبِ أم أن كُلاً ...؟

لا، كُلٌّ يؤول، هم اتَّفَقُوا على ردِّ معناه، لكن كيف يتعاملون مع هذا النص؟ وعلى كل حال، فأعلمُ الخلقِ باللهِ -عزّ وجلّ- النبيُّ -صلى الله عليه وسلم-، وسأل هذه الجارية الأعجميَّة سؤالاً صريحًا: (أين الله؟)، فأجابت: "في السماء" بفطرتها.

ثم ذَكَرَ أيضًا حديثَ: (إن الله لَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ كَتَبَ في كتابٍ موضوعٍ عنده فوقَ العرشِ إن رحمتي سبقت غضبي)، هذا وجه الاستشهاد من هذا الحديث "كتب كتابا عنده فوق العرش"، والحديث في مسلمٍ وَرَوَاه أيضًا البخاريُّ بلفظٍ قريبٍ منه.

في هذا الحديث ملحظٌ أن هناك ثلاث صفات "قد يتكلم فيها أهلُ البدعِ ويُنكرونها".

بارك الله فيك!

الصفة الأولى:

العلو، والرحمة، والكتابة

أو الغضب، نعم، وأيضا نضيف صفةً رابعةً هي إثبات العرش. فهذه -كُلُّها- ثابتةٌ بهذا الحديثِ.

أيضًا قوله في حديث قبض الروح: (يُعْرَج بها إلى السماء التي فيها الله) دليلٌ على إثبات صفة العلو. قال المؤلف: (إسناده على شرط الشيخين)، الحديث رواه ابن ماجه، وأحمد، وابن خزيمة، وأبو داود، والطيالسي، والإمام أحمد وغيرهم، وهذا الحديث ربما يُطعنُ في صحتِه، وربما ضَعَّفَه بعضُ الأئمةِ والعلماءِ، لكنْ نقول: على فرض أن الحديث ضعيف، فإن الشيخ يرى أنه صحيحٌ، ولهذا قال: إسناده على شرط الصحيحيْن، والصحيح عندنا خمس درجات: أعلاها: المتفق عليه ما رواه البخاري ومسلم، الثانية الدرجة الثانية؟

ما رواه البخاري

الثالثة؟

مسلم

ما رواه مسلم.

الرابعة؟

ما كان على شرطهم

الدرجة التي بَعْدَها، ما كان على شرطِ البخاريِّ، والتي بعدها كان على شرط مسلم، فالشيخ يقول: إن الحديثَ على شرطِ الشيخين.

(وقول عبد الله بن رَوَاحَة -رضي الله عنه- الذي أنشده النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- وَأَقَرَّه عليه:

شَهِدْتُ بأنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ مَثْوى الْكافِرين

وأنَّ الْعَرْشَ فوقَ الماءِ طافٍ وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ العالمين

وقول أُمَيَّة بن أبي الصَّلْتِ الثَّقَفِيِّ -الذي أنشد للنبيِّ -صلى الله عليه وسلم- هو وغيره من شعره فاستحسنه، وقال: (آمن شعره وكفر قلبه)-:

مَجِّدُوا الله فَهْوُ للمجدِ أهلٌ ربُّنَــا في السماءِ أمسى كبيرً

بالبنا الأعلى الذي سَبَقَ الناسَ وَسَوَّى فَوْقَ السَّماءِ سَرِيرًا شَرْجَعًا ما يَنَالُه بَصَرُ العيــنِ يــرى دونه الملائكة صُــورً

وقوله في الحديث الذي في السنن: (إن الله حَيِيٌّ كريمٌ؛ يستحي من عبدِه إذا رفع إليه يديه أن يردهم صــفر)، وقوله: (يمد يديه إلى السماء: يا ربُّ يا ربُّ). إلى أمثال ذلك مما لا يُحصيه إلا الله مما هو من أبلغ المتــواترات اللفظيَّةِ والمعنويَّةِ، التي تُورِثُ علمًا يَقِينيًّا من أبلغ العلوم الضرورية أنَّ الرسولَ -صلى الله عليه وسلم- المبلــغَ عن الله أَلْقَى إلى أُمَّتِه المدعوِّين أنَّ الله -سبحانه- فوق العرش، وأنه فوق السماء، كما فَطَرَ الله على ذلك جميــعَ الأمم عَرَبَهم وَعَجَمَهم في الجاهليَّةِ والإسلام إلا من اجْتَالَتْه الشياطينُ عن فطرته)

ثم ذَكَرَ من الأدلةِ الثابتة في إثباتِ صفةِ العلوِّ قولَ عبد الله بن رَوَاحَة -رضي الله عنه- الذي أنشده النبــيَّ -صلى الله عليه وسلم- وأقره عليه:

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرين

وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمين

الحديث رواه الدارمي، وابن عساكر، وغيرهما.

أيضا قول أمية بن أبي الصَّلْت الثَّقَفِي، وهو من أهلِ الجاهليةِ الذين أَدْرَكُوا زَمَنَ النبوةِ، وقيــل إنــه أراد أنْ يُسلم، ولهذا امتلأ شعرُه بالحكمةِ وتعظيم الله -عزّ وجلّ-، فأراد أن يُسلمَ لكنْ أتاه خبرُ قتلى بدر فأخذتــه العــزَّةُ بالإثم فمات على الشرك.

لكن كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يُعْجِبُه شعرُه، ولهذا قال في الحديث الذي في الصحيحين: (وكاد أميــة بن أبي الصلت أن يسلم).

مما أُنْشِدَ للنبيِّ –صلى الله عليه وسلم– واسْتَحْسَنَه من شعرِه وقال: (آمن شعره وكفر قلبه)، أي ظاهر شعره الإيمان، لكنَّ قلبَه انطوى على الكفر:

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبير

هذا هو الشاهد الذي أورده المؤلف من أجله.

بالبناء الأعلى الذي سبق الناس وسوى فوق السماء سريرً

أي العرش، العرش عند العرب يُطلق عليه: سرير الملك، ولهذا هذا التفسير الصحيح للعرش، أنه سرير الملك.

شَرْجَعًا: أي الطويل العالي، لا يناله بَصَرُ العينِ، لعلوِّه وطولِه.

يُرَى دونه الملائكة صورا: أي مائلي الْعُنُق لعظمةِ هذا الخلق.

هذه الأبيات أوردها شيخ الإسلام من باب موافقةِ النبيِّ –صلى الله عليه وسلم–

نعم، إقرار النبي –صلى الله عليه وسلم– لأمية بن أبي الصلت ،وهو من أهل الجاهلية، وأثبت صفة العلوِّ للهِ –عزّ وجلّ–. فصفة العلو ثابتةٌ حتى عند أهلِ الجاهليةِ.

وقوله في الحديث الذي في السنن: (إن الله حيي كريم يَستحي من عبدِه إذا رَفَعَ إليه يديْه –هذا هو الشاهد "رفع إلى الله يديه"– أن يَرِدَّهما صفر)، والحديث رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن أبي شيبة، وابن حبان، وغيرهم، وهو حديث صحيح، كما صححه الحاكم، والذهبي، وغيرهما.

أيضا قوله: (يَمُدُّ يديه إلى السماء: يا رب، يا رب): "يمد يديه إلى السماء"؛ أي إلى الله –عزّ وجلّ–، لا كما يَزعمُ أهلُ البدع أنَّ مَدَّ اليديْن إلى السماءِ، ورفْعَ البصرِ إلى السماءِ في الدعاء لأجل أنَّ السماء قبلةُ الدعاءِ، هذا لم يثبتْ عنِ النبيِّ –صلى الله عليه وسلم– ولم يثبتْ عن أحدٍ من أصحابه، وقبلةُ الدعاءِ هي قبلةُ الصلاةِ، هي الكعبة ليس للدعاء قبلة تخصه، وإنما قالوا هذا الكلام لما رَأَوْا هذه الأحاديثَ الصريحة، وأيضا لما قيل لهم: الفطرة، وهي: انجذاب القلوب تُجاه السماء قالوا: لأن السماء قبلة الدعاء.

هم يُريدون نفي العلوَّ

نفي العلو، ويريدون أن يدفعوا هذه الضرورة.

ثم قال: (إلى أمثال ذلك مما لا يُحصيه إلا الله)، وقلت لكم في بداية اللقاء: إن أحاديث العلو كثيرة جدًّا، ولهذا أَلَّفَ فيها أهلُ العلم استقلالاً، وكتبوا فيها كُتبًا مفردةً.

(مِمَّا هو من أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية): المتواتر كما أخذتم في مصطلح علوم الحديث ينقسم إلى قسمين: تواتر لفظي ومتواتر معنوي.

المتواتر اللفظي: ما رواه جمعٌ عن جمعٍ من أول السند إلى منتهاه وأسندوه إلى شيء محسوس.

المتواتر المعنوي: أنْ يَتَوَاتَرَ المعنى وليس اللفظ.

المتواتر اللفظي مثل: (من كذب علي متعمدا؛ فليتبوأ مقعده من النار).

المتواتر المعنوي: أن تكون الألفاظُ مختلفةً، لكنها تُثبتُ معنًى واحدًا.

ويذكر أهل العلم منه أمثلة كالمسح الخفين، وأحاديث الشفاعة، وأحاديث العلو، والشيخ يقول: نصوص العلو من أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية، يعني اجتمع في حقها نَوْعَا التواتر: اللفظ والمعنى.

(التي تُورِثُ علمًا يقينيًّا من أبلغ العلوم الضرورية): العلم الضروري عند أهل المنطق: هو الذي يُضطرُ إليه الإنسانُ أو لا يُمكنُ دفعُه، أو قالوا: هو الذي لا يحتاج إلى تأملٍ أو نظرٍ، مثل: الواحد نصف الاثنين، مثل: السماء فوق الأرض، مثل: الشمس أشدُّ نورًا من السراج.

هذا علم ضروري ولا يحتاج إلى دليلٍ، ولا يحتاج إلى بَيِّنَةٍ، يُضطر الإنسانُ إلى معرفته اضطرارًا بدون مقدمات، وبدون شواهد، وبدون إثباتات.

الشيخ يقول: هذه الآيات، وهذه النصوص، وهذه الأحاديث تُورثُ العلمَ الضروريَّ في القلب أنَّ الله عالٍ على الخلق، ولا يستطيع أن يَدْفَعَها الإنسانُ إلا أن يُغالبَ فطرتَه ويُغالبَ هذه الحقيقة، وهذه النصوص مَنْ قَرَأَهَا أوْرَثَتْ عنده علمًا ضروريًّا لا يمكن دفعُه بحالٍ من الأحوال.

يقول: (إن الرسول -صلى الله عليه وسلم- الْمُبَلِّغَ عنِ اللهِ أَلْقَى إلى أمته المدعوِّين أنَّ الله -سبحانه- فوق العرش، وأنه فوق السماء).

هذه هي الحقيقةُ التي بَلَّغَها النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- لأمتِه عنِ اللهِ -عزّ وجلّ- وهي مِنَ الأمورِ الضروريَّةِ التي لا يُمكن دفعُها.

(كما فَطَرَ الله على ذلك جميعَ الأممِ عَرَبَهم وَعَجَمَهم في الجاهلية والإسلام).

هذا النوع الثالث أو الرابع من أنواع الأدلة الدالة على إثباتِ صفةِ العلوِّ، وهذا من أقوى أنواع الأدلةِ التي يمكن أن يُحْتَجَّ بها على المعارضين؛ لأن المعارض من الممكن أن يطعنَ في دَلالَةِ الآية، تُعطيه الآية فيَبحثُ لها عن تأويلٍ، تستدلُّ عليه بالسنة فيطعن في صحةِ السنةِ في صحة الحديث أو يتكلم في معنًى في لفظِ الحديثِ يبحث له عن تأويل.

لكن الفطرة لا يستطيع، ولهذا يذكر أهل العلم في هذا المقام قِصَّةَ أبي المعالي الْجُوَيْنِي وأبي جعفر الْهَمَذَانِيِّ، لما كان أبو المعالي الجويني يتكلم في درس أمام الناس، ويُقرر: "كان الله ولم يكن شيءٌ معه" يريد أن يَنفيَ صفة العلوِّ عنِ اللهِ -عزّ وجلّ-، ويُقررها بما يُسمُّونه بالأدلةِ العقليةِ عندهم، قام أبو جعفر وقال: يا أستاذ! دَعْنَا من هذا كله، دَعْنَا من هذه المقدمات وهذه الأدلة التي تطرحها، لكن أخبرْنا عن هذه الضرورة، ما قال عارف قطُّ: يا الله! أيًّا كان مسلمًا، كافرًا، عربيًّا، صغيرًا، كبيرًا؛ إلا وَجَدَ ضرورةً أنَّ قلبه يتجه إلا إلى جهةِ العلو، أخبرنا عن هذه الضرورة،

بالعقل

فَضَرَبَ أبو المعالي رأسه وقال: حَيَّرَنِي الْهَمَذَانيُّ، وما استطاع الجواب.

ولهذا فالنبي -صلى الله عليه وسلم- لمَّا سَأَلَ الجارية؛ أجابت بفطرتها: (أين الله؟) قالت: "في السماء". اسأل الطفلَ الصغير: أين الله؟ يقول لك: في السماء، تأتي إلى الشخص الأمِّيِّ الذي ما تَعَلَّمَ "أين الله" في البادية، في مزرعته، في متجره، الأعجمي: "أين الله؟" يقول لك: في السماء، مباشرة، وهذا مِمَّا فُطِرَ الخلقُ عليه.

لكن لو قُوبل أحدٌ منهم في هذا الزمن بمثل ما قوبل به الجويني ألا تَتَوَقَّعُ أنه قد يجد له مخرجًا أو يجد له كلامًا يُبَرِّرُ فيه، هو بَرَّرَ الأحاديث والآيات الواضحة الدلالة، أليس هذا التساؤل ربما يأتي؟

بلى، لكنَّه يُغالبُ فطرتَه، وأذكر لك قصةً، شيخ الإسلام يقول: كان عندي من هذا النوع شخص ممن ينفي صفة العلو، وأتاني في حاجة، يريد من الشيخ حاجة، فَتَشَاغَلَ الشيخُ عنه عنوةً، وفي خِضَمِّ هذا التشاغل يحاول في الشيخ والشيخ يُعرض، فَرَفَعَ بَصَرَه إلى السماءِ وقال: يا الله! كأنه متضايق، قال له الشيخ: كيف؟ لمن ترفع بصرك؟! أنت ليس عندك أحدٌ في السماء! قال: أستغفر الله!، فقال: أنت تغالب -الآن- فطرتك، فَبَيَّنَ له الحقَّ في المسألة فهداه الله.

فهم يصارعون فِطَرَهم في هذا، ولهذا جاؤوا بمسألة لما قيل لهم: فطر الناس الإنسان إذا قال: يا الله! اتجه قلبه إلى العلو قالوا: لأن السماء هي قبلةُ الدعاءِ. القبلة ما يتوجه إليها الإنسان اضطرارا يتجه إليها اختيارا مثل قبلة الصلاة هل أنت ملزم بالاتجاهِ إلى هذه القبلةِ، ولهذا كان المسلمون يستقبلون بيتَ المقدس ثم استقبلوا الكعبة.

يحتاج إلى أن يعلم الإنسان قد يجهله

أحسنت، تحتاج إلى تعليم، وهي مسألةٌ شرعيةٌ لا تَثْبُتُ إلا بدليلٍ، قبلة الصلاة ثبتت بدليلٍ، فما الدليل على أن السماء قبلة الدعاء؟! لكنهم وَجَدُوه المخرجَ الوحيدَ لمغالبة هذا الفطرة. ولهذا فالشيخ يقول: هذا مما أجمع عليه الخلق، وابن القيم في "اجتماع الجيوش" ذَكَرَ أن الحيوانات بفطرتِها تَتَّجِهُ إلى السماءِ، وَذَكَرَ على ذلك شواهدَ وأمثلةً.

ومن جميل ما يذكر أننا كنَّا يومًا في الحرمِ، وكان معنا أحد الإخوة من بلاد الرافضة كان طالبَ علمٍ، لكنه كان على مذهبِ الأشاعرةِ ينفي صفة العلو، فكان النقاش في إثبات هذه الصفة، وَطَالَ المقامُ معه في الحرم، نَسُوقُ له الأدلةَ ويأتي بجوابِ مَنْ تَلَقَّى عنهم وَمَنْ قَرَأَ لهم.

وفي أثناء النقاش والموضوع مُحْتَدِمٌ مَرَّ من جانبنا طفلٌ صغيرٌ لم يدخل المدرسة، قلنا له: يا أخي! نادِ هذا الطفل، فقلنا له: أين الله؟ لا يوجد ترتيبٌ لهذا، ولكنه مَرَّ عَرَضًا فردَّ مباشرةً وأشار إلى السماء، وقال: في السماء، قلنا له: يا أخي! من عَلَّمَه؟! فَسَكَتَ حرجًا.

وأيضا حَكَى قصة النبي -صلى الله عليه وسلم- مع الجارية

نعم، لما سأل الجارية.

الشيخ يقول: (إلا من اجتالته الشياطين).

نعم، لا يمكن أن يدفع هذه الضرورة، أو هذه الفطرة إلا من اجتالته الشياطين عن فطرتِه وَأَرَادَ أن يُغالبَها.

يقول: أليس كونُ أصحاب السنن يَرْوون حديثَ (والعرش فوق ذلك والله فوق العرش) دون تَعَرُّضٍ لتأويلِها، أليس ذلك دليلاً على أنهم يُقِرُّون بما يَتَضَمَّنُه من إثباتِ العلوِّ للهِ، ومع ذلك فلم يحذر منهم أحدٌ من فهم هذا الحديث على ظاهره؟

بلى! أحسنت، وهذا من الأدلة التي سنُذكرُ أنَّ أصحابَ السنن والأئمة رَوَوْا هذه الأحاديث وهذه النصوص في كتبهم، وَجَمَّلُوا بها دَوَاوِينَهم دون أنْ يَتَعَرَّضُوا لتأويلٍ لمعناها، فهذا يدل على أنهم يُثْبِتُون معنى هذه النصوص، ويُجْرُون النصوصَ على ظاهرها، وهذا من أقوى الأدلة.

يقول: الصحيح لغيره هو الحسن لذاته إذا جاء من طريق آخر حسن لذاته أو أكثر من طريق فيرتقي إلى درجةِ الصحيحِ لغيره، ويكون في أصله حسنًا، أما الحسنُ لغيره؛ فهو الضعيف إذا تعددت طرقه فأصبح حسنًا لغيره

الصحيحُ لغيره هو الحسنُ لذاته إذا تَعَدَّدَتْ طرقُه، يرتقي من درجة الحسن لذاته إلى الصحيح لغيره. أما الحسن لغيره؛ فإنه الحديث الضعيف إذا أتى من طرقٍ مُتَعَدِّدَةٍ، ولم يكن ضعفُه شديدًا، فعند ذلك يرتقي من درجة الضعف إلى الحسن لغيره.

تقول: هل ورد أن عدد حملة العرش ثمانية يوم القيامة، أما قبل ذلك فهم أربعة؟

الذي ثبت بصريح الآية: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، وجاء في الحديث أنهم الكروبيون، وجاء في بعض الأحاديث كما في كتاب "العظمة" لأبي الشيخ شيءٌ من صفات هؤلاء الملائكة وعِظَمَ خلقهم.

هؤلاء الذين حاولوا نَفْيَ صفةِ العلوِّ، بعضهم يقول: إن الحجة في هذا النفي أنهم ينفون عن اللهِ –سبحانه وتعالى– ما لا يَلِيق به مثل ملاصقته، واعتماده على العرش، وملامسته، أو إحاطته به، فلذلك يَخرجُ من هذه الإشكاليةِ بنفي الصفةِ بالكلية

الإشكالُ –كما ذكرنا سابقا، ونذكر الآن، وسنذكر لاحقا– أن هؤلاء ما ألجأهم إلى رد هذه النصوص الكثيرة إلا بعد أن انقدح التشبيهُ في عقولِهم، تَصَوَّرُوا أنَّ الله –عزّ وجلّ– إذا كان مُستويا على العرش؛ فإنه لا بد أن يكون مُعتمدًا على العرش، أن يكون ملامسًا للعرش. وهذه المعاني الباطلة ليست من لوازم إثبات العلو أو الاستواء، وذَكَرْنَا مثالاً سابقًا في الدرس السابق أنَّ السماءَ فوقَ الأرضِ هل الأرض مُقِلَّةٌ للسماءِ؟! هل الأرض مُحتويةٌ للسماء؟! هل السماء محتاجة إلى الأرض؟

أو منطبقة عليها؟

لا، كل هذا والسماء فوق الأرض، والله فوق السماء وفوق العرش، وليس محتاجا إلى العرش. لكن الذي أوقعهم في هذه اللوازم هي قضيةُ إطلاق العنان لعقولهم، وإلا لو التزموا النصوص كما التزمها السلف، وفهموا النصوص كما فهم أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– لَمَّا سَمِعُوها من المصطفى –عليه الصلاة والسلام–؛ لم يعترضوا عليها بـ: لماذا؟ ويلزم..، وربما..، وكيف؟ هذه كلها لوازم عقلية باطلة، سَاقَهَا الشيطان في عقول هؤلاء، الزم النصَّ كما جاء وأجْرِ النصَّ على ظاهره، وابتعدْ عن هذه اللوازمِ؛ يَسْلَمْ لك منهجُك، وتسلمْ لك عقيدتُك.

ثم قال –رحمه الله–: (ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جُمِعَ؛ لبلغ مئاتٍ أو ألوفًا، ثم ليس في كتاب الله، ولا في سنة رسوله –صلى الله عليه وسلم–، ولا عن أحدٍ من سلفِ الأمةِ؛ لا من الصحابة والتابعين، ولا عن أئمة الدين الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرفٌ واحد يخالف ذلك لا نصًّا ولا ظاهرً)

انتقل الشيخُ ليذكرَ النوعَ الرابعَ من أنواعِ الأدلةِ ألا وهو الإجماع، أو النوع الخامس بالنسبة للعقل أشار إليه بقوله: "من أبلغ العلوم الضرورية"، أنه بضرورة العقل يُدرك الإنسانُ أن الله فوق السماء، وعالٍ على الخلق.

ذكَرَ النوعَ الأخيرَ من أنواع الأدلة وهو الإجماعُ، ثم قال: (ثم عن السلفِ في ذلك من الأقوال ما لو جُمِع؛ لبلغ مئاتٍ أو ألوفُ)، وذَكَرَ -رحمه الله- جزءًا من هذه الأقوال في هذه الرسالة التي بين أيدينا، وممن عني أيضا بذكر أقوالهم تلميذه ابن القيم في كتابه "اجتماع الجيوش الإسلامية"، والإمام الذهبي في كتابه: "العلو"، والإمام ابن قدامة في كتابه: "العلو"، واللالكائيُّ، والإمام ابنُ بطة في كتابه "الإبانة"، والخلاَّلُ في كتاب "السنة"، كل هؤلاء عُنُوا بذكرِ أقوالِ هؤلاء الأئمةِ قديما وحديثا.

يقول: (ثم ليس في كتابِ الله ولا في سنة رسول الله) يعني ليس في الكتاب، ولا في السنة، ولا عن أحدٍ من سلفِ الأمةِ، السلف من هم هؤلاء؟ (لا من الصحابة ولا من التابعين، ولا عن أئمة الدين الذين أدْرَكُوا زَمَنَ الأهواءِ) الذين نَفَوْا صفة العلوِّ (حرف واحد يخالف ذلك)، يخالف ماذا؟ يخالف إثباتَ صفةِ العلوِّ، يخالف دلالة هذه الآياتِ وهذه الأحاديث. ليس عندنا قول واحد يُخالف لا في الكتاب ليس هناك ما يُعارضُ صفة العلوِّ، وليس في السنة ما يُعارضُ إثباتَ صفةِ العلوِّ، وليس عن أحدٍ من الصحابةِ -وهم ألوف- من نُقِلَ عنه كلمةٌ واحدةٌ تُخالف دلالة هذه النصوص، ولا عمَّن رَوَى عنِ الصحابةِ ولا عن الأئمةِ الذين أَتَوْا مِنْ بعدِهم.

(لا نصًّا ولا ظاهرً): تَقَدَّمَ الكلامُ أنَّ دلالة النصِّ ما كانت دلالتُه ظاهرةً ولا يَحتاجُ إلى بيانٍ، أما دلالة الظاهر؛ فهو الذي يَحتاج إلى غيره.

نأخذ أسئلة والاستفسارات، تقول: ما معنى كلمة "تُقِلُّه"؟ ذكرتم في كلامكم السماء ليست مُقِلَّة للأرض؟

ليست مقلة لله، أو للأرض، الأرض ليست مُقِلَّةً للسماء، مقلة؛ أي تحملها على معنى الإقلال، عندما أقول: الكرسي يُقِلُّك بمعنى يَحملُك، فالسماء لا تُقِلُّ الله -عزّ وجلّ- تعالى الله عن ذلك! والأرض لا تقل السماء.

ثم قال -رحمه الله-: (ولم يقل أحد منهم -قطُّ- إن الله ليس في السماء، ولا أنه ليس على العرشِ ولا أنَّه بذاته في كلِّ مكانٍ، ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواءٌ، ولا أنه لا داخلَ العالم ولا خارجَه، ولا متصل ولا منفصل، ولا أنه لا تَجوزُ الإشارةُ الحسية إليه بالإصبع ونحوها، بل قد ثَبَتَ في الصحيح عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- لَمَّا خَطَبَ خطبته العظيمة يوم عرفات، في أعظم مجمعٍ حضره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جعل يقول: (ألا هل بلغت؟) فيقولون: نعم، فيرفع إصبعه إلى السماء وينكبها إليهم ويقول: (اللهم اشهد) غير مرة، وأمثال ذلك كثير)

يقول: (ولم يقل أحد منهم)؛ أي من هؤلاء الأئمة، أو من التابعين، أو من الصحابة إن الله ليس في السماء، أبدا، هذه أقوالهم متواترة بالألوف، ولم نقف على نص واحد ثَبَتَ عن أحدهم أنه قال: إن الله ليس في السماء.

وهذه مقولتهم التي أوردها الإمام مقولة أهل البدع

نعم، هي مقولة أهل البدع "إن الله ليس في السماء"، "إن الله لا داخلَ العالم ولا خارجه"، "إن الله ليس فوق العرش"، وسيأتي، وأقوال بعض الأئمة ستأتي أنه لم يُنقل بل نُقِلَ عنهم النقيضُ تماما إثباتُ هذه الأمور صراحةً.

فقولُه: إن الله ليس في السماء، ولا أنه ليس على العرش، ولا أنه بذاته في كل مكان كما يزعم الحلولية أن الله بذاته في كل مكان، ولا أنَّ جميعَ الأمكنةِ بالنسبةِ إليه سواءٌ كما يقوله أهل الحلولِ والاتحادِ، لا يوجد فرقٌ بين هذا المكانِ فوق أو تحت بالنسبة لله؛ لأن الله هو كل شيء، ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل ولا

منفصل كما يقوله الأشاعرة، الأشاعرة قالوا هذه المقولة التي لا يُمكن أن يَقْبَلَها العقل في نفي صفة العلـو فـي معارضة الدليل العقلي الذي استدل به أهل السنة على إثبات صفة العلو. وكان ممن استدلَّ بهذا الـدليلِ الإمـامُ أحمد، في ردِّه على الجهميَّة فيما شَكَّتْ فيه من متشابه القرآن.

قال لهم: لَمَّا خلق الله الخلق، إما أن يكون خَلَقَهم داخلَ ذاته أم خَلَقَهم خارجَ ذاتِه؟ فأجاب الأشاعرة قـالوا: الله لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه، إذن أين هو؟! هل يمكن للعقـل أنْ يَتَـصَوَّرَ أنَّ هناك شيئًا موجودٌ لا داخلَ العالم ولا خارجه، أو ليس متصلاً بالعالم ولا منفـصلاً عنـه، هـذا مـن أعظـم المستحيلات عقلاً، بل هو من نفي النقيضيْن ورفع النقيضين، والنقيضان هما اللذان لا يجتمعان معا ولا يرتفعان معا، بخلاف الضِّدَّيْن، فالضدان لا يجتمعان معا لكن قد يرتفعان معا. النقيضان مثل: الوجود والعدم، هل يمكـن أن أقول للشيء: هذا ليس موجودًا ولا معدومًا؟ لا يمكن. أو أقول: هو موجود معدوم؟ لا يمكن، ما يجتمعان ولا يرتفعان معا، فلا بد من وجود أحدهم بخلاف الضدين.

أقول هذا الكأس ليس بأسود ولا ابيض، ربما يكون أحمر، هما لا يجتمعان لكن قد يرتفعان معًا.

فقولهم إن الله لا داخل العالم ولا خارجه هذا من رفعِ النقيضيْن، وهذا مما يَستحيلُ عقلاً بإجماعِ العقلاءِ، وهم قالُوا هذا الكلام لأجلِ نفيِ صفةِ العلوِّ.

والشيخ يقول: لم يُنقل عن أحد من الأئمة أنه قال: إن الله لا داخل ولا خارجه، ولا متصل ولا منفـصل، ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالإصبع، نعم هذا أيضا؛ لأنك إذا أشرتَ إليه بالإصبع بمعنى حَدَّدْتَ له جهةً كما زَعَمُوا.

والنبيُّ -صلى الله عليه وسلم- أعلم الناس بربه وأعلم الخلق بربه أشار إلى ربه بإصبعه، ولم يكتفِ بـإقرارِ الجارية عندما أشارت إلى السماء، هو أشار إلى الله بإصبعه، متى؟ كما ثبت في صحيح مسلم في حديث جـابر، في حجَّةِ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- في أعظم مجمع اجتمع له من أصحابه، لم يجتمع له من أصـحابه كمـا اجتمع له في هذا الموقف، اجتمع له أكثر من مائة ألف فخاطبهم قائلا: (إنكم مسؤولون عني؛ فماذا أنتم قائلون؟) قالوا بصوت واحد: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فرفع إصبعه إلى السماء، لماذا يرفعها؟ يستـشهد الله -عزّ وجلّ- عليهم؛ لأنهم سيسألون عنه يوم القيامة، ستُسأل كل أمة عن رسولها: هل بلغكم؟ هل قَـصَّرَ؟ فقـال: (اللهم فاشهد)، ثم ينكبها يشير إليهم، اشهدْ عليهم أنهم شَهِدُوا أنَّنِي قد بَلَّغْتُ (اللهم اشهد اللهم اشهد).

فإذا كان النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- أشار إلى ربه بإصبعه، فهذا يدل على جواز هذا الأمر خلافًا لما ذهب إليه هؤلاء المعطلة.

أسئلة المراجعة

السؤال الأول:

ما الفرق بين الحديث الصحيح والحديث الحسن؟ وهل يُستدل بالحديث الحسن في مسائل الاعتقاد؟

تقول: إنها تخاف من الرياء، وتُحِبُّ الإخلاصَ جدًّا، وبعض المرات تقول: إذا ذكرت اسم الله تأتي في بـالي أشياء أخرى، ولله المثل الأعلى، أرجو حل مشكلتي، وهل آثم في هذا التفكير؟

يقال لها: هنيئًا لكِ؛ فالنبي -صلى الله عليه وسلم- سأله أصحابه كما سألتِ أنتِ الآن -كما في صحيح مسلم- أنهم يجدون في أنفسهم ما إن يَخِرُّ أحدُهم من السماء أحبُّ إليه مِنْ أنْ يتكلمَ به، فقال: (أوجدتموه؟) قالوا: نعـم: قال: (ذلك صريح الإيمان)، وفي رواية: (الحمد الذي ردَّ أمره إلى الوسوسةِ)، ما دمتم ما تكلمتم؛ فأمر الوسوسة في النفس لا يَضُرُّ، وهذا دليلٌ على قوةِ إيمانِ الشخصِ، وأن الشيطانِ ما استطاعَ أن يصلَ إلى درجةِ أن يجعـلَ الإنسان يَتَكَلَّمُ بهذا الأمر. فهذه الوسوسة -إن شاء الله- لا تؤثر، لكن عليها أن تبتعد عنها قدر المستطاع، وأن تَتَعَوَّذَ بالله من الشيطان، وأن تشتغل بالأمور الأخرى.

يقول: الذي يقع في نفي صفةِ العلو، بلا شك أنه يناقض التوحيد، فهل يكفر بالضوابط الشرعية؛ لأن البعض يقولون: لماذا تُكَفِّرُون من قَصَدَ تنزيهَ الله؟

نحن أولا لا نكفره كما سيأتي، وإن كان الإمام أبو حنيفة ومحمد بن الحسن صَرَّحُوا بتكفيرِ مَنْ لم يعتقدْ أنَّ الله فوقَ العرشِ، أو أنَّ العرشَ ليس فوق السماءِ، لكن هذا من باب التكفير المطلقِ. أما التكفيرُ الْمُعيَّنُ؛ فـلا يُكَفَّـرُ هؤلاء؛ لأن لهم تأويلاً، ولهم شبه، وربما كان بعضهم جاهلاً، فلا يُكَفَّرُ هؤلاء عينًا وإن قيل إن هذا الكلام كفر، هذا يأتي في قضية التكفير المطلق والتكفير المعين.

الدرس الثامن

تتمية أدلة صفات العلو

باسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

ذكرْنا في اللقاء السابق أنَّ السؤال -هذه المرة- سنخرج فيه عن المألوف، ونسأل عن الفرق بين الحديث الصحيح والحسن؛ لأن الشيخ أشار إلى أن صفة العلو ثَبَتَتْ عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالأحاديث الصحاح والحسان ما لا يُحصى، وقلنا: ما الفرق ين الحديث الصحيح والحسن؟ وهل يُحتج بالحديثِ الحسن في باب العقائد؟

تقول: الحديث الصحيح هو الحديث الذي اتصل سندُه بنقلِ العدلِ الضابطِ عن مثله من غير شذوذ ولا علة قادحة. أما الحديث الحسن؛ فهو الحديث الذي اتصلَ سندُه بنقلِ العدلِ الذي قَلَّ ضبطُه عن درجةِ الصحيح، وخلا من الشذوذ والعلة.

- الفرق بينهما:

شروط الحسن مثل شروط الصحيح، فيما عدا الشرط الثالث وهو الضبط؛ فإن الصحيحَ يُشترط أن يكون في المرتبة العُليا، وأما الحسن؛ فأقل من ذلك.

تقول: نعم، يُحتج بالحديث الحسن في مسائل الاعتقاد

طيب، الإجابة صحيحة، والفرق بين الحسن والصحيح -كما ذكرت الأخت- أن هذا برواية تام الضبط، والحسن برواية خفيف الضبط، هل يحتج بالحديث الحسنِ في بابِ العقائدِ؟ الجواب: نعم، طيب، التعليل؟ سأطرح هذا السؤال على الإخوة الذين معنا في الأستديو.

ما السبب في أن الاحتجاج في الحديث الحسن في باب العقائد سائغ؟

الحديث الحسن والصحيح نفسُ الشروط مجرد خفيف الضبط

نعم؛ لأن الحسنَ قسيمُ الصحيح، فهو نوع من أنواع الصحيح، والْمُعَوَّلُ عندنا في الاحتجاج أن يكونَ الحديثُ صحيحًا بغضِّ النظر أن يكونَ صحيحًا لذاته أو لغيره.

لاشك أن الحديث الصحيح أعلى درجةً، لكن لا يمنعُ ذلك أنْ يُحْتَجَّ بالحديثِ الحسنِ في مسألةٍ من مسائلِ الاعتقادِ، علمًا أنه -ولله الحمد- قَلَّمَا ثَبَتَتْ مسألة اعتقادية بحديثٍ حسنٍ فقط.

توقفنا يا شيخ في اللقاء الماضي في درس الأمس عند أقوال السلف التي أوردها، وقد عُنْوِنَ بـ: قول نفاة العلو ليس لهم مستند من الكتاب والسنة، ولا عند أحد من سلف الأمة، وتوقفنا عند مقولة المؤلف -رحمه الله-: فإن كان الحقُّ فيما يقوله هؤلاء السالبون.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في جواب الفتوى الحموية: (فإن كان الحق فيما يقوله هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة في كتاب الله وسنة رسوله من هذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة إما نصا وإما ظاهرا؛ فكيف يجوز على الله ثم على رسول -صلى الله عليه وسلم- ثم على خير الأمة أنهم يتكلمون دائمًا بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق الذي يجب اعتقاده ولا يبوحون به قطُّ، ولا يَدُلُّون عليه لا نصا وظاهرا حتى يجيءَ أنباط الفرس والروم، وفروخ اليهودِ والفلاسفة يُبَيِّنُون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف أو كل فاضل أن يعتقدها؟!)

يقول المؤلف: (فإن كان الحق فيما يقوله هؤلاء السالبون النافون للصفات): السالبون: أي الذين استخدموا السلب والنفي في صفات الله -عز وجل-؛ لأن منهجهم قائمٌ على أداة السلب: الله ليس كذا ولا كذا، لا يسمع ولا يبصر، لا فوق ولا تحت، لا يمين ولا شمال، ليس داخل العالم ولا خارجه، فَدَيْدَنُهم ومُعَوَّلُهم علـى أداةِ السلبِ التي هي أداةُ النفي، ولهذا يُطلَقُ عليهم السالبون.

(النافون للصفات الثابتةِ لكتابِ اللهِ وسنةِ رسوله -صلى الله عليه وسلم- من هذه العبارات): العبارات التي سَبَقَتْ الإشارةُ إليها في قول المؤلف: (ولم يقل أحدٌ منهم قط: إنَّ الله ليس في السماء، ولا أنه ليس على العرش، ولا أنه بذاته في كل مكان، ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل ولا منفصل، ولا أنه لا تجوز عليه الإشارة الحسية) هذه أقوال هؤلاء النفاة، هذه أقوال هؤلاء الذين سَلَبُوا عن اللهِ صفاتِ الكمال.

(من هذه العبارات ونحوها دون ما يُفهم من الكتابِ والسنةِ)، والمفهوم من الكتاب والسنة إثباتُ الصفات لله -عز وجل- على الوجهِ اللائقِ به -سبحانه- إما نصًّا وإما ظاهرًا، وعَرَّفْنَا دلالة النصِّ ودلالة الظاهرِ أكثر من مرة.

(فكيف يجوز على الله ثم على رسوله -صلى الله عليه وسلم- ثم على خيرِ الأمةِ أنهم يَتَكَلَّمُون دائمًا بما هو نصٌّ أو ظاهرٌ في خلاف الحق الذي يجب اعتقاده؟)

الآن هؤلاء النفاة زعموا أنَّ ظاهرَ نصوصِ الوحييْن بالنسبة لنصوصِ الصفاتِ ظاهرُها خلافُ الحقِّ؛ لأنهم اجتهدوا في صرفِ هذا الظاهرِ إلى معنًى آخرَ. قالوا: ظاهر ﴿ثم استوى على العرش﴾ ليس هو الحقَّ، ظاهر ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ليس هو الحقَّ، ظاهر ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ليس هو الحقَّ.

ولهذا حرصوا أن يصرفوا هذه النصوص عن ظاهرها، الشيخ يقول: كيف يُتَصَوَّرُ ويجوز شرعا وعقلا على خير الأمة أن يتكلموا بما ظاهره هو الباطل، هذا لا يجوز، ولهذا قال: (في خلاف الحق الذي يجب اعتقاده ولا يبوحون) البوح: إظهار الشيء؛ أي لا يظهرون هذا الشيء، وكما ذكر المؤلف سابقا أنه لم يُنقلْ عن أحدٍ من السلفِ أنه أوَّلَ صفةً من الصفاتِ.

وَجَرى على هذا أصحابُ النبي –صلى الله عليه وسلم–، وخير القرون، وكبار الأئمة. إذن كان الحق لا يُعلمُ ولا يُعرفُ، حتى جَاءَ هؤلاءِ الذين وَصَفَهم المؤلفُ قال: (ولا يبوحون به قطُّ، ولا يَدُلُّون عليه) لا يدلون على هذه المعاني الباطلةِ التي هي صرفُ اللفظِ من المعنى الظاهرِ إلى المعنى البعيدِ، لنأخذ مثالاً: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ بماذا يؤولها أهلُ البدع؟ استولى على العرش، لو استعرضْنا كلامَ اللهِ، وكلامَ رسوله –صلى الله عليه وسلم–، وكلامَ أصحابه، وكلام أصحاب القرون جُمْلَة مَنْ عاش في القرون المفضلة، وكلام كبار الأئمة؛ ما وَجَدْنَا نَقْلاً واحدًا يُفيدُ هذا المعنى.

إذن ما قالوه ولا دَلُّوا الأمة عليه، وبقيتْ الأمةُ في الضلالِ حتى جَاءَ أنباطُ الفرس. متى جاءت هذه التأويلات؟ ما عُرِفَتْ إلا بعد انقضاءِ القرونِ الثلاثة المفضلة، لمَّا خالطَ العربُ العجمَ، وَدَخَلَ في الإسلام –كما قال الإمام ابن حزم رحمه الله– مَنْ لا يُريدُ الإسلامَ وإنما أرَادَ الكيدَ للإسلامِ وأهلِ الإسلامِ، عجزوا أن يَكيدوا للإسلام –كما يقال– بالقوة العسكرية.

الظاهر

نعم، فلجؤوا إلى الكيدِ للإسلامِ في الباطلِ، وإلى إفساد عقائد المسلمين. لمَّا تُرْجِمَتْ كُتُبُ المنطقِ وكُتُبُ الفلسفةِ من اليونانِ، وجُلِبَتْ إلى بلادِ المسلمين؛ ظَهَرَ هذا الاعتقادُ الفاسدُ.

(حتى يجيء أنباط ..) والأنباط هم أخلاطُ الناسِ من العجمِ والعربِ.

أنباط الفرس والروم، لأنَّ غالبَ هؤلاء أصولُهم ليست عربيةً، وفروخُ اليهودِ والفلاسفةِ، ولهذا فالشيخ يقول: غالب الضلال ظَهَرَ من بلادِ حَرَّانَ، هذه البلاد التي كانت موطنَ الفلسفاتِ القديمةِ، والدياناتِ القديمةِ، فظهر منها الجهمُ بن صفوان وغيرُ الجهم بن صفوان.

(يُبَيِّنُون للأمةِ العقيدةَ الصحيحة التي يَجِبُ على كُلِّ مُكَلَّفٍ أو كلِّ فاضلٍ أنْ يعتقدَه) هل يمكن هذا؟ هل يُعقل هذا؟ أن تبقى الأمة في خير قرونها لا تعرف الحقَّ حتى يأتيَ هؤلاء فيُبَيِّنُوا للأمةِ أنَّ الحقَّ هو صرفُ هذه النصوصِ عن ظاهرها إلى تلك المعاني التي أحْدَثُوها وابتدعوها.

ثم قال: (لئن كان ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد الواجب، وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم، وأن يدفعوا بمقتضى قياس عقولهم ما دَلَّ عليه الكتاب والسنة نصا أو ظاهرا. لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير، بل كان وجود الكتاب والسنة ضررًا محضًا في أصل الدين.

فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء أنكم يا معشر العُبَّاد لا تطلبوا معرفة الله –عز وجل– وما يَستحقه من الصفاتِ نفيا وإثباتا لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الأمة، ولكن انظروا أنتم فيما وَجَدْتُموه مستحقًا له من الأسماء والصفات فصفوه به سواء كان موجودا في الكتاب والسنة أو لم يكن، وما لم تجدوه مستحقا له في عقولكم؛ فلا تصفوه به)

)
)

)

يقول الشيخ: (لئن كان ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون الذين ابتدعوا هذه الطرق وهذه المناهج الفلسفية التي أضَلُّوا بها الناسَ هو الاعتقاد الواجب، وهم مع ذلك) يعني أن الاعتقاد الواجب في صفات الله –عزّ وجلّ– على حدِّ زَعْمِ هؤلاء هو ما ذَهَبَ إليه هؤلاء من صرفِ نصوصِ الصفاتِ عن ظاهرِها إلى المعنى البعيدِ، الاستواء إلى الاستيلاء، اليد إلى القدرة، الوجه إلى الذاتِ، النزول إلى نزولِ الأمرِ، وَهَلُمَّ جَرًّا مع كلِّ الصفات.

(إن كان هذا هو الحق الذي يجب اعتقاده وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم) يعني كيف توصل هؤلاء إلى هذه المعاني؟ هل لهم مستند في الكتاب؟

ليس لهم مستند

هل لهم مستند في السنة؟

لا

هل لهم مستند عن أحد من الصحابة الذين نزل القرآن عليهم ونزل بلغتهم، وهم أفصح وأعلم الناس بمراد الله ومراد رسوله –صلى الله عليه وسلم– بكلامه؟

إذا كان الأمر كذلك يقول: إذن يحال على ماذا؟

على مجرد.

عقولهم

وهم يقولون هذا الأمر؛ لأنهم لا يُحيلون في هذه التأويلاتِ إلى قال الله، قال الرسول، ولا يستدلون ولا يستشهدون بكلامِ أحدٍ من الصحابةِ ولا بكلامِ الأئمة، وإنما يقولون العقل يَقتضي كذا، والعقل يَلزمُ منه كذا.

يلزم أننا إذا أثبتنا للهِ الاستواءَ أنْ نعتقدَ أنَّ الله جسمٌ، يلزم أننا إذا أثبتنا العلو لله أنْ يكون الله في حيِّزٍ، وَهَلُمَّ جَرًّا من اللوازم العقلية التي ابتدعوها على.

تقول: بالنسبة للدرس السابق ذكر الشيخ في قوله تعالى ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ ذَكَرَ أنَّ بعض العلماء ذَكَرُوا صفات للملائكة الذين يحملون العرش، فَحَبَّذَا لو أَفَادَنَا ببعضِ هذه الصفاتِ.

يقول: (وأن يدفعوا بمقتضى قياسِ عقولِهم بما دَلَّ عليه الكتابُ والسنةُ نصًّا أو ظاهرً). الذي دل عليه الكتاب والسنة بهذه النصوص ماذا؟ دَلَّ على إثبات الصفات. وهؤلاء يقولون: ادفعوا هذه الدلالة بناءً على ماذا؟

بناء على مجرد العقل

بناء على مجرد العقل، قالوا: يستحيل أنْ نُثبتَ للهِ اليدَ؛ لأنه يلزم أنْ نُشَبِّهَ الله بخلقه، ويلزم أن يكون الله جسمًا، وَهَلُمَّ جرًّا.

رَدُّوا دلالة الآية بناءً على ما تَوَصَّلَتْ إليه عقولُهم بمقتضى قياسِ عقولهم، ولهذا فالشيخُ دقيقٌ في عبارتِه، لم يقلْ: بمقتضى قياس العقلِ؛ لأنَّ العقل الصحيح لا يُمكن أنْ يَتَعَارَضَ مع النصِّ الصحيح، وإنما الذي يَتَعَارَضُ مع النصِّ العقولُ الفاسدةُ التي تَلاعَبَتْ بها الأهواءُ وَعَشْعَشَتْ عليها الشبهاتُ.

ولهذا فإنَّ الشيخَ عَوَّلَ الأمرَ على عقولكم، عقولُكم لَمَّا كانت فاسدةً؛ تَعَارَضَتْ فَرَدَّتْ هــذه النــصوصَ. وإلا؛ فعقول الصحابةِ لَمَّا كانتْ صافيةً، وكانت تريد الحق؛ تَقَبَّلَتْ هذه النصوصَ بكلِّ أريحيَّة، ولم يكن لــديها أدنـــى تَرَدُّدٍ.

وكما ذكرتُ مرارًا أن أبا رزينٍ -رضي الله عنه وأرضاه- رجلٌ من البادية بفطرته، لم يتعلمْ في جامعة، ولا دَرَسَ، ولكن يسمع النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- وهو يتكلم في مجمعٍ عامٍّ: (يضحك ربنا من قنوط عباده وقُرْبِ غِيَرِه) فيقوم وينبري من بين أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ويقول: يا رسول الله! أَوَ يَــضْحَكُ ربُّنـــا؟! لاحظْ أنه ما يريد أن يعترض على الصفة، وإنما يريد أن يَتَأَكَّدَ هل هذه الصفة ثابتة أم لا؟ فيقول النبي -صـــلى الله عليه وسلم-: (نعم) فيجيب أبو رزين: "لن نعدم من رب يضحك خيرا".

لو كان كحال هؤلاء؛ لقالوا: كيف يضحك؟ ويلزم كذا، ويلزم كذا، يا رسول الله! ثابتةٌ يا رسول الله؟ إذن: لن نعدم من أَثَرِها.

(أن يدفعوا بمقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصا أو ظاهرا. لقد كان تركُ الناسِ بلا كتـــابٍ ولا سنةٍ أَهْدَى لهم وأنفعَ على هذا التقدير ولا شكَّ). يعني يلزم على قول هؤلاء أن ترك الناس بلا قــرآن وبـــلا حديث وبلا رسول أنفعُ وأهدى لهم من مجيءِ القرآنِ والسنة التي لا يُفِيدُ ظاهرُها إلا الضلالَ.

الآن جاء الكتاب بنصوص الصفات، وظاهرها -على حدِّ زعمِ هؤلاء- يدل على الضلال، إذن ترك الناس بلا قرآن أفضلُ لهم ويرجعون إلى عقولهم ويستنتجون الحق من عقولهم هذا هو الحق.

(لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير، بل كان وجود الكتاب والسنة ضَرَرًا محضا في أصل الدين) لأن الكتاب والسنة لم يدل ظاهرهما إلا على الباطل كما يزعم هؤلاء، ولهذا كان ظاهره هو الضلال حاشا وكلا.

يعني استنتاج كلام

وإلزام لهم.

طيب يا شيخ بالنسبة لحديث أبي رزين، بعض هؤلاء من أهل الهوى يردون هذا الحديث؛ لأنه حديث آحاد فما الرد عليهم؟

هذا ديدنهم مع هذا الحديث ومع غيره من الأحاديث، كما ذهب بعضهم في حديث الجارية السابق (أيــن الله؟ قالت: في السماء). أيُّ حديثٍ في الصفاتِ لهم معهم مسلكٌ؛ إما رد الحديث بحجةِ أنه آحاد ولا نقبل خَبَرَ الآحـــاد في باب العقائد على حد زعمهم، ولهذا نسفوا أربع أخماس السنة؛ لأن جُلَّ السنةِ جاءَ عن طريقِ الآحاد، ولكن -كما ذكر أهلُ العلم- خَبَرُ الآحادِ إذا اقترنتْ به قرائنُ؛ أَفَادَ العلمَ وَوَجَبَ العملُ به، ولهذا يقول شـــيخ الإســـلام: "الحديث الذي اتفق عليه البخاري ومسلم نعتقد اعتقادا جازما أنَّ النبيَّ -صلى الله عليه وآله وسلم- قالـــه كأننـــا سمعناه منه مباشرة" وإن كان آحادًا.

والقسمُ الثاني: يلجؤون إلى التأويلِ في متن الحديث.

الأخت سألت عن صفات الملائكة

أشرتُ في الدرسِ السابقِ إلى كتابِ "العظمة" لأبي الشيخ –رحمه الله– فقد عُنِيَ بذكرِ الآثارِ والنصوصِ التي جَاءَتْ في صفاتِ هؤلاء الملائكةِ.

جاء في بعض الأحاديث أن بين شحمة أذنِ أحدهم وعاتقه مسيرة ألف عام للطير أو كذا يعني مسافة طويلة جدًّا، فهذا يدل على عِظَمِ خلق الله.

ويُرجعُ للكتابِ؟

ويرجع للكتاب.

يقول: (فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء أنكم يا معشر العُبَّاد لا تطلبوا معرفة الله –عزّ وجلّ– وما يستحقه من الصفات نفيا وإثباتا، لا من الكتاب ولا من السنة، ولا من طريق سلف الأمة).

لازمُ قولِهم وحقيقةُ قولِهم أنَّ الحق لا يُقبلُ من الكتابِ ولا من السنةِ وإذا ما قُبِلَ في نصوصِ الصفاتِ فمن بابِ أولى أيضا أن لا يُقبلَ في غيرِ نصوصِ الصفاتِ.

إذا كان ظاهر نصوص الصفات –على حدِّ زعم هؤلاء– لا يَدُلُّ إلا على الباطل؛ فما الفرق بين ظاهر هذه النصوص وظاهر نصوص ما جاء في أخبار اليوم الآخر مثلا، وفي مسائل العبادات.

ولهذا طَرَدَ هذا الأصلَ الفلاسفةُ والباطنيةُ، وقالوا: ما دام أنه يجوزُ –على حدِّ زَعْمِ المتكلمين– أنْ تُصرفَ نصوصُ الصفاتِ عن ظاهرها؛ فلماذا لا نصرفُ نصوصَ اليوم الآخر عن ظاهرها؟ ونقول: الجنة ليس المرادُ منها الجنة الحقيقة، والأنهار التي في الجنة ليس المراد منها الأنهار الحقيقية، والملائكة ليس المقصود منها الملائكة التي جاء ذكرها إنما هي خيالات.

وجاء الباطنية وقالوا أيضا نصوص العبادات، فظاهر الصلاة ليس المقصود منها حقيقة الصلاة التي جاءت في الكتاب والسنة ليست الصلاة هذه المعهودة إنما لها معنى آخر باطل.

صَرَفْنَا النصَّ عن ظاهره، لماذا أنتم –معاشر المتكلمين– أَجَزْتُم لأنفسكم أن تصرفوا نصوص الصفات عن ظاهرها ومنعتمونا أن نصرفَ نصوص العبادات عن ظاهرها، ما هو الفرق بيننا وبينكم؟!

ولهذا إذا قال الله –عزّ وجلّ– ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ معناه حفظ الأسرار وليس الإمساك عن الطعام والشراب، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ المقصود به زيارة المشاهد وليس حج البيت الحرام، وهلم جرًّا، وصارت نصوص الكتاب والسنة مَلْعَبَةً لهؤلاء.

بالنسبة لنصوص الصفات يدخل فيها العقل بزعمهم، أما مسائل العبادات؛ فهي ظاهرها ولا يدخل فيها العقل

بالعكس، لو أردْنا أن نُحَكِّمَ العقلَ في النصوص؛ لَحَكَّمْنَاه في نصوصِ العباداتِ أكثر من تحكيمِنا في نصوصِ الصفاتِ. أمورُ الصفات أمورٌ غَيْبِيَّةٌ بحتة ولا يمكن أن تُدْرِكَ بالعقلِ، وأمرُها إلى الله –عزّ وجلّ–. ولهذا الواجب في هذه النصوص –من باب أولى– أن يكون مبناها على التسليم.

لكنَّ قضية ظاهرِ النصِّ وحقيقة النص هل لها مُسَوِّغٌ شرعيٌّ أو لها مُسَوِّغٌ لغويٌّ في ظاهر النص وحقيقة النص؟

لا، هذه لم تعرف إلا عنِ الباطنيةِ، وفتح المعتزلة الباب لهم ومن حذا حَذْوَهم من أهل الضلالِ لما جاؤوا بمسألةِ تأويلِ نصوصِ الصفاتِ. ولهذا الشيخ سيذكر أنَّ الذي فَتَحَ البابَ للفلاسفةِ والباطنيةِ أن يَتَلاعَبُوا بنصوصِ الوحييْن المتكلمون.

لما أوَّلُوا نصوصَ الصفاتِ؛ قال هؤلاء: إذن لا يوجد فرقٌ بين نصوصِ الصفاتِ ونصوصِ الجنةِ النارِ، ونصوص عذابِ القبرِ، ونصوصِ العباداتِ: الصلاةِ، الصيام، الزكاة، الحج. ففتحوا بابَ شرٍّ.

قال الشيخ وهو يتكلم على لسان حال هؤلاء: (ولكن انظروا أنتم، فما وجدتموه مستحقًّا له من الأسماءِ والصفاتِ بناء على عقولكم فصفوه به، سواء كان موجودا في الكتاب والسنة أو لم يكن).

فالكتاب والسنة وجودهما وعدمهما سواءٌ، المعول الأول والأخير على العقل.

(وما لم تجدوه مستحقا له في عقولكم فلا تصفوه): وهذا هو واقعهم عندهم الميزان هو العقل.

هل هذا يصف لسان حالهم، أم أنه من باب التهكم؟

لا، لا بل هذا حقيقة قول بعضهم. والرازي يصرح في "أساس التقديس" وأبو المعالي الجويني -عفا الله عنا وعنهما- فضلا عن غيرهما كالقاضي عبد الجبار، أنه إذا تعارض النصُّ مع العقل؛ قَدَّمْنا العقلَ. فعندهم هذا الأصل، ولهذا رد الشيخُ على قانونِهم هذا الفاسد في كتابه "درء تعارض العقل والنقل".

(ثم هم -ها هنا- فريقان، أكثرهم يقولون ما لم تُثْبِتْه عقولُكم فانْفُوه، ومنهم من يقول: بل توقفوا فيه، وما نفاه قياس عقولكم -الذي أنتم فيه مختلفون مضطربون اختلافا أكثر مِنْ جميعِ اختلاف مَنْ على وجهِ الأرضِ-؛ فانفوه، وإليه -عند التنازع- فارجعوا، فإنه الحقُّ الذي تُعُبِّدْتُمْ به، وما كان مذكورًا في الكتابِ والسنةِ مما يُخالف قياسَكم هذا، أو يثبت ما لم تُدْرِكْه عقولكم على طريقة أكثرهم، فاعلموا أني أمتحنكم بتنزيله لا لتأخذوا الهدى منه، لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذِّ اللغة وَوَحْشِيِّ الألفاظ وغرائب الكلام. وإن تسكتوا عنه مُفَوِّضِين علمَه إلى اللهِ مع نفي دلالته على شيءٍ من الصفاتِ هذا حقيقة الأمر على رأي هؤلاء المتكلمين.)

يقول الشيخ: (ثم هم هاهنا فريقان) هم الآن متفقون على أنَّ الأصلَ في هذا الباب العقلُ، بمعنى أن الميزان هو العقل، إذا لم يُثبت العقل هذه الصفة هل تُنفى أم يُسكت عنها؟ يقول: اختلفوا فيما بينهم؛ فبعضهم قال: ما لم تثبته عقولكم فانفوه مباشرة، إذا لم يُثبتْ العقل هذه الصفة فيدلُّ على النقيض النفي.

يقول: وفريق منهم يقول: توقفوا لا تنفوا ولا تثبتوا. أما ما نفاه قياس العقل -على حد زعم هؤلاء- بالاتفاق يذهبون إلى القول بالنفي، الآن العقل إما أن ينفي وإما أن لا يثبت.

يتوقف

يَتَوَقَّفُ، فما لم يثبته بعضهم يقول: يُنْفَى، وبعضهم يقول: لا، إذا لم يُثْبِتْ نَتَوَقَّف. أما ما نفاه العقل؛ فهم مجمعون على نفيه عن الله -عزّ وجلّ-.

ثم أتى الشيخ بجملة اعتراضية (وما نفاه قياس عقولكم –الذي أنتم فيه مختلفون مضطربون اختلافا أكثر من جميع اختلافٍ على وجهِ الأرض–..).

الشيخُ الآن يُلْمِحُ إلى شيءٍ يقول: أنتم جَعَلْتُم المقياسَ عندنا العقل، فهل العقل عندكم ثابت؟ هل أنت متفقون على هذه القواعد؟ يقول: أكثر الناس اختلافا واضطرابا هم في تلك القواعد التي قَعَّدُوها بعقولهم. ولهذا ليس الاختلاف فقط فيما بينهم، بل لدى الشخص الواحد منهم يُقَرِّرُ مسألةً ثم يُقَرِّرُ نَقِيضَها في موضعٍ آخر، هذا دليلٌ على أنهم ليس لديهم ميزانٌ، وهذا هو الذي يَشْهَدُ له الحسُّ، سبحان الله عجبا! كيف يكون هذا العقلُ هو الميزانَ الوحيدَ لأمورٍ غيبيةٍ مبناها –في الأصلِ– على الوحي والعقل لا ينضبط في أمور مشاهدة محسوسة معلومة؟

الآن أسالك: كم من قرارٍ اتخذتَه أنت في شراء سيارة، في بناء بيت، في مجال تجارة، في أيِّ أمرٍ من الأمورِ؟ اتخذت قرارًا وربما بعد الاستشارة، تشاور فلانًا وفلانًا وتجلس أيامًا، بل أحيانا شهورًا، وأنت تستشير ثم تُقدِمُ على هذا الأمر على أنه هو الصوابُ مائة بالمائة، ثم بعد سنة سنتين عشر يَتَبَيَّنُ لك أن المسلك الذي سلكته خطأٌ مائة في المائة.

هذا في أمور بسيطة، أمور دنيوية، أمور مُدرَكة بالحسِّ، كيف تُحَكِّمُ العقولَ في أمورٍ لا يُمكن إدراكُها ولهذا، فإنَّ هذا العقلَ جعله الله –عزّ وجلّ– سَبَبًا لهدايةِ الإنسان، ولهذا خَاطَبَ الله العقلَ في القرآن، وَذَكَرَ الأدلةَ العقلية في مواضعَ كثيرةٍ: ؟أَفَلاَ تَعْقِلُونَ؟، ؟أَفَلاَ يَعْقِلُونَ؟، ؟إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ؟، ؟لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ؟ وَهَلُمَّ جَرًّا، ؟لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ؟، والأدلة العقلية لا حَصْرَ لها على إثباتِ الربوبيةِ، على إثبات الألوهيةِ، على إثبات اليومِ الآخر.

فالعقل الأصل فيه أن الله –عزّ وجلّ– أعطاه الإنسانَ ليكونَ سَبَبًا لهدايتِه، لكن متى يكون سببا للهداية؟ يكون سببا للهداية إذا استخدِمَ فيما خُلِقَ له. فالله –عزّ وجلّ– الله لَمَّا خَلَقَ عَقْلَك لم يجعلْ له القدرةَ المطلقة.

له حدود

الله خَلَقَ لك البصرَ وَجَعَلَ له حدودًا أم لا؟! هل يُمكن أن تنظرَ ببصرك ما هو خارجَ هذا الأستوديو؟! أو تنظر ببصرك على بعد عشرين كيلو؟! يستحيل وإن كان بصرك مثل بصر زرقاء اليمامة.

وكذلك السمع، كذلك كل الحواس، والعقل مثله، فَخَلَقَهَا الله –عزّ وجلّ– وَجَعَلَ لها حدودًا. فإذا استُخْدِمَ في نطاقِ هذه الحدودِ؛ صَارَ سَبَبًا لهدايةِ الإنسان.

بضوابط أيض

لا شكَّ، يستخدمها في هذا النطاق سببا لهدايتِه. ولهذا فإنَّ بعضَ المشركين تَوَصَّلَ إلى الحقِّ من خلالِ عقلِه، خَاطَبَ الله عقلَه، وَأَعْمَلَ عقلَه فهداه الله –عزّ وجلّ–.

إذا جاء الإنسان وَكَابَرَ كما كَابَرَ هؤلاء وَحَمَّلَ عقلَه ما لا يُطيق، واستخدمه في غيرِ ما خُلِقَ له، وَخَرَجَ به عن النطاقِ الذي خُلِقَ له؛ أَصبْحَ هذا العقلُ –بدل أن يكون سببا للهداية– سَبَبًا للضلال.

وكما هي الحالُ عند هؤلاء، جاؤوا بعقولهم وأقحموا تلك العقولَ في أمورٍ لا مجالَ للعقلِ فيها، فقالوا: كيف يُوصَفُ الله –عزّ وجلّ– بالنزول؟! كيف يوصف الله –عزّ وجلّ– بأن له يديْن؟! كيف يوصف بأن له وجهًا؟! ثم طردوا هذا الأمر فقال بعض المعتزلة: لا يمكن للعقل أن يقبل أن يَضِيقَ هذا القبر وَيَتَّسِعَ، ولا يمكن للإنسان أن يَسِيرَ على هذا الصراطِ الذي بهذه الصفات، ثم بدؤوا يقحمون هذا العقل في كل شيء فَأَدَّى بهم هذا الأمر إلى

الضلالِ والانحرافِ، بل أدَّى بالبعضِ إلى الإلحادِ، وأدَّى بأخفِّهم إلى الحيْرةِ والشكِّ، لماذا؟ لأنهم حَمَّلُوا هذا العقْلَ ما لا يُطيقُ، وهم زَعَمُوا –بذلك– أنَّهم يُكرمون هذا العقلَ، وهم –في واقع الأمر– هل أكرموه أم أهانوه؟ أهانوه، لماذا؟ أنت حَمَّلْتَني ما لا أُطيقُ، واستخدمتني في غير ما خُلِقْتُ له، وإلا لو حَمَّلْتَه كلَّ شيءٍ سيأتي العقل ويقول: الله –عزّ وجلّ– يقول: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾[يس: ٦٥]، كيف العقل يتصور أن اليد تتكلم؟! وهذا ما حَدَا ببعضهم إلى إنكار الشفاعةِ، إنكار العرشِ، حتى إنكارِ المعجزات، معجزات النبي –صلى الله عليه وسلم–.

التي حصلت ووقعت

يقول لك: نُنَزِّلُها على عقولنا، والعقل لا يُمكنُ أن يَتَصَوَّرَ هذا الأمر، كيف يُمكن للعقل أن يَتَصَوَّرَ أن الحجر يتكلم؟! كيف يتصور أنَّ النبيَّ –صلى الله عليه وسلم– يرى مَنْ خلفه؟ كيف يَتَصَوَّرُ العقل أن النبي –صلى الله عليه وسلم– أسري بجسده وروحه إلى السماء في ليلةٍ؟ قطع المسافة من مكة إلى بيت المقدس، ثم عُرِجَ به إلى كل السماوات إلى سدرة المنتهى ورجع في نفس الليلة، وفي الحديث رجع وفراشه دافئ. وهذا العقل لا يمكن أن يقبله، وشاركوا المشركين الذين كَذَّبُوا النبيَّ –صلى الله عليه وسلم–.

أولئك قاسوا بعقولهم، فهذه جنايةُ الاعتمادِ على العقلِ. ولهذا لا نستغرب أن الأمر وَصَلَ بهم إلى هذا الشيء؛ لأنه من أَطْلَقَ لعقله العنانَ؛ أَوْرَدَه المهالكَ، لكن عندما يُضْبَطُ العقلُ بضابطِ الشرع؛ يكون سببا للهداية.

ولهذا أطلنا في هذه النقطةِ لأنَّها –حقيقةً– أصلٌ يَنبني عليه جُلُّ هذه المسائل. الشيخ يقول: العقل مع الشرع مثل البصر مع النور. البصر يمثل العقل والشرع يمثل النورَ، هل يمكنُ للإنسانِ أنْ يستفيدَ من بصرِه إذا لم يكنْ هناك نورٌ؟

لو أدخلنا الشيخ ياسر في هذا الأستوديو وهو مظلمٌ وهو ما شاء الله عيونه –مائة في المائة– سليمة، فهل يمكن أن يُبصرَ شيئًا؟ وبصرك سليم، ولو جئنا بإنسان أعمى في أستديو فيه الكشافات هل يستفيد من هذا النور؟ لا يستفيد. فالعقل مع الشرع مثل النور مع البصر سواءً بسواءٍ.

يقول: هل إيمان المسلم العامي أقل من إيمان المسلم العالم، هل التفكر في آيات الله وأسمائه وصفاته مطلوب؟

لا شكَّ أن العلمَ نورٌ، وكلما ازداد الإنسان علمًا؛ ازدادَ معرفةً باللهِ –عزّ وجلّ– وقَوِيَ إيمانه. ولهذا كان إيمان الصحابة أعظمَ من إيمانِ مَنْ أتى بعدهم والسبب أنهم أعلمُ الناس بالوحي، فلا يقولُ إنسانٌ: إن إيمانَ العاميِّ مثل إيمان العالم، ولا شكَّ أن التفكرَ في أسماءِ اللهِ وصفاته والتفكر في آيات الله –عزّ وجلّ– وَفْقَ الضوابطِ الشرعيةِ أنه سَبَبٌ للإيمان، وأنه يُوَلِّدُ الخشيةَ والخوف من اللهِ –عزّ وجلّ–، لكن بشرطِ أن يُضْبَطَ بالضوابطِ الشرعيةِ.

يقول أخٌ: أشكلت عليَّ مقولةُ شيخ الإسلام بأن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أحكم وأعلم، يتناقلها على لسان هؤلاء الأهواء، قال –رحمه الله–: سبب ذلك اعتقاده أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم الكافرين. يسأل عن لفظة الكافرين، يقول: نعلم أن تاركَ الصلاةِ كافرٌ بالأدلة الشرعية في ذلك، فهل نفي الأخوة عنهم دليلٌ على كفرهم بمفهوم الآية؟ أليس إثبات الأخوة في كلام شيخ الإسلام بأن يكون من هذا القبيل؟

لا، هو بالطبع يقصد بإخوانهم الكافرين من الفلاسفة والباطنية، فهؤلاء نَفَوْا ظاهرَ النصوص، وقالوا: إن للنصوص باطنًا يخالف الظاهرَ، فشاركوهم في هذا الجانبِ لما نَفَوْا عنِ النصوص ظاهرَها الذي يَدُلُّ على الحقِّ، أما قوله: شاركوا إخوانهم؛ فلا يعني هذا أن الشيخ يُكَفِّرُهم، بل مقصودُه إخوانُهم في نفسِ المنهجِ، ولهذا فالشيخ

دائما يَذْكُرُ أنَّهم تَلَقَّوْا -أصلاً- هذه الأصولَ عن هؤلاءِ، وإلا فالشيخُ من أبعدِ الناسِ عن تكفيرهم، بل قال: أجمعتِ الأمةُ على أنَّ الفِرَقَ الثلاث وسبعين -جميعَهم- مسلمون.

يقول: المبتدعة يقولون: إن إثباتَ الصفةِ يَسْتَلْزِمُ التشبيهَ والتمثيل وغيرها من الألفاظ التي لم يردْ بها الشرعُ، أليستْ هذه الألفاظُ تَحْمِلُ معانيَ باطلةً ومعانيَ حقٍّ، أرجو منكم أن تُبَيِّنُوا ذلك مأجورين؟

الشيخ يقول: التمثيلُ هو الذي نفاه الشرع، ولهذا لا يَحتملُ إلا المعنى الباطلَ، أما التشبيه؛ فلم يردْ الشرعُ بنفيه عنِ اللهِ، ولهذا صار اللفظ مُحتمِلاً للحقِّ ومحتملاً للباطلِ، فمن أطلقه على الله؛ قيل له: ما المقصود؟ ما مرادك؟ ثم يُستفسرُ منه، فإن أراد حقًّا؛ قُبِلَ، وإن أراد باطلاً؛ رُدَّ.

يقول: كيف نجنب أنفسنا الهلاك بسبب عقولنا؟

المخرج الوحيد هو الذي ذكره لنا النبي -صلى الله عليه وسلم-: (وإني تارك فيكم ما إن تمسكتم بهما؛ لن تضلو) وعدٌ من النبي -صلى الله عليه وسلم-، فَأَحْكِمْ عقلك بنصوصِ الكتابِ والسنةِ، استسلمْ لنصوصِ الكتابِ والسنةِ.

ولهذا أصحابُ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- سَأَلُوا رسولهم -عليه الصلاة والسلام- يا رسول الله! هل نرى ربَّنا، سألوه سؤالَ مُسْتَبْشِرٍ، فقال: (إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تُضَامُّون) وفي رواية: (لا تُضَارُّون في رؤيته)، هل اعترضوا على النبي -صلى الله عليه وسلم-؟! ها هنا يأتي دورُ الاستسلامِ للوحي. فرحوا بهذا الأمرِ واستبشروا وأمَّلُوا، وقال ابن القيم: "ما فرحوا بشيء مثل فرحهم بهذا الأمر".

ولهذا سألوا النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- مِرارًا يا رسول الله! لما قال أحدهم كيف نراه ونحن جميعا وهو واحد، خشوا أن يكون هناك...

أناس دون ناس

نعم أن يراه ناسٌ دون ناسٍ، أخبرنا عن آلاء الله، فَضَرَبَ لهم مثالاً بهذا القمرِ والشمس كلكم يراه مَخْلِيًّا به، ما عندهم أدنى تَحَرُّجٍ، فالعقول إلى ضُبِطَتْ بنصوصِ الوحي صارت سَبَبًا للهدايةِ، وإذا أُطْلِقَ لها العنانُ تَمَرَّدَتْ على صاحبها وَعَادَت عليه بالضلالِ والوبال.

يقول: (وما نفاه قياسُ عقولِكم فانفوه، وإليه عن التنازع فارجعو) يعني إذا تنازعتم في شيء؛ فارجعوا إلى الكتاب والسنة فإنه الحق الذي تَعَبَّدْتُكم به) أي يزعمون أن الله -عزّ وجلّ- أعطاهم العقول وتعبدهم به، ولو كان الأمر كذلك؛ هل كان الناس بحاجة إلى الوحي؟ هل كان الناس بحاجة إلى إرسال الرسل وإنزال الكتب؟ إذن يُكتفى أنَّ الله أعطاهم عقولَهم وقال: بعقولكم تَصِلُون إلى الهدى.

(وما كان مذكورا في الكتاب والسنة مما يُخالف قياسكم هذا، أو يُثبت ما لم تدركه عقولُكم -على طريقةِ أكثرهم-؛ فاعلموا أنِّي أمتحنكم بتنزيله لا لتأخذوا الهدى منه) الشيخ يقول على لسان هؤلاء أن الله -عزّ وجلّ- يقول: "أنني جئتكم بالكتاب والسنة لا لأجل أن تأخذوا منها الدلالة الهداية، هو فقط لأجل امتحانكم، للامتحان فقط.

الشيخ سيذكر فيما بعد يقول وهذا الكلام كما سيأتي صرح به بعضهم وذكر بعضهم لكن لن نذكر أسماءهم؛ لأنَّ بعضَهم رَجَعَ عن هذه المقولة؛ لأنها مقولة خطيرة، ويقوله كثير من الجهمية وبعض المعتزلة: يقولون: القرآن ما أنزله الله -عزّ وجلّ- إلا لأجلِ الامتحانِ لا لأجلِ الاهتداءِ، الاهتداءُ متوقفٌ على العقل.

الامتحان ماذا يُراد به؟

امتحان أنه حقٌّ من اللهِ، وأنه حقٌّ مُنَزَّلٌ من اللهِ، الامتحان أن تُعْمِلُوا عقولكم في صرفِ الظاهر إلى المعنى الآخر فقط.

يُوافق رأيهم حجة لهم

نعم، (لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذِّ اللغة) في مسألة التأويل بالمعنى الفاسد تجتهدوا في صرفِ هذا النصِّ عن المعنى البعيدِ الذي (لا يَخْطُر على بال السامع بناء على لغة شاذة، أو على وحشيِّ الألفاظ، أو على غرائبِ الكلامِ، وأن تسكتوا أو أن تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله).

إما أنكم تصرفون ظاهره إلى معانٍ أخرى أو اسكتوا وفوِّضوا المعنى إلى اللهِ، واقرؤوا نصوصَ الكتابِ كما تقرؤون نصوصَ الأعاجم. كما تقرأ كتاب أعجمي لا تفقه منه حرفًا، اقرأ كتابَ الله بهذا المعنى على حد قول هؤلاء.

(مع نفي دلالته على شيءٍ من الصفات) هذه قاعدة عندهم، إياك أن تَعْتَقِدَ أنَّ هذه الآية تدل على صفةٍ من صفاتِ اللهِ -عزّ وجلّ- هذه حقيقة الأمر على رأي هؤلاء المتكلمين.

ذكرت أن شيخ الإسلام إنما ساق بالمعنى القريب مقولاتٍ لهؤلاء وليس هو تجنيًا أو أنه يَتَهَكَّمُ بهم إنما هو هذا واقعهم وكلامهم، ذكرتم أن أصحاب البدع وهؤلاء المتكلمين باقون في زماننا هذا، فهل من ينادي بمثل هذه الآراء والأشياء الفاسدة يقول مثل هذا الكلام في هذا الزمن؟

لا شكَّ، لكلِّ قومٍ وارثٌ، وَوُجِدَ الآن -وما زالوا- من يُنادي بمذهب الاعتزال، بمذهب الجهمية، بل مذاهب هؤلاء تَسَلَّلَتْ إلى بعض الطوائف، مثل مذهب الاعتزال تَسَلَّلَ إلى مذهب الرافضة، فالرافضة في كثيرٍ من أصولهم على مذهب المعتزلة، ولهذا فإن ردَّ الشيخ على تلك الفرقِ هو ردٌّ على هؤلاء الذين مَعَنَا وبين أظهرنا.

أما الشيخُ؛ فلا يَتَجَنَّى عليهم، بل ينقله نصًّا من كُتُبِهم وهو موجود الآن بين أيدينا، ولا يأنفون من ذكره ونسبته لهم، بل يفتخرون بوجوده والرجوع إليه، وإليه يتحاكمون، وكتبهم موجودة.

أسئلة المراجعة

السؤال:

ما موقف المتكلمين من الصفات التي لم تُثبتها عقولهم؟ الشيخ ذكر أن لهم موقفان يحسن للسامع أن يذكر لنا الموقفين.

يقول: ما حكم من لم يثبت رؤية الله في الآخرة؟

الرؤية نَفَاها الجهميةُ، والمعتزلةُ، والخوارجُ، والرافضةُ، ومن سَلَكَ مَسْلَكَهم. أما الأشاعرةُ؛ فأثبتوها، لكن إلى غير جهة.

ومن نفاها يعتبر ضالاً مبتدعًا. بالطبع قد يسمع أخونا بعض النقول عن بعض الأئمة من كَفَّرَ وَنَفَى الرؤيــة، لكنَّ هذا من بابِ التكفيرِ المطلق، وليس التكفير المقيد. لكن –حقيقة– يُقال: إنه ضالٌ مبتدعٌ رَادٌ لنصوصِ الكتابِ والسنةِ، رَادٌ لما أجمعت عليه الأمةُ، نافٍ لأعظمِ نعيمٍ ينتظره أهل الإيمان، ألا وهو رؤية الله –عزّ وجلّ–.

الدرس التاسع

تابع الرد على نفاة الصفات

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لعلنا -كما هي عادة البرنامج- نستعرضُ السؤال الذي طرحتموه في نهاية الدرس الماضي ونأخذ الإجابات عن طريق النت.

السؤال: ما موقف المتكلمين من الصفات التي لم تثبتها عقولهم؟

قلنا: لهم موقفان. ما الموقفان؟

تقول في إجابتها: فالمتكلمون الذين ذكرهم المصنف فريقان وهؤلاء يجعلون العقل هو الميزان والمقياس عندهم، فإذا لم يثبت العقل عندهم الصفة؛ فالفريق الأول منهم يقولون: ما لم تثبته عقولكم؛ فانفوه مباشرةً، والفريق الآخر يقول: تَوَقَّفُوا ولا تنفوا ولا تثبتوا.

جيد، الإجابة صحيحةٌ.

تَوَقَّفْنا في الدرسِ الماضي عند منهجِ النُّفَاةِ في نفيِ الصفاتِ. ولَعَلَّ السؤالَ الذي طَرَحْتُمُوه يَربطُنا بدرسِ اليوم.

قَالَ شيخُ الإسلامِ ابن تَيْمِيَّة -رحمه الله- في جوابه في الفتوى الحموية الكبرى: (وهذا الكلام قد رأيته صَرَّحَ بمعناه طائفةٌ منهم، وهو لازمٌ لجماعتِهم لزومًا لا مَحِيدَ عنه، ومضمونُه أنَّ كتابَ الله لا يُهْتَدَى به في معرفةِ الله، وأنَّ الرسولَ -صلى الله عليه وسلم- مَعزولٌ عنِ التعليمِ والإخبارِ بصفاتِ مَنْ أرْسَلَه، وأنَّ الناسَ -عند التنازع- لا يَرُدُّون ما تَنَازَعُوا فيه إلى اللهِ والرسولِ، بل إلى مثلِ ما كانوا عليه في الجاهليَّةِ، وإلى مثل ما يَتَحاكمُ إليه مَنْ لا يُؤمن بالأنبياءِ؛ كالبراهمة، والفلاسفة -وهم المشركون- والمجوس، وبعضِ الصَّابئين.

وإن كان هذا الردُّ لا يَزيد الأمرَ إلا شِدَّةً ولا يَرْتَفِعُ الخلافُ به؛ إذ لكُلِّ فريقٍ طَوَاغِيتُ يُرِيدُون أنْ يَتَحَاكَمُوا إليهم وقد أُمِرُوا أنْ يكفروا بهم، وما أشْبَهَ حالَ هؤلاءِ المتكلفين بقوله -سبحانه وتعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدً ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقً﴾ [النساء: ٦٠: ٦٢].

فإن هؤلاء إذا دُعُوا إلى ما أنْزَلَ الله من الكتاب وإلى الرسول -والدعاء إليه بعد وفاته هو الدعاء إلى سنته- أعرضوا عن ذلك وهم يقولون: إنَّا قصدنا الإحسان عِلمًا وَعَمَلاً بهذه الطريقةِ التي سَلَكْنَاهَا والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لا زَالَ كلامُ المؤلفِ في الردِّ على جمهورِ المتكلمين الذين قَابَلُوا النصَّ بعقولهم، وَنَفَوْا كثيرًا من الصفاتِ بِنَاءً على أنَّ العقلَ لم يُثبتْ ذلك.

ولو رجعنا قليلا نرى أنَّ الشيخَ أشَارَ -رحمه الله- أنَّ بعضَهم زَعَمَ أنَّ التنزيل ...، لما قيل له: إذن ما فائدةُ القرآنِ والسنةِ إذا كان الأصل والمقياسُ هو العقلَ؟! قيل له: ما فائدة الكتاب والسنة؟ فَصَرَّحَ البعضُ بأنَّ الفائدةَ هو امتحانُ الناسِ لا لأخذِ الْهُدَى؛ لأنَّ الهدى والحقَّ يؤخذان من العقل. ولهذا قال الشيخ: "وهذا الكلام قد رأيتُه صَرَّحَ بمعناه طائفةٌ منهم". وأشار في موضع آخر ممن صرح بهذا الكلام ابن رشد الحفيد وأبو حامد الغزالي -رحمه الله- في أول أمره، وأيضا ابنُ عقيلٍ الحنبليُّ في أول أمره قبل أن يَرجع عن مذهبِ الاعتزالِ؛ لأنه تَأَثَّرَ بمنهجِ المعتزلةِ.

(وهو لازم لزوما لا محيد عنه): لازم لبعضهم ولجماعةٍ منهم ممن لم يصرحْ بهذا الأمر، لكن يلزمُ على قوله أن يكون الكتاب والسنة لا يُؤخذُ منهما الهدى؛ لأنّ المقياسَ -عنده- العقلُ، ولهذا قال الشيخ: "يلزمه لزوما لا مَحِيدَ عنه". وإن كان لازمُ القولِ ليس بقولٍ، لكنْ يُؤخذُ اللازمُ في مَعْرِضِ الردِّ والمحاجةِ والمجادلةِ.

(ومضمونه أن كتاب الله لا يُهتدى به في معرفة الله، وأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسل): لأنَّ ظاهر نصوص الكتاب والسنة غير مُرَادٍ، والأصل في هذا العقل، فما أثبته العقل؛ أُثبِتَ، وما نَفَاه العقل؛ نُفِيَ. وإنما اختلفوا فيما تَوَقَّفَ فيه العقلُ، وبناءً عليه؛ فلا فائدةَ في نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب الذي هو بابُ الإخبارِ عن الله -سبحانه وتعالى-.

وهذه شبهة انسحبت -كما ذكرتم في الحلقة الماضية- لأكثرَ من طائفة فَعَطَّلُوا الدين بالكلية وعطلوا هذين المصدرين.

انسحبت أو تَأَثَّرَ بها أو أَخَذَ بها الفلاسفةُ والباطنيةُ، وَهَلُمَّ جَرًّا.

يقولُ: (إذن ما المرجع): المرجع عند هؤلاء مثل ما كان عليه أهلُ الجاهليةِ: التحاكم إلى عقول الناس.

أهل الجاهلية إذا نَزَلَتْ بهم نازلةٌ إلى أين يذهبون؟ إلى بني جِلْدَتِهم، أحيانًا إلى الكهان، وأحيانا إلى السحرة. المهم أنهم يرجعون إلى عقول الناس، هؤلاء يَلْزَمُهم -على هذا القول- أنْ يكونَ مرجعُ الناس عقولَ الناس؛ لأنَّ الفيصلَ -عندهم- والميزانَ هو العقلُ.

يقول: (وإلى أمثالِ ما يَتَحَاكَمُ إليهم مَنْ لا يُؤمن بالأنبياء؛ كالبراهمة): ديانة من ديانات الهند. (والفلاسفة -وهم المشركون- والمجوس، وبعض الصابئين).

ثم أشار الشيخ هنا وقال: (وإن كان هذا الردُّ لا يَزيد الأمر إلا شدةً ولا يرتفع الخلاف به؛ إذ لكل فريق طواغيت).

هنا تأتي البدعة وأثرُها. الشيخ يقول: لا تتوقعوا أنه بهذا الكلام البسيط إذا سمعه المخالف سيرتدع، لا؛ لأن البدعة -كما جاء في الأثر- أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأنَّ صاحب البدعة يَتَشَبَّثُ ببدعته، مصداقا لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (تَتَجَارَى بهم الأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بصاحبه). وفي حديث الخوارج:

(يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ ثم لا يَعُودُونَ إِلَيْه) لشدة تمسكهم بمذهبهم، عِلْمًا أنَّ الذي نَاظَرَهم كبارُ الصحابة، لكن يبقى أثر البدعة في القلب أكثر من أثر المعصية.

ولهذا قال الشيخ: قد يكون هذا الرد لا يزيد الأمر إلا شدة، لكن علينا البلاغ، ولعلَّ الله -عزّ وجلّ- أن يفتح على قلوب بعضهم.

يمكن يقصد أننا لن نصل إلى كلمة سواء، أو إلى مصدرٍ واحدٍ من خِلالِ تَعَدُّدِ هذه المذاهبِ، وتعدد هؤلاء الطواغيت، يعني هذا له عقلية وهذا له عقلية لم يُجْمِعْ أصحابُ هؤلاءِ المذاهب على عقلية واحدة؟

يمكن التحاكم إليها وتكون مصدرًا.

التسليم به

دائما الذي يَفْصِلُ مَحَلَّ الخلافِ اتحادُ المصدرِ، وأن يكون المصدر واحدًا. لكن هم لهم مصادرهم وأهل السنة أهل الحق لهم مصادرهم، ولهذا فإن مثل هذه الردود أحيانا قد لا يكون لها من الأثر المباشر على هؤلاء لكن من باب بيان الحق وإيضاحه للناس؛ لأنه اغْتَرَّ بهم بعضُ العامَّةِ.

يقول: (إذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا إليهم وقد أمروا أن يكفروا به، وما أشبه حال هؤلاء المتكلفين بقوله -سبحانه-: ..): شَبَّهَ حَالَ هؤلاءِ بحالِ المنافقين).

ما وَجْهُ الشبه بين حالِ هؤلاء النفاة بحالِ المنافقين؟

إذا لم يوافق العقل نفوه بحال المنافقين إذا أعجبهم حال المؤمنين ذهبوا معهم وإذا لم يعجبهم ذهبوا مع الكفرة.

أحسنت.

أنهم يَتَحَاكَمُون إلى الطواغيتِ.

أحسنت، أنهم يَتَحَاكَمُون إلى غيرِ الكتابِ والسنةِ.

كلا الطائفتين؟

كلا الطائفتين، المنافقون ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾، يتحاكمون إلى طواغيتهم. وهؤلاء إذا قيل لهم: تَعَالَوْا إلى الكتابِ والسنةِ نَتَحَاكَمُ إليها قالوا: لا، نَتَحَاكم إلى العقل وإلى عقولنا، هذا وَجْهُ الشبه بين الطائفتين.

يقول: (فإنَّ هؤلاء إذا دعوا إلى ما أنزل الله من الكتاب، وإلى الرسول -والدعاء إليه بعد وفاته -صلى الله عليه وسلم- هو الدعاء إلى سنته-): كما ثبت عن ميمون بن مهران أن «الدعاء إلى الله إلى كتابه، والدعاء إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعد وفاته إلى سنته». بمعنى أن الناس مأمورون عند الاختلاف بالرجوع إلى الكتاب والسنة، الرجوع إلى الله وإلى الرسول هما الفيصلُ في هذا الباب.

يقول: (أعرضوا عن ذلك وهم يقولون: إنَّا قصَدْنا...): كما قال المنافقون، هم يقولون: نقصد التوفيق بين الدَّلائل العقلية والدَّلائل النقلية، نقصد أنْ نَجْعَلَ النَّقْلَ موافقًا للعقل، لا أن نجعل العقل موافقًا للنقل، يعني بعضهم ألف كتابا سماه "القسطاس المستقيم" قال: "جميع العلوم وجميع المعارف ينبغي أن تُوزنَ بالمنطق، فإن وافقها، وإلا؛ رُدَّتْ".

المنطق يعني العقل؟

نعم، المنطق الذي مبناه على العقل والنظر والاستدلال المجرد.

(ثم عامة هذه الشبهاتِ -التي يُسَمُّونَها دلائلَ- إنما تَقَلَّدُوا أكْثَرَهَا عن طواغيتَ من طواغيتِ المشركين أو الصابئين، أو بعض وَرَثَتِهِم الذين أُمِرُوا أن يكفروا بهم مثل فلان وفلان.

أو عمن قال كقولهم لتشابهِ قلوبهم: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾[البقرة: ٢١٣].

ولازم هذا المقالة: أن لا يكونَ الكتابُ هُدًى للناس ولا بيانًا ولا شفاء لما في الصدور، ولا نورا، ولا مَرَدًّا عند التنازع؛ لأنَّا نعلم -بالاضطرار- أنَّ ما يقوله هؤلاء المتكلفون أنَّ الحقَّ الذي يَجِبُ اعتقادُه لم يدلَّ عليه الكتاب والسنة لا نصا ولا ظاهرا، وإنما غاية الْمُتَحَذّلِق أن يستنتجَ هذا من قوله ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾.

وبالاضطرار يَعلمُ كُلُّ عاقلٍ أنَّ مَنْ دَلَّ الخلقَ على أنَّ الله ليس على العرش ولا فوق السموات، ونحو ذلك بقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ لقد أبعد النُّجْعَة، وهو إمَّا مُلْغِزٌ أو مدلس لم يخاطبهم بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ.)

)
)

يقول: (ثم عامة هذه الشبهات التي يسمونها دلائل): يسمونها دلائلَ عقليةً، وأحيانا براهين، وأحيانا قواطع لا تقبل عندهم النقاش.

أين مصدرها؟ من أين استَقَوْا هذه الأصول العقلية؟ يقول: (تَقَلَّدُوا أكْثَرَهَا عن طواغيتَ من طواغيتِ المشركين أو الصابئين). وسيذكر الشيخ -بعد أسطرٍ- أن سلسلة التعطيلِ تَنْتَهي -فعلاً- إلى هذا المصادرِ النَّتِنَةِ.

(أو بعض ورثتهم الذين أمروا أن يكفروا بهم مثل فلان وفلان أو عمن قال كقولهم لتشابه قلوبهم): ثم رجع الشيخ يؤكد أن الإيمان لا يَتَأَتَّى للعبدِ المسلم إلا بالتسليم لنصوص الوحييْنِ لا لقول فلان ولا لقول علان. ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾: يعني أُمِرَ المؤمنُ أن يُسَلِّمَ للنبيِّ -صلى الله عليه وسلم- في الْقَضَايَا البسيطةِ حتى أحيانا في الآدابِ وبعض الأحكام في المعاملات، فكيف بالأمور التي مبناها على الخبر؟! الأمور الغيبية والأمور المتعلقة بالله -عزّ وجلّ- فهذه من باب أولى أنْ يكونَ المرجعُ فيها كتابَ الله -عزّ وجلّ- وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-.

﴿فَلاَ وَرَبِّكَ﴾: أقسم الله بنفسه الكريمة وهذا أعظم قسم في القرآن.

﴿لاَ يُؤْمِنُونَ﴾: نفى الإيمان.

﴿لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ يكفي هذا؟ لا يكفي التحكيم، ﴿ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ يكفي؟ لا، ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

أين هذه الآية عن مثل هؤلاء؟! هؤلاء لم يُسلِّمُوا بنصوص الوحي، بل لم يرجعوا إلى نصوص الوحي.

لم يعترفو

نعم، في مثل هذه المسائل.

ثم ذكَرَ الشيخ أيضًا آية أخرى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾. لماذا؟

﴿ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ ﴾.

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾، لا -كما يقول هؤلاء- ليتعبدوا الله -عزّ وجلّ- فقط بتلاوتــه الــتلاوةَ المجــردةَ، أو أن يَمْتَحِنَهم الله -عزّ وجلّ- بتنــزيلِه فقط، لا، ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ﴾ إلى آخــر الآية.

ثم قَالَ: (ولازمُ هذا المقالةِ)؛ أي من قَدَّمَ العقل على النقل (أن لا يكون الكتاب هُدًى للناس، ولا بيانا، ولا شفاءً لما في الصدور): والله -عزّ وجلّ- نَصَّ على أنَّ كتابَه هُدًى، وبيانٌ، وشفاءٌ، ونورٌ، وروحٌ. فعلى قول هــؤلاء تنتفي كل هذه الصفات عن كتاب الله -عزّ وجلّ-.

(ولا مردًّا عند التنازع): أيضًا وَصَفَ الله -عزّ وجلّ- أنَّ القرآنَ هو المرجعُ عند الاختلافِ والتنازع، وعلى قول هؤلاء لا يُرجع إلى الكتابِ عند التنازع، بل يُرجع إلى عقلِ فلانٍ، وإلى رأي فلانٍ وإلــى الميــزانِ الــذي وَضَعُوه.

(لأنَّا نَعْلَمُ بالاضطرار أنَّ ما يَقُولُه هؤلاء المتكلفون أنَّ الحق الذي يجب اعتقاده لم يدل عليه الكتاب والسنة لا نصا ولا ظاهر): الحق الذي يزعمون الذي جاؤوا به الذي هو النفي نفي الصفات عن الله -عزّ وجلّ- هذا ليس في الكتاب ولا في السنة؛ لا بدلالة النصِّ ولا بدلالة الظاهر.

إذن من أين استنتجوا هذا النفيَ المحضَ الذي أَتَوْا به في حقِّ الله -عزّ وجلّ-؟ ما دليلهم؟ ما حجتهم؟ الــشيخ يقول: (وإنما غاية المتحذلق) وهو المتكيس الذي يريد أن يزداد على قدره، هذا هو المتحذلق.

يقول: غاية المتحذلق عندهم الذي يرى أنه فاهم إذا قيل له: ما دليلُك على هذا النفي الذي ابْتَدَعْتَه؟ استَدَلَّ لك بقوله -سبحانه-: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، و: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا﴾، و: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

تقول له: ما الدليلُ على أنَّ الله ليس بسميعٍ؟ يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

هل يُفهمُ من هذه الآية نَفْيُ السمع عن اللهِ؟!

لا من قريب ولا من بعيد.

نفي العلوِّ، يقول: أنا لا أثبت للهِ العلوَّ، تقول له: عندك دليل من القرآن؟ عندك حجة؟ عندك برهان من الكتاب والسنة؟ يقول: نعم، عندي أدلَّة ليس دليلاً واحدًا. ما دليلك؟ يقول: ﴿فَلاَ تَضْرِبُوا للهِ الأَمْثَالَ﴾، ﴿كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾.

ولهذا الشيخ قال: (وبالاضطرار يَعلم كل عاقل أن من دَلَّ الخلق) والآن يفترض أن الله -عزّ وجلّ- بَيَّنَ للخلقِ وَدَلَّ الخلقَ على هذا النفيِ الذي أوْرَدُوه من خلالِ هذه الآياتِ التي اسْتَدَلُّوا بها.

يقول: (وبالاضطرار يعلم كل عاقل من دل الخلق على أن الله ليس على العرش، ولا فوق السموات ونحو ذلك بقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، لقد أبعد النُّجعة) بمعنى جانب الصواب.

كيف يمكن أنَّ الله -عزّ وجلّ- يُريد من العباد أن يَفهموا أنَّ الله ليس على العرش من خلال قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾؟!

هل يمكن هذا؟ لا يمكن، ولو عرضتها على كافَّة الخلق؛ لَمَا قَالَ أحد إني أفهم من هذه الآية أنَّ الله ليس على العرشِ والقرآنُ أُنزل لمن؟ للجهم بن صفوان أم لواصل بن عطاء؟! أُنزل القرآن لعامَّة الناس، ولكافَّة البشر، ولهذا آياته واضحة وبينة.

يقول: (لقد أبعد النُّجعة، وهو إمَّا ملغز): يعني يتكلم بشيءٍ ويُريد شيئًا آخرَ.

(أو مدلس): المدلس الذي يُريد إيقاعَ الخصم في أمرٍ ليس هو الأمرَ الظاهرَ، وحاشا الله -عزّ وجلّ- وحاشا رسوله -صلى الله عليه وسلم- أن يتصفا بهذه الصفات.

(ولم يخاطبهم بلسان عربي مبين): لأنَّ الكلامَ العربيَّ يُفهم من ظاهره، ويُفهم من سياقه.

لكن لا يمكن لعاقلٍ أن يقول: أنا أفهمُ أنَّ الله -عزّ وجلّ- ليس له علم، والدليل على ذلك قوله -سبحانه-: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، أو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، أو: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

يقول: عندي سؤال في الآية: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ هل المقصود في هذه الآية أنَّ الناس كان على مذهبٍ واحد أو على دينٍ واحدٍ قبل بعث الرسل؟

لا شكَّ لما أُنزل آدم كما قال ابن عباس في صحيح البخاري: «إنَّ الناس كانوا عشرة قرون على التوحيد كانوا أمة واحدة، ثم وقع الشرك ووقع الاختلاف ووقع التنازع، فاحتاج الناس إلى الأنبياء والرسل للرجوع عند التنازع والاختلاف إليهم».

قال الله -تعالى-: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[الذاريات: ٤٧]، فَسَّرَ الإمام الطبري: أيد بالقوة والشدة، تقول: فهل هذا تأويلٌ؟

الصحيح أن هذا ليس بتأويلٍ؛ لأنَّ الأيدَ من "آدَ" "يَئِيْدُ"، فهذا تفسيرُ هذه الآيةِ، وهذا ظاهرُ هذا اللفظِ، وهذه حقيقته. ولهذا رَدَّ الشيخ في موضعٍ آخرَ بين مَنْ سَوَّى بين هذه الآيةِ وبين قولِه: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، قال: هذه الآية لها معنًى ولها مرادٌ، وهذه الآية لها معنًى ولها مرادٌ، فليس فيها تأويل بل هذا هو تفسيرُ اللفظ وهذه حقيقة اللفظ.

تقول: هل من أسماء الله الحسنى: العالم، والناصر، والرفيق، لأني أرى البعض يسمي عبد الناصر، وعبد العالم؟

والله لا أعرف أن من أسماء الله: الناصر، ولا العالِم كما ذكرت إنما الذي جاء العليم وهو صيغة مبالغة، لكن بعض أهل العلم يرخص في هذه الأمور؛ لأنه يُخْبَرُ عن اللهِ -عزّ وجلّ- بهذه الأمورِ، وباب الأخبار بابٌ واسعٌ.

يقول: هل يمكن أن نقول: إنَّ عبارةَ "طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم" فاسدةٌ من حيث اللفظُ، وساق هذا التبرير: حيث عُطِفَتْ طريقةُ الخلفِ على طريقةِ السلف، والعطف -هنا- يَقْتَضِي المغايرةَ، فالقائل بهذه المقالة يُصَرِّحُ بأنَّ للخلفِ سبيلاً غيرَ سبيلِ السلفِ، وقال الله -تعالى-: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، ما رأيكم أحسن الله إليكم في هذا الكلام؟

لا شك أنَّ مَنْ أراد أن يُلْزِمَهم يمكن أن يُرَدَّ عليه بأنَّ الواو هنا للمغايرة، لكن لو قالوا هم: لا، الواو من باب عطفِ الشيءِ على بعضِه أو كذا، إذا كان عندهم شيء من الإصابة، لكن أولى ما يقال في فساد هذه العبارة في اللفظ إنها متناقضة؛ لأنَّ العلم والحكمة مُستلزمٌ للسلامةِ، والسلامة مستلزمةٌ للعلمِ والحكمةِ.

يقول: أليست قاعدة "إثبات الصفة يقتضي التشبيه والتجسيد والتمثيل" تؤدي إلى نفي ما في الجنة من ثمرات وطيور إلى غير ذلك، حيث قال النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما يوجد فيها: (ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)، فعلى هذه القاعدة إثبات هذه الأشياء يقتضي التشبيه ثمرات الجنة مثل بثمرات الأرض؟

ما ذَكَرَه الأخُ يُذكر في معرض الرد عليهم، ومن باب الإلزام لهم، ولهذا فالشيخ في "التدمرية" قال: "ويتبين هذا بأصليْن عظيميْن وَمَثَلَيْن مَضْرُوبيْن وخاتمة جامعة".

المثلان المضروبان اللذان ذَكَرَهما: أحدهما ما في الجنة من النعيم من الأنهار والأشجار والفواكه، قال: هي مماثلة لما ذُكِرَ في الدنيا وبينهما فَرْقٌ واضحٌ، لا تَشَابُهَ، ولا يمكن أن يعتقد عاقلٌ أنَّ ما في الجنةِ مثل ما في الدنيا كما ذَكَرَ ابن عباس: "ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء"، فَإِذَا كان هذا بين المخلوقين مع المخلوق؛ فما الظنُّ بالخالقِ مع المخلوقِ، فهذا المثالُ يؤخذُ ويُضرب به لإلزام المخالف والخصم.

يقول: هل نستطيع الرد على من أنكروا أن الله ليس على العرش باستدلال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، أم أنهم ينفون هذه الآية ومعناها؟

لا، هم ينفون المعنى الظاهر منها، ويؤولون هذه الآية إلى معنًى آخرَ، معنًى بعيدٍ عن دلالة الآيةِ وظاهر الآية التي استدل بها أهل السنة على العلو وعلى إثبات الاستواء.

ثم قال -رحمه الله- (ولازم هذه المقالة أن يكون تركُ الناس بلا رسالةٍ خيرًا لهم في أصل دينهم؛ لأنَّ مَرَدَّهم -قبل الرسالة وبعدها- واحدٌ، وإنما الرسالة زادتهم عمًى وضلال)

هذا إلزام آخر، الإلزام الأول ذكره الشيخ قولهم: إن كتاب الله لا يُهْتَدَى به في معرفةِ اللهِ هذا الإلزام الأول، الإلزام الثاني لهؤلاء فيما ذهبوا إليه: أنَّ تركَ الناسِ بلا رسالةٍ خيرٌ لهم في أصلِ دينهم، لماذا؟

يقول: لأنَّ بعضَ مفهومِ الآياتِ تُنافي العقل فقالوا الرسالة عدم مجيئها أفضل...

أحسنت، لأنَّ مردهم قَبْلَ الرسالة وبعد الرسالة واحدٌ، المرد العقل، لكنَّ الرسالة زَادَتهم حيرةً واضطرابًا.

ولهذا قال الشيخ: يلزم على هذه المقولة أنْ يكونَ الناسُ بلا رسالةٍ خيرًا لهم من هذه الرسالة التي ما زادتهم إلا حيرةً وشكًّا واضطرابًا.

(يا سبحان الله! كيف لم يقل الرسول -صلى الله عليه وسلم- يومًا من الدهر، ولا أحدٌ من سلفِ الأمةِ هذه الآيات والأحاديث: لا تعتقدوا ما دلَّت عليه، لكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسُكم، أو اعتقدوا كذا وكذا فإنه الحقُّ، وما خالف ظاهره؛ فلا تعتقدوا ظاهره، وانظروا فيها فما وافق قياس عقولكم؛ فاعتقدوه، وما لا؛ فَتَوَقَّفُوا فيه أو انفوه.)

يقال لهؤلاء أيضًا في معرض الردِّ: هذه سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- مدونة محفوظة، هل وجدتم في حديث واحد أنَّ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- أَحَالَ الناسَ إلى عقولهم؟ ولو كان مُحيلاً للناس إلى عقولهم لأحال هذا الجيلَ الذي يُعتبر من أكثرِ الأجيال وأكثرِ القرون صفاءً، لم يَتَلَوَّثْ بِشُبَهٍ، لم يَخْتَلِطْ بغيره، ومع ذلك لم يُحِلْهُم -ولا في موقف واحد، ولا في مسألة واحدة- إلى عقولهم، فكيف يقول هؤلاء: إن مَرَدَّ هذه المسائل الكبيرة والمسائل العظيمة، المسائل التي مبناها على الخبر المجرد أنَّ مَرَدَّهَا إلى العقول، هذا لا يقوله عاقل.

(ثم الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد أَخْبَرَ بِأَنَّ أُمَّتَه ستفترقُ ثَلاثًا وسبعين فرقة، فقد علم ما سيكون، ثم قال: (إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به؛ لن تضلوا: كتاب الله). روي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال في صفة الفرقة الناجية: (هو من كان على مثل ما أنا عليه اليومَ وأصحابي))

يقول الشيخ: (ثم الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد أخبر بأن أمته ستفترق ثلاثا وسبعين فرقة) وهذا حديث الافتراق المشهور، وقد كتب فيه أهل العلم كتبًا مستقلة، ورواه جمع من الصحابة، منهم: أبو هريرة، وعوف بن مالك، وأنس، ومعاوية، وابن عمر، وجابر، وأبو أُمامة، وابن مسعود، وسعد بن أبي وقاص، ورواه أهل السنن في كتبهم، والحديث لا غبار على صحته، ولهذا لا يُلتفت إلى من طَعَنَ في سندِ الحديثِ أو في متنِه.

النبي -صلى الله عليه وسلم- أَخْبَرَ أنَّ أمته -في هذا الحديث الذي رواه هؤلاء الجمع من الصحابة- ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة. يقول الشيخ: (فعلم ما سيكون من افتراق الأمة) لا مطلق العلم؛ لأنَّ علمَ الغيبِ من خصائصِ الله -عزّ وجلّ- لا يعلمها النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا غير النبي -صلى الله عليه وسلم- علم ما سيكون من افتراق هذه الأمة وَوَقَعَ ما أخبر به -عليه الصلاة والسلام- أنَّ الأمة افترقت، وافترقت في وقتٍ مبكرٍ، في أواخرِ زمنِ الصحابةِ ظَهَرَتْ بَوَادِرُ هذه الفُرقة، لَمَّا خَرَجَ الخوارجُ على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-.

يقول الشيخ: لَمَّا أخبر إن الأمة ستفترق، إذا افترقت فكل فرقة ستقول: الحق معي، والحق عندي، وتدعو الناسَ إلى ما عندها. إذن ما المرجع؟ كيف نعرف الحق؟

النبي -صلى الله عليه وسلم- أراح أمته، وَبَيَّنَ لأصحابه أنَّ الأمةَ إذا افترقت؛ فلا مَخْرَجَ من هذا الافتراق، ولا ميزانَ يُعرف به الحق إلا (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به؛ لن تضلوا بعدي أبدًا كتاب الله وسنتي).

لم يُحِلِ الناسَ إلى عقولكم، لم يُحِلِ الناسَ إلى اجتهاداتِهم، أَحَالَ الناس إلى نَصَّيْنِ لا ثالثَ لهما الكتاب والسنة. وروي عنه -صلى الله عليه وسلم- في بعض الروايات في صفة الفرق الناجية لما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة) خاف الصحابة وسألوا: يا رسول الله! من هي هذه الفرقة؟ جلِّها لنا، صِفْهَا لنا، قال: (من كان على مثل ما كنت عليه اليومَ وأصحابي).

إذن المخرجُ التمسكُ بالكتابِ والسنةِ على فَهْمِ أصحابِ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- سلف الأمة. هذا هو المخرج والسلامةُ من الضلالِ والانحرافِ السلامةُ من أنْ يكونَ الإنسانُ في أحدِ هذه الفرقِ الضَّالةِ.

ما ردهم يا شيخ على هذه النصوص؟

بالطبع هم يطعنون في هذه النصوص.

هم يطعنون في المتن؟

القاعدة عندهم: إذا خَالَفَ النصُّ ما ذَهَبُوا إليه؛ إمَّا التأويل أو الطَّعْن في صِحَّتِهِ، يقول لك: خبر آحاد.

ثم إن الشيطانَ يُلَبِّسُ عليهم: يقول أنتم الفرقةُ الناجيةُ، أمَّا أهلُ السنةِ؛ فهؤلاء مُشَبِّهَةٌ مُجَسِّمَةٌ. ولهذا وَصَفُوا أهلَ السنةِ بأوصافٍ شنيعةٍ لأجل تَنْفِيرِ العامَّةِ، وسيذكر المؤلف في آخرِ الكتاب، وَصَفُوهم بأنَّهم مجسمة، وبأنهم مشبهة، وبأنهم ممثلة، وبأنهم غُثَاءٌ، وبأنهم غُثْرَى، وبأنَّهم أصحابُ حَشْوٍ، قالوا: هم الحشوية، وَهَلُمَّ جَرًّا من الأوصاف التي إذا سمعها العامي وما يدري معناها انقبض واشمأز.

(فهلا قال من تمسك بظاهر القرآن في باب الاعتقاد فهو ضالٌّ؟ وإنما الهدى رجوعُكم إلى مقاييسِ عقولِكم وما يُحْدِثُه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة، وإن كان قد نَبَغَ أصلُها في أواخرِ عصر التابعين.

ثم أصل هذه المقالة -مقالة التعطيل للصفات- إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضُلَّالِ الصابئين، فإنَّ أوَّلَ من حُفِظَ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان، وأظهرها فنُسبت مقالةُ الجهمية إليه، وقد قيل: أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهوديِّ الساحرِ الذي سَحَرَ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم-.)

)
)

يقول الشيخ فهلا قال -لما أراد أن يصف الفرقة الناجية، ويصف السبيل والمسلك الذي ينجو به الإنسان من الافتراق- يقول: (هلا قال من تمسك بظاهر القرآن في باب الاعتقاد فهو ضال؟) كما يقوله هؤلاء، أو يَقولون: الذي يأخذ بظواهر النصوص ضالٌّ؛ لأنَّ ظَاهِرَ النصوصِ لا يَدُلُّ إلا على التَّشبيه، لكن لا بدَّ من التأويلِ الذي يَصْرِفُ النَّصَّ عن ظاهره.

(وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولِكم): "صرف النص عن ظاهره إلى المعنى الباطن" كيف تُوُصِّلَ إليه؟ عن طريق العقل، ولا يوجد نَصٌّ عن النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- يَدُلُّ على صرْفِ هذا النص من ظاهره إلى المعنى البعيد الذي ذَهَبَ إليه هؤلاء.

(وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة): لأنَّ هذا الفرقَ ما ظَهَرَتْ وانْتَشَرَتْ وَصَارَ لها كِيَانٌ مُستقلٌّ ولها من يؤلف ويُنافح عنها إلا بعد انقضاء القرون المفضلة، وإن كانت أصولها ظَهَرَتْ في أواخرِ عصرِ الصحابةِ والتابعين -رضي الله عنهم-.

الخوارج ظهروا في أواخر عصر الصحابة، والقدرية ظهروا في أواخر عصر الصحابة، والمرجئة ظهــروا في أواخر عصر الصحابة، والجهمية المعطلة ظهروا في أواخر عصر التابعين. لكن هذه المقالات لم يكن لها من الشأنِ والكِيان والانتشارِ إلا بعد انقضاءِ القرونِ الثلاثةِ.

يقول: (وإن كان قد نبغ أصلها في أواخر عصر التابعين ثم أصل هذه المقالات): سند مقالة التعطيل من أيــن أتى التعطيلُ للمسلمين؟ ما أصول مذهب المعطلة؟ وهذه مهمة.

إن مقالة المعطلة غريبةٌ بعيدةٌ عن بيئتنا البيئة الإسلامية، بعيدة عن بيئة النبوة. سندُها؟ من أول مَنْ قال بها؟ أول من قال بها في تاريخ المسلمين الجعد بن درهم الذي قُتِلَ سنة ١٢٤هـــ.

تَفَوَّهَ الجعد بن درهم بأنَّ الله -عزّ وجلّ- لم يكلم موسى ولم يتخذ إبراهيم خليلا، نفى عن الله الكلام، ونفــى صفة الْخُلَّةِ، فَقَبَضَ عليه خالد بن عبد الله القسري -كما ثَبَتَ عند البخاري وجمع من الأئمة- وَقَتَلَه يــومَ عيــدِ الأضحى، وخطب الناس وقال: «ضحوا -تقبل الله ضحاياكم!- فإني مُضَحٍّ بالجعد بن درهم؛ فإنه يزعم أن الله لم يكلم موسى تكليما ولم يتخذ إبراهيم خليلا، فنزل فذبحه، ولهذا قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في وصف هــذه الحادثة:

مِنْ أجْــلِ ذا ضَحَّى بِجَعْدٍ خالدٌ القَسْرِيُّ يومَ ذَبَائِحِ القُرْبَانِ

إذْ قَالَ: إبراهيمُ ليس خَلِيلَه أيضًا ولا موسى الــكليمَ الدَّانِي

البعضِ لعله في هذا الزمن أو من قبله يذكرون في معرض سَرْدِ هذه القصةِ بأن قتل خالد القسري للجعد إنما كان لأجل قضيةٍ سياسيةٍ أو جانبٍ سياسيٍّ بخلافِ الجانبِ العقديِّ أو الخلل العقديِّ أو من هذا المقولة؟

أحسنت، تَفَوَّهَ البعضُ بأنَّ قَتْلَ خالدٍ بن عبد الله القسري للجعد بن درهم لم يكن من منطلقِ شرعيٍّ، ولا مــن منطلق الحفاظ على عقيدةِ المسلمين.

ولكن هذا الكلام باطل، بل إن العلماء ذكروا قصة خالد هذه وأثنوا على خالد بفعلتِه هــذه الفعلــة الحميــدة. وهؤلاء لا شك أنهم يريدوا أن يُبَرِّئوا الجعد بن درهم، أن مقولته هذه تستحق القتل، قالوا: أبدًا ما قتله إلا لأجــلِ جوانبَ وَنَوَاحٍ سياسيةٍ، فيقال لهم: التأريخ والأئمة لَمَّا رَوَوْا هذه القصةَ رَوَوْهَا في معرض المدح والثناءِ علــى خالد بن عبد الله القسري وهذا الذي ظهر منه، ومن زَعَمَ خلاف ذلك؛ فعليه الدليل.

الجعد بن درهم لا يُذْكر عنه أنه ثَارَ على السلطانِ أو خَرَجَ على الأميرِ وإنما تَفَوَّه بهذه المقالةِ واشتهرت عنه، ولهذا روى هذه القصة جمع كثير من الأئمة الدارمي، والبخاري، واللالكائي، وابن بطة، وكثير من أهل العلــم رَوَوْهَا شاكرين حامدين لفعلة خالد بن عبد الله القسري -رحمه الله-.

بالطبع الجعد بن درهم، لم ينشرْ هذه المقولةَ بيْن الناسِ، إنما الذي نَشَرَها الجهم بن صفوان، تلقف هذه المقولة عن الجهم وَنَشَرَهَا بيْن الناسِ. والجهم قُتِلَ سنة ١٢٨هـــ قتله سَلْمُ بن أَحْوَس والي خراسان ولهذا يقال إنــه لمــا قَبَضَ عليه قال: اعف عني، قال: والله لو كنتَ في بطني لَشَقَقْتُ بطني وأخرجْتُك وقتلتُك.

الجهم بن صفوان تَلَقَّفَ هذه المقولةَ وَنَشَرَهَا بين الناس وَتَبَنَّاهَا، ولهذا نُسِبَتْ هذه المقولة لا للجعد وإنما للجهم؛ لأنه هو الذي تَبَنَّى نَشْرَها بين الناس.

والجهمية نسبت إليه؟

الجهمية، وقيل لكل معطلٍ: جهمي.

من أين أخذ الجعد هذه المقولة التي أخذها الجهم عنه؟

يقول الشيخ: إن الجعد أخذها عن بيان بن سمعان التميمي. وبيان بن سمعان هذا إليه تُنسب الفرقــةُ البيانيــةُ، وهي فرقة ضالة، بل كَفَّرَها جمهورُ أهلِ العلم.

بيان أخذها عن طالوت، وطالوت هذا أخذها عن خاله أخي والدته لبيد بن الأعصم. مَنْ لبيد بن الأعصم؟ لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سَحَرَ النبي -صلى الله عليه وسلم- كما ثبت في صحيح البخاري. فتبــين أنَّ أصلَ مقالةِ التعطيلِ مِنْ لبيد اليهودي.

(وكان الجعد هذا -فيما قيل- من أهله حرَّان، وكان فيهم خلقٌ كثيرٌ من الصابئة والفلاسفة بقايــا أهــل ديــن النمرود، والكنعانيين الذين صنف بعض المتأخرين في سحرهم. والنمرود هو ملك الصابئة الكنعانيين المشركين كما أن كسرى ملك الفرس والمجوس، وفرعون ملك القبط الكفار، والنجاشي ملك الحبشة النصارى، فهــو اســمُ جنسٍ لا اسمُ عَلَمٍ.)

الشيخ ذَكَرَ أولا سند مقالة التعطيل ثم أراد أن يُبَيِّنَ وَجهًا آخرَ لكون هذه المقالة فاسدةً أولا سندها أصلها فاسد، ثم البيئة التي نشأت فيها هذه المقولة. أين نشأ الجعد؟

في حران.

في حران، ما هي حران؟ حران بلد في العراق. يقول الشيخ: (وكان فيهم خلق كثيــر مــن بقايــا الــصابئة والفلاسفة)؛ أي خليط من الديانات والفلسفات السابقة، بقايا أهل دين النمرود الذين بعث فيهم إبراهيم الخليــل -عليه الصلاة والسلام- والكنعانيين الذين صَنَّفَ بعضُ المتأخرين في سحرهم ويقصِد الفخرَ الرازيَّ لأنه صَرَّحَ به في مواضع متعددة بأنه ألَّفَ كتابًا أسماه "السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم"، لكن لعَلَّــه -إن شــاء الله- رجع عن هذا الكلامِ في أولِ أمره.

يقول: (والنمرود هو ملك الصابئة.)

والشاهد أنَّ الجعدَ بن درهم نَشَأَ في هذه البيئة، إذن مقولة التعطيل ومذهب المعطلة أصله فاسد والبيئة التــي نشأ فيها فاسدة.

أسئلة المراجعة

السؤال الأول:

ما اللوازمُ الباطلة على مقولة من قَدَّمَ العقلَ على الكتابِ والسنةِ كما أوردها شيخ الإسلام؟

يقول: هل لأهل البدع والأهواء أساسٌ من الصحة في القرآن الكريم على بدعهم وأهوائهم؟

يعني أن تقول: هل لهم أصلٌ صحيح في الكتاب والسنة؟

على بدعهم لا؛ لأنَّ الكتاب والسنة هُدًى نورٌ، ولا يمكن أن يكونَ الهدى دالاً علـى الـضلالِ؛ لأنَّ البدعـة ضلالٌ، والنبيُّ -صلى الله عليه وسلم- يقول: (كُلُّ بدعةٍ ضلالةٌ)، فلا يُمكنُ أنْ يُستَدَلَّ على البدعةِ بـنَصٍّ مـن القرآن صحيحٍ ويكون الاستدلالُ صحيحًا. لكن هم يستدلون ولا شكَّ، لكنَّ استدلالهم باطلٌ كما استدل نفاةُ الصفات على نفيهم بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فالآية صحيحة لكنَّ الاستدلالَ باطلٌ.

تقول: كيف تكون الموالاة بين أهل السنة الجماعة مع الفرق المختلفة في أسماء الله -جـل جلالـه-؟ وهـل دراسة منهج الفرق واختلافاتهم علمٌ خاص أم عام؟

أمَّا كيف الموالاة معهم؛ فهم كسائرِ الفرقِ والطوائفِ. فالمسلم منهم له من الولاية ومن الولاءِ بِقَدْرِ ما فيه من الإيمانِ والقربِ للسنةِ واتباع الحق، ويُعادى بقدر ما فيه من الضلال والانحراف. ولهذا يجتمع في حقِّ الواحـدِ منهم الموالاةُ والمعاداةُ.

أما من كانت بدعته تُخرجه عن دائرةِ الإسلامِ؛ فليس له شيء من الولاية ولا كرامة.

أما دراسة مناهج الفرق؛ فلا شك أنَّها -الآن- بعد التقسيمات يعتبر علم مستقل علم الفرق والأديان.

تقول: هل دراسة عالم الغيب بتفاصيله للعامة ليس ضروريا؛ لأنه يوم القيامة لن يسألوا عن الصراط وعـن الحوض؟

لا، يُعَلَّمُ الناس عن الغيب، ويُذَكَّرُون بالغيب على وَفْقِ ما جَاءَ في النَّصِّ، ويُلتزم ما جاء في النصوص. وهذه من لوازمِ الإيمانِ باليوم الآخر، والنبي -صلى الله عليه وسلم- ماذا قال لجبريل لما سأله عن الإيمان؟ (أن تؤمن بالله وملائكته) وذكر (واليوم الآخر). فمن لوازم الإيمان بالآخرة الإيمانُ بما أخبر به النبي -صـلى الله عليـه وسلم- وأخبر الله عن هذا اليوم وما فيهما من حوادث، فيُذكرُ للعامة ما وَرَدَ النصُّ به ويُلتزمُ في ذلك النصُ ولا يُتَوَسَّعُ.

يقول: ما نوع الامتحان المقصود عند من صَرَّحَ بأنَّ المقصود بآيات الصفات والامتحان؟ فهل يجوز اعتقـاد صفات الله -تعالى- بدون البحث عن الدليل؟

كيف؟ لم أفهم السؤال.

قد ذكرتم أنهم يقولون: نَزَلَ القرآنُ امتحانًا؟ فما نوع الامتحان الذي يزعمونه؟

يقولون: ليُظهر الله -عزّ وجلّ- هل أنت مؤمنٌ بهذا اللفظ أم غير مؤمن، وليمتحنهم -أيضًا- فـي اسـتخدام عقولهم في استخدام المعاني البعيدة وتنزيل هذه الآيات -كما ذكر الشيخ- على وَحْشِيِّ الألفاظِ وعلـى المعـاني الغريبة، فهذا مقصودهم بالامتحان.

الإخوة يُوردون بعض الآيات ويسألون عن تأويلها. فهل نفتح الباب في هذا المجال أم أنه سيأتي؟ يعني مـثلا ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[القلم: ٤٢]، يسألون عن هذه الصفة، هل يقصد بها كناية عن يوم الشدة؟

على كل حالٍ هذه الآية فَسَّرَها ابنُ عباسٍ بالشدةِ، لكنْ ليس فيه تأويلٌ، وليس فيه ردٌّ لإثبات صفة الساق؛ لأنَّ صفة الساق ثَبَتَتْ ليس فقط بهذه الآية وإنما ثبتت بأحاديث صحيحة، واستدل بعض العلماء على إثبـات صـفة الساق بهذه الآية، ومن أهل العلم من قال: لا، المقصود بهذه الشدة وهذا جارٍ في لغةِ العربِ، فما دام جار في لغة العرب؛ فلا نسميه تأويلاً، وإنما يُفهم معناه من سياق اللفظِ.

كان ذلك سؤال الأخت.

يقول: بعض أهل السنة ممن يعتقدون عقيدة أهل السنة يتوقف في حديث النزول ويقول: إنه يقتضي التعدد لاختلاف مطالع الفجر رغم رجوع الكثير منهم إلى كتب شيخ الإسلام فكيف يُرد عليه؟

أقول: يرجع الكلام لشيخ الإسلام، شيخ الإسلام ألَّفَ كتابه «شرح حديث النزول» لأجل هذا السؤال. سُئِلَ كيف ينزل ومطالع الفجر تختلف؟ إذا كان عندنا الفجر أو آخر الليل في البلاد الأخرى الظهر. ففصل الشيخ تفصيلاً طويلاً جدًّا مجمله أن قضية النزول لما نأتي ننزل عليها مطالع الفجر هنا نُشَبِّه نزولَ الله -عزّ وجلّ- بنزول خلقه، لكن لما نعلم ونعتقد أن له نزولا يليق به -سبحانه وتعالى- وأنه قادر أن ينزل آخر الليل وإن كان آخر الليل هنا في السعودية ومثلا في أمريكا أو في كندا عندهم مثلا العصر أو الظهر فلا مانع، ولا يمكن أن نستوعبَ هذا الأمر لو جعلنا نزول الله مثل نزولِ المخلوق، وسيأتي -إن شاء الله- مزيدُ كلام.

نعيد سؤال الحلقة: ما اللوازم الباطلة التي أوردها شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة في مقولة مَن قَدَّمَ العقل على نصوص الكتاب والسنة؟

الدرس العاشر

شرح وتعليق على كتاب الفتوى الحموية الكبرى

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلي الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

كما هي عادة الدَّرس نستعرض الإجابات الواردة.

نُذكِّرُ الإخوةَ بالسؤالِ: ما اللوازمُ الباطلةُ التي ذكَرَهَا شيخُ الإسلامِ المترتبةُ على قانون المتكلمين في تقديم العقلِ على النقلِ؟

تقول: معلومٌ أنَّ جمهورَ أهلِ الكلامِ عندهم قانونٌ اتفقوا عليه وهو أنه إذا تعارض النقل مع العقل؛ قدَّمُوا العقل، إذا تعارض الدليل النقليُّ مع الدليلِ العقليِّ؛ قدموا الدليل العقلي. وهذا هو واقعُهم فيما يتعلق بما يجب للهِ -عزّ وجلّ- وما يجوز عليه وما يمتنع عليه. ولم يرفعوا لدلالة الكتابِ والسنةِ رأسًا.

ثم تقول في إجابتها: لازمُ هذه المقالةِ التي ذكَرَها الشيخُ أنَّ العقلَ مُقَدَّمٌ على النقلِ، وأنَّ ظاهر النصوص لا يُهتدى بها، وأنَّ القرآنَ الذي هو هدًى للناس وبيانٌ وشفاءٌ لما في الصدور، ولأنه يقول: نعلم -بالاضطرار- أنَّ ما يقوله هؤلاء المتكلفون -أي من أهل الكلام- أنَّ الحقَّ الذي يَجِبُ اعتقادُه لم يَدُلَّ عليه الكتابُ والسنةُ لا نصًّا ولا ظاهرًا. هذا الضلال الذي جاء به هذا النفيُ عرفنا وَقَرَّرَ الشيخُ أنه ليس بالكتابِ ولا بالسنةِ لا ظاهرًا ولا نصًّا وإنما غايةُ المتحذلق على قدره. وهذه صفة هؤلاء أنهم تَكَايَسُوا، وغاية ما في ذلك أنهم يستدلون على نفي صفةِ العلوِّ ونفي كلِّ الصفاتِ التي يَنفيها.

جيد، هل هناك إجابة أخرى؟

تقولُ: اللوازمُ الباطلة على هذه المقولة هي: قولهم إن كتاب الله وسنته ليسا بنورٍ ولا يُهتدى بهما، وأيضا من اللوازم الباطلةِ عند هؤلاء المتكلمين أنَّ تركَ الناس بلا رسالةٍ خيرٌ لهم في أصلِ دينهم؛ لأن الرسالة ما زادتهم إلا اضطرابًا وحيرةً، وكل هذه معتقداتٌ باطلةٌ وفاسدةٌ ولا أصلَ لها.

نعم، هذه باختصار بالإضافة إلى إجابة الأخت الأخرى هي الإجابة الصحيحة أنه يلزم على هذه المقولة أنْ لا يكونَ الكتاب والسنة نورًا وهُدًى للناس، وأيضا تركُ الناسِ بلا كتابٍ ولا سنةٍ خيرٌ لهم من مجيءِ الكتاب والسنة الذي ما ازداد الناسُ بهما -على حدِّ قولِ هؤلاءِ أو لازمِ قولِ هؤلاء- إلا حيرةً واضطرابًا.

بسم الله الرحمن الرحيم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في جوابه في كتابه "الفتوى الحموية الكبرى": (كانت الصابئة إلا قليلا منهم إذ ذاك على الشرك، وعلماؤهم الفلاسفة وإن كان الصابئُ قد لا يكون مشركا بل مؤمنا بالله واليوم الآخر كما قال -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]، وقال

–تعالى–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].

لكنَّ كثيرًا منهم أو أكثرهم كانوا كفارا أو مشركين، كما أن كثيرا من اليهود والنصارى بَدَّلُوا وَحَرَّفُوا وَصَارُوا كفارًا أو مشركين. فأولئك الصابئون الذين كانوا إذ ذاك كانوا كفارا مشركين، وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلي الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لا زال كلام المؤلف –رحمه الله– فيما يتعلق بالبيئة التي نشأ فيها مُؤَسِّسُ مذهبِ المعطلةِ الذي هو الجعد بن درهم ليُبَيِّنَ للناسِ أنَّ هذه المقولة –مقولة التعطيل– نشأت في غيرِ بيئةٍ إسلاميةٍ، وفي غير بيئة شرعية.

ذكر أولا سند هذه المقالة، وأن سندها ينتهي إلى لَبيدِ بن الأعصمِ الساحرِ اليهوديِّ الذي سَحَرَ النبيَّ –صلى الله عليه وسلم–، ثم هو عاش في بيئة أيضا موبوءة خليط من الصابئة، واليهود، والنصارى، والفلاسفة.

يقول الشيخ: كانت الصابئة –وهؤلاء الصابئة هم الذين بُعِثَ فيهم إبراهيمُ الخليلُ –عليه الصلاة والسلام– موطنهم في حران في بلاد العراق– يقول: (كانت الصابئة إلا قليلا منهم إذ ذاك على الشرك)؛ أي في تلك الفترةِ، وعلماؤهم الفلاسفة. ويقول: ليس كل الصابئين على الضلال والشرك، فمنهم المؤمن ومنهم المشرك، حالهم كحال الأمم الكتابيةِ الأخرى وكحالِ اليهودِ والنصارى. ولهذا ذَكَرَهم الله –عزّ وجلّ– في سياقٍ واحدٍ مع الطوائفِ التي انقسمت إلى مؤمنٍ وكافرٍ، قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾.

لكنَّ الشيخَ يقول: الغالب على هذه الطائفة وعلى هذه الفرقة الشرك والكفر بالله –عزّ وجلّ– حالهم كحال اليهود والنصارى الذين غلب عليهم التحريف والتبديل والشرك.

(كانوا يعبدون الكواكب): اشتهر الصابئة بعبادة الكواكب الشمس، القمر، زحل، المشتري إلخ، ولهذا بنوا لها الهياكل، الهياكل ما هي؟ أشبهُ بالمعدن، وَصَوَّرُوا فيه هذه الكواكبَ وَصَرَفُوا لها العبادةَ من دونِ اللهِ –عزّ وجلّ– .

ولهذا فالفلاسفة –لاحظوا يا إخوان– يُعظِّمون الكواكبَ، فهناك عَلاقةٌ وثيقةٌ بين الفلاسفةِ وبين الصابئةِ، بل زَعَمُوا أنَّ هذه الكواكبَ قديمةٌ بِقِدَمِ اللهِ –عزَّ وجلَّ– ولازمةٌ لذاتِه ومُنْبَثِقَةٌ عنه –سبحانه وتعالى–، ولهذا كانوا يُعَظِّمُون ويُقَدِّسُون هذه الكواكبَ.

يقول: وعلماؤهم الفلاسفة.

علماء الصابئة.

وهذا يعني أن هناك ارتباطًا بينهم.

هذا هو الارتباط بين الصابئة والفلاسفة، الصابئة يُعظمون الكواكبَ ولهذا كان الفلاسفة يُعظمون الكواكبَ.

ذكَرَ شيخُ الإسلامِ بأنَّ، أو ذكرتم أيضا بعضَ الشرح بأن هذا الضلالَ متوارثٌ كما مَرَّ قبل قليل. لكن ألا يُلحظ أن هذا التوارث لا يَعترضُه الكثيرُ من التغيير والتبديل؟ نجد أنَّ تَمَسُّكَهم بهذه الحجج الباطلةِ كان قويًّا خلال فترات طويلة ربما. السؤال الذي تطرحونه هنا: كيف كان هذا الضلالُ وهذا التمسكُ به على هذه الحقبةِ الزمنيَّةِ الطويلةِ؟

خذها قاعدة: الفكرة أحيانا تبدأ فكرةً صغيرةً ثم تَكبر وَتَتَّسِعُ فيصيرُ لها مُنَظِّرُون ومُقَعِّدُون ولها كتبٌ، وأحيانا العكس بالعكس، تبدأ الفكرة كبيرة ثم تَضْمَحِلُّ وتنتهي.

فلا شك أن تداولَ هذا المذهبِ وهذه الأصولِ عَبْرَ هذه القرونِ هناك من أضَافَ وهناك من نَقَصَ وهناك من أخَذَ هذه الأصولَ كاملةً كغُلاةِ الجهميَّة الذين تَأَثَّرُوا بالفلاسفةِ تَأَثُّرًا مُباشرًا، وهناك مَنْ أخَذَ جزءًا مِنْ هذه الأصولِ كحالِ جمهورِ المتكلمين استفادوا من الفلاسفةِ، واستفادوا من هذه الأصولِ والقواعدِ، وإن كان الظاهرُ أنَّ عَدُوَّهم اللدُودَ الفلاسفةُ ومن حَذَا حَذْوَهم. لكن في الواقع -كما سيذكر الشيخ- أنهم اتفقوا مع الفلاسفة في كثيرٍ من الأصولِ وإن كانت النتائجُ اختلفت لكنَّ الأصولَ والقواعدَ التي بَنَى عليها هؤلاء مذهبهم وهؤلاء مذهبهم لاحظْ أنَّ فيها تقاربًا واتحادًا.

(ومذهبُ النفاةِ من هؤلاء في الردِّ أنه ليس له إلا صفاتٌ سلبيةٌ أو إضافيَّة أو مركبة منها، وهم الذين بعث إبراهيم الخليل إليهم فيكون الجعد أخذها عن الصابئة الفلاسفة.)

يقول الشيخ: ومذهب النفاة من هؤلاء؛ أي الصابئة الفلاسفة، ما مذهبهم في صفات الله؟ مذهبهم جمعوا بين أمريْن: السلب والإضافة. إما وَصَفوا الله -عزّ وجلّ- بالصفاتِ السلبيةِ، والصفاتُ السلبيةُ سَبَقَ التعريفُ بها أنَّ الله ليس بكذا ولا كذا ولا كذا، إدخال أداةِ النفيِ: لا يسمع، ولا يبصر، ولا يتكلم، ولا فوق، ولا تحت، ولا يمين، ولا شمال، ولا داخل العالم ولا خارجه، ولا جسم، ولا جوهر، ولا عرض.. إلخ، يأتون بأي صفة وينفونها، هذه هي الصفات السلبية فهم عندهم أنَّ الله -عزّ وجلّ- موصوفٌ بالسلب دائما.

أو بالصفاتِ الإضافيةِ، ما هي الصفاتُ الإضافيةُ؟ قالوا: هي الصفة التي لا يمكنُ تَعَقُّلُها إلا بِتَعَقُّلِ مُقابِلِها، يعني ليست صفةً حقيقيةً، ولعل التعريف يتضح بالمثال: متى تُسَمَّى -يا شيخ ياسر- أبًا؟

إذا جاءني ابنٌ.

إذا جاء ابنٌ، لكن بدون الابنِ لا يُسمى أبًا، والابن لا يُسَمَّى ابنًا إلا مع وجودِ الأبِ.

الـ: "قَبْل" ما يسمى "قبل" إلا أن يكون هناك "بعد"، والـ: "بعد" لا يكون..، فالصفةُ مرتبطةٌ بما يقابلها.

فَهُمْ وَصَفُوا الله -عزّ وجلّ- بالصفاتِ الإضافيَّةِ مثلما وصفه الفلاسفةُ بأنه "العلة" أن الله علة، و"علة" لا بد من وجود "معلول"، ومثلما وصف المتكلمون الله -عزّ وجلّ-. أخص أوصاف الله عند المتكلمين ما هو؟ القِدم. والقِدمُ هل هو صفةٌ ذاتيةٌ؟ لا، لا يُسَمَّى الشيءُ قديمًا إلا مع وجود؟

الحديث.

الجديد والحديث.

لكنْ صفاتٌ ذاتيةٌ قائمةٌ بالله هذه لا يصفون الله -عزّ وجلّ- بها، أو مركبة من الصفات السلبية والصفات الإضافية كما ذكر الشيخ.

ثم قال: (وهم الذين بُعث إبراهيم الخليل إليهم)؛ أي الصابئة ثم ذكر فيكون الجعدُ مؤسسَ مذهبِ المعطلةِ الذي أخذ عنه جميع المعطلة مذهب التعطيل بمن فيهم المتكلمون الذين هم الأشاعرة، فيكون الجعد أخذ التعطيل عن الصابئة الفلاسفة.

حكم أنَّ هذا مذهبهم واعتقادهم في الله -عزّ وجلّ-.

وكذا أبو نصرٍ الفارابيُّ دَخَلَ حَرَّانَ وَأَخَذَ عنْ فلاسفةِ الصابئين تَمَامَ فلسفتِه، وأخذها الجهمُ أيضا -فيما ذكره الإمام أحمد وغيره- لَمَّا ناظر السمنيةَ بعضَ فلاسفةِ الهندِ وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسِّياتِ.

فهذه أسانيد جهم ترجع إلى اليهودِ والصابئين والمشركين والفلاسفة الضالين، إما من الصابئين وإما من المشركين.)

)
)

يقول: وكذلك وأبو نصر الفارابي، وهذا إمام من أئمة الفلاسفة، بل يُسَمَّى المعلمَ الثاني، فالمعلم الأول أرسطو، المعلم الثاني الفارابي، المعلم الثالث ابن سينا. وابن سينا استفاد من الفارابي، الفارابي هو محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ التركيّ أبو نصرٍ الفارابيّ الفيلسوف المنطقيّ المتوفى سنة ٣٣٩ هـ، قال عنه الذهبي -رحمه الله- "له تصانيفُ مشهورةٌ، مَنِ ابتغى منها الهدى؛ ضَلَّ وَحَارَ، منها تَخَرَّجَ ابنُ سينا، نسأل الله التوفيق!".

أبو نصرٍ الفارابيُّ دَخَلَ حَرَّانَ وَأَخَذَ الفلسفة عن فلاسفةِ حَرَّان. الجهم بن صفوان تَأَثَّرَ بالسمنيةِ، والسمنيةُ فرقةٌ من فِرَقِ فلاسفةِ الهندِ جاؤوا وَنَاظَرُوا الجهم بن صفوان، ولم يكن ذا علمٍ بحيث إنه استطاع أن يُناظرهم أو أن لا يَتَأَثَّرَ بهم. وهؤلاء السمنية لا يؤمنون إلا بالحسيات -الشيء المحسوس- ولهذا طَرَحُوا عليه عِدَّةَ أسئلة وعدَّةَ إشكالاتٍ: هل رأيت ربك؟ هل لمست ربك؟ هل شممت ربك؟ هل هل هل، فاضطرب الشاب، ويقال: إنه دخل -كما ذكر الإمام أحمد- واحتجب عن الناس أربعين يوما لا يشهدُ لا جماعةً ولا جمعةً، ثم خَرَجَ إلى الناسِ بهذا المذهب الفاسدِ الذي لا زالت الأمةُ تَتَحَسَّاه بسبب هذه المناظرةِ لهؤلاءِ الفلاسفةِ.

يقول الشيخ: (فهذه أسانيد جهم) الذي هو إمام المعطلة، من أين اكتسب هذا المذهبَ؟ هل أَخَذَهَا عنِ الأنبياءِ والرسلِ؟ هل أَخَذَهَا منَ الكتابِ والسنةِ؟ هل أَخَذَها عن أصحابِ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم-؟ هل أخذها عن علماء الأمة؟ لا، أخذها عن ضُلاَّل اليهود وضُلاَّل النصارى والفلاسفة والصابئين.

(ثم لما عُرِّبَتْ الكتبُ الروميةُ في حدودِ المائة الثانية زَادَ البلاءُ مع ما أبقى الشيطانُ في قلوبِ الضُّلاَّلِ ابتداءً من جنسِ ما ألقاه في قلوبِ أشباهِهم.

ولما كان في حدود المائة الثانية انتشرت هذه المقالةُ التي كان السلفُ يُسَمُّونَهَا مقالة الجهمية بسببِ بشرِ بن غِيَاثٍ الْمَرِيسِيِّ وطبقتِه.

وكلام الأئمة مثل: مالكٍ، وسفيان بن عُيَيْنَةَ، وابن المبارك، وأبي يوسفَ، والشافعيِّ، وأحمدَ، وإسحاقَ، والفُضَيْلِ بن عِيَاض، وبشرٍ الحافيِّ، وغيرهم في هؤلاءِ كثيرٌ في ذمِّهم وتضليلِهم.)

يقول الشيخ: (ثم لما عربت الكتب الرومية كتب الفلسفة وكتب المنطق في حدود المائة الثانية) وممن تبنى تعريب وترجمة هذه الكتب الخليفة المأمون –عفا الله عنا وعنه–. ولا شك من الأسباب التي جرت الأمة لهذه المتاهات تعريب وترجمة هذه الكتب، ولهذا يقال: إن المأمون كَتَبَ إلى ملكِ اليونان يطلب منه إحدى المكتباتِ المشهورة عندهم خزانة كتب يريد الكتب لترجمتها ثم إعادتها إليهم فَجَمَعَ ملكُ اليونانِ البطارقة وكبار الدولة عندهم واستشارهم في طلبِ خليفة المسلمين، فأشار عليه جلهم بعدم الاستجابة. هذا تراث كيف تبعث به إلى المسلمين؟! فقال له أحد كبار رجال الدين وممن له نظرة بعيدة قال له: ابعث بهذه الكتب إلى المسلمين فما دخلت هذه الكتب على أمة إلا أفسدتها، فاقتنع برأيه وأرسل كتب فلاسفة اليونان إلى المسلمين فتُرْجِمَتْ ولهذا قال الشيخ: (فزاد البلاء، مع ما ألقى الشيطان) يعني كَوْنُ النفوسِ كانت مُهَيَّأَةً لِتَقَبُّلِ هذا الضلالِ وإلا الأمة كان الواجب أن تستغني بما في الكتابِ والسنةِ، ولسنا بحاجة إلى هذه الفلسفات. وشرعُنا وديننا وتراثنا فيه الغُنْيَة.

تقول: مذهب نفاة الصفات هل ما زال إلى وقتنا الحاضر أم أنه قد اندثر؟

عفوا يا شيخ قضية الترجمة هل يفهم منها أنها مثل هذا الإرث سواء علمي ما تكلم عن قضية الفلسفة لكن في قضية ترجمة علوم الكونية الآن؟

لا، لا يفهم من هذا أن الترجمة مرفوضةٌ لذاتها، فترجمة الكتب التي للمسلمين فيها نفعٌ وفيها فائدةٌ خاصَّةً في أمورِ دنياهم وأمورِ مَعَاشِهِم هذا لا ضَرَرَ فيه، بل ينبغي للمسلمين أن يُبَادِرُوا بترجمةِ مثل هذه الكتبِ والاستفادةِ مما عند هؤلاء. لكنَّ الضررَ أن نُترجمَ كتبًا لا فائدةَ لَنَا فيها في دُنيانا وفيها ضَرَرٌ علينا في آخرتِنا.

فكُتُبُ الفلسفة تَكَلَّمَ فيها أهلُ العلمِ، وبعضهم ذهَبَ إلى القَوْلِ بتحريم هذا العلمِ، كما ذهَبَ إليه الإمامُ النوويُّ وقبله الإمامُ الشافعيُّ، وَأَلَّفَ فيه السيوطيُّ كتابًا مستقلاً لعلي أستذكره، وَرَدَّ عليه شيخُ الإسلامِ بكتابِ "نقض المنطق" فهذا هو المحظور، أما مجرد الترجمة؛ فلا.

بعض الناس قد يقع بين يديه كتابٌ مثلا كالإنجيل مثلا نسخة ويكون من باب الاطلاع وحب الفضول قد لا يكون هو مُهَيَّأً.

هذا تَكَلَّمَ عنه أهلُ العلم حقيقة، وهو ملحظٌ مُهِمٌّ، وسؤال ينبغي التنبه له. كثيرًا ما نُسأل من باب الاطلاع قد آخذ كتاب الإنجيل، أو نسخة من التوراة، أو أدخل على أحد المواقع أو كتابًا في الفلسفة فيقال: لا ينبغي إلا لشخصٍ واحد وهو مَنْ أَرَادَ الردَّ، أما لمجرد الاطلاع؛ فالنبيُّ –صلى الله عليه وسلم– أنكر على عمر فقال: (أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟)، غَضِبَ وجلس واحْمَرَّ وجهُه، وقال عمر: "أعوذ بالله من غضب الله ومن غضب رسوله"، ففهم من وجه النبيِّ –صلى الله عليه وسلم– الغضبَ لَمَّا رَأَى في يده وَرَقَاتٍ من التوراة.

ولهذا حَذَّرَ أهلُ العلمِ من الجلوسِ مع هؤلاءِ أو السماعِ لِشُبَهِهِم أو القراءة في كتبهم. وكلام الإمام أحمد مشهورٌ، وكلامُ الشافعيِّ مشهورٌ في هذا، لكن من ابْتُلِيَ بوجودِ هذا النوعِ بشرط أن يكون لديه الملكةُ لا يكون كحال الجهم بن صفوان يُناظر وليس عنده اصطلاح، نعم يُقال: أعانك الله! هذا من الجهاد.

كما صَنَعَ شيخُ الإسلامِ، وكما صَنَعَ الإمام أحمدُ –قبله– في "الردِّ على الجهمية"، وكما صَنَعَ الدارميُّ وغيرُه من الأئمة. ولكن إذا لم يكن مُتَسَلِّحًا بالعلم، أو لم يكن هناك حاجةٌ؛ فتركُ هذا هو الأولى والسلامة، والسلامةُ لا يَعْدِلُها شيءٌ، والعقائد مبناها على الثبات والتسليم.

ولهذا لمَّا جاء أحدُ المبتدعة يريد أن يُناظرَ الشافعيَّ أخرسه، قال له: كلمةً، قال: ولا نصف كلمة، قال له طلابه: لماذا لم تسمعه؟ قال: خَشِيتُ أن يُثيروا شُبهةً في نفسي فلا أستطيع التخلصَ منها. هذا الإمام الشافعي الذي تُضرب له أكبادُ الإبلِ.

ولهذا عِمْران بن حِطَّان –يعني لو خرجنا قليلا في مسألة خطورة الجلوس ومناظرة المبتدعة والإنسان غير متسلحٍ بسلاحِ العلمِ– عمران بن حطان رأسٌ من رؤوس الخوارج، وهو كان من أهلِ السنةِ –نسأل الله السلامة!– تَحَوَّلَ إلى مذهبِ الخوارج ومدح قاتلَ عليٍّ عبدَ الرحمن بنَ مُلْجِمٍ الذي قَالَ فيه النبيُّ –صلى الله عليه وسلم–: إنه (أشقى الناس). يقول فيه يمدحه:

يا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ ما أَرَادَ بهَا إلا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانا

إنِّي لأَذْكُرُه يَوْمًا فَأَحْسِبُه أَوْفَى الْبَرِيَّةِ عند اللهِ مِيزَانًا

يقول هذا في هذا الرجل الذي قتل رابع الخلفاء الراشدين، وأخبر النبي –صلى الله عليه وسلم–: أنه (أشقى الناس). ما سبب تحوله للمذهب الخارجيِّ وكان على مذهبِ أهل السنةِ؟ كان له ابنةُ عمٍّ خارجيَّةٍ، ويقال: إنه أراد أن يتزوجها لعلَّ الله أن يَهديَها على يديْه، لكن ما كان متسلحًا بالعلم، فغلبته وتَحَوَّلَ إلى مذهبِ الخوارج.

يقول: (ولما كان بحدودِ المائة الثانية انتشرت هذا المقالة): مقالة التعطيل التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية نسبةً إلى الجهمِ بن صفوان؛ لأنه هو الذي سعى في نشرها بين الناس بسبب بِشْرِ بن غِيَاث الْمَرِيسِي المتوفى سنة ١١٨هـ، وهو الذي امتحن الناس وامتحن الإمام أحمد بالقول في خلق القرآن.

قال عنه الذهبي كلام جميل يقول: "نظر في الكلام فغلب عليه وانسلخ من الورع والتقوى، وَجَرَّدَ القولَ بخلق القرآن ودعا إليه، حتى كان عينَ الجهميَّة في عصره وعالِمَهم، فَمَقَتَه أهلُ العلم" إلى آخر ما ذكر، ولهذا كان يسميه بِشْرَ الشر تمييزًا له عن بِشْرٍ الحافي.

يقول: بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقته وكلام الأئمة مثل مالك وسفيان بن عيينة المتوفى سنة ١٩٨هـ و عبد الله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١هـ، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم تلميذ أبي حنيفة المتوفى سنة ١٨٢هـ، والشافعيّ، وأحمد، وإسحاق بن راهويه المتوفى سنة ٢٣٨هـ، والفضيل بن عياض الزاهد الإمام المعروف المتوفى ١٧٨هـ، وبشر الحافي أيضًا الذي أثنَى عليه الإمامُ أحمد قال: "مات بشر والله وماله نظير إلا عامر بن عبد قيس"، وغيرهم في هؤلاء؛ أي في هؤلاء الْمَرِيسِيَّة وفي هؤلاء المعطلة كثيرٌ في ذَمِّهم وتضليلهم.

نجيب على سؤال الأخت: تقول مذهب نفاة الصفات هل ما زال موجودًا هذا الوقت؟

لا شك، لا زال موجودًا ومنتشرًا ومتمثلاً في مذهبِ المعتزلة والجهمية الذي يُنَاصَرُ وله مَنْ يُدَافِعُ عنه، وله من يؤلف فيه ويَرُدُّ على أهل السنة، بل له مدارس.

وكذلك مذهب الأشاعرة لا يخفى على أحدٍ مدى انتشاره في العالم الإسلاميِّ وكل هذه مذاهب نفاة الصفات، فلا زال موجودًا بهذه الأسماء وبأسماء أخرى وتيارات أخرى.

يريد يا شيخ إن الغموض والإشكال في الأمور الاعتقادية أمور قد لا يظهر الإنسان إلا إذا سئل وإذا إنسان آخر فلا تنكر عليه في عبادات تتفق أن وإياه، لكن في أمور الاعتقاد أمور باطنة قد لا يُصَرِّح بها إلا إذا سئل أو أظهر شيئًا منها.

جميل، لكن ينبغي أن نَتَنَبَّهَ أنَّ عامَّة المسلمين هؤلاء الذين لا يُصَرِّحون الأصل فيهم أنهم على الحقِّ وعلى السنةِ والسلامةِ. إنما الإشكال غالبًا في المتعلمين، وفيمن يُسَمَّوْن بطلبة العلم، فهؤلاء يصرحون ويكتبون ويؤلفون، وكتبهم الآن ملأتِ الدنيا ومعاصرون لنا، ويردون على كبار أئمة أهل السنة، ويُسَمُّونهم -كما سماهم أسلافهم من الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة- يُسَمُّون كبارَ أهلِ السنةِ بأنهم مجسمةٌ، حشوية، مشبهة، ضُلاَّل، بل منهم من كَفَّرَ كبار أئمة أهل السنة، موجودون الآن ولهم أتباع ولهم طلاب.

وإن صرحنا بالاسم فالأحباش الآن أتباع عبد الله بن حبشي منتشر الآن في شتى أصقاع العالم وله أنصار، هم في مذهب الصفات جهمية، ويعلنون هذا صراحةً. ولهذا عدوهم اللدود شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة، والإمام أحمد، ومحمد بن عبد الوهاب، والآن لهم مناظرات، ولهم قنوات، ولهم مواقع، ولهم دعوة، وينتشرون في الناس انتشارَ النارِ في الهشيم.

(وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذَكَرَها أبو بكر ابن فُورَك في كتابه "التأويلات" وَذَكَرَها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازيّ في كتابه الذي سَمَّاه "تأسيس التقديس"، ويوجد كثير منها في كلام خلقٍ غيرِ هؤلاء مثل أبي عليٍّ الجبائيِّ، وعبد الجبَّار بن أحمد الْهَمَدَانِيّ، وأبي الحسين البصري، وأبي الوفاء ابن عقيل، وأبي حامد الغزالي، وغيرهم هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشرٌ الْمَرِيسيُّ التي ذكَرَها في كتابه وإن كان قد يوجد في كلام بعض هؤلاء رد التأويل وإبطاله أيضًا، ولهم كلام حسن في أشياء.)

يقول: (وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس): التأويلات الموجودة عنْد الأشاعرةِ، وفي وقت الشيخ كانت منتشرة والمذهب الأشعري منتشر، وعندهم تأويلٌ لكثيرٍ من الصفاتِ مثل أكثر التأويلاتِ التي ذَكَرَها أبو بكر ابن فرك وهو محمد بن حسن بن فورك أبو بكر الأنصاريّ الأصفهانيّ الأشعريّ المتكلم. تتلمذ على يد أبي الحسن الباهليّ تلميذ أبي الحسن الأشعريّ، وتُوفِّي سنة ٤٠٦هـ، هذا له كتاب طُبِعَ أسماه "مشكل الحديث"، ذكَرَ فيه جملةً من الأحاديثِ الصحيحةِ والضعيفةِ والموضوعةِ، لكنه سَلَكَ في هذا الكتاب مسلكَ الأشاعرة في تأويلِ كلِّ حديثٍ يُثْبِتُ صِفَةً من الصفاتِ، وأَدْخَلَ كلَّ حديثٍ يَدُلُّ على صفةٍ أنه من الْمُشْكِلِ ويَحْتَاجُ إلى حلِّ وإيضاحِ هذا الإشكال فأوَّله على مذهبِ الأشاعرةِ، ولهذا هو من أوائل من أدخل علم الحديث في علم الكلام وفي مجال علم الكلام.

بالطبع ألفه هو في مقابل كتاب ابن قتيبة -رحمه الله- "تأويل مختلف الحديث"، وَشَتَّانَ بيْن الكتابيْن.

يقول الشيخ (التي ذَكرَهَا أبو بكر ابن فورك وهو من كبارِ الأشاعرةِ ويَرجعون إليه ويعتبر الكتابُ مرجعًا لهم في كتابِ "التأويلات"، وذكرها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي): هذا المشهور محمد بن عمر بن الحسن أبو علي صاحب المؤلفات الكثيرة؛ كالتفسير الكبير، والأربعين، وأساس التقديس، وتوفي سنة ٦٠٦هـ ويُعتبر من أكثرِ الْمُنَظِّرين لمذهبِ الأشاعرةِ، ويعتبر من أذكياء العالم حقيقةً، لا يُغْلَبُ.

قال عنه الذهبي -رحمه الله-: "العلامة الكبير ذو الفنون كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين" ثم قال عنه: "وقد بدت في تواليفه بلايا وعظائم وسحرٌ وانحرافاتٌ عن السنة، والله يعفو عنه فإنه توفي على طريقة حميدة والله يتولى السرائر".

ولهذا شيخ الإسلام يقول: "لعله رجع في آخر حياته"، وسمعنا كلامه في أول الكتاب في آخر حياته يقول: "لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية؛ فما رأيت تشفي عليلا ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن..." إلى آخر ما ذكر. فَلَعَلَّه رَجَعَ عن هذه المؤلفاتِ.

يقول: (في كتابه الذي سماه "تأسيس التقديس"): هو كُتَيِّبٌ صغير، لكن يعتبر -على اسمه "أساس التقـديس"- مرجعًا للأشاعرة، ملأه من قضية التأويلات والتقعيد لمذهب الأشاعرة، وردَّ عليه شيخ الإسلام -رحمه الله- في كتابه الضخم الذي طبع الآن في تسع مجلدات "نقض التأسيس"، رد عليه الشيخ كتاب أسماه بـ: "نقض التأسيس".

يقول: (ويوجدُ كثيرٌ منها في كلام خلقٍ غيرِ هؤلاء): يعني غير أبي بكر ابن فورك وغير كلام الرازي.

(مثل أبي علي الجبائي): أبو علي الجبائي محمد بن عبد الوهّاب وهو من كبار أئمة المعتزلة المتـوفى سـنة ٣٠٣هـ، وعلى يديه تتلمذ أبو الحسن الأشعريُّ. معروف أن أبا الحسن تتلمذ على أبي عليٍّ الجبائي ونَشَأَ علـى مذهبِ الاعتزالِ لمدة أربعين سنةً ثم رَجَعَ عن مذهبِ المعتزلةِ.

يقول: بالنسبة للآية أمس: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾، الآية هذه بالنسبة لمعتقد أهل السنة والجماعة هـل تـرك الحكم جائز بما أنزل الله؟ هل ه للكفر أو للمعاصي برده؟ وهناك شبهة استحلال قرأت مقـالات وردود علميـة نشرت استحلال يعني هي أشكلت عليَّ بصراحة، بالنسبة للحكم بغير ما أنزل الله استحلال يعني يقـال معـصية كالزنى وغيره، فهل نفرق بين الحاكمين والإنسان العاصي بفعل الكبائر أم أن الكبائر لا بـد مـن الاسـتحلال؟ وبودي أن تُفَصِّلَ القول يا شيخ.

يقول: (وعبد الجبار بن أحمد الْهَمَذَاني): المشهور بالقاضي عبد الجبار المتوفى سنة ٤١٥هـ أيضًا من كبار أئمة المعتزلة، وله كتاب "الأصول الخمسة" و"شرح الأصول الخمسة" و"متشابه القرآن" كلها في تقعيـد مـذهب المعتزلة.

(وأبي الحسين البصري): محمد بن علي أيضًا المتوفى سنة ٤٣٦هـ وهو من كبار أئمة المعتزلة.

(وأبي الوفاء ابن عقيل): علي بن عقيل الحنبلي أيضًا كان متأثرًا بمذهب المعتزلة، لكن لعله رجع عن هـذا المذهب.

ولهذا الشيخ يقول عنه: (وكان الأشعريُّ أقربَ إلى مذهب أحمد وأهل السنة من كثيرٍ منَ المتأخرين الْمُنتسبين إلى أحمد الذين مالوا إلى بعض كلام المعتزلة؛ كابن عقيل، وأبي حامدٍ الغزالي.)

أبو حامد المعروف محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطُّوسيّ الشافعيّ الغزاليّ المتوفى سنة ٥٠٥هـ. وأبو حامد الغزالي من الشخصيات التي كَثُرَ الكلام حولها، وحقيقةً صار فيها شيء من الاضطراب، ولهذا قال عنه أبو بكر ابن العربي: "شيخنا أبو حامد بَلَعَ الفلسفةَ وَأَرَادَ أنْ يَتَقَيَّأَهَا فما استطاع".

وَمَرَّ في حياتِه بمراحلَ، مَرَّ بمذهبِ المتكلمين، وبالتصوف، وبالفلسفة، ولَعَلَّه في آخر حياته رَجَعَ إلى مذهبِ أهلِ السُّنةِ؛ لأنه تُوفِّي وصحيحُ البخاريِّ على صدره -رحمه الله-.

ولهذا قال عنه القاضي عياض: "والشيخُ أبو حامدٍ ذو الأنباء الشنيعة والتصانيف العظيمة غَلاَ فـي طريقـة التَّصَوُّفِ وَتَجَرَّدَ لنصرِ مذهبهم، وَصَارَ داعيةً في ذلك..." إلى آخر ما ذكره.

الشاهد أنه يعتبر من أئمة الأشاعرة، وهو لما انتقل إلى مذهب الفلسفة سلك مسلك المتكلمين وَأَلَّفَ على منهج الأشاعرةِ يقول: (وغيرهم هي بعينها التأويلات التي ذَكَرَهَا بشر المريسي.)

يعني هذه التأويلات التي ذكرها الرازي، وذكرها أبو بكر ابن فورك، وذكرها الغزالي، وذكرها أئمة المعتزلة -الذين يعتبرون أعداءَ أو الأشاعرةَ يعتبرون أعداء للمعتزلة- هي بعينها -كلها- تَرجع إلى التأويلاتِ التي ذَكَرَهَا

بشرٌ بن غياث المريسي الذي ذمَّه الأئمةُ والعلماءُ، وَشَنَّعُوا عليه يقول: (ذكرها في كتابه): له كتابٌ اسمه "كتاب التوحيد".

(وإن كان قد يُوجدُ في كلامِ بعضِ هؤلاءِ ردُّ التأويل وإبطاله): أي في كلام هؤلاء الذين سَبَقَ ذكرُهم، فهم لا يأخذون التأويلَ بإطلاق ويؤولون كل الصفات. لا، بعضهم قد يُثبت بعضَ الصفاتِ، فليس لهم قاعدةٌ مُطَّرِدَةٌ، وهذا من الأمانةِ العلميةِ لدى الشيخِ.

يعني قال: أنا لما قلت إنَّ التأويلات الموجودة عندهم هي تأويلاتٌ بِشْرٍ المريسي لا يعني أنهم يوافقون بِشْرًا في كلِّ شيءٍ، ولا يعني أن -مثلاً- أبا حامدٍ أو الرازيَّ أو ابنَ فورك يوافقون القاضيَ عبدَ الجبارِ أو يوافق أبا الحسين البصريَّ في كلِّ شيء. لا، لكنَّ التأويلاتِ الموجودة عندهم هي تأويلاتُ المعتزلةِ هي تأويلات بشر بن غياث المريسي.

يقول: (ولهم كلام حسن في أشياء): وهذا أيضًا من الأمانة العلمية ومن الإنصاف، ليس كلام هؤلاء كله باطل، وليس كلامهم كله ضلالاً، بل فيه حق وفيه باطل ولهم كلام حسن.

ولهذا قال: مما يُحمد لهم أنهم وقفوا في وجوه الفلاسفة، وأنهم رَدُّوا على المعتزلةِ، وردوا عليهم بالعقل، لكن يبقى أن لهم كلامًا باطلاً ينبغي بيانُه.

يقول: كيف يُعاملُ صاحبُ الهوى؟ وهل يعاملون أنهم كفارٌ خارجون عن الدين؟

الله -عزّ وجلّ- قال عنْ أصحابِ الهوى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾[الجاثية: ٢٣]، فَسَمَّاه الله -عزّ وجلّ- إلاهًا، وذَكَرَ بعضُ السلفِ أنَّ الله ما ذكَرَ الهوى إلا ذمَّه في القرآن.

وهذا الهوى قد يُخرجُ الإنسانَ عن دائرةِ الإسلامِ إذا دَفَعَه للقول أو الفعل بناقضٍ من نَوَاقِضِ الإسلامِ أيًّا كان هذا الناقض اعتقاديًّا أو عمليًّا. وقد يكون أخفَّ من هذا، وأحيانا يدفع الهوى الإنسانَ للمعصيةِ ولا يَدفعه حتى لفعلٍ أو قولٍ ما يَتَعَارَضُ أو يَتَنَافى مع كمالِ الْمُعْتَقَدِ، فالذي يفعلُ المعصية هو -في واقع الأمر- مستجيبٌ ومستسلم لهواه، وإلا لو قهَرَ هواه؛ لاستسلمَ للهِ -عزّ وجلّ- ولَمَا فَعَلَ هذه المعصية.

سؤال الأخ في آية ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: هل تَرْكُ الحكم بما أنزل الله هل يعتبر من الكفر أم من المعاصي؟ أشكل عليه قضية الاستحلال.

تركُ الحكم بغير ما أنزل الله مسألةٌ تَكَلَّمَ فيها أهلُ العلم قديما وحديثا، والله -عزّ وجلّ- قال في ثلاث آياتٍ من سورة المائدة:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[المائدة: ٤٤] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[المائدة: ٤٥] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[المائدة: ٤٧].

فهل الحكم بغير ما أنزل الله يعتبر كفرًا مخرجًا عن الملة أم غير مخرج عن الملة؟

أولا: الاستحلال بإجماع العلماء كُفْرٌ مخرجٌ عن الملة، من استحل الحكم بغير ما أنزل الله. كذلك استحل أمرًا معلومًا من الدينِ بالضرورةِ.

لكنْ هناك ضوابطُ لا بدَّ أن تُذكرَ في مسألةِ تَكفيرِ الْمُعَيَّنِ حتى ولو استحلَّ أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة.

قضية زوال المانع، قد يكون جاهلاً، قد يكون متأولاً، كما حَصَلَ من ذاك الصحابيِّ في زَمَنِ عمر بن الخطاب شَرِبَ الخمرَ، من؟ قُدَامَةُ –رضي الله عنه–، سأله عمر ما حملك على هذا؟ قال: قولُ اللهِ –عزّ وجلّ–: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾[المائدة: ٩٣]. فالرجل شرب الخمرَ مُستحلاً له، ولم يحكم عليه عمر بالردة؛ لأنه متأولٌ هنا.

كذلك من استحلَّ أمرا معلومًا من الدين بالضرورةِ لا بد أن يُزالَ المانعُ عنه فيُعْرَفَ أنه ليس بجاهل، ليس بمتأول.

بقي هل الحكم بغير ما أنزل الله كفر أكبر أم لا؟

ابن القيم ذَكَرَ حالاتٍ، وبمعرفةِ هذه الحالاتِ يزول الإشكال. قال: من اعتقد أن غيرَ حكمِ ما أنزل الله أفضل من الحكم بما أنزل الله أو اعتقد أن الحكمَ بغير ما أنزل الله مُسَاوٍ للحكم بما أنزل الله، أو أنَّ الحكم بما أنزل الله أفضل لكنْ يَجوزُ له الحكمُ بما أنزل الله؛ فلا شكَّ في كفره كفرًا أكبر مخرجًا عن الملة.

لكنْ مَنْ حَكَمَ بغيرِ ما أنزل الله في مسألةٍ أو في قضيةٍ لِهَوًى أو لشهوةٍ فهذا يكون كفرًا دون كفرٍ، ويكون كفرا غيرَ مخرجٍ عن الملةِ، وتُنَزَّل هذه الآية: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ أنَّ المقصودَ –هنا– تمامُ وكمالُ وليس أصلَ الإيمان. كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم– في الحديث الذي في الصحيحين: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)، وبإجماع العلماء أنَّ الزاني لا يَخرج عن دائرةِ الإسلامِ، (ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن). والأحاديث في هذا الباب كثيرة: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، قال أهل العلم: المقصود –هنا– بنفي الإيمانِ نفيُ كمالِ الإيمانِ.

يقول: الذي يعتقد أن الدين قد ظلمه في بعض الأحكام مثل الأعياد أن ليس لدينا إلا عيدان، هل يعتبر من الكفرة أم يُتهم بالكفر أم أنه يُرد عليه؟

لا، مَنْ يَسْخَرُ بالدين، لا شكَّ أن السخرية بالدين أو بالله –عزّ وجلّ– أو بالرسول هذا عَدَّه الله –عزّ وجلّ– كفرًا: ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[التوبة: ٦٥: ٦٦]، لكن هذا أيضًا لا بد أن يكون الشخص غيرَ جاهلٍ عالِمًا، قد يكون متأولاً، قد يكون له مقصدٌ آخرُ، فهو بهذا الكلام نقول: ضَالٌّ جاهلٌ عاصٍ، لكن إذا قصد السخرية من الدين أو السخرية بالرسول –صلى الله عليه وسلم– أو السخرية بالله –عزّ وجلّ–؛ فلا شك أن هذا يعتبر كفرًا.

ثم قال: (فإنما بينت أنَّ عينَ تأويلاتهم هي عينُ تأويلاتِ المريسي، ويدل على ذلك كتاب الردِّ الذي صَنَّفَه عثمانُ بن سعيد الدارميّ أحدُ الأئمةِ المشاهيرِ في زمانِ البخاريِّ، صَنَّفَ كتابًا سَمَّاه "رد عثمان بن سعيد على الكاذبِ العنيدِ فيما افترى على اللهِ في التوحيدِ" حَكَى فيه هذه التأويلاتِ بأعيانها عن بشر المريسي بكلامٍ يقتضي أنَّ المريسيَّ أَقْعَدُ بها وأعلمُ بالمنقولِ والمعقولِ من هؤلاءِ المتأخرين الذين اتَّصلَتْ إليهم من جهتِه، ثم رَدَّ ذلك عثمان بن سعيد بكلامٍ إذا طَالَعَه العاقلُ الذكي؛ عَلِمَ حقيقة ما كان عليه السلفُ، وتَبَيَّنَ له ظهورُ الحجةِ بطريقهم وضعف حجة من خالفهم.)

يقول الشيخ: (فإنما بينت أن عين تأويلاتهم)؛ أي تأويلات هؤلاء المتكلمين المتأخرين هي عينُ تأويلات بشر المريسي، ما الدليل على ذلك يقول: (انظر إلى الكتاب الذي صَنَّفَه عثمانُ بن سعيد الدارميّ) –رحمه الله– المتوفى سنة ٢٨٠هـ، سماه "رد عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله في التوحيد".

وهذا الكتابُ مطبوعٌ –ولله الحمد– ومتداول، ولهذا قال عنه ابن القيم –رحمه الله– واصفا لهذا الكتاب: "وكتاباه –أي الرد على بشر المريسي والرد على الجهمية، لأن له كتابًا في الرد على الجهمية وله كتابًا في الرد على بشر المريسي– يقول: (وكتاباه –يعني النقض على المريسي والرد على الجهمية– من أجلِّ الكتبِ المصنَّفةِ في السنةِ وأنفعها، وينبغي لكل طالب سنةٍ مرادُه الوقوفُ على ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أنْ يَقْرأَ كتابيه. وكان شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّةَ يُوصي بهذين الكتابين أشدَّ الوصيَّةِ، ويُعَظِّمُهما جدًّا، وفيهما من تقريرِ التوحيدِ والأسماءِ والصفاتِ بالعقلِ والنقلِ ما ليس في غيرهما –رحمه الله–".

يقول الشيخ: حَكَى فيه؛ أي في كتابه هذا في "الردِّ على بشرِ المريسيِّ" التأويلاتِ بأعيانها عن بشر المريسي بكلامه يعني تأويلات هؤلاء المتأخرين هي عينها تأويلات بشر المريسي.

يقول: (يقتضي أن المريسي أقعدُ به): يعني أكثر تقعيدًا، أقرب إلى الحقِّ، أقرب إلى المعقول، أقرب إلى المنقول من هؤلاء المتأخرين. مع أنَّ الأئمة ذَمُّوا بشرًا المريسي وأجْمَعُوا على ضلالِه وانحرافِه ومَعَ ذلك يقول الشيخ: كلامه أقعدُ وأقربُ للمعقولِ والمنقولِ من كلام هؤلاء المتأخرين الذين انتقل إليهم هذا المذهب عن طريقهم.

يقول: (وأعلمُ بالمنقولِ والمعقولِ منْ هؤلاءِ المتأخرين الذين اتَّصَلَتْ إليهم)؛ أي اتصلت هذه التأويلاتُ الباطلةُ عن طريقه ومن جهته.

(ثم رَدَّ ذلك عثمانُ بن سعيد بكلامٍ إذا طالعه العاقل الذكي؛ علم حقيقة ما كان عليه السلف): بمعنى تَبَيَّنَ له أنَّ السلفَ كانوا أعلمَ بالعقلِ والنقلِ من هؤلاءِ المتأخرين والمتقدمين، وتَبَيَّنَ له ضعفُ حجةِ هؤلاء فيما زَعَمُوا أنَّهم يَسْتَنِدُون إلى العقلِ؛ لأنَّ الإمامَ الدارميَّ –رحمه الله– ردَّ في هذا الكتابِ على بشرِ المريسي بالعقل والنقل.

أسئلة المراجعة

السؤال الأول:

ما المرادُ بالصفاتِ السلبيةِ والصفاتِ الإضافيَّة؟

يقول: هل يجوز أنْ أرُدَّ على المعتزلةِ بفتاوى العلماء؟

لا شكَّ أنَّ الردَّ على هؤلاء لا يكون إلا بكلامِ أهلِ العلمِ. وكلامُ أهلِ العلمِ مبناه على الكتابِ والسنةِ والعقلِ الصحيحِ، وكلام المعتزلة في هذا الباب غالبًا مَبْنِيٌّ على شبهاتٍ عقليَّةٍ ظَنُّوا واعتقدوا أنَّها أصولٌ وقواعدُ عقليَّةٌ، ولهذا يَحْسُنُ الردُّ عليهم بالنقلِ والعقلِ حَتَّى يُبَيَّنَ أنَّ ما ذَكَرُوه لا يُوافِقُ العقلَ الصحيحَ.

الدرس الحادي عشر

شرح وتعليق على كتاب الفتوى الحموية الكبرى

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

نستعرض إجابات السؤال الماضي، وأيضًا لوجود خلل في الموقع ربما -إن شاء الله تعالى- يتم إصلاحه في القريب العاجل، وفي ثنايا هذه الحلقة لعلنا نطرح أو نأخذ سؤالاً منكم ونتلقى إجابات من الإخوة الحضور معنا في هذا الدَّرس.

ذكَرَ الشيخُ أنَّ الفلاسفة المتكلمين يَصِفُون الله -عزّ وجلّ- إمَّا بالسلب أو الإضافات، والسؤال الذي طُرِحَ في اللقاء السابق: ما المراد بالصفات السلبية والصفات الإضافية؟

يلزم ذكر مثال أيضًا حتى تتضح الصورة؟

ممكن.

يقول: الصفات السلبية هي المبدوءة بالنفي.

مثل:

يقول: يعني ليس بجوهر أو ليس بجسم أو مثل ذلك.

أو ليس بسميعٍ أو ليس ببصيرٍ.

والإضافيةُ هي الأمورُ المتقابلة التي لا يُعقلُ معناها إلا مع غيرها.

مثل؟

هل يستطيع أحد من الإخوان أن يمثل لنا؟

يقول: هو مبدأ لهذه الكثرة علة لحركةِ الفلكِ.

جميل، مثل ما وَصَفَ الفلاسفةُ الله -سبحانه وتعالى عما يقولون- أنه العلة، فالعلة لا يمكن أنْ توجدَ إلا مع وجودِ المعلوم؛ مثل وصف المتكلمين له بأنه القديم. القديم يكون مع وجودِ الجديدِ.

وفي محيطنا البشريِّ مثل صفة الأبوة، ليست صفة حقيقة، وإنما هي صفةٌ إضافيةٌ لما وُجِدَ الابنُ اتصفَ هذا الشخصُ بالأبوة، كذلك البنوة لولا الأبوة ما سُمِّيَ ابنًا، والقبلية والبعدية ونحو ذلك.

والإجابات؟

جميل، إجابة صحيحة.

نستمر معكم يا شيخ في قراءة الإجابة، ونُنَوِّهُ الإخوة بأننا نسعد كثيرًا بتَلَقِّي الاتصالاتِ في ثنايا هذه الحلقة لمن أشكل عليه مسألةٌ أو أَرَادَ أن يَسْتَوْضِحَ منها فالمجال مفتوح للإخوة الحضور معنا في هذا الدَّرس المبارك.

قال شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة –رحمه الله تعالى– في جوابه على الفتوى الحموية الكبرى: (ثم إذا رأى الأئمة –أئمة الهدى– قد أجمعوا على ذمِّ المَرِيسِيَّةِ وأكثرُهم كَفَّرُوهم أو ضَلَّلُوهم، وعَلِمَ أنَّ هذا القولَ الساريَ في هؤلاء المتأخرين هو مذهب المريسية؛ تَبَيَّنَ الهدى لمن يريد الله هدايتَه ولا حول ولا قوة إلا بالله. والفتوى لا تحتمل البسْطَ في هذا البابِ، وإنما نشير إشارة إلى مبادئ الأمور، والعاقل يسير فينظر.)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

يقول الشيخ: (إذا رأى)؛ أي القارئ، والمطلع، وطالب الحق (إذا رأى الأئمة –أئمة الهدى– قد أجمعوا على ذم المريسية): أتباع بشر بن غياث المريسيِّ، الذي ظَهَرَ زَمَنَ الإمام أحمد.

(وأكثرهم كفروهم أو ضللوهم): كما حكى ذلك البخاريُّ –رحمه الله– في كتابه "خلق أفعال العباد"، وكما ذكر ذلك عبد الله بن الإمام أحمد في كتابه "السنة"، وكما ذكر الإمام الدارميُّ في كتابه "الرد على بشر المريسي" و"الرد على الجهمية".

وعَلِمَ أن هذا القولَ الساري في هؤلاء المتأخرين من المتكلمين المنتسبين لأبي الحسن الأشعري؛ أي الأشاعرة هو مذهب المريسية الأوائل الذين ذَمَّهَم الأئمة وَرَدُّوا عليهم وَبَيَّنُوا ضلالَهم.

يقول الشيخ: كلام المتأخرين في الصفات هو كلام المريسية، فهو امتداد لكلامِ المريسيَّة وإن زَعَمَ المتأخرون أنهم أعداءُ ألدَّاءُ للمريسيَّة، وأنهم هم الذين تبنوا الرد عليهم. الشيخ يقول: كلامهم في الصفات مُتَّحِدٌ، كلامهم سواء بسواء.

(تبين الهدى لمن يريد الله هدايته): بمعنى إذا اتضح للإنسان فهذا هو طريقُ الحقِّ، وهذا هو طريق الصواب إذا كان يُريد ويبحث عن الحقِّ، أما إن كان يريد العِنَادَ واتِّبَاع الهوى؛ فهذا لا حيلة فيه، فقد أعْيَى الأنبياءَ هذا الداءُ قبل ابن تَيْمِيَّة وغيرَ ابن تَيْمِيَّة. ودائما العدو اللدود للأنبياء والحائل الذي يَحُولُ بين وصولِ الحقِّ إلى المدعوِّين هو الهوى واتباع الهوى.

يقول الشيخ: (والفتوى لا تَحْتَمِلُ البسطَ في هذا الباب): يقول: الكتاب عبارة عن فتوى، ودائما الفتاوى تكون مختصرةً، ويذكر فيها غالبًا القولُ الراجحُ بعيدًا عن ذِكْرِ الشُّبَهِ والإجابةِ عنها.

ولهذا يقول: نحن مستعدون لذكرِ الشبهِ والردِّ عليها وبسْطِ الكلامِ، لكنْ هذه فَتْوَى لا تَحْتَمِلُ هذه الإطالة.

(وإنما نشير إشارةً إلى مبادئ الأمور والعاقل يسير فينظر.)

يقول: أنا أُعطي إشاراتٍ، وأُعطي مُؤشراتٍ فمن أراد الحقَّ؛ وُفِّقَ له، والله –عزّ وجلّ– وَهَبَ الإنسانَ العقلَ وَأَنَارَ بَصِيرَتَه بالهدى، فإن طلب أو تحرى الهدى؛ وُفِّقَ له.

(وكلام السلف في هذا الباب موجود في كتب كثيرة لا يمكن أن نَذْكُرَ -هنا- إلا قليلاً منها؛ مثل: كتاب "السنن" لللالكائي، و"الإبانة" لابن بطة، و"السنة" لأبي ذرٍّ الهرويِّ، و"الأصول" لأبي عمر الطلمنكيِّ، وكلام أبي عمر ابن عبد البرِّ، و"الأسماء والصفات" للبيهقيِّ، وقبل ذلك "السنة" للطبرانيِّ، ولأبي الشيخ الأصبهانيِّ، ولأبي عبد الله ابن مندةَ، ولأبي أحمد العسَّال الأصبهانيِّ، وقبل ذلك "السنة" للخلاَّل، "التوحيد" لابن خُزَيْمَةَ، وكلام أبي العباس ابن سُرَيْج، و"الرد على الجهمية" لجماعة، وقبل ذلك "السنة" لعبد الله بن أحمد، و"السنة" لأبي بكر ابن الأثرم، و"السنة" لحنبل، والْمَرُّوذِيِّ، ولأبي داود السِّجِسْتَانِيِّ، ولابن أبي شَيْبَة، و"السنة" لأبي بكر ابن أبي عاصم، وكتاب "الرد على الجهمية" لعبد الله ابن الْجُعْفِيِّ شيخ البخاريِّ، وكتاب "خلق أفعال العباد" لأبي عبد الله البخاريِّ، وكتاب "الرد على الجهمية" لعثمان بن سعيد الدَّارمي، وكلام عبد العزيز المكِّيِّ صاحب "الحيدة" في الرد على الجهمية، وكلام نُعَيْم بن حَمَّاد الْخُزَاعِيِّ، وكلام الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن رَاهَوَيْه، ويحيى بن يحيى النَّيْسَابُورِيِّ، وأمثالهم وقبل هؤلاء عبد الله بن المبارك أمثاله، وأشياء كثيرة.)

الشيخ الآن بَدَأَ يَذكرُ جُمْلةً من الأئمة الذين عُنوا بنقلِ مذهبِ السلفِ في أسماءِ اللهِ وصفاتِه، وذِكْرِ بعضِ المصادرِ التي عُنِيَتْ أيضًا بذكرِ مذهبِ السلفِ والردِّ على الجهميِّةِ المعطلةِ.

يقول: (وكلام السلف في هذا الباب)؛ أي في باب الأسماء والصفات (موجود في كتب كثيرة لا يمكن أن نذكر هنا إلا قليلا منه)، والشيخ -رحمه الله- ذَكَرَ جُمْلَةً منَ الكتبِ والمصادر التي لا زالت مفقودةً، وبعضها لا زال في عالم المخطوطات، وبعض هذه الكتب ضَمَّنَه الأئمة كُتُبًا أُخرى.

أكبر؟

نعم، ضَرَبَ أمثلةً على ذلك مثل كتاب "السنن" لللالكائي، وهو هبةُ الله بن الحسين المتوفى سنة ٤١٨هـ، وهذا الكتاب طُبِعَ مؤخرا في أربعة مجلداتٍ. و"الإبانة" لابن بَطَّةَ عُبَيْدِ اللهِ بن محمد بن محمد المتوفى سنة ٣٧٨هـ. وهذان الكتابان -كتاب اللالكائي "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" وكتاب "الإبانة" لابن بطة- هما موسوعةُ أهلِ السنةِ؛ لأنَّهما -رحمهما الله- ذَكَرَا في هذا الكتابِ جُمْلَةً كبيرةً جدًّا من الآثارِ عنِ السلفِ في بابِ الأسماءِ والصفاتِ فذَكَرُوا بالآلافِ، ولهذا يُعتبر هذان الكتابان من موسوعاتِ أهلِ السنةِ.

و"السنة" لأبي ذرٍّ الهرويِّ عبد الله بن أحمد المتوفى سنة ٤٣٥هـ، وهذا منْ إنصافِ الشيخِ. أبو ذرٍّ الهرويِّ في مسائلِ أصولِ الاعتقادِ على مذهبِ الأشاعرة، لكنَّه في كتابه "السنة" ذَكَرَ الآثارَ والأحاديثَ التي تُثبِتُ الصفاتِ.

أيضًا "الأصول" لأبي عمر الطَّلَمَنْكِيِّ أحمد بن محمد المتوفى سنة ٤٢٩هـ، وهذا الكتاب لا زال مفقودا.

الأصول؟

نعم.

وكتاب "الإبانة" لابن بطة؟

نعم، طُبِعَ أكثرُه ولا يزال جزءٌ منه مفقودًا يَسَّرَ الله -عزّ وجلّ- العثور عليه! ويعتبر من الكتب القيمة؛ لأنه عُنِيَ بجمع آثار السلفِ في بابِ الاعتقادِ.

وكلام أبي عمر ابن عبد البر يوسف بن عبد الله الإمام المشهور المتوفى سنة ٤٦٣هـ، صاحب كتاب "التمهيد" و"الاستذكار" و"جامع بيان العلم وفضله".

وأيضا كتاب "الأسماء والصفات" للبيهقيِّ أبي بكر أحمد بن حسين المتوفى سنة ٤٥٨هـ، وأيضًا البيهقي – رحمه الله– سَلَكَ مَسْلَكَ الأشاعرةِ في تأويلِ بعضِ الصفاتِ، لكنْ من إنصافِ الشيخ ذَكَرَ أنَّ كتابَه "الأسماء والصفات" من الكتب الجديرة بالاهتمام؛ لأنه عُنِيَ –أيضا– بذكر الأدلة في إثبات أسماء الله وصفاته.

وقبل ذلك يُلاحظ في هذه الأسماء أنَّ الشيخَ حَاوَلَ أنْ يُنَوِّعَ بينها، فبعضهم في الفروع مالكية، وبعضهم شافعية، وبعضهم –كما سيأتي– حنابلة، فأراد أن يقول لهذا المخالف المغتر بما عليه المتكلمون يقول: إن كنتَ شافعيًّا في الأصول؛ فهذا كتاب إمامك، إن كنتَ حنبليًّا، إن كنتَ مالكيًّا، هذه كتبكم، وكتب أئمتكم تَنُصُّ على إثبات هذه الصفات.

أيضًا تنويه على شيء ذكرتموه هو ربط الشيخ بالكتاب.

نعم.

من حيث أنه لا يحال..

إلى كلام الشيخ، ولهذا "الأسماء والصفات" للبيهقي قال أهل العلم فيه: "خذ منه ما روى لا ما رأى"؛ لأنه سلك مسلك الأشاعرة في التعليق على بعض الأحاديث في تأويلِ بعض الصفاتِ.

يسوق الحديث بإسناده وهذا جيد، لكن الإشكال إذا جاء الكلام على الحديث، فأحيانا يسلك مسلك الأشاعرة فيؤوِّل هذه الصفات، ولهذا يُؤخذ من الكتاب ما روى لا ما رأى.

أيضًا "السنة" للطبراني سليمان بن أحمد صاحب المعاجم الثلاثة المتوفى سنة ٣٦٠هـ، وهذا الكتاب –أيضًا– لا يزال مفقودا، وحاول أحدُ الإخوة جَمْعَ هذه الآثارِ والسننِ من كتبٍ متناثرةٍ فجمع جملة طيبة، لكن الكتاب لا يزال مفقودًا.

ولأبي الشيخ الأصفهانيِّ عبد الله بن محمد المتوفى سنة ٣٦٩هـ، يقول: ولأبي عبد الله بن مندة محمد بن إسحاق صاحب "المسند" العظيم المتوفى سنة ٣٩٥هـ، ولأبي أحمد العسال محمد بن أحمد المتوفى سنة ٣٤٩هـ الأصفهاني. وقبل ذلك "السنة" للخلال أبو بكر أحمد بن محمد المتوفى سنة ٣١١هـ. و"التوحيد" لابن خزيمة محمد بن إسحاق المتوفى أيضًا سنة ٣١١هـ، والكتاب مطبوع وهو كتابٌ عظيمُ القدْرِ، وأثني عليه شيخ الإسلام كثيرا، وأثنى عليه تلميذه ابن القيم كثيرا.

وكلام أبي العباس ابن سريج أحمد بن عمر المتوفى ٣٠٦هـ، و"الرد على الجهمية" لجماعة؛ أي أنَّ هناك كتبًا أُفردتْ في الردِّ على الجهميةِ لمجموعة من الأئمة.

وقبل ذلك "السنة" لعبد الله بن الإمام أحمد المتوفى سنة ٢٩٠هـ وهو مطبوع أيضًا في مجلدين. و"السنة" لأبي بكر ابن الأثرم أحمد بن محمد المتوفى سنة ٢٧٣هـ. و"السنة" لحنبل بن إسحاق المتوفى سنة ٢٧٣هـ، وللمرُّوذِي أحمد بن محمد المتوفى سنة ٢٧٥هـ. ولأبي داود السجستانيِّ سليمان بن الأشعث صاحب "السنن" المتوفى سنة ٢٧٥هـ. ولابن أبي شيبة عبد الله بن محمد صاحب "المصنف" –رحمه الله–. و"السنة" لأبي بكر

ابن أبي عاصم أحمد بن عمر المتوفى سنة ٢٨٧هـ صاحب كتاب "السنة" المشهور. وكتاب "الرد على الجهمية" لعبد الله بن محمد الجعفي المتوفى سنة ٢٢٩هـ شيخ البخاري يروي عنه البخاريُّ كثيرا.

وكتاب "خلق أفعال العباد" لأبي عبد الله البخاري صاحب "الجامع الصحيح"، وكتاب "الرد على الجهمية" لعثمان بن سعيد الدارميِّ وهذا تَقَدَّمَ الكلام عليه. وكلام عبد العزيز المكي المتوفى سنة ٢٤٠هـ صاحب كتاب "الحيدة" المشهور وقد رواه ابن بطة وغير ابن بطة بإسناده، وإن كان بعض الأئمة شَكَّكَ في نسبةِ الكتابِ إليه، لكنَّ الصحيحَ أنه ثابتٌ له بنسبةِ كثيرٍ من الأئمةِ إليه.

يقول في الرد على الجهمية وكلام نعيم بن حماد الخزاعي صاحب كتاب "الفتن" المتوفى سنة ٢٢٩هـ، وكلام الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه ويحيى بن يحيى النيسابوري المتوفى سنة ٢٢٦هـ، وأمثالهم. وقبل هؤلاء عبد الله بن المبارك الإمام المشهور وأمثاله وأشياء كثيرة.

الشيخ ذكر جملة من كلام هؤلاء الأئمة، وكتب هؤلاء الأئمة ليُبَيِّنَ أنَّ هؤلاء استفاضت شهرتهم بين القاصي والداني، بين المتأخر والمتقدم، ولا أحَدَ يُشَكِّكُ في إمامةِ هؤلاءِ لا من المتكلمين ولا غير من المتكلمين. فالشيخ يُبَيِّنُ أنَّ هؤلاء الأئمة رَدُّوا على الجهميةِ ورَدُّوا عليهم في تأويلِ الصفاتِ التي أوَّلَهَا المتأخرون من المتكلمين، فالردُّ يَتَوَجَّهُ لأولئك وهؤلاء.

يقول: عندي سؤالان: السؤال الأول: عبارة "الممتنع غير مقدور" هل يجوز القول بها؟ أو هل هي صحيحة؟ وإذا كان غير كذلك؛ فلماذا وَرَدَتْ في كتاب "النبوات" لابن تَيْمِيَّةَ حول آيات وبراهين الأنبياء في معرض رده على الأشاعرة حول اشتراطِهم التحدِّي في الخارج ليكون معجزةً؟

السؤال الثاني: كيف يمكن الجمع بين حديث "كان الله في عماء قبل خلق العرش" حديث أبي رزين -أي في سحاب- و؟ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ؟[البقرة: ٢١٠]، وآية ؟ وَتَرَى الْمَلاَئِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ؟[الزمر: ٥٧]، وغير ذلك؟ كيف يمكن الجمع بين هذه الأدلة وبين علوِّ اللهِ -سبحانه وتعالى- على سائر خلقِه وعلى عدم إمكان إحاطةِ أيٍّ منهم به -جل وعلا-؟

أعدْ السؤالَ.

السؤال الثاني: حديث "كان الله في عماء قبل خلق العرش" حديث العقيلي، وآية ؟ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ؟ وآية: ؟ وَتَرَى الْمَلاَئِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ؟ يُتوهم فيها إشكالٌ بين هذه وبين صفة علو الله على جميل خلقه وعلى استحالة إحاطة أي من خلقه به -جل وعلا- فكيف يمكن الجمع بين هذه النصوص وبين هذه القاعدة؟

ثم قال: (وعندنا من الدلائل السمعية والعقلية ما لا يَتَّسِعُ هذا الموضعُ لذكره. وأنا أعلم أن المتكلمين لهم شبهاتٌ موجودةٌ، لكنْ لا يمكن ذكرُها في الفتوى. فَمَنْ نَظَرَ فيها وَأَرَادَ إبانةَ ما ذكروه من الشبهة؛ فإنه يسيرٌ. وإذا كان أصلُ هذه المقالةِ -مقالة التعطيل والتأويل- مأخوذًا عن تلامذةِ المشركين والصابئين واليهود؛ فكيف تَطِيبُ نَفْسُ مؤمنٍ بل نفسُ عاقلٍ أن يأخذَ سُبُلَ هؤلاء المغضوبِ عليهم والضَّالين ويدعَ سبيلَ الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؟!)

اختتم الشيخُ هذا المقطعَ بقولِه: (وعندنا من الدلائل السمعية والعقلية ما لا يتسع هذا الموضع لذكره): كما ذكر آنفا أنَّ الكتاب عبارة عن فتوى، والفتوى لا تحتمل عرضَ الشبهِ والردَّ والتوسُّع في ذكرِ الأدلةِ العقليةِ والنقليـــةِ، ولهذا قالَ: (وأنا أعلمُ أنَّ المتكلمين لهم شبهاتٌ موجودة): يعني يُورِدُونها على أقوالِنا هذه.

(لكن لا يمكن ذكرها في الفتوى): لأنَّ الفتوى -كما ذكرت- لا تحتمل ذكر الشبه والرد.

(فمن نظر فيها وأراد إبانة ما ذكروه من الشبه؛ فإنه يسير): لأنَّ الشيخ -رحمه الله- فَصَّلَ هذا الأمر في كتبه الأخرى؛ من أوائلها "الأجوبة المصرية على الاعتراضات الحمويَّة" وهذا الكتابُ كبير لكـــن لا يـــزال -أيـــضًا وللأسف- مفقودًا يَسَّرَ الله العثور عليه! لأنه قريب من حجم -كما ذكر ابن القيم- منهاج السنة وهو مطبوعٌ في تسعةِ مجلدات؛ لأنَّ الشيخ لَمَّا خَرَجَتْ هذه الفتوى بيْن الناس؛ أُثِيرَ عليه إشكالاتٌ واعتراضاتٌ، وَأَلَّـــفَ بعـــضُ معاصريه في الرد عليه فأجاب الشيخ عليهم في هذا الكتاب الكبيرِ الضخم، لكن لا يزال مفقودًا.

أيضًا من الكتب التي ألفها وعُنِيَتْ بالبسْطِ في ذِكْرِ الشبهِ والردِّ عليها بالأدلة العقلية والسمعية "نقض التأسيس" والشيخ ألف كتاب "نقض التأسيس" امتدادًا لكتابه "الأجوبة المصرية على الاعتراضات الحموية". فَأَلَّفَ أوَّلاً كتابَ "الاعتراضات" ثم قال: لما رأيتُ هؤلاءِ المتأخرين عمدتُهم كلامُ الرازي، والرازي أَلَّفَ كتابَ "أساس التقـــديس" يعني يعتبر هو خلاصة رأيه في مسائل الاعتقاد، رَدَّ عليه الشيخ في "نقض التأسيس" وكأنه يقـــول: ردي علـــى "نقض التأسيس" ردٌّ على الجميع.

أيضا مَنْ أراد التوسع ومعرفة هذه الشبه والرد عليها بالعقل والنقل يرجع إلى كتابه الفريـــد فـــي فنِّـــه "درء تعارض العقل والنقل" وهو -أيضًا- مطبوعٌ.

وهذه الكتب مبثوثةٌ لمن أراد معرفة الحقِّ من أصحاب الفِرَق، ومن أراد أن يجادلهم أو يحاجهم؟

نعم، يَطَّلِعُ عليها ليعرف شُبَهَ القوم، ويستطيع أنْ يَتَسَلَّحَ بالأدلةِ العقليةِ والنقليةِ تُجَاهَه.

والشبه هي هي من ذاك الوقت إلى الآن؟

هي هي يَأْخُذُها المتأخرُ عن المتقدِّم، فليس هناك جديدٌ.

يقول: وإذا كان أصل هذه المقالة -مقالة تعطيل الصفات- والتأويل -والتأويل ســـيأتي بيانـــه إن شـــاء الله- مأخودًا عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود؛ لأنَّ الشيخ ذكر أنَّ سَنَدَ هذه المقولة ليـــست عـــن المـــسلمين، أصولها لم تنشأ لا في بيئة إسلامية ولا عن أناسٍ منتسبين للإسلام، فكما ذَكَرَ أنَّ بعضها مأخوذٌ عن الفلاســـفة، وبعضَها عن الفاطميَّةِ، وبعضها عن اليهودِ عن لبيدِ بن الأعصم.

يقول: (فكيف تَطِيبُ نَفْسُ مُؤْمِنٍ بل نَفْسُ عاقلٍ أن يَأْخُذَ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم): الـــذين هـــم اليهـــود والصابئين والمشركين والضالين.

(وَيَدَعُ سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين): لأنَّ كلامَ هؤلاءِ موجودٌ فـــي الكتابِ والسنةِ لمن أراده.

السؤال الأول: عبارةُ "الممتنع غير مقدور" ذَكَرَهَا شيخ الإسلام في كتاب "النبوات" هل صحيحةٌ هذه العبارة؟

الممتنع كما ذكر الشيخ في مواضعَ أُخرى الممتنع ممتنعٌ، ولهذا لا يُقال: إن الله قادر أو غير قادر؛ لأنه ممتنعٌ على اسمِه. بقي -هنا- أنَّ كلمة الشيخ تحتاج إلى مراجعة، وينظر الكلام الذي قبلها والذي بعدها؛ فربما مقصودُها غير مقدور أي غير موجود، ولا يمكن تَحَقُّقُه، الممتنع عقلاً مثل كون الشيء موجودًا معدومًا هل هذا يمكن؟ يستحيلُ، أو يأتي شخصٌ ويَدَّعِي النبوةَ ويُؤيِّدُه الله -عزّ وجلّ- بالبراهين والآياتِ هذا ممتنع؛ لأنه كذَّابٌ. فالممتنع على اسمه ممتنع، كما أن المعدوم على اسمه معدوم.

السؤال الثاني: في قضية الجمع بين الأدلةِ التي ساقها، قضية إشكال علو الله على خلقه. يقول: هذه الأدلة قد يُفهم منها وقد يأخذ منها مَنْ يأخذ، هذه الإشكالية من الله -سبحانه وتعالى-؟

نعم، ذكَرَ الأزهريُّ -رحمه الله- عند قوله: ؟ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ؟، قال: نحن نُؤمنُ ونُثبتُ أنَّ الله يأتي وفي ظلل من الغمام، لكن مقدار هذا الغمام وكيفية إتيانه وكيفية هذا الغمام الله أعلم بها.

ربما الذي أشكل على أخينا في ظلل من الغمام مثل: ؟ أَأَمِنْتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ؟[الملك: ١٩]، كونه لم يفهم أو غيره مِنْ "في" إلا الظرفية نقول: لا، "في" بمعنى الظرفية وتأتي بمعنى "على" وعندنا من الأدلةِ السمعيَّةِ والعقليِّةِ الْمُحْكَمَةِ الواضحةِ التي تَدُلُّ على أنَّ الله عالٍ على الخلق، فيكون هذا الدليلُ من الأدلةِ الْمُتشابهةِ التي تُرَدُّ إلى المحكم، فيؤخذ بالمحكم أننا نؤمن أنَّ الله عالٍ على الخلق، وأنَّ هذه الآية على ظاهرها ولا تَدُلُّ على أنَّ هناك شيئًا من الخلق يُحيطُ بالله -عزّ وجلّ- أو يعلو الله -عزّ وجلّ- تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا!

يقول: الآن من اعتقد أن الحكمَ بغيرِ ما أنزل الله يجوز مع أفضلية الحكم بما أنزل الله، هل هذه مقولةٌ كفريةٌ؟

هذه المقولة ذَكَرَهَا ابنُ القيِّم -رحمه الله- يقول: لأنَّ الله -عزّ وجلّ- حَرَّمَ الحكمَ بغيرِ ما أنزل الله، وهذا التحريم معلومٌ من الدينِ بالضرورةِ، وهو قد استَحَلَّ أمرًا معلومًا من الدين بالضرورةِ، هذا على وجه العموم. لكن في قضية من القضايا لا، فهمتَ؟ يقول: الحكم بما أنزل الله بإطلاقٍ يجوز [٢]، نقول: استحلَّ أمرًا معلومًا منَ الدِّين بالضرورةِ كمَنْ قال: يجوز أكلُ الربا بإطلاقٍ، هذا استحلالُ أمرٍ معلومٍ منَ الدينِ بالضرورةِ. لكنْ هذه القضية هل هي من الربا أم لا؟ قال: والله يجوز -مثلا- أخذ الربا إذا لم يكن أضعافًا مُضَاعَفَةً، فلا يقال: إنَّ هذا الشخصَ استحلَّ الربا، هذا عنده شبهةٌ، ربما نقول: أخطأ. ربما نقول: ارتكبَ كبيرةً. لكن لا يقال: كَفَرَ.

يقول: ما هي معاني الاستواء؟

الاستواء الوارد عنِ السلف وهو الثابت عن العَرَبِ معناه: العلو، والارتفاع، والصعود، والاستقرار.

مجتمعة أم متفرقة؟

لا، يمكن أن تأتي مجتمعة ويمكن أن تأتي متفرقةً، فَإِذَا أطلق العرب الاستواء؛ فيريدون منه أحد هذه...

الأربعة؟

الأربعة معانٍ.

ذكرتم يا شيخ في معْرِض الحديثِ عن الكتبِ التي ذكَرَها شيخُ الإسلام ابن تَيْمِيَّة وأشار للرجوع إليها. هل هذه الكتب كانت موجودةً في ذلك الزمانِ وقريبة؟

---

[2] هكذا قيلت، ولعله يقصد: " والحكم بغير ما أنزل الله بإطلاق لا يجوز".

هذا الذي يَظهرُ، ما حَكَمَ عليها إلا لكونه قد اطَّلَعَ عليها، وقرأ فيها، ولهذا سيُوردُ بهذه الرسالة وفي غيرها من الكتب مجموعةً من النقولِ التي نَقَلَهَا من هذه الكتب، ولهذا فإن بعضَ هذه الكتب لا نعرفها إلا منْ خــلالِ ذِكْــرِ شيخ الإسلامِ. وقد عُنِيَ بعضُ المحققين بِجَمْعِ الكتبِ والمصادرِ التي أشَارَ إليها الشيخُ أو نقل منها فاجتمع عنــده كمٌّ هائلٌ.

لكن أنتم يا شيخ في أثناء كلامكم: "يسر الله العثور عليه!" يعني قضية أنَّ الكتاب له أكثر من سبعةِ قــرونٍ أو أكثر من ثمانِ قرونٍ، ما هي الطرق التي يمكن الوصول إليه أو إلى إعادته؟

الكتب المخطوطة أسبابُ فقدانها إمَّا أنها تلفت..

أصل الكتاب؟

نعم، يَتَعَذَّرُ الوصول إليها، وإما أنه موجودٌ لكنه لا زال مَطْمُورًا في خزائنَ لم تُفْتَحْ إلى الآن، وإن كانت الآن قليلة لكن لا زال في الهندِ، وفي بلادِ المغربِ، وفي مناطق أرياف موجودٌ في بعض الخزائن ومغلق عليها. أنت لك أن تَتَصَوَّرَ أنَّ هناك كتبًا تُعتبر من أمَّهَاتِ الكتبِ كانت موجودةً في المدينة وفي مكتباتٍ مشهورةٍ لكن كــان مغلقًا عليها ما كانت تَرى النورَ إلى أن فُتِحَتْ. بل هناك مثل "سنن سعيد بن منصور" جزء منه وُجِدَ عنــد أحــدِ الإخوة كبار السنِّ في منطقة قريبةٍ من الرياض، وكان شبهَ مفقودٍ.

الأمر الثالث: أن يكون الكتابُ موجودًا، وربما موجود –وهذا كثير وللأسف– في بعض المكتبــات المتيــسِّر الوصول إليها، لكنه ضِمْنَ مجاميع غير مُفَهْرَسَةٍ أو معنونُ بغيرِ العنوانِ الأصليِّ.

وأذكر مرة كنت أبحث عن كتاب، فوقفت على نسخةٍ لكن ليست هي النسخة الأصلية. فكنت مرة في مكتبــة الملك فهد وأستعرض بعضَ النسخِ الخطيةِ أبحثُ عن مخطوطٍ آخرَ فَوَقَعَتْ عيني علــى ذاك المخطــوطِ بخــطِّ المؤلفِ النسخة الأصلية، لكنه أُدْخِلَ ضِمْنَ هذا المجموع الكبير ولم يُفهرسْ فلم يُعلمْ أنَّ مكانَه هنا. لكن هنــاك –ولله الحمد– خدمة كبيرة لكتبِ التراثِ من جهةِ الفهرسةِ ومن جهةِ الحفاظِ عليها وطرحِها للمستفيدين وأيضًا من ناحيةِ محاولةِ جمعِها في مكتباتٍ عامةٍ لكن لا يزال هناك جهود.

طريقة أخذ النقولات مثل نقولات شيخ الإسلام ابن تيمية من كتاب مُعَيَّنٍ واستقائها من جميــع كتــب الــشيخ وإعادة النقولِ إلى الأصل، هل هذه طريقة كما أشرتَ إليه؟

هذه تُسَمَّى الطريقة التلفيقيَّة، ليس فقط عَمَلَ أحدِ إخواننا المشايخ، ليس فقط من كتب شيخ الإسلام بل حتى من كتب السنة، جاء وحاول أنْ يجمعَ كُلَّ ما نُقِلَ من طريقِ هذا الإمامِ –من طريق الطبراني– فاجتمع عنده كــمٌّ لا بأسَ به. هذا لا يُعتبرُ المُبْتَغَى رقم واحد، لكن إذا ما وُجد الماء؛ لَجَأ الإنسانُ إلى التيممِ، كون الكتــاب لا يــزال مفقودًا نلجأ إلى هذه النسخةِ الملفقةِ.

يقول: هل كل مَنْ حَكَّمَ عَقْلَه على النصِّ يُعتبر جَهْمِيًّا حتى وإن كان النصُّ ضعيفًا؟

نحن عندنا قاعدةٌ: أنَّ العقلَ الصريحَ لا يمكن أنْ يَتَعَارَضَ مع النصِّ الصحيحِ، ولهذا يُشْتَرَطُ ثلاثةُ شروطٍ في عَدَمِ التعارض، وهذه الشروط مهمة:

الشرط الأول: صحة النقل.

الشرط الثاني: صحة العقل.

الشرط الثالث: صحة الدَّلالة.

أحيانا يكون الدليل النقليُّ صحيحًا، والدليل العقليُّ صحيحًا، لكنْ دَلالةُ أحدِ الدليليْن خطأٌ فَحَصَلَ التعارضُ.

أضْرِبُ لكم أمثلةً:

المثال الأول: زَعَمَ المتكلمون أنَّ هناك أحاديثَ تَتَعَارَضُ مع العقل، ويقولون: كيف تقولون: إن العقل لا يمكن أن يعارض النقل؟! قلنا: لا يمكن، قالوا: حديث «إنَّ الله -عز وجل- ينزل عَشِيَّةَ عَرَفَةَ علــى جَمَــلٍ فَيُــصَافِحُ الْمُشَاة، ويُعانق الرُّكْبَان» قالوا: إنَّ هذا يَتَعَارَضُ مع الأدلةِ العقلية التي تَنُصُّ على أنَّ الله مُنَزَّهٌ عن مُخَالطةِ الْخَلْقِ ونحو ذلك، قلنا: صحيح، دليلكم العقليُّ صحيح مائة في المائة، وفيه تعارضٌ هنا، لكنْ ما سببُ التعارضِ؟

الدَّلالة.

لا.

صحة الحديث.

أحسنت.. هذا الحديث موضوعٌ، لَمَّا كان الحديث مكذوبًا؛ تَعَارَضَ مع العقلِ، لا تعترضــوا علينــا بحــديثٍ ضعيفٍ وموضوعٍ.

أحيانًا يوردون لنا الدليلَ النقليَّ الصحيحَ مثلاً: قول النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في الصحيحين: (يَنْزِلُ اللهُ -عز وجل- حِيْنَ يبقى ثُلُثُ الليلُ الآخر) يقولون: هذا يتعارض مع العقل. أيُّ عقلٍ؟ قالوا: لو نَزَلَ اللهُ -عز وجل-؛ للَزِمَ أنْ يَكونَ محلاً للحوادثِ.

نَظَرْنا في الدليلِ النقليِّ وَجَدْنَاه صحيحًا، لكنَّ الدليلَ العقليَّ غيرُ صحيحٍ، هذا من نَسْجِ خَيَالِهم، فوقع التعارض.

إذن انتفى هنا شرطان من شروط عدم التعارض: إما صحة النقلِ أو صحة العقلِ، أحيانًا يكون الدليل العقلــي صحيحًا، والدليل النقلي صحيحًا، ثم يقول القائل: فيه تعارضٌ. وأنتم تقولون ليس فيه تعارض.

مثل: قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح فيما يَحْكِيه عن ربِّه -تَبَارك وتَعَالى-: (عَبْدِي! مَرِضْتُ فَلَم تَعُدْنِي)، (عَبْدِي! جُعْتُ[3] فَلَم تُطْعِمْنِي) قالوا: كيف؟ هذا الحديث يَتَعَارَضُ مع الأدلةِ العقليةِ التي تَنُصُّ على أنَّ الله مُنَزَّهٌ عن كلِّ نقصٍ وعيبٍ. كيف يَنْسُبُ هذا الحديثُ الجوعَ والمرضَ إلى الله -تعالى عن ذلك علــوًّا كبيرًا-؟

نظرنا في الحديث فإذا هو صحيح لا غُبَارَ عليه، ونَظَرْنَا في الدليلِ العقليِّ فإذا هو صحيحٌ، والله مُنَزَّه عن كلِّ عَيْبٍ.

طيب.. من أين أتى الإشكال؟ مِنْ عَدَمِ فَهْمِ الحديثِ الفهمَ الصحيحَ. كون هذا الناظر فَهِمَ من هذا الحديثِ أنَّــه يَدُلُّ على نسبةِ الجوعِ والمرضِ إلى اللهِ، لكنْ كما قال شيخ الإسلام: "لو قَرَأَ آخرَ الحديث؛ لَعَلِمَ أنَّ آخــرَه يُفَــسِّرُ أولَه، وأنه لا تعارضَ بين العقلِ والنقلِ".

---

[3] هكذا قيلت، وهي رواية بالمعني، ولفظ مسلم من حديث أبي هريرة " استطعمك فلم تطعمني".

(فصل: ثُمَّ القولُ الشاملِ في جميع هذا الباب أن يُوصَفَ الله بِمَا وَصَفَ به نَفْسَهُ أو بما وَصَفَهُ به رسولُهُ –صَلَّى الله عليه وسلَّم– وبما وَصَفَهُ به السَّابقون الأوَّلون، لا يُتَجَاوزُ القرآنُ والحديثُ.

قال الإمام أحمد –رضي الله عنه–: "لا يُوصَفُ اللهُ إلا بِمَا وَصَفَ به نَفْسَهُ، أو بِمَا وَصَفَهُ به رسولُهُ –صلى الله عليه وسلَّم– لا يُتجاوزُ القرآنُ والحديثُ".

ومذهب السلف أنَّهم يَصِفُونَ اللهَ بِمَا وَصَفَ به نَفْسَهُ، وبِمَا وَصَفَهُ به رسولُهُ –صلى الله عليه وسلَّم– من غيرِ تَحْرِيْفٍ، ولا تَعْطِيْلٍ، ومن غيرِ تَكْيِيفٍ ولا تَمْثِيلٍ، ونَعْلَمُ أنَّ ما وَصَفَ الله به مِنْ ذلك هو حقٌّ ليس فيه لُغْزٌ ولا أحَاجٍ، بل معناه يُعرفُ من حيث يُعرفُ مقصودُ الْمُتَكَلِّمُ بِكَلامِهِ، لا سيما إذا كان الْمُتَكَلِّمُ أعْلَمَ الخلقِ بِمَا يقول، وأفْصَحَ القولِ في بيان العلم، وأنْصَحَ الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد.)

بدأ المؤلف الآن في ذِكْرِ مُجملِ مذهبِ السلفِ –رحمهم الله– في أسماءِ الله وصفاتِه على وجهِ العموم، بغض النظر عن هذه الصفة أو تلك في بابِ الأسماءِ والصفاتِ، في توحيد الأسماء والصفات، كيف يُحَقِّقُ الإنسانُ توحيدَ الأسماءِ والصفات؟

يقول: (ثُمَّ القولُ الشاملِ في جميع هذا البابِ): باب الأسماء والصفات. (أن يُوصَفَ الله بِمَا وَصَفَ به نَفْسَهُ أو بما وَصَفَهُ به رسولُهُ –صلى الله عليه وسلَّم– وبما وَصَفَهُ به السابقون الأوَّلون لا يُتَجَاوز القرآن والحديث.)

هذه هي القاعدة العامة، أنَّ الأسماء والصفات مبناها على وُرُودِ النصِّ عنِ الله، عن الرسولِ على وَفْقِ ما فَهِمَه السابقون الأولون. كيف فهموا هذا النص؟ نفهمه كما فهموه؛ لأنهم أدرى الناس بِمُرَادِ الْمُتَكَلِّم من كَلامِهِ، لأنهم أكثر الناس إحاطةً بمعاني نصوصِ الوحييْن، أقربُ الناس –أيضًا– زَمَنًا بنزولِ الوحييْن قبل أن تَخْتَلِطَ على الناس هذه الأفهامُ المغلوطةُ، وهذه الأفهام الْمُشَوَّشَةُ.

ثم نَقَلَ عنِ الإمام أحمد –مستشهدًا على هذه القاعدة– (قال الإمام أحمد –رضي الله عنه–: "لا يُوصَفُ اللهُ إلا بِمَا وَصَفَ به نَفْسَهُ، أو بِمَا وَصَفَهُ به رسولُهُ –صلى الله عليه وسلَّم– لا يُتَجَاوز القرآنُ والحديثُ".)

هذه هي القاعدةُ العامةُ: وَرَدَ النص؛ قلنا به، لَمْ يَرِدِ؛ النصُّ؛ تَوَقَّفْنَا.

(ومذهب السلف أنهم يصفون الله..)

بَدَأَ يُفَصِّل هذه القاعدةَ، الآن أعطانا القاعدةَ العامة، ثم بَدَأَ يَذْكُرُ لنا بعضَ الضوابطِ وبعضَ التفصيلاتِ التي تُوضِّحُ المرادَ من هذا الكلامِ الْمُجْمَلِ.

يقول: (ومذهبُ السلفِ أنَّهم يَصِفُونَ اللهَ بِمَا وَصَفَ به نَفْسَهُ، وبِمَا وَصَفَهُ به رسولُهُ –صلى الله عليه وسلَّم– من غيرِ تَحْرِيْفٍ، ولا تَعْطِيْلٍ).

التحريف قد يكون في اللفظ، وقد يكون في المعنى:

التحريف اللفظي: مثلما صَنَعَ بعضُ الجهميةِ عندما حَرَّفَ قولَ اللهِ –عز وجل–: ؟ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ؟ [النساء: ١٦٤]، كيف حَرَّفَهَا؟ تَصَرَّفَ في اللفظِ، وهذا قليلٌ بل نادرٌ؛ لأنَّ اللهَ حَفِظَ كتابَهُ، ولا يمكن لأحدٍ أن يَزِيدَ

حركةً ليس حرفًا، هذا الرجل رَامَ التحريفَ، لكنه ما استطاع ولله الحمد، فقرَأَ الآية "وكَلَّمَ اللهَ مُوسَى تَكْلِيمًا" نَصَبَ لَفْظَ الجلالةِ بَدَلَ الرفع، لماذا؟

الكلام من موسى.

أحسنت.. لأجل أنْ يكونَ الكلامُ من موسى وليس الْمُتَكَلِّمُ اللهَ -عز وجل- فهذا تحريفٌ لفظيٌّ.

النوع الثاني من التحريف -وهو الكثير عند المتكلمين-:

التحريف المعنوي: صرف اللفظ عن معناه الصحيح إلى معنًى بعيد: ؟ اسْتَوَى ؟ [الأعراف: ٥٤] استولى، ؟ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ؟ [ص: ٧٥] بنعمتي أو بقدرتي.. إلخ.

طيب.. لماذا اختار الشيخ (مِنَ غَيْرِ تَحْرِيْفٍ وَلا تَعْطِيْلٍ)؟ واللفظُ الدارجُ عندهم "التأويل"؟ هم يقولون: نحن لا نُحَرِّف، نحن نُؤَوِّلُ.

أوْضَحَ الشيخُ هذا السببَ في بعضِ ما كَتَبَ في كُتُبِه الأخرى. ذكَرَ ذلك في "مناظرة الواسطية" قال: "أنا عَدَلْتُ عنْ لفظِ التأويلِ إلى التحريفِ لعلةٍ" ما السبب؟

كأن يُقرَّهم على التأويل.

يعني إذا ذكر كأنه يُقِرُّهُم على هذا؟

نعم.

جميل.

وقد يكون لهم وجهُ حقٍّ في جانبٍ.

أحسنت.. بارك الله فيك! التأويلُ ليس مذمومًا بإطلاقٍ، التأويلُ منه ما هو حقٌّ، ومنه ما هو باطلٌ، ولهذا استبعده الشيخ، ما دام فيه حقٌّ ربما أذْكُرُه فيفهمُ الشخصُ أنني أنْفِي المعنى الحقَّ.

ولهذا الشيخ سيذكرُ بعد صفحات أقْسَامَ التأويل. هناك ما هو صحيح، وهناك ما هو باطلٌ، لكنَّ التحريفَ بكلِّ معانيه باطلٌ. ولهذا ذَمَّهُ الله -عز وجل-: ؟ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ؟ [النساء: ٤٦]، ويقول: "حقيقة صُنْعِكُم في صفاتِ اللهِ -عز وجل- ليس بتأويلٍ، إنَّما هو تَحْرِيفٌ".

(ومن غيرِ تَكْييف ولا تَمْثِيل):

التكييف: حكاية كيفيةِ الصفةِ، فهذا مما استَأْثَرَ الله بعلمِه. فالسَّلَفُ يُثْبِتُونَ الصفة لا يُحَرِّفُونَ، ولا يُعَطِّلُونَ. والتعطيل معناه التَّخْلِيَة، ولهذا قال الله -عز وجل-: ؟ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ ؟ [الحج: ٤٥]؛ أي ليس عليها دِلاء، ولا رِشَاء، ليس عليها واردٌ ولا صادرٌ، فهم عَطَّلُوا الربَّ -سبحانه وتعالى-. الشيخُ يقول: نَحْنُ نُثْبِتُ للهِ الصفاتِ من غير تَحْرِيفٍ ولا تعطيلٍ.

(ومن غير تكييف)؛ أي لا نُكَيِّفُ الصفة، نَحنُ نَذْكُرُ الصفة، ونُثبِتُ الصفة، لكن لا نقول: كيف، وسنذكر لاحقًا -إن شاء الله- أنَّ التكييف -تكييف الصفة- مُنْتَفٍ عنْ صفاتِ اللهِ بالعقلِ والنقلِ.

(ولا تَمثيل): لا نُمَثِّل صفة اللهِ -عز وجل- بصفاتِ خلقِه. ولهذا قال -سبحانه-: ؟ فَلاَ تَضْرِبُوا للهِ الأمْثَالَ ؟ [النحل: ٧٤]، ؟ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ؟ [الشورى: ١١].

(ونَعْلَمُ أنَّ ما وَصَفَ اللهُ بهِ نفسَه من ذلك هو حقٌّ ليس فيه لُغْزٌ ولا أحَاجٍ.)

معنى اللغز والأحاجي: تَعْمِيَةُ المرادِ وإظهارُ خلافِ ما ظَهَرَ، أو مخالفة المعنى للفظ، هذا معنى الإلغاز.

فكلامُ اللهِ -عز وجل- نُصوصُ الوحييْن في صفاتِ اللهِ -عز وجل- على ظاهرها، تُجرى على ظاهرها، ليس فيها إلغازٌ، ليس فيها معنًى ظاهرٌ ومعنًى باطنٌ ؟ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ؟ [الأعراف: ٥٤] على ظاهره، ؟ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ؟ [الرحمن: ٢٧] على ظاهره، ليس كما يَزْعُمُ هؤلاء الظاهرُ شيءٌ، والمعنى الصحيحُ شيءٌ آخرُ.

(بل معناه يُعرف من حيث يُعرف مقصودُ المُتَكَلِّمُ بكلامِه.)

معنى الكلام معنى قوله -سبحانه-: ؟ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ؟ [الفجر: ٢٢] على ظاهره، يُعرف كما يُعرف مرادُ أيِّ مُتَكَلِّمٍ عربيٍّ بظاهرِ كلامِه.

(لا سيِّم): هذا تأكيدٌ أنَّه يَنْبَغِي أنْ يُحْمَلَ كلامُ اللهِ وكلامُ رسولِه على ظاهره ليس على المعاني البعيدةِ التي يَزْعُمُ هؤلاء.

الشيخ يقول: خَاصَّةً (إذا كان المُتَكَلِّمُ أعلمَ الخلق): يعني الصفة الأولى: العلم، يعلم بما يَجُوزُ وما يَمْتَنِعُ عن الله، وهل هذا الكلام مرادٌ ظاهرُه أو غيرُ ظاهره. أعلمُ الخلق الذي هو النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- أعلم الخلق بما يقول.

(وأفصح الخلق): أحيانًا الإنسان يَلْجَأُ إلى الكلامِ الذي ظاهره ليس بواضح؛ لأنه ليس بفصيح أم لا؟

أحيانًا لَمَّا يقومُ بعضُ الأعاجمِ وعنده شيء من العربيةِ، يُريدُ أن يُوضِّحَ لك شيئًا، هو يريد شيئًا بكلامه، والمعنى شيءٌ آخرُ، يعني ظاهرُ الكلام يختلف، فكيف يَتَأَتَّى هذا على أفصح الخلق؟! لا يمكن، كلامُه على ظاهره.

الصفة الثالثة: (أنصح الخلق)؛ لأنَّ الشخص الذي يُلْغِزُ ويُعطيك كلامًا ومراده شيءٌ آخر يُريدُ الإيهامَ والوقيعة بك أم لا؟ فالنبي -صلى الله عليه وسلم- أَنْصَحُ الخلقِ، ولهذا سيبحث عن أيسر وأسهل وأقربِ الطرقِ لإفهامِ مرادِه للناسِ؛ لأنه ما أُرسل إلى فئةٍ معينةٍ إلى العلماءِ فقط، أو إلى الفلاسفةِ، أو إلى أصحاب العقول، هو مُرْسَلٌ للصغير والكبير كافة ؟ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ ؟ [سبأ: ٢٨]، للمتعلم، والأعرابيُّ يأتيه من البادية، فكلامه للجميع. ولهذا كان أنصحَ الخلقِ في البيانِ والتعريفِ والدلالةِ والإرشادِ.

هذه الأسطر أَخَذَ منها أهلُ العلم القواعدَ والأُسُسَ التي قَامَ عليها توحيدُ الأسماءِ والصفاتِ.

لعلنا نتوقف ونُكمل -إن شاء الله- في الحلقة القادمة.

طيب.. لعلك تُذكِّرُنا، لكي لا ننساها.

سؤال الدرس:

السؤال:

ما السببُ في ذكرِ الشيخِ لجملةٍ من الكتبِ التي عُنِيَتْ بالردِّ على الجهميةِ مَعَ أنَّ الكلامَ في الفتوى مُتَوَجِّهٌ للردِّ على المتكلمين؟

واضحٌ يا شباب؟

أقول: ما السبب في أنَّ الشيخ ذَكَرَ جملةً من الكتبِ وكلامَ الأئمةِ في الردِّ على الجهميَّةِ علمًا أن الفتوى مُتوجِّهةٌ في الردِّ على المتكلمين وليس على الجهميَّةِ؟

ما علاقة الجهمية عندنا؟ الشيخ ذَكَرَ لنا أمثلةً كثيرةً من الكتبِ وكلام الأئمةِ في الجهميَّةِ والكلام مع المتكلمين مع الأشاعرةِ؟

الدرس الثاني عشر

شرح وتعليق على الفتوى الحموية الكبرى

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

نعتذر -في هذا اللقاء- عن استقبال إجابات الأسئلة عبر موقع الأكاديمية، وكذلك نَعتذر عن استقبال أسئلتكم في هذا الدرس عبر الموقع ذاتِه؛ نظرا لوجودِ عُطْلٍ فنيٍّ ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أن تتيسر الأمور في اللقاءات القادمة بإذن الله تعالى!

نبدأ -كالمعتاد- بطرحِ السؤالِ الذي طُرِحَ في نهاية الدرس الماضي، وَتَلَقِّي إجاباته، ولعلنا نأخذ إجابات من الإخوة الحضور معنا في الدرس.

سَبَقَ أن طرحنا السؤال، وهو أنَّ الشيخَ ذَكَرَ جملةً من الكتبِ ومن أقوالِ الأئمةِ التي عُنِيَتْ بالردِّ على الجهميَّة، والفتوى متوجهة للرد على المتكلمين؛ فما السببُ في ذكرِ الشيخ لهذه الكتبِ وهذه الأقوالِ؟

يقول: صحيح أنه ذكر الجهميَّة، لكنهم -مع اختلافهم في بعض الأشياء- متفقون في تعطيل الصفات ورأسهم الجهم بن صفوان، فهذا اتفاقهم ذكر لأن اتفاقهم في هذا الشيء تعطيل الصفات.

أحسنت، بارك الله فيك!

الإجابة ما ذكر الأخ، فالشيخُ -رحمه الله- ذكر جملة من أقوال الأئمة في الرد على الجهميَّة لِيُبَيِّنَ، بل قد نَصَّ وَبَيَّنَ أنَّ قولَ المتكلمين المتأخرين هو نفسه قول الجهميَّة المتقدمين. فردُّ الأئمة على المتقدمين من الجهميَّة يعتبر ردًّا على هؤلاءِ، وليبين شَنَاعَةَ قولِ المتأخرين من المتكلمين، وأنهم وافقوا الجهميَّة في هذه الأصول.

أحسن الله إليكم! في اللقاء الماضي يا شيخ أتينا على الفصل الذي أورده شيخ الإسلام وَبَيَّنَ -فيه- مجمل مذهب أهل الحق في صفات الله -تعالى-، وذكرتم أن هناك أُسُسًا وقواعدَ تُستَقَى من هذه المقدمةِ. فلعلنا نقرأ عليكم.

جيد، جميل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "الفتوى الحموية الكبرى":

فصل

ثم القولُ الشاملُ في جميع هذا البابِ أنْ يُوصفَ الله بما وَصَفَ به نفسه، أو بما وصفه به رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وبما وصفه به السابقون الأولون، لا يُتجاوز القرآن والحديث.

قال الإمام أحمد -رضي الله عنه-: "لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو بما وصفه به رسوله -صلى الله عليه وسلم-، لا يتجاوز القرآن والحديث".

ومذهبُ السلف أنهم يصفون الله بما وَصَفَ به نفسَه وبما وَصَفَه به رسوله –صلى الله عليه وسلم– من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تكيفٍ ولا تمثيلٍ.

ونعلم أنَّ ما وُصِفَ الله به من ذلك؛ فهو حقٌّ ليس فيه لغزٌ ولا أحاجٍ، بل معناه يُعرف من حيث يُعرف مقصودُ المتكلِّمِ بكلامِه، لا سِيَّمَا إذا كان المتكلمُ أعلمَ الخلق بما يقول، وأفصحَ الخلق في بيانِ العلم، وأنصحَ الخلقِ في البيانِ والتعريفِ والدلالة والإرشاد.)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

تقدَّم الكلامُ على هذه الأسطرِ من حيث المعنى والدلالة، وإنما المتبقّي في هذا المقطع أنَّ الشيخَ ذَكَرَ من خلالِ هذه الأسطرِ القواعدَ والأسسَ التي يَقومُ عليها مذهبُ أهلِ السنةِ والجماعةِ في توحيدِ الأسماءِ والصفاتِ. ولهذا ينبغي أن نستصحبَ هذه الأسسَ وهذه القواعدَ –دائمًا– إذا كان الكلامُ في مجالِ الأسماءِ والصفاتِ.

ولعلِّي أطلب من الإخوة أنْ يستخرجوا هذه الأسسَ من هذه الأسطرِ. أريدُ الأسسَ والقواعدَ التي تُؤخذُ من هذه الأسطرِ في توحيدِ الأسماءِ والصفاتِ.

يقول: نثبت ما أثبته الله لنفسه في القرآن والسنة، وننفي ما نفاه عن نفسه في القرآن والسنة.

إذن، بعبارة أخرى نقول: إنَّ الأسماءَ والصفاتِ تَوْقِيفِيَّةٌ. هذه القاعدة الأولى.

ولهذا قال الشيخ: (أن يُوصفَ الله بما وَصَفَ به نفسَه، أو بما وصف به رسوله –صلى الله عليه وسلم–، لا يُتجاوز القرآنُ والحديثُ.) هذه القاعدة الأولى أنَّ الأسماء والصفات توقيفية.

ما معنى توقيفية؟

متوقفة على ورودِ النصِّ، متوقفة على ورود الدليل، لا مجال للاجتهاد فيها، لا مجال للقياس، جاء الدليلُ؛ أثبَتْنا، لم يردِ الدليلُ؛ تَوَقَّفْنَا، ولهذا قال أهل العلم: المنسوب لله –عزّ وجلّ– ثلاثة أقسام:

١– شيءٌ ثَبَتَ النصُّ بإثباتِه فنثبته؛ مثل: السمع، والبصر، الكلام، العلو، الاستواء.. إلخ.

الأسماء والصفات؟

نعم، الأسماء والصفات: العليم، الحكيم، الرحيم، الحي من الأسماء.

٢– نوع جاء النص بنفيه، فننفيه عن الله؛ مثل: العجز، الولد، السِّنَة، النوم، الظلم.. إلخ.

٣– قسم لم تردِ النصوصُ، ولم يرد الكتاب والسنة بنفيه ولا بإثباتِه، وليس في إثباتِه نقصٌ بإطلاقٍ، وإلا لو كان فيه نقْصٌ؛ لَنَفَيْنَاه عن الله –عزّ وجلّ–؛ فما الموقف منه؟

التوقف؛ مثل الجسم، الجوهر، الحيِّز.

هذه منَ الألفاظِ التي جاءَ بها المتكلمون، ومنهم من أَثْبَتَها ومنهم من نفاها. وأهل السنة يقولون: لا، نتوقف.

لماذا؟

لأنَّ الأسماءَ والصفاتِ توقيفيَّة، هذه القاعدة الأولى.

القاعدة الثانية؟

مذهبُ أهلِ السنةِ والجماعةِ إثباتُ صفات الله -سبحانه وتعالى- من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

القاعدة الثانية: أنَّ إثباتَ الأسماءِ والصفاتِ إثباتٌ بلا تمثيلٍ ولا تكييف؛ نُثبتُ كما أثبَتَتِ النصوص، لكن لا نَغْلُو في الإثبات كما غلا من؟

الممثلة.

الممثلة أثبتوا للهِ الصفات، لكنهم غَلَوْا في هذا الإثباتِ، وتجاوزوا الحدَّ حتى مَثَّلُوا صفات الرب -سبحانه وتعالى- بصفاتِ المخلوق.

إذن القاعدة الثانية: إثبات الأسماء والصفات إثباتٌ بلا تمثيل، ولا تكييفٍ.

القاعدة الثالثة؟

يقول: ما ثبت لله -عزّ وجلّ- من القرآن والسنة من الأسماء والصفات هي حقٌّ.

جميل، أريد ما قبل هذه، هذه القاعدة الرابعة.

القاعدة الثالثة: أنْ نُنَزِّهَ الله -عزّ وجلّ- تنـــزيهًا بلا تعطيلٍ.

فالمعطلة نَزَّهُوا الله -عز وجل- عن مُشابهةِ الخلقِ لكنهم غَلَوْا في هذا التنزيه فَأَفْضَى بهم إلى التعطيل. أما أهلُ السنة؛ فيُنَزِّهون، لكن لا يعطلون.

إذن أهلُ السنة يُثبتون ولا يمثلون، وينزهون ولا يعطلون.

القاعدة الرابعة: ما ذكرها الأخ وهي:

أنَّ ما وصف الله به نفسه؛ فهو حق على حقيقته، ليس فيه لغز ولا أحاج، بل يُعرف مقصودُ الكلامِ من حيث يُعرفُ مرادُ المتكلم.

فكلامُ الله وكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم- في الأسماءِ والصفاتِ ليس به لغزٌ وأحاجٍ، ليس يظهر منها شيءٌ والحقيقة شيءٌ آخر. لا، ما جاء منها فالمعنى الظاهرُ هو المرادُ.

الله -عزّ وجلّ- لما قال: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[المائدة: ٦٤]؛ أراد ظاهر هذا النص وهو إثباتُ حقيقة اليدين لله. لكن لا بد أن نستصحبَ القواعد السابقة؛ التنزيه، عدم التكييف.

إذن هذه هي القواعد الأربع التي يقومُ عليها مذهبُ أهلِ السنةِ والجماعةِ في أسماءِ الله وصفاته.

ثم قال –رحمه الله–: (وهو سبحانه –مع ذلك– ليس كمثلِه شيء لا في نفسِه المقدَّسة المذكورةِ بأسمائه وصفاته، ولا في أفعاله. فكما يُتَيَقَّنُ أنَّ الله –سبحانه– له ذاتٌ حقيقيةٌ، وله أفعالٌ حقيقيةٌ؛ فكذلك له صفاتٌ حقيقيةٌ، وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

وكلُّ ما أَوْجَبَ نقصًا أو حُدُوثًا؛ فإنَّ الله مُنَــزَّهٌ عنه حقيقةً. فإنَّه –سبحانه– مُستحقٌّ للكمالِ الذي لا غاية فَوْقَه، ويمتنعُ عليه الحدوثُ لامتناع العدمِ عليه، واستلزام الحدوث سابقُه العدمُ، ولافتقارِ المحدَث إلى مُحدِثٍ، ولوجوب وجودِه بنفسه –سبحانه وتعالى–.)

)

هذه الأسطر اشتملت على قواعدَ ومصطلحاتٍ يَحْسُنُ أن نَقِفَ معها قليلا:

المسألة الأول: أن الشيخ في قوله: (وهو سبحانه مع ذلك)؛ أي مع هذا الإثبات أننا نُثبتُ وأنَّ كلامَه حقٌّ على ظاهره، لكن نستصحب أنه ليس كمثلِه شيءٌ لا في نفسِه المذكورةِ بأسمائِه وصفاتِه، ولا في أفعاله نفسِه؛ أي ذاته –سبحانه وتعالى– على خلافٍ كما سيأتي –إن شاء الله– هل النفس صفة زائدة أم هي الذات؟ هناك خلاف بين أهلِ السنة.

(ولا في أفعاله): أفعاله؛ كالخلق، الرزق، الإحياء، الإماتة، الإيجاد.

(فكما يُتَيَقَّنُ): يعني الآن هناك أمر متفق عليه: أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في أفعاله.

(فكما يتيقن أن الله –سبحانه وتعالى– له ذات حقيقية): ذات حقيقة قائمة بنفسها.

(وله أفعال حقيقية): يفعل ما شاء إذا شاء؛ يخلق، يرزق، يُحيي ويُميت. وهذه الأمور يُسَلِّمُ بها الخصمُ، ويسلم بها المخالفُ، ويسلم بها هذا المتكلم، يسلم بها هذا الأشعريُّ. نسأله هل تثبت لله ذاتًا حقيقيةً؟ يقول: نعم. هل تثبت لله أفعالاً حقيقية؟ يقول: نعم.

الشيخ يقول: (فكذلك له صفات حقيقية). ولهذا عندنا –هنا– قاعدةٌ جميلةٌ جدًّا في الردِّ على المخالفِ سواء أكان أشعريًّا، أو معتزليًّا، أو جهميًّا، أو فلسفيًّا، نقول له ابتداءً: هل تثبت لله ذاتًا؟ لا بد أن يقول: نعم. لأنه إذا ما أثبت للهِ الذات؛ فمعناه أنه حكم أن الله ماذا؟

غير موجود.

عدم، غير موجود، ولهذا فالشيخ ذَكَرَ في مكانٍ آخر قال: من القواعدِ المهمةِ التي يُرَدُّ بها على الخصم الْمُعَطِّل أنْ يُقالَ: القول في الصفاتِ كالقول في الذاتِ سواء بسواء.

أيُّها الأشعريُّ! هل تثبت لله الذات؟ قال: نعم.

قلنا له: فأثبتْ لهذه الذاتِ صفةً.

فإن قال: أخشى أنْ أَقَعَ في التشبيه.

قلنا: إذا أثبت للهِ الذات والمخلوق له ذات أم ليس له ذاتٌ؟

له ذات.

إذن شَبَّهْت.

فَإِذَا قال: أُثبِتُ للهِ ذاتًا تَلِيقُ به.

قلنا: أثبتْ لهذه الذاتِ صفاتٍ تليق بها، وَتَرْتَاحُ وتُرِيحُ غَيْرَكَ.

إذن القاعدة ماذا تقول؟

"القول في الصفات كالقول في الذات".

يقول: (وهو ليس كمثله شيءٌ لا في ذاتِه ولا في صفاتِه): فكما تُثبت لله ذاتًا لائقةً به؛ فَأَثْبِتْ لهذه الذاتِ صفاتٍ لائقةً بها.

(ولا في أفعاله): أيها الأشعري! أنْ تُثبتَ للهِ الأفعالَ، هل تُثبت للهِ أنَّه يخلق ويرزق؟

نعم، يحيى ويميت؟ يفعل ما شاء؟ والمخلوق يفعل أم لا؟

نعم.

تقول: أفعال اللهِ لائقةٌ به -سبحانه-.

ونقول لك: ..

صفاته لائقة.

صفاته لائقة به -سبحانه-، وكل ما أوجب نقصًا أو حدوثًا -أي يستلزم الإحداثَ بعد أن كان معدومًا، والحادث هو ما ليس بواجبٍ، وسيأتينا تعريف الواجب؛ أي أنه كان معدوما ثم وجد-..

الشيخ يقول: (كل ما أوجب نقص): يعني استلزم نقصًا أو حدوثًا؛ (فإنَّ الله مُنَزَّهٌ عنه) بنصِّ الكتابِ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾، منزه عنه بدلالةِ العقلِ الصحيح أنَّ الله منزه عن كلِّ نقصٍ وعيبٍ. لكن إثبات هذه الصفات هل تستلزم نقصًا؟

الجواب: إثبات الصفات، إثبات السمع، البصر، العلم، الكلام، الاستواء، العلو، هل تستلزم نقصًا؟

إذن لماذا ننفيها عن الله؟!

هل تستلزم حدوثًا؟

لا، (فإن الله منزه عنه -حقيقةً- فإنه -سبحانه وتعالى- مستحق للكمال الذي غاية فوقه): هذه قاعدة -أيضًا- مهمة وهي إثبات الكمال المطلق لله.

ولهذا عندنا أنَّ كلَّ كمالٍ اتصف به المخلوقُ لا نقصَ فيه بوجهٍ منَ الوجوهِ؛ فالخالق أولى أنْ يَتَّصِفَ به.

خُذْ على سبيل المثال: صفةُ العلم هل هي صفةُ كمالٍ أم صفةُ نقصٍ بالنسبةِ للمخلوقِ؟

كمال.

صفة كمال بإطلاقٍ، فالعالم أكمل من الجاهل. هل إثبات صفة العلم فيه نقص؟

لا.

لا. إذن؛ فالخالق أولى أن يتصف بهذه الصفات.

ولهذا فإن للهِ الكمالَ المطلقَ. هذه قاعدة عامة.

(ويمتنع عليه الحدوث)؛ أي يمتنع على الله –عزّ وجلّ–. (لامتناع العدم عليه)؛ لأنه ليس بمعدوم –سبحانه وتعالى–. الحادث هو الشيء الذي يوجد بعد أن لم يكن موجودا.

الطاولة التي أمامنا هذه هل كانت موجودة منذ الأزل؟

لا.

وُجِدَتْ بعد أنْ كانت معدومةً. فالله –عزّ وجلّ– يَمتنع عليه الحدوث. لماذا يمتنع عليه الحدوث؟

لأنه –سبحانه وتعالى– لم يكن معدومًا.

ولهذا قال الشيخ: (لامتناع العدم عليه): العدمُ ممتنعٌ عليه عقلاً وشرعًا. ولهذا في تعريفِنا للمحدَثِ –وهذا التعريف من المصطلحاتِ المنطقيَّة– أنَّ المحدَثَ هو: ما ليس بواجبٍ ولا ممتنع. فحدوثه دليلٌ على عَدَمِ وجوده.

الآن هذا الكتاب محدَثٌ ليس بواجبٍ، وليس عندنا –في الوجود– واجب الوجود متصف بهذه الصفة إلا واحد.

ما هو؟

الله.

الله، هو واجب الوجوب، وما عداه محدثاتٌ.

طيب.. المحدَثُ ليس بواجبٍ. لماذا؟

لأنه يعتريه العدمَ.

لأنه كان معدومًا، فهذا دليلٌ على عَدَمِ وجوده.

وليس بممتنع لماذا؟

لأنه موجودٌ الآن.

أحسنت، الآن هذا الكتاب لو كان ممتنعًا؛ فهل يمكن أن يوجد؟ لا، فوجودُه دليلٌ على عَدَمِ امتناعِه، وحدوثُه دليلٌ على عَدَم وجوبه. فواجب الوجود لا يكون محدَثا بعد أن كان معدومًا.

فالشيخُ قال: (ويَمتنع عليه الحدوثُ): على الله -عزّ وجلّ- وعلى صفاتِه لامتناع الْعَدَم عليه.

(واستلزام الحدوث): كون هذا الشيء حادثًا سابقه العدم.

ما قلنا إن المحدَث ليس بواجب؛ لأنه محدَث حَدَثَ بعد أن لم يكنْ. وليس بممتنع؛ لأنه موجودٌ الآن إذ لو كان ممتنعا؛ ما وُجِدَ.

(ولافتقار المـُحدَثِ إلى مُحدِثٍ): الله -عزّ وجلّ- ليس بمُحدَثٍ لماذا؟

لأنَّ أيَّ محدَثٍ وأيَّ شيءٍ حَدَثَ وكان بعد أن لم يكنْ يحتاج إلى..

محدِثٍ.

محدث، خالقٍ، مُوجِدٍ، مُخترع أليس كذلك؟! الآن هذا الكتاب هل من الممكن أن يوجد صُدفةً هكذا؟ لا يمكن، ويستحيل.

هذا الكأس؟ يستحيل، هذا محُدَث، إذن لا بد له من ..

مُحدِثٍ.

مُحدِث، والله -عزّ وجلّ- هل يمكن أن يقول عاقل: إن له مُحدِثًا؟!

(ولوجوب وجوده بنفسه -سبحانه وتعالى-): هذا من باب الإخبارِ عنِ اللهِ، وهذا أمر واسع. فالله يقال عنه: واجب الوجود. ما معنى واجب الوجود؟ أي: لا يجوز عليه العدم ولا الحدوث. كلا الحالتيْن لا تجوز عليه: العدم والحدود. ولهذا يقال: واجب الوجود بنفسه. طيب الشيخ هنا قَيَّدَنا -رحمه الله- قال: واجب الوجود بنفسِه، لماذا جَعَلَ هذا القيدَ؟

بنفسه؛ لأنَّ هناك ما هو موجود ولا يَلحقُه الفناءُ ولا العدمُ لكن هل هو بنفسه أم بغيره؟

بغيره.

مثل؟

الجبال.

لا، الجبال تزول، والبحار تزول، والسموات تزول.

الجنة والنار.

أحسنت، الجنة والنار.

أليست الجنة والنار خالدتين أبد الآباد ولا تفنيان؟

قد يقول قائل: وهذا ما قالَه الجهمُ بن صفوان وكَفَّرَه أهلُ العلمِ على هذه المقولة قال إن الجنة والنار تَفْنَيَان.

لماذا؟

قال: لئلا يشاركَ الله -عزّ وجلّ- في هذه الصفةِ، فتكون واجب الوجود.

قيل له: الجنة والنار هل هي واجبة بنفسِها؟! هل هي باقية بنفسها أم بإبقاء الله -عزّ وجلّ؟

بإبقاء الله.

بإبقاء الله. أما الله -عزّ وجلّ-؛ فهو واجبُ الوجود بماذا؟ بنفسه -سبحانه وتعالى-.

(ومذهبُ السلفِ بين التعطيلِ وبين التمثيلِ؛ فلا يُمثِّلون صفاتِ اللهِ بصفاتِ خلقِه، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا يَنفون عنه ما وَصَفَ به نفسَه أو وَصَفَه به رسولُه -صلى الله عليه وسلم- ليُعَطِّلُون أسماءه الحسنى وصفاته العُلى ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويُلحدون في أسماء الله وآياته.)

مذهبُ السلفِ وَسَطٌ بين طرفيْ نقيض، وهذا ما أوْضَحَه الشيخُ في "الواسطية" -والإخوان أخذوا في الأكاديمية "الواسطية"- مِمَّا يُبيِّنُ أنَّ منهجَ أهلِ السنةِ والجماعةِ وَسَطٌ بين الغلوِّ والجفاءِ، بين الإفراطِ والتَّفريطِ وسطيتُهم في أسماءِ الله وصفاتِه.

وسط بين ماذا؟ والوسطُ هو العدل والخيار. ولهذا فالله -عزّ وجلّ- وَصَفَ صراطَه المستقيمَ بأنه وسط: ؟وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ؟[الأنعام: ١٣٥].

أهل السنة والجماعة في بابِ الأسماءِ والصفاتِ وَسَطٌ بين المعطلةِ والممثلة. التعطيل في أقصى الشمال والتمثيل في أقصى اليمين، وأهل السنة وسط.

المعطلة نَزَّهوا الله -بِزَعْمِهم- عن مُماثلةِ المخلوقات فَعَطَّلُوا الله -سبحانه وتعالى- عَمَّا يَسْتَحِقُّه منَ الصفاتِ؛ قالوا: ليس لله سمع، ولا بصر، ولا يتكلم، ولا هو فوق، ولا تحت، وليس مستويًا على عرشه، ولا يأتي، ولا ينزل.. إلخ. عَطَّلُوا صفاتِ الله -عزّ وجلّ-.

والممثلة قابلوهم على النقيضِ فأثبتوا الأسماء والصفات، لكنهم غَلَوْا في هذا الإثباتِ حتى مَثَّلُوا الخالقَ بالمخلوق، فقال قائلهم: الله مستوٍ على عرشه كاستوائي على الكرسي تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا! ولله يد كيد المخلوق، ولله وجه كوجه المخلوق.

أما أهل السنة؛ فأخذوا الحق الذي مع هؤلاء والحق الذي مع أولئك، وردُّوا الباطلَ الذي مع هؤلاءِ والباطلَ الذي مع أولئك.

نأخذ الحق الذي مع المعطلة، ما هو؟

التنزيه.

التنزيه، فأخذه أهل السنة.

والحق الذي مع الممثلة؟

الإثبات.

الإثبات، فجمعوا بين التنزيه والإثبات، ولهذا تَوَسَّطُوا، وَرَدُّوا الباطلَ الذي هو التعطيل الذي مع المعطلة، وردوا الباطل الذي مع الممثلة الذي هو التمثيل. ولهذا وُفِّقُوا للجمع بين النصوص. الممثلة أخذوا النصوص التي فيها إثبات ؟ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ؟، ؟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ؟، وأغمضوا أعينهم عن النصوص التي فيها تنزيه ؟ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ؟، ؟ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ؟.

المعطلة أخذوا أيَّ أنواع النصوص؟

التنزيه.

التي فيها التنزيه ؟ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ؟، ؟ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ؟ كلما أردت أن تُثبت صفةً؛ قال: ؟ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ؟، أهل السنة جمعوا بين هذه وتلك ولهذا صار مذهبُهم وسطًا بين هؤلاء وأولئك.

ولهذا الشيخ: (ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل.)

يقول: هل من طرق التمثيل في حديثٍ عن الرسول -عليه الصلاة والسلام-: (إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن) أن يشير بإصبعيه؟ خصوصًا أنها تحدث من قِبَلِ بعض الْمُدَرِّسين؟

أحسنت، هل من التمثيل أن الإنسان إذا تكلم على بعض الصفات أشار إلى صفةِ نفسِه مثل حديث: (قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن)؟

لنرجعْ إلى هدي النبيِّ -صلى الله عليه وسلم-، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- لَمَّا ذَكَرَ هذا الحديثَ؛ حَرَّكَ إصبعه. وفي الحديث الآخر -كما عند البيهقي بسند صحيح- تلا على المنبرِ قولَ الله -عزّ وجلّ-: ؟ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ؟[النساء: ٥٨] وأشار إلى سمعه وبصره.

وجاءه اليهوديُّ -كما في صحيح مسلم- وقال: إنَّا نجد أن الله يومَ القيامة يَضَعُ السماوات على إصبع وأشار إلى إصبعه، والأرضين على إصبعٍ وأشار إلى الإصبع الثاني إلى آخر الحديث ثم قال: فيهزهن، فابتسم النبي -صلى الله عليه وسلم- تصديقا لقول الْحَبْرِ، فهل يجوز هذا؟

قال أهل العلم: لا يقال إنه يجوز بإطلاق، ولا يُمنع بإطلاق. الإمام أحمد -كما روى اللالكائيُّ- سَمِعَ قاصًّا يتكلم في المسجد فذكر الحديث الذي ذكره أخونا، (إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن) فَحَرَّكَ إصبعيه فغضب الإمام أحمد وقام وهو يقول: "قطعها الله! قطعها الله!". كيف ينكر الإمام أحمد على هذا الرجل وهو ثابت عن النبي -صلى الله عليه وسلم-؟! قالوا: إذا كان المتكلمُ ليس مَظِنَّةً أنه من الممثلة، والسَّامع لا يُخشى عليه أنْ يَنْقَدِحَ في ذهنِه التمثيل؛ فلا مانِعَ.

وهذا من باب تحقيق إثبات الصفة، ولهذا فالنبي -صلى الله عليه وسلم- لَمَّا أشَارَ إلى سمعه وبصره لم يُرِدْ التشبيه والتمثيل وإنَّما أَرَادَ أنْ يُحَقِّقَ إثباتَ الصفةِ لله حقيقةً.

لكن إذا كان المتكلم عنده مظنة لَوْثَة تنفيه، أو خُشِيَ على السَّامع أن يكون من العامَّة والذي لا يُدْرِك هذه الأمور أن ينقدح في ذهنه التمثيل؛ فالأولى تَرْكُ ذلك ويُحمل عليه أثر الإمام أحمد -رحمه الله-.

الضابط يحتاج إلى دقة.

ولهذا الأولى في واقع العامة -إذا لم يكن الذي أمامك طلبة علم- ترك هذا الأمر، وإذا كان الذي أمامك طلبة علم ولا يُخشى عليهم فلا مانع؛ لأنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- أعلمَ الناس بربِّه خَاطَبَ الناسَ وَحَرَّكَ إصبعه، وأشار إلى سمعه وبصره، وَأَقَرَّ الحبرَ على فعله، وفي الحديث الآخر لما ذَكَرَ أنَّ الله -عزّ وجلّ- يقبض السموات بيمينه والأرضين بشماله يومَ القيامةِ قبض النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- وَبَسَطَ يُريد إثبات حقيقة الفعل والصفة لله -عزّ وجلّ-.

(وكل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل؛ فهو جامع بين التعطيل والتمثيل. أما المعطلون؛ فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شَرَعُوا في نفي تلك المفهومات، فقد جمعوا بين التمثيل والتعطيل مثلوا أولا وعطلوا آخرا، وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائِه وصفاتِه بالمفهوم من أسماءِ خلقِه وصفاتِهم تعطيلٌ لِمَا يَسْتَحِقُّه هو -سبحانه وتعالى- فإنه إذا قال القائل: "لو كان الله فوق العرش؛ لزم إمَّا أن يكون أكبرَ من العرشِ أو أصغرَ أو مُساويًا"، وكل ذلك مُحالٌ ونحو ذلك من الكلام.

فإنه لم يُفهمْ من كونِ اللهِ على العرش إلا ما يَثْبُتُ لأيِّ جسمٍ كان على أيِّ جسمٍ كان، وهذا اللازمُ تابعٌ لهذا المفهوم.

أما استواء يليق بجلال الله ويختص به؛ فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التي يجب نفيها. وصار هذا مثل قول الممثل: إذا كان للعالم صانعٌ فإما أن يكون جوهرا أو عَرَضًا وكلاهما محال؛ إذ لا يُعقلُ موجودٌ إلا هذان. أو قوله: إذا كان مستويا على العرش؛ فهو مماثل لاستواء الإنسان على السرير أو الفَلَكِ؛ إذ لا يعلم الاستواء إلا هكذا فإن كلاهما مَثَّلَ وكلاهما عَطَّلَ حقيقة ما وَصَفَ الله به نفسَه. وامتاز الأول بتعطيلِ كلِّ مُسَمًّى للاستواءِ الحقيقيِّ، وامتاز الثاني بإثباتِ استواءِ ما هو من خصائصِ المخلوقين.)

)

الشيخ شَرَحَ في هذه الأسطر قاعدةً مهمةً: أنَّ كلاً من المعطلِ والممثلِ جَامِعٌ بين التعطيلِ والتمثيلِ. فيقال: "كُلُّ مُعَطِّلٍ مُمَثِّلٌ وَكُلُّ مُمَثِّلٍ مُعَطِّلٌ".

يقول: لدي سؤالان لفضيلة الشيخ:

السؤال الأول: ذكرتم في الدَّرسِ السابقِ أنَّ المعطلة نَسَبُوا إلى اللهِ -سبحانه وتعالى- إمَّا صفاتٍ نسبية أو صفات إضافية أو مركبة منهما، فأتَمَنَّى أن يوضح مفهوم المركبة منهما والمثال عليه؟

السؤال الثاني: من خلال ما ذَكَرَه شيخُ الإسلام فيما شَرَحْتموه في الدَّرس السابق من مدارس المعطلة ذُكر أنَّ بعضهم أخذ عن ممثلة ومُشبهة، وأن المعطل أخذ عن ممثل ثم عَطَّلَ، وأخذ بعضُهم عن بعضٍ دياناتٍ مختلفةً؛

فكيف يتعلم المعطل من المشبه أو من الممثل؟ هذا يحدث لديَّ إشكالاً هل هو يترك أصوله أم أنَّه يَتَّبِعُه على أصوله ويأخذ منه بعض ويعارضه في بعض؟

فالمعطِّل كيف جَمَعَ بيْن التعطيلِ والتمثيلِ؟ وَضَّحَ لنا الشيخُ وَضَرَبَ مثالاً: المعطل قبل أن يصل إلى درجة التعطيل مَرَّ بمرحلةٍ سابقةٍ وهي التمثيلُ، ولَمَّا قَرَأَ النَّصَّ أول ما انقدح في ذهنِه التمثيلُ، لَمَّا قَرَأَ ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾؛ انْقَدَحَ أنَّه إذا أثْبَتَ للهِ استواءً؛ فاستواؤه كاستواءِ المخلوق، ثم انتقل إلى المرحلة التي بعدها التعطيل، فهو جَمَعَ بين التشبيهِ والتعطيل.

أما الممثل؛ فعلى العكس، فإنَّه لما سَمِعَ النصَّ؛ قال: أنا لا أفهم استواءً إلا استواءَ المخلوقِ على المخلوق، ولهذا أنا أُثبِتُ للهِ استواءً كاستواءِ المخلوقِ على الكرسي.

فهو مَثَّلَ وَعَطَّلَ الربَّ عن ماذا؟ عن الصفةِ اللائقةِ، ليست هذه الاستواء هي الثابتة لله، ولهذا جَمَعَ بين التمثيلِ والتعطيلِ هذا باختصار شرحُ هذه القاعدةِ.

يقول: رجل أعطى أحد الأجانب قرآنا مُترجما ثم أراد أن يُبين له عظمة القرآن فقال: له هذا كلام الله وأشار إلى فهمه بالسبابة وحركها، وأنت يا شيخ قلت: من الشروط أن يكون المقابل لا يُخشى عليه من التمثيل، فما حكم هذا الفعل؟ وهل الذي فعله عليه شيء مع العلم أنه فعله بجهل؟

نعود لكلام الشيخ، فُهِمَتْ هذه القاعدةُ؟ كلُّ كلامه هذا شرح لهذه القاعدة، ولهذا قال: (أما المعطلون؛ فإنهم لم يفهموا من أسماءِ اللهِ وصفاتِه إلا ما هو اللائق بالمخلوق.) أول ما فهموا..

التمثيل.

التمثيل، ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ فَهِمَ أنَّ اليدَ مثلُ اليدِ المخلوقة.

(ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات): لما شرعوا في نفي تلك المفهومات؛ أفضى بهم إلى نفي ما يَليق باللهِ من الصفاتِ.

(فقد جمعوا بين التمثيل والتعطيل): مَثَّلُوا أولاً مرحلة التمثيل وَعَطَّلُوا آخر.

(وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم): يعني تشبيه للخالق بالمخلوق.

(وتعطيل لما يستحقه سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة به): عطلوا ما يليق به، عطلوا عنه اليديْن اللائقتين به –سبحانه–، وعَطَّلُوا الاستواءَ اللائقَ به –سبحانه–، عطلوا النزول اللائق به –سبحانه–.

وهذا مثال يوضح للشيخ هذه القاعدة التي ذكرها فإنه إذا قال القائل لو كان الله فوق العرش لاحظ هذا المعطل لما قيل له، ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ معناه أن الله فوق العرش مباشرة أورد هذا الإيراد الفاسد، أورد ما انقدح في ذهنه. للَزِمَ إمَّا أن يكون الله كما ذكره الرازي في "أساس التقديس"، قال: يلزم إذا أثبتنا الاستواء أنَّ الله فوق العرش إمَّا أن يكون أكبرَ أو أصغرَ أو مساويًا، فهذه اللوازم تلزم من؟

مخلوقًا.

أنت إذا تَصَوَّرْتَ أنَّ استواءَ اللهِ -عزّ وجلّ- مثل استواء المخلوق؛ لَزِمَتْكَ هذه اللوازمَ؛ من يكون أكبرَ أو أصغرَ أو مماثلاً. لكن لو استصحبت -من الأصل- أنَّ استواءَ اللهِ لائقٌ به، وأن هناك بونًا شاسعًا ليس هناك أدنى تقاربٍ بين صفات الله وصفات المخلوق؛ ما لَزِمَتْ هذه اللوازمُ.

وضربنا مثالاً في بعض الحلقات السابقةِ: إذا كان هناك بونٌ شاسعٌ، هناك فرق كبير بين مخلوقٍ ومخلوقٍ، بين موجودات الجنة وموجودات الدنيا؛ فما الظن بالخالق والمخلوق؟!

يقول:

السؤال الأول: ما تعريفُ الفلاسفةِ وما أصولهم؟

السؤال الثاني: هل من قال: إن الله -سبحانه وتعالى- تَكَلَّمَ بالقرآنِ على جبريلِ لكي يُبَلِّغَ محمدًا -صلى الله عليه وسلم- بنفْسِ الكلامِ العربيِّ وباللغة العربية هل هو مُشَبِّهٌ؟

إذن هذا المعطل لَمَّا أَرَادَ أنْ يَنْفِيَ الاستواءَ تَصَوَّرَ أوَّلاً أنَّ إثبات الاستواء يماثلُ استواءَ المخلوق، ولهذا جاء بهذا اللازم الفاسد إمَّا أن يكون أكبرَ أو أصغرَ أو مساويًا. كل هذا استواء المخلوق، لكن نحن نتكلم عن استواءِ الخالق فلا يمكن أنْ يَنْقَدِحَ في ذهنك إذا كان ذهنُك صحيحا، لو كان ذهنك كذهن الصحابة، لما سمعوا من النبي -صلى الله عليه وسلم- يتلو عليهم هذه الآيات التي فيها إثبات الاستواء في مواضع متعددة، في سبعة مواضع من القرآن هل قام أحدهم وقال: يا رسول الله! إذن يلزم أن يكون أكبر أو أصغر أو مساويًا؟! لا؛ لأنهم فهموا أنَّ الاستواءَ لائقٌ به -سبحانه وتعالى-.

يقول: (وكل ذلك محال): هو يقول للمشبه: هذا محال، إذن ما الذي تنتهي إليه؟

التعطيل.

يُعَطِّلُ الربَّ -سبحانه وتعالى- عن صفةِ الاستواءِ.

(ونحو ذلك من الكلام، فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأيِّ جسمٍ كان على أيِّ جسمٍ كان): هذا هو الذي انقدح في ذهنه. فانتهتُ كلُّ المعاني عنده ولم يبقَ إلا هذا المعنى الفاسدُ؛ أن الاستواء لا يَدُلُّ إلا أن هناك جسمًا علا جسمًا.

بينما ذكرنا لكم -سابقا- أنَّ الاستواءَ في لغة العرب التي نزل بها القرآن هو العلو والارتفاع. السماء عالية على الأرض هل هي محتاجة إلى الأرض؟!

إذن هذه اللوازم -كلُّها- فاسدة، وهذا مخلوق مع مخلوق؛ فما الظنُّ بالخالق مع المخلوق؟!

(وهذا اللازمُ تابعٌ لهذا المفهوم): الذي هو المفهوم الفاسد.

(أما استواء يليق بجلال الله ويختص به؛ فلا يلزمه شيء من هذا اللوازم الباطلة التي يجب نفيها عن الله): اللوازم الباطلة التي انقدحت في ذهن هذا المعطل نحن ننفيها عن الله، لكن لا يَلزم من إثبات الاستواءِ للهِ أنْ نُثبتَ هذه اللوازمَ له -سبحانه-.

يقول: (وصار هذا مثل قول الممثل..): الشيخ يريد أن يبين أيضًا أن الممثل جَمَعَ بين التعطيلِ والتمثيلِ.

(إذا كان للعالمَ صانع فإما أن يكون جوهرا أو عرض): والجوهر والعرض هذا من اصطلاحات المتكلمين، وهي من الألفاظ لم ترد في الكتاب والسنة، ولهذا يجب الإمساك عنها ولا تُنْفَى بإطلاق، ولا تُثبت بإطلاق.

(وكلاهما مُحالٌ(إذ لا يُعقل موجود إلا هذان): يقول: أنا لا أعقل شيئًا موجودًا إمَّا أن يكون جوهرًا أو عَرَضًا، والعرض هو: الذي لا يقوم بنفسه؛ مثل: السمع، البصر، الكلام لا يقوم بنفسه، بل يقوم بغيره بالجوهر، أو قالوا: هو الذي لا يبقى زمنيْن.

على كلٍّ على اختلاف في ضابط الجوهر وضابط الجسم. الجسم قالوا: هو المركب من جوهريْن فرديْن فأكثر، والجوهر الفردُ هو الذي لا يَتَجَزَّأ لا بالفعل ولا بالقوة.

فلا علاقة لنا بهذه الأمور؛ لأنه ليس هذا مجالها، إنما الكلام عندنا إذا قال الممثل: أنا لا أعرف في الوجود إلا ما هو جوهر أو جسم ولهذا أُثبت لله استواءً كاستواءِ المخلوق؛ لأني لا أعرف ولا أفهم استواءً إلا هذا الاستواء، فهو جَمَعَ بين التمثيلِ والتعطيل.

(فإن كلاهما مَثَّلَ وكلاهما عَطَّلَ): وعرفنا كيف جمع الفريقان بين التعطيل والتمثيل.

(وامتاز الأول): من هو الأول؟ المعطل، بتعطيل كل مُسَمًّى للاستواءِ الحقيقيِّ، نفى الجميع قال: أنا ما أثبت شيئًا من الاستواءِ لله.

(وامتاز الثاني بإثبات): الذي هو المشبه باستواء كاستواءِ المخلوق على المخلوق.

نأخذ الأسئلة التي عندك.

يقول: ذكرتم أن المعطلة نسبوا صفات إضافية أو مركبة.

نعم، قد يجمعون بين الأمرين كما صنع كثير من المتكلمين عندما وصفوا الله –عزّ وجلّ– بأنه القديم، والقديم من الصفات الإضافية، ووصفوا الله –عزّ وجلّ– بصفات سلبية؛ كقولهم: لا يسمع، لا يتكلم ليس بمستوٍ، فهنا جَمَعُوا بين الصفاتِ السلبيةِ والإضافيةِ.

كلٌّ على حِدَةٍ؟

نعم، كلٌّ على حدة ليس هناك مزجٌ بين الاثنين.

يقول: ما ذكره شيخ الإسلام من مدارس المعطلة أنَّ بعضهم أخذ من الممثلة وغير ذلك، هل يتنازل عن أسسه ويتغير من مذهبه؟

جميل، بيان بن سمعان التميميّ هذا الذي يقال: إن الجعد أَخَذَها عنه هو في واقع الأمر مُمَثِّلٌ، وهو رافضيٌّ، وأول من قال بمذهب التمثيل. لكن الجعد تَأثَّرَ به، وتأثر بالأصولِ التي عنده، حتى المذهب الذي سار عليه بيان بن سمعان لم يستمرْ بل تَطَوَّرَ أيضًا إلى القولِ بالتعطيلِ في بعضِ الأمورِ. فمذهب المعطلة مزيجٌ –في أصوله– من مذهبِ الممثلة ومذهب المعطلة. ولهذا قال الشيخ: هو مزيج من الديانة اليهودية والنصرانية، وديانة المشركين والفلاسفة إلى آخره، والصابئين فأصولهم ليست بثابتة.

ولا يوجد حدود في كل مذهب يأخذها؟

بالطبع هناك مرحلة تطورٍ، ومرحلة تهذيبٍ، ومرحلة تجديدٍ عندهم، ولهذا فالمتأخر أحيانا يكون أوضحَ في تقعيدِه مثلا من المتقدم وأحيانا العكس بالعكس.

يقول: أعطى شخصٌ ما أحدَ الأجانبِ مصحفًا مترجمًا، وقال: أشار للسانه وبيده، وقال: هذا كلام الله، وأشار بالسبابة.

هذه المسألة العويصة التي تَكَلَّمَ فيها أهلُ العلمِ قديما وحديثا، وامتحن بسببها الإمام البخاري مسألة لفظ الإنسان بالقرآن. هل يقال: مخلوق أم ليس بمخلوق؟

ولهذا أَلَّفَ البخاريُّ كتابَه "خلق أفعال العباد"، والصحيح أنه لا يقال: مخلوق بإطلاق ولا: ليس بمخلوق بإطلاق. فَإِذَا قال: لفظي -أو أشار إلى اللفظ- إن كان يقصد الحركة حَرَكَةَ اللسان- وحركة الشفتين-؛ فهذه مخلوقة. وإن كان يقصد المتلَفَّظ والشيءَ الذي وَصَلَ عن طريق هذا اللفظِ عن طريق الصوتِ الذي هو كلام اللهِ؛ فليس بمخلوق، فلعل هذا الرجل يكون قصدُه حسنًا وأيضا السامع يكون يفهم المعنى الحسن فليس هذا -إن شاء الله- فيه تشبيه.

هو خَشِيَ فقط من أنْ يكون من إيرادِ ذكرِ اللسانِ التشبيه والتعطيل.

لعله -إن شاء الله- لا يَرِدُ عليه مثل هذه الموارد بإذن الله.

أسئلة المراجعة:

السؤال الأول:

ما الأسس والقواعد التي قَامَ عليها مذهبُ أهلِ السنةِ والجماعةِ في توحيدِ الأسماءِ والصفات؟

ذكرنا أربع أسس ذكرها الشيخ مُضَمَّنَةً في كلامه، نريد من الإخوة استخلاص هذه الأسس ونؤكد -أيضًا- على الإخوة الذين يتابعون عبر الشبكة.

يقول: ما تعريف الفلاسفة؟ ومن أين يأخذون أصول مذهبهم؟

الفلسفة كلمة مركبة "فيلا وسوفيا"؛ أي "محبة الحكمة" هذا في الأصل. أما الفلاسفةُ الذين يُكْثِرُ الشيخُ ذكرَهم ويُعَوِّلُ عليهم فهؤلاء المسمَّون بالفلاسفة الإسلاميين، وهم: الفارابي وابن سينا، ومن أتى بعدهم؛ كابن سبعين والسَّهْرَوَرْدِيّ ..إلخ.

هؤلاء تَأَثَّروا بفلسفة أرسطو، وأرسطو أول من أقحم تقريبا الفلسفة فيما وراء الغيب. وسابقا كانت الفلسفة في المدينة الفاضلة، جانب الأخلاق، ضبط أفعال الإنسان وأقواله، لكنَّ أرسطو أقحم الفلسفة فيما وراء الغيب.

أخذ هذه الفلسفة الفارابيُّ، ثم أخذها عنه ابنُ سينا. والفلسفة -كما قال ابن القيم- أصبحت الفلسفة المنسوبة للإسلاميين تعني حقيقة هذا المذهب الإلحاد في أصول الإيمان الستة، وَذَكَرَ أمثلةً، وَذَكَرَ شيخُ الإسلام أنَّ حقيقة قولِهم أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا بالملائكة ولا بالكتب ولا بالنبيين ولا بالقدر، وعلى كلٍّ الكلام فيهم يطول.

يقول: من قال: إن الله تَكَلَّمَ بالقرآن على جبريلَ ليبلغ الرسول هل هو مشبه؟

لا، بل يقال: الله تَكَلَّمَ بالقرآنِ حقيقةً وسمعه جبريلُ حقيقةً وَأَدَّاه للنبيِّ -صلى الله عليه وسلم- حقيقةً، وَتَكَلَّمَ به النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- حقيقةً، وليس فيه تشبيهٌ، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة في كلام الله -عزّ وجلّ-.

الدرس الثالث عشر

شرح وتعليق على الفتوى الحموية الكبرى

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

كما هي العادة نبدأ درسنا بذكر سؤال الحلقة الماضية – إن تم تلقي الإجابة–، ولعلنا نأخذ إجابات هذا السؤال من الإخوة الحضور معنا.

السؤال الذي سبق طرحه: ما القواعد والأسس التي يقوم عليها مذهب أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات؟

ذكرنا أنَّ هناك أَرْبَعَ قواعدَ.

بما أنَّها أربعة نأخذ قاعدتين من اليمين، وقاعدتين من اليسار؟

يقول: تنزيه الله من غير تعطيل.

تنزيه الله –عزّ وجلّ– من غير تعطيل.

القاعدة الثانية؟

الأسماء والصفات توقيفية.

أنَّ الأسماء والصفات توقيفية. ما معنى توقيفية؟

أنْ يُوصف الله بما وصف به نفسه.

أن لا يوصف الله –عزّ وجلّ– إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله –صلى الله عليه وسلم–. بمعنى أنها متوقفة على ورود الدليل من الكتاب والسنة.

ما ذكره الله والرسول من الأسماء والصفات حقٌّ على حقيقته ليس فيه لغز ولا أحاج.

ما ذكره الله ورسوله من الأسماء والصفات فهو حق على حقيقته وعلى ظاهره، يُفهم مراد المتكلم من كلامِه ليس فيه إلغاز ولا أحاج؛ أي تعمية المراد أن يكون ظاهر اللفظ شيئًا والحقيقة شيئًا آخر.

الرابع؟

أن ثبوت الأسماء والصفات يكون من غير تمثيل.

أن إثبات الأسماء والصفات يكون إثباتًا لكن بلا تمثيل، أن لا نغلوَ في الإثبات كما غَلا الممثلة، فأفضى بهم هذا الغلو إلى الخروج إلى التمثيل.

هذه هي القواعد الأربع التي يقوم عليها مذهب أهل السنة الجماعة في باب الأسماء والصفات.

وصلنا إلى إثبات العلو والاستواء.

والقول الفاصل.

والقول الفاصل، نعم.

قال المصنف –رحمه الله–: (والقول الفاصل هو ما عليه الأمة الوسط، من أن الله مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله، ويختص به. فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء علي،م وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير، ونحو ذلك. ولا يجوز أن يُثبت للعلم والقدرة خصائصُ الأعراض التي كعلم المخلوقين وقدرتهم.

فكذلك هو –سبحانه– فوق العرش، ولا يثبت بفوقيته خصائصُ فوقيَّة المخلوق على المخلوق وملزوماتها.)

)
)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

كلام المؤلف السابق –رحمه الله– حول مسألة أنَّ المعطل جمع بين التعطيل والتمثيل، والممثل جمع بين التمثيل والتعطيل. ثم ضرب –على هذا– مثالاً بصفة الاستواء، وذكر كيف جمع المعطل في صفة الاستواء بين التمثيل والتعطيل، والممثل جمع بين التمثيل والتعطيل، ثم أتى ليبيِّن الحق في هذه المسألة. كأنه يقول: هذا مثال وعلى غيرها؛ فقِسْ جميع الصفات؛ فليس المقصود صفة الاستواء لذات صفة الاستواء وإنما المقصود فقط..

المثال.

المثال. يقول: (والقول الفاصل)؛ أي في هذه المسألة. (هو ما عليه الأمة الوسط): أمة محمد –صلى الله عليه وسلم–، ويمثلها أهل السنة والجماعة؛ لأنَّها الفرقةُ الوسط.

(من أن الله مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به): بمعنى أن هذا الاستواء المنسوب لله –عزّ وجلّ– لم يكن استواء مطلقا حتى يجوز عليه ما يجوز على استواء المخلوق بل هو استواءٌ خاصٌّ بالله –عزّ وجلّ– لائقٌ به –سبحانه وتعالى–.

فكما أنه يقول: انتبه أيها الأشعري! فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير. لاحظ هذه الصفات التي ذكرها: القدرة، العلم، السمع، البصر.

الأشاعرة يوافقوننا في إثباتِ هذه الصفاتِ للهِ -عزّ وجلّ-، ويخالفوننا في نفي صفة الاستواء. وافقوا الجهمية والمعتزلة في نفي صفة الاستواء، ووافقوا أهل السنة الجماعة في إثبات العلم، القدرة، السمع، البصر.

يقول: فكما أنت -أيها الأشعري!- تُثبت لله السمع والبصر والعلم والقدرة، ونحو ذلك، ولا يجوز أن يُثبت للعلم والقدرةِ خصائصُ الأعراضِ التي كعلم المخلوقين وقدرتهم.

العلم، والقدرة، والسمع، والبصر في حقِّ المخلوق عَرَضٌ.

قد يزول.

يزول، فهي صفة لا تبقى؛ أي زمانيَّة.

يقول: فكما أنك تُثبتها لله -عزّ وجلّ- ولا تُثبتها على الوجه الثابت للمخلوق. فأنت -الآن- تُثبت السمعَ؛ فهل تثبت لله السمع كسمع المخلوق؟! يقول لك: لا، أثبت لله السمعَ الذي يَلِيق به -سبحانه وتعالى-، وليس كسمع المخلوق الذي هو عرض.

يقول: فكذلك هو سبحانه، أُثبتْ الاستواء كما أثبت هذه الصفات. ولهذا نأخذ من هذه الأسطر قاعدةً مهمة ذَكَرَهَا الشيخ في موضع آخر، ومن أعظم القواعد التي يُرد بها -على وجه الخصوص- على الأشاعرة، ألا وهي: أن القول في بعض الصفات كالقول في بعض. ذكرنا نحن القاعدة السابقة، القول في الصفات...؟

كالقول في الذات.

كالقول في الذات. هذه هي القاعدة الثانية، وَذَكَرَهَا الشيخ في "التدمرية": أن القول في بعض الصفات كالقول في بعضٍ.

عندنا -الآن- الأشاعرة يُثبتون هذه الصفاتِ، فيقال لهم: أثبتوا الاستواءَ كما أثبتم هذه الصفاتِ، وإن نفيتم الاستواء؛ لزمكم نفي الصفات الأخرى التي تُثبتونها.

ولهذا قال الشيخ: (ولا يُثبت بفوقيته خصائصُ فوقية المخلوق على المخلوق وملزوماتها.)

هم لما أرادوا أن يَنفوا عن الله -عزّ وجلّ- الاستواء؛ تَبَادَرَ إلَى أذهانهم تلك الملزوماتُ الباطلة؛ أنه يلزم أن يكون أكبر من العرش، أو مساويًا أو .. إلخ. والشيخ يقول: لا، إذا أثبت لله استواءً يليق به -سبحانه-؛ فلا يرد عليها هذه الملزومات الباطلة.

(واعلم أنْ ليس في العقل الصريح ولا في النقل الصحيح ما يُوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلا، لكن هذا الموضع لا يتسع للجواب عن الشبهات الواردة على الحق، فمن كان في قلبه شبهةٌ وأحب حلها؛ فذلك سهل يسير.)

وهذه قاعدة، يقول الشيخ: مهما أوردتم من شبهات تَزعمون أنَّها أدلة عقلية أو براهين يقينيَّة؛ فعندنا -نحن- قاعدة عامّة: أنَّ العقل الصريح والنقل الصحيح لا يمكن أن يُخالف الطريقة المستقيمة التي عليها أهل السنة والجماعة، والتي مبناها على الكتاب والسنة. ولهذا قال: مخالفة الطريقة السلفية أصلا، لكن هذا الموضع. الآن كَرَّرَها أكثر من مرة بأن لا شك أنَّ المعارض لَمَّا يَسمع هذا الكلامَ؛ يقول: عندنا شُبَهٌ. يقول الشيخ: هذه فتوى،

ولا تتسع لأن نعرض -فيها- جميع الشبه، ونجيب عنها. الموضع لا يتسع لذلك، هذا جواب لسائل. لكن من أراد الحق، ومن أراد الوقوف على هذه الشبه والجواب عليها سمعا وعقلا؛ فهناك مواضعُ بُسط القولُ فيها.

يشير إلى مؤلفاته أم إلى كتب السابقين؟

إلى مؤلفاته ويشير إلى كتب الأئمة السابقين؛ ككتب الإمام أحمد، وكتب الدارمي.

سبق الإشارة إليها في الدَّرس الماضي.

يقول: (فمن كان في قلبه شبهة وَأَحَبَّ حلها؛ فذلك سهل يسير)؛ لأنَّ الحق عليه نور، والحق ظاهر، ولهذا إذا أرادها الإنسان؛ وُفِّقَ لها. لكن الإشكال دائما كون الإنسان يستصحب الهوى، فالهوى عائق له من أن يصل إلى الحق المنشود. لكن مَنْ بحث عن الحق، وأراد الحق وحرص على الحق؛ وُفِّقَ له، وهذا كثير.

وعلى رأس هؤلاء مَنْ تنتسب له هذه الطائفة: أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- لَمَّا أراد الحق؛ وَفَّقَه الله -عزّ وجلّ-، وإلا؛ فقد مَكَثَ على مذهب الاعتزال أكثر من أربعين سنة، لكنه كان يبحث عن الحق فوفق له -رحمه الله-.

عند مناقشة الأشاعرة والاستشهاد برجوع أبو الحسن الأشعري ألا يكفي هذا الرجوع في رجوع أتباعه المتأخرين؟

كما ذكرت لك آنفا أنَّ الإشكال دائما في الهوى، هم لا شك يقولون: إنَّ أبا الحسن انتقل عن مذهب الاعتزال لكنه مَرَّ بطَوْرَيْن. وقد مَرَّ أبو الحسن بثلاثة أطوار في حياته:

الطور الأول: لما كان على مذهب الاعتزال.

الطور الثاني: انتقل إليه وهناك طور إليه ثالث.

وأحد الأطوار الثلاثة هو ما عليه الأشاعرة، والأشاعرة يزعمون أنه انتقل إلى مذهب أهل السنة إلى مذهب السلف، ثم انتقل واستقرَّ أمره وَتَبَيَّنَ له الحقّ الذي عليه الأشاعرة. أما نحن؛ فنقول: لا، الذي استقر عليه أمره، وَدَوَّنَه وَكَتَبَه في كتابه "الإبانة"، وَصَرَّحَ أنه على مذهب الإمام أحمد، وأنه على مذهب أهل السنة والجماعة، وكذلك أشار إلى ذلك في كتابه "مقالات الإسلاميين"، وأيضا كتابه "اللمع" هو ما عليه جمهور أهل السنة والجماعة.

يقدمون -إذن- طورًا على طور؟

نعم، هم يقولون: انتهى أمرُه إلى ما عليه الأشاعرة -الآن-. لكن في الجملة ليس -فقط- المتأخرون من الأشاعرة خالفوا أبا الحسن؛ فقد خالفوا جمهورًا من أئمتهم، وسيذكر الشيخ -في نهاية الرسالة- أنهم خالفوا مَنْ يُعْتَبَرُ المؤسس الثاني لمذهب الأشاعرة البَاقِلاَّنِيَّ، أثبت صفات أَنْكَرَهَا وَأَوَّلَهَا المتأخرون منهم، وخالفوه في بعض المسائل. وخالفوا -أيضا- غيره من أئمتهم الذين ينتسبون إليهم، ولهذا كان لهذا الردِّ من القوة ما كان؛ ذلك أنَّ الشيخ نَقَلَ عن أئمتهم ما يُخالفه المتأخرون، وسيذكر الشيخ في نهاية الرسالة -إن شاء الله-.

(ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة من المتأولين في لهذا الباب في أمر مريج. فإن من يُنكر الرؤية يَزعم أنَّ العقل يُحيلها، وأنه مضطر -فيها- إلى التأويل، ومن يُحيل أنَّ لله علمًا وقدرةً، وأن يكون كلامه غير

مخلوق ونحو ذلك يقول: إن العقل أحال ذلك؛ فاضطر إلى التأويل، بل من يُنكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقي في الجنة يَزعم أنَّ العقل أَحَالَ ذلك وأنَّه مُضطر إلى التأويل، ومن زَعَمَ أنَّ الله ليس فوق العرش يَزعم أن العقل أحال ذلك، وأنه مضطر إلى التأويل.

ويَكفيك دليلاً على فَسَادِ قول هؤلاء أنْ ليس لواحدٍ منهم قاعدةٌ مستمرةٌ فيما يُحيله العقل، بل منهم من يَزعم أنَّ العقل جَوَّزَ أو أوجب ما يَدَّعِي الآخر أنَّ العقل أحاله)

)
)

هذه -أيضا- قاعدةٌ عامَّةٌ أنَّ المخالفين للكتاب والسنة وسلف الأمة من المتأولين لهذا الباب -أي أهل التأويل والذي يسمى -حقيقةً- بالتحريف- ليس لهم قاعدة مُطَّرِدَةٌ. ودائما يَتَّضِحُ فسادُ منهجِ الشَّخص إذا لم يكنْ له قاعدةٌ واضحةٌ ثابتةٌ يَرجعُ إليها. إذا كان يثبت -أحيانا- شيئًا ثم يُثبت نقيضَه؛ فهذا دليل على فساد منهجه وفساد طريقته.

يقول الشيخ: هؤلاء الذين اعتمدوا على ما يُسمى بالعقل لم نجد لهم قاعدة مطردة، ويحتكمون إلى قاعدة واحدة، لا ..

مضطربون.

نعم، مضطربون مختلفون. وَضَرَبَ على هذا أمثلة: يقول: (فإن من ينكر)، ولهذا قال (في أمر مريج)؛ أي مختلط ملتبس ليس واضحًا.

(فإن من ينكر الرؤية): الرؤية يُنكرها الجهمية والمعتزلة ومن تَبِعَهم من الخوارج والرافضة، ينكرون رؤية الله -عزّ وجلّ- في الآخرة، والأشاعرة يُثبتون الرؤية. فيُقال للجهمية المنكرين: لماذا أنكرتم رؤية الله -عزّ وجلّ-؟! الجواب: يقولون: إن العقل يُحيل ذلك، ويستحيل -عقلا- أنْ يُرى الله.

(وأنه مضطر فيها إلى التأويل): الذي هو صرف نصوص الرؤية إلى معانٍ بعيدة تَتَّفِقُ مع ما ذهبوا إليه.

ومن يحيل أن لله علما وقدرة وأن يكون كلامه غيرَ مخلوقٍ وهذا قول الجهمية والمعتزلة خلافا للأشاعرة وخلافا لأهل السنة فلا يُثبتون لله صفة العلم، ولا صفة القدرة، ولا الكلام. يقولون: كلامه مخلوق. لماذا؟ قالوا: العقل يُحيل ذلك.

يقول: (إن العقل أحال ذلك فاضطر إلى التأويل): يقول ما دام أن هذا النصَّ الشرعيَّ يَتَعَارَضُ مع العقل؛ فلا بد من تأويل النص الشرعي لأجل أن يَتَّفِقَ مع العقل. لاحظ هذا التناقض.

وهناك من يذهب إلى أبعدَ من هذا: هؤلاء الفلاسفة والباطنية أنكروا حَشْرَ الأجسادِ، وأنكروا حقيقة الجنة والنار، لماذا؟ قالوا: لأنَّ العقلَ يُحيل ذلك، وأصبح كُلٌّ يَتَلاعَبُ بنُصوصِ الوحييْن بِحُجة أنَّ العقل أَحَالَ ذلك.

أين هذا العقل؟ لأجل أن يحتكم إليه الجميع.

يقول: (بل ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقي من الجنة، ويزعم أنَّ العقل أحال ذلك، وأنه مضطر إلى التأويل.): ولهذا قال الفلاسفة: ما دامتم أجزتم لأنفسكم –معاشر الجهمية، ومعاشر المعتزلة، ومعاشر الأشاعرة– أن تَتَأَوَّلوا هذه النصوص الواردة في صفات الله؛ فلماذا لا نَتَأَوَّلُ النصوصَ الواردةَ في الجنةِ والنار؟! نحن نقول: إن هذا يَستحيل عقلا.

ثم انتقل الشيخُ وذَكَرَ الاستواءَ الذي يُشارك فيه –أيضا– الأشاعرةُ سائرَ طوائف المعطلة. قال: (ومن زَعَمَ أنَّ الله ليس فوق العرش يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل.)

إذن؛ أيُّ عقل يمكن الرجوع إليه؟! أين القاعدة الثابتة المطردة؟!

يقول: (ويكفيك دليلاً على فَسَادِ قَوْلِ هؤلاء أنْ ليس لواحدٍ منهم قاعدةٌ مُستمرةٌ.)

ولهذا يُلاحظ على الفخر الرازي –عفا الله عنا وعنه!– في كتابٍ واحدٍ يُثبت في أول الكتاب أمرًا ثم في نهاية الكتاب يثبت ما يُناقضه، للاعتماد على العقل والعقل ليس بثابت. العقول ليست بثابتة.

(فيما يحيله العقل، بل منهم من يَزعم): لاحظ هذا التناقضَ، يضرب الشيخ مثالاً على مَدَى الاضطرابِ الذي وَصَلُوا إليه لمَّا اعْتَمَدُوا على عقولِهم وتركوا الكتابَ والسنة.

يقول: (بل منهم من يزعم أن العقل جَوَّزَ أو أوجب أمرًا يَزعم الآخر أن العقل أحاله): هذا يقول: مستحيل عقلاً، وهذا يقول: يجب عقلاً. والوجوب والاستحالة متناقضان، فهذا دليل على ظاهر على فساد طريقة هؤلاء.

لكن ألا يمكن القول أن يقول أحد من هذه الطائفة بأن هذا القول، والإيرادات والأمثلة التي ذكرها شيخ الإسلام بأنهم متفقون عليها كمعتزلة أو كأشاعرة متفقون على هذا الأمْر، أما الطوائف الأخرى؛ فهم يُخطئونها، يعني يقولون: هم يخالفوننا وهم خطأ، يعني هم لا يجعلون للعقل السيطرة أو له التبعية في جميع القواعد؟

هل تعني أن الاتفاق على كون العقل –هو– المرجعَ؟

لا، على قول ما رَدَّه شيخُ الإسلام في أمثلة الآن تقول هذا المثال اختص به مثلا الفلاسفة، هذا المثال اختص به كذا، فيما بينهم قد يُخطّئ بعضهم البعض، ويزعم أن الصواب معه، فبالتالي استقر هو على شيء يقول: العقل مستقر عندهم عن هذا الأمْر.

لكن نسألهم الآن: أنتم –الأشاعرة– أنكرتم على المعتزلة صفة العلم مثلا، أو صفة القدرة أثبتمُوها لله وهم أنكروها. هم يقولون: إن العقل يَقتضي نفيَ صفة العلم عن اللهِ وأنتم تقولون: إن العقل يقتضي إثبات صفة العلم، هذا تناقض؛ لأنَّ العقلَ واحد.

قد يقولون: هم جانبوا الصواب فيما ذهبوا إليه عقلاً، ونحن ما استطعنا.

نحن –الآن– لا نحكم بينكم أيكم مُصيبٌ. لكن نقول: الطريقة التي سلكتموها ليست مُطَّرِدَةً بل مختلفة، نحن نريد أن نثبت أن العقل ليس بثابت. فأنتم –الآن– تَرْكَنُون إلى العقل وهم يَرْكَنُون إلى العقل، فَتَبَيَّنَ أنَّ العقل ليس بقاعدةٍ ثابتةٍ.

والعقل الذي زعموا أنه العقل الصريح لا شكَّ أنه ثابت، والأدلة العقلية لا تتغير، لكنْ كونُكم تعتمدون على عقولِكم هذا دليل على فسادِ هذه الطريقةِ. أما نصوص الكتاب والسنة التي يُعَوِّلُ عليها أهل السنة والجماعة؛ فهي

ثابتة لا تَتَغَيَّرُ منذ أن نَزَلَتْ على النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ولهذا سلِم أهل السنة من التفرق والاختلاف بخلاف الطوائف الأخرى. ومن أهم أسباب عدم تفرق أهل السنة وحدة المصدر، فأهل السنة مصدرُهم واحد. والمصدر الذي أَخَذَ منه أبو بكر وعُمَرُ هو المصدر الذي أخذ منه ابنُ عُثَيْمِين وابنُ بَازٍ، ولهذا فالأقوال متفقة. أما أولئك؛ فلا؛ لأنهم اعتمدوا على العقول، والعقول ليست بثابتةٍ.

لعلَّ الشيءَ لا يُذكر، أنت ذكرت قبل قليل أنه ليس المجال بأن نقول: هذا أفضل أو هذا مخطئ أو تفنيد شبهة. ذكرتم في الدَّرس الماضي قضيَّة أن الممثلة أو الذين ذهبوا للتمثيل فهم معطلة والمعطلة ممثلة، والسؤال الذي يأتي: أيهما أسوأ، هل الممثلة أم المعطلة؟ كلا المذهبين خاطئ، لكن نحن الأسوأ من الآخر؟

هذا السؤال يَرِدُ دائما لَمَّا يُبَيَّنُ مذهب المعطلة أو مذهب الممثلة يسأل كثير من الناس: إذن أيهما أسوأ؟ أيهما أكثر فسادا مذهب المعطلة أم مذهب الممثلة؟

كما ذكر أخونا كلاهما مذهبٌ فاسد لكن أيهما الأسوأ؟ ذَهَبَ أهل العلم إلى أن مذهبَ الممثلة أَسْوَأُ من مذهب المعطلة. ولهذا فإن مذهب المعطلة أكثر تقعيدًا، وأكثر انتشارًا، ومذهب الممثلة مذهبٌ محدودٌ، ولهذا لَمَّا ظَهَرَ المذهب في أوائل ظهوره صَاحَ بهم أهلُ السنة، وَصَاحَ بهم الناسُ وكفَّرُوهم، ولهذا انْكَمَشَ هذا المذهبُ وإن كانت هناك مقولة: إن الممثل يعبد صنمًا، والمعطل يعبد عدمًا.

لعل -أيضًا- منطلق منها المعطلة بتنزيه الله يعني قد يوافق؟

لا شك، المفهوم العام ولهذا مذهب التعطيل صار له كتبٌ، وصار له منظّرون بخلاف مذهب الممثلة.

نفتح المجال لأخوة، ونبدأ باليمين.

يقول: ما هي الأسماء والصفات التي لم يختلف فيها المعتزلة؟

المعتزلة أثبتوا الأسماء وَنَفَوْا الصفات، يعني لو أخذنا رؤوس مذاهب التعطيل ثلاثة:

الجهمية: ينفون الأسماء والصفات جملةً وتفصيلاً.

المعتزلة: أخف منهم، لكنهم أسوأ من الأشاعرة: يثبتون الأسماء وينفون الصفات، عِلمًا أنَّ إثباتَ الأسماء -أيضًا- ليس كما يُثبتها أهل السنة؛ لأنهم يُثبتونها كأعلامٍ محضةٍ مجردةٍ، يقولون: إن الله -عزّ وجلّ- يُسمى سميعًا، لكن لا يتصف بالسمع. كعلم محض فقط، علم على الله -عزّ وجلّ- كما يسمى الشخص خالدًا وهو ليس بخالدٍ، تسمى المرأة جميلةً وهي ليست بجميلةٍ، علم عليها فقط واضح.

الفرقة الثالثة الأشاعرة: يُثبتون الأسماءَ وبعضَ الصفات، جمهورهم أثبت سبعًا من الصفاتِ، ومنهم من أثبت ثمان صفات، ومنهم من أوصلها إلى خمس عشرة صفة.

يقول: هل هناك فرق بين التشبيه والتمثيل؟

أحسنت، هل هناك فرق بين التشبيه والتمثيل؟ شيخ الإسلام أجاب عن هذا في موضع آخر، فَذَكَرَ أنَّ النصوص جاءت بنفي التمثل أم التشبيه؟

التمثيل.

التمثيل، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾، ﴿ فَلاَ تَضْرِبُوا لِلهِ الأَمْثَالَ ﴾، ولهذا يقول: ينبغي التزام النص الشرعي لماذا؟ يقول: لأنَّ التشبيه قد يكون من جهةٍ حقًّا؛ لأنه ما من شيئيْن إلا ويشتبهان من وجه ويختلفان من وجه. لكن التمثيل لا يمكن أن نُمَثِّلَ الله -عزّ وجلّ- بخلقه، ولهذا جاءتِ النصوص بنفي التمثيل، ولهذا قال: أنا ألتزم النص الشرعي فأنفي عن الله التمثيل.

وهذه الطائفة الممثلة هو الذي أطلق عليها الاسم أم هي معروفة ممثلة وما قالوا مشبهة؟

أطلق عليهم ممثلة، ومن أهل العلم من أطلق عليهم مُشَبِّهَة من باب التسامح في الألفاظ، وإلا؛ فالأولى أن يُطلَقَ عليهم ممثلة كما أطلق الله -عزّ وجلّ- عليهم.

يقول: ما صحة مقولة: الممثل يعبد صنمًا، والمعطل يعبد عدمًا، مع أن كلاهما يدعي عبادة الله -سبحانه وتعالى-؟

المقولة صحيحة؛ ذلك أنَّ الممثلَ هو -في واقع الأمْر- لم يعبدِ الله -عزّ وجلّ- الَّذي جَاءَتْ صفاتُه في نصوص الكتابِ والسنةِ، إنَّما يعبد ربًّا نَحَتَه ذِهْنُه.

تَخَيَّلَه.

تخيله، فجعل لهذا الرب وجهًا كوجه المخلوق، ويدًا كيد المخلوق، وقدمًا كقدم المخلوق، وعِلْمًا كعلم المخلوق. هذه -في واقع الأمْر- ليست صفاتِ اللهِ -عزّ وجلّ- وفي المقابل المعطل بَدَأَ يُعَطِّلُ الصفاتِ شيئًا فشيئا حَتَّى وَصَلَ الأمْرُ إِلَى أنْ لَزِمَه أن يكون يعبد عدمًا. ولهذا قال محمود بن سبكتكين -رحمه الله- للجهمي لما قال له: صف لي الله -عزّ وجلّ-؛ قال: "ليس بسميع، ولا بصير، ولا متكلم، ولا كذا، ولا كذا" يأتي بالصفات كلها ثم يَنفيها، قال له: قف، فَرِّقْ لي بين هذا الربِّ الذي تعبده -لاحظ- وبين العدمِ. لو قلتُ لك: صف لِيَ العدم؛ لن تَصِفَه أفضلَ من هذا النصِّ. حقيقةُ أمْرِه أنه لا يَعبد ربًّا له أسماء وصفات، وله ذات وحقيقة قائمة بنفسها.

قبل أن نأخذ سؤالاً هناك اتصال هاتفي.

يقول: هناك سؤال ربما يطرأ على ذهن البعض: الله -عزّ وجلّ- في سورة النور ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾[النور: ٣٥] إلى آخر الآية، هل هذا يُعَدُّ من التمثيل؟ نريد أن نُزيل الإشكال عن أذهان بعض الناس في هذا الأمْرِ وجزاكم الله خيرًا.

في واقع الأمر هذه الآية لا تدل على التشبيه، وهي شبيهةٌ بقولِ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم-: (إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس)، وفي رواية: (كما ترون القمر ليلة البدر). فالتشبيه هنا تشبيه الرؤية بالرؤية، لا المرئيّ بالمرئيّ. رؤيتنا لله -عزّ وجلّ- يوم القيامة كرؤيتنا للقمر؛ فليس هناك تشبيه. وكذلك في قوله -سبحانه-: ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ ليس فيه تشبيه لنور الله -عزّ وجلّ-، وإنما لإثبات حقيقة هذا النور، وأنَّه ثابتٌ للهِ -عزّ وجلّ-، وإلا؛ فلا مقاربة، وليس هناك أدنى تماثلٍ أو تشابهٍ بين النوريْن.

الله -عزّ وجلّ- يقول: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾؛ أي في كل شيء لا في أسمائه، ولا في أفعاله، ولا في ذاته -سبحانه وتعالى-.

يقول: المؤسس الثاني للأشاعرة هو الباقلاني، هل لهم مؤسسون غير الباقلاني؟

لا، هو لا ما يُعَدُّ مُؤَسِّسًا، لكنَّ أهلَ العلم عدوه مؤسسًا لمذهبِ الأشاعرة؛ لأنه مِنْ أكثرِ الأشاعرةِ المتقدمين الذين قَعَّدُوا هذا المذهبَ، وَأَصَّلُوه، ولهذا سُمِّيَ المؤسسَ الثاني. كما أُطلق على الإمام البيهقيِّ -رحمه الله- أنه مُؤَسِّسُ مذهب الشافعي؛ لأنه هو الذي نَشَرَ مذهبَ الشافعيِّ، ولهذا قال أهل العلم: " ما من فقيهٍ شافعيٍّ إلا وللشافعي عليه منة إلا أبا بكر البيهقي؛ فإن المنة له على الشافعي لتصانيفه في نصرة مذهبه "؛ لأنه هو الذي نشر مذهبه -رحم الله الجميع-.

ثم قال -رحمه الله-: (فيا ليت شعري! بأيِّ عقل يُوزن الكتابُ والسنةُ فرضي الله عنِ الإمام مالك بن أنس حيث قال: أوَ كلما جَاءَنَا رَجُلٌ أجدلُ من رجلٍ؛ تركنا ما جاء به جبريلُ إلَى محمدٍ -صلى الله عليه وسلم- لجدلِ هؤلاء؟!

وكل من هؤلاء مخصوم بما خصم به الآخر، وهو من وجوه:

أحدها: بيان أن العقل لا يحيل ذلك.

الثاني: أن النصوص الواردة لا تحتمل التأويل.

الثالث: أن عامة هذه الأمور قد عُلِمَ أنَّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- جاء بها بالاضطرار، كما علم أنه جاء بالصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، فالتأويل الذي يُحيلها عن هذا بمنزلة تأويلاتِ القرامطة والباطنية في الحج، والصوم، والصلاة، وسائر ما جاءت به النبوات.

الرابع: أن يُبَيِّنَ أن العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص، وإن كان في النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن دَرْكِ تفصيلِه وإنما عَقِلَه مجملاً إلَى غير من الوجوه.

على أن الأساطين من هؤلاء والفحول معترفون بأنَّ العقل لا سبيلَ له إلَى اليقين في عامة المطالب الإلهية، وإذا كان هكذا؛ فالواجب تلقِّي علم ذلك من النبوات على ما هو عليه.)

)
)

الشيخ يقول: (فيا ليت شعري! بأي عقل يوزن): يعني إذا كنتم مضطربين في ضابطِ العقل؛ فبأي عقل نَزِنُ الكتاب والسنة؟! بعقل الفارابيِّ أم بعقل ابن سينا، أم بعقل الرازي، أم بعقل الجويني، أم بعقل القاضي عبد الجبار؟! أنتم مختلفون مضطربون في هذه القواعد التي تزعمون أنها قواعد عقلية.

يقول: (فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس): هذا الأثر رواه الإمام اللالكائيُّ وأبو نعيم في "الحلية"، وصَحَّحَه الألبانيُّ -رحمه الله-.

قال: "أوَ كُلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلُ من رجل -أي أكثر جدلاً-؛ تَرَكْنَا مَا جَاءَنَا به جبريلُ إلَى محمدٍ لجدلِ هؤلاءِ؟! هل نستسلم لجدلِ هؤلاء، ولسفسطة هؤلاء، وإلى هذيان هؤلاء وعندنا الكتاب والسنة، وعندنا قول الله -عزّ وجلّ- الذي جاء به جبريل منَ اللهِ، وألقاه إلَى النبيِّ -صلى الله عليه وسلم-، وألقاه النبي -صلى الله عليه وسلم- إلَى أمته؟!

هذا هو سَنَدُنا، وهذا دينُنا يُؤخذُ بهذهِ السلسلةِ الذهبيةِ، فلا نلجأ إلَى عقلِ فلانٍ ولا إلى رأي عَلاَّن خاصَّة في هذه الأمور التي مبناها التسليم للنصوص؛ لأنها أمور غيبية.

ثم قال: وكل من هؤلاء؛ أي هذه الطوائف جميعا التي أشار إليها من المعطلة مخصوم بما خُصِمَ به الآخرُ. وهذه أيضًا من القواعد التي تُستخدم دائما في الردِّ على المخالف؛ أنك تُلزمه بما هو أَلْزَمَ خَصْمَه، فنحن نُلزم الأشعريَّ بما أَلْزَمَ به المعتزلة، كما أنَّ المعتزلي يُلزم بما أَلْزَمَ به الجهميَّ.

وهو من وجوه:

الأول: أن نبين لهم على وجه العموم. الشيخ الآن لم يتكلم على الأشاعرة، ولا على المعتزلة، ولا على الجهمية، ولا على الفلاسفة يقول كل هؤلاء نبين أن كلامهم باطل من وجوه.

يعني حتى نعود إلى هذا النقطة في قضية وكل من هؤلاء مخصوم بما خصم به؟ فلو ذكرتَ مثالاً حتى يتضح مقولة الشيخ؟

الآن الأشعري يُنكر على المعتزليِّ نَفْيَ صفة الحياة عن الله -عزّ وجلّ-، يقول له: أنا أُثبت الحياةَ للهِ -عزّ وجلّ-، والحياة ثابتة بنص الكتاب والسنة وبالعقل الصريح.

الآن الأشعري يُنكر على المعتزليِّ نفيَ هذه الصفة، ويُثبت له الصفة بدليلِ الكتابِ والسنةِ والعقلِ. نحن نقول له: ونحن نُلزمك في صفةِ الرحمةِ بما أَلْزَمْتَ به المعتزليَّ في صفة الحياة. أنت تُنكر صفة الرحمةِ ونحن نقول لك: الرحمةُ ثابتةٌ بالكتاب والسنة والعقل.

العقل الذي استدللْتَ به على إثبات صفة الحياة وأنكرتَ على المعتزليِّ نحن -أيضا- نُلزمك بذلك. فكلٌّ منكم مخصومٌ بما خَصَمَ به الآخر.

هذه الوجوه في بيان فساد هؤلاء والرد على هؤلاء قال:

أحدها: بيان أن العقل لا يُحيل ذلك. هذه قاعدة عامة: العقل لا يحيل إثبات الأسماء والصفات لله -عزّ وجلّ- جميعها.

هل يُسَلِّمُون بهذا الردِّ ويوافقون عليه؟

لا بالطبع، لهم شُبَهٌ، ولكن يُرَدُّ عليهم نقول لهم: العقل الصريح لا يُمكن أن يُحيل هذا الأمْرَ.

نعم، أحيانا يأتي في الكتاب والسنة ما تَحَار فيه العقولُ، يحار فيه عقلي وعقلك، لكن تُحيله العقول؟ لا؛ لأنَّ الله هو الذي أنزل الوحي وهو الذي خَلَقَ العقول، فمن مقتضى كمال الحكمة وكمال العلم أم لا يَخلقَ ما يَتَعَارَضُ مع ما أنزل -سبحانه وتعالى-.

فهذه الأمور لا تُحيلها العقول، والشيخ لن يدخل معهم في التفصيل، والآن أعطى قاعدةً وَرَدًّا عامًّا، وهذا جميل يستخدم مع أيِّ معطل. نقول له: ما ذكرته لا يحيله العقل.

الأمْر الثاني: أن النصوص الواردة لا تحتمل التأويلَ. أنت لما قلتَ: إن هذا يستحيل عقلا انتقلت إلى نصوص الشرع فأوَّلتها يعني تزعم أنها تتعارض مع العقل أم لا؟!

صحيح.

أولَ النصوص التي جاءت بإثباتِ العلمِ، إثبات الحكمةِ إثبات القدرة، إثبات السمع، إثبات الاستواء، إثبات اليديْن.

الشيخ يقول: النصوص الواردة في هذه الصفات لا تحتمل التأويلَ أنْ تصرفَها عن المعنى القريب إلَى المعنى البعيدِ، المعنى الظاهر إلى المعنى الباطل، النصوص لا تحتمل، وسيأتي تفصيل لذلك.

الوجه الثالث: أنَّ عامَّة هذه الأمور -أي التي جاء بها النبي -صلى الله عليه وسلم- من أسماء الله وصفاته- قد عُلِمَ أنَّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- جاء بها بالاضطرار؛ أي معلوم هذا الأمْر من الدينِ بالضرورةِ، وقلنا: العلم الاضطراري الذي لا يُمكن دفعه؛ مثل: الواحد نصف الاثنين؛ فلا يحتاج إلَى تأمل وتفكر، هذا أمر يضطر إليه الإنسان اضطرارا. السماء فوق الأرض، نور الشمس أعظم من نور المصباح، يعني أمر اضطراري. كذلك نعلم بالاضطرار أنَّ النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- جاء بالنصوص المثبتة لأسماء الله وصفاته.

كما علم يعني يعلم بالاضطرار كما علم أنه جاء بالصلوات الخمسة وصوم شهر رمضان. ألست -أيها المخالف!- تُؤمن -معي- أنَّ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- هو الذي جاء بفرضِ الصلاةِ منَ اللهِ -عزّ وجلّ- وصيام شهر رمضان أم لا؟! فكذلك هو الذي جاء بنصوص الصفات.

فالتأويل الذي يحيلها عن هذا نصوص الصفات التأويل الذي يحيل نصوص الصفات من معناها إلا المعنى البعيد هذا بمنزلة تأويلات القرامطة والباطنية في الحج والصوم.

القرامطة والباطنية، والقرامطة طائفة من الباطنية أتباع حمدان قرمط الذي خَرَجَ سنة ٢٨١ وصار له أتباعٌ، وقصته معروفة لَمَّا هَجَمَ على الْحُجَّاجِ، واقْتَلَعَ الْحَجَرَ الأسودَ، وبَقِيَ الحجرُ الأسودُ في منطقتِهم في البحرين لمدة عشرين سنة. كان الناس يحجون وليس هناك حجرٌ أسودُ يُستلم.

هؤلاءِ باطنية أوَّلُوا جَمِيعَ نصوصِ القرآنِ، ومِمَّا أوَّلُوه نصوص الحجِّ والصومِ، فَزَعَمَ بعضُهم أنَّ الحجَّ المقصود ليس قصدَ مكة لأداء عمل مخصوص في وقت مخصوص. لا، الحج هو زيارة المشاهد. الصوم هو حفظ الأسرار، ليس هو الإمساك عن الأكل والشرب من طلوع الفجرِ إلى غروبِ الشمسِ.

الشاهد أنهم أولوا هذه النصوص. الشيخ يقول: تأويلكم لنصوص الأسماء والصفات كتأويلِ هؤلاء. ولا شكَّ أن أهل العلم قاطبة كَفَّرُوا الباطنية بهذه التأويلاتِ الفاسدةِ، والأشاعرة والمعتزلة وربما الجهمية يُنكرون على الباطنية والقرامطة هذه التأويلات الفاسدة. فالشيخ يلزمهم، ويقول: تأويلاتُكم لنصوصِ الصفاتِ كتأويلاتِ هؤلاء، ما الفرق؟! ليس هناك أيُّ فرقٍ.

الرابع والأخير: أن يبين أن العقل الصريح. لاحظ الفرق بين الرابع والأول ما هو الفرق؟ هنا أن العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص، وهناك لا يحيلها. نحن نقول: لا يحيلها، هذه قاعدة عامة. هنا لا الشيخ يقول: بل العقلُ الصريح العقلُ السالم من الشبهات العقلُ السالم من لوثة الابتداع يُوافق النصوص في إثبات الصفات، فنحن نثبت هذه الصفات بالعقل كما ثبتتْ بالشرع.

(وإن كان في النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن درك تفصيله): لا شك أن أمور الغيب فيها من التفصيلات -أحيانا- ما لا يمكن إدراكه بالعقل، لماذا؟ لأنَّ العقل محدود، فنحن بالعقل قد نُدرك إثبات اليوم

الآخر، لكن لا يُمكن بالعقلِ أن نثبت تفاصيلَ بعضِ ما يَحصل في اليوم الآخر، لكن لا يمكن أن نـدرك بالعقـل إثبات الصراط، لا يمكن بالعقل أن ندرك إثبات أن الأيدي والأرجل تشهد على صاحبها. هذا لا يمكـن إدراكـه بالعقل، هذا ثابت بالسمع، فأمور الغيب مبناها أولا على السمع، لكن العقل قد يُثبت بعض هذه الأمـور بخـلاف التفصيلات؛ مثل: إثبات العلم لله، إثبات الألوهية لله ثابت بالعقل، إثبات الربوبية لله ثابت بالعقل، إثبات الكمـال المطلق لله ثابت بالعقل موافق للنصوص، لكن مثلاً إثبات العلم ثابتٌ لله بالعقلِ، إثبات القدرة ثابت لله بالعقل، لكن إثبات الاستواء غير ثابت بالعقل وثابت بالسمع، إثبات المجيء لله يوم القيامة بالسمع، إثبات النزول بالسمع.

فالعقل ليس هو المعوَّلَ الوحيد لكن نُثبت بالعقل بعض ما وَرَدَ في السمع، ولهذا الشيخ قال: (أن يُبَيَّنَ أنَّ العقل الصريح يُوافق ما جاءت به النصوص وإن كان في النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عـن درك تفـصيله وإنما عقله مجمل): كإثبات الألوهية على وجه الإجمال، إثبات الربوبية على وجه الإجمال، إثبات اليوم الآخـر على وجه الإجمال، إثبات صدق النبي –صلى الله عليه وسلم– على وجه الإجمال.. إلَى غير من الوجوه.

على أن الأساطين من هؤلاء؛ أي المتقدمين من هؤلاء والفحول معترفون بأنَّ العقل لا سبيل له إلى اليقين في عامَّة المطالب الإلهية كما صَرَّحَ أفلاطون وأبقراط وغيرهم.

كبار الفلاسفة قالوا: هذه أمور إلاهية تُوكَلُ إلَى الأنبياء، والعقل يُستخدم فيما يُمكن إدراكُه من الأمورِ الحسية. لكن لما جاء أرسطو هو الذي أَقْحَمَ العقلَ فيما وراء الغيب وسماه "الميتافيزيقا" فَتَلَقَّفَه الفلاسفةُ المنتسبون للإسلام؛ كابن سينا والفارابي ثم انتشر بين الناس.

أسئلة المراجعة:

السؤال الأول:

نطلب من الإخوة تلخيص الأوجه الأربعة التي ذَكَرَهَا الشيخ في الردِّ على عموم المعطلة الـذين زَعَمُـوا أنَّ العقلَ أَحَالَ إثباتَ الأسماء والصفات أو بعضها.

يقول: أليس الهوى له دخل في إثبات الأسماء والصفات عند الذي يثبتونها بالعقل.

لم أفهم السؤال.

يقول: إن أراد شخص أن يثبت شيئًا في عقله؛ أثبته، وأراد أن لا يثبته؛ لم يثبته؟

لا نقول: الهوى، هو يقول: أنا أُثبتُ هذه الأسماء وَفْقَ ضوابطَ وقواعدَ عقليةٍ، لكن نحن نرد عليه ونقول: هذا العقل الذي عندك وأثبت للهِ هذه الأسماءَ يُمكن أن يُثبت الصفات الذي أثبت بعضَ الصفاتِ، كما صنع الأشـاعرة قالوا: أثبتنا بالعقلِ السمعَ، والبصرَ، والحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام لله –عزّ وجلّ– نقـول: بـنفس العقل يمكن إثبات الرضا، إثبات الغضب، إثبات الرحمة، إثبات الحكمة، وهذه صفات ينفونها.

يقول: لماذا يكون مذهب الممثلة أفسدَ من مذهب المعطلة؟

ذكرنا هذا في الإجابة مذهب الممثلة أفسد؛ لأنه أوَّلا لا يقوم على عقل، ولا يقوم على نـصٍّ، ولـيس لهـم تقعيداتٌ وقواعدُ، وإنما هي أمور نَحَتَتْهَا أذهانهم بخلاف المعطلة لهم شبه؛ شبه سمعية وشبه عقلية، ولهذا صـار مذهبهم أفسدَ من مذهب المعطلة.

الدرس الرابع عشر

منهج نفاة الصفات ومصادر شبهاتهم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة، وأتم التسليم.

كما هي عادة الدرس أن نبدأ بذكر سؤال الحلقة الماضية من باب المراجعة، وأيضا نستعرض الإجابات، ولعلنا نستعرض من إجابات الإخوة معنا في هذا الاستديو نظرا لوجود عطل في البريد الإلكتروني.

ذكَرَ الشيخُ -كما أخذنا في الحلقة السابقة- وجوهًا أربعةً يمكن أن يُرَدَّ بها على كلِّ معطلٍ زَعَمَ أنَّ العقلَ أحَالَ إثباتَ ما عَطَّله مِنَ الصفاتِ. هذه الوجوه ذكَرَهَا الشيخُ على وجه الإجمال، ونريد ذكرها -أيضًا- مجملة.

نبدأ باليمين.

يقول: إنَّ العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص.

أحسنت، أنَّ العقل الصريح يُوافق ما جاءت به النصوص.

يقول: العقلُ لا دخل له في إثبات الأسماء والصفات.

يقال: إن العقل لا يُحيل هذا الشيءَ، الأخ ذكَرَ أنَّ العقل يُمكن أن تُثبت به بعض الصفات يعني يَتَوَافَقُ مع نصوص الصفات، الرد الثاني نقول: إن العقلَ لا يُحيل هذه الأمور التي زعموا أنَّ العقل يُحيلها.

الثالث:

يقول: أن النصوص الواردة لا تحتمل التأويل.

بارك الله فيك! أنَّ النصوص الواردة في الأسماء والصفات لا تحتمل التأويل الذي لَجَأ إليه هؤلاء المعطلة لَمَّا تَعَارَضَتْ هذه النصوص مع عقولهم.

الأمْر الرابع؟

يقولُ: إنَّ عامَّة هذه الأمورِ قد عُلِمَ أنَّ الرَّسُولَ -صلى الله عليه وسلم- جَاءَ بها بالاضطرار.

بارك الله فيك! أن عامة هذه الأمور التي هي الأسماء والصفات أن النبي -صلى الله عليه وسلم- جاء بها بالاضطرار، كما جاء بالصلاة والصيام والحج.

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (وإذا كان هكذا؛ فالواجب تَلَقِّي عِلْم ذلك من النبوَّات على ما هو عليه.

ومنَ المعلوم للمؤمنين أنَّ الله بَعَثَ محمدًا -صلى الله عليه وسلم- بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا، وأنه بَيَّنَ للناس ما أخبرهم به من أمور الإيمان بالله، واليوم الآخر.

والإيمان بالله واليوم الآخر يَتَضَمَّنُ الإيمان بالمبدأِ والمعاد، وهو الإيمانُ بالخلْق والبعْثِ، كما جمع بينهما في قوله –تعالى-: ؟ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ؟[البقرة: ٨]، وقال –تعالى-: ؟ مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ؟[لقمان: ٢٨]، وقال تعالى: ؟ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ؟[الروم: ٢٧].

وقد بَيَّنَ الله –تعالى– على لسان رسوله –صلى الله عليه وسلم– من أمر الإيمان باللهِ واليوم الآخر ما هَدَى الله به عِبَادَه وكَشَفَ به مرادَه.)

)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

يقول الشيخ: (وإذا كان هكذ): بمعنى أنَّ العقل يُمكن أنْ يُثْبَتَ به بعضُ ما جاءت به النصوص عِلْمًا أن تفاصيل بعضِ الأمورِ الغيبيةِ لا يُمكن إدراكُها بالعقل. يقول: (وإذا كان هكذا؛ فالواجب تلقي علم ذلك..): علم ماذا؟ علم الغيب، خاصة المتعلق بالله –عزّ وجلّ–، الأسماء والصفات تلقيه من النبوات –من الوحي–، بمعنى عدم الاعتماد على العقل، عدم التَّعويل على العقل دائما على ما هو عليه، كما جاءت به الأنبياء. وأن تثبت هذه النصوص كما جاءت عن الأنبياء.

ثم قال: (ومن المعلوم للمؤمنين أنَّ الله بَعَثَ محمدًا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا، وأنه بين للناس ما أخبرهم به من أمور الإيمان بالله، وباليوم الآخر):

بمعنى أنَّ الله –عزّ وجلّ– أرسله لهدايةِ الخلق. هذه هي الغايةُ من إرسال النبي –صلى الله عليه وسلم–، فهو –صلى الله عليه وسلم– لم يأتِ ليُقيمَ دولةً، أو يقيم حضارةً، بل أتى لهدفٍ واحدٍ، وهو هدايةُ الخلق، وكل الأمور الأخرى تأتي بالتبع لهذه المهمة العظيمة.

ولهذا سعى –عليه الصلاة والسلام– جاهدًا وقام بذلك فعلاً لهدايةِ الخلق بأقرب الطرق، وأيسر الطرق، وأوضح الطرق.

(وقد بين للناس ما أخبرهم به من أمور الإيمان بالله واليوم الآخر): جَاءَ للناس بالإيمان بالله، ومن ضمن الإيمانِ بالله الإيمانُ بأسمائه وصفاته؛ لأنَّ الإيمانَ باللهِ يَتَضَمَّنُ الإيمانَ بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته، والكلام الآن في الشِّقِّ الثالثِ الأسماءِ والصفاتِ.

ثم قال: (والإيمان باللهِ واليوم الآخر يَتَضَمَّنُ الإيمانَ بالمبدأِ والمعادِ، وهو الإيمان بالخلق والبعث كما جمع بينهما في قوله –تعالى-: ؟ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ؟: غالبًا ما يقرن الله –عزّ وجلّ– في القرآنِ الإيمانَ به بالإيمان باليوم الآخر، وكل الكلام هذا مقدمة يريد الشيخ منها هدفًا وغايةً في قضيةِ اقترانِ الإيمان باللهِ باليومِ الآخرِ.

يقول: (ثم قال: ؟ مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ؟): هنا المبدأ والمعاد، الخلق والبعث مرة واحدة عند الله –عزّ وجلّ– أهون من خلق نفس واحدة، وقال –تعالى-: ؟ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ؟.

ثم قال: (وقد بَيَّنَ الله –تعالى– على لسانِ رسولِه –صلى الله عليه وسلم– مِنْ أَمْرِ الإيمان باللهِ واليومِ الآخرِ ما هدى الله به عباده، وكَشَفَ به مُرادَه): بمعنى أنَّ النبيَّ –صلى الله عليه وسلم– بَيَّنَ هذيْن الأصليْن العظيمَيْن غَايَةَ البيان، وبهذا البيان هَدَى الله الخلقَ وبَانَ الحقّ.

(ومعلومٌ للمؤمنين أنَّ رسولَ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– أعلَمُ بذلك من غيرِه، وأنصح للأمة من غيره، وأفصح من غيره عبارةً وبيانًا، بل هو أعلم الخلق بذلك، وأنصح الخلق للأمة وأفصحهم.

وقد اجتمع في حقِّه –صلى الله عليه وسلم– كَمَالُ العلم والقدرةِ والإرادةِ، ومعلوم أنَّ المتكلمَ والفاعلَ إذا كَمُلَ علمُه وقدرتُه وإرادتُه؛ كَمُلَ كلامه وفعله، وإنما يدخل النَّقْصُ إمَّا من نَقْصِ علمه، وإما من عجزه عنْ بيانِ علمِه، وإما لِعَدَمِ إرادتِه البيانَ.)

)

يريد الشيخُ –الآن– أن يَرُدَّ عليهم ردًّا إجماليًّا في لجوئهم إلى ما يُسَمَّى بتأويلِ النصوصِ. فهم قد لجؤوا إلى تأويلِ النصوصِ؛ أي صرف هذه النصوص عن المعنى الظاهر القريب إلى المعنى البعيد، لماذا؟ قالوا: لأنَّ العقلَ يُحِيلُ هذا الشيءَ، بمعنى أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– جاء بهذه النصوص وله مُرادٌ آخرُ غيرُ ظاهرِ هذه النُّصوص أم لا؟! يعني جاء وقال: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾، ولا يَقصِدِ العلوَّ والارتفاعَ، وإنما يَقصِدِ الاستيلاءَ كما يزعم هؤلاء.

الشيخ يقول: (ومعلوم للمؤمنين أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– أعلم بذلك من غيره): الإشارة هنا لأي شيء؟ بالله وباليوم الآخر، بأسماء الله وصفاته، أعلم بذلك من غيره وهذا لا يجادل فيه مسلم. إذن عندنا الصفة الأولى أنه أعلم الخلق بذلك، ثم قال: (وأنصح للأمة): هذه الصفة الثانية، ولا شكَّ أنَّه أنصحُ الأمة، ومن شَكَّ في ذلك؛ كَفَرَ.

ولهذا قال –عليه الصلاة والسلام– كما ذكر المؤلف في أول الكتاب (تركتكم على المحجة البيضاء؛ ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها –بعدي– إلا هالك). ولهذا قال في حجة الوداع: (إنكم مسؤولون؛ فماذا أنتم قائلون؟ قالوا –بصوت واحد ولم يجتمع له من أصحابه كما اجتمع له في هذا الموقف، اجتمع له أكثر من مائة ألف– قالوا بصوت واحد: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت).

الصفة الثالثة: وأفصح من غيره: أفصح من نَطَقَ بالضاد، أفصح العرب على الإطلاق –عليه الصلاة والسلام–، والقرآن نَزَلَ بلغةِ العربِ.

(وأفصح من غيره عبارةً وبيانًا، بل هو أعلمُ الخلق بذلك، وأنصح الخلق للأمة): هذا تأكيد لما سبق بيانه. (وأفصحهم، وقد اجتمع في حقه –عليه الصلاة والسلام– كمال العلم، وكمال القدرة وكمال الإرادة).

إذن عندنا كمال العلم، كمال القدرة، إذا كان عالمًا وقادرًا ومريدًا إبلاغَ هذا الأمر للخلق، وكل هذه الصفات اتصف بها على وجهِ الكمالِ الذي لا كَمَالَ بَعْدَه.

ولهذا نُورد عليهم، ونقول لهم: يلزمكم أنْ يكونَ الرسولُ –صلى الله عليه وسلم– بهذه النصوص –نصوص الصفات– عالِمًا بأنَّ الحقَّ في تأويلِ هذه النصوصِ أم لا يعلم؟! لا بد أن يقولوا: إنه يعلم تأويل هذه النصوص، يعلم أن معنى الاستواء معناها الحقيقي ماذا؟

الاستيلاء.

الاستيلاء.

(فَإذَا كان عالما؛ فلا يخلو أن يكون قادرًا على التعبير بعباراتهم أو غير قادر): ويَلزَمُهم أن يقولوا: إنه قادر؛ لأنهم إذا قالوا: إنه غير قادر بمعنى هؤلاء أفراخ الفلاسفة والمتكلمين، أفراخ اليهود والنصارى يكونون أقدرَ منَ النبيِّ –صلى الله عليه وسلم– هذا لا يقوله الناس، فَإذَا كان قادرا وأقدر منهم، فإما أن يكون تَكَلَّمَ بهذا الأمر أو أرادَ الكلامَ به أم لم يُرِدْ؟! أراد، لا بد أن يكون أراد، إذا كان هذا فيه الهدى لأن عندك كمالَ الإرادةِ، فلا بد أن يكون مريدا؛ فأين كلامه؟!

فأنتم بهذا الشيءِ تَتَّهمون النبيَّ –صلى الله عليه وسلم–، وبلجوئكم إلَى التأويل يَلزمكم اتهامُ النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه تَرَكَ الأمة والحقُّ مُلتبسٌ عليها، لم يُبَيِّنْ الهدى، لم يبين الحق الذي أَرْسَلَه الله –عزّ وجلّ–. كأنكم تقولون: الهدى عندنا، أما الذي جاء به النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ فليس بالحق. لأننا نسألهم: ما الحق في هذه النصوص؟ فيقولون لنا: التأويل، أن يكون معنى هذا النص كذا، فيقال لهم: إذن اتَّهمْتم بهذا القول نبيَّكم –عليه الصلاة والسلام– أنه تَرَكَ الحقَّ مُلتبسًا على أمتِه، وهذا ما صَرَّحَ به بعضُ غلاتِهم.

قالوا: نعم، إن النبيَّ –صلى الله عليه وسلم– ترك الأمر ملتبسًا لأجلِ أنْ يَتَوَصَّلَ الناسُ إلى الحقِّ بعقولِهم، وهذا غايةُ الضلالِ وغايةُ الانحرافِ، والسببُ أنَّهم حَادُوا عنْ صراطِ الله المستقيم، وإلا؛ فلا يمكن أن يقول هذا الكلام عاقلٌ يفهم ما يقول، كيف تتهم نبيَّك –عليه الصلاة والسلام–؟! قد يقول قائل منكم: لا يمكن أن يقول هذا الكلام مسلمٌ ولا يمكن أن يَتَفَوَّهَ بهذا الكلام، لكن هذا من باب ماذا؟

لسان الحال.

جميل، لسان الحال، ومن باب الإلزام، ودائما نحن نقول في باب المناظرة، وباب الجدل: نأتي بالإلزام لأجل إلزام الخصم، لا بد أن تَستسلم لي في هذه القضية.

(والرسول –صلى الله عليه وسلم– هو الغاية في كمال العلم.)

قبل أن تنتقل يقول: (ومعلوم أن المتكلم والفاعل إذا كمل علمه وقدرته وإرادته): هذا ثابت للنبي –صلى الله عليه وسلم– كمال العلم، وكمال القدرة، وكمال الإرادة. فلا بدَّ أنْ يكمُل كلامُه وفعلُه، ودائما يدخل النقصُ إمَّا من نقص العلم فيكون الشخص ناقص العلم، ولهذا يكون بيانُه ناقصًا، وإلا؛ فمن عجزه عن البيان. فيكون عالِمًا لكنَّه لا يستطيع أن يُوصِلَ هذه المعلومة إلَى الآخرين.

فالأستاذ أحيانا يكون أستاذًا متمكنًا تماما، ولا يُشَكُّ في تمكنه وعلميته، ويكون –أحيانا– من المبدعين، لكن لا يُوَفَّقُ إلى الطريقةِ الجيدةِ في إيصالِ المعلومةِ، ولهذا لا يستفيد منه الطلاب كثيرا. لكنَّ النبيَّ –صلى الله عليه وسلم– أكملُ الناس علمًا، وأكملُ الناس قدرةً، وأكملُ الناس إرادةً؛ فيلزم منه أن يكون أكملَ الناس كلامًا، وكلامه يُفصح عن حقيقةِ الحقِّ الَّذي أَرَادَه –عليه الصلاة والسلام–. ولهذا كلامه الذي جاء به كتاب الله وسنته هي الغاية في البيان، والغاية في بيان الحق.

(والرسول –صلى الله عليه وسلم– هو الغاية في كمال العلم، والغاية في كمال إرادة البلاغ المبين، والغاية في القدرة على البلاغ المبين. ومع وجود القدرة التامَّة والإرادة الجازمة يجب وجودُ المراد، فعُلم –قطعًا– أنَّ ما بَيَّنَه من أمر الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخرِ حَصَلَ به مرادُه منَ البيان، وما أراده من البيان هو مطابقٌ لعلمه، وعلمه بذلك هو أكبر العلوم.

فكُلُّ مَنْ ظَنَّ أنَّ غير الرسول -صلى الله عليه وسلم- أعلمُ بهذه منه، أو أكمل بيانا منه، أو أحرص على هدي الخلق منه؛ فهو من الملحدين لا من المؤمنين. والصحابة والتابعون لهم بإحسان، ومن سَلَكَ سبيل السلف هم في هذا الباب على سبيل الاستقامة.)

(

هذا تلخيص لما سَبَقَ بيانُه، يقول الشيخ: إذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- هو الغاية، وهو النهاية في كمال العلم، والغاية في كمال الإرادة، والبلاغ، والغاية في القدرة على البلاغ، مع وجود القدرة التامة والإرادة الجازمة يجب وجود المراد الذي هو الحق على ما هو عليه كما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم-.

يقول: (فعُلم -قطعا- أنَّ ما بَيَّنَه من أمرِ الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخرِ حَصَلَ به مرادُه من البيان): الشيء الذي أراده حصل، وما تخلف شيء، وليس هناك شيء لم يُبَيِّنْه للأمة، وتأويلاتكم هذه لم نَجِدْها في الكتابِ ولا في السنة، بل لم نجدْها عنْ سَلَفِ هذه الأمةِ، فَدَلَّ على أنها ليست هي الحقَّ، وليست من الحقِّ.

(وما أراده من البيان هو مطابق لعلمه): البيان الذي بَيَّنَه مطابقٌ للعلم الذي عَلِمَه -صلى الله عليه وسلم-، وعلْمُه بذلك أكمل العلوم؛ لأنه أعلم الخلق بالله -عزّ وجلّ-، ولهذا لَمَّا قَالَ النَّفَرُ الثلاثة -عبد الرحمن بن مظعون وصاحباه- لَمَّا سألوا عائشة -كما في صحيح البخاري- عن عِبادةِ النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ فذكرت عائشة لهم عبادته -عليه الصلاة والسلام-، فكأنَّهم تَقَالُّوها، فهم متصورون أنَّ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- يقوم كلَّ الليلِ، ويواصل الصيام، وكذا. فلما ذكرت لهم عبادة النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ فما تَوَافَقَ هذا مع التصورُّ الّذي كان في أذهانِهم، والتصور كان خاطئًا، فعللوا ذلك وهذا خطأ ثانٍ، أخطؤوا المرة الأولى ثم أخطؤوا المرة الثانية -رضي الله عنهم-.

عللوا ذلك وقالوا: الرسول -صلى الله عليه وسلم- غَفَرَ الله له ما تَقَدَّمَ من ذنبه وما تَأَخَّرَ، فربما اقْتَصَرَ على شيءٍ من العبادةِ اعتمادًا على مغفرة الله. فقال أحدهم: أمَّا أنا؛ فأصوم ولا أفطر، وقال الآخر: فأمَّا أنا؛ فأقوم ولا أنام، وقال الثالث: أمَّا أنا؛ فلا أتَزَوَّجُ النساء. ولما جاء النبي -صلى الله عليه وسلم- أَخْبَرَتْه عائشةُ، فخطب الناس -والشاهد هنا- وقال: (أمَا واللهِ إني لأعلمُكم بالله، وأخشاكم لله، وإني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي؛ فليس منِّي). الشاهد أنه أعْلَمُ الخلقِ، وإذا كان أعلمَ وأفصحَ؛ فَمَا بَيَّنَه موافقٌ لعلمِه لأنه لا يُمكن أنْ نَعتقِدَ أنَّ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- كَتَمَ شيئًا من هذا العلم.

ثم يقول: (فكل من ظَنَّ أنَّ غيرَ الرسولِ -صلى الله عليه وسلم- أعلمُ بهذه الأمة): ولا شكَّ أنَّ هذا من إلزام هؤلاء الخصوم، كونكم جئتم بشيءٍ جديدٍ لم يأتِ به النبيُّ -صلى الله عليه وسلم-، وتَزعمون أنَّ الحقَّ مَنُوطٌ بهذا الأمْرِ، وأن الحق مرتبط بما جئتم به. كونك معتقدا أنَّ إثباتَ اليدين لله -عزّ وجلّ-، أو إثبات النزول لله -عزّ وجلّ- على ما جاء على ظاهِرِ النصِّ هذا يقول لك: هذا ضَلالٌ وانحرافٌ. إذن ما الحق؟ الحق هو التأويل الذي جئنا به. والتأويل الذي جئتم به هل جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم-؟ لا، إذن أنتم أعلم من النبي -صلى الله عليه وسلم- بربِّه!

ولهذا قال: أكمل بيانا منه، أو أحرص على هدي الخلق منه؛ فهو ليس من المؤمنين، بل من الملحدين، لا من المؤمنين والصحابة والتابعين لهم بإحسان، ومن سَلَكَ سبيلَهم من سلف هذه الأمة هم على هذا المنهج وهذا السبيل -رضي الله عن الجميع-.

يقول: ألا يُرَدُّ على من يقولون إن النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- لم يبين للأمةِ كمال الأمور: ؟ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ؟؟

بلى، هذا رَدٌّ، لكنَّهم لا يُصَرِّحُون، فغالبهم وجمهورهم لا يقولون: إن النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- لم يُكمل هذا الدينَ للأمةِ، وإلا لو قالوا هذا الكلام؛ لَصَاحَ بهمُ الناسُ ولَكَفَّرُوهم، وأخرجوهم عن دائرة الإسلام. ومن لوازم الإيمان برسالته -عليه الصلاة والسلام- الاعتقاد أنه أَكْمَلَ للأمة دينها؛ لأنه من شَكَّ أنه لم يكمل للأمة الدين؛ فقد اعتقد أنَّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- خَانَ الرسالة ومن زَعَمَ أنَّ الرسولَ خَانَ الرسالة؛ فقد كفر. لكنَّ هذا من بابِ الإلزامِ لهم، لكنهم يقولون: لا، النبي -صلى الله عليه وسلم- عَلِمَها لكن لم يُرِدْ -مثلا- أنْ يُشَوِّشَ على أذهانِ الخلق، ومنهم كغلاة الباطنية، وبعض الغلاة الفلاسفة قالوا: لا، حتى الرسول -صلى الله عليه وسلم- ما كان يعلم هذه الحقائق.

وهذا الإلزام يأتي في معرض العموم، وإلا فتفصيل أفراد الشبهة له حجته.

لا شك، حتى هذه الإلزامات، ولهذا أخذ الشيخ في "الفتوى الحموية" القواعدَ العامَّة في الردِّ على هؤلاء المعطلة، وما ناقش معهم شُبهةً شُبهةً؛ لأنَّها -كما ذكر- جوابٌ وردود عامة، فكونهم ركبوا موجة التأويل، وَتَسَنَّمُوا التأويلَ في إبطالِ نصوصِ الوحيين بَيَّنَ لهم أن هذا المنهجَ فاسدٌ، لكنَّ فسادَ التأويلِ على وَجْهِ الخصوصِ بالأدلَّة العقليَّة والنقليَّة ليس هذا مجالَ ذكرها.

يقول: هل صَحَّتْ مقولة أن الشريعة جاءت بمحارات العقول لا بمحالاتها؟ وهل هي دليل على الردِّ على من جَعَلَ عقله دليلاً بين الحق والباطل؟

أحسنت، مقولةُ إن الشرع قد يأتي بما تَحار فيه العقولُ لا بما تُحيله العقول هذه قاعدة سليمة، وقاعدة جيدة. فالشرع قد يأتي بما تحار فيه العقول، يحتار فيه العقول، العقل لا يمكن أن يدرك حقيقته وتفصيله؛ مثل بعض تفاصيل اليوم الآخر. اعرض على عقلك -كما عرض بعض المعتزلة على عقله- مسألة الصراط. ثَبَتَ في النصوص أنه أدقُّ من الشَّعْرِ، وأحدُّ من السيف. العقل هل يمكن أن يَتَصَوَّرَ أنَّ الإنسانَ يَمشي على شيء بهذا الشكل؟ لا، تحار فيه العقل لكن هل يحيله العقل؟ لا؛ لأنَّ الذي خلق الإنسان من لا شيء قادرٌ عليه. الذي قدر على أن يجعل المخلوق يطير بين السماء والأرض ألا يقدر على أن يجعل المخلوق يمشي على هذا أم لا؟! فالعقل يحار لكن ما تحيله العقول، وهذه العبارة يرددها شيخ الإسلام دائما: أن الشرع قد يأتي بما تحار فيه العقول لا بما تحيله العقول.

يقول: هل العقول يمكن أن تثبت بعض النصوص مع ذكر المثال بالإجابة بنعم أو بلا؟

النصوص أم دلالة النصوص؟

النصوص.

لا، النصوصُ نصوصٌ شرعية متوقفة على مَجِيءِ الوحي، وثبوتها عن النبي -صلى الله عليه وسلم-. لكنَّ العقلَ يمكن أن يُثْبِتَ به صدقُ الوحي، وصدقُ النبي -صلى الله عليه وسلم-، وإثباتُ نبوّة النبي -صلى الله عليه وسلم- يمكن أن ندركه بالعقل، يمكن أن نثبت بالعقل أن هذا القرآن كلام الله ليس بمخلوق، أن هذا القرآن وحيٌ من الله -عزّ وجلّ- ليس من كلام النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا من كلام جبريل كما يقوله المعتزلة. بالعقل يمكن أن ندرك هذه الأمور، لكن هل هذا النص ثابت أم ليس بثابت هذا مبناه على سلامةِ السندِ.

النقل.

النقل.

يقول: ما هو الردُّ على من يَنفون صفات وجه الله؟

الرد عليهم على وجه الخصوص له مجاله ومناقشته، لكن على وجه العموم يقال لهم بهذه الردود إثبات الوجه ثابت عن الله في كتابه وعن النبيِّ –صلى الله عليه وسلم– في سنته؛ ؟ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ؟، ؟ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ؟. والنبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: (حجابه النور، لو كشفه؛ لأحرقت سُبُحَاتُ وجهه من انتهى إليه بصره من خلقه). بل تَوَاتَرَ عنِ النبي –صلى الله عليه وسلم– كما ذكر ابن خزيمة وغيره إثبات الوجه لله –عزّ وجلّ–. فمن أوَّلَ صفة الوجه نرد عليه بهذه النصوص، نقول: الأصل في هذه النصوص إثباتها على ظاهرها وإثبات الوجه لله –عزّ وجلّ– لا يلزم عليه مفاسد لا عقلية ولا شرعية.

ثم قال –رحمه الله–: (وأما المنحرفون عن طريقهم؛ فهم ثلاث طوائف: أهل التخييل، وأهل التأويل، وأهل التجهيل.

فأهل التخييل: هم المتفلسفة وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهم من متكلم ومتصوف، فإنهم يقولون: إن ما ذكره الرسول –صلى الله عليه وسلم– من أمرِ الإيمانِ باللهِ واليومِ والآخرِ إنما هو تخييل للحقائقِ ينتفع به الجمهور، لا أنه بَيَّنَ به الحقَّ ولا هَدَى به الخلقَ، ولا أوْضَحَ الحقائق.

ثم هم على قسمين:

منهم من يقول: إنَّ الرسول –صلى الله عليه وسلم– لم يعلم الحقائق على ما هي عليه، ويقولون إن من الفلاسفة الإلهية مَنْ عَلِمها، وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم أولياء من علمها، ويزعمون أن من الفلاسفة أو الأولياء من هو أعلمُ بالله واليوم الآخر من المرسلين، وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية –باطنية الشيعة وباطنية الصوفية–.

ومنهم من يقول: بلِ الرسولُ عَلِمها لكنْ لم يُبَيِّنْها، وإنما تَكَلَّمَ بما يُناقضها وَأَرَادَ منَ الخلقِ فهم ما يُناقضها؛ لأنَّ مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق.)

)

الشيخ انتقل –بعد هذا– لذكر أقسام الناس المخالفين لمنهج السلف.

المخالفون لمنهج السلف في باب الأسماء والصفات ثلاثة أقسام:

قال الشيخ: (فهم ثلاث طوائف: أهل التخييل، وأهل التأويل، وأهل التجهيل)، بدأ بأهل التخييل، من هم أهل التخييل؟ قال: (هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف.)

بمعنى على رأس هؤلاء الفلاسفة الذين يزعمون..، لماذا سماهم الشيخ أهل التخييل؟ قالوا: لأنَّ الذي جاء به النبي –صلى الله عليه وسلم– ليس الحقيقة وإنما تَخْييلٌ، وأشبه بالتمويه، خيال الشيء ليس حقيقته.

يقول: فإنهم يقولون إنَّ ما ذكَرَه الرسولُ –صلى الله عليه وسلم– منْ أمرِ الإيمان باللهِ واليوم الآخر –ولاحظوا–، فهذان الأمران أمران غيبيان كلّ ما هو مُتعلقٌ باللهِ، وما هو متعلق باليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق –ولهذا سماهم أهل التخييل– لينتفعَ به الجمهورُ بالنبيِّ –صلى الله عليه وسلم–، لا أنَّه بَيَّنَ به الحقَّ، ولا هَدَى به الخلقَ، ولا أوْضَحَ الحقائقَ.

يقول هؤلاء: الحقيقة مُخالفة تماما لِمَا ذَكَرَه الرسول –صلى الله عليه وسلم–.

لماذا جاء بهذه الأمور؟ قال: لأجلِ أنْ يَستقيمَ أمرُ الناسِ، فلو لم يذكرِ الجنة وفيها أكل وشرب وأنهار وفواكه وكذا؛ لمَا استسلمَ له الناسُ، ولو لم يذكرِ النار وأنَّ فيها من الزقوم وفيها، وفيها؛ لما انتهى الناس. فهم قالوا: خَيَّلَ ولَبَّسَ لأجلِ أنْ يَسُوسَ النَّاسَ، وأنْ يَسْتَسْلِمَ الناسُ.

ثم هم على قسميْن. المسألة الآن: هل الحق في ذاته يعلمه النبي –صلى الله عليه وسلم– أم لا يعلمُه؟ اختلفوا فيما بينهم. لاحظ –نسأل الله السلامة!– كيف تَدَرَّجَ بهم الضلال.

يقول: منهم من يقول: إن الرسول –صلى الله عليه وسلم– لم يعلم الحقائق على ما هي عليه. الحقائق التي يَزعمون أنهم علموها يقولون: النبي –صلى الله عليه وسلم– ما علمها. ولهذا أبان للناس هذه الخيالاتِ التي لا حقيقة لها وهو لا يعلم أنها أيضًا خيالات. كان يتوقع أن هذا هو الحق.

ويقولون: إن من الفلاسفة الإلهية من عَلِمَها، بمعنى أنهم أعلى درجة من النبي –صلى الله عليه وسلم– وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم أولياء من علمها، وهذا ما صَرَّحَ به بعض غلاتِهم؛ كابن سبعين، والحلاج، وابن عربي المكي الطائي، وقد قال في كتاب "الفصوص":

مقام النبوة في برزخٍ***فويق الرسول ودون الولي

والترتيب عنده عكسيٌّ، الدرجة الأعلى الولي والتي تليها النبوة، والدرجة الثالثة أدنى الدرجات هي الرسالة. ولهذا لاحظْ أنَّ مقام النبوة في برزخ فويق الرسول لكنه دون الولي، ولهذا زعموا أنَّ الولي يعلم ما لا يعلمه الرسول –صلى الله عليه وسلم–.

يقول: (يسمونهم أولياء): نعم، وللأسف ابن سبعين والحلاج وابن عربي هؤلاء يُقَدَّسُون، هؤلاء يعظمون، والآن ربما تُقام لهم مؤتمرات لتقديس هؤلاء وإبراز هؤلاء، وهؤلاء باطنية ضُلال تكلموا بما أحجم عنه اليهود والنصارى.

يقول: (ويَزْعمون أنَّ من الفلاسفة أو الأولياء من هو أعلم بالله وباليوم الآخر من المرسلين، وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية باطنية الشيعة وباطنية الصوفية.) يقول: ومنهم هذا الفريق الآخر من يقول يعني هؤلاء أخف من الذين قبلهم الذين قبلهم نفوا العلم عن الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وجعلوا وزعموا أنَّ الرسول –صلى الله عليه وسلم– كان يَجهل هذه الحقائق الطائفة الثانية، قالوا: الرسول –صلى الله عليه وسلم– علمها لكن هل بينها للخلق؟ لا، لكن لم يبينها لماذا؟

(وإنما تكلم بما يناقضه): يعني خلاف الحق، ونقيض الحق، والسبب: (وَأَرَادَ مِنَ الخلق فَهْمَ ما يُناقضها لأنَّ مصلحة الخلق..)؛ لأنه يقول النبي –صلى الله عليه وسلم– يعتقد أن مصلحة الخلق أن نسوسهم بهذه الظواهر التي هي خلاف الحق. والحق ليس هذا، الحق المعاني الباطنة المستورة، أما المعاني الظاهرة؛ فهي باطل، لكن النبي –صلى الله عليه وسلم– جاء بها لأجل أن يستقيم أمر الناس، وأن يستلم الناس له، وتستقيم حياتهم المعيشية.

(لأنَّ مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق.)

لكن ما موقف عامة الناس من هذه الضلالات؟ يعني هي مرفوضة هل لهم أتباع كثر؟

لهم أتباع لكن الإشكال في أنهم لم يفهموا أن حقيقة قولهم هذا القول ..

لم يفصحوا.

ولهذا الحلاج لَمَّا أظْهَرَ هذا الاعتقاد؛ حكم عليه العلماء والولاة بالردَّة وقتلوه، وغيرهم تَسَتَّرَ، ولهذا تقرأ كلامهم لا يفهمه إلا العلماء، ومن أدرك حقيقة قولِهم ولهذا لبسوا على العوام، ولم يظهروا، ولهذا قالوا: إن الحلاج أظهر السرَّ فتحمل ما أظهره، هذه أسرار يعتبرونها، لكن كتبهم التي سَطَّروها بأيديهم موجودةٌ؛ كـ: "الفصوص"، "الفتوحات المكية"، "إخوان الصفا"، والشيخ نَاقَشَهَا ورد عليها وبين الضلال والإلحاد التي تضمنتها هذه الكتب.

(ويقول هؤلاء: يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل، ولاعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل، ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون مع أن ذلك باطل؛ لأنَّه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريق التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد، فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر.

وأما الأعمال فمنهم من يقرها ومنهم من يجريها هذا المجرى، ويقول: إنما يؤمر بها بعض الناس دون بعض، ويؤمر بها العامة دون الخاصة، وهذه طريقة الباطنية الملاحدة والإسماعيلية ونحوهم.)

)

نعم يقول: (ويقول هؤلاء يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم): هم يزعمون أن ظاهر هذه النصوص يدعو إلى التجسيم. كيف يدعو النبي -صلى الله عليه وسلم- الناس إلى التجسيم؟! يقولون: نعم، لا بد؛ لأنَّ الناس ما يمكن أن تتحمل عقولهم إلا إذا جاءهم بهذه النصوص التي فيها تجسيم.

تجسيم الإله؟

نعم، مقصود بالتجسيم تجسيم الله -عزّ وجلّ-، هم يزعمون أنَّ هذه النصوص تدعو إلى أنَّ تجسيمَ اللهِ -تعالى الله عن ذلك!-، وإلى اعتقاد معاد الأبدان، وبالطبع هم لا يقولون: إن هذه الأبدان تُعاد مرة أخرى، فهي ماتت وتحللت، فيستحيل إعادتها مرة أخرى. المعاد الذي عندهم يسمونه بالمعاد الروحاني فقط إعادة الأرواح على اختلاف بينهم.

ولهذا الشيخ وابن القيم -رحمه الله- في "إغاثة اللهفان" بَيَّنَ أن حقيقة قول هؤلاء الإلحاد باليوم الآخر، لا يؤمنون باليوم الآخر، لا يثبتون اليوم الآخر، وإنما جاؤوا بما يُسَمَّى بالمعاد الروحاني تلبيسًا على العوام.

يقول: وإلى اعتقادِ معاد الأبدان مع أنه باطل، يقولون: النبي -صلى الله عليه وسلم- قال للأمة: إن هذه الأبدان ستعود وستذهب إلى المحشر، وستحاسب، وستوزن، وستدخل الجنة، وستتزوج الحور. يقول: كل هذا باطل؟ لماذا؟ فقط يريد أن يتنزل على مستوى عقول هؤلاء، ويستطيع أن يسوس عقول هؤلاء، ولولا ذلك؛ لما استسلم له الناس، ولما أطاعوه.

ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون مع أن ذلك باطل. هم لا يؤمنون -أصلا- أن هناك جنة، وأكلا، وشربًا وأنهارًا كل هذه ليست في قاموسهم، وليست في اعتقادهم.

يقول: (لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريق التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد): كيف يدعوهم النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى شيء والحق شيء آخر؟! قالوا: لا توجد مشكلة، ولا إشكال في ذلك. لماذا لا يوجد إشكال؟ أليس هذا كذبًا؟ قالوا: بلى، لكن النبي -صلى الله عليه وسلم- كذب على الخلق لأجل ماذا؟ لمصلحتهم،

فلا إشكال. انظر كيف وصلوا إلى هذا الأمْر، اتهموا النبي –صلى الله عليه وسلم– بأنه لم يبين الحق، وأنه كذب على الخلق لأجل مصلحة الخلق.

نفوا أمورًا قد أثبتتها أديان الله وإنكار أهل الضلال كالنصارى؟

سيذكر الشيخ الديانة اليهودية والنصرانية المحرفة أثبتت ما نَفَوْه، ولهذا قال الشيخ في موضع: غنهم أكفر من اليهود والنصارى، اليهود والنصارى عظموا الله –عزّ وجلّ–، وأحبار اليهود يأتون إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– كما في صحيح مسلم ويثبتون لله الصفات ويُقرهم النبي –صلى الله عليه وسلم– على ذلك. والمشركون أثبتوا للهِ الصفات.

أما هؤلاء؛ فلا يثبتون الصفات اليهود والنصارى ولا اليوم الآخر.

(فهذا قول هؤلاء في نصوصِ الإيمان بالله واليوم الآخر): هذا في جانب الإيمان بالله واليوم الآخر بالجانب العلمي. وفي جانب العمليات؟ الصلاة، الصيام، الحج، الكلام السابق كله في الأمور العلمية، الأمور المتعلقة بالعلم، وفي الأمور العملية النبي –صلى الله عليه وسلم– جاء بالأمور العملية القرآن والسنة مليئة بالأمور العملية صلاة، وصيام، وحج.

يقول: (وأما الأعمال؛ فمنهم من يُقِرُّها ويثبتها، ومنهم من يجريها هذا المجرى): كيف يجريها هذا المجرى؟

الكذب.

أن جاء بشيءٍ والحقيقة شيء آخر، يعني الصلاة هذه ليست الصلاة هي مفتتحة بالتكبير والمختتمة بالتسليم، هذه الصلاة إلى العامة ويسوس بها العامة ولكن حقيقة الصلاة أمر آخر، ولهذا هم يؤولون لهم في الصلاة تأويلاتٍ كثيرة، لكن ما يَطَّلِع عليها إلا خاصة الخاصة. الحج يكون صحيحًا الحج الذهاب إلى مكة هذا لأمر العامة، لكن أمر الخاصة لا. ولهذا بعض أقطابهم وبعض أئمتهم لم يحج، قيل لأتباعه ومريديه: شيخكم هذا ما ذهب إلى الحج، قالوا: هذا لا يذهب إلى الكعبة، الكعبة تأتي وتطوف به، لا يعرفون صلاة، ولا صيامًا، ولا حجًّا ولا شيئًا من العبادات، ولهذا يتأولون قول الله –عزّ وجلّ–: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾[الحجر: ٩٩]، يقول إذا وصلت إلى درجة اليقين؛ سقطت عنك العبادة.

ولهذا إذا قرأ الإنسان مثل هذا الكلام بالطبع ولله الحمد قد لا تتصوره عقولنا، وقد لا نتصور أن هناك من يقول هذا القول. لكن يحمد الله –عزّ وجلّ– على نعمة الإيمان الإنسان؛ لأنَّ هؤلاء ليسوا أقل من غيرهم بعقولهم وليسوا بأقل من غيرهم أفهاما، ولكن لما أراد الله لهم الضلال؛ لم يستفيدوا من هذه العقولِ وإلا هذه أمور لا يمكن أن يَقبل بها العقلُ. إذا كان كما قال الشيخ: اليهود والنصارى ما يقبلون بهذا الكلامِ؛ فما الظن بمن يدعي الإسلام، ويدعي الإيمان، بل أسوأ من هذا ويدعي الولاية لله –عزّ وجلّ– يرى أنه ولي من أولياء الله –عزّ وجلّ– ويعتقد هذه الاعتقادات الباطلة التي لو عرضت على صغار الصبيان؛ ما قبلوها.

الشيخ ذكر هذا أحيانا لا يقوله عاقل، ولهذا قال: يهذون هذيان المجانين. ولك أن تتصور أن أحدهم –وهذا موجود الآن ويقرأ– قال لتلامذته: ما في الجبة إلا أنا ما في الجبة إلا الله، والتفت أحدهم إلى تلاميذه وقال: لا إله إلا أنا فاعبدون، ما علمت لكم من إله غيري، قال مقولة فرعون. هؤلاء هم غلاة الباطنية وغلاة الفلاسفة. قيل لهم: إذن لماذا كفر الله –عزّ وجلّ– عبدة الأصنام، وعبدة العجل؟ قالوا: لأنهم خصوه فقط بالعجل، لاحظ الضلال والانحراف، خصوه بالأصنام وإلا لو جعلوه كل شيء، حالاً في كل شيء؛ لما كفرهم الله –تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا!–.

ويقول: (إنما يؤمر بها بعض الناس دون بعض) من الذي يؤمر بها عندهم؟

العبادات.

من الذي يؤمر بها العبادات؟

العامة.

والرسل عندكم من العامة أم من الخاصة؟ قالوا: لا، من الخاصة، الخاصة فقط الأولياء والأقطاب.

(يؤمر بها العامة دون الخاصة، وهذه طريقة الباطنية الملاحدة والإسماعيلية، ونحوهم): وذكر الشيخ أنَّ من هؤلاء أصحابَ "رسائل إخوان الصفا"، والفارابي، وابن سينا، والسهروردي، وابن عربي، وابن سبعين، ونحو ذلك. كل هؤلاء ممن تفوه بهذا الكلام الذي لا يقوله عاقل فضلا أن يقوله مسلم.

هناك إشكالية أنه العامة قد يعتبرون بعض هذا الأسماء رموزًا، ويكون عندهم تصور بخلاف ما هو عليه؛ كابن سينا والفارابي، وقد يجهل البعض كثيرًا عن هذه المعلومات التي ذكرتها واعتقادهم، هل هو موجود الآن معتقدو هذا المذهب، وهو ظاهر وما موقف الواحد منا مع مثل هذه الأسماء؟

أما هل هو موجود؟ نعم هو موجود وللأسف ومنتشر هذا المذهب، وكما ذكرت لك الآن في بعض أقطار العالم الإسلامي يُقام لهؤلاء مؤتمرات على شرفه وإحياء ذكر هؤلاء، والسعي في نشر تراثهم، ونشر كتبهم، وهي تفوح بالضلال والإلحاد والانحراف.

وموقفنا من هذه الأسماء ينبغي أن نبصر الناس. شيخ الإسلام -رحمه الله- ظهر في وقت والسائد أن مذهب الأشاعرة هو مذهب أهل السنة والجماعة، ولا يعرفون مذهب أهل السنة والجماعة إلا مذهب الأشاعرة؛ فبيَّن لهم وأوضح لهم أن هذا المذهب هو امتداد لمذهب المعتزلة فانتبه الناس. ولهذا ينبغي أن ينبه الناس لمثل هؤلاء لا شك قد يكون هؤلاء عندهم برزوا في بعض العلوم مثل علم الطب نحن نقول: يؤخذ هذا الجانب منهم، ولكن ما يتعلق بجانب الإلهيات بأمور الغيب لا، ولا كرامة.

والفيصل بيننا وبينهم كتبهم موجودة، وبالطبع سلكوا فيها مسلك الباطنية فما صرحوا في كثير من أقوالهم، لكن لما أتى العالمون بمقاصدِ كلامهم، وحللوا كلامهم وجدوا أن حقيقة الكلام هو هذا الكلام. وممن خبرهم وقلى أمرهم الشيخ -رحمه الله- وتلميذه ابن القيم، وهناك ناس قبله وبعده، لكن من أكثر من عرَّى هؤلاء هذان الإمامان.

أسئلة المراجعة:

السؤال الأول:

من هم أهل التخييل؟ ولماذا سموا بهذا الاسم؟

يقول: فضيلة الشيخ ألا يرد على الذين قالوا: إن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يخيل النصوص ويكذب عليهم بأن أي مصلحة يريدها الرسول -صلى الله عليه وسلم- للخلق وما فائدة من الدعوة التي يدعو إليها؟

لا شك يقال لهم، لكن هم يردون ويقولون: لأجل أن يسوس أمر العامة، ولا يمكن يستقيم أمرهم إلا بهذه التخييل، بالوعد والوعيد، وأن يصور لهم الجنة فيها أنهار وكذا؛ لأنَّ النفوس مشرئبة إلَى هذا الشيء، والنفوس متعلقة بهذا الشيء وبعث يقولون إلَى عرب أقحاح أجلاف إن لم يَسُسْهم بهذه الأمور؛ لما استطاع أن يسوسهم. لكن يقول لا، أهل العلوم وأهل المعرفة وأهل اليقين هؤلاء ما هم بحاجة لمثل هذه النصوص وهذه الظواهر.

يقول: ما الذي يدعو المؤولين إلَى تأويل الصفات؟

الذي دعاهم عندنا قاعدة عامة: أن نحسن الظن بهم على وجه العموم دون الدخول في التفصيل، وأنهم أرادوا التنزيه لكن لم يوفقوا، تنزيه الله -عزّ وجلّ- عن مشابهة الخلق.

الدرس الخامس عشر

شرح وتعليق على الفتوى الحموية الكبرى

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

كنا في الدروس الماضية تعودنا أن نجيب ابتداءً عن سؤال الدرس الماضي. وفي الدرسيْن الماضيين –نظرا لوجود العطل في البريد الإلكتروني– كنا نأخذ الإجابات من الإخوة الحاضرين معنا؛ فلعلنا نُخَصِّصُ المساحة الأساسية في هذا السؤال للإخوة عَبْرَ البريد الإلكتروني.

السؤال:

ما المراد بأهل التخييل؟ ولماذا سُمُّوا بهذا الاسم؟

نحن أخذنا في الدرس الماضي هذه الطائفة الذين خالفوا منهج الرسل، والشيخ قسمهم إلى ثلاث طوائف، وذكر الأولى: أهل التخييل، فنقول: ما المراد بأهل التخييل؟ ولماذا سُمُّوا بهذا الاسم؟

لعلنا نستعرض أولَى الإجابات التي وَرَدَتْ في حلقة هذا اليوم.

تقول: جواب السؤال: أهل التخييل: هم الفلاسفة وسُمُّوا بذلك؛ لأنَّهم يَزعمون أنَّ ما جاء به النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– في بيان أمر الإيمان بالله واليوم الآخر ما هو إلا تخييلٌ وليس حقيقة، وذلك من أجل أنْ يَستقر أمرُ الناس وأنْ يَستسلموا له.

وهم على فرقتين:

١– فرقة قالت: إن النبي –صلى الله عليه وسلم– ما عَلِمَ الحقائق، وإن الفلاسفة أعلى درجة من النبي –صلى الله عليه وسلم–.

٢– وفرقة منهم زعمتْ أنَّ النبي –صلى الله عليه وسلم– عَلِمَ الحقائقَ لكن لم يُبَيِّنْهَا للخلْقِ، فَتَكَلَّمَ بخلافِ الحقِّ، وذلك لأنه أراد أن يستسلم الناس له.

الإجابة ممتازة وكاملة.

تقول: أهل التخييل: هم المتفلسفة ومن سَلَكَ سبيلهم من متكلم ومتصوف، فإنَّهم يقولون: إنَّ ما ذكَره الرسول –صلى الله عليه وسلم– من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييلٌ للحقائق؛ لأنَّه لم يُبَيِّنْ الحقَّ، ولا هدى به الخلق، وهم على قسمين.

وذكرت القسمين.

جيد.

بسم الله الرحمن الرحيم قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في فتواه:

(وأمَّا أهلُ التأويل؛ فيقولون: إن النصوص الواردةَ في الصفاتِ لم يَقْصِدْ بها الرسول -صلى الله عليه وسلم- أنْ يَعتقدَ الناس الباطل، ولكن قَصدَ بها معاني، ولم يُبَيِّنْ لهم تلك المعاني، ولا دَلَّهُم عليها، ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم، ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مَدلولها. ومقصودُه امتحانُهم وتكليفُهم إتعابَ أذهانِهم وعقولهم في أنْ يَصرفوا كلامَه عن مدلولِه ومُقتضاه، ويعرفوا الحقَّ من غيرِ جهتِه. وَهَذَا قَوْلُ مُتَكَلِّمَة الجهميَّة والمعتزلة، ومن دَخَلَ معهم في شيء من ذلك.)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

الطائفة الثانية أهلُ التَّأويل، ولن أقف عند معنى التأويل وأنواعه؛ لأن الشيخ سيذكره بعد أسطر، فيكون الكلام هناك. إنما نَعرف -الآن- أنَّ هناك طائفةً تُسَمَّى أهلَ التأويل جعلوا التأويل منهجَهم، وزعموا أنَّ النصوص الواردة في الصفات -نصوص الكتاب والسنة التي جاءت في صفات الله- لم يَقْصِدِ النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- أن يعتقد الناس الباطل، لكن ما مفهومُ الباطلِ عندهم؟! مفهوم الباطل: ظاهر هذه النصوص.

﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢]، يقولون: ظاهرُ هذا النص يَظهر منه الباطل، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- ما قَصدَ إثبات المجيء، وإنما قَصدَ معانيَ أُخَرَ. ما هي هذه المعاني؟ لم يُبَيِّنْها. كيف نعرفها؟ قالوا: إنَّ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- وَكَلَ الناسَ إلى عقولِهم؛ ليعرفوا الحقَّ والمعنى الصحيح بعقولهم، ولهذا قال الشيخ: (ولكن قصد بها معاني، ولم يبين لهم تلك المعاني.)

إذن ما مَهَمَّةُ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم-؟! إذا تَرَكَ الناس -في أعظم مسائلِ الدين- لعقولِهم، وَذَهَبَ يُبَيِّنُ لهم أحكامَ دخولِ الخلاءِ، وأحكام دخول المنزل، وأحكام النَّوْم، وأحكام الأكلِ والشربِ؛ فهذا طَعْنٌ في النبي -صلى الله عليه وسلم-. يترك المهمَّ الأعظمَ الأجلَّ، ويبدأ بما دونه ويبينها، وتلك يَكِلُ الناسَ إلى عقولِهم؟! لو وَكَلَ النَّاسَ إلى عقولِهم؛ لوَكَلَهم في هذه الأمورِ التي يُمْكِنُ أن تُدركَ بالعقل. لكنْ هل يمكن أنْ تُدركَ الأمورُ الغيبية بالعقلِ؟ يَستحيل هذا.

(ولا دلهم عليه): ما أشار إلى المعنى الصحيح والحق.

(ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم): ولهذا ألزمهم أهل السنة نتيجة هذا الزَّعم أنَّ ترك الناس بلا رسول خيرٌ لهم من مجيء الرسل؛ لأن الرسل ما زادتهم إلا حيرة، وإذا كان الله -عزّ وجلّ- وكان نبيه -صلى الله عليه وسلم- سَيَكِلانِ الناسَ إلى عقولِهم؛ إذن يُوكَلُون للعقلِ ابتداء، وليس له حاجةٌ إلى إرسالِ الرسلِ إليهم، وليس هناك حاجةٌ إلى إنزال الكتب، فالله -عزّ وجلّ- رَكَّبَ هذه العقولَ في أذهان الناس، وقال: تَوَصَّلُوا إلى الحقِّ بأنفسكم. هذا من باب الإلزام لهم.

(ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلوله): نصوص الصفاتِ يجتهدون في صرفها عن مدلولها الظاهرِ إلى المدلولِ البعيدِ، وهذا الذي يُسَمَّى التأويل. ولهذا سموا أهلَ التأويل.

(ومقصوده): ما الهدف من كونِه يترك الناس إلى عقولهم؟ ما الغاية؟

قالوا: الامتحانُ والابتلاءُ، وليَعرف هل يعرفون الحق بعقولهم أم لا؟

(وتكليفهم إتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يَصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه، ويعرفوا الحق من غير جهته): من غير جهة الوحي، من غير جهة النبي -صلى الله عليه وسلم-. يعرفون الحقَّ من أيِّ جهة؟ من جهة العقل.

عرفنا نحن أهل التخييل، وكأنه -الآن- يَطرح: من هم أهل التأويل؟

أهل التأويل هم: الجهمية، والمعتزلة، ومن حذا حذوهم من الأشاعرة، والكُلاَّبية، والكرامية، وغيرهم.

لم يُسَمِّ الطوائف؟

البقية قال: (ومن دخل معهم). أي أنَّ كل من ركِبَ مَوْجَةَ التأويل دخل مع هؤلاء. لاشك أنَّ أسوأهم الجهمية، ثم مستقل ومستكثر.

(والذي قَصَدْنَا الرَّدَّ عليْهِم في هذه الفُتْيَا هم هؤلاء؛ إذْ كان نُفُورُ النَّاسِ عنِ الأوَّلين مشهورا، بخلاف هؤلاء؛ فإنهم تَظَاهَرُوا بِنَصْرِ السُّنَّةِ في مواضعَ كثيرةٍ، وهم -في الحقيقة- لا للإسلام نَصَرُوا ولا للفلاسفةِ كَسَرُوا.

ولكنَّ أولئك الفلاسفة أَلْزَمُوهم في نصوص المعاد نَظِيرَ ما ادَّعَوْه في نصوص الصفات. فقالوا لهم: نحن نعلم -بالاضطرار- أنَّ الرسلَ جاءت بمعاد الأبدان، وقد علمْنا الشُّبَهَ المانعةَ منه، وأهل السنة يقولون لهؤلاء: ونحن نعلم -بالاضطرار- أن الرسلَ جاءتْ بإثباتِ الصفاتِ، ونصوصُ الصفاتِ في الكتب الإلهية أكثرُ وأعظمُ من نصوصِ المعادِ. ويقولون لهم: معلومٌ أنَّ مُشركي العربِ وغيرَهم كانوا يُنكرون المعاد، وقد أنكروه على الرسول، وناظروه عليه، بخلاف الصفات؛ فإنه لم يُنكرْ شيئًا منها أحدٌ منَ العرب.)

)
)

الشيخ يقول: والمقصود في هذه الفتيا هم هؤلاء، أهل التأويل هم الذين قصدنا الرد عليهم. لماذا؟ قال الشيخ: لأنَّ نُفُورَ الناسِ من الطائفةِ الأُولى واضحٌ وظاهرٌ، نفور الناس عن الفلاسفة والباطنية؛ لأنَّ ضلالهم ظاهرٌ -ولله الحمد- لمن لديه أدنى مُسْكة إيمانٍ أو عقلٍ. ولكنَّ الإشكال عند هؤلاء الذين لَبَّسُوا على النَّاس وَزَعَمُوا أنَّهم أَرَادُوا تَنْزِيهَ اللهِ -عزّ وجلّ- فَتَلاعَبُوا بنصوصِ الوحييْنِ. ولهذا التبس أمرُهم على بعضِ الناسِ، وَصَارَ لهم أتباعٌ وصارت لهم شُبَهٌ ظاهرةٌ. فالشيخ -الآن- يريد أن يُبَيِّنَ ضلالَ هؤلاءِ يقول: (بخلاف هؤلاء؛ فإنهم تَظَاهَرُوا بِنَصْرِ السنَّةِ في مواضعَ كثيرةٍ). نعم، رفعوا لواءَ السنة، وزعموا أنهم أرادوا نصرة الحق، والدفاع عن الحق، والدفاع عن الوحيين، وتنزيه الله -عزّ وجلّ-. وهم: (لا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا.)

لماذا؟

هم رفعوا لواء الدِّفَاع عنِ السنَّةِ والوقوف في وجوهِ الفلاسفةِ والباطنيةِ، وهذا لا يُنكر، وكتبُهم ومؤلفاتُهم مليئةٌ بالردِّ على الفلاسفةِ وعلى الباطنية، لكن الشيخ يقول: كون هؤلاء استخدموا سلاحًا ضعيفًا في مقابل هذا العدو قَوَّى العدوَّ عليهم. ولاحظْ كيف عَكَسَ الفلاسفةُ القضية عليهم، قالوا: أنتم تَأَوَّلْتُم نُصُوصَ الصفاتِ إذن نصوص المعاد أَوْلَى بالتأويلِ. لماذا أَبَحْتُمْ لأنفسكم أن تَتَأَوَّلُوا نُصُوصَ الصِّفاتِ، وتصرفوها عن ظاهرها، فلما صرفنا ظاهر نصوص المعاد –نصوص الجنة، نصوص النار، نصوص اليوم الآخر، عذاب القبر–؛ قلتم: لا؟! ما الفرق بيننا وبينكم؟!

ولهذا لما كان سلاحهم ضعيفا –أمام هذا العدو–؛ تَقَهْقَرُوا أمامه، وما استطاعوا كسرَ هذا العدو. ولهذا بَيَّنَ الشيخ –رحمه الله– في مواضع ضعفَ حججِ هؤلاء في مُقابلِ الفلاسفة، وقال: ما تَسَلَّطَ الفلاسفةُ إلا بِسَبَبِ ضعفِ حججِهم؛ لأن الفلاسفة استخدموا الأسلوبَ الذي استخدموه هؤلاء، واستخدموا نفس الحجة التي استخدمها هؤلاء. فهم فَرَّقوا بيْن متماثلات، والذي يكون وَفْقَ مُقتضى العقل التسويةُ بين المتماثلات، والتفريق بين المختلفات. وهم عكسوا القضية، فأباحوا لأنفسهم أن يؤولوا هذه النصوص، وَحَرَّمُوا على غيرهم أنْ يؤولوا النصوصَ الأخرى، فقال لهم الفلاسفة: الجميع من بابٍ واحدٍ.

يقول: (وهم –في الحقيقة– لا للإسلام نَصَرُوا ولا للفلاسفة كسرو)؛ لأنهم ما استخدموا المنهجَ الشرعيَّ في الردِّ عليهم، والوقوف في وجوهِهم، وإلا لو تَسَلَّحُوا بِنُصُوصِ الكتابِ والسنةِ –كما تسلح بذلك السلف–؛ لنصروا الإسلام، وكسروا الفلاسفة.

(ولكنَّ أولئك الفلاسفة ألزموهم في نصوص المعاد)؛ لأنَّ الفلاسفة يؤولون نصوص المعاد، أخذناهم في أهل التخييل جاؤوا لنصوص المعاد –نصوص الجنة والنار، نصوص اليوم الآخر– وسلطوا عليها سيفَ التأويل.

يقول: (ألزموهم في نصوص المعاد نظيرَ ما ادعوه في نصوص الصفات.) ما الشيء الذي ادَّعَوْه في نصوص الصفات؟

التأويل.

التأويل، صرف هذه النصوص عن ظاهرها، ؟ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ؟: ثم استولى على العرش. ؟ وَجَاءَ رَبُّكَ ؟: وجاء أمر ربك.

قالوا –أيضا–: ماذا الفرق بين أنهار من عسل، لم يقصد بها العسل الحقيقي؟! وأنهار من لبن لا يُقصد بها اللبن الحقيقي؟! والحور العين لا يُقصد بها الحور العين الحقيقي؟ المعاد للأجساد ليس المقصود المهنى الحقيقي، وهكذا، الصلاة ليست المقصود هذه الصلاة، وجاؤوا بمعانٍ شبيهةٍ بهذه المعاني الَّتي تَأَوَّلَها أولئك في نصوص الكتاب والسنَّة.

يقول: (فقالوا لهم): من القائل؟

الفلاسفة.

لا، القائل أهل التأويل، قالوا للفلاسفة: نحن نعلم بالاضطرار؛ أي من المعلوم من الدين بالضرورة أن الرسل جاءت بمعاد الأبدان، ومعاد الأبدان يُنكره الفلاسفة، ويقولون: لا يمكن المعاد للأرواح، ولهذا فالبعث عندهم روحانيٌّ وليس جسمانيًّا.

(وقد علمنا الشبه المانعة منه): قال: قال المتكلمون للفلاسفة: الرسل جاءت بالمعاد الجسمانيِّ، ونحن نَعــرفُ الشُّبَهَ الَّتي تَمنع من ذلك. وأهل السنة يقولون لهؤلاء -للمتكلمين-: أنتم رَدَدْتم على الفلاسفة، وأنكرتم عليهم معاد الأبدان، وقلتم: إن النصوص في معاد الأبدان تُؤخذ على ظاهرها وعلى حقيقتها، فقال لهم أهل السنة: ونحن نعلم بالاضطرار -كما أنكم تعلمون بالاضطرار- أنَّ الرسل جاءت بإثبات الصفات، بل ونصوص الصفات أكثر من نصوص المعاد.

نصوص الصفات صفات الله -عزّ وجلّ- القرآن مليء بإثبات نصوص الصفات أكثر من نصوص المعــاد. فإذا جاز تأويل نصوص المعاد؛ فمن باب أولى يجوز تأويل نصوص الصفات.

(في الكتب الإلهية أكثر وأعظم من نصوص المعاد ويقولون لهم:) أيضا هذا رد آخرُ من أهل الــسنة علـــى هؤلاءِ المتأولة.

(معلوم أن مشركي العرب وغيرهم كانوا ينكرون المعاد): المشركون الذين بُعِثَ فيهم النبيُّ -صلى الله عليــه وسلم- ثَبَتَ أنَّهم أنكروا المعاد، أو أن بعضَهم أنْكَرَ المعاد، وَنَاظَرُوا النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- كما حَصَلَ منَ الوليدِ لَمَّا جَاءَه وفَتّ العظم، وقال: هل يُعيد هذا بعدما أرم؟! فأنزل الله -عزّ وجلّ- ردا عليه ؟ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ؟٧٨؟ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ؟ [يس: ٧٨: ٧٩].

الشاهد أن من مشركي العرب من كان ينكر المعاد، ولم يُنقل عنهم أنهم أنكروا شيئا من الصفات، بل كما ذكر المؤلف -سابقا- أشعارهم تَضَمَّنَتْ إثباتَ بعضِ الصفاتِ للهِ -عزّ وجلّ-.

يقول: (بخلاف الصفات؛ فإنه لم يُنكرْ شيئًا منها أحدٌ من العرب.)

ولم يناظروا النبي -صلى الله عليه وسلم-؟

لا، ولم يناظروا النبي -صلى الله عليه وسلم-.

(فعلم أن إقرار العقول بالصفات أعظمُ من إقرارها بالمعاد، وأنَّ إنكارَ المعادِ أعظمُ من إنكار الصفات، وكيف يَجوز -مع هذا- أن يكون ما أَخْبَرَ به من الصفات ليس كما أخبر به، وما أخبر من المعاد هو على مـــا أخبـــر به؟!)

يقول إذا عُلم أن نصوص الصفات أكثر من نصوص المعاد، ومشركي العرب أنكروا المعــاد ولــم يُنكــروا الصفات، وما نَاظَروا النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- في إثباتِها بخلاف المعاد؛ إذن فالعقــل يقتــضي أنَّ إثبــاتَ الصفاتِ أَوْلَى من إثباتِ المعادِ، وأنتم تُنْكِرُون على من أَوَّلَ نُصوصَ المعاد. فهذا من المغالطات، ومن التفريــق بين المتماثلات.

(وأيضا: فقد عُلِمَ أنه -صلى الله عليه وسلم- قَد ذَمَّ أهلَ الكتابِ على ما حَرَّفُوه وَبَدَّلُوه، ومعلــومٌ أنَّ التــوراةَ مملوءةٌ من ذكر الصفات. فلو كان هذا مما حُرِّفَ وبُدِّلَ؛ لَكَانَ إنكارُ ذلك -عليهم- أولى، فكيف وكانوا إذا ذكروا بين يديه الصفات يضحك تعجبا منهم وتصديقا، ولم يُعبهم -قطّ- بما تعيب النفاة لأهل الإثبات؛ مثل لفظ التجسيم والتشبيه ونحو ذلك. بل عابهم بقولهم: ؟ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ ؟، وقولهم: ؟ إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ؟، وقولهم: استراح لَمَّا خَلَقَ السَّموات والأرض، فقال تعالى: ؟ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِــن لُّغُوبٍ ؟ [ق: ٣٨].

والتوراة مملوءة من الصفات المطابقة للصفات المذكورة في القرآن والحديث، وليس فيها تصريح بالمعاد كما في القرآن. فإذا جاز أن نَتَأوَّلَ الصفات التي اتَّفَقَ عليها الكتابان؛ فتأويلُ المعادِ الذي انْفَرَدَ بـه أحـدهما أولـى. والثاني مما يعلم بالاضطرار من دين الرسول -صلى الله عليه وسلم- أنَّه باطل فالأول أولى بالبطلان.)

)

)

هذا إلزام آخر لهؤلاء الذين أنكروا على الفلاسفة تأويلَ المعاد. يقول: (وأيضا: فقد عُلِمَ أنَّه -صلى الله عليـه وسلم- قد ذَمَّ أهل الكتاب على ما حرفوه وبدلوه): كما قال الله -عزّ وجلّ- ؟ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَـن مَّوَاضِـعِهِ ؟ [النساء: ٤٦].

(ومعلوم أنَّ التوراة مملوءة من ذكر الصفات): التوراة التي بين يدي اليهود في زَمَنِ النبيِّ -صلى الله عليـه وسلم- كانت مَلِيئةً بذكرِ صفاتِ اللهِ -عز وجل- يقول: (فلو كان هذا مما حُرِّفَ وبُدِّلَ؛ لكانَ إنْكَارُ ذلك علـيهم أولى)؛ أي لأنكر عليهم النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا الأمر الذي هو تحريف الصفات.

(فكيف وكانوا إذا ذكروا بين يديه الصفات يَضحك تعجبا منهم وتصديقا؟!) كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود أن حَبْرًا من أحبار اليهود قال للنبي -صلى الله عليه وسلم-: "يا محمد! إنا نجد أنَّ الله يـوم القيامـة يضع السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر على إصبع، والخلائق علـى إصبع، ثم يهزهن، فيقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟!"، فضحك النبي -صلى الله عليـه وسـلم- وتلا قول الله -عزّ وجلّ- ؟ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ؟[الأنعام: ٩١]".

فأقرهم على إثبات هذه الصفات، وما أنْكَرَ عليهم، ولم يَعِبْ عليهم كما عاب المعطلة على أهل السنة، لم يقـل لهم النبيُّ -صلى الله عليه وسلم-: هذا تشبيه، هذا تجسيم، ولم ينكر بل أقَرَّهم على هذا الأمر، وَأقَرَّهم على مـا هو موجود في كتبهم من إثبات الصفات.

إذن ما الذي عابهم؟

عابهم لَمَّا وصفوا الله -عزّ وجلّ- بصفات النقص وبصفات العيب، كما قال: ؟ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّـتْ أَيْـدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ؟[المائدة: ٦٤]، وأنكر عليهم لما قالوا: ؟ إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ؟، وأنكـر عليهم لما قالوا: إن الله -عزّ وجلّ- خَلَقَ السَّماوات في ستَّة أيام ثم استراح في اليوم السابع، فأنكر النبي -صلى الله عليه وسلم- عليهم هذا الأمر لما وصفوا الله بصفات النقص، لكن لم ينكر عليهم ولم يعبهم لمـا أثبتـوا لـه الصفات.

يقول: (والتوراة مملوءة من الصفات المطابقة للصفات المذكورة في القرآن): يعني تَطَابَقَ الكِتَابَان على إثبات الصفاتِ للهِ -عزّ وجلّ-، وليس فيها تصريحٌ بالمعادِ كما في القرآن، يعني ليس في التوراة من التفصيل في أمر المعاد، والبسط في أمر المعاد كما صُرِّحَ وبُسِطَ في القرآن.

(فإِذَا جَازَ أَنْ نَتَأَوَّلَ الصِّفَات الَّتي اتَّفَقَ عليها الكتابان): صفات الله -عزّ وجلّ- التي اتفق على إثباتها القرآن والتوراة (..فمن باب أولى أن نَتَأَوَّلَ نصوص المعاد التي انْفَرَدَ بها أحدُهما، وإذا كان هذا باطل -تأويل نصوص المعاد-؛ فتأويل نصوص الصفات من باب أولى.

الشيخ يريد -فقط- أن يُلزمَهم في هذه الناحية؛ لأنهم يُنكرون تأويلَ نصوص المعاد، يقول: فمن باب أولى أن يُنْكَرَ على من أوَّلَ الصفات.

(وأما الصنف الثالث -وهم أهل التجهيل-؛ فهم كثيرٌ من المنتسبين إلى السنة وأتباع السلف، يقولون: إن الرسول -صلى الله عليه وسلم- لم يكن يعرف معاني ما أَنْزَلَ الله عليه من آيات الصفات، ولا جبريل يَعرف معاني تلك الآيات، ولا السابقون الأولون عَرَفُوا ذلك.

وكذلك قولهم في أحاديث الصفات: إنَّ معناها لا يَعلمه إلا الله، مع أن الرسول تكلم بهذا ابتداء، فعلى قولهم تَكَلَّمَ بكلامٍ لا يعرف معناه.)

)

)

هؤلاء الصنف الثالث، وهم أهل التجهيل، ويُسَمَّوْن أحيانا بالْمُفَوِّضَة أو أهل التفويض. هؤلاء عَرَّفَهم ابن القيم -رحمه الله- بقولِه: الذين قالوا: نصوص الصفات ألفاظٌ لا تُعقل مَعَانِيها، ولا نَدْري مَا أَرَادَ الله ورسوله منها، ولكن نقرؤها ألفاظًا لا معاني لها، ونعلم أنَّ لها تأويلاً لا يعلمه إلا الله.

يقولون: نُصوصُ الصفاتِ تُقرَأ وتُمَرّ كما جاءت، ليس لها معنًى. أضرب لكم مثالاً: لو دَخَلَ الآن علينا أعْجَمِيٌّ، ثم يَتَكَلَّمُ ببعضِ الكلماتِ الأعجميةِ لا نعرف منها حرفا، وإنما نعرف أنه تَكَلَّمَ بهذه الحروف فقط. قالوا: نصوص الصفات كما نسمع الآن نسمعها ونقرؤها كما نسمع هذا الكلام الأعجمي لا يُعرف منها معنًى، ونُفَوِّضُ معناها إلى الله -عزّ وجلّ-.

حتى الرسول لا يَعرف معناها؟

هم على خلافٍ فيما بينهم: هل الرسول يعلم معناها أم لا؟ منهم من يقول: حتى النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يعلم معناها، ومنهم من يقول: النبي -صلى الله عليه وسلم- يعلم معناها لكن لم يُبَيِّنْها للخلق.

سماهم الشيخ أهل التجهيل؛ لأن هذه صفة الجاهل. فالجاهل هو الذي يسمع كلام ولا يعقل معناه، أو يتكلم بكلامٍ لا معنى له. ولهذا يقول الشيخ: هؤلاء يَلزمُهم أنْ يَكونَ النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- تَكَلَّمَ بكلامٍ لا معنى له، وهذه صفة الجاهل، ومَنْ وَصَفَ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- بالجهل؛ فلا شَكَّ أن هذا كفر. لكن يقول: نحن لا نُلْزِمُهم بهذا. ونَصَّ على هذا في الجزء الخامس من الفتاوى. قال: ولازم القول ليس بقولٍ، وإلا؛ فهم يُكفرون من وَصَفَ النبي -صلى الله عليه وسلم- بأقلَّ من هذه الصفة. لكن هم لا يعلمون أنَّ قولهم هذا يستلزم وَصْفَ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- بالجهل.

يقول: (فهم كثير من المنتسبين إلى السنة وأتباع السلف): وللأسف هؤلاء اعتقدوا أن هذا هو مذهبُ السلفِ، أنه هو التفويض الذي هو: إجراء النصِّ -كما يقولون- على ظاهره دون فهمٍ لمعناه.

يقولون: إنَّ الرسولَ -صلى الله عليه وسلم- لم يكنْ يَعْرِفُ معاني مَا أَنْزَلَ الله عليه من آياتِ الصفاتِ ولا جبريل يَعرف تلك المعاني. إذن يقرؤونها كلماتٍ وحروفًا جوفاءَ لا معانيَ لها. فقول الله -عزّ وجلّ- ؟ بَلْ يَدَاهُ

مَبْسُوطَتَانِ ؟: ربما يكون المراد إقامة الصلاة، ربما يكون المعنى إرسالَ نوح، لا ينبغي أن تُحَدِّدَ أيَّ معنى لهـذا اللفظ على حدِّ قولهم.

فمن الذي يعرف معناه؟ قالوا: الله وحده. وحتى جبريل لا يعرف، ينقل كلامًا لا يَعرف معناه.

ولهذا جَرَّدُوا نصوصَ القرآن من الحكمة التي أُنْزِلَ القرآن لأجلها. وسيذكر الشيخ أنَّ القرآن أُنْـزِلَ للتـدبُّر، ولهذا أَمَرَنَا الله –عزّ وجلّ– أنْ نَتَدَبَّرَه في غيرِ ما آيةٍ. فكيف يَتَدَبَّرُ الإنسانُ كلامًا لا يَعْقِلُ معناه ولا يفهم معناه؟ هل يمكن هذا؟ لَمَّا دَخَلَ علينا هذا الأعجميُّ ورطن بكلامِهِ قلتُ لك: تَدَبَّرْ هذا الكلامَ. فماذا ستقول لي مباشـرة؟ تقول: كيف أَتَدَبَّرُ كلامًا لا أفهمُه، ولهذا يكون الله –عزّ وجلّ– لَمَّا أَمَرَنَا بالتدبُّر –على حدِّ قول هؤلاء– أَمَرَنَـا بأمرٍ مستحيلٍ وكَلَّفَنَا بما لا يُطاقُ؛ لأنه أَمَرَنَا بتدبُّر كلامٍ لا نَعلمه، ولا يُعرف له معنًى.

يقول: (وكذلك قولهم في أحاديث الصفات: أن معناها لا يعلمها إلا الله مع أن الرسول تكلـم بهـذا ابتـداء): الرسولُ –صلى الله عليه وسلم– تَكَلَّمَ بنصوصِ الصفاتِ ابتداءً ليس هذا كلامًا من الله –عزّ وجلّ– بل وحيًا من الله، لكنَّ الأحاديثَ معروفٌ أنَّها من كلام النبيِّ –صلى الله عليه وسلم–، فَتَكَلَّمَ بكلامٍ لا يَفهم معناه –عليه الصلاة والسلام–. ولهذا فعلى قولهم: تكلم بكلام لا يعرف معناه وكما قلت لكم في معرض الرد عليهم: نُلْزمهم بقولنـا: إنَّكم تصفون النبي –صلى الله عليه وسلم– بالجهل؛ لأن هذه صفة الجاهل.

(وهؤلاء يَظنون أنَّهم اتبعوا قوله تعالى ؟ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ؟ [آل عمران: ٧]، فإنه وقف كثير من السلف على قوله: ؟ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ؟ وهو وقف صحيح، لكن لم يُفَرِّقُوا بين معنى الكلام وتفسيره، وبين التأويل الذي انفرد الله –تعالى– بعلمه، وظنُّوا أن التأويلَ المذكورَ في كلام الله هو التأويلُ المذكورُ في كلام المتأخرين، وغلطوا في ذلك.)

بَدَأَ الشيخ في الكلام على التأويل، ولهذا بودي أن تُرَكِّزُوا معي، ويُرَكِّزَ معي الإخوة المشاهدون؛ لأن معرفتنا للتأويل تُسَهِّلُ –علينا– الرَّدَّ على هؤلاء في كل ما تَأَوَّلُوه منَ الصفاتِ.

يقول الشيخ هؤلاء أهل التجهيل ما حجتهم؟ ما شبهتهم؟ بأيِّ شيء تمسكوا؟ أبرز شبهة لهم قـول الله –عـز وجل– في آية آل عمران: ؟ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّـا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ؟ [آل عمران: ٧]، هم يقولون: هذا دليلنا ؟ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ ؟ تأويل نصوص القرآن إلا الله؛ لأنَّ هنا وَقْفًـا، ثـم استأنف الكلام ؟ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا باللهِ.. ؟.

إذن هذه هي شبهتُهم أو هذه هي أعظمُ شبههم أنَّهم تَمَسَّكُوا بظاهرِ هذه الآية، وبوقفِ مَنْ وَقَفَ مِنَ السَّلَفِ. ولا شكَّ أنَّ الوقف على لفظِ الجلالة هو وقفُ كثيرٍ منَ السلفِ، وهو قراءة الجمهور، أنهم وقفوا على لفظ الجلالـة ؟ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ؟ وقفٌ صحيحٌ.

يقول (فإنه وقف كثير من السلف على قوله: ؟ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ؟ وهو وقف صحيح لكن لـم يفرقـو): الإشكال الذي وقع عندهم هنا ليس في مسألة الوقف، وإنَّما الإشكالُ في معنى التأويلِ، هذا التأول الذي ذَكَـرَه الله –عزّ وجلّ– هل هو التأويل الذي أرادوه وأراده المتأخرون؟

لا.

الجواب: لا، ومن هنا أُتوا، ومن هنا وَقَعُوا في هذه الشبهة، كونهم اعتقدوا أن التأويلَ الذي جَاءَ في هذه الآيةِ هو التأويلُ الذي استخدموه.

إذن ما هو التأويل الذي استخدموه؟ وما المراد بالتأويل هنا؟

لن أطيل لأن الشيخ سيذكره لكن علق على كلامه.

يقول: (لم يُفَرِّقُوا بين معنى الكلامِ وتفسيره وبين التأويلِ الَّذي انْفَرَدَ الله –تعالى– بعلمه): الشيخ يقول: التأويلُ الواردُ في الكتابِ والسنةِ له معنيان لا ثالث لهما وسيذكره: إمَّا تفسيرُ الكلام، وإمَّا الحقيقة التي يَؤُولُ إليها الكلامُ، وهذا سنشرحه.

يقول: (... بين التأويل الذي انفرد الله –تعالى– بعلمه، وظَنُّوا أنَّ التأويلَ المذكورَ في كلامِ اللهِ هــو التأويــلُ المذكور في كلامِ المتأخرين): هذا خطأٌ ثانٍ. التأويل الذي عند المتأخرين اصطلاحٌ يَختلف –تماما– عن التأويلِ الَّذي جَاءَ في الكتابِ والسنَّة، ولَعَلَّنَا نُبَيِّنُ ذلك مِنْ خلالِ ما سَيَذْكُرُه الشيخ الآن.

نستئذنكم أن نأخذ بعض الأسئلة:

يقول: أورد حديثًا عن عائشة –رضي الله عنها– أن بعض أزواج –صلى الله عليه وسلم– قلن للنبي –صــلى الله عليه وسلم–: أَيُّنَا أسرعُ بك لُحُوقًا؟ قال: (أَطْوَلُكُنَّ يَدًا)، فأخذوا قصبة يذرعونها، فكانت سودةُ أطولَهن يــدا، فعلمن بعدُ أنَّ ما كانت طول يدها الصدقة، وكانت أسرعَنا لحوقًا به، وكانت تحب الصدقة.

يقول: ما رأيكم في الاستدلال بهذا الحديث على أنَّ الكلام يُحمل على ظاهره كما حملــت أزواجُ الرســول – صلى الله عليه وسلم– رضي الله عنهن كلامَه على ظاهره، ولم يُبَيِّنْ لهن أنَّ ما فَهِمْنَه غيرُ مرادٍ بغير الحاجة إلى ذلك، ولو كان ذِكرُ اليدِ المضافة إلى الله يُراد به غيرُ الظاهر؛ لَوَجَبَ على النبي –صلى الله عليه وسلم– التنبيــه على ذلك؛ كي لا يَفهم أحدٌ أنَّ المراد باليد المضافة إلى الله الظاهرُ. ما رأيكم أحسن الله إليكم؟

نقول: مذهب أهل السنة إجراءُ هذه النصوص على ظاهرها، وعدم التعرُّض لها بالتأويل الذي يُفسد معناهــا الظاهر، لكن يَنبغي أن نعتقد أن هذا الظاهر لا يُماثل صفات المخلوقين؛ لأجل أنْ نَجمع بين النصوص. فــسبب ضلال من ضَلَّ في باب الأسماءِ والصفات وغير باب الأسماء والصفات، أكثر فرق الضلال سبب ضلالهم أنهم أخذوا جانبا واحدًا من النصوص. خذ الخوارج على سبيل المثال أخذوا ماذا؟ نصوص الوعيد، وأهملوا نصوص الوعد، والمرجئة أخذوا نصوص الوعد، وتركوا نصوص الوعيد، والقدرية أخذوا نصوص التي فيها إثبات مشيئة العبد، وتركوا النصوص التي فيها إثبات مشيئة الرب.

فأهل السنة وُفِّقوا للجمعِ بين النصوص، فنحن نأخذ هذه النصوص على ظاهرها، وهذا هو الواجب إجراؤهــا على ظاهرها، وهذا –كما سيأتي– أجمع عليه السلف. والشيخ سيذكر عشرات النصوص عن السلف أنهم قــالوا: أَمِرُّوا هذه النصوصَ على ظاهرها، لكن يجب أن نعتقد أنَّ ظاهرها لا يُماثل صفات المخلوق؛ لأجل أنْ نَجمــع بين النصوص التي فيها نفي التمثيل عن الله –عزّ وجلّ– وتنزيه الله –عزّ وجلّ– عن النقص والعيــب ؟ لَــيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ؟ [الشورى: ١١]، ؟ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ؟[الإخلاص: ٤].

يقول: ما تفسير ؟ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ؟؟ هل يدل على أنهم أنكروا بعض الصفات؛ أي مشركو العرب؟

سؤال جميل. أورد هذا أهلُ العلم أنَّ النبي –صلى الله عليه وسلم– لَمَّا أَرَادَ أنْ يكتب معهم صلح الحديبية قال لعليٍّ: (اكتب بسم الله الرحمن الرحيم) فقالوا: ما نعرف إلا رحمن اليمامة، ولهذا أشار الله –عزّ وجلّ– إليهم في قولهم: ﴿ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ﴾ [الفرقان: ٦٠]، فقال أهل العلم: لم يقولوا ذلك على سبيلِ الإنكار على النبي –صلى الله عليه وسلم– وإنما من باب التَّعَنُّتِ. يقول: ما نعرف –أصلاً– عندنا رحمن إلا رحمن اليمامة يعنون مُسَيْلِمَةَ الكذّاب، وإلا؛ ففي الجملة أهلُ الشرك مثبتون للصفاتِ كما هو موجود في أشعارهم وأقوالهم.

يقول: أليس ضَحِكُ النبي –صلى الله عليه وسلم– وقوله لليهود ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ من أنواع الإنكار الخفيِّ؟

لا، هو أَنْكَرَ عليهم كيف تَعلمون هذا عن الله –عزّ وجلّ– وتجعلونه ثالثَ ثلاثةٍ، وتجعلون له ابنًا؟ هذا هو الإنكار، ولهذا في بعض الروايات قال الصحابيُّ راوي الحديث: "فضحك تصديقًا لقولِ الْحَبْرِ، وإقرار لقوله"، وإلا؛ ما كان له أن يُؤَخِّرَ البيان عنْ وقتِه. فأنكر عليه مباشرة، كيف تثبت لله –عزّ وجلّ– هذه الصفات والله منزه عنها؟

في قضيَّة التفويضِ الأخ يسأل ويقول: هل يمكن ذِكرُ أسماء بعض ما قال بالتفويض من أهل السنة؟

هم أفرادٌ، أو كما قال الشيخ مُنتسبون للسنة، واعتقدوا أنَّ هذا هو مذهبُ السلفِ. وهؤلاء تجد لهم عنايةً بالحديثِ، وعناية بالسنة، لكن اعتقدوا –خطأً– أن هذا هو مذهبُ السلفِ، ولعلي أستذكر في أثناء الحلقة أو الحلقة القادمة.

يقول: كيف نُفَرِّقُ بين تفسيرِ الحروفِ المقطعة بأنها مما لا يعلمه إلا الله وبين التفويض؟

أحسنت، مسألة الحروف المقطعة التي جاءت في بداية السور اختلف أهل العلم حولها؛ هل هي مما لا يعلم معناه إلا الله –عزّ وجلّ–؟ فيقول قائل: إذن في القرآن ما لا يُعلم معناه. والصحيح –كما ذكر شيخ الإسلام– أنْ ليس في القرآن شيءٌ لا يُعلم معناه، وأن هذه الحروف المقطعة يُعلم معناها، ومعناها أن الله –عزّ وجلّ– أَرَادَ أنْ يَتَحَدَّى مُشْرِكِي العربِ الذين كَانُوا يَتَفَاخَرُون على الناسِ بفصاحتِهم، فقال لهم: هذا القرآن من جِنْسِ حروفِكم وكلامِكم، ولهذا يقول الشيخ: غالبًا إذا ذُكرت هذه الحروف في أول السورة يُعَقَّبُ فيها بالإشارة إلى القرآن ﴿ الم ١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ [البقرة: ١: ٢]، فهو من باب التحدي وليس هناك شيء في القرآن لا يُعلم معناه.

(فإنَّ التأويلَ يُراد به ثلاث معانٍ:

فالتأويل في اصطلاح كثيرٍ من المتأخرين هو: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح بدليل يَقْتَرِنُ بذلك. فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلاً على اصطلاح هؤلاء، وظنوا أنَّ مراد الله بلفظ التأويل ذلك، وأن للنصوص تأويلاً مخالفًا لمدلولِها لا يعلمه إلا الله، أو يعلمه المتأولون.)

)

)

بدأ الشيخ –الآن– في ذكرِ معاني التأويلِ، وكان بودِّنا أنْ يكون هناك سبورة لوضع رسمٍ بيانيٍّ لتقريبِ الأقسام للذّهن للإخوة الحضور والمشاهدين:

التأويل –أولا– في اللغة ما معناه؟

التأويل في اللغة هو: التفسير، أو المرجع، أو المصير، أو العاقبة.

التأويل عند العرب إذا أطلقوه يريدون به إمَّا التفسير، أو المرجع، أو المصير، أو العاقبة،.

في الاصطلاح التأويل له ثلاثُ معانٍ، أو يمكن أن نُقَسِّمَه إلى قسمين: تأويل وَرَدَ في نصوص الكتاب والسنة، وتأويل في اصطلاح المتأخِّرين.

بَدَأَ الشيخ بالتأويلِ في اصطلاح المتأخِّرين، وهؤلاء الذين تَمَسَّكوا بالتأويل في صرف نصوص الصفات عن ظاهرها ما المراد بالتأويل عندهم؟

الشيخ يقول: هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، أو بمعنًى آخر: صرف اللفظ عن معناه القريب الظاهر إلى المعنى البعيد الخفيِّ.

مثال ذلك: فلنأخذ في صفاتِ الله –عزّ وجلّ– ؟ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ؟، هذا اللفظ اليد له معنًى قريبٌ وله معنًى بعيدٌ، له معنًى راجحٌ وله معنًى مرجوحٌ.

المعنى الراجح: اليد: هي الصفة المعهودة، والعرب إذا أطلقت اليد؛ فتُريد اليد الحقيقية.

والمعنى البعيد: قد يريدون النعمة، مثال آخر الاستواء: الاستواء المعنى القريب: العلو والارتفاع، والمعنى البعيد الذي أراده هؤلاء: الاستيلاء.

واضح عندكم الآن؟

الشيخ قال: لدليل يقترن به؛ لأنَّ التأويل –عند اصطلاح المتأخرين– ما كان العربُ يَعرفونه، فالعرب لا يعرفون التأويل بهذا المعنى صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح للاحتمال المرجوح، وليس في لغتهم.

فالتأويل عند العرب إما يريدون به التفسير، أو العاقبة والمصير والمرجع. معنيان لا ثالث لهما.

هذا الاصطلاح أَحْدَثَه المتأخرون من المتكلمين بعد انقضاءِ القرونِ الثلاثةِ المفضلةِ جاؤوا بهذا المصطلح، وَصَارَ مصطلحًا مُطَّرِدًا تَنَاقَلَه أهْلُ الأصولِ وأهلُ المنطقِ وأهلُ الكلامِ. لكن ليس له مستندٌ شرعيٌّ، ليس في نصوصِ الكتابِ والسنةِ أن يُطلَق لفظُ التأويلِ ويُرادُ به صرفُ اللفظِ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، لكن كمصطلحٍ لا مُشَاحَّةَ في الاصطلاح إذا لم يَتَرَتَّبْ عليه مَفْسَدَةٌ. فنحن نأخذه كمصطلح، ولهذا قال الشيخ: لدليل يقترن به. فصرف اللفظ عن الاحتمال الراجح على الاحتمالِ المرجوح قد يَقْتَرِنُ به دليلٌ وقد لا يَقْتَرِنُ به دليلٌ، ولهذا التأويل في اصطلاح المتأخرين ينقسم إلى قسمين:

تأويل صحيح، وتأويل فاسد:

التأويل الفاسد: أن تَصْرِفَ اللفظ عن ظاهره الراجحِ إلى المعنى البعيدِ بغيرِ دليلٍ؛ مثل: جُلّ التأويلات التي سُلِّطَتْ على صفات الله –عزّ وجلّ–؛ لأنها صَرْفٌ للفظِ عن ظاهره بلا دليلٍ.

هل هناك تأويل صحيح بمصطلح المتأخرين؟!

أورد بعض أهل العلم على هذا أمثلة، وقال إنه -في الحقيقة- يرجع إلى التأويل الذي بمعنى التفسير، صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل صحيح يقترن به. مثاله: قول الله -عزّ وجلّ-: ؟ أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ ؟[النحل: ١]، ظاهر اللفظ "أتى أمر الله" أنه أتى وانتهى أم لا؟

أتى فعلٌ ماضٍ.

لكن صُرِفَ عن هذا المعنى الماضي إلى المعنى في المستقبل قول الله -عزّ وجلّ-: ؟ فَلا تَسْتَعْجِلُوه ؟، لكن أهل العلم يقولون: هذا ليس هو التأويل في اصطلاح المتأخرين هذا بمعنى التفسير، وسيأتينا المعنى الصحيح للتأويل.

مثال آخر: قال الله -عزّ وجلّ-: ؟ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ ؟ [النحل: ٩٨]، ما هو ظاهر النص؟

الاستعاذة بعد القراءة.

أحسنت، بعد ما تفرغ من القراءة تستعيذ، لكن المعنى الصحيح أنَّك إذا أردت أن تقرأ، وهذا فسره فعل النبي -صلى الله عليه وسلم-، لكن نقول: هذا ليس من التأويل الذي هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح، هذا التأويل بمعنى التفسير، ولهذا يقال: التأويل الذي هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح بغير دليل هذا غيرُ موجودٍ في الكتاب ولا في السنة.

أسئلة المراجعة، ولعلنا -إن شاء الله تعالى- في الحلقة القادمة أو الدرس القادم كما أشرتم واضطررتم يا شيخ هناك رسم توضيحي لهذه الأقسام حتى تتضح تظهر على الشاشة أمام الإخوة -بإذن الله تعالى-.

السؤال الأول:

ما المراد بأهل التجهيل؟ وما شبهتهم من القرآن؟ دليلهم من القرآن الذي تمسكوا بها. نحن قلنا شبهة، وليست دليلاً؟

تقول: ما حكم قول: "لعمري"؛ فإنها تكثر في كلام الأدباء والشعراء هل تعتبر قَسَمًا بالحياة؟

هذه اختلف في العلماء، "لعمري" مثلما ذكَرَتْ الأخت أنَّها تكثر في الشعر، وتكثر في الكلام الأدبيَّ هل اللام هي اللام الموطئة للقسم فيكون قسمًا بحياة الإنسان؟ والقسم بالمخلوق لا يجوز، وكما قال النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-: (من حلف بغير الله؛ فقد كفر أو أشرك)، و(من كان حالفا؛ فليحلف بالله أو ليصمت)، ولكنَّ الصحيحَ أنها ليست لامَ القسم. هناك خلاف عند أهل العلم الصحيح أنها أسلوب من أساليب العرب ولا يقصدون منها الحلفَ.

تقول: هل هناك شرحٌ للشيخ ابن عثيمين على هذه الفتوى الحموية؟

الذي أعرفه أن هناك تبسيطًا لها، وهو "تلخيص الحموية"، وكان مُقَرَّرًا على طُلاَّبِ المعاهدِ العلميَّةِ في جامعة الإمام. صنع الشيخ فيها كما صنع في "التدمرية" أَخَذَ مفهومها وبَسَّطَه بأسلوبه وبتقسيماته -رحمه الله- لكن لا أذكر أنَّ له شرحًا.

الدرس السادس عشر

شرح وتعليق على الفتوى الحموية الكبرى

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

في الدرس الماضي طُرِحَ السؤال الآتي: ما المراد بأهل التجهيل؟

الجواب؟

تقول:

المراد بأهل التجهيل هم الذين يفوضون علم معاني نصوص الصفات لله -عزّ وجلّ-، ويقولون: الله أعلم بمعناها، ولكن نقرؤها ونعلم أنَّ لها معنًى لا يعلمه إلا الله.

وشبهتهم في ذلك قوله تعالى: ؟ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ؟، لكن هم أخطؤوا في فهم المقصود من التأويل في هذه الآية، والله أعلم، وجزاكم الله خيرًا.

إجابة صحيحة. ونحن -أيضًا- سألنا من هم أهل التجهيل؟ وما مستندهم من القرآن؟ فأجابت الإجابة الصحيحة.

ذكرتم في الدَّرس الماضي وضاق وقت الحلقة عن أن تُكملوا ما تَوَقَّفنا منه في إيرادِ معاني التأويل التي أوْرَدَهَا شيخ الإسلام، وقرأنا جزءًا من عبارة المؤلف في هذا الجانب. لعَلَّنَا نقرأ العبارة المتعلقة بذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة -رحمه الله- في جوابه في "الفتوى الحموية الكبرى":

(فإنَّ التأويل يُراد به ثلاثُ معانٍ:

فالتأويل في اصطلاح كثيرٍ منَ المتأخِّرينَ هو صَرْفُ اللفظِ عنِ الاحتمالِ الراجح إلى الاحتمالِ المرجوح لدليلٍ يَقْتَرِنُ بذلك. فلا يكون معنى اللفظِ الموافق لدلالةِ ظاهره تأويلاً على اصطلاح هؤلاءِ. وَظَنُّوا أنَّ مُرَادَ اللهِ بلفظِ التأويلِ ذلك، وأنَّ للنُّصوصِ تأويلاً مخالفًا لمدلولِها لا يَعلمه إلا الله، أو يَعلمه المتأوِّلون.

ثُمَّ كثيرٌ من هؤلاءِ يَقولون تُجرى على ظاهرها فظاهرُها مرادٌ، مع قولهم إنَّ لها تأويلاً بهذا المعنى لا يعلمه إلا الله. وهذا تناقضٌ وَقَعَ فيه كثيرٌ من هؤلاء المنتسبين إلى السنة من أصحابِ الأئمةِ الأربعةِ وغيرهم.

والمعنى الثاني: أن التَّأويلَ هو تفسيرُ الكلامِ، سواء وافق ظاهرَه أو لم يُوافقْه.

وهذا هو التأويلُ في اصطلاحِ جمهورِ المفسِّرين وغيرهم. وهذا التأويلُ يَعلمه الرَّاسخون في العلم، وهو مُوافقٌ لِوَقْفِ مَنْ وَقَفَ مِنَ السَّلَفِ عَلَى قوله تعالى: ؟ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ؟.

ثم نُقِلَ ذلك عن ابن عباسٍ، ومجاهدٍ، ومحمد بن جعفر بن الزبير، ومحمد بن إسحاق، وابن قتيبة وغيرهم.

وكلا القولين حقٌّ باعتبارٍ كما قد بَسَطْنَاه في مواضعَ أُخَرَ، ولهذا نُقِلَ عن ابن عباس هذا وهذا، وكلاهما حقٌّ.

والمعنى الثالث: أنَّ التأويل هو الحقيقةُ التي يَؤُول الكلامُ إليها، وإن وَافَقت ظاهره؛ فتأويل ما أخبر بـه فـي الجنة من الأكل، والشرب، واللباس، والنِّكاح، وقيام الساعة، وغير ذلك، هو الحقائق الموجودة أنفسها، لا ما يُتَصَوَّرُ من معانيها في الأذهان، ويُعَبَّرُ عنه باللسانِ، وهذا هو التأويل في لغة القرآن، كما قال تعالى عن يوسف -عليه السلام- أنه قال: ؟ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ؟ [يوسف: ١٠٠]، وقال تعالى: ؟ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ؟ [الأعراف: ٥٣]، وقال تعالى: ؟ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ؟ [النساء: ٥٩] وهذا التأويلُ هو الذي لا يعلمه إلا الله.)

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

قَبْلَ أنْ نَبْدَأَ في الكلامِ على التأويل، وأنواع التأويل، وتقسيم المؤلف للتَّأويل، وكَمَا ذُكِرَ في اللقاءِ السَّابِقِ أنَّ هذا الموضوعَ مُهِمٌّ؛ لأنه يَنْبَنِي عليه كثيرٌ من المسائلِ التي بَنَى عليها المؤولة -مؤولة الصفات- تَأويلَهم ومذهبَهم عليه.

لكن قبل أن نبدأ أذكر أننا وَعَدْنَا أحدَ الإخوة وكان قد سَأَلَ عنْ أهلِ التَّجْهيل، وَذَكَرَ الشيخ أنَّه يُنقلُ عنْ كثيرٍ منَ المنتسبين للسُّنَّة والحديثِ فَطَلَبَ أمثلة على ذلك.

فَمِمَّنْ يُنسبُ له هذا القولُ أبو سليمانَ الْخَطَّابيُّ -رحمه الله- صاحب "غريب الحديث"، وصاحب "شرح صحيح البخاري". فإنه سَلَكَ مَسْلَكَ المفوِّضة في بعض الصفات. كذلك ابن الجوزي -رحمه الله- سَلَكَ مَسْلَكَ المفوِّضة في بعْضِ الصِّفاتِ وليس في كلِّ الصفات، فإنه أَوَّل بعض الصِّفَاتِ وَفَوَّضَ بعضَ الصِّفَاتِ. كذلك سَلَكَ هذا الْمَسْلَكَ الإمامُ البيهقيُّ -رحمه الله- فإنه فَوَّضَ بعض الصفات.

وهؤلاء لَمَّا سلكوا هذا المسلك -مسلك التفويض- الذي سَمَّى الشيخُ أهلَه أهلَ التَّجهيل، سلكوا هذا المسلك ظَنًّا منهم أن هذا هو مذهب السلف، وأرادوا اتِّباع مذهب السلف في هذه المسائل، فَسَلَكُوا هذا المسلكَ الذي يُعْتَبَرُ مِنَ المسالك الفاسدة.

نعود إلى موضوع التأويلِ.

التأويل ينقسم إلى قسمين:

١- تأويل وارد في الكتاب والسنة.

٢- وتأويل ما هو إلا اصطلاح اصطلح عليه المتأخرون من أهل الأصول وأهل الكلام.

التأويل الوارد في الكتاب والسنة ينقسم -أيضًا- إلى قسمين:

١- التأويل بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام. بمعنى أن يأتي اللفظ -لفظ التأويل- في الكتاب والسنة، ويُراد منه الحقيقة التي يَؤول إليها الكلام.

معروف أنَّ كلام العرب ينقسم إلى قسمين: خبر، وإنشاء.

الإنشاء طلب فعل أو طلب ترك.

تأويل الخبر ما هو؟

وقوع الشيء الْمُخْبَرِ عنه في الخارج. فمثلا إذا قلت: الأخ ياسر سيُسافر غدًا. تأويل هذا الخبر: إذا جاء "غدًا" وَسَافَرَ فعلاً؛ قلنا: هذا تأويل الخبر السابق.

قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين)، ما تأويل هذا الخبر؟

تأويله: الافتراق إذا وَقَعَ في هذا الأمة.

قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (من علامات الساعة أنْ تَرَى الحفاةَ العراة رعاة الشاة يتطاولون في البنيان، أن تلد الأمة ربتها)، هذا خبر من النبي –صلى الله عليه وسلم– في وقته لم يقع لم يأتِ تأويله. تأويل هذا الخبر إذا وقع فعلاً. نقول: هذا تأويل ما أخبر به النبي –صلى الله عليه وسلم–.

هل لهذا شواهد في القرآن؟ كثير، خذ –على سبيل المثال– قول الله –عزّ وجلّ– عن يوسف: ﴿ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ ﴾. يوسف رأى الرؤيا في الصِّغَرِ لما قال: ﴿ رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [يوسف: ٤]. هذا خبر، وإلى الآن ما وَقَعَ تأويله ذهبتِ الأيَّام، وذهبتِ السُّنُون، ثم قَدِمَ إخوته ووالداه عليه في مصر، لمَّا دَخَلُوا عليه؛ خَرُّوا له سُجَّدًا تَحِيَّةً واحترامًا، فماذا قال؟ ﴿ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ ﴾، الآن تَحَقَّقَتْ في الخارج وظهرت.

أيضا من الأمثلة قول الله –عزّ وجلّ–: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾، بمعنى إذا جاء يوم القيامة، وجاءت أحداث يوم القيامة يقول الذين كفروا وكذبوا بالقرآن وكذبوا الرسل الذين أخبروهم بيوم القيامة، وأخبروهم بهذه الأحداث يقولون: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ﴾، الآن وَقَعَ فعلاً.

مثال آخر: قول عائشة –رضي الله عنها– لَمَّا أُنْزِلَ على النبيِّ –صلى الله عليه وسلم–: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [سورة النصر] تقول: «كان يُكثر من أن يقولَ في ركوعه وسجوده: (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي) يتأول القرآن». ما معنى يتأول القرآن؟ يطبق القرآن.

هل يُحتملُ أنْ يكونَ التأويلُ صادقًا أو كاذبًا في غيرِ نُصوصِ الكتابِ والسُّنَّة، لكن كإخبار. رجل أَخْبَرَ عن فلانٍ أنه سيسافر ولم يسافر؟

هذا لا يقع تأويلاً. الخبرُ –الآن– هو الذي يَحتملُ الصدقَ والكذبَ، فَإِذَا وقع وَكَانَ صادِقًا في خبره نقول: هذا تأويل الخبر السابق.

النوع الثاني من الكلام: الإنشاء.

والإنشاء إما أمر طلب، أو أمر ترك. فتأويل الطلب فِعْلُه. فَإِذَا قَالَ الله –عزّ وجلّ– ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ ﴾، ما تأويل هذا الطلب؟

إقامة الصلاة.

إقامة الصلاة فعلا.

وإذا قال الله -عزّ وجلّ-: ﴿ وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات: ١٢]، فما تأويله؟ عدم فعل الغيبة.

إذن التأويل عندنا إما أن يأتي بمعنى الحقيقة التي يَؤول إليها الكلام، يعني الكلام يكون في الذّهن وعلى اللسان، فَإذَا وقع في الخارج؛ صار هذا تأويلَ هذا الكلام. هذا معنى الحقيقة التي يَؤول إليها الكلام. وهذا نوع من أنواع التأويل الذي جاء في الكتاب والسنة، وأخذتم بعض الأمثلة على هذا.

النوع الثاني:

التفسير يأتي لفظ التأويل في الكتاب والسنة ويُراد به تفسيرُ الكلام، ما معنى تفسيره؟ بيان معناه.

ما الأمثلة على ذلك؟

قول الله -عزّ وجلّ-: ﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾، هنا ما معناه؟ أخبرْنا عنْ تفسير هذه الرُّؤيا، فهنا جاء التأويل وأُريدَ به التفسيرُ.

قول النبي -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس -كما ثبت في الصحيح-: (اللهم فقّهه في الدين وعلّمْه التأويل)، ما معنى التأويل هنا؟ التفسير.

حديث جابر -كما في صحيح مسلم- «ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين أظهرنا، وعليه يَتَنَزّلُ القرآن، وهو يعلم تأويله»، ما معنى يعلم تأويله؟ يعلم تفسيره.

ولهذا يُكثر الحافظ ابنُ جرير -رحمه الله- في كتابه "التفسير" يقول: "القول في تأويل هذه الآية"، ما معنى القول في تأويل هذه الآية؟ القول في تفسير هذه الآية.

هذا هو التأويل الذي وَرَدَ في الكتاب والسنة، وهو الذي يَتَوَافَقُ مع معنى التأويل في لغة العرب، ولهذا قلنا في الدَّرس الماضي إن التأويل عند العرب يُطْلَقُ ويُرادُ منْه التفسيرُ، والمرجعُ، والمصير، والحقيقة.

ننتقل إلى التأويل في اصْطِلاح المتأخرين.

التأويل في اصطلاح المتأخرين هو: صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به. صرف اللفظِ عن معناه الراجح القريب الظاهر إلى المعنى البعيد.

وَضَرَبْنَا أمثلة على هذا في الدَّرس السابق. ما الأمثلة عليه من القرآن والسنة؟

هل له أمثلة هذا في القرآن وفي السنة؟

أمثلة صحيحة أم ماذا؟

قلنا: التأويل الوارد في القرآن السنة نوعان فقط لا ثالِثَ لهما، ولهذا إذا قيل لك: ما الأمثلة عليه؟ تقول: لا توجد أمثلة، ما دلَّ عليه الكتابُ ولا السُّنَّة، هذا اصطلاح اصطلح عليه المتأخرون من سائر المصطلحات، فصحيحُه صحيحٌ، وفاسدُه فاسدٌ. مثال على هذا النوع عند المتأخرين: تأويلهم الاستواء بالاستيلاء، ذهبوا من المعنى القريب إلى المعنى البعيد جدًّا.

هذا التأويل ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: تأويل صحيح لكن إذا اقترن به دليلٌ إما من الكتاب، أو من السنة، أو من العقل، أو من لغة العرب، لكن إذا اقترن به دليلٌ صحيحٌ تَحَوَّلَ إلى المعنَى الثاني من معاني التأويل الوارد في القرآن والسنة صار معناه تفسير الكلام، هذا هو تفسير الكلام.

القسم الثاني: التأويل الفاسد وهو التأويل الذي لا دَلِيلَ عليه، وتأويل من تَأَوَّلَ الصفات من هذا النوع؛ لأنه لا دليلَ عليه وإن زعموا أن العقل اقتضى ذلك، لكن هذه الأدلة العقلية أدلة فاسدة.

نرجع إلى آية آل عمران التي تَمَسَّكَ بها أهل التجهيل الذين يُسَمَّوْنَ بالمفوضة. قالوا: دليلنا قول الله –عزّ وجلّ–: ؟ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ؟.

لما نأخذ –الآن– لفظ التأويل –هنا– وسننظر أيُّ المعاني يَصْدُقُ على هذا اللفظ؟ ما رأيكم؟ عندكم أربعةُ معانٍ للتأويل:

- التأويل: بمعنى الحقيقة.

- التأويل: بمعنى التفسير.

- التأويل: صرف الصرف عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح التأويل الصحيح، أو: صرف اللفظ عنِ الاحتمالِ الراجح إلى الاحتمال المرجوح بغير دليل، وهو التأويل الفاسد.

هذا اللفظ نَزِّلُوه على أحدِ هذه الأقسامِ الأربعةِ: ؟ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ؟.

يأتي بمعنى التفسير.

هل هناك معنى آخر؟

هل هناك تقاطع بين التفسير وبين قضية دليل المقترن به؟ هو نفسه.

تقول: ممكن يأتي هذا أو هذا؟

أي نعم.

الصحيح أنَّ التأويل في هذه الآية يأتي بمعنى التفسير، ويأتي بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام.

وبهذا تكون قراءةُ مَنْ وَقَفَ على لفظ الجلالة: ؟ إِلاَّ اللهُ ؟ صحيحةً، وقراءةُ مَنْ وَصَلَ صحيحةً. ولهذا نُقِلَ عنِ السلف هذا وهذا. فَمَنْ وَقَفَ على لفظِ الجلالةِ ؟ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ؟ أراد الحقيقة.

قالوا: الحقيقة لا يعلمها إلا الله. هذه قراءة الجمهور.

وهناك قراءة قَرَأَ بها مجاهد، وبعضُ السلف، وهي قراءةٌ عن ابن عباس وبعض السلف وهي قراءة عن ابن عباس رواية أخرى: الصلة، ؟ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ؟؛ يعلمون تأويله. ومن قرأ بالوصل وَذَهَبَ إلى أنَّ الْوَاوَ –هنا– عاطفةٌ وليست استئنافيَّةً أَرَادَ التفسير.

يقول: تفسير هذا المتشابه من القرآن يعلمه الله –عزّ وجلّ– ويعلمه الراسخون في العلم، لكن لا يعلمه العوام. وبهذا تجتمع الأقوال، وتجتمع الأدلة، ولا يكون هناك –فيه– اختلاف.

إذن التأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين عرفناه: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، وقلنا: إذا اقْتَرَنَ به دليل صحيح كما ذكرنا مثالا على ذلك قول الله –عزّ وجلّ–: ؟ أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ ؟ [النحل:١]، ظاهر الآية، والمعنى القريب، والمعنى الراجح: أتَى، وانتهى، وانقضى. لكن المعنى الصحيح أنَّه إلى الآن لم يأتِ، صرفناه عن معناه القريب إلى المعنى البعيدِ لدليلٍ يَقْتَرِنُ به هو قول الله –عزّ وجلّ–: ؟ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ ؟، لكن هذا يكونُ من بابِ تفسيرِ الكلامِ وليس من بابِ التأويلِ على اصطلاحِ المتأخرين.

يقول: (فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلاً على اصطلاح هؤلاء): بمعنى أنَّ اللفظ إذا فُسِّرَ بظاهره؛ فليس تأويلاً عند هؤلاء. متى يكون تأويلاً؟ إذا فُسِّرَ بالمعنى البعيد، المعنى الذي لا يظهر منَ اللفظ.

استوي: يُفسر بالاستيلاء، اليد: بالقدرة، النزول: نزول الرحمة، المجيء: مجيء الملائكة، الوجه: الذات.

هذا ليس هو ظاهرَ اللفظِ، هذا معنًى بعيدٌ، معنًى مُخْتَفٍ، فلا يُسَمَّى –إذا قلنا إن هذه الآية على ظاهرها– تأويلاً على قول هؤلاء.

(وظنوا أن مراد الله بلفظ التأويل ذلك): في قوله سبحانه: ؟ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ؟ هؤلاء ظنوا أن ؟ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ؟ المقصود به: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح.

(وأن للنصوص تأويلا مخالفا لمدلولها لا يعلمه إلا الله، أو يعلمه المتأولون، وهذا على ظن هؤلاء.)

يقول: (ثم كثير من هؤلاء يقولون تُجرى على ظاهرها، فظاهرها مراد مع قولهم إن لها تأويلا بهذا المعنى لا يعلمه إلا الله، وهذا تَنَاقُضٌ وَقَعَ فيه كثيرٌ مِنْ هؤلاء المنتسبين إلى السنَّة من أصحابِ الأئمةِ الأربعةِ وغيرهم.)

هذا قول المفوضة، والمفوضة متناقضون في قولهم، يقولون: تُجْرَى هذه الآيةُ على ظاهرها، وظاهرُها مرادٌ، ثم يقولون: لها تأويلٌ لا يَعلمُه إلا الله. إذا كان لها تأويل لا يعلمه إلا الله؛ فلا يجوز أن تقول: تُجرى على ظاهرها ولا غير ظاهرها؛ لأنك ما فهمت من اللفظ شيئًا. أنت إذا قلت تُجرى على ظاهرها بمعنى أنك فهمت من اللفظ شيء. الآن إذا تكلمتُ أمامك كلامًا، وقلتَ للشباب: أجروا كلام الأخ على ظاهره بمعنى أنك فهمت.

فهمت من المعنى الظاهر.

نعم، لكنْ كونُك تقول: أَجْرُوا الكلامَ على ظاهره ثم لا ترى له معنى لا يُعلم، فيكون هذا تناقضًا، هذا تناقض من المفوضة. كيف تقولون: كلام الله –عزّ وجلّ– يُجرى على ظاهره ثم تقولون: له معنى لا يعلمه إلا الله؟! إذا كان له معنى لا يعلمه إلا الله؛ فلا لا يجوز لكم أن تقولوا: أجروه على ظاهره ولا تُجرونه على غير ظاهره.

يقول: المعنى الثاني من معاني التأويل هو تفسير الكلام، بمعنى أن يُفَسَّرَ الكلامُ سواء وَافَقَ ظاهره أو لم يوافقه، وهذا التأويلُ في اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم، ويستخدمه ابن جرير كثيرًا؛ يقول: القول في تأويل الآية معنى قوله: القول في تفسير هذه الآية.

وهذا التأويل يعلمه الراسخون في العلم: بمعنى أن التفسير يعلمه الراسخون في العلم، ولهذا؛ فإن مجاهدًا لَمَّا قَرَأَ بالوصل كان لقراءته هذه معنًى. هو من أجل تلامذة ابنِ عباس -رضي الله عنه وَرَحِمَ مجاهد- ولهذا قال: «عَرَضْتُ المصحفَ على ابن عباس ثلاثين عرضةً»، وفي رواية أخرى: «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات أَقِفُه عند كلِّ آيةٍ وأسأله عنها». فَإِذَا وَصَلَ؛ كان لهذا الوصلِ معنًى يعني أراد التفسير أنه سأل ابن عباس عن تفسير كل آية وما استثنى آيات الصفات. لئلا يقول هؤلاء: إنها من المتشابه الذي لا يَعلمه إلا الله، بل تُفَسَّرُ كما تُفَسَّرُ سائرُ الألفاظِ، تُفَسَّرُ على ظاهرها، وعلى وَفْقِ لغة العرب.

يقول: (وهو موافق لوقف من وَقَفَ من السلف على قوله تعالى: ؟ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ؟): هؤلاء الذين وقفوا على الراسخين في العلم..

لهم معنى.

نعم، أرادوا بالتأويل -هنا- التفسيرَ، قال: والراسخون في العلم يعلمون تفسير القرآن، وليس في القرآن شيءٌ لا يُعلم تفسيره.

وستأتي الأدلة على ذلك أن الله أَمَرَنَا بتدبُّر القرآنِ من غير استثناءٍ، لم يَسْتَثْنِ حرفًا واحدًا، فَإِذَا أَمَرَنَا بتدبر القرآن؛ دَلَّ على أن جميع ما في القرآن مفهومٌ معناه، وليس فيه شيء لا يظهر معناه.

نعم يقول: (ثم نقل ذلك عن ابن عباس ومجاهد): ومجاهد -رحمه الله- متوفى سنة ١٠٣هـ. (ومحمد بن جعفر بن الزبير): توفي سنة بضع عشرة ومائة، (ومحمد بن إسحاق): المتوفى سنة مائة وخمسة هـ، (وابن قتيبة): عبد الله بن مسلم المتوفى ٢٧٦هـ وغيرهم.

يقول: (وكلا القولين حقٌّ باعتبار): يعني قراءة من وقف وقراءة من وصل.

(كما قد بسطناه في مواضعَ أُخَرَ، ولهذا نقل عن ابن عباس هذا وهذا وكلاهما حق): ابن عباس نُقل عنه القراءةُ بالوقفِ وأراد التأويل الحقيقي، قال: حقيقة أسماء الله وصفاته، حقيقة ما يجري في اليوم الآخر هذا مما استَأْثَرَ الله بعلمِه.

ولهذا أقول: ؟ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ؟ وأقف، ثم أستأنف: ؟ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ؟ ونقل عنه قراءة الوصل: ؟ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ؟ وأراد هنا التفسير، قال: الراسخون في العلم يعلمون تفسير القرآن، ويعلمون تفسير الصفات، وتفسير آيات اليوم الآخر ليس هناك شيءٌ خفيٌّ.

كلا المعنيين صحيح؟

كلا المعنيين صحيح، لكن لاحظْ أنَّ المعنييْن لم يَتَضَمَّنَا المعنى الموجودَ عند المتأخِّرين -صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح- هذا لا وجود له لا في الكتاب ولا في السنة. ولهذا فإن استدلالهم بهذه الآيَة -سواء أهل التأويل أو أهل التفويض- استدلالٌ فاسد.

يقول: (والمعنى الثالث أنَّ التأويل هو الحقيقة التي يؤول الكلام إليها وإن وافقت ظاهره): يعني الآن الكلام يكون في اللسان -كما ذكر الشيخ-، ويكون في الذهن، هذا لا زال كلامًا خبرًا أو إنشاءً، فإذا وُجِدَ في الخارج؛ صَارَ هذا تأويلاً، إذا قلت: قم، هذا أمر، تأويل هذا الأمْرَ: قيامك.

يقول: (فتأويلُ ما أخبر به في الجنة من الأكل، والشرب، واللباس، والنكاح، وقيام الساعة، وغير ذلك هو الحقائق الموجودة أنفسه): الحقائق هل وجدت؟ لا، هي موجودة لكن تأويل هذه الحقيقة غير مشاهد. ولهذا إذا ظَهَرَتْ هذه الحقيقةُ يومَ القيامة؛ قال الكفار: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾، هذا ما أخبرنا به الرسلُ في الدنيا والآن صَارَ حقيقةً نشاهدها، ولا يوجد مجال للإنكار، فهذا تأويل ما أَخْبَرَتْ به الرسل.

(لا ما يتصور من معانيها في الأذهان، ويُعَبَّرُ عنه باللسان، وهذا هو التأويل في لغة القرآن كما قال تعالى عن يوسف: ﴿ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾، وقال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾، وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾).

يعني المطلوب منكم أن يكون فعلُكم موافقًا لِمَا أراد الله، ولما أراد الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

يقول: (وهذا التأويل هو الذي لا يعلمه إلا الله): المتعلق بصفات الله -عزّ وجلّ- أو المتعلق باليوم الآخر؛ لأن هذه الحقائق لا يعلمها إلا الله، ومن ذلك -كما سيذكر المؤلف- كيفيةُ الصفات. نحن -الآن- نُؤمن بأن الله ينزل حين يبقى ثلث الليل الآخر، ونؤمن بأنَّ الله اطلع إلى أهل بدر، ونؤمن بأن الله يدنو من أهل عرفة في عشية عرفة، ونعرف معاني هذا الكلام، وتفسير هذا الكلام، لكن كيفية هذا النزول، وهذا الاطلاع، وهذا الدُّنُوِّ ماذا نقول عنه؟ نقول: الله أعلم، مِنَ التأويل الذي لا يعلمه إلا الله؛ لأنها حقيقةٌ خَفِيَتْ علينا، ولم يُخبرنا بذلك الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ولا يُمكن إدراكه بالعقل ولهذا نكل علم ذلك إلى الله -سبحانه-، ونقول: هذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله.

تقول: أرجو التَّفضُّل بتوضيح المراد من لفظ الباطنية، كثيرًا ما نجد في الحموية تعبير: باطنية الشيعة، وباطنية الصوفية، وباطنية الملاحدة، وجزاكم الله خيرًا.

سَبَقَ الكلامُ على ما المراد بالباطنية: الباطنية الذين يَزعمون أنَّ للنصوص معنًى خفيًّا يُخالف المعنى الظاهرَ، وأنَّ المخاطَب بظاهرِ النصوصِ هم عامَّة الناس، ويدخل في هؤلاء العوامِّ الأنبياءُ والرُّسُلُ والصحابةُ، أما الخاصَّةُ -الذين هم الأولياءُ-؛ فهؤلاء هم المخاطبون ببَوَاطِنِ النُّصوص الَّتِي لا تَظْهَرُ منَ النُّصُوصِ، ولهذا سُمُّوا باطنيةً.

يقول: أعِدْ -جزاك الله خيرًا- معنى التأويل عند المتأخرين؟

التأويل عند المتأخرين له عدة معانٍ، لكن هذا من أوضح المعاني، وهو المعنى الذي ذَكَرَه الشيخ -رحمه الله-: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، أو تقول: صرف اللفظ عن ظاهره القريب إلى المعنى البعيد لدليلٍ يقترن به. فَإِذَا كان هذا الدليلُ صحيحًا؛ كان التأويلُ صحيحًا، وإذا كان الدليلُ فاسدًا؛ صار التأويلُ فاسدًا.

يقول: تَجَلِّى الله -سبحانه وتعالى- في ثُلثِ الليلِ مِنْ أيِّ أقسام التأويل؟

نزول الله -عزّ وجلّ- اللفظ جاء من الله -عزّ وجلّ- ينزل حين يبقى ثلث الآخر، نقول: هذه صفة لله -عزّ وجلّ-، ونثبت له النزول، لكن كيفية هذه النزول الله أعلم بها، فالكيفية من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله.

نحن عندما نورد كلمة التأويل يراد بها أحد المعنيين حتى لا يختلط على الأذهان.

بالنسبة للسلف إذا أُطْلِقَ التأويل؛ فالمراد به إما الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، وإما التفسير.

حتى لا يدخل الإنسان في متاهات.

نعم، لكنَّ التأويلَ -الذي هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح- هذا لا مُسْتَنَدَ له في الكتاب والسنة، وهو الذي تَسَلَّحَ به المعطلةُ على اختلافِ فرقهم، وتعدد مناهجِهم، تسلحوا بهذا السلاح وَسَلَّطُوه على نصوص الصفات، فكلما جاء نَصٌّ في إثبات صفة لله لا تَتَوَافَقَ مع عقولهم؛ سَلَّطُوا عليها التأويلَ بالاصطلاحِ الذي اصطلحوه، وصرفوا هذا النص عن المعنى القريب إلى المعنى البعيد.

ثم قال -رحمه الله-: (فتأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله بعلمها، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف -كمالك وغيره-: «الاستواء معلومٌ والكيف مجهول»، فالاستواء معلوم يُعلم معناه وتفسيرُه، ويُتَرْجَمُ بلغةٍ أخرى، وأما كيفيةُ ذلك الاستواء؛ فهو التأويلُ الذي لا يعلمه إلا الله -تعالى-.

وقد رُوِيَ عن ابن عباس -رضي الله عنها- ما ذَكَرَه عبد الرزاق -وغيره في تفسيرهم- عنه أنه قال: «تفسير القرآن على أربعة أوجه: تفسير تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعْذَرُ أحدٌ بجهالتِه، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله -عزّ وجلّ-، من ادَّعى علمه؛ فهو كاذب».)

)

يقول الشيخ: (فتأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله بعلمه): ما الحقيقة التي انفرد الله بعلمها المتعلقة بصفات الله -عزّ وجلّ-؟ الكيف، كيفية هذه الصفات، هذه لا يمكن لمخلوقٍ -كائنا من كان- أنْ يدرك هذه الكيفية، ولهذه استأثر الله بعلمها، ولهذا قال: (وهو الكيفُ المجهول الذي قال فيه السلف كمالك وغيره ...): كما نُقِلَ عن أمِّ سَلَمَةَ وعن ربيعة -شيخ مالك-، وسيذكره الشيخ لمَّا سئلوا عن الاستواء قالوا: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول»، هذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله.

يقول: (فالاستواء معلوم، يُعلم معناه وتفسيرُه ويترجم بلغة أخرى): يعني لو ذُكِرَ الاستواء مطلقا؛ لفُسِّرَ، وَفَسَّرَه العربُ وَفَسَّرَه المفسِّرون، فالعرب يعرفون أن الاستواء هو العلو والارتفاع، ولهذا قد نُترجم الاستواءَ إلى لغةٍ أخرى بمعنى العلو والارتفاع. أما كيفية ذلك الاستواء المنسوب لله -عزّ وجلّ-؛ فهذا هو الذي لا يعلمه إلا الله، فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

يقول: (وقد رُوي عن ابنِ عباسٍ -رضي الله عنه- ما ذكره عبد الرزاق): ابن همام صاحب "المصنف" المشهور المتوفى سنة ٢١١هـ.

يقول: (وغيره في تفسيرهم عنه أنه قال:) عن ابن عباس -رحمه الله-، وأخرجه ابنُ جرير، وذكره ابن كثير، وهو قولٌ مشهورٌ عن ابن عباس حيث قال:

«تفسير القرآن على أربع أوجه:

تفسير تعرفه العرب من كلامها»: وهو المتعلق بالغريب مثل: الزرابي، مثل: النمارق، ونحو ذلك. هذا لا يُعرف إلا لمن عَرَفَ لغة العربِ ماذا أرادوا بهذا اللفظ.

ولهذا أُلِّفَ في هذا النوع من الكلام مُؤَلَّفاتٌ مستقلة "غريب القرآن" لأبي عبيدٍ، وغريب القرآن لغيره.

«وتفسير لا يُعْذَرُ أحدٌ بجهالته»: ما هو هذا التفسيرُ؟ هو المعاني الشرعية المتعلقة بما يجب على العباد، هذا لا يُعذر أحدٌ بجهالته.

قول الله -عزّ وجلّ-: ﴿ وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ هل يعذر أحد بجهل هذا الأمر؟ لا. ﴿ أَقِيمُوا الصَّلاَةَ ﴾، ﴿ آتُوا الزَّكَاةَ ﴾، ﴿ ولا تَقْرَبُوا الزِّنَا ﴾، نعم فهذه واضحةٌ لا يُعْذَرُ أحدٌ بجهلها.

«وتفسير يعلمه العلماء»: وهو المتعلق بالناسخ والمنسوخ، بالعام والخاص، بالمطلق والمقيد، ونحو ذلك، هذا لا يُدركه إلا من؟ إلا العلماء.

ولهذا لا بُدَّ منَ الرجوعِ إلى أهْلِ العلمِ في تفسيرِ كلامِ اللهِ في بعضِ المواضعِ؛ لأنَّ هناك مطلقًا وهناك مقيدًا، قد يَأخذُ الإنسانُ بالمطلقِ ويَترِكُ المقيدَ فيضل، أو العكس بالعكس، هناك ناسخٌ وهناك منسوخٌ، قد يأخذ الإنسان بالمنسوخ وما يعلم أن له نصًّا ناسخًا، وهذا لا يعلمه إلا العلماء.

«وتفسير لا يعلمه إلا الله -عزّ وجلّ-، من ادَّعى علمه؛ فهو كاذب»: وهو حقائق وكيفية صفات الله -عزّ وجلّ-، وحقائق وكيفية اليوم الآخر، وما يجري في اليوم الآخر.

ثم قال -رحمه الله-:

(وهذا كما قال تعالى: ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]، وقال النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- (يقول الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خَطَرَ على قلبِ بشر)، وكذلك علم الساعة ونحو ذلك، فهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله.

وإن كنا نفهم معاني ما خُوطِبْنَا به ونَفْهَمُ منَ الكلامِ ما قُصِدَ إفهامُنا إيَّاه كما قال تعالى: ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، فَأَمِرَ بِتَدَبُّر القولِ كلِّه لا بتدبر بعضِه.)

قال: (وهذا كما قال تعالى)؛ ليُبَيِّنَ أو يَضْرِبَ أمثلةً أنَّ هناك من الحقائقِ ما لا يَعلمها إلا الله -عزّ وجلّ-، فَذَكَرَ -على ذلك- أمثلة قال: قال تعالى: ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾، بمعنى ما أخفاه الله -عزّ وجلّ- عن العباد من نعيم الجنة هذا لا يمكن أن يُدرك، ولا يمكن أن تُعلم حقيقته، ولهذا قال ابن عباس: «ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء فقط»؛ عنب: عنب، اسم لكن حقيقة هذا العنب هل يمكن أن ندركه؟ لا يمكن. ولهذا تصور في حديث الخسوف، لمَّا صَلَّى النبي -صلى الله عليه وسلم- بأصحابه، وَتَقَدَّمَ وَتَأَخَّرَ، ثم سَألُوه لماذا تقدمت وتأخرت؟ قال: (كُشِفَتْ لِيَ الجنةُ والنارُ) فتقدمه قال: (أَرَدْتُ أَنْ آخُذَ قِطْفًا) عنقودًا واحدًا من الجنة من العنب، (وَلَوْ أَخَذْتُه؛ لأَكَلْتُم مِنْه إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ). عنقود واحد، هل يمكن للعقل أن يُدرك حقيقة هذا العنب؟ أو يقول عاقل: إن هناك تشابهًا بينه وبين عنب الدنيا؟ لا يمكن، ولهذا عَقَّبَ المؤلف بما ثَبَتَ في الصحيحين عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (يقول الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت)، مهما رأتِ العيونُ حقيقةً، أو تصورًا، أو خيالاً، أو في المنام؛ فما في الجنة لا يمكن أن يُدانيَ هذا الشيء، (ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خَطَرَ على قلب بشر). ولهذا فإن هذه الحقيقة لا يعلمها إلا الله، حقيقة ما

في الجنة من النعيم، وفي الحديث الآخر: (لَمَوْضَعُ سَوْطِ أحدِكم في الجنة) كم موضع السوط؟ أقل من المتر، (لموضع سوط أحدكم من الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها)، ولهذا مهما تَصَوَّرَ الإنسان بخيالِه، وَحَدَّثَتْ به نفسُه كما قال الله -عزّ وجلّ- (ولا خطر على قلب بشر) فلا يمكن أن يدرك الحقيقة، فالحقيقة مما استأثر الله بعلمها، وهي من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله -عزّ وجلّ-.

يقول: (وكذلك علم الساعة ونحو ذلك): علم الساعة من الأمور التي لا يَعلمها إلا الله، فهذا من التأويلِ الذي إلا الله، وإن كنا نفهم معاني ما خُوطبنا به، فإذًا قال الله -عزّ وجلّ- عن الجنة: ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُه ﴾ [محمد: ١٥]، نَفهم معنى اللبن أم لا؟ اللبن ليس كالماء، واللبن ليس كالعسل، واللبن ليس كالخمر.

إذا ذَكَرَ لنا أنَّ فيها عنبًا؛ عَرَفْنَا أنَّ العنب ليس رمانًا، وليس برطبٍ، فنعرف معاني هذه الألفاظ، لكن حقيقتها مما استأثر الله بعلمه كما أخبرنا الله -عزّ وجلّ- أنه استوى على العرش، ونحن نعلم معنى الاستواء أن معناه العلو والارتفاع، لكن حقيقة هذا الاستواء، كيفية هذا الاستواء الله أعلم به.

ما الدليل على أننا نفهم ما خُوطبنا به، وَأَنَّنَا أُرِيدَ بِنَا أنْ نَفْهَمَ ما خُوطِبْنا به، ولِهَذَا قال: (وإنْ كُنَّا نَفهم معاني ما خُوطبنا به، ونفهم من الكلام ما قُصِدَ إفهامنا إياه) ما الدليل؟ أن الله أمرنا بتدبر القرآن دون استثناء، هل استثنى حرفا واحدا؟ هل استثنى موضعا واحدا؟ ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾، ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾، ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]، أمرنا بتدبُّر القرآن كله، وهذا دليل على أنَّ كل ما في القرآن مفهوم معناه، وهذا رَدَّدْناه أكثر من مرة؛ لأن التدبر فرعٌ عن فهم المعنى، لا يُمكن أن يُتَدَبَّرَ كلامٌ لا يُفهم معناه، هذا مُسْتَحِيلٌ ولو كان في القرآن شيءٌ لا يُفهم معناه؛ لكان أَمْرُ الله بتدبر القرآن من تكليف ما لا يُطاق.

أسئلة المراجعة:

السؤال الأول:

ما أقسام التأويل الوارد في الكتاب والسنة؟ وما أمثلته؟

يقول: ما الفرق بين التفسير بالرأي والتأويل؟

التفسير بالرأي هو الرأي المبنيُّ على الأصولِ الصحيحة: إما على الأدلة في الكتاب والسنة، أو المبني على لغة العرب، فهذا التفسيرُ يُعتبر تفسيرًا صحيحًا، وتأويلٌ بمعنى التفسير. أما التفسير بالرأي الذي لا يَستند إلى شيءٍ من الأدلة؛ فهو من التأويل المذموم الذي عند المتأخرين.

تقول: إذا طَرَأَ على العقلِ شيءٌ منَ التمثيل لله -عزّ وجلّ- ثم قَامَ الإنسان بطرد هذا الشيء والاستعاذة؛ فهل على العبد شيء في هذا الأمْرِ؟

هذا السؤال أورد شَبِيهَه الصحابة -رضي الله عنهم- كما في صحيح مسلم على النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- قالوا: "يا رسول الله! إنَّ أَحَدَنَا لَيَجِدُ في نفسه ما إنْ يَخِرُّ من السماء أحبُّ إليه من أن يتكلم به"، فَبَشَّرَهم النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهذه بشارة للأخت السائلة ولكل من حَصَلَ عنده شيءٌ من هذا. فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- (أوجدتموه)؟ قالوا: "نعم يا رسول الله" قال: (ذاك صريحُ الإيمان)، وفي رواية: (الحمد لله الذي رَدَّ

أمره إلى الوسوسة). صريح الإيمان فَسَّرَه العلماء قالوا: استعظام الإنسان أنْ يَتَكَلَّمَ به. فقضية أن الإنسان تحدث به نفسُه هذا الحمد لله (عُفِيَ لأمتي الخطأ، والنسيانُ، وما حَدَّثَتْ بها أنفسها)، فهذا من حديث النفس الـــذي عُفِـــيَ للإنسان، والمهم أن لا يَتَكَلَّمَ أو يعملَ.

الدرس السابع عشر

شرح وتعليق على الفتوى الحموية الكبرى

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

كما هي العادة نستعرض إجابات الإخوة المشاهدين الذين تواصلوا مع هذا الدَّرس، ولعلكم تذكرون الإخوة بالسؤال الذي طُرح في نهاية الدرس الماضي.

سبق أنْ طُرح على الإخوة المشاهدين، وعلى الإخوة الحضور السؤالُ الآتي: ما أقسام التأويل الوارد في الكتاب والسنة؟ مع التمثيل لهذه الأقسام.

الأخت تقول:

ينقسم التأويل الوارد في الكتاب والسنة إلى:

١- تأويل بمعنى الحقيقة التي يَؤول إليها الكلامُ. فالكلام عند العرب ينقسم إلى خبر وإنشاء. وتأويل الخبر وقوعه في الخارج، ومنه قول الله -تعالى- عن يوسف -عليه السلام-: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ [يوسف: ١٠٠]، فتأويل الرؤيا وقوعها. ومنه قوله -صلى الله عليه وسلم-: (تفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقةً..) الحديث، ووقوع الافتراق تأويلٌ لهذا الخبر. وتأويلُ الإنشاء فعلُه إنْ كان طَلَبَ فعلاً، وتَرْكُه إنْ كان طَلَبَ تركًا.

٢- تأويل بمعنى التفسير. وهو بيان للمعنى منه قول الله -تعالى-: ﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ [يوسف: ٣٦]، وفي الحديث دعاءُ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس -رضي الله عنه- (اللهم فقّهه في الدين، وعلمه التأويل) أي التفسير، والله -تعالى- أعلم.

الإجابةُ كاملةٌ ووافيةٌ.

بسم الله الرحمن الرحيم، قال شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة في جوابه في "الفتوى الحمويَّة الكبرى": (وقال أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ: «حدثنا الذين كانوا يُقْرِؤُونَنَا القرآنَ عثمانُ بنُ عفَّان وعبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ وغيرهما أنَّهم كانوا إذا تَعَلَّمُوا مِنَ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- عَشْرَ آياتٍ؛ لم يَتَجَاوَزُوهَا حتَّى يَتَعَلَّمُوا ما فيها مِنَ العِلْمِ والعمل. قالوا: فَتَعَلَّمْنَا القرآنَ والعلمَ والعملَ جميعًا».

وقال مُجَاهِدٌ: «عَرَضْتُ المصحفَ على ابنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- من فاتحتِهِ إلى خاتمتِهِ؛ أَقِفُ عند كُلِّ آيةٍ أَسْأَلُه عَنْهَا».

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: «ما ابْتَدَعَ أَحَدٌ بِدْعَةً إلاَّ وفي كتابِ اللهِ بَيَانُها».

وقال مَسْرُوقٌ: «ما قال أصحابُ محمدٍ –صلى الله عليه وسلم– عن شيءٍ إلاَّ وَعِلْمُه في القرآن، ولكنْ عِلْمُنَا قَصُرَ عنْه».

وهذا بابٌ واسعٌ قد بُسِطَ في موضعِه.)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لا زال كلام المؤلف في الرد على أهل التجهيل، الذين هم المفوِّضة، الذين يَزعمون أن في كتاب الله –عزّ وجلّ– وسنة النبيِّ –صلى الله عليه وسلم– ما لا يُفهم معناه، وهي النصوص المتعلقة بصفات الله –عزّ وجلّ–.

فذَكَرَ الشيخ –رحمه الله– من ضمن الردود هذا الآثارَ عنِ السلفِ. فهذا أبو عبد الرحمن السلمي يقول: "حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما". بمعنى أنَّ التابعين تَلَقَّوْا القرآن عن هؤلاء. أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي –صلى الله عليه وسلم– أن الصحابة –رضي الله عنهم– كانوا إذا تعلموا من النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– عشر آيات؛ لم يتجاوزوها حتَّى يتعلَّموا ما فيها من العلم والعمل.

بمعنى أنهم كانوا يتلقفون القرآن عن النبي –صلى الله عليه وسلم– ليس ألفاظًا دون معانٍ كما يَزعم المفوضة، بل كانوا يَأخذون عشر آيات فيتعلمون العلم ويطبقون هذا العلم، ثم يتجاوزون إلى العشر التي بعدها. هذا هو منهجهم –رضي الله عنهم–، وهذا الأثر رواه الإمام أحمد، والطبريُّ في تفسيره، والحاكم، وابن سعد، وغيرهم.

وقال مجاهد: "عرضت المصحف على ابن عباس –رضي الله عنها– من فاتحته إلى خاتمته أقف عند كل آية أسأله عنها". وفي رواية: "أنني عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، أَقِفُه عند كل آية". لم يَستثنِ من هذا آياتِ الصفات، فَدَلَّ على أنَّ الصحابة –رضي الله عنهم– فَسَّرُوا جميعَ القرآنِ، وفهموا معانيَ جميع القرآن دون استثناءٍ كما يزعم المفوِّضة.

وقال الشعبي: "ما ابتدع أحدٌ بدعة إلا وفي كتاب الله بيانها". لكن عَلِمَها بعضُ الناسِ وَجَهِلَهَا البعضُ الآخرُ. ولهذا قَصَرَ الله –عزّ وجلّ– فَهْمَ بعضِ كتابه على الراسخين في العلم، فليس كتابُه مُتَاحًا للجميع. وابن عباس قال: "تفسير القرآن على أربعةِ أوجهٍ".

وقال مسروقٌ: "ما قال أصحاب محمد –صلى الله عليه وسلم– عن شيء إلا وعلمُه في القرآن، ولكنْ علمُنا قَصُرَ عنه". بمعنى أنَّ كُلَّ ما تَكَلَّمَ فيه الصحابةُ –رضي الله عنهم– ما هو إلا موجودٌ في كتابِ اللهِ –عزّ وجلّ–.

ثم قال المؤلف: وهذا باب واسع قد بُسط في غير هذا الموضع؛ لأنَّ الموضعَ موضعُ فتوى وجواب على سؤال.

لم يشر أو يُحِلْ إلى مرجعٍ أو كتابٍ؟

لا، سبق أنْ أشار –كما تَقَدَّمَ–، وذكر جملةً منَ المصادر التي تُعْنَى بنقلِ مذهب السلف.

(والمقصودُ –هنا– التَّنبيهُ على أصولِ المقالاتِ الفاسدةِ الَّتِي أَوْجَبَتِ الضَّلالَ في بابِ العلمِ والإيمانِ بما جاء به الرسولُ –صلى الله عليه وسلم–، وأنَّ مَنْ جَعَلَ الرسولَ غيرَ عالمٍ بمعاني القرآنِ الذي أُنْزِلَ إليه ولا جبريلَ جَعَلَه غيرَ عالمٍ بالسمعياتِ؛ لم يَجْعَلِ القرآنَ هُدًى ولا بَيَانًا للنَّاسِ.

ثم هؤلاء يُنكرون الْعَقليَّاتِ في هذا البابِ بالكُلِّيَّةِ؛ فلا يجعلون عند الرسولِ –صلى الله عليه وسلم– وأُمَّتِه في بابِ مَعرفةِ اللهِ –عزّ وجلّ– لا عُلومًا عقليَّةً ولا سَمعيَّةً، وهم قد شاركوا –في هذا– الملاحدةَ من وجوهٍ مُتَعَـدِّدَةٍ، وهم مُخطئون فيما نَسَبُوه إلى الرسولِ –صلى الله عليه وسلم– وإلى السلفِ من الجهلِ، كما أخطأ في ذلك أهـلُ التحريفِ والتأويلاتِ الفاسدةِ وسائرُ أصنافِ الملاحدةِ.)

يقول الشيخ: المقصود في هذه الفتوى أنْ نُنَبِّهَ على أصول المقالات الفاسدة، وأن لا نَتَتَبَّعَ أقوالَهم قولاً قـولاً ورأيًا رأيًا، وَنَتَتَبَّعَ شُبَهَهم شُبْهَةً شُبْهَةً. وإنما نَذكر الأصول ومن أراد التفصيل؛ فله موضعه.

ثم ذَكَرَ بعض اللوازم الباطلة المترتبة على مذهب هؤلاء المفوضة. قال: (التي أوجبتِ الضلال في باب العلم والإيمان بما جاء به الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وأنَّ من جعل الرسول..): هذه من اللوازم الباطلة علـى مذهب هؤلاء.

يقول: (وأن من جعل الرسول غير عالم بمعاني القرآن الذي أُنزل إليه ولا جبريل جعله غير عالم بالسمعيات؛ لم يجعل القرآن هدى ولا بيانا للناس.) والله –عزّ وجلّ– ذكر أن هذا القرآن هُدًى وبيانٌ للناس.

فهم يَزعمون أنَّ جبريل لا يَعرف معاني نصوصِ الصفاتِ، ولا النبي –صلى الله عليه وسلم– يَعرف معـاني نصوص الصفات، وإنما يَقرؤونها ويَتلونها ألفاظًا جوفاءَ لا معانيَ لها.

يقول: (ثم هؤلاء)؛ أي المفوضة. (ينكرون العقليات في هذا الباب): في باب الأسماء والـصفات. (بالكليـة): يعني يقول: لا مجال للعقل في ذلك.

(فلا يجعلون عند الرسول –صلى الله عليه وسلم– وأمته في باب معرفة الله –عزّ وجلّ– لا علوما عقلية ولا علوما سمعية): يَزعمون أنَّ النبيَّ –صلى الله عليه وسلم– قال ألفاظًا لا يُفهم معناها هذا في مجال السمع. وأيضا لا مجال للعقل في ذلك في فهم هذه النصوص. فسلبوا عن النبي –صلى الله عليه وسلم– وعـن أمتـه العلـومَ السمعية العلوم العقلية.

يقول: (وهم قد شاركوا في هذا الملاحدة من وجوهٍ متعددةٍ): وأبرز ما شاركوا فيه الملاحدة كـونُهم جعلـوا الرسول –صلى الله عليه وسلم– غيرَ عالمٍ بما جاء به؛ أي جاهلاً، وهذه من اللوازم وإن لم يَلتزموها كما ذَكَرْنا في اللقاءِ السابق.

وعندهم أنَّ مَنِ اتَّهم النبيَّ –صلى الله عليه وسلم– بأقلَّ من هذا؛ فإنه يكفر. ولهذا لا يقول عاقلٌ في قلبـه ذَرَّةٌ منْ إيمانٍ: إنَّ النبيَّ –صلى الله عليه وسلم– جاهلٌ، لكن هذا من باب الإلزام لهم؛ لأنه إذا كان غيرَ عـالم بمـا يقولُه؛ فهو جاهل، والجاهل هو الذي لا يعلم ما يقولُ.

(وهم مخطؤون ما نسبوه إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- وإلى السلفِ منَ الجهل): وهذه -أيضًا- كارثةٌ أخرى. فإنهم لو اعتقدوا أنَّ التَّفويضَ هو الحقُّ وسكتوا؛ لَكَانَ الأمرُ أهْوَنَ. لكنَّ المصيبة أنَّهم زعموا أنَّ هذا هو مذهبُ السلفِ، وأنَّ هذا هو الحقُّ الذي جاء به النبيُّ -صلى الله عليه وسلم-.

قالوا: النبيُّ -صلى الله عليه وآله وسلم- من المفوِّضة، وفَوَّضَ معاني هذه النصوصِ إلى اللهِ -عزّ وجلّ-، وكذلك السلف.

إذن هم مخطؤون فيما نسبوه أن التفويض هو مذهب النبي -صلى الله عليه وسلم- أو هو رأي النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو مذهب السلف الصالح.

افتراء الكذب.

اتِّهامٌ من عندهم -خَطَأً- أنهم اعتقدوا أنَّ هذا هو مذهبُ السلف، وأنَّ هذا هو الذي جاء به النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- وهو مسألة التفويض.

يقول: (كما أخطأ في ذلك أهل التحريفِ): يعني أهلَ التأويل. (والتأويلات الفاسدة وسائر أصناف الملاحدة).

(ونحن نَذْكُرُ مِنْ ألفاظِ السَّلَفِ بأعيانِها، وألفاظِ مَنْ نَقَلَ مَذْهَبَهُم بِحَسَبِ ما يَتَحَمَّلُه هذا الموضعُ ما يُعْلَمُ به مَذْهَبُهم.

روى أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ في "الأسماء والصفاتِ" بإسنادٍ صحيحٍ عنِ الأوْزَاعِيِّ قال: «كُنَّا -والتَّابعون متوافرون- نقول: إنَّ الله -تعالى ذِكْرُه- فَوْقَ عَرْشِه، ونُؤْمِنُ بِمَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنْ صِفَاتِه».

فَقَدْ حَكَى الأَوْزَاعِيُّ -وهو أَحَدُ الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ في عَصْرِ تَابِعِي التَّابِعِينَ الَّذِينَ هُم: مَالِكٌ إِمَامُ أَهْلِ الْحِجَازِ، والأَوْزَاعِيُّ إِمَامُ أَهْلِ الشَّامِ، واللَّيْثُ إِمَامُ أَهْلِ مِصْرَ، وَالثَّوْرِيُّ إِمَامُ أَهْلِ الْعِرَاقِ- حَكَى شُهْرَةَ الْقَوْلِ فِي زَمَنِ التَّابِعِينَ بِالإِيمانِ بِأَنَّ الله فَوْقَ العرشِ وَبِصِفَاتِهِ السَّمْعِيَّةِ.)

انتقل الشيخ -الآن- إلى مرحلة أخرى في هذه الفتوى، سيذكر أقوال السلف الصالح كما ذكر بأعيانها، أو أقوال من نقل مذهبهم في صفات الله -عزّ وجلّ- على وجه العموم، وفي صفة العلو على وجه الخصوص؛ لأن السؤال الذي ورد في أصل الفتوى يدور حول هذه المسألة -مسألة العلو- التي يُنكرها الأشاعرة، وقبلهم الجهمية والمعتزلة.

يقول: (روى أبو بكر البيهقي في "الأسماء والصفات"): الكتاب مطبوع وله عدة تحقيقات. (بإسناد صحيح عن الأوزاعي): عبد الرحمن بن عمرو المتوفى سنة ١٥٧هـ.

قوله: (قال: كنا والتابعون متوافرون): لاحظْ أنه يحكي شهرة هذا القول، وأن هذا القول من الأقوال الْمُسَلَّمَةِ عند التابعين. وإذا قال الأوزاعي هذا القول؛ فله معنًى؛ لأن الأوزاعيَّ من كبار التابعين.

وكما سيذكر الشيخ أنَّ أئمة الدنيا في وقتهم أربعة: الأوزاعي، ومالك، والثوري، والليث بن سعد. ولهذا كان لهؤلاء مذاهبُ فقهيةٌ تُنسب إليهم لكنها اندثرت عدا مذهب الإمام مالك لعدم وجود من يَتَبَنَّى هذا المذهبَ ويَسعى في نشره.

يقول: "كنا والتابعون متوافرون": أي إجماع. نقول: "إن الله –تعالى ذكره– فوق عرشِه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته".

ثم ذكر الشيخ جملة اعتراضية لِيُبَيِّنَ مَكَانَةَ الأوزاعيِّ، وأنه إذا تَكَلَّمَ بمثْلِ هذا الكلام؛ فله قيمته، وله قدره، وله منزلته. قال: (فقد حكى الأوزاعي وهو أحد الأئمة الأربعة في عصر تابعي التابعين الذين هم مالك إمام أهل الحجاز، والأوزاعي إمام أهل الشام، والليث إمام أهل مصر، والثوري سفيان إمام أهل العراق.): وهذه هي أبرزُ أقطارِ العالمِ الإسلاميِّ آنذاك: الحجاز، والشام، والعراق، ومصر.

(حكى شهرة القول في زمن التابعين بالإيمان بأن الله فوق العرش وبصفاته السمعية): ما المراد بالصفات السمعية؟

هي التي لا تثبت بالعقل وإنما تثبت بالسمع.

أحسنت، التي ثبتتْ بالسمع، أو ما يُسمَّى بالصفاتِ الخبريَّة. والسؤال الذي وَرَدَ على الشيخ تَرَكَّزَ على هاتين المسألتين:

المسألة الأولى: صفة العلوّ وإثباتها للهِ –عزّ وجلّ–.

المسألة الثانية: حول الصفات السمعية، أو الصفات الخبرية التي أجمع –تقريبًا– عليها المتأخرون من المتكلمين على نفيها وتأويلها.

(وروى أبو بكرٍ الْخَلَّالُ في كتابه "السنة" عن الأوزاعيِّ قال: «سُئِلَ مَكْحُولٌ والزُّهْرِيُّ عنْ تَفْسِيرِ الأحاديثِ فَقَالا: أَمِرُّوهَا كَمَا جاءت».

وروى –أيضًا– عنِ الوليدِ بن مسلمٍ قال: «سَأَلْتُ مالكَ بنَ أنسٍ، وسفيان الثوريَّ، والليثَ بنَ سعدٍ، والأوزاعيِّ عنِ الأخبارِ التي جَاءَتْ في الصِّفَاتِ فقالوا: أَمِرُّوها كما جاءت»، وفي رواية فقالوا: «أَمِرَّهَا كما جاءت بلا كيف».

فقولهم –رضي الله عنهم–: «أمروها كما جاءت» ردٌّ على المعطلة، وقولهم: «بلا كيف» ردٌّ على الممثلة. والزهري ومكحول هما أعلمُ التابعين في زمانهما، والأربعة الباقون هم أئمةُ الدُّنيا في عصرِ تابعي التابعين. وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور أَمْرِ جهمٍ المنكرِ لكونِ اللهِ فوق عرشه، والنافي لصفاته؛ ليعرف الناسُ أنَّ مذهبَ السلف كان خلافَ ذلك.)

ثم نقل ما رواه أبو بكر الخلال –رحمه الله– في كتاب "السنة" –وهو مطبوعٌ وإن لم يكتملْ– عنِ الأوزاعي قال: "سُئِلَ مكحول والزهري –محمد بن مسلم بن شهاب المتوفى سنة ١٥٤هـ– عن تفسير الأحاديث"؛ أي

أحاديث الصفات التي فيها إثبات شيء من صفات الله -عزّ وجلّ-. "فقالا أمروها كما جاءت": يعني قال مكحول والزهري: أمروا هذه النصوص كما جاءت.

ثم روى -أيضًا- عن الوليد بن مسلم قال: سألت مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، والأوزاعي هؤلاء أئمة الدنيا عن الأخبار التي جاءت في الصفات، الأحاديث التي جاءت في صفات الله -عزّ وجلّ-، فقالوا: أمروها كما جاءت، وفي رواية فقالوا: أمرَّها كما جاءت بلا كيف.

يقول الشيخ: (فقولهم -رضي الله عنهم- "أمروها كما جاءت" ردٌّ على المعطلة على الذين عطّلوا صفات الله -عزّ وجلّ-. وهم لم يحرفوها ولم يؤولوها كما صنع أولئك المعطلة، لم يقولوا إن الاستواء معناه الاستيلاء، لا. أمروها كما جاءت على ظاهرها.

فالجملة الأولى ردٌّ على المعطلةِ، والجملة الثانية قولهم: "بلا كيف" ردٌّ على الممثلة الذين زعموا أنَّ صفات الله مماثلةٌ لصفاتِ البشر. فيجب أن تُمَرَّ كما جاءت لكن بلا كيف كما زعم الممثلة.

ثم ثَنَّى الشيخ بمكانةِ هؤلاءِ الأئمةِ فقال: (والزهريُّ ومكحولٌ هما أعلمُ التابعين في زمانِهما.) والأربعة الباقون الذين هم مالك والأوزاعي وسفيان الليث هم أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين. ثم ذكر السبب الذي دَعَا الأوزاعيَّ أنْ يقول هذا القول. يقول: (وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور أمْرِ جهمٍ): الجهم بن صفوان إمامُ المعطلة، وتَقَدَّمَ الكلام عليه. (المنكر لكون الله فوق عرشه والنافي لصفاته ليعرف الناس أن مذهب السلف كان خلاف ذلك): خلاف مذهب الجهم بن صفوان.

في هذه النصوص التي أُوردت في قولهم: "أمرُّوها كما جاءت". الذي يرجع إلى أقوال أهل التفويض يَجِد أنَّ هؤلاء من أكثرِ ما يستدلون بعد قول الله -تعالى-: ..

؟ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ؟ [آل عمران: ٧].

هذه المقولة أو هذا الأثر يستفيدون منه ويُوَظِّفُونَه لهم وأنَّهم -أي السلف- مفوضةٌ.

مذهب السلف أنه هو التفويضُ.

استنادًا لهذه المقولاتِ التي أوردها شيخُ الإسلام ابن تَيْمِيَّة.

صحيحٌ، ومثلَمَا ذَكَرْتَ أنَّ من أبرزِ ما استَنَدَ إليه المفوضة قولُه -سبحانه-: ؟ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ؟، وَتَقَدَّمَ الكلام عليه، ثم زعموا أنَّ مذهبهم هو مذهب السلفِ، وأنَّ مذهبَ السلفِ التفويضُ. قلنا لهم: ما مستندكم؟ قالوا: هذه الآثار: "أمروها كما جاءت بلا كيف". قالوا: هذا هو التفويض، والسلف كانوا يفوضون ويقولون: "أمروها كما جاءت بلا كيف". لكن قال لهم العلماءُ الأئمةُ: هذا يخالف مذهبكم، وهذا فيه ردٌّ على مذهبكم؛ لأنَّ المفوِّضَ الذي لا يَفهم معنى النصِّ لا يقول أمره كما جاء ولا غير ما جاء.

ثم الذي لا يُفهم منه معنًى لا يُقَيَّدُ ويقال: "بلا كيف". كيف عرفت أنَّ له كيفًا أو أنه بلا كيف؟! لولا أنَّ لهذا النص معنًى فَهِمَه هذا المتكلم أو السَّامِعُ.

فقولهم: "أمروها كما جاءت بلا كيف" رَدٌّ على المفوضةِ، وليس فيه مُستَنَدٌ لهؤلاءِ المفوِّضةِ، وإن كانوا -فعلاً- يَستندون إلى مثلِ هذه النُّصوص، لكن نقول لهم: قول السلف: "أمروها كما جاءت" دليلٌ على أنهم فهموا النص أم لا؟!

أضرب لكم مثالاً بسيطًا –المثال السابق–: لو جاءنا –الآن– أعْجَمِيٌّ وبَدَأ يَرْطِنُ –علينا– بلغته، هل يمكن أن تقول: "أمروا كلامه كما جاء بلا كيف"؟!

لم أفهمْ.

لم تفهم، فلا تقول: "أمره كما جاء"، ولا "لا تمره كما جاء"، صار موقفك منه سلبيًّا، فلا تفهم منه شيئًا. وإضافة أنه لا يجوز لك أن تقول: "بلا كيف" أو "بكيف". كيف قَيَّدْتَ أنَّه بكيف أو بلا كيف إلا أنك فهمتَ منه معنًى؟!

(ومن طبقتِهم حَمَّادُ بن زيدٍ، وحماد بن سَلَمَة وأمثالُهما.

روى أبو القاسم الأزجيُّ بإسنادِه عن مُطَرِّفِ بن عبدِ اللهِ قال: «سمعت مالك بن أنس إذا ذُكِرَ عنده مَنْ يَدْفَعُ أحاديثَ الصفاتِ يقول: قال عمر بن عبد العزيز: سَنَّ رسولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– وَوُلاةُ الأمرِ بَعْدَه سُنَنًا الأَخْذُ بها تَصْدِيقٌ لِكِتَابِ اللهِ، واستكمالٌ لطاعةِ اللهِ، وقُوَّةٌ على دينِ اللهِ، ليس لأحدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ تَغْيِيرُها ولا النَّظَرُ في شيءٍ خَالَفَهَا. مَنِ اهْتَدَى بِهَا؛ فَهُوَ مُهْتَدٍ، وَمَنِ اسْتَنْصَرَ بِهَا؛ فَهُو مَنْصُورٌ، وَمَنْ خَالَفَهَا واتَّبَعَ غَيْرَ سَبيلِ المؤمنينَ؛ وَلاَّه الله مَا تَوَلَّى وَأَصْلاه جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا».

وَرَوَى الخلاَّلُ –بإسنادٍ كُلُّهم أئِمَّةٌ ثِقَاتٌ– عن سفيان بن عُيَيْنَة قال: «سُئِلَ رَبِيعَةُ بنُ أبي عبد الرحمن عنْ قوله تعالى: ؟ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ؟ [طه: ٥]، كيف استوى؟ قال: الاستواء غيرُ مجهول، والكيفُ غير معقولٍ، وَمِنَ اللهِ الرِّسَالةُ، وعلى الرَّسولِ البلاغُ المبينُ، وعلينا التصديقُ».

وهذا الكلامُ مَرْوِيٌّ عن مالكِ بن أنسٍ تلميذِ رَبِيعَةَ من غيرِ وجهٍ؛ منها ما رواه أبو الشيخ الأصبهانيُّ وأبو بكرٍ البيهقيُّ عن يحيى بن يحيى قال: كُنَّا عند مالكِ بن أنسٍ فَجَاءَ رجلٌ فقال: يا أبا عبد الله! ؟ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ؟ كيف استوى؟ فَأَطْرَقَ مالكٌ برأسِه حتَّى علاه الرُّحَضَاءُ، ثم قال: «الاستواءُ غيرُ مجهولٍ، والكيفُ غيرُ معقولٍ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ، وما أرَاكَ إلاَّ مُبْتَدِعًا». فَأَمَرَ به أنْ يَخْرُجَ. اهـ.)

يقول الشيخ: (ومن طبقتهم)؛ أي طبقة هؤلاء الأئمة الأربعة السابقين: حماد بن زيد المتوفى سنة ١٧٩هـ، وأيضا حماد بن سلمة المتوفى سنة ١٦٧هـ وأمثالهما، ثم نقل عن أبي القاسم الأزجي بإسناده عن مطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير المتوفى سنة ٢٢٠هـ، قال: سمعت مالك بن أنس إذا ذُكر عنده من يَدفع أحاديث الصفات. يطعن في أحاديث الصفات، الأحاديث التي جاءت في صفات الله –عزّ وجلّ–، وهذا منهج بعض المتكلمين؛ يَطعن في بعضِ الأحاديثِ التي جاءت في صفات الله –عزّ وجلّ–، إما أن يؤولها، وإما أن يزعم أنها أخبار آحاد ولا يؤخذ بها.

يقول: (إذا ذكر عنده من يدفع أحاديث الصفات يقول: قال عمر بن عبد العزيز): يستدل على هؤلاء بالأثر المروي أو المشهور عن عمر بن عبد العزيز: (سَنَّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وولاة الأمر بعده سنن): ولاة الأمْر هم الخلفاء الأربعة.

(الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد من خلق الله تغييرها ولا النظر في شيء خالفه): هو يريد أن يُبَيِّنَ أنَّ ما ورد عن النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- وَمَا وَرَدَ عن الخلفاءِ الرَّاشدين إنما هو استكمالٌ لكتابِ اللهِ -عزّ وجلّ-، ولا يعني هذا أنْ نأخذ ما في كتاب الله وندع ما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم-. كذلك ما ثبت عن الخلفاء الراشدين استقلالاً؛ لشهادة النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- بقوله: (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عَضُّوا علينا بالنواجذ)، وقوله في الحديث الآخر الصحيح: (اقتدوا باللذين من بعدي). فما جاء به هؤلاء -رضي الله عنهم وأرضاهم- استقلالا يُؤخذ به على أنه سنة.

(من اهتدى به): من اهتدى بهذه الآثار بهذه النصوص المرويَّةِ عن النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- أو عن الأئمةِ بعده؛ فهو مهتد.

(ومن استنصر بها؛ فهو منصور، ومن خالفها واتبع غيرَ سبيلِ المؤمنين؛ وَلاَّه الله ما تَوَلَّى، وَأَصْلاه جَهَنَّمَ وساءتْ مصير): الشاهد من الأثر أن ما ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وما ثبت عن خلفاء الراشدين يجب الأخذُ به سواءً في باب الأسماء والصفات أو في غيرهما.

ثم قال: (وروى الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات في كتابه السنة عن سفيان بن عيينة قال: سئل ربيعة بن عبد الرحمن شيخ الإمام مالك عن قوله تعالى: ؟ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ؟ كيف استوي؟ قال: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ المبين، وعلينا التصديق".)

هذا الأثر -في الواقع- رُوي عن ربيعة شيخ مالكٍ، ورُوي عن أمِّ سَلَمَة، ورُوي مرفوعًا إلى النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- لكنْ لا يَصِحُّ، وإنما اشْتُهِرَ واستفاضَ عنِ الإمام مالكٍ تلميذِ ربيعة، فَلَعَلَّه استفاد بعضهم من بعض لكنه استفاض عنِ الإمام مالكٍ فَنُسِبَ للإمامِ مالكٍ كما قال الشيخُ: (وهذا كلامٌ مَرْوِيٌّ عنْ مالكِ بن أنسٍ تلميذِ ربيعةَ من غيرِ وجهٍ؛ منها: ما رواه أبو الشيخ الأصبهاني وأبو بكر البيهقي عن يحيى بن يحيى قال: كنا عند مالك بن أنس فجاء رجلٌ فقال: يا أبا عبد الله! ؟ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ؟ كيف استوي؟)

الرجل جاء إلى مالك فسأله عن هذا النص المتعلق بصفة من صفات الله، لكن سأله عن ماذا؟

الكيفية.

عن الكيفية، كما لو جاء آخر وقال: ؟ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ؟ [الرحمن: ٢٧]، كيف وجه الله -عزّ وجلّ-؟ أو جاء ثالث وقال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (ينزل ربنا حين يبقى ثلث الليل الآخر) كيف ينزل؟

الإمام مالك أطرق رأسه وكان مَهيبًا -رحمه الله- حتى علاه الرُحضاء -أي العرق- لشدة السؤال؛ لأن السؤال متعلق بالله -عزّ وجلّ-. وليس من الأمْرَ السهل أن يتكلم الإنسان في هذا الموضوع. فلو سُئل عن مسألة فقهية مسألة من مسائل المعاملات، وإن كان الأمْرُ يحتاج إلى تأنٍّ لكن ليس كمن سُئل عن مسألة متعلقة بالله -عزّ وجلّ-.

ثم رفع رأسه وقال هذا الكلام وكأنه يخرج من مشكاة النبوة، وأصبح قاعدةً لأهل السنة في كل صفاتِ الله -عزّ وجلّ-، وليس متعلقًا فقط بالاستواءِ. هذه نحفظها كقاعدةٍ عامّةٍ في كل الصفات. فقال: "الاستواء معلوم" بمعنى نحن عَرَبٌ، والاستواء في لغةِ العربِ معروفٌ. الاستواء معناه العلوّ والارتفاع. إن تسأل عن الاستواء؛ فالاستواء معلوم، ولا مجالَ للنقاش فيه. "والكيف مجهول" هذا مما يَتَعَذَّرُ معرفته والعلم به ولم؟ هل لصفات الله

-عزّ وجلّ- كيف؟ الجواب: نعم، لها كيف، لكن معلومة لنا؟ لا، مجهولة. ولا يمكن أن نُدرك كيفية صفةٍ من الصفاتِ. والسبب أنَّ النصَّ لم يَرِدْ بذلك، ولا يمكن إدراكه بالعقل؛ فلا مجالَ ولا طريقَ إلى معرفته.

فالكيف مجهول ويَستحيل الوصول إليه. وما الدليل على أن كيفية الصفات مجهولة؟

الدليل شرعًا وعقلاً. أما الشرع؛ فقول اللهِ -عزّ وجلّ-: ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠]. وأمَّا من ناحية العقل؛ فإنَّ كيفية الشيءِ لا يُمكن أن نُدرك إلا بأحدِ أمورٍ ثلاثةٍ لا رابعَ لها، ونضرب مثالاً مَحسوسا لنُقَرِّبَ هذا المعنى.

أعطوني أيَّ صناعةٍ من الصناعاتِ، أيَّ مدينةٍ من المدن، أيَّ أمرٍ أي الأمور.

يَنْبُع.

ينبع، كيف ندرك كيفية هذه المدينة؟

واحد من أمورٍ ثلاثة: إما بمشاهدةِ هذه المدينةِ سواء مباشرة أو عن طريق التصوير. فإذا لم يتيسر ذلك؛ فمشاهدة مثيل هذه المدينة، فيقول قائل: إن هذه المدينة أقرب ما تكون لمدينة الْجُبَيْل، ونحن رأينا مدينة الجبيل، فيصير عندنا تصورٌ لكيفيةِ هذه المدينة أم لا؟

نعم.

ينطبع في أذهاننا كيفية هذه المدينة؛ لأننا رأينا لها مثيلاً.

فإذا لم يتيسر رؤية هذا المدينة ولا رؤية مثيلها؛ فما بقي عندنا إلا سماع الخبر الصادق، فيأتينا أخٌ فيصف لنا كيفية هذا المدينة كأننا رأيناها، فينطبع في أذهاننا تصورٌ لكيفيةِ هذه المدينة. فإذا لم يأتِنَا خبرٌ؛ فلا يمكن تصور كيفية هذه المدينة.

وهكذا في أيِّ صناعةٍ من الصناعاتِ. طبِّقْ هذه الأمور على الله -عزّ وجلّ- ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الأعْلَى ﴾ [الروم: ٢٧] فيما يَتَعَلَّقُ بصفاته.

هل أحد رأى الله؟

الجواب: لا.

أي مخلوق من المخلوقات، ولم يقعِ الخلافُ إلا في شخصٍ واحدٍ في النبيِّ -صلى الله عليه وسلم-، وكما سيأتي القولُ الراجح أنه لم يره بعينيْ رأسِه. فلم يره مخلوق كائنا من كان، لا من الملائكة ولا غير الملائكة.

إذن الباب الأول مغلق.

الباب الثاني: هل لصفات الله مثيل؟ لا.

الأمر الثالث: السماع.

هل نُقل لنا كيفية الصفات؟ لا، حتى الأنبياء، هل نقل الأنبياء لنا كيفية صفاتِ اللهِ –عزّ وجلّ–؟

الجواب: لا.

هم نقلوا لنا إثبات الصفات، لكن كيفية هذه الصفات الله أعلم بها. ولهذا قال الإمام مالك: "والكيف مجهول، والإيمان به واجب".

الإيمان بماذا؟

الإيمان بالصفة، الإيمان بصفة الاستواء واجبٌ؛ لأنَّ النصَّ وَرَدَ بها فنؤمن بها كما جاءت.

والسؤال عنه؟

بدعة

السؤال عن ماذا؟

عن الكيف.

عن الكيفية بدعةٌ.

السؤال عن الصفة ليس فيها إشكالٌ، والصحابة سألوا النبيَّ –صلى الله عليه وسلم– وما عَنَّفَهم ولا خَطَّأهم، لكنِ السؤالُ عن أمرٍ لا يمكن إدراكُه لا بالشَّرْع ولا بالعقلِ بدعةٌ. أنت تسأل عن أمرٍ مستحيلٍ فسؤالُكَ سؤالُ مبتدعٍ. فقال الإمام مالك: "وما أراك إلا مبتدعا" فأمر به أن يخرج.

يقول: في الحديث القدسي: (أيها الناس! لو أن أوَّلكم وآخركم وإنسكم وجِنَّكم كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحدٍ ما زاد ذلك في ملكي شيئًا)، خفايا هذه الجملة وأرجو التركيزَ على "ما زاد ذلك في ملكي شيئًا". ما المقصود بالملك؟

المقصود بالملكِ ملكُ الله –عزّ وجلّ– الذي هي صفة من صفاته –سبحانه وتعالى– أنه الملك، وملكه لا حدودَ له كما هي الحال في ملك البشر. ولكنْ أراد أن يُبَيِّنَ للخلق غِنَاه المطلقَ –سبحانه وتعالى– عن خلقِه؛ فذَكَرَ أنْ (لو أنَّ الخلق أولهم وآخرهم وإنسهم وجنهم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد هذا ملكي).

ملك الله –عزّ وجلّ– أعظمُ وأجلُّ، فلا تأثيرَ لهذا على مُلْكِ الله –عزّ وجلّ– كما أنهم لو كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص هذا من ملك الله –عزّ وجلّ–.

فهذا من باب بيانِ عظمةِ مُلْكِ اللهِ –عزّ وجلّ– وعظمةِ غنى الله –عزّ وجلّ–، بخلافِ مُلْكِ البشر الذي يؤثر فيه الشيءُ اليسيرُ زيادةً ونقصًا.

ولهذا لا يَعتدي الإنسانُ وَيَتَعَالَى على اللهِ بإيمانِه أو بصلاحِه أو بعبادتِه، فأنت واحدٌ من بَلايين البشر والمخلوقات.

الله –عزّ وجلّ– يقول: لو أنَّ الجميعَ –كلَّهم– كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد هذا في مُلكي شيئًا. فكيف تتعالى على الله –عزّ وجلّ– وتُدلي على الله –عزّ وجلّ– أنْ فعلت طاعة من الطاعات؟!

أثَرُ الإمامِ مالكٍ قاعدةٌ في كلِّ الصفاتِ، فمثلا نقول عن النزول: النزول معلومٌ، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وعن الوجه: الوجه معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وكذا عن اليدين، والمجيء، والضحك، والعجب.. إلخ.

في هذه القصة كما أوردها شيخ الإسلام في الإجابة قولُه: ما أراك إلا مبتدعا فأمر به أن يخرج. هل من الممكن أن نستفيد منها أنَّ مَنْ سَأَلَ عنِ الصفاتِ وعن كيفية الصفات يُعَنَّفُ أم أنها خاصة كما قلت بأن مالكًا كان مهيبا؟

هل يؤخذ من هذا الأثرِ أنَّ مَنْ سَأَلَ عنْ صفةٍ من صفاتِ اللهِ –عزّ وجلّ– أنْ يُصنع به كما صَنَعَ الإمام مالك بهذا الرجل؟ الجواب: لا. فالنبي –صلى الله عليه وسلم– سأله أصحابه –رضي الله عنهم–، والسلف لا زالوا يَسمعون من تلامذتهم الأسئلة تِلْوَ الأسئلة حول هذه المسألةِ. لكن إذا كان السائل مَظِنَّةَ التشغيبِ وإثارةِ الشُّبَه وإثارة الفتن، كما صَنَعَ صَبِيغٌ مع عمر وَصَنَعَ معه عمرُ، لما كان يسأل عن المتشابه ويثير هذه الأمورَ. سعى عمرُ إلى أنْ أمسك به فأوجعه ضَرْبًا ثم نَفَاه إلى الكوفة تأديبا له، وَأَخَذَ عليه العهدَ والميثاقَ ألا يَتَكَلَّمَ في مثلِ هذه المسائلِ.

كذلك الإمام الشافعي لَمَّا جاءه حفصٌ الفردُ وَأَرَادَ أنْ يُناظره في بعض المسائل؛ أَبَى أنْ يسمع منه، وأبعده عن مجلسه. كذلك إذا رأينا مُبتدعا مقصودُه من هذا النقاش –وهذا الذي ربما لمسه الإمام مالك في هذا الرجل، ولهذا قال وما أراك إلا مبتدعًا– فَإذَا لُمِسَ من الشخص أن عنده هذا المنهج فينبغي أن يُؤخذ بالحزمِ والشدة؛ لئلا يُشَوِّشَ على الآخرين.

وتُقدر بقدرها.

كُلُّ قضية تقدر بِحَسَبِها، وإلا؛ فالإمام أحمد جَلَسَ للمناظرةِ، والمكّيُّ صاحب "الحيدة" جَلَسَ للمناظرةِ، وجلس كثيرٌ منَ الأئمةِ للمناظرةِ، وناظروا وسمعوا وردوا الشبه. فكل حالة بحسبها.

يقول: بالنسبة لمسألة تأويل الصفات، عُرِفَ من المتقدمين من أهل العلم كالإمام النووي –عليه رحمة الله–، وكالحافظ ابن حجر في كتبهم أنَّ عندهم شيئًا من تأويل الصفات. فهل هؤلاء يتناولهم هذه الأمور التي تُنَفِّرُ مِمَّنْ يُؤَوِّلُ الصفاتِ، وتنفر من كتبهم، لأنه ظهر –في الآونة الأخيرة– أنَّ البعضَ يقول: ابن حجر العسقلاني أشعريٌّ، والإمام النووي –عليه رحمة الله– أشعريٌّ، وكتبهم هذه لا تَصلح للقراءةِ. فما قولكم في هذا الكلام؟

ما ذكره الأخ أمرٌ معلومٌ، وَظَهَرَ –في الآونة الأخيرة– بعضُ الغلاةِ، ولعلكم تَسمحون أنْ نُطلق عليهم مثل هذا الوصف. مَنْ زَعَمَ أنَّ هؤلاء الأئمة مبتدعةٌ وأنَّه يجب التَّخَلُّصُ من كتبهم.

ولهذا لَمَّا نُقِلَ لسماحةِ الشيخ عبد العزيز بن باز –رحمة الله عليه– هذا الكلامُ؛ قال: الواجب أن يُؤَدَّبَ مثلُ هؤلاء، وأنْ يُؤخذَ على أيديهم. فالإمام ابن حجر والإمام النووي أئمَّةٌ، ولا زال أهلُ العلم –قديما وحديثا– يَنْهَلُون من كُتبهم وَيَتَرَحَّمُون عليهم، وَيَتَرَضَّوْن عليهم، بل أطلق بعض أئمة الدعوة على ابن حجر أنه شيخ الإسلام وحُقَّ له أن يُطلقَ عليه شيخ الإسلام،وكذا الإمام النووي.

ويكفيهما فخرًا أنَّ ما خلَّفَاه من كتبٍ تُعْتَبَرُ تَاجًا على جبينِ الأمَّةِ، ولا زالت الأمةُ تَنهلُ من هذه الكتبِ علمًا لا ينضب. ففتح الباري الذي هو شرح صحيح البخاري الذي مَكَثَ فيه الإمام الحافظ ابن حجر خمسا وعشرين سنة يُؤَلِّفُ هذا الكتابَ يعتبر من فَرائِدِ الدَّهْر. ولهذا لمَّا قيل للإمام الشوكانيِّ: لو شَرَحْتَ صحيح البخاريِّ؟ قال: "لا هجرة بعد الفتح"؛ أي أن الإمام ابن حجر أغلق علينا الباب. وكذلك الإمام النووي.

أما التأويلات التي جاءت في كتبهم لبعض الصفات؛ فهذا لا يُؤخذُ عنهما، لكن يُلتمسُ لهم -في ذلك- عذرٌ.

نَشَآ -رحمهما الله- في بيئةٍ كان الغالبَ عليها التأويلُ، ولم يَلِيَا هذا الأمْرَ اهتماما، ولهذا خاصة الإمام ابن حجر لا تجد عنده قاعدة مطردة كما هي الحالِ عند الأشعريِّ الذي يَتَبَنَّى مذهبَ الأشاعرة، فتجده في موضع يثبت هذه الصفة، وفي موضع آخر يُؤول هذه الصفة. ولهذا لا يقال إنهما من الأشاعرة. عندهم شيء من تأويل الأشاعرة ولا يؤخذ عنهم هذا الأمر، وكفى بالمرء نبلاً أن تُعد معائبه.

وكما قال الإمامُ الذهبيُّ في ابنِ خُزَيْمَةَ -رحمه الله- لمَّا تكلم على حديث الصورة وَأَوَّلَ حديث الصورة قال: "هذا خطأ ويُرد ولا يُقبل منه"، لكن من الذي تقبل كلُّ سجاياه؟! ولو أنَّ كلَّ من أخطأ بَدَّعْنَاه وتَرَكْنَاه؛ لمَا صفا لهذه الأمةِ أحدٌ. لا يمكن أن نجد أحد الأئمة لم يقع في خطأٍ. فهذه خاصة بالأنبياء والرسل، ومنهج أهل السنة والجماعة أن لا يُقَلَّدَ هؤلاء في خطأهم، وأن لا يؤخذ هذا الخطأ عنهم، وأن يقال: أخطؤوا، وهذا لا يُقَلِّلُ من قيمتهم، ولا يَحُطُّ من قدرهم. لكن مع ذلك يبقى هؤلاء أئمة ولا زلنا ولا نزال نَعْتَزُّ بهم وبأمثالهم، ونَتَشرَّفُ بالانتسابِ إليهم، ونَتَقَرَّبُ إلى الله -عزّ وجلّ- بالأخذِ عنهم ومما خلفوه لنا -رحمهم الله رحمة واسعة-.

سؤال المراجعة:

السؤال الأول:

قول الأئمة: "أمروها كما جاءت بلا كيف" يؤخذ من هذه العبارة ردٌّ على بعض الطوائف. من الطوائف التي يُرد عليها في هذه العبارة؟ وكيف يُرد عليهم بذلك؟

يقول: كيف نرد على من يقول: إن نصوص الصفات هي من المتشابه وليس من المحكم؟

بَيَّنَّا هذا سابقا، أنَّ نصوص الصفات إن كان المقصود بها الكيفية؛ فنعم هي من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله -عزّ وجلّ-. أما من جهة المعنى؛ فلا، هي من المحكم، وذكرنا قولَ مجاهد وغيره من الأئمة أنهم فسروا هذه الصفات، فدل على أنها من المحكم.

ولكن التشابه -يا إخوان!- نسبيٌّ، قد يكون هذا النص متشابهًا على هذا الشخص لكن غير متشابه على الإمام والعالِم الآخر، فلا يمكن أنْ نقول: هذا النص متشابه أو غير متشابه. لكن التشابه الحقيقي الذي لا يَعلم أحدٌ معناه إلا الله، فنصوص الصفات ليست من هذا النوع.

تقول: هل جعلهم كيفيةً للصفة إن كانت الكيفية التي قالوها معروفة للبشر هذا يعتبر تمثيلاً، وإذا لم تكن معروفة من قبل فهذا تأويل، تقول هل فهمي صحيح في هذا المقام؟

جيد، إن كيَّفوا الصفة على ما هو المعهود من البشر؛ فلا شكَّ أنَّ هذا هو التمثيل، إن جعلوا هذه الصفة مثل هذا الصفة كيفية هذه الصفة مثل كيفية هذه الصفات، لكن إذا لم تكن معهودة من البشر؛ فهذا من التكلم بلا علم، ومن الأمر المبتدع، ولكن قد يقال إنه من التأويل لكن الأفضل أن يقال إن هذا من التكلم بلا علم.

يقول: بعض من يُدَرِّس العقيدة الأشعرية يقول: إن مصادر العقيدة هي الكتاب والسنة والعقل. فهل العقل لـــه دخل في العقيدة؟

تكلمنا عنه في أول الرسالة، وقلنا: إن مصادر التلقي في باب الاعتقاد مصدران لا ثالثَ لهما، ولهـــذا قيـــل: عقيدة أهل السنة والجماعة توقيفيَّة متوقفة على ورود النص من الكتاب والسنة، لكن يمكن أن يُـــستَدَلَّ لمـــسائلِ الاعتقادِ بالعقل، يمكن أنْ يُستَدَلَّ لها بالإجماع، يمكن أنْ يُستَدَلَّ لها بالفطرةِ كما هي الحال في بعض الـــصفات؛ كصفة العلو ثبتتْ بالكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة. لكنَّ العقلَ والفطرةَ ليسا أساسييْن في هذه المـــسألة، هما من باب زيادة التأكيد، ومن باب زيادة البيان، ومن باب زيادة الإيضاح، ومن باب زيادة الحجة فقط.

الدرس الثامن عشر

الفتوى الحموية الكبرى

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه وسلم.

السؤالُ الذي سَبَقَ طرْحُه: ما تواتر عنِ الأئمة من قولِهم في الصفاتِ: أمروها كما جاءت. قلنا إن في هذه العبارة ردًّا على طائفتين. ما الطائفتان التي يمكن أن يُرَدَّ عليهما بهذه العبارة؟

تقول الأخت: "أمروها كما جاءت بلا كيف".

أمروها كما جاءت ردٌّ على المعطلة الذين عَطَّلوا صفات الله –عزّ وجلّ– لم يحرفوا ولم يؤولوا كما فعل المعطلة، لم يقولوا: إن الاستواء معناه الاستيلاء.

و"بلا كيف" ردٌّ على الممثلة الذين زعموا أنَّ صفات الله مماثلة لصفاتِ البشرِ يجب أن تمر بلا كيف كما زعم الممثلة حتى لا يُتَوَهَّمَ أن ظاهرها فيه الكيفية.

الإجابة صحيحة.

تَوَقَّفْنا عند الأقوال التي أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة، وآخر ما توقفنا عنده قول الإمام مالك في الاستواء.

الآن يريد الشيخ أن يُعَلِّقَ على قولِ الإمام مالك.

قال المصنف –رحمه الله تعالى–: (فقول ربيعة ومالك: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول» موافقٌ لقولِ الباقين: «أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف». فإنما نفوا علمَ الكيفية ولم يَنْفُوا حقيقة الصِّفَةِ.

ولو كان القوم قد آمنوا باللفظِ المجرَّد من غير فهمٍ لمعناه على ما يَلِيق بالله؛ لَمَا قالوا: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول»، ولَمَا قالوا: «أمروها كما جاءت بلا كيف». فإن الاستواء حينئذ لا يكون معلومًا، بل مجهولا بمنزلة حروف المعجم.

وأيضا فإنه لا يَحتاج إلى نفي علمِ الكيفيَّةِ إذا لم يُفهم من اللفظِ معنًى، وإنما يُحتاج إلى نفي علمِ الكيفيَّةِ إذا أثبتَتِ الصفات.)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لَعَلَّنَا نُذكِّر الإخوة المشاهدين بالأثر الذي يريد أن يعلق عليه الشيخ -رحمه الله- وهو قول الإمام مالك وقول ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ الإمام مالك لَمَّا سُئِلَ عن الاستواء؛ قال: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة". وقول الأئمة قبلهم لَمَّا سُئِلوا عن الصفات؛ قالوا: "أمروها كما جاءت بلا كيف"، وهذا مما تتواتر عنهم -رحمهم الله-.

يقول الشيخ: (فقول ربيعة ومالكٍ: "الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول" موافقٌ لقول الباقين): الذين قالوا لَمَّا سُئلوا عنِ الصفاتِ قالوا: "أمروها كما جاءت بلا كيف".

يقول: (فإنما نفوا علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة): بمعنى أنهم أثبتوا حقيقة هذه الصفات، أثبتوا حقيقة صفة السمع، البصر، الكلام، العلم، المجيء، النزول، لكن الذي نَفَوْه العلم بكيفية هذه الصفات. ولهذا نَصُّوا على هذا الأمر.

يقول: (ولو كان القوم)؛ أي هؤلاء الأئمة. (قد آمنوا باللفظِ المجرَّدِ من غير فهمٍ لمعناه): على حدِّ زَعْم مَنْ؟ من الطَّائفةِ التي قالت: "إن السلف آمنوا باللفظِ المجرَّد من غير معنى"؟

أهل التجهيل.

أحسنت. أهل التجهيل الذين هم المفوِّضة.

المفوضة قالوا: إن السلفَ آمنوا بهذه الصفات إيمانا مطلقًا من غير فهم لمعناه.

يقول: (ولو كان القوم كما يزعم المفوضة قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله؛ لما قالوا الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، ولما قالوا أمروها كما جاءت): إذن ماذا يقولون؟

قال: لو كانوا كما قال المفوضة أنهم آمنوا بمجرد اللفظ؛ فإن الاستواء حينئذ لا يكون معلومًا بل مجهولا بمنزلة حروفِ المعجم.

هم الآن يقولون: الاستواء غير مجهول، وقالوا: أمروها كما جاءت بمعنى: على حقيقتها، على ظاهرها. فالاستواء معلومٌ وليس بمجهولٍ كما يزعم المفوضة.

أيضا يقول: (وأيضا فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يُفهم من اللفظ معنًى): نعم إذا كان اللفظ لا يَظهر منه معنًى، وليس له معنًى؛ فلا يجوز أن تقول: بلا كيف؛ لأنك فهمت المعنى ونَفَيْتَ علم الكيفية، لكن إذا كنت لا تفهم معنى اللفظ؛ فلا يجوز أن تقول بلا كيف.

(وأيضا، فإنَّ من ينفي الصفات الخبرية أو الصفات مطلقًا لا يحتاج أن يقول: بلا كيف. فمن قال: إن الله -سبحانه- ليس على العرش، لا يحتاج أن يقول: بلا كيف. فلو كان من مذهب السلف نفيُ الصفات في نفس الأمر؛ لَمَا قالوا: بلا كيف.

وأيضا، فقولهم: أمروها كما جاءت. يقتضي إبقاءَ دَلالاتها على ما هي عليه. فإنها جاءت ألفاظًا دالةً على معاني. فلو كانت دلالتها منتفيةً؛ لكان الواجب أن يقال: أمروا ألفاظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غيرُ مرادٍ. أو: أمروا ألفاظها مع اعتقاد أنَّ الله لا يُوصف بما دَلَّتْ عليه حقيقةً. حينئذ فلا تكون قد أُمِرَّتْ كما جاءتْ، ولا يقال حينئذ: بلا كيف؛ إذ نفْيُ الكيفيةِ عمَّا ليس بثابتٍ لَغْوٌ منَ القولِ.)

لا زال الرد مُتَوَجِّهًا إلى هؤلاءِ المفوضةِ، أو حتى المؤولة الذين زعموا أن مذهب السلف هو التفويض، ولهذا أذكركم بكلام الشيخ في أول الفتوى لمَّا نقل عن هؤلاء أنهم قالوا: طريقة السلف أسلم. من أين أتتِ السلامة لهم على حدِّ زعم هؤلاء؟ قالوا: لأنهم فوَّضُوا المعنى إلى اللهِ، لم يتعرضوا لهذه الألفاظ، قرؤوها حروفًا جوفاءَ ألفاظًا جوفاءَ لم يفقهوا منها شيئًا. فكلا الطائفتين نَسَبَتْ إلى السلفِ -زورا وبهتانا- أنَّ مذهبهم هو التفويضُ، ولهذا رَدَّ الشيخُ على كلتا الطائفتين في هذا الكلام.

يقول: (وأيضا، فإن من ينفي الصفات الخبرية): ما هي؟

هي التي لا تُدرك بالعقل.

هي الصفات التي ثبتت عن طريقِ الخبرِ عن طريق الوحي؛ كالاستواء، والنزول، والمجيء إلى غيرها.

يقول (فإن من ينفي الصفات الخبرية أو الصفات مطلقً): جمهور الأشاعرة الذين نَفَوْا الصفاتِ الخبرية، وعموم المعطلة نَفَوْا الصفات مطلقًا.

قال: (لا يحتاج أن يقول: بلا كيف): يعني إذا كان مذهبُ السلفِ نفيَ الصفات أو نفيَ بعضِ الصفاتِ؛ فليس هناك حاجةٌ أن يقول قائلهم: بلا كيف.

أنت ما أثبَتَّ صفةً لأجل أن تَنفيَ الكيفية. فالذي ينفي الكيفية هو الذي يُثبِتُ الصفة، فيُثبت صفةً ويَنفي الكيفَ. فلما نفوا الكيفية؛ دَلَّ هذا على أنهم يُثبتون الصفاتِ.

يقول: (فمن قال: إن الله -سبحانه- ليس على العرش. لا يحتاج أن يقول: بلا كيف): فلو كان الاستواءُ منفيًّا عند السلف؛ لَمَا احتاجوا أن يقولوا: بلا كيف.

(فلو كان من مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر؛ لما قالوا بلا كيف). يقول: (وأيضا، فقولهم: أمروها كما جاءت. يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه): بمعنى إبقاء الدلالة على ظاهرِ اللفظِ، فظاهر اللفظ دَلَّ على إثبات حقيقة الصفة فقالوا: أمروها كما جاءت على ظاهرها.

(فإنها جاءت ألفاظًا دالَّةً على معانٍ): خلافا لقول المفوضة الذين زعموا أن هذه الألفاظ لا معاني لها، وأن المعنى الحقَّ لهذه الألفاظ استأثر الله بعلمه، وهذا كلام باطل شرعًا وعقلاً.

يقول: (فلو كانت دلالتها منتفية)؛ أي دلالة هذه الألفاظ، ألفاظ نصوص الصفات. (منتفية؛ لكان الواجب أن يقال: ..): لو كان كما يقول هؤلاء: إن دلالتها منتفية؛ ما دَلَّ عليها ظاهرُها لو كان منتفيًا، ولا يجوز أنْ يُثبت لله؛ لكان حريًّا بهم أن يقولوا: أمروا ألفاظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد.

لو كان السلف يُريدون -فعلا- هذا الأمر؛ لقالوا: أمرُّوا الألفاظ، لكن انتبهوا أن المعنى الظاهرَ منها الذي تَبَادَرَ إلى أذهانكم أنه ليس بمرادٍ.

(أو أمروا ألفاظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة): أو قالوا: أمرُّوا هذا الألفاظ لكن انتبهوا أنْ تصفوا الله -عزّ وجلّ- بما دَلَّتْ عليه ظواهرُ هذه الألفاظِ. فهل قال أَحَدٌ منهم مثل هذا القول؟ أبدا، وهذا كلامهم بين أيدينا، ومن أثبت؛ فعليه الحجة والبرهان.

يقول: (وحينئذ فلا تكون قد أُمِرَّتْ كما جاءت): لو كان المقصودُ نفيَ دلالةِ الظاهر؛ فلا يكون الشخص أَمَرَّها كما جاءت؛ لأنَّ إمرارها كما جاءت يقتضي إبقاءَ دلالتِها، وإبقاء ظاهرها، وإلا لو كان المقصودُ نفيَ الدلالةِ ونفي الظاهر؛ لَمَا كان قد أُمِرَّتْ كما جاءت.

يقول: (ولا يقال حينئذ: بلا كيف؛ إذ نفي الكيفية عمَّا ليس بثابت لغوٌ من القول): إذا كنتم أنـتم تقولـون إن ظاهر هذه النصوص المثبِتة لصفاتِ اللهِ -عزّ وجلّ- ليس بثابتٍ؛ فما فائدة نفي الكيفية؟!

قول الله -عزّ وجلّ-: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، الآن ظاهر هذا النص يدل علـى إثبـات الاستواء. إذا كان الاستواء غيرَ ثابت؛ فما الحاجة أن يقال: الاستواء بلا كيف؟! هو أصلا غيرُ ثابتٍ، فليس لـه حاجة أن تنفي العلم بالكيفية.

(وَرَوَى الأثرمُ في "السنة"، وأبو عبد الله ابن بطة في "الإبانة"، وأبو عمر الطَّلَمَنْكِيُّ، وغيرهم بإسنادٍ صـحيح عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سَلَمَة الْمَاجَشُون -وهو أحد أئمة المدينة الثلاثة الذين هم مالك بن أنس، وابن الماجشون، وابن أبي ذئب- وقد سُئِلَ فيما جَحَدَتْ به الجهميةُ:

«أما بعد: فقد فَهِمْتُ ما سَأَلْتَ عنه فيما تَتَابعَتِ الجهميةُ ومن خالفه)

تتابعت في نسخة، وفي نسخة: تتايعت، ولعل هذا هو الصحيح.

(فيما تتايعتِ الجهميةُ ومن خالفها في صفةِ الربِّ العظيم، الذي فَاقَتْ عظمتُه الوصفَ والتقديرَ، وكَلَّتِ الألْسُنُ عن تفسيرِ صفتِه، وانحسرت العقولُ دون معرفةِ قدره

رَدَّتْ عَظَمَتُه العقولَ فلم تجدْ مَسَاغًا؛ فرجعت خاسئةً وهي حسيرةٌ. وإنما أُمروا بالنظرِ والتفكُّر فيمـا خلـق بالتقدير، وإنما يقال: كيف؟ لمن لم يكن ثم كان. فأما الذي لا يَحُول ولا يَزُول ولم يَزَلْ وليس له مثلٌ؛ فإنه لا يَعْلَم كيف هو إلا هو، وكيف يُعْرَفُ قَدْرُ من لم يَبْدَأْ ومن لم يَمُتْ ولا يَبْلى؟! وكيف يكون لصفةِ شيءٍ منـه حَـدٌّ أو مُنْتَهى يَعْرِفُه عارفٌ أو يَحُدُّ قَدْرَه واصفٌ؟

على أنَّه الحقُّ المبين لا حقَّ أحقُّ منه، ولا شيءَ أَبْيَنُ منه.

الدليل على عجزِ العقولِ عن تحقيقِ صفتِه عجزُها عن تحقيقِ صِفَةِ أصغرِ خلْقِه، لا تكاد تَراه صِغَرًا يَحـول ويَزُول، ولا يَرى له سمعٌ ولا بصر بما يَتَقَلَّبُ به ويَحْتَالُ من عقله أعضلُ بك وأخفى عليك مما ظَهَرَ من سمعِه وبصره. فتبارك الله أحسن الخالقين وخالقهم وسيد السادات وربهم ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ الـسَّمِيعُ الْبَـصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]».)

انتقل بعد هذا ليذكر لنا كلاما عن الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سـلمة الْمَاجِـشُون المتـوفى سـنة ١٦٤هـ، وهو أَحَدُ فقهاءِ المدينة الثلاثة -كما ذكر الشيخ- الذين هم مالك، وابن الماجشون، وابن أبي ذئب. بل نُودِيَ في عهد المنصور أنْ لا يُفْتِيَ الناسَ إلا مالكٌ وابنُ الماجشون.

يقول (وقد سئل فيما جحدت به الجهمية): فأجاب –رحمه الله– هذا الكلام الطويل الذي فيه شيءٌ من الدقَّة في بعض ألفاظه يقول:

(أما بعد: فقد فهمت فيما سألت عنه فيما تتايعت الجهمية):

التتايع: الوقوع في الشر من غير فكرة ولا روية. الذي يقع في الشر دون التنبُّهِ إليه.

يقول: (فيما تتايعت الجهمية ومن خالفها في صفةِ الربِّ العظيم)؛ أي وقوع هؤلاء، وضلال هؤلاء، وانحراف هؤلاء في صفاتِ اللهِ –عزّ وجلّ–.

(الذي فاقت عظمته الوصف والتقدير)؛ أي عظمة الله –عزّ وجلّ–، (وكلت الألسن عن تفسير صفته): بمعنى تعبت، ولا يمكن أن تبلغ حقيقة وصفِه –سبحانه وتعالى–.

(وانحسرت العقول دون معرفة قدره): لا يمكن للعقل أن يدرك حقيقة قدر الله –عزّ وجلّ–، وحقيقة عظمته –سبحانه وتعالى–، وما ظهر من خلالِ هذه النصوصِ إلا الشيء اليسير.

يقول: (رَدَّتْ عظمته العقولَ فلم تجد مساغا؛ فرجعت خاسئة وهي حسيرة): بمعنى أنَّ عظمة الله –عزّ وجلّ– ردت هذه العقول المحدودة المخلوقة المربوبة، التي حاولت أنْ تَتَصَوَّرَ عَظَمَةَ الله –عزّ وجلّ– فَعَادَت هذه العقول على نفسها خاسئة وهي حسيرة.

يقول: (وإنما أمرو)؛ أي أُمِرَ الناسُ بالنظرِ والتفكرِ فيما خُلِقَ بالتقدير. الشيء الذي خلقه الله –عز وجل– بِقَدَرٍ وبحدودٍ، وله بداية وله نهاية. أَمَرَ الله –عزّ وجلّ– أن يتفكروا فيه.

(وإنما يقال: "كيف"؟ لمن لم يكن ثم كان)؛ أي الشيء المخلوق هو هذا الشيء الذي لم يكن ثم كان.

(فأما الذي لا يَحول ولا يَزول ولم يزل وليس له مثل) وهو الله –سبحانه وتعالى–، (فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو) –سبحانه وتعالى–. لا أحد يعلم كيفية صفاته، أو كيفية عظمته، أو كيفية ذاته سبحانه إلا هو –سبحانه وتعالى–.

(وكيف يُعرف قَدْرُ مَنْ لم يَبْدَأ ولم يمت)؛ أي الله –عزّ وجلّ– لم يبدأ من العدم ولم يلحقه الفناءُ –تعالى الله عن ذلك–. يعني لا يمكن للعقلِ أن يُدركَ قَدْرَ عظمة هذا الرب –سبحانه وتعالى–.

(ومن لم يمت ولا يبلى، وكيف يكون لصفة شيء منه حدٌّ أو منتهى يعرفه عارف أو يَحُدُّ قدره واصف؟!) :بمعنى أنه لا يمكن لأيِّ إنسانٍ مهما أُوتِيَ منَ العلم، ومهما أوتي من الذكاء، ومهما أوتي من سعة الاطلاع أن يَقِفَ على حقيقةِ صفةِ اللهِ –عزّ وجلّ–.

(على أنه الحق المبين، لا حقَّ أحقُّ منه): ولا يعني هذا أنه خفي –سبحانه وتعالى– لا، لكنَّ عَظَمَتَه فاقت العقول، فلا يمكن للعقول أن تُدركَ هذا الأمر.

ولهذا ضرب الشيخ –رحمه الله– مثالا بسيطا، قال: (الدليلُ على عجزِ العقولِ عن تحقيقِ صفتِهِ): عن صفة الله –عزّ وجلّ– هذا العظيم (عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه.): خُذْ أصغر المخلوقات. أحيانا العقل يقف أمامه حائرًا.

مثال ذلك: الروح أقرب شيء إلى الإنسان، ولهذا بَقِيَتِ العقولُ حائرةً في تحقيقِ كلِّ هذه الروح، بل وَقَفَ العالم بما أُوتوا من قوَّةٍ، وما أُوتوا من علومٍ، بقي الفلاسفة والمناطقة، والأطباء بقي هؤلاء حائرين تُجاه هذه الروح التي هي أقرب شيء للإنسان، ولم يستطيعوا أن يحددوا كُنْهَهَا وحقيقتها، ولم يستطيعوا الإمساك بها عِلْمًا أنَّ النصوص أثبتت أنها تَسمع، وتَصعد، وتَنزل، وتُخاطَب، ومع ذلك عجزتِ العقولُ عن إدراكِ حقيقةِ هذا الأمرِ البسيطِ. فيكف يمكن لهذه العقول أن تدرك حقيقة الرب -سبحانه وتعالى-؟!

يقول: (لا تكاد تراه صِغَرًا يحول ويزول، ولا يرى له سمع ولا بصر لما يَتَقَلَّبُ به ويَحتال من عقلِه أعضل بك): أيّ مخلوق من هذه المخلوقات الصغيرة.

يقصد الروح الآن؟

لا، هو لا يقصد الروح، هو يقصد أيَّ مخلوقٍ، لكن أنا ضربت مثالاً قريبًا بالروح تقريبًا للصورة.

يقول: (أعضل بك): أمر لا يمكن إدراكُه.

(وأخفى عليك مما ظَهَرَ من سَمْعِه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين): بمعنى أنَّك لا تحاول أن تُقْحِمَ عَقْلَكَ في الوقوفِ على كيفيةِ هذه الصفات التي استأثر الله بعلمها.

قول ابن المجاشون في الجهمية: قد تتايعت، وذكرت أنها يقع في الخطأ دون قصد.

لا، الذي يقع في الشرِّ دون رَوِيَّةٍ، التتايع الذي لا يكون على هُدًى، يقع مرةً هنا، ويقع مرة هنا، مثل الذي يَمشي في الظلماتِ مرة يصطدم بحائط، مرة يصطدم بحجر، مرة بشجر.

فهمت معنى آخر.

(ثم قال: اعرف -رحمك الله-.)

لا زال الكلام لابن الماجشون.

(اعرف -رحمك الله- غِنَاكَ عن تَكَلُّفِ صفةٍ لم يَصِفِ الربُّ من نفسه بعجزك عن معرفةِ قَدْرِ ما وَصَفَ منها. إذا لم تعرفْ قَدْرَ ما وَصَفَ؛ فما تَكَلُّفُك علمَ ما لم يَصِفْ.

هل تستدلُّ بذلك على شيء من طاعته أو تنزجر به عن شيء من معصيته؟! فأما الذي جَحَدَ ما وَصَفَ الربُّ من نفسه تَعَمُّقًا وتَكَلُّفًا؛ فقد اسْتَهْوَتْه الشياطينُ في الأرض حَيْرَان. فصار يَستدلُّ بزعْمِه على جَحْدِ ما وَصَفَ الربُّ، وَسَمَّى من نفسِه بأنْ قال: لا بد إن كان له كذا من أن يكون له كذا. فَعَمِيَ عن البَيِّنِ بالخفيِّ، وَجَحَدَ ما سَمَّى الربُّ من نفسِه بصمتِ الربِّ عمَّا لم يُسَمِّ منها، فلم يزل يُملي له الشيطانُ حتى جَحَدَ قولَ الرَّبِّ -عزَّ وجلَّ-: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢: ٢٣]، فقال: لا يراه أحدٌ يومَ القيامةِ، وَجَحَدَ والله أَفْضَلَ كرامةِ اللهِ التي أَكْرَمَ بها أولياءه بها يومَ القيامةِ منَ النَّظَرِ إلى وجهه، ونظرته إياهم ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٥٥]، وقد قضى أنهم لا يَموتون فهم بالنظر إليه يَنظرون..».

إلى أن قال: «وإنما جَحَدَ رؤية الله يومَ القيامة إقامةً للحجةِ الضَّالَّة المضلَّة بأنه قد عَرَفَ إذا تَجَلَّى لهم يومَ القيامة؛ رَأَوْا منهم ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين، وكان له جاحدًا.

وقال المسلمون: يا رسول الله! هل نرى رَبَّنَا؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (هل تُضَارُّون في رؤيةِ الشمسِ ليس دونها سحابٌ)؟ قالوا: لا. قال: (فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحابٌ)؟ قالوا لا. قال: (فإنكم تَرَوْنَ رَبَّكم كذلك).)

يقول -رحمه الله-: (اعرف -رحمك الله- غناك عن تكلف صفة لم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف منه): بمعنى يقول: لا تحاول أنْ تَصِفَ الله -عزّ وجلّ- بصفةٍ لم يصفِ الله -عز وجل- نفسَه بها. فإذا كان عقلك عاجزًا عن معرفة حقيقة الصفة التي أثبتها الله؛ فكيف يمكن لهذا العقل أن يثبت صفة لم تثبت لله -عزّ وجلّ-؟! هذا معنى كلامه في هذه الأسطر.

ثم قال: (فأما الذي جَحَدَ ما وَصَفَ الربُّ من نفسِه تعمقا وتكلفا؛ فقد استهوته الشياطين في الأرض حيران، فصار يستدل -بزعمه- على جحد ما وصف الرب وسمى من نفسه بأن قال..): هذا دَيْدَنُ ومنهجُ ومذهبُ المعطلةِ على وجه العموم، أنهم أتوا بلوازمَ فاسدةٍ لنفي هذه الصفات الثابتة. فقالوا كما قال الشيخ: (وسمى من نفسه بأن قال: لا بد إن كان له كذا من أن يكون له كذا.) بمعنى قالوا: إذا أثبتنا له الاستواء؛ فيلزم أن يكون جسمًا، والجسم مُحْدَثٌ، فيلزم أن يكون مخلوقًا. لو أثبتنا له الكلام؛ للَزِمَ أن يكون عَرَضًا، والْعَرَضُ لا يقوم إلا بجسمٍ.

هذه اللوازم التي أوردوها لنفي صفات الله -عزّ وجلّ-، أو هذه بعض اللوازم، ولهذا يقول الشيخ: (فعمي عن البيِّنِ بالخفيِّ): الآن البين ما هو؟

إثبات الصفة.

إثبات الصفة، صفة ثبتت في الكتاب والسنة، تُجرى على ظاهرها، عَمِيَ عن هذه الصفة الظاهرة البينة الواضحة التي يفهمها كلُّ مسلم بفطرته وبعقله السالم من الشبهات بالشيءِ الخفيِّ، هذه اللوازم الباطلة التي لا يُدركها إلا آحاد من الناس أملاها الشيطانُ على هؤلاءِ يلزم من كذا كذا.

من الذي قال بهذه اللوازم؟ وهل نُقِلَ أنَّ أحدًا من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- لَمَّا سمعوا النبي -صلى الله عليه وسلم- يَتلو عليهم هذه الآيات المتضمِّنة لهذه الصفاتِ أو سمعوا منه بعضَ الأحاديثِ التي دَلَّتْ على هذه الصفاتِ هل قام أَحَدٌ منهم، وقال: يلزم -يا رسول الله!- من إثباتِ الضَّحِكِ لله -عزّ وجلّ- أن يكون الله محلاً للحوادث؟! هل قال هذا الكلام؟ هل قال قائل منهم: يلزم من إثبات العلو أن يكون الله متحيِّزًا؟! أو قال قائلهم: يلزم إذا أثبتنا الاستواء إلى الله أن يكون جسمًا؟!

فهذه اللوازم الباطلة الخفية ما عُرفت إلا عن هؤلاء، أنباط الروم، هؤلاء العجم، هؤلاء الذين التبس عليهم الحق، الذين وصفهم الشيخ بقوله: (استهوتهم الشياطين.)

يقول: (وجحد ما سمى الرب من نفسه بصمتِ الرب على ما لم يُسَمِّ منه): يقول جَحَدَ هذه الأسماء وهذه الصفات التي ذكر الله -عزّ وجلّ- بأمور لم يتكلم الله -عزّ وجلّ- بها، فلم يتكلم في الجسم أو في العرض أو في الحيِّز. كل هذه من الألفاظ المبتدعة، ومن الألفاظ المحدثة التي ما كانت موجودةً في الكتابِ، لم تكن في الكتاب والسنة، وما عرفها السلف، وما عرفها المسلمون إلا بعد انقضاء القرون الثلاثة المفضلة.

(فلم يزل يُملي له الشيطان حتى جَحَدَ قولَ الرب -عزّ وجلّ-: ؟ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ؟٢٢؟ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ؟): يعني تَدَرَّجَ بهم الشيطانُ إلى أن جَحَدُوا أعظمَ الصفاتِ لله -عزّ وجلّ-، وهي مسألةُ النظرِ إليه -سبحانه وتعالى-، واستدل المؤلفُ بهذه الآية على إثباتِ رؤيةِ اللهِ -عزّ وجلّ- يومَ القيامة. ورؤية الله -عزّ وجلّ- من الصفات التي أنكرها الجهمية والمعتزلة والرافضة والخوارج.

يقول: (لا يراه أحد يوم القيامة، فجحد والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونظرته إياهم ؟ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ؟.)

وجاء في صحيح مسلم أن أعظم مما يعطاه المسلمون يوم القيامة أن يُكشف الحجاب بينهم وبين اللهِ في الجنة، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم -عزّ وجلّ-، ولهذا تلا النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- قول الله -عزّ وجلّ-: ؟ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ؟ [يونس: ٢٦]، الحسنى ما هي؟

الجنة.

هل هناك شيءٌ أعظم من الجنة إلا رؤية الله -عزّ وجلّ-؟! هؤلاء جحدوا هذه الصفة لله -عزّ وجلّ- إمعانا في التعطيل.

إلى أن قال: (وإنما جحد رؤية الله يوم القيامة إقامةً للحجة الضالة المضلة لأنه قد عرف إذا تجلى لهم يوم القيامة؛ رأوا منهم ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين): هذا ما باب الإلزام لهؤلاء. ثم ذكر حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-.

لاحظْ أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- بهذه الفطرِ السليمةِ والعقولِ الصحيحةِ التي لم تَتَلَوَّثْ بهذه الشبهاتِ: يا رسول الله! هل نرى ربنا؟ فقط يُريدون أن يَتَأَكَّدُوا هل هذا ثابت أم لا؟ هذا ثابتٌ في الصحيحين. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مُبَشِّرًا لهم: (هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب)؟. المضارة؛ أي يصيبكم الضرر بسبب الازدحام وكثرة الناس، فقال: لن يصيبكم الضرر في رؤية الله -عزّ وجلّ- يوم القيامة، ولهذا رواية أخرى قال أحد الصحابة: يا رسول الله! كيف وهو واحد ونحن جميع؟! انقدح في ذهنه أنه إذا كان واحدًا ربما يحصل هناك ضيم يراه البعض دون البعض أو يحصل الضرر بسبب الازدحام. فالنبي -صلى الله عليه وسلم- ضرب مثالا في آلاء الله -عزّ وجلّ- وفي آيات الله -عزّ وجلّ. هذه الشمس هل يصيبكم الضرر؟ كل واحد يرى الشمس في نفسه، فقال: (إنكم سترون ربكم) فقال: (هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب)؟ فقالوا: لا، فقال: (فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونها سحاب)؟ قالوا: لا، فقال: (إنكم ترون ربكم كذلك)، والحديث -كما سلَفَ- متفق عليه.

هل هذا الحديث يرده المتكلمون؟

لا شك، يقولون: هذا الحديث خبر آحاد لا يؤخذ به في باب الصفات أو باب العقائد. هو متضمن -على حد زعمهم- أنهم يقولون: إن هذا الحديث ظاهره تشبيه الله -عزّ وجلّ- بالشمس والقمر وليس في الحديث ولا في قول النبي -صلى الله عليه وسلم- تشبيه لله -عزّ وجلّ- بالشمس والقمر. لماذا؟ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- هنا شبه ماذا؟ هل شبه الله؟

شبه الرؤيا.

أحسنت، السؤال ورد من الصحابة حول ماذا؟

حول الرؤية، هل نرى ربنا؟ فجاء الجواب عن الرؤيا: (إنك سترون ربكم)، ولهذا كافُ التشبيه دخلت على الرؤيا، فهنا تشبيه الرؤيا بالرؤيا لا المرئي بالمرئي. ليس فيه تشبيهٌ لله -عزّ وجلّ- بالشمس والقمر -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا- وإنما شَبَّهَ النبي -صلى الله عليه وسلم- رؤيتنا لله يوم القيامة برؤيتنا للشمس والقمر.

هناك مَلْحَظٌ يَحْسُنُ التنبيه عليه هنا في كلام ابن الماجشون قال -رحمه الله- بصمت الرب عما لم يسمِّ منها، فهل يوصف الله -عزّ وجلّ- بالصمت؟

نحن نعرف أنَّ الصفات مبناها على الكمال، والصفات توقيفية على ورود النص. فالنص أثبت صفة السُّكوتِ للهِ -عزّ وجلّ-. ولهذا جاء في غير ما حديث في قول النبي -صلى الله عليه وسلم- (وسكت عن أشياء رخصةً لكم)، وفي حديث آخر: (وما سكت عنه؛ فهو عافية)، وأيضا: (وما سكت عنه؛ فهو مما عُفِيَ عنه)، ولهذا قال شيخ الإسلام: صفة السكوت ثابتةٌ للهِ بالنصِّ والإجماع.

أما نسبة الصمت لله -عزّ وجلّ- كما نسبها ابن الماجشون؛ فلعل هذا من باب الإخبار عن الله، وباب الإخبار بابٌ واسعٌ، وهو أوسع من باب الصفات.

(وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (لا تمتلئ النار حتى يَضَعَ الجبَّارُ فيها قدمه، فتقول: قط قط، وَيَنْزَوِي بعضُها إلى بعضٍ). وقال لثابت بن قيس -رضي الله عنه-: (لقد ضَحِكَ الله مما فعلْتَ بضيفِكَ البارحة). وقال -فيما بلغنا-: (إن الله ليضحك من أزَلِكم وقنوطِكم وسرعةِ إجابتِكم)، فقال له رجل من العرب: إن ربنا ليضحك؟! قال: (نعم)، قال: لا نَعْدِمُ من ربٍّ يضحك خيرا. في أشباه لهذا مما لم نحصه.)

ذَكَرَ ابن الماجشون أمثلةً على الصفاتِ الثابتةِ في النصوصِ التي جَحَدَتْها الجهميةُ ومن سَلَكَ سبيلَهم. ذَكَرَ صفة الرؤيا. ذكر الآن حديث: (لا تمتلئ النار حتى يضع الجبار فيها قدمه)، والحديث متفق عليه. ففيها إثبات القدم لله -عزّ وجلّ-، وأيضا الحديث الثاني لثابت بن قيس: (لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة)، والحديث أيضًا متفق عليه، ولعله نزلت فيه وفي أهله قوله الله -عزّ وجلّ- ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩]، وذلك أنه لمَّا قَدِمَ ضيفٌ على النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- فقال لأصحابه: (من يُضيف هذا الرجل)؟ فقام ثابت وأخذه إلى بيته، فجاء إلى امرأته وقد أعدت طعاما لأبنائها، فقال: أكرمي ضيف رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. قالت: ما عندي إلا ما هو موجود في القدر الذي ينتظره هؤلاء الصبية. فقال: قَدِّمِيه لضيف رسول الله، وَعَلِّلِي الصبية بماءٍ إلى أن يَنَاموا. والقصة معروفة لما قُدِّمَ أُطْفِئَ السراجُ لئلاً يَستَحِي الضيفُ، فأكل حتى شبع. فلما أتى إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- في صبيحة هذا اليوم؛ قال: (لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة). ففي هذا الحديث إثباتُ صفةِ الضَّحِكِ لله -عزّ وجلّ- على ما يَلِيق به سبحانه.

يقول: (وقال فيما بلغنا: (إن الله ليضحك من أزلكم)): الأزل: الضيق والشدة بسبب الجدب وقلة الأمطار.

(من أزلكم وقنوطكم وسرعة إجابتكم): بمعنى أنَّ الفرج قريبٌ. ينظر إلى العباد أَزِلِينَ قَنِطِينَ قد دَبَّ اليأسُ إلى نفوسِهم، وهو يَعلم أنَّ الفرج قريبٌ فيضحك -سبحانه وتعالى-. يقول: فقام له رجل من العرب فقال: إن ربنا ليضحك؟! وفي رواية أَوَ يَضحك ربنا؟! لاحظ أن هذا الرجل لم يَعترضْ على النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- في إثبات صفة الضحك كما اعترض هؤلاء المتأخرون، هؤلاء المعطلة، وإنما أراد التأكد. هل فعلاً هذه الصفة ثابتة لله؟! أو يضحك ربنا؟! أو إن ربنا ليضحك؟! قال: (نعم) قال: لن نعدم من ربٍّ يَضحك خيرًا. آمن بالصفة، وآمن بلوازمها. ما دام أنه يضحك؛ فلن نعدم من لوازم هذا الصفة وهي الخير من الله -عزّ وجلّ-.

يقول: (في أشباه لهذا مما لم نحصه): وكتب السنة طافحة بذكر أمثال هذه الأحاديث.

الكلام ما زال لابن الماجشون؟

لا زال الكلام لابن الماجشون.

(وقال الله –تعالى– ؟ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ؟، وقال: ؟ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ؟ [الطور: ٤٨]، وقال تعالى: ؟ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ؟ [طه: ٣٩]، وقال تعالى: ؟ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ؟ [ص: ٧٥]، وقال تعالى: ؟ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ؟ [الزمر: ٦٧]. فو الله ما دلهم على عِظَمِ ما وَصَفَ من نفسه وما تُحيط به قبضته إلا صِغَرُ نَظِيرِها منها عندهم.

إن ذلك الذي ألقى في روعهم، وَخَلَقَ على معرفة قلوبهم كما وَصَفَ الله مِنْ نفسِه فَسَمَّاه على لسانِ رسوله –صلى الله عليه وسلم–؛ سَمَّيْناه كما سَمَّاه ولم نَتَكَلَّفْ منه صفة ما سواه، لا هذا ولا هذا، لا نجحد ما وصفت، ولا نتكلف معرفة ما لم يصف.)

ثم ذكر بعض النصوص المثبتة –أيضًا– لصفاتٍ أخرى ؟ وهو السميعُ البصيرُ ؟ إثبات السمع والبصر، ؟ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ؟، وقال تعالى: ؟ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ؟ صفة العينين ثابتة لله –عزّ وجلّ–.

بهذه الآيات وبأحاديث أُخَرَ كما عند صحيح مسلم في حديث الدَّجَّال: (وإن ربكم ليس بأعورَ)؛ فهذا دليل على أن لله عينيْن. كذلك: ؟ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ؟ إثبات صفة اليدين لله –عزّ وجلّ–. و؟ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ أيضًا هذا فيه إثبات اليدين لله –عزّ وجلّ–، وفسرها النبي –صلى الله عليه وسلم– بذلك. وأيضا قوله: ؟ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ؟ إثبات صفة اليمين له سبحانه.

يقول: (فو الله ما دلهم على عظم ما وصف من نفسه وما تحيط به قبضته إلا صغر نظيرها منها عندهم): بمعنى أنه انقدح في أذهانهم هذا التشبيهُ فَشَبَّهوا صفات الله –عزّ وجلّ– بصفاتِ المخلوقين فَحَمَلَهم ذلك على الجحدِ والنفي.

ويقول: ينبغي للمسلم أن يَقِفَ بين التعطيلِ والتمثيلِ يُثبتُ ما أَثْبَتَ الله –عزّ وجلّ– ويُمسك عمَّا سَكَتَ الله عنه، بمعنى أن لا يَتَكَلَّفَ إثباتَ ما لم يَثبتْ، ولا يجحد ما ثبت.

التكلف في إثبات ما لم يثبت بالتمثيل؟

نعم بالتمثيل، أو إثبات صفة ليست ثابتة لله –عزّ وجلّ–، أو التشبيه والتمثيل، أو جحد ما وصف بالتعطيل.

(اعلم –رحمك الله– أنَّ العصمة في الدينِ أنْ تنتهيَ في الدينِ حيث انتهى بك، ولا تُجاوز ما حُدَّ لك. فإن من قوام الدين معرفة المعروفِ وإنكارَ المنكرِ. فما بُسِطَتْ عليه المعرفةُ وَسَكَنَتْ إليه الأفئدةُ، وَذُكِرَ أصلُه في الكتابِ والسنةِ وتوارثت علمه الأئمة؛ فلا تَخَافَنَّ في ذكره وصفته من ربِّكَ ما وَصَفَه من نفسِه عيبًا، ولا تَكَلَّفَنَّ لِمَا وَصَفَ لك من ذلك قَدْرًا.

وما أنكرته نفسك ولم تجد ذكره في كتاب ربك ولا في الحديث عن نبيك من ذكر بك؛ فلا تَكَلَّفَنَّ علمَه بعقلك، ولا تصفه بلسانك، واصمت عنه كما صَمَتَ الربُّ عنه من نفسه. فإن تَكَلُّفَكَ معرفة ما لم يصفْ من نفسه كإنكارك ما وصف منها، فكما أعظمت ما جَحَدَ الجاحدون مما وَصَفَ من نفسه؛ فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها.)

ثم قال: (اعلم –رحمك الله– أنَّ العصمة في الدين أن تنتهي حيث انتهي بك ولا تجاوز ما حُدَّ لك): بمعنى أن تَقِفَ مستسلمًا مع نصوصِ الوحييْن، أن لا تَتَجَاوَزَ ولا تَقْصُرَ. فإذا أَرَادَ الله –عزّ وجلّ– بعبده العصمة؛ جعله وَقَّافًا مع كتابِ الله –عزّ وجلّ– ومع سنةِ رسوله –صلى الله عليه وسلم– يدور معهما حيث دارا.

يقول: (فإن من قوام الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر، فما بسطت عليه المعرفةُ وسكنت إليه الأفئدةُ، وَذُكِرَ أصلُه في الكتاب والسنة، وتوارث علمه الأئمة؛ فلا تخافن): يقول: ما دام ثَبَتَ في الكتابِ والسنةِ ونُقِلَ عن سلفِ الأمة؛ فلا تَتَرَدَّدْ في إثباته، فهذا هو الحق.

(ولا تكلف لما وصف لك من ذلك قدر)؛ أي لا تتكلف أن تصف شيئًا لم يثبتْ بالكتابِ أو السنة، أو لم يَثبت عن سلفِ الأمَّة.

ويقول (وما أنكرته نفسه ولم تجد ذكره في كتاب ربِّك ولا في حديث عن نبيك من ذكر ربك؛ فلا تتكلفن علمه بعقلك): بمعنى أن لا تُقْحِمَ عقلك واجتهادك في هذا الباب. وكما ذكرنا سابقا أنَّ مسألة الأسماء والصفات مسألة توقيفية لا مجال للعقل فيها، ولا مجال للاجتهاد، ولا مجال للقياس. فلا تقول: يلزم من إثبات كذا إثبات كذا، إثبات الكلام يلزم منه إثبات اللسان. لا، تعالى الله عن ذلك، يلزم من إثبات السمع إثبات الأذن. لا، هذا قياس فاسد هذا يجوز في حقِّ المخلوقين. أما في حق الله؛ فلا. إن ثبت النص؛ فأثبت، وإذا سكت النص؛ فاسكت كما سكت.

(فقد والله عَزَّ المسلمون الذين يَعرفون المعروفَ وبمعرفتهم يُعْرَفُ، وينكرون المنكر وبإنكارهم يُنكر؛ يسمعون ما وَصَفَ الله به نفسه من هذا في كتابه، وما يَبْلُغُهم مثله عن نبيِّه. فَمَا مَرِضَ مِنْ ذِكْرِ هذا وتسميته قلبُ مسلمٍ، ولا تَكَلَّفَ صفة قدرة ولا تسمية غيره من الرب مؤمنٌ.

وما ذكر عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– أنه سَمَّاه من صفة ربه؛ فهو بمنزلة ما سَمَّى، وما وصف الرب من نفسه والراسخون في العلم الواقفون حيث انتهى علمهم، الواصفون لربهم بما وصف من نفسه، التاركون لما ترك من ذكرها لا ينكرون صفة ما سَمَّى منها جَحْدًا، ولا يتكلفون وصفه بما لم يسمى تعمقا؛ لأن الحقَّ تَرْكُ ما ترك وتسمية ما سمى. ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا. وهب الله لنا ولكم حكما، وألحقنا بالصالحين! ا.ه)

يقول: (فقد والله عز المسلمون): هذا كلام ابن الماجشون في القرن الثاني؛ فما الظنُّ بحالنا ونحن في القرن الرابع عشر؟!

يقول: (الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يعرف): بمعنى أنَّ هؤلاء الذين اصْطَفَاهُمُ الله –عزّ وجلّ– وَمَيَّزَهم واخْتَارَهم هؤلاء هم الذين يَعرفون المعروف وبمعرفتهم يَعرف الناس أنَّ هذا معروفٌ.

عَزَّ بمعنى قَلَّ؟

قلَّ، وَنَدُرَ.

هذا كلام ابن الماجشون في القرن الثاني، مع وجودِ الأئمةِ، وقرب العهد من عهد النبوة.

(وينكرون المنكر وبإنكارهم يُنكر، يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه، وما يبلغهم مثله عن نبيه. فما مَرِضَ من ذكرِ هذا وتسميتِه قلبُ مسلمٍ):

ما دام أنه ثابتٌ في الكتاب والسنة، وتَلَقَّتْه الأمةُ بالقبول؛ فهذا هو الذي يَجب أنْ تَطْمَئِنَّ النفوسُ إليه. فإذا مَرِضَ القلبُ أو نَفَرَ منه القلبُ؛ فهذا دليل على أن هذا القلب صحيح أم مريض؟ مريض.

والقلوب السليمة هي التي تأنس بكلام الله وكلام رسوله –صلى الله عليه وسلم. ثم ذكر أنه لا يجوز أن يتكلف الإنسان صفة أو اسما لم يَرِدْ في الكتاب والسنة. ثم ختم كلامه بقوله: (وما ذكر عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– أنه سَمَّاه من صفةِ ربِّه؛ فهو بمنزلة ما سَمَّى من نفسه): بمعنى أنك لا تُفَرِّق في هذا البابِ بيْن الكتابِ والسنةِ، وبين ما ثَبَتَ عن اللهِ وما ثَبَتَ عن النبيِّ –صلى الله عليه وسلم–.

ثم ذكر في آخر كلامه: (والراسخون في العلم والواقفون حيث انتهى علمهم الواصفون لربهم بما وصف من نفسه التاركون لما ترك من ذكرها لا ينكرون): يقول: الراسخون في العلم لا ينكرون شيئًا من هذه الصفات، وهذه الأسماء التي سمى الله بها نفسه.

ثم قال: (ومن اتبع غير سبيل المؤمنين وخالف إجماع الأمة؛ فقد ولاّه الله ما تَوَلَّى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا.)

ثم قال: (وهذا كله كلام ابن الماجشون الإمام، فتدبرْه، وانظر كيف أثبت الصفات ونفى علم الكيفية موافقةً لغيره من الأئمةِ؟ وكيف أنكر على من نفى الصفات بأنه يلزم من إثباتها كذا وكذا كما تقوله الجهمية أنه يلزم أن يكون جسما أو عرضا فيكون.)

نعم، وهذا تقدم الكلام عليه.

أسئلة المراجعة:

السؤال الأول:

ما معنى قول الإمام مالك وقول الإمام ربيعة بن عبد الرحمن: «الاستواء معلوم، والكيف غير معلوم»؟

يقول: بعض المشايخ في بعض الأحيان يذكر بعض الأمثلة ويقول: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأعْلَى ﴾ يعني هل تتجنب مثل هذه الأمثلة حتى لا تقدح في الذهن كما أشار الشيخ؟

واضح سؤال الأخ –حفظه الله– أنه هل يُمكنُ للإنسانِ أن يُمَثِّلَ بأمثلةٍ حسيَّةٍ موجودة ليقرِّبَ المعنى المتعلقَ بتقريبٍ مفهومٍ، المتعلق بالله –عزّ وجلّ– إلى الأذهان؟

نقول: نعم، ليس فيه بأس. وهذا هو دأب السلف –رحمهم الله– في كتبهم، وفي كلامهم أنهم –أحيانا– يضربون بعض الأمثلة المشاهدة لتقريب هذا المعنى البعيد لفهمه، لكن يَحتاط الإنسانُ أن يقول: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأعْلَى ﴾ بمعنى أن لا ينقدح في ذهن السامع أو المتكلم أن هناك مشابهة بين هذا وذاك.

المسألة حساسة.

لا شك، لكنه لا بد –أحيانا– من استخدامِ هذه الأمثلةِ لتقريبِ هذه المعاني لفهم السامع. ولهذا لاحظ أنَّ النبي –صلى الله عليه وسلم– ضَرَبَ لهم مثالاً واقعًا، ولهذا قال له أبو رزين: هو واحد ونحن جميع أخبرنا عن آلاء الله مثلها بشيءٍ مُشاهَد. قال: هذا القمر، كلكم يراه مَخْلِيًّا به. كل واحد يَراه، الذي في الصين يراه، والذي في أقصى الغرب يراه، ومع ذلك هو واحد والأمة كثيرٌ.

يقول: من أسَّسَ مذهبَ التفويض؟ ومن هم المنتسبون إليه؟

لا يعرف له مؤسسٌ بعينه كما هي الحال عند المعطلة الذين ذكر إلى أي شيء ينتهي مذهب التعطيل، وأن الذي تَبَنَّى نشرَ هذا المذهبِ الجهمُ بن صفوان، ولهذا يقال له أحيانا: المذهب الجهمي.

أما المفوضة فلا. ينسب إلى أفراد، وكما ذكر الشيخ أنه يُنسب أحيانا لبعض المنتسبين إلى السنة، وذكرنا أمثلة على ذلك الخطابيَّ –رحمه الله– صاحبَ "الغريب" وصاحب شرح صحيح البخاري، عنده شيء من التفويض. والإمام البيهقي صاحب السنن، وصاحب "الأسماء والصفات" عنده شيء من التفويض في بعض الصفات، وكذلك ابن الجوزي الإمام المشهور عنده شيء من التفويض في بعض الصفات أوَّلوا بعضَ الصفات، وفَوَّضُوا بعضَ الصفات؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن هذا هو مذهب السلف، وهذا غلط كما ذكر الشيخ.

قد مَرَّتْ مسألة في سؤال الأخ في اللقاء الماضي في الكلام على ابن حجر العسقلاني طبعا في المقابل وأن هذا لا ينقص منه قدره.

لا ينقص من قدر هذا ولا ينقص أيضًا من قدر هؤلاء الأئمة، نعم أخطؤوا في تأويلهم وتفويضهم لهذه الصفات. لكن يبقى أن هؤلاء أئمة، لهم مكانتهم، ولهم قدرهم، ولهم منزلتهم، لكن لا يُؤخذ منهم هذا الخطأ.

تقول: قال الله –تعالى– على لسان عيسى –عليه السلام–: ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [المائدة: ١١٧] الآية، هل تكون هذه الآية مأخذًا للمتكلمين على أهل السنة أنهم أوَّلوا الوفاة بالنوم؟ أو فسروا.

لا، ليس هنا تفسير الوفاة بالنوم في هذه الآية تفسير في قوله: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥]، فَسَّرَ بعض المفسرين التوفِّي هنا النوم، ولكن ليس في هذا تأويلٌ، حتى على قولِ من فَسَّرَها من لها تفسير آخر: إنِّي مستوفيك، لكن على من فَسَّرَها بالنوم ليس فيه تأويلٌ؛ لأنَّ النوم يُطلق عليه الوفاةُ، ولهذا قال الله –عزّ وجلّ–: ﴿ وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ ﴾ [الزمر: ٤٢]، التأويل أنْ يُذْكَرَ معنًى بعيدٌ، لكن هذا فسر اللفظ بمعناه الحقيقي.

يقول: حكم قول مثل العبارات: باسم الوفاء، باسم الحب، باسم الصداقة التي بيننا؟ هل يجوز أن تقال؟

إذا كان المقصود بها اليمين أو الحلف؛ فلا يجوز، أما إن كان مقصودُ المتكلم بسبب الوفاء الذي بيني وبينك يجب أن تفي معي وأن تصدق معي ما فيه بأس.

لكن يخشى أنه يراد بها التأكيد باليمين فهذا لا يجوز أن يَحلف إلا بالله –عزّ وجلّ–.

الدرس التاسع عشر

الفقه الأكبر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

سبق طَرْحُ السؤال الآتي: ما معنى قولِ الأئمة: «الاستواء معلوم والكيف غير معقول أو مجهول»؟

هم أثبتوا حقيقة الصفات، لكن الذي نَفَوْه هو العلمُ بكيفية هذه الصفات.

فمعنى قولهم: الاستواء معلوم ما معنى معلوم؟

إجابتك صحيحة، لكن نريد زيادةَ إيضاحٍ.

الاستواء معلوم؛ أي معلومٌ في اللغة العربية معنى الاستواء. وغير معقول؛ أي لا يمكن إدراكه بالعقل.

الكيف غير معقولٍ لأنه لا يمكن إدراكه أو معرفته بالعقل. لماذا؟

لأنه لم يَرِدِ النصُّ بذلك، وهو مما لا يُدرك بالعقل.

وهذه القاعدة -كما ذكرنا- تُطَبَّقُ في كل الصفات. المثال جاء فقط في الاستواء؛ لأن السؤال ورد عن الاستواء، لكن نحن نطبق هذه القاعدة على جميع الصفات، فهي قاعدة مطردة.

قال المصنف -رحمه الله تعالى- في جوابه: (وفي كتاب "الفقه الأكبر" المشهور عند أصحاب أبي حنيفة الذي رَوَوْه بإسنادٍ عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخيِّ. قال: سألت أبا حنيفة عن الفقهِ الأكبرِ فقال: «لا تُكَفِّرَنَّ أحَدًا بذنبٍ، ولا تَنْفِ أحَدًا به من الإيمان. وتأمرُ بالمعروفِ وتنهى عن المنكرِ، وتعلمُ أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولا تتبرأ من أحدٍ من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولا توالِ أحَدًا دون أحد، وأن تردَّ أمر عثمانَ وعليٍّ إلى الله -عزّ وجلّ-».

قال أبو حنيفة: «الفقه الأكبر في الدين خيرٌ من الفقهِ في العلم، ولأن يفقه الرجل كيف يعبد ربه خيرٌ من أن يجمع العلم الكثير». انتهى.

قال أبو مطيع: قلت: أخبرني عن أفضل الفقه. قال: «تعلم الرجل الإيمان، والشرائع، والسنن، والحدود، واختلاف الأئمة».

وَذَكَرَ مسائل الإيمان، ثم ذكر مسائل القدر والرد على القدرية بكلامٍ حَسَنٍ ليس هذا موضعَه.

ثم قال: قلت: فما تقول فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فَيَتْبَعُه على ذلك أناس فيخرج على الجماعة. هل ترى ذلك؟ قال: لا. قلت: ولم؟ وقد أمر الله ورسوله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو فريضة واجبة. قال: كذلك، ولكن ما يفسدون أكثر ما يصلحون من سفك الدماء واستحلال الحرام.

قال: وذكر الكلامَ في قتالِ الخوارجِ والبغاةِ إلى أن قال:

قال أبو حنيفة عَمَّن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؛ فقد كفر؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥]، وعرشه فوق سبع سماوات. قلت: فإن قال: إنه على العرش استوى، ولكنه يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال: هو كافر؛ لأنه أنكر أنْ يكونَ في السماء. لأنه تعالى في أعلى عِلِّيين، وأنه يُدعى من أعلى لا من أسفل، وفي لفظ: سألت أبا حنيفة عمن يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؟ قال: قد كفر؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾، وعرشه فوق سبع سماوات. قال: فإنه يقول على العرش استوى، ولكن لا يدري العرش في الأرض أو في السماء؟ قال: إذا أنكر أنه في السماء؛ فقد كفر.)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لا زال كلام المؤلف -رحمه الله- في الردِّ على هؤلاء المعطلة على اختلاف أصنافهم وتنوِّع مشاربهم. ومن الأساليب التي سَلَكَها المؤلفُ في الردّ على هؤلاء النقلُ عنِ الأئمةِ الكبارِ في الردِّ على هؤلاء وما يخالف ما ذهبوا إليه. فنقل -هنا- عن الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت صاحب المذهب المشهور، والذي يَنْتَسِبُ إليه خلقٌ كثير في الفروع.

يقول: (وفي كتاب الفقه الأكبر المشهور عند أصحاب أبي حنيفة الذي رووه بالإسناد عن أبي مُطِيعٍ الحكمِ بن عبدِ الله البلخيِّ): المتوفى سنة ١٩٧هـ، وهو من تلامذة الإمام أبي حنيفة. وكتاب "الفقه الأكبر" مشهور أنه للإمام أبي حنيفة، وقد ورد إلينا بروايةِ تلميذِه أبي مُطِيعٍ الحكم بن عبد الله البلخي، وورد إلينا برواية ابنه حماد بن أبي حنيفة.

يقول: (سألت أبا حنيفة عن الفقه الأكبر): عندنا الفقه الأكبر يقابله الفقه الأصغر الذي هو الفقه العمليّ. أما الفقه الأكبر؛ فهو المتعلق بأصولِ الإيمانِ، المتعلقِ بمسائلِ الاعتقادِ.

يقول: فقال (فقال لا تُكَفّرن أحدا بذنب ولا تنفِ أحدا به من الإيمان): بمعنى عقيدة أهل السنة والجماعة أنَّ الإنسانَ لا يُكَفَّرُ بذنبٍ في رواياتٍ عنِ الأئمةِ قيَّدُوا ذلك بما لم يَسْتَحِلَّه. أنه لا يُكَفَّر بمطلق ارتكابه لذنبٍ من الذنوب التي لا تَصِلُ إلى درجةِ التكفير، كما صنَعَ الخوارجُ والمعتزلة الذين أخرجوا مرتكبَ الكبيرةِ من دائرةِ الإسلام.

(ولا تنف أحدا به من الإيمان): بمعنى أن لا تخرج هذا الشخص المرتكب الكبيرة أن لا تخرجه عن الإيمان.

(وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك): هذا من لوازم الإيمان بالقضاء والقدر.

(ولا تتبرأ من أحد من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولا توالِ أحدا دون أحد): وهذا ردٌّ على طائفتين مشهورتين: الرافضة والخوارج الذين كَفَّرُوا بعض الصحابة وَتَبَرَّؤُوا من بعض الصحابة.

فقال: (لا توالِ أحدا دون أحد): هم متفاوتون -رضي الله عنهم وأرضاهم- في الفضلِ وفي المكانةِ وفي المنزلةِ، والله فَاضَلَ بينهم كما فَاضَلَ بين الأنبياءِ، ولهذا قال: ؟ لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ؟ [الحديد: ١٠].

والنبي -صلى الله عليه وسلم- أثنى على الأربعةِ على وجه الخصوص، ولهذا عقيدة أهل السنة والجماعة في أصحابِ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- أنهم يُقَدِّمُون أبا بكر على الجميع، ثم عمرَ، ثم عثمانَ، ثم عليًّا ثم بقية العشرةِ، ثم أهلَ بيعةِ الشجرةِ، ثم أهل بدرٍ، ثم المهاجرين ثم الأنصار.

يقول: (وأن ترد أمر عثمان وعليٍّ إلى الله -عزّ وجلّ-): مسألةُ المفاضلةِ بين علي وعثمان مسألةٌ جرى الخلافُ فيها قديما ثم استقر أمرُ أهل السنة على تقديم عثمان على عليٍّ. لكنْ قديمًا هناك مَنْ خالف. الجمهور على تقديم عثمان على علي بنصِّ قول عبد الرحمن بن عوف كما في صحيح البخاري في قصة مقتلِ عمرَ -رضي الله عنه- واستخلافه للستةِ. قال عبد الرحمن بن عوف أمام عمومِ أصحابِ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- وكانوا متوافرين آنذاك في المدينة فقال: «إني استشرت الناسَ حتى استشرتُ النساء في خُدورِهن، فرأيت أنهم لا يَعْدِلُون بعثمانَ أحَدًا». فهذا هو الذي عليه الجمهور، لكن هناك مَنْ أَمْسَكَ عن المفاضلةِ بينهما -رضي الله عنهما-، ومن هؤلاء الإمامُ مالكٌ وشعبةُ ويحيى القطانُ وابنُ حزمٍ. لكنَّ الإمامَ مالكًا وشعبة ويحيى رجعوا إلى قولِ الجمهور.

هناك من ذهب إلى تقديم عليٍّ على عثمان في الفضل وليس في الخلافة، وهذا القولُ يُنسب إلى أبي حنيفة، ويروى عن ابن خزيمة والثوريِّ ولكنَّ الثابتَ عن هؤلاء أنهم رجعوا إلى رأي الجمهور في تقديم عثمان على علي -رضي الله عن الجميع-.

قال أبو حنيفة: الفقه الأكبر في الدين خير من الفقه في العلم. لأنه متعلق بماذا؟ بالأمور التي لا يَصِحُّ إيمانُ العبدِ إلاَّ بها. لهذا هو أفضلُ وخيرٌ من الفقهِ في العلمِ الذي هو الفقهُ العامُّ والفقه في المسائل العملية وفي كلٍّ خيرٌ.

يقول: (ولأن يفقه الرجل كيف يعبد ربه خيرٌ من أن يَجمع العلمَ الكثيرَ): ولا شك، كَوْنُ الإنسانِ يفقه ويتعلم كيف يعبد الله -عزّ وجلّ- ويعبده -سبحانه وتعالى- على بصيرةٍ من أمره خيرٌ من أن يجمع العلم الكثير، وهذا العلمُ لا يكون له أثرٌ في عبادته.

يقول: (قال أبو مطيع): الذي هو راوي الفقه الأكبر عن أبي حنيفة.

(قلت: أخبرني عن أفضل الفقه، قال: تعلم الرجل الإيمان، والشرائع والسنن، والحدود، واختلاف الأئمة، وذكر مسائل الإيمان، ثم ذكر مسائل القدر والردّ على القدرية بكلام حسن ليس هذا موضعه): الشيخ يقول: ليس هذا موضع إيراد مثل هذا الكلام.

ثم قال: (قلت: فما تقول فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيتبعه على ذلك أناس يخرج على الجماعة هل ترى ذلك؟ قال: لا. قلت: ولم؟ وقد أمر الله ورسوله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو فريضة واجبة): يعني يقول: ما رأيك فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيتبعه الناس على ذلك فيؤدي هذا الأمر إلى الخروج على جماعة المسلمين.

وهذا منهجُ المعتزلةِ، ولهذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلٌ من أصولهم، ويخرجون على جماعة المسلمين بالسيف بناءً على هذا الأصلِ أنَّه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولهذا كما قال الإمام أبو حنيفة قال: كذلك نعم الله ورسوله أمَرَ بالأمْرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن ما يُفسدون أكثر ما يصلحون من سفْكِ الدماءِ واستحلال الحرام.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسيف وباليدِ هذا موكول لإمام المسلمين ولولي الأمر. أما المسلم أو عموم المسلمين؛ فهم مأمورون أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر على قَدْرِ استطاعتهم باللسان بالقلب باليد في حدودِ مقدرةِ الإنسانِ، في بيته، على أبنائه، على زوجته. أما أَمْرُ العامةِ وأمرُ عموم الناس؛ فهذا موكول لوليِّ الأمر؛ لئلا تحصل الفوضى كما ذكر الشيخ من سفك الدماء واستحلال المحارم، وكُلٌّ يَدَّعِي أنَّه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

وإذا تعارض موجود جهة معينة من رجال الحسبة أو الهيئة تتولى جانب المر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لا شك أنَّ الأمر مَنُوطٌ بوليِّ الأمر، ولي الأمر قد يُفَوِّضُ هذا إلى جهةٍ محددةٍ؛ مثل رجال الحسبة، مثل القضاة، وأحيانا يفوض العلماء، وكان في السابق القضاةُ هم المفوَّضين في مسألة تطبيق الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ باليد من قِبَلِ وليِّ الأمر.

الشاهد أنَّ هذا حقٌّ لوليِّ الأمرِ يُفَوِّضُ من شاء لأجل أن تستقيم الأمور، وأن لا يكون هناك فوضى واستحلالٌ للمحارمِ وتجاوزات لا تُحْمَدُ عقباها.

ثم قال: (وقد ذكر الكلام في قتال الخوارج والبغاة) إلى أن قال: (قال أبو حنيفة عمن قال لا أعرف ربي): هو الشاهد من إيراد هذا النص.

(عمن قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر): ماذا قال الإمام أبو حنيفة؟ فقد كفر. لماذا؟ قال: (لأن الله –تعالى– يقول: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾): أورد أبو مطيعٍ شُبْهَةً ربما تَرِدُ على لسانِ هذا الرجلِ الذي يقول: لا أعرف ربي هل هو في السماء أم في الأرض؟

قال: (وعرشه فوق سبع سماوات. قلت): يعني أبا مطيع.

(فإن قال إنه على العرش استوى): قال: أنا أثبت أنه على العرش استوى.

(ولكنه يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟): ما أجزم أنه في السماء أم في الأرض. ماذا قال أبو حنيفة؟ قال: (هو كافر لأنه أنكر أن يكون في السماء؛ لأنه تعالى في أعلى عليين، وأنه يُدعى من أعلى لا من أسفل).

وهذه الحجة ذكرناها من أدلة إثبات العلوِّ دلالة الفطرة، وقلنا: إنَّ الله –عزّ وجلّ– فَطَرَ الخلقَ على أنَّهم يَتَوَجَّهُون إليه إذا دعوه إلى السماء، إلى جهة العلو، ولهذا الإمام أبو حنيفة هنا استدل بالفطرة.

يقول: (وفي لفظ سألت أبا حنيفة عمَّن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؟ قال: فقد كفر؛ لأنَّ الله –تعالى– يقول: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾، وعرشه فوق سبع سماوات. قال: فإنه يقول: على العرش استوى، ولكن لا يَدري العرش في السماء أو في الأرض؟ قال: إذا أنكر في السماء؛ فقد كفر.)

سمعنا –الآن– من الإمام أبي حنيفة أنه يُكَفِّرُ من نفى صفة العلو أو من أنكر صفة الاستواء، وسنسمع –أيضًا– عن بعضِ الأئمةِ نَحْوًا من هذا الكلام، لكنَّ هذا التكفيرَ هو من بابِ التكفيرِ المطلق.

لو جاء أمامك إنسان ينكر صفة العلو أو قرأتَ عن إنسان ينكر صفة العلو؛ فلا يجوز أن تُكَفِّرَه بعينه.

يقول: الإمام أبو حنيفة والإمام فلان والإمام فلان كَفَّروا من أنكر صفة العلو. يقال: هذا من باب التكفير المطلق، وليس من باب التكفير المُعَيَّنِ، وهناك فرق بين التكفير المطلقِ والتكفير المُعَيَّنِ؛ مثل الوعيد، الله –عزّ وجلّ– تَوَعَّدَ آكلَ الرِّبا بالنارِ. هل يجوز أن تحكم على شخص بعينه يأكل الربا أنه في النار؟ لا يجوز. وتوعد القاتل بالنار فلا يجوز أن تحكم على قاتلٍ بعينه أنَّه في النار. فالتكفير المطلق المرويّ عن الأئمة مثل الوعيد المطلق الذي جاء في النصوص. أما التكفيرُ المُعَيَّنُ فلا يجوز.

ولكن هناك شروط وهناك موانع. ربما يتكلم هذا الشخص بكلامِ كفرٍ، يفعل فعلاً كفرًا، لكن لا يكفر؛ لأنَّ هناك مانعًا مَنَعَ منْ تكفيرِ هذا الشخصِ. ولعله يُستَدَلُّ على ذلك بقصةِ الرجل الذي أسرف على نفسه كما في صحيح البخاري الذي جمع بنيه، وقد أسرف على نفسه بالذنوب والخطايا وارتكاب المعاصي، وحارب الله –عزّ وجلّ–. فَلَمَّا قَرُبَتْ وفاته؛ جَمَعَ بنيه، وقال: إذا أنا مت؛ فاحرقوني، ثم اسحقوني، ثم زرّوني في الهواء. فلئن قَدِرَ الله عليَّ؛ ليعذبني عذابا ما عَذَّبَه أَحَدًا من العالمين.

يقول شيخ الإسلام: هذا الرجل عنده نوعان من أنواع الكفر الأكبر:

الأول الشك في البعث.

الثاني: الشك في قدرة الله –عزّ وجلّ–.

ومن شَكَّ في قدرة الله أو شَكَّ في البعث؛ فلا شك في كفره.

من إسرافه على نفسه.

نعم، إسرافه على نفسه هذا أمر آخر.

فَبَعَثَه الله –عزّ وجلّ– وقال: ما حملك على ذلك قال: مخافتك يا ربّ، فغفر الله له.

هذا الرجل ارتكب مُكَفِّرًا، لكنه لم يَكْفُرْ؛ لأنه لو كَفَرَ؛ ما غَفَرَ الله له. فانتفى عنه التكفير بسببٍ. ولهذا لا يَلزم من المقولةِ الكفريَّةِ أو الفعلِ الكفريِّ أن يَكْفُرَ صاحبُها المُحَدَّدُ المُعَيَّن، وهذه قاعدة عامة عندهم.

فالإمام أبو حنيفة –هنا– كَفَّرَ مَنْ أَنْكَرَ أن يكون الله في السماء. هذا من باب التكفير المطلق.

هل هذا الحكم –التكفير المطلق– لمن أنكر هو ما عليه الجمهور أمْ أنَّ المسألة فيها كلام؟ يعني قول أبي حنيفة بالكفر.

من أنكر أن يكون الله في السماء. لا، ما أذكر لأنَّه سيأتي –الآن– قولُ جمهورٍ من العلماءِ والأئمةِ، كلهم حَكَوْا تكفيرَ من أنكر أن يكون الله في السماء، كما حكوا كفر من قال: إن القرآن مخلوق. لكن إذا نَزَلَ على الأشخاص فلا.

والإمام أحمد يقول: من قال: القرآن مخلوق؛ فقد كفر. ويصلي خلف بعض المعتزلة الذين يقولون: القرآن مخلوق. وبهذا نعرف أن الأئمة يفرقون بين التكفير المطلق والتكفير المُعَيَّن، وكثيرٌ مِمَّنْ فهم هذه المسألة فهما خاطئا أنْزَلَ كلام الأئمة في التكفير المطلق على التكفير المُعَيَّن المقيَّد، ولهذا كَفَّرَ الناس بهذه المسائل، وهذا تَعَدٍّ وتَجَنٍّ وبدعة وضلالة، ويَجُرُّ من المفاسد أضعافَ ما يجره من المصالح.

المسألة الثانية فيما يتعلق بالنقل عن الإمام أبي حنيفة ينقل الشيخُ عن الإمام أبي حنيفة الذي يَنْتَسِبُ إليه أُمَمٌ من الناس في الفروع.

لاحظْ قولَ هذا الإمامِ في هذه المسألة -مسألة العلو-. لو رجعْنا إلى هؤلاء الأتباع؛ لوجدناهم من أكثر الناس تَعَصُّبًا، وكذلك بعض أتباع الإمام مالك وأتباع الإمام أحمد وأتباع الإمام الشافعي من أكثر الناس تعصبا لهذا الإمام في مسائل الفروع، بل ربما قال قائلهم: إذا خالف النصُّ قولَ الإمامِ؛ فإنَّ النصَّ إما مؤول أو منسوخ. لاحظ كيف جَعَلَ هذا الغلوُّ قولَ الإمام هو الميزانَ لنصوص الكتاب والسنة؟! ثم إذا جاء هؤلاء في مسائل الأصول؛ تركوا قول أئمتهم.

اجتهدوا.

كان الأولى أن يَتَمَسَّكُوا بقول أئمتهم في الأصول أولى من تمسكهم بقول أئمتهم في الفروع. وهذا من التَّبايُنِ ومن التناقضِ الظاهرِ. ولهذا لما أورد الشيخُ كلامَ الإمامِ أبي حنيفة -وسيورد كلام غيره من الأئمة كما أورد كلام الإمام مالك ليرد به على أتباع هؤلاء من المعطلة سواء كان جهميا أو معتزليا أو أشعريا- إن كنت حنفيًّا في الفروع؛ فهذا كلام الإمام، لماذا عَدَلْتَ عنه؟! إن كنت مالكيًّا؛ هذا كلام إمامك. لماذا عدلت عنه؟!

(ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه أنه كَفَّرَ الواقفَ الذي يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض. فكيف يكون الجاحدُ النافي الذي يقول: ليس في السماء، أو ليس في الأرض ولا في السماء واحتَجَّ على كفره بقوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥]، وعرشه فوق سبع سماوات.

وبَيَّنَ بهذا أن قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ يُبَيِّنُ أنَّ الله فوق السماوات فوق العرش، وأن الاستواءَ على العرش دَلَّ على أنَّ الله نفسَه فوق العرش.

ثم أردف ذلك بتكفير من قال: إنه على العرش استوى، ولكن تَوَقَّفَ في كَوْنِ العرش في السماء أم في الأرض. قال: لأنه أنكر أنه في السماء؛ لأن الله في أعلى عليين، وأنه يُدعى من أعلى لا من أسفل، وهذا تصريح من أبي حنيفة بتكفير من أنكر أن يكون الله في السماء، واحتج على ذلك بأن الله -تعالى- في أعلى عليين وأنه يُدعى من أعلى لا من أسفل.

وكُلٌّ من هاتين الحجتين فطريَّةٌ عقليَّةٌ؛ فإن القلوب مَفْطُورةٌ على الإقرار بأن الله في العلوِّ، وعلى أنه يُدعى من أعلى لا من أسفل.

وقد جاء اللفظ الآخر صريحا عنه بذلك فقال: إذا أنكر أنه في السماء؛ فقد كَفَرَ، وروى هذا اللفظ عنه بالإسناد شيخُ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاريُّ الهَرَوِيُّ بإسناده في كتاب "الفاروق".)

عَلَّقَ الشيخ على كلامِ الإمامِ أبي حنيفة –رحمه الله– وأنه كَفَّرَ من تَوَقَّفَ فضلاً عن الجاحد النافي، وهؤلاء المعطلة يصرحون بنفي صفة العلو عن الله –عزّ وجلّ–. فالإمام أبو حنيفة –رحمه الله– كَفَّرَ مَنْ تَوَقَّفَ في هذه المسألة.

ثم ذكر الشيخ استدلال الإمام أبي حنيفة بالدليل العقلي الفطري على إثبات صفة العلو لله، ثم ذكر أخيرا أنَّ هذا اللفظ رواه أيضًا عنه شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي عبد الله بن محمد صاحب "منازل السائرين" المتوفى سنة ٤٨١هـ.

نلحظ في هذا المقطع الذي نقله شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة وَقَبْلَه كلام ابن الماجشون أنَّ الكلام كبير وكثير. هل كان نقلاً أم أنه من حِفْظِ شيخ الإسلام خاصة إذا علمنا أنه أجاب عن هذه الفتوى كما ذكرت بعد العصر؟!

الذي يظهر أنَّ الشيخ كَتَبَها من حِفْظِه. ولهذا أحيانا يقول: وأظنه في نسخة كذا، وأظنه قال كذا. وهذا مما يدل على سعة حفظ هذا الإمام في مسألة استحضاره لقول هؤلاء الأئمة. وهذا أمر مستفيض. حتى قيل إنه أحيانا يقرأ الكلام مرة واحدة فيحفظه.

على كل حال لا يُستغرب عليه وعلى أمثاله يحيى بن سعيد القطان ربما ذكرت لكم هذا سابقا من أئمة الحديث وسينقل عنه الشيخ يقول: كان آية في الحفظ، ولهذا أثنى عليه الإمام أحمد في حفظه. يقال: إنه كان إذا مَرَّ بالسوق وضع في أذنيه قطنًا. قيل له: ولم؟ قال: لم تسمع أذناي كلامًا إلا حَفِظَتْه، ولا أريد أن أحفظ لَغَطَ الناس في أسواقهم لأنه يُشَوِّشُ على ذهني.

يعني إذا جئنا ونتزل مثل هذا النماذج في هذا الواقع أو في العصر هل مر عليك شيخ أو تعلم من المعاصرين من سعة حفظه أم أنه لكل زمان...؟

حقيقة أحيانا لما نقرأ عن حفظ هؤلاء يحيى بن سعيد القطان هذا وغيره يستحضرون آلاف الأسانيد عن ظهر قلب. قد يقول قائل: هذا ضرب من الخيال، لكن ولله الحمد والمنة وُجِدَ في عصرنا الحاضر من عنده نوع من هذه الحافظة. حدثنا الشيخ بكر أبو زيد –رحمه الله– وهو من تلامذة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب "أضواء البيان" يقول عن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: من عادته إذا أراد أن يخرج إلى درسه في الحرم بعد المغرب يطلب من ابنه أو أحدِ الحضور عنده أن يقرأ عليه في بعض المسائل. يقول: وكان ابنه يوما هو الذي عنده فقال له: اقرأ لي في هذه المسألة ما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية، فيقول ابنه: فقرأت عليه كلامًا ثم مررت بأبياتٍ من الشعر صفحة أو صفحتين، فأردت أن أتجاوزها، قال: لا، اذكرْ لي ما قاله الإمام ابن كثير أو ما نقله. يقول: فقرأت عليه القصيدة كاملة، ثم أكملت الكلام. يقول: فخرجتُ أنا وإيَّاه إلى الحرم. يقول: ولمَّا جاء الدرس ذَكَرَ القصيدة كاملةً لم يهمل منها بيتًا. يقول: لما خرجنا قلت له: يا والدي! هل سبق أن حَفِظْتَها؟! قال: لم أسمعها إلا منك.

شيخنا الشيخ عبد الله بن جبرين حتى نكون واقعيين. الشيخ عبد الله قبل مدة ليست بالطويلة في درسه الفجر جاءه أحد الإخوة من البادية يريد أن يسأله، فانتظر هذه الرجل، وكان رجلاً صاحب شغل فقال له: يا شيخ! أنا عندي سؤال أسألك وأنصرف. قال له: اسأل. قال: أنا وقع بيني وبين زوجتي وذكر قصة طلاق بينه وبين زوجته، ثم قال: وقلت فيها هذه الأبيات. فقال له الشيخ عبد الله: ماذا قلت؟ فذكر مجموعةً من الأبيات الشعر النبوي، فأفتاه الشيخ وذهب.

يقولون الإخوان الذين حضروا درسَه في المساء ذكر القصة وذكر الأبيات كاملة، فالحمد لله لا زالت الأمة بخير.

لكن لا شكَّ أنَّ السابقين تميزوا في هذا الأمر، ولَعَلَّ هذا من أسبابِ حفظ الله -عزّ وجلّ- لهذا الدين. ولهذا لما قال أحد الزنادقة لهارون الرشيد: لقد وضعت فيكم كذا وكذا من الأحاديث أُحِلُّ في الحرام وأحرم فيها الحلال. قال: اخسأ فلن تعدوَ قدرك؛ عندنا ابن المبارك وفلان يَنْخُلانها لنا نَخْلاً، بمعنى أنهم يستطيعون تمييزَ الصحيح من الضعيف.

(وروى هو أيضًا وابن أبي حاتم أنَّ هشام بن عبيد الله الرازيَّ صاحبَ محمد بن الحسن قاضي الرَّيّ حَبَسَ رجلاً في التَّجَهُّم فَتَابَ فجيء به إلى هشام ليطلقه فقال: الحمد لله على التوبة، فامتحنه هشام فقال: أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه؟ فقال: أشهد أن الله على عرشه، ولا أدري ما بائن من خلقه، فقال: رُدُّوه إلى الحبس؛ فإنه لم يتبْ.)

هذا نَقْلٌ أيضًا عن محمد بن الحسن صاحبِ الإمام أبي حنيفة المتوفى سنة ١٨٩هـ. ومحمد بن الحسن قال عنه الإمام أحمد: استفدْت منه دقائق المسائل، أو قال: استفدت دقائق المسائل من محمد بن الحسن.

يقول: حَبَسَ رجلاً في التَّجَهُّم؛ أي في مذهب الجهم، كان يسلك مَسْلَكَ الجهم. يقول: فتاب يعني أعلن توبته. حبسه من باب التعذير؛ لأنه هو القاضي. فجيء به إلى هشام ليطلقه فقال: الحمد لله على التوبة، فامتحنه هشام فقال: أتشهد أن الله على عرشه؟ يريد أن يتأكد هل فعلاً تاب الرجل وأقلع عن هذا الذنب الذي ارتكبه؟ فقال: أشهد أنَّ الله على عرشه، ولا أدري ما بائن من خلقه. فقال: ردوه.

لأنَّ الجهمية لا يُثبتون أنَّ الله بائنٌ من الخلق، منفصل عن الخلق. يَرَوْنَ أنَّ الله -عزّ وجلّ- مختلطٌ ممتزجٌ بالخلق -سبحانه وتعالى-.

(وروى أيضًا عن يحيى بن معاذ الرازيّ أنه قال: إنَّ الله على العرش بائنٌ من الخلق، وقد أحاط بكلِّ شيء علمًا، وأحصى كلَّ شيء عَدَدًا، لا يشك في هذه المقالة إلا جهميٌّ رديءٌ ضِلِّيلٌ، وهالكٌ مرتابٌ يَمزج الله بخلقِه، ويَخلط منه الذاتَ بالأقذارِ والأنتان.)

هذا يحيى بن معاذ الرازي المتوفى سة ٢٥٨هـ يُثبت أنَّ الله على العرش بائنٌ من الخلق. قد يقول قائل: كلمة "بائن من الخلق" هل هي واردة في النصوص؟ يقال: لا لكنَّ الأئمة ذكروها في مَعْرِض الردِّ على الجهميةِ الذين ذهبوا إلى أنَّ الله ممتزجٌ ومختلطٌ بالخلق، فجاؤوا بهذه الكلمة للردِّ على هؤلاء وليُثبتوا الانفصالَ التامَّ بين الخالقِ والمخلوق.

ضِدُّ ممتزج؟

نعم، ضد ممتزج: بائن منفصل، ضد الامتزاج: البينونة والانفصال، هذا معناها. بمعنى أنَّ الله -عزّ وجلّ- شيءٌ والخلقَ شيءٌ آخر. أولئك يقولون: لا، هناك امتزاجٌ، وهناك اختلاطٌ. الله حالٌّ، الله متحدٌ -تعالى الله عن ذلك!-. ولهذا قال الأئمة: لا، الله بائنٌ منفصلٌ عن الخلق.

وقد أحاط بكل شيء علما بمعنى أنَّ ذاته بائنةٌ، أما علمه؛ فمحيطٌ بكلِّ شيءٍ: ﴿ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٢٨].

لا يشك في هذه المقالة إلا جهمي رديء ضليل وهالك مرتاب يمزج الله بخلقه ويخلط منه الذات بالأقذار والأنتان: كما قلت لكم إنَّ الجهمية يرون أن الله في كلِّ مكانٍ -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا-.

يقول: ما حكم مَنْ نفى رؤية اللهِ –سبحانه وتعالى– في الآخرة؟

يُحكم عليه كما يُحكم على أيِّ شخصٍ نفى صفةً ثابتةً لله –عزّ وجلّ–: أنَّه مبتدعٌ ضالٌّ، يُبَيَّنُ له الحقُّ. ربما نسمع من كلام الأئمة أنهم يُكَفِّرُون مَنْ نفى رؤية الله في الآخرة، لكن هذا من باب التكفير المطلق، أما الشخص بعينه إذا نفى رؤية الله؛ فيقال له: مبتدِعٌ ضالٌّ.

فِعْلُه فعلُ كُفْرٍ.

نعم، هذا الكلام لا يجوز، لكن لا يُكَفَّرُ بعينه؛ لأنَّ له –غالبًا– شُبْهَةً؛ إما تأويل أو جهل أو إلى آخره.

يمكن أن يقال: من قال مثل هذه الكلام؛ فقد كفر دون أن يُشار إليه أو يُخشى على من قال ذلك الكفرُ.

لا يخشى أنه ينزل لكن ستلحظ أنَّ الأئمة أحيانا يقولون: من أنكر رؤية الله في الآخرة؛ فقد كفر؛ لأنه أنكر دلالة هذه النصوصِ. لكن هذا على وجه العموم، أما إذا جاءت المسألة من فلان أو فلان؛ فلا يُكَفَّرُ.

المعتزلة يُجْمِعُون على نفي رؤيةِ اللهِ في الآخرةِ، ومع ذلك يقول: شيخ الإسلام: المعتزلة من الثلاثِ والسبعين فرقةً، وبإجماع العلماءِ أنَّ هؤلاء الثلاث السبعين ليسوا كفارًا.

يقول: أريد أن أعرف كلام شيخ الإسلام في مسألة قِدَمِ العالم وبتسلسل الحوادث.

مسألة قِدَمِ العالم من المسائل التي شُغِّبَ بها على شيخ الإسلام. الذين قالوا بقدم العالم هم الفلاسفة، وكَفَّرَهم العلماء والأئمة بهذه المقالة.

ماذا يقصدون؟

يقصدون منها أن هذا العالم لازمٌ لذاتِ الله أزَلاً وأبدًا كلزوم الضَّوء للشمس، وبهذا يكون العالم قديمًا بِقِدَمِ اللهِ. إذا كان الله –عزّ وجلّ– هو الأولَ؛ فالعالم هو الأول. هذا معنى القول بقدم العالم. يعني العالم لم يَبْتَدِئ من العدم كما يَعتقده المسلمون. هذا القول بقدم العالم، وهذا يقول به الفلاسفة وكَفَّرَهم الأئمةُ بهذه المقولةِ.

لما جاءت مسألةُ تسلسلِ الحوادث وتسلسل الفاعليَّة بالنسبة لله –عزّ وجلّ– ألْزَمَ أعداءَ شيخِ الإسلام شيخَ الإسلام بهذه المسألةِ، وقالوا إنه يقول بقدم العالم، وَشُغِّبَ عليه بها قديما وحديثا. يوجد الآن مَنْ يَتَبَنَّى من أعداءِ شيخ الإسلام هذه المسألة ويُبْرِزُ هذه المسألة. والشيخ بريءٌ من القولِ بِقِدَمِ العالم براءةَ الذئب من دم يوسفَ. بل هو كَفَّرَ الفلاسفة بالقول بِقِدَمِ العالم، وَرَدَّ عليهم بالعقلِ والنقلِ. وإنما مسألة التَّسَلْسُلِ كون الله –عزّ وجلّ– لم يَزَلْ فاعلاً فهذا لا يَلزم منه أن يكون العالم قديمًا. فالشيخ يقول –أصلا–: إذا قلنا إن الله فاعلٌ والمخلوقات كلها مفعولةٌ فدليلٌ على أنَّ الله متقدمٌ عليها؛ لأنَّ الفاعل دائما يَتَقَدَّمُ على المفعولِ. هل المفعول يأتي قبل الفاعل أم مع الفاعل؟! لا، الفاعل قبل. فَكَوْنُ اللهِ –عزّ وجلّ– فَعَلَ هذا الأمرَ؛ خَلَقَ، رَزَقَ، أحيى، أمات هذا دليلٌ على أنَّه فاعلٌ والمفعولَ متأخرٌ. فلا يَلزم من ذلك القولُ بِقِدَمِ العالم. فهذا إلزام بما لا يَلزم، وإنما هو من باب التشويش والتشغيب على هذا الإمام.

يقول: ألا نستطيع أن نرد على من قال: لا ندري أنَّ الله في السماء أم في الأرض بإقرارِ النبيِّ –صلى الله عليه وسلم– أن الجارية التي قال لها: (أين الله)؟ قالت: في السماء. فأقرها على ذلك؟

بلى، يُرَدُّ عليهم بهذا وبغيره. هذا الرد عليهم بالفطرةِ، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- سأل الجارية -كما في صحيح مسلم-: (أين الله)؟ فأجابت بفطرتها: إنه في السماء. لكن هؤلاء لا نَتَوَقَّعُ أنه غاب عنهم هذا الحديثُ، لكن أجابوا -كما ذكرنا سابقا حول هذا الحديث-؛ منهم من يقول: خبر آحاد، ومنهم من قال: إنَّ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- أقرَّ هذه الجارية على مستوى عقلِها ولم يَرُدَّ عليها. إلى آخر الكلام الذي لا يليق بالنبي -صلى الله عليه وسلم-.

يقول: هل يجوز أن نقول لمن كانت خاتمته سيئة: إنه في النار أو سيعاقبه الله يوم القيامة؟

لا، عقيدة أهل السنة والجماعة أنَّ الإنسانَ إذا مات على الإسلامِ أو على الإيمانِ مهما أسْرَفَ على نفسه بالذنوب؛ فإنَّه يُخاف عليه ويُخشى عليه، لكن لا يُجزم له لا بجنة ولا بنار، كما أنَّ مَنْ مات على الإيمانِ وعلى التَّقوى وعلى الصَّلاح قد يُرجى له -إن شاء الله تعالى- خيرٌ، وتُرجى له الرحمةُ، لكن لا يُجزم له بالجنةِ، فلا يُقطع لأحدٍ بجنةٍ ولا بنارٍ إلا من شَهِدَ له النصُّ فقط.

(وروى أيضًا عن ابن المديني لَمَّا سُئِلَ: ما قول أهل الجماعة؟ قال: يؤمنون بالرؤية والكلام، وأنَّ الله فوق السماوات على العرش استوى. فسُئل عن قوله تعالى: ؟ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ؟ [المجادلة: ٧]، فقال: اقرأ ما قبلها: ؟ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ؟.)

وهذا أيضًا كلامُ عليٍّ بن المديني المتوفى سنة ٢٣٤هـ شيخ الإمامِ البخاريِّ، ولهذا قال عنه الإمام البخاري: ما استصغرت نفسي عند أحدٍ إلا عند عليٍّ بن المديني. وهو من حُفَّاظِ الدُّنيا -رحمه الله-.

سئل: ما قول أهل الجماعة؟ أي أهل السنة والجماعة. قال: يؤمنون بالرؤيا والكلام، وأن الله..: الشيخ دائما يورد الشاهدَ لإثبات صفة العلو. وأنَّ الله فوق السماوات على العرش استوى.

اعتُرِضَ عليه فقيل: إذن ما معنى قوله سبحانه: ؟ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ؟؟ هذا يتنافى مع صفة العلو. بماذا رَدَّ عليه؟ وهذا هو ردُّ الإمام أحمد، وهذا هو رد الإمام مالك كلهم قالوا عند هذه الآية: اقرأ ما قبلها واقرأ ما بعدها، بُدِئت بماذا؟ بالعلم: ؟ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ؟، وختمت بالعلم: ؟ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ؟، فدَلَّ على أنَّ المعيَّة هنا المقصود بها معية الذات أم معية العلم؟ ؟ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ؟؛ أي معهم بعلمِه. فلا تَأتِ لِتَبْتُرَ الآية عن أوَّلها وعن آخرها. اقرأ ما قبلها وما بعدها فيتبين لك المعنى الصحيح.

(وروى أيضا عن أبي عيسى الترمذيِّ قال: هو على العرش كما وَصَفَ في كتابه، وعلمه وقدرته وسلطانه في كلِّ مكانٍ.

وروى عن أبي زرعة الرازي أنه سئل عن تفسير قوله تعالى: ؟ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ؟. قال: فقال: تفسيره كما تَقرأ هو على العرش وعلمه في كل مكان، من قال غير هذا؛ فعليه لعنة الله.)

هذه كلها أيضا آثار عن هؤلاء الأئمة أئمة أهل الحديث. أبو عيسى الترمذي محمد بن عيسى صاحب السنن وأيضا أبو زرعة الرازي المشهور الإمام.

(وروى أبو القاسم اللالكائيُّ صاحبُ أبي حامدٍ الإسفراييني في "أصول السنة" بإسناده عن محمد بن الحسن صاحبِ أبي حنيفة، قال: اتفق الفقهاء كلُّهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها الثِّقاتُ عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في صفة الرب -عزّ وجلّ-، من غير تفسيرٍ ولا وصفٍ ولا تشبيهٍ، فَمَنْ فَسَّرَ -اليوم- شيئًا من ذلك؛ فقد خَرَجَ مما كان عليه النبيُّ -صلى الله عليه وسلم-، وفارق الجماعة؛ فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا، ولكن أَفْتَوْا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، ومن قال بقول جَهْمٍ؛ فقد فارق الجماعة، وإنه قد وصفه بصفةِ لا شيءَ. انتهى.

محمد بن الحسن أخذ عن أبي حنيفة ومالكٍ وطبقتِهما مِنَ العلماءِ، وقد حكى على هذا الإجماعَ، وأخبر أنَّ الجهمية تصفُه بالأمور السلبيَّةِ غالبًا أو دائما.

وقوله: من غير تفسير. أراد به تفسير الجهمية المعطلة، الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الإثبات.)

وهذا نَقْلُ اللالكائي هبة الله بن الحسن المتوفى ٤١٨هـ، وهو صاحب أبي حامد الإسفرائيني أحمد بن طاهر المتوفى سنة ٤٠٦ هـ. نقل في كتابه "أصول السنة" المطبوع الآن "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" عن محمد بن الحسن صاحبِ أبي حنيفة. قال: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمانِ بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في صفة الرب -عزّ وجلّ- من غير تفسير.

ذكر الشيخ أنَّ قول محمد بن الحسن كقولِ غيره من الأئمة -كما سيأتي- إذا قالوا: من غير تفسير؛ فالمقصود من غير تفسيرِ الجهميَّة؛ لأن الجهمية فَسَّروا هذه النصوص على خلافِ ظاهرها، فقالوا: استوى: استولى. نزل: نزل أمرُه.. إلخ.

فمن فسر اليوم -أي تفسير الجهمية- شيئًا من ذلك؛ فقد خرج مما كان عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وفارق الجماعة؛ فإنهم لم يصفوا ولم يُفسروا: بمعنى أنهم أَجْرَوْا هذه النصوصَ على ظاهرها وعلى حقيقتِها، ولم يتعرضوا لها بتأويل كما صَنَعَه المتأخِّرون، ولكن أَفْتَوْا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا. بمعنى ظاهر هذه النصوص إذا سئلوا عن الصفة؛ تَلَوْا النصَّ الواردَ في هذه الصفةِ.

يقول: فمن قال بقول جهم؛ فقد فارق الجماعة؛ لأنه قد وصفه بصفةِ لا شيء. فالجهمية ينتهي أمْرُهم إلى أن يصفوا الله -عزّ وجلّ- أنه لا شيء؛ لأنهم سلبوا عنه جميعَ الصفات؛ ليس بكذا ولا كذا ولا كذا في النهاية لا يبقى وجودٌ لهذا الشيء الموصوفِ.

سؤال المراجعة:

السؤال: ما الفرق بين التكفير المطلق والتكفير المُعَيَّن؟

الدرس العشرون

باب الإيمان بالعرش

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

لَمَّا ذَكَرَ الشيخُ الحلقة السابقة كلامَ الإمام أبي حنيفة حول مسألةِ تكفيرِ مَنْ أَنْكَرَ أنْ يكونَ الله في السماءِ. تَكَلَّمْنا على مسألةِ التكفيرِ المطلقِ والتكفيرِ المُعَيَّنِ. والسؤالُ الذي طُرِحَ: ما الفرق بين التكفيرِ المطلقِ والتكفيرِ المُعَيَّنِ؟

التكفير المطلق: يُراد به العموم، فنقول: من فعل كذا؛ فقد كفر، ومن قال كذا؛ فقد كفر، أما التكفيـر المُعَـيَّن: تنزيل هذا الحكم على شخص بعينه.

يعني القائل لهذا القول أو الفاعل لهذا الفعل، أن يُنَزَّلَ هذا الحكمُ على هذا الشخصِ.

الإجابة الصحيحة أنَّ الفرقَ بين التكفيرِ المطلقِ والتكفيرِ المُعَيَّنِ ما ذكره أخونا، من أن التكفير المطلق هـو: من قال كذا؛ فقد كفر، ومن فعل كذا على وجه العموم مثل الوعيد المطلق، خصوص الوعيد من فعل كذا؛ دخـل النار، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ [النساء: ١٠]، لكنْ لـو تـأتي إلـى شخص يأكلُ مال اليتيم؛ فلا يجوزُ أن يقول إن فلانًا في النار.

فنصوص الوعيد تُؤخذ على عمومها، لكن إذا جئنا لتنزيلها على الأشخاص بعينهم لا بد هنا أن نتوقـف؛ لأن هناك موانعَ تمنع أن نحكم على هذا الشخص المُعَيَّنِ أنَّه كافرٌ، أو أنه من أهل النار.

فيما يتعلق بجانب الاستتابة، إذا كان فعله قد يُكَفِّرُ هذا يكون أيضا مانعا.

من الموانع أنه إذا ثبت أن هذا الفعل كفر أو القول كفر، وأقيمت عليه الحجة، وأزيلت الـشبهة التـي ربمـا يَتَشَبَّثُ بها، واتضح له الحق؛ هنا لا بد من استتابته من قبل وليِّ الأمر.

ما زلنا مع شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في فتواه، وقد كنا نعيش في الحلقات الماضية مع جملةٍ مـن أقوالِ أئمة العلماء، ولعلنا نُكمل بإذن الله تعالى.

ولا زال الكلام مستمرًّا في هذه النُّقول.

على قضية الاستواء والعلو.

قال المصنف –رحمه الله تعالى–: (وروى البيهقيُّ وغيره بأسانيدَ صحيحةٍ عن أبي عُبَيْدٍ القاسم بن سلاَّم، قال: «هذه الأحاديث التي يقول فيها: (ضَحِكَ ربُّنا من قنوطِ عبادِه وقُرْبِ غِيَرِه)، وأن (جهنم لا تمتلئ حتى يضع ربُّك قدمه فيه)، و(الكرسي موضع القدمين)، وهذه الأحاديث في الرؤيا، هي عندنا حقٌّ حَمَلَها الثقات بعـضهم عـن بعض، غيرَ أنَّا إذا سُئلنا عن تفسيرها؛ لا نفسرها، وما أدركنا أحدًا يفسرها» اهـ.

أبو عُبَيْدٍ أحدُ الأئمة الأربعة الذين هم الشافعيّ وأحمد وإسحاق وأبو عُبَيْدٍ، وله من المعرفة بالفقه واللغة والتأويل ما هو أشهرُ من أن يُوصف، وقد كان في الزمان التي ظهرت فيه الفتنُ والأهواءُ، وقد أخبر أنَّه ما أدرك أحدا من العلماء يفسرها؛ أي تفسير الجهمية.)

(

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لا زال الشيخ في مَعْرِضِ هذه النُّقولِ عن هؤلاء الأئمةِ الكبار، الذين تَنَوَّعَتْ مشاربهم في كون بعضهم مُتَخَصِّصًا في جانبِ الفقهِ، وبعضهم في جانب الحديث، وبعضهم في جانب اللغة، لإقامةِ الحجَّةِ على هؤلاءِ الأتباع على اختلاف مشاربهم.

فعندنا مثلاً الإمامُ أبو عُبَيْدٍ -رحمه الله- القاسمُ بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ، من الأئمة في الفقه، ومن الأئمة في اللغة، ومن الأئمة في الحديث. نَقَلَ عنه البيهقيُّ صاحبُ السُّنَنِ في كتابه "الأسماء والصفات" يقول: هذه الأحاديث التي يقول فيها -أي النبي صلى الله عليه وسلم- (ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غِيَرِه)، وتَقَدَّمَ هذا الحديثُ. ومعنى قنوط عباده؛ أي يأسهم لقلة الأمطار وجدْب الأرض، وقرب غِيَرِه؛ أي قرب تغيُّر الحال من الجدب إلى الخصب. والشاهد من الحديث: (ضَحِكَ ربُّنا..) إثباتُ صفة الضحك. وأن (جهنم لا تمتلئ حتى يضع ربك قدمه فيها)، وهذا الحديثُ ثابتٌ في صحيح مسلمٍ. والشاهد من الحديث إثباتُ صفة القدم لله -عزّ وجلّ-. و(الكرسي موضع القدمين)، وهذا -أيضًا- ثابتٌ مَرْوِيٌّ موقوفًا على ابن عباسٍ وأبي موسى، ولكن له حكمُ الرفع كما قال الأئمة؛ لأنه مما لا يَسُوغُ فيه الاجتهادُ. والكرسي الوارد في النصوص موضع قَدَمَيْ الربِّ -سبحانه وتعالى-.

يقول: وهذه الأحاديث في الرؤيا هي عندنا حق. حقٌّ على ظاهرها، لا نردُّها كما رَدَّها المعطلة، ولا نطعن في صحتها، ولا نطعن في دلالتها. هي حق ثابت، ودلالتها ثابتة على ظاهرها.

حملها الثقات بعضهم عن بعض: بمعنى أنها ثابتة لا مَطْعَنَ في إسنادِها كما رَدَّ المعطلةُ هذه الأحاديثَ بحجةِ أنها خبرُ آحاد، ولا تقبل في باب الاعتقاد.

غير أن إذا سئلنا عن تفسيرها؛ لا نفسرها: أيُّ تفسير؟ ذكر الشيخ أنه تفسير الجهمية. التفسير الذي يَصرفها عن ظاهرها إلى المعنى البعيد والمعنى الباطل.

وما أدركنا أحدا يفسرها: من القائل؟ أبو عُبَيْدٍ -رحمه الله-. يقول: ما أدركنا أحدًا مِنَ الأئمةِ والعلماءِ يُفسِّرُها هذا التفسيرَ الباطلَ الذي هو التأويل.

الشيخ جاء في جملةٍ اعتراضيَّة فيها الثناءُ على أبي عُبَيْدٍ وبيانُ مكانتِه، وأنه إذا قال مثل هذا الكلام؛ فكلامه مُعْتَبَرٌ وهو أحد الأئمة الأربعة.

الرابط بين الشافعي وأحمد وإسحاق وأبو عُبَيْدٍ.

أنهم متقاربون وفي زمنٍ متقاربٍ رحمهم الله، ولهذا هو يقول الشيخ: وقد كان في الزمان الذي ظهرت فيه الفتن والأهواء. وعاش ما بين سنة ١٥٧ و٢٢٤هـ.

يقول: ألا نستطيع أن نردَّ على الذين يُنكرون أنَّ الله في السماء في قول الله تعالى: ؟ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ؟ [فاطر: ١٠]؟

بلى، هذه من الأدلة التي استدل بها أهل العلم على إثبات صفة العلو لله -عزّ وجلّ-، وذكر الشيخ شيئًا من ذلك فيما تقدم؛ لأنَّ الصعود هو ما يكون من أسفل إلى أعلى.

(وروى اللالكائيُّ والبيهقيُّ عن عبد الله بن المبارك أنَّ رجلاً قال له: يا أبا عبد الرحمن! إني أكره الصفة -عنى صفة الرب-، فقال له عبد الله بن المبارك: «أنا أشدُّ الناس كراهةً لذلك، ولكن إذا نَطَقَ الكتابُ بشيءٍ؛ قلنا به، وإذا جاءتِ الآثارُ بشيءٍ؛ جَسَرْنَا عليه»، ونحو هذا.

أراد ابن المبارك أنَّا نَكرهُ أن نبتدئَ بوصفِ اللهِ من ذاتِ أَنْفُسِنا حتى يَجِيءَ به الكتابُ والآثارُ.)

)

قول ابن المبارك هنا يُقَرِّرُ مسألة التوقيف في الأسماء والصفات، وأنَّ الإنسان لا يَنسِبُ إلى اللهِ -عزّ وجلّ- من نفسِه شيئًا منَ الصفاتِ. ليس فيها اجتهاد، ولا قياس، بل يقف مع النص.

يقول ابن المبارك: وإذا ورد النص؛ قلنا به، وجسرنا عليه؛ أي أثبتناه. فالله -عزّ وجلّ- أعلمُ بما يستحقُّه ويجوز عليه، وما لا يجوز عليه. والنبيُّ -صلى الله عليه وآله وسلم- أعلمُ الأمةِ بما يَجوزُ على ربِّه وما لا يجوز على ربِّه. فإذا أثبَتَ النبيُّ -صلى الله عليه وآله وسلم- لربِّه شيئًا؛ أثبتناه، وإذا أثبت الله -عزّ وجلّ- لنفسه شيئًا؛ أثبتناه، ونحن مطمئنةٌ نفوسُنا بذلك دون تَحَرُّجٍ، لكن إذا لم يثبت النص بهذا؛ توقفنا.

(وروى عبد الله بن أحمد وغيرُه بأسانيدَ صحاحٍ عنِ ابن المبارك أنه قيل له: بماذا نعرف ربَّنا؟! قال: «بأنه فوق سماواته على عرشه، بائنٌ من خلقه، ولا نقول كما تقول الجهمية: إنه ها هنا في الأرض»، وهكذا قال الإمام أحمد وغيره.)

أيضًا هذا نصٌّ من ابن المبارك على إثبات أنَّ الله فوق السموات، وأنه مُباينٌ للخلق غيرُ مُخْتَلِطٍ وغيرُ مُمْتَزِجٍ كما تَزعم الجهميَّة.

(وروى بإسناد صحيح عن سليمان بن حرب الإمام: سمعت حماد بن زيد وَذَكَرَ هؤلاء الجهمية فقال: «إنما يُحاولون أن يقولوا: ليس في السماءِ شيء». وروى ابن أبي حاتمٍ في كتابه "الرد على الجهمية" عن سعيد بن عامر الضُّبَعِيِّ إمامِ أهلِ البصرةِ علمًا ودينًا من شيوخ أحمد أنَّه ذُكِرَ عنده الجهميةُ فقال: «هم شرٌّ قولاً من اليهودِ والنصارى، وقد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش، وقالوا هم: ليس عليه شيء».)

أيضًا روى عبد الله بن الإمام أحمد عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد، وقد ذكر عند هؤلاء الجهميةُ فقال: إنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء شيء.

نَقَلَ ابنُ القيِّم عن شيخ الإسلامِ أنَّ هذا الشيءَ الذي كان يَتَحَرَّجُ منه المتقدمون -وهو نفيُ أن يكون في السماء شيءٌ- صَرَّحَ به المتأخرون من الجهمية بعد أن ضَعُفَتِ السُّنَّةُ وانْقَرَضَتِ الأئمة. كانوا سابقا يُحاولون ويُلَمِّحُون ويُدَنْدِنُون. يقول الشيخ: لا، أما المتأخرون؛ فصرحوا أنْ ليس في السماء شيءٌ.

ونقل أيضا عن ابن أبي حاتمٍ في كتابِ "الردّ على الجهمية" -وهذا منَ الكتب المفقودة يسر الله العثور عليها! وهو كتاب قيم- عن سعيد بن عامر الضُّبَعِيِّ المتوفى سنة ٢٠٨هـ إمام أهل البصرة علمًا ودينًا من شيوخ الإمام أحمد أنَّه ذُكِرَ عنده الجهمية فقال: هم شرٌ قولاً من اليهود والنصارى؛ أي قولهم هذا أسوأ من قولِ اليهود والنصارى، ولم؟ قال: وقد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أنَّ الله على العرش، وهؤلاء ماذا قالوا؟ ليس عليه شيء.

(وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة إمامُ الأئمة: «من لم يقل: إن الله فوق سماواته على عرشه بائنٌ من خلقِه؛ وَجَبَ أنْ يُسْتَتَابَ، فإن تاب وإلا؛ ضُرِبَتْ عُنُقُه، ثم أُلْقِيَ على مَزْبَلَةٍ؛ لئلا يَتَأَذَّى بنَتَنِ ريحِه أهلُ القبلةِ، ولا أهلُ الذِّمَّةِ». ذكره عنه الحاكم بإسناد صحيح.)

وهذا قول محمد بن إسحاق بن خزيمة إمام الأئمة صاحب كتاب "التوحيد" وصاحب كتاب "الصحيح". يقول: من لم يقل: إن الله فوق سماواته على عرشه بائنٌ من خلقه؛ وجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا؛ ضربت عنقه. هذا من باب التغليظِ منَ الأئمة والعلماءِ على مثل هؤلاء. يقول ينبغي أن يستتابوا فإن تابوا وإلا؛ ضربت أعناقهم. ولهذا لاحظْ: ثم ألقي على مزبلة لئلا يتأذى؛ أي لا يدفن في مقابل المسلمين ولا في مقابل أهل الذمة؛ لأن الذمة يثبتون أن الله فوق سماواته، يقول: ذكره عنه الحاكم بإسناد صحيح في كتابه "معرفة علوم الحديث".

(وقد روى عبد الله بن أحمد عن عَبَّاد بن العَوَّام الواسطيِّ إمام أهل واسط من طَبَقَةِ شيوخ الشافعيِّ وأحمدَ. قال: «كَلَّمْتُ بِشْرًا المَرِيسيَّ وأصحابَ بشرٍ، فَرَأَيْتُ آخِرَ كلامِهم ينتهي أن يقولوا: ليس في السماء شيء».)

وهذا -أيضًا- عباد بن العوام الواسطي المتوفى سنة ١٨٥هـ لاحظْ أنه يقول: كلمت بشرًا المريسي من المعتزلة وأصحاب بشر فرأيت...، يعني ناقشتهم وناظرتهم وجلست معهم فرأيت أن آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا: ليس في السماء شيء. لكن لا يستطيعون أن يصرحوا بهذا الكلام. فإذا نَفَوْا عنِ الله جميعَ الصِّفات، وقالوا: إن الله ليس داخلَ العالم ولا خارجَه، وليس فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال؛ إذن ما هو؟! لا شيء.

(وعن عبد الرحمن بن مهديٍّ الإمام المشهور أنَّه قال: «ليس في أصحابِ الأهواءِ شرٌّ منْ أصحابِ جَهْمٍ؛ يدورون على أن يقولوا: ليس في السماء شيءٌ. أرى -والله- أنْ لا يُنَاكَحُوا ولا يُوَرَّثُوا». وروى عبد الرحمن بن أبي حاتمٍ في كتاب "الرد على الجهمية" عن عبد الرحمن بن مهدي قال: «أصحابُ جَهْمٍ يُريدون أن يقولوا: إن الله لم يُكَلِّمْ موسى، ويريدون أن يقولوا: ليس في السماء شيء، وإنَّ الله ليس على العرشِ. أرى أن يُستتابوا، فإن تابوا وإلا؛ قتلوا».)

كلّ هذه النصوص من باب التَّغليظ على هؤلاء، وبيان حقيقةِ مذهبِ هؤلاءِ الجهميَّة.

(وعن الأصمعيِّ قال: «قَدِمَتْ امرأةُ جهمٍ، فنزلت الدَّبَّاغين. فقال رجلٌ عندها: الله على عرشه. فقالت: محدودٌ على محدودٌ؟ وقال الأصمعي: كافرةٌ بهذه المقالة».)

الأصمعيُّ صاحبُ اللغةِ المعروفُ المشهورُ يقول: قدمت امرأة جهم فنزلت الدباغين. هذا لعله موضعٌ أو مكان. فقال رجل عندها: الله على عرشه. فَرَدَّتْ عليه مباشرة: محدود على محدود؟ تريد أن تنفي أن يكون الله -عزّ وجلّ- على عرشه. ولهذا قال الأصمعي: كافرة بهذه المقالة؛ لأنها تنفي أن يكون الله مستويًا على عرشه عاليًا على خلقِه.

تَأَثَّرَتْ بمذهب زوجها؟

نعم، تأثرت.

(وعن عاصم بن عليّ بن عاصمٍ شيخ أحمدَ والبخاريِّ وطبقتِهما قال: «ناظرتُ جهمًا فتَبَيَّنَ من كلامِه أنَّه لا يُؤمن أنَّ في السماء ربًّا».

وروى الإمام أحمد: حدثنا سُرَيْجُ بن النُّعْمَان، قال: سمعت عبد الله بن نافعٍ الصائغُ، قال: سمعت مالك بن أنس يقول: «الله في السماءِ، وعلمُه في كلِّ مكانٍ، لا يخلو من علمه مكانٌ». وقال الشافعيُّ: «خِلافةُ أبي بكرٍ -رضي الله عنه- حقٌّ قَضَاهَا الله في سمائِه، وَجَمَعَ عليه قلوبُ عبادِه».)

)

لاحظْ أنَّ المؤلفَ -رحمه الله- نقل عنِ الإمام مالك، ونقل عنِ الإمام الشافعيِّ لِيُبَيِّنَ لأتباعِ هؤلاء أنَّ هذا كلامُ أئمتِكم؛ فالواجبُ أنْ تَتَمَسَّكُوا به كما تَمَسَّكْتُم بكلامِهم في مسائلِ الفروعِ.

(وفي الصحيحِ عن أنس بن مالك قال: كانت زينب تفتخرُ على أزواجِ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- تقول: «زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكنَّ وَزَوَّجَنِي الله مِنْ فوق سَبْعِ سماوات». وهذا مِثْلُ قولِ الشافعيِّ.)

يريد الشيخ أنْ يَسْتَدِلَّ بقولِ الشافعيِّ لَمَّا قال: خلافة أبي بكر -رضي الله عنه- حق قضاها الله في سمائه، وجمع عليه قلوب عباده؛ أي جمع على خلافتِه. الشيخ يقول: يَشهد لكلامِ الإمام الشافعيِّ قولُ زينبَ -رضي الله عنها- لَمَّا كانتْ تفتخر على أزواج النبيِّ -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنَّ الله هو الذي زَوَّجَها: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماواته. كما ثَبَتَ في صحيح البخاريِّ.

(وقصةُ أبي يوسفَ صاحبِ أبي حنيفة مشهورةٌ في استتابةِ بِشْرٍ الْمَرِيسي حتى هَرَبَ منه لَمَّا أَنْكَرَ الصفاتِ، وأظهرَ قولَ جهمٍ. قد ذكرها ابن أبي حاتمٍ وغيره.

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زَمَنِين -الإمامُ المشهورُ من أئمة المالكية- في كتابه الذي صنفه في أصول السنة. قال فيه: «باب الإيمان بالعرش». قال:

«ومن قول أهل السنة: إن الله -عزّ وجلّ- خَلَقَ العرشَ واخْتَصَّه بالعلوِّ والارتفاع فوق جميع ما خَلَقَ، ثم استوى عليه كيف شَاءَ، ثم أخبر عنْ نَفْسِهِ في قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥]، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ ﴾ [الحديد: ٤]، فسبحان من بَعُدَ وَقَرُبَ بِعِلْمِه فَسَمِعَ النَّجْوَى».

وذكر حديث أبي رَزِينٍ العُقَيْلِيِّ قلت: يا رسول الله! أين كان ربُّنا قبل أن يخلقَ السماوات والأرض؟ قال (فِي عَمَاءٍ مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ).)

)

بدأ الشيخ -الآن- بهذا النَّقْلِ عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين المتوفى سنة ٣٩٩هـ من أئمة المالكية، له كتاب صنفه في أصول السنة وقد طبع أخيرا، يَرُدُّ -فيه- على أتباع مذهبِ الإمام مالكٍ الذين خالفوه في أصول الاعتقاد يقول: ومن قول أهل السنة: إن الله -عزّ وجلّ- خلق العرش واختصه بالعلوِّ والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه في قوله: .. ثم ذكر الأدلة يقول: فسبحان من بَعُدَ؛ أي بعد بذاته -سبحانه وتعالى-، ذاته فوق الخلق، وقَرُبَ بعلمه فسمع النجوى. والقرب -كما سبق الكلام عليه-

أن قرب الله -عزّ وجلّ- قرب مِنْ عابديه بالإثابة وقرب مِنْ داعِيه بالإجابة. ولهذا قال الله -عزّ وجلّ-: ﴿ فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود: ٦١]، ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فالله -عزّ وجلّ- قريبٌ مِمَّنْ دعاه بالإجابةِ، وقريب ممن عبده بالإثابة.

ثم ذكر حديث أبي رزينٍ العقيليّ قلت: يا رسول الله! أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال: (فِي عَمَاءٍ مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ). والحديثُ مُتَكَلَّمٌ فيه، وَمَدَارُه على وكيع بن حَدْس أو عَدْس -على اختلاف في اسمه-، وقد ضَعَّفَه جمهورُ الأئمةِ، وعلى كل حال صفةُ العلو ليست متوقفةً على هذا الحديث. وعلى فرض صحة الحديث؛ فإن "في عماء"؛ أي فوق السحاب عماء، وما تحته؛ أي تحت العماء هواء لئلا يَتَبَادَرَ إلى ذهنِ الشَّخْصِ شيءٌ من التشبيهِ أو التمثيلِ. ما فوقه وما تحته؛ أي فوق هذا السَّحاب.

(قال محمد: العماء: السحاب الكثيف المُطْبِق فيما ذَكَره الخليلُ. وذكرا آثارًا أُخَرَ. ثم قال: «باب الإيمان بالكرسي». قال محمد بن عبد الله: ومن قول أهل السنة: إنَّ الكرسي بين يديْ العرش، وأنه موضع القدم. ثم ذكر حديثَ أنسٍ الذي في التَّجَلِّي يومَ الجمعة في الآخرةِ، وفيه: (فإذا كان يوم الجمعة هَبَطَ من عِلِّيينَ على كرسِيِّه، ثم يَحُفُّ بالكرسيِّ مَنَابرُ من ذهبٍ مُكَلَّلَةٌ بالجواهر، ثم يجيء النَّبِيُّون فيَجلسون عليها).)

ثم ذكر محمد بن أبي زمنين -رحمه الله- باب الإيمان بالكرسي، وَتَقَدَّمَ الدليلُ عليها من حديث ابنِ عباس وأبي موسى وحديث أنسٍ هذا وهو حديث التَّجلِّي يومَ الجمعة، والحديث ثابتٌ، ولهذا ذكره الأئمة، وعُنُوا بهذا الحديثِ وَخَرَّجُوه في مصنفاتهم.

والحديث: (أتاني جبريل بالجمعة وهي كالمرآة البيضاء..) وذكر الحديث، وفيه أن الرب -تبارك وتعالى- (اتخذ في الجنة واديًا من مسكٍ أبيضَ، فإذا كان يومُ الجمعة هَبَطَ من عليين على كرسيه، ثم يحف الكرسيَّ بمنابرَ من ذهبٍ مُكَلَّلَةٍ بالجواهر، ثم يجئ النبيون فيجلسون عليها).

(وذكر ما ذكره يحيى بن سلاَّم صاحبُ التفسيرِ المشهورِ حدثني الْمُعَلَّى بن هلالٍ عن عمَّار الدُّهْنِيِّ عن سعيد بن جُبَيْرٍ عن ابن عباسٍ -رضي الله عنهما- قال: «إنَّ الكرسيَّ الذي وسع السَّماوات والأرض لَمَوْضِعُ القدمَيْن لا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه».)

وتقدم الكلام -أيضًا- على هذا على؛ أن الكرسي هو موضع القدمين -قدمي الرب سبحانه وتعالى-، والسماوات والأرض في جوفِ الكرسيِّ. وكما ذكر ابن عباس نسبتها إلى الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة، ونسبة الكرسي للعرش كحلقة ملقاة في فلاة، والعرش لا يَقدر قدْرَه إلا الله -عزّ وجلّ-، والله فوق العرش وهو الممسكُ للعرشِ وما دون العرش -سبحانه وتعالى-.

إذن العقل لا يمكن أن يدرك حقيقة هذا الكرسيِّ. نلاحظ هذه السماوات العظيمة وهذه الأرضين كلها في جوفِ الكرسي كحلقة ملقاة، والعرش أعظمُ والله أعظمُ منَ العرش. فإذا كان العقل لا يمكن أن يدركَ حقيقة هذا الكرسي وحقيقة العرش وهما مخلوقان من مخلوقاتِ الله -عزّ وجلّ-؛ فمن بابِ أولى أن لا يُدركَ حقيقةَ اللهِ -سبحانه وتعالى-.

لنا وقفة لها جانبٌ تربويٌّ أنَّ الإنسان إذا قرأ مثل هذا النصوص وطالع فيها؛ تَبَيَّنَ له قَدْرُ نفسِه بالنسبةِ لمخلوقاتِ اللهِ. فلا يُدْلِي على الله -عزّ وجلّ- بعملٍ عَمِلَه. من أنت في جنب هذه المخلوقات الذي على وجه الأرض؟! ماذا تمثل؟! لا شيء. لاحظ قدر السماوات والأرض بالنسبةِ للكرسي. لاحظ الكرسي بالنسبة للعرش، والله أعظمُ وأجلُّ. ولهذا فإن هذه النصوص تكون حافزًا للإنسان في الاجتهاد في عبادة الله -عزّ وجلّ-. أنت أيها المخلوق الضعيف الذي تعتبر ذرة من ذرة من ذرة تَتَمَرَّدُ على الله علمًا بأنَّ السماوات وبما فيها والأرضين

خاضعةٌ للهِ -عزّ وجلّ-، تُسَبِّحُ للهِ -عزّ وجلّ- عابدة للهِ -عزّ وجلّ-، ثم تأتي أنت أيها الإنسان الذي من الممكن أن تُقْعِدَكَ الشوكةُ وتتمرد على طاعة الله؟ تَتَأَلَّى على الله -عزّ وجلّ-، تتكبر على طاعة الله -عزّ وجلّ-.

(وذكر حديث أسد بن موسى، حَدَّثَنا حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زرٍّ عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: «ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسيِّ والماءِ مسيرةُ خمسمائة عامٍ والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه».)

الحديث صحيح هذا الحديث الذي فيه أنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- كان في عصابة من أصحابه في بَطْحَاءَ في مكة فسَألهم في حديث طويل. وذكر هذا الحديث ليبين من خلاله أن الله عالٍ على خلقه -سبحانه وتعالى-.

(ثم قال: «باب الإيمان بالْحُجُبِ». قال: ومن قول أهل السنة: إن الله بَائِنٌ منْ خلْقِهِ يَحْتَجِبُ عنهم بالْحُجُبِ، فتعالى الله عَمَّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا. ؟ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ؟ [الكهف: ٥]، وذكر آثارا في الحجب.)

وهذا ثابتٌ وهو من عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ أنَّ الله محتجبٌ عَنْ خلقِه بحجبٍ كما ثَبَتَ في صحيح مسلمٍ: (حجابه النور)، وفي رواية: (النار)، (لو كَشَفَه؛ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وجهه ما انتهى إليه بَصَرُه مِنْ خَلْقِه)؛ أي لاحترقَ كُلُّ الخلق، لاحترقت هذه المخلوقاتِ. لكنَّ الله -عزّ وجلّ- حفظها بهذه الحجب. ولهذا لمَّا سأل أبو ذرٍّ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- ليلة الإسراء هل رأيتَ ربك؟ والمعروف أنه صعد إلى سدرة المنتهى يعني جاوز الموضع الذي يَصل إليه جبريلُ. جبريلُ تَوَقَّفَ في إحدى المراحل، قال: إلى هنا حُدَّ لي، أما أنت؛ فاصعد إلى ربِّك. فسأله أبو ذرٍّ: هل رأيتَ ربك؟ قال: (نُورٌ أَنَّى أَرَاه)، أو (حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَه النُّورُ)، فمنْ عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ أنَّ الله احتجب عن خلقِه بهذه الحجب.

ما زالت الإيرادات من كتاب أصول السنة؟

نعم، لا زالت، وسيطيل الشيخ.

هو كتاب مشهور؟

نعم، هو كتاب مشهور ومنشور، وهو حجة على أتباع الإمام مالكٍ مِمَّنْ خالفوا أئمة المالكيَّة المتقدمين، وعلى رأسهم الإمام مالك وتلامذته الذين خالفوهم في الأصول.

(ثم قال في باب الإيمان بالنزول قال: ومن قول أهل السنة: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا، ويؤمنون بذلك من غير أن يَحُدُّوا فيه حدًّا، وذكر الحديث من طريق مالكٍ وغيره. إلى أن قال: وأخبرنا وَهْبٌ عن ابنِ وضَّاحٍ عن زُهَيْرِ بن عَبَّاد قال: «مَنْ أَدْرَكْتُ منَ المشائخ -مالك، وسفيان الثوريِّ، والفضيلِ بن عياضٍ، وعيسى، وابن المبارك، ووكيع- كانوا يقولون: النُّزُولُ حَقٌّ، قال ابن وَضَّاح: سألت يوسفَ بنَ عديٍّ عن النُّزُول قال: نعم، أُؤْمِنُ به ولا أَحُدُّ فيه حَدًّا. وسألت عنه ابنَ مَعِينٍ فقال: أُقِرُّ به ولا أَحُدُّ فيه حَدًّا.)

ثم ذَكَرَ الإيمانَ بالنزولِ وَذَكَرَ الأحاديثَ التي وَرَدَتْ في ذلك، وهي متواترةٌ عن النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- رواها ثلاثة عشر صاحبيًّا، وقد أَلَّفَ فيها أهلُ العلمِ استقلالاً، وقد جمع الدَّارقطنيُّ فيها كتابًا سماه «حديث النزول».

يؤمن أهل السنة -كما ذكر ابن أبي زمنين- بذلك ولا يَحُدُّون فيه حَدًّا يعني لا يُكَيِّفُون، يثبتون أنَّ الله ينـــزل حين يَبقى ثلثُ الليلِ الآخر نزولاً يَلِيقُ بجلالِه وعظيمِ سلطانِه، والنزولُ دائما المعهودُ من كلامِ العربِ هو النزولُ من أعلى إلى أسفل ليس من أسفل إلى أعلى. لكنْ كيفيةُ هذا النزولِ الله أعلم. وهل إذا نزل يعلو عليه شيءٌ مـــن خلقه؟ نقول: لا، ينزل وهو عالٍ على الخلقِ -سبحانه وتعالى-. كيفية هذا النزول الله أعلم. ونقل عـــن هـــؤلاء الأئمة جميعا أنهم أثبتوا النزولَ ولم يَحُدُّوا فيه حَدًّا.

يقول: لو علمت أنَّ شخصًا ماله من الربا فأقام وليمةً ودعاني إلى الوليمة؛ هل آثم إذا أتيت هذه الوليمة وأكلت منها؟

صاحب المالِ الحرام قَسَّمَه أهلُ العلم إلى قسمين:

مَنْ ماله مُخْتَلِطٌ، ومن ماله منَ الحرامِ كاملاً صرفًا.

أما من كان ماله مختلطًا؛ فلا بأسَ أن يأكلَ الإنسان من ماله. فإذا دعاه إلى وليمة؛ فله أن يأكـــل. والنبـــي -صلى الله عليه وسلم- دعاه اليهود وعملوا له وليمةً فأجابهم وأكل من طعامهم، علمًا أنَّ اليهود مالُهم مختلطٌ فيـــه ربا وفي غير الربا.

لكنْ من كان ماله حرامًا خالصًا وتعرف أنَّ كلَّ دخلِ هذا الرجلِ هو من الربا، فهل يأكلُ منه الإنـــسانُ أم لا؟ اختلف في ذلك أهل العلم، وروي عن أنس -رضي الله عنه- أنه قال: "كُلْ؛ مَغْنَمُه لك، وَمَغْرَمُه على غيـــرك". وذَهَبَ بعضُ أهلِ العلمِ إلى أنَّ الأولى تَرْكُ مثل هذا المال.

يقول: ما هو الاسم الصحيح المعلى بن هلال أم العلاء بن هلال؟

المعلى بن هلال.

(قال محمد: وهذا الحديثُ يُبَيِّنُ أنَّ الله -عزّ وجلّ- على عرشِه في السماءِ دون الأرضِ، وهو -أيضًا- بَـــيِّنٌ في كتابِ اللهِ وفيما غيرِ حديثٍ عنْ رسولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-.

قال الله -تعالى-: ؟ يُدَبِّرُ الأمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ؟ [السجدة: ٥].

وقال تعالى: ؟ أَأَمِنْتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ؟١٦؟ أَمْ أَمِنْتُم مَّن فِي الـــسَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ؟ [الملك: ١٦: ١٧].

وقال تعالى: ؟ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ؟ [فاطر: ١٠].

وقال: ؟ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ؟ [الأنعام: ١٨].

وقال تعالى: ؟ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ؟ [آل عمران: ٥٥].

وقال تعالى: ؟ بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ ؟ [النساء: ١٥٨].)

)

هذه النصوص سبق ذِكْرُها وإيرادُها، وأنها من الأدلَّة الصريحةِ في إثباتِ صفةِ العلوِّ لله -عزّ وجلّ-، وأنها لا تَقْبَلُ التأويلَ بحالٍ منَ الأحوال.

لكنْ سبق وأنْ مَرَّ معنا بعض الآيات أو بعض الأحاديث يَسْتَشْهِدُ بها المتكلمون في نفي هذه الصفات. معناه أن الأمر يدخل بقوة في قضية التأويل بالنسبة لهم التأويل الفاسد. هل يُتَجَاوَزُ عن هذه الآيات والأحاديث التي يقولون إنها أخبار آحاد والآيات يُدخلون التأويلَ فيها بقوةٍ. هل يتجاوز مع أمور العقل وهو يكون المحكّ؟

لا، لا شكَّ أنه في مجال المناظرةِ يُناظرون بالعقلِ ويُستدل عليهم بالعقل، لكن لا يعني هذا أنهم إذا سَلَّطُوا التأويلَ على هذه النصوص أن نُهْمِلَ هذه النصوصَ. أن نورد عليهم هذه النصوص وأن نقول لهم: تأويلكم باطل، وتأويلٌ لا يُقِرُّه العقل ولا الشرع. وكذلك إذا رَدُّوا الأحاديثَ بحجةِ أنها خبرُ آحادٍ لا نُسَلِّمُ لهم، ونترك الاستدلالَ بها، بل نستدل بها ونقول إنَّ رَدَّكم لهذه الأحاديث بحجة أنها خبر آحاد بدعة، ولم يسبقهم إلى ذلك أحدٌ، وبناءً عليه ستُبْطَلُ أكثرُ الشريعةِ؛ لأنَّ مبناها على خبر الآحاد. والأحاديث المتواترة معدودةٌ، ولهذا حاول بعضُ أهلِ العلم حصرَها، ومنهم من أوصلها إلى خمسة عشر حديثًا فقط.

يُبدأ في المناظرة بالأشياء العقلية؟

لا، يُبدأ عليهم بنصوص الكتاب وبالسنة والعقل، وإذا كان مما يشهد له الفطرة كما صفة العلو فتذكر لهم دلالة الفطرة.

(وذكر من طريق مالكٍ قولَ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- للجاريةِ (أين الله)؟ قالت: في السماء، قال: (من أن)؟ قالت: أنت رسول الله، قال: (فأعتقها؛ فإنها مؤمنة).

قال: والأحاديث مِثْلُ هذا كثيرة جدًّا. فسبحان مَنْ عِلْمُه بما في السماءِ كعلمِهِ بما في الأرض لا إله إلا هو العلي العظيم.

وقال قبل ذلك: باب في الإيمان بصفات الله -تعالى- وأسمائه. قال: واعلمْ بأنَّ أهلَ العلم باللهِ وبما جاءتْ به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به -تعالى- عنْ نفسِه علمًا، والعجز عَمَّا لم يَدْعُ إليه إيمانًا، وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه وعلى لسان نبيه.)

)

وهذه القاعدة جميع الأئمة يُكررون ويؤكدون عليها: أنَّ الأسماء والصفات توقيفية، ولهذا يقول: ويرون الجهل بما لم يخبر به -تعالى- عن نفسه علما. كونك تُمْسِكُ وتجهلُ ما لم يذكرْه الله -عزّ وجلّ- هذا يعتبر علمًا.

والعجز عمَّا لم يَدْعُ إليه إيمانًا: هذا من الإيمان أن تقف عن الشيءِ الذي لم يَدْعُكَ الله -عزّ وجلّ- ولا رسوله إليه.

(وقد قال الله -تعالى- وهو أصدق القائلين: ؟ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ؟ [القصص: ٨٨].

وقال تعالى: ؟ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ ؟ [الأنعام: ١٩].)

)

دعونا نأخذها آية آية. أورد هو هذه الآيات ليُثبتَ بها الصفات. ؟ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ؟ يُؤخذ منها إثبات صفة الوجه.

؟ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ ؟ كون اللهِ –عزّ وجلّ– شهيدًا، ويُوصفُ بأنّه شيءٌ بهذه الآيةِ ؟ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ؟، استدل بها أهل العلم على إثباتِ أنَّ الله شيءٌ.

(وقال: ؟ وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ ؟ [آل عمران: ٢٨].)

؟ وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ ؟: إثبات الذاتِ، وهذا سيأتي فيها خلافٌ هل تُثبَتُ النفسُ للهِ صِفَةً زائدةً عنِ الذاتِ أم هي الذات؟

ذهب ابن خَفِيفٍ وأبو حنيفة –رحمه الله– كما في كتابه "الفقه الأكبر" إلى أنَّ النفسَ صفةٌ من صفاتِ اللهِ –عزّ وجلّ– زائدةٌ عن الله.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن النفسَ –هنا– هي الذاتُ، ومنه قوله تعالى: ؟ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ؟ [المائدة: ١١٦]، وحديث: (إذا ذَكَرَنِي في نفسِه؛ ذَكَرْتُه في نفسي)، وهذا الذي رَجَّحَه شــيخُ الإســلامِ أنَّ النفسَ هي الذات، وقال: إن العرب تقول: جاء فلان نفسُه؛ أي ذاتُه لتأكيدِ مجيئه.

(وقال: ؟ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ؟ [الحجر: ٢٩].

وقال: ؟ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ؟ [الطور: ٤٨].

وقال: ؟ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ؟ [طه: ٣٩].)

)

هذا إثباتٌ للعين لله –عزّ وجلّ–، وَثَبَتَ في السنة أنَّ له عينيْن كما ذكرنا في اللقاء ما قبل الماضي، وحــديث صحيح مسلمٍ أنَّ (ربكم ليس بأعور) حديث الدجال.

(وقال: ؟ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ؟ [المائدة: ٦٤].)

إثبات اليدين لله –عزّ وجلّ–.

(وقال تعالى: ؟ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ [الزمر: ٦٧].)

إثبات القبض، وأنَّ الله –عزّ وجلّ– يَقْبِضُ.

(وقال: ؟ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ؟ [طه: ٤٦].)

إثبات السمع والرؤية.

(وقال تعالى: ؟ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ؟ [النساء: ١٦٤].)

إثبات الكلام لله -عزّ وجلّ- حقيقةً.

(وقال تعالى: ؟ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ؟ [النور: ٣٥].)

يوصف بأنه نور السموات والأرض، إثبات صفة النور.

(وقال تعالى: ؟ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ؟ الآية [البقرة: ٢٥٥].)

إثبات صفة الحياة والقيومية، وهذا أيضًا من أسماء الله -عزّ وجلّ-.

(وقال تعالى: ؟ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ؟ [الحديد: ٣].)

يُسَمَّى الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، ويوصف بذلك. وقد فَسَّرَ ذلك النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- كما في صحيح مسلم: (اللهم أنت الأول؛ فليس قبلك شيء، والآخر؛ فليس بعدك شيء، والظاهر؛ فليس فوقك شيء) الظاهر بمعنى العلوِّ، (والباطن؛ فليس دونك شيء).

(ومثل هذا في القرآن كثير. فهو -تبارك وتعالى- نور السماوات والأرض كما أخبر عنه نفسه، وله وجهٌ ونفسٌ وغيرُ ذلك مِمَّا وصف به نفسَه. ويسمع ويرى ويتكلم، الأول ولا شيءَ قبله، والآخر الباقي إلى غير نهاية، ولا شيء بعده، والظاهر العالي فوق كلِّ شيء، والباطن بَطَنَ علمه بخلقه فقال: ؟ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ؟ [البقرة: ٢٩]. حيٌّ قيُّوم لا تأخذه سِنَةٌ ولا نومٌ.

وَذَكَرَ أحاديث الصفات ثم قال: فهذه صفات ربِّنا التي وَصَفَ بها نفسَه في كتابه، ووصفه بها نبيُّه، وليس في شيء منها تحديدٌ ولا تشبيهٌ ولا تقديرٌ: ؟ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ؟ [الشورى: ١١]، لم تره العيون فتحده كيف هو، ولكن رَأَتْه القلوبُ في حقائقِ الإيمان. انتهى كلامه.

وكلامُ الأئمةِ في هذا البابِ أطولُ وأكثرُ من أن تسع هذه الفتيا عُشْرَه، وكذلك كلام النَّاقلين لمذهبهم؛ مثل ما ذكره أبو سليمان الخطَّابي في رسالته المشهورة في "الْغُنْيَة عنِ الكلامِ وأهلِه" قال: فأمَّا ما سألتَ عنه من الصفات، وما جاء منها من الكتاب والسنة؛ فإنَّ مذهب السلف إثباتها وإجراؤها وعلى ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله وَحَقَّقَها قومٌ من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضَرْبٍ من التشبيهِ والتكييفِ وإنَّما القصد في السلوك الطريقةُ المستقيمةُ بين الأمرين، ودين الله -تعالى- بين الغالي فيه والمقصِّر عنه.)

)

وهذا أيضًا كلام أبي سليمان الخطابي -رحمه الله- وهذا الذي ذكَرْنا سابقا هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، وقلنا: إن عنده شيئًا من التفويض، وهو شارح كتاب "صحيح البخاري"، وله كتاب -أيضًا- في غريب الحديث.

نقل عنه الشيخُ في رسالته المشهورة "الغنية عن الكلام وأهله" وهذه الرسالة لا زالت مفقودة. يقول: فأما ما سألتَ عنه من الصفات وما جاء من الكتاب والسنة، فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها.

كما سبق الكلام على ذلك ونفي الكيفية والتشبيه عنها. إثباتٌ مع نفي التشبيهِ والكيفيةِ أي وسط، ولهذا يقول: قد نفاها قوم؛ أي نَفَوْا التشبيهَ والكيفيةَ.

لكنهم غَلَوْا في ذلك حتى نفوا الصفات، كحال المعطلة، فالمعطلة أرادوا تنزيهَ الله –عزّ وجلّ–، لكنهم غَلَوْا في هذا الجانبِ فَأَفْضَى بهم هذا الغلوُّ إلى الخروج إلى القولِ بالتعطيلِ.

فأبطلوا ما أثبته الله وحققها قوم: أثبتوها؛ أثبتوا هذه الصفات لكنهم غَلَوْا في هذا الإثباتِ حتى أَفْضَى بهم هذا الغلوُّ إلى التمثيلِ.

فَخَرَجُوا في ذلك إلى ضربٍ إلى التشبيه والكيف وإنما القصد: القصد الاعتدال والوسط في السلوك، والطريقة المستقيمة بين الأمرين بين التمثيل والتعطيل.

ودين الله –تعالى– بين الغالي والمقصر عنه: ولهذا لو أخذتَ كلَّ قضيةٍ من قضايا أصول الدين التي اختلفت فيها الأمة؛ لوجدت أنَّ منهج أهل السنة والمنهجَ الحقَّ هو الوسط، تجد فيه شخصًا أو طائفةً غاليةً والطائفة الأخرى جافية، هما على طرفيْ نقيض.

خذ أيَّ مسألةٍ من مسائلِ أصولِ الدين: القدر بين القدرية النفاة وبين الجبريةِ.

أصحاب النبيِّ –صلى الله عليه وسلم–: بين الخوارج وبين الرافضة، هؤلاء غلوا في هؤلاء وهؤلاء كفروا هؤلاء.

الإيمان: بين المرجئة والوعيدية. أي مسألة من مسائل أصول الإيمان التي جَرَى الخلافُ فيها؛ تجد هناك تضادًّا، تجد طرفين وَوَسَطًا. أهل السنة دائما يمثلون المنهج الوسط.

في العقيدة وكذلك في الأعمال.

وفي السلوك. تلاحظ مثلا جانب العبادة هناك طائفة غَلَتْ في العبادات حتى أفضى بهم الأمر للخروج إلى البدع؛ كحال الصوفية، وهناك أناس كحال من غَلا في الإرجاءِ والتساهل بالعبادات حتى ترك ما أَمَرَ الله –عزّ وجلّ– به. لكنَّ أهل السنة وَسَطٌ.

(والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، يُحْتَذَى في ذلك حَذْوَه وأمثاله. فإذا كان معلومًا أنَّ إثباتَ الباري –سبحانه– إنما هو إثبات وجودٍ لا إثبات كيفية، وكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات صفاته إنما هو إثبات وجوده لا إثبات تحديد وتكييف.)

وهذه قاعدة سَبَقَ أنْ ذكَرْناها أيضًا، قاعدة يُرَدِّدُها شيخُ الإسلام وليس بِدْعًا في هذا الأمرِ. ولهذا نقلها عن أبي سليمان الخطابي أنَّ القول في الصفات كالقول في الذات. يقال لأيِّ مُعَطِّلٍ: أن تثبت الذات أم لا تثبت الذات؟ فلا بدَّ أن يقول إنه يثبت الذات؛ لأنه إذا وصل الأمر إلى نَفْي الذات فمعناه أنه نفى وجودَ اللهِ –عزّ وجلّ–. فإذا كنت تثبت الذات؛ فأثبتْ لهذه الذاتِ الصفاتِ.

وإثبات الذات إثباتُ وجودٍ لا إثبات كيفية. أنت إذا أثبت لله الذاتَ لا تُكَيِّفُ ولا تقول إن ذات الله –عزّ وجلّ– كذاتِ المخلوقين، كذلك صفات هذه الذات إثباتُ وجودٍ لا إثبات كيفية.

سؤال المراجعة:

ما معنى قول الأئمة –رحمهم الله–: آخِرُ كلامِ الجهميَّةِ يَنتهي إلى القولِ بأنْ ليس في السماءِ شيءٌ؟

الدرس الحادي والعشرون

تابع باب الإيمان بالعرش

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله أصحابة أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لعلنا نبدأ كما هي العادة بذكر سؤال الدرس الماضي، ومن ثم نستعرض الإجابات الواردة.

سبق أن سألنا وقلنا: ما معنى كلام الأئمة إن كلام الجهمية هي تدور على أنْ ليس في السماء شيء؟

تقول: معنى قول الأئمة -رحمهم الله تعالى-: آخر كلام الجهمية ينتهي بالقول بأن ليس في السماء شيء، تقول:

قول الأئمة -رحمهم الله تعالى-: إن آخر كلام الجهمية ينتهي بالقول بأنْ ليس في السماء شيء بعد مناظرة علماء السنة، وأئمة الهدى للجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وأهل الكلام بالنصوص الصريحة الصحيحة والحجج العقلية والفطرية البينة، فإن الله -تعالى- فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه؛ تَبَيَّنَ أن لازم قول هؤلاء المُعَطّلة ومنتهاه بأنه ليس في السماء شيء، قال -تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥]، استواءً يليق بجلاله وكماله لا يُكَيَّفُ ولا يُحَدُّ.

ولكنهم ينفون عن الله -سبحانه- جميع الصفات ويقولون: إن الله ليس داخل العالم ولا خارجه، وليس فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، فهم ينفون أصلاً أنَّه شيءٌ -سبحانه- عما يقولون. فلا شَكَّ أنهم سينفون جميع صفاته قال -تعالى-: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ ﴾ [الأنعام: ١٩]، فيها حجة عليهم بأن الله -تعالى- شيء وقد صرَّحَ متأخروهم بما تَحَرَّجَ منه متقدموهم والله -تعالى- أعلى وأعلم.

نعم، الإجابة صحيحة خاصة في آخر إجابتها، هذا خلاصة الجواب، أنَّ الجهمية لما نفوا عن الله -عَزَّ وَجَلَّ- جميع الأسماء والصفات؛ لَزِمَ على هذا القول أنْ ليس في السماء إلهٌ، ليس في السماء شيء؛ لأن أيَّ شيءٍ لا بُدَّ أن يوصف بأيِّ صفةٍ وأقل صفةٍ أن يُوصَفَ بشيءٍ، فالغلاة من هؤلاء حتى نفوا أن يكون الله شيئًا.

نبدأ يا شيخ..

بسم الله الرحمن الرحيم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض حديثه وفتواه:

(والأصلُ في هذا أنَّ الكلام في الصفات فَرْعٌ عَنِ الكلامِ في الذَّات، يُحتذى في ذلك حَذْوَه وأمثاله، فإذا كان معلومًا أنَّ إثباتَ الباري -سبحانه- إنما هو إثباتُ وجودٍ لا إثباتُ كيفيَّةٍ؛ فكذلك إثباتُ صفاتِه إنما هو إثباتُ وجودٍ لا إثبات تحديدٍ وتكييف.

فإذا قلنا: يدٌ، وسمعٌ، وبَصَرٌ وما أشبهها؛ فإنما هي صفات أثْبَتَهَا الله لنفسه، ولسنا نقول: إنَّ معنى اليد: القوة أو النعمة، ولا معنى السَّمْع والبصر: العلم، ولا نقول إنها جوارح، ولا نُشَبِّهُها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارحُ وأدواتٌ للفعل.

ونقول: إنَّما وَجَبَ إثباتُ الصفاتِ؛ لأنَّ التوقيفَ وَرَدَ بها، وَوَجَبَ نَفْيُ التشبيهِ عنه؛ لأنَّ الله ليس كمثله شيء، وعلى هذا جرى قولُ السَّلَفِ في أحاديثِ الصفاتِ.

انتهى كلامه. هذا -كله- كلام الخطابيِّ.)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى لله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله أصحابة أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لا زال كلام المؤلف مع كلام الإمام الخطابي أبي سليمان -رحمه الله-. قال: (والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات): وهذه من القواعد المهمة التي يُرَدُّ بها على أيِّ مُعَطِّلٍ، ولهذا استخدمها شيخُ الإسلامِ -رحمه الله- كثيرًا في الردِّ على الْمُعَطِّلَة. وَبَيَّنَ قاعدتين مهمتين في الرد على الْمُعَطِّلَةِ: "القول في بعض الصفات كالقول في بعضٍ" وتقدم الكلام عليها، وهذه هي القاعدة الثانية: "القول في الصفات كالقول في الذات". فكما أن الإنسان يُثبت لله ذاتًا تختلف عن بقية الذَّوَاتِ لا تُشَبَّهُ بِذَوَاتِ المخلوقين فيلزمه أنْ يُثْبِتَ لهذه الذاتِ صفاتٍ لا تُماثِلُ صفات المخلوقين، وبهذا يَسْلَمُ من التَّمثيلِ الذي خَافَه هؤلاء الْمُعَطِّلَةُ.

ولهذا يقول الخطابي: والأصل في هذا؛ أي الأصل في باب الأسماء والصفات والكلام في باب الأسماء والصفات أنَّ الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات، فيُحْتَذَى في ذلك حَذْوَه وأمثاله. كما أنَّك تُثبت لله ذاتًا ولا أَحَدَ من المسلمين يَنفي الذاتَ عنِ الله -عَزَّ وَجَلَّ-؛ لأنَّه إذا نفى الذَّاتَ؛ قال بأنَّ الله عَدَمٌ، وَصَرَّحَ بهذا. فكما أنك تثبت لله ذاتًا فأثبتِ الصفات لهذه الذات.

(فإذا كان معلومًا أنَّ إثبات الباري -سبحانه- إنما هو إثبات وجود): إثبات الذات أنت تُثبت لها الوجود لا تثبت إذا أثبت وجود هذه الذات تقول: إنها مثل ذوات المخلوقين. يقول: لا إثبات كيفية، لا تَقُلْ: هذه الذات كيفيتها كذا وكذا وكذا. لا، تقول: للهِ ذاتٌ موجودةٌ، وكيفية هذه الذات الله أعلم بها.

هذه الذات مُتَّصِفَةٌ بهذه الصفاتِ؛ لها يَدان، لها عينان، لها سَمْعٌ، لها بَصَرٌ، لها عِلْمٌ، لا تُشَابِهُ ولا تُمَاثِلُ صفات المخلوقين.

يقول: (فكذلك إثباتُ صفاتِه إنَّما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف): فأنا إذا أَثْبَتُ لله -عَزَّ وَجَلَّ- وأَثْبَتُ لهذه الذات صفاتٍ؛ فأنا أثبت هذه الصفات إثباتَ وجودٍ، وأنَّ هذه الصفات موجودةٌ للهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، لكنَّ تكييفَها وتحديدَها ليس هذا من شأني، ولم يرد بهذا النصُّ.

ثم ضَرَبَ أمثلةً على هذه القاعدة قال: (فإذا قلنا: يد، وسمع، وبصر، وما أَشْبَهَهَا؛ فإنما هي صفاتٌ أَثْبَتَها الله لنفسه، ولسنا نقول: إن معنى اليد القوة): كما أولها الْمُعَطِّلَةُ من الأشاعرة وغيرهم. إذا جاؤوا النصوص المثبتةِ لليدِ؛ قالوا: لا، معنى اليد ليست اليدَ الحقيقية ليست اليدَ التي هي صفة، وإنما اليدُ المقصودُ بها النعمة أو القوة، ونحو ذلك من التَّأويلات الباطلة التي لا مُسْتَنَدَ لهم فيها لا مِنْ شرعٍ ولا من عقلٍ.

يقول: (ولا معنى السمع والبصر العلم): كما زَعَمَ الجهمية والمعتزلة، فجميع المعتزلة ينفون عن الله -عَزَّ وَجَلَّ- السمعَ والبصرَ، بخلافِ الأشاعرةِ فإنهم يُثبتون السمعَ والبصرَ؛ لأنَّ السَّمْعَ والبصر ضِمْن السبع الصفات التي يثبتونها. أما المعتزلة والجهمية؛ فينفون عنِ الله جميعَ الصفاتِ.

قلنا: وَرَدَ في النصوص إثباتُ السَّمعِ والبصرِ للهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

قالوا: لا، معناه العلم.

(ولا نقول إنها جوارح): يعني نحن نثبت هذه الصفات.

يقول الخطابيّ: (لكن لا نُثبِتُها على الوجه الثابت للمخلوق): هذه الصفات بالنسبة للمخلوق جــوارحُ أم لا؟ لا، لا نقول إنها جوارح، فلا نُشَبِّهُ ولا نُعَطِّلُ، هذا مقصود الخطابي أنْ نأخذَ الطريقَ الوَسَطَ.

(وإنما وَجَبَ إثباتُ الصفات؛ لأنَّ التوقيفَ وَرَدَ به): بمعنى أن النَّصَّ وَرَدَ بها. ولهذا يقــول: نحــن نستــسلم للنص، إذا جاء في الكتاب وفي السنة إثباتُ هذه الصفاتِ نُثبِتُها.

وهذا هو الذي حَمَلَنَا على إثبَاتِها، ولم نُثبِتْها لأجلِ أنَّ عُقُولَنَا أثْبَتَتْهَا أو نَتَكَلَّف إثباتَ شيءٍ.

يقول: الذي حملنا على إثباتها ورودُ النصِّ ورود الكتاب والسنة.

(وهكذا قال أبو بكرٍ الخطيبُ الحافظ في رسالةٍ له أَخْبَرَ فيها أنَّ مذهب السلف على ذلك.)

يقول: وممن قَالَ قَرِيبًا من هذا الكلام بل شبيهًا جِدًّا بهذا الكلام أبو بكر الخطيب أحمد بن علــى بــن ثابــت المشهور بالبغدادي –رحمه الله– الإمام الْعَلَم العلاَّمة المتوفى سنة ثلاث وســتين وأربعمائــة صــاحب الكتــب والتصانيف المشهورة.

(وهذا الكلام الذي ذَكَرَه الخطابي قد نقل نَحْوًا منه مِنَ العلماء ما لا يُحصى مثل أبي بكر الإسماعيليّ والإمام يحيى بن عمار السِّجزيِّ شيخ شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري الهروي، ومثل أبي عثمان الصابوني شــيخ الإسلام، وأبي عمر بن عبد البر النَّمَريّ إمام المغرب وغيرهم.

وقال أبو نُعَيْمٍ الأصبهانيُّ صاحب "الحلية" في عقيدةٍ له في أوَّلِها:

«طريقتُنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمَّة.. قال: فَمِمَّا اعتقدوه أنَّ الأحاديث التي تَثْبُتُ عَنِ النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم– في العرش واستواء الله يقولون بها ويثبتونها، من غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ ولا تشبيهٍ وأنَّ الله بائنٌ من خلقِه، والخلقَ بائنون منه، لا يَحُلُّ فيهم ولا يَمتزجُ بهم، وهو مُستوٍ على عرشِــه فــي ســمائه دون أرْضِه وخلقه».)

)

انتقل المؤلف ليذكر طائفة من الأئمة والعلماء ممن يَنتسب إليهم بعض أهل التصوف، وتقدم أن المؤلف ذكــر جملة من العلماء والأئمة المشهورين الذين ليس لهم مذهب معين؛ كالإمام الأوزاعــي وربيعــة وابــن مبــارك والحمادين ونحوهم، ثم ذَكَرَ بعض الأئمة الذين يَنتسب إليهم بعض أصحاب المذاهب الفقهية، فنقل عــن الإمــام الشافعي، والإمام مالك، وبعض أئمة المالكية، وبعض أئمة الأحناف، وبعض أئمة الحنابلة، ثم نقل عن بعض أئمة أهل اللغة. والآن سيذكر بعض النماذج من العلماء الذين ينتسب إليهم بعضُ أهلِ التَّصوُّفِ، فكأنــه يقــول لهــذا المخالف المعطِّل: إن كنت شافعيا أو حنبليا أو مالكيا أو حنفيا في الفروع؛ فهذا كلام أئمتك في الأصول يُخالف ما أنت عليه، وإن كنت صوفيًّا؛ فهذا كلام أئمتك يُخالف ما أنت عليه، وهكذا سينقل حتى عن بعض أئمة المتكلمين.

فبدأ –الآن– بالنقل عن أبي نُعيم الأصبهانيِّ صاحب كتاب "الحلية" –كما ذكر الشيخ– الكتاب المشهور –رحمه الله–، وهو ممن يُعَظِّمُه الصُّوفيَّةُ وينتسبون إليه، وربما نسبوا له بعضَ الحكايات والقصص التي لا تَثْبُـتُ عنـه رحمه الله.

(يقول في عقيدة له في أولها: طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة): بمعنى أنَّ مـذهبنا هـو مذهبُ السلف، التزام الكتاب والسنة وإجماع العلماء، لكنَّ الشيخ نَقَلَ الشَّاهِدَ وهو إثبات العرش، وإثبات الاستواء، وإثبات العلو، وإثبات البينونة –أن الله بائِنٌ من خلقه والخلق بائنون منه–.

لماذا؟ لأنَّ غُلاةَ الصُّوفيَّةِ لا يُثبتون العلوَّ للهِ –عَزَّ وَجَلَّ–، ويَزعمون أن الله حَالٌّ في كلِّ مكان. فيقول: هـذا إمام من أئمتكم يُثبت صفة العلوِّ لله –عَزَّ وَجَلَّ–، ويُثبت أنَّ الله بائن من الخلق والخلقَ منه بـائنون منفـصلون، وليس هناك امتزاج ولا اختلاط ولا حلول ولا اتحاد.

(وقال الحافظُ أبو نُعَيْمٍ في كتابه "محجة الواثقين ومدرجة الوامقين" من تأليفه:

«وَأجمعوا أنَّ الله فوق سماواته، عالٍ على عرشه، مستوٍ عليه، لا مستولٍ عليه كما تقول الجهميَّةُ أنَّـه بكـلِّ مكان خِلافا لما نزل في كتابه: ؟ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُـورُ ؟ [الملـك: ١٦]، وقوله: ؟ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ؟ [فاطر: ١٠]، وقوله: ؟ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ؟ [طه: ٥]، له العرش المستوي عليه والكرسي الذي وسع السماوات والأرض، وهو قوله تعالى: ؟ وَسِعَ كُرْسِـيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ؟ [البقرة: ٢٥٥].

وكرسيُّه جِسْمٌ والسماوات السبع والأرضون عند الكرسي كحلقة في أرض فلاة، وليس كرسيه علمَه كما قالتِ الجهمية، بل يُوضع كرسيُّه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه كما قاله النَّبيّ –صلى الله عليه وسلم–.

وأنه –تعالى وتقدس– يَجِيءُ يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده والملائكة صفا صفا كما قال تعالى: ؟ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ؟ [الفجر: ٢٢]، وأنه –تعالى وتقدس– يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده فيغفـر لمن يشاء من مذنبي الموحِّدِين ويُعذب من يشاء كما قال تعالى: ؟ يَغْفِرُ لِمَن يَّشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَّشَاءُ ؟ [آل عمران: ١٢٩].)

)

ثم نقل عنه –أيضا– في كتابٍ آخر، والنقل الأول عن عقيدةٍ له ولا زال الكتاب مفقودًا، ثم نَقَلَ عـن كتـابِ "محجة الواثقين ومدرجة الوامقين"؛ أي مسلك المحبين وهذا الكتاب لا يزال مفقودا، يقول:

(وأجمعوا أن الله فوق سماواته على عرشه): هذا إثبات صفة العلو فأبو نعيم –رحمه الله– يثبت العلـوَّ كمـا أثبَتَها غيره من الأئمة والعلماء، وَرَدَّ على من أَوَّلَ الاستواء بالاستيلاء، وهذا مَسْلَكٌ كثير من الْمُعَطِّلَةِ يؤولـون الاستواء الواردَ في نصوص الوَحْيَيْنِ، يقولون: معناه: استولى. ولهذا قال: (وأجمعوا أنَّ الله فوق سماواته، عـالٍ على عرشه، مستو عليه لا مستولٍ عليه كما تقول الجهميَّةُ أنَّه بكل مكان خلافًا لما نزل بكتابه)، ثم ساق شيئا من أدلة العلو، والتي تَقَدَّمَ ذكرها واستدلَّ بها أهل العلم على إثباتِ صفةِ العلوِّ: ؟ أَأَمِنتُم مَّن فِي الـسَّمَاءِ ؟، ؟ إِلَيْـهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ؟، ؟ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ؟.

ثم تَكَلَّمَ على إثبات الكرسي وقلنا إن الكرسيَّ موضعُ القدمين وهذا ثابتٌ عن النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- في حديثٍ حسنٍ، وأيضا ثَبَتَ عن ابن عباس وغيره، وهذا مِمَّا لا يُقال بالرأي، ورَدَّ على مَنْ أَوَّلَ الكرسي بالعلم كما قالت الجهمية.

ثم ذكر: (بل يوضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقة كما قاله النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم-.) وهذا أيضا ثَبَتَ في حديث جابر -رضي الله عنه- يقول: "لما رَجَعَتْ مُهَاجِرَةُ البحر -أي مهاجرة الحبشة-؛ سَأَلَهُم النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم-: (ما أعجب ما رأيتم)؟ قالوا: نعم، بينما نحن جلوسٌ إذْ مَرَّتْ عجوزٌ من عجائز رَهْابِينِهم تَحْمِلُ فَوْقَ رأسِها قُلَّةً من ماءٍ، فَقَامَ فَتًى من فتيانهم فوضع يَدَه بين كتفيها ثم دفعها" كما يَحصل الآن من بعض الشباب المستهترين يريد أن يضحك أصحابه، "فخرت على ركبتيها وسقطت القلة فانكسرت، فقامت وهي تقول: ستعلم يا غُدَرُ إذا وضع الله الكرسيَّ وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل. فقال النَّبِيّ -صلى الله عليه وسلم: (صَدَقَتْ صَدَقَتْ، كيف يُقَدِّسُ الله أُمَّةً لا يؤخذ لضعيفها من قويِّه). الشاهد من الحديث ما هو؟ إثبات أنَّ الكرسي يُوضع يومَ القيامةِ، فهذا فيه إثبات الكرسي.

ثم ذكر صفة المجيء لله -عَزَّ وَجَلَّ- يوم القيامة، وأن هذا ثابت في الكتاب، ثم قال: (وأنه -تعالى- وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، فيغفر لمن يشاء من مذنبي الموحدين ويعذِّب من يشاء، كما قال -تعالى: ؟ يَغْفِرُ لِمَن يَّشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَّشَاءُ ؟.)

الشاهد أنَّ كلام أبي نُعَيْمٍ هذا يُخالف ما عليه جمهور الصُّوفيَّة من إثبات هذه الصفات لله -عَزَّ وَجَلَّ- وعلى رأسِها صفة العلو.

(وقال الإمام العارف مَعْمَرُ بن أحمد الأصبهاني شيخُ الصُّوفيِّة في حدودِ المائة الرابعة في بلاده، قال: «أَحْبَبْتُ أن أُوصِيَ أصحابي بوصيَّةٍ من السنة وموعظة من الحكمة، وأجمعُ ما كان عليه أهل الحديث والأثر، وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين..».

قال فيها: «وأن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، والاستواء معقول والكيف -فيه- مجهول.

وأنه -عَزَّ وَجَلَّ- بائنٌ من خلقِه والخلق منه بائنون بلا حُلولٍ ولا مُمازجةٍ ولا اختلاطٍ ولا ملاصقةٍ؛ لأنه المنفرد، البائن من الخلق، الواحد الغنيّ عن الخلق.

وأن الله -عَزَّ وَجَلَّ- سميعٌ بصيرٌ عليمٌ خبيرٌ، يَتَكَلَّمُ، ويرضى، ويَسخط، ويَضحك، ويَعْجَبُ، وَيَتَجَلَّى لعبادِه يومَ القيامة ضَاحِكًا، وينزل كُلَّ ليلة إلى سماء الدنيا كيف يشاء، فيقول: (هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى يَطْلُعَ الفجر).

ونزول الربِّ إلى السماء بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، فمن أنكر النزول أو تَأَوَّلَ؛ فهو مبتدعٌ ضَالٌّ، وسائر الصفوة من العارفين على هذا».)

)

ثم نقل الشيخ عن الإمام معمر بن أحمد الأصبهاني، قال شيخ الصوفية في حدود المائة الرابعة؛ أي في حدود الأربعمائة؛ لأنه تُوفي -رحمه الله- سنة ٤١٨هـ.

يقول: (أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة، وموعظة من الحكمة، وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر..) إلى أن قال: (وأن الله مستو على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، والاستواء معقول والكيف –فيه– مجهول.) كما سبقه إلى ذلك الأئمة.

(وأنه –عَزَّ وَجَلَّ–): لاحظ التأكيدَ على قضيَّة الفصْلِ بين الله –عَزَّ وَجَلَّ– وبين خلقه. لماذا؟ أتى بعبارات حتى لو كان الكلام ابتداءً؛ قلنا ما ينبغي أن يأتى بمثل هذه العبارات، لكن في معرض الردِّ وفي معرض التأكيد تَجَوَّزَ فيها أهلُ العلم للردِّ على هؤلاء الصوفية القائلين بالحلول، وأنَّ الله حَالٌّ ومتحدٌ بخلقِه. لاحظ هذه العبارات: (وأنه –عَزَّ وَجَلَّ– بائن من خلقه والخلق منه بائنون): هناك انفصال. (بلا حلول)؛ أي أنَّ الله –عَزَّ وَجَلَّ– ليس حالاً في الخلق، (ولا ممازجة): ليس ممتزجًا بالخلق ولا مختلطًا، ولا (اختلاط): ليس مختلطًا بالخلق، ذاتُه –سبحانه وتعالى– مُقَدَّسَةٌ أن تختلط بسائر المخلوقات.

(ولا ملاصقة): ليس هناك ملاصقة بين ذات الباري وذات المخلوقين؛ (لأنه المنفرد، البائن من الخلق، الواحد الغني عن الخلق.)

قد يقول لنا قائل: هذه العبارات لماذا تَجَوَّزْتُم فيها علمًا أنها متعلقة بالله –عَزَّ وَجَلَّ–. نقول: أهل العلم لا يأتون بها ابتداءً، وإنما يأتون بها في معرض الردِّ على هؤلاء الذين غَلَوْا في إثبات الحلول والاتحاد لله –عَزَّ وَجَلَّ–.

عفوا يا شيخ! معمر بن أحمد الأصبهاني كما ذكر الشيخ أنه شيخ الصوفية، كيف يثبتون له المشيخة وينفون هذه الأمور قضية الحلول والممازجة؟

هذا من باب الضلال والانحراف، وستلاحظ أنَّ الشيخ سينقل عن أئمة الأشاعرة أئمة الأشاعرة ما يخالفه المتأخرون.

لكن المخالفة كانت موجودة في وقت مَعْمَرٍ في المائة الرابعة موجودة.. عفوا بأن الاعتقاد بأن الله كما ذكر..

أنَّه حَالٌّ، نعم، ولهذا أكَّدَ على هذه القضية؛ لأنَّ هذا المذهبَ كان منتشرًا، فوقف منه العلماء موقفَ الحازمِ، ومن هؤلاء مثل معمر الذي يَنْتَسِبُ إليه الصوفيَّة ويعتبرونه شيخًا لهم في هذه الطبقة. ومع ذلك ذكر الشيخُ قولَه وهو مخالف لما عليه الجمهور، وهذا ما جعل هذه الرسالة لها ردة فعل قوية تجاه أعداء الشيخ الإسلام؛ لأنهم يُلْقَمُون حَجَرًا بمثل هذا الكلام. أنت صوفي؛ هذا كلام إمامك، تُنكره؛ هذا هو كلام مسطور.

وموثق هذا الكتاب؟

نعم، من كتاب كذا، لا يستطيع أنْ يُنكرَ.

ثم ذكر بعض الصفات التي خالف –أيضا– فيها بعضُ الْمُعَطِّلَةِ: السمع، البصر، العلم، تسمية الله بالعليم الخبير، يتكلم، يرضى، ويسخط. هذه من الصفات التي أوَّلَها جمهورُ الْمُعَطِّلَةِ: (يرضى، ويسخط، ويضحك، ويعجب، ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكًا.) كما جاء بذلك النص، (وينزل كل ليلة): كما ثبت في الصحيحين.

كلُّ ذلك أكَّدَه بلا كيفٍ ولا تشبيهٍ ولا تأويلٍ، أي وَسَط، نحن نُثْبِتُ، ولا نُكَيِّفُ، ولا نُشَبِّهُ، ولا نؤول.

قوله: (الاستواء معقول، والكيف –فيه– مجهول) يُذَكِّرُ بمقولة من؟

بمقولة الإمام مالك –رحمه الله-.

(وقال الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن هارون الخلال في كتاب "السنة": حدثنا أبو بكر الأَثْرَمُ، حدثنا إبراهيم بن الحارث –يعني العبَّادي–، حدثنا الليث بن يحيى قال: سمعت إبراهيم بن الأشعث، قال أبو بكر –وهو صاحب الفُضَيْل– قال: سمعتُ الفضيل بن عِيَاضٍ يقول: «ليس لنا أنْ نَتَوَهَّمَ في اللهِ كيف هو؛ لأنَّ الله –تعالى– وَصَفَ نَفْسَه فَأَبْلَغَ فقال: ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١–٤]، فلا صِفَةَ أبلغ مِمَّا وَصَفَ به نفْسه.

وكلُّ هذا: النزول، والضحك، وهذه المباهاة، وهذا الاطلاع كما يشاء أن ينزل، وكما يشاء أن يُباهي، وكما يشاء أن يضحك، وكما يشاء أن يطلع؛ فليس لنا أن نَتَوَهَّمَ كيف وكيف. فإذا قال الجهميُّ: أنا أَكْفُرُ بربٍّ يَزولُ عن مكانه؛ فقل: أؤمن بربٍّ يَفعل ما يشاء».)

(

انتقل –الآن– إلى الكلام عن الإمام الفضيل بن عياض، وهو أيضا من الأئمة الذين يُعَظِّمُهم الصوفيةُ، ويُجِلُّونهم وينتسبون إليهم ويَنقلون كلامهم. فذكر كلامًا يُخالفُ ما عليه جمهورُ هؤلاء المُعَطِّلَةِ من طريقِ الخلاَّلِ في كتابه "السنة" وكما ذكرنا أنه مطبوع. يقول: سمعت الفضيل بن عياض يقول: (ليس لنا أن نتوهم في الله كيف هو؛ لأنَّ الله –تعالى–): بمعنى أن لا تُقْحِمَ عقلَك في كيفيَّةِ الصِّفات أو كيفيَّة الذاتِ.

ثم ذكر أنَّ الله وَصَفَ نفسَه كما ثَبَتَ هذا في قِصَّةِ الرجل الذي كان يُصلِّي بأصحابه ويَختم بسورةِ الإخلاصِ، فقالوا له: إمَّا أن تَقْتَصِرَ على سورة الإخلاص أو تكتفي بغيرها. قال: تُريدون أنْ أُصلِّيَ بكم فلا بد أنْ أَخْتِمَ بسورة الإخلاص. فلَمَّا جاؤوا إلى النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم–؛ أخبروه بذلك، فسأله: (ما حملك على ذلك)؟ قال: لأنها صفةُ الرحمن، وأنا أُحِبُّها. وفي رواية قال: (إنَّ حُبَّكَ إيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ).

يقول الْفُضَيْلُ: (ليس لنا أن نَتَوَهَّمَ كيف هو؛ لأن الله –عَزَّ وَجَلَّ– وصف نفسه فأبلغ.) في سورة الإخلاص: ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، فَجَمَعَ بين النَّفْيِ والإثباتِ؛ إثبات الصِّفَاتِ الكَامِلَةِ لله –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللهُ الصَّمَدُ ﴾، وإثبات الكمال المطلق، ثم نفى عن اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– صِفَاتِ النَّقْصِ: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾.

ثم ذكر فقال: (وكل هذ)؛ أي الوارد في الصفات: النزول، الضحك وهذه المباهاة كما ثبت في صحيح مسلم أنَّ الله –عَزَّ وَجَلَّ– يُباهي بأهلِ الْمَوْقِفِ في عَرَفَة يُباهي بهم الملائكة.

(وكما يشاء أن يضحك، وكما يشاء أن يطلع): (إنَّ الله اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ)، كما ثبت في صحيح البخاري في قصة حاطب.

(فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف): يعني كيف يضحك؟ كيف يطلع؟ كيف يباهي؟ كيف ينزل؟ كيف يجيء؟ لا، ليس لنا هذا، نحن نُثبت ما ثَبَتَ بالنصِّ. لكن قال: احذر أن يتبادر إلى ذهنك كيف؛ لأنَّ هذا مما لا يُدرك بالعقل ولم يَثبت بالشرع.

يقول: (فإذا قال الجهمي: أنا أكفر بربٍّ يزول من مكانه): ماذا يقصد الجهميُّ بهذا الكلام؟

لا يوجد شيءٌ بهذه الصفة.

لا.

نفي النزول.

أحسنت، نفي النزول، نفي المجيء، نفي الصفات الفعليَّة عنِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-. فيأتي بهذه العبارة التي تَقْشَعِرُّ منها الأبدانُ، يريد أن ينفي صفة النزول أو صفة المجيء، فيقول: أنا أكفر بربٍّ يزول من مكانه. قضية يزول أو لا يزول هذا ليس مجالَ الكلامِ فيها، ليس ما ورد به النصُّ، لكن ثَبَتَ النص بـ: "ينزل"، ولهذا يقول: (فقل: بل أنا أؤمن بربٍّ يفعل ما يشاء.) الله -عَزَّ وَجَلَّ- ينزل إذا شاء، ويأتي إذا شاء، كونُك تقول: إنه لا ينزل بمعنى أنه لا يَفعل إذا شاء أن يفعل.

(ونَقَلَ هذا عنِ الفُضَيْلِ جماعةٌ؛ منهم: البخاريُّ في "خلق أفعال العباد"، ونقله شيخ الإسلام بإسنادِهِ في كتابه "الفاروق" فقال: حدثني: يحيى بن عمار، حدثنا أبي، حدثنا يوسف بن يعقوب حدثنا: حَرَمِيُّ بن علي البخاري وهانئ بن النَّضْر عن الفضيل ...)

أي أنَّ هذا النقل ثابتٌ، وشيخ الإسلام هو أبو إسماعيل الْهَرَوِيُّ صاحب كتاب "منازل السائرين" يُطْلَقُ عليه شيخ شيخ الإسلام وهو شيخ الإسلام كما أُطْلِقَ عليه الأئمةُ والعلماءُ.

لعلنا نستأذنكم في الوقوف، ونفتح المجال للإخوة معنا سواء أكان عن طريق الاتصالات الهاتفية أو عن طريق الإخوة الحاضرين معنا، أو الاستفسارات الواردة عبر الموقع.

فضيلة الشيخ! كيف الردّ الوافر لمن قال: إنَّ غَضَبَ اللهِ مثلُ غَضَبِ المخلوقين؟

من قال: إن غضب الله أو نفى الغضبَ بحجةِ أنَّه يلزم من إثبات الْغَضَبِ لله أنْ يكون غَضَبُ اللهِ كَغَضَبِ المخلوقِ، فيقول -مثلا- عن الْغَضَبِ: أنا لا أعْقِلُ الْغَضَبَ إلا أنَّه غَلَيَانُ دَمِ القلبِ. فإذا أَثْبَتُّ للهِ صِفَةَ الْغَضَبِ؛ فقد أثبتُّ غَضَبًا كَغَضَبِ المخلوق.

يقال: كذلك سائر الصفات، نحن نُثْبِتُ للهِ هذه الصِّفَةَ، لكن على الوجهِ الذي لا يُمَاثِلُ صِفَةَ المخلوق، فَغَلَيَانُ دَمِ الْقَلْبِ هذا غَضَبُ المخلوقِ، ونحن لم نُثْبِتْ للهِ غَضَبًا مطلقًا، أثبتنا له غَضَبًا خاصًّا به -سبحانه- كما أَثْبَتْنَا له استواءً خاصًّا به -سبحانه-، كما أثبتنا له عِلْمًا خاصًّا به -سبحانه-. فالغضب كسائرِ الصفاتِ؛ يُثْبَتُ للهِ على الوجهِ اللائقِ به -سبحانه-، ونطبق عليه قاعدةَ الإمامِ مالكٍ: «الْغَضَبُ مَعْلُومٌ»، الغضب ضد الفرح. و«الكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»، لكن إذا قلت: إنَّ غَضَبَ اللهِ كَغَضَبِ المخلوق هنا كَيَّفْتَ وَشَبَّهْتَ.

تقول: هل من الممكن يا شيخ أنْ تُتْحِفَنا بالردِّ الكاملِ على أهْلِ الكلامِ باسْتِشْهَادِهم بهذا البيتِ:

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ ***مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ

نعم، من الْمُفَارَقَاتِ العجيبةِ أنَّ هؤلاء المتكلمين هؤلاء الْمُعَطِّلَة إذا اسْتَدْلَلْتَ عليهم بنصٍّ في الصحيحيْن: صحيحِ البخاري وصحيح مسلمٍ، ورواته أئمة ثقات، بل أحيانا تكون السلسلة ذهبيَّة، قالوا وبكل بُرُودٍ: الخبرُ خَبَرُ آحَادٍ، ولا نَقْبَلُ بِخَبَرِ الآحادِ في بابِ العقائدِ. ثم يَأتون في نفي الصفة الاستواءِ الثَّابِتَةِ للهِ بالكتابِ والسُّنَّةِ والإجماعِ، وَوَرَدَتْ فِي سَبْعِ مواضعَ فِي كتابِ الله -عَزَّ وَجَلَّ- بلفظ: ؟ اسْتَوَى ؟ ليس فيها ولا لفظ: "استولى"، ثم يؤولون هذا بالاستيلاء. ما حُجَّتُكُم؟! قولُ الشاعرِ، وبيت من الشعر:

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ ***مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ

تَرُدُّون أَحَادِيثَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- بحجَّة أنَّها خَبَرُ آحادِ، وَتَسْتَدِلُّون بِبَيْتٍ مِنَ الشِّعْرِ.

أوَّلا: أنَّه مُختلفٌ في القائل، ولم يثبت.

الأمر الثاني: أنه منسوبٌ للأخطل، والأخطلُ ما هي ديانته؟ نَصْرَانِيٌّ. تردون أحاديثَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- وتستشهدون ببيتٍ لرجلٍ نصرانيٍّ المعروف عنهم التجسيدُ.

الأمر الثالث: الأخطلُ متأخِّرٌ؛ أي أنَّ كلامَه لا يُستشهد به في اللغةِ العربيةِ.

هذا مِمَّا رَدَّ به أهلُ العلم على استدلالِهم بهذا البيت.

الأمر الرابع: أنَّ البيتَ مختلفٌ في لفظِه، وليس بثابتٍ بهذا اللفظ.

الأمر الخامس: على فَرْضِ ثُبوتِه؛ فبِشْرٌ بشرُ بن مروان وَالِي عبدِ الملك بن مروان على العراق، فكانت عادته كعادةِ الملوكِ لمَّا استولى على العراق استوى على كرسيِّ الملكِ.

الأمر السادس: أنَّ الاستيلاء لا يكون إلا مِنْ مُغَالَبَةٍ غالبا أم لا؟ الآن الاستيلاء أليس يكون هناك مغالبٌ ثم انتصار، فيلزم على قولِهم أنَّ العرشَ كان مغالبًا للهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ثم استولى عليه.

الأمر السابع: يقال أيضا: إنَّ العرش على هذا المعنى جاء في وقتٍ من الأوقاتِ لم يكن تحت استيلاءِ الله أم لا؟! كان خارجًا عن ملكِ اللهِ ثم تَغَلَّبَ الله -عَزَّ وَجَلَّ- عليه.

وهناك أجوبة كثيرة ذكَرَهَا وأوصلها شيخُ الإسلامِ إلى أكثرَ من ثلاثة وأربعين وجهًا. ولهذا يَحْسُنُ الرجوعُ إليها، وأُحيلُ الأختُ إلى الرجوع إليها في الجزءِ الثالثِ مِنَ الفتاوى، وأيضا لَخَّصَها تلميذه ابنُ الْقَيِّم، والأسهلُ أنْ تَرْجِعَ إلى تلخيص ابن القيِّم في "مُخْتَصَرِ الصَّوَاعِقِ" فقد رَدَّ عليهم في هذا البيت رَدًّا شافيًا كافيًا بما لا يَجعل لا مجالاً للكلامِ في ذلك.

ثَبَتَ بالدليلِ أنَّ الله يغضب ويضحك ويفرح. هل ثَبَتَ أنَّ الله يحزن؟

لا، لم يثبتْ أنَّ الله يَحزن، وهذا مِمَّا يُنَزَّهُ الله -عَزَّ وَجَلَّ- عنه، لأنَّها صفةُ نقصٍ لا كَمَالَ فيها، وكل نَقْصٍ؛ فالله -عَزَّ وَجَلَّ- مُنَزَّهٌ عنه، وهذه الصفةُ مِنَ الصفاتِ التي نَسَبَهَا اليهودُ لله -تعالى الله عن ذلك-. فذكروا في كتبهم المحرَّفةِ أنَّ الله حَزِنَ على الطُّوفانِ -طوفان نوح- حتى بَكَى وَرَمِدَتْ عيناه، وَعَادَتْه الملائكةُ -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا-.

يقول: عندنا الأحباش يُثبتون رؤية المؤمنين لربِّهم، وفي نَفْسِ الأمرِ يقولون: ليس لصفاتِ اللهِ كيفيةٌ. أليس هذا تناقضًا حيث ما لا كيفية لا وجود له، وما لا وجود له لا يُرى؟

لا، لا يا أخي، بل الصَّحيح يُثبت كما نَقَلَ، لكنَّ الأحباشَ يُثْبِتُون الرؤية إلى غَيْرِ جِهَةٍ إنْ كان مذهبهم هو مذهب الأشاعرة، ومذهبهم خَلِيطٌ من مذهب الصوفية ومن مذهب الأشاعرة ومن مذهب الجهمية؛ فليس لهم قاعدةٌ مُطَّرِدَةٌ. فأهل السنة والجماعة يُثبتون الرؤية لكن بغيرِ كيفيَّةٍ، يرون الله -عَزَّ وَجَلَّ- من فوقهم، لكنَّ كيفيةَ رؤيةِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- الله أعلم. كيف يُرى الله -عَزَّ وَجَلَّ-؟ الله أعلم. فإثبات الرؤية ثابتٌ، والنَّبِيُّ -صلى الله عليه

وسلم- أثْبَتَها وَحَقَّقَها كما نرى الشمس وكما نرى القمر، نراه مَخْلِيًّا به، لكن كيفية رؤية الله -عَزَّ وَجَلَّ- الله أعلم بذلك.

فإثبات الصفة مع نفي الكيفية هذا هو مذهبُ أهل السنة والجماعة. والأحباش إذا كان مذهبهم مذهبَ الأشاعرةِ في إثباتِ الرؤيةِ؛ فهم يثبتون الرؤية إلى غَيْرِ جهةٍ يعني ترى الله -عَزَّ وَجَلَّ- لكن كيف تـراه؟! لا أمـام ولا خلف، ولا يمين ولا شمال، ولا تحت ولا فوق. إذن، كيف يُرى؟! لكنَّ أهلَ السنة يقولون: لا، هذا ثَبَتَ بـالنصِّ: (فيطلع إليهم، فيرفعون رؤوسهم إليه يُخاطبهم ويخاطبونه)، ولهذا يَشْتَغِلون عَنْ كُلِّ النعيم الذي هم فيه برؤيةِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، فهو أعْظَمُ نعيمٍ يُعطاه المؤمنون.

هذا الردُّ لا يستقيم ردّ الأخ يكون ...

إلا إذا لم يُحَرِّرِ العبارةَ، صحيحٌ أنَّ المؤمنين يَرون الله -عَزَّ وَجَلَّ- من فوقهم كما ثبتت النصوص.

تقول: قولنا في الدعاء: "يا من لا يخلو منه مكان!" هل هذه العبارة صحيحة؟

إذا كان المقصودُ بالعلم لا يَخلو منه مكانٌ من علمِه؛ فلا مَانِعَ ولا بأس، لكن إذا كان هذا يَتَبَادَرُ إلـى الـذِّهْنِ القولُ بالحلولِ أو كان المتكلم به إنسانًا مظنة الكلام وهو القول بالحلول، أو ربما يوهم هـذا الـشيء للـسامع؛ فالأوْلى تركه.

تقول: قال شيخ الإسلام: "وكرسيه جسم" هلاَّ أوضحتم هذه المقولة، وجزاكم الله خيرا.

ليس كلامَ الشيخِ، وإنما كلام مَنْ نَقَلَ عنه الشيخُ، جسم؛ أي ليس كما يَزعم الجهمية كما وَرَدَ أنه العلم، فـالعلمُ عَرَض. وفي تعريف الصفات بالنسبة للمخلوقِ إمَّا أن يكون الصفةُ عَرَضًا أو جسمًا أو جوهرًا، كما يقـال. الآن الكلام عرض، والسمع عرض، والحياة عرض، والعلم عرض. واليد جسم، والوجه جسم، والقدم جسم.

يقول الشيخ: الكرسيُّ حقيقةً جسمٌ قائمٌ بنفسِه، والعرض لا يَقوم بنفسِه بل يقوم بغيره. العلم هل يمكن أن يقوم بنفسه؟! الحياة هل تقوم بنفسها؟! تقوم بغيرها، تقوم بالحيِّ، والعلم يقوم بالعليم. لكن الجسم لا، فيقـوم بنفـسِه. فالكرسي معناه جسم أي له كِيَانٌ مستقلٌّ قائمٌ بنفسِه مثل العرش.

نعود مرة أخرى يا شيخ.

تفضل.

(وقال عَمْرو بن المكيِّ في كتابه الذي سماه "التعرف بأحوالِ العباد والمتعبدين" قال: ما يَجيء بـه الـشيطانُ للتائبين.. وَذَكَرَ أنَّه يُوقعه في القنوطِ، ثم في الغرور وطول الأمَل، ثم في التوحيد.

فقال: مِنْ أعْظَمِ ما يُوَسْوِسُ في التوحيدِ بالتشكيكِ أو في صِفَاتِ الرَّبِّ بالتمثيـل والتـشبيهِ، أو بالجحـدِ لهـا والتعطيل.

فقال بعد ذكر حديث الوسوسة: واعلمْ -رحمك الله تعالى- أنَّ كُلَّ ما تَوَهَّمَه قَلْبُك أو سَنَحَ في مَجَالِ فكركَ أو خَطَرَ في مُعارضاتِ قلبِك من حُسْنٍ أو بَهَاءٍ أو ضِيَاءٍ أو إشْرَاقٍ أو جمالٍ، أو شَبَحٍ مَائِلٍ أو شخصٍ متمثلٍ؛ فـالله -تعالى- بغيرِ ذلك، بل هو -تعالى- أعظم وأجلُّ وأكبر. ألا تسمع إلى قوله -تعالى-: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِـهِ شَـيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٤]؟ أي لا شبيه ولا نظير ولا مساوٍ ولا مثل.

أوَ لَمْ تعلم أنَّه –تعالى– لَمَّا تَجَلَّى للجبلِ؛ تَدَكْدَكَ لِعِظَمِ هيبتِه وشامخ سلطانِه. فكما لا يَتَجَلَّى لشيءٍ إلاَّ انـدَكَّ؛ كذلك لا تَوَهَّمَه أَحَدٌ إلا هَلَكَ، فَرُدَّ بما بَيَّنَ الله في كتابه من نفيه عن نفسِه التشبيهَ والمثلَ والنظيرَ والكفؤَ.

فإن اعتصمتَ به وامتنعتَ منه؛ أتَاكَ مِنْ قِبَلِ التَّعْطِيلِ لصفات الربِّ –تبارك وتعالى وتقدس– في كتابه وسنةِ رسوله محمد –صلى الله عليه وسلم– فقال لك: إذا كان موصوفًا بكذا أو صفته أوجب لك التشبيه؛ فَأَكْذِبْه؛ لأنـه اللعينُ إنما يُريد أنْ يستنـزلك ويغويك ويدخلك في صفات الملحدين الزائغين الجاحدين لصفة الرب –تعالى–.)

)

ثم نقل الشيخ عن عمرو بن عثمان المكيِّ المتوفى سنة سبع وتسعين ومائتين، وهو أيضا من الأئمة والشيوخ الذين يَنتسب إليهم الصوفية ويعظمهم الصوفية.

قال في كتابه الذي سماه "التعرف بأحوال العباد والمتعبدين" أيضا هذا الكتاب هذا لا يزال مفقـودا يـسر الله العثور عليه. قال: (ما يجيء به الشيطان للتائبين): يعني طرق وسوسة الشيطان للمؤمن وللتائب، له عدة طرق. يقول: (يأتيه يوقعهم في القنوط): القنوط من الله –عَزَّ وَجَلَّ– واليأس، ثم إذا كان هذا الشخص لا يُناسبه القنـوط يناسبه الغرور وطول الأمل جاءه من هذا الطريق)، ثم (في التوحيد) يعني في توحيد العبد لله –عَـزَّ وَجَـلَّ–، يُحاول أن يشكك العبد في توحيده يحاول أن يُضِلَّ العبد في توحيده لله –عَزَّ وَجَلَّ–.

تَكَلَّمَ الشيخ على هذا النوع، طريقة وسوسة الشيطان للعبد في جانب التوحيد فقال: (من أعظم ما يوسوس في التوحيد بالتشكيك) بالتشكيك في ماذا؟ في الله –عَزَّ وَجَلَّ–، يُشكك في وجود الله، وكما أشار النَّبِـيُّ –صـلى الله عليه وسلم– كما في حديث أبي هريرة في الصحيح: (يأتي الشيطانُ أَحَدَكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كـذا؟ من خلق كذا؟) لأجل التشكيك إلى أن يأتي يقول: (هذا الله فَمَنْ خَلَقَ الله)، ولهذا قال النَّبيُّ –صلى الله عليه وسلم– : (فليستعذْ)؛ أي ليقطع لا يسترسل معه.

يقول: (إما يوسوس التوحيد بالتشكيك أو في صفات الرب بالتمثيل والتشبيه): بمعنى أن يُشَبِّهَ صفات الله –عَزَّ وَجَلَّ– بصفات المخلوق، أو بالجحد لها والتعطيل، إما أن يشبه أو يعطل أو يشكك. فهذه طرق الشيطان.

فقال بعد ذكر حديث الوسوسة الثابت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أنّض أصحاب النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم– جاؤوا إلى النَّبيّ –صلى الله عليه وسلم– قالوا: إنَّا نجد في أنفسنا ما يَتَعَاظَمُ أحدُنا أن يتكلم به، قـال النَّبيّ –صلى الله عليه وسلم: (أوَجَدْتُمُوه)؟ قالوا: نعم، قال: (ذلك صريح الإيمان)، وفي رواية (الحمد لله الذي رَدَّ أَمْرَه إلى الوسوسةِ)؛ أي كونك استعظمتم النطقَ به فهذا دليلٌ على إيمانكم أم لا؟

الأمر الثاني: في قوله: (الحمد لله الذي رد أمره إلى الوسوسة) أنه ما استطاع أن يؤثر لا على أعمـالكم ولا أقوالكم، فمجرد الوسوسة لا يؤثر هذا عليكم، بل هذا –إن شاء الله– من صريح الإيمان، وهذا كثير ما يشتكي منه الناس أو بعض الناس. يقول: أنا ينقدح في ذهني بعض الأمور التي أتعاظم أن أتكلم بها، فيقال: الحمد الله، هـذا صريح الإيمان، هذه بشرى النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم–، لكن لا تَسْتَرْسِلْ يعني هذا الخاطر وهذه الخـواطر لا تُؤثِّر على إيمانك، لكن يُقال لك: لا تسترسل كما أوصى النَّبيُّ –صلى الله عليه وسلم– أبا هريرة، لا تـسترسل معه أَشْغِلْ نَفْسَك بأمرٍ آخر.

يقول: (واعلم –رحمك الله– أنَّ كلَّ ما تَوَهَّمَه قلبُك..) الآن سيرد أو سيُبَيِّنُ أنَّ الشيطانَ يـأتي مـن طريـق التشبيه، ويحاول أنْ يوسوس لك في التوحيد فيقدح في ذهنك تشبيه الخالق بالمخلوق.

فقال: (اعلم أن كل ما توهمه قلبك): كل ما دار في خَيَالِكَ. (كلُّ ما سَنَحَ في مجالِ فكرِك، أو خَطَرَ في مُعارضات قلبك من حسن أو بهاء أو ضياء، أو إشراق أو جمال، أو شبح مائل أو شخص متمثل؛ فالله أجل وأعظم): لا يمكن أنْ يَنْقَدِحَ في ذهنك ولا واحد في المليون في الحقيقة. لماذا؟ لأنَّه إذا كانت الجنةُ لا يمكن – وهي خلق من مخلوقات الله– أن يدرك الإنسان بخياله وتفكيره حقيقتها؛ فمن باب أوْلَى أنْ لا يُدْرِكَ حقيقةَ الله – سبحانه وتعالى–؛ لأن النَّبِيّ –صلى الله عليه وسلم– يقول: (ولا خَطَرَ على قَلْبِ بشر).

في الجنة.

هذا في الجنة، فكيف بالله –عَزَّ وَجَلَّ–؟!

يقول: (فالله –تعالى– بغير ذلك بل هو –تعالى– أعظم وأجل وأكبر. ألا تسمع إلى قوله ؟ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ؟ [الشورى: ١١])؛ لأن الذي نقدح في ذهنك ما هو؟ شيء تعرفه أم لا؟! الله –عَزَّ وَجَلَّ– قَطَعَ عليك الطريقَ ؟ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ؟، ؟ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ؟.)

لعلنا نقف يا شيخ.

طيب.

لعلنا قبل ختامها أن نأخذ منكم سؤال هذه الحلقة...

السؤال:

يقال ما معنى كلام المؤلف: إثبات الباري إثبات وجود لا إثبات كيفية؟ وعلى ماذا استشهد به المؤلف؟

سؤال يسير جدا لأننا نخشى أن ننهي الحلقة ثم يزول السؤال يقول: ما حكم من يقول: إنَّ روحَ الإنسانِ جزءٌ من روح اللهِ ويَستدل بقوله –جل وعلا–: ؟ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ؟ [الحجر: ٢٩]؟

هذا قولُ النصارى، النصارى الذين قالوا: إن عيسى حَلَّ فيه جزءٌ من روح الإلاه قالوا بهذا القول، والصحيح أنَّه لا يَحِلُّ في الإنسان المخلوق شيء من الله –عَزَّ وَجَلَّ– والله –عَزَّ وَجَلَّ– لا يحل فيه شيء من المخلوقات.

الدرس الثاني والعشرون

تابع باب الإيمان بالعرش

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

نستعرض إجابات الإخوة عَبْرَ الموقع لسؤالِ الدَّرس الماضي، ولعلنا نأخذ منكم تذكيرًا بهذا السؤال الذي طُرِحَ.

سَبَقَ طَرْحُ السؤالِ الآتي أنَّ المؤلفَ ذكَرَ فيما نقله عَنِ الخطَّابيِّ أنَّ إثبَاتَ الباري إثباتُ وجودٍ لا إثبات كيفيَّةٍ، وقلنا: ما معنى هذا الكلام وعلى ماذا استشهد به المؤلف؟

تقول في إجابتها:

إثباتُ الباري إثباتُ وجودٍ لا إثباتُ كيفيَّةٍ؛ لأنه -سبحانه وتعالى- له ذاتٌ، ومَنْ له ذَاتٌ له صفات، ومَنْ نَفَى الذَّات نَفَى وُجُودَ اللهِ -عز وجل-.

إذن، مَنْ يُثْبِتُ الذَّات عَلَيْه أنْ يُثْبِتَ الصفاتِ للهِ -عز وجل-، لكن بلا كيفيةٍ ولا تمثيلٍ ولا تشبيهٍ ولا تعطيلٍ سبحانه وتعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١].

فصفاتُه تَليق بجلالِه وكمالِه؛ مثل: العين، واليد، والسمع، والبصر، ولا يكون بالمعنى كما قال بعضُ الضَّالين؛ حيث قَصَدُوا باليدِ النِّعْمَة أو القُدْرَة، وبالسمع وبالبصر العلمَ.

الشاهدُ أنَّ للهِ صفاتِ كمالٍ لا نَقْصَ فيها تَلِيقُ بجلالِه وكمالِه بلا كيفيَّةٍ ولا تمثيلٍ ولا تشبيهٍ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾. هذا والله أعلم.

نعم، الإجابة في الجملة -إن شاء الله- صحيحة.

من الذي عندك بعدها؟

تقول: إثباتُ الباري إثباتُ وجودٍ لا إثباتُ كيفيَّةٍ، ولا نقول إنها مثل ذوات المخلوقين، لا نقول: كيفيتها كذا وكذا. فلله ذاتٌ موجودةٌ كفيتها الله أعلم بها.

وهذه الذَّاتُ لها صفاتٌ كالعينيْن واليديْن، ولها سمعٌ لا تُماثل ولا تُشابه صفات المخلوقين.

إذن، نُثبت للهِ ذاتًا وصفاتٍ نُثْبِتُهَا إثباتَ وجودٍ، ولكن كيفيتها وتمثيلها ليس من شأننا.

واستشهد المؤلف -فيه- على أنَّ الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات.

جميل، الإجابتان صحيحتان في الجملة.

فإثباتُ الباري –سبحانه وتعالى– إثباتُ وجودٍ، كما أنَّنَا نُثبِتُ الباري ونُثبِتُ ذات الباري، فنُثبِتُها أنَّها موجودةٌ، لكن لا نَتَطَرَّقُ إلى الكيفيَّةِ وكذلك الصفات نُثبِتُها إثباتَ وجودٍ وأنَّها موجودةٌ، وأنَّ الله مُتَّصِفٌ بها، وأن هذه الذات متصفة بهذه الصفاتِ. لكن لا يلزم من إثبات الوجود إثبات الكيفية.

انتهى وقت الدرس الماضي عند قول عمرو بن عثمان المكيِّ، وقد قُرِئَ جُزْءٌ من كلامِهِ أو النص الذي أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه الفتوى، ولعلنا نبدأ بها –إن شاء الله–.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في الفتوى الحموية الكبرى:

(واعلم –رحمك الله تعالى– أنَّ كلَّ ما تَوَهَّمَه قلبُك أو سَنَحَ في مجالِ فكرِك أو خَطَرَ في مُعَارَضَات قلبك من حُسْنٍ أو بهاء، أو ضياء أو إشراق، أو جمال، أو شبح مائل، أو شخص متمثل؛ فالله –تعالى– بغيرِ ذلك، بل هو –تعالى– أعْظَمُ وَأَجَلُّ وأكبرُ. ألا تسمع إلى قوله تعالى: ؟ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ؟ [الشورى: ١١]، وقوله: ؟ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ؟ [الإخلاص: ٤]، أي لا شبيهُ ولا نظيرُ ولا مساوٍ ولا مثلُ.

أوَ لم تعلمْ أنَّه –تعالى– لما تَجَلَّى للجبل تَدَكْدَكَ لِعِظَمِ هيبتِهِ وَشَامِخِ سلطانِه، فَكَمَا لا يَتَجَلَّى لِشيء إلا انْدَكَّ كذلك لا تَوَهَّمُه أَحَدٌ إلا هلك. فَرُدَّ بِمَا بَيَّنَ الله في كتابه مِنْ نَفْيِه عَنْ نفسِهِ التشبيه والمثل والنظير والكفؤ.)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرفِ الأنبياءِ وسيِّدِ المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

لا زال كلام المؤلف مع قول عمرو بن عثمان المكيِّ، وهو من الأئمة الذين تُعظِّمُهم الصوفيةُ.

يقول –رحمه الله–: (واعلم –رحمك الله– أنَّ كلَّ ما تَوَهَّمَه قلبُك أو سنح في مجال فكرك)؛ أي عَرَضَ في مجال فكرك بمعنى عَرَضَ في خيالِك. (أو خطر في معارضات قلبك من حسن أو بهاء).. إلى آخر ما ذكر. بمعنى أنَّ أيَّ تخيُّلٍ لشيءٍ في ذهنك فحقيقةُ اللهِ –عز وجل– مخالفةٌ تماما. بمعنى لن تَصِلَ إلى شيءٍ من الحقيقةِ.

وضربتُ مثالاً في اللقاءِ السَّابق قول النبيِّ –صلى الله عليه وسلم– فيما يَرويه عن ربِّه –تبارك وتعالى– في صفات الجنة قال: (أعْدَدْتُ لعبادي الصالحين) وذكر في أخر الحديث (ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ). إذا كان هذا مخلوقًا والجنة مخلوقة؛ فَمَا الظَّنُّ بالخالقِ؟!

ولهذا ذَكَرَ عثمانُ المكِّيُّ –رحمه الله– هذه الأمثلة التي ربما تَخطر للإنسانِ: شبح، شخص، أي شيء يَجري أو يَتَصَوَّرُه خيالُك. فاعلم أنَّ الحقيقة مباينةٌ تماما ليس هناك أدنى تَقَارُبٍ بين الواقع والحقيقةِ وبين ما تَخَيَّلَه ذِهنُك.

هذه الأخْيِلَةُ تكون من الشيطان في الجملة؟

قد تكون، كما ذَكَرَ النبيُّ –صلى الله عليه وسلم– في حديثِ أبي هريرة: (يأتي الشيطان لأحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ من خلق الله –عز وجل–؟)، وكما ذكر عثمان أنَّ هذه من وساوس الشيطان قد تأتي لأجل أنْ يُوقِعَ الإنسان في التشبيهِ في التمثيل. لكن قال عليك أن تقطع هذه الوساوس وترجع إلى قوله الله –عز وجل–: ؟ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ؟؛ لأنَّ الذي سينقدح في ذهنِك شيءٌ مُتَصَوَّرٌ مِثْلُ، والله –عز وجل– قَطَعَ هذا الطريق فقال: ؟ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ؟، ليس هناك شيء مماثل للهِ –عز وجل– لأجلِ أنْ تَقِيسَ: ؟ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ؟.

(أو لم تعلم..): أراد أن يُدَلِّلَ فقال: (أو لم تعلم أنه –تعالى– لَمَّا تَجَلَّى للجبل) في قصة موسى –عليه الصلاة والسلام– لَمَّا سَمِعَ كلام الله –عز وجل– مباشرة طَمِعَ فيما هو أبعد من ذلك.

النظر.

النظر إليه مباشرةً قال: ؟ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ؟ [الأعراف: ١٤٣]، كما في سورة الأعراف، فقال الله –عز وجل–: إنك لن تراني في الدنيا، ولكن أضرب لك مثالاً. لماذا لن تراني في الدنيا؟ لأنَّك لا يمكن أنْ تَتَحَمَّلَ رؤيتي: ؟ وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ ؟ [الأعراف: ١٤٣]، أنا سأتجلى للجبل فانظر إلى هذا الجبل، والجبل أعظم خلقًا منك وأقوى وأقسى: ؟ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ؟؛ صار تُرَابًا، ولهذا: ؟خَرَّ مُوسَى صَعِقًا؟ [الأعراف: ١٤٣].

....

(..لأحرقتْ سُبُحَاتُ وَجْهه ما انتهى إليه بصرُه من خلقِه). فهذا الخلق الذي خُلِقَ للفناءِ هل هو خلق للبقاء والخلود؟

أبدا، ما خلق شيءٌ إلا للفناءِ ؟ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ؟ [الرحمن: ٢٦]، هذا الخلق الذي خُلِقَ للفناء لا يمكن أن يَصْمُدَ أمام الدائمِ الباقي، لكن يومَ القيامة إذا أُعِيدَ تركيبُ هذه الأجسام وخُلِقَتْ للبقاءِ أم للفناء؟

للبقاء.

أعيدت للبقاء وللخلود استطاعت أن تَتَحَمَّلَ رؤية الباري الدائم –سبحانه وتعالى–.

يقول: (فكما لا يَتَجَلَّى لشيءٍ إلا اندَكَّ): كما حصل لجبل موسى. (كذلك لا تَوَهَّمَه أَحَدٌ إلا هَلَكَ): هذه نتيجةٌ طبيعيةٌ كما أنَّ هذه الجبالَ الرَّاسِيَاتِ اندكت لرؤيتِه –سبحانه وتعالى– لَمَّا تَجَلَّى لها، كذلك لو سَوَّلَتْ لشخصٍ نَفْسُه أن يَتَوَهَّمَه؛ لَهَلَكَ. والهلاك هذا هلاكٌ معنويٌّ ليس هلاكًا حقيقيًّا بمعنى أنَّ هذا سببٌ لضلاله وانحرافه.

(فَرُدَّ بما بَيَّنَ الله في كتابه من نَفْيِه عن نفسه التشبيه والمثل والنظير والكفؤ): بمعنى رُدَّ هذا الأمر، وادفع عنك هذه الوساوس بما أَوْضَحَه الله –عز وجل– في كتابه أنه: ؟ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ؟، ؟ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ؟، ؟ فَلاَ تَضْرِبُوا للهِ الأَمْثَالَ ؟ [النحل: ٧٤]، ليس لله مثيل ولا نظير ولا كفؤ، وعند ذلك تطمئن نفسك.

(فَإِنِ اعْتَصَمْتَ به وامْتَنَعْتَ منه؛ أَتَاك مِنْ قِبَلِ التَّعْطِيلِ بصِفَاتِ الربِّ –تبارك وتعالى– وَتَقَدَّسَ في كتابِه وسنَّةِ رسولِه محمد –صلى الله عليه وسلم– فقال لك: إذا كان موصوفا بكذا أو صفته؛ أَوْجَبَ لك التشبيهَ فَأَكْذِبْه؛ لأنَّه –اللعين– إنَّما يريد أن يَسْتَزِلَّك ويُغْوِيَك ويُدْخِلَك في صفاتِ الملحدين الزَّائغين الجاحدين لصفاتِ الربِّ –تعالى–.)

ذكر عمرو بن عثمان المكي –رحمه الله– أنَّ الشيطانَ يأتي الإنسانَ –في باب التوحيد– من جهةِ التَّشْبِيه، فيبدأ يُوسوس للإنسانِ أنْ يَتَخَيَّلَ وَيَتَصَوَّرَ، أو يُحاول أنْ يَتَصَوَّرَ وَيَتَخَيَّلَ حقيقة اللهِ –عز وجل–، فإذا عَصَمَ الله الإنسانَ أن يُوقِعَه الشيطان أو أن يَلِجَ عليه الشيطانُ من هذا البابِ انتقل إلى البابِ الذي ضد التشبيه وهو ماذا؟ ما ضِدُّ التشبيهِ؟

التعطيل.

التعطيل، فأتاه من باب التعطيل.

يقول: (فإن اعتصمت به وامتنعت منه)؛ أي من الشيطان؛ (أتاك)

....

لصفات الربِّ -تبارك وتعالى- وتقدس. فماذا يقول؟ يقول لك: (إذا كان موصوفا بكذا أو وصفته بكذا؛ أوْجَبَ لك التشبيه): كما هي الحال عند المعطلة قالوا: إذا وصفنا الله -عز وجل- بأنَّ له يَدَيْن؛ فقد شَبَّهْنَاه. إذا وَصَفْنَا الله -عز وجل- بأنَّ له علمًا؛ فقد شبهناه. إذا وصفنا الله -عز وجل- بأنه مستوٍ على العرش؛ فقد شبهناه.

فحملهم هذا الوهم وهذه الوساوس من الشيطان على التعطيل. وقالوا: إذن، لا نصف الله بالاستواء، ولا نصفه بالعلم، ولا نصفه بالقدرة، ولا نصفه بالإرادة، ولا نصفه بأن له وجهًا أو له يدًا.

طرفي نقيض.

نعم، ولهذا قال: انتبه فإنه يأتيك من طريق التشبيه أو من طريق التعطيل.

(فاعلم -رحمك الله تعالى- أنَّ الله واحدٌ -تعالى- لا كالآحاد، فرد صمد ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٣-٤].

إلى أن قال: خَلُصَتْ له الأسماءُ السَّنِيَّةُ فكانت واقعة في قديم الأزل بصدق الحقائق، لم يَستحدث -تعالى- صِفَةً كان منها خَلِيًّا أو اسمًا كان منه بريًّا -تبارك وتعالى-. فكان هاديًا سيهدي، وخالقًا سيخلق، ورازقا سيرزق، وغافرًا سيغفر، وفاعلا سيفعل، لم يحدث له الاستواء إلا وقد كان في صفة أنه سيكون ذلك الفعل فهو يُسَمَّى به في جملة فعلِه كذلك.

قال الله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢]، بمعنى أنه سيجيء، فلم يستحدث الاسم بالمجيء، وَتَخَلَّفَ الفعل لوقت المجيء، فهو جاء سيجيء. ويكون المجيء منه موجودًا بصفةٍ. لا تُلاحقه الكيفية ولا التشبيه؛ لأنَّ ذلك فعل الربوبية، فتحسر العقول وتنقطع النفوس عند إرادة الدخول في تحصيل كيفية المعبودِ، فلا تذهبْ في أحد الجانبين لا مُعَطِّلاً ولا مشبهًا، وارْضَ للهِ بما رَضِيَ به لنفسِه، وقفْ عند خَبَرِه لنفسه مُسَلِّمًا مُسْتَسْلِمًا مُصَدِّقًا بلا مُباحثةِ التَّنْفِيرِ ولا مناسبة التَّنْقِيرِ.)

(

يقول: (فاعلم -رحمك الله- أنَّ الله واحد -تعالى- لا كالآحاد، فرد صمد لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) بمعنى أنَّك إذا لم تَسلكْ مسلكَ التشبيهِ ولا مسلك التعطيل. إذن، فتوسطْ وَصِفِ الله -عز وجل- بما وَصَفَ به نفسَه وبما وَصَفَه به رسوله -صلى الله عليه وسلم-.

(خلصت له الأسماء السنية)؛ أي الموصوفة بالعلوّ؛ لأنَّ السَّنِيَّة من السناء الذي هو الضوء والنور.

(خلصت له الأسماء العلية): التي لها العلو المطلق.

(فكانت واقعة في قديم الأزل بصدق الحقائق): بمعنى أنَّ الله مُتَسَمٍّ بها منذ الأزلِ مُسَمًّى عليمًا حكيمًا رازقًا خالقًا.

(لم يستحدث –تعالى– صفة كان منها خليا، أو اسمًا كان منه بري): بمعنى أنَّ الله –عز وجل– لم يتصف بصفةٍ كان مُعَطَّلاً عنها، يعني في وقتٍ من الأوقاتِ لم يكن متصفا بهذه الصفات ثم اتصف بها.

)أو اسمًا كان منه خليًّ): بمعنى أنه مُتصف بهذه الصفات منذ الأزل.

(فكان هاديا سيهدي)؛ أي هاديا في الأزل، وسيهدي مستقبلا، وهاد في الوقت الحاضر.

(وخالقًا سيخلق، ورازقا سيرزق، وغافرًا سيغفر، وفاعلاً سيفعل): كما نُقِلَ عن ابن عباس –رضي الله عنه– في قوله –تعالى–: ؟ وكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ؟، ؟ وكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ؟، قال: «كان ولم يزل ولا يزال»؛ أي أنه متصفٌ بهذه الصفات في الأزل، والآن ومستقبلا، بمعنى لم يكن مُعَطَّلاً عن هذه الصفاتِ في وقتٍ من الأوقاتِ ثم استَحْدَثَ له هذه الصفات أو هذه الأسماء.

(لم يحدث له الاستواء إلا وقد كان في صفةٍ أنَّه سيكونُ ذلك الفعل، فهو يسمى به في جملة فعله كذلك، قال تعالى: ؟ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ؟ [الفجر: ٢٢]، علمًا أنه سيجيء): لكن هذا لِتَحَقُّقِ المجيءِ، ولهذا قال الله –عز وجل–: ؟ أَتَى أَمْرُ اللهِ ؟ [النحل: ١]، علما أنه سيأتي وهذا في لغة العرب سائر، إذا كان الشيء متحققًا يُعَبَّرُ عنه بـ:

صيغة الماضي.

صيغة الماضي.

؟ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ؟، علما أنه المجيء يوم القيامة لكن لتحقق وقوعه وصف نفسه بذلك –سبحانه وتعالى–.

(بمعنى أنه سيجيء فلم يستحدث الاسم بالمجيء وتخلف الفعل لوقت المجيء): بمعنى أنَّه لم يَتَخَلَّفْ هذا إلى وقتِ المجيءِ، ما دام أنه متحققُ الوقوعِ؛ فهو موصوفٌ به سبحانه.

(فهو جاء سيَجيء ويكونُ المجيء منه موجودًا بصفة لا تلاحقه الكيفية ولا التشبيه): يوصفُ بأنَّه يَجيء يومَ القيامة، لكنْ على الوجه اللائق به –سبحانه وتعالى– لا كمجيء المخلوق.

بدون تشبيه.

نعم، بدون تشبيه ولا تكييف، نحن نُثبت كما ثَبَتَ في كتاب الله –عز وجل– وكما ثبت في صحيح السنة؛ أنَّ الله –عز وجل– يأتي يوم القيامة، لكن كيفية هذا المجيء الله أعلم، هذا ليس لنا.

(لأنَّ ذلك فعل الربوبية فتحسر العقول وتنقطع النفس عند إرادة الدخول في تحصيل كيفية المعبود)؛ لأن هذا مِمَّا لا مَجَالَ للعقلِ في معرفةِ كيفيتِه.

(فلا تذهب في أَحَدِ الجانبين لا مُعَطِّلا ولا مُشَبِّه) بمعنى تَوَسَّطْ، (وارضَ للهِ بما رَضِيَ به لنفسه): بمعنى صِفِ الله –عز وجل– بما وصف به نفسه الله –عز وجل–، رضي لنفسه أنْ يَصِفَ نفسه بهذه الصفات فارضَ لله بما رَضِيَ لنفسه، لستَ بأعلمَ من الله –عز وجل–.

(مُسْلِمًا مُسْتَسْلِمً): أي مستسلمًا لهذه النصوص، لا تُعمل عقلك، لا تُعمل ذهنك، لا تُعمل اجتهادك، لا تُعمل قياسك.

(مصدقا بلا مباحثة التنفير ولا مناسبة التنقير): بلا مباحثة التنفير؛ أي لا تفرق فتثبت البعض وتنفي البعض.

التنفير هو التفريق لا تثبت البعض وتنفي البعض كما هي حالُ بعض المعطّلة.

(ولا مناسبة التنقير): التنقير: البحث والتفتيش، بمعنى استسلم للنصوص ولا تُفتش يعني تقول: إذا أثبت كذا؛ يلزم منه كذا، كما حصل مع المعطّلة. إذا أثبتنا لله الاستواء؛ لزم أن يكون الله جسمًا، والأجسام متماثلةٌ، إذن يَلزمُ أنْ نُشبِّهَ الخالق بالمخلوق. أو قالوا: إذا أثبتنا لله الاستواء؛ يلزم من أن يكون محتاجًا للعرشِ وهذا يتنافى مع جانب الإلوهية وجانب الربوبية.

نقول: لا، أثبتْ بلا مباحثةٍ التنقير، لا تُفَتِّشْ هذا ليس لك.

(إلى أن قال:

فهو -تبارك وتعالى- القائل: أنا الله لا الشجرة، الجائي قبل أن يكون جائيًا، لا أمره المتجلي لأوليائه في الميعاد، فتبيض به وجوهُهم وتفلج به على الجاحدين حجتهم، المستوي على عرشِه بعظمة جلالِه فوق كلِّ مكان -تبارك وتعالى-، الذي كلم موسى تكليما، وأراه من آياته فسمع موسى كلام الله لأنه قَرَّبَه نَجِيًّا، تَقَدَّسَ أن يكون كلامه مخلوقا أو محدثا أو مربوبا، والوارث لخلقه، السميع لأصواتهم، الناظر بعينه إلى أجسادهم، يداه مبسوطتان وهما غير نعمتِه، خَلَقَ آدمَ ونَفَخَ فيه من روحه -وهو أمره- تعالى وتقدس أنْ يحل بجسمٍ أو ما يُمازَج بجسم أو يُلاصَق به -تعالى عن ذلك علو كبيرا-، الشائي له المشيئة، العالم له العلم، الباسط يديه بالرحمة، النازل كل ليلة إلى سماء الدنيا؛ ليتقرب إليه خلقه بالعبادة وليرغبوا إليه بالوسيلة، القريب في قربه من حبل الوريد، البعيد في علوه من كل مكان بعيد ولا يشبه بالناس.

إلى أن قال: ؟ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ؟ [فاطر: ١٠]، القائل: ؟ أَأَمِنْتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ؟١٦؟ أَمْ أَمِنْتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ؟ [الملك: ١٦-١٧]، تعالى وتقدس أن يكون في الأرض كما في السماء جل عن ذلك علوًّا كبيرًا. اه)

)

يقول: (إلى أن قال: فهو -تبارك وتعالى- القائل: أنا الله لا الشجرة): كما جاء في الآية: ؟ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ؟ [طه: ١١]، ؟ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ [القصص: ٣٠]، وهذا ردٌّ على الجهمية ومُتَأَخِّري المعتزلة الذين زعموا أنَّ الكلام خرج من الشجرة، وأنَّ المتكلمَ الشجرةُ، وأنَّ الله خلق الكلام في الشجرة فسمع موسى كلام من الشجرة، وكان مقصودهم من ذلك نفيَ صفة الكلام عن الله -عز وجل-، ولكن رَدَّ عليهم أهل العلم قالوا: لو كان هذا الكلام صحيحًا؛ لكانت الشجرة هي القائلة: إني أنا الله رب العالمين، ولا يقول هذا مسلم.

فيريد أن يرد على هؤلاء الذين ينفون صفة الكلام عن الله -عز وجل-.

(الجائي قبل أن يكون جائي) كما تقدم الكلام لا أمره.

(المتجلي لأوليائه في الميعاد)؛ لأنه ثَبَتَ أنَّ الله –عز وجل– يَتَجَلَّى لعباده، فَأوَّلَ المعطلة التَّجَلِّي فقالوا: المقصود بالتَّجلِّي هنا تَجلِّي الأمر، أمر الله –عز وجل–، فَأثْبَتَ أنه هو المتجلي، وليس المتجلي هو أمره كما أوَّلَ هؤلاء هذا التأويل الباطل.

(فتبيض به وجوه، وتفلج به على الجاحدين حجتهم، المستوي على عرشه بِعَظَمَةِ جلالِه فوق كل مكان تبارك وتعالى): وفي هذا رد –أيضا– على نُفاةِ صفةِ الاستواءِ من الصوفيَّة وغيرهم.

(الذي كلم موسى تكليما، وأراه من الآيات فَسَمِعَ موسى كلام الله؛ لأنه قربه نجيا تقدس أن يكون كلامه مخلوقا أو محدثا أو مربوب): مخلوقًا: رد على الجهمية والمعتزلة الذين زعموا أنَّ كلام الله مخلوق، وأنَّ القرآن مخلوقٌ.

قوله: (مربوبً)؛ أي مملوكًا؛ لأنهم قالوا: نسبة الكلام إلى الله كنسبة الناقة والبيت: ناقة الله بيت الله، نسبة ملك إلى مالك. فَرَدَّ عليهم هنا، فالكلام صفة لله وليس ملكًا لله. كما هي الحال في الناقة والبيت هذه نُسِبَتْ إلى اللهِ –عز وجل– نِسْبَةَ مُلكٍ ونسبة تشريفٍ بخلافِ الصفاتِ –سبحانه وتعالى–؛ فإنها نسبةُ صفةٍ إلى موصوفٍ.

(والوارث لخلقه كما قال –تعالى–: ؟ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ؟ [مريم: ٤٠]) الوارث لخلقه؛ لأنَّ الله –عز وجل– يومَ القيامةِ يَكتب الفناءَ على كل شيءٍ، فكأنه وَرِثَ الأرضَ ومن عليها لأنَّه ما بقي على الأرض أحَدٌ.

(السميع لأصواتهم، الناظر بعينه إلى أجسادهم، يداه مبسوطتان وهما غير نعمته): رَدٌّ على من أوَّلَ اليدين بماذا؟

بالنعمة.

بالنعمة، كما هي الحال عند المعطلة الجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

(خلق آدم): أرادَ أنْ يُدَلِّلَ على أنَّ اليديْنِ صفتانِ للهِ حقيقتان، فقال: (خلق آدم ونَفَخَ فيه من روحه): خَلَقَه بيديْه ونفخ فيه من روحه.

ثم قال: (وهو أمره تعالى وتقدس أن يحل بجسم): بمعنى أن لا يَتَبَادَرَ إلى ذِهْنِ مسلمٍ أنَّه إذا كان نَفَخَ الله –عز وجل– فيه من روحه؛ فإنَّه حَلَّ في آدم شيءٌ من ذات الإله كما زعم النصارى، وكما سأل الأخ في الدرس الماضي.

(تعالى أن يَحلَّ بجسم أو يمازج بجسم أو يُلاصق به –تعالى– عن ذلك علو كبيرا، الشائي له المشيئة): الشائي من شاء أو من الشيئة اسم لشاء.

(له المشيئة): بمعنى أن يسمى الشائي وله صفة المشيئة.

(العالم له العلم، الباسط يديه بالرحمة، النازل كلَّ ليلة إلى سماء الدني): كما ثبت هذا في الصحيحين، (لِيَتَقَرَّبَ إليه خلقه بالعبادة، وليرغبوا إليه بالوسيلة): الوسيلة هي القربة ولهذا قال –سبحانه: ؟ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ؟ [الإسراء: ٥٧]؛ أي يتقربون إلى الله –عز وجل– بأنواع القُرَبِ.

(القريب في قُربه من حبل الوريدِ): وهذا سيأتي الكلام عليه –إن شاء الله– عند الكلام على كلام أبي عبد الله ابن خفيف.

هذه المسألة فيها خلاف: هل يُوصف الله -عز وجل- بالقُرْبِ العام، فيقال: قريب من الخلق جميعا، أقرب من حبل الوريد؟ والصحيح: لا. القرب لم يردْ إلا قربًا خاصًّا. أما القرب الذي وَرَدَ أنه أقرب من حبل الوريد؛ فالمراد قرب الملائكة لا قرب الله -عز وجل- ويأتي الكلام عليه.

(البعيد في علوه): هنا إثبات صفة العلو، هذا هو الشاهد من الكلام، ثم ساق الأدلة على إثبات صفةِ العلوِّ للهِ -عز وجل-، وفي هذا رَدٌّ على الصوفية بالدرجةِ الأولى الذين زعموا أنَّ الله حَالٌّ في كلِّ مكان، نقول: هذا إمام من أئمتكم يُثبت صفة العلوِّ، ويردُّ على من قال: إن الله حَالٌّ في كل مكان.

في بداية هذا الدرس عندما تناولنا قول عمرو بن عثمان المكي، وَذَكَرَ قضية التَّخَيُّلات التي قد يتخيلها الإنسان عن ذاتِ اللهِ -سبحانه وتعالى-. من ضمن الأخطار التي تهدد الناشئة غفلةُ الآباء عمَّا يتابعون مثل بعض الرسوم المتحركة التي قد يكون فيها تصوير للملائكة أو تصوير للذات الإلهيَّة، قد تأتي بصورةٍ غير مباشرةٍ، وقد تكون أفلامًا دون أن يذكر، لكن قد تَرْتَسِمُ في أذهان هؤلاء الناشئة بعض الصور من خلال متابعة مثل هذه الأمور. حبذا لو تنبيه.

من المصائب التي وَفدَتْ علينا في هذه العصور المتأخرة هذه السنوات المتأخرة هذه الرسوم المتحركة، وأكثرها المتعلق بما يسمى بالبلاي ستاشن، والتي غالبا ما يستخدمها هؤلاء الأطفال، هؤلاء الناشئة، أصحاب الفطر السليمة، وقد حُدِّثْنَا بل اطَّلَعْتُ على شيءٍ من هذا لما طلبت من أحد الإخوان أن يُطلعني مباشرة على شيء من هذه المخالفات العظيمة التي تَتَعَلَّقُ بجانبِ الاعتقادِ في هذه الرسوم المتحركة وهذه الألعاب المتحركة، هي خَطَرٌ دَاهِمٌ فعلا، وقد لا تَظهر آثار هذه الأفلام وهذه الرسوم وهذه الألعاب في المدى القريب لكن على المدى البعيد، وكان من ضمن هذه المخالفات ما ذكرها أخونا، فأحيانا يكون هناك تصويرٌ للملائكة، تصوير لجبريل بصور محددة، صور لبعض الأنبياء، بل ذكروا لي وإن كان ليس متيقنًا بعض الصور، وقالوا: يقصدون بها الذات الإلهية، القوة التي تَتَصَرَّفُ في هذا الكون، ناهيك عن تعظيم الصليبِ، الركوع للصليب، استمداد القوة والطاقة كما يُسَمُّون من الصليب صَرَاحَةً.

هذا اللاعب إذا أحس بنفسه الضعف؛ تَوَجَّهَ إلى مكانٍ محددٍ فكُشِفَ له عَنِ الصَّليبِ فاستَمَدَّ منه مِنَ القوةِ فاستطاع أنْ يَتَغَلَّبَ على أعدائه، ومخالفات حَدِّثْ ولا حَرَجَ.

فلا شَكَّ أنَّ هذا له علاقة مباشرة بجانب الاعتقاد، ولهذا نصيحتي للآباء والأمهات أن لا يتركوا أطفالهم وأبناءهم ضحايا لهذه الأفلام ينشؤون ويَتَرَبَّوْن عليها، وربما يَحدث بما لا يُحمد عقباه.

فالواجب إذا اضطروا أن يُحضروا لأبنائهم مثل هذه الألعاب أن يُراقبوهم وأن لا يُمكنوهم إلا من ألعابٍ مُراقبة ومعروفٌ محتواها، وأيضا أن يكون دائما تحت المتابعة وبالله التوفيق.

(وقال الإمام أبو عبد الله الحارث بن إسماعيل بن أسد المُحَاسِبِيُّ في كتابه المسمى "فهم القرآن"، قال في كلامه عن الناسخ والمنسوخ، وأنَّ النسخ لا يجوز في الأخبار قال:

لا يحل لأحد أن يعتقد أنَّ مدح الله وأسمائه وصفاته يجوز أن يُنسخ منها شيءٌ.

إلى أن قال:

وكذلك لا يجوز إذا أخبر أنَّ صفاته حَسَنَةٌ عليا أن يُخبر بعد ذلك أنَّها دَنِيَّةٌ سُفلى، فيصف نفسه بأنــه جاهــلٌ ببعض الغيبِ بعد أن أخبر أنه عالم بالغيب، وأنه لا يَبصر ما قد كان ولا يسمع الأصوات، ولا قدرة له ولا يَتَكَلَّمُ، ولا الكلام كان منه، وأنه تحت الأرض لا على العرش -جل وعلا- عن ذلك).

).

انتقل بعد هذا إلى النقل عن الإمام أبي عبد الله الحارث بن إسماعيل بن أسد المحاسبيّ المتوفى سنة ٢٤٣هـ. سمي المحاسبي قالوا: لكثرة محاسبته لنفسه، وهو من الأئمة الذين تُعظمهم الصوفية، وله مكانته وقدره -رحمه الله-.

قال عنه الذهبيّ: المحاسبي كبيرُ القدْرِ، وقد دَخَلَ في شيءٍ يسير من الكلام فنُقِمَ عليه، ولهذا أثنى عليه الإمام أحمد من وجهٍ وَحَذَّرَ منه من وجهٍ آخرَ.

يقال: إنه تَأَثَّرَ بطريقة ابن كُلاَّب في نفي الأفعالِ الاختياريَّة عن الله -عز وجل-، ولهذا تَكَلَّمَ فيه الإمام أحمد. لكن يقال: إنه رجع عن هذا المذهب.

ينقل الشيخ -الآن- عنه هذا الكلامَ الذي فيه رَدٌّ على أتباعه والذين يعظمونه من الصوفية من المتكلمين وغيرهم ممن ينفون عن الله -عز وجل- الصفات أو بعض الصفات.

نقل عنه من كتابه المسمى "فهم القرآن" والكتاب مطبوع وكبير يقول: قال: في كلامه على الناسخ والمنسوخ (وأن النسخ لا يجوز في الأخبار) معلوم أن الكلام كما سبق في أول الرسالة ينقسم إلى قسمين: خبر وإنشاء؛ والإنشاء طلب فعل أو طلب ترك.

النسخ يدخل في أيِّ النوعين؟

الخبر، جميل.

كلامي الآن: قام زيد هذا خبر أم إنشاء؟

خبر.

ولهذا قالوا: الخبر ما يصدق عليه الصدق والكذب، فإما أن أكون صادقًا أو كاذبًا أنه فعلا قام أو لم يقم.

النسخ لا يدخل الأخبار، ولم؟

نأخذ الإجابة -إن شاء الله- منكم بعد هذا السؤال، نأخذ اتصالاً هاتفيًّا:

تقول: السلام عليكم نشكر البرنامج الذي يفيد المسلمين، أحببت أن أسأل عن امرأة عاميَّة قريبة لي، إذا أرادات أن تُخاطب أطفالها تقول: "يزعل عليكم ربي" من باب التهديد، فالزعل ليس من صفاتِ الله -سبحانه وتعالى-. فكيف أنهاها عن هذا الشيء؟ وكيف أخاطبها؟

نقول: الأخبار لا يَدخلها النسخ، فالنسخ لا يدخل إلا الإنشاء الذي هو أمر فعل أو أمر ترك، هذه قاعدة عامة مُطَّرِدة حتى في نصوص الوحيين.

إذا كان الخبر خاطئًا.

هذا ما يسمى نسخًا.

تصحيح.

تصحيح خطأ.

لماذا لا يدخل النسخُ الأخبارَ؟

لأنه يَلزم عليه الكذبُ، فلو قال لنا الأخ: حضر محمد بالأمس، ثم جاء وقال: لا تراه، ما حَضرَ، نسخت خَبَرًا، قال: هذا كذب، كذبت عليه.

ولهذا فالأخبار في القرآن لا يمكن أن تُنسخ، فلا يمكن أنْ يُخبرَ الله -عز وجل- أنه مُتَّصِفٌ بصفة ثم يَنسخ ذلك؛ لأنَّه يلزم عليه الكذب. بمعنى أن يقول: إنه متصف بالسمع، ثم يقول: نسخت ذلك، لا، أنا لست متصفًا بالسمع، تعالى الله عن ذلك. لكن يأمر باستقبال بيت المقدس، أمر ثم ينسخ ذلك فيأمر باستقبال الكعبة المسجد الحرام.

آتي وأقول: الاختبار غدا أمْرٌ، فإذا جاء الغد؛ قلت: نسخت طلبي السابق فيكون الاختبار بعد غدٍ، هذا جائزٌ. لا تفعل كذا، فأنسخه وأقول: افعل كذا. لكن لا يجوز أن أُخْبِرَ بشيء ثم آتي وأخبر بخلاف وأقول: نسخت الخبر الماضي ويقال لي: هذا كذب، أنت كذبت في خبرك.

أو أنها نقيصة تدل على جهل مثلا.

الجهل أو الكذب.

ولهذا قال الشيخ هنا: (وأن النسخ لا يجوز في الأخبار.) قال: (لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله وأسماءه وصفاته يجوز أن ينسخ منها شيء)؛ لأنها من باب الخبر.

ما ينسخ منها شيئًا، فإذا أثبتها الله -عز وجل- لنفسه؛ ثبتت، ما يدخلها النسخ، بخلاف الأوامر والنواهي؛ قد يدخلها النسخ.

إلى أن قال: (وكذلك لا يجوز إذا أخبر أنَّ صفاته حسنة عليا أن يخبر بعد ذلك أنها دنية سفلى)؛ لأنه من باب الخبر.

(فيصف نفسه بأنه جاهل بعض الغيب بعد أن أخبر أنه عالم بالغيب) إلى آخر ما ذكر.

(فإذا عرفت ذلك واستيقنته؛ عَلِمْتَ ما يجوز عليه النسخ، وما لا يجوز. فإن تَلَوْتَ آيةً في ظاهر تلاوتها وتحسب أنها ناسخة لبعض أخباره كقوله عن فرعون: ﴿ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ ﴾ [يونس: ٩٠]، وقال -تعالى-: ﴿ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾ [محمد: ٣١].

وقال: قد تَأوَّلَ قومٌ أنَّ الله عَنِيَ أنْ يُنَجِّيَه ببدنه من النار إذْ قد آمن عند الغرق. وقالوا: إنمـــا ذكـــر الله قـــومَ فرعونَ يدخلون النار دونه، وقال: ؟ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ؟ [هود: ٩٨]، وقال: ؟وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَــوْنَ سُــوءُ الْعَــذَابِ؟ [غافر: ٤٥]، ولم يقل: بفرعون.

وقال: وهكذا الكذبُ على اللهِ؛ لأن الله –تعالى– يقول: ؟ فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى ؟ [النازعـــات: ٢٥]، وكذلك قوله –تعالى–: ؟ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ؟ [العنكبوت: ٣].

فاقرأ التلاوة على استئناف العلم من الله –عز وجل– على أن يستأنف علما بشيء؛ لأنه من ليس له علم بمـــا يريد أن يصنعه لم يقدر عليه أن يصنعه نَجِده ضرورة.)

)

يقول: (فإذا تَلَوْتَ آيةً في ظاهرِ تلاوتِه): يعني ظهر لك من ظاهر تلاوتِها أنها ناسخةٌ لبعض أخباره كقوله –تعالى– عن فرعون: ؟ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ ؟.)

ثم ذكر في الآية: ؟ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ؟، هذا يُفهم منه أنَّ هذه الآية ناسخةٌ لقوله –ســـبحانه–: ؟ فَأَخَـــذَهُ اللهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى ؟، مقولة: ؟ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ؟ [النازعات: ٢٤]، و: ؟ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّـــنْ إِلَـــهٍ غَيْـــرِي ؟ [القصص: ٣٨]، الله –عز وجل– قال: ؟ فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ ؟ الكلمة الأولى والأخيرة.

كيف أَثْبَتَ الله –عز وجل– أَنَّه آمن وَأَثْبَتَ أَنَّه نَجَّاه؟

هل هذا يمكن؟

لا يمكن؛ لأنه خبرٌ من الله، ولا يمكن أن ينسخ ذلك.

بالطبع هناك من زَعَمَ أنَّ الله –عز وجل– فعلا أنَّه آمن وأنه قَبِلَ إيمانه، ولهذا قال: الله –عز وجل– ما ذَكَـــرَ أنَّه أدْخَلَه النَّارَ، وإنما أدخل آل فرعون: ؟ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ؟ [هود: ٩٨]، بمعنى أنه أدخـــل قومه لكن هو لا يَدخل النار والصحيح بل هو يدخل النار مع قومه وخالد مخلدا فيها.

فما معنى قول الله –عز وجل–: ؟ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ؟؟

ذهب بعض المفسرين ومنهم الحارث المحاسبيّ أنَّ بَنِي إسرائيل شَكَّوْا في موته لهذه الهالة التي اكتسى بها.

أنه إلاه؟

نعم، وأنه إله قالوا: لا يمكن أن يغرق فرعون، فأمر الله –عز وجل– بالبحرِ أنْ يَرمـــيَ بجـــسمِه بـــلا روح ليشاهدوا أنَه مات وهلك، فقال الله –عز وجل: ؟ الْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ؟، ليستيقن هؤلاء أنـــك فعلا لست بإلاه. لو كنت إلاهًا؛ لَمَا غرقت ولا ما أغرقك الماء.

الشاهد أنه أراد أن يردَّ على من زَعَمَ أو تَوَهَّمَ أنَّ هذه الآية أو تلك الآية: ؟ فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى ؟، منسوخة بـــقوله: ؟ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ ؟، قال: ليس في هذا نسخ.

ثم الآية الأخرى أيضا ربما يتوهم الإنسان: ﴿ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾، نعلم الاستئناف، بمعنى أنه لم يكن عالِمًا.

قال: (وأيضا هذا لا يمكن) مع ما معناه؟ يقولون: مثله ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ [العنكبوت: ٣].

(فَأَقَرَّ التلاوة على استئنافِ العلم مِنَ الله –عز وجل– على أن يستأنفَ علما بشيء؛ لأنه من ليس له علم بما يريد): بمعنى أن الله عِلْمُه سابق الأشياء، ولا يمكن أن يخلق الخلْقَ وهو ليس بعالمٍ.

لماذا؟

﴿ وَلِلهِ الْمَثَلُ الأعْلَى ﴾، ذكر مثالاً تقريبيًّا، قال: (لأنه من ليس له علم بما يريد أن يصنعه لم يقدر عليه أن يصنعه.)

نجد هذا ضرورة، الآن أنت إذا أردت ﴿ وَلِلهِ الْمَثَلُ الأعْلَى ﴾ أن تصنع هذا الكأس لا بد أن يسبق في ذهنك علم متصور لهذا الكأس أم لا؟! اختصر الشيخ كلام الحارث بن المحاسبي هنا، ذكر يقول: الإنسان الذي ما عنده علم بالقراءة والكتابة، وليس عنده تصور لما يكتب لا يمكن أن يخرج كتابا مفهوم المعنى مترابط الألفاظ صُدْفَةً، هل يمكن هذا؟! يمسك القلم كذا بخبط عشواء فيخرج لنا كتابًا مسبوكًا ذا معانٍ مترابطة، لا يمكن، لا بد أن يكون عنده أولا تصورٌ وعلمٌ، فكذلك الله –عز وجل– وَلِلهِ الْمَثَلُ الأعْلَى.

يريد أن يثبت أن علمه صفة ذاتية له وأنه لا يمكن أن يخلق الخلق إلا وقد تقدم العلم بذلك.

قبل أن نستمر بالشرح يا شيخ حتى لا ننسى سؤال الأخت لعلنا نأخذ الإجابة تقول:

هناك امرأة عامية تقول لأبنائها ترى أن الله يزعل عليكم؟

هذا منتشر عند بعض عجائزنا –مَتَّعَهن الله عز وجل بالصحة والعافية– وهذا من باب التَّجَوُّزِ، وإلا فالواجب أنْ لا يُوصَفَ الله –عز وجل– إلا بما وصف به نفسه، فلا يوصف أن الله يَزْعَلُ. فالمفترض أن تُنَبَّهَ هذه الأمُّ أو هذا الأبُ. يقال: استخدم الألفاظ الشرعية، فإذا فعل الابن فعلاً تَرَيْنَ أنه مما يُغضب الله –عز وجل– أو يُخالف أمر الله –عز وجل– من معصية الوالدين أو فعل بعض المنكرات أو فعل بعض المحرمات أو التقصير في بعض الواجبات؛ تقولين لهذا الابن: يُخشى عليك أن يغضب الله –عز وجل– عليك، إن الله –عز وجل– يفعل بك كذا لكن تستخدم كلمة يغضب وتترك كلمة يزعل.

تقول: شيخنا هل في لفظ الثقة بالنفس محظور شرعي؟

لا، لا يظهر لي أن هناك محظورًا شرعيًّا، لكن في الحدود ثقة بالنفس ليست الثقة المطلقة؛ لأنَّ الثقة المطلقة هذه لا تَتَأَتَّى لأحدٍ، ولا يمكن أن تحصل لأحدٍ، وهذه لا تكون إلا من الله –عز وجل–، لكن الثقة بالنفس الثقة المحدودة التي يستطيع من خلالها الإنسان أن يؤدي عملاً من الأعمال، لا بد أن يكون عنده قدر من الثقة بنفسه. أما إذا كان مُتَرَدِّدًا؛ فإنه لا يمكن أن يؤدي هذا العمل ولا يمكن أن ينتج. فلا أرى أن في هذا محظورًا.

يقول: في قوله الله –تعالى–: ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ [البقرة: ٣٠]، كيف علمت الملائكة بذلك قبل أن يخلق الله آدم؟

قال المفسرون –رحمهم الله– لهم في هذا الآية قولان، أو يحضرني من هذا قولان:

القول الأول: أنَّ الله -عز وجل- خلق الجن وأنزلهم إلى الأرض قبل الإنس، فسفكت الدماء، ففعلت وفعلت، فتصور الملائكة أنَّ بني آدم سيحصل منهم ما حصل من الجن.

القول الثاني: أن الله -عز وجل- أطلعهم على شيء من ذلك.

تقول: ما معنى قول المؤلف -رحمه الله: "ولم يحدث له الاستواء إلا وقد كان في صفة أنه سيكون ذلك الفعل فهو يسمى به في جملة فعله"؟

هذا من التَّجَوُّزِ الذي وقع فيه المؤلف، وسيقع فيه الحارث بن المحاسبي قضية استحداث وأحدث ليست هذه من عبارات السلف، وليس لها أصل في الكتاب والسنة. ولكن أحيانا يُتَجَوَّزُ فيها هؤلاء في مَعْرِضِ الرَّدِّ، وفي معرض النقد لكلام أهل الباطن، وإلا نقول تركها أَوْلَى.

السلام عليكم ورحمة الله، يا شيخ الله يجزيك خيرًا نحن معلمات دراسات إسلامية، وكثير ما نسأل من قبل الطالبات يقولون: الإنسان لما يدخل الجنة ماذا بعد الجنة؟ كيف ستكون الحياة في الجنة الله؟ الله يجزيك خيرًا نبغي إجابة لهذا السؤال.

في أي مرحلة دراسية؟

الابتدائي، المتوسط كثير ما نقابل هذا السؤال.

ينبغي على المعلمة والمعلم إذا سُئلت مثل هذا السؤال أن تُبَيِّنَ للسائل أيًّا كان عمره لكن بالأسلوب الذي يَتَنَاسَبُ مع المستوى الزمني لهذا الشخص أو المرحلة الدراسية لهذا الشخص، أن الجنة هي غاية المنى، وأفضل نعيم الجنة -وهو جزء من نعيم الجنة- رؤيةُ الله -عز وجل- لكن يقال لهؤلاء: ليس بعد ذلك إلا النعيم الدائم، وهذا مطلب كل مخلوق، أن يُمَتَّعَ، ولهذا يتجدد النعيم لهم لأجل أن لا يحصل فيه ملل. إذا ذهبوا عن أهليهم كما جاء في الأخبار إلى ملاقاة الله -عز وجل- ثم رجعوا إليهم؛ رجعوا إليهم وقد ازدادوا بهاءً وجمالا وحسنا، وكذلك الأهل، وكذلك الملك.

ولهذا هم في نعيم متجدد، ويكفي في ذلك قول الله -عز وجل-: ﴿فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ﴾ [الزخرف: ٧١]، وهذا أعظم نعيم، فهم خالدون مخلدون فيها أبد الآباد.

ويحسن من الأخوات والإخوة أن يُقربوا هذه المعاني بالأمثلة الواقعية الحسية، خاصة إذا كان سن الطالب في مقتبل العمر، دائما استخدام الأمثلة الحسية كما استخدمها النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- في غير ما مناسبة، استخدمها مع كبارِ الصحابة لمَّا سألوا عن رؤية الله -عز وجل- وكيف هو واحد ونحن جميع؟ قالوا: قرب لنا في آلاء الله يعني مَثِّلْ لنا، فَضَرَبَ لهم مثالاً بالشمس والقمر: كل واحد منكم الآن يرى الشمس والقمر هل يُحِسُّ بمضايقة أو زحام؟ لا، قال: كذلك سترون الله -عز وجل-. فلا مانع أن يُمَثِّلَ لهؤلاء ويُقَرِّبُ لأذهان هؤلاء ببعض الأمثلة الحسيَّةِ.

من خلال إيرادات شيخ الإسلام ابن تيمية من كتب الصوفية كما مَرَّ معنا في هذه الحلقة واللقاء الماضي، هل يُفهم أنَّ هذا الكتاب الذي اقْتَبَسَ منه شيخُ الإسلام ابن تيمية هذه النقولات التي تُثْبِتُ الصفاتِ للهِ -سبحانه وتعالى- أن يؤخذ هذا الكتاب بالجملة بما فيه؟

جميل، جزاك الله خيرًا.

نعم، سيجيبُ عليه الشيخُ، وما غاب عن ذهنه هذا السؤالُ، أو هذا الإيراد، سيذكر في النهاية: «وليس كل من نقلنا عنه يقول بكل ما نقول»، فليس كلُّ ما في هذا الكتاب الذي نَقَلْتُ منه كله مُسلَّمًا به، لكنَّ الحقَّ -وهذا من مميزات هذا الرجل وهذه هي المنهجية العلمية لطالب العلم- الحق يُقبل مِمَّنْ جاء به. فأنتم -مَعَاشَرَ الصوفيَّة!- تُعَظِّمُون هذا الرجلَ، وتُقَدِّرُون هذا الرجلَ، وتنتسبون لهذا الرجل، ونحن -أهل السنة- نُعَظِّمُه بما يَسْتَحِقُّه، ولكنْ هذا كلامُه يُخالف اعتقادَكم؛ فعليكم أنْ تقبلوا بكلِّ كلامه أو تتركوا كلَّ كلامه.

سؤال هذه الحلقة:

يمكن أن نسأل سؤالاً عامًّا نقول:

لماذا أكثر الشيخ من النقل عن بعض الأئمة الذين يَنتسب إليهم بعض الطوائف المخالفة لأهل السنة كما نقل عن أئمة الصوفية؟

الدرس الثالث والعشرون

تابع باب الإيمان بالعرش

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وآلــه، وصــحبه أجمعين.

نُذكِّر الإخوة بالسؤال الذي طُرح في نهاية الدرس الماضي ثم نستعرض الإجابات.

سبق طرْح السؤال الآتي:

أكْثَرَ الشيخ من النقل عن بعض الأئمة الذين ينتسب إليهم بعض المخالفين لأهل السنة. فما الحكمة في ذلك؟

شاركت معنا مجموعة كبيرة من الأسماء في هذه الحلقة عَبْرَ موقع الأكاديمية، وعبــر البريــد الإلكترونــي المخصّص لتلقي الإجابات. لعلنا نستعرض الإجابات:

لماذا أكثر الشيخ من النقل عن بعض الأئمة الذين ينتسب إليهم بعض الطوائف المخالفة لأهل السنة؟

تقول:

نقل الشيخ –رحمه الله تعالى– عن بعض أئمة المذاهب المعتمدة: الأحناف، والمالكية، والشافعية، والحنابلــة، وكذلك أئمة الصوفية الذين قرروا مذهب أهل السنة والجماعة في أصول الاعتقاد لا سيما فيما يتعلق بأسماء الله –تعالى– وصفاته؛ ليرد على أتباعهم من فقهاء تلك المذاهب ممن ابْتُلِيَ بالازدواجية؛ حيث إنهم اتبعــوهم فــي مسائل الفروع، وناقضوهم في مسائل الاعتقاد؛ فمنهم من جنح إلى التأويل، ومنهم من سلك مــسلك التعطيــل أو التمثيل.

فهو –رحمه الله تعالى– أراد أن يُقيم الحجَّة على هؤلاء المخالفين بكلام أئمتهم المتبوعين المعظَّمين لــديهم، وبما قرَّروهم لإثبات الصفات وَفْقَ نصوص الوحيين والله –تعالى– أعلى وأعلم.

جميل، الإجابة صحيحة مائة في المائة.

نُكمل ما أوْرَدَه شيخ الإسلام في هذه الإجابة، وكنَّا قد توقّفنا في اللقاء الماضي عند قول الحارث المحاسبي.

قال –رحمه الله– في جوابه في "الفتوى الحموية الكبرى" امتدادا لنقله عن الحارث المحاسبي: (قال: ﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤]، قال: وإنما قوله: ﴿ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ ﴾ [محمد: ٣١]، إنما يريد حتى نراه. فيكون معلوما موجودا؛ لأنه لا جائز أن يكون يعلم الشيء معدوما من قبل أن يكــون، ويعلمــه موجودا كان قد كان، فيعلم في وقت واحد معدوما موجودا وإن لم يكن، وهذا المحال.)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لا زال الكلام للحارث المحاسبي -رحمه الله تعالى- يقول: (قال: ؟ ألاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ؟، قال: وإنما قوله: ؟ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ ؟ إنما يريد حتى نراه فيكون معلوما موجودا.)

الحارث يريد أن يُبيِّن أن العلم ليس جديدا على الله -عز وجل-، بمعنى أن صفة العلم ليست من الصفات التي حدثت له ولم تكن موجودة، يقول: ربما يَرِدُ على بعض الناس قوله سبحانه: ؟ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ ؟، بمعنى أن هذا العلم جَدَّ له -سبحانه وتعالى- يقول: هذا مستحيل، لكن لأنه يستحيل أن يكون الله -عز وجل- يعلم الشيء موجودا ومعدوما في آن واحد.

ولعلي أضرب مثالا من الواقع يُقَرِّبُ المعنى إلى الذهن، نحن الآن نعلم أن كل حيٍّ سيموت أم لا؟! هذا علم يقين. فإذا مات الشخص، هل حدث علم جديد؟ لا، لكن ازداد الإنسان علما ويقينا بهذه الحقيقة، هذا مثال تقريبي.

الشاهد أن الله -عز وجل- متصف بالعلم أزلا وأبدا، فإذا قال: ؟ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ ؟، اختلف أهل التفسير في معنى هذه الآية وأمثالها، بمعنى حتى يظهر هذا عيانا للخلق، حتى يتبين، لأنه سابق في علم الله، والآن ظهر للناس، فعُلم المجاهد وعُلم الكاذب، كما حصل في غزوة أحد. ابتلى الله -عز وجل- الذين مع النبي -صلى الله عليه وسلم- ليُمَحِّصَ ما في قلوبهم، ويتضح النِّفاق ولهذا نكص عبد الله بن أُبَيّ ومن معه من المنافقين، فظهر علم الله -عز وجل- للملأ.

ولهذا لا يُحاسب العبد على ما في علم الله -عز وجل-، وإنما يُحاسب على ما ظهر من فعله، وإلا؛ فالله -عز وجل- قد علم أن أبا لهب -منذ الأزل- سيموت على الكفر. لكن هل يمكن أن يحاسبه أو يعذّبه على هذا العلم دون أن يظهر منه الكفر حقيقة؟ الجواب: لا، وهذا مناف لعدل الله عز وجل.

(وذكر كلاما في هذا في الإرادة إلى أن قال:

وكذلك قوله تعالى: ؟ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ؟ [الشعراء: ١٥]، ليس معناه أن يُحْدِثَ له سمعا ولا تكلف لسمع ما كان من قولهم. وقد ذهب قوم من أهل السنة أن لله اجتماعا حادثا في ذاته، فذهبوا إلي أن ما يعقل من الخلق أنه يَحْدُثُ منهم علمُ سمعٍ لِمَا كان من قول؛ لأن المخلوق إذا سمع؛ حدث له عَقْدُ فهمٍ عمَّا أدركته أذنه من الصوت، وكذلك قوله: ؟ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ؟ [التوبة: ١٠٥]، لا يستحدث بصرا مُحْدَثًا في ذاته، وإنما يحدث الشيء فيراه مكونا كما لم يزل يعلم قبل كونه.)

)
)

على كل حال هذا من المزالق التي يا ليت الحارث لم يدخل فيها -رحمه الله-، والشيخ إنما ذكرها من باب الأمانة العلمية، وإلا؛ فنحن نثبت لله -عز وجل- سمعا لائقا به -سبحانه-، ولا نقول إنه يحدث أو لا يحدث، وهذا مما حدا بالمعطلة..

جاء بمثل هذه العبارات من باب التأكيد في الرد على من نفوا صفة السمع عن الله –عز وجل–، ونحن نقول: الأولى تركها. وإنما تُجرى النصوص على ظاهرها، يقال: نثبت لله السمع، وكيفية هذا السمع الله أعلم بها. هل هو مثل سمع المخلوق مثلما أراد أن ينفيه الحارث عن الله أنه يُحدث له عقد استماع في ذهنه إلى آخره؟

لا شك أننا نعتقد أن الله –عز وجل– لا يكون ذلك منه؛ لأنه لا يمكن أن يكون مماثلا لخلقه سبحانه وتعالى.

(إلى أن قال: وكذلك قوله تعالى: ؟ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ؟، وقوله تعالى: ؟ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ؟ [طه: ٥]، وقوله: ؟ أَأَمِنْتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ؟ [الملك: ١٦]، وقوله تعالى: ؟ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ؟ [فاطر: ١٠]، وقوله تعالى: ؟ يُدَبِّرُ الأمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ؟ [السجدة: ٥]، وقال تعالى: ؟ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ؟ [المعارج: ٤]، وقال لعيسى: ؟ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ؟ [العمران: ٥٥]، وقال تعالى: ؟ بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ ؟ [النساء: ١٥٨]، وقال تعالى: ؟ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ؟ [الأعراف: ٢٠٦].

وذكر الآلهة أنْ لو كانوا آلهةً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا، إلى طلبه حيث هو، فقال: ؟ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لأَبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ؟ [الإسراء: ٤٢]، وقال تعالى: ؟ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلَى ؟ [الأعلى: ١].

قال أبو عبد الله: فلن ينسخ ذلك أبدا.)

)
)

ثم ذكر الشاهد من إيراد كلام أبي عبد الله الحارث المحاسبي، وهو التصريح بإثبات صفة العلو لله –عز وجل– خلافا لأتباعه من حلوليَّة الصوفيَّة، وساق الأدلة التي سبق ذكرها وتكرارها عن غيره من الأئمة المصرِّحة بأن الله –عز وجل– يُوصف بالعلو.

يقول: (فلن ينسخ ذلك أبد): يعني هذه النصوص المثبتة لله صفة العلو هي من باب الخبر، نرجع إلى أصل كلام الحارث المحاسبي: أن الأخبار لا يدخلها النسخ؛ لأنه لو دخلها النسخ؛ لكان هذا كذبا، وهذا مستحيل على الله –سبحانه وتعالى–.

يقول: هذه نصوص من باب الخبر أثبتت لله صراحة صفة العلو، فلا يمكن أن تُنسخ. إذن، سيرد عليها بعض الإشكالات ولهذا سيوردها الحارث المحاسبي.

وشيخ الإسلام نَصَّ عليها في هذه الفتوى؛ لأنها إجابة للسؤال الأساس الذي ذكرته.

نعم، وجُلُّ الفتوى أُلِّفَتْ لإثبات صفة العلو لله عز وجل.

(كذلك قوله تعالى: ؟ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ ؟ [الزخرف: ٨٤]، وقوله تعالى: ؟ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ؟ [ق: ١٦]، وقوله تعالى: ؟ وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ؟ [الأنعام: ٣]، وقوله تعالى: ؟ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ؟ [المجادلة: ٧]، فليس هذا بناسخ لهذا ولا هذا ضد لذلك.)

لاحظتم معي الآن، ساق النصوص التي فيها التصريح بإثبات صفة العلو لله –عز وجل–. قال: هذا لا يمكن أن ينسخ؛ لأنه خبر، ثم أورد بعض النصوص التي ربما يتبادر إلى الذهن أن ظاهرها مخالف للنصوص السابقة، قال: ؟ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ ؟، كيف تقولون إن الله موصوف بالعلو وهنا يقول الله –عز وجل–: ؟ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ ؟، وهذه من الشبه التي تَمَسَّكَ بها الحلولية.

أما تفسير الآية؛ فظاهر، وكما ذكر ابن كثير أنه رأي جمهور المفسرين، وهو الذي تتفق معه ظاهر النصوص: ؟ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ ؟؛ أي معبود أهل السماء ومعبود أهل الأرض؛ لأن "الإلاه" مِنْ أَلِهَ يَأْلَهُ؛ أي عَبَدَ يَعْبُدُ، "إلاه" أي مألوه، إذن معنى الآية: ؟ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ ؟؛ أي إلاه أهل السماء وإلاه أهل الأرض.

ثم ذكر أيضا: ؟ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ؟، أيضا هذه لا تتنافى مع النصوص السابقة؛ لأن القُرْبَ هنا على القول الصحيح أنه قرب الملائكة، وعلى قول بعض أهل العلم أنه من القرب العام، كما هي في المعية: مَعِيَّة عامة ومَعِيَّة خاصة. وسيأتي مزيدٌ لهذا الكلام بعد أَسْطُرٍ.

؟ وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ؟؛ أي أن الله –سبحانه وتعالى– عِلْمُه في السماوات وفي الأرض. ؟ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ؟، هذا سبق الكلام عليه وسيتحدث عنه الشيخ تفصيلا أن المقصود هنا معية العلم، الشاهد قوله: فليست هذه النصوص ناسخة لتلك النصوص، لماذا؟ لو قال قائل: من هذه النصوص الأخيرة: ؟ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ ؟، ؟ وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ ؟، أنها ناسخة لنصوص العلو، فيقال له: إن هذا من باب الأخبار ابتداء، والخبر لا يجوز نسخه.

يقول: (ولا هذا ضد لذلك): هذه النصوص ليست بضد للنصوص السابقة، بل الجميع –ولله الحمد– متفق ولا منافاة بين النصوص.

لم يُوَسِّع الحارث المحاسبي القول في تفنيد الشُّبَه، وإنما ذكر الأدلة إجمالا.

سيتوسع الشيخ بعدما ينتهي من هذه النقولات، وسيورد النصوص التي فيها إثبات المعية لله –عز وجل– ليُبين أنها لا تتنافى مع نصوص العلو لله سبحانه.

(واعلم أن هذه الآيات ليس معناها أن الله أراد الكون بذاته فيكون في أسفل الأشياء، أو ينتقل فيها لاسْتِفَالِها وَيَتَبَعَّضُ فيها على أقدارها ويزول عنها عند فنائها جل وعز عن ذلك.

وقد نزغ بذلك بعض أهل الضلال فزعموا أن الله –تعالى– في كل شيء بنفسه كائنا، كما هو في العرش، ولا فرق بين ذلك عندهم، ثم أحالوا في النفي بعد تثبيت ما يجوز عليه في قولهم ما نَفَوْه؛ لأن كل من يُثبت شيئا في المعنى ثم نفاه بالقول لم يُغنِ عن نفيه بلسانه، واحتجوا بهذه الآيات أن الله –تعالى– في كل شيء بنفسه كائنا، ثم نفوا معنى ما أثبتوه فقالوا: لا كالشيء في الشيء.)

)
)

يقول الشيخ: إن هذه النصوص ليس فيها مُتَمَسَّكٌ لأهل الحلول، ولهذا قال: (وقد نــزغ بــذلك بعــض أهــل الضلال)؛ أي حلولية الجهمية، وأهل الحلول من الصوفية هم الذين زعموا أن الله في كل مكان وحالٌ فــي كــل شيء كما أنه على العرش.

ثم أراد أن يُبين تناقضهم لأنهم أُوردَ عليهم: هل الله –عز وجل– حَالٌّ في كل شيء مثل حلول الــشيء فــي الشيء؟ قالوا: لا، لا كالشيء في الشيء.

وهذا تناقض، ولهذا قال: أنتم تناقضتم؛ أثبتم أن الله حالٌّ في كل شيء مُتَّحِدٌ بكل شيء، ثم قلــتم: لا حلــول الشيء في الشيء، وهذا مستحيل عقلا.

(قال أبو عبد الله: أما قوله: ؟ حَتَّى نَعْلَمَ ؟، ؟ وَسَيَرَى اللهُ ؟، ؟ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ؟، فإنما معناه: حتى يكون الموجود فيعلمه موجودا، ويسمعه مسموعا، ويبصره مُبْصَرًا، لا على استحداث علم ولا سمع ولا بصر.)

يعني حتى يراه قد وُجِدَ، سبق في علم الله والآن وُجِدَ فيراه موجودا.

(وأما قوله تعالى: ؟إِذَا أَرَدْنَ؟: إذا جاء وقت المراد فيه.)

بمعنى أن إرادة الله –عز وجل– سبقت، ولا يعني هذا أن إرادته كانت بعد أن لم تكن.

(وأن قوله: ؟ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ؟، ؟ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ؟، ؟ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْــسِفَ بِكُــمُ الأَرْضَ ؟، ؟ إِذًا لاَّبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ؟، فهذا وغيره مثل قوله: ؟ تَعْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ؟، وقوله: ؟ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ؟.

هذا منقطع يُوجب أنه فوق العرش، فوق الأشياء كلها، مُنَزَّه عن الدخول في خلقه، لا يخفى عليه منهم خافية؛ لأنه أَبَانَ في هذه الآيات أن ذاتَه بنفسه فوق عباده؛ لأنه قال: ؟ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ؟، يعنـــي فـــوق العــرش، والعرشُ فوق السماء؛ لأن من قد كان فوق كل شيء على السماء في السماء، وقد قال مثل ذلك قال: ؟ فَــسِيحُوا فِي الأَرْضِ ؟ [التوبة: ٢]، يعني على الأرض، لا يُريد الدخول في جَوْفِها، وكذلك قوله: ؟لأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُــذُوعِ النَّخْلِ؟ [طه: ٧١]، يعني فوقها عليها.)

)
)

ساق الأدلة المبينة أن الله ليس بحالٍّ في الأشياء، والآن يؤكد على هذه الحقيقة للرد على هذه الطائفة المنتسبة إليه وإلى غيره أن الله حالٌّ في كل مكان، أراد أن يبين يقول: هذه الأدلة دالَّة على أن الله منفصل عــالٍ علــى الأشياء، ولهذا ؟ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ؟، ؟ تَعْرُجُ الْمَلاَئِكَــةُ وَالــرُّوحُ إِلَيْــهِ ؟، هنــاك انفصال: ؟ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ؟، ثم أراد أن يرد على الشبهة التي سبق أن أوردناها أن "في" ربما تقتضي أن تكون السماء محيطة بالله –عز وجل–، واستدل على ذلك بقوله: ؟ فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ ؟، وقوله: ؟لأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ؟، بمعنى عليها.

(وقال: ؟ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ؟، ثم فَصلَ فقال: ؟ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ ؟ [الملك: ١٦]، ولم يصل، فلم يكن لذلك معنى؛ إذ فَصلَ بقوله: ؟ مَّن فِي السَّمَاءِ ؟، ثم استأنف التخويف بالخسف، إلا أنه على عرشه فوق السماء.)

يريد أن يُثبت أن الله منفصل، ليس في الأرض، ليس حالاً في الأرض. ؟ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ؟، انتهى الكلام، جملة مكتملة، ؟ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ ؟، الأرض شيء آخر.

هؤلاء لا يقولون: إن الله معنا في الأرض، إن الله حالٌّ في الأرض، بل منهم من قال: إن الله مُتَّحِدٌ بالأرض، تعالى الله عن ذلك. فلا يوجد فرق بين الأرض والسماء بالنسبة لله عز وجل.

لا ينفي أن يخسف بكم الأرض.

وهو فيها تعالى الله عن ذلك.

هذه من الأدلة العقلية؟

نعم، يمكن أن تؤخذ من جانب العقل.

(وقال تعالى: ؟ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ؟ [السجدة: ٥]، وقال: ؟ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ؟ [المعارج: ٤]، فَبَيَّنَ عُروجَ الأمرِ وعُروجَ الملائكة، ثم وصف وَقْتَ صعودها بالارتفاع صَاعِدَةً إليه فقال: ؟ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ؟ [المعارج: ٤]، فقال صعودها إليه وَفَصلَه من قوله: ؟ إِلَيْهِ ؟ كقول القائل: اصعد إلى فلان في ليلة أو يوم، وذلك أنه في العلو، وأن صعودك إليه في يوم، فإذا صعدوا إلى العرش؛ فقد صعدوا إلى الله -عز وجل- وإن كانوا لم يَرَوْه، ولم يُسَاووه في الارتفاع في علوِّه، فإنهم صعدوا من الأرض وعرجوا بالأمر إلى العلو. قال الله تعالى: ؟ بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ ؟ [النساء: ١٥٨]، ولم يقل: عنده.)

هو الآن يريد أن يُؤَكِّدَ على هذه الحقيقة أن هناك انفصالا بين الخالق والمخلوق، فذكر: ؟ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ؟، إذن هناك شيء يَعْرُجُ إلى شيء أم لا؟! فلو كان حالاً في المخلوقات هل يكون هناك عروج؟! هُوَ الملائكةُ -على حد قول هؤلاء الضُّلاَّل- والملائكةُ هي الله، هو الروحُ والروحُ هو الله، ليس هناك صعود ولا عروج.

لكن أراد أن يؤكد أن هناك انفصالا تاما بين الخالق والمخلوق، وهذا ما أَكَّدَه الإمام الدَّارميُّ في ردِّه على الجهمية، لَمَّا نفى الجهمُ أن يكون لله حَدٌّ؛ قال له الدارمي: قد علمتُ ما أردْتَ أيها الأعجمي! أنت تريد أن تقول: إن الله -عز وجل- مُتَّحِدٌ بالخلق، مُخْتَلِطٌ بالخلق. فالإمام الدارمي قال: لا، الله -عز وجل- منفصل عن الخلق.

(وقال تعالى: ؟ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ؟٣٦؟ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ؟ [غافر: ٣٦-٣٧]، ثم استأنف الكلام فقال: ؟ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا ؟، فيما قال لي إن إلاهه فوق السماوات.

فَبَيَّنَ الله -سبحانه- أنَّ فرعون ظَنَّ بموسى أنَّه كاذب فيما قال، وَعَمَدَ بطلبه حيث قاله من الظن بموسى أنه كاذب، ولو أن موسى قال: إنه في كل مكان بذاته؛ لَطَلَبَه في بيته، أو بدنه، أو حُشِّه، فتعالى الله عن ذلك، ولم يُجهد نَفْسَه ببنيان الصرح.)

)
)

أيضا هذه من الأدلة الصريحة في إثبات صفة العلو لله -عز وجل- والرد على القائلين بأن الله حالٌّ في كل مكان قول فرعون لهامان: ؟ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ؟٣٦؟ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ ؟، لماذا؟ لَعَلِّي أَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى، فموسى أخبره أن إلاهه في السماء، فطلب من هامان أن يبني له بيتا رفيعا في السماء ليذهب ويرى إلاه موسى. فلو أخبر موسى فرعونَ أن ربه وإلاهه في كل مكان؛ لَطَلَبَه في بيته -كما قال الشيخ- ، لطلبه في بدنه، لطلبه في حشه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ما المقصود بالْحُشِّ؟

الحش: أماكن قضاء الحاجة. سابقا ما كانت الكُنُفُ الحمامات موجودة عندهم في البيوت، والعرب كانوا يأنفون أن يكون قضاء الحاجة في البيت، فكانوا يخرجون إلى أماكن الحشوش. فيقضون حاجاتهم فاستمر هذا الاسم يُطلق على بيت الخلاء الحش.

(قال أبو عبد الله: وأما الآية التي يزعمون أنها قد وصلها ولم يقطعها كما قطع الكلام الذي أراد به أنه على عرشه، فقال: ؟ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ؟ [المجادلة: ٧]، فأخبر بالعلم، ثم أخبر أنه مع كل مُنَاجٍ، ثم ختم الآية بالعلم بقوله: ؟ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ؟، فبدأ بالعلم وختم بالعلم، فَبَيَّنَ أنه أراد أن يَعْلَمَهم حيث كانوا، لا يخفون عليه، ولا يخفى عليه مناجاتهم، ولو اجتمع القوم في أسفل وَنَاظِرٌ إليهم في العلو فقال: إني لم أزل أراكم وأعلم مُنَاجَاتكم؛ لكان صادقا -ولله المثل الأعلى أن يُشَبَّهَ الخلق-.

فإن أَبَوْا إلاَّ ظاهر التلاوة وقالوا: هذا منكم دعوى؛ خرجوا عن قولهم في ظاهر التلاوة بأن من هو مع الاثنين أو أكثر هو معهم لا فيهم، ومن كان مع الشيء فقد خلا منه جسمُه، وهذا خروج من قولهم.)

)
)

أورد لهؤلاء الحلولية شبهة وهي آية المجادلة: ؟ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ ؟، ثم ختمها بالعلم: ؟ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ؟، فالحلولية يستدلون بمثل هذه الآية.

يقول الشيخ كما قال الإمام أحمد قبله، وكما قال الإمام مالك قبله، وسيتكلم الشيخ عليها كلاما وافيًا أن الله بَدَأَهَا بالعلم وختمها بالعلم لِيَدُلَّ على أن "مع" في قوله: ؟ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ؟ المراد بها أنه معهم بعلمه لا بذاته سبحانه وتعالى.

وَضَرَبَ مثالا حِسِّيًّا أنه لو كان هناك شخص يطلع على أناس أسفل منه لقال: أنا معكم، ومُطَّلِعٌ عليكم، وسامع لحديثكم، ومع ذلك هو في مكان وهم في مكان آخر.

يقول: فإن أَبَوْا وقالوا: لا، نتمسك بظاهر الآية، قال: لو قالوا: كذلك لناقضوا أنفسهم. لأنهم يقولون: إن الله حالٌّ في الشيء تعالى الله عن ذلك، ومن يكون مع الشيء ليس هو الشيء الحالَّ في الشيء، أن الآن معك يختلف لو كان أحدنا حالاً في الآخر مثل حلول الماء في الكأس، فهم يقولون بالحلول، نقول: كيف تقولون بظاهر الآية وظاهر الآية لا يدل على الحلول، وإنما يدل على أن الله منفصل معهم وليس حالاً فيهم، ولهذا ناقضوا قولهم

وناقضوا مذهبهم، فخرجوا عن ظاهر التلاوة، فإذا خرجوا عن ظاهر التلاوة؛ رجعنا إلى أنَّ ظاهر هذه الآيـة لا يدل على ما ذهبوا إليه.

(وكذلك قوله تعالى: ؟ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ؟؛ لأن ما قَرُبَ من الشيء ليس هو في الشيء، ففي ظاهر التلاوة على دعواهم أنه ليس في حبل الوريد.)

هذه الآية فيها خلاف. القرب هنا هل هو قرب الله –عز وجل– أم قرب الملائكة؟

فذهب بعض أهل العلم –ومنهم الحارث المحاسبي– إلى أن هذه الآية دالَّة على أن القرب هنا قرب الله –عـز وجل–، ولهذا قسَّموا القرب –كما قسموا المعية–: قرب عام ومعية عامة، لكن ما ذهب إليـه الـشيخ وبعـض المفسرين وانتصر له الإمام ابن القيم على مذهب شيخه، أن القرب هنا ليس قرب الرب –سبحانه وتعالى– وإنما المراد قرب الملائكة، وهذا ورد بالقرآن في أكثر من موضع: ؟ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ؟ [القيامة: ١٨]، هذه عادة العظماء أن ينسبوا فعل جنودهم إليهم، ولهذا يقول الملك أو الأمير: نحن هزمنا الجيش، نحن هزمنا البلد الفلاني، وربما لم يُباشر الفعل، وإنما الذي باشر الجنودُ والجيش، فالله عز وجل: ؟ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ؟، من الذي قرأ هنا؟

جبريل.

جبريل، ونسب القراءة له: ؟ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ ؟ [الأنفال: ١٧]. من الذي باشر القتل؟

الملائكة، ؟ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ؟، هنا قُرْبُ ملائكة الموت.

وذكر الشيخ أن هناك أدلة لغوية تدل على أن القربَ هنا قُرْبُ الملائكة ليس هذا مجال ذِكْرِها.

الشاهد على قول من قال: إن القرب هنا قرب الله –عز وجل– وهو القرب العام، فلا يدل على ما ذهب إليـه هؤلاء، ولهذا قال الشيخ: ظاهر تلاوة هذه الآية لا يدل على الحلول كما يزعم هؤلاء أن الله حال في كل شـيء. فالقريب من حبل الوريد ليس الحالَّ في حبل الوريد، فظاهر التلاوة أيضا لا يُسعهم.

لكن هذه الآيات كلها على قضية الحلول لا على قضية العلو؟

بلى، الحلول من أعظم المنافيات لصفة العلو، لأنَّ الذين قالوا بالحلول نَفَوْا صفة العلو. أهل الحلول والاتحـاد هم على الضدِّ تماما من مُثْبِتَاتِ صفات العلو لله عز وجل. لأنَّ إذا كان الله حالاً في كل شيء ومتحدًا بكل شيء، بمعنى ليس بعالٍ على الخلق تعالى الله عن ذلك.

لكن نفيه الآن في قضية الحلول ليس فيها في نفس الوقت إثبات العلو؟

لا، هو يريد أن يردَّ عليهم لِتَمَسُّكِهم بهذه الآيات في مقابل الآيات المثبتة لصفات العلو، ألـيس أهـل الـسنة أوردوا عليهم العشرات من الأدلة بل مئات؟ قالوا: هذه منقوضة بهذه الأدلة، فقال لهم: لا ليست منقـودة بهـذه الأدلة، فقال: إنهم تمسكوا، قالوا: لا نتمسك بظاهر الآية، فأراد أن يُبَيِّنَ أنَّ ظاهر الآية لا يُسعف مذهبهم وقولهم.

(وكذلك قوله تعالى: ؟ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ ؟، لم يقل: في السماء ثم قطع، كما قـال: ؟ أَأَمِنْتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ؟، ثم قطع فقال: ؟ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ ؟، فقال: ؟ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ ؟؛ إلاه أهل السماء، وإلاه أهل الأرض وذلك موجود في اللغة. تقول: فلان أمير في خُرَاسَان، وأمير في بَلْخ،

وأمير في سَمَرْقَنْد، وإنما هو في موضع واحد ويخفى عليه ما وراءه، فكيف العالي فوق الأشياء لا يخفى عليه شيء من الأشياء يدبره؟! فهو إلاه فيهما إذا كان مدبرا لهما، وهو على عرشه فوق كل شيء تعالى عن الأمثال. انتهى كلامه.)

من الشُّبَهِ التي تَمَسَّكَ بها أهل الحلول والاتحاد نفاة صفة العلو، هذه الآية: ؟ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَـهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ ؟، أجاب الشيخ مباشرة أنَّ معنى الآية إلاه أهل السماء وإلاه أهل الأرض كما ذكر المفسرون في ذلك. ثم ضرب مثالاً حِسِّيًّا قال: فلان يقال أمير في خراسان، وأمير سمرقند، وأمير بلخ.. إلى غير ذلك، وهو في مكان واحد، وربما خفي عليه ما وراء هذه البلاد ،فكيف بالله -عز وجل-؟! فهو إلاه أهل الأرض وإلاه أهل السماء، وهو في مكان واحد، وهو عال على الخلق سبحانه وتعالى.

لعلنا نقف ونستعرض الأسئلة عبر الموقع أو الأسئلة من الإخوة الحاضرين معنا في هذا الدرس المبارك، أو يُفتح المجال حتى للإخوة المشاهدين لتلقي أسئلتهم عبر الاتصال الهاتفي.

يقول: هذا السؤال قد طرحه على بعض الإخوة وقد أجبته بما تَيَسَّرَ لي، وأريد منك مزيدا من التفصيل لِتَعُمَّ الفائدة، أفيدونا وفقكم الله! السؤال هو:

قال النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما يرويه عن ربه: (يؤذيني ابن آدم؛ يسب الدهر وأنا الدهر)، فهل من أسماء الله -عز وجل- الدهر؟

ذهب بعض العلماء -وأظنه الخطابي ممن توسع في هذا الباب- فقال: من أسماء الله الدهر، واستدل بهذا الحديث، وتَبِعَه بعض الذين تَوَسَّعُوا في هذا الباب وقالوا: من أسماء الله الدهر، والصحيح أنْ ليس من أسماء الله الدهر.

وقد تكلم على هذا ابنُ القيم -رحمه الله تعالى- كلاما وافيا، والمقصود: (يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر)، ومِمَّا يُبَيِّنُ أن هذا ليس من أسماء الله تكملة الحديث: (أُقَلِّبُ الليل والنهار)، ففعلي الدهر من أفعالي، فإذا سَبَبْتَ الفعل؛ فأنت -في واقع الأمر- تَسُبُّ الفاعل. فالله -عز وجل- قال: (أقلب الليل والنهار)، فإذا سَبَّ الإنسانُ الليل والنهار أو سَبَّ الريح؛ من الخالق للريح؟ من المدبر الليل والنهار؟ الليل والنهار لا يتصرفان بأنفسهم، فهو سَابٌّ للمُصَرِّفِ لهما، ولهذا ليس من أسماء الله الدهر، ومما يَدُلُّ على أنه ليس من أسماء اللهِ الدهر أن أسماء الله حسنى، وأنها دَالَّةٌ -بكل وجه- على الجمال والكمال، والدهر ليس فيه ذلك.

يقول:

بعض الناس يُنكرون ما رُوِيَ عن الإمام أبي حنيفة في تكفير من يَشُكُّ في كون الله -عز وجل- في السماء، ويطعنون فيما رواه شيخ الإسلام عن أبي مُطِيعٍ، ويقولون: إنه وَضَّاعٌ، ويرون رِوَايَةً عن علي بن سلطان بن محمد القاري في كتابه "الروض الأزهر شرح الفقه الأكبر" عن ابن عبد السلام في كتاب "حل الرموز" أنه قال: قال أبو حنيفة من قال: لا أعرف الله -تعالى- في السماء هو أم في الأرض؛ كفر لأنه يُوهِمُ أنَّ للحقِّ مكانا. ما الجواب على ذلك؟ ومن هو علي بن السلطان محمد القاري؟ ومن هو ابن عبد السلام؟ أفيدونا أثابكم الله!

أما علي القاري؛ فهو من أتباع الإمام وإن كان متأخرا، وقد شَرَحَ الفقه الأكبر وَشَـرْحُه مـشهور ومطبـوع ومتداول، علي المُلاَّ القاري.

أما ما ذكره السائل حفظه الله؛ فنقول: إن الفقه الأكبر وَرَدَ إلينا وهو مطبوع الآن براويتيْن: برواية أبي مطيع وبرواية ابنه حمَّاد، وكلا الروايتين أثْبَتَتَا هذه الرواية دون هذه الزيادة التي ذُكرت.

نعم، هناك من طَعَنَ في نسبة الفقه الأكبر لأبي حنيفة، والصحيح على ما ذكره الدكتور محمد بن عبد الرحمن الْخُمَيِّس –حفظه الله–، وهو قد كتب في عقيدة الإمام أبي حنيفة، وعُنِيَ بِبَحْثِ هذه المسألة انتهى إلى أنَّه الثابـت أنَّ الفقه الأكبر من إملاء أبي حنيفة وقد دَوَّنَه أبو مطيع وابنه حماد، فالصحيح أنَّه ثابت عن أبي حنيفــة، وهــو متداول وليس محلَّ شَكٍّ حتى عند أتباع المذهب.

ولعلي أُحيل السائلَ إلى رسالة الشيخ محمد الْخُمَيِّس وهي مطبوعة "أقوال الإمام أبي حنيفة في أصول الدين"، وهو من أفضل مَنْ كتب في هذه المسألة.

(وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن خفيف –في كتابه الذي سماه "اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والـصفات"– قال في آخر خطبته: فاتفقت أقوال المهاجرين والأنصار في توحيد الله –عز وجل– ومعرفة أسـمائه وصـفاته وقضائه قولا واحدا، وشرعا ظاهرا، وهم الذين نقلوا عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ذلك حتـى قـال: (عليكم بسنتي..) وذكر الحديث، وحديث: (لعن الله من أحْدَثَ حَدَثا أو آوى مُحْدِث)، وقال: فكانت كلمة الصحابة على اتفاق من غير اختلاف، وهم الذين أُمِرْنا بالأخذ عنهم؛ إذ لم يختلفوا بحمد الله –تعالى– في أحكام التوحيـد وأصول الدين من الأسماء والصفات كما اختلفوا في الفروع، ولو كان منهم –في ذلك– اختلاف؛ لَنُقِلَ إلينا كمـا نُقِلَ سائر الاختلاف، فاستقر صحة ذلك عن خاصَّتهم وعامَّتهم حتى أدَّوْا إلى التابعين لهم بإحسان فاستقر صـحة ذلك عند العلماء المعروفين حتى نقلوا ذلك قَرْنا بعد قرن؛ لأن الاختلاف كان في الأصل عندهم كفر، ولله المنة.)

انتقل الشيخ بعد هذا إلى النقل عن الإمام أبي عبد الله محمد بن خفيف المتوفى سنة ثلاثمائة وإحدى وسـبعين للهجرة، وهو من مشائخ الصوفية، وممن درس على الأشعري –رحمه الله–، ورَحَلَ وَحَجَّ مِرارا، كما ذكر أهل السير.

له كتاب في الاعتقاد لا يزال مفقودا، ومنه نُتَفٌ، ونقل الشيخ لنا بعض كلامه يقول في كتابـه الـذي سـماه "اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات" قال في آخر خطبته: (فاتفقت أقوال المهاجرين والأنصار فـي توحيـد الله) إلى آخر ما ذكر.

مضمون ما ذكره هنا أن الصحابة –رحمهم الله– اتفقوا في مسائل أصول الدين، ولم يَحدث منهم اختلاف في ذلك وهذا ما نَصَّ عليه المقريزي أيضا في "الخطط"، ونَصَّ عليه الإمام ابن القيم، ونَصَّ عليه غيرُ واحـدٍ مـن الأئمة والعلماء أنَّ الصحابة –ولله الحمد والمنة– اتفقوا في مسائل أصول الدين، ولم يختلفوا في ذلك كما اختلفوا في مسائل الفروع فقد اختلفوا في حياة النبي –صلى الله عليه وسلم– وبعد وفاته.

من ذلك لَمَّا اختلفوا في أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– لما قال: (لا يُصَلِّيَنَّ أحدكم العـصر إلا فـي بنـي قُرَيْظَة)، ولَمَّا حَلَّت الصلاة قال بعضهم: نتوقف ونؤدي الصلاة، وقال بعضهم: لا، لا نُصلي إلا في بني قريظـة ولو لم نُصَلِّ إلا بعد غروب الشمس امتثالا وتطبيقا لأمر النبي صلى الله عليه وسلم. فاختلفوا في مسألة فرعيـة. اختلاف الرجلين اللذين تَيَمَّمَا لَمَّا لم يجدا الماء ثم وجداه قبل خروج الوقت، فأعاد أحدهما الـصلاة ولـم يُعِـد الآخر، وأتيا النبيَّ –صلى الله عليه وسلم– وسألاه، ومسائل الخلاف كثيرة جدا ذكرها ابن القـيم فـي "إعـلام الموقعين"، وذكرها أيضا ابن حزم –رحمه الله– وغيره. لكن مسائل أصول الدين لم يختلفوا، ولله الحمد والمنـة.

فاتفقوا على هذه الأصول ثم أَدَّوْها إلى الجيل الذي بعدهم التابعين، وهكذا نقلت لنا هذه العقيدة صافية سالمة من الاختلاف والتفرق.

يقول: لأن الاختلاف كان في الأصل عندهم كفرٌ.

نعم، في هذه المسائل ما كانوا يقبلون الخلاف في مسائل أصول الدين، أما مسائل الفروع التي تقبل الاجتهاد فَيَسُوغ فيها الاجتهاد، ويَسوغ فيها القياس، لكن مسائل أصول الدين ليست محلَّ اختلاف، ولهذا لما سَمِعَ عمر أنَّ صَبِيغًا يسأل عن بعض مُتَشَابِه القرآن؛ أَدَّبَه وَضَرَبَه بِعَرَاجِينِ النخل حتى أَدْمَى رأسه ثم نفاه إلى الكوفة؛ تأديبا له، علما أنه تعهد له أن لا يعود لمثلها وما عاد لمثلها.

وسيذكر المؤلف أنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- خرج عليهم يوما وهم يَتَنَاظَرُون في مسألةٍ من مسائل القدر، فغضب عليهم، وفي رواية أنه حصبهم، واحْمَرَّ وجهه، فكأنما فُقِئَ في وجهه حَبُّ الرُّمَّان قال: (أبهذا أمرتم؟! تضربون كتاب الله بعضه ببعض، بهذا هلكت الأمم قبلكم)، ولهذا امْتَثَلَ الصحابةُ -رضي الله عنهم- هذه الأحاديث وهذه النصوص وهذه الأوامر، فما اختلفوا في مسائل أصول الدين، وإنما الخلاف الذي وقع عندهم في المسائل العملية، في مسائل الفروع، في مسائل الفقه، وهذا -الحمد لله- الخلاف فيها سائغ، ولهذا ما عَنَّفَ النبي -صلى الله عليه وسلم- عليهم لما اختلفوا في مسألة صلاة بني قُرَيْظَة، وما عَنَّفَ على الرجلين ولا على غيرهما لما اختلفوا؛ لكن لَمَّا اختلفوا في مسائل القدر؛ عَنَّفَهم وَأَنْكَرَ عليهم، بل برواية أنه حَصَبَهم زِيَادَةً في الإنكار؛ لأن هذه المسألة من مسائل أصول الدين.

(ثم إني قائل -وبالله أقول- إنه لَمَّا أحدثوا في أحكام التوحيد وذكر الأسماء والصفات على خلاف منهج المتقدمين من الصحابة والتابعين، فخاض في ذلك من لم يعرفوا بعلم الآثار، ولم يعقلوا قولهم بذكر الأخبار، وصار مُعَوَّلُهم على أحكام هَوَاجِسِ النفوس المستخرجة من سُوءِ الطويَّة ما وافق على مُخالفةِ السنة والتَّعَلُّق منهم بآيات لم يسعدهم فيها، فَتَأَوَّلُوا على أهوائهم وَصَحَّحُوا بذلك مذاهبهم؛ احتجتُ إلى الكشفِ عن صفة المتقدمين ومأخذ المؤمنين منهاج الأولين خوفا من الوقوع في جملة أقاويلهم التي حَذَّرَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أُمَّتَه ومنع المستجيبين له حتى حَذَّرَهم.)

الشيخ يقول: (لما حَدَثَ خُلوف بعد هؤلاء اعتمدوا على نفوسهم، مع ما صاحب من ذلك سوء القصد؛ لأن بعضهم دخل في الإسلام بغرض هدم الإسلام والكيد للإسلام، وكما عَرَّفْنَا في أول الرسالة أن هذه المقالات أصولها مأخوذة من اليهود ومن الفلاسفة ومن الصابئين.

يقول: احْتَجْتُ أن أُبَيِّنَ ما كان عليه الأوائل في هذه المسائل -مسائل الأصول الدين- لأجل أن نلزم طريقتهم وأن نعلم أن من خالفها؛ فهو ضَالٌّ وليس على الهدى.

(ثم ذكر أبو عبد الله خروج النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- وهم يتنازعون في القدر وَغَضَبَه، وحديث: (لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكم مُتَّكِئًا على أريكته)، وحديث: (ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)، وأن الناجية ما كان عليه هو وأصحابه.)

هذا الحديث سَبَقَت الإشارة إليه خروجه عليهم، وهذا من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وهو حديث صحيح، والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال في آخره: (بهذا هلكت الأمم قبلكم لما ضربوا كتاب الله بعضه ببعض)، وحديث: (لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكم مُتَّكِئًا على أريكته، يأتيه الأمر من أَمْرِب مِمَّا أَمَرْتُ به أو نَهَيْتُ عنه، فيقول: لا ندري، ما وَجَدْنَا من كتاب الله؛ اتبعناه)، بمعنى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يُشير إلى هؤلاء الذين يقولون: الاكتفاء بالقرآن دون السنة، وهذا -أيضا- باب من أبواب الضلال الذي وَلَجَ منه هؤلاء المتأخرون.

وحديث: (ستفترق أمتي)، وسبق الكلام عليه أنه رواه أهل السنن، وَبَيَّنَ أن الفرق الناجية ما كان عليه هو وأصحابه.

الشاهد أن المؤلف -الذي هو أبو عبد الله بن خفيف- يُريد أن يُبَيِّنَ أن الحق ما كان عليه الرعيل الأول في هذا الباب.

أسئلة المراجعة:

لعلنا نسأل عن آخر ما تكلمنا عنه وهو:

هل اختلف الصحابة -رضي الله عنهم- في مسائل أصول الدين وفي مسائل الفروع؟

يقول: ما رأيكم ممن يقول من الناس: اختلاف العلماء رحمة للناس؟

لا شك هذا ثابت عن عمر بن عبد العزيز وعن غيره، أنهم قالوا: إن اختلاف العلماء رحمة. ولا شك أن الاتفاق والاجتماع مَطْلَبٌ وغاية سامية سعى لها الشرع الحنيف -قضية اجتماع الكلمة والاتفاق-. لكن هذا لم يحصل في مسائل الفروع، فهو فيه سعة من جهة في مسائل الفروع وليس في مسائل الأصول. هذا الكلام الاختلاف في مسائل الفروع المسائل العملية المسائل الفقهية مسائل المعاملات فيه رحمة من جهة أن فيه توسعة على الناس وعدم تضييق على الناس، ولأن بعض النصوص ظاهرها يحتمل أكثر من معنى فيكون هناك مجال للاجتهاد. لكن لا شك أن الاتفاق والاجتماع أنه مَطْلَبٌ، لكن يبقى أن الاختلاف أمر واقع شرعا وحسا، فهو من هذا الباب رحمة لبعض الناس.

الدرس الرابع والعشرون

تابع باب الإيمان بالعرش

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

كعادة البرنامج نُذكّر بسؤال الحلقة الماضية، ولعلنا نأخذ إجابة هذا السؤال من أحد الإخوة الحاضرين.

السؤال:

هل اختلف الصحابة -رضي الله عنهم- في مسائل فروع الدين وفي مسائل الأصول؟

الإجابة:

لم يختلف الصحابة في مسائل الأصول، لكن مسائل الفروع اختلفوا حتى في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

أحسنت، لماذا لم يختلفوا في مسائل الأصول. تُكمل الإجابة؟

لأنه لا مجال فيها..

لا مجال فيها للاجتهاد.

لأنه لا مجال فيها للاجتهاد، ولهذا لم يختلفوا -ولله الحمد- كما اختلف المتأخرون.

توقفنا في اللقاء الماضي عند قول المؤلف شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (ثم قال: فلزم الأمة قاطبة معرفة ما كان عليه الصحابة ولم..

هذا -بالطبع- من كلام أبي عبد الله ابن خفيف، ولا زال النقل عن أبي عبد الله ابن خفيف إمام من الأئمة المتقدمين الذين يَنْتَسِبُ إليه الصوفية ويعظمونه.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله:

(ثم قال: فلزم الأمَّة -قَاطِبَةً- معرفةُ ما كان عليه الصحابة، ولم يكن الوصول إليه إلا من جهة التابعين لهم بإحسان، المعروفين بنقل الأخبار مما لا يقبل المذاهب المحدثة، فيتصل ذلك قرنا بعد قرن مِمَّنْ عُرِفُوا بالعدالة والأمانة، المحافظين على الأمة ما لهم وما عليهم من إثبات السنة.)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لَمَّا أشار الإمام أبو عبد الله ابن خفيف إلى حديث الافتراق، وذكر أن النبي –صلى الله عليه وسلم– أخبر أن الفرقة الناجية هي ما كان عليه هو وأصحابه –رضي الله عنهم– ذكر هنا قال: (فلزم الأمة قاطبة معرفة ما كان عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.) لأجل الاقتداء بهديهم وسلوك سبيلهم. كيف نعرف ما كان عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟

هذا لا يَتَأَتَّى إلا بنقل التابعين، ومَنْ نقل عن التابعين ولهذا قال: (فلزم الأمة قاطبة معرفة ما كان عليه الصحابة)؛ لأجل أن نسلك سبيلهم لعل الله –عز وجل– أن يحشرنا في زُمْرَتِهم، وأن نَسْلَمَ كما سَلِمُوا، وكما بَشَّرَهم النبي صلى الله عليه وسلم.

(ولم يكن الوصول إليه إلا من جهة التابعين لهم بإحسان):

ولهذا تَمَيَّزَتْ هذه الأمة –ولله الحمد والمنة– بهذا الإسناد. بمعنى أن دينها منقول، نقله العدول الثقات، كلّ طبقة يَتَوَلَّى النقل فيها هؤلاء الذين شَهِدَتْ لهم الأمة بالعدالة واستفاضت عدالتهم رحمهم الله.

(إلى أن قال: فَأَوَّلُ ما نَبْتَدِي به مِمَّا أَوْرَدْنا هذه المسألة من أجلها ذِكْرُ أسماء الله –عز وجل– وصفاته مما ذكر الله في كتابه، وما بَيَّنَ –صلى الله عليه وسلم– من صفاته في سُنَّتِه، وما وصف به –عز وجل– نفسه مما سنذكر قول القائلين بذلك مما لا يجوز لنا في ذلك أن نَرُدَّه إلى أحكام عقولنا بطلب الكيفية بذلك، ومما قد أُمِرْنَا بالاستسلام له.)

نعم، باختصار وهذا سبق الكلام عليه أن مسألة الأسماء والصفات مسألة توقيفية لا مجال للعقل فيها، بل مبناها على نصوص الكتاب والسنة والاستسلام لذلك.

(إلى أن قال: ثم إن الله تَعَرَّفَ إلينا بعد إثبات الوحدانية وإقرار الألوهية أنْ ذكر –تعالى– في كتابه بعد التحقيق بما بدا به من أسمائه وصفاته وَأَكَّدَه –عليه السلام– بقوله، فقبلوا منه كقبولهم بأوائل التوحيد من ظاهر قوله لا إله إلا الله.)

بمعنى أنَّ الصحابة –رضي الله عنهم– تَلَقَّوْا عن النبي –صلى الله عليه وسلم– نصوص الأسماء والصفات، كما تلقوا عنه التوحيد بَادِئَ ذِي بَدْءٍ لَمَّا جاءهم بقول لا إله إلا الله.

هنا مَلْحَظٌ لطيف لعلنا نُشير إليه وهو قوله –رحمه الله– وهو في القرن الرابع: (ثم تَعَرَّفَ إلينا بعد إثبات الوحدانية وإقرار الألوهية.) فهنا أثبت توحيد الألوهية لله –عز وجل– بعد إثبات الربوبية في قوله: (الوحدانية.) وفي هذا ردٌّ على بعض المتأخرين الذين زعموا أن تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات بدعة ابتدعها ابن تيمية ومَنْ أتى بعده كأئمة الدعوة المتأخرين. فنقول: لا، بل سبق ابنَ تيمية الأئمةُ قبله، وقبل ابن خفيف، ذكر الإمام ابن مَنْدَةَ –رحمه الله–، وذكر الإمام ابن بَطَّةَ هذا التقسيم. فليس هذا بدعة ابتدعها ابن تيمية ولا غير ابن تيمية.

لأنهم يقولون: لا يوجد أقسام التوحيد.

نعم، يقولون: مسألة تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية وأسماء وصفات هذه بدعة ابتدعها ابن تيمية.

(إلى أن قال بإثبات نفسه بالتفصيل من الْمُجْمَلِ، فقال لموسى عليه السلام: ؟ واصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ؟ [طه: ٤١]، وقال: ؟ ويُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ ؟ [آل عمران: ٢٨]، ولصحة ذلك واستقراره ناجاه المسيح –عليه السلام– فقال: ؟ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ؟ [المائدة: ١١٦].

وَأَكَّدَ –عليه السلام– صحة إثبات ذلك في سنته، فقال: (يقول الله عز وجل: مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ؛ ذَكَرْتُه في نَفْسِي).

وقال صلى الله عليه وسلم: (كَتَبَ كِتَابًا بيَدِهِ على نَفْسِهِ: إنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي).

وقال: (سبحان الله رضا نفسه)، وقال في محاجة آدم لموسى: (أنت الذي اصطفاك الله واصطنعك لنفسه).

فقد صَحَّ بظاهرِ قولِهِ أنه أثبت لنفسِهِ نَفْسًا، وأثبت له الرسول –صلى الله عليه وسلم– ذلك، فعلى من صَدَّقَ الله ورسوله اعتقاد ما أخبر الله به عن نفسه ويكون ذلك مَبْنِيًّا على ظاهر قوله: ؟ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ؟ [الشورى: ١١].)

)

هذه المسألة هل يُثْبَتُ لله –عز وجل– صِفَةُ النفس؛ أي أن توصف الذات بصفة زائدة على الذات وهي النفس؟

هذه مسألة أشرنا إليها سابقا أنها محل خلاف، فممن ذهب إلى إثبات صفة زائدة على الذات وهي صفة النفس أبو عبد الله ابن خفيف، وقبله الإمام أبو حنيفة، وقبله الإمام ابن خُزَيْمَةَ –رحمهم الله–.

لكنَّ الذي ذهب إليه شيخ الإسلام وقبله الإمام الدّارميّ إلى أن النفس الواردة في هذه النصوص هي الذات، وليست صفة زائدة على الذات. قالوا: هذا هو المعروف من لغة العرب، أنه يقال: جاء الرجل نفسه للتأكيد أنه حضر بنفسه.

هذه النصوص: ؟ ويُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ ؟، ؟واصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي؟، ؟ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ؟، وأيضا قول النبي –صلى الله عليه وسلم– كما في الصحيحين: (مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِي؛ ذَكَرْتُه في نَفْسِي)، وقوله: (كتب كتابا بيده على نفسه) كما في صحيح مسلم، وقال: (سبحان الله رضا نفسه) أيضا كما ثبت في صحيح مسلم، وأيضا قوله في محاجة آدم لموسى: (وأنت اصطفاك الله واصطنعك لنفسه) كما في الصحيحين. يُلاحظ أن في هذه الآيات وفي هذه الأحاديث إثباتَ النفس لله عز وجل.

لكن هل هي صفة أم الذات؟ لعل القول الراجح إثبات الذات. عِلْمًا أن الإمام أبا عبد الله ابن خفيف أَثْبَتَها على أنها صفة لله –عز وجل– في هذا النقل، ولهذا قال: (قد صح بظاهر قوله.) قول الله عز وجل، وقول النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه أثبت لنفسه نفسا؛ أي أثبت صفة زائدة على الذات، وهذا ما ذهب إليه –أيضا– الإمام أبو حنيفة.

لكن لماذا لم يذكر شيخ الإسلام ردًّا، أو ما رَجَّحَه في هذا؟

لأن الشيخ –كما سيذكر لاحقا– لا يُناقش في هذه المسائل التي نعتبرها هنا جانبية، ولكن المقصود –هنا– أن يُثبت أن هؤلاء الأئمة خالفوا المتأخرين في الصفات الخبرية في صفة العلو وبعض الصفات الخبرية، هي مسألة محتمَلَة، ولهذا قال بهذا بعض الأئمة، وقال بهذا بعض الأئمة، ولهذا لا يُنكر على هؤلاء ولا يُنكر على هؤلاء؛ لأنها مسألة محتملة والدليل يَحتمل.

(ثم قال: فعلى المؤمنين –خاصتهم وعامتهم– قبول كل ما ورد عنه عليه السلام بنقل العدل عن العدل حتى يتصل به عليه السلام، وأن مما قَصَّ الله علينا في كتابه ووصف به نفسه ووردت السنة بصحة ذلك أن قال: ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [النور: ٣٥]، ثم عَقِيبَ ذلك: ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾، وبذلك دعاه صلى الله عليه وسلم: (أنت نور السماوات والأرض).

ثم ذكر حديث أبي موسى: (حجابه النور –أو النار– لو كشفه؛ لأحرقت سُبُحَاتُ وجهه ما انتهى إليه بصرُه من خَلْقِهِ)، وقال: سُبُحَاتُ وجهه: جلاله ونوره، نقله عن الخليل وأبي عُبَيْد، وقال: قال عبد الله بن مسعود: نور السماوات من نور وجهه.)

)

أيضا في هذه النصوص إثبات صفة النور لله عز وجل، وهذه صريحة في هذه الآية: ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾، وأيضا هذه الأحاديث التي ذكرها: (أنت نور السماوات والأرض) والحديث في الصحيحين، وحديث أبي موسى: حجابه النور وهو في صحيح مسلم وقد تقدم، وأيضا ما ذكره عن الخليل وأبي عُبَيْد وهما من أئمة اللغة –رحمهما الله– أنهما ذَكَرَا أن المقصود بسبحات الوجه: جلاله ونوره، ولهذا قال: (لو كشفه؛ لأحرقت سُبُحَاتُ وجهه)؛ أي أحرق نورُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، وأيضا ذكر قول عبد الله بن مسعود: "نور السماوات من نور وجهه"، فهذه النصوص صريحة في إثبات النور أو صفة النور لله عز وجل.

هل توقف الإمام الشَّوْكَانِي في مسألة خَلْقِ القرآن؟ وما الفرق بين الجسم والعَرَض؟

هل توقف الإمام الشوكاني في مسألة خلق القرآن؟

أنا لا أعرف أنه توقف في هذه المسألة، بل الإمام الشوكاني –رحمه الله– على عقيدة أهل السنة والجماعة في الجملة، وإن كان عنده شيء من المخالفات اليسيرة التي لم يَسْلَمْ منها شخص إلا النبي صلى الله عليه وسلم. فعنده شيء من التأويل، لكن مسألة خلق القرآن أنا لا أعرف أنه توقف فيها، ولعلي أتأكد أكثر في الحلقة القادمة، وهناك كتاب مطبوع حول عقيدة الإمام الشوكاني، فإن أراد أخونا الاستزادة؛ فليرجع إليه، وأنا أتأكد من هذه المسألة لاحقا.

ما اسم الكتاب؟

في عقيدة الإمام الشوكاني.

أما مسألة الفرق بين الجسم والعرض؛ فالعرض من ألفاظ المتكلمين، ومن مصطلحات المتكلمين، العرض قالوا: هو الذي لا يَبقى زمانين أو هو الذي يفنى وينتهي في ثاني وجوده مثل الكلام، الكلام هل يبقى زمنه الكلام ينتهي في لحظة انتهائه، كذلك السمع، كذلك البصر، قالوا: والعرض لا يقوم بنفسه، لا يقوم إلا بجسم بخلاف الجسم.

الجسم قالوا: هو المركب من جَوْهَرَيْنِ فَرْدَيْنِ فأكثر. ما المراد بالجوهر الفرد؟ هذه تعريفات المتكلمين، الجوهر الفرد: هو الذي لا يفنى ولا يتلاشى لا بنفسه ولا بفعل الفاعل.

طبعا المسألة خلافية، والخلاف فيها كبير حول وجود هذا الجوهر الفرد هل هو موجود أم لا؟ وهل الجسم مُكَوَّنٌ من هذه الجواهر المفردة أم لا؟

الشاهد بعبارة مختصرة الجسم هو: ما يمكن أن يقوم بنفسه، بخلاف العرض فهو: الذي لا يقوم إلا بالجسم.

اختلف المتكلمون وأهل التعطيل: هل يُطلق على هذه الصفة صفات الله –عز وجل– جسم أو عرض أم لا؟

أهل السنة والجماعة رَدُّوا عليهم أن هذه العبارات وهذه الألفاظ من الألفاظ الْمُحْدَثَةِ التي ينبغي التَّوَقُّفُ فيها، لم ترد في الكتاب ولا في السنة لا بنفي ولا بإثبات، لم تُثبت لله ولم تُنْفَ عن الله فنتوقف فيها، ومن أطلقها على الله قال: صفات الله أعراض أم أجسام، يقال له: ما مرادك بالعرض؟ فإن أراد معنى صحيحا؛ قَبِلْنَا المعنى دون اللفظ، وقلنا: عَبِّرْ بالألفاظ الشرعيَّة الصحيحة، وإن أراد معنى باطلا؛ رُدَّ اللفظ والمعنى.

قول الله عز وجل: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾. إثبات النفس لله –عز وجل– بهذه الآية. بداية هل يجوز لنا أن نسأل: هل المولى –تبارك وتعالى– له نفس؟ وما هي مَاهِيَّةُ هذه النفس؟ إذا كان يجوز؛ فما هي مَاهِيَّةُ هذه النفس لله تبارك وتعالى؟ وأريد –يا شيخ– شرحا مُفَصَّلا حتى يفهمه عوام الناس قبل طلبة العلم، وهل هذا هو نفس يطلق على الوجه أيضا يا شيخنا؟

السؤال للأخ:

تقدم الكلام على شيء منه، قلنا: قول الله عز وجل: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾، وقوله سبحانه: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ ﴾، وقول النبي –صلى الله عليه وسلم– كما ثبت في الصحيحين: (مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ؛ ذَكَرْتُه فِي نَفْسِي). هذه النصوص هل تدل على إثبات صفة لله –عز وجل– زائدة عن الذات هي النفس؟

نقول: ذهب الإمام أبو عبد الله ابن خفيف وقبله الإمام أبو حنيفة، وقبلهم الإمام ابن خُزَيْمَةَ إلى إثبات أن لله صفة زائدة عن الذات هي النفس.

ما هي ماهية هذه النفس؟

يجب التوقف في ذلك، الله أعلم، الله أخبر أن له نَفْسًا، فعلى رأي هؤلاء نُثبت له صفة النفس.

هناك رأي آخر لأهل السنة أن النفس الواردة في هذه النصوص هي الذات وليست صفة زائدة عن الذات، ليست كصفة السمع والبصر واليد والوجه، لا، هي الذات نفسها. كما يقول العرب: "ذهب محمد نَفْسُه" لتحقيق ذهابه بنفسه وللتأكيد، وهذا ما ذهب إليه الإمام الدارمي –رحمه الله– وَرَجَّحَه شيخ الإسلام.

هل يطلق على الوجه النفس؟

نقول: لا، الوجه صفه لله –عز وجل– زائدة عن الذات، والنفس المراد بها الذات على القول الراجح.

(ثم قال: ومما ورد به النص أنه وحي، وذكر قوله تعالى: ﴿ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والحديث: (يا حيّ يا قيوم! برحمتك أستغيث).

قال: ومما تَعَرَّفَ الله إلي عباده أن وصف نفسه أن له وجها موصوفا بالجلال والإكرام، فأثبت لنفسه وجها وذكر الآيات.

ثم ذكر حديث أبي موسى المتقدِّم، فقال في هذا الحديث: من أوصاف الله –عز وجل– لا ينام موافق لظاهر الكتاب ؟ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ؟، وأن له وجها موصوفا بالأنوار، وأن له بصرا كما أعلمنا في كتابه أنه سميع بصير.

ثم ذكر الأحاديث في إثبات الوجه وفي إثبات السمع والبصر والآيات الدالة على ذلك.)

)

ذكر أن مما ورد به النص؛ أي ورد في الكتاب والسنة أن الله حَيٌّ يُسَمَّى حيًّا ويُوصف بالحياة، واستدل على ذلك بقوله سبحانه: ؟ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ؟، والنصوص في هذه كثيرة جدا، (يا حي يا قيوم! برحمتك أستغيث).

أيضا ذكر أنه موصوف بأن له وجها –سبحانه وتعالى– كما يليق بجلاله وعظيم سلطانه، وثبت هذا في القرآن والسنة؛ من القرآن: ؟ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ؟ [الرحمن: ٢٧]، ؟ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ؟ [القصص: ٨٨].

وفي السنة: اختصرها الشيخ وهناك عدة أحاديث ذكرها الإمام ابن خُزَيْمَةَ وابن أبي عاصمٍ وغيرهما –رحمهم الله–؛ منها: الحديث الذي في صحيح مسلم آنف الذكر: (حجابه النور، لو كشفه؛ لأحرقت سبحات وجهه..)، أيضا في دعاء النبي –صلى الله عليه وسلم–: (أعوذ بوجهك).

وعلى كل حال الأحاديث في هذا كثيرة، فنُثبت لله وجها، لكن كيفية هذا الوجه الله أعلم بها.

ثم ذكر أنه مِمَّا يُوصف الله –عز وجل– به: أنه لا ينام، وهذه من الصفات المنفيَّة عن الله، فهناك صفات ثُبوتيَّة صفات الكمال الثابتة لله، وهناك صفات منفية وربما تُسمى –أحيانا– صفات سلبية تُنفى عن الله –عز وجل–؛ كصفة النوم: ؟ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ؟، الظلم: ؟ وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ؟ [الكهف: ٤٩]، ؟ وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ؟ [فصلت: ٤٦]، أيضا العجز: ؟ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا ؟ [البقرة: ٢٥٥]، إلى آخر ما ورد من الصفات المنفيَّة عن الله عز وجل.

لكن أيضا إثبات النفي لا يمكن نفي صفات الكيفية.

نعم، نحن ننفي هذه الصفة عن الله كما نفاها عن نفسه، لكن يقال: إن هذا النفي مُتَضَمِّنٌ الإثباتَ، ولهذا النفي ينقسم إلى قسمين: نفي محض ونفي غير محض.

النفي غير المحض: هو الذي صورته نفي لكن مضمونه إثبات؛ مثلما أقول: فلان ليس بكسول. الصورة نفي، لكن مضمون هذا الكلام ماذا تفهم منه؟

أنه مُجِدٌّ.

أحسنت، إثبات الجد والاجتهاد له، كذلك الصفات المنفية عن الله جميعها كقاعدة عامة نفي غير محض الصورة صورة نفي وهي متضمنة لإثبات، وهذا هو اللائق بالله –عز وجل–؛ لأن النفي المحض ليس فيه مدح، بخلاف النفي غير المحض فإنه يتضمن مدحا، ولأنه يتضمن إثباتَ صفةِ كمالٍ ضِدٍّ هذه الصفة المنفية. فإذا قال الله عز وجل: ؟ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ؟؛ لتأكيد إثبات الحياة والقيُّوميَّة، ولهذا أعقابها بذلك: ؟ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ؟، فأراد أن يؤكد هاتين الصفتين فقال: ؟ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ؟، ؟ وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ؟، إثبات صفة العدل، لاحظ أنَّ الصورة صورة نفي لكنه متضمن صفة العدل لله عز وجل.

فإذا قلت أنا لهذا الكريم: أنت لست ببخيل؛ نَفَيْتَ عنه صفة البخل لكن تَضَمَّنَ كلامي إثباتَ صفة الكرم، أنت ليس بجبان؛ نفي صفة الجبن عنه وإثبات صفة الشجاعة.

لُوحِظَ أنه يعني يقول: (ثم إن الله تَعَرَّفَ إلى عباده)، ما المقصود بهذه العبارة؟

بمعنى عَرَّفَ نفسه لعباده. هذا معنى تعرف إلى عباده. الأسماء والصفات توقيفية. نحن لا يمكن أن نُثبت لله –عز وجل– شيئا من عند أنفسنا، ولهذا لا يُمكن أن نُثبت له صفة لم يُثبتها لنفسه. فالله أراد أن يُعَرِّفَ وهو المعروفُ –سبحانه وتعالى–، لكن أراد أن يُبَيِّنَ هذا الأمر لعباده فَعَرَّفَ نفسه بهذه الصفاتِ، فَعَرَفْنَاه بإثبات هذه الصفات.

(ثم قال: إن الله تَعَرَّفَ إلى عباده المؤمنين، وأنه قال: له يدان قد بسطهما بالرحمة، وذكر الأحاديث في ذلك، ثم ذكر شِعْرَ أُمَيَّة بن أبي الصلت، ثم ذكر حديث: (يُلْقَى فِي النَّارِ وتقول: هَلْ مِن مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رِجْلَه)، وهي رواية البخاري، وفي رواية أخرى: (يضع عليها قدمه)، ثم ما رواه مسلم البَطِينِ عن ابن عباس أنَّ الكرسي موضع القدمين، وأن العرش لا يَقْدِرُ قَدْرَه إلا الله، وذكر قول مسلم البطين نفسه، وقول السُّدِّيِّ، وقول وَهْب بن مُنَبِّه، وأبي مالك، وبعضهم يقول: موضع قدميه، وبعضهم يقول: واضعٌ رجليه عليه.)

هذه الأحاديث كلها في إثبات بعض الصفات لله –عز وجل–، ذِكْرُ اليدين لله، وهذا ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، وذكر الأحاديث في هذا، والأحاديث في هذا كثيرة وتقدم شيء منها. أيضا ذكر شعر أمية بن أبي الصَّلْت: ربنا الله الذي في السماء وَتَقَدَّمَ ذكره، ولهذا قال فيه النبيُّ –صلى الله عليه وسلم: (كاد أن يُؤمن).

اختصر شيخ الإسلام هنا.

نعم، اختصر؛ لأن الكلام تقدم، ثم ذكر حديث الإلقاء في النار، وهذا ذكره أيضا في أول الرسالة –إثبات القدمين لله، أو إثبات الرِّجْلِ لله عز وجل–، ثم إثبات الكرسي، وأنه موضع القدمين، وذكر قول مسلم البطين، وقول السدي، وقول وهب بن منبه كل هؤلاء يقولون: إن الكرسي موضع القدمين كما قال ابن عباس وكما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(ثم قال: فهذه الروايات قد رُويت عن هؤلاء من صَدْرِ هذه الأمة مُوافِقًا لقول النبي –صلى الله عليه وسلم–، مُتَدَاوَلاً في الأقوال، ومحفوظا في الصدور، لا يُنْكِرُ خَلَفٌ عن سَلَفٍ، ولا يُنكر عليهم أَحَدٌ من نُظَرَائِهم، نَقَلَتْهَا الخاصَّة والعامَّة مُدَوَّنَة في كتبهم، إلى أن حدث في آخر الأمة من قَلَّلَ الله عَدَدَهم مِمَّنْ حَذَّرَنَا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن مجالستهم ومكالمتهم، وأمرنا أن لا نَعود مرضاهم ولا نُشَيِّعَ جنائزهم، فقصد هؤلاء إلى هذه الروايات فضربوها بالتشبيه وعمدوا إلى الإخبار، فعملوا في دَفْعِها على أحكام المقاييس وَكَفَّرُوا المتقدمين، وأنكروا على الصَّحابة، وَرَدُّوا على الأئمة الرَّاشدين فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا عن سواء السبيل.)

ذكر منهج وموقف السلف –رحمهم الله– إجمالا من نصوص الأسماء والصفات فقال: رُوِيَتْ هذه الروايات الواردة في إثبات صفات الله –عز وجل– عن هؤلاء مِنْ صَدْرِ هذه الأمة: عن الصحابة، وعن التابعين، وعَمَّنْ بعدهم، ولا زالت هذه الكتب وهذه الأقوال متداولة مُدَوَّنَة في كتبهم، لا أَحَدَ يُنكر على أحد، وما عُرِفَ أن أحدا من السلف أَنْكَرَ على غيرهم تدوين هذه النصوص واعترضوا عليهم، بل آمنوا بها كما جاء بها النبي –صلى الله عليه وسلم– واستسلموا لها وَسَلَّمُوا لها وأثبتوا دلالتها، وكانت مُتَنَاقَلَةً بين العامة والخاصة، ويتكلمون بها في مجالسهم العامة والخاصة، ولا أَحَدَ يعترض عليهم، إلى أن حدث في آخر هذه الأمة بعد انقضاء القرون المُفَضَّلَةِ فوُجِدَ مَنْ يَدعو عليهم مَنْ قَلَّلَ الله عددهم، ومِمَّنْ حَذَّرَنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من مجالستهم ومكالمتهم –أي أهل البدع–، وَوَرَدَ في هذا بعض النصوص في النهي عن مجالسة هؤلاء، ولهذا حَذَّرَ السلف –

رحمهم الله- أشَدَّ التحذير من مجالسة هؤلاء ومكالمتهم لشدة خطورتهم على الناس وعلى الأمــة، وَأَمَرَنَــا أن لا نعود مرضاهم ولا نشيع جنائزهم، ولهذا أَلَّفَ أهل العلم في هذا مؤلفاتٍ مستقلةً في التعامل مع أهل البدع، لأجل التحذير من شرهم، ولأجل زَجْرِهم، ولأجل بيان خطرهم للأمة فيحذروهم.

موقف هؤلاء من هذه النصوص التي جاءت في إثبات صفات الله -عز وجل- كيف تعاملوا معهــا؟ فقــصد هؤلاء إلى هذه الروايات، فضربوها بالتشبيه، وزعموا أنها تدل على التشبيه، ولهذا سَعَوْا في رَدِّها أو إبطالِها بما أسْمَوْه بالتأويل وهو في حقيقة الأمر تحريف، فهذا مَوْقِفُهم من هذه النصوص التي تَلَقَّتْها الأمة بالقبول، ونقلهــا الخلف عن السلف، ولا زال السلف يذكرونها في مجالسهم الخاصة والعامة، أمَّا هؤلاء؛ فتَلَقَّوْهَا بالردِّ وبالإنكار، وبالتحريفِ.

يقول: (وعمدوا إلى الأخبار فعملوا في دفعها على أحكام المقاييس)؛ لأنهم نَزَّلُوا هذه النصوص على عقولهم، فقاسوها بعقولهم؛ فيقول أحدهم: ليس معقولا أن نُثبت لله يدين. يسمع قول النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في حديث محاجة آدم وموسى: (أن الله خلقك بيديه)، فيقول: لا يمكن أن أُثبت لله اليدين؛ لأنه يلزم كذا كذا، ويلزم من كذا كذا، والنتيجة: الحديث خبر آحاد لا نَقبله، أو أنَّ مراد النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- المعنى البعيد، فَحَرَّفُــوا قول النبي -صلى الله عليه وسلم- أو رَدُّوه بناءً على عقولهم.

(وكفروا المتقدمين، وأنكروا على الصحابة، وردوا على الأئمة الراشدين فضلوا وأضلوا سواء السبيل): هــذا لسان حال بعضهم ولسان مقال بعضهم الآخر، ولهذا رُوِيَ عن بعضهم لَمَّا سمع حديث ابن مسعود الذي ثبت في الصحيحين حدثنا رسول الله الصادق المصدوق: (إن أحدكم ليُجمع في بطن أمه..)، قال: لو سَــمِعْتُه مــن ابــن مسعود؛ لكَذَّبْتُه، ولو سمعته من رسول الله؛ لرَدَدْتُه، ولو سمعته من الله -عز وجل-؛ لقلْتُ: ما على هذا أخَــذْتَ علينا الميثاق.

لاحظ كيف وصل بهم الاعتماد على عقولهم. نسأل الله السلامة. لكن بالطبع هو يَزعم أن هــذا مــن وضــع المتأخرين.

في قوله: (ممن حذر الرسول الله من مجالستهم ومكالمتهم)، هل هذا الانحراف وقع في فرقة الــصوفيَّة فــي زمن ابن خفيف ممن يتبع هذا المذهب، في زمن ابن خفيف. لأنه يقول: (حذرنا من مجالستهم)، وكذا.

هو لا يقصد الصوفية فقط، بل يَقصد أهل البدع على وجه العموم بمن فيهم الصوفية، ولا شك أن الصوفية - المنحرفة التي انحرفت عن جادَّة السبيل- لا شك أنها وُجدت في زمنه -رحمه الله- في القرن الرابع، لكن كلمــا تَقَدَّمَ الزمن وَضَعُفَ نور النبوة؛ اتسعت هُوَّةُ البدعة.

(ثم ذكر المأثور عن ابن عباس وجوابه لِنَجْدَةَ الْحَرُورِيِّ، ثم ذكر حديث الصُّورة وذكر أنه صَنَّفَ فيه كتابــا مفردا واختلاف الناس في تأويله.)

(ثم ذكر المأثور عن ابن عباس وجوابه لنجدة الحروري): ثبت -كما في صحيح مسلم- أن ابن عباس ناظر نجدةَ الحروري، ونجدةُ من زعماء فرقة الخوارج، والخوارج -لَمَّا خرجوا على عليٍّ -رضي الله عنــه- بعــد مسألة التحكيم وانحازوا إلى حَرُورَاء وقاتلهم عليٌّ رضي الله عنه-؛ افترقوا على أنفسهم، وَتَفَرَّقُوا، فنجدةُ هذا من رؤوس هؤلاء الخوارج، وممن ناظرهم ابن عباس؛ لأنَّ عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- لما انحازوا إلــى حروراء قبل أن يقاتلهم بعث إليهم ابن عباس وكانوا اثني عشر ألفا، فبعث إليهم ابن عباس يناظرهم، فنــاظرهم وجلس معهم وأزال الشبه العالقة عند بعضهم، فرجع -ولله الحمد والمنة- أكثر من ثمانية آلاف، ولم يبقَ إلا نحو أربعة آلاف، وعلى رأي بعض المؤرخين أنه لم يبقَ إلا ألفان هم الذين جَمَدُوا على آرائهم وأقوالهم وهم الــذين

قاتلهم علي رضي الله عنه. فكان ممن ناظرهم نجدة الحروري وقصة مناظرته له مشهورة ومعروفة ولن نقف عندها كثيرا.

يقول: ثم ذكر حديث الصورة، وذكر أنه صَنَّفَ فيه كتابا مفردا، وهذا الكتاب لا يزال مفقودا.

حديث الصورة هو حديث: (إن الله خلق آدم على صورته)، هذا ثبت في صحيح مسلم، وفي رواية عند غير مسلم: (إن الله خلق آدم على صورة الرحمن)، وهذا الحديث مِمَّا تَأَوَّلَه أهل البدع كما تَأَوَّلوا غيره من الأحاديث. و قال الإمامُ أحمد وغيره: «من تَأَوَّلَه على غير ظاهره؛ فهو جهميٌّ»، فيُحمل الحديث على ظاهره: (إن الله خلق آدم على صورته)، لكن كيفية هذه الصورة الله أعلم بمرادها.

والحديث محل خلاف كبير وكلام طويل، ولهذا كتب فيه شيخ الإسلام في "نقض التأسيس" أكثر من مائة ورقة من المخطوط، وربما بعد التحقيق تجاوز الثلاثمائة ورقة في أحاديث الصورة والردّ على من تَأَوَّلَ هذا الحديث، وإن كان تَأَوَّلَه بعضُ الأئمة أئمة أهل السنة اجتهادا منهم –رحمهم الله– كالإمام ابن خُزَيْمَةَ وغيره.

ولهذا قال الإمام الذهبي –لَمَّا أثنى على الإمام ابن خُزَيْمَةَ ثناء عاطرا، وأنه إمام من أئمة أهل السنة– قال: لكنه خالف في حديث الصورة، ولكن ليس كل مَنْ خالف في مسألة بَدَّعْنَاه وَضَلَّلْنَاه فلو كان الأمر كذلك؛ لم يَسْلَمْ لنا من هذه الأمة أحدٌ.

نعم، أخطأ –رحمه الله– ولا يضرُّه هذا، وكفى بالمرء نُبْلاً أنْ تُعَدَّ معايبه، لكنه في غيره صوابه أكثر من أن يُحصى.

(ثم قال: وسنذكر أصول السنة، وما ورد من الاختلاف فيما نعتقده فيما خَالَفَنَا فيه أهلُ الزيغ، وما وَافَقَنَا فيه أصحابُ الحديث من الْمُثْبِتَةِ إن شاء الله.

ثم ذكر الخلاف في الإمامة واحتجَّ عليها، وذكر اتفاق المهاجرين والأنصار على تقديم الصِّدِّيق –رضي الله عنه– وأنَّه أفضل الأمة.)

)

مسألة الإمامة الذي خالف فيها الرافضةُ عندما زعموا أنَّ الخلافة بعد النبيِّ –صلى الله عليه وسلم– كان الأحقُّ بها عليًّا، لكنْ أجمعت الأمَّةُ على أنَّ الأحقَّ بالخلافة بإشارةِ النبيِّ –صلى الله عليه وسلم– وبإجماع الصحابةِ أبو بكر –رضي الله عنه– ثم عمر ثم عثمان ثم علي.

(ثم قال: وكان الاختلاف في خلق الأفعال؛ هل هي مُقَدَّرَةٌ أم لا؟

ثم قال: وقولنا فيها: إن أفعال العباد مقدرة معلومة، وذكر إثبات القدر.)

)

وهذه المسألة خالف فيها المعتزلةُ الذين زعموا أنَّ العبدَ هو الذي يخلق فِعْلَ نَفْسِه، وأنَّ الله –عز وجل– لا يَخلق هذا الفعل ولا يشاؤه، ولكنَّ أدِلَّة الكتاب والسنة وإجماع الأمة –وهو مقتضى العقل– أن الله –عز وجل– هو الذي خَلَقَ العباد وأفعالَهم.

(ثم ذكر الخلاف في أهل الكبائر ومسألة الأسماء والأحكام، وقال: قولنا: إنهم مؤمنون على الإطلاق، وَأَمْرُهم إلى الله –تعالى– إن شاء؛ عَذَّبَهم، وإن شاء؛ عفا عنهم.)

مسألة أهل الكبائر: هل هم مؤمنون كاملو الإيمان أم خارجون عن دائرة الإيمان؟

المسألة خلافية، وخالف فيها الْوَعِيدِيَّةُ من جهة –الذين هم الخوارج والمعتزلة– والمرجئة من جهة أخرى، ومذهبُ أهل السنة وَسَطٌ بين هذين الطرفين، كما ذكره المؤلف: (إنهم مؤمنون على الإطلاق لا يخرجون عن دائرة الإيمان.) لكن ليسوا كَامِلِي الإيمان، بل إيمانُهم ناقص، مؤمنون بإيمانهم، لكنَّهم –بسبب هذه المعصية وبسبب هذه الكبيرة– فُسَّاقٌ، ولهذا إذا ماتوا على كبائرهم؛ فَأَمْرُهم إلى الله.

لكن نعتقد أنهم لم يخرجوا عن دائرة الإيمان، وأنهم إن عُذِّبُوا؛ فلن يُخَلَّدُوا في النار، والدَّليل على ذلك أحاديث الشفاعة المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم. فالذين يخرجون من النار هم أهل الكبائر، وقول الله عز وجل: ؟ إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَّشَاءُ ؟ [النساء: ٤٨].

سؤال: أريد أن أسأل عن لفظ الجلالة قول الله تعالى: ؟ هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ؟ [الحشر: ٢٣]، ما المراد بلفظ المتكبر؟

بالنسبة للمتكبر هذا اسم من أسماء الله –عز وجل– وثبت –أيضا– في السنة: (الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، من نازعني؛ أدخلته النار)، هذا الْكِبْرُ لائقٌ به –سبحانه وتعالى– فهو ليس كَكِبْرِ المخلوق؛ لأنه ربما يُشكل على البعض كبر المخلوق يعني احتقار الآخرين. فالله –عز وجل– بعظمته يُوصف بالكبر، وأنه المتكبر، لكنَّ كِبْرَه هذا لائقٌ به –سبحانه وتعالى– لا يُماثل ولا يُشابه كِبْرَ المخلوق. أما كيفية هذا الكبر؛ فالله أعلم بها.

وهذه –بالنسبة لله– صِفَةُ كمالٍ، لكن بالنسبة للمخلوق صفة نَقْصٍ؛ لأنه لا يستحق الكبر؛ لأن الله –عز وجل– يَستحق هذه الصفة وَأَهْلٌ لهذه الصفة، بخلاف المخلوق، فالمخلوقُ مخلوقٌ من ضَعْفٍ، ونهايته إلى الموت والفناء، ومع ذلك يُقعده المرضُ وَتَعْرِضُ له العوارض، فبأيِّ شيءٍ يَتَكَبَّرُ وأمره بيد غيره، ليس أمره بيده؟! فلهذا نقول: الكبر بالنسبة للمخلوق صفة نقص، أما بالنسبة لله فهي صفة كمال سبحانه وتعالى.

رداؤه الكبرياء.

نعم، قال: (ردائي الكبرياء من نازعني أدخلته في النار).

لعلنا نأخذ سؤال هذه الحلقة.

سؤال هذه الحلقة:

ما موقف المتأخرين من أهل البدع من نصوص الأسماء والصفات على وجه الإجمال؟

سؤال: بعض الناس يقولون: هل هذا أسلوب تَأَدُّب مع الله يقول: يا حبيبي يا الله! أو أسلوب مدح؟

لا، الْمُفْتَرَضُ الالتزام بالنصِّ، والله –عز وجل– يُوصف بأنه يُحِبُّ ويُحَبُّ سبحانه وتعالى. لكن يا حبيبي! الأولى تركها.

سؤال ثانٍ:

بعض الناس يقولون لشخص اسمه عبد الرحيم: يا رحيم ينادونه اختصارًا؟

عندنا قاعدة عامة: أنَّ تسمية المخلوق بأسماء الله جائز، إلا بما يختص به مثل الرحمن والله، هذه لا تُطلق إلا على الله، أما غيرها؛ فيجوز أن يُطلق على المخلوق ويطلق على الخالق، ولكلٍّ منهما ما يَخُصُّه، ولهذا سَمَّى الله – عز وجل– في كتابه بعض المخلوقين بأسمائه: العزيز، الملك، الجبار، كلُّ هـذه أطلقهـا علـى المخلـوقين، والرؤوف الرحيم في حقِّ النبي –صلى الله عليه وسلم– وَسَمَّى نَفْسَه بهذه الأسماء.

فيجوز على وجه العموم إلا في اسمين، ولهذا قال بعض أهل العلم وهذا السر في كون أفضل الأسماء عبد الله وعبد الرحمن؛ لأن هذين الاسمين من الأسماء التي لا يُشاركه فيهما أحدٌ.

البعض يقول إذا لم تدخل عليها "أل" التعريف فيجوز..

نعم، هذه في الرب الرحيم؛ لأنَّ "أل" هذه تكون خاصة بالله –عز وجل– لكن على وجه العموم لأنه جاء فـي الآيات العزيز، فعلى كل حال إذا نُسِبَتْ للمخلوق؛ فهي خاصة بالمخلوق، ولها خصائصُ المخلوق، أما إذا نُسبت لله؛ فهي خاصة لله عز وجل.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله، وصبحه أجمعين.

لعلنا نبدأ معكم -كالمعتاد- بتذكير الإخوة والأخوات بسؤال الحلقة الماضية، ومن ثَمَّ تلقي الإجابة، ولعلها في هذه المرة تكون من الإخوة الحاضرين معنا.

السؤال: ما موقف أهل البدع من نصوص الصفات؟

أنهم ضربوها بالتشبيه، ودفعوها بمقاييس عقولهم.

أحسنت، هذه الإجابة صحيحة، أنهم ضربوها؛ أي ضربوا هذه الروايات وهذه النصوص بالتشبيه ودفعوها بناءً على مقاييس عقولهم.

نُكمل عبارة المؤلف؟

هناك أمر وعدنا الأخ الذي سأل عن موقف الإمام الشوكاني من مسألة خلْق القرآن، وقال: هل تَوَقَّفَ في المسألة؟

نعم، وَنَبَّهَنِي إلى هذا أَحَدُ الإخوة الفضلاء بعدما خرجْنا مباشرة من الحلقة.

صَرَّحَ الإمام الشوكانيُّ -رحمه الله- عند قوله -تعالى- في سورة الأنبياء: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ ﴾ [الأنبياء: ٢]، ذكر الأقوال في مسألة القرآن، لكنه -رحمه الله- خَبَّطَ نوعا ما في هذه المسألة، ثم انتهى إلى أنَّ مذهب السلف -وهذا من خطئه- التَّوَقُّفُ في المسألة، وهذا خطأ، فالإمام أحمد عَدَّ الواقفة مِن الجهمية، فلم يَخْتَرْ هذا القول، ولهذا نقول: أخطأ -رحمه الله- في هذه المسألة كما أخطأ في تأويل بعض الصفات، وأخطأ أيضا في مسألة التَّوسُّل، ولكنْ هذا إن شاء الله لا يُقَلِّلُ من قيمة هذا الإمام ولا يَحُطُّ من قدره.

أيضا بعض الإخوة الفضلاء طلبوا أن أشير إلى مسألة حديث الصورة، ولعلِّي أشير هنا إشارةً فقط، وأقول: حديث الصورة كما جاء في الحديث: (إن الله خلق آدم على صورته)، وهذا ثابت في الصحيح، وعند ابن خزيمة وغيره: (إن الله خلق آدم على صورة الرحمان)، والإمام أحمد صَرَّحَ أنَّ الضمير في قولِه: (على صورتِه) يعود إلى الله -عز وجل-، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أنه لم يكن هناك خلافٌ عند أهل القرون الثلاثة المفضَّلة في أنَّ الضمير يعود إلى الله -عز وجل-، وإنما حَدَثَ الخلافُ بعد انقضاء القرون الثلاثة المفضَّلة.

وعلى كل حال مَنْ أراد التوسع في هذه المسألة؛ فليرجع -كما ذكرتُ- إلى كلام شيخ الإسلام في "نقض التأسيس"، وذكرت أنه تكلم فيها في أكثر من مائة ورقة من المخطوط، والكتاب مطبوع، وأيضا هناك رسالة لطيفة أَلَّفَها أحد المعاصرين فضيلة الشيخ/ حمود بن عبد الله التُّوَيْجري -رحمه الله- في هذه المسألة أن الله خلق آدم على صورة الرحمان.

نذكر الإخوة بالموقع الذي توقفنا فيه في نهاية الدرس الماضي.

نعم، توقفنا على قول المؤلف في نقله عن أبي عبد الله ابن خفيف وقال: (أصل الإيمان موهبة يَتَوَلَّدُ منها أفعال العباد.)

قال المصنف -رحمه الله-: (وقال:

أصل الإيمان موهبة يتولد منها أفعال العباد، فيكون أصله التصديق والإقرار والأعمال، وذكر الخلاف في زيادة الإيمان ونقصانه وقال: قولنا إنه يزيد وينقص.)

)
)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

لا زال النّقل عن أبي عبد الله ابن خفيف فذكر هنا مسألة: (أصل الإيمان)، ومعنى الإيمان، و(إنه يزيد وينقص)، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة أنه قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، ولهذا قال الإمام البُخاريّ: «كَتَبْتُ عن ألف شيخ -أو أكثرَ- ولم أكتبْ إلا عَمَّنْ قال: إن الإيمان قول وعمل واعتقاد»، وذكر الإمام أحمد -رحمه الله- أنّ السنة التي تُوُفِّيَ عنها النبي -صلى الله عليه وسلم- وذكر منها: «أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص».

قال: (ثم كان الاختلاف في القرآن: مخلوق أو غير مخلوق، فقولنا وقول أئمتنا: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، وإنه صفة لله منه بدأ قولاً وإليه يعود حُكْمًا.)

وهذه المسألة تَقَدَّمَ الكلام عليها في أنّ القرآن كلام الله حقيقة، وأن من قال: إن القرآن مخلوق -هؤلاء الجهمية والمعتزلة- وحصل بسبب هذه المسألة الفتنةُ العظيمة زَمَنَ الإمام أحمد، وابْتُلِيَ وامْتُحِنَ فيها الإمامُ أحمد وَصَبَرَ، ولهذا قيل: «لقد نصر الله هذا الدين برجليْن: بأبي بكر يومَ الرّدّة، وبالإمام أحمدَ يومَ المحنة»؛ لأن الله -عز وجل- ثَبَّتَه في هذه المسألة.

ولكن سأقف هنا عند قوله: (وأنه صفة لله منه بدأ قولاً، وإليه يعود حُكْمًا): هذه يُرَدِّدُها الأئمة كثيرًا: «القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود».

ما معنى: "منه بدأ وإليه يعود"؟

أي أن الله -سبحانه وتعالى- في آخر الزمان يأخذ القرآن من صدور الحفاظ.

أحسنت، منه بدأ: أي تكلم الله به ابتداءً، لا كما يقول الجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

- منهم من قال: إن الله خلقه في اللوح المحفوظ.

- ومنهم من قال: إن الله خلقه في الهواء، وسمعه جبريل من الهواء بمعنى أن الله لم يتكلم به.

فالأئمة أرادوا أن يُؤَكِّدوا على هذه المسألة فقالوا: منه بدأ، تكلم به ابتداء.

وإليه يعود حكما: في آخر الزمان، كما ثبت عن ابن مسعود أنه يُسْرَى عليه في ليلة، فلا يبقى منه في الصدور آية، ولا في المصاحف آية. هذا معنى "وإليه يعود"؛ أي آخر الزمان.

تلازم قضية خلق القرآن مع تعطيل الصفات في قضية ينفون أنَّ الله –سبحانه وتعالى– قد تكلم به.

أحسنت، ما علاقة مسألة خلْق القرآن بمسألة الصّفات؟

الجهمية والمعطلة اتخذوا قاعدة عامّة أن الله لا يُوصف بأيّ صفة، أُورد عليهم صفة الكلام: هل الله متكلم؟ فنفوا عن الله صفة الكلام.

والقرآن الذي بين أيدينا هل تكلَّم الله به؟

قالوا: لا.

ما هو القرآن؟

قالوا: القرآن الذي بين أيدينا مخلوق، خلقه الله –عز وجل– كسائر المخلوقات.

أين خَلَقَه؟

– منهم من قال: خلقه في الهواء وسمعه جبريل من الهواء فبَلَّغَه النّبيَّ –صلى الله عليه وسلم–.

– منهم من قال: خلقه في اللوح المحفوظ، فسمعه جبريل من اللوح فَبَلَّغَه النّبيَّ –صلى الله عليه وسلم– هذه هي العلاقة بين الصفات أو تعطيل الصفات ومسألة خلق القرآن.

(ثم ذكر الخلاف في الرؤية وقال:

قولنا وقول أئمتنا فيما نعتقد أنَّ الله يُرى في يوم القيامة وذكر الحجة.)

)
)

وتقدم الكلام على هذا، وأنّ رؤية الله –عز وجل– في القرآن ثابتة في الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

(ثم قال:

واعلم –رحمك الله– أنّي ذكرْت أحكام الاختلاف على ما ورد من ترتيب المحدِّثين في كلِّ الأزمنة. وقد بدأت أن أذكر أحكام الْجُمَلِ من العقود، فنقول ونعتقد أن الله –عز وجل– له عرش، وهو على عرشه فوق سبع سماواته بكمالِ أسمائه وصفاته، كما قال تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥] و ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ [السجدة: ٥]، ولا نقول: إنه في الأرض كما هو في السماء على عرشه؛ لأنه عالم بما يجري على عباده.)

)
)

وهذه المسألة تقدم الكلام عليها، وإنما الشاهد أن أبا عبد الله ابن خفيف هذا الإمام الذي ينتسب إليـه جمهـور أهل التّصوُّف أنه هنا يُصَرِّحُ بعلوِّ الله –عز وجل– على خلقه، وأنه ليس مُخالطًا للخلق.

(إلى أن قال:

ونعتقد أن الله خلق الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان للبقاء لا للفناء.)

)
)

هذه مسألة أيضا من مسائل الاعتقاد المهمة، وهي مسألة أبديَّة الجنة والنار، وأن الله خلقهما للبقاء لا للفنـاء، وقد أجمعت الأمة على هذا حاشا الجهم بن صفوان كما قال ابن حزم، وتبعه على ذلك أبو الهذيل العـلاَّف مـن المعتزلة.

وهناك مسألة نُسِبَتْ إلى شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– أنه يقول بفناء النار دون الجنة، ولكنَّ الـصحيح أنَّ هذا الكلام لم يَثْبُتْ عنه صَرَاحَةً، بل الثابت خلاف ذلك، ولعلِّي أنقل –هنا– سطرًا من كلام شيخ الإسلام مما يُبَيِّنُ أنه يقول صَرَاحَةً ببقاء الجنة والنار يقول في الفتاوى ١٨/٨:

«وَقَدْ اتَّفَقَ سَلَفُ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا وَسَائِرُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى أَنَّ مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ مَا لا يَعْدَمُ وَلا يَفْنَى بِالْكُلِّيَّةِ كَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْعَرْشِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَمْ يَقُلْ بِفَنَاءِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ إلا طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلامِ الْمُبْتَدِعِينَ كَالْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ وَمَنْ وَافَقَهُ مِنْ الْمُعْتَزِلَةِ وَنَحْوِهِمْ، وَهَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ يُخَالِفُ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ وَإِجْمَاعَ سَـلَفِ الأُمَّـةِ وَأَئِمَّتِهَا».

ما الحجة في قولهم: إنَّ الجنة تفنى دون النار؟

عفوا! النار تفنى دون الجنة يعني إذا قلتَ الجنة لا النار.

هذا القول منسوب لبعضِ أهل السنة وممن نُسِبَ له هذا القول شيخ الإسلام، ونُسِبَ هذا القول أيضا لعمرَ بن الخطاب.

قالوا: لأن بقاء النار يتنافى مع كمال رحمته –سبحانه وتعالى–، وأنه لا بد أن يأتي عليها يوم تفنـى، لكـن الصحيح أنَّ ما ورد عن السلف من القول بفناء النار فالمقصود نار الموحِّدِين، وذلك أنَّ النار دَرَكَـات، كمـا أنَّ الجنة درجات، فنار الموحِّدِين ليست كنار أهل النِّفاق وليست كنار أهل الشرك والكفر، ولهذا المنافقون في الدَّرْكِ الأسفل كما أخبر الله –عز وجل–، فإذا خرج الموحدون من نارهم لم يبقَ لوجودها فائدة، وعند ذلك يحكم الله –عز وجل– بفنائها. أما نار أهل الشرك ونار أهل الكفر والنفاق؛ فهي باقية أبد الآباد كما ثبت هذا صـريحا فـي الكتاب والسنة.

(إلى أن قال: ونعتقد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- عَرَجَ بنفسه إلى سِدْرَةِ المنتهى.)

مسألة عُرُوجِ النبي -صلى الله عليه وسلم- ثابتةٌ بصحيح السنة وأيضا بالكتاب: ؟ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ؟ [الإسراء: ١]، وثبت في صحيح البخاري عروج النبي -صلى الله عليه وسلم-. لكن المسألة هنا ما الذي عرج إلى السماء؟

فالصحيح أنه عُرِجَ بالنبي -صلى الله عليه وسلم- بروحه وجسده يَقَظَةً لا مَنَامًا؛ لأن هناك من العلماء من قال: إنه أُسْرِيَ بروحه دون جسده، ومنهم من قال: إن العروج كان مناما وليس يقظة كرؤيا، و(رؤيا الأنبياء حقٌّ)، ومنهم من قال: إن الإسراء والعروج حدث مرتين: مرة يقظة ومرة منام.

ولكنَّ الذي ثبت بالأدلة الصريحة أنه مرة واحدة يَقَظَةً لا مَنَامًا بروحِهِ وجسدِهِ -صلى الله عليه وسلم-.

(إلى أن قال:

ونعتقد أن الله قبض قبضتين فقال: (هؤلاء إلى الجنة وهؤلاء إلى النار).)

)

)

وهذه تابعة لمسألة القضاء والقدر، وأن هؤلاء الذين قبضهم الله -عز وجل- للنَّار هؤلاء سبق في عِلْمِ الله وفي تقدير الله -عز وجل- أنهم من أهل النار.

(ونعتقد أنَّ للرسول -صلى الله عليه وسلم- حوضًا، ونعتقد أنه أوّل شافع وأوّل مُشَفَّع، وذكر الصراط.)

وهذه -كلها- مسائل كبيرة في كتب الاعتقاد، لكنَّ الشيخَ -هنا- نقل الكلام مُختصرا لأنه ليس هو الشاهدَ.

والحوضُ حوضُ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم-، وهو ثابت بما تَوَاتَرَ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في صحيح السنة ولم يُنْكَرْ ذلك إلا -كما قال عمر بن الخطاب- بعض أهل البدع، وهؤلاء هم الخوارج وبعض المعتزلة.

و(أول شافع وأول مشفع)؛ أي -صلى الله عليه وسلم-.

وَوَرَدَتْ صفات هذا الحوض، وأن لكل نبي حوضا، وحوضُ نبينا -صلى الله عليه وسلم- أوْسَعُها طولا وعرضا، سواء طوله مسيرة شهر وعرضه مسيرة شهر، وأكثرُها واردًا، أكثر الأنبياء ورودًا على حوضه هو النبيّ -صلى الله عليه وسلم-.

أيضا وأول شافع وأول مُشَفَّع كما ثبت في صحيح البخاري وهي الشفاعة العُظْمَى وذكر الصراط، والصراط: هو الجسر الذي على متن جهنم. ثبت بالكتاب والسنة وأنه أَدَقُّ من الشَّعْر، وَأَحَرُّ من الجمر، وأنكر ذلك بعضُ المعتزلةِ والخوارج وَتَأَوَّلُوا الصراط هنا بأنه الطريق، وقالوا: إنه لا يمكن عقلاً أن يكون الصراط بهذه الصفة ويُمكن للإنسان أن يَجتازه.

والأحاديثُ ثبتت أنه بهذه الصفة، وأن الناس يُجاوِزُونه على قدر أعمالهم؛ (فمنهم من يمر عليه كالريح، ومنهم كأجاود الخيل، ومنهم من يحبو حبوا..) إلى آخره.

هل هناك دليل حِسِّيٌّ أو معنوي في القرآن الكريم يَتَّكِئون عليه أن القرآن مخلوق؟

أن القرآن مخلوق. يعني هل هناك شبه لهؤلاء استدلوا بها؟

نعم.

لا شك أنَّ لهم مجموعةً من الشُّبَهِ، لكن جميع هذه الشبه باطلة، ومنها قوله الله -عز وجل-: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦]، قالوا: والقرآن شيء، فهو مخلوق، لكن يُرَدُّ عليه مباشرةً: "كل شيء مخلوق"، و"شيء" هذه تؤخذ بِحَسَبِها وبِحَسَبِ السياق. فالله -عز وجل- قال عن الريح: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأحقاف: ٢٥].

هل دمرت السماوات والأرض؟

لا، دمرت كل شيء يقبل التدمير.

فهنا: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ شيء مخلوق، أما القرآن فهو كلام الله، به تكون الأشياء، وبه تُخلق الأشياء، كلامه به تكون الأشياء؛ لأن الله قال: ﴿ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]، ولهم أدلة كثيرة ليس هذا مجال إيرادها.

(وذكر الصِّراط والميزان والموت، وأنَّ المقتول قُتِلَ بأجله واسْتَوْفَى رِزْقَه.)

الميزان مما ثبت بالقرآن والسنة والإجماع، وأنه ميزانٌ حِسِّيٌّ له كِفَّتَان.

وقد أنكر هذا أيضا بعضُ المعتزلة والجهميّة، وقالوا: المقصود بالميزان في النصوص العدل ولكن النصوص ترد عليهم، ما الشيء الذي يوزن؟ ذكرناه سابقا؛ أنه يوزن ثلاث أشياء: العامل، وعمله، وصُحُفُ عمله.

(والموت)؛ أي ويُثبت أهل السنة والجماعة الموت، و(أن المقتول قُتل بأجله واستوفى رزقه): يرد بهذا على المعتزلة، فالمعتزلة يَزعمون أنَّ المقتول قُطِعَ عليه أَجَلُه.

ما معنى هذا الكلام؟

أنه لو لم يُقْتَلْ؛ لامْتَدَّ أجلُه إلى أكثرَ من هذا، لكن رَدَّ عليهم الإمام البغداديُّ -رحمه الله- ردًّا لطيفًا، قال: ما دام أنَّ الخلق استطاع أن يَقطعوا على هذا الإنسان أجَلَه الذي أَجَّلَه الله -عز وجل- له؛ إذن يستطيع الإنسان أن يَمُدَّ له أجَلَه.

والصحيح أنَّ المقتول مات بأجله الذي أجَّلَه الله له، ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في الصحيح: (إنَّ روح القدس نَفَثَ في رُوعِي أنه لن تموت نفسا إلا وقد استوفت أجلها ورزقه).

القتل سَبَبٌ كما أنَّ المرض سبب، والسكتة سبب، فالله -عز وجل- عَلَّقَ الأسبابَ بِالْمُسَبِّبَاتِ، فجعل القتل سَبَبًا لموت هذا الإنسان، لكنه مات في أجله قد استوفى أجله. ولهذا قال سبحانه: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤].

ذكرت أنَّ شيخ الإسلام ابن تيمية نقل هذه النقولات عن ابن خفيف وليست محلَّ الشاهد، لكن لماذا نقلها؟

نقلها في معرض كلامه أنه على مذهب أهل السنة في جُلِّ مسائل الاعتقاد، وليُبَيِّنَ لأتباعه أن أبا عبد الله ابن خفيف هذا الذي تنتسبون إليه أنه على مذهب أهل السنة ومذهب جمهور الأئمة في جُلِّ مسائل الاعتقاد.

وهذه المسائل التي ذكرها آنفا أنه يُخالَفُ فيها.

نحن مع هذا الخلاف، قد يُخالِفه فيها أتباعُه المنتسبون إليه.

أو من غيرهم.

منهم ومن غيرهم، ولهذا سيأتي صَرَاحَةً أن أبا عبد الله خالف جمهور الصوفية وأنكر على جمهورهم بعضَ المسائلِ التي خَبَّطُوا فيها.

(إلى أن قال:

ومما نعتقد أن الله ينزل كلَّ ليلة إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر فيبسط يَدَه فيقول: (ألا هل من سائل..) الحديث. وليلةَ النِّصْفِ، وعَشِيَّةَ عرفة، وذكر الحديث في ذلك.

قال: ونعتقد أنَّ الله كَلَّمَ موسى تكليما، واتَّخذ إبراهيم خليلا، وأن الْخُلَّةَ غير الفقر، لا كما قال أهل البدع.)

)
)

مسألة نزول الله –عز وجل– في ثلث الليل هذه تقدم الكلام عليها أكثر من مرة وأنه ثابت في الصحيحين.

وإنما الكلام هنا وقوله: (وليلة النصف)؛ أي ليلة النصف من شعبان.

أبو عبد الله ابن خفيف أثبت أنَّ الله يَنْزِلُ ليلة النصف من شعبان. هذه المسألة ورد فيها حديث بروايات متعددة عن أبي بكر وعائشة وغيرهم –رضي الله عنهما– لكنْ لا تخلو هذه الرواياتُ من مقالٍ، لكنَّ بعض أهل العلم صَحَّحَها، ومِمَّنْ صَحَّحَها من المعاصرين الشيخ محمد ناصر الدين الألباني –رحمة الله عليه–، ولهذا قال بها، وشيخُنا الشيخ عبد العزيز بن باز ضَعَّفَها وقال: هذه الروايات لا تَرْتَقِي إلى الصّحةِ، ولهذا لم يَقُلْ بها.

وعلى كل حالٍ مَنْ صَحَّحَها قال: إن الله ينزل ليلة النصف من شبعان، لكن هل في هذا مُتَمَسَّكٌ لأهل البدع الذين يُحْيُون هذه الليلة ويحتفلون بها؟ الجواب: لا.

الله –عز وجل– ينزل كلَّ ليلة؛ فلماذا لم تُخَصَّ هذه الليالي، وينزل عشية عرفة كما ذكر المؤلف، وهذا ثابت في صحيح السنة، فلماذا خُصَّتْ ليلةُ النصفِ من شعبان، فنقول: إن ثَبَتَ الحديث؛ فهذا لا يَدُلُّ على تخصيصها بعمل أو فعل أو عيد أو نحو ذلك.

ونعتقد أن الله كلم موسى تكليما.

(ونعتقد أن الله كلم موسى تكليما، واتخذ إبراهيم خليل): هذه المسألة، المسألة الأولى التي أنكرها الجعد بن درهم.

قال: (وأن الخلة غير الفقر): الخلة هي كمال المحبة المقتضية من العبد كمال العبودية، والمقتضية من الربِّ كمالَ الربوبية، كمال المحبة هي الخلة.

وأهل البدع ينكرون الخلة، وينكرون أن الله -عز وجل- يُحِبُّ أو يُحَبُّ.

كيف تفسرون "الخلة" هنا؟

قالوا: معناها الفقر، وهؤلاء الجهمية والمعتزلة.

فَرَدَّ عليهم المؤلف أن الخلة ليست هي الفقر.

(ونعتقد أن الله -تعالى- خَصَّ محمدًا -صلى الله عليه وسلم- بالرؤية، واتخذه خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً.)

مسألة رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- لربِّه ليلة الإسراء من المسائل التي جرى الخلاف فيها بين أهل السنة، والخلاف فيها ليس بجديدٍ بل قديم.

فذهبت عائشة -رضي الله عنها- وابن مسعود وأبو هريرة إلى نَفْي رؤيةِ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- لربِّه، ولهذا قالت عائشة: «مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ رَأَى رَبَّهُ؛ فَقَدْ كَذَبَ».

القول الثاني مَنْ ذهب إلى القول بالإثبات؛ أن النبي -صلى الله عليه وسلم- رأى رَبَّه، وعلى رأس هؤلاء ابن عباس وأنس، وإليه ذَهَبَ عِكْرَمَةُ، والحسن، والربيعُ بن سليمان، وابنُ خزيمة، والإمام أحمد في إحدى الروايتيْن، وإسماعيل الهرويّ، وكعب الأحبار وغيرهم، هؤلاء أثبتوا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- رأى ربَّه.

القول الثالث في المسألة: التوقف.

قالوا: رؤية النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- لربِّه جائزةٌ عقلاً، ولا يوجد ما يمنع منها عقلا، لكن ليس هناك دليلٌ صريحٌ، فالأدلة كلها محتمِلة مع الفريقين، ولهذا نتوقف، وممن ذهب إلى هذه المسألة القاضي عِيَاضٌ -رحمه الله- والإمام القرطبيُّ، ولعل القول الراجحَ وهو الذي رَجَّحَه شيخ الإسلام، ورجحه أيضا الإمام ابن حجر، وبه أفتت اللجنة الدائمة عندنا أنَّه يُمكن الجمع بين الأقوال ولا مُنَافَاةَ بين الأقوال وبه تجتمع الأدلة.

قالوا: من أثبت الرؤية؛ فمقصوده الرؤية القلبية وليست الرؤية البصرية، ولهذا ثَبَتَ عن ابن عباس روايتان: مرة يقول: «رآه بفؤاده»، ومرة يقول: «رأى محمدٌ ربَّه». فإذا كان عندنا مطلقة ومُقَيَّدَة قاعدة؛ فيُحمل المطلق على المُقَيَّدِ. الإمام أحمد ورد عنه أنه قال: رأى محمد ربه، وفي رواية أخرى: رآه بفؤاده.

ومن قال بنفي الرؤية هؤلاء -عائشة وابن مسعود-؛ فمقصوده الرؤية البصرية، وبهذا تَجتمع الأدلَّة وتجتمع الأقوال ولا يكون هناك منافاة بين القولين.

ماهيَّة الرؤية بالفؤادِ؟

حَدَّدَها ابن القيم: انكشاف صورة المعلوم للقلب حتى تكون أكثر من الرؤية البصرية، ولهذا وصف الله –عز وجل– الرؤية القلبيَّة، قال: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦]، يعني التَّصور.

ولهذا يقول ابن القيم –رحمه الله–: هذا التصور يَقوى مع قوة إيمان الشخص.

ولهذا لاحظْ يُوجد عند أهل العلم، وعند الصحابة من الخشية والخوف لله –عز وجل– أكثر من عامة الناس.

لماذا؟

لأنهم أكثر استشعارًا لعظمة الله –عز وجل– لأسمائه لصفاته.

رؤية الله لهم هي مرتبة الإحسان؟

نعم.

تصور رؤية الله –عز وجل– لهم، ولهذا ذكَرَ ابن القيم عبارات لطيفة في "مدارج السالكين"، إلى أن قال: وهم في وادٍ والناسُ في وادٍ آخر، يعني أنَّهم يعيشون في عالم والناس في عالم، هم يحلقون في الملأ الأعلى، يعيشون بين الملائكة، هؤلاء أهل الإيمان حقيقة أهل العلم، وأما الناس؛ فيعيشون في هذه الدنيا وفي مَلَذَّاتِها.

(ونعتقد أن الله –تعالى– اخْتَصَّ بمفاتحَ خمسٍ من الغيب لا يعلمها إلا الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ .. ﴾ [لقمان: ٣٤]، الآية، ونعتقد المسح على الخفَّيْن ثلاثا للمسافر ويومًا وليلة للمقيم.)

بالنسبة للخمس مفاتيح الْغَيْبِيَّةِ التي لا يعملها إلا الله فَسَّرَها النبي –صلى الله عليه وسلم– كما في آخر سورة لقمان، والحديث ثابت في صحيح البخاري: (مفاتح الغيب خمسٌ..) ثم قرأ النبي –صلى الله عليه وسلم– هذه الآية.

(ونعتقد المسح على الخفين.)

مسألة المسح على الخفين من المسائل الفقهية أم الاعتقادية؟

الفقهية.

كيف أوردها المؤلف هنا في مسائل الاعتقاد؟!

وربما لو قرأتم في كثيرٍ من كتب الاعتقاد والتي ذكرت جملة عقيدةِ أهل السنة يَذكرون المسحَ على الخفين، ويذكرون –كما سيأتي– التراويح.

فلماذا ذُكرت هذه المسألة دون بقية مسائل الفقهِ في كتب العقائد؟

لأن هناك خلافًا فقهيًّا قائمًا على هذه المسألة بين المتكلمين أجمعهم.

جميل، هل هناك إجابة أخرى.

وربما تكون بعض الطوائف مثل الرافضة يُنكرون هذه المسألة.

أحسنت، هذه المسألةُ أصبحت شعارًا لبعض أهل البدع؛ أنهم ينكرون هذه المسألة، فالرافضة -مثلا- تُنْكِرُ المسحَ على الخفين، فأصبح شعارًا لهم، وخالفهم أهل السنة فأثبتوا المسحَ على الخفين؛ لأنها ثابتة بصحيح السنة، وبالمفهوم من آيةِ المائدةِ على قراءة الجرِّ.

(ونعتقد الصَّبْرَ على السُّلْطَانِ من قريشٍ ما كان من جَوْرٍ أو عَدْلٍ ما أَقَامَ الصلاةَ من الْجُمَعِ والأعياد، والجهادُ معهم مَاضٍ إلى يومِ القيامةِ، والصلاة في الجماعة حيث يُنادى لها واجبٌ إذا لم يكن عذرٌ مانعٌ.)

مسألة الصبر على السلطان هذا منهج أهل السنة، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة: الصبر على السلطان على جَوْرِه على ظُلْمِه وعدم الخروج عليه.

وخالف في هذا الخوارجُ والمعتزلةُ، فقالوا بالخروج على السُّلْطَانِ إذا ظَهَرَ منه شيءٌ من الظلم.

الأدلة كثيرة وصريحة وواضحة، وتَرُدُّ على هؤلاء، من أصرحها ما ثبت في صحيح مسلم: (اصبرْ ولو جلد ظهرك ولو أخذ مالك)، والنبي -صلى الله عليه وسلم- ذكر في أحاديثَ كثيرةٍ على المسلم السمع والطاعة، وفي حديث الْعِرْبَاضِ بن سارية: (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنَّوَاجِذِ، وإياكم ومحدثات الأمور..) إلى أن ذكر: (وإن تَأَمَّرَ عليكم عبدٌ حَبَشِيٌّ)، فلا بد من الصبر، والسمع والطاعة، و(عليهم ما حُمِّلُوا، وعليكم السمع والطاعة).

والجهادُ معهم.

ينبغي للمسلم أن يُقاتل تحت راية هؤلاء الأئمة وإن ظلموا وإن جاروا، خلافا لمذهب الرافضة الذين عَطَّلُوا الجمع والجماعات وعطَّلُوا الجهاد حتى يَخْرُجُ الإمامُ المعصومُ عندهم.

فعقيدة أهل السنة والجماعة أن الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة تحت راية هؤلاء الأئمة وإن كانوا ظَلَمَةً.

وأيضا الجمع والأعياد تُقام مع هؤلاء وإن كانوا ظَلَمَةً.

قوله: (والصلاة في الجماعة حيث يُنادى لها واجبٌ إذا لم يكن عذرٌ مانع): هذه المسألة فيها خلاف، لكن لعل هذا هو القول الراجح، أن صلاة الجماعة واجبة؛ لأنَّ من أهل العلم من ذهب إلى أن صلاة الجماعة فَرْضُ كفاية، ومنهم من قال: إنها سنة، لكن الذين قالوا سنة حقيقة قولهم كما قال شيخ الإسلام أنه يرجع إلى القول بالوجوبِ؛ لأنهم يُؤَثِّمُون من تَرَكَهَا، فبمعنى أنها واجبة.

(والتراويح سُنَّةٌ، ونشهد أن مَنْ تَرَكَ الصلاة عَمْدًا؛ فهو كافر، والشَّهَادَةُ والْبَرَاءَةُ بِدْعَةٌ.)

(والتَّراويحُ سنة): أيضا هذه من مسائلِ الفروع التي يَذْكُرُها أهلُ السنةِ في كتب العقائد، وذلك خلافا لبعض أهل البدع وهم الرافضة الذين زَعَمُوا أنَّ التَّراويحَ بِدْعَةٌ ابْتَدَعَهَا عُمَرُ -رضي الله عنه-، بل نحن نقول: إنها سنة، والذي سَنَّهَا النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- وفعلها بنفسه، وقام معه الصحابةُ أكثر من ليلة، لكنه خَشِيَ أن تُفْرَضَ عليهم فَتَرَكَ ذلك شَفَقَةً بهم، وَحَثَّ عليها بقوله: (مَنْ قَامَ مَعَ إِمَامِهِ حَتَّى يَنْصَرِفَ؛ كُتِبَ له قِيَامُ ليلةٍ). لَمَّا تُوُفِّيَ النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- وانْقَطَعَ الوحيُ؛ جَاءَ عمر -رضي الله عنه- وَرَأَى الناس يُصلون أوزاعا، فجمعهم على إمام واحد وأحيى هذه السنة، فنرجو أن يكون له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

(ونشهد أن من ترك الصلاة عمدا؛ فهو كافر): هذه –أيضا– مسألة خلافية، ولا شك أن الأمة أجمعت على أنَّ مَنْ تركها جاحدا لوجوبها؛ فهو كافر كفرًا أكبر مخرجًا عن الملة، ويُستثنى من هذا حديثُ العهدِ بالإسلام؛ لأن وجوب الصلاة مما يُعْلَمُ من الدين بالضرورة.

لكنَّ مسألة مَنْ تركها تَهَاوُنًا وكسلا فالمسألة محلُّ خلافٍ: ذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا يكفر، وهذا مَرْوِيٌّ عن علي –رضي الله عنه– وإبراهيم النَّخَعِي، وابن المبارك، وأحمد في إحدى الروايتين.

والقول الثاني: أنه يكفر، وإلى هذا ذهب سعيد بن جُبَيْر، وإسحاق بن راهويه، والشَّعْبيُّ، والأوزاعيُّ، وأيوب السّختياني، وإليه ذهب عبد الملك بن حبيب من المالكية، وهو أَحَدُ الوجهين في مذهب الإمام الشافعي، وحكَاه الطَّحَاوِيُّ عن الشافعيِّ نفسه، وذكر شيخ الإسلام أنَّ أكثر السلف على هذا، وهو الذي أفتى به الشيخ عبد العزيز بن باز –رحمه الله– والشيخ ابن عُثَيْمِين، قالوا: لأن الأدلة تُؤخذ على عمومها، (من ترك الصلاة؛ فقد كفر أو أشرك)، و(العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها؛ فقد كفر)، قالوا: وليس في هذه النصوص ما يُقَيِّدُ أنه تركها جاحدا لوجوبها.

(والشهادة والبراءة بدعة): معنى الشهادة أن يُشْهَدَ لِمُعَيَّنٍ أنَّه من أهلِ النار، فلا يجوز أن يُشْهَدَ لِمُعَيَّنٍ من المسلمين أنه من أهل النار. يُخاف عليه، ولكن لا يُقطع له بالنار.

وكذلك البراءة معناها البراءة من أبي بكرٍ وعمرَ كما هو مذهب الرافضة أنهم يَتَبَرَّؤون من أبي بكرٍ وعمرَ، ويعتبرون هذا من صميم الاعتقاد.

بدعة.

بدعة نعم، التبري من أبي بكر وعمر هذا شعار أهل البدع.

(والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة، ولا نُنْزِلُ أَحَدًا جَنَّةً ولا نارا حتى يكون الله يُنْزِلُهم، والمراء والجدال في الدين بدعة.)

الصلاة على مَنْ مَاتَ من أهل القبلة سنة، خلافا لما ذهب إليه بعضُ أهلِ البدعِ، كما هي الحال عند بعض الخوارج، فيُصَلَّى على مَنْ مات من أهل القبلة بِغَضِّ النظر عن الكبائر المرتكِبِ لها، فأمره إلى الله –عز وجل– لكنْ يُصَلَّى عليه.

قد يَذْكُرُ البعضُ أنَّ النبيَّ –صلى الله عليه وسلم– تَرَكَ الصلاةَ على صاحب الدين، وعلى القاتل لنفسه.

قال أهل العلم: هذا فقط الذي يَتْرُكُ الصلاة إمام المسلمين، أو من له شأن لِيُبَيِّنَ عِظَمَ هذه المسألة وعظم هذا الحق، ولهذا أمرهم النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يصلوا عليه وما نهاهم.

فالصلاة على أهل القبلة مهما ارتكبوا من الكبائر، ما لم يرتكبوا أمرا يُخرج عن دائرة الإسلام، فالصلاة عليهم سُنَّةٌ.

(ولا ننزل أحدا جنة ولا نارا حتى يكون الله ينزلهم): هذا هو المذهب الصحيح، أنه لا يُحكم لأحد بجنة ولا بنار إلا من حَكَمَ له الشارع الحكيم.

(والمراء والجدال في الدين بدعة): الجدال والمراء الذي لا يُقْصَدُ منه إحقاقُ الحقِّ وإبطال الباطل، الذي يُقصد منه الانتصارُ للنَّفْس، وإلا إذا قُصِدَ منه إحقاق الحق وإبطال الباطل؛ فهذا مشروع، ولهذا قال الله –عز وجل–: ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، لكنَّ المنهيَّ عنه والذي وَرَدَ في النصوص النَّهْيُ عن الجدال والمراء إذا وَصَلَ إلى مسألة الانتصارِ للنفس وحظوظ النفس، فهنا لا، هذا مَدْخَلٌ من مداخل الشيطان ينبغي للمسلم أن يمسك.

إذا كان مثلا بعض الأشخاص مشهور ببدعته أو فسقه، أو أنه ممن يحارب الدين سواء بكتابته وكذا وتُوفي، هل يكون الصلاة عليه سنة أم أنه يعامل معاملة المنافقين؟

لا، حتى المنافقين صلى عليهم النبي –صلى الله عليه وسلم–، والصحابة –رضي الله عنهم– صلوا عليهم، ولهذا عمر أصبح ينظر إلى حذيفة، فإذا صلَّى حذيفة على الرجل؛ صلَّى عليه، وإذا تَأَخَّرَ؛ تَأَخَّرَ، بمعنى عَلِمَ أنه من المنافقين.

فنحن نعامله بما ظَهَرَ لنا وهذا هو منهج السلف –رحمهم الله– في واقعهم، ووُجِدَ هناك مَنْ أقواله وَصَلَتْ إلى درجة الكفر كبعض الفلاسفة المنتسبين للإسلام، وكغلاة الباطنية، لكن قال أهل العلم: إن المسلمين عاملوهم معاملة المنافقين، ظهر منهم الإسلام؛ نُصلي عليهم، وأمْرُهم إلى الله، لكن ليس هناك ارتباط وعلاقة بين صلاتنا وفعلنا ودعائنا وحكمِهم في الآخرة، ولهذا قد نُصلِّي على الشخص وهو في الآخرة في الدَّرك الأسفل من النار، هل تنفعه الصلاة؟! هل ينفعه الدعاء؟! لا، كما أننا نتعامل مع الشخص على أنه كافر وهو في الآخرة من أهل الجنة، كالمؤمن الذي يُخفي إيمانه نتعامل معه ككافر، إذا كان يعيش بين الكفار وقُتل مع الكفار وما ندري عنه أنه مؤمن، ولهذا لا نُوَرِّثُه ولا نُغَسِّلُه ولا نُصلِّي عليه، لكن حُكْمُه في الآخرة لم يُؤَثِّرْ على حكمه في الآخرة فِعْلُنا في الدنيا.

فمثل هؤلاء الذين ظهرت عَدَاوَتُهم للإسلام ما لم يَرْتَكِبُوا أمْرًا يُخْرِجُهم عن دَائِرَةِ الإسلام وتُقَامُ عليهم الحجةُ؛ عُومِلُوا معاملة المسلمين.

ويُحْكَمُ عليهم..

نعم، لكن لو ترك مثلا الصلاة عليهم إمامُ المسلمين أو ترك عليهم الصلاة هذا العالم الذي له شأن؛ إنكارا لما كان عليه حَالَ الحياة؛ فلا تَثْرِيبَ في ذلك، ويُبَيِّنُ لعامَّةِ الناس شَنَاعَةَ الفعلِ الذي كان عليه، لكن أن يَتْرِكَ المسلمون عامة الصلاة عليه هذا لا دليل على ذلك، بل السنةُ الصلاةُ عليه وإن أخفى خلاف ما يُظهر، هذا نقول: أمره إلى الله، المنافقون كانوا مع النبيِّ –صلى الله عليه وسلم– ويُصلُّون مع النبيِّ –صلى الله عليه وسلم– ويخرجون ويجاهدون مع النبي –صلى الله عليه وسلم–، ومع ذلك هم في الدَّرْكِ الأسفل من النار، بل خرجوا في بعض الغزوات التي تركها بعضُ الصحابة مثل غزوة تبوك، خرج فيها المنافقون ولهذا تآمروا على النبيِّ –صلى الله عليه وسلم– في هذه الغزوة لِقَتْلِه، وقال قائلهم: ﴿ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ [المنافقون: ٨]، ولم ينفعهم هذا الأمر.

فكون هذا الرجل منتسبًا للإسلام أو يعيش بين أَظْهُرِ المسلمين أو من أَبَوَيْنِ مسلمين هذا لا يَشفع له، لكن نحن نتعامل معه بما ظهر من عمل وفعله.

أهل القبلة شاملة؟

أهل القبلة نعم، ولهذا مَنْ صَلَّى إلى قبلتنا وأكل ذبيحتنا له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين.

ذُكِرَ في آخر سورة آل عمران: ؟ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ؟ [البقرة: ١٤٢]، وفي الحديث: (والأرضين السبع)، فما القول فيمن قال: كيف قال في الحديث إن الأراضين السبع والأرض فقط؟

لا، هنا الأرض جنس، لكن الثابت أن الأرضين سبع، ؟ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ؟ [الطلاق: ١٢]، لكن كيف هذه الأرضون السبع الله أعلم، تكلم حولها المفسرون، لكن ما تَبَيَّنَ هناك نصٌّ واضح يُحَدِّدُ ويُبَيِّنُ هذه الأرضين السبع. أما في هذه الآية وفي غيرها الأرض هنا الجنس وليس للعدّ.

(ونعتقد أن ما شَجَرَ بين أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أمْرُهم إلى الله، ونَتَرَحَّمُ على عائشة، ونَتَرَضَّى عليها.)

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة فيما يَتَعَلَّقُ بما شَجَرَ بين أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- الإمساك؛ نُمْسِكُ عن ذلك، أمسك السلفُ وأمروا بذلك بل النبي -صلى الله عليه وسلم- أمرنا بالإمساك؛ قال في الحديث الصحيح: (وإذا ذُكِرَ أصحابي؛ فأمسكو)، وفي الحديث الآخر: (لا تَتَّخِذُوهم غَرَضًا من بعدي)، وفي حديث خالد: (لا تَسُبُّوا أصحابي، فلو أنَّ أحَدَكم أنْفَقَ مثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ ما بلغ مُدَّ أحَدِهم ولا نَصِيفَه)، فهؤلاء قوم اختارهم الله -عز وجل- واصطفاهم على سائرِ الخلقِ ليس على سائر هذه الأمة على سائر الخلق، اختارهم وهو يَعلم ما سيحدث منهم وما سيحصل منهم، ورضي عنهم جملة، وتاب عليهم جملة، وحصل منهم ما حصل عن اجتهاد -رضي الله عنهم-، فإن أصاب منهم مَنْ أصاب؛ فله أجران، وإن أخطأ؛ فله أجر واحد.

أما موقفنا -وهذه عقيدتنا وهذا منهج أهل السنة- الإمساكُ عمَّا شَجَرَ بين أصحابِ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم-، ولهذا قال عُمَرُ بن عبد العزيز كلمة جميلة لمَّا ذُكر عنده بعض ما حصل في أيام الجمل وصِفِّين؛ قال: «تلك فتنة طَهَّرَ الله منها أيدينا؛ فَلْنُطَهِّرْ منها ألْسِنَتَنَا».

ثم من أنت حتى تأتي في القرن الرابع عشر أو الثالث عشر أو في القرن العاشر لتكون حَكَمًا بين هذه الثُّلَّةِ المباركة.

يقول ابن مسعود -رضي الله عنه: «لَمَقَامُ أحدهم مع رسول الله تَغْبَرُّ فيه قَدَمُه خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ أَحَدِكم لَوْ عُمِّرَ عُمْرَ نوح»، فلهم من المكانة والمنزلة والسابقة ما يَجعل المسلمَ يَتَرَضَّى عليهم جملة، ويُمسك عمَّا حصل بينهم -رضي الله عنهم وأرضاهم-.

فمن عقيدة أهل السنة والجماعة ذِكْرُ محاسنهم والإمساك عمَّا حصل بينهم.

وعلى كل حال؛ فلهم من السابقة، ولهم من الأعمال ما تَضْمَحِلُّ معه هذه الأمور التي لا تُعَدُّ كبيرةً في جانبه. ولهذا حاطب بن أبي بلتعة -رضي الله عنه- كما في صحيح البخاري لمَّا عَزَمَ على إفْشَاءِ سِرِّ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- وهذا يُعتبر في عُرْفِ المتأخرين جريمةً كبرى خيانةً، لمَّا قال عمر: "دَعْنِي أَضْرِب عنقه" ماذا قال له النبي -صلى الله عليه وسلم-؟

(لا يا عمر فإنه شَهِدَ بدر)، موقف واحد (فَلَعَلَّ الله اطَّلَعَ على أهْلِ بدر فقال: اعملوا ما شئتم؛ فقد غَفَرْتُ لكم)، موقف واحد فكيف بهؤلاء أو بأغلبهم حضروا كلَّ المواقف؟!

عثمان -رضي الله عنه- لما جاء في غزوة تبوك جاء بالذهب ونَثَرَه في حِجْرِ النبي -صلى الله عليه وسلم- بدأ يُقَلِّبُه وقال: (ما ضَرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم)، ضَمِنَ مكانه في الجنة، ليعملْ ما شاء.

فعلى المسلم إذا ذُكِرَ ما شَجَرَ بين الصحابة يمسك، هذا أمره ليس إليه: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾ [البقرة: ١٣٤]، لسنا مسؤولين عمَّا حصل وحدث بينهم.

لكن نعتقد اعتقادًا جازما أنَّ ما حصل بينهم إنما هو باجتهاد منهم -رضي الله عنهم وأرضاهم-، ولهذا المصيب له أجران والمخطئ له أجر، ولولا ضيق الحلقة؛ لذكرت بعض المواقف الدَّالَّة على أن ما حصل بينهم لم يكن من مُنطلق دنيا ولا من منطلق هوى، وإنما هو من منطلق اجتهاد، ولعلي أذكر موقفًا واحدًا.

موقف واحد؛ لأن هذا محل كلام، وخاصة في بعض القنوات وإثارة هذه المسائل. أقول في وقعة الجمل، الزُّبَيْر كان في الشق الثاني وعلي في المقابل، فتقابل الزبيرُ وعليٌّ وجها لوجه، وقد سَلَّ الزُّبيرُ سيفه فقال له علي: أمَا تذكر لمَّا دخلنا على النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- وقال له: (تُقاتله وأنت ظالم له)، لو كان صاحب دنيا أو صاحب هوى؛ لأقدم على هذا الأمر، ولهذا أغْمَدَ سيفه ورَجَعَ، فهذا دليل على أنَّه ما خرج في ذلك إلا باجتهادٍ منه -رضي الله عنه-، لكنْ جانبه الصواب.

نعم نقول: المصيبُ في هذا عليٌّ -رضي الله عنه-، وهو أولى الطائفتيْن بالحق، لكن لا يعني هذا أن نُشَنِّعَ على أصحاب الطرف الآخر، ولا أن نَحُطَّ من قدرهم، وليس لنا ذلك، ولسنا أهلاً أن نكون حكامًا بين هذا أو أن نحكم بين هذا وهذا.

وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

لعلنا نأخذ منكم سؤال هذه الحلقة:

ما معنى قول الأئمة: القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود؟ وقد ذكرها المؤلف عن عبد الله ابن خفيف.

الدرس السادس والعشرون

اللفظ والملفوظ

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

نبدأ درسنا -كالعادة- بالمراجعة عن طريق استعراض السؤال الذي ذُكِرَ في نهاية الدرس الماضي وتلقي إجابته.

السؤال: ما معنى قول الأئمة: "القرآن كلام الله، منه بدأ وإليه يعود"؟

لعلنا نأخذ الإجابات من الإخوة الحاضرين معنا في هذا الدرس.

القرآن كلام الله حقيقة، بخلاف المعتزلة والجهمية لأنهم يقولون إنه مخلوق.

وقوله: "منه بدأ"؛ أي تكلم به ابتداءً.

وقوله: "وإليه يعود"؛ أي في آخر الزمان يُسرى في ليلة فلا يبقى في الصدور ولا في الصحف.

الإجابة صحيحة.

"منه بدأ"؛ أي تكلم الله به حقيقة، لم يخلقه في الهواء، ولم يخلقه في اللوح المحفوظ ردًّا على الجهمية والمعتزلة، ومن تبعهم في ذلك.

و"إليه يعود"؛ أي يعود في آخر الزمان، فيُنْزَع من صدور الرجال، ويُرفع من المصاحف، فما يبقى منه حرفٌ.

نكمل.. نُذَكِّرُ الإخوة بالموقف من يتابع معنا.

القول في اللفظ والملفوظ، ولا زال الكلام في النقل عن أبي عبد الله ابن خفيف -رحمه الله-.

بسم الله الرحمن الرحيم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في فتواه:

(والقولُ في اللفظِ والمَلْفُوظِ، وكذلك في الاسمِ والمُسَمَّى بدعةٌ، والقولُ في أنَّ الإيمانَ مخلوقٌ أو غيرُ مخلوقٍ بدعةٌ.)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبيِّنا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لا زال النّقل مستمرًّا عن أبي عبد الله ابن خفيف من أئمة الصوفيّة المتقدّمين.

يقول رحمه الله: (والقول في اللفظ والملفوظ، وكذلك في الاسم والمسمى بدعة): القول في اللفظ والملفوظ هذه من المسائل التي حَدَثَتْ بعد مسألةِ القول بخلق القرآن، فَلَمَّا صَاحَ الأئمة بالجهميّة وَضَلَّلُوهم وبَيَّنُوا فساد قولِهم في مسألة خلق القرآن؛ انْبَرَى بعض المعاصرين للإمام أحمدَ وجاء بهذه المسألة الجديدة، وأوّلُ من تكلم فيها حُسَيْنٌ الْكَرَابيسِيُّ وتلميذه داود الأصبهانيُّ، وأنكر عليهم الإمام أحمد.

كان لهذه المسألة قصة وسبب لا داعي لذكرهما اختصارا للوقت، ومعنى اللفظ والملفوظ وهي المسألة التي عُرِفَتْ عند أهل السنة بمسألة اللفظ، والطائفة الذين قالوا بها اللفظية، وهي: قول الرجل: "لفظي بالقرآن مخلوق أو ليس بمخلوق".

الإمام أحمد قطع الطريق؛ قال: "من قال لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو جهميّ"، يعني قال: إن كلام الله مخلوق، ومن قال: إن لفظي بالقرآن غير مخلوق؛ فهو مبتدع.

إذن، ما الحل؟

السكوت.

أحسنت، السكوت والتوقف.

لماذا؟

لأن كل كلمة تحتمل حقًّا وباطلاً، فمن قال: لفظي بالقرآن مخلوق لها احتمالان: إما أن يريد كلام الله، وكلام الله غير مخلوق، وإما أن يريد -وهذا هو الباطل- فعلَ العبد لحركة لسانه وصوته، وهذا مخلوق أم غير مخلوق؟ مخلوق، وهذا حقٌّ.

لكن لَمَّا كانت الكلمة تحتمل حقًّا وباطلاً؛ ذهب الأئمة إلى تَرْكِ الإطلاقيْن.

أيضا، وكذلك في الاسم، طبعا أول من قال لفظي بالقرآن مخلوق هؤلاء الجهمية، لَمَّا ذاع بين الناس وَتَبَيَّنَ باطلُهم في مسألة خلق القرآن؛ جاؤوا بهذه البدعة لِيُلَبِّسُوا على الناس. لكنْ جاء أناس يريدون أن يردُّوا عليهم، فقالوا: ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة، فقال الإمام أحمد: "ردُّوا بدعةً ببدعةٍ وباطلاً بباطلٍ"، ولهذا الأولى السكوت ابتداءً، لكن إذا أطلقها الإنسان، أو سألنا عنها هنا لا بد من التفصيل، وهو ما ذكره الإمام ابن القيم. نقول: ماذا تريد لَمَّا تقول: لفظي بالقرآن مخلوق؟ هل تريد الكلام الذي وصل عن طريق لفظك؟ فهذا غير مخلوق، هذا كلام الله: ؟ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؟ هذا كلام الله، ؟ الم ؟ هذا كلام الله، وإن أردت حركة القارئ وصوت القارئ، حركة اللسان، حركة الشفتين؛ فلا شك أن هذه أفعال العباد، وأفعال العباد مخلوقة.

إذن، يُجاب بالتفصيل، ولكن لا يُتَكَلَّمُ فيها ابتداءً.

كذلك في مسألة الاسم والْمُسَمَّى، هذه من المسائل التي أطلقها الجهمية ولم تُعْرَفْ في زمن الصحابة ولا في زمن التابعين، جاء الجهمية وَلَبَّسُوا على الناس. قالوا: هل الاسم هو المسمى أم غير المسمى؟

فإن قلت: غير الْمُسَمَّى.

قالوا: كل ما هو غير الله فهو مخلوق، ولهذا لا يقال الاسم هو المسمى ولا غير المسمى.

إذن، ماذا يُقال؟

يُقال: الاسم للمُسَمَّى، الاسم عَلَمٌ ودليل على الْمُسَمَّى، فلا يقال هو المسمى ولا غير المسمى.

ثم قال: (والقول في الإيمان مخلوق أو غير مخلوق): أيضا هذه من المسائل التي شَغَّبَ بها الجهميَّة على أهل السنة؛ لأنه يدخل في الإيمان ما هو من كلام الله الذي هو قول لا إله إلا الله، وهذا غير مخلوق، ويدخل في الإيمان فعلُ العبد، فعل العبد الذي هو إيمانه هذا مخلوق، ولهذا لا يقال: الإيمان مخلوق ولا غير مخلوق؛ لأن الأئمة والسلف منعوا من إطلاقِ هذه الألفاظِ الْمُجْمَلَةِ كجوابٍ مُجْمَلٍ ومُخْتَصَرٍ؛ لأنها تحتمل حقًّا وباطلاً.

وعندنا قاعدة: الألفاظ التي تحتمل حقًّا وباطلاً لا يُتَكَلَّمُ بها ابتداءً، ومن تَكَلَّمَ بها؛ فلا بد أن يُسْتَفْصَلَ ويُسْتَفْسَرَ عن مراده بها، فإن أراد حقًّا؛ قُبِلَ الحقُّ، وإن أراد باطلا؛ رُدَّ الباطلُ.

(واعلم أنِّي ذكرتُ اعتقاد أهل السنة على ظاهرِ ما وَرَدَ عن الصَّحابة والتَّابعين مُجْمَلاً من غير استقصاءٍ؛ إذ قد تَقَدَّمَ القول عن مشايخنا المعروفين من أهل الإمامة والديانة، إلا أنني أحببتُ أن أَذْكُرَ «عقود أصحابنا المتصوفة» فيما أَحْدَثَه طائفةٌ انتسبوا إليهم ممن قد تَخَرَّصُوا من القول مِمَّا نَزَّهَ الله المذهبَ وأهلَه من ذلك.)

هو الآن ينتقل إلى مرحلة أُخرى، هو ذَكَرَ الآن مجمل اعتقاد السلف، ثم قال: هناك مسائل عُرِفَ بها بعضُ الصوفية، ويقول: هم منتسبون إلى هذه الطريقة. وبالطبع هو ينصر هذه الطريقة –طريقة المتصوفة– فيذكر أنَّ هناك من انتسب إلى هذه الطائفة وقال أقوالاً شنيعةً لا تُوافِقُه عليه هذه الطائفة، وسيذكر بعض المسائل ويُنكر عليهم.

(إلى أن قال:

وقرأت لمحمد بن جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ في كتابٍ سَمَّاه "التبصير" كتب بذلك إلى أهل طَبَرِسْتَانَ في اختلافٍ عندهم، وسألوه أن يُصَنِّفَ لهم ما يَعتقده ويَذهب إليه، فَذَكَرَ في كتابه اختلاف القائلين برؤية الله –تعالى–، فذكر عن طائفةٍ إثباتَ الرؤية في الدنيا والآخرة، ونسب هذه المقالة إلى الصوفيَّة قاطبةً، ولم يَخُصَّ طائفةً دون طائفةً، فَتَبَيَّنَ أنَّ ذلك على جهالةٍ منه بأقوالِ الْمُحَصِّلِين منهم، وكان من نُسِبَ إليه ذلك القول –بعد أن ادَّعى على الطائفة– ابن أخت عبد الواحد بن زيد، والله أعلم بمحله عند المحصلين؛ فكيف بابن أخته؟!

وليس إذا أَحْدَثَ الزائغُ في نِحْلَتِه قولا؛ نُسِبَ إلى الجملةِ، كذلك في الفقهاء والمحدِّثين ليس من أحدث قولا في الفقه أو لَبَّسَ فيها حديثا يُنسب ذلك إلى جملة الفقهاء والمحدِّثين.)

)

يقول: (وقد قرأت لمحمد بن جرير الطبري): المتوفى سنة ٣١٠هـ، ومحمد بن جرير عَلَمٌ صاحب التفسير وصاحب التاريخ، هذا الإمام الذي ذاع صيته، وهو مرجعٌ وإمامُ الأئمةِ رحمه الله.

(في كتاب سماه "التبصر في الدين"): وهذا الكتاب طُبع عدة طبعات، اخْتَصَرَ فيه عقيدة أهل السنة والجماعة.

يقول: (فذكر عن طائفةٍ إثبات الرؤية في الدنيا والآخرة)، وتقدم هذا الكلام أنَّ هذا قول بعض الصوفية، يُثْبِتُون أنَّ الله يُرى في الدنيا والآخرة.

يقول: (ونَسَبَ هذه المقالة إلى الصوفية قاطبة): هذا هو الذي أثار حفيظة ابن خفيف؛ كونه نَسَبَه إلى عُمــوم الصوفية. والإمام محمد بن جرير -في واقع الأمر- لا يُريد هؤلاء الصوفيَّة الذين نُسَمِّيهم الــصوفية المعتدلــة أوائل الصوفية المتقدمين منهم، فهؤلاء لا يدخلون في مقولات هؤلاء الغُلاةِ المتأخرين، ولهذا إذا نَــسب الإمــام محمد بن جرير أو نَسب غيرُه قولاً للصوفيَّة؛ فمرادهم الغلاةُ، وهو المذهب الذي ساد في القرون المتأخرة.

يقول: (لم يَخُصَّ طائفةً دون طائفةٍ، فتَبَيَّنَ أنَّ ذلك على جهالةٍ منه بأقوال المحــصّلين)؛ أي المحققــين مــن الصوفية، (وكان من نسب إليه ذلك القول بعد أن ادَّعى الطائفة ابن أخت عبد الواحد بن زيد): وعبد الواحد بــن زيد هذا من مشايخ الصوفية، توفي سنة ١٥٠هـــ، يقول: (والله أعلم بمحله عند المحصَّلين)؛ أي عند المتصوفة؛ (فكيف بابن أخته؟!)

يقول: إذا كان عبد الواحد بن زيد ليس مقبولاً على إطلاق عند الصوفيَّة؛ فكيف بابن أخته؟! يقول: (وليس إذا أحدث الزائغُ في نِحْلَتِه قولاً؛ نُسِبَ إلى الجملةِ.)

لا شك، وهذا من باب العدل؛ أنَّه إذا أحدث إنسان في طائفة، أو في فرقة، أو في مِلَّةٍ، أو في قــوم، أو فــي قبيلة، أو في عائلة أن يُنسب إلى عموم العائلة، لكن إذا غَلَبَ هذا القولُ على أكثرهم يُنْسَبُ إليهم ومــن خــالفهم يَخرج، ولكن هذا على قاعدة النادر.

(واعلم أن ألفاظ الصوفية وعلومهم تختلف، فيطلقون ألفاظهم على موضوعاتٍ لهم، ومَرْمُــوزَاتٍ وإشــاراتٍ تَجْري فيما بينهم، فمن لم يُداخِلْهم على التَّحقيق ونَازَلَ ما هم عليه؛ رجع عنهم خاسئا وهو حَسِيرٌ.)

لا يُسلَّمُ له هذا -رحمه الله-، وبالطبع يقول: إن الصوفية عندهم إشارات وعندهم رموز يــستخدمونها فيمــا بينهم، إذا سمعها مَنْ هو خارج هذه الطائفة؛ حملها على المعنى المُشْكِلِ.

نقول: الأصلُ في الكلام على ظاهِرِه، بل وقولُ الغلاةِ هؤلاء ظاهره وباطنه سواء، يُصَرِّحُون بهذه الأقــوال والمعتقدات الفاسدة، وربما يكون عند بعضهم بعضُ الإشــاراتِ وبعــضُ الرمــوز، لكــنَّهم وضــعوا معجمًــا لمصطلحاتهم، فيمكن الرجوع إليها، فإذا رجعنا إليها؛ وَجَدْنَا أنَّ معنى هذه الرموز وهذه الإشارات يــؤدي إلــى معانٍ فاسدة وباطلة أيضا.

قضية استخدام هذه الألفاظ ما الدَّاعي لها؟

نعم، وهذا من الباطل، والمفترض أنْ يُسْتَخْدَمَ في المجال الشرعيِّ -خاصة- الألفاظُ الشرعيَّةُ، ولا تُــستَخْدَمُ الرموزُ والألفاظُ المجملةُ التي تحتمل حقًّا وباطلاً.

(ثم ذكر إطلاقهم لفظَ الرؤيةِ بالتَّقْييدِ، فقال: كثير ما يقولون: رأيتُ الله. وذَكَرَ عن جعفر بن محمد قولَه لَمَّــا سُئِلَ: هل رأيتَ الله حين عَبَدْتَه؟ قال: رأيتُ الله ثم عَبَدْتُه. فقال السائل: كيف رأيتَه؟! فقال: لم تره العيونُ بتحديد الْعَيَان، ولكنْ رَأَتْه القلوبُ بتحقيق الإيقان.

ثم قال: يُرَى في الآخرة كما أخبر في كتابه وذكر رسوله -صلى الله عليه وسلم-، فهذا قولنا وقــول أئمتنــا، دون الجهَّال من أهل الغباوة فينا.)

)

لا شك أنَّ ما ذكره كلامٌ صحيح، وأنَّ المؤمنَ قد يَتَرَاءى الله -عز وجل- بقلبه، وكما ذكر ابن القيم أنَّ مُعَايَنَةَ القلب معناه: انكشاف صورة المعلوم له، حيث تكون نِسْبَتُه إلى القلب كنسبة المرئي إلى العَيْن. ولهذا خَطَبَ رجلٌ ابن عمر -رضي الله عنه- وهو يطوف فقال: أتُكَلِّمُنِي في أمر من أمور الدنيا ونحن نتراءى الله -عز وجل-؟! لكنْ هذا على خلاف ما يُريده غلاة الصوفية، فغلاة الصوفية يُريدون أنهم يرون الله عيانًا بأبصارهم، ولهذا زعموا أنهم يَرَوْنَ الله، ويُجالسونه ويُسامرونه -تعالى الله عن ذلك!- ويُصافحونه. كل هذا باطل، حتى لو قالوا: إنَّ له معنًى باطنًا؛ نقول: لا، كلامُكم هذا باطل؛ ظاهره وباطنه.

وإلا؛ فلا شك أنَّ مسألة الرؤية القلبيَّة واستحضار عظمة الله، واستحضار أسماء الله، واستحضار صفات الله -عز وجل- هذا لا يُنْكِرُها مسلم، لكنَّهم يريدون معنًى آخر، ولهذا يَزعم بعضُهم أنَّه يُسامر الله -عز وجل-، ويُجالس الله -عز وجل- تعالى الله عن ذلك، ويَسمع من الله مباشرة كما قال ابن عربي المكيّ الطائيّ صاحب "الفصوص" يقول: النبيُّ يأخذ عن طريق الملك عن الله -عز وجل-، وأما نحن؛ فلا، نسمع من الله مباشرةً.

هذه الرؤية التي أشرتم إليها الرؤية القلبية لا يلزم منها أن يصف الإنسانُ ما يراه؟

لا، الرؤية ليست الصورة، وإنما هي استحضار عظمة الله -عز وجل-، استحضار آلاءِ الله، استحضار آيات الله -عز وجل-، وإلا؛ فلا يمكن.

إذا كانت الجنَّة لا يمكن أن تَخْطُرَ على قلب بشر وهي مخلوقة؛ فكيف بالخالق؟! وتقدم الكلام أنَّه مهما دار في خيالِك وذهنِك من خيالٍ؛ فالله أعظم وأجلُّ.

(وإن مما نعتقده أن الله حَرَّم على المؤمنين دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وذكر ذلك في حَجَّةِ الوداع. فمن زعم أنه يبلغ مع الله إلى درجةٍ يُبيح الحق له ما حظر على المؤمنين -إلا المضطر على حال يلزمه إحياء النفس- وإن بلغ العبد ما بلغ من العلم والعبادة، فذلك كفرٌ بالله، والقائل بذلك قائلٌ بالإلحاد، وهم المنسلخون من الديانة.)

وهذا قول غلاة الصوفية، أنَّ الوليَّ يصل إلى درجة تُسْقِطُ عنه التكاليفَ والمحرماتِ، فيُباح له ما حُرِّمَ على غيره، ولهذا قال: من اعتقد هذا الاعتقاد؛ فلا شك في كفره، وهذا موجود عند غُلاتِهم.

(وإن مما نعتقده ترك إطلاق العشق على الله، وَبَيَّنَ أنَّ ذلك لا يجوز لاشتقاقِه ولعدم وُرُودِ الشَّرْعِ به، وقال: أدنى ما فيه أنه بدعة وضلالة، وفيما نص الله من ذكر المحبة كفاية.)

وهذا موجود عند غلاة الصوفية إطلاق العشق على الله -عز وجل- تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا، وهذا لا يَجوز لأمرين:

الأمر الأول:

لعدم ورود النص به، وقلنا إن الأسماء والصفات مبناها على النصوص، فلعدم الورود نَمْنَعُ.

الأمر الثاني:

قال: لاشتقاقه. لماذا؟ لأنَّ العشقَ -كما ذكر أصحاب اللغة- محبةٌ مع شهوةٍ، والله -عز وجل- مُنَزَّهٌ عن هذا. والعشق لا شك أنه درجة من درجات المحبة، لكنَّه محبةٌ يُضاف إليها الشهوةُ.

(وإن مما نعتقده أن الله لا يَحُلُّ في المرئيات، وأنه المنفرد بكمال أسمائه وصفاته، بائنٌ من خلقه، مستوٍ على عرشه، وأن القرآن كلامه غير مخلوق، حيثما تُلِيَ وحُفِظَ ودُرِسَ.)

وفي هذا ردٌّ صريح على المنتسبين إليه وإلى غيره من هؤلاء الغلاة.

يقول: (وأن مما نعتقده أن الله لا يحل في المرئيات): هنا رَدٌّ على أهل الحلول والاتحاد، (وأنه المنفرد بكمال أسمائه وصفاته، بائن من خلقه): هناك انفصال، ليس هناك حلول ولا اتحاد كما يزعم هؤلاء.

(مستو على عرشه): وهذا تأكيد على مُبَايَنَةِ الله –عز وجل– لخلقه.

(ونعتقد أن الله –تعالى– اتخذ إبراهيم خليلا، واتخذ نبيَّنا محمدًا –صلى الله عليه وسلم– خليلا وحبيبا، والْخُلَّةُ لهما منه على خلافِ ما قاله المعتزلة: إن الخلة الفقرُ والحاجةُ.)

وهذا تقدم الكلام عنه، أنهم أولوا الخلة بالفقر والحاجة، والصحيح أنْ تُحمل الخلةُ على ظاهرها وهي كمال المحبة.

(إلى أن قال:

والخلة والمحبة صفتان للهِ هو موصوف بهما، ولا تدخل أوصافه تحت التكييف والتشبيه، وصفات الخلق من المحبة والخلة جائزٌ عليهم الكيفُ، وأما صفات الله –تعالى–؛ فمعلومة في العلم وموجودة في التعريف قد انتفى عنهما التشبيه، فالإيمان به واجب، وحسم الكيفية عن ذلك ساقط.)

)

الخلة والمحبة ثبتت بالنصوص، فنصف الله –عز وجل– بذلك، فنقول: إن الله يُحِبُّ ويُحَبُّ، وموصوف بالْخُلَّةِ، فإنه اتخذ إبراهيم خليلا واتخذ نبينا –صلى الله عليهما وسلم– خليلا، لكن الخلةُ والمحبةُ الموصوف الله بهما يختلف عن الخلة والمحبة الموصوف العبد بهما.

(ومما نعتقده أنَّ الله أباح المكاسب والتجارات والصناعات، وإنما حرم الله الغشَّ والظلم، وإن من قال بتحريم المكاسب فهو ضَالٌّ مُضِلٌّ مبتدع؛ إذ ليس الفساد والظلم والغش من التجارات والصناعات في شيء، وإنما حرم الله ورسوله الفساد لا الكسب والتجارة، فإن ذلك على أصل الكتاب والسنة جائزٌ إلى يوم القيامة.)

وهو يرد بهذا على بعض المتصوفة الذين زعموا أن حقيقة التوكل ترك الاكتساب، بناءً على أن هذا الاكتساب لا يَخْلُو من مُحَرَّمٍ. هو يقول: الله –عز وجل– أباح الاتجار وأباح الاكتساب، وإنما حرم الغش والكذب والخداع، وهذا ليس من التجارة.

(وإن مما نعتقده أنَّ الله لا يأمر بأكل الحلال ثم يُعدمه الوصولَ إليه من جميع الجهات؛ لأن من طالبهم به موجود إلى يوم القيامة.

والمعتقد أن الأرض تخلو من الحلال والناس يتقلبون في الحرام فهو مبتدع ضال، إلا أنه يَقِلُّ في موضع ويَكْثُرُ في موضع لا أنه مفقود من الأرض.)

)

لا شك أن مما يعتقده المسلمُ أن الله -عز وجل- إذا أمر بأكل الحلال وترك الحرام دَلَّ على أنَّ هذا الحلال موجود على وجه الأرض، لكن هناك بعض الصوفية الغلاة يزعمون أن الناس يَتَقَلَّبُون في الحرام وأن الأرض تخلو من المكاسب المباحة، وهذا قول باطل.

(ومما نعتقده أنَّا إذا رأينا مَنْ ظاهره جميلٌ لا نتهمه في مكسبه وماله وطعامه؛ جائزٌ أن يُؤْكَلَ طعامه والمعاملة في تجارته، فليس علينا الكشف عن ماله، فإن سأل سائلٌ على سبيل الاحتياط؛ جاز إلا مَنْ دَاخَلَ الظَّلَمَة.)

يقول: ومما نعتقده أنَّا إذا رأيْنا مَنْ ظاهرُه حسن لا نتهمه في مكسبه فَنَتَحَرَّزُ عن مؤاكلته ومُشَارَبَتِه.

يقول: (جائز أن يؤكل طعامه والمعاملة في تجارته، فليس علينا الكشف عن ماله): ليس من هدي السلف أنْ تسأل من أتاك بمال أو أتاك بطعام: من أين لك هذا الطعام؟

قال: إلا على سبيل الاحتياط والورع، كما ثبت عن أبي بكر -رضي الله عنه-، فهذا لا يُؤمر به الناسُ، فالأمور التي يُتَوَرَّعُ عنها لا يُؤمر الناسُ بها لكن إذا تَوَرَّعَ الإنسان لنفسِه فلا يُلام على ذلك.

كان لأبي بكر غلامٌ، وكان يأكل من خراجِه، وفي رواية أنه لا يأكل إلا بعد أن يَسأله، فجاء مرة إليه بطعام ولم يسأله، فأكله، فقال له الغلام: أتدري ما الطعام؟ قال: لا، قال: هذا كَسْبٌ على كهانة تَكَهَّنْتُها لرجلٍ في الجاهلية، فأدخل أبو بكر أصبعه في فيه فَقَاءَ ما أكل، فهذا من باب الورع، لكن لا يُلْزَمُ الناسُ بذلك.

من كان يفعل الحرام وأراد أن يَعِظَ نفسه فَيَتَخَيَّلَ أن الله يُراقبُه، فلو تخيل ذاتًا معينة؛ فهل يَحْرُمُ عليه هذا الشيء؟

لا، كونه يتخيل أن الله -عز وجل- يُراقبه فهذه حقيقة المراقبة وهذه درجة الإحسان، ولهذا النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه؛ فهو يراك)، لكنَّ قضية هذه المراقبة تتحول إلى تَصَوُّرِ ذاتٍ محددةٍ مُرْتَسَمَةٍ أمام عيْنيْه أو في ذهنه؛ فهذا لا يجوز، بل ينبغي أن يَقْطَعَ الطريقَ على الشيطان من هذا الباب. لكنَّ استحضار عظمة الله -عز وجل-، استحضار علم الله، استحضار بَطْشِ الله، استحضار قوة الله هذا أمر مطلوب، وكلَّمَا كان الإنسان أكثر استحضارًا لهذه المعاني؛ كان أكثرَ اتباعًا للأوامر واجتنابًا للنواهي.

(ومن لا يَزَعُ عن الظلم، وأخذ الأموال بالباطل ومعه غير ذلك؛ فالسؤال والتَّوقِّي، كما سأل الصدّيقُ غلامَه، فإن كان معه من المال سوى ذلك مِمَّا هو خارج عن تلك الأموال فاختلط؛ فلا يُطلق عليه اسمُ الحلال ولا الحرام، إلا أنه مُشْتَبِهٌ، فمن سأل؛ اسْتَبْرَأَ لدينه كما فعل الصديق، وأجاز ابن مسعود وسلمان، وقالا: "كُلْ منه وعليه التَّبِعَة"، والناس طبقات والدين الحنيفية السمحة.)

المال المختلط الذي فيه حلال وحرام مال جزء منه ربا وجزء من مكاسب مُباحة، هل يُؤكل منه أم لا يُؤكل منه؟

ذكر الشيخ أنَّ من تركه تَوَرُّعًا؛ فهذا له، لكن هل يُلزم الآخرون؟ الجواب: لا.

ولهذا نَقَلَ عن ابن مسعود وسلمانَ كما رواه عبد الرزاق في مُصَنَّفِه أنهما قالا: "كُلْ منه"، وفي رواية: "مَغْنَمُه لك ومغرمه عليك"، فإن كان فيه حرام؛ فمغرمه سيتحمله هو.

في قضية الأكل حلال وحرام يأتي إلى بلاد المسلمين بعض الدجاج المجمد الذي يُذبح في بلاد غير إسلامية هل يتورع الإنسان أم يسأل عن كيفية الذبح، أو إذا عاش في تلك الديار هل له أن يسأل ويستقصي في هذا الجانب؟

لا يخلو أن يكون هذا الدجاج أو هذا الأكل الذي أتى من بلاد الكفار أن يكون هؤلاء الكفار من أهل الكتاب اليهود والنصارى أو الملاحدة الذين لا يدينون بدين. أما هؤلاء الملاحدة؛ فلا يجوز أكل ذبائحهم، أما اليهود والنصارى؛ فالأصل في ذلك الإباحة والجواز، وليس من المشروع أن تَسألَ إلا في حالة واحدة إذا ثبت أنهم يذبحون على غير الطريقة الشرعيَّة، فيصعقون مثلا، أو يُميتون هذه الذبيحة قبل قَطْع رأسها، فعند ذلك لا يَجوز وهذه ميتة، لكن إذا لم يثبت ذلك؛ فالأصل في ذلك الإباحة، وهذا ما كان يُفتى به سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-.

ومما يدل على جواز أكل المال المختلط ألم يُلَبِّ النبي -صلى الله عليه وسلم- دعوةَ اليهود وأكل عندهم وقَبِلَ هداياهم وهم أهل الربا وهم أكلة الربا؟! فهذا دليل على جواز أكل مَنْ في ماله مال مختلط.

الكراهية الشديدة للموت والحب الشديد للدنيا هل يَتَنَافَى مع اليقين بنعيم الآخرة بالنسبة للمؤمن؟

ما هي الكتب التي تنصح بها لتقوية توحيد الربوبية خاصة في هذا العصر الماديّ؟

سؤاله الأول:

الكراهية للموت والتعلق الشديد بالدنيا.

النبي -صلى الله عليه وسلم- كما ثبت في الحديث الصحيح قال: (من أحَبَّ لقاء الله؛ أحَبَّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله؛ كره الله لقاءه)، قالت عائشة مباشرة: يا رسول الله! كُلُّنا يكره الموت، فهل يعني هذا كراهة للقاء الله؟ فَبَيَّن لها النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- لا، لكن الكافر يكره لقاء الله لِمَا ينتظره من العذاب، ولهذا يكره الله -عز وجل- لقاءه، أما كراهية الموت؛ فهذا أمر جِبِلِّيٌّ، ومحبة الحياة ومحبة العيش أمْرٌ فِطْرِيٌّ، لكن ينبغي أن لا يكون ذلك على حساب الآخرة.

ولهذا لَمَّا نزل ببعض الصحابة الموتُ؛ فَرِحَ بعضهم وقال كما قال بلال -رضي الله عنه- : غدا نلقى الأحبة محمدًا وصحبَه. فهذا من باب الاستبشار، ومن باب حسن الرجاء، ومن باب حسن الظن بالله -عز وجل-، بخلاف الذي أثْقَلَتْ كاهلَه الذنوبُ، فإنه -ولا شك- يكره لقاء الله؛ لأنه يَعلم أنه سيُسأل وسيُحاسب عن ذلك.

الكتب التي تنصحون بها لتقوية توحيد الربوبية في هذا العصر المادي.

الكتب كثيرة خاصة من المعاصرين، ولعلي أذكر له بعض كتب المتقدمين، وأما المعاصرة؛ فكثيرة.

من الكتب المتقدمة التي عُنِيَتْ بهذا الجانب كتاب "العظمة" لأبي الشيخ -رحمه الله-، وعُنِيَ بذكر الأحاديث والآثار الدالة على عظمة الله -عز وجل- وعلى خلق الله -عز وجل-، وكتاب "مفتاح دار السعادة" وهو فريد من نوعه للإمام ابن القيم -رحمه الله- في تقرير توحيد الربوبية وكلا الكتابين مطبوع.

(وإن مما نعتقده أنَّ العبد ما دام أحكامُ الدار جاريةً عليه؛ فلا يسقط عنه الخوف والرجاء، فكل من ادَّعى الأمن؛ فهو جاهل بالله وبما أَخْبَرَ به عن نفسه: ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩]، وقد أَفْرَدْتُ كشف عَوَار كل من قال بذلك.)

وهذا يرد فيه على جمهور المتصوفة، الذين يجعلون الخوف والرجاء من أضعف مقامات المؤمن، ولهذا رَدَّ عليهم ابن القيم ردًّا شافيا كافيا في كتابه "مدارج السالكين"، ولهذا يتعبدون الله -عز وجل- بالحبِّ فقط، أما الخوف والرجاء؛ فيقولون: هذا من أضعف المقامات.

لا، مقام الخوف والرجاء هو مقام الأنبياء، وهو مقام الرسل، وهو مقام الصدّيقين، فالمؤمن يجب أن يعبد الله -عز وجل- خوفًا ورجاءً ومحبةً، ولهذا قال بعض أهل العلم: من عبد الله بالخوف وحده؛ فهو حروريٌّ، ومن عبد الله بالرجاء وحده؛ فهو مرجئ، ومن عبد الله بالحب وحده؛ فهو زنديق، أما المؤمن؛ فيعبد الله بالخوف والرجاء والمحبة.

وماذا قال الله -عز وجل- عن أهل الإيمان؟ ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة: ١٦]، بيْن الخوف والطمع، بين الخوف والرجاء، ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [الزمر: ٩]، ووصف الأنبياء -أيضا- أنهم بين الخوف والرجاء.

لكن لا شك حَالَ الحياة وحَالَ الصحة يُغَلِّبُ جانب الخوف؛ لأنه داعٍ للعمل، وحاجزٌ للعبد أن يقع في الذنوب، وإذا حضرته الوفاة ونزل به الموت؛ انقطع الآن العمل؛ فعليه أن يُغَلِّبَ جانب الرجاء، وليس أمامه الآن إلا الرجاء. ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بربِّه).

ويقول ابن القيم: المؤمن بين الخوف والرجاء كحال القافلة بين الحادي والسائق. الآن القافلة لا بد لها من حادٍ. من الحادي؟ ما المقصود بالحادي؟ الذي يَحْدُو، ينشد فتطرب الرواحلُ للصوت الجميل، ولهذا كان لكلِّ قافلة حادٍ يحدو بها لأجل أن لا تبالي بعناء السفر، فتطرب لهذا الصوت، وأحيانا حتى يكون مشيها يتناغم مع صوت هذا الحادي ولا بد لهذه القافلة من سائق يَسوقها ويَضربها إذا تكاسلت وكَلَّتْ، فهكذا المؤمن الحادي يمثل الرجاء، فإذا كَثُرَتْ عليه التكاليف وربما تَعِبَ وَكَلَّ من بعض العبادات كحال الحاجِّ أو الصائم أو المؤمن إذا سمع منادي صلاة الفجر في شدَّة البرد هنا يحتاج إلى الرجاء، يُؤَمِّلُ ماذا ينتظره من الأجر من تَقَبُّلَ الله -عز وجل- من هذا العمل؟

ولهذا الحاج يُواجه من الصعوبات والشدة الضنك والتعب والنفقة، لكن لَمَّا يعلم أنَّ أجر الحاج: (من حَجَّ فلم يَرْفُثْ ولم يَفْسُقْ؛ رَجَعَ من حَجِّه كيومَ وَلَدَتْه أمه)، فيخف عليه هذا التعب ويَتَلَذَّذُ بهذا التعب، إذا سمع قول الله -عز وجل: ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، فلا إثم عليه يرجع بلا إثم، يرجع بلا ذنب، فيخف عليه هذا التعب، وهذا هو الرجاء.

وإذا دعته نفسه لترك هذه الطاعة أو الوقوع في معصية احتاج إلى الخوف، وهذه حال المؤمن. أما هؤلاء؛ فقالوا: عبادة الله -عز وجل- فقط بالمحبة، أما الخوف والرجاء؛ فهذا مقام ضعاف النفوس، وخابوا وخسروا! هذا مقامُ الأنبياءِ والرسلِ.

(ونعتقد أنَّ العبودية لا تسقط عن العبد ما عَقِلَ وَعَلِمَ ما له وما عليه مُمَيِّزٌ على أحكام القوة والاستطاعة؛ إذ لم يَسقط ذلك عن الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ومن زعم أنه قد خرج من رقِّ العبودية إلى فضاء الحرية بإسقاط العبودية والخروج إلى أحكام الأَحَدِيَّةِ المَبْدَئِيَّةِ بعلائق الآخِرِيَّةِ؛ فهو كافرٌ لا محالة، إلا من اعتراه علة أو رأفة، فصار معتوها أو مجنونا أو مُبَرْسِمًا وقد اختلط في عقله، أو لَحِقَه غشية ارتفع عنه أحكام العقل، وذهب عنه التمييز والمعرفة؛ فذلك خارج عن الملة مفارقٌ للشريعةِ.)

يقول: (ونعتقد أن العبودية لا تسقط عن العبد ما عقل وعلم ما له وما عليه): هذه عقيدة أهل السنة والجماعة بل عقيدة المسلمين، خلافا لقول هؤلاء أن الإنسان إذا وصل إلى درجة اليقين؛ سقطت عنه التكاليف، ويتأولون

قول الله -عز وجل: ؟ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ؟ [الحجر: ٩٩]، ولهذا عندهم درجة من وصلها؛ سقطت عنه التكاليف؛ لا يصلي، لا يصوم، لا يحج، يَرتكب ما شاء من الذنوب. لماذا؟ يقولون: سقطت عنه التكاليف، ووصل إلى درجة اليقين.

يقول الشيخ: إن من قال واعتقد هذا الاعتقاد؛ فهو كافر لا محالة، ولا شك في كفره، بل قال شيخ الإسلام: ولا شك في كفر من لم يُكَفِّرْ هذا النوع.

يقول: (بإسقاط العبودية والخروج إلى أحكام الأحدية المبدئية): هذه من اصطلاحات الصوفية.

ومعنى الأحدية والمبدئية: الوصول إلى درجة القول بوحدة الوجود، وإسقاط كل ما يراه من الفوارق بين الأشياء.

الآن أنت وأنا وهذه الطاولة وهذا الجهاز وهذا الأستديو هذه فوارق، عندهم إذا وصل إلى درجة الأحدية التي هي القول بوحدة الوجود؛ أصبحت هذه الأشياء كلها شيئًا واحدًا هو. ما هو هذا الشيء الواحد عندهم؟

الله، تعالى الله عن ذلك!.

هذه هي غاية التوحيد عندهم، ولهذا إذا وصلت إلى هذه الدرجة؛ أصبحت لا ترى إلا الله ولا تسمع إلا الله ولا تخاطب إلا الله؛ سقطت عنك التكاليف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا!

ولولا ضيق وقت البرنامج لسُقْتُ بعض أقوالهم لأجل أن لا يقول قائل: أنتم تتهمونهم بهذا الكلام. لا، كتبهم مشحونة بمثل هذا الضلال والإلحاد.

ولهذا قال: (فهو كافر لا محالة إلا من اعتراه علة): إلا إذا تكلم بهذا الكلام وحُمِلَ على أنَّ عقله زال، ولهذا شيخ الإسلام لَمَّا جاء الكلام على بعض أقوالهم، وهذا من عدله، وساق كلامًا شنيعًا جدًّا قال: هذا الكلام لا يقول به اليهود ولا النصارى، بل قال: لا أعلم على وجه الأرض كفرًا أعظم من هذا الكفر، وقال في النهاية: ولا أظن عاقلاً -فضلا عن مسلم- يقول هذا الكلام، فلعل هذا الرجل لَمَّا تكلم بهذا الكلام وَصَلَ إلى درجة زال معه عقله فيعامل معاملة من رُفِعَ عنه القلمُ.

وهنا يقول الشيخ: إن كان الذي تكلم بهذا الكلام رجلا معتوهًا، رجلا مبرسما -نوع من المرض قديما، يصيب الرأس فيهذي الإنسان ويتكلم بما لا يعلم- إذا وصل لهذه الدرجة؛ فقد رفع عنه القلم.

(ومن زعم الإشراف على الخلق حتى يعلم مقاماتهم ومقدارهم عند الله بغير الوحي الْمُنَزَّلِ من قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-؛ فهو خارجٌ عن الملة، ومن ادعى أنه يعرف ما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ فقد باء بغضبٍ من الله، ومن ادعى أنه يعرف مآل الخلق ومُنْقَلَبَهم وأنهم على ماذا يموتون ويُختم لهم بغير الوحي من قول الله وقول رسوله -صلى الله عليه وسلم-؛ فقد باء بغضبٍ من الله.)

وهذه كلها منسوبة لهؤلاء الغلاة، يجمعها شيءٌ واحد ادِّعاء علم الغيب، فهؤلاء يزعمون أنَّ هؤلاء الأقطاب وهؤلاء الأولياء قد يصلون إلى درجة يُشْرِفُون على مَقَامَاتِ الناس، ويعرفون ما يُخْتَمُ للإنسان به.

يقول: (فقد باء بغضب من الله)؛ لأنه ادعى علمَ الغيب، ولا طريق إلى ذلك إلا عن طريق الوحي، والوحيُ انقطع.

(والْفِرَاسَةُ حقٌّ على أصولٍ ذكَرْنَاها، وليس ذلك مِمَّا سَمَّيْنَاه في شيءٍ.)

ربما يَتَبَادَرُ إلى الذِّهْن: هل الْفِرَاسَةُ من ادِّعاء علم الغيبِ؟

الفراسة جاء فيها بعض النصوص؛ منها قول الله -عز وجل-: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر: ٧٥]، فَسَّرَها بعض المفسرين وبعض الصحابة: أي لأهل الفراسة الْمُتَفَرِّسِين، وجاء في حديثٍ -وإن كان فيه مقال-: (اتَّقُوا فِرَاسَةَ المؤمن)، فهل الفراسة من ادِّعاء علم الغيب؟

قبل ذلك، معنى الفراسة، عَرَّفَهَا ابنُ القيم أنها: خاطر يهجم على القلب ينفي ما يُضاده، يَثِبُ على القلبِ كوثوب الأسد على الفريسة، أو هو: نور يَقْذِفُه الله -عز وجل- في القلبِ فيخطر له الشيءُ فيكون كما خَطَرَ له.

هل الفراسة من باب ادعاء علم الغيب؟

نقول: لا، هي: نور يقذفه الله -عز وجل- في قلب المؤمن، وأحيانا غير المؤمن.

ولهذا الفراسة أقسام:

- فراسة خَلْقِيَّة: يَستنتج الإنسانُ من خلق هذا الشخص بعضَ الصفاتِ.

- فراسة إيمانيَّة: وهي: النور الذي يقذفه الله -عز وجل- في قلب المؤمن، كما حصل لعمرَ -رضي الله عنه-، وكان عنده فراسة ولهذا يَعْرِفُ الرجال، ويتكلم بالشيء فيأتي الشيء على ما تَكَلَّمَ به، بل القرآن والوحي نزل مُوَافِقًا لرأيه في أكثرَ من مقامٍ، بل أحيانا يُخالفُ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- فينزل القرآن موافقا لرأيه مخالفا لرأي النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في الصلاة على المنافقين، وكما هي الحال في أسرى بدر، ونحو ذلك.

(ومن زعم أن صفاته قائمة بصفاته -ويُشير في ذلك إلى غير الأيدِ والعصمة والتوفيق والهداية- وأشار إلى صفاته -عز وجل- القديمة؛ فهو حُلولي قائل باللاهوتيّة والالتحام، وذلك كفر لا محالة.)

وهذا أيضا وهذا من اعتقاد هؤلاء الغلاة؛ أنَّ صفاته قائمة بصفاته؛ أي صفات الله -عز وجل- قائمة بصفاته، يعني هناك اتحاد بين صفات الخالق وصفات المخلوق، حتى قال قائلهم: ما في الْجُبَّةِ إلا أنا، وما في الجبة إلا الله، وقال الآخر: لا إله إلا أنا فاعبدوني، زعم أن الله -عز وجل- اتحد به وحل فيه.

ولهذا قال المؤلف: (ويشير في إلى ذلك إلى غير الأيد والعصمة): بمعنى تأييد الله وعصمة الله هذا أمر آخر، ولهذا جاء في الحديث الصحيح في صحيح البخاري (من عادى لي وليًّا؛ فقد آذنته بالحرب، وما تَقَرَّبَ إلي عبدي بشيء أحبَّ إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يَتَقَرَّبُ إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّه، فإذا أَحْبَبَتُه؛ كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يَمشي بها، ولئن سألني؛ لأعطينه، ولئن استعاذني؛ لأعيذنه). هذا من باب العصمة، فالله -عز وجل- يَعْصِمُ هذا المرء، فلا يَرى ولا يَنظر إلا ما أراد الله -عز وجل-، ولا يسمع إلا ما أراد الله، ولا يبطش بيدِه إلا ما أراد الله، ليس هذا من باب القول بالحلول والاتحاد، وأولئك يستدلون بمثل هذا النص.

يقول: (وأشار إلى صفاته؛ فهو حلولي)؛ أي قائل قائلٌ بالحلول، (قائل باللاهوتية): واللاهوتية هذه معروفة عند النَّصارى أن اللاهوت حَلَّ في الناسوت، جزء من الإلاه حَلَّ في عيسى فاتحدا فصارا شيئا واحدا.

(ونعتقد أن الأرواح -كلَّها- مخلوقة، ومن قال إنها غير مخلوقة؛ فقد ضَاهَى قول النصارى النسطورية في المسيح، وذلك كفر بالله العظيم.)

هناك بعض الطوائف ومنهم الفلاسفة والروافض وبعض الصوفية يزعمون أن الروح قديمة بِقِدَمِ الله -عز وجل-.

روح الإنسان؟

روح الإنسان، والصحيح أنَّ الأرواح -كلها- ابتداء من روح آدم إلى آخر مخلوق مَخْلُوقَةٌ مَرْبُوبَةٌ كائنةٌ بعد أن لم تكن، وهذا ثابت بالكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل.

(ضاهى قول النصارى النسطورية): هذه طائفة من طوائف النصارى، يقولون بقدم الروح، وأنها كانت -منذ الأزل- متحدة اللاهوت بالناسوت.

(ومن قال إن شيئا من صفات الله -عز وجل- حَالٌّ في العبد، وقال بالتبعيض على الله؛ فقد كفر.

والقرآنُ كلام الله ليس بمخلوق ولا حالٌّ في مخلوق، وأنه كيفما تُلِيَ وقُرِئَ وحُفِظَ؛ فهو صفة الله -عز وجل-، وليس الدرس من المدروس ولا التلاوة من المتلوِّ؛ لأنه عز وجل بجميع أسمائه وصفاته غيرُ مخلوق، ومن قال بغير ذلك؛ فهو كافر.)

وهذه كله تقدم الكلام عليه.

(ونعتقد أن القراءة المُلَحَّنَة بدعة وضلالة.)

الملحنة التي تخرج عن الحدود الشرعية، بل عَدَّها بعضُ أهل العلم تلاعبًا بآيات الله -عز وجل-، أما في حدود الضوابط الشرعية وحدود التجويد وضبط المخارج؛ فهذا لا بأس به.

وهذا موجود في طرائق الصوفية؟

نعم، موجود، التلحين بالقراءات والترنُّم والتَّمايُل.

(وأن القصائد بدعة، ومجراها على قسمين:

فالْحَسَنُ من ذلك من ذِكْرِ آلاء الله ونَعْمَائِه، وإظهار نعت الصالحين وصفة المتقين؛ فذلك جائز وتَرْكُه والاشتغال بذكر الله والقرآن والعلم أَوْلَى به.

وما جرى على وصْفِ المرئيات ونَعْتِ المخلوقات؛ فاستماع ذلك على الله كُفْرٌ واستماع الغناءِ والرّبَاعِيَّات على الله كُفْرٌ، والرقص بالإيقاع ونعت الرَّقَّاصِين على أحكام الدين فِسْقٌ وعلى أحكام التَّوَاجُدِ والنّغَام لهو ولعب.)

)

كل هذه من الاصطلاحات والبدع التي أحدثها المتصوفة، وذكر أن القصائد حَسَنُها حَسَنٌ وسيئها سيءٌ، لكن كون الإنسان يشغل نفسه بها وتشغله عن ذكر الله وعن قراءة القرآن؛ فهذا خلاف الأوْلَى. قال: الأولى والأفضل والأحسن الاشتغال بكلام الله وبذكر الله -عز وجل-.

(وما جرى على وصف المرئيات ونعت المخلوقات؛ فاستماع ذلك على الله كفر): بمعنى وصف الله -عز وجل- في هذه القصائد بصفة هذه المرئيات؛ فلا شك أن هذا كفرٌ.

(واستماع الغناء والرباعيات على الله كفر): أيضا الرباعيات هذه النوع من القصائد تتكون من أربعة أبيات تقريبا، تكون كل شطر منها بقافية، فأيضا تلاوتها بإنزال هذه المخلوقات وصفات هذه المخلوقات على الله -عز وجل- هذا كفرٌ.

بقي الرقص والإيقاع، وهذا موجود عند الصوفية، والتواجد يتعبدون الله -عز وجل- به، ذكَرَ أن هذا فسق وبدعة، بمعنى يُرَدِّدُون مثل هذه الأبيات ويتواجدون معها ويُصْعَقُون معها، وسيأتي أن هذا عندهم ما يُسمى بالاستماع ونحو ذلك إنما هي من البدع التي أحدثها هؤلاء في دين الله، وما أنزل الله بها من سلطان.

ما حكم من يبني مسجدًا وماله مختلط ما حكم الصلاة في هذا المسجد؟

الذي ماله مختلط لا يمنع أنه يبني من هذا المال مسجدا، لكن الأولى والأحرى والأفضل في حقه أن يُمَحِّصَ الحلال عن الحرام، ولكن لو بُنِيَ مسجدٌ بهذا المال المختلط؛ فلا مانع من الصلاة فيه، وإنما المحظورُ على الإنسان أن يَبْنِيَ مسجدا بمال محرم؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا.

سؤال الحلقة:

هل يجوز أن يُقال: لفظي بالقرآن مخلوق أو لفظي بالقرآن غير مخلوق؟

نُذَكِّرَ أنَّ الكلام الذي ذُكِرَ قبل قليل هو نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن ابن خفيف، وهو -كما مَرَّ- من علماء الصوفية المتقدمين.

مسألة الاستماع للقصائد والرَّباعيات التي ذُكِرَتْ الإشكالية فيها فيما تَتَضَمَّنُه وما يتم تجسيدُه على أنها صلة بالله، المعنى متضمن؟

ولهذا هو مَهَّدَ بأنَّ القصائد حسنها حسن وسيئها سيئ؛ بما تضمنته، ولهذا كما قيل في الشعر: حسنه حسن، وسيئه سيء. لكنَّ المسألة هنا أنكر على هؤلاء أولا بما تَضَمَّنَه من وصف الله -عز وجل- بصفات المخلوقين هذا المحظور الأول.

المحظور الثاني: استخدام هذه القصائد وهذه الرباعيات في مجال العبادة لله -عز وجل-، بل يجعلونها من المقامات العالية في العبادة، فيشتغلون لا أقول عن النوافل بل أحيانا عن الفرائض بهذه الأمور المبتدعة، فيجتمعون في الخلوات ويجتمعون في بعض الصوامع وبعض المجالس في بعض المساجد ويتراقصون ويتناغمون ويتواجدون مع هذه القصائد، ويزعمون أنهم يتراءون الله -عز وجل-، ويتقربون إلى الله -عز وجل- بهذه الأعمال؛ فلا شك أن هذا بدعة وضلالة.

الدرس السابع والعشرون

تابع اللفظ والملفوظ

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

لعلنا نستأذنكم في بداية هذا الدرس باستعراض الإجابة للسؤال الماضي.

نطرح أولا السؤال.

نذكر الإخوة المشاهدين بالسؤال ونأخذ الإجابة.

السؤال:

ما حكم إطلاق القول بأن لفظي بالقرآن مخلوق أو لفظي بالقرآن غير مخلوق؟

الأخت تقول:

لا يُتكلم بهذه اللفظة ابتداءً، لكن يُجاب بالتفصيل.

قاعدة: الألفاظ التي تَحتمل حقا وباطلا لا يُتكلم بها ابتداء، ومن تكلم بها؛ فيستفصل عن مراده بها، فإن أراد حقا؛ قُبل الحق، وإن أراد باطلا؛ رُدَّ الباطل.

قال الإمام أحمد: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو جهمي»، يعني قال: كلام الله مخلوق، ومن قال: إن لفظي بالقرآن غير مخلوق؛ فهو مبتدع.

والحلُّ التوقف وترك الإطلاقين ابتداء.

وقال ابن القيم: نَستفصل؛ لأن "لفظي بالقرآن مخلوق" كلمة تحتمل حقا وباطلا، إذا كان يريد كلام الله هذا هو الباطل؛ لأن كلام الله غير مخلوق، وإما أن يريد صوت القارئ وحركة لسانه؛ فهذا حق مخلوق. لكن ردوا عليهم: "ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة"، فقال الإمام أحمد: «ردوا بدعة ببدعة، وباطلا بباطل».

جزاها الله خيرا، الإجابة صحيحة وكاملة.

نشكر جميع الإخوة الذين شاركوا معنا في هذا اللقاء، وأيضا الإخوة والأخوات الذين تواصلوا معنا في اللقاءات السابقة بإجاباتهم.

شكر الله للجميع.

ما زال الكلام عند إيراد شيخ الإسلام ابن تيمية نقل أبي عبد الله ابن خفيف، لكن يُلحظ أن هذا النقل أخذ منا حلقات كثيرة؛ فالحكمة من هذه الإرادة الطويلة من شيخ الإسلام ابن تيمية؟

أقول: لعله كان له مكانة ومنزلة عند بعض المعاصرين لشيخ الإسلام ممن ناوءوا شيخ الإسلام العداء، واتهموه بالضلال والانحراف، فأراد أن يثبت لهم أن هذا كلام أئمتكم الذين تنتسبون إليهم، وتفتخرون بانتسابكم لمثل هؤلاء يخالف ما أنتم عليه ويوافق ما عليه جمهور السلف، والذي به أدين الله -عز وجل- كذلك.

توقفنا في اللقاء الماضي عند قضية القصائد والرباعيات، لعلنا نكمل.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية نقلا عن عبد الله بن خفيف:

(وحرام على كل من سمع القصائد والرّباعيات الملحنة، الجاري بين أهل الأطباع على أحكام الذكر؛ إلا لمن تقدم له العلم بأحكام التوحيد، ومعرفة أسمائه وصفاته، وما يُضاف إلى الله -تعالى- من ذلك مما لا يليق به -عز وجل-، مما هو مُنَزَّهٌ عنه، فيكون استماعه كما قال: ؟ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ ؟ [الزمر: ١٨]. الآية.

وكل من جهل ذلك وقصد استماعه على الله على غير تفصيله؛ فهو كفر لا محالة، فكل من جمع القول وأصغى بإضافته إلى الله؛ فغير جائز إلا لمن عرف ما وصفت من ذكر الله ونعمائه، وما هو موصوف به -عز وجل- ما ليس للمخلوق فيه نعت ولا وصف، بل تَرْكُ ذلك أولى وأحوط، والأصل في ذلك أنها بدعة والفتنة بها غير مؤمونة.

إلى أن قال: واتّخاذ المجالس على الاستماع والغناء والرقص بالرباعيات بدعة، وذلك مما أنكره المُطَّلِبِيُّ، ومالك، والثوريّ، ويزيد بن هارون، وأحمد بن حنبل، وإسحاق، والاقتداء بهم أولى مِن اقتداء بِمَنْ لا يُعرفون في الدين ولا لهم قدم عند المخلصين.)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

لا زال الكلام كلام ابن خفيف -رحمه الله- في مسألة السماع التي هي مُصطلح عند الصوفية، وهي الاجتماع على الرقص، والغناء، والدف، والتّواجد الذي هو نوع من غياب العقل.

فالشيخ يقول: أقل ما فيها أنها بدعة إن لم تسلم من الكفر، خاصة إذا وُصف الله -عز وجل- بصفات البشر، وأنزل الربُّ -سبحانه وتعالى- في هذه القصائد منزلة المخلوق.

وذكر أن مِمَّنْ أنكر هذه البدعة الشنيعة: المطلبي الذي هو الإمام الشافعي، ومالك، والثوري، ويزيد بن هارون، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وكل هؤلاء تقدم الكلام عنهم.

يقول: والاقتداء بهم أولى في مثل هذه المسائل بالاقتداء من أناس لا يعرفون ممن أجاز هذه المسألة أو جعلها دينًا يَدين الله -عز وجل- به.)

(وبلغني أنه قيل لبشر بن الحارث: إن أصحابك قد أحدثوا شيئا يقال له القصائد. قال مثل إيش؟ قال: مثل قوله:

اصبري يا نفس***حتى تسكني دار الجليل

فقال: حسن، وأين يكون هؤلاء الذين يستمعون ذلك؟ قال: قلت ببغداد. فقال: كذبوا والذي لا إله غيره لا يسكن بغداد من يسمع ذلك.)

)

نعم، يقول: (وبلغني أنه قيل لبشر بن الحارث): هو بشر الحافي، وتقدمت ترجمته.

بِشْرٌ ينتسب إليه الزهاد ويُعظمونه ويُعظمه الصوفية.

(إن أصحابك أحدثوا شيئا يقال له القصائد): وهذه الاجتماع على مسألة السماع.

ثم قال: (أين يسكن هؤلاء؟ فقالوا له: في بغداد فقال: كذبوا، والله الذي لا إله غيره..)

بالطبع كانت بغداد يُنكر سكناها بعض الزهاد؛ لما اشتهر في ذاك الوقت عن أهلها من الترف، وأحيانا بعض مظاهر الفسق، ولهذا كانوا ينكرون السكنى فيها، وأنها ليست سكنًا لأهل الزهد وأهل العبادة.

الشاهد أن هذه المسألة –مسألة السماع– قد ألَّفَ فيها بعض أهل العلم كتبًا مستقلة، فألف ابن قدامة كتابًا أسماه "ذم ما عليه مدعو التصوف من الغناء والرقص والتواجد والدف"، وابن رجب له كتاب "نزهة الأسماع في مسألة السماع"، وهناك أيضا كتاب "الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرَّقَّصَة المتزندقة" لمحمد بن صفي الدين الحنفي.

(قال أبو عبد الله:

ومما نقول –وهو قول أئمتنا– أن الفقير إذا احتاج وصبر، ولم يتكلف إلى وقت يفتح الله له؛ كان أعلى، فمن عجز عن الصبر؛ كان السؤال أولى به على قوله –صلى الله عليه وسلم–: (لئن يأخذ أحدكم حبله..) الحديث.

ونقول: إن ترك المكاسب غير جائز إلا بشرائطَ مرسومة من التعفف والاستغناء عما في أيدي الناس، ومن جعل على السؤال حرفة وهو صحيح؛ فهو مذموم في الحقيقة خارج.)

)

نعم، يقول: (ومما نقول –وهو قول أئمتنا– أن الفقير..): هذه درجة ومنزلة عند الصوفية من درجات الْمُريد عندهم.

(إذا احتاج وصبر ولم يتكلف): مِمَّا ذهب إليه المتصوفة: تَرْكُ الاكتساب، بدعوى أن هذا من باب التَّوكل. هو يقول: إن الإنسان إذا احتاج وصبر، ولم يتكلف إلى وقت يَفتح الله عليه؛ أولى له من سؤال الناس أعطوه أو منعوه؛ لأنَّ الغالب على مثل هؤلاء –وللأسف– أنهم يتركون الاكتساب ثم يستجدون الناس. يقول: هذا خلاف السنة وخلاف الشرع.

ثم قال: (فمن عجز عن الصبر؛ كان السؤال أولى به على قوله –صلى الله عليه وسلم–: (لئن يأخذ أحدكم حبله..)): كأنَّ في الكلام قلبًا، والعبارة بهذا الشكل: فمن عجز؛ كان الصبر وعدم السؤال أولى به، وبهذا يستقيم الكلام لأجل الاستدلال بالحديث، فمن عجز عن العمل؛ كان الصبر أولى له، إلى أن يفتح الله –عز وجل– عليه.

(ونقول: إن المستمع إلى الغناء والملاهي؛ فإن ذلك كما قال –صلى الله عليه وسلم-: «الغناء يُنبت النفاق في القلب»، وإن لم يكفر؛ فهو فسق لا محالة.)

هذا الأثر رُوي مرفوعا لكن فيه مقال، وإنما صح موقوفا عن ابن مسعود –رضي الله عنه-، والغناء ثبت تحريمه بأدلة أخرى؛ منها ما ذكره الإمام البخاري معلقا، ورواه غيره موصولا أن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم- ذكر أنه في آخر الزمان يأتي أناس يستحلون الحر والحرير والمعازف، وأقسم ابن مسعود –رضي الله عنه- عند قوله سبحانه: ؟ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ؟ [لقمان: ٦]، أقسم أنه الغناء.

(والذي نختار قول أئمتنا ترك المراء في الدين، وكلام في الإيمان مخلوق أو غير مخلوق، ومن زعم أن الرسول –صلى الله عليه وسلم- واسط يؤدي وأن المرسل إليهم أفضل؛ فهو كافر بالله، ومن قال بإسقاط الوسائط على الجملة فقد كفر. اهـ.)

هذه المسائل بعضها تقدم؛ كمسألة الإيمان مخلوق أو غير مخلوق. ومسألة مَنْ زعم أن الرسول واسط هذا ذهب إليه بعض أهل وحدة الوجود وعلى رأسهم ابن عربي، ولهذا زعموا أن حقيقة الرسالة هي إبلاغ كلام من متكلم إلى سامع، فهي حال لا مقام، بخلاف الولاية عندهم فهي مقامٌ، ولهذا هي أعلى.

وهذا بالإجماع؛ أن من زعم أن هناك أفضل من الرسول؛ فلا شك في كفره.

(ومن قال بإسقاط الوسائط): يعني الواسطة بينه وبين الله –عز وجل- كما يَزعم هؤلاء أنهم يأخذون عن الله مباشرة بدون الوحي، بدون الرسل. انتهى كلام ابن خفيف –رحمه الله-.

(ومن متأخريهم: الإمام أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، قال في كتاب "الغنية":

أما معرفة الصانع بالآيات والدّلالات على وجه الاختصار؛ فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد.

إلى أن قال: وهو بجهة العلو، مستوٍ على العرش، محتوٍ على الملك، محيط علمه بالأشياء ؟ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ؟ [سبأ: ١٠]، ؟ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ؟ [السجدة: ٥]، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال: إنه في السماء على العرش كما قال: ؟ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ؟ [طه: ٥].

وذكر آيات وأحاديث إلى أن قال:

وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويلٍ، وأنه استواء الذات على العرش. قال: وكونه على العرش مذكورٌ في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف.

وذكر كلاما طويلا لا يحتمله هذا الموضع، وذكر في سائر الصفات نحو هذا.)

)

وهذا إمام آخر من الأئمة الذين ينتسب إليهم أهل التصوف، وهو الشيخ عبد القادر الجيلي، الذي هو الجيلاني المتوفى سنة خمسمائة وإحدى وستين. هناك طريقة عند الصوفية مشهورة طريق القادرية تنتسب إليه رحمه الله-.

كان على جانب كبير من الزهد، ونعته شيخ الإسلام ونقل عنه أنه ذكر أنه على طريقة الإمام أحمد، وأنه ليس هناك طريقة صحيحة إلا طريقة الإمام أحمد، ولهذا نقلها شيخ الإسلام عن الشيخ عبد القادر.

أنه قال ليس هناك طريقة؟

نعم، إلا طريقة الإمام أحمد هذا يدل على صحة اعتقاد هذا الرجل، ولهذا ذكر الذهبي -رحمه الله- أن كثيرا مما نُقل عنه ونُسب إليه ما هو إلا افتراء وكذب ومبالغة من أتباعه، وكذلك الإمام ابن رجب -رحمه الله-، ولهذا قال فيه ابن رجب -بعد أن ذكر أن بعض ما ينقل عنه لا يصح-: «وللشيخ عبد القادر -رحمه الله تعالى- كلام حسن في التوحيد، والصفات، والقدر، وفي علوم المعرفة موافق للسنة».

ذكر هذا الكلام الصريح في إثبات صفة العلو لله -عز وجل- وإثبات صفة الاستواء خلافا لكلام المتأخرين من أتباعهم.

وهذا الصفة هي مدار الفتوى كما مر معنا.

(ولو ذكرت ما قال العلماء في ذلك لطال الكتاب جدا.)

ولهذا قلنا -في أول الكتاب- إن هناك كتبًا مستقلة ألفت في هذا المسألة، والشيخ -هنا- أراد أن يفتي فقط، وأراد الاستشهاد ببعض كلام هؤلاء الأئمة.

(وقال أبو عمر ابن عبد البر: رُوينا عن مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والأوزاعي، ومعمر بن راشد في أحاديث الصفات أنهم -كلهم- قالوا: «أمروها كما جاءت».

قال أبو عمر: ما جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من نقل الثقات أو جاء عن الصحابة -رضي الله عنهم-؛ فهو علم يُدان به، وما حدث بعدهم ولم يكن له أصل فيما جاء عنهم؛ فهو بدعة وضلالة.)

)

أبو عمر ابن عبد البر يوسف بن عبد الله، وتقدمت ترجمته صاحب "التمهيد" و"الاستذكار"، إمام أهل المغرب -رحمه الله-، كان مالكيا في الفروع لكنه كان سلفيا في الأصول، ولهذا صرح هنا بأن الصفات تُمَرُّ كما جاءت كما ثبت عن كبار السلف.

(وقال في "شرح الموطأ" -لما تكلم على حديث النزول- قال: هذا حديث ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد، لا يَختلف أهل الحديث في صحته، وهو منقول من طرق سوى هذه من أخبار العدول عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، فيه دليل على أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سماوات كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم: إن الله في كل مكان.

قال: والدليل على صحة قول أهل الحق قول الله وذكر بعض الآيات إلى أن قال: وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أين يحتاج إلى أكثر من حكايته لأنه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد ولا أنكره عليهم.)

)

هذا ابن عبد البر –رحمه الله– سلك مسلك من قبله من العلماء، استدل على هذه صفة العلو بالكتاب، والسنة، وأقوال الأئمة، ثم ذكر دليل الفطرة لما قال: (وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج إلى أكثر من حكاية): ليسوا بحاجة أن نكثر لهم: قال فلان:... وقال فلان:... لماذا؟ لأنه اضطرار، أمر يضطر إليه الإنسان اضطرارا ليس لهم فيه اختيار أن الله –عز وجل– في العلو.

(وقال أبو عمر ابن عبد البر أيضا: أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حُمل عليهم التأويل قالوا في تأويل قوله: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة: ٧]: هو على العرش وعلمه في كلّ مكان، وما خالفهم في ذلك مَن يُحتج بقوله.)

ما المقصود هنا بالتأويل؟

قلنا: التأويل له ثلاثة معانٍ:

– صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح. هذا على اصطلاح المتأخرين.

– والتفسير.

– والحقيقة.

فهو يُريد هنا التفسير الذين حمل عنهم التأويل؛ أي التفسير. قالوا: (في تأويل قوله)؛ أي في تفسير قوله تعالى.

(وقال أبو عمر –أيضا–: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها بها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يُكيّفون شيئا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة.)

وهذا ردٌّ على هؤلاء المتأخرين من أهل التأويل الذين حملوا ظاهر هذه النصوص على المجاز، ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤]، قالوا: هذا مجاز. ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن: ٢٧]، قالوا: هذا مجاز. والأئمة المتقدمون حملوا هذا النصوص على ظاهرها وعلى حقيقتها؛ لم يصرفوا اللفظ عن المعنى القريب إلى المعنى البعيد، ويقولون: إن هذا المعنى القريب مجاز في حق الله –عز وجل–.

(وأما أهل البدع الجهمية المعتزلة كلها والخوارج؛ فكلهم يُنكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة، ويزعم أن من أقرَّ بها مُشَبِّهٌ، وهم عند مَنْ أقر بها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهم أئمة الجماعة.)

انتهى كلام ابن عبد البر، ولعلنا نوجه هذا الكلام إلى بعض إخواننا، وقد قابلنا جملة منهم من طلبة العلم، وممن يعظمون هذا الإمام ابن عبد البر خاصّة في شمال إفريقية، فله مكانة عندهم، لكن إذا جاء الكلام في مسألة الاعتقاد؛ وجدناهم يسلكون مسلك الأشاعرة ومسلك المعتزلة.

فنقول: هذا كلام هذا الإمام الذي يُعتبر –عندكم– عَلَمًا، وحُقَّ له أن يكون علمًا، وهو يُصرح بإثبات هذه الصفات والإنكار على من تأولها.

(وفي عصره الحافظ أبو بكر البيهقيّ –مع تولّيه للمتكلّمين من أصحاب أبي الحسن الأشعريّ، وذبّه عنهم– قال في كتاب "الأسماء والصفات": باب ما جاء في إثبات اليدين صفتين؛ لا من حيث الجارحة؛ لورود خبر

صادق به. قال الله –تعالى–: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥]، وقال: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤].

وذكر الأحاديث الصحاح في هذا الباب؛ مثل قوله في غير حديث، في حديث الشفاعة: (يا آدم! أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه)، ومثل قوله في الحديث المتفق عليه: (أنت موسى، اصطفاك الله بكلامه، وخطّ لك الألواح بيده)، وفي لفظ: (وكتب لك التوراة بيده)، ومثل ما في صحيح مسلم: (وغرس كرامة أوليائه في جنة عدن بيده)، مثل قوله –صلى الله عليه وسلم: (تكون الأرض يوم القيامة خُبزة واحدة يتكافاها الجبار بيده كما يتكفى أحدكم خبزته في السّفر، نزلا لأهل الجنة)، وذكر أحاديث؛ مثل قوله: (بيدي الأمر)، و(الخير بيديك)، و(الذي نفس محمد بيده)، و(إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل)، وقال: (المقسطون عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين)، وقوله: (يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟)، وقوله: (يمين الله ملأى؛ لا يَغيضها نفقة سحّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض؟ فإنه لم يغض ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى القبض؛ يخفض ويرفع)، وكل هذه الأحاديث في الصحيح.)

)

هذا كلام الإمام البيهقيّ أحمد بن حسين صاحب السنن –رحمه الله– الإمام المشهور ينتسب هو إلى طريقة أبي الحسن الأشعري، ولهذا أوّل بعض الصفات، وله كلام في كتاب "الأسماء والصفات" وافق فيه الأشاعرة، ولهذا قال بعض أهل العلم: خذ من كتابه "الأسماء والصفات" ما روى لا ما رأى؛ لأنه روى بإسناد بعض الآثار في إثبات الصفات التي قد لا تجدها عند غيره، لكنه لما جاء التعليق عليها؛ سلك مسلك الأشاعرة في بعض هذه الصفات، فهو معظم عند الأشاعرة.

لكن ليس في الكتاب تناقض ظاهر؟

لا، لا يوجد تناقض.

لأنه يَروي ويرى شيئًا.

يقول: إن هذه النصوص تحتاج إلى تأويل، على مذهب الأشاعرة، وهو يَروي الآن ويثبت، لكن يقول: ليس هذا معناها الصحيح، فهو لو التزم الرواية وسكت؛ لَسَلِمَ رحمه الله.

ومع ذلك خالف جمهور الأشاعرة في إثبات بعض الصفات التي يُنكرها هؤلاء، ولهذا نقل عنه الشيخ يقول: "باب ما جاء في إثبات اليدين". وجمهور الأشاعرة والمتأخرون من الأشاعرة فضلا عن المعتزلة والجهمية يؤولون صفة اليدين ولا يثبونها. فهاهو الإمام البيهقي –رحمه الله– يثبت صفة اليدين، ويسوق هذه الأدلة الكثيرة جدا، ساق أولا من القرآن: ﴿ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥]، ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤]، ثم ذكر هذه الأحاديث التي ذُكرت وهي في الصحيحين أو في أحدهما.

وهنا مسألة: (وكلتا يديه يمين) قد يَستشكلها البعض، هذا في صحيح مسلم، ويليه الحديث الآخر في صحيح مسلم: (ويطوي الأرضين بشماله)، هناك قال: (وكلتا يديه يمين)، وهنا بالشمال.

نحن نقول: الشمال ثابتة لله -عز وجل- فله يمين وله شمال لكن قول النبي -صلى الله عليه وسلم- هنا: (وكلتا يديه يمين) كما قال ابن قتيبة لدفع توهم النقص الذي يتبادر أحيانا إلى ذهن السامع أن الشمال أنقص من اليمين، كما هي في حال المخلوق، أما الله -عز وجل-؛ فكلتا يديه خير ويُمن وبركة، فلا يَعني أن تكون شمال أنها أقل من اليمين. ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم: (وكلتا يديه يمين) كلتا يديه يمن وبركة.

معنى قوله: سحاء من السح؛ أي دائمة العطاء والصبر هذا معناه.

(وذكر أيضا قوله: إن الله لما خلق آدم قال له ويداه مقبوضتان اختر أيهما شئت قال: اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة، وحديث: إنّ الله لما خلق آدم؛ مسح ظهره) إلى أحاديث أخر ذكرها من هذا النوع.)

وهذا فيه إثبات صريح لصفة اليد لله -عز وجل- على أنها صفة ذاتية له -سبحانه وتعالى-.

(ثم قال البيهقيّ: أما المتقدمون من هذه الأمة؛ فإنهم لم يفسروا ما كتبنا من الآيات والأخبار في هذا الباب، وكذلك قال في الاستواء على العرش، وسائر الصفات الخبرية مع أنه يحكي قول بعض المتأخرين.)

المتقدمون من هذه الأمة -أي السلف- لم يُفسروا هذه النصوص تفسير الجهمية تفسير أهل التأويل الذين قالوا: اليد معناها القدرة، قال: لا، هم ذكروا ورَوَوْا هذه الأحاديث وهذه النصوص وأَمَرُّوها كما جاءت على ظاهرها، وأثبتوا حقيقة ما دلت عليه، بخلاف المتأخرين. يقول: وأيضا وأثبت صفة الاستواء وأثبت الصفات الخبرية مع أنه يحكي قول بعض المتأخرين لأنه تأثر بمذهب الأشاعرة.

(وقال القاضي أبو يعلى في كتاب "إبطال التأويل": لا يجوز رد هذه الأخبار، ولا التّشاغل بتأويلها، والواجب حملُها على ظاهرها، وأنها صفات الله، لا تُشبَّهُ بسائر الموصوفين بها من الخلق، ولا نعتقد التشبيه فيهما، لكن على ما رُوي عن الإمام أحمد وسائر الأئمة، وذكر بعض كلام الزهري، ومكحول، ومالك، والثوري، والأوزاعي، والليث، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن عيينة، والفضيل بن عياض، ووكيع، وعبد الرحمن بن مهدي، وأسود بن سالم، وإسحاق بن راهويه، وأبي عُبيد، ومحمد بن جرير الطبري وغيرهم في هذا الباب، وفي حكاية ألفاظهم طُول.)

وهذا كلام القاضي عياض محمد بن حسين المتوفى سنة أربعمائة وثمان وخمسين، من أئمة الحنابلة المتقدمين رحمه الله، له كتاب "إبطال التأويلات"، طُبع جزء منه، وأنكر على مَن أوّلَ هذه الصفات أو تشاغل بتأويلها على منهج المتأخرين.

(إلى أن قال: ويدل على إبطال التأويل أنّ الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لتأويلها، ولا صرفها عن ظاهرها، فلو كان التأويل سائغا؛ لكانوا إليه أسبق؛ لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة.)

التأويل على اصطلاح المتأخرين الذي هو: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح يعني تأويل كل الصفات، المسلك الذي سلكه المتأخرون في تأويل هذه الصفات صرفها عن ظاهرها، يقول: (هذا لو كان سائغ)، وكان شرعيا، وكان علميا؛ لسبق إليه الصحابة -رضي الله عنهم-، ولهذا يقول شيخ الإسلام: قرأت في أكثر من مائة تفسير، فما وجدت نقلا واحدا عن أحد من الصحابة أنّه أوّل شيئا من هذه الصفات تأويل المتأخرين. وهذا مما يدل على فساد هذه الطريقة؛ إذ لو كان خيرا؛ لسبقونا إليه، فهم أحرص على العلم، وأحرص على هداية الناس، وأحرص على ما يوصل ويفضي إلى اليقين، فلو كان هذا المسلك مسلكا شرعيا؛ لسلكه هؤلاء الذين عاشروا نزول الوحي.

هناك مجموعة من الإجابات وردت أيضا نشكر جميع من تواصل معنا.. الأخ يقول:

قوله -صلى الله عليه وسلم: (ثم يطوي الأرضين بشماله) هل تُثبت صفة اليد الشمال لله -عز وجل-؟

نعم، هذا تقدّم الكلام عليه، وقلنا تثبت له الشمال بهذه الرواية الصحيحة في صحيح مسلم، لكن قول النبي -صلى الله عليه وسلم: (كلتا يديه يمين) لدفع توهم النقص الذي ربما يتبادر إلى الذهن.

(وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعريّ المتكلّم صاحب الطريقة المنسوبة إليه في الكلام في كتابه الذي صنّفه في اختلاف المصلين ومقالات الإسلاميين، ذكر فِرَقَ الروافض، والخوارج، والمرجئة، والمعتزلة، وغيرهم، ثم قال مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث جُملة.)

الآن يريد الشيخ أن يَختم هذه النقول بكلام إمامَيْن هما أعظم أئمة الأشاعرة الذي هو أبو الحسن ثم بعده الباقلاّنيّ، هذان يعتبرهما الأشاعرةُ المؤسسَيْن لهذا المذهب، فذكر كلام الأئمة المتقدمين وبعضهم منتسب لطريقة أبي الحسن، الآن كلام المؤسّس الذي هو أبو الحسن الأشعري علي بن إسماعيل -رحمه الله-، وسبق أن ذكرنا أنه نشأ على مذهب الاعتزال؛ لأنه تربّى في حِجْرِ الجبائيّ زوج والدته في اليمن، ولهذا نشأ على مذهب الاعتزال لمدة أربعين سنة، ثم لمَّا أراد الله -عز وجل- به خيرا؛ تَبَيَّنَ له الحق لمَّا طرح على أبي علي الجبائي مسألة الإخوة الثلاثة في مسألة القدر، فاتضح له من خلال كلام أبي علي الجبائي أن هؤلاء ليس عندهم الحق الذي ينشده، فاعتزل الناس ثم خرج عليهم يوم الجمعة وقال: «أخلع مذهب الاعتزال كما أخلع ردائي هذا»، وخلعه أمام الناس، واستقر أمره على مذهبِ الإمام أحمد كما صرّح رحمه الله في أول كتابه "الإبانة"، ولعل الشيخ سيذكر شيئا من ذلك، وإن كان بقي عليه شيء من بعض التّأثر بمذهب ابن كُلاَّب وبعض مذهب المعتزلة.

(ثم قال:

قول أصحاب الحديث وأهل السنة: الإقرار بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وبما جاء عن الله، وما رواه الثقاتُ عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا يَردّون شيئا من ذلك، وأن الله واحد أحد، فرد صمد، لا إلاه غيره، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.)

)

هذا محل اتفاق ليس محل اختلاف، هذا الآن مقدمة ليُبَيِّنَ عقيدة أهل الحديث أهل السنة.

هو يبينها من باب الإقرار بها أم من باب ذكرها فقط؟

لا، من باب الإقرار بها، وأنه يَدين الله -عز وجل-، وسيذكر أنه يدين الله -عز وجل- بهذا.

لأنه سبق أن ذكر فرقة الطوائف والخوارج.

ذكر هذا في أول الكتاب، ذكر فرقة كذا واعتقادها، فرقة كذا واعتقادها، ثم ختم الكتاب بمذهب ومقالة أهل السنة وأصحاب الحديث، ولهذا قال: (وبقولهم نقول وبه ندين الله -عز وجل-.)

(وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله على عرشه كما قال -تعالى-: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥] وأن له يدين بلا كيف كما قال -تعالى-: ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥]، وكما قال

–تعالى–: ؟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ؟ [المائدة: ٦٤]، وأن له عينين بلا كيف كما قال –تعالى–: ؟ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ؟ [القمر: ١٤]، وأنه له وجها كما قال –تعالى–: ؟ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ؟ [الرحمن: ٢٧].)

وهذا هو مذهب أهل السنة على خلافِ ما ذهب إليه أصحابه وأتباعه والمتأثرون به.

(وأنّ أسماء الله –تعالى– لا يُقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج.)

وهذا تقدم الكلام عليه، هل الاسم هو المسمى أم غير المسمى؟ قلنا: الصحيح أن الاسم للمسمّى، ولا يقال هو الاسم ولا يقال غيره الصحيح أن الاسم للمسمى.

(وأقر أن لله علما كما قال –تعالى–: ؟ أنزلَهُ بِعِلْمِهِ ؟ [النساء: ١٦٦]، وكما قال –تعالى–: ؟ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ؟ [سبأ: ١١]، وأثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة، وأثبتوا لله القوة كما قال –تعالى–: ؟ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ؟ [فصلت: ١٥]، وذكر مذهبهم في القدر.

إلى أن قال:

ويقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام في اللفظ والوقف، من قال باللفظ وبالوقف؛ فهو مبتدع عندهم، لا يقال: اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال: غير مخلوق.)

)

وهذا تقدم في الحلقة السابقة التوقف.

التوقف عن هذه المسألة.

يقول: (لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق،) والإمام أحمد عدّهم من الصنف الثالث من الجهمية، قال: الجهمية ثلاثة أقسام:

– قسم قالوا: القرآن مخلوق فصرحوا، وهؤلاء المتقدمون من الجهمية.

– قسم قالوا: لفظنا بالقرآن مخلوق؛ للتلبيس على العوام، ولما صاح بهم الأئمة وبينوا خزيهم وعوار مذهبهم؛ جاؤوا بهذه البدعة لِيُلَبِّسُوا على الناس، قالوا: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة.

القسم الثالث: الذين توقفوا، يقول: لو لم يتكلم الناس في هذه المسألة؛ وَسِعَهم التوقف لكن لما تكلم أهل الباطل في هذه المسألة فيجب عليك أن تُصرح خلاف مذهبهم فتقول: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق.

(ويُقرون أن الله يُرى بالأبصار يوم القيامة كما يُرى القمرُ ليلة البدر، يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون؛ لأنهم عن الله محجوبون. قال –عز وجل: ؟ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ؟ [المطففين: ١٥].)

وهذه الآية مما استدل بها الإمام الشافعي على إثبات صفة الرؤية لله –عز وجل–.

وجه الاستدلال: عندنا الآن منطوق الآية أن الكفار محجوبون عن الله، فمفهومها..؟

أن المؤمنين يرون ربهم.

ولهذا قال الإمام الشافعي: لو لم يره المؤمنون؛ لم يكن لتخصيص الكفار فائدة، ولشاركوا الكفار في ذلك. لماذا خصص الله -عز وجل- الكفار؟ لمَّا خصص الكفار بالاحتجاب؛ دل على أن المؤمنين يرونه.

(وذكر قولهم في الإسلام، والإيمان، والحوض، والشفاعة، وأشياء.

إلى أن قال: ويقرون بأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ولا يقولون مخلوق، ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار.

إلى أن قال: وينكرون الجدل والمراء في الدين والخصومة فيه، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم.)

)

وهذه المسائل كلها تقدم الكلام عليها، وقلنا: مسألة الجدال والخصومة والمراء إذا كان المراد منها إحقاق الحق؛ فهذا أمر مشروع، ولهذا أمر الله -عز وجل- بمجادلة أهل الكتاب ؟ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ؟ [النحل: ١٢٥]، لكن إذا كان المقصود منه الانتصار للنفس، وإظهار الباطل؛ فهنا يأتي النهي؛ كما نهى النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه في حديث عمرو بن شعيب لمَّا خرجوا وهم يتنازعون في القدر، فكأنما فُقِئَ في وجهه حَبُّ الرمان من شدة الغضب، وحَصَبَهم في رواية، فقال: (أبهذا أمرتم؛ تضربون كتاب الله بعضه ببعض)؟ خرج عليهم وهم يتجادلون.

(ويُسلمون للروايات الصحيحة ولما جاءت بها الآثار التي جاءت بها الثقات عَدلاً عن عدلٍ، حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لا يقولون: كيف: ولا لم؟ لأن ذلك بدعة.

إلى أن قال: ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال -تعالى-: ؟ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ؟ [الفجر: ٢٢]، وأن الله يَقْرُبُ من خلقه كيف شاء كما قال: ؟ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ؟ [ق: ١٦].)

)

وهذه المسألة تقدم الكلام عليها أنها محل خلاف، والصحيح أنّ القرب هنا قربُ الملائكة وليس قرب الله -عز وجل-؛ لأن الله لا يوصف بقرب عام يوصف بقرب خاص، قريب من الداعي بالإجابة وقريب من العابد بالإثابة.

هذا المذهب الذي نقله أبو الحسن الأشعري هو مِن جمعه أم أنه يرويه عن أحد؟

لا، يستخلصه من روايات الأئمة قبله، يقول: هذه خلاصة مذهب أهل الحديث أهل السنة.

مجمعون عليها.

نعم، ولهذا قال: أجمعوا على كذا وكذا وكذا هذا ليس محل خلاف.

هذا من اجتهاده وجمعه؛ لأن في هذا التأويل مثلا: ؟ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ؟ هل هو نقله عن أحد؟

نعم، كما ذكرنا أن بعض الأئمة المتقدمين ومنهم الإمام أبو حنيفة رأى أن القرب هنا قرب الله –عز وجل-.

(إلى أن قال: ويرون مجانبة كل داعٍ إلى بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار، والنظر في الفقه مع الاستكانة والتواضع، وحسن الخلق مع بذل المعروف وكف الأذى، وترك الغيبة والنميمة والسعاية، وتفقد المآكل والمشارب.

قال: فهذه جملة ما يأمرون به، ويستسلمون إليه، ويرونه وبكلّ ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله وهو المستعان.)

)

هذا جوابه تصريح: (وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول) صريح جدا ولا يحتمل التأويل.

قد تطرح تقول: الكلام الآن صريح؛ فماذا يجيب عنه أتباعه الأشاعرة؟

لماذا خالفوه؟

لماذا خالفوه؟

قالوا: إن كلامَه هذا نُسِخَ، قالوا: ليس هو الذي استقر عليه، هو لما انتقل من مذهب المعتزلة؛ صار عنده ردة فعل فسلك مسلك يسمونهم الحشوية أهل السنة، وألف هذا الكتاب وتكلم ثم استقر أمره على مذهب الأشاعرة الذين تأثر فيه بابن كُلاَّب، لكن أهل السنة لا يُوافقونهم على هذا الكلام.

منهم من يقول: مر بطورين صحيح بعد الاعتزال، ومنهم من يقول ما مرَّ بطور واحد، والذين يقولون بطورين يقولون: انتقل من مذهب الاعتزال إلى مذهب ابن كلاب، ثم اتضح له الحق وأن الحق في مذهب الإمام أحمد كما كان ينسب مذهب السنة إلى الإمام أحمد آنذاك.

يرجع إلى مثلا تاريخ كتابة هذا الكتاب.

ليس فيه شيء صريح حقيقة، والدكتور عبد الرحمن المحمود حاول دراسة المسألة في كتابه "منهج ابن تيمية في الرد على الأشاعرة" لكنه انتهى إلى رأي شيخ الإسلام أن أبا الحسن انتقل من مذهب المعتزلة إلى مذهب أهل السنة، لكن بقي عليه بعض المسائل التي تأثر فيها بابن كلاب والذي تابعه فيها أصحابه المتأخرون وزادوا على ما ذهب إليه.

(وقال الأشعري أيضا في اختلاف أهل القبلة في العرش:

قال أهل السنة وأصحاب الحديث: ليس بجسم ولا يَشبه الأشياء، وأنه استوى على العرش؛ كما قال –تعالى-: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥]، ولا نتقدم بين يدي الله ورسوله في القول؛ بل نقول: استوى بلا كيف، وأن له وجها؛ كما قال –تعالى-: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأن لديه يدين كما قال –تعالى-: ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥]، وأن له عينين؛ كما قال: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر: ١٤]، وأنه يجيء يوم القيامة هو وملائكته؛ كما قال –تعالى-: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢]، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا؛ كما جاء في الحديث، ولم يقولوا شيئًا إلا ما وجدوه بالكتاب وجاءت به الروايةُ عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم-.)

)

نلاحظ أنه يُثبت الصفات الخبرية والصفات الفعلية التي أجمع المتأخرون من الأشاعرة على تأويلِها. الصفات الفعلية؛ كصفة النزول، كصفة المجيء، والصفات الخبرية؛ كصفة الوجه، كصفة اليد صفة الاستواء.

وبالطبع قوله: (ليس بجسم ولا يشبه الأشياء)؛ أي العرش.

والجسم من الألفاظ المحدثة، والألفاظ المجملة، ولهذا لا يقال بإثباتها ولا نفيها بإطلاق.

(وقالت المعتزلة: إن الله استوى على العرش بمعنى استولى، وذكر مقالاتٍ أخرى.

وقال –أيضا– أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه "الإبانة في أصول الديانة"، وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنّفه، وعليه يعتمدون في الذبّ عنه عند من يطعن عليه، فقال:

فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة

فإن قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة، والقدرية، والجهمية، والحرورية، والرافضة، والمرجئة؛ فعرّفونا قولكم الذي تقولون وديناتكم التي بها تَدينون.

قيل له: قولنا الذي نقول به وديانتنا التي نَدين بها التمسّك بكلام ربنا وسنة نبينا، وما رُوي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول عبد الله أحمد بن حنبل –نَضَّرَ الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته– قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلالة، وأوضح به المنهاجَ، وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشكّ الشاكّين؛ فرحمة الله عليه من إمام مُقدّم، وجليل مُعظّم، وكبير مُفهّم.)

)

ويكفي في هذا أنّ الرجل حتى وإن أخطأ في بعض المسائل أنه يُظن به خيرٌ، فهو الآن في الجملة يقول: أنا على مذهب أهل السنة، وعلى قول كبار الأئمة، فكونه خالف في بعض المسائل؛ نقول: خالف، ويُبين مخالفتُه، لكن نقول: إنه كان يريد الحق، ويبحث عن الحق –رحمه الله تعالى–.

هذا الكتاب إنما ذُكر بأنه آخر كتبه.

هو محل خلاف: هل هو الأخير أم اللمع؟ الخلاف بينه وبين "اللمع" "الإبانة" أم "اللمع".

فاللمع هي التي فيها شيء من الميولِ أو القولِ الذي ذهب إليه قول المتأخرين، لكن الشيخ هنا كأنه يُقرر أن آخر ما كتب هو كتابه "الإبانة"، وهو مطبوع عدة طبعات.

(وجملة قولنا أنّا نُقر بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وبما جاؤوا به من عند الله، وبما رواه الثقات عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–؛ لا نرد من ذلك شيئا، وأن الله واحد لا إله إلا هو، فرد صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، وأن الجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.)

وهذا محل اتفاق، وليس فيه إشكال، وهذا الكلام الذي يأتي وأن الله مستو على عرشه.

لعلنا نقف عند هذا الكلام الذي فيه إشارة إلى تصريح الأشعري بالتزامه بمذهب الإمام أحمد، وأيضا بالمذهب الحق. لعلنا نأخذ منكم سؤال هذه الحلقة.

السؤال:

ما قول الإمام البيهقي –رحمه الله– في الصفات الخبرية؟

لعلنا نأخذ إجابة هذا السؤال من الإخوة المشاهدين معنا في الحلقة القادمة ولعلنا نختم أيضا معكم بسؤال الأخت تقول:

هل عند ذكر صفة اليدين أو القدم لله –سبحانه وتعالى– أن نذكر أنها صفة وليس جارحة؟ وما الفرق بينهما؟

إذا قال بعض الأئمة كما ذكر البيهقي وغيره: ليس بجارحتين؛ فمرادهم من ذلك تحقيق نفي التشبيه عن الله، أي أن إثبات هذه الصفة ليست كصفة المخلوق، لكنّ الأوْلى عدم ذكر هذه اللفظة؛ فلا يُقال جارحة ولا غير جارحة.

يريدون نفي الكيفية.

يريدون نفي التمثيل؛ أن صفة اليد ليست كصفة المخلوق، لكن نحن نقول: نُثبت لله –عز وجل– صفة اليد لا تماثل صفة المخلوق، ولا نقول: جارحة ولا غير جارحة.

الدرس الثامن والعشرون

كتاب الإبانة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

نبدأ بتذكير الإخوة المستمعين بسؤال الحلقة الماضية ومن ثَمَّ استعراض الإجابات التي وردت عبر الانترنت.

السؤال الذي سبق طرحه:

ما قول الإمام البيهقي في الصفات الخبرية؟

تقول:

كتاب "الأسماء والصفات" للبيهقي يسوق فيه الأحاديث والآثار بإسناده، مع ذكر بعض الآيات مُستدلاً بها على ما أورده، وهو غالبا ما يتكلم على بعض النصوص التي يُوردها، وقد تأوّل في بعض النصوص تأويلات مخالفة لمنهج السلف مُتّبِعًا في ذلك مذهب الأشاعرة، وقد نقل بعض هذه التأويلات عن مجموعة من علماء الأشاعرة؛ مثل الخطابي، والأشعريّ، والإسفرائيني، وغيرهم.

ولهذا قال بعض أهل العلم: "خذ من كتابه –الأسماء والصفات– ما روى لا ما رأى"؛ لأنه روى بإسناده بعض الآثار في إثبات الصفات التي قد لا تجدها عند غيره، لكن لما جاءت التعليق؛ سلك مسلك الأشاعرة في بعض الصفات.

في الجملة نعم، ما ذكرته الأخت من حال الإمام البيهقي في كتابه "الأسماء والصفات"، لكنّ مذهبَه في هذا مذهبُ المتقدمين من المتكلمين؛ أنّ جملة منهم أثبت الصفات الخبرية خاصّة التي جاءت في القرآن؛ كإثبات اليدين، وإثبات الاستواء، وإثبات الوجه، ونحو ذلك، فهذا هو مذهبه رحمه الله.

توقفنا في اللقاء حول قول أبي الحسن الأشعريّ في كتابه "الإبانة"، وضاق بنا وقت الدرس عن أن نُكمل ما أورده في هذه الكتاب، ولعلنا نبدأ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في فتواه:

(وقال أيضا أبو الحسن الأشعريّ في كتابه الذي سماه "الإبانة في أصول الديانة"، وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنّفه، وعليه يعتمدون في الذب عنه عندما يُطعن عليه، فقال:

فصل في إبانة قول أهل الحقّ والسنّة

فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة، والقدرية، والجهمية، والحرورية، والرافضة، والمرجئة؛ فعرّفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تَدينون.)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب، العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

تقدّم نقل الشيخ عن أبي الحسن الأشعريّ الذي يَنتسب إليه المتكلمون من الأشاعرة، وسبق نقل الشيخ عنه من كتابه "مقالات الإسلاميين"، وذكر قولَ أهل الحديث، وذكر أن هذا هو الذي يَدين الله –عز وجل– به، ويقول به، ثم عقب الشيخ –رحمه الله– بنقل آخر عن كتابه "الإبانة"، ولهذا أكَّد الشيخ على أنّ هذا الكتاب آخرُ كتبه؛ لأن هذا محلّ خلاف أيّ الكتب كان المتأخر في التأليف بالنسبة لأبي الحسن؟ هل هو كتاب "الإبانة" أم كتاب "اللمع"؟ فالشيخ كأنّه يؤكّد هنا أنّ آخر ما كتب كتابُ "الإبانة"، ولهذا من يذبّ عن أبي الحسن في مُعتقده يعتمد على هذا الكتاب.

(قيل له: قولنا الذي نقول به وديانتنا التي نَدين بها: التمسك بكلام ربنا، وسنة، نبينا وما رُوي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن حنبل –نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته– قائلون ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلالة، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين؛ فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم.)

يلاحظ أن أبا الحسن نصّ فقط على الإمام أحمد، وأنه متمسك بما كان عليه الإمام أحمد، ولم خصّ الإمام أحمد بذلك دون غيره من الأئمة؟

هذا قد يُطرح؛ يقال: إن الإمام أحمد في وقته وفي الزمن الذي أعقبه وقريبا من وقته أصبح –ولله الحمد– علمًا لأهل السنة؛ لوقوفه في وجه المعتزلة، وثباته أيامَ المحنة، فأصبح علمًا لأهل السنة، ولهذا أحيانا يكون الأئمة، ومحبة الأئمة، والاقتداء بهم علامة الإرث الصحيح، علامة اتباع السنة، علامة اتباع الحق، ولهذا يصرح أبو الحسن أنه على مذهب الإمام أحمد، وإلا؛ فلا شكّ ليس للإمام أحمد مذهب يختلف عن مذهب بقية الأئمة، لكن كونه –رحمه الله– وقف في وجوه أهل البدع وصمد أيامَ المحنة؛ أصبح رمزا لأهل السنة رحمة الله عليه.

خصوصا أنه يشير إلى مذهب الإمام أحمد في الأصول وليس في الفروع.

نعم، لا شك، وإذا ذُكر الإمام أحمد في أمور الاعتقاد؛ فالمقصود في الأصول وليس في الفروع، فالفروع الخلاف فيها سائغ، والإمام أحمد نفسه –رحمه الله– له عدة روايات في المسألة واحدة، تصل إلى سبع روايات، هذا لا يؤثر ولا يضر، المسألة والفيصل في مسائل الأصول مسائل الاعتقاد.

(وجملة قولنا: أنا نقر بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وبما جاؤوا به من عند الله، وبما رواه الثقات عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لا نرد من ذلك شيئا، وأن الله واحد لا إله إلا هو، فرد صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق، وأن الجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله مستو على عرشه كما قال تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥]، وأن له وجها كما قال تعالى: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأن له يدين بلا كيف كما قال تعالى: ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥]، وكما قال تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأن له عينين بلا كيف كما قال: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر: ١٤]، وأن من زعم أن أسماءَ الله غيرُه؛ كان ضالا، وذكر نحوا مما ذكر في الفرق إلى أن قال: ونقول:...)

الكلام السابق هذا هو الشاهد إثبات الاستواء، وجنس الصفات الخبرية التي هي محل الخلاف بين أهل السنة وبين المتكلمين.

أثبت لله الاستواء، العلو، أثبت اليدين، أثبت العينين، وهذه جنسها محل الخلاف بين أهل السنة وبين أتباع أبي الحسن الأشعريّ، فهو الآن يصرح بل سيرد فيما بعد على من أول هذه الصفات.

وهو يثبتها ويقول: بلا كيف؟

بلا كيف، نعم، على مذهب أهل السنة.

(ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كل إسلام إيمانا، وندين بأن الله يقلب القلوب بين إصبعين من أصابع الله -عز وجل-، وأنه عز وجل يضع السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، كما جاءت الرواية عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.)

مسألة الإسلام والإيمان هذه مسألة خلافيّة حتى عند أهل السنة، هل يدخل الإسلام في الإيمان أم يتميّز كلّ منهما بمعنى يخصه؟ والصحيح التفصيل؛ أنهما إذا ذكر معا؛ صار لكل منهما معنى يخصه؛ كقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وكقوله سبحانه: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات: ١٤]، ولهذا إذا اجتمعا؛ افترقا، وصار لكل معنًى؛ فالإسلام هي الشعائر الظاهرة، وهي التي فسر بها النبي -صلى الله عليه وسلم- ذلك في حديث جبريل المشهور، لما سأله عن الإسلام؛: (أن تشهد أن لا إله إلا الله، تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة..)، فذكر الشعائر الظاهرة الأعمال، أما الإيمان؛ فالمقصود به هنا ما يتعلق بالقلب، ولهذا النبي -صلى الله عليه وسلم- فسره: بـ: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله)، لكن إذا افترقا اجتمعا، فإذا ذُكر الإيمانُ وحده؛ دخل فيه الإسلام، وهذا هو القول الوسط، وهو القول الراجح إن شاء الله.

لكن إذا اجتمعا ما يكون الإسلام دائرته أشمل من الإيمان، يعني كما أن الإسلام أوسع إنه ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا ﴾.

﴿ وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾، الإيمان أخص، ليس كل مؤمن مسلمًا، لكن..

كل مؤمن يكون -بالضرورة- مسلمًا.

كل مؤمنا يكون -بالضرورة- مسلمًا.

(إلى أن قال: والإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ونسلم الروايات الصحيحة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- التي رواها الثقات عدلاً عن عدلٍ، حتى ينتهي إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.)

وهذه مسألة تقدم الكلام عليها في قضية زيادة الإيمان ونقصانه، وأن هذا مذهب جمهور أهل السنة؛ خلافا للمرجئة الذين قالوا: إن الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص. أهل السنة قالوا: لا، يزيد بالطاعات، ولا حدّ لزيادته، وينقص حتى يتلاشى، ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي في صحيح مسلم في إنكار المنكر: (وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردلٍ).

في قضية الحديث إثبات التي رواها الثقات، هل يريد أن يثبت أحاديث الآحاد؟

أحسنت، يريد أن يردّ على من ردّ بعض الصفات بناء على أن مستندها خبر آحاد، فهو يقول: المعوّل كمذهب جمهور أهل السنة، المعول عندنا، والأصل عندنا، والأساس ثبوت هذا الحديث، فإذا رواه الثقة العدل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ سلمنا به، سواء في مسألة فقهية أو في مسألة عقدية.

(إلى أن قال: ونصدق بجميع الروايات التي يُثبتها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا، وأن الرب –عز وجل– يقول: (هل من سائل؟ هل من مستغفر؟)، وسائر ما نقلوه وأثبتوه، خلافا لما قال أهل الزيغ والتضليل.)

نعم، وفي هذا أيضا إثبات جنس الصفات الخبرية الفعلية التي هي النزول، ويتبعها المجيء ونحو ذلك.

(ونُعوِّل فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا، وسنة نبينا، وإجماع المسلمين، وما كان في معناه، ولا نبتدع في دين الله ما لا يأذن لنا به، ولا نقول على الله ما لا نعلم، ونقول: إن الله يجيء يوم القيامة كما قال تعالى: ؟ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ؟ [الفجر: ٢٢].)

لاحظْ أن كل هذا في تصريح لما خالف فيه المتأخرون من الأشاعرة لا يوجد متأخر منهم يثبت المجيء، أو يثبت النزول، أو يثبت اليدين، ولهذا سيؤكد –الآن– أكثر من هذا فيرد على من تأوّلها، ومن هذه التأويلات ما تمسك به المتأخرون وأولوا به تلك النصوص.

هذه العقيدة التي يَسردها شيخ الإسلام كانت سردا في كتابه أم أنها كانت عبارة عن مواقف؟

لا، كتاب "الإبانة" كتاب مختصر، وهو مطبوع عدة طبعات، طبع طبعة بتحقيق إحدى الأخوات في مصر، لكنها تصرّفت، هي من أفضل الطبعات كونها اعتمدت على نسخ متعددة، لكنها تصرفت تصرفا ليس علميّا، ونحن نقول هذا الكلام لأجل أن لا يقول قائل: إن ما في هذا الكتاب مخالف لما نقله شيخ الإسلام؛ فالأخت/ فوقية حسين حققت الكتاب على عدة نسخ وتحقيقها جيد، لكن أخطأت في شيء واحد أنها اعتمدت في أحد النقول على نسخة واحدة خلافا لبقية النسخ، وهذا النقل مخالف لما ثبت في كل النسخ، ولهذا ينبغي التنبه إلى هذا الأمر، لم أكن أريد أن أذكر هذا، لكن خشيت أن يأتي من يُشغّب ويقول: شيخ الإسلام ينقل كلاما ليس بصحيح، أو ينسب لأبي الحسن كلاما ليس بصحيح، نقول: لا، الكتاب الآن موجود وبعدة طبعات، وفي هذه الطبعة تصرفت المحققة.

(وأن الله يَقْرُبُ من عباده كيف شاء كما قال تعالى: ؟ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ؟ [ق: ١٦]، وكما قال: ؟ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ؟٨؟ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ؟ [النجم: ٨–٩].)

وهذا سبق أنه محل خلاف الآية الثانية: ؟ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ؟٨؟ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ؟، من استدل برؤية النبي–صلى الله عليه وسلم– لله –عز وجل– في ليلة الإسراء مما استدل به استدل بهذا الآية، والصحيح أن هذه الآية في جبريل، أنه هو الذي دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى.

(إلى أن قال: وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقي مما لم نذكره بابا بابا.

ثم تكلم على أنّ الله يُرى، واستدل على ذلك، ثم تكلم على أن القرآن غير مخلوق، واستدل على ذلك، ثم تكلم على من وقف في القرآن وقال: لا أقول إنه مخلوق ولا غير مخلوق ورد عليه.

ثم قال:

باب في ذكر الاستواء على العرش

فقال: إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟

قيل له: إن الله مستو على عرشه كما قال: ؟ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ؟، وقد قال الله: ؟ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ؟ [سبأ: ١٠]، وقال: ؟ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ؟ [النساء: ١٥٨]، وقال: ؟ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ؟ [السجدة: ٥]، وقال تعالى حكاية عن فرعون: ؟ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ؟٣٦؟ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ؟ [غافر: ٣٦-٣٧]، كذب موسى في قوله: إن الله فوق السماوات وقال: ؟ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ ؟ [الملك: ١٦]، فالسماوات فوقها العرش، فلمّا كان العرش فوق السماوات قال: ؟ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ؟؛ لأنه مستو على العرش الذي فوق السماء، فكل ما علا فهو سماء، فالعرش أعلى السماوات، وليس إذا قال: ؟ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ؟ يعني جميع السماء، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات. ألا ترى أن الله -عز وجل- ذكر السماوات فقال: ؟ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ؟ [نوح: ١٦]، فلم يرد أن القمر يملأهن وأنه فيهن جميعا؟!)

)

على كل حال يُلاحظ أنه استدل بما استدل به أهل السنة، وسبقت هذه الأدلة عن جمع من الأئمة في إثبات صفة الاستواء والعلو لله -عز وجل-.

(ورأينا المسلمين جميعا يَرفعون أيديهم إذا دَعَوْا نحوَ السماء؛ لأن الله على العرش الذي فوق السماوات، فلولا أن الله على العرش؛ لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطّونها إذا دعوا إلى الأرض.)

وهذا دليل الفطرة في إثبات صفة العلو لله -عز وجل-؛ أن المسلمين إذا دعوا الله -عز وجل- اتّجهت قلوبهم إلى جهة العلو ورفعوا أيديهم إلى جهة العلو، فهذا مما فطر الله -عز وجل- عليه الخلق قاطبة عربهم وعجمهم مؤمنهم وكافرهم.

هذا الدليل الفطري؟

هذا الدليل الفطري على إثبات صفة العلو.

أو الدليل عقلي يعتبر نفس المصطلح أم أن الفطري يختلف؟

لا، الفطري يختلف عن العقلي، العقلي ذكرناه سابقا، وهو ما ذكره الإمام أحمد وغيره؛ أن الله لما خلق الخلق؛ فإما أن يكون خلقهم في ذاته أو خارج ذاته، فلما خلقهم خارج ذاته؛ لزم أن يَكون فوقهم؛ لأن الصفة اللائقة به، لكن هذا دليل أهل السنة، يقولون: دليل الفطرة هذا أمر مفطورة الناس عليه، أنه ما من داع يدعو إلا اتجه قلبه إلى جهة العلو.

ولا شك أن دليل الفطرة أقوى؛ لأن الشيء لا يمكن أن يدفعه الإنسان، ولهذا اعترض به الهمَذاني على أبي المعالي الجويني، وأبو المعالي لما كان يقرر نفي صفة العلو أمام التلاميذ، ويقول: كان الله ولم يكن شيء قبله ولم يكن شيء معه، يُريد أن يُقرر أن الله -عز وجل- ليس بعال على الخلق، فقام له الهمذاني، وقال: دعنا يا هذا يا شيخ، وأخبرنا عن هذه الضرورة التي في قلوبنا: ما قال عارف قط يا الله! لاحظ عارف أيّا كان هذه العارف، ما قال: عارف قط يا الله! إلا اتجه قلبه إلى أعلى، ما استطاع أن يُجيب الجوينيّ، فضرب رأسه فقال: حيرني الهمذاني، حيرني الهمذاني، حيرني الهمذاني.

(فصل

وقد قال قائلون من المعتزلة، والجهمية، والحرورية: إن معنى قوله تعالى: ؟ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ؟ أنه استولى وملك وقهر، وأن الله -عز وجل- في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، فلو كان كما ذكروه؛ كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ لأن الله قادر على كل شيء.)

)

هذه من التأويلات التي تأولها من أنكر صفة الاستواء، وجمهور الأشاعرة على تأويل الاستواء بالاستيلاء، علما أنّ المتأخرين منهم من أنكر عليهم هذا التأويل، ومنهم عبد القاهر البغدادي -رحمه الله- في كتابه "أصول الدين"، ويعتبر من أئمة الاشاعرة، لكن أنكر على الأشاعرة هذا التأويل، وأنكر على المعتزلة هذا التأويل، ومنهم من أوّل الاستواء بالقهر والقدرة يعني استوى على العرش: قهر العرش وقدر على العرش، ومنهم من أول العرش الملك، استوى على العرش: استوى على الملك، وكل هذه تأويلات باطلة، يردها العقل، وتردها اللغة، ويردها الشرع، وسيبين وجه خطئها الإمام أبو الحسن بعد قليل.

(والأرض؛ فالله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء وهو -عز وجل- مستو على الأشياء كلها؛ لكان مستويا على العرش، وعلى الأرض، وعلى السماء، وعلى الحشوش والأقذار؛ لأنه قادر على الأشياء مستولٍ عليها. فإذا كان قادرًا على الأشياء كلها، ولم يجز عن أحد من المسلمين أن يقول: إن الله مستو على الحشوش والأخلية؛ لم يجز أن يكون الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يَخص العرش دون الأشياء كلها، وذكر دلالات من القرآن، والأحاديث، والإجماع، والعقل.)

هذا وجه من الوجوه التي يُرد بها على هؤلاء الذين أولوا الاستواء بالاستيلاء، إذا كان معناه القهر، والاستيلاء، والقدرة؛ فالمفرق بين العرش والسماوات والأرض والشجر والبحار؟

الكل الله -عز وجل- قادر عليه، ومستول عليه؛ فلماذا خص العرش؟ ولم يقل أحد من المسلمين: إن الله -عز وجل- متسوٍ على الأرض، أو على الجبال، أو على الشجر، أو حتى -كما ذكر الشيخ- على الحشوش أماكن قضاء الحاجة تعالى الله عن ذلك؛ لأن الله قادر عليه، فدل على أن الاستواء له معنى يخصه معناه العلو والارتفاع ولهذا خُص العرش بذلك.

(ثم قال: باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين.)

ثم ليس في لغة العرب وهذه نكررها دائما.

في قضية التأويل؟

نعم، ليس في لغة العرب تفسير الاستواء بالاستيلاء، هذا لا يُعرف في لغة العرب، ثم لو افترضنا أن معنى الاستواء معناه الاستيلاء؛ لذكره الله -عز وجل- ولو في موضع واحد، يعني ذكر الاستواء في سبعة مواضع في القرآن، وجميعها جاء بلفظ استوى أم استولى؟

استوى.

استوى، لو افترضنا أن جاء في موضعين استولى، وفي خمسة استوى؛ لكان من المنطق والعقل أن نَحمل استولى بمعنى استوى؛ لأن الأكثر جاء استوى، فكيف ولم يَرد ولا في موضع واحد لا في الكتاب ولا في السنة بلفظ استولى؟! علما أن اللغة ترده، ولهذا لمَّا قال أحد الجهمية لابن الأعرابي -وهو إمام في اللغة- قال: ابحث لي في لغة العرب معنى استوى: استولى. قال: هذا ما يكون ولا يكون؛ لأن الله لا منازع له؛ لأن إذا قلت: استولى الله على العرش بمعنى أنه كان في وقت من الأوقات غير مستولٍ عليه، ولهذا قال ابن عرابي: هذا ما كان ولا يكون في لغة العرب.

(ثم قال:

باب الكلام في الوجه، والعينين، والبصر، واليدين

وذكر الآيات في ذلك، وردّ على المتأولين بكلام طويل لا يتسع هذا الموضع لحكايته؛ مثل قوله:

فإن سُئلنا: أتقولون لله يدان؟

قيل: نقول ذلك، وقد عليه قول الله تعالى: ؟ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ؟ [الفتح: ١٠]، وقوله تعالى: ؟ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ؟ [ص: ٧٥]، وروي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (إن الله مسح ظهر آدم بيده فاستخرج منه ذريته)، وقد جاء في الخبر المأثور عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أن الله خلق آدم بيده، وخلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس شجرة طوبى بيده.

وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل: عملت كذا بيدي، ويريد به النعمة، وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهوما من كلامها، ومعقولا في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل: فعلت بيدي، ويعني به النعمة؛ بَطَلَ أن يكون معنى قوله تعالى: ؟ بِيَدَيَّ ؟ النعمة، وذكر كلاما طويلا في تقرير هذا ونحوه.)

)

وهذا ما أوّل به جمهور الأشاعرة النصوص التي جاءت في اليدين، قالوا معناها: النعمة. أبو الحسن يرد عليهم يقول: هذا ليس في لغة العرب، ولا يمكن أن يكون في لغة العرب، وهذا هو الصحيح أن يقول قائل: فعلت كذا بيدي أو بيديَّ ويقصد به النعمة، أو يقصد به القدرة.

نعم: لفلان عندي يدٌ. هذا عند العرب يعني نعمة، لكن فعلت كذا بيديَّ. العرب لا تقول ذلك وتريد به النعمة. وفرقٌ بين اللفظين، ولهذا أبو الحسن قال: (هذا ليس في لغة العرب.)

هل قضية استخدام اللغة يعتبر دليلا؟

نعم، رد عليهم بلغة العرب والآن عندهم الآية ليست محل خلاف، وما يستطيعون أن يطعنوا، فيها الله -عز وجل- قال: ؟ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ؟ [ص: ٧٥]، قالوا: إذن، ليس لنا إلا التأويل، أولوها بالنعمة، ولغة العرب لا تقبل أن تؤول هذا اللفظ بالنعمة، ولا يمكن أن يكون، ومن أراد التوسع في هذه المسألة؛ فليرجع إلى كلام ابن القيم في مختصر الصواعق حول الرد على من تأول اليد هنا بالنعمة.

إذن، أبو الحسن توسع في هذا الجانب.

نعم، أطال قليلا فيه ولهذا الشيخ اختصر الكلام.

(وقال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاّني المتكلم –وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعريّ، ليس فيهم مثله؛ لا قبله ولا بعده– قال في كتاب "الإبانة" تصنيفه:

فإن قال: فما الدليل على أن لله وجها ويدا؟

قيل له: قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ فأثبت لنفسه وجها ويدا.)

)

انتهى الآن من النقل عن أبي الحسن، وهو إمامهم، ثم نقل عن أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاّنيّ المتوفى سنة أربعمائة وثلاثة، وهذا يعتبر كما وصفه الشيخ من أكثر المنتسبين لأبي الحسن الأشعريّ اتباعا، ومن أعظمهم ذكاء، بل بعض أهل العلم يعتبره المؤسس الثاني للمذهب الأشعريّ، وذكر عنه الذهبي أنه العلاّمة أو أوحد المتكلمين مُقَدَّمُ الأصوليين؛ لأنه يعتبر إمامًا في الأصول، وقال: وغالب قواعده على السنة، لكنه يعتبر في الجملة من أئمة الأشاعرة، لكنه خالف كحال أبي الحسن خالف ما عليه المتأخرون من أتباعه وأصحابه.

بالطبع كان يتميز بالذكاء، كان آية في الذكاء، ولهذا يُعتبر من أذكياء العالم، وكان الخليفة في وقته يبعثه لمناظرة النصارى ولمقابلة النصارى وقلما تنقطع حجته رحمه الله.

هل هناك تعليق له على ما ذكره في قاعدة إثبات الوجه واليد.

لا، أثبتها على ما أثبته أهل السنة والجماعة، خلافا لما عليه المتأخرين من الأشاعرة.

(فإن قال: فما أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة إذ كنتم لا تعقلون وجها ويدا إلا جارحة؟)

الاعتراض هذا وكما سبق وقلنا يعترض من يريد أن يؤول اليد والوجه يقول: إذا اثبت لله يدا ووجها؛ فقد شبهت الخالق بالمخلوق؛ فإننا لا نعقل وجها ولا يدا إلا وجه ويد المخلوق، هذا في التشبيه يرد عليهم.

(قلنا: لا يجب هذا كما لا يجب إذا لم نعقل حيا عالما قادرا إلا جسما أن نقضي نحن وأنتم بذلك على أن الله –سبحانه–، وكما لا يجب في كل شيء كان قائما بذاته أن يكون جوهرا؛ لأنا –وإياكم– لا نجد قائما بنفسه في شاهدنا إلا كذلك، وكان الجواب لهم إن قالوا؛ فيجب أن يكون علمه، وحياته، وكلامه، وسمعه، وبصره، وسائر الصفات عرضا، واعتلوا بالوجود.)

الآن هو يناقش بالعقل المعترضَ عليه سواء أكان معتزليا وكأنه الآن يناقش المعتزلة، وأيضا يُناقش بهذا الكلام أصحابُه المتأخرون.

من الأشاعرة؟

من الأشاعرة، أليس هؤلاء قالوا: إذا أثبتم لله وجها ويدا ونحن لا نعقل ولا نعرف وجها ويدا إلا وجه ويد المخلوق؛ فقد شبهتم الخالق بالمخلوق.

قال لهم: قلنا: لا يجب هذا كما يجب إذا لم نعقل حيا عالما. أنتم ألستم المعتزلة تسمون الله حيّا عالما قادرا أم لا؟

ونحن لا نعقل من يسمى بهذه الأسماء إلا هذا المخلوق إلا جسما، كذلك يقال لمتأخري الأشاعرة: أنتم ألستم تصفون الله بالحياة؟

قالوا: بلى.

قلنا: ألستم تصفون الله بالعلم؟

قالوا: بلى.

قلنا: ألستم تصفون الله بالقدرة؟

قالوا: بلى.

قلنا: هل تعقلون موصوفا بهذه الصفات غير هذه الأجسام المشاهدة، فإما أن تنفوا الجميع أو تُثبتوا الجميع.

وهذه القاعدة التي ذكرها شيخ الإسلام أكثر من مرة، ونقلها عن الخطيب البغدادي وغيره: القول في بعض الصفات كالقول في بعض. هذه القاعدة يُرد بها على من أثبت بعض الصفات، وأنكر البعض، على من أثبت الأسماء -كحال المعتزلة- ونفى الصفات، وعلى من نفى الأسماء والصفات كحال الجهمية، يرد عليه بهذه القاعدة.

يقول: (وكما لا يجب في كل شيء كان قائما بذاته أن يكون جوهرا.)

نقول لهم: أنتم تثبتون أن الله قائم بنفسه أم لا؟

بالطبع سيقولون: نعم، نثبت أن الله قائم ليس قائما بغيره، هل تشاهدون في الوجود الذي تشاهدون قائما بنفسه إلا الجوهر؟

إن قلتم: نعم؛ قلنا: شبهتم!

وإن قلتم: لا/ الله -عز وجل- قائم بنفسه، لكن هذا لائق به.

قلنا: وكذلك الوجه، واليد، وبقية الصفات.

(لأنا -وإياكم- لا نجد قائما بنفسه في شاهدنا إلا كذلك): الجوهر تقدم الكلام عليه.

يقول: (وكذلك الجواب لهم إن قالوا؛ فيجب أن يكون علمه وحياته..)؛ أي هذه الصفات، (وكلامه، وسمعه، وبصره، وسائر صفاته عرضا.)

نحن نقول: الصفات إما أن تكون عرضا أو جسما.

العرض هو: الذي لا يقوم بنفسه؛ مثل السمع، البصر، الحياة، العلم، القدرة. هذه عند المتكلمين يقولون لها: أعراض، لا تقوم بنفسها تقوم بغيرها.

يقول: (إذا قالوا: هذه أعراض؛ كيف تثبتونها لله –عز وجل–؟ واعتلوا بالوجود)؛ أي بالشيء الموجود. يقول: (لا نشاهد في الوجود صفة إلا ما هي عرض.) يقال: هذا للمخلوق كذلك القائم بالنفس هل وجدتم قائمًا بنفسه غير الجوهر أم لا؟ فهذا مثل هذا.

الشاهد أنها مجمل لقاعدة: القول في بعض الصفات كالقول في بعض. فإما أن تثبت الجميع وتكون على هدي الكتاب والسنة، وإما أن تُنكر الجميع ويكون مجال الكلام معك مجالا آخر.

(قال:

فإن قال: تقولون: إنه في كل مكان؛ قيل له: معاذ الله، بل هو مستوٍ على العرش كما أخبر في كتابه فقال: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾، وقال: ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾.

قال: ولو كان في كل مكان؛ لكان في بطن الإنسان وفمه، والحشوش والمواضع التي يُرغب عن ذكرها، ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا خلق منها ما لم يكن، وينقص بنقصانها إذا بَطَلَ منها ما كان، ولصح أن يُرغب إليه إلى نحو الأرض، وإلى خلفنا وإلى يميننا وإلى شمالنا، وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله.)

)

في هذا ردّ على من نفى صفة العلو لله –عز وجل–، وأثبت أن الله في كل مكان.

قال له –عقلا–: إذن؛ لزم أن يكون –تعالى الله– في الحشوش، في فم الإنسان، في جوف الإنسان، وأن يزيد بزيادة هذه الأشياء، كلما خلق الله أشياء؛ زاد فيه؛ لأنه يقول: في كل مكان، فإذا استثنيت مكانا نقول لك: ما دليلك؟

ثم ذكر الدليل الفطري: (ولصح أن يُرغب إليه): بمعنى أن يُتوجه إليه نحو الأرض والشمال واليمين والخلف، وهذا لا يقوله مسلم، ولا يمكن أن يقوله عاقل؛ لأن هذا –أصلا– مخالف للفطرة.

(وقال –أيضا– في هذا الكتاب:

صفات ذاته التي لم يزل ولا يزال موصوفا بها، وهي الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، والإرادة، والبقاء، والوجه، والعينان، واليدان، والغضب، والرضى.

وقال في كتاب "التمهيد": ...)

)

انتهى الكلام الآن في الإبانة، ولا زال مفقودا -يسر الله عز وجل العثور عليه!-؛ لأنه يعتبر من أقوى الكتب التي يمكن أن يُرد بها على جمهور المتكلمين، وإنما المطبوع والموجود الآن الكتاب الآخر الذي قاله الشيخ الآن، وقال في كتاب "التمهيد"، وهذا التمهيد موجود.

الكتاب الأول لا يعتبر في قضية الْمُحَاجَّةِ للأشاعرة يعني هم ينفون وجود الكتاب؟

لا، لا ينكرون الكتاب، لكن نحن نقول: وجوده زيادة في الحجة، ثابت أنه له.

لكن هذا الإيراد هل هم يثبتون أنه موجود بالفعل في هذا الكتاب خاصة المتأخرين؟

لو أنكروه؛ لقلنا في كتاب "التمهيد"؛ لأنه قريبٌ من هذا لكن ليس بالتفصيل الموجود، لكن في الجملة قريب مما ذكره في كتابه "الإبانة" فلا حجة لهم في ذلك.

(وقال في كتاب "التمهيد" كلاما أكثر من هذا وكلامه وكلام غيره من المتكلمين في هذا الباب مثل هذا كثير لمن يَطلبه، وإن كنا مستغنين بالكتاب، والسنة، وآثار السلف عن كل كلام.

وملاك الأمر أن يَهب الله للعبد حكمة وإيمانا، بحيث يكون له عقل ودين حتى يفهم ويَدين، ثم نور الكتاب والسنة يُغنيه عن كل شيء، ولكن كثيرا من الناس قد صار منتسبا إلى بعض الطوائف المتكلمين ومحسنا للظنّ بهم دون غيرهم، ومتوهما أنهم حققوا في هذا الباب ما لم يحققه غيرهم، فلو أُتِيَ بكل آية؛ ما تبعها حتى يؤتي بشيء من كلامهم.)

)

الشيخ الآن يُبين السبب في إيراده لكلام هؤلاء المتكلمين وغيرهم ممن خالفوا أهل السنة.

قد يقول قائل: لماذا أوردت كلام ابن خفيف، وكلام الجيلاني، وكلام فلان، وكلام الأشعريّ، وكلام الباقلاّنيّ، وكلام أبي المعالي الجويني -كما سيأتي- الشيخ يبين. قال: الأصل في باب الأسماء والصفات في كتاب العقائد الكتاب والسنة، ونحن مستغنون بالكتاب والسنة، فيهما النور والهدى لمن أراد، لكن يقول: كثير من الناس قد صار منتسبا إلى بعض الطوائف من المتكلمين، ولهذا لا يقبل أي آية تأتي بها ولا أي حديث، لا يقبل إلا قول المعظم عنده والإمام، فأراد الشيخ أن يحتج عليهم بقول أئمتهم.

الآن لا تقبلون نصوص الكتاب، ولا نصوص السنة، ولا كلام السلف. هذا كلام أئمتكم، والمعظمين عندكم، فهنا الشيخ يبين السبب الذي لأجله أورد كلام هؤلاء. وإلا فهو يقول: الأصل أنا لسنا بحاجة؛ لا كلام فلان ولا علان، نحن متعبدون بما ورد في الكتاب والسنة، فيهما الهدى والنور، وبهما صلح أول الأمة، ولن يصلح آخر الأمة -كما قال مالك- إلا بهما، لكن هذا من باب إقامة الحجة على الأتباع.

هل هذا المنهج يا شيخ من الممكن أن يستخدم في وقت دون وقت بحال الناس تتمسك أو هناك رجعة عودة للكتاب والسنة؟

لا، إذا كان الذي أمامك من المعظم لكتاب والسنة، من المتجرد للكتاب والسنة؛ فلست بحاجة أن تذكر، لكن إذا كان الذي أمامك متعصبا؛ فلا مانع، وهذا منهج علمي -حتى الآن- متبع، بل ويقر به غير المسلمين الغرب، يعتبرون من المناهج العلمية في المناظرة والمحاجة أن تحتج على الخصم بالشيء الذي يُسلم به، مثلا لو كانت

المناظرة بيننا وبين نصراني؛ فمن الخطأ أن نحتج عليه بآية أو بحديث، نحتج عليه بقول من كتابه، بقول لبعض المعظمين عندهم، نحتج عليه بالعقل؛ لأن العقل محل اتفاق بيننا وبينهم.

(ثم هم -مع هذا- مخالفون لأسلافهم، غير متبعين لهم، فلو أنهم أخذوا بالهدى الذي يجدونه في كلام أسلافهم؛ لرُجي لهم الصدق في طلب الحق أن يزدادوا هدى، ومن كان لا يقبل الحق إلا من طائفة معينة ثم لا يستمسك بما جاءت به من الحق؛ ففيه شبه من اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١]، فإن اليهود قالوا: لا نؤمن إلا بما أنزل علينا، قال الله لهم: فلما قتلتم الأنبياء من قبل إن كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم.

يقول سبحانه: لا، ما جاءتكم به أنبياؤكم تتبعون، ولا لما جاءتكم به سائر الأنبياء تتبعون، ولكن إنما تتبعون أهواءكم، فهذا حال من لم يتبع الحق؛ لا من طائفته ولا من غيرهم، مع كونه يتعصب لطائفة دون طائفة بلا برهان من الله ولا بيان.)

)

الشيخ يقول: حتى هؤلاء ليتهم قبلوا قول أئمتهم المتقدمين، يقول: ثم إنهم مع هذا مخالفون لأسلافهم غير متبعين لهم، ويقول: ومن كانت هذه حاله؛ ففيه شبه من اليهود، الذي لم يقبل الحق لا من كتابه ولا من كتب الأنبياء الآخرين.

(وكذلك قال أبو المعالي الجويني في كتاب "الرسالة النظامية".)

أبو المعالي من أئمة الأشاعرة المتقدمين -رحمه الله-، هو عبد الملك بن عبد الله أبو يوسف الجويني الذي اشتهر بإمام الحرمين؛ لأنه جاور في آخر حياته في الحرمين، المتوفى سنة أربعمائة وسبع وثمانين.

ذكر الذهبي وغيره أيضا شيخ الإسلام كما ذكر في أول الكتاب أنه رجع إلى مذهب السلف في آخر حياته، ولهذا قال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت؛ ما اشتغلت بالكلام.

وقال: اشهدوا علي أني رجعت عن كل مقالة تخالف السنة، وإني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور -رحمه الله-.

لكن يبقى كلامه المسطّر في بعض كتبه كان على خلاف منهج السلف.

في قضية من ألف كتبا كانت في بدئها على خلاف منهج السلف كما ذكرتم ثم تاب هل من الخطأ أن تُطبع هذه الكتب وغيرها من هو أن هناك واجبا بأن تُحجّم الكتب التي كان فيها خطأ ويمنع من نشرها لوجود الخطأ فيها، أو يبين الخطأ بطريقة أخرى.

الأصل أن أي كتاب فيه مخالفة لما دل عليه الكتاب والسنة أن لا يحرص على نشره، ولا يُسعى في نشره، لكن إذا فرض نفسه وانتشر؛ فكان على أهل العلم أن يبينوا الخطأ الذي في هذا الكتاب، ثم أيضا من باب زيادة الحجة في أن ما في هذا الكتاب خطأ يبين أن المؤلف رجع عنه، يبقى موقفنا من هؤلاء الذين رجعوا.

الشيخ يقول: (إن صحت توبتهم)؛ فهذا أمرهم إلى الله -عز وجل- لكن الذي بين أيدينا لا بد أن نبين الخطأ الذي فيه.

(وكذلك قال أبو المعالي الجويني في كتاب "الرسالة النظامية":

اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر؛ فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الرب.)

)

مقصوده: (اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر)؛ أي ظواهر نصوص الصفات؛ فرأى بعضهم تأويلها -تأويل على اصطلاح المتأخرين: بصرف اللفظ عن احتمال الرجع واحتمال المرجوح-.

يقول: (والتزم ذلك في آي الكتاب وما صح من السنن)؛ أي التزم تأويل هذه النصوص.

(وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف): ترك التأويل.

(وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الرب): هذا خطأ، هم فوّضوا الكيف، الشيء الذي لا يمكن أن يُدرك، لكن معاني هذه النصوص لا، بل قرؤوها وعرفوها وفسروها للناس، ألم يسبق قول مجاهد: إنني عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، أقفه عند كل آيات ما استثنى آيات الصفات.

(قال: والذي نرتضيه رأيا ونَدين الله به عقدا اتباع سلف الأمة، والدليل السمعي القاطع في ذلك أنّ إجماع الأمة حجةٌ متبعة، وهو مستند مُعْظَم الشريعة.

وقد درج صحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على ترك التعرض لمعانيها، ودرك ما فيها، وهم صفوة الإسلام، والمستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهدا في ضبط قواعد الملة، والتواصي بحفظها، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها، فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغا أو محتوما؛ لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الاضطراب عن التأويل؛ كان ذلك هو الوجه المتبع، فحق على ذي الدين أن يعتقد تنزيه الله عن صفات المحدثين، ولا يخوض في تأويل المشكلات، ويكل معناه إلى الرب؛ فَلْيُجْرِ آية الاستواء والمجيء وقوله: ؟ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ؟، ؟ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ؟، وقوله: ؟ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ؟، وما صحّ من أخبار الرسول -صلى الله عليه وسلم- كخبر النزول وغيره على ما ذكرناه.)

)

يعني كأنه يقول الآن: منهج الصحابة، ومنهج السلف أنهم أجروا هذه النصوص على ظاهرها، ولم يتكلفوا تأويلها كما فعل المتأخرون.

يقول: (ولو كان هذا التأويل): هذا هو الشاهد، والآن ينكر التأويل الذي سلكه المتأخرون.

يقول: لو كان سائغا هذا التأويل، وكان أمرا حتميا؛ لسلكه الصحابة -رضي الله عنه-، ولأوَّلوا هذه النصوص كما أولها، لكن لما انصرفوا وتركوا التأويل؛ دل على أن هذا هو الأصل، وأن هذا هو الحق، ولهذا قال: (فالأصل أن تُجري هذه النصوص على ظاهرها كما أجراها هؤلاء على ظاهره)، ثم ذكر هذه أو أمثلة على تلك النصوص.

بالطبع هذا كلامه في الجملة، والشيخ أراد أن يحتج به على المتأخرين من أصحابه وأتباعه الذين جعلوا التأويل هو الأصل يقول: هذا هو الآن إمام من أئمتكم المتقدمين ومع ذلك أنكر التأويل الذي سلكتموه، والتأويل هنا هو الذي سماه شيخ الإسلام وسماه غيره التحريف، هو أن تؤخذ هذه النصوص ويسلط عليها هذا السيف، وتُصرف عن ظاهرها وعما دلت عليه بحجة أن هذا تأويل، فيقال: ؟ اسْتَوَى ؟: استولى، ؟ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ؟: النعمة أو القدرة، وهذا تأويل باطل، فالشيخ يريد أن يبين لأتباع هؤلاء الأئمة أن أئمتكم المتقدمين أنكروا هذا المسلك وأنه مسلك خاطئ في تأويل الصفات.

(قلت: وليعلم السائل أن الغرض من هذا الجواب ذكر ألفاظ بعض الأئمة الذين نقلوا مذهب السلف في هذا الباب، وليس كل من ذكرنا شيئا من قوله من المتكلمين وغيرهم يقول بجميع ما نقوله في هذا وغيره، ولكن الحق يُقبل من كل من تكلم به.)

هذا إجابة لإيراد قد يُورده شخص هل كل من نقل عنه الشيخ يعتبر موافقا له في كل شيء؟! الشيخ أجاب وقال: لا ما يلزم لكن الحق يقبل ممن جاء به.

قبل أن ننتقل عن كلام أبي المعالي هو ذكر اصطلاحين يستخدمها المتكلمون كثيرا، التفويض والتأويل وكلاهما اصطلاح باطل. بالطبع هم مسلكهم مع نصوص الصفات أحد فريقين:

- فريق أولها.

ما معنى أولها؟

رددناها مرارا: صرف النص عن ظاهره إلى معنى آخر.

- فريق آخر فوض.

ومعنى التفويض -على حد قولهم-: إجراء اللفظ على ظاهره من غير فهم لمعناه.

طرفي نقيد.

لا، هم يقولون: نحن أمام هذا النص إما أن نؤول أو نفوض، ولا يمكن أن نثبت دلالة ظاهر النص. لماذا؟

تنزيه.

لأجل التنزيه لأنه انقدح في أذهانهم أنهم إذا أثبتوا دلالة ظاهر النص؛ فقد شبهوا. فقول الله -عز وجل-: ؟ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ؟ [الأعراف: ٥٤]، لو أثبتوا دلالة هذا النص على ظاهره؛ لوقعوا في التشبيه، كيف تعملون مع هذا النص؟ لو كان حديثا؛ لقالوا مثلا: خبر آحاد ولا نقبل بخبر آحاد لكن هذه آية ما العمل؟

قالوا العمل أحد أمرين:

- إما التأويل.

- أو التفويض.

لعلنا إن شاء الله -تعالى- في اللقاء القادم نكمل بإذن الله -تعالى- ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية من تعليقه على هذا الجانب وعلى هذه الإيرادات.

الدرس التاسع والعشرون

الإيمان بالعرش

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

نبدأ معكم يا شيخ هذا الدرس وقد أزف الرحيل، وقرُبَ هذا الكتابُ على الانتهاء، ولعلكم تُذكِّرُون الإخوةَ المتابعين بما وقفنا عليه في اللقاء الماضي.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

سيبدأ المؤلف ابتداءً من هذه الحلقة تقريرَ وتلخيصَ ما تَقَدَّمَ مما ذكره. فقد انتهت النقول التي ذكرها الشيخ والتي أخذت عندنا مجموعة من الحلقات وأخذت كمًّا لا بأس به من الكتاب مما أعطى الكتاب قوة وزَخَمًا ومكانة، وجعل له رَدَّةَ فعل عنيفة من قِبَلِ المناوئين للشيخ -رحمه الله-.

باقي عندنا حلقتان لعلنا نُكْمِلُ فيها بقية هذا الكتاب؛ فنبدأ اليوم من قول الشيخ: قلت بعد أن اختتم النقول التي ذكرها.

ولعلنا أيضا في قضية إيراد الشيخ لهذه النقول تأسيس أو تأكيد على مبدأ قضية إقامة الحجة على الآخرين بأقوالهم خصوصا.

إقامة الحجة على المخالف بقوله، ولهذا على مبدأ من فَمِك أُدِينك، فهؤلاء هم المعظمون عندكم، وتنتسبون إليهم، بل وتتبعونهم أحيانا في مسائل الفروع وفي بعض مسائل الأصول؛ فلم لا تتبعونهم في هذه المسائل التي هي محل خلاف بيننا وبينكم؟!

بسم الله الرحمن الرحيم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في فتواه:

(قلت: وليعلم السائل أن الغرض من هذا الجواب ذِكْرُ ألفاظ بعض الأئمة الذين نقلوا مذهب السلف في هذا الباب، وليس كل من ذَكَرْنا شيئا من قوله من المتكلمين وغيرهم يقول بجميع ما نقوله في هذا وغيره، ولكن الحق يُقبل من كلِّ مَنْ تَكَلَّمَ به؛ كان معاذ بن جبل يقول في كلامه المشهور عنه الذي رواه أبو داود في سننه: «اقْبَلُوا الحقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ جَاءَ به وإن كان كافرا -أو قال: فاجرا-، واحْذَرُوا زَيْغَةَ الحكيم». قالوا: كيف نَعْلَمُ أَنَّ الكَافِرَ يَقولُ الحقَّ قال: «إن على الحق نورا»، أو كلاما هذا معناه.)

اختتم الشيخ هذه النقول بهذه الجملة التي تُسَطَّرُ بماء الذهب، وسبق أن طَرَحْتَ سؤالا قلت: هل يعني هذا أن الشيخ يقول بقول هؤلاء جملة وتفصيلا الذين نقل عنهم؟

الشيخ يقول: (قلت: وليعلم السائل أن الغرض من هذا الجواب ذكر ألفاظ بعض الأئمة): يقول: أن لم أقصد الحصر، ولا ذكر جميع كلام الأئمة، والمقصود ذكر أمثلة.

(وليس كل من ذكرنا شيئا من قولهم من المتكلمين وغيرهم يقول بجميع ما نقول): لا يعني أني نقلت عن الجويني، أو عن أبي الحسن، أو عن الباقلاني أنه يقول بكل ما يقوله أهل السنة، لكن ما دام أنه قال الحق في هذه المسألة؛ فالحق يقبل ممن جاء به، وهذا غاية الموضوعيّة؛ أن تقبل الحق ممن جاء به وإن خالفك في منهجك، وإن خالفك في مذهبك، وبهذا الشكل يكون كلامك مقبولا وموضوعيًّا.

أنا لا أتعصب إلى فئة بعينها، وهذا ما نحتاجه حقيقة في أدب الحوار، وأدب التعامل مع المخالف. نحن الآن -وللأسف- يوجد طائفة منا إذا خالفت هذا الشخص أو هذه الجماعة في مسألة؛ تركت كل ما يقوله هؤلاء، وأصبحت لا ترى من هذا الشخص إلا ما هو أسود، وهذا خلاف الحق. فالحق يُقبل ممن جاء به، ولهذا قال: (وليس كل من ذكرنا شيئا من قوله من المتكلمين وغيرهم يقول بجميع ما نقوله في هذا وغيره، ولكنّ الحق يُقبل من كل من تكلم به وكان معاذ ...): استدل على ذلك بقول معاذ الذي رواه أبو داود بسند صحيح.

(فأما تقرير ذلك بالدليل وإماطة ما يَعْرِضُ من الشُّبَهِ تحقيق الأمر على وجهٍ يَخلص إلى القلب ما يبرد به من اليقين، ويقف على مواقف آراء العباد في هذه المَهَامِهِ؛ فما تتسع له هذه الفتوى، وقد كتبت شيئا من ذلك قبل هذا، وخاطبت ببعض ذلك بعض من يجالسنا، وربما أكتب إن شاء الله في ذلك ما يحصل المقصود به.)

يقول: الرسالة التي بين أيديكم هي عبارة عن فتوى، لا تحتمل عَرْضَ شبهه المخالفين، وإلا؛ فلهم شُبَهٌ، وهناك أدلة غير الأدلة التي ذكرتُها، وهناك أقوال غير الأقوال التي سقتها، لكني الآن أمام فتوى، ولا بد من الاختصار والإيجاز، ولا تحتمل الإطالة. ولهذا قال: (ربما أكتب، وسبق أن كتبتُ): ولهذا كتب لاحقا في كتابه "الأجوبة المصرية على الاعتراضات الحموية" وهو كتاب ضخم لكن لا يزال مفقودا، وحَسَبَ ما ذكره ابن القيم -رحمه الله- قريبٌ من "منهاج السنة"، وألَّفَ بعده أيضا "نقض التأسيس" الذي طبع في عشرة أجزاء. كل هذا ألَّفَه بعد "الفتوى الحموية" هو متعلق بالمسائل التي ذكرها في الحموية. فبسط الكلام، وذكر أقوال المخالفين، وذكر شُبَهَهم وناقشها بالعقل والنقل بشيء من البسط والإسهاب.

(وجِمَاعُ الأمر في ذلك: أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تتدبر كتاب الله وسنة نبيه، وقصد اتباع الحق وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه والإلحاد في أسماء الله وآياته..)

كأنه يقول: ولسنا بحاجة ماسّة إلى قول فلان وفلان وفلان حتى من السلف، يُفهم كلام الله وكلام رسوله من خلال كلام السلف. لكن يقول: إن الأصل في هذا الباب الكتاب والسنة. فالهدى والنور في الكتاب والسنة. لكن -ولا شك- لا يمكن أن نفهم الكتاب والسنة الفهم الصحيح إلا من خلال كلام الأئمة.

(ولا يحسب الحاسب أن شيئا من ذلك يناقض بعضُه بعضا ألبتة؛ مثل أن يقول القائل: ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه في الظاهر قوله تعالى: ؟ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ؟ [الحديد:٤]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا قام أحدكم إلى الصلاة؛ فإن الله قبل وجهه)، ونحو ذلك؛ فإن هذا غلط.)

هذه شبهه ما أقول افترضها الشيخ، بل هي من الشبه التي يُدْلِي بها المخالفون، ولهذا أوردها الشيخ؛ لأن أبرز شبهة يَتَمَسَّكُ بها نفاة العلو في نفيهم للعلوّ، ومن الصحيح أنتم الآن استدللتم على إثبات صفة العلو بهذه الأدلة الكثيرة، لكن ما تصنعون بالنصوص المثبتة لمعيّة الله -عز وجل- على خلقه؟! هي مناقضة لظاهر ما ذهبتم إليه ظاهر الآيات كما يزعموم.

ولهذا قالوا: إن أولتم نصوص المعية؛ كان لنا الحق أن نؤول نصوص العلو. وإن أجريتم نصوص المعية على ظاهرها؛ ناقضت نصوص العلو.

فهذه شبهه يُورِدُها هؤلاء، ولهذا ذكرها الشيخ لأهميتها وسيُجيب عنها.

هل هذه الشبهة واضحة؟

نعم.

(وذكر أن الله معنا حقيقة، وذلك أن الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة، كما جمع الله بينهما في قوله تعالى: ؟ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ؟ [الأعراف: ٥٤]، ؟ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ؟ [الحديد: ٤].

فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء، وهو معنا أينما كنا كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديث الأوعال: (والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه).)

قَعَّدَ الشيخ -أولا- بهذه القاعدة: نفي التأويل، ونفي المجاز. إثبات المعية حقيقة، وإثبات العلو والاستواء حقيقة.

كيف يكون هذا؟

وقال: (وذلك أنّ الله معنا حقيقة): ليس هناك مجاز، فتلزموننا، وتقولون: لا، أنتم أولتم فنؤول.

يقول: معنا حقيقة، والله فوق العرش حقيقة، عالٍ على الخلق حقيقة.

وجه الجمع بين ذلك سيتكلم عنه الشيخ. الآن الآية جمعت بين الاثنين؛ أثبتت الاستواء على العرش، وأثبتت المعية، فدل على أن المعية حقيقة وأن الاستواء حقيقة.

(وذلك أنّ كلمة "مع" في اللغة إذا أُطلقت؛ فليس في ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وُجوب مُمَاسَّةٍ أو محاذاة عن يمين وشمال. فإذا قُيِّدَتْ بمعنى من المعاني؛ دَلَّتْ على المقارنة في ذلك المعنى.

فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا، أو النجم معنا ويقال: وهذا المتاع معي؛ لمجامعته لك وإن كان فوق رأسك. فالله مع خلقه حقيقة، وهو فوق عرشه حقيقة.)

(

الآن محل الإشكال هي كلمة "مع". فإذا انحلّت؛ زال الإشكال.

إذا أردنا أن نرجع إلى معنى كلمة "مع" نرجع لقول من؟ الفيصل في هذا من؟

قول أهل اللغة؛ لأنّ القرآن نزل لم ينزل لا بلغة الجهم بن صفوان ولا بلغة أبي المعالي الجويني، نزل بلغة العرب، ننظر كلمة "مع" عند العرب ماذا يريدون بها؟

يريدون بها مطلق المصاحبة، والذي يُحَدِّدُ المعنى الخاص سياقُ الكلام. ولهذا أقول لك: زوجتك معك الآن؟! تقول: نعم، معي، وهي الآن في البيت، وأنت عندي هنا في الأستديو. متاعك معك؟! تقول: متاعي معي. ضيعتك معك؟! ضيعتي معي. وإن كنت في مكان وهي في مكان. وأقول: هذا الكتاب معي بين يدي.

فالذي يحدد المعنى سياق الكلام، لكن "مع" على وجه العموم في لغة العرب يُراد بها مطلقُ المصاحبة، مطلق المقارنة من غير ملامسة أو مماسة أو محاذاة، لا يلزم هذا. ولهذا تقول العرب: ما زلنا نسير والقمر معنا. والقمر في السماء وهم في الأرض.

الأمير يقول للعسكر: اذهبوا قاتلوا وأنا معكم، وهو في بيته وهم في الجبهة. يقول: أنا معكم. وكما سيذكر الشيخ أن الأب يُشرف على ابنه من مكان مرتفع يقول: لا تخف! أن معك يا بُنَيّ، وهو في مكان والابن في مكان. ولهذا تكون "مع" على حقيقتها، ولا منافاة بينها وبين نصوص العلوّ.

الجمع بين النصوص مُقَدَّمٌ على التأويل.

لا شك، إلى الآن ليس هناك تعارض لأجل أن نَلْجَأ إلى الجمع؛ لأن هذا على إطلاقه وهذا على إطلاقه، وهذا ليس بمناقضٍ لهذا، ولهذا جمع الله -عز وجل- بينهما في آية واحدة.

وكونه بدأ الآية بالعلم واختتمها بالعلم دليل على أنه أراد بالمعية -هنا- معية العلم؛ في قول الله -سبحانه وتعالى-: ؟ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ؟ [الأحزاب: ٥٠]. من الذي هاجر مع النبي -صلى الله عليه وسلم-؟

أبو بكر وابن أُرَيْك، ومع ذلك ذكر الله -عز وجل- أنهن هاجرن معك، وهن قبله أو بعده؛ فدل على أنه لا يلزم من إطلاق لفظ المعية الْمُمَاسَّة أو الْمُخَالَطَة.

(ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد، فلما قال: ؟ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ؟؛ دَلَّ ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مُطَّلِعٌ عليكم، شهيد عليكم، ومهيمن عالم بكم، وهذا معنى قول السلف: «إنه معهم بعلمه»، وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته.)

ولهذا لما سئل الإمام مالك والإمام أحمد عن هذه الآية -آية الحديد- ما معناها؟ قال: اقرأ أولها واقرأ آخرها؛ يَتَبَيَّنْ لك المعنى؛ أن المقصود هنا -المعية- معية العلم؛ لأنه افتتحها بالعلم واختتمها بالعلم.

(وكذلك في قوله: ؟ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ؟ [المجادلة: ٧]، إلى قوله: ؟ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ؟ [المجادلة: ٧].

ولما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لصاحبه في الغار: (لا تحزن؛ إن الله معنا) كان هذا -أيضا- حقا على ظاهره، ودلت الحال على أن حكم المعية هنا -مع الاطلاع- النصر والتأييد.)

)

ولهذا قلنا: إن المعية -كما سبق الكلام- قسمان:

- معية عامة: معناها الاطلاع والإحاطة.

- معية خاصة: ومعناها التأييد والنصر.

فهنا (لا تحزن؛ إن الله معن)، ؟ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ؟ [طه: ٤٦]، ؟ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ؟ [النحل: ١٢٨]، هذه معية خاصة. أما: ؟ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ؟؛ فهذه هي المعية العامة.

(وكذلك قوله: ؟ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ؟، وكذلك قوله لموسى وهارون: ؟ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ؟، هنا المعية على ظاهرها، وحكمها في هذا الموطن النصر والتأييد.

وقد يَدخل على صبيٍّ من يُخيفه فيَبكي فيُشرف عليه أبوه مِنْ فوق السّقف ويقول: لا تخف؛ أنا معك، أو أنا حاضر، ونحو هذا؛ ينبه على المعية الموجبة بحكم الحال دفع المكروه، ففَرْقٌ بين معنى المعية وربما صار مقتضاها من معناها فتختلف باختلاف المواضع.

فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضعَ يقتضي في كل موضع أمورا لا يقتضيها في الموضع الآخر؛ فإما أن تختلف دلالاتها بحسب المواضع، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها وإن امتاز كل موضع بخاصية؛ فعلى التقديريْن ليس مقتضاها أن تكون ذاتُ الرّبّ مختلطةً بالخلق حتى يُقال: قد صُرفت عن ظاهرها.)

)

مقتضى المعية هنا لا تدل على أن الله -عز وجل- مختلط ممتزج بالخلق، فإذا فسرنا المعية هنا بالعلم؛ قيل: إنكم صرفتم اللفظ عن ظاهره.

ليس هذا هو ظاهر النص، التأويل عندكم صرف النص عن ظاهره، ونحن هنا نقول: لم يُصرف النص عن ظاهره، بل هذا هو ظاهره.

(ونظيرها من بعض الوجوه الربوبية والعبودية؛ فإنها وإن اشتركت في أصل الربوبية والتعبيد فلما قال رب العالمين: ؟ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ؟ الأعراف: ١٢٢]، كانت ربوبية موسى وهارون لها اختصاص زائد على الرّبوبية العامة للخلق، فإن من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره فقد ربَّه وربَّاه وربوبيته وتربيته أكمل من غيره.)

الربوبية: ربوبية عامة لجميع الخلق، وخَصَّهَا هنا بربوبية موسى وهارون، فهذه لها معنى وتلك لها معنى.

(وكذلك قوله: ؟ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ؟ [الإنسان: ٦]، و؟ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ؟ [الإسراء: ١]، فإن العبد -تارة- يُعنى به الْمُعَبَّدَ فيَعُمُّ الخلق؛ كما في قوله: ؟ إن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ؟ [مريم: ٩٣]، وتارة يُعنى به العابدُ فيُخَصّ، ثم يختلفون فمن كان أعبد علما وحالا؛ كانت عبوديته أكمل، فكانت الإضافة في حقه أكمل، مع أنها حقيقة في جميع المواضع.)

العبودية قَسَّمَها أهل العلم إلى قسمين:

- عبودية عامة.

- عبودية خاصة.

العبودية العامة: هي عبودية الْمُلْكِ والقهر، وهذه عامة لجميع الخلق: ؟ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ؟، الكل تحت عبودية الله، الكل تحت قهر الله، الكل تحت ملك الله -عز وجل-.

لكن هناك عبودية خاصة، وهي: عبودية الطاعة، عبودية الاستجابة، هذه خاصة لبعض العباد، وتختلف فيما بينهم، فكلما كان الإنسان أكثر طاعة لله؛ كان أَعْبَدَ لله -عز وجل-، ولهذا وصف الله -عز وجل- عموم المؤمنين: ؟ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ؟، ووصف النّبيّ -صلى الله عليه وسلم- بالعبودية؛ فقال: ؟ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ؟، و؟ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ ؟، ؟ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ ؟ [الكهف: ١]، هل عبودية النبي -صلى الله عليه وسلم- مثل عبودية سائر العباد؟ لا، ولهذا تختلف.

(ومثل هذه الألفاظ يُسَمِّيها بعض الناس مُشَكِّكَةً؛ لتشكيك المستمع فيها هل هي من قبل الأسماء المتواطئة أو من قبل المشتركة في اللفظ فقط؟.)

هذه من المصطلحات هذه الألفاظ: الرب، العبد، المعية، أيضا في الأسماء والصفات هل هي من قبيل ....، هي مشككة اصطلاح منطقي مشكك قالوا: عبارة عما يدل على أشياء فوق واحد باعتبار معنى واحد، يختلف فيما بينها بشدة أو ضعف إلى آخره، أو تقدم أو تأخر. هل هي من قبيل المتواطئ؟ والمتواطئ: ما دل على أعيان متعددة بمعنى مشترك؛ مثل: عين، عفوا! هذا المشترك اللفظي. مثل: البياض بالنسبة للثلج، والعاج، النور بالنسبة للشمس والسراج.

النور لفظ متواطئ؛ يُطلق على نور الشمس نور، ويطلق على نور السراج، ونور الشمعة نور. أم لا؟ هل هما سواء؟

لا، فهذه ألفاظ متواطئة مشتركة في معنًى عام.

إنسان، أنا إنسان، وأنت إنسان، وهذا الطفل إنسان، وهذا المريض إنسان، نَشترك في معنى الإنسانية، لكن نختلف فيما بيننا. المرأة إنسان والرجل إنسان، لكن هل المرأة مثل الرجل؟ لا. هل الطفل مثل البالغ؟ لا.

أما المشترك اللفظي؛ فهو ما اتحد لفظه واختلف معناه؛ مثل: عين. العين الجارحة، والعين الجارية، وعين الجاسوس.

المشتري قد يُطلق على الكوكب، وقد يطلق على المبتاع.

سُهيل قد يُطلق على سهيل بن عمرو، وقد يُطلق على النجم.

هذه تُسَمَّى مشتركا لفظيا؛ اللفظ واحد، لكن المعنى متباين.

أما المتواطئ؛ فالمعنى العام واحد، لكنه يختلف في أفراده فيما بينهم شدة وضعفا، فيجمعها معنى عام.

هذه الألفاظ اختلف فيها المناطقة: هل هي من قبيل المتواطئ أم من قبيل المشترك اللفظي؟

الصحيح أنها من قبيل المتواطئ.

(والمحققون يعلمون أنها ليست خارجة عن جنس المتواطئة؛ إذ واضع اللغة إنما وضع اللفظ بإزاءِ الْقَدْرِ المشترك، وإن كانت نوعا مختصا من المتواطئة؛ فلا بأس بتخصيصها بلفظ.)

واضع اللغة يعني لو لم يكن هناك قدر مشترك.. مثلا: أنت إنسان، وأنا إنسان، وزيد إنسان، وفاطمة إنسان. هناك قدر مشترك، ما هو القدر المشترك الذي يجمعنا؟

الإنسانية. كلنا نرجع إلى أنّا إنسان. لكن ربما هذا مريض، وهذا صحيح، وهذا ذكي، وهذا غبي، وهذا طويل، وهذا قصير، وهذا طفل، وهذا كبير. فلا بد من وجود اللفظ المتواطئ ليُفهم اللفظ، يعني الشارع الحكيم لَمَّا جـاء وأَرَادَ أن يُعَبِّرَ عن أسمائه وصفاته لا بد أن يختار من الألفاظ المفهومة عندنا بالمعنى العام. لماذا؟ لأجل أن نفهم هذا الكلام الذي جاء به، وإلا؛ فلا يكون له معنى.

ولهذا قال هنا: (إذ واضع اللغة إنما وضع اللفظ بإزاء القدر المشترك): لا بد من وجود قدر مـشترك لـيُفهم اللفظ، وإلا؛ فاللفظ ليس له قيمة.

لكن قولك – يا شيخ!– إن المتكلمين يريدون المشترك في اللفظ فقط ماذا يهدفون من هذا؟

يهدفون من هذا أن الله –عز وجل– إذا قال: ؟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَان ؟ [المائدة: ٦٤]، ليست اليد التي تبادرت في ذهنك ولا واحد في المليون اليد معنى بعيد جدا.

كالعين مثلا.

كالعين قالوا: هذا مشترك لفظي فقط في اللفظ في العين والياء والنون، لكن المعنى فوق ما تتصور.

ولهذا؛ فهذه المسألة من أهم المسائل التي لو سَلَّمَ بها المخالف؛ لضاقت دائرة الخلاف بشكل كبير جدا –مسألة هذه الألفاظ هل هي من قبيل المشترك اللفظي أو من قبيل المتواطئ؟– لو سلموا لنا أنها من قبيـل المتـواطئ؛ لانْحَلَّ كثير من الإشكال.

لكن هل لهم مستند من اللغة؟

لا، غالبا لا يرجعون، ولكن يرجعون إلى عقولهم لو رجعوا إلى اللغة؛ لأنار الله بصائرهم؛ لأن القرآن نـزل بلغة العرب. والمشكلة أنهم يعتمدون على عقولهم، وعلى تلك المصطلحات التي أخذوها من المناطقة والفلاسفة – فلاسفة اليونان–.

(ومن علم أن المعية تُضاف إلى كلّ نوع من أنواع المخلوقات كإضافة الربوبية مثلا، وأن الاسـتواء علـى الشيء ليس إلا للعرش، وأن الله يُوصف بالعلو والفوقية الحقيقة، ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط لا حقيقـة ولا مجازا؛ علم أن القرآن على ما هو عليه من غير تحريف.

ثم من تَوَهَّمَ أنّ كون الله في السماء بمعنى أن السماء تُحيط به وتحتويه؛ فهو كاذب إنْ نقله عن غيره، وضالٌّ إن اعتقده في ربه. وما سمعنا أحدا يَفهمه من اللفظ، ولا رأينا أحدا نقله عن أحد. ولو سُئل سائر المسلمين: هـل تفهمون من قول الله –تعالى– ورسوله: إنَّ الله في السماء أنَّ السماء تحتويه؛ لبادر كلُّ أحد منهم إلى أن يقـول: هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا.)

(

وهذا من الإيرادات التي يوردوها نفاة العلو –وسبق أشرنا إليه– قالوا: إن نصوص العلو منقوضة أيضا بقول الله –عز وجل–: ؟ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ؟ [الملك: ١٦]، قول النبيّ –صلى الله عليه وسلم: (ربنا الله الذي فـي

السماء) هل معنى هذا أن السماء تحتويه؟! أجاب الشيخ؛ قال: ما يتبادر إلى ذهن أحد أن هذا هو ظاهر الآية وهذا معنى الآية، وإن نقله عن غيره؛ فهو كاذب وإن اعتقده في ربه فهو؛ جاحد.

(وإذا كان الأمر هكذا؛ فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئا مُحالا لا يَفهمه الناس منه، ثم يريد أن يَتَأوَّله، بل عند المسلمين أنَّ الله في السماء وهو على العرش واحد؛ إذ السماء إنما يُراد به العلو. فالمعنى: أن الله في العلو لا في السفل، وقد علم المسلمون أنّ كرسيّه سبحانه وسع السماوات والأرض، وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وأن العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته؛ فكيف يُتَوَهَّمُ –بعد هذا– أنّ خلقا يَحصره ويَحويه؟! وقد قال سبحانه: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه: ٧١]، وقال تعالى: ﴿ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، بمعنى "على" ونحو ذلك. وهو كلام عربي حقيقة لا مجازا، وهذا يعلمه من عرف حقائق معاني الحروف، وأنها متواطئة في الغالب لا مشتركة.)

يقول: (وإذا كان الأمر هكذا؛ فمن التكلف أن يجعل): يقول الشيخ: هؤلاء جعلوا ظاهر قول الله –عز وجل–: ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ﴾ جعلوا ظاهرها دالة على أن السماء تحويه، ولهذا قالوا: يلزمنا التأويل هنا. يقول: هذا من التكلف، وهذا من الباطل. من قال: إن هذا ظاهر النص حتى يحتاج إلى تأويلك الباطل؟! فالسماء في اللغة إما أن يراد بها العلو فيكون: ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ﴾ أأمنتم من في العلو، وإما أن "في" هنا بمعنى "على" أأمنتم من على السماء، والدليل على ذلك قول الله –عز وجل: ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾: لأصلبنكم على جذوع النخل، ﴿ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ فسيروا على الأرض.

(وكذلك قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (إذا قام أحدكم إلى الصلاة؛ فإن الله قِبَلَ وجهه، فلا يبصق قبل وجهه)، الحديث حق على ظاهره، وهو سبحانه فوق العرش، وهو قِبَل وجه المصلي. بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات؛ فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء، ويناجي الشمس والقمر؛ لكانت السماء والشمس والقمر فوقه، وكانت –أيضا– قِبَلَ وجهه.)

هذا الحديث في الصحيحين وهو مما اعترض به هؤلاء أنّ هذا مما يُنافي صفة العلو وأدلة العلو، يقول الشيخ: (هذا على ظاهره وحق على حقيقته)، وضرب هذا المثال: الآن لو أن الإنسان يخاطب القمر؛ أليس هو قبل وجهه أم لا؟ السماء أليست قبل وجهه؟! وهي عالية عليه فوقه.

(وقد ضرب النبي –صلى الله عليه وسلم– المثل بذلك –ولله المثل الأعلى–، ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا وإمكانه، لا تشبيه الخالق بالمخلوق؛ فقال النبي –صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحد إلا سيرى ربه مخليا به)، فقال له أبو رزين العُقَيْلِيّ: كيف يا رسول الله! وهو واحد ونحن جميع؟! فقال النبي –صلى الله عليه وسلم: (سأنبئك مثل ذلك في آلاء الله؛ هذا القمر كلكم يراه مخليا به وهو آية من آيات الله فالله أكبر) أو كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–.)

وهذا مثال ضربه النبي –صلى الله عليه وسلم– لتقريب المعنى لأبي رزين وغيره من الأمّة، أن الإنسان يخلو بالله –عز وجل– ولا يكون هناك ضيم، ولا ضيق، ولا شدة كما هي الحال الآن مع القمر؛ كل منا يخلو بالقمر –ولله المثل الأعلى– وربما يشاهده في اللحظة الواحدة ملايين من الناس.

(وقال: (إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر)، فشبه الرؤية بالرؤية وإن لم يكن المرئي مشابها للمرئي. فالمؤمنون إذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه كل يراه فوقه قبل وجهه كما يرى الشمس والقمر، ولا منافاة أصلا. ومن كان له نصيب من المعرفة بالله والرسوخ في العلم بالله يكون إقراره بالكتاب والسنة على ما هما عليه أوكدَ.

واعلم أن من المتأخرين من يقول: مذهب السلف إقرارها على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مُراد.

وهذا لفظ مجمل؛ فإن قوله: ظاهرها غير مراد يُحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين؛ مثل أن يراد أن يكون الله قبل وجه المصلي أنه مستقر في الحائط الذي يُصلي إليه، وأن الله مَعَنَا ظاهرُه أنه إلى جانبنا، ونحو ذلك؛ فلا شك أن هذا غير مراد.)

)

هذه المسألة من المسائل الكبار، ونقاشها الشيخ في غير هذا الموضع هل ظاهر النصوص مراد أم ليس بمراد؟

أولا: ما هو ظاهر النص؟

ظاهر النص: المعنى القريب الذي يتبادر إلى الذهن. خذ على سبيل المثال: قول الله -عز وجل-: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ المعنى القريب الذي يتبادر إلى الذهن هل هو مراد لله لما جاء بهذا النص أراد هذا المعنى أم أراد معنى بعيدا؟

الشيخ يقول: مسألة ظاهر النص مراد أو ليس مراد هذه من الألفاظ المجملة، لا بد فيها من التفصيل. يقول: (واعلم أن من المتأخرين من يقول: مذهب السلف إقراره على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد) هذا الكلام ليس على إطلاقه. يقول: (وهذا لفظ المجمل)، ولهذا بدأ الشيخ يُفصِّل يقول: (فإن قوله ظاهرها غير مراد يَحتمل أن يكون الظاهر نعوت المخلوقين): ظاهر النص هو صفات المخلوقين، وتبادر إلى الذهن صفة المخلوقين.

لا شك أن هذا المعنى، ولهذا الشيخ دقيق في العبارة قال: (فلا شك أن هذا غير مراد) لم يقل: ظاهر النص غير مراد قال: هذا المعنى غير مراد هذا المعنى الذي ظهر لك، لكن ينبغي كما ذكر التدمرية قال: ينبغي أن يعتقد أن هذا ليس بظاهر النص، ويُنَزَّهُ الله -عز وجل- ويُنَزَّهُ رسوله أن يكون ظاهر كلامهما لا يظهر منهما إلا الكفر؛ لأن إذا كان ظاهره التمثيل؛ فظاهره الكفر. فهذا المعنى الذي ذكرته أنت ليس مرادا لكن ليس هذا هو ظاهر النص، من قال لك: إن هذا ظاهر النص؟ ولهذا يفصل الشيخ يقول: أنت تريد إن هذا المعنى غير ظاهر. يقول: (ومن قال إن مذهب السلف).

(ومن قال إن مذهب السلف أن هذا غير مراد؛ فقد أصاب في المعنى، لكن أخطأ في إطلاق.)

ما هو الذي غير مراد؟

التمثيل. هذا هو مذهب السلف تمثيل ليس هو ظاهر النص، لكن ما كانوا يقولون: هذا ظاهر النص كي يحتاج إلى تأويل، مرادهم إذا جعلوا أن هذا ظاهر النص قالوا: إذن ظاهر النص يحتاج إلى تأويلٍ؛ لأجل أن نُبْعِدَ هذا المعنى الفاسد. نقول: ظاهر النص ليس هذا هو المعنى الفاسد فلا يحتاج إلى تأويل.

(ومن قال: إن مذهب السلف أن هذا غير مراد؛ فقد أصاب في المعنى لكن أخطأ في إطلاق القول بأن ظاهر الآيات والأحاديث؛ فإن هذا هو المحال، ليس هو الأظهر على ما قد بَيَّنَّاه في غير هذا الموضع؛ اللهم إلا أن يكون هذا المعنى الممتنع صار يظهر لبعض الناس، فيكون القائل لذلك مصيبا بهذا الاعتبار، معذورا في هذا الإطلاق.)

نُشير إلى المقصود بأسماء الإشارة:

(اللهم إلا أن يكون هذا المعنى) أي معنى؟ التمثيل.

(صار يَظهر لبعض الناس): ليس كل إنسان أعطاه الله -عز وجل- العلم الذي يَفهم به النصّ، بعض الناس قد يُلَبَّسُ عليه فَيَتَبَادَرُ إلى ذهنه أن ظاهر هذا النص هو التمثيل.

يقول الشيخ: (فيكون القائل: ظاهر النص غير مراد مصيبا بهذا الاعتبار): كونه ظهر من النص لهذا الشخص التمثيلُ؛ فهو مصيب أن هذا المعنى غير مراد.

(معذورا في هذا الإطلاق): كونه ما فهم من النص إلا التمثيل، لكن الصحيح والحقيقة أن ظاهر النص ليس هو التمثيلَ.

لكنْ لم يعنف على هذا المعنى، هل وجد له عذرًا؟

يُلتمس له العذر، لكن يُعنف عليه أن يقول: إن هذا مذهب السلف، أو إن هذا هو ظاهر نصوص الصفات. يقال له: لا، هذا افتراء على الله -عز وجل-.

(فإن الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس، وهو من الأمور النسبية. فالأحسن من هذا أن يُبَيَّنَ لمن اعتقد أن هذا ليس هو الظاهرَ حتى يكون أعطى كلام الله وكلام رسوله حقَّه لفظا ومعنى.)

يعني لو جاءنا إنسان وقال: ظاهر النص مراده غير مراد؛ قلنا له: ما مرادك بظاهر النص؟ قال: ظاهر النص التشبيه والتمثيل، قلنا له: هذا المعنى ليس مرادا، لكن ليس هذا هو ظاهر النص، ظاهر النص إثبات حقيقة الصفة لله -عز وجل- بهذا الشكل أعْطَيْنَا كلام الله وكلام رسوله حقه لفظا ومعنى، فقلنا: ظاهرها مراد وظاهرها الوجه اللائق به سبحانه وتعالى.

(وإن كان الناقل عن السلف أراد بقوله الظاهر غير مراد عندهم أن المعاني التي ظهرت من هذه الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته لا يَختص بصفة المخلوقين؛ بل هي واجبة لله أو جائزة عليه جوازا ذهنيا أو جوازا خارجيا غير مراد؛ فقد أخطأ فيما نقله عن السلف أو تَعَمَّدَ الكذب؛ فما يمكن أحد قط أن ينقل عن واحد من السلف ما يَدُلُّنا نصا ولا ظاهرا أنهم كانوا يعتقدون أن الله ليس فوق العرش ولا أن الله ليس له سمع وبصر ويد حقيقة.)

الشخص الثاني الذي نقل عن السلف الذي قال: إن السلف يقولون: ظاهر النصوص غير مراد. نقول له: ما هو ظاهر النصوص عندك؟

يقول: ظاهر النصوص الصفة الحقيقية. نقول: هذا كذب وافتراء على السلف أنهم قالوا: إن هذا غير مراد، بل هذا هو الذي أثبته السلف.

أدركت معي -يا شيخ!-الفرق بين هذا والذي قبله؟ الذي قبله ظاهر النصوص قال: غير مراد وظاهره عنده التشبيه، هذا أخطأ في المعنى. هذا قال: ظاهر النص غير مراد. قلنا له: ما هو ظاهر النص؟ قال: ظاهرُ النصّ عند السلف هو الصفة الحقيقية، فنقول: أنت أخطأت في اللفظ والمعنى، واتهمت السلف كذبا وزورا أنهم يقولون: إن هذا غير مراد. نعم، السلف يقولون: إن هذا هو ظاهر النص. لكن ما كان يقولون: إن هذا غير مراد، ولهذا

يقول الشيخ: (فمن تتبع كلام السلف)؛ ما يجد -أبدا- أن أحدهم نفى صفة من الصفات، أو نفى دلالة آية من الآيات على هذه الصفة).

(وقد رأيت هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف ويقول: إن طريقة أهل التأويل هي في الحقيقة طريقة السلف، بمعنى أن الفريقين اتفقوا على أن هذه الآيات والأحاديث لم تدل على صفات الله -سبحانه-، ولكن السلف أمسكوا عن تأويلها، والمتأخرون رأوا المصلحة تأويلها لمَسِيسِ الحاجة إلى ذلك، ويقول: الفرق أن هؤلاء يُعَيِّنُون المراد بالتأويل وأولئك لا يعينون لجواز أن يُراد غيره.)

ولهذا عادت كلمتهم الأولى من جديد -طريقة السلف أسلم وطريقة..-، وهؤلاء لم يفهموا -أصلا- مذهب السلف، جُهَّالٌ بمذهب السلف، فقالوا: أبدا، مذهب السلف والخلف سواء، السلف والخلف مُتفقون على أنَّ هذه النصوص لا تدل على صفة لله -عز وجل-. ما هو الفرق بين السلف والخلف؟ ما هو الفرق بين المتقدمين والمتأخرين؟ قالوا: السلف أمسكوا، وفوضوا المعنى إلى الله. والخلف أولوا، ورَأَوْا أن هناك حاجة للتأويل، والناس محتاجون للتأويل (لمسيس الحاجة إلى ذلك).

اتهامهم بأنهم ظاهر النص غير مراد أم ليس له علاقة في هذا الجانب قضية إن السلف..

لا، هو يريد أن يُبَيِّنَ أن هناك من يَتَّهِمُ كما أن هؤلاء اتهموا السلف أنهم قالوا: ظاهر النصوص غير مراد وظاهر النصوص هي إثبات حقيقة الصفة يقول: أيضا هناك من اتهم السلف أنهم يوافقون الخلف في نفي هذه الصفات عن الله، وإنما الفرق بينهم وبين الخلف أنّ السلف لما قرؤوا هذه النصوص؛ ما أوَّلوها وأمسكوا عن التأويل. أما الخلف؛ فقالوا: لا، لا بد من التأويل، ولا بد من إمعان النظر لمسيس الحاجة، وإلا؛ فالكل متفق على عدم إثبات الصفة لله -عز وجل-. يقول: (هذا كذب واتهام للسلف، ليس هذا هو مذهبهم)، والسلف مخالفون للخلف جملة وتفصيلا.

شبهة ثانية.

الشبهة الثانية.

(وهذا القول على الإطلاق كذب صريح على السلف. أما في كثير من الصفات؛ فقطعا؛ مثل: أن الله فوق العرش، فإن من تأمل كلام السلف المنقول عنهم الذي لم يُحْكَ هنا عُشْرُه؛ علم -بالاضطرار- أن القوم كانوا مصرحين بأن الله فوق العرش حقيقة، وأنهم ما اعتقدوا خلاف هذا قط، وكثير منهم قد صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك.

والله يعلم أني -بعد البحث التام ومطالعة ما أمكن من كلام السلف- ما رأيت كلام أحد منهم يدل -لا نصا، ولا ظاهرا، ولا بالقرائن- على نفي الصفات الخبريّة في نفس الأمر، بل الذي رأيته أن كثيرا من كلامهم يدل -إما نصا وإما ظاهرا- على تقرير جنس هذه الصفات، ولا أنقل عن كل واحد منهم إثبات الصفة، بل الذي رأيته أنهم يُثبتون جنسها في الجملة، وما رأيت أحدا منهم نفاها، وإنما ينفون التشبيه، وينكرون على المشبهة الذين يُشَبِّهُون الله بخلقه مع إنكارهم على مَنْ نفى الصفات؛ كقول نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري: «من شبه الله بخلقه؛ فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه؛ فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها».)

)

يقول الشيخ: إني بعد البحث التام ما وجدت ومطالعة ما أمكن وذكر في بعض الكتب أنه قرأ أكثر من مائة تفسير، يقول: ما وجدت لأحد منهم كلاما يخالف ما ذكر هنا لا نصا ولا ظاهرا. يقول: لن تجد لكل واحد منهم كلاما في كل الصفات، قد يقول قائل -من باب التعنت-: أعطني كلام نعيم بن حماد في إثبات صفة المجيء لله -عز وجل- قد لا تجد له، لكن تجد إثبات صفة النزول، النزول من جنس المجيء أم لا؟! كلاهما صفة فعلية.

ولهذا قال الشيخ: (بل الذي رأيته أن كثيرا من كلامهم يدل إما نصّا وظاهرا على تقرير جنس هذه الصفة.) فإذا أثبت أحدهم صفة اليدين علمت أنه سيثبت صفة الوجه، ولو لم ينص على ذلك؛ لأن الطريقة واحدة، والدليل واحد، والاستدلال واحد، فهم أثبتوا جنس هذه الصفة، لكن لم يُنقل عن أحد منهم -لا نصا ولا ظاهرا- خلاف ما قرره هو -رحمه الله- هنا وفي غيره، وإنما الذي أنكره السلف -ما أنكروا أثبتوا إثبات الصفات- أنكروا التشبيه، وصاحوا بالمشبهة، ولهذا قال نعيم بن حماد: «وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها»؛ كوني أثبت هذه الصفات ليس تشبيها، إنما المشبِّه أن تُثبت لله شيئا من خصائص المخلوق، أو تثبت للمخلوق شيئا من خصائص الله، وهذا ضابط ينبغي أن نَتَنَبَّهَ له: التشبيه المنفي عن الله -سواء في نصوص الكتاب والسنة أو في نصوص السلف- هو أن يُثبت للخالق أو المخلوق شيء من خصائص الآخر. الشيء الذي يختص به الخالق تنسبه للمخلوق، هذا التشبيه أو شيء مما يختص به المخلوق تنسبه للخالق.

(وكانوا إذا رأوا الرجل قد أغرق في نفي التشبيه من غير إثبات الصفات؛ قالوا: جهمي مُعَطِّل، وهذا كثير جدا في كلامهم؛ فإن الجهمية والمعتزلة -إلى اليوم- يُسَمُّون من أثبت شيئا من الصفات مشبها كذبا منهم وافتراء، حتى إن منهم من غلا ورمى الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- بذلك، حتى قال ثُمامة بن أشْرَس من رؤساء الجهمية: «ثلاثة من الأنبياء مشبهة: موسى؛ حيث قال: ؟ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ؟ [الأعراف: ١٥٥]، وعيسى؛ حيث قال: ؟ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ؟ [المائدة: ١١٦]، ومحمد؛ حيث قال: (ينزل ربن)».

وحتى إن جُلَّ المعتزلة تُدخل عامة الأئمة؛ مثل مالك وأصحابه، والثوري وأصحابه، والأوزاعي وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وإسحاق بن رهوايه، وأبو عُبَيْد، وغيرهم في قسم المشبهة، وقد صنف أبو إسحاق...)

)

الشيخ يقول: السلف -رحمهم الله- كانوا إذا رأوا الرجل أغرق في نفي التشبيه وليس عنده إثبات: الله ليس بكذا؛ سموه معطلا، سموه جهميا.

وبالطبع المعطلة عندهم: من أثبت لله شيئا من الصفات؛ فهو مشبه، ولهذا لاحظ كيف أن المعتزلة أدخلوا كبار الأئمة وأتباعهم في المشبهة والأنبياء؛ كما قال ثمامة بن أشرس: «ثلاثة من الأنبياء مشبهه: ...» هذا من الغلو والجفاء.

(وقد صنف أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن درباس الشافعيّ جزءا أسماه: «تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة»، وذكر فيه كلام السلف وغيرهم من معاني هذه الألقاب، وذكر أهل البدع كل صنف منهم يُلقب أهل السنة بلقب افتراه يَزعم أنه صحيح على رأيه الفاسد، كما أن المشركين كانوا يلقبون النبي -صلى الله عليه وسلم- بألقاب افتروها.

فالروافض تسميهم نواصب، والقدرية يسمونهم مجبرة، والمرجئة يسمونهم شُكَّاكًا، والجهمية تُسميهم مشبهة، وأهل الكلام يسمونهم حشوية، ونوابت، وغثاء، وغثرا..

إلى أمثال ذلك كما كانت قريش تسمي النبي –صلى الله عليه وسلم– تارة مجنونا، وتارة شاعرا، وتارة كاهنا، وتارة مفتريا.)

(

لا شك هذه الطوائف كل طائفة، كما أن الآن الجهمية لاحظ يقول: (يسمون أهل السنة مشبهة)، كل طائفة تسمي وتطلق على أهل السنة الشيء الذي ضد مذهبها، ولهذا ذكر الشيخ أمثلة في نقله عن أبي إسحاق إبراهيم بن عثمان بن درباس المتوفي في القرن السابع، وأصل هذا الكلام منقول قبل هذا، نقله عن الإمام أحمد وغير الإمام أحمد أنهم يلقبون أهل السنة بهذه الألقاب من أجل تنفير الناس. فخذ على سبيل المثال، وهذه علامة الإرث الصحيح، قريش لما أرادت أن تُنَفِّرَ عن النبي –صلى الله عليه وسلم– بماذا وصفته؟

كاهن، مجنون.

بهذه الألفاظ التي تنفر منها الطباع: كاهن، مجنون، كذاب، شاعر، متمرد على آبائه وأجداده. إذن الناس ينفرون منه.

فهؤلاء بدؤوا يُلْصِقُون بأهل السنة هذه الألقابَ، لكن هذا يدل على أنهم على الحق؛ لأن هذه علامة الإرث الصحيح.

هل من الممكن أن تكون هذه الألقاب من باب المقابلة سميتم روافض؟

لا، هم ليس المقصود، هم سموا أهل السنة ابتداء، فهم سموه بناء على اعتقادهم، ولهذا الرافضة لماذا سَمَّتْ أهل السنة ناصبة؟

لأن عندهم معادلة باطلة، معادلة خاطئة أن من أَحَبَّ أبا بكر وعمر؛ فقد أبغض عليًّا، ومن أبغض عليًّا؛ فهو ناصبيّ.

نحن نقول: من أبغض عليًّا؛ فهو ناصبي، لكن لا يلزم منه أن من أحب أبا بكر وعمر أن يكون قد أبغض عليًّا، هذه المقدمة عندهم. مثلا: الروافض تسميهم نواصب بناء على هذه القاعدة، القدرية يسمونهم مجبرة؛ لأن عندهم –القدرية–: من أثبت لله –عز وجل– خلقا لأفعال العباد مشيئة؛ فهو جبري. هذا غلط المرجئة يسمونهم شكاكا. لماذا سموهم شكاكا؟

لأن أهل السنة يُجيزون وليس –أيضا– بإطلاق أن الإنسان يقول: أنا مؤمن إن شاء الله. قالوا: هذا شك، ولهذا يسمونهم شُكَّاكًا. هم يقولون: لا بد أن تجزم؛ تقول : أنا مؤمن حقًّا.

الجهمية تسميهم مشبهة، وأهل الكلام الذين منهم الأشاعرة: حشوية بمعنى أهل حشو كلام، وليس عندهم أصول، ونوابت؛ أي صغار ما عندهم ذاك التقعُّر والتبحُّر في هذه المقدمات.

وغثاء وغثرا: الغثاء والغثرا: الجهال وعامة الناس.

إلى أمثال ذلك كما كانت قريش تمسي النبي –صلى الله عليه وسلم تارة مجنونا وتارة شاعرا. ويدور الزمان دورته والآن تسمع الذي يريد أن ينفر من السنة ماذا يقول؟ الشخص المتبع السنة متزمت متطرف، حتى نسبوا التطرف لكل المسلمين لأجل التنفير من الإسلام، فهذه علامة الإرث الصحيح.

دائما إذا أراد العدو التنفير من أهل الحق؛ ألصق بهم تلك التهم والشبه التي تنفر منها الطبائع عادة.

لعلنا نقف عند هذه المقولة: (قالوا: وهذا علامة الإرث الصحيح والمتابعة التامة..)، وبإذن الله –تعالى– نبدأ بها الدرس القادم؛ لأنه خاتمة هذه الدروس المباركة في هذا الكتاب.

الدرس الثلاثون

تابع الإيمان بالعرش

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

لعلك يا شيخ -ونحن في ختام هذا الدرس المبارك والذي كما ذكرت قبل قليل نختم به هذا الكتاب بمشيئة الله تعالى- تُذَكِّرُ الإخوة بالموقف الذي وقفناه في نهاية الدرس الماضي.

توقفنا في اللقاء السابق على كلام أبي إسحاق إبراهيم بن عثمان بن دِرْبَاس الشافعيِّ، المتعلق بأن أعداء أهل السنة كُلٌّ يلقب أهل السنة بضد ما يعتقدون؛ فالروافض تطلق عليهم ناصبة، والجهمية يطلقون عليهم مجسمة، مشبهة، والجبرية يطلقون عليهم شكاكا، والقدرية يطلقون عليهم جبرية وهكذا.

وبما أنك أشرت إلى أن أهل الكلام يسمون أهل السنة بالحشوية هناك سؤال لعلنا نبدأ به، تقول الأخت:

ألمحتَ إلى قصة الإخوة الثلاثة في مسألة القدر؛ فما هي هذه القصة؟

قصة الإخوة الثلاثة -باختصار- هي حين اعْتُرِضَ على أبي علي الجبائي -وهو من المعتزلة- ويقول بنفي القدر نفي أن الله -عز وجل- خلق أفعال العباد. فسأله سائل: إذا مات ثلاثة إخوة أحدهم مات على الإيمان، والآخر على الكفر، والثالث مات صغيرا لم يبلغ الحلم. فاحتج الكافر والصغير على الله -عز وجل-، والمسألة متعلقة بالاعتراض على القدر.

فأجاب الجبائي بما يتوافق مع مذهبه فتبين لأبي الحسن أن أبا علي الجبائي زوج أمه ليس على جادة صحيحة فترك مذهبه.

كان زوج أمه؟

نعم.

نستأذنكم في قراءة هذا المتن.

بسم الله الرحمن الرحيم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في فتواه:

(قالوا: وهذا علامة الإرث الصحيح والمتابعة التامَّة، فإنَّ السنة هي ما كان عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اعتقادا واقتصادا، وقولا وعملا؛ فكما أن المنحرفين عنه يُسَمُّونه بأسماء مذمومة مكذوبة وإن اعتقدوا صدقها بناء على عقيدتهم الفاسدة، فكذلك التابعون له على بصيرة الذين هم أولى الناس به في المحيا والممات، باطنا وظاهرا.)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

الشيخ هنا يقول: اتهام أهل السنة بهذه التهم هذا دليل على أنهم على الحق وعلى الإرث الصحيح؛ لأن هذه سنة الله -عز وجل- في عباده المؤمنين، فأعداء الأنبياء اتهموا الأنبياء بهذه التهم لتنفير الناس منهم، فآخرهم وأفضلهم ومُقَدَّمُهم وسيدهم نبيُّنا -عليه الصلاة والسلام- اتهمه قومه بأنه ساحر، كاهن، مجنون، كذاب لأجل التنفير.

يقول: (فهذه علامة الإرث الصحيح): فهذا لا يُؤَثِّرُ على المسلم إذا كان واثقا من منهجه ومن طريقته فلا يتأثر، ولهذا قال الشاعر:

لا يضر البحر أمسى زاخرا*** أن رمى فيه غلام بحجر

ويقول الآخر:

تقول هذا جنى النحل تمدحه***وإن تشأ؛ قلت: ذا قيء الزنابير

مدحا وذما وما جاوزت وصفهم***والحق قد يعتريه سوء تعبير

ولهذا ابن القيم -رحمه الله- يقول:

إن كان تجسيما ثبوت استوائه ***على عرشه؛ إني -إذن- لمجسم

وإن كان تشبيها ثبوت صفاته ***فمن ذلك التشبيه لا أتكتم

فالحقائق لا تُغيّرها الألفاظ، فكونك تُسمي المتبع للسنة مُتَزَمِّتًا متطرفا؛ فالحق أنه متبع للسنة وإن سَمَّيْتَه متطرفا. كما أن هذا العسل تُسَمِّيه عسلا وتُسَمِّيه قيء الزنابير. ولهذا -حتى في الأمور المحرمة- الخمر خمر، سمي مشروبًا روحيًّا، سمي "ويسكي"، سمي كذا، هو خمر، ما خَامَرَ العقل. والربا ربا، سُمِّيَ فائدة، سمي بأسماء الآن الحديثة كي تَنْطَلِيَ على الجهال لكن يبقى أنه ربا.

(أما الذين وافقوا ببواطنهم وعجزوا عن إقامة الظواهر، والذين وافقوه بظواهرهم وعجزوا عن تحقيق البواطن، أو الذين وافقوه ظاهرا وباطنا بحسب الإمكان لا بد من المنحرفين عن سنته أن يعتقدوا فيها نقصا، يَذُمُّونهم به ويُسَمُّونهم بأسماء مكذوبة -وإن اعتقدوا صِدْقَها- كقول الرافضي: من لم يُبغض أبا بكر وعمر؛ فقد أبغض عليًّا؛ لأنه لا ولاية لعليٍّ إلا بالبراءة منهما، ثم يجعل مَنْ أحب أبا بكر وعمر ناصبيًّا بناء على هذه الملازمة الباطلة التي اعتقدوها صحيحة، أو عاندوا فيها، وهو الغالب.)

لاحظ مثلا، هؤلاء الرافضة جعلوا هذه الملازمة الفاسدة، بعضهم قد يعتقد أنها ملازمة صحيحة، لكنها باطلة، من أحب أبا بكر وعمر فقد أبغض عليًّا. من قال لكم؟! ومن أبغض عليًّا فهو ناصبيا. انتهى إلى هذه النتيجة. فعندهم لا ولاء إلا ببراءة، لا ولاء لعلي إلا بأن تتبرأ من الشيخين، ونحن نقول: لا، بل التَّوَلِّي للجميع، والمحبة للجميع، ولا تلازم بين هذا وذاك.

(وكقول القدريِّ: من اعتقد أن الله أراد الكائنات، وخلق أفعال العباد؛ فقد سلب العِبَادَ القدرة والاختيار، وجعلهم مجبورين كالجمادات التي لا إرادة لها ولا قدرة.)

وهذا -أيضا- باطل، فيُمكن أن تُثبت القدرة والإرادة لله -عز وجل-، وأنه خلق أفعال العباد، وتُثبت للعباد -أيضا- مشيئةً واختيارا. هم عندهم هذا التلازم الباطل؛ إذا أثبت أن الله خالقٌ لأفعال العباد؛ فقد جعلت العبد

مجبورا على فعله فسلبت إرادة العبد. وهذا التلازم –أيضا– باطل، ولهذا سَمَّوْا أهل السنة –الذين أثبتوا إرادة العبد– سموهم جبرية؛ بناء على هذه المقدمتين الباطلتين.

(وكقول الجهميِّ: من قال: إن الله فوق العرش؛ فقد زعم أنه محصور، وأنه جسم مركب، وأنه مُشابه لخلقه.)

ولهذا سموا أهل السنة مشبهة؛ بناء على هذه الاعتقادات الفاسدة؛ أنك إذا أثبت الاستواء؛ فقد أثبتت أن الله جسم، وأنه محصور. من قال: إن هذا لازم لذلك. أنا أُثبت الاستواء، ولا يلزم من أن يكون جسما، ولا يلزم أن يكون محصورا، علما أن الجسم من الألفاظ المجملة التي لا تُنفى ولا تُثبت بإطلاق.

(وكقول الجهميّة والمعتزلة: من قال: إن لله علما وقدرة؛ فقد زعم أنه جسم مركب، وهو مُشَبِّه؛ لأنَّ هذه الصفات أعراض، والعرض لا يقوم إلا بجوهر مُتَحَيِّزٍ، وكل متحيز فجسم مركب، أو جوهر فرد، ومن قال ذلك؛ فهو مشبه؛ لأن الأجسام متماثلة.)

وهذه –أيضا– شبهة أخرى، فشبه نفاة الصفات كثيرة، لكن من أبرزها شبهة التجسيم التي ذكرها الشيخ عن الجهمية، وشبهة التركيب التي ذكرها عن المعتزلة؛ أنك إذا أثبت لله صفة العلم، والقدرة، والإرادة؛ فقد أثبت أن الله مركب، فأصبحت مُشَبِّهًا، ولهذا من أثبت الصفات عندهم؛ فهو مشبه.

لماذا؟

لأن هذه الصفات أعراض، هذه الصفات –عندهم– عرض؛ لأنهم لا يُشاهدون في المخلوق إلا ما هو موصوف بهذه الصفات أن يكون عرضا، يقول: إن الحياة بالنسبة للمخلوق عرض، إذن؛ إذا أثبتها لله؛ فقد شَبَّهْتَ الخالق بالمخلوق.

يقول: (لا يقوم إلا بجوهر متحيز): والجوهر المتحيز سبق التعريف به، وهو من اصطلاحات المتكلمين؛ هو: الذي لا يَقبل الانقسام لا بالفعل ولا بالقوة. وأهل السنة لهم كلام في وجود هذا الجوهر؛ هل موجود أم لا؟ ثم هل يلزم من إثبات الصفات هذه اللوازم الباطلة؟

(ومن حكى عن الناس المقالات وسماهم بهذه الأسماء المكذوبة بناء على عقيدتهم التي هم مخالفون له فيها؛ فهو وربه. والله من ورائه بالمرصاد ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.)

يقول: إن إلصاق هذه التُّهم وهذه الأسماء المكذوبة بناء على اعتقاده هذه نكل الأمر فيها إلى الله –عز وجل–، وهذا من باب الافتراء الذي لا مستند له فيه.

(وجماع الأمر: أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام، كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة؛ قسمان يقولان: تُجرى على ظواهرها، وقسمان يقولان: هي على خلاف ظاهرها، وقسمان يسكتون.)

الشيخ يقول: لو سَبَرْتَ الذين تكلموا في الصفات من أهل القبلة؛ لوجدتهم لا يَخرجون عن هذه الستة أقسام: (قسمان يقولان: تُجرى على ظاهره)، وسيفصل الشيخ. هذا –الآن– تلخيص لكل ما تقدم. قسمان: تجرى على ظاهرها، قسمان: تجرى على خلاف ظاهرها، قسمان: يسكتون ويمسكون عن الكلام فيها.

(أما الأوَّلان؛ فقسمان:

أحدهما: من يُجريها على ظاهرها ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين. فهؤلاء المشبهة، ومذهبهم باطل أنكره السلف، وإليه توجه الرد بالحق.)

)

القسمان اللذان يَقولان: تجرى نصوص الصفات على ظاهرها القسم الأول منهم: المشبهة الذين أجروا النص على ظاهره، لكن جعلوا هذا الظاهر من جنس ما هو ثابت للمخلوق، ولهذا الشيخ قال: هذا المذهب باطل، ظهر بطلانه، وإليه توجه -أي: بان، وظهر، ووضح- الرد بالحق. وعلى رأس هؤلاء الحكمية أتباع هشام بن الحكم الرافضي، وأيضا الجوالقية أتباع هشام بن سالم الجواليقي، وأيضا غلاة الصوفية يصنفون من المشبهة.

(والثاني: من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله كما يجري ظاهر اسم العليم، والقدير، والرب، والإله، والموجود، والذات، ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله. فإن ظواهر هذه الصفات في حق المخلوقين إما جوهر محدث، وإما عرض قائم به. فالعلم، والقدرة، والكلام، والمشيئة، والرحمة، والرضا، والغضب ونحو ذلك في حق العبد أعراض، والوجه واليد والعين في حقه أجسام، فإذا كان الله موصوفا عند عامة أهل الإثبات بأن له علما وقدرة وكلاما ومشيئة، وإن لم يكن ذلك عرضا يجوز عليه ما يجوز على صفات المخلوقين؛ جاز أن يكون وجه الله ويداه ليست أجساما يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين.)

القسم الثاني ممن يُجرى هذه النصوصَ على ظاهرها مَن يجريها على ظاهرها، لكن على الوجه اللائق به سبحانه، وهؤلاء هم أهل السنة.

لكن لو لاحظنا ظاهر هذه النصوص في حق المخلوق إما أن تكون هذه الصفات عرضا أو جسما؛ فمثلا الحياة بالنسبة للمخلوق عرض، القدرة عرض، العلم عرض، اليد جسم، الوجه جسم.

هؤلاء الذين يثبتون الحياة والعلم والقدرة والإرادة لله، وينفون الصفات الذاتية.

يقول الشيخ: هذه أعراض لحق المخلوق، وهذه أجسام في حق المخلوق، فإن كان إثبات الصفات التي هي الوجه واليد -ويريد أن يرد على المتكلمين من المتأخرين- إن كان فيها التشبيه؛ فإثبات العلم والإرادة التي تُثبتونها أنتم لله؛ لأن في حق المخلوق عرض، فإذا أثبتموها لله؛ فقد شبهتم الخالق بالمخلوق.

إما تنفونها جميعا أو تثبتونها جميعا.

نعم، فإما أن تثبتوا الجميع أو تنفوا الجميع.

(وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره عن السلف، وعليه يدل كلام جمهورهم، وكلام الباقين لا يخالفه، وهو أمر واضح؛ فإن الصفات كالذات، فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات؛ فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقات.)

وهذه قاعدة سبق الكلام عليها، قلت لكم: إن هناك قاعدتين مهتمين في الأسماء والصفات في الرد على المخالفة:

- القول في بعض الصفات كالقول في بعض. ونوه عنها هنا في مسألة التفريق بين الجسم والعرض. فإما أن تثبت الجميع أو تنفي الجميع.

الآن الأشاعرة وجمهور المتأخرين من المتكلمين يُثبتون الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر، وينفون الوجه واليدين والاستواء، وهم من جنس واحد، فإما أن تثبتوا الجميع أو تنفوا الجميع.

– القول في الصفات كالقول في الذات.

أنتم تثبتون لله ذاتا، هل ذاته مشابهة لذوات المخلوقين؟! قالوا: حاشا وكلا، لله ذات لائقة به سبحانه، يقال لهم: وأيضا هذه الذات متصفة بصفات لائقة بها.

(فمن قال: لا أعقل عِلْمًا ويدا إلا من جنس العلم واليد المعهودين؛ قيل له: فكيف تعقل ذاتا من غير جنس ذوات المخلوقين؟!)

وهذا يُرد به على المعتزلة. إذا قال: أنا لا أثبت لله العلم، ولا أثبت لله اليد.

لماذا؟

قال: لأني لا أعقل، لا يمكن أتصور أن هناك يدا أو علما إلا هذا العلم الذي أشاهده. قلنا له: وهل تعقل ذاتا غير ذات المخلوق؟!

طبعا لا بد أن يُثبت لله ذاتا قائمة بنفسها، فإن قال: نعم، الله له ذات لائقة له؛ قيل: وله الصفات اللائقة به.

(قيل له: فكيف تعقل ذاتا من غير جنس ذوات المخلوقين؟! ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته. فمن لم يفهم من صفات الرب الذي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ إلا من يناسب المخلوق؛ فقد ضل في علقه ودينه.

وما أحسنَ ما قال بعضهم: إذا قال لك الجهمي: كيف استوى؟ وكيف ينزل إلى السماء الدنيا؟ وكيف يداه؟ ونحو ذلك. فقل له: كيف هو في نفسه؟ فإذا قال لك: لا يعلم ما هو إلا هو، وكُنْهُ الباري غير معلوم للبشر. فقل له: فالعلم بكيفية الصفة مستلزمٌ للعلم بكيفية الموصوفِ، فكيف يمكن أن تَعْلَمَ بكيفية الصفة الموصوف ولم تعلم كيفيته؟ وإنما تُعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي لك. بل هذه المخلوقات في الجنة قد ثبتت؛ عن أبي عباس –رضي الله عنهما– أنه قال: «ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء»، وقد أخبر الله أنه: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧]، وأخبر النبي –صلى الله عليه وسلم–: أن (في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر). فإذا كان نعيم الجنة –وهو خلق من مخلوقات الله كذلك–؛ فما الظن بالخالق –سبحانه وتعالى–؟!.)

هذه حجة مختصرة يمكن أن يتسلح بها كل سُنِّيٍّ حتى وإن كان عاميًّا، الشيخ أعطاه هذه الحجة المبسطة. يقول: إذا قال لك الجهمي، أو قال لك المعطل أيا كان؛ معتزليا، جهميا، أشعريا، إذا قلت له: أثبت لله النزول. مباشرة أي معطل يورد عليك هذه الشبهة: كيف ينزل؟ اعكس عليه أنت الحجة، واعكس عليه السؤال، وقل له: كيف هو؟ سيقول لك مباشرة: لا يعلم هو إلا هو سبحانه، كيف نعلم ذات الرب؟ قل: وأنا –أيضا– أثبت النزول ولا يعلم كيفية النزول إلا هو –سبحانه وتعالى–.

يقول: (فإذا قال لك: لا يعلم ما هو إلا هو وكن الباري)؛ أي ذاته حقيقته (غير معلوم للبشر): غير معلومة للبشر، فقل له: فالعلم بكيفية الصفة مستلزمة للعلم بكيفية الموصوف.

أنت الآن تقول: أجهل ذات الله -عز وجل-، العلم بكيفية الصفة التي اعترضت بها علي لا يمكن أن أعرف كيفيتها إلا بعد أن أعرف كيفية الموصوف، ولهذا قال الله -عز وجل-: ﴿ ولَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه:١١٠]، فإذا كانت كيفيتُه مجهولة؛ فمن باب أولى أن تكون كيفية الصفة مجهولة.

ثم ضرب مثالا، بالطبع هذه الأسطر التي ذكرها الشيخ فصَّلها في "التدمرية" وجعلها كقواعد؛ القول في بعض الصفات كالقول في بعض، قاعدة وتكلم عنها، ولهذا أحيل مَنْ أراد التفصيل إلى "التدمرية".

القول في الصفات كالقول في الذات، ثم ضَرَبَ مثلا بالجنة والروح هنا قال: ويتضح بمثالين لأنه قال: بأصلين عظيمين هما: القول في الصفات كالقول في بعض، والقول في الصفات كالقول في الذات وبمثلين مضروبين وبخاتمة جامعة.

هو الآن يريد أن يمثل مثالا قريبا للذات، قال: الآن موجودات الجنة. ابن عباس أخبرنا أنه ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء، أخبر الله -عز وجل- أن فيها أنهارا من لبن، وأنهارا من عسل، وأنهارا من خمر، وفيها قصور، وفيها أشجار، وفيها أنهار. هل ما في الجنة مماثل لما في الدنيا؟! الجواب: لا، فقط الاسم والمعنى العام.

ولهذا قال الله -عز وجل-: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧]، وفي الحديث الصحيح: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر). هذا مخلوق مع مخلوق، وبينهما هذا التباين العظيم؛ فما الظن بالخالق والمخلوق؟! حتى وإن اتفقا في الاسم؛ فالحقيقة متباينة تماما.

(وهذه الروح التي في بني آدم قد علم العاقل اضطراب الناس فيها وإمساك النصوص عن بيان كيفيتها. أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام في كيفية الله -تعالى-؟! مع أنا نقطع بأن الروح في البدن، وأنها تخرج منه وتعرج إلى السماء، وأنها تُسَلُّ منه وَقْتَ النزع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة؛ لا نغالي في تجريدها غلوَّ المتفلسفة ومن وافقهم؛ حيث نفوا عنها الصعود والنزول، والاتصال بالبدن والانفصال عنه، وتخبطوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته. فعدم مماثلتها للبدن لا يَنفي أن تكون الصفات ثابتة لها بحسبها إلا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص، فيكونون قد أخطئوا في اللفظ وأنَّى لهم بذلك؟!)

المثال الثاني لأجل أن يُقَرِّبَ المعنى: أن التماثل في أسماء الصفات بالنسبة لله وأسماء المخلوق لا يلزم منه التمثيل، يعني كون الله -عز وجل- وصف نفسه بأن له يدين، والمخلوق موصوف بذلك لا يلزم أن تكون يَدَا المخلوق كيد الخالق.

المثال الثاني الذي يريد أن يقرب به المعنى وهذه المباينة: الروح، قال: هذه الروح التي في بني آدم من أقرب شيء لبني آدم. اضطرب الناس فيها في حقيقة هذه الروح، والنصوص لم تُبَيِّنْ كيفية هذه الروح. وُصِفَتْ في النصوص أنها تسل، وأنها تصعد، وأنها تخرج، لكن حقيقة هذه الروح وكيفية هذه الروح لا يعلمها أحد، ولا يمكن أن يدعي ذلك أحد، وهي مخلوقة، ووصفت بأوصاف وصف بها المخلوق الخروج، تسل، تصعد، تسمع، تتكلم.

قال: (لا نغالي في تجريدها غلوَّ المتفلسفة): المتفلسفة غَلَوْا في نفي الصفات عنها حتى قالوا: إنها لا متصلة بالبدن ولا منفصلة عنه، ولا هي داخل العلم ولا خارجه، ولا تتكلم، ولا...، ولا...، ولا...، وهذا لا يعقل. هي موصوفة بهذه الصفات وليست من جنس البدن التي نشاهدها، ومع ذلك هذه الصفات ثابتة، ولا يلزم من ذلك التشابه بينها وبين صفات البدن؛ فالخالق أيضا مع المخلوق من باب أولى.

(وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها -أعني الذين يقولون: ليس لها في الباطن مدلول هو صفة الله -تعالى- قط، وأن الله لا صفة له ثبوتية بل صفاته إما سلبية، وإما إضافية، وإما مركبة منهما، أو يثبتون بعض الصفات السبع، أو الثمانية أو الخمس عشرة، أو يُثبتون الأحوال دون الصفات كما عُرف من مذاهب المتكلمين-؛ فهؤلاء قسمان: قسم يتأولونها.)

قوله: (وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهره): دلالة ظاهر النصوص يقول: (ليس لها في الباطن)؛ يعني لا تدل على إثبات صفة.

ثم قال: (وأن الله لا صفة له ثبوتية، بل صفاته إما سلبية وإما إضافية): هذا مذهب الفلاسفة ومن تبعهم من الجهمية والمعتزلة، وعرفنا -في أول الرسالة- معنى الصفات السلبية ليس بكذا ولا كذا ولا كذا.

الصفات الإضافية هي: أنه لا تُعقل هذه الصفة إلا بما يُقابلها، كما قال الفلاسفة: إنه هو العلة، العلة لا يُمكن أن تكون مع وجود المعلوم.

(وإما مركبة منهم): من السلبية أو الإضافية.

(أو يثبتون بعض الصفات): من هؤلاء الذين يثبتون بعض هذه الصفات؟ الأشاعرة.

يقول: (السبعة): جمهورهم يثبتون سبع صفات، (أو الثمانية) بعضهم يثبت زيادة صفة فيُوصلها إلى ثمان صفات، وبعضهم يثبتون (خمس عشرة صفة، أو يثبتون الأحوال دون الصفات)، وهذا مذهب أتباع أبي هاشم من المعتزلة.

(فهؤلاء قسمان:

- قسم يتأولونها ويُعَيِّنُون المراد؛ مثل قولهم: استوى بمعنى استولى، أو بمعنى علو المكانة والقدر، أو بمعنى ظهور نوره للعرش، أو بمعنى انتهاء الخلق إليه.. إلى غير ذلك من معاني المتكلفين.)

)

إذن؛ القسم الأول ينفي الدلالة الظاهرة الصحيحة، لكنه يثبت دلالة أخرى يسميها تأويلا. ذكر الشيخ مثل: الاستواء: الاستيلاء، علو والمكانة، القدر، الظهور).. إلى غير ذلك من التأويلات الباطلة، وإنما يعين المعنى.

(وقسم يقولون: الله أعلم بما أراد بها، لكننا نعلم أنه لم يُرِدْ إثبات الصفة الخارجة عما علمنا.)

هؤلاء يَنفون الصفة، هل تعينون صفة؟ قالوا: لا، الله أعلم. لكن نحن نَجزم أنه لم يُرِدْ هذه الصفة التي في أذهاننا، فلا يؤولون على خلاف أصحابهم، فأصحابهم يؤولون، هم يقولون: لا نؤول. ماذا تثبتون؟! هل تثبتون لله الصفة الثابتة؟ يقول لك: لا، لا أثبت لله اليد، لكن أجزم أنه لم يرد إثبات اليد، أجزم أنه لم يرد إثبات صفة الاستواء. فهذا نفى الظاهر، لكن لم يحدد المراد.

ما تسمى هذه الفرقة؟

قسم آخر من أهل التأويل، كونهم ينفون الصفة الحقيقية، لكنهم لا يُثبتون صفة أخرى.

كيف تعاملهم مع النصوص القرآن في إثبات هذه الصفات؟

يقولون: نجزم قول الله -عز وجل-: ؟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ؟ [المائدة: ٦٤] أن هذه الآية لا تدل على إثبات صفة يدين حقيقتين لله. الآن نفوا هذه الصفة، طيب تثبتون ماذا؟ قالوا: لا نُثبت شيئا، لكن نَجزم أنه لم يرد هذه الصفة.

القسمان الآخران: لا، يقولون: لا نجزم بهذا ولا بهذا، وهم المفوضة الذين سيأتون في الأخير.

(وأما القسمان الواقفان؛ فقسم يقولون: يجوز أن يكون المراد ظاهرها الأليق بجلال الله، ويجوز أن لا يكون المراد صفة لله ونحو ذلك، وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم.)

وهؤلاء الذين يسمون المفوضة. هنا يأتي الفرق بينهم وبين القسم الثاني من الذين نفوا ظاهر دلالات الآية. أولئك جزموا بنفي الدلالة، لكنهم لم يحددوا المعنى، هؤلاء لا، قالوا: لا نجزم، ممكن يريد إثبات صفة اليدين وممكن يريد معنى آخر.

(وقول: يمسكون عن هذا كله، ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث مُعرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات.)

هؤلاء سلبيون، فلا يرفع رأسا لهذه النصوص، لا يقول: أثبت ولا لا أثبت ولا شيء، ما يتعرض له، لا من قريب ولا من بعيد.

(فهذه الأقسام الستة لا يمكن الرجل أن يخرج عن قسم منها، والصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها القطعُ بالطريقة الثابتة؛ كالآيات والأحاديث الدالة على أن الله -سبحانه- فوق عرشه، وتعلم طريقة الصواب في هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والإجماع على ذلك دلالة لا تحتمل النقيض، وفي بعضها قد يَغْلِبُ على الظن. ذلك مع احتمال النقيض، وتردد المؤمن في ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم والإيمان: ؟ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ؟ [النور: ٤٠].)

يقول: هذا هو الحق، إثبات ظواهر هذه النصوص على ما دلت عليه، لكن قد يُوجد عند بعض الناس تردّد، لا يصل إلى اليقين، والسبب في ذلك ضعف الإيمان، والسبب ضعف العلم، ليس الناس على درجة واحدة من الإيمان، وليس الناس على درجة واحدة من العلم، فكلما ازداد الإنسان علما؛ ازداد معرفة لحقيقة هذه النصوص.

(ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره؛ فَلْيَدْعُ بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا قام من الليل يصلي يقول: (اللهم ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك؛ إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)، وفي رواية لأبي داود: (كان يكبر في صلاته ثم يقول ذلك).)

وهذا ينبغي أن يكون ديدن المسلم. إذا كان النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وهو على الحق الذي لا مرية فيه، ولا يمكن لا عقلا ولا شرعا أن يكون المنهج الذي سلكه فيه احتمال، إذا كان كلما قام من الليل -كما ثبت في صحيح مسلم- دعا الله -عز وجل- بهذه الدعوات؛ فالعباد من باب أولى، خاصة إذا اشتبه الأمر على الإنسان، فلا يعتمد على عقله، ولا على علمه، ولا على جهده، ولا على سابقته، بل يَلجأ إلى الله -عز وجل- أن يُبَصِّرَه الله -عز وجل- بالحق، ويبينه له ويهديه إليه.

(فإذا افتقر العبد إلى الله ودعاه وأدمن النظر في كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين؛ انفتح له طريق الهدى.

ثم إن كان قد خَبَرَ نهايات إقدام المتفلسفة والمتكلمين في هذا الباب، وعرف غالب ما يزعمونه برهانا وهو شبهة، ورأى أن غالب ما يعتمدونه يؤول إلى دعوى لا حقيقة، لها أو شبهة مركبة من قياس فاسد، أو قضية كلية لا تصلح إلا جزئية، أو دعوى إجماع لا حقيقة له، أو التمسك في المذهب والدليل بالألفاظ المشتركة.)

)

يقول: من تأمل في طرق هؤلاء ومنهج هؤلاء الذين خالفوا الكتاب والسنة؛ وجد أن الضلال الذي وقعوا فيه سببه ماذا؟ عَرَفَ غالب ما يزعمونه برهانا وهو شبهة. الآن يأتونك بقواعدَ يعتبرونها قواعدَ لا تقبل النقاش، براهين مُسلَّمَة، وهي –في واقع الأمر– شبهات. ولهذا إذا قرأت كلام أهل العلم ممن عَرفوا هذه الشُّبَهَ ووضحوها وبينوها؛ تَبَيَّنَ لك أنها لا شيء كسراب بقيعة، ورأى أن غالب ما يعتمدونه يؤول إلى دعوى لا حقيقة لها.

مثال ذلك: "كل موصوف؛ فهو جسم".

هذه –عندهم– قاعدة لا يقبلون النقاش فيها، هي حقا دعوى، شبهة فاسدة، وليست قاعدة، وبنوا عليها كثيرا من الباطل الذي رَدُّوا به نصوص الكتاب والسنة، أو شبهة مركبة من قياس فاسد، وما أكثر الأقيسة الفاسدة عندهم!، فغالب الأقيسة التي اعتمدوا عليها قياسات فاسدة، ولهذا إذا كان القياس فاسدا؛ كانت النتيجة فاسدة.

أو قضية كلية لا تصلح إلا جزئية: قضية كلية شاملة وفي واقع الأمر تصلح في بعض المسائل، هم يأخذون على أنها قضية كلية مسلم بها.

أو دعوى إجماع لا حقيقة لها. يقولون: أجمع العقلاء! من العقلاء هؤلاء؟! العقلاء ابن سينا والفارابي، العقلاء فلان وعلان. دعوى لا حقيقة لها. ولهذا خالفهم جمهور العقلاء. أين الإجماع؟!

أو التمسك في المذهب والدليل بالألفاظ المشتركة. بعض الناس يُؤتى من ألفاظ مشتركة، يعني لها أكثر من احتمال فيجزم أن هذا هو المراد بها.

(ثم إن ذلك إذا رُكِّبَ بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عمَّن لم يعرف اصطلاحهم؛ أو همت الغِرَّ ما يُوهمه السراب لعطشان؛ ازداد إيمانا وعلما بما جاء به الكتاب والسنة؛ فإن الضِّدَّ يُظْهِرُ حُسْنَ الضِّدِّ، وكل من كان بالباطن أعلم؛ كان للحق أشد تعظيما وبقدره أعرف.)

والذي جعل كلام هؤلاء ينطلي على هؤلاء الجهال الذين أشار إليهم الشيخ كالغر الذي لا يتفطن للباطل. هذا الكلام الطويل المزخرف المزركش، وهذه المقدمة يَتِيه الإنسان، ويتوقع أن ما معهم ما هو إلا الحق، وكلمات كبيرة، وقواعد منمقة، فيغتر بما معه. لكن إذا أنار الله –عز وجل– قلب الإنسان بنور الكتاب والسنة؛ تَبَيَّنَ أنَّ الذي هم عليه باطل لا حقيقة له، وأنه –كما ذكرت– ما هو إلا سراب وخيالات. لكن متى يتبين؟! إذا كان الإنسان أنار الله قلبه بنور الإيمان، بنور الكتاب والسنة، فدائما الأشياء تتبين بضدها، وإلا إذا كان قلب الإنسان خاويا من نور الكتاب والسنة؛ انطلى عليه زخرفة هؤلاء.

(فأما المتوسط من المتكلمين؛ فيُخاف عليه ما لا يخاف على من لم يدخل فيه، وعلى من قد أنهاه نهايته، فإن من لم يدخل فيه؛ فهو في عافية، ومن أنهاه؛ قد عرف الغاية. فما بقي يَخاف من شيء آخر. فإذا ظهر له الحق وهو عطشان إلى قَبْلِه، وأما المتوسط فمتوهم بما تلقاه من المقالات المأخوذة تقليدا لمعظمه تهويلا.)

الشيخ لخص لنا في هذه الأسطر موقف الناس تجاه علم الكلام. هذا العلم الذي اغْتَرَّ به كثير ممن غرقوا في لججه، وضل بسببه بعض الناس. يقول: الناس ثلاثة أقسام تجاه هذه العلم:

- قسم لم يدخل فيه، فهو في عافية، وهذا -ولله الحمد- أكثر المسلمين تجنبوه وسلموا منه وسلموا من تبعاته.

- القسم الثاني: من دخل فيه وبلغ نهايته، وعرفه وقلاه، ولهذا إذا ظهر له الحق مباشرة بصيص النور تمسك به بقناعة تامة، كما هي الحال عند بعض كبرائهم ومعظميهم الذين سبق الكلام عليهم في أول الرسالة؛ كالإمام الرازي -رحمه الله- قال في آخر حياته أبياته المشهورة:

نهاية إقدام العقول عقال***وأكثر سعي العالمين ضلال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا*** سوى أن جمعنا فيه قيل وقالو

قال: لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية؛ فما رأيت تشفي عليلا ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن. اقرأ في الإثبات: ؟ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ؟ [طه: ٥]، ؟ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ؟ [فاطر: ١٠]، واقرأ في النفي: ؟ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ؟ [الشورى: ١١]، ؟ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ؟ [الإخلاص: ٤]، ومن جرب مثل تَجْرِبَتِي؛ عرف مثل معرفتي.

سلك هذا الطريق وتبحر فيه، لكنه وصل في النهاية إلى طريق مسدود، ولهذا تَبَيَّنَ أن الحق لا يُلتمس منه.

أبو المعالي الجويني عرفنا كلامه الآن قيد. قال رحمه الله: اشهدوا علي أني رجعت عن كل مقالة تخالف السنة، قال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت؛ ما اشتغلت بهذا العلم. ولهذا قال: خضت في الشيء الذي نهاني عنه أهل الإسلام، والآن إن لم يتداركني ربي؛ فالويل لابن الجويني.

الإمام الغزالي قال: أكثر الناس شكا عند الموت أهل الكلام.

الشهرستاني:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها***وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أرَ إلا واضعا كف حائرث***على ذقن أو قارعا سن نادم

هؤلاء تَبَيَّنَ لهم فعلا أنهم ليسوا على جادّة لكن هؤلاء تبحروا في هذا العلم.

وضاع جزء كبير من عمرهم.

الشاهد أنه لما يتبين لهم الحق؛ عرفوا أن ما هم عليه باطل. هذا الصنف الثاني، وهؤلاء أخف.

وأسواء الأصناف الثلاثة المتوسطة، هؤلاء مغترون بما مع هؤلاء من زخارف القول وبهارج الكلام؛ هذه القواعد، وهذه الأصول التي أصلوها وما بلغوا نهاية هذا العلم ليتبين لهم أنهم ليسوا على جادة، ولهذا يبقون في تخبط، ولهذا يُخاف على هؤلاء ما لا يُخاف على غيرهم.

ولهذا قال الشيخ: فأما المتوسط من المتكلمين؛ فيُخاف عليه ما لا يُخاف على من لم يدخل فيه. هذا في عافية. أو على من دخل فيه وبلغ غايته.

(وقد قال الناس: أكثر ما يفسد الدنيا نصف متكلم، ونصف متفقه، ونصف متطبب، ونصف نحوي. هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد البلدان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد اللسان.

ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم هم في الغالب في ؟ قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ؟٨؟ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ؟ [الذاريات: ٨-٩]، يعلم الذكي منهم العاقل أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة، وأن حجته ليست بينة، وإنما هي كما قيل فيها:

حجج تهافت كالزجاج تخالها***حقا وكل كاسر مكسور.)

)

وقد اعترف بعضهم بهذا الاغتراب، ألم نذكر كلام واصل الحموي في أول الرسالة أضع الملحف على وجهي، وأقابل حجة هؤلاء بحجة هؤلاء إلى أن يطلع الفجر، لا أنا نمت كما ينام الناس ولا أنا توصلت إلى الحق الذي أنشده؟!

شمس الدين الخصرشاهي من أجل تلامذة الرازي، لما دخل عليه أحد عوام المسلمين قال له: ما تعتقد؟! يسأله شمس الدين قال: ما يعتقده المسلم؟! قال: وأنت مطمئن القلب مرتاح قال: أي وربي، مطمئن والحمد لله. قال له: أما أنا؛ فوالله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد. وبكى حتى أخضل لحيته، فهم دائما في اضطراب في اختلاف. لماذا؟ لأنهم عدلوا عن المنهج الصحيح.

(ويعلم العليم أنهم من وجه مستحقون ما قاله الشافعي -رضي الله عنه- حيث قال: حكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام.

ومن وجهة أخرى إذا نظرت إليهم بعين القَدَرِ والحيرة مستولية عليهم والشيطان مستحوذ عليهم؛ رحمتهم ورفقت بهم، ورفقت عليهم، وأوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء، وأعطوا فهوما وما أعطوا علوما، وأعطوا سمعا وأبصارا وأفئدة ؟ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ ولَا أَبْصَارُهُمْ ولَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بهم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ؟ الأحقاف: ٢٦].)

.)

يقول الشيخ في نهاية هذا الكلام: هؤلاء المتكلمون الموقف منهم إن نظرت إليهم بعين الشرع؛ رأيت أنهم مستحقون أن يؤخذ على أيديهم وأن يؤدبوا، وأن يصدق عليهم قول الإمام الشافعي: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام، يؤدبوا. هذا النظر إليهم بعين الشرع.

يقول: (وأما إذا نظرت إليهم بعين القدر)؛ بمعنى أن الله -عز وجل- كتب عليهم هذا، وهذا أمر مقدر عليهم؛ (رحمتهم وترفقت بهم).

إن نظرت إليهم بعين الشرع؛ قلت: لا بد أن يؤخذ على أيديهم، وإن نظرت إليهم بعين القدر؛ رحمته وترفقت بهم.

(أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء): الله -عز وجل- أعطاهم ذكاء، وهذه حقيقة نعترف بها، ومن يقرأ في كتبهم ويسمع كلامهم وينظر في مناظرتهم؛ يعتقد جازما أنهم من أذكياء العالم. لكن ما فائدة هذا الذكاء إذا لم يقيد بالزكاء والتقى؟!

الذكاء إن لم يصاحبه زكاء؛ انقلب وبالا على صاحبه؛ مثل العقل، فالعقل أداة للهداية، ونعمة من الله -عز وجل-، ولهذا يُرفع التكليف عمن زال عقله، والعقل مناط التكليف، لكن أحيانا يكون هذا العقل نقمة وسببا لضلال الإنسان. كيف ذلك؟! إذا استخدمه في غير ما خلق له، إذا حَمَّلَ العقل ما لا يُطيق، فهؤلاء أذكياء، أعطاهم الله -عز وجل- ذكاء لكن ما أُعطوه زكاء، وأعطوا علوما أعطاهم الله -عز وجل- العلم، ولهذا لما تقرأ في كتب بعضهم؛ ترى العلم الكثير، لكن ما أعطاهم الله الفهم الصحيح، وما فائدة العلم بلا فهم، لا قيمة له، ولهذا ذكر الشيخ عن بعضهم أنه يذكر في المسألة الأقوال المتعددة في مسائل الاعتقاد غالبا يذكر أحيانا خمسة، ستة، سبعة، عشرة أقوال. يقول: (والقول الحق لا يَعرفه فيذكر.) يا ليته ذكره ورجح غيره عليه، ولكن لا يعرفه فالله -عز وجل- أعطاهم علما ولهذا يقرؤون القرآن ويحفظون القرآن، لكن ما أعطاهم الله -عز وجل- الفهم الصحيح.

وأعطوا سمعا وأبصارا وأفئدة، لكن هل أغنت عنهم هذه الحواس؛ ؟ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ ولَا أَبْصَارُهُمْ ولَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ؟.

هذه الحواس مثل المال، هذا المال في الأصل أنه نعمة من الله إذا استخدمته في الخير، استخدمته في بناء البيت، شراء مركبة، في الزواج، في المأكل والمشرب، لكن إذا استخدمته في غير ما أُوجد له، استخدمه الإنسان في تناول مخدرات، في الغش على الناس، في أكل ما حرم الله -عز وجل- أصبح نقمة.

(ومن كان عليما بهذه الأمور؛ تبين له بذلك حذق السلف وعلمهم وخبرتهم؛ حيث حذروا عن الكلام، ونهوا عنه، وذموا أهله وعابوهم، وعلم أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة؛ لم يزدد إلا بعدا.)

السلف -رحمهم الله- لما ذموا علم الكلام، وألفوا في ذمه والبعد عنه والتحذير منه؛ لم يكن عبثا، ولهذا الشيخ يقول: (علم حذق السلف)؛ أنهم ما نهوا عن هذا الأمر اعتباطا، لم ينهوا عن هذا العلم لكونه علما جديدا، لا، قبلوا العلوم الجديدة الأخرى علوم الآلة قبلوها وحثوا على قراءتها وتعلمها وفهمها وتدبرها، لكنهم لما حذروا من هذا العلم؛ لأنهم علموا أنه لا يُفضي إلا إلى الباطل، إلى الضلال، إلى الانحراف، ولهذا حذروا منها أشد التحذير.

وقد ألف الإمام السيوطي "صون المنطق والكلام"، وألف غيره في "ذم الكلام" كما صنع الهرويّ -رحمه الله-، وأيضا ألف الشافعي -رحمه الله- في ذم الكلام، وحذر الإمام أحمد كثيرا في ذم الكلام وأهل الكلام. كل ذلك لأجل أمر واحد أنه لا يُفضي إلا إلى باطل، وأنه أقل ما فيه أنه يُبقي الإنسان في حيرة، في ضلال، وأمور العقائد لا بد فيها من اليقين، فلا تقبل الاضطراب، ولا تقبل الشك. والمسائل الفرعية ممكن أن يحصل عند الإنسان تردد ولا يضر هذا إن شاء الله، ولا يؤثر على أصل دينه، أما أمور العقائد؛ فلا لا بد فيها من اليقين التام، اليقين الجازم، ولهذا أقل ما في هذا العلم -كما ذكر الإمام الشافعي- أنه يحرك العقائد من اليقين إلى الشك والتردد.

ثم ختم الشيخ

(نسأل الله العظيم أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين آمين.

تمت الحموية.)

)

في الختام لا يسعنا إلا أن نسأل الله -عز وجل- أن يغفر لهذا الإمام وأن يرفع درجته في عليين، وأن يجزيه عن الأمة خير الجزاء؛ فقد بذل حياته ووقته وجهده للدفاع عن عقيدة أهل السنة، ولبيان ما عليه هؤلاء من ضلال وانحراف فنسأله -سبحانه وتعالى- أن يجمعنا به ؟ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ؟ [القمر: ٥٥]، وأن يجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه، وأن يثبتنا على صراطه المستقيم حتى نلقاه وهو راض عنا، غير غضبان.

وبالله التوفيق، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد.

هذا آخر ما يسر الله -عز وجل- به من التعليق على هذا المتن، وهو جهد المقل، فإن أصبنا؛ فمن الله وحده لا شريك له، وإن أخطأنا؛ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله -عز وجل- من ذلك والله ورسوله منه بريئان.

وبالله التوفيق